(فهرسة الجزء الاول من شرح المقامات الحريرية للامام الشريشى)

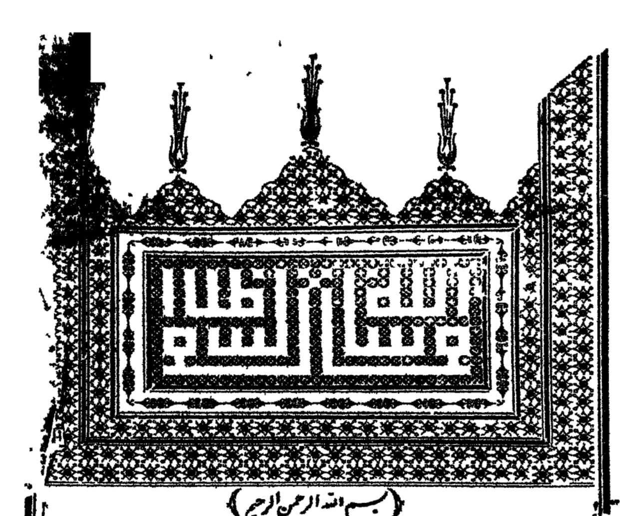
صحيفة

(تمت)

(الجزء الاول)
من شرح المقامات الحريريه
للامام أبي العباس أحمد بن
عبد المؤمن القيسي
الشريشي رحمه
الله تعالى
آمين

(وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الكبرى الميرية العامرة ببولاق مصر القاهرة)
سنة ١٣٠٠ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الاستاذ اللغوي النحوي أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه بمنه وكرمه آمين (الحمد لله) الذي اختص هذه الامة بافصح الالسنة وأفسح الاذهان وشرف علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان وميزنا بين سائر الامم بالنثر المتفق الفقر والنظم المعتدل الاوزان نحمده على أفئدة هداها وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها ونصلي على سيد المرسلين وخيرة العالمين الذي ختمت بنبوته العامة النبوة ونسخت بشريعته التامة الكتب المتلوة محمد سيد هذا العالم والمخصوص بعلو المكانة وعموم الديانة في ولد آدم وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ووقروه وآووه اولياء الموفين بالعهود ونصروه ونقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ونسلم تسليما وآتاهم من لدنه رحمة وأجرا عظيما ورضي الله عن الامام المعصوم المهدي المعلوم مجدد معالم الديانة والملي بأداء الامانة والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى والتالين له في شرف ذلك المدى والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الائمة الراشدين سعدا يعلي أعلامه ونصرا يصحب قلمه وحسامه وتأييدا يظهر أمره وينصر اعتزامه حتى ينتظم شذان الامصار في سلك ملكه وتزدحم وفود الامم على غمر بره وتنطوي ضمائر القلوب ومخبآت الغيوب على اخلاص طاعته والانتشاء لامره (أما بعد) فان العلم أربح المكاسب وأرفع المراتب وأنصع المناقب وحرفة أهل الهمم من الامم ونحلة أهل الشرف من السلف لم يتقلد سلكه الا جيد ماجد

[illegible] برده الاعطف جادّ فى طلب الكمال جاهد ولم يستحق اسمه الا الواحد الفذ بعد الواحد
وهو وان تشعبت أفانينه وتنوعت دواوينه فعلم الادب علمه والاس الذى يبنى عليه كلمه
والروح الذى يخب فى ميدان الطروس قلمه ولذلك كان أولى ما تقترحه القرائح وأعلى ما تجنح
اليه الجوانح فذوو الاخطار فى سائر الاقطار يتنافسون فى اقتنائه ويتصافنون فى عافى
أنبائه ويرتاحون لانبساطه وتآلفه ويسترجعون الى أعتابه المكدودة وتكالفه فانه
زمام المنظوم والمنثور وقوام نطق الالسنة وفكر الصدور ومنشط المقال من عقال الفهاهة
ومبرز الاقدار بالنهاية والنباهة ولم يزل فى كل عصر من حملته بدر طالع وزهر غصن يانع وعلم
ترنو اليه أبصار وتومئ اليه أصابع وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل وتنويع البديع
ينضبط ويتحصل والآخر يكد ذهنه فى تتميم ما غادره الاول الى أن اعتدلت كفتاه وامتلأت
صفقتاه وراق مجتلاه ومجتناه وتناهى فى الحسن والاحسان لفظه ومعناه وكان آخر البلغاء
الباعة الادباء أولهم بالاستحقاق وأولاهم بسمة السباق والفذ الذى قد عقمت عن توأمه فتية
العراق وفارس ميدان البراعة ومالك زمام القرطاس واليراعة والملبى عند استدعاء درر
الفقر بالسمع والطاعة أبو محمد القاسم بن على الحريرى سقى الله ثراه صوب رحماه وكافأ
احسانه فى الثناء عليه بحسناه فبسط لسان الاحسان ومد أفنان الافتنان ومهد جادة
الاجادة وقوى مادة الافادة ولم يبق فى البلاغة متعقبا ولا للزيادة مترقبا لاسيما فى المقامات
التى ابتدعها والحكايات التى نوعها وفرعها والملح التى وشحها بدرر الفقر ورصعها فانه برز
فيها سابقا وبز البلغاء فائتا وأتى بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق مطابقا وخلدها تاجا على هامة
الادب وتقصارا فى جيد لغة العرب وروضة تحوم نفوس المطامع عليها ولا تصل أيدى
المطامع اليها ولما كانت من البراعة بهذا المحل الشهير وسارت مسير النيرين بين مشاهير الجماهير
جعلت الاعتناء بها سهم فهمى والعكوف عليها حزم عزمى والدؤب فى ضبط لغاتها وفك
معمياتها أتم همى وصيرت تحفظها فرض عينى والفكر الذى لا يحول وسنى بينه وبينى
وبدأت بروايتها عن الشيوخ الثقات وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات حتى لا أنقل
لفظا الا عن تحقيق ولا أثبت ضبطا الا من طريق فكان أول من أخذت عنه روايتها
وتلقيت منه درايتها ببلدى الشيخ الفقيه المقرى أبو بكر بن أزهر الحجرى حدثنى بها عن صهره
الفقيه المحدث الراوية أبى القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور عن منشئها أبى محمد
الحريرى وحدثنى بها أيضا ببلدى الشيخ الفقيه الراوية عن صهره الفقيه المحدث الراوية
أبو بكر بن مالك الفهرى عن ابن جهور المذكور وعن الشيخ الفقيه أبى الحجاج الابدى القضاعى
كلاهما عن أبى محمد الحريرى وحدثنى بها أيضا اجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجرى عن القضاعى وحدثنى بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين
ابن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن ابراهيم بن طاهر بن بركات القرشى المعروف بالخشوعى
عن الحريرى وحدثنى بها أيضا الشيخ الفقيه الاستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى
بسنده بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لى بتكميله وتلقيت بها جماعة من جلة
الاشياخ أكثر فى العدد ممن ذكرت لا يعدمنى واحد منهم افادة ضبطية أو لفظية ولا يفقدنى

زيادة هزلية أو وعظية فأخذتها أخذ متثبت عن واع متمكن ثم لم أدع كتابا ألف فى شرح ألفاظها وايضاح أغراضها وتبيين الانصاف بين انفصالها واعتراضها الا أوعيته نظرا وتحققته معتبرا ومختبرا وترددت فى تفهمه وردا وصدرا وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا حتى أتيت على جميع ما انتهى اليه وسعى ممن فسرها واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ولم أترك فى كتاب منها فائدة الا استخرجتها ولا فريدة الا استدرجتها ولا نكتة الا علقتها ولا غريبة الا استلحقتها ولا غادرت فى موضع منها مستحسنا يشذ عن جمعى ولا مستجادا ينبو عنه بصرى أو سمعى فاجتمع من ذلك حفظا وخطا أعلاق جمة وفوائد لم تهم بها قبلى همة ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الامصار وعلماء هذه الاعصار فباحثت وناقشت وتأولت وتداولت وطالبت المتحفظ بالاداء والمستيقظ بالابداء حتى لم أبق فى قادحة زندا الا اقتدحته ولا مقفلا الا افتتحته فتحصل لى من ذلك أيضا عيون صائبة النواظر وفنون قلما توجد فى مخبآت الدفاتر وأنا فى خلال ذلك ألتمس مزيدا ولا أسأم بحثا وتقييدا الى أن عثرت على شرح الفنجديهى للمقامات والفنجديهى هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى من قرية فنجديه من عمل خراسان فرأيت فى شرحه الغاية المطلوبة والبغية المرغوبة والضالة التى كانت عنى هذا الاوان مطوية محجوبة فاستأنفت النظر ثانيا وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلا ولا وانيا وعاينت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتليا جانيا فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله فى كتاب وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها وآثارا مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه وتورد مصححة اما الالفاظه واما المعانيه وحذفت أسانيدها وان كان قد أوردها تخفيفا عمن يريد المتن ويبتغيه فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده واستيعاب فوائده وتركته مستلب المعانى مطروق المغانى كالروض ركدت ريحه والجسم قبض روحه فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع الى الفوائد الملتقطة من الالسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة روض كله زهر وسلك كله درر وأدب ان لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر فاستخرت الله تعالى فى ضم ما انتشر من فوائدها ونظم ما انتثر من فرائدها والاعتناء بتأليف فى المقامات يغنى عن كل شرح تقدم فيها ولا يحوج الى سوام فى لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها فتم من ذلك مجموع جامع وموضوع بارع أودعته من اللغات أصحها وأوضحها وأسلسها اقيادا للفظ وأسمحها وأولاها بالصواب فى مظان الاختلاف وأرجحها ونسبت المشكل منها الى قائله من جهابذة العلماء وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الاسماء وسبكت العبارة عن المعانى سبكا يدل على الالقاء والاصغاء وهذا الفصل وان سبقنى اليه من تقدمنى من الشارحين قبلى فلى فيه مزية ايراد اللفظ البعيد عن الاشكال والمطابقة بين الاقوال وأرباب الاقوال ثم زدت فى فوائد هذا التأليف التعريف بالامصار المذكورة فى المقامات على أوفى ما يمكننى من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ومن عقد صلحها أو تولى فتحها وهذه فوائد لا يخفى مكانها ولا ينكر استحسانها فالحاجة الى التعريف بالمكان تتلو الحاجة الى غوامض اللسان ثم استوعبت شرح الامثال ونسبتها جمعا بين القائلين والاقوال ولم أغفل

منها

منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال وهذا الفن لم يتتبعه أحد على الكمال وان ذكر مفانما يذكره استطرادا بحسب الحال ثم استوفيت أيضا ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء وعرّفت المشتهرين من الآباء والابناء وبينت أنسابهم وأمكنتهم وأخبارهم وحرفتهم وآثارهم ومدّتهم زيادة في التهيم والاعتناء وهذا الفن أيضا لم يورده الشارحون حق ايراده ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده وهو مهم في الافادة وعلى مغفله في الوقت وبعده الاعادة ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ولا من قصد قصدهما سوى أبي سعيد الفنجديهي في بعض المواضع فانه ألمح وألمع وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع أحدهما تبيين مأخذ الحريري في الكلام واخراج الاحالات المودعة فيه من حيز الابهام والرد الى المنشا في آية أو أثر أو خطبة أو خبر أو حكمة فائقة أو لفظة رائقة أو بيت نادر أو مثل سائر وهذا تتميم بين وتكميل متعين والفصل الثاني التنبيه على صناعة البديع وتوفية أسمائه كالتجنيس والتتميم والترصيع والاتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع وبسط أنواع الادب وافتنانه والاكثار من الشعر في مظانه من الجدّ والهزل في المواضع اللائقة باستحسانه ومقابلة كل باب بما يزيد في نموّ بيانه والجري مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه في تمام التصنيف ردّ الفرع الى أصله والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثرا في القلوب وأردفت المسليات بما يعينها في اجلاء الكروب وسلكت هذه المسالك في سائر الاساليب وأنواع الضروب فان وجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل أو معنى ينسب فيه الى العذل من وصف نور وخمر وذكر نديم وخمر أو نعت حسن وحسن أو مدح سماع وأذن فلان أبا محمد بدأ بأمر فتمم وخص نوعا فعمم مع أن صنعة الادب مبنية على الملح وخواطر الادباء جانحة جانحة الى هذا الترتيب الغريب ما يضرب في الاجادة بسهم مصيب وينيلني في الجد والأدب أوفى نصيب ثم رأيت الشارحين لها من أولي البصر كالفنجديهي وابن ظفر قد جردوا من شروحهم مختصرات وجيزة اقتصروا فيها على ايراد اللغات فحذوت حذوهم في مختصر أوردتها فيه على الكمال ووفيتها حقها من رفع الغلط وكشف الاشكال ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الاحوال فجاء غاية في هذا الباب مغنيا في اللغات الغريبة عن كل كتاب فان فاته هذا الاصل بضروب من الافادات وأنواع من الزيادات فلذلك الفرع شفوف الاستيعاب في اللغات ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات وكل ذلك بلطف الله تعالى وبسعد من شرفت كتابي بخدمته وبنيت تأليفي على أداء شكر نعمته ونصبت نفسي لأقف ببابه الاعلى وأتزين بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى عماد الانام والظل الممدود على المسلمين والاسلام ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام منفق سوق المعارف ومفجر بحور المنن والعوارف المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة والمخاوف سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن امام الائمة الراشدين وولي عهده سيدنا الامير الاجل أبو يعقوب أيد الله سلطانهم وأبد بيضهم وحزبهم وجمع القلوب على الانقياد لهم والوجوه على التوجه قبلهم وهذا الكتاب وان كان المعبر عن حسنه والغاية الملتمسة في فنه والجامع لما افترق في سواه والمبرز بما رشحه من الزيادات وحلاه فانه لم يتم

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان

جماله ولا استوفى احتواؤه على الفوائد وانشقاله الا ببركة مولانا الخليفة واقتران الختم الكريم باسم ولي عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم والمعونة على شكر نعمتهم والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظل حريمهم وقد بذلت في الخدمة جهدي وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندي [illegible] قياما بكل الواجب ولا وفاء بجميع الحق الراتب فالقول يقصر عن التحصيل وليس [illegible] الطود ومكاثرة اليم من سبيل وقد كنت حين أتممت هذا التأليف وألقيت عن كاهلي الأعباء التي له والتكليف وجلوته كالحسناء ألقيت في المنصة النصيف كثرت خطابه الحق من البلدان وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان فقلت حتى يتشرف بلثم اليمين العلي ويتخصص بقبول امام الدين والدنيا عن بابه الاسمي يلتقط درة المنظوم ويبركاته يسطع مسك العبيق المختوم وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الاهدى وبظله المتقلص صفة وعهدا في شرح الخطبة كلمة كلمة وايضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ثم أشرع المقامات على الولاء وأسأله الجمع بين الايجاز والاستيفاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم

(شرح الصدر)

(اللهم انا نحمدك) اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره بنداء الباري سبحانه والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفا عنه ولحل اللام في أوله لانه لا يلي حرف النداء لام التعريف الا في قولهم يا الله لسكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلي وهي همزة اله فصارت كالاصلي وفي غير هذا الاسم تجرد اللام للزيادة في أول الاسم ويا زائدة في أوله كذلك وهما جميعا لتخصيص الاسم وازالة شياع التنكير عنه فلما تقاربا في المعنى وتشابها في الزيادة وطلب كل واحد منهما أن يلي الاسم دون صاحبه ترك استعمال الجمع بينهما في أول الاسم الا في ضرورة الشاعر لاقامة الوزن وأما اللام في قولهم يا الله فلما كانت نائبة عن حرف أصلي خفيت زيادتها فلما زادوا الميم في آخره فخمت اللام وشهرت معنى الزيادة فامتنعت يا من أوله الا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع يا حل الاسم معها معنى يا فصار مختصا بالنداء ممتنعا من غيره ونحمدك معناه نثني عليك بأتم وجوه الثناء كلها فيدخل تحته الشكر والشكر ثناء يقابل به معروف وفي الحديث الحمد رأس الشكر من لم يحمد الله لم يشكره والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة والشكر ذكره بما له من أفعال جزيلة من قولهم دابة شكور اذا ظهر بها من السمن فوق ما تأكل من العلف ويقال أشكر من بروقة وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما (البيان) وضوح المعنى وظهوره و(التبيان) تفهم المعنى وتبيينه والبيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك مثل التبيين تقول بينت الشيء لغيري بيانا وتبينته أنا تبيانا وقد يقع التبيان بمعنى البيان حكى أبو منصور الازهري رحمه الله بينت الشيء تبيينا وتبيانا قال تعالى تبيانا لكل شيء أي يبين لك فيه كل ما تحتاج اليه أنت وأمتك من أمر الدين فهو لفظ عام أريد به الخاص وقد يقع البيان لكثرة الكلام وبعد

ملك من النفاق قال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء والعيّ شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق خرّجه الترمذى وقال العيّ قلة الكلام والبذاء الفحش والبيان كثرة الكلام (ألهمت) نبهت عليه وفهمته و (أسبغت) أتممت وكثرت و (أسبلت) أطلت و (الغطاء) أراد به ستر الله على عبده (نعوذ) أى نستجير (شرة) حدّة و (اللسن) حدّة اللسان وادلاله على الكلام (فضول) زوائد (الهذر) اكثار الكلام بغير فائدة (معرّة) شدّة وصعوبة والمعرّة العيب والعار وقيل هى كل ما يؤذيك وفلان يعرّ قومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به أصله من العرّة وهى الفعلة القبيحة أو من العرّ وهو الجرب و (اللكن) احتباس اللسان عند الكلام (فضوح) شهرة وفضيحة (الحصر) العيّ وحصر حصرا اذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره واستعاذ من شرة اللسن لانه من اقتدر على الكلام أدّاه الى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق وفيه اثم على فاعله وأصل الشرة القلق والانتشار ومنه الشر وقد شرّ يشرّ ومنه شرر النار ثم استعاذ من ضدّها وهى المعرّة لانّ صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن بها الحصر لانّ من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح ويشتهر عيبه وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المقابلة وأول من ابتدر به كأبا عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان فقال اللهمّ انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العيّ والحصر وقديما تعوّذوا بالله من شرّهما ورغبوا اليه فى السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

أعذنى رب من حصر وعىّ * ومن نفس أعالجها علاجا

(وقال محمد بن علقمة)

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب

صموتا فى المحافل غير عىّ * جديرا حين ينطق بالصواب

ثم استرسل فى ذكر العيّ والبيان الى غاية بعيدة واستشهد على النوعين بآيتين بقوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد وفى الضد بقوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فاحتذى الحريرى هذا الحذو فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ وبيان المقابلة فى كلامه أنه قابل شرة بمعرة واللسن باللكن والهذر بالحصر فاذا تفهمت مواقعها فى كلامه قست عليها ما يشبهها فى النظم والنثر وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة فقال هى أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض فى المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق وفى المخالف بما يخالف وأنشد فى ذلك

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفىّ ومطوى على الغش غادر

فجعل بازاء ناصح وفىّ غاشا غادرا ومثله

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه * على انّ فيه ما يسوء الاعاديا

(نستكفى) معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا (الافتتان) وذلك ان يصاب بفتنة الاعجاب وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار وقال تعالى فى الاختبار وفتناك فتونا أى اختبرناك والفتين

و...
كما تحملك على ما أسب...
من العطاء وأسبلت...
الغطاء ونعوذ بك من ش...
اللسن وفضول الهذ...
نعو...
وفض...

الفضة المحرقة والفتين أيضا الحجارة المحرقة وهى الحجارة يدلك بها الاقدام فى الحمام و (الاطراء) الاسترسال فى مدح الانسان بحضره وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله (اغضاء) تجاوز ومسامحة وأصله أن يدوك الشئ فتسد فى جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره والاغضاء الاغماض وأغضيت عنه وأغمضت اذا تغافلت عنه (المسامح) الموافق لغرضك المتجاوز عن عيبك (الانتصاب) الظهور والاعتراض امام الشئ (ازراء) تقصير وتنقيص (القادح) العائب وقدحت الدود فى الاسنان والشجر أكلتها فكان فعل هذا العائب فى أعراض الناس فعل الدود فى الشجر والقادح أيضا الذى يضرب الزند بالحجر لتورى (هتك) شق وهتكت الستر خرقته (الفاضح) الذى يشهر عيوبك وفضحت الشئ كشفته (نستغفرك) نسألك المغفرة وهى من غفرت الشئ سترته (الشبهات) جمع شبهة وهى ما يشتبه عليك أمره و (الخطوات) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (الخطط) جمع خطة وهى الطريق يخطه الرجل فى الارض يجعله حد الشئ يحوزه ويعتمده والخطة بالضم المنزلة والمزية و (الخطيآت) الذنوب وهى من الخطا وجعل ما ساقه فى المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه هل فى ذلك رضا الله أم سخطه فكأنه ساق شهوة الى سوق يجهل التبايع فيها فلعله فيها خاسر الصفقة فلهذا استغفر الله منها (الرشد) الهداية ورشده الله رشده وأرشده هداه ورشد هو رشدا ورشادا اهتدى (متحليا) متصفا ومتزينا (مؤيدا) معانا وأصاب فى كلامه اصابة اذا نطق بالصواب ورمى فاصاب لم يخطئ وقوله تعالى رخاء حيث أصاب أى حيث أراد قال الفراء اختلفت أنا وعيسى النحوى فى الآية فقلت ما أحد أعلم بهذا من رؤبة قال فسرنا اليه فلقيناه يتوكأ على اثنين فقال أين تصيبان أى أين تريدان فقلت لصاحبى كفيت السؤال (ذائدة) دافعة (الزيغ) الميل وزاغ عن الحق مال عنه الى الباطل (العزيمة) الجد وعزم على الشئ جد فيه (قاهرة) غالبة و (هوى النفس) ما تحبه وتميل اليه (بصيرة) يقينا والبصيرة للقلب والبصر للعين (عرفان القدر) أى معرفة أقدارنا (الدراية) مصدر دريت الشئ دراية ودريا علمته (تعضدنا) تقوينا وعضده أعانه وكان له عضدا (الابانة) مصدر أبنت الشئ أى بينته (تعصمنا من الغواية) أى تمنعنا من الضلالة والفساد والغواية مصدر غوى غيا وغواية وغوى أيضا غواية وهما ضد رشد رشدا (الرواية) نقل الحديث عن صاحبه الى طالبه (تصرفنا) تزيلنا (السفاهة) الجهل و (الفكاهة) المزاح وما تستريح به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام (حصائد الالسنة) شر كلامها وقطعها فى اعراض الناس وأراد ما جاء فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله انا لنؤاخذ بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ هل يكب الناس فى النار على رؤسهم الا حصائد ألسنتهم فدعا الله أن يتم سعده بأن يؤمنه عادية الالسنة والحصائد فى الاصل جمع حصيدة وهى الحزمة من الزرع المحصودة فهى فعيلة بمعنى مفعولة والحصيد الشئ المحصود (نكفى) نمنع (غوائل) قواتل ومهلكات واحدها غائلة وغالته المنية أهلكته (الزخرفة) تزيين الباطل وأصلها تزيين الشئ بالزخرف وهو الذهب (نرد) نقصد (مورد مأثمة) موضع اثم والمورد أصله الموضع يشرب منه الماء (مندمة) ندم (نرهق) نتهم ونعاب والرهق العيب و (تبعة) خطيئة يتبعه ضررها بعد الموت (معتبة) سخط

ما اطراء المادح واغضاء
المسامح كما نستكفى بك
الانتصاب لازراء القادح
وهتك الفاضح ونستغفرك
من سوق الشهوات الى سوق
الشبهات كما نستغفرك من
نقل الخطوات الى خطط
الخطيآت ونستوهب منك
توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا
متقلبا مع الحق ولسانا
متحليا بالصدق ونطقا
مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة
عن الزيغ وعزيمة قاهرة
هوى النفس وبصيرة ندرك
بها عرفان القدر وأن
تسعدنا بالهداية الى الدراية
وتعضدنا بالاعانة على الابانة
وتعصمنا من الغواية فى
الرواية وتصرفنا عن
السفاهة فى الفكاهة
حتى نامن حصائد الالسنة
ونكفى غوائل الزخرفة فلا
نرده مورد مأثمة ولا نقف
موقف مندمة ولا نرهق
بتبعة ولا معتبة

وهى من العتاب وهو تقبيح القول على جهة الاشفاق وأصله من عتبت الاديم أى رددته الى الدباغ ليصلح ومنه انما يعاتب الاديم ذو البشرة ويقال عتب على فى كذا عتبا فأعتبته أى رجعت الى ما يريد وأرضيته وباء تبعة وتاء معتبة يكسران ويفتحان (نلجأ) نخرج (معذرة) اعتذار (بادرة) سقطة وزلة وقد بدرت الكلمة والفعلة خرجت من غير أن يدبر موقعها وفلان تخشى بوادره أى فلتاته (المنية) ما يتمنى و (البغية) ما يطلب (أنلنا) أعطنا (تقصنا) تكشفنا (ظلك السابغ) سترك المديد وأصل الظل الستر والموضع الذى لا تبلغه الشمس وفى الحديث ضحا ظله أى عدم فانكشف موضعه للشمس (مضغة) لقمة وكل ما يمضغ لقمة و (الماضغ) هنا العائب الآكل اعراض الناس وجعل العرض حين يعيبه مضغة له قال النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت باقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم (المسئلة) الحاجة والفقر (بخعنا) أقررنا وبخع له بحقه أقر به وبخع نفسه قتلها غيظا ومنه فلعلك باخع نفسك فالمتعدية بالباء غير المتعدية بنفسها (الاستكانة) الخضوع (والمسكنة) الفقر والذلة (استنزلنا) طلبنا أن تنزل علينا والاستنزال السؤال بتلطف و (الجم) الكثير (منك) احسانك (عم) شمل (ضراعة) ذلة (البضاعة) المال يتجر به (الامل) الرجاء يقول تجارتنا التى يحصل بها منك واحسانك رجاؤنا وتوكلنا عليك (الوسل) التقرب (البشر) الخلق وهو فى الاصل جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وسموا بشرا لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان (الشفيع) الطالب لغيره و (المشفع) الذى أعطى الشفاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين (المحشر) موضع اجتماع الناس يوم القيامة والمحشر أيضا الحشر وهو الاشبه باليوم (ختمت) جعلته خاتمهم أى آخرهم (درجته) منزلته (عليين) أعلى الجنة وكأنه جمع علية (المبين) المبين رسول كريم) قيل هو جبريل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (مكين) رفيع المنزلة (ثم) معناه هنالك قال الزجاجى هى اشارة الى ما كان متراخيا من الاماكن والاشهر أن المراد به فى الآية جبريل ولذا رجع الحريرى آخرا فأزال الآية من كتابه واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وليس رجوعه عن القول الضعيف الى المشهور بعيب بل هو حسن اذ كان الرجوع عن الخطا الى الصواب واجبا الا أن الثابت عند الجمهور انه لقول رسول كريم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن (ذى قوة) لانه قلع باحد جناحيه أربع مدائن لقوم لوط وهى سدوم وداموراوصابوراوعمورا فى كل مدينة مائة ألف انسان سوى ما فيها من الدواب والانعام (آله) أى أهله وأصله أأل فابدلت الهمزة ألفا وأكثر ما تضاف الى الظاهر وقد سمع اضافتها الى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح خلافا لابى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى فانهما منعا من اضافتها الى المضمر وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء أهل وصوابه انها أصل فى بابها من آل يؤل اذا رجع لانهم يرجعون اليه ويرجع اليهم (الهادين) المرشدين الى طريق الخير وقد هديته الطريق اذا أرشدته (شادوا) رفعوا وبنوا (هديه وهديهم) طريقته وطريقتهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم

ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وأنلنا هذه البغية ولا تقصنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد المسئلة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذى عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر الذى ختمت به النبيين وأعليت درجته فى عليين ووصفته فى كتابك المبين فقلت وأنت أصدق القائلين انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين انك على كل شئ قدير

فذاكرته بما قيل فمن ألف
بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين
واستقلت من هذا المقام
الذى فيه يحار الفهم
ويفرط

علينا البصرة فوقف يوما فى مسجد بنى حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته وذكر أسر الروم ابنته كما ذكرنا فى المقامة الحرامية وهى الثامنة والاربعون قال فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته فى تحصيل مراده وظرافة اشارته فى تسهيل ايراده فحكى كل واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل فى مسجده مثل ماشاهدت وانه سمع منه فى معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت وكان يغير فى كل مسجد زيه وشكله ويظهر فى فنون احتياله فعجبوا من جريانه فى ميدانه وافتنانه فى احسانه قال الحريرى فابتدأت فى انشاء المقامة الحرامية تلك الليلة حاذيا حذوه فلما فرغت منها قرأتها جماعة من الاعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان وأنهوا ذلك الى وزير السلطان واقترحوا على أخواتها والله المستعان وهذا الذى ذكر الفنجديهى قد حدثنى بنحوه من يوثق به من الطلبة بسند يتصل بابى محمد الحريرى وان الحريرى وقدم أهل البصرة بغداد فوجدوا بواسط أبا زيد السروجى فقال يا أهل البصرة أنتم تزعمون أنكم لاتكادون ولاتخدعون وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم فما تهذر على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر فلما بلغوا بغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريرى بجمع المقامات لكن الذى ثبت عندنا هو ماحدثنى به الشيخ النقيه أبو بكر بن أزهر أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور حدثه أن الحريرى حدثه أن قصة المقامة الثامنة والاربعين حق وان رجلا قام بمسجد بنى حرام فأظهر التوبة من ذنبه وسأل عن الوجه فى كفارته فقام رجل من بين الناس فذكر أسر ابنته فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة وانها أول مقامة أثبتت فى الكتاب وكان ابن جهور يقول ان الذى أشار اليه بها فى قوله فأشار من اشارته حكم هو المستظهر بالله العباسى وكان لهذا المستظهر رغبة فى الطلب وحظ من الادب وعناية باهل العلم وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد فى أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان فى الديوان وأجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم وكان ابن جهور يحدث أن الحريرى ألف المقامات كلها على الركاب وذلك ان المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرجه كالحافظ على العمال فكان يخرج فى الابردين يتمشى فى ضفتى دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم ينقض فصل العمل الا وقد اجتمع له مائتا مقامة فخلص منها خمسين وأتلف البواقى وصدر الكتاب ورفعه الى السلطان فبلغ عنده أسنى المراتب (قوله فذاكرته بما قيل فمن ألف بين كلمتين أو نظم بيتا أو بيتين) قال أبو عمرو بن العلاء الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من أفواه الناس مالم يضع كتابا أو يقل شعرا وقال العتابى من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان * غيره من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وقال حسان

وانما الشعر عقل المرء يعرضه | على البرية ان كيسا وان حمقا
وان أحسن بيت أنت قائله | بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(واستقلت) طلبت الاقالة (المقام) موضع القدمين وأنت قائم (يحار) يتحير (يفرط) يسبق

صاحب الغلط (يسبر غور العقل) يختبر قدره ومنتهاه وأصله في الجراحات يختبر غورها أي بعد
ما سبرا الحديدة التي يقاس بها مقدار غور الجراحة وسبرها قاسها به يفعل ذلك الطبيب
صاص أو للدواء ويقال للحديدة السبار والمسبار والمسبر والمكحل والميل والمرود والمجراف
بين) تتبين (يضطر) يلجأ (حاطب ليل) جامع الحطب بالظلام وهذا مثل لاكثم بن صيفي حكيم
رب ذكره أبو عبيد في الامثال وقال انما شبهه بحاطب الليل لانه ربما نهشته الحية أو لسعته
عقرب في احتطابه ليلا فكذلك المهذار ربما أصابه في اكثاره بعض ما يكره قال الفرزدق

كمحتطب ليلا أساود هضبة * أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يحتطب فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير
القوي والضعيف والجيد والردي فكذلك المكثار يأتي بالضعيف من الكلام والقوي
الجيد والردي فشبه لذلك بالحاطب وأراد (بحالب رجل وخيل) ما أراد بحاطب الليل لان
الراجل ضعيف والفارس قوي و (المكثار) الكثير الكلام قال النبي صلى الله عليه وسلم من كثر
كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ألا ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت (أقيل) أقيم ورفع (عثار) انكباب وسقوط
والاقالة للعاثر ان ترفعه من سقطته ومنه الاقالة في البيع ونحوه (يسعف) يؤاتي ونيل الرغبة
وأسعفت الرجل بمطلبه ساعدته عليه والاسعاف المصدر وساعفته مساعفة قضيت ارادته (ولا
عني من المقالة) أي لم يعفني من كلامه والحاحه وأعفيت الرجل وعافيته أزلت عنه ما يشق عليه
وأصله الترك ومنه اعفاء اللحية وهو أن يتركها على حالها ومنه عفا الله عنك (لبيت) أجبت
وقلت لبيك (أنشأت) ابتدأت وأخذت أفعل (أعانيه) أعالجه وأصلها من العناء وهو التعب
(قريحة) ذهن وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ومنه القرحة للجراحة لان أصلها مادة وشبه
الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعاني (فطنة) ذكاء والفطن الذكي (خامدة) ساكنة وخمدت
النار سكن لهبها (روية) تدبر ورويت الامر تدبرت كيف تصنعه وأصل الروية الهمز واستعملت
بغير همز (ناضبة) جافة ونضب الماء غار في الارض (ناصبة) متعبة وهم ناصب على معنى النسب
أي ذو نصب ولو جاء على القياس لقيل منصب لان فعله أنصبه الهم وقال بشر

تعناك هم من أميمة منصب وجاء من الاخبار ما لا يكذب

أي منصب نصبا أعيا من التعب (جزله) غليظه ومتينه (غرر) جمع غرة وهي خيار الشيء ومنه غرة
الفرس وهو البياض في جبهته فجعلها للبيان مجازا (درره) جمع درة وهي الجوهرة العظيمة
شبه الكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر (ملح) جمع ملحة وهي مليح الكلام (نوادره) غرائبه
التي زينتها (الكنايات) ضرب من الالغاز وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه اما للابهام
على جليسك أو لتعظيم أو لتحقير فالابهام أن تذكر لفظا يفهم من ظاهره غير مرادك مثل قوله
تعالى حاكيا عن هود عليه السلام حين قال له قومه انا لنراك في سفاهة قال يا قوم ليس بي سفاهة
فليس في اللفظ زيادة على نفي السفاهة وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم مثل كناية
الرجل بأبي فلان ترك اسمه وعدل الى كنيته تعظيما له والتحقير أن يكون الشيء خسيسا فتأنف
من ذكره فتذكره بغير اسمه مثل قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فكنى عن الحدث بالاكل لما كان

الوهم ويسبر غور العقل
ويبين فيه قيمة المرء في الفضل
ويضطر صاحبه الى أن
يكون كحاطب ليل أو حالب
رجل وخيل وقلما سلم
مكثار أو أقيل لعثار فلما
لم يسعف بالاقالة ولا أعفى
من المقالة لبيت دعوته
تلبية المطيع وبذلت في
مطاوعته جهد المستطيع
وأنشأت على ما أعانيه من
قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم
ناصبة خمسين مقامه
تحتوي على جد القول
وهزله ورقيق اللفظ وجزله
وغرر البيان ودرره وملح
الادب ونوادره الى ما وشحتها
به من الآيات ومحاسن
الكنايات

يتولد عنه (رصعته) نظمته وألصقت بعضه ببعض وتاج مرصع مزين بخرز وجوهر
(اللطائف) الرقائق والكلمة اللطيفة أي الرقيقة المعنى التي تحل في القلب فتلطفه (الا...
ضرب من الالغاز واحدها أحجية وهي قولك لصاحبك أخرج ما في يدي ولك كذا تقول العر...
أحاجيك ما في يدي وحجيالك ما في يدي وهي من الحجى وهو العقل (الفتاوى اللغوية) أراد بها
المسائل المائة التي في الثانية والثلاثين والفتيا اظهار الشئ المسؤل عنه عند السؤال (المبتكرة)
التي لم يسبق اليها وبكروا بكر وخرج بكرة ومنه الباكور وهو المبكر من كل شئ في الادراك و...
كل شئ أوله (المحبرة) المزينة وحبرت الشئ تحبيرا زينته وأصلها من الحبر وهي ثياب تصنع
باليمن فيها رقوم وتزيين (أمليت) ألقيت وأمليت على الصبي ألقيت عليه ما يكتب (أسندت)
رفعت (الاحماض) الانتقال من شئ الى شئ وأصله في الابل ترعى الخلة وهي حلو المرعى فتمل
فتنتقل الى الحمض تأكل منه فيذهب الحمض عن تأوبها استيلاء الحلاوة فتنشط بذلك على الرعي
فيقال أحمض الرجل احماضا والعرب تقول الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها فاراد به تنقله في
المقامات من حكاية فائقة الى قضية رائقة ومن موعظة تبكي الى ملهية تسلي وفي ذلك تنشيط
وترغيب في قراءتها ونفي للملل والكسل عن قارئها (سواد) أشخاص ويسمى الشخص سوادا
لانه يسود الارض بظله (أودعه) أضمنه (الاجنبية) التي ليست من شعره والاجنبي من ليس
بينك وبينه قرابة من الجنابة وهي البعد (فذين) منفردين هذا من شعر وهذا من آخر (توأمين)
أخوين من شعر واحد (أسست) أصلت والاساس أصل الحائط (الحلوانية والكرجية)
منسوبتان الى حلوان والكرج وهما بلدان (ماعدا) ماجاوز (خاطري) ذهني (أبو عذره) أي
أول صانع له يقال للمرأة فلان أبو عذرها أي أول زوج تزوجها فوجدها عذراء فافتضها وأزال
عذرتها أي مابها من صعوبة (مقتضب) مقتطع (حلوه ومره) جيده ورديئه (غايات) جمع غاية
وهي طلق الخيل والسباق منها الذي يجيء أبدا سابقا (المتصدي) المتعرض (بلاغة) فصاحة
وأصلها أن يبلغ الانسان من الكلام والحجة ما أراد (قدامة) هو أبو الوليد بن جعفر كان بليغا
مجيدا عالما بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها وله كتاب يعرف بسر البلاغة في الكتابة وترجمته تدل
على متضمنه وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه وتدقيق في كلام العرب يربي فيه على
أكفائه وتحذيق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه فلذلك سار المثل ببلاغته واتفق
المتقدم والمتأخر على فضل براعته (الفضالة) البقية من الماء وغيره وهي ما فضل عن الحاجة
واغترفها أخذها بيده (يسري ذلك المسرى) يقصد ذلك المقصد وأصل يسري يسير ليلا
(دلالته) تقدمه وهدايته وتفتح دال الها وتكسر والفتح أكثر والدليل بالفلاة الذي يهدي في
قصدهم (مبكاها) بكاها (صبابة) شوقا (هيج) حرك والبيتان لعدي بن الرقاع وقبلهما

وممّا شجاني أنني كنت نائما * أعلل من فرط الكرى بالتنسم

الى أن دعت ورقاء في غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم

فلو قبل مبكاها وعدي هو أبو زيد بن مالك ينتمي الى معاوية بن الحرث وهو عامله وينسب الى
الرقاع وهو جد جده وكان شاعرا مقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك ومنزله
بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وكان من أوصف الناس للمطية وكذا ذكره

يصعته فيها من الامثال
عربية واللطائف الادبية
الاحاجي النحوية والفتاوى
اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ
المبكية والاضاحيك
الملهية مما أمليت جميعه
على لسان أبي زيد السروجي
وأسندت روايته الى الحرث
بن همام البصري وما
قصدت بالاحماض فيه الا
تنشيط قارئيه وتكثير
سواد طالبيه ولم أودعه من
الاشعار الاجنبية الا بيتين
فذين أسست عليهما بنية
المقامة الحلوانية وآخرين
توأمين ضمنتهما خواتم
المقامة الكرجية وماعدا
ذلك فخاطري أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره هذا
مع اعترافي بأن البديع
رحمه الله سباق غايات
وصاحب آيات وأن المتصدي
بعده لانشاء مقامة ولو
أوتي بلاغة قدامة لا يغترف
الا من فضالته ولا يسري
ذلك المسرى الا بدلالته ولله
در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

صاحب الاغانى فى ترجمته وقال نوح بن جرير لابيه من أنسب الناس قال ابن الرقاع فى قوله

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

أقر الحريرى ههنا للبديع بالفضل وجعله سباقا للغايات وما أحسن هذا الادب منه مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ومن أدل دليل على ذلك انه منذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ثم انه طبق استعمالها آفاق الارض الا أنه أسر ههنا شيئا الا أنه ختم كلامه بأن للبديع بالتقدم فضله وهذا منه مذهب مستحسن ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده لم ير لنفسه قدرا فى قوله وان لم يدرك الظالع شأو الضليع فجعل نفسه كالفرس الاعرج الذى لو يه اذا اجتهد دون مشى الصحيح وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة ثم لما بلغ الى هذا الموضع بعد أسطار صرح فى الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وما الى من فطن أنه انما فضله بتقدم الزمان ثم خلط الكلام فى الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ثم تناسى ذلك الى آخر الكتاب فى السابعة والاربعين وصرح هنالك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع حيث يقول

ان يكن الاسكندرى قبلى * فالطل قد يبدو أمام الوبل * والفضل للوابل لا للطل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين الى سوء الادب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه وكذا رأينا فى الغالب من ادعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون الا ممقوتا فلما أظهر الحريرى مدح البديع ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ولم ينظر نفسه الا بطرف خفى قل من يتفطن له ستر الله عليه ورفع صيته ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة

فشرق حتى لم يجد كرمغرب * وغرب حتى لم يجد كرمشرق

فلا يذم كتابه الا أحد الرجلين الذين ذكرهما اما جاهل أو حاسد ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم وأكثرهم على تفضيل القديم وقد أحسن حبيب حيث يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

(وقال رضى الله تعالى عنه)

لازلت من شكرى فى حلة * لابسها ذو سلب فاخر
يقول من يقرع أسماعه * ماترك الاول للآخر

وذكر ابن شرف علة ذلك فقال

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا انهم حسدوا الحى * ومالوا الى العظام الرميم

وللمتأخرين شعر كثير فى تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين من أحسنه قول المعرى

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(وقال ابن عمار)

قوله عسا بالسين أى اشتد وانتشر كما يؤخذ من القاموس وهذا البيت أورده صاحب المغنى فى الكلام على قد شاهدا على ان عسا متصرف وهو بمعنى اشتد اه مصححه

(ذكر المفاضلة بين القديم والحديث)*

أنا ابن عمار لا أخفى على أحد * الا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرني دهري فلا عجب * فوائد الكتب يستلحقن في الطرر

والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق قال وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق وأما ما يتعدى في الحمام فالحمام قد أكثرت العرب لها في أشعارها ونثرها ما هنا بفصل منها يروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى الى رسول صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها * ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فانها تلهي الجن عن صبيانكم وروى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الحمام الاحمر والى الاترج وكان ابراهيم بن سيار يعجب بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معونتها فهي للطارق عدة وللمستوحش لذة تطعم في الصحراء وتعود عليك بالسراء ويأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاهل بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة وينفر عنك وهي داجنة وفي طباعها سكون الى الناس واستئناس بهم وهي طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى مفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار طارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد تصيدها سباع الطير الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان وقد كانت العرب من رقة تسجيعه ما يبعث التذكر ويولد الشجون ويهيج الاسى ويجدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرض امعها والتصابي لازما لاجلها وأعراب وادي القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أو احوائط النخل عند استعلاء الظهيرة اذا صارت الوراشين والفواخت الى تلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزاهر والاوتار وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر كقول أبي صخر الهذلي

ولما دعت غوربة الايك سجعت * فسجع دمعي يستهل ويستسري
يذكرني شجوي دعاء حمامة * ويبعث لوعات الصبابة في صدري
بكت حزنا رزء الهديل وشفني * فراق حبيب ضاق عن فقده صبري

(وأنشد الاصمعي فقال)

أيها البلبل المغرد في النخل غريبا من أهله حيرانا
افراقا تشكوه أم ظلت تدعو * فوق افنان نخله ورشانا
هاج لي صوتك المغرد شجوا * رب صوت يهيج الاحزانا

(وقال آخر) أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها بكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقال آخر) اذا غنت على الاغصان ورق * أجبناها باعمال المدام

(وقال آخر)

سعنيك عن مزمار آل محرق * ومن بعهم تغريد تلك الحمائم
بأيكة تطار تجاوبن بالضحى * على باسقات مائلات نواعم

(وانشد

(ذكر الحمام)*

(وأنشد أبو علي عفا الله تعالى عنه)

ومن بستان ابراهيم غنت * حمائم بينها فنن رطيب
فقلت لها وقيت سهام رام * ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن معنى * على أشجانه فبكى الغريب

(وقال نصيب)

لقد هتفت في جنح ليل حمامة * تبكى على الف وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

(وأنشد أبو العباس لحميد بن ثور)

وماهاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في نوحها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميله * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال حبيب)

لتضعضعت عبرات عينك ان دعت * ورقاء حين تضعضع الاظلام
لا تنشجن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية فلم يدر ماهو غير أنه شوقه فقال

حمدتك ليلة شرفت وطالت * أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسي من غناها
ومسمعة يحار السمع فيها * ولم تصممه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت قلبي فلم أجهل شجاها
وظلت كأنني أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

يعني بهذا الاعمى بشارا حيث يقول

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

(قوله الهذر الذي أوردته) أي الاكثار الذي أتيت به وقد تقدم المورد و(توردته) اقتحمته (الباحث) المفتش و(الظلف) للبقر والغنم كالحافر للخيل والحمير وهذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها في الارض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا بحثت عن حتفها بظلفها فسارت مثلا وقال الشاعر

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت الثرى تستثيرها

(وقال أبو الاسود)

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه

فلا تك مثل التي استخرجت * بأظلافها مدية أو بفيها
* فقام اليها بها ذابح * ومن يدع يوما شعوبا يجيها

ولفظ المثل عند أبي عبيد كالعنز تبحث عن المدية (والجادع) القاطع الانف (والمارن) طرف الانف وأراد به قصيرا مولى جذيمة الابرش وقد ذكرنا قصته في شرح الرابعة والعشرين ورجا المصنف أن لا يدركهم من الضرر ما أدركهما من الضرر حين جنيا على أنفسهما واستغنى بغيرهما (ضل سعيهم) خابت أعمالهم وأصل ضل تحير فلم يدر أين يتوجه وأصل السعي المشي بسرعة سمع أعرابي رجلا يقرأ قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا فقال أنا أعرفهم قيل له ومن هم قال الذين يبردون ويأكل غيرهم (أغمض) سامح وسد عينيه عما لم يرض و(الفطن) الذكي (المتغابي) المتجاهل عن الشيء وهو عارف به وهو مما يحمد به الرجل قال حبيب

ليس الغبي بسيد في قومه .. لكن سيد قومه المتغابي

(ونضح) بالماء غسل (المحابي) الذي يفضلني على غيري وحباني اختصني بالعطية وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك وقد يكون في معنى حباه (الغمر) الجاهل (ذي غمر) صاحب عداوة (متجاهل) مستعمل للجهل وهو على خلافه يقول ان سد عينيه عن عيبي فطن ذو عقل وتغابى حين يبصر لي خطأ أو رأى لي ذلك العيب محب فعل بغسله عني لمحبته لكلامي فلا أخلص مع ذلك امامن جاهل يعيب ما لا يفهم أو من عارف يظهر لي عداوة وحسدا فيرد حسني قبيحا وهو عارف بحسني فيشيع في الناس أن المقامات أكاذيب وهو عارف بفضلها وما قصدتهم او الغمر الحقد وصاحبه مذموم ولا أعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جيء به الى الرشيد في قيوده فقال له يحيى بن خالد وأراد أن يبكته بلغني أنك حقود فقال عبد الملك أيها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما الباقيان في صدري وفي رواية أخرى انما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر فقال الرشيد والله ما رأيت أحدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ففتح الباب لابن الرومي فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد

لئن كنت في حفظي لما أنا مودع * من الخير والشر انتحيت على عرضي
فما عبتني الا بفضل أمانة * ورب امرئ يزري على خلق محض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن * لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذي اساءة * فثم ترى شكرا على حسن العوض

ثم رجع الى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الاعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة في الوجهين

يا مادح الحقد محتالا له شبها * لقد سلكت اليه مسلكا وعثا
يا دافن الحقد في ضعفي جوانحه * ساء الدفين الذي أضحت له جدثا
الحقد داء دوي لا دواء له * يوري الصدور اذا ما جمره حرثا
فاستشفينه بصفح أو محادثة * فانما يبرئ المصدور ما نفثا
ان القبيح اذا أصلحت ظاهره * يعود ما لم منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبسه * على القلوب ولكن قلما لبثا

والجادع مارن أنفه بكفه
فالحق بالاخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا على اني وان
أغمض لي الفطن المتغابي
ونضح عني المحب المحابي
لا أكاد أخلص من غمر
جاهل أو ذي غمر متجاهل

(ذكر الحقد ومدحه وذمه)

(قوله

يضع مني) أي يحط من منزلتي (الوضع) الكتاب (يندد) يشهر العيب وتنديه اذا أسمعه
وه (نقد الاشياء) فتش وبحث عليها (المعقول) العقل (أنعم) بالغ ✱وأصل النظم جعل
الجوهر في خيطها وضمها فيه لغيرها ثم سمي بيت الشعر نظما لان الكلام فيه ملتصق
بعض بعض كحب الجوهر والبيت يضمه كالخيط و (السلك) خيط الجوهر و (الافادات)
د (سلك) قصد (الموضوعات) الكتب المؤلفة أي أدخلها مدخل هذه الكتب (العجماوات)
وسميت واحدتها عجماء لان صوتها لا يفهم منه معنى و (الجمادات) ما عدا الحيوان وأراد
من الكتب مما لا حقيقة له في الظاهر وقد ضمن الحكم الشافية في الباطن مثل كتاب
ودمنة وغيره مما ألف على ألسنة ما لا عقل له ولا روح وكذلك المقامات وان كان ظاهرها
فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات
فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة الى
ما في اليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر فانها أعون شئ عليها ✱ومما يحكى على ألسنة
ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
وسلم يقول بينا راع في غنم عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب
من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت
فكلمته فقالت انى لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله
الله عليه وسلم فاني مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر السبع بسكون الباء أرض المحشر والسبع
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ
اليهودي وراء الحجر فيقول الحجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله قالوا خرج أسد
وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا فقال الاسد للذئب اقسم بيننا
فقال الحمار للملك والغزال لي والارنب للثعلب فرفع الاسد يده فضربه ضربة فاذا هو مجدل
بين يديه ثم قال للثعلب اقسمها فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والارنب بين ذلك
فقال الاسد ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء قال رأس هذا الذئب ✱وحدث الشعبي قال
صاد رجل قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك فقالت والله ما أشبع من جوع
وخير لك من أكلي أن أعلمك ثلاث خصال واحدة وأنا في يدك والثانية وأنا على الشجرة والثالثة
وأنا على الجبل قال هات قالت لا تلهفن على ما فات فخلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قالت
لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقي لو ذبحتني أخرجت من
حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض الرجل على شفته تلهفا ثم قال هات
الثالثة فقالت أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فات
لا تصدقن بما لا يكون انه سيكون أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالا فكيف
كون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وأمثال هذه الملح أكثر من
تحصى (قوله نبا سمعه) أي ارتفع وأصله في السيف اذا ارتفع فلم يمض في الضربة (أثم) جعلهم
أصحاب اثم (انعقاد العقود) أي ارتباط العقائد (حرج) اثم وأصل الحرج التضييق (للتنبيه)
أي لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر (لحاضي) قصد مقصد (التهذيب) التخلص

يضع مني لهذا الوضع
ويندد بأنه من مناهي
الشرع ومن نقد الاشياء
بعين المعقول وأنعم النظر
في مباني الاصول نظم هذه
المقامات في سلك الافادات
وسلكها مسلك الموضوعات
عن العجماوات والجمادات
ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك
الحكايات أو أثم رواتها
في وقت من الاوقات ثم اذا
كانت الاعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات
فاي حرج على من أنشأ ملحا
للتنبيه لا للتمويه ونحا بها
منحى التهذيب لا الاكاذيب

(حكايات على ألسنة البهائم)

وهذبت الطالب أخرجته وخلصته ورجل مهذب مخلص من العيوب * ويروى نبهوا فندب دعا واستدب أجاب (وهدى) أرشد (صراط مستقيم) طريق معتدل ومن فعل مأجور غير آثم لكنه مع هذا رضي أن يخلص ممن يتكلم في كتابه بتعييب وأن يخرج من هذا الأمر كفافا لا أجر ولا وزر بل نرجو له الاجر على نية الافادة والتعليم ان شاء الله تعالى (اعتضد) ... (أعتضد) اقتصد (أعتصم) أمتنع (يصم) يعيب (أسترشد) أستهدي (يرشد) يهدي ويبين الخير و(المفزع) الملجأ وكذلك (الموئل) وتقول فزعت الى فلان اذا لجأت اليه واستغثته ليحميك ويمنعك وفزعت منه خفته والمفزع الذي ذكره مصدر بمعنى الفزع وتقول وألت من ذلك اذا نجوت منه وأنت موئلي منه أي الذي تنجيني منه والمفزع الموئل والحصن تفزع اليه فينجيك من طالبك (أنيب) أرجع والانابة الرجوع الى الله تعالى والتوبة اليه

وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى الى صراط مستقيم على أني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم عما يصم وأسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه أنيب وبه نستعين وهو نعم المعين

(شرح المقامة الاولى وهي الصنعانية)

ان قيل لأي معنى اختار الحريري حارثا وهماما وأبا زيد دون غيرهم من الاسماء فالجواب انما قصدهم لانهم أصدق الاسماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع تسموا بأسماء الانبياء وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحرث وهمام وأقبحها حرب ومرة وصدقهما أنه ليس أحد الا وهو يحرث أي يحاول الكسب أو يهم بحاجته وأما أبو زيد فان صدق أنه انسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء به وان لم يصدق فقد حكى أهل اللغة انه كنية الكبر وأنشد ابن قتيبة

أعار أبو زيد بمينى سلاحه * وحتى سلاح الدهر للمرء كالم
وكنت اذا ما الكلب أنكر أهله * أفدى وحين الكلب جذلان نائم

سلاحه العصا وانكار الكلب أهله اذا لبسوا السلاح وجذلان نائم في الجدب اذا ماتت المواشي فيشبع من لحومها وينام وقال ابن الاعرابي يقال للشيخ الكبير أبو زيد وأبو حبيد والسروجي في الغالب انما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغوية وانما عني بالحرث بن همام نفسه لانه ممن يحرث ويهم ولذلك نسبه الى البصرة وهي بلد الحريري وانما وضع أبا زيد كنية للدهر لانه يصفه بأشياء لا تليق الا بالدهر مثل قوله

وكل سرح فيه ذئبي عائث * حتى كأني للانام وارث * سامهم وحامهم ويافث

(ومثل قوله)

ووترت أرباب الارا * ئك والدرانك والسجوف

وهي كثيرة وفي الحسين له كلام لا يليق الا بالدهر فجعل أخذ الحرث سن أبي زيد كناية عن عمل الحريري بما جرب من صروف الدهر (قوله اقتعدت) أي ركبت وأصلها اتخذت قعدة أو قعودا وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه (والغارب) مقدم سنام البعير و(الاغتراب) والغربة التحول في البلدان والبعد عن الاوطان وسيأتي ما أصلها وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قعودا (أنأتني) أبعدتني (المتربة) الفقر (الاتراب) الاصحاب على سن واحدة (طوحت) رمت و(طوائح) نوائب وتقول طوحت بالرجل اذا رميت به الى الهلاك وقياس الطوائح المطاوح

(المقامة الاولى الصنعانية)

* حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني المتربة عن الاتراب طوحت بي

لانك تقول طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطاوح قال أبو عبيد جاءت الطوائح على حذف الزيادة وردّ الفعل الى أصله فانه من طاحت فهي طائحة والجمع طوائح قال أبو عمرو الشيباني جاءت على النسب مثل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح قال الشاعر

لبيك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

ومثله وأرسلنا الرياح لواقح تقديره ملاقح لانك تقول ألقحت الريح السحاب اذا جمعته وألقته وضارع مرتفع بمضمر تقديره يبكيه ضارع وهو الذليل (صنعاء) بلد باليمن وأضافها الى اليمن لان ثم صنعاء أخرى وهي قرية بدمشق وكان اسم صنعاء في القديم أزال قال ابن الكلبي والشرقي ولما وافتها الحبشة قالوا انعم أي انظر فسمي جبلها انعم فلما نظروا الى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا هذه صنعاء وتفسيرها هنية فسميت صنعاء وحكى الهمذاني قال وأهل صنعاء يقولون في الاسلام انها القرية المحفوظة وانهم سمعوا هاتفا يقول في بعض أيام من حاربهم كل عليك يا أزال وأنا أتحنن عليك وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكرا وأبعدها صيتا غمدان وقصر أزال وهي صنعاء والذي أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره الذي هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء سام بن نوح عليه السلام على ما يذكره علماء صنعاء واليمن وذلك انه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الارض الشمالية فأقبل طالعا في الجنوب يطلب أطيب البلاد حتى صار الى الاقليم الاول فوجد اليمن أطيبه مسكنا وصنعاء أطيب اليمن فوضع مقراته وهي الخيط الذي يقدّر به البناء ويبني على حدّه فوضع الاساس في ناحية فج غمدان في غربي الجبل فبنى الطير وهو اليوم معروف بصنعاء فلما ارتفع بعث الله طائرا فاختطف المقراة فطار بها وتبعه سام لينظر أين يقع فأمّ بها جنوب النعم من سفح نعم فوقع بها فلما اتبعه طار بها وطرحها على حرّة غمدان فلما اقترت علم سام انه قد أمر بالبناء هنالك فأسس غمدان واحتفر بيده بئره المسمى كرامة ويستقى منه الى اليوم لكنها أجاج (خاوي الوفاض) فارغ المزاود ويقال خوى الرجل اذا سجد وترك بين جسده وبين الارض خوا وخوى البعير برك على هذه الحال والوفاض جمع وفضة وهي شبه الجراب وهي أيضا كنانة السهام اذا كانت من جلد لا خشب فان كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهي كنانة أو جعبة * ابن سيده في المحكم الوفضة خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده والوفضة جعبة السهام * أبو منصور الازهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بصدقة توضع في الاوفاض انهم اخلاط الناس قال الفراء هم أهل الصفة * أبو عبيد هذا كله عندنا واحد لان أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة فعلى هذا من قصر الوفضة على الجعبة وخطأ الحريري بأن الزاد لا يكون في الجعبة فهو المخطئ والجاهل باتساع اللغة (بادي الانفاض) ظاهر الفقر وقد أنفض اذا فني زاده وأنفض الجراب اذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ومنه قولهم الانفاض يقطر الجلب أي فناء زادهم يجعل ابلهم قطارا أي مربوطة بعضها خلف بعض تساق الى السوق فتباع فيأكلون ثمنها قال الهذلي

له ظبية وله عكة .. اذا أنفض القوم لم ينفض

بة جريب صغير من جلد ظبي (بلغة) زاد المسافر يبلغ به من يومه الى غده (الجراب) وعاء من د يصنع للزاد (مضغة) لقمة (طفقت) أخذت وجعلت ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه

(ذكر مدينة صنعاء)

طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت

أجوب طرقاتها مثل
الهائم وأجول فى حوماتها
جولان الحائم وأرود فى
مسارح لمحاتى ومسايح
غدواتى وروحاتى كريما
أخلق له ديباجتى وأبوح
اليه بحاجتى أو أديبا تفرج
رؤيته غمتى وتروى روايته
غلتى حتى أدتنى خاتمة
المطاف وهدتنى فاتحة
الالطاف الى نادرحيب
محتو على زحام ونحيب
فولجت غابة الجمع لاسبر
مجلبة الدمع فرأيت فى
بهرة الحلقة شخصا شخت
الخلقة عليه أهبة السياحة
وله رنة النياحة وهو يطبع
الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر
وعظه وقد أحاطت به
أخلاط الزمر احاطة
الهالة بالقمر والاكمام بالثمر
فدلفت اليه لاقتبس من
فوائده والتقط بعض
فرائده فسمعته يقول حين
خب فى مجاله وهدرت
شقاشق ارتجاله

(أجوب) أقطع وأخرق وجوب الارض قطعها بالمشى (الهائم) الحيران (أجول) أتصرف (حوماتها) جهاتها (الحائم) الطائر العاطش يحوم حول الماء أى يدور به (أرود) ألتمس (المسارح) مراعى البهائم (لمحاتى) نظراتى يريد المواضع التى يسرح عينيه فيها بالنظر (مسايح) مسالك أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى والسيح الماء الجارى على وجه الارض وتكون المسايح أيضا جمع مسيحة أو مسحة وهى الطوقة من قولك مسحت البيت أى طفت به فيكون على هذا فعائل ميمها أصلية وعلى الاول مفاعل (أخلق) أهين (ديباجتى) جلدة وجهى يريد أنه يخلق وجهه بالمسئلة كما يخلق الثوب وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم المسئلة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم أى قطعة (أبوح) أذكر (حاجتى) فقرى (تفرج) تزيل (غمتى) غمى وما يضيق نفسى (غلتى) عطشى (أدتنى) أوصلتنى (خاتمة المطاف) آخر المشى (هدتنى) دلتنى (والالطاف) حسن السؤال وفاتحته أراد به سؤالك من تلقى فى الطريق اذا دخلت بلدا غريبا فاذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق ويقال لطف سؤال الرجل اذا رق لفظه ولم يكن فيه جفاء فتقبله القلوب وألطف الرجل سؤاله اذا سألك بحنان وتلطف واللطف الرفق وألطفتك أيضا بررتك وأكرمتك فالالطاف مصدر ألطف ويروى الالطاف جمع لطف وهو الرفق يقال لطف الله بالعباد لطفا رفق بهم رفقا وهو راجع الى الاول (ناد) مجلس (رحيب) واسع (محتو) مشتمل (نحيب) بكاء (ولجت) دخلت (غابة الجمع) وسط الناس وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه من يدخله (لاسبر) لافتش وأراد دخلت بين الناس لاجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم ويروى مجلبة بالحاء وهى من الحلب يقال انحلبت عينه اذا سالت بالدمع (بهرة) وسط (شخت) دقيق ورقيق والشخت الحطب الرقيق (أهبة السياحة) آلة العبادة وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك (يطبع الاسجاع) أى يرتبها ويصنعها تقول طبعت الدرهم والسيف اذا صنعتهما وطبعت الكتاب اذا ختمته وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها لا اله الا الله والملك لله وتطبع بذلك كتبها وهذا المعنى أليق بطبع الاسجاع أى يزينها ويختمها بجواهر كلامه ومن روى لجواهر باللام فعلى يصنعها الاغير والتفسير على الروايتين أخذته عن أبى ذر والاسجاع الكلام المفقر له قافية كقافية الشعر وكان من كلام الكهان وهذه الموعظة التى فى المقامة من الاسجاع وسجعت الحمامة اذا غنت على طريقة واحدة (يقرع) يضرب (الاسماع) الآذان (زواجر) نواهى وزجر منهاه وانتهره (احاطت) حلقت (أخلاط) أصناف مختلطون (الزمر) الجماعات (الهالة) الدارة حول القمر من نوره والطفاوة الدارة حول الشمس والساهور وهو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه (الاكمام) جمع كم وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به وسمى كما لانه يستر ما تحته والاكمام جمع قليل والكثير كمام والثمر حمل الاشجار (دلفت) قربت ودلف الشيخ فى مشيته اذا أسرع من ضعف فقارب خطوه (اقتبس من فوائده) التمس وأطلب أخذها واكتسابها و(الفرائد) شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر (خب فى مجاله) أخذ فى كلامه والخبب عدو سهل وهو الذى تسميه العامة السير وفرس مسيار والمجال للخيل موضع تصرفها وجريها (هدرت) صوتت (شقاشق) جمع شقشقة

وهى

وهي النفاخة يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير يهيج ويتابع الهدير قال الاخطل

اذا هدرت شقاشقه ونشبت * له الاظفار ترك له الهدار

أراد نشبت وترك فخفف (السادر) الراكب هواه لا يرده شيء استطالة وبغيا ويقال للذي يطيل الجلوس في الشمس حتى يتحير بصره قد سدر فهو سادر (في غلوائه) في ارتفاعه للشر ولجاجه فيه وهو من غلا يغلو في الامر اذا جاز الحد فيقول يا أيها الاعمى الكثير اللجاج في ركوب المعاصي هلا نظرت بعين البصيرة ورجعت عما أنت عليه من الضلال (السادل) المرخي (خيلائه) كبره (الجامح) الجاري الى غير غاية وقد جمح الفرس اذا أكب رأسه وجرى في غير قصد فيريد أنه أكثر الفساد حتى يجري منه في غير طريق (الجانح) المائل (الخزعبلات) الاباطيل وهو ما يتراءى للانسان في نومه من الخيال (تستمر) تدوم في مرورك (غيك) ضلالك (تستمرئ) تستطيب من المرئ وهو ما يلتذبه من الطعام (بغيك) ظلمك (تتناهى) تبلغ النهاية ونهاية الشيء آخره (زهوك) كبرك وعجبك (اللهو) ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب وقال القاضي أبو حفص بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به

ولا تنسب الى كبر فهذا * أبوك الترب يخفضك انتسابا

ولا تصحب أخا كبر وقدم * على النفس الاعادي والصحابا

ولا تحبب محاباة بمدح * كفى بالمرء حوبا أن يحابى

وحاذر أن ترى في القوم رأسا * ولا تنس الذنوب وكن ذنابا

ترابا كن هنا فعساك أن لا * تمنى أن تكون غدا ترابا

(وقال أبو نواس)

حذرتك الكبر لا يغشاك ميسمه * فانه ملبس نازعته الله

يا بؤس جلد على جوف مجوفة * يحوي مقاذير ان كلمته تاها

يرى عليك له فضلا يبين به * ان نال في العاجل السلطان والجاها

اني لامقت نفسي عند نخوتها * فكيف آمن مقت الله اياها

(وقال أبو العتاهية)

عجبت للانسان في فخره * وهو غدا في قبره يقبر

ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر

(قوله تبارز) أي تكاشف وتقابل والبارز الظاهر المنكشف و (الناصية) شعر مقدم الرأس (تجترئ) تقدم وتشجع والجرئ الشجاع المقدام (سيرتك) عادتك وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر وتقول سرت سيرة من خير أو شر اذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك فصارت عادة لهم ولذلك فسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت وأصل السيرة هيئة فعل السير وذلك انك تقول جلس فلان جلسة بالفتح وهي المرة الواحدة من جلوسه فاذا كسرت الجيم فهي هيئة جلوسه مثله ركب ركبة والركبة هيئة ركوبه وتقول سار هذا الفعل سيرة والسيرة بالكسر هيئة سيره

أيها السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح الى خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك

(ذم الكبر)

وتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفى من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما اعدادك

فى الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطا وسيرتو رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أعماله حيث كانت (توارى) تستتر (بمرأى رقيبك) أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ورقيب الشئ حافظه وحارسه (مليكك) مالكك وأراد ان الانسان اذا خلا بريبة استتر بها عن أخيه وعبيده حياء منهما ولا يستحى من ربه الذى يطلع على معاصيه ولا يخفى عليه خافية وأشار الى قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم الآية وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ان كنت تعلم ان الله ناظر * يرى ويسمع ما تأتى وما تذر
وأنت فى غفلة من ذاك تركبها * نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن * خشية الناس تستحى وتعتذر

(وقال نابغة بنى شيبان)

ان من يركب الفواحش سرا * حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه * شاهداه وربه ذوالجلال

(وقال أبو نواس)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تراكمت * ذنوب على آثارهن ذنوب

(حالك) عزتك ومالك (آن) حان وقرب (ارتحالك) انتقالك (توبقك) تهلكك يقال أوبقته الذنوب أهلكته فوبق أى هلك ووبق أيضا وقال أعشى همدان

استغفر الله أعمالى التى سلفت   من عثرة أن يعاقبنى بها أبق

(زلت) زلقت (معشرك) قومك (محشرك) موضعك الذى تحشر اليه (انتهجت) ركبت والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (محجة) طريق من حجه يحجه اذا قصده (اهتدائك) استقامتك (معالجة) مداواة (فللت) كسرت (شباة) حد (اعتدائك) جورك وظلمك (قدعت) كففت قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذى ان قتلته كان لك نورا وان قتلك دخلت الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك * قال الاصمعى كنا بطريق مكة فى بعض المنازل اذ وقفت علينا أعرابية فقالت أطعمونا مما أطعمكم الله فنالها بعض القوم شيأ فقالت له كبت الله كل عدو لك الا نفسك (قوله أما) حرف اخبار واستفتاح كألا (الحمام) الموت من حم الامر قضى (الميعاد) الموعد (ما اعدادك) ما استعددت له والاعداد مصدر أعد للامر اذا هيأ له ما يحتاج اليه من عدة يقول الموت هو الذى وعدت به أن يأتيك ولا بد فما استعددت له من أفعال البر وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران

قوله أما حرف اخبار الخ الظاهر ان هذا استفهام تقريرى اه مصححه

ياصاح فى الموت لنا حكمة * بالغة لو أننا ننتفع
فاعمل له قبل مفاجاته * ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تنجيك منه ولا * ذو وزر عنه به يمتنع
كم أمم أفناهم قبلنا * وشمل قوم شته فانصدع

(ولحبيب) فقد أيقنت بالموت نفسى لاننى * رأيت المنايا يحترمن حياتنا

فيالیت أنی بعدموتی ومبعثی * أكون رفاتاالاعلی" ولالیا

(المشیب) الشیب یقال شاب رأسه شیبا ومشیبا (انذارك) اعلامك وأنذرك أعلمك مما تحذر خوفك منه وأراد قوله تعالى وجاءكم النذیر وانظر هذا المعنی فی الحادیة والاربعین مستوفی لطماوتثرا (اعذارك) جمع عذروالاعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر فی طلب الحاجة اذا بالغ فیها قال ابن القابلة السبتی وجنس قوافیه

الشیب فی مفرقی حلا * وعقدعهد الملاح حلا
وكان كالآبنوس رأسی * فاحتله عاجه فلا
وحرمت وصلی الغوانی * وقلن قتل العمید حلا

(اللحد) حفرة فی جانب القبر ولحد المیت وألحده شق له فی جانب القبر وأصل اللفظة المیل (مقیلك) مقامك وأصله النوم فی القائلة (قیلك) حدیثك المقول وحجتك الواضحة والقول مصدر كالطحن والذبح والقیل اسم للمقول كالطحن بالكسر اسم للدقیق المطحون والذبح اسم المذبوح * یعقوب القال والقیل اسمان لامصدران * ابن سیده القیل فی الاصل مصدر وحكی فارسی قاله قولا وقیلا مثل ذكر ذكرا والقال یجوز أن یكون مصدرا فان سیبویه حكی ذاده اماوعابه عابا الا أنه لم ینص علی القال (مصیرك) رجوعك (نصیر) معدول عن ناصر للمبالغة تناعست) أی أظهرت أنك ناعس (جذبك) قادك بعنف ویقال جذب وجبذ وهی أقل من لاولی وصحفت العامة هذه الثانیة وقالوا جبد بدال غیر منقوطة (تقاعست) تأخرت وتصعبت تشبهت بالاقعس وهو الذی دخل ظهره وخرج صدره أی قادك الوعظ الی الخیر فلم تنقدله لعرب تقول عزة قعساء كأنها تتقعس عن الذلة (تجلت) ظهرت و (العبر) ما یتخوف ویتعظ به تندرؤیته (حصحص) تبین من الحص وهو ذهاب الشعر فیتبین ما تحته والحاء الثانیة مبدلة من صاد ثالثة واذا اجتمع الامثال فی مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الاوسط حرفا من جنس الحرف السابق ومثله حثحثت وقرقفت أصلهما حثثت ورققت هذا قول الكوفیین وقال البصریون هما لغتان تقاربتا اذلا یبدل الحرف الامن مثله أو من مقاربه فی المخرج وهذه الحروف متباعدة لا یصح ابدالها (ماریت) شككت (تواسی) تعطی (توثر) تفضل (توعیه) تجعله فی وعاء (بر) احسان (تولیه) تعطیه وتلصقه بمن تبره (هاد) مرشد لطریق الخیر ترغب عنه أی تتركه (تستهدیه) أی تسترشده وتسأله أن یهدیك الی الخیر و (تستهدیه) الثانیة تطلب أن یهدی لك هدیة یقول تترك من یهدیك الی طریق الخیر فلا تسأله الهدایة وتقصد أعراض الدنیا من الاطعمة وغیرها وترغب أن تعطی منها هدیة قال الزاهد بن عمران

توق وحاذر من قبول هدیة * وان جاءنا فیها الحدیث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا منها وعنها ترغب
فكانت هدیات الاوائل قبلنا * تؤلف فیما بینهم وتحبب
فعادت بلایا یسرع المرء نحوها * تفرق فیما بیننا وتجنب

(وله فی مثله)

احذر هدایا الناس تأمن من السمن بها أو تول واش یشی

وبالمشیب أنذارك فاعذارك وفی اللحد مقیلك فاقیلك والی الله مصیرك فمن نصیرك طالما أیقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعامیت وحصحص لك الحق فتماریت وأذكرك الموت فتناسیت وأمكنك أن تواسی فما آسیت تؤثر فلسا توعیه علی ذكر تعیه وتختار قصرا تعلیه علی بر تولیه وترغب عن هاد تستهدیه الی زاد تستهدیه وتغلب حب ثوب تشتهیه

فقل من يهديك الا امرؤ * من رغبة أو رهبة قد خشى
التبس الامر فلا تقدمن * واخش مقام الله فيمن خشى
كانت هدايا ثم عادت رشا * وفى الرشا الهلك لمن يرتشى
حذرنا منها نبى الهدى * اذ لعن الراشى والمرتشى

(الثواب) المكافأة على الفعل وأراد به ما يجازى الله به عبده على احسانه من الاجر وهو من ثاب يثوب اذا رجع وأثاب الرجل أعطيته الثواب وهو المكافأة على فعله (قوله يواقيت) أى جواهر (الصلات) العطايا (أعلق) ألصق (مواقيت) أوقات وهى جمع ميقات . ومما يستحسن من تجنيس الصلات والصلاة حكاية أحمد بن المدبر وكان اذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم خلا فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصرى المعروف بالجمل فاستأذنه فى النشيد فقال أعرفت الشرط قال نعم وأنشد

أردنا فى أبى حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغنى صلاتى * عيالى انما تغنى الزكاة
فأما اذ أبى الا صلاتى * وعاقتنى الهموم الشاغلات
فيأمر لى بكسر الصاد منها * لعلى أن تنشطنى الصلات
فتصلح لى على هذا حياتى * ويصلح لى على هذا الممات

فضحك واستظرفه وأمر له بمائة دينار وقال من أين أخذت هذا قال من قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(قوله مغالاة الصدقات) أى الزيادة فى المهور وغاليت زدت فى ثمن السلعة ورددتها غالية والصدقات واحدتها صدقة وهى الصداق قال النبى صلى الله عليه وسلم من يمن المرأة تيسير صداقها وخطبتها قال عروة وأنا أقول من أول شؤمها أن يكثر صداقها (آثر) أفضل وأكثر أثرة (موالاة) متابعة (صحائف) جمع صحيفة وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس (دعابة) مزاح وفى فلان دعابة وتداعب الرجلان تمازحا وفى الحديث كانت فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وفى حديث جابر رضى الله عنه هلا بكرا تداعبها وتداعبك (الاقران) الاصحاب والامثال (تلاوة) قراءة وتلوته قرأته واختلفوا فى اشتقاق القرآن فقال أبو عبيدة سمى قرآنا لانه يجمع السور ويضمها قال الله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أى اذا جمعناه لك شيأ فضمه واعمل به وقال قطرب سمى قرآنا لان القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه من قول العرب ما قرأت الناقة سلا قط أى ما رمت به وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يا رسول الله ما جلاؤها قال قراءة القرآن (العرف) أى المعروف (تنتهك) تبالغ فى تناوله بما لا يجوز (حماه) ما حمى منه ومنع وأصل الحمى موضع العشب يحميه الرجل لابله وأنتهكا استئصال عشبه بالرعى ونهكت الجلد وانتهكته اذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف (النكر) المنكر (تحاماه) تتباعد عنه

على ثواب تشتريه يواقيت الصلات أعلق بك من مواقيت الصلات ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحائف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمى عن النكر ولا تتحاماه

(تزحزح عن الظلم) تنحى عنه غيرك وتزيله (وتغشاه) تأتيه وتباشره (تخشى) تخاف وقال ذو الرمة
هذا المعنى وهو أحسن شعر قاله

يارب قد أسرفت نفسي وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثاري
يا مخرج الروح من نفسي اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحني عن النار

النفسه أن يكون من الفائزين لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز
ولهتبا) أي خسرانا وهلاكا وتبت يده خسرت قال تعالى وما زادوهم غير تتبيب أي غير خسار
هلاك قال الشاعر

عرادة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما عملوا تبابا

ثنى) عطف ورد (انصبابه) جريه (يستفيق) يستريح وأفاق من المرض استراح (غراما) شدة
حب لازم له غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته التقاضي والحاحه فيه وقال تعالى ان عذابها
كان غراما أي ملحا دائما ومنه انا لمغرمون وفلان مغرم بالنساء يحبهن ويلازمهن وقال حاتم

فما أكله ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان خفتها بغرام

بهلاك وملازمة (فرط صبابة) شدة شوق ومجاوزة حد في ذلك (يروم) يطلب (صبابة) بقية
اموهذا الشعر مستحسن القوافي ومثله في ذلك قول الزاهد بن عمران وكثيرا ما كان يستمد في
ومن أدب المقامات

تبا لذي جهل دعا لمبرة * وأجبته بترابه فأداعها
منا وقد كافأته بهبائه * وذخرتها عندي له فأضاعها
فاقل اللئام من الرجال ولا تجب * مهما دعوك وجنبن أوضاعها

وقال آخر

يامن يضيع عمره * متماديا في اللهو أمسك
واعلم بأنك لا محا * لة ذاهب كذهاب أمسك

(ولمنصور الفقيه في الشعر المردف)

اذا كنت تزعم أن الفراق * فراق الحياة قريب قريب
وان المقدم مالا يفوت * على ما يفوت مصيب مصيب
وأنت على ذاك لا ترعوي * فأمرك عندي عجيب عجيب

(وقال) القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا

يا راكدا في طلاب دنيا * ليس لمن تصرع انتعاش
لم تخش نارا هوى لظاها * لمن له نحوها انحياش
أعذر منك الفراش حالا * علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين * عنها ولا يستقر جاش
من للسّبارى من شراب * يشتد من شربه العطاش
دعها فطلا بها رعاع * طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء * ووارد وها هم العطاش

وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه
وتخشى الناس والله أحق
أن تخشاه ثم أنشد
تبا لطالب دنيا
ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما
بها وفرط صبابه
ولو دري لكفاه
مما يروم صبابه

(ذكر ذم الدنيا)

فاظما ألتروى وكن كقوم * سقوا بها غبسة فعاشوا
كأن آمالنا ظباء * ونحن من حبرة خداش
ان لآمالنا انبساطا * لاعمارنا انكماش
كأن آجالنا صقور * ونحن من تحتها خشاش

(ولابن الرومى رحمه الله)

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * اذا زال عن عين اللبيب غطاؤها
فكيف بقاء الناس فيها وانما * ينال باسباب الفناء بقاؤها

(وقال آخر)

ومن يحمد الدنيا العيش يسره * فسوف لعمرى عن قريب يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ولابن سادة رحمه الله تعالى)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

(قوله ثم انه لبد عجاجته) أى سكن عبرته المرتفعة حتى لصقت بالارض (غيض) جفف (الجاب) مايلقى من فيه وقد مج الرجل ريقه اذا سال من حمق أو كبر وأراد بلبد عجاجته قطع كلامه اذا كان قد استرسل وأخذه من قول سليمان بن عبد الملك وقد تكلم وقد بين يديه فلم يصنعوا وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فأبلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجتها وأراد بغيض مجاجته ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء (اعتضدها) جعلها تحت عضده (والشكوة) ركوة الماء تصنع من جلد الثور أو الخروف و(تأبطها) جعلها تحت ابطه (هراوته) عصاه (رنت) نظرت (تحفزه) تهيئه وعجلته للانصراف وتحفز وانحفز اذا كان جالسا على عجل منه متهيأ للقيام (تأهبه) استعداده (مزايلة) مفارقة (مركزه) موضعه الذى قام به (أفعم سجلا) وفعمت الشئ فعما ملأته (سجلا) دلوا (سيبه) عطائه معناه وهب لنا نصيبا من عطائه (رفقتك) أصحابك (مغضيا) مستحييا وأصل أغضى كف بصره وضم جفنيه (انثنى) رجع وانعطف (عن طريقه (مهيعه) طريقه البين (يسرب) يفرق فكأنه تفعل من السرب وهو الطريق أى كأنه يردهم من تشييعه فى طرق مختلفة أو يكون من لفظ السرب وهو الجحر فكأنه يغيبهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب فى الارض وقد سرب سروبا فكأنه يبددهم فى كل ناحية ليجهل مكانه (مربعه) منزله فى الربيع خاصة والمربع المنزل فى كل وقت من ربعت المكان أقمت به (مواريا) ساترا (عيانى) شخصى أى تبعته مستخفيا بحيث لا يرانى (قفوته) اتبعته من جهة قفاه (انساب) دخل وأصل الانسياب جرى الحية خفى وجه الارض أو جرى الماء كذلك ولا يكون الانسياب الاعلى وجه الارض لا يقال انساب فى الجحر حدثنى به بعض من لقيت من أصحابنا وكان أضبط الناس للسان العرب قال وقول الحريرى انساب فيها وهم منه ولو قال انسام فيها لكان أمثل يشبهه بالسيف اذا وضع فى غمده (غرارة) غفلة (ريث) قدر (هجمت عليه) دخلت عليه فجأة ومنه هجم عليه الحر وهجمت عينه دخلت فى رأسه (محاذيا) ملاصقا

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده فى جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليه مهيعه ويسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحرث بن همام) فاتبعته مواريا عنه عيانى وقفوت أثره من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا

صدأ أو جالسا بحذائه (تلميذ) متعلم الصنعة (حنيذ) مشوي وحنذ اللحم حنذا شواه بحجارة محماة (نبيذ) أراد به خمرا (خبرك) أراد به أمرك الذي أنت عليه (مخبرك) أي باطنك وما يختبر منك * ومما ينتظم في هذا النمط حكاية أبي نواس حين رؤي في مجلس منصور بن عمار يبكي فظن الناس أنه قد نسك فجعلوا يهنؤنه ويقولون نرجو لك من الله الخير فقال أنا أهون على الله من ذلك وليس بما تظنون ولكن أبكي لبكاء ذلك الغزال وغلام بالمجلس يبكي من وعظ منصور ثم قال

لم أبك في مجلس منصور * شوقا الى الجنة والحور
لكن بكائي لبكا شادن * تقيه نفسي كل محذور
تنتسب الالسن في وصفه * الى مدى عجز وتقصير

وحضر أيضا مجلس بعض القصاص فقالوا له لعل الله قد أقبل بك فقال انما حضرت لاجل هذا الغزال ثم قال

خلياني والمعاصي * ودعا ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفا * في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال * طائع ليس بعاصي
بين فتيان كرام * قد تواصوا بالمعاصي
وعلى الله وان أفـ * ـرطت في الذنب خلاصي

(قوله فزفر زفرة القيظ) الزفرة تنفس المهموم أو المغتاظ والقيظ شدة الحر شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحر (تميز) يتقطع ويتفرق (يحملق) يحد النظر والحملقة نظر الغضبان والحملاق باطن الجفن (يسطو) يصول ويتناولني بالمكروه يقال سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة اذا قهره وأذله (خبت ناره) سكنت حدة غيظه (توارى) تغطى واستتر (أواره) وهج ناره وهو غيظه والاوار وهج النار (الخميصة) كساء فيه خطوط وقال يعقوب وأبو عبيد الخميصة كساء مربع أسود له علمان (الخبيصة) نوع من الحلواء وتسميه عامتنا الخبيز بالزاي ويكني به عن لذة العيش (الشص) حديدة معوجة يصاد بها الحوت وتسمى الصنارة (شيصة) تمرة رديئة ومن ملح قصاص البلدان ان أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه انما الناس مثل التمر فيهم الشيص والبرني يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا وقال قاص آخر ان في الجنة لحم جدي ولحم خروف ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى يريد أنه لا يحتقر شيأ فكل ما تخذله أخذه (أحبولة) آلة يصاد بها (أريغ) أطلب ما يصعب أخذه كانه يروغ من كذا وأصل راغ من كذا أي عدل عنه ورجع وهو يخفي رجوعه قال الفراء لا يقال للذي يرجع راغ يروغ الا أن يكون مخفيا لرجوعه قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أي رجع اليهم يضربهم مخفيا لرجوعه ومعنى باليمين أي بيمينه الذي حلف في قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم أو يريد باليمين القوة وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل أي رجع اليهم في اخفاء منه لرجوعه (القنيص والقنيصة) الذكر والانثى مما يصاد من الوحش وهذا مثل وانما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل (ألجأني) أحوجني (ولجت) دخلت (لطف) رقة وتلطف (عيصه) بيته وأصله الشجر الملتف و(الليث) الاسد (أهب) أخف (صرفه) تقلبه (نبضت) تحركت (فريصة) لحمة في آخر الكتف تتحرك عند الفزع (شرعت) دخلت و(على) بمعنى في نحو قولك كان ذلك

للتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذلك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت أن يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى أواره أنشد شعرا

لبست الخميصة أبغي الخبيصه
وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة
أريغ القنيص بها والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت
بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه
ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد

على عهد فلان أى فى عهده (مورد) موضع الماء (يدنس) يوسخ ويعيب (عرضى) ذكرى (نفس حريصة) كثيرة الرغبة والطمع (النقيصة) الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها ومن أحسن ما قيل فى الدهر قول تميم بن المعز

يا دهر ما أقسالك من متلون * فى حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا * وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا
واذا صفوت كدرت شيمة باخل * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لانى * أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
زمن اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفا
ما قام خيرك يا زمان بشره * أولى بنا ما قل منك وما كفى

(ولادريس بن اليمانى)

ماذا أقول لدنيا لو ظفرت بها * أدبتها غضبا للعلم والادب
شحا من اقذية الايام برح بى * بل بالعوالى وبالهندية القضب

(قوله ادن) أى اقرب (قل) أى قل ماشئت (التلميذ) الخادم والجمع التلاميذ قال لبيد
* تحاوا التلاميذ لولؤا اقشبا * أى تجلو التلاميذ لولؤا جديدا وطلبة العلم تلاميذ شيخهم (الاذى) الضرر (سراج) مصباح يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته وللادباء تاج يتزينون به ويضعونه فوق رؤسهم (انصرفت) رجعت (قضيت العجب) أى أتممته كأنه قال قضيت حاجتى مما رأيت ويقال قضى نحبه من كذا أى بلغ مراده وقضى عليه القاضى أى قطع عليه والقاضى القاطع للامور المحكم لها وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين أى قطعهن وأحكم خلقهن ويكون قضى بمعنى عمل

(شرح المقامة الثانية وهى الحلوانية)

(كلفت) أى اشتد حبى والكلف شدة الحب والمبالغة فيه وفلان كلف بفلان أى مبالغ فى محبته و (ميطت) وأميطت أزيلت (التمائم) الاحراز (نيطت) علقت واذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزالوا الاحراز عن عنقه وألبس العمامة والازار وقلد السيف فأراد أحييت مذ بلغت الحلم مجالس الادباء (اغشى) أقصد وأدخل (المعان) المنزل أبو عبيد يقال البصرة معان منا أى منزل منا قال المعرى * معان من أحبتنا معان * فالاول اسم موضع معلوم جنس به وجعله منزل أحبابه وقال بعضهم سمى معانا للمعاينة الناس فيه بعضهم بعضا ولان فيه أعيانا (أنضى) أهزل (الركاب) الابل وجعل للطلب ابلا مجازا وانما يريد أتعبت نفسى فرحلت الى طلبه على الابل (لاعلق) منه لاحصل منه على فائدة أتعلق بها (الانام) الخلق (مزنة) سحابة (الاوام) شدة العطش يريد أنه يتعب نفسه فى طلب الادب ليتزين به بين الناس ويعيش به اذا احتاج اليه (فرط اللهج) شدة الحب يقال قد لهج بالشئ اذا أكثر الحديث به لحبه فيه وحرصه عليه ولهج الفصيل بالرضاع اذا لج فيه (اقتباسه) اكتسابه (التقمص) لبس القميص (لباسه) ثيابه أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصا (أباحث) أسائل (جل) عظم (قل) حقر (أستسقى الوبل والطل) أى أطلب

يدنس عرضى نفس حريصه
ولو أنصف الدهر فى حكمه
لما ملك الحكم أهل النقيصه
ثم قال لى ادن فكل وان
شئت فقم وقل فالتفت الى
تلميذه وقلت عزمت عليك بمن
تستدفع به الاذى لتخبرنى
من ذا فقال هذا أبو زيد
السروجى سراج الغرباء
وتاج الادباء فانصرفت من
حيث أتيت وقضيت العجب
مما رأيت

(المقامة الثانية الحلوانية)

حكى الحرث بن همام قال
كلفت مذ ميطت عنى التمائم
ونيطت بى العمائم بأن
أغشى معان الادب وأنضى
اليه ركاب الطلب لاعلق
منه بما يكون لى زينة بين
الانام ومزنة عند الاوام
وكنت لفرط اللهج باقتباسه
والطمع فى تقمص لباسه
أباحث كل من جل وقل
وأستسقى الوبل والطل

منه السق والوبل أشد المطر والطل أضعفه ويقال الرك أضعف من الطل ومنه قيل للدنيء ركيك (أتعلل) أشغل نفسي وأطمعها والعلالة الشيء اليسير و (عسى ولعل) معناهما الرجاء والطمع يريد أنه يسائل الجليل فى العلم والحقير ومن كثر علمه كان كالوبل أو قل كان كالطل واذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجى نفسه بوجوده وأطمعها والتعلل قطع الزمان بالعيش اليسير وقد تعلل بشرابه اذا أخذ منه قليلا قليلا فمعنى أتعلل بعسى ولعل أذهب علة وجدي بالرجاء والطمع (حللت) نزلت (حلوان) بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل وهي من كور الجبل وسميت باسم بانيها وهو (١) حلوان بن علي بن الحاف بن قضاعة وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهي مقابلة لطبرستان وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل وبها قصب السكر وافتتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بلوت) جربت (الاخوان) الاصحاب (سبرت) فتشت (الاوزان) أقدار الناس (خبرت) جربت وعرفت (شان) عاب و (زان) زين يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس (ألفيت) وجدت (يتقلب) يتنوع (قوالب) جمع قالب وقالب كل شيء قياسه وما يصنع عليه (يخبط) يمشي والخبط المشي فى الارض على غير قصد كمشي الاعمى (أساليب) طرق واحدها أسلوب (آل ساسان) ملوك الفرس (يعتزي) ينتسب (أقيال) ملوك (غسان) قبيلة باليمن كان منها ملوك وغسان ماء كان شرب الولد مازن بن الازد بن الغوث فسموا به (يبرز) يظهر (طورا) حينا (شعار) ثياب والشعار ثوب يلي الجسد (كبر) تكبر يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك فى أحوال المكدين ويجري بذلك فى طرق اكتساب المعيشة فيدعي أنه من آل ساسان وأصل هذا ان الفرس كان فيهم الملك وكانت العرب تحت حكم ملوكهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتابه يدعوهم به الى الاسلام مزقوه فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق فأوقع بهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية فلم يبق لهم فى الملك رسم وصاروا فى خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب ورماية فسكن من بقي منهم الامصار واستعربوا وتنفقهوا فكان منهم من نفع الله به المسلمين وكان منهم أهل أهواء وبدع ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بني ساسان فينتسبون الى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المملكة الى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا ساساني وقيل ان ساسان اسم رجل معين هو أول من أسس الكدية فنسبوا اليه كما أن الطفيلي منسوب الى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل فأراد أن أبا زيد كان يتنوع فى أحواله فيتمسكن تارة ويدعي انه من ساسان ويتعاظم أخرى فينتسب الى غسان ويبرز أحلاس الشعراء المكدين ويظهر ثانية فى ثياب فاخرة لباس الكبراء المثرين (قوله بيد غير (محاله) باطله والمحال ما لا يمكن أن يتصور وهو مفعل من حال الشيء اذا تغير كأنه زال به (يتحلى) يتزين (رواء) نظافة وحسن منظر (مداراة) حسن سياسة فى صحبة وأصلها (دراية) ودرية مصدر دريت (بلاغة) فصاحة (رائعة) معجبة من شاهدها ارتاع (والبديهة) والبداهة الاخذ فى الكلام من غير فكرة وهي الارتجال (مطاوعة) منقادة

وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ما شان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب فى قوالب الانتساب ويخبط فى أساليب الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان ويعتزي مرة الى أقيال غسان ويبرز طورا فى شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة

(١) قوله حلوان بن علي كذا فى نسخ الشرح والذي فى القاموس ابن عمران اه

(بارعة) فائقة تفضل غيرها (أعلام) جبال (فارعة) طائلة قد علتها واللام فى قوله لاعلام زائدة وزيادتها اذا تقدمت أحسن منها اذا تأخرت مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت (آلاته) عدده وأراد بهذه الانواع التى قدمها التى تحلى بها (يلبس) يصاحب ويخالط (علاته) عيوبه التى ذكر من أنواع العربة (سعة روايته) كثرة علمه وما يرويه (يصبى) يمال (خلابه) خداع وقد خلبه خلبا وخلابة خدعه (عارضته) قوة كلامه (معارضته) مقابلته ومناقضة كلامه وتقول رغبت عن الشئ تركته وتزهدت فيه ورغبت فيه اذا أحببته فيريد أن لقوة كلامه وصلابته لا يتعرض أحد لجداله فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض فيما يقول وقيل معنى فلان شديد المعارضة اذا أفحش وأسمع المكروه ورجل شديد العارضة أى لا تترب ناحيته (ايراده) أخذه فى الكلام (يسعف) يساعد (أهدابه) أطراف ثوبه و (خصائص) الشئ ما يختص به أى ينفرد (نافست) زايدت وغاليت (مصافاته) مصاحبته (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع من كل شئ يسمى نفيسا من النفس وهى العين حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين وقد قال المعرى

فالعين يسلم منها ما رأت فنبت عنه وتلحق ما تهوى من الصور

(قوله أجلو) أى اكشف (أجتلى) أنظر (طلق الوجه) مستبشرا والطلق ضد العابس (ملتمع) منير بادى اللمعان (قربى) نسبا و (مغناه) منزله من قولهم غنى بالمكان يغنى غنيا اذا أقام به (غنية) غنى يقال غنى يغنى غنى فهو غنى اذا استغنى والاسم الغنية (ريا) شبعا من الماء ورويت من الماء ضد عطشت (محياه) حياته (حيا) مطر عام يقول انه كان بصاحبته أبا زيد يزول همه ويلقاه بشر منه فيرى قربه منه بالود كقرابة النسب وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه واذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برؤيته وقصد تجنيس الالفاظ بعد المعنى (لبثنا) أقمنا (برهة) مدة (ينشئ) يصنع ويبتدئ و (النزهة) أصلها التباعد عن الريب ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتنزه ثم استعملت فى المعانى فقيل نزه فلان فى آدابه وكنى بهذا عما يستفيده من علمه (يدرأ) يدفع (شبهة) اشكال والتباس (جدحت) حركت ومزجت والمجدح آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج (الاملاق) الفقر من الملقة وهى الصخرة الملساء فأملق كأنه صادف ملقة لا تنبت شيأ ولم يصادف خصبا بعد أن كان فى ترفه وغنى (أغراه) حرضه و (العراق) اختلفوا فيه فقال صاحب العين العراق العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق ابن قتيبة يقال للعظم الذى عليه اللحم عراق وللخالى من اللحم عرق أبو عبيد العراق القطعة من اللحم أبو زيد قول العامة ثريدة العراق خطأ اذا كان العراق العظام وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه فى عام جدب

عجبت من نفسى ومن اشفاقها ومن طرادى الطير عن أرزاقها
فى سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبرى اللحم عن عراقها

ابن الانبارى قول أبى عبيد هو الصواب لان العرب تقول أكلت العراق ولا تقول أكلت العظم وفى حديث أم اسحق الغنوية فجعلت لا آكل العراق ولا أضعه فقولها لا آكل يدل على ان العراق لحم مفرد أو لحم على عظم الاصمعى قيل لاعرابى أى الطعام أطيب قال من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من البضع لها جناحان من العراق قيل كيف

وآداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست فى مصافاته لنفائس صفاته فكنت به أجلو همومى وأجتلى زمانى طلق الوجه ملتمع الضيا أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لى حيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لى كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبى شبهة الى أن جدحت له يد الاملاق كأس الفراق وأغراه عدم العراق

قال أصدع بهاتين يعنى السبابة والوسطى وأسند بهذين يعنى الابهام والخنصر وأجمع ماشذ منها بهذه يعنى البنصر وأضرب فيها ضرب ولىّ السوء فى مال اليتيم فهذا يدل على انّ العراق قطع اللحم اذ كانت العرب لاتصف الثريد والاطعمة بكثرة العظام والعراق فى البيت الاكل تقول عرقت العظم عراقا أكلت ما عليه من اللحم والعظم معروق وهو بمنزلة سكت سكاتا (العراق) قال صاحب العين هو شاطئ البحر وبه سميت العراق لانها على شاطئ دجلة ٭ ابن الاعرابى سمى عراقا لانه سفل عن نجد ودنا من البحر أخذ من عراق القربة وهو الخرز فى أسفلها ٭ قطرب سمى عراقا لانه دنا من البحر وبه سباخ و بنجد و يقال استعرقت ابلهم اذا أتت ذلك الموضع (لتنطته) أى رمته و (معاوز) جمع معوز والمعوز هو العوز نفسه والمعوز بالكسر الثوب الخلق وجمعه معاوز و (الارفاق) مصدر أرفقته اذا أوصلت اليه نفعا يرتفق به ورفقته بمعناه فأراد بمعاوز الارفاق فقد ما يرتفق به و (المفاوز) جمع مفازة وهى الصحرا سميت مفازة على التفاؤل لانّ الرجل اذا قطعها فاز ونجا (الآفاق) نواحى الارض (نظمه) ضمه وجمعه (سلك) خيط (الرفاق) جمع رفقة وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه اذا أخذوا فى السير لانهم يمشون فيه واحدا بعد واحد فنظمهم الطريق وصار لهم كالسلك (خفوق) اضطراب وقد خفق خفقا وخفوقا و (الاخفاق) الخيبة و يقال غدا فأخفق اذا خاب ومثله فى الصائد صاد فاورف (شحذ) حدوسنّ وشحذ الرجل سيفه اذا ألح عليه بالتحديد ومنه قولهم للملح فى المسئلة شحاذ والعامة تصحفه فتقول شحات بالتاء (غرار) حدّ وأراد أنه لما عزم على الارتحال حدّ عزمته أى عوّل على السفر بجدّ و (العزمة) مصدر عزم اذا جدّ وجعل لها حدّا مبالغة فى تعجيل السفر (ظعن) ذهب وارتحل (أزمّة) جمع زمام وهو حبل من جلود يشدّ به فى حلقة مجعولة فى وتد أنف البعير فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه وحنينهم اليه كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه فمن روى القلوب عادت الهاء من أزمته على السروجى ومن روى القلب عادت على القلب أو على السروجى والقلب لابن همام (قوله راقنى) أى أعجبنى وقد راق الشئ يروق روقا فهو رائق اذا أعجب (لاقنى) لصق بى وصحبنى (شاقنى) شوقنى (ساقنى لوصاله) دعانى لصحبته (لاح) ظهر (ندّ) فرّ وشرد (ند) مثل والجمع أنداد (خلال) جمع خلة بالضم وهى الصداقة (خلاله) جمع خلة بالضم أيضا وهى الخصلة وهذا النمط فى وصف الصديق وغيبته بارع ولابن عمران فى ذلك

يامرحبا بصديق لست أبصره ٭ الا تجدد لى أنس بمرآه
وان تغيب عن عينى فلم أره ٭ فلى فؤاد بظهر الغيب يرعاه

(استسرّ) غاب واختفى وأصله فى سرار الهلال فى آخر الشهر وهو يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين و (العرين) بيت الاسد ومأواه (مبينا) معلما به يبين لى أين استقرّ (أبت) رجعت (منبت شعبتى) أى بلدة قرابتى التى نبتوا فيها يريد البصرة والشعبة القرابة (داركتبها) مدرسة العلم (منتدى) مجتمع (القاطنين) الساكنين وقطن بالمكان أقام فيه (كثة) كثيرة الاصول من غير طول و يقال اللحية اذا قصر شعرها و كثرت نباتها الكثة وقد كثت تكث كثاثة وكثوثة ورجل كث اللحية ولحية كثعومة اذا كثفت وقصرت وجعدت ورجل كثعم اللحية واذا عظمت وكثر شعرها قيل انه لذو عثنون وانه لهلوف فاذا كانت اللحية قليلة فى الذقن ولم تكن فى العارضين

بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق الى مفاوز الآفاق ونظمه فى سلك الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بأزمته فاراقنى من لاقنى بعد بعده ولا شاقنى من ساقنى لوصاله ولا لاح لى مذ ند ند لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله و استسرّ عنى حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه مبينا فلما أبت من غربتى الى منبت شعبتى حضرت دار كتبها التى هى منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة

٭(ماقيل فى طول اللحى)٭

فذلك السنوط والسناط ورجل سناط بين السنط فاذا لم يكن فى وجهه كثير شعر فذلك الثطط
ورجل ثط ورجال ثطاط والسبلة مقدم اللحية ورجل مسبل وفلان خفيف العذارين وهما
ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ وهما العارضان وهما ما نبت فى الخدين من الشعر على عوارض
الاسنان قال رؤبة فى لحية حرب بن قطن

هلوفة كأنها جوالق * نكداء لا بارك فيها الخالق
لها فضول ولها تنائق * اذا الرياح العصف السوابق
طيرنها طارت لها عقائق * ان الذى يحملها لمائق

(وأنشد أبو على)

وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية * كأنك منها قاعد فى جوالق

وقال النبى صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة رضى الله عنها تقسم
فتقول لا والذى زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملائكة وقال الاحدب الصوفى سمعت
طيار بن أحمد يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أشتهى لحية
كبيرة فقال لى لحيتك جيدة وأنت محتاج الى عقل تام وقال صلى الله عليه وسلم اعتبر واعقل
الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وأتى رجل طويل اللحية معاوية فقال له
أما اللحية فلا تسأل عنها فما نقش خاتمك فقال وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من
الغائبين قال فما كنيتك فقال أبو الكوكب الدرى قال كمل الرجل وكان صلى الله عليه وسلم
يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما زاد
منها على قبضته * الحسن بن المثنى اذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى
عقله شئ وكان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد مشرفا على دجلة وهم يتذاكرون أخبار الناس
فقال المأمون ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته وما رأيت
عاقلا قط طويل اللحية فقال له بعض جلسائه ولا يرد على أمير المؤمنين قد يكون فى طول اللحى
أيضا عقل فبينما هم يتذاكرون فى هذا اذ أقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة فاخر الثياب فقال
المأمون ما تقولون فى هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخر يجب أن يكون هذا قاضيا
فقال المأمون لبعض الخدم على بالرجل فلم يلبث ان أصعد اليه ووقف بين يديه فسلم فأجاد السلام
فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال المأمون ما اسمك فقال علويه قال فما الكنية
قال أبو حمدويه فضحك المأمون وغمز جلساءه ثم قال ما صنعتك قال فقيه أجيد الشرع فى المسائل
فقال له نسألك مسئلة فقال الرجل سل عما بدا لك فقال له المأمون ما تقول فى رجل اشترى شاة من
رجل فلما تسلمها المشترى وقضى الثمن ضرطت فخرج من استها بعرة ففقأت عين رجل على من
توجب دية العين قال فنكت باصبعه فى الارض طويلا ثم قال تجب على البائع دون المشترى
فقال المأمون وما العلة التى أوجبت الدية عليه دون المشترى قال انه لما باعها لم يشترط ان فى استها
منجنيقا قال فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه وضحك كل من حضره من الندماء وأنشد
المأمون يقول

ما أحد طال له لحية * فزادت اللحية فى حليته

الا وبما ينقص من عقله * أكثر مما زاد في لحيته

وقال آخر

اذا عظمت للفتى لحية * فطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار مازاد في لحيته

(وأنشد أبو على)

لا تفخرن بلحية * كثرت منابتها طويله
يهوى بها هوج الريا * ح كأنها ذنب الحسيله
قد يدرك الشرف الفتى * يوما ولحيته قليله

قال الحسيلة العجلة وأنشد أبو العباس

كل امرئ ذى لحية عثولية * يقوم عليها ظن ان له فضلا
وما الفضل في طول السبال وعرضه * اذا الله لم يجعل لصاحبه عقلا

عثولية كبيرة *نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك في مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لعمرك لو يعطى الامير على اللحى * لأصبحت قد أيسرت منذ زمان
اذا الشفتى لحيتى من عصابة * لهم عنده ألف ولى مائتان
لها درهم للدهن في كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت في حافاتها الجلمان

فامر له بعشرة آلاف درهم والجلمان المقص ويسمى الجالم وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ماسرني أنى في طول داود * وأنى علم في البأس والجود
ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنني والديه مشى بمولود
ماطول داود الا طول لحيته * يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها اذا نفحت * ريح الشمال وجف الماء في العود
أجدى وأغنى من الخز الصفيق ومن * بيض القطائف يوم القر والقود

(وأشد افراطا منه قول ابن الرومى)

ولحية يحملها مائق * مثل الشراعين اذا شرعا
تقوده الريح بها طائعا * قودا عنيفا يتعب الاخدعا
وان عدا والريح في وجهه * لم ينبعث في مشيه اصبعا
لو غاص في اليم بها غوصة * صاد بها حيتانه أجمعا

(وأشد افراطا منه قول الآخر)

يالحية الشيخ الازب تميم * أهديت للاقوام عرف الثوم
لو أنها دون السماء غمامة * ضاقت مسالك دعوة المظلوم
أو صبها في الماء ثم سما بها * قامت مقام العارض المركوم

(ولابن سارة) ولحية لست أدرى كيف أنعتها * فضول أشعارها أودت بأشعارى

كأنها وبين الريح تنشرها * صفنة رفعت فى عود بيطار

(وقال آخر) أبصرت شيخا ذا اهبا بابا * ذا لحية قد كبرت فى اتساع

عرضا وطولا وهو من خلفها * كأنه ناشر ثوب بياع

(وقال آخر) لقد كانت مجالسنا فساحا * فضيقها بلحيته رباح

مقلبة الاسافل والاعالى * لها فى كل زاوية جناح

(وقال آخر) ياأيها الناس خذوا حذركم * قد برزت لحية بهلول

فطولها الفرسخ فى فرسخ * وعرضها ميل الى ميل

لو ضم ما يقطر من دهنها * أسرج منه ألف قنديل

ولو سها الحجام عن قصها * لخالطت ما فى السراويل

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجى انها كثة وكل صفة يصف بها السروجى فى المقامات فتلك كانت صفة الحريرى وذكر ابن جهور أنّ الحريرى كان قليل اللحية لا خلقة وانما كان مولعا بنتفها كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته وهذا على كثرته قليل فيما قيل فى اللحية (قوله رثة) أى خلقة بالية (أخريات) اطراف وهى جمع أخرى أتى طلحة رضى الله عنه مجلس قوم فجعلوا ينادونه من كل جانب ههنا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس فى أدنى المجلس ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انّ من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجلس (وطابه) زقاق لبنه أراد أنه يظهر ما عنده (يعجب) يجعلهم يتعجبون (بفصل خطابه) يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته وقوله تعالى وفصل الخطاب هو قول الخطيب أمّا بعد (يليه) يلصق به (أبى عبادة) قال البكرى هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد من بنى بحر بن عتود بن عنيس بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهى طيئ شاعر مقدم لا يعدل به أحد يفضل على حبيب والناس فى تفضيلهما على اختلاف قال أبو الفرج الاصبهانى كان البحترى شاعرا فصيحا حسن المذهب نقى الكلام ختم به الشعراء المحدثون وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فانّ بضاعته فيه نزرة قال البحترى وكان أوّل أمرى أنى سرت الى أبى عامر بحمص فعرضت عليه شعرى والشعراء يعرضون عليه أشعارهم فترك من حضر وأقبل علىّ فقال لى حين تفرّقوا أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرّة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وشفع لى اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا لى أربعة آلاف درهم فكانت أوّل مال أصبته وحدّث أبو الفرج قال حدثنى أبو الغوث البحترى عن أبيه قال أوّل أمرى انى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف المعرى فأنشدته قصيدة أوّلها

* أأفاق صب من هوى فأفيق * فسرّ أبو يوسف بها وقال أحسنت والله يافتى وأجدت وفى مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه فوق كل من حضر تكاد تمس ركبته ركبته وينشد بحضرتى فأقبل علىّ وقال أما تستحى منى هذا شعرى تنتحله وتنشده بحضرتى فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علقه منى وسبق به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فقال لى أبو سعيد يافتى قد كان لك فى قرابتك منى ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان أنّ الشعر لى ما سمعته منه ولا انتحلته

وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس فى أخريات الناس ثم أخذ يبدى ما فى وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذى تنظر فيه فقال ديوان أبى عبادة المشهود له بالاجادة

(ترجمة البحترى)

فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت ان يساخ بى فى الارض فقمت منكسف البال أجر رجلى ثم بلغت باب الدار حتى ردنى الغلام فأقبل على الرجل وقال الشعر لك يا بنى والله ماقلته قط ولاسمعته الا منك ولكننى كنت ظننت انك تهاونت بموضعى فاقدمت على الانشاد بحضرتى تريد مضاهاتى حتى عرفنى الامير نسبك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك ودعالى وضمنى اليه وعانقنى وأبو سعيد يضحك فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه واحتذيت فنه وعن أبى الغوث عن أبيه قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فيم مدحتهم فأنشدنى شيأ منه فانشدته فقال لى كم أعطوك فقلت كذا فقال لى ظلموك والله ماوفوك حقك فلم استكثرت ما أعطوك والله لبيت منها خير مما أخذت ثم أطرق قليلا ثم قال لعمرى لقد استكثرت ذلك لما مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت أسواق الادب أنت والله يا بنى أمير الشعراء غدا بعدى فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت والله لهذا القول أسر الى مما وصل الى منهم قال البحترى أنشدت أبا تمام يوما شيأ من شعرى فأنشدنى بيت أوس

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال يا بنى نعيت الى نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا فقال لى ان عمرى ليس يطول وقد نشأ مثلك لطيئ أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنى نعى نفسى الى احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا قط خطيب الامات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ومات البحترى سنة ثلاث وثمانين ومائتين * المبرد ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى تأويلات فبعث الى عامله بالبصرة أن يحملنى اليه مكرها فوردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وفى المجلس البحترى وأبو العنبس الصيمرى فأنشده البحترى قصيدة أولها

عن أى ثغر تبتسم * وبأى حكم تحتكم
حسن يضن بحسنه * والحسن أشبه بالكرم حتى بلغ
قل للخليفة جعفر الـ * ـمتوكل بن المعتصم
المرتضى بن المجتبى * والمنعم بن المنتقم
أما الرعية فهى من * أمنات عدلك فى حرم
يابانى المجد الذى * قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى * بل والغنى بعد العدم

ثم مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال ياسيدى تأمر برده فقد والله عارضته فأخذ ينشد فى ذلك

فى أى سلح ترتطم * وبأى كف تلتقم
أدخلت رأس البحترى * أبى عبادة فى الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلقى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال أبو الفتح يا أمير المؤمنين والبحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع

الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال ويدفع له عشرة آلاف قال وانصرفنا كلنا فى شفاعة الهذلى ولم ينفع البحترى جده وحذقه وأما أبو الفرج فقال حدثنى جحظة عن أبى العنبس الضمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده «عن أى ثغر تبتسم» وكان البحترى من أبغض الناس انشادا يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكفيه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين ويقول لهم مالكم لاتقولون أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ياضمرى مايقول فقلت بلى ياسيدى فرفيه بما أحببت فقال بحياتى اهجه على هذا الروى فقلت على البديهة

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم
يابحترى حذار ويحك من قضاقضة ضغم
فلقد أسلت بوادييك من الهجاسيل العرم
فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
لاصبرنك شهرة * بين المسيل الى العلم
يا ابن الثقيلة والثقيل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبير من الموالى والحشم

وبعد هذا مايقبح ذكره فغضب البحترى وخرج يعدو وجعلت أصيح به

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ومدح البحترى بعض الولاة فتوانى فى حقه فأنشده

ان الامير أطال الله مدته * يعطى من العرف مالم يعطه أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا * من العباد ولا ينسى الذى يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم وقال البيتان خير من القصيدة وقال الهذلى قيل للبحترى ايما أشعر أنت أو أبو تمام قال جيده خير من جيدى ورديئى خير من رديئه وصدق أبو تمام لايتعلق به أحد فى جيده ورديئه اختل لفظه لامعناه والبحترى لايختل لفظه وقيل له قد عثرت باحتذائك أباتمام فى شعرك فقال أيعاب على أن أتبع أباتمام ماعملت بيتا قط حتى أخطر شعره ببالى وذكروا معنى تعاوره البحترى وأبو تمام فقال المبرد للبحترى أنت فى هذا أشعر من أبى تمام فقال لا والله ذلك الرئيس الاستاذ والله ما أكلت الخبز الابه وقال عبد الله بن الحسن سألت المبرد عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر فقال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحترى ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من شعره لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر وهذا المعنى كان أعجب الى الاصمعى وما أشبهه الا بغائص يخرج الدرة والخشلبة وهى زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال لابى تمام والبحترى من المحاسن مالو قيس بأكثر شعر الاوائل ماوجدوا فيه مثله ثم قال والبحترى ضم الشعر وله بيتان لووضعا الى شعر زهير لجاز افيه وهما

فسفاسفه السفيه وان تعدى * بأنجع فيك من حلم الحليم

متى أحفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

وذكر المبرّد فى هذا المجلس شعر الله وقدّمه على نظرائه

واذا ذكرت محاسن ابى صاعد * أدت اليك مخائل ابى مخلد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد

وقوله من شاكر عنى الخليفة للذى * أولاه من فضل ومن احسان

حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث رآنى

و بعدهما أغنت يداه يدى وشرّد جوده * بخلى فأفقرنى بما أغنانى

وله أيضا فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى الاسد فقتله

حملت عليه السيف لاعطفك انثنى * ولا يدك ارتدّت ولا حدّه نبا

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد عنك مهربا

وله فيه وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطى وتحرم

سحاب خطانى جوده وهو مسبل * وبحر عدانى فيضه وهو مفعم

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه أسود مظلم

أأشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وله أيضا فى انتقاض صلح بين عشيرته

اذا ما الجرح رمّ على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب

وللسهم السديد أشد حبا * الى الرامى من السهم المصيب

ومن جيد شعره

ولما التقينا واللوى موعدنا * تبين رائى الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

والبحترى مكثر جدا وديوان شعره نسخ مختلفا بالزيادة والنقص لان شعره لا ينضبط لكثرته قال البحترى كنت أنظم الشعر فى حداثتى وكنت أرجع فيه الى الطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات أن يقصدها الانسان لتأليف الشئ وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه وتقص المعانى واحذر المجهول منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الهجينة وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرا الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تجمع النفس ه جملة الحال أن تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما كرهوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فأعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة (قوله هل

فقال هل

عثرت) معناه اطلعت (لمحته) نظرته (بديع) معنى لم يسبق غيره اليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مما ذكر من صنع البديع فى الثالثة والعشرين والبدع احداث الشئ قبل أن يكون أولا والبدعة ما ابتدع من الدين والبديع المحدث العجيب وأبدع الرجل أتى ببديع من قول أو فعل وأبدع الله الاشياء وابتدعها خلقها بلا مثال (استملحته) وجدته مليحا (يبسم) يبدى بعض أسنانه عند الضحك (لؤلؤ) جوهر شبه به الاسنان وهذا البيت من شعره وقبله

بات نديما لى حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح

فبت أفديه ولا أرعوى * لنهى ناه عنه أو لحى لاح

امزج كأسى بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح

كأنما يبسم البيت وبعده

سحر العيون النجل مستهلك * مالى وتوريد الخدود الملاح

قل لابى نوح شقيق العلا * ومعدن الجود وترب السماح

أعوذ بالفضل الجميل الذى * عودتنى والنائل المستماح

من أن يصد الطرف عنى وأن * أخيب من جدواك بعد النجاح

أشمت حسادى وأحرمتنى * من سيبك المغدق غالى المراح

فهل لانس بان من عودة * وهل لحال فسدت من صلاح

لست على سخطك جلد القوى * ولا على هجرك شاكى السلاح

(قوله المودع) المضمن وأودع الشئ صيره وديعة (استسمنت) حسبته سمينا وطلبت السمانة من هزيل (ورم) دمل والمعنى أنه يرميه بسوء الفهم وقد بين هذا أبو الطيب المتنبى فقال

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

(ونفخت فى غير ضرم) مثل لطلب الشئ فى غير موضعه ولفظ المثل نفخت أو تنفخ والضرم النار (الندر) والنادر الغريب (الثغر) الاسنان (مبسمه) موضع ابتسامه يعنى الفم (الشنب) الماء القليل الجارى على الاسنان ، الجرمى سمعت الاصمعى يقول الشنب برد الاسنان والفم فقلت أصحابنا يقولون حدتها حين تطلع فيراد بذلك حداتها وطراءتها اذا أتت عليها السنون تغيرت فقال ماهو الا بردها. ابن سيده قال الاصمعى سألت رؤبة عن الشنب ماهو فأخذ حبة رمان فأومأ الى بصيصها (ناهيك) كافيك وتقول ناهيك بفلان أى قد انتهى الامر فيه الى الغاية ونهى الرجل من اللحم وانتهى اذا شبع منه واكتفى والنهى الغدير لانه ينتهى اليه ماء الوادى (يفتر) يكشف ويبسم (رطب) أى طرى كما أخرج من أصدافه وفى اللؤلؤ اذ ذاك رطوبة وسطوع بياض فاذا أصابه الهوى ودام عليه صلب واذا تداولته الايدى باللمس وقدم تغير بياضه (الطلع) أول حمل النخلة وهو الفرخ فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الاسنان فى بياضه ثم الاغريض اذا افترق حبه وانما شبه الاسنان بالطلع وهو الفرخ لانه اذا انشق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ويقال له الوليع قال الشاعر

وتبسم عن لؤلؤ كالوليـ ـع شقق عنه الرقاة الجفوفا

عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته قال نعم قوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فانه أبدع فى التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت فى غير ضرم أين أنت من البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد

نفسى الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

الجفوف جمع جف وهو قشر الفرخ ويقال له القيقاو البليلة وهو طيب الريح والرقاة الراقون الى أعلى النخل و(الحبب) تنضد الاسنان وقيل طرائق تظهر فى الخمر عند مزجها بالماء فأما الفقاقيع التى تعلوا الخمر عند المزج فهى الحباب بزيادة الالف قال المتلمس

عقار عتقت فى الدن حتى * كأن حبابها حدق الجراد

وقال آخر حمراء قانية اذا ما شعشعت * يزوالى وجه النديم حبابها

(قوله استعاده) أى قال أعده على (استملاه) طلب أن يكتبه (ايم الله) يمين يحلف به (نجيكم) محدثكم يعنى نفسه (ارتابت) شكت والريب الشك (بعزوته) بنسبته أى بنسبته الى نفسه (دعوته) ادعاؤه أنه من قوله والدعوة بكسر الدال فى النسب وبفتحها فى الطعام (فتوجس) أى أحس وسمع (هجس) وقع وخطر (فطن) شعر (بطن) خفى يريد أنه فهم منهم انهم لم يصدقوه فى ان الشعر له وأنكروا أن يقول مثله (حاذر) خاف (يفرط) يسبق (القريض) الشعر (أساة) أطباء واحدهم آس (القول المريض) الضعيف من قبل راويه (خلاصة) ما خلص منه و(جواهر) الارض مثل الحديد والنحاس وغيرهما فاذا اعرض الجوهر على النار فما كان منه خالصا ازداد صفاء وجودة وما لم يكن خالصا فضحته النار وأظهرت عيبه و(السبك) الاختبار بالنار (تصدع) تشق (غبر) مضى هنا ويستعمل كثيرا بمعنى بقى وهو من الاضداد يقال غبر الشئ غبورا اذا بقى قال الله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين (الامتحان) الاختبار والبحث وهذا المثل من أمثال الفرس ولهذا أبعد مدته حيث قال غبر من الزمان (خبيتى) مكتومى وما خبأته من على وأصل خبيتى الهمز فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء كما قلبت فى خاسية وتقول عرضت الشئ على البيع وعرضته للبيع ان أتيت بعلى خففت الراء وان أتيت باللام شددتها (والحقيبة) وعاء يجعله الراكب خلفه و(الاعتبار) والاختبار واحد (قوله اشدر) أى سبق بالكلام وبادربه (والمنوال) خشبة الحائك يريد ان البيت رفيع الصنعة فى الشعر لم يصنع بيت مثله لان النوب أنواع وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب (سمحت) جادت (قريحة) ذهن (آثرت) فضلت (اختلاب القلوب) امالتها الى تصديقك واتخداعها بما تسديه وهو من الخلب وهو من غشاء القلب وعن أبى عبيدة وغيره قال ثعلب الخلب الذى بين الزيادة والكبد يقال خلبنى حب فلان أى وصل حبه الى خلبى وفلان خلب نساء أى تختلبه النساء وخلاب يختلب الناس أى يذهب بقلوبهم وخلب جمعه خلبة وكله من الخلب قال اعرابى

من كان لم يدر ما حب جعلت له * أو كان فى غفلة أو كان لم يجد

فالحب أوله روع وآخره * مثل الحرارة بين الخلب والكبد

(لؤلؤا) دررا و(النرجس) نوار أصفر فى نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى له ورقة قائمة تشبه به العينان اذا كان فى نظرهما فتور وقد تمادى انكار أدبائنا تشبيه العين بهذا النوار الاصفر المعروف عندنا بالنرجس فاكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لاجل صفرته وان ذكرته لاحد قال وأى صفرة فى العين الا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ويستهجن موضع التشبيه جدا وقد سألت عنه بعض أشياخى فى صغرى وأنا أقرأ عليه كتاب الجمل وكان أديبا شاعرا فانكر وقوع بهذا النور الاصفر وقال لى النرجس عندهم بالمشرق نور يشبه نوار الفول وأكثر من

فاستعاده من حضر واستملاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حى قائله أو ميت فقال ايم الله للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكأن الجماعة ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما هجس فى أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن يفرط اليه ذم فقرأ ان بعض الظن اثم ثم قال يا رواة القريض وأساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا قد عرضت خبيتى للاختبار وعرضت حقيبتى على الاعتبار فابتدر أحد من حضر وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وأنشد فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

(ذكر النرجس وما قيل فيه)

لقيته يستبعد التشبيه بهذا الاصفر لاجل لونه وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى وعلى المعنى دون الصورة وعليهما جميعا وهو أكمل وجوه التشبيه وانظر أقسام التشبيه فى الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره باذن الله تعالى وتشبيه العيون بالسيوف والسهام انما المراد به المضاء والقطع ولا يلتفت فى ذلك الى اللون وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الاصفر اذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن فى التشبيه ألا ترى ابن المعتز التفت الى الفتور وحده حين قال

وسنان قد خدع النعاس جفونه * فحكى بمقلته ذبول النرجس

والنرجس الذى يشبه به أهل المشرق العيون هو نبات له قضبان خضر فى رؤس أقماع يخرج منها نور ينبسط منه على الاقماع ورق أبيض فى وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير هذه الصفة التى تقع فى أشعارهم اذا ذكروا النرجس وبذلك وصفه كسرى أنوشروان فقال النرجس ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرذ أخضر أخذه بعضهم فقال فيه

وياقوتة صفراء فى رأس درة * مركبة فى قائم من زبرجد
كأن بهى الدر عقد نظامها * فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأنشد أبو عون الكاتب فى كتاب التشبيه له فقال من جيد ما قيل فى النرجس ما أنشده المبرد رحمه الله تعالى

نرجسة لاحظنى طرفها * تشبه دينارا على درهم

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه

ترنو بأبصارها اليك كما * ترنو اذا خافت العافير
مثل اليواقيت قد نظمن على * زمرذ فوقهن كافور
كأنها والعيون ترمقها * دراهم وسطها دنانير

(وقال أبو نواس)

لدى نرجس غض القطاف كأنه * اذا ما منحناه العيون عيون
مخالفة فى شكلهن وصفرة * مكان سواد والبياض جفون

أجاد التشبيه وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة وبين مواقع التشبيه غاية البيان وقال أبو عبد الملك بن فرج فى كتاب الحاس والمحسوس له وأحسن بيت أنشدنيه أبو جعفر البغدادى رحمه الله

مداهن در بين أوراق فضة * على قيس شبر أخضر كالزبرجد

وقال أبو الفرج الببغاء

ونرجس لم يعد مبيضه الـ * كأس ولا أصفره الراحا
تخال أحقاق لجين حوت * من أصفر العسجد أقداحا
كأنما يهدى المحيى به * لطفا الى الارواح أرواحا
يغنى عن الورد اذا ما رنا * ويخلف الورد اذا فاحا

وقال ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در بينهن عقيق
اذا بلهن القطر خلت دموعه * بكاء عيون كحلهن خلوق

وقال الشاشي ، أخص الصفات التي * تناولها من كتب
عيون بلا أوجه * لها حدق من ذهب
وقال ابن الرومي يا نرجس الدنياترى أبدا * للافتراج ودائم النحب
ذهب العيون اذا امثلن لنا * درّ الجفون زبرجد القضب
وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التي يصف بها أهل المغرب البهار قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار
حدق الحسان تقرّلي وتغار * وتظل في صفة البهار تحار
طلعت على قضبي عيون كائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بي اذا شبهتني * درّ تمنطق سلكه ويسار
أهدى لنا قضب الزبرجد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار
بين أن البهار عندنا هو الذي تسميه أهل المشرق نرجسا وقال أبو جعفر بن مبرد
تأمل فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع ممدودة من زبرجد
(وقال القسطلي)
بهار يروق بمسك ذكى * وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت * بها فضة نورت بالذهب
(وقال القاضي أبو الحسن بن لبال)
وبهار يحكي كؤس لجين * حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى * سمرت وسطها كواكب عسجد
(وأنشدني بعض أشياخنا)*
انظر الى حسن البهار وغنجه * يرنو اليك بمقلتي وسنان
فكأنما هي راحة من فضة * قد ضمنت كأسا من العقيان
وكأن نشر نسيمه غب الندى * يأتيك بالانفاس من بغدان
والذي تسميه أهل المغرب نرجسا تسميه أهل المشرق بهارا ولذلك قال الحريري في العاشرة ووردتي بالبهار دعا فيها على الغلام بالحمى وأن ينعكس حمرة خده صفرة وقال حبيب في ذلك
ان وجه الحبي لوجه صفيق * حين تسطو به نهارا جهارا
لم تشن وردوجنتيه ولكن * صيرت وردوجنتيه بهارا
وبلون النرجس يشبه أهل الاندلس المريض وقال أبو بكر الابيض
يا شاكيا صدني عن مسه ألمي * طال اشتياقي به ليلا فلم أنم
تضاءل الدهر اشفاقا على قمر * رقيبه في سماء المجد والكرم
لم أرض قلبي مكانا اذ حللت به * حتى خلطتك في سودائه بدمي
أنت البهار ولا أدرى متى خلعت * عليك أيدي الليالي نرجس السقم

ولابن الزقاق
وغزال ذى اعتدال شفه * بعد ماشق هواه الانفسا
جارت الحمى على وجنته * فاستحال الورد منه نرجسا

فثبت بما قدمناه ان نرجسهم بهارنا وان بهارهم نرجسنا وآكد ما يدل على صحته اشتراك البيت الذى أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن برد فى لفظ واحد أخذا بن برد منه صفة النرجس فقلبه لاسم البهار حين نظمه واعلم ان تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقهم بالصورة وان تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى وهو مع ذلك متمكن فى باب التشبيه وان اسم النرجس لابد فيه من صفرة وقد قال شاعر من المشرق وهو أحمد بن يونس الكاتب فى مناقضة ابن الرومى فى تفضيله النرجس على الورد

ان كنت تنكر ماذكرنا بعد ما * قامت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

فلولا ماذكرنا من أشعارهم لحكمنا بهذا البيت على ان نرجسهم هو نرجسنا ومذهب ابن الرومى فى تفضيله على الورد وهو القائل

وأحسن ما فى الوجوه العيون * وأشبه شئ بها النرجس

والنفوس تتشوق الى رؤية نرجسهم لانا لم نعلم نرجسا غير هذا الاصفر حتى نعلم بما ذكرناه أنه هو النوار المعروف وهم أيضا يتشوقون لمنظر نرجسنا ويدل على ذلك حكاية القاضى الفقيه أبى الحسن بن اللبان قال خرجت عشية لخارج اشبيلية أيام حداثتى وقراءتى بها فجلست فى وسط واديها وبيدى كتاب أنظر فيه واذا رجل يحملق حوالى فاذا نظرت فى الكتاب يأخذ ينشد للاشعار التى بين أيدينا نظائر من بديع الشعر فذاكرته فوجدته بحر أدب فسألته عن محفوظه فقال أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر فسألته هل تنظم شيأ فأنشدنى فى وصف فرس وزعم أنه قائلها

منع الحوافر أن يطئن به الثرى * فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه توافق طرفه * فتكاد تسبقه الى ما يرمق

فاستعدت بيته وراجعته فى قوله يطئن فقلت له انما هو يطأن فلم يعرف اللفظ وانما تكلم بلاهمز على لحن عامته بجربته فى غيره فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ لا من جهة العلم فسألته عن بلاده فقال أنا من العراق فقلت له فما السبب الذى جاء بك الى الاندلس فقال لى لأرى النرجس الاصفر المذكور فى أشعاركم عيانا ودعانى الى الاطالة فى ذكر النرجس رغبة أن أرفع عن غيرى حيرة الشبهة التى أقمت فيها زمانا طويلا لا أجد من يرفعها عنى والبيت الذى اقتضى النظم على أسلوبه هو لابى الفرج الغسانى الدمشقى المعروف بالواوا ذكره أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال أبو الفرج من حسان الدهر وصاغة الكلام ومن عجائب أمره أنه كان مناديا بدار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه وما زال يشعر حتى جاد شعره ووقع له ما يروق ويشوق ويفوق حتى تعلق بالعيوق وقال الفتح بن خاقان انى انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت مجلسى لقيت خلافة جاريتى فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت ما بين شفتيها هواء لو رقد المحموم فيه لأفاق وهذا مستظرف من كلام الفتح فقال الواوا مما به

سقى الله ليلا طاب اذ زار طيفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المحموم فيه أفاقا

وله أيضا
بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما ضرلو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وله في النحول) وما أبقى الهوى والشوق مني * سوى روح تردد في خيال
خفيت عن العواذل أن تراني * كأن الروح مني في محال

(وله في الزرقة) يامن هو الماء في تكوين خلقته * ومن هو الخمر في أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمي * والسيف مافخره الا بزرقته
علمت انسان عيني أن يعوم فقد * جادت سباحته في بحر دمعته

وله أيضا
تملكت يا مهجتي مهجتي * وأسهرت يا ناظري ناظري
وما كان ذا أملي يا ملول * ولا هجس الهجر في خاطري
فجد بالوصال فدتك النفوس * فلست على الهجر بالقادر
وفيك تعلمت نظم القريض * فلقبني الناس بالشاعر

*(وله من قصيدة)

يقمن لنا برق الثغور أدلة * اذا ماضل المنا في ظلام الذوائب

قال ومن بديع تشبيهاته قوله فأمطرت لؤلؤا من نرجس البيت ثم قال هذا البيت ضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه وذكر المتنبي منها أربعة فأجاد وهي ما ضمنها قوله رحمه الله

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمس تشبيهات في بيت واحد ولا يقدر أحد على أكثر منه اذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الاسماء أكثر من ذلك قال

خلوت بها والكاس ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * وهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كأني وهي والكاس والخمر والدجى * ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

وقبل بيت الواوا

انسية لو بدت للشمس ما طلعت * للناظرين ولم تغرب على أحد
قالت وقد فتكت فينا لواحظها * ما ان أرى لقتيل الحب من قود
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة * قوموا انظروا كيف فعل الظبي بالاسد

(وأول القصيدة)

لما وضعت على صدري يد اليد * وصحت في الليلة الظلماء وا كبدي

وقال أيضا
أتاني زائرا من كان يبدي * لي الهجر الطويل ولا يزور
فقال الناس لما أبصروه * ليهنك زارك القمر المنير

فقلت لهم ودمع العين يجري * على خدي له درنثير
ولو نصبت رحى بازاء عيني * لكانت من مدامعها تدور

(قوله لمح البصر) يعني نظر العين الى الشئ بسرعة ثم يغيب عنه بسرعة وأصل البصر الادراك بالعين (أغرب) أتى بغريب (نضو) كشف (القانى) الاحمر (ايداع سمعي) اعطاه اذني كأنه جعله وديعة عنده (زحزحت) أزالت (الشفق) حمرة الشمس بعد الغروب (غشى) غطى (سنا) ضوء (عطر) فوّاح طيب التنفس وبيت الحريري في صنعة البديع فائق وان لم يأت بعدد تشبيهات بيت أبي الفرج وبيانه ان أبا الفرج يصف امرأة باكية فيقول انها نثرت دموعها على من قتلت من عشاقها فسقطت على خدها فبلته بدموعها وعضت على أصابعها المصبوغة بالحناء باسنانها فجعل البيت كله استعارة فقال فأمطرت لؤلؤا وهو يريد بكت دمعا وذكر نرجسا ووردا وهو يريد عينا وخدا وذكر عنابا وبردا وهو يريد أناملا وأسنانا فضمن تحت ألفاظه هذه المعاني وزاد فائدة التشبيه وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر فقابل الحريري هذا بقوله فزحزحت شفقا وهو يرى نقابا أحمر وذكر سنا القمر وهو يرى ضوء وجهها وذكر لؤلؤا من خاتم وهو يريد كلاما من فم والبيت الثاني في مقابلة بيت أبي الفرج والاول توطئة له وهو يصف امرأة زارته منتقبة فسألها أن تكشف عن وجهها وتحدثه فأزالت نقابها وأسمعته كلاما حسنا من فم عطر واللؤلؤ يشبه به الاسنان في مثل قوله كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب وقوله يفتر عن لؤلؤ رطب ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري *ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه , وقول الحريري وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر ويشبه به الدمع كقول الواوا فأمطرت لؤلؤا وهو كثير ومن أحسنه قول الشاعر

ولما وقفنا للوداع ودمعها * ودمعي يثيران الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي * عقيقا وصار الكل في نحرها عقدا

(وقال ابن عبد ربه)

وكأنما غاص الاسى بجفونها * حتى أتاك بلؤلؤ منثور

فأخذه الزيادي فحسنه فقال

ولم أر أحلى من تبسم أعين * غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنا

قال فوقعت استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وانما هو للثغر بسبب توسط اللؤلؤ الذي هو للعيون والثغور فقبل المعنى والحذاق يتحيلون في أخذ المعاني بترك القافية والوزن كقول ابن شهيد

ولما فشا من دمعنا بعض سرنا * الى كاشحينا والقلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجري مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تلمعن حتى ما يروق المباسم

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن

ونبئت أقواما تجيش صدورهم * علي واني منهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولي فاسمعت صمهم * وغاصوا على سري فأعياهم أمري
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق ليمن الله ما ندري

فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب
سالتها حين زارت نضو برقعها الـ* قاني وايداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فمن شاء فليحسبر فانى لحاضر * ولاشئ أجلى للشكوك من الخبر

ويظر الى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه الى الانتحال قصة أبى بكر بن تقى حين استهدى بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبابكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه

يزهى بها الطرس حسنا ماتثرت به * مسك المداد على الكافور من ورقه

(فأجابه أبو بكر بن تقى فقال)

أرسلت تحوى ثلاثا من قنى سلب * ميادة تطعن القرطاس فى ورقه

فالخط ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فسده عليها بعض من سمعها ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلى * لمارماه بمثل النبل فى حدقه

فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه

مادام شعرى وأيم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه

الشعر يشهد أنى فى كواكبه * بل الصباح الذى ينشق فى أفقه

وخرج السلامى الى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ فوجد بها أباعثمان الخالدى وأبا الفرج الببغاء وأبا الحسن التلعفرى وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه فى شعره فقال الخالدى أنا أكفيكم أمره فاتخذ دعوة وجمع الشعراء والسلامى معهم فلما توسطوا الشراب أخذ فى التفتيش عن قدر بضاعته فجاء مطر شديد وثلج وبرد عم الارض كثرة فألقى أبو عثمان الخالدى نار نجا بين أيديهم على ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف ذلك فقال السلامى ارتجالا

لله در الخالدى الاوحد الندب الخطير

أهدى لماء المزن عند جوده نار السعير

حتى اذا صدر العتا * ب اليه من حنق الصدور

بعثت اليه بعذره * من خاطرى أوفى السرور

لا تعذلوه فانما * أهدى الخدود الى الثغور

فامسكوا عنه عند ذلك واعترفوا له بالفضل الا التلعفرى فانه أقام على قوله فيه حتى قال السلامى فيه

ياشاعرا بشعوره لم يشعر * ماكنت أول طالب لم نظفر

لوكنت تعرف والدا تسمو به * لم تنتسب صفة الى التلعفرى

تاه ابن فاتقة الفسوق على الورى * بقذال صفعان ونكهة أبخر

وبلادة فى الشعر تعلم أنه * ...يس ولو قصرت بطبع البحترى

وقال فيه

سما التلعفرى الى وصالى * ونفس الكلب تكبر عن وصاله

شأى خلقه خلق وتأبى * فعالى أن تضاف الى فعاله

... اللطفة فى لسانى * وصنعته الخسيسة فى قذاله

فما هو من رجالى * وان يصفع فما أنا من رجاله

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة أن صاعدا اللغوي متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر فأدخلت عليه يوما باكورة وردة لم تفتح أكمامها فقال فيها صاعد ارتجالا

أتتك أبا عامر وردة ، يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وقال ان هذين البيتين لغيره وأتى مجلس ابن برد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال

عشوت الى قصر عباسة وقد صرع النوم حراسها

أبياتا ضمن فيها البيتين فكتبها ابن العريف بخط بصري وصار بها الى المنصور فاشتد غيظه وقال غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فأخذ طبقا فيه ضروب من الانوار وعليه جوار ياسمين على بركة ماء حصباؤها الدر والجوهر ودعاه في مجلس حافل وقال له هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدم بين يدي ملك قبلي فصفه فقال على البديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها عامر الحيا ـ حليا فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت • عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا ؛ تظللها بالياسمين السقائف
فلم ترعيني في البلاد حديقة تنقلها في الراحتين المناصف

والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة وخرج معه الى أرض الزهر فعدّ بيده الى شيء من الترنجان يعبث به ورمى به الى صاعد معرضا بأن يصفه فقال

لم أدر قبل ترنجان عبثت به ، أن الزمرذ قضبان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * يا قوم حتى من الاشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق
من ليس يقعد عن سودد كرم ـ ولا يقوم له في سوأة ساق

وله أيضا

بعثت اليك من خيري داري ـ محزمة كألوان العقيق
توكل بالعكوف على التصابي وتصطاد الخليع من الطريق

(قوله لبداهته) أي لارتجاله وانشاده من غير فكرة ويقال بدهه بدها وبديهة وبداهة اذا فجأه وبدهه في كلامه اذا لم يتفكر فيه وفلان حسن البديهة والبداهة أي الارتجال والقول من غير تفكر وهو عندهم مما يمدح به وان كانت الاصابة غالبا في الروية واطالة الفكرة كما قال عبدالله ابن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له دعوا الرأي حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم أمرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآة تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة قال ابن الرومي

ان الروية نار الجد منضجة ، وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضي مع الريح

وقال أشجع في جعفر بن يحيى

قوله وعليه جوار الخ كذا في الأصل الذي بأيدينا ولعل فيه سقطا يظهر من الابيات بعده فتأمل وحرر اه مصححه

فأر الحاضرون لبداهته

يريد الملوك مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنى ، ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجمع
وقال فيه بديهته وفكرته سواء * اذا التبست على الناس الامور
وقال ابراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل
يقضي الامور على بديهته * وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها ، فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوما بعض دواوينه فرأى غلاما جميل الصورة على أذنه قلم فقال من أنت يا غلام فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل بخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون أحسنت يا غلام وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان (قوله بنزاهته) أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر (آنس) أبصر (استئناسهم) أنسهم وتركهم الانكار (طرفة) نظرة وقد طرف يطرف طرفا اذا حرك جفنيه بعد النظر (دونكم) اغراء ومعناه خذوا حذركم واسمعوا (جد) تحقق (البين) الفراق (بنان) أصابع (الحصر) المنقطع عن الكلام عيا (ليل) أراد به نقابا أسود (صبح) وجه (أقلهما) رفعهما (غصن) قد (ضرست البلور) الاسنان والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يريهم استئناسا بأنه غير مدع في الشعر ودل على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما وهو قد أدرج معنى زائدا في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره وذلك أنه لما لم يستوف مقابلة بيت أبي الفرج مرة ببيتيه المتقدمين استوفاها في هذا البيت الثاني لانه قابل أمطرت بساقطت واللؤلؤ باللؤلؤ والنرجس بالخاتم وهما العين والنم وجرة الخد بسنا القمر وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج وعضت على العناب بالبرد فقابله في هذا البيت بقوله وضرست البلور بالدرر وجعلها تعض على أصابعها وهي بيض لانه يصف امرأة شعرت بفراق أحبابها فتركت الزينة واستعمال الحناء فلما حان فراقهم لبست ثياب الحزن وأقبلت تودعهم تلهفا وتندما على فراقهم ووصف الاصابع بالبين والصبغ وذلك مذكور في العاشرة وجعلها لابسة السواد لان أهل المشرق يلبسونه لحزنهم وأهل الاندلس يلبسون البياض لحزنهم قال الشاعر

ألا يا أهل أندلس فطنتم ، بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا * وجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ، ولا حزن أشد من المشيب

وأنشد أبو عثمان الاسابدي في أبيات المعاني له

أرعت مرائع صدراها على عجل * صوبين ان أفرد المربع أبدا
واستبدلت من رياض الحزن موبقة ، ثوب الامير الذي في ماكه قعدا

عنى بمرائع صدراها شعرها وبصوبين مقصا حلقته به وبرياض الحزن ثيابا ملونة وبثوب الامير ثوبا أ [illegible] سواد وعارض ابن لبال الحريري في أبياته فقال

رمدا مسعى ، تنهل بالدمع الطليق

واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى الشعب اكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد
وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فبكت فأذرت أدمعا * في صفحة الخد الانيق

ومضت تعض بنانها * بين التلهف والشهيق

فرأيت درا ساقطا * من نرجسين على شقيق

ورأيت مبيض اللجين يعض محمر العقيق

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري المتقدم

يابأبي ظبي اذا مارنا   أثخن قلبي وفؤادي جراح

يفتر عن طلع وعن جوهر   وفضة أوحبب أوأقاح

فزاد عليه بوصفين وبما يناظر ماتقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف

وكأنما أثر الدموع بخدها * طل تساقط فوق ورد يانع

عذب الفراق لنا قبيل وداعنا   ثم اجترعناه كسم ناقع

وقال ابن الرومي   لو كنت يوم الوداع شاهدنا * وهن يطفئن غلة الوجد

لم تر الا دموع باكية * تسفح من مقلة على خد

كان تلك الدموع قطرسي   يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشي   بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لبعد الديار

كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال أبو نواس)

تقول غداة البين احدى نسائهم   أفي الكبد الحراء قسر ولي الصبر

وقد غلبت عبرة فدموعها   على خدها جر وفي نحرها صفر

يقول لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به حمرا ولون نحرها أصفر عاجي كما قال ذو الرمة

كأنها فضة قد مسها ذهب * فصار فيها اللون الدمع صفرته

وقيل للعباس بن محمد مالون الماء فقال لون انائه ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية تذكرت ما قال أبو عثمان الناجم في جارية رأى عليها ثوبا أزرق

ماتعقت قبول حين جلت زيا شبيها بوجهها ذي الضياء

لبست أزرقا فجاءت بوجه * يشبه البدر في أديم السماء

ولابي جعفر بن بردفي غلام بدا له في ثوب لازوردي فقال

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر

كبرت من فرط الجما   ل وقلت ماهذا بشر

فأجابني لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي

وبنفسجي الثوب قد * كمل محبه من حاله

الآن صرت البدر اذ * ألبست ثوب جماله

(قوله استسقى) أي استعظم وقد سنو الرجل وسناشرف وعظم (ديمته) كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع أو يريد بها قطعه التي عنده بما شاء من الشعر وأصل الديمة المطر الدائم واستغزروها

فينئذ استسنى القوم ديمته
واستغزروا ديمته

كثروها ووجدوها عزيزة (أجاوا عشرته) أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل (جاوا قشرته) أى حسنوها من لفظ الجمال أو يكون معناه جاوا من جملت الحساب وأجملته أى جمعته فكأنهم جمعوا له شيأ وكسوه وقشرته ثوبه لانه قدم أن هيئته كانت رثة فاحتاجوا أن يكسوه (تلهب جذوته) اشتعال جمرته واتقادها وأراد حدة ذهنه والجذوة النار فى طرف العود (تألق) لمعان (جلوته) ما جلاه وكشفه من وجهه وتقول جلوت العروس جلوة اذا أزلت نقابها وأظهرت وجهها والجلوة بالكسر هيئة جلوه حين يجلى وأراد بتألق جلوته بريق وجهه (أمعنت) بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الارض اذا أبعد الذهاب فيها (توسمه) تطرسمائه وهى علامته التى يعرف بها ويريد أنه أدام النظر فى نعوته (سرحت الطرف) أرسلت العين بالنظر وأصل الطرف تحرك العين عند النظر تقول طرفت العين طرفا والعين الجارحة والبصر ما تدركه بنظرها ثم سميت العين طرفا لذلك و(ميسمه) علامته (أقمر) ابيض فصار مثل لون القمر (الدجوجى) الشديد السواد وأراد نبات شعره الاسود (قوله بموروده) أى بقدومه واتيانه تقول ورد علينا فلان اذا قدم عليك من بلد آخر والمورد مصدر ورد وهو بمعنى الورود لانه قدم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعا ولا يجد عنه مخبرا حيث قال واستترعنى حينا فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدومه وهنأ نفسه على ذلك (استلام) تقبيل اليد ابن الانبارى استلم الحجر معناه أخذه ومسه بيده واستلم افتعل من المسالمة يريد أخذ الحجر وضمه اليه أو يكون استفعل من اللأمة وهى السلاح يريد أنه حصن نفسه بمس الحجر من العذاب لان السلاح انما يلبس ليمتنع به ويتحصن (أحال) غير (حليتك) صفتك ولذلك احتاج أن يمعن النظر لما تغيرت صفاته التى كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة فلما رآه قد شاب شعره وتغيرت صفاته لم يعرفه الا بعد طول تأمل وقال الحلوانى القيروانى

ولرب باكية رأت فى لمتى ◦ وخز المشيب تألقت ضحكاته
قالت أغصنا قد علاه فلا أرى * زهر الرياض ونورت ورقاته
فأجبتها قارعت فى جنب الهوى * صرف الزمان وهذه نكباته

(ولابن الجد)

نكرت نحولى وهو من فرط الاسى * لفراق اخوان على كرام
وتعجبت للشيب لا تتعجبى * هذا غبار وقائع الايام

(قوله فأنشأ يقول) أى ابتدأ

(وأنشدوا)

أنشأت تطلب ما تغير قد تناشبت الاظافر

أى ابتدأت تطلب (الشوائب) أصله ما يقع فى الماء الصافى من الاقذاء فيكدره فأراد ان أنكاد الدهر شيبته و(قلب) كثير التقلب فيحول من حال الى حال (دان) طاع وانقاد (يتقلب) يتحول عن الطاعة (وميض) لمع خفى (خلب) خداع لا ماء فيه وأراد لا تثق بالدهر اذا ما كسبت فيه شيأ من المال فانه يحول عليك ولا يترك لك منه شيأ (أضرى) أغرى وألصقها بك وأصل أضرى من ضراوة الكلب تقول ضرى الكلب بالصيد اذا تعلم الصيد وأضريته أنا بمعنى عرضته للصيد لامور الشداد و(ألب) حشد أى اصبر للشدائد اذا أضراها الدهر بك وحشدها

وأجاوا عشرته وجاوا قشرته (قال المخبر بهذه الحكاية) فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر فى توسمه وسرحت الطرف فى ميسمه فاذا هو شيخنا السروجى وقد أقمر ليله الدجوجى فهنأت نفسى بموروده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذى أحال حليتك حتى جهلت معرفتك وأى شئ شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب
والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص
ففى غد يتقلب
فلا تثق بوميض
من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو أضرى
بك الخطوب وألب

فما عليك في ذلك عيب كما ان الذهب يسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر و (التبر) الذهب قبل سبكه وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والاربعين

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى ... ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وزاد الآخر في المعنى فقال

اني أنا الذهب الحمى ومختبري ... يزيد في السبك للدينار دينارا

وأنشدوا

اصبر على نوب الزما ... ن فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن تارة ... لا الحزن دام ولا السرور

(شرح المقامة الثالثة وهي الدينارية)*

(نظمني) أي جمعني (أخدانا) أي أصحابا (ناد) مجلس (مناد) متكلم (كبا) شح ولم يبد نارا (قدح) ضرب (زناد) حديدة النار وزناد العرب من خشب وأكثر ما يكون من المرخ والعفار وانما هو أن يؤخذ عود قدر شبر فيثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحد طرفه ويجعل ذلك في الثقب وقد وضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدي النار فالاعلى زند والسفلى زندة والزناد جمع زند (قوله ذكت) أي اشتعلت (عناد) خلاف يريد أن هؤلاء الاصحاب لحسن أدبهم ومناظرتهم ليس بينهم خلاف وهم علماء لا يسقط من كلامهم شئ وليس فيهم جاهل فيكون كلامه قليل الاصابة و (الاناشيد) ما يتناشدونه من الاشعار بينهم كأن واحدها أنشودة وتجاذب أطرافها يريد المشاركة في انشادها أي اذا أنشد أحدهم شعر الغريب به شاركوه في انشاده لحفظهم الاشعار فكأنهم تجاذبوه كما يتجاذب باطراف الثوب و (الاسانيد) الاخبار المسندة الى أهلها وأصل (التوارد) مزاحمة الابل على شرب الماء فجعل مشاركتهم في ضبط غرائب الاخبار كتوارد الابل على الماء و (الطرف) الغرائب والطرفة الشئ العجيب من كل شئ الذي لا يوجد له نظير (سمل) ثوب خلق وأكثر ما تقول العرب ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع لانه قطع متفرقة وسمل قليل وفي تبذل اللباس روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي بما لبس (قزل) عرج (قوله يا أخاير الذخائر) الاخاير جمع أخير كما يقال أكبر وأكابر والمستعمل خير وشر ولا يقال أخير ولا أشر الا شاذا وان كان هو الاصل لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الاصل لانه يرد الشئ الى أصله وقال رؤبة

* بلال خير الناس وابن الاخير *

فنطق بالمستعمل لشهرته وباصله وهو قليل فاذا تعجبوا من ذلك قالوا ما أخير فلانا وما أشر فلانا والذخائر جمع ذخيرة وهي الشئ النفيس الغالي يصونه الانسان ويعتده لزمانه (البشائر) جمع بشارة وقد بشرت الرجل بشارة اذا أدخلت عليه السرور و (العشائر) جمع عشيرة وهي قرابة الرجل من قبيلته يقول أنتم أرفع الذخائر وخيرها وأنتم يستبشر من لقيكم برؤيتكم ويتيامن بلقائكم ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ليستعطفهم بهذا الكلام (عموا صباحا) دعاء لهم بالنعمة في الصباح أي جعلكم الله تنعمون في صباحكم وعموا أمر من وعم يعم وهي في معنى نعم ينعم (وأنعموا اصطباحا) أي طاب شربكم في الصباح وتنعمتم به والاصطباح أن يصطبحوا وهم يشربون (ندى) مجلس اجتماع أي هو شريف يقعد

فما على التبر عار في النار حين يقلب ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

(المقامة الثالثة الدينارية)

(روى الحرث بن همام) قال نظمني وأخدانا الى ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب أطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندى

ويجتمع عنده (ندى) كرم (جدى) عطية (العقار) المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور والارضين (قرى) جمع قرية (مقار) جفان يقرى فيها الاضياف أى يطعمون فيها و (القرى) طعام الضيف (قطوب) عبوس (الخطوب) الشدائد (الحروب) القتال (الكروب) الهموم قال النبى صلى الله عليه وسلم مما أعلم انه لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت الآية ومن كلام ابن المعتز الحوادث المحضة مكسبة لحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر واذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة بغيره لولا حوادث الايام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام وقال أبو تمام

والحادثات وان أصابك بؤسها   فهو الذى أنباك كيف نعيمها

(الحسود) المتمنى اهلاك مالك واذا رأى لك خيرا تمنى ازالته يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه وقلما يوجد الذى يرمى بالعين الا حسودا (انتياب) نزول وقصود (النوب) النوازل (قوله صفرت) أى خلت من الدراهم (الراحة) باطن الكف (قرعت) خلت من المال وصارت قرعاء و (الساحة) فناء الدار والساحة عند العرب الرحبة التى تحلق بها البيوت وأراد انها خلت من الابل والبقر والغنم وغير ذلك (غار المنبع) جف الماء النابع والمنبع موضع النبع (المربع) المنزل فى الربيع و (نبا) بأهله وجدوه نبوة أى ارتفاعا غير وطى فلم تمكن الاقامة فيه (أقوى) خلا المجمع موضع الاجتماع (أقض) خشن وصار فيه القضض وهى الحجارة و (المضجع) موضع رقاده وأخذه من قول أبى ذؤيب

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا   الا اقض عليه ذاك المضجع

وكنى بهذه الالفاظ عن تغير الاحوال وذهاب المال وساق الكلام مساق حكايات الاعراب منها أن أعرابيا وقف بقوم فقال أشكو اليكم أيها الملأ زمانا أناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اصمانى جديداه بنبل مصائبه عن قسى نوائبه فما ترك لى راغية أجتدى ضرعها ولا ثاغية أرتجى نفعها فهل فيكم من معين على صرفه أو معد على حتفه وقد ذكرنا منها جملة فى الثالثة والثلاثين وحكى أبو على فى نوادره حكاية عن أبى زيد اللغوى على لسان اعرابى يشبه كلام الحريرى هنا فى سياقه وكثير من الالفاظ فيقول ان المنبع الذى كنا نعيش به نضب وأموالنا قد ذهب فهلكنا بذهابه والمربع وهو موضع الخصب صار نبوة لا ينبت شيأ فلم تجد الابل ما ترعاه فهلكت واذا هلك المال هلك صاحبه والمجالس التى كنا نجتمع فيها هلك أهلها فخلت ومضجعنا الذى كان موطأ بالفرش أقض فامتنع من الاضجاع عليه (قوله استحالت) تغيرت (وحال) الرجل ما هو عليه من خير أو شر أو غنى أو فقر والحال أيضا المال (أعول) بكى و (عيال) الرجل من يفتقر اليه فى مؤنته ونفقته واحدهم عيل (المرابط) المواضع التى تربط فيها الخيل وتحبس (الغابط) الذى يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شئ (أودى) هلك (الناطق) المال من الحيوان مثل الابل والبقر والغنم وكل ما يملك من ذى روح سميت بذلك لاصواتها والناطق كا ... ١٠٠١ ... (الصامت) الذهب والفضة والمتاع (رثى) بكى وأشفق (الشامت) الذى وهو ادخال السرور عليه بالدعاء وقد شمت به شماتا وشماتة

ندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فأزال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت

فهو شامت اذا سر ببلاء ينزل بهم (الحاسد) هو الحسود والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والارض أما فى السماء فحسد ابليس آدم وأما فى الارض فحسد قابيل هابيل وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس انهما قابيل وابليس فالحسد حمل ابليس على الكفر وحمل قابيل على قتل أخيه وقال على رضى الله عنه لا راحة لحسود ولا أخ لملول ولا محب لسيئ الخلق وقال رجل لخالد بن صفوان انى أحبك قال وما يمنعك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد أن الحسد وكل بالادنين الحسن البصرى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم وغيظ لا تنفد معاوية كل الناس أقدر على أن أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها المبرد حدثنا الزيادى قال يقال ستة لا تخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط أهل الادب وليس منهم قال الاصمعى اجتمع ثلاثة حساد فقال أحدهم لصاحبه ما بلغ حسدك قال ما اشتهيت أن يفعل بمسلم خير قط فقال الثانى أنت رجل صالح ولكنى ما اشتهيت ان يفعل بى خير قط فقال الثالث ما فى الارض خير منكما ولكنى ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط قال وأنشد الشاعر

كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر

نهانى حلمى فما أظلم * وعز مكانى فما أظلم

ولا بد من حاسد قلبه * بنور ما ترنا مظلم

رحمت حسودى على أنه * يعذب بى ثم لا يرحم

فقانا الحسود ولسنا كما * يقول ولكن كما يعلم

وقال اليمانى

انى لأرحم حاسدى لفرط ما * ضمنت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار

لا ذنب لى قد رمت كتم فواضلى * فكأنما برقعتها بنهار

(قوله رثى لنا الحاسد والشامت) قال النبى صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثا غنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل وفقيها يلعب به الجهال قال الشافعى خمسة مرحومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل وقال الشافعى ومن حديث واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك فأخذه الحريرى من قول الآخر

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

ومغرم توقد احشاؤه * بالنار الا أنه ساكت

رق فما فى جسمه مفصل * الا وفيه سقم نابت

يرثى له الشامت مما به * يا ويح من يرثى له الشامت

(قوله آل بنا) أى رجع بنا وقد آل يئيل ويؤول أى رجع (الموقع) المهلك من أوقع به ويحتمل أن يريد

ورثى لنا الحاسد والشامت
وآل بنا الدهر الموقع والفقر

بالموقع الذي يحمله على الوقع ورجل موقع اذا اشتكى ألم رجليه (المدقع) الملصق بالدقعاء أى التراب أى لم يترك للانسان شيأ يبسطه غير التراب (احتذينا) انتعلنا (الوجى) توجع باطن القدمين من الحفاء يريد أنه لبس مكان النعال الحفاء حتى توجعت قدماه (الشجى) مايعرض فى الحلق وكنى بهذا عن سوء الحال لان الشجى ليس بغذاء انما هو مشقة وتعب ولكن بالغ فى وصف سوء حاله فقال انه يتعلل مالا يتعلل ويغتذى ماليس بغذاء أى ليس ثم انتعال ولا غذاء (استبطنا) أى جعلناه فى بطوننا (الجوى) فساد الجوف و(الاحشاء) اسقاط الجوف وما حشى به (الطوى) الجوع وقد طوى يطوى لان الاحشاء اذا امتلأت من الطعام انتشرت واذا افرغت منه انطوى بعضها على بعض و(السهاد) امتناع النوم من قول الشاعر

مالعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نائيا عن وسادى

(استوطنا) سكنا واتخذناه وطنا (الوهاد) ما انخفض من الارض (استوطأنا) وجدناه وطيأ (القتاد) شجر له شوك شديد يسمى عند ناحض الامير (الاقتاد) خشب الرحال يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيأ (الحين) الموت (المجتاح) من لفظ الجوائح يريد به المستأصل للاموال (استبطأنا) وجدناه بطىء المجىء (المتاح) المقدر يريد أن يوم موتهم تمنوه لشدة ما قاسوا وأبطأ عليهم (آس) طبيب بطب علة الفقر والجمع الاساة (سمح) كريم و(المواسى) المعين وذكر عاصم فى شرح قوله يواسى فى كريهته أخاه ان معناه جعله اسوة لنفسه فواس من الاسوة كأنه يشاركه فى ماله ويقال آسيته وواسيته والاصل الهمز المفضل معنى فلان يواسى فلانا يشاركه والمواساة المشاركة وآساه شاركه فيما هو فيه مورج مايواسيه أى مايصيبه بخير أى أصلا غيره معناه يعوضه من مودته وقرابته شيأ من الاوس وهو العوض قال الشاعر

فلاره بنك شقصا أوساأويس من الهبالة

والهبالة اسم ناقة أى أرميك بسهم يكون عوضا عن الناقة وكأن أصله يؤاوسه فقدموا السين وهى لام الفعل وأخروا الواو وهى عينه فصار يؤاسوه فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها فهو من المقلوب وان جعلته من أسوت الجرح اذا اصلحته فلا قلب فيه (قوله فو الذى استخرجنى من قيلة) قيلة هى أم الاوس والخزرج وهى بنت الارقم الغسانية وانتسابه لها كانتسابه قبل الى أقيال غسان (أخاعيلة) صاحب فقر قال تعالى وان خفتم عيلة أى فقرا وقال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة (بيت ليلة) قوت يبيت عليه ليلة (أويت) أشفقت وحننت (مفاقره) جمع فقر على غير قياس ومثله مذاكير الرجل جمع ذكر ومحاسنه ومساويه (لويت) انعطفت (استنباط) استخراج و(الفقر) فى النثر فواصله وهى مثل القوافى فى النظم والفقر ما تقدم فى المقامة من الكلام المقفى (أبرزت) أظهرت (حتما) واجبا يريد أنه دالى أن يحقق ما تقدم من الفصاحة فى فقره ان كانت له أو انتحلها فسال ليختبره امتدح هذا بشعر (فانبرى) أى اعترض وتقدم (انتحال) ادعاء منه فى شعر غيره يقال انتحل كذا من نفسه وجعله كالملك لما أخذ من النحلة وهى الهبة والعطية (قوله اكرم به) معناه ما (راقت) أعجبت (جواب آفاق) قطاع بلاد (تراءت سفرته) بعدت غيبته وسمى السفر

المدقع الى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حرآس أو سمح مواس فوالذى استخرجنى من قيلة لقد أمسيت أخاعيلة لا أملك بيت ليلة (قال الحرث بن همام) فاويت لمفاقره ولويت الى استنباط فقره فأبرزت دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد فى الحال من غير انتحال اكرم به أصفر راقت صفرته جواب آفاق ترامت سفرته

سفر الا انه يسفر عن أخلاق الرجال أي يكشفها ويوضحها أخذ من قولهم سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته وأظهرته ويقال للمكنسة سفرة لانها تسفر التراب عن الموضع وسفرته كنسه (مأثورة) محدث بها (سمعته) ذكره المسموع (أودعت) ضمنت (أسرته) خطوط وجهه أراد نقشه وان بين أسطاره سر الغنى فمن ملكه ملك الغنى (قارنت) ساوت (النجح) ضد الخيبة (المساعى) المشى فى طلب الحوائج (الانام) الخلق (غرته) وجهه قيل لابى الزناد مالك تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا قال انها وان أدنتنى من الدنيا فقد صانتنى عنها و (النقرة) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة قبل أن يطبع منها الدراهم والدنانير وأراد كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم فيه والنقرة انما تستعمل من الفضة واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما وأخذه من قول البحترى

فكل قلب اليه منصرف ۔ كأنه من جميعها خلقا

أو من قول ابن الرومى

به أمست الاهواء يجمعها هوى * كان نفوس الناس فى حبه نفس

أو من قول المتنبى

فى خطه من كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

(يصول) يقهر ويغلب وصال الشجاع على قرنه والفحل على ابله والجمل على اتنه صولا اذا قهر وعلا وصاح بها (الصرة) الخرقة تصر فيها الدراهم و (حوته) ضمته يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه (تفانت) هلكت (توانت) أبطأت وضعفت عن نصرته (عترته) قرابته الادنون (نضاره) ذهبه (نضرته) حسنه (مغناته) منابه يقال فلان يغنى مغناك أى ينوب منابك ويقوم مقامك يريد أنه ينوب عن الانسان فى المضايق وينصره (استتبت) تمت واستقامت والمستتب الطريق البين قال الشاعر * على مستتب كالمجرة تعمل * (امرته) ولايته (مترف) منعم (حسرته) تبعه وحزنه (كرته) رجعته و (بدرتم) القمر ليلة الكمال ويريد به شخصا يشبه البدر فى حسنه ورفعته فاذا بعثت فى طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته و (البدرة) عشرة آلاف درهم (مستشيط) غضبان (تلظى) تلهب (جمرته) شدة غيظه (أسر) أخفى (نجواه) حديثه سرا (نثرته) حدته وغضبه يقول كم من غضبان شديد الغيظ مثل حاكم يصول بصاحب جناية ويهدده فاذا رشى بالدينار وبعث اليه سرا أزال غضبه وسكن حدته (اسلمته) تركته (أسرته) قومه (مسرته) فرحه (أبدعته) أوجدته قبل أن يكون (فطرته) خلقته (التقى) الخوف (جلت) عظمت (قوله انجز حر ما وعد) هذا مثل قاله الحرث آكل المرار وهو جد امرئ القيس لصخر بن نهشل بن دارم وذلك أن الحرث قال يا صخر هل أدلك على غنيمة على أن لى خمسها قال نعم فدله على قوم من العرب فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فحملهم صخر على أن يعطوا الحرث الخمس فأبوا وكان طريقهم على سجعات وهى ثنية متضايقة فلما دنوا منها صار اليهم صخر حتى قعد على رأسها ومنعهم الجواز أو يعطوا الحرث الخمس فقال جزء اليربوعى والله لا نعطيه من غنيمتنا شيأ ومضى فى الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ففى ذلك يقول

ابن حرى بن منجز بن نهشل بن دارم

مأثورة سمعته وشهرته
قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته
وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته
يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته
وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت نثرته
وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته
وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته
ثم بسط يده بعد ما أنشده
وقال أنجز حر ما وعد

ونحن منعنا الجيش أن يتأوبوا * على سجعات والجياد بنا تجرى

حبسناهم حتى أقروا الحكمنا * وأدى أنفال الخميس الى صخر

فعنى أنجز حرّ ما وعد أحضر وهيأ وقد نجز الشىء اذا حضر ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر أراد لينجز حرّ ما وعد (سح) صب وأمطر (خال) سحاب يخيل لك أنّ المطر فيه (رعد) صوّت يقول لابن همام انّ السحاب اذا سمع الرعد سح بالمطر وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار ووعدتنى به فأنجز لى وعدى (نبذت) رميت (ماسوف) محزون (بارك) أى ضع البركة فيه وقولهم تبارك الله أى تقدّس وتطهر وقيل هو تفاعل من البركة أى البركة تنال بذكر اسمك (الانثناء) الرجوع (توفية الثناء) كمال الشكر والمدح ومما قيل فى وصف الدينار ومدحه

ومقسم الوجنات يبرق وجهه * بادعلى وجناته عباد

جبل الانام على محبة حسنه * فكأنّه ربّ وهم عباد

(وفى مقامات البديع فى وصفه)

ياحسنها فاقعة صفراء * مشرقة منقوشة قراء

يكاد أن يقطر منها الماء * قد أثمرتها همة علياء

ياذا الذى بغيته الثناء * ما ينقضى بقدرك الاطراء

امض على الله لك الجزاء

واذ قد فرغت من شرح ألفاظه فى انجاز الوعد فى المثل وما اتصل به فلنذكر مذاهبهم فى ذلك فأكثرهم على انجاز الوعد وقد ذكر فيما هو مستقبل * وبع آجلا منك بالعاجل * وقال واذا خيرت بين ذرّة منقودة ودرّة موعودة فمل الى النقد وقال جرير

انى لأرجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

وقال آخر ولا شك أنّ الخير منك سجية * ولكنّ خير الخير عندى المعجل

وقال آخر أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه أنّ منصور بن زياد كلم يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال لى عده عنى قضاءها فقال منصور بن زياد وما يدعوك الى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب انّ الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تتحدث النفس بسرورها انّ الوعد مطعم والانجاز طعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل قال ابن الكلبى لهشام بن عبد الملك يا أمير المؤمنين لا تصنع الىّ معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سيب على غير وعد الا هان علىّ قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولانى ان أنجح المعروف فى القلوب وأبرده على الاكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدره مطل ووعد المستهدى عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى ولا تيأسن من صالح أن تناله * وان كان بؤسا بين أيد تبادره

فقال يدفع لعبد الله جارية أخرى فقال الزبيرى

وأنجز خير الناس من قبل وعده * أراحك من مطل ومن طول كدّه

وسح خال اذ رعد فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه فى فيه وقال بارك اللهمّ فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية الثناء

(ذكر الوعد وانجازه)

فقال له عيسى بن داب ما صنعت شيأ هلا قلت

حلاوة الفضل بوعد ينجز * لا خير في العرف كنهب ينهز

فقال المهدى الوعد أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء الوعد يكفى ثلثا فأن كبير العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير وقال يحيى بن خالد من لم يبت مسرورا بعدتى لم تجد صنيعتى عنده موقعا وفيه قول أرقاوس النصرانى

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتى الذى لم يأته أحد

ينسى الذى كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال الحارثى وما روضة من رياض الحزن معشبة * منمنمة زهراء ذات ثرى جعد

بأحسن من حر تضمن حاجة * لحر فأوفى بالنجاح مع الوعد

وقال ابن رشيق أحسنت فى تأخيرها منة * لولم تؤخر لم تكن كامله

وكيف لا يحسن تأخيرها * بعد يقينى أنها حاصله

وجنة الفردوس يحيى بها * آجلة للمرء لا عاجله

وقال رجل لابى عمرو بن العلاء وعدنى بأمر فلم تنجزه فقال أبو عمرو ومن أولى منا بالعتب أنا والا أنت قال أنا قال أبو عمرو لا والله بل أنا قال وكيف قال لانى وعدتك وعدا فأنت تفرح بالوعد فبت ليلتك جذلان مسرورا وبت أنا بهم الانجاز نبيت ليلتى مفكرا مغموما بما عاق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلستنى مدلا واستنينتى مستحيا واعتذر بعض الرؤساء لابى على البصرى من تأخر وعد فقال فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (قوله فنشأت) أى ظهرت وبدت (فكاهة) مزاح (نشوة غرام) سكرة شوق والغرام الحب المعذب للقلب (استئناف) استقبال (اغترام) غرم ثم ذكر أنه يذمه ثم يضمه وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله

ان المؤنة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم

كلف الانام بجمعه وبضمه * فتعجبوا للذم مضموم

(وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم)

ألا رب شئ فيه من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار

فمنا بدينار وهم منا بدرهم * وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال ابن رشيق صحفت دال البين من دينار يلوح ودرهم

فقال لى ذلكم دنى * ناروذا قال ذرهم

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان يجمعهما البلد والزمان وكانا مرة يتصاحبان ومرة يتباغضان وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم

صديق المرء كالدينار طبعا * وكيف يفارق المرء الطباعا

تراه اذا أقام يقيم جاها * وان فارقته أجدى انتفاعا

أخذه من قول كشاجم وصديقه من أبا له * وعدوه من أجله

فهو كالدينار لا يكرم الا من أذله

وقال آخر انما آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

فنشأت لى من نكاهته نشوة غرام سهلت على استئناف اغترام فجزت دينارا آخر وقلت له هل لك فى أن تذمه

والمرء مالم يفد من غيره ورعا . منقسم القلب بين الهم والنار

(قوله مرتجلا) أي غير مفكر (شدا) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده (تبا) أي خسرا (مماذق) لا يصفو وده لصاحبه وقد مذق وده اذا لم يخلصه ومذق اللبن خلطه بالماء والمذيق المخلوط (أصفر ذي وجهين) قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ووقع هذا في نثر البديع قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى أظعنا تريد قلت إي والله قال أخصب رائدك ولا ضل قائدك فمتى عزمت قلت غداة غد فقال

صباح الله لا صبح انطلاق * وطير الوصل لا طير الفراق

وقال السعد لا يعدوك دأبا * يصاحبكم الى يوم التلاقي

فأين تريد قلت الوطن قال بلغت الوطن وقضيت الوطر ففي العود قلت القابل فقال طويت الريط وثنيت الخيط فأين أنت من الكرم قلت بحيث أردت فقال اذا رجعك الله سالما من هذا الطريق فاستصحب لي عدوا في ثياب صديق من تجار الصفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر كدارة العين يحط ثقل الدين وينافق بوجهين فعلمت أنه يلتمس دينارا فقلت ذلك لك نقدا ومثله وعدا فأنشأ يقول

رأيك فيما خطبت أعلى ✣ لا زلت للمكرمات أهلا

صلبت عودا ودمت فردا ✣ وطبت فرعا وطبت أصلا

يا واحد الدهر والمعالي . لا لقي الدهر منك ثكلا

قوله عدوا في ثياب صديق من قول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(قوله الرامق) أي الناظر ورمقت الشيء رمقا أتبعت النظر اليه و(زينة المعشوق) التي في الدينار نقشه وتزيينه و(لون العاشق) صفرته فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينته فيهواه فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ويدل على ذلك صفرته الظاهرة عليه وقال ابن ظفر زينة المعشوق غرور داعية الى التهور في الغرام ولون العاشق وهو الاصفرار دليل على ما أسر من شاغف الكلف فالغافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها فيصيده الهوى والعاقل ينظر منه الى لون العاشق فيستدل على باطن الجوى (ذوي الحقائق) يعني أهل الرشد والعلم والذين ينظرون الى ما في الدنيا بعين الحقيقة ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق فيستوجب قطع يده أو بعض أعضائه واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن والآخر أعسر فكان الايمن يفخر على الاعسر فأخذا في سرقة فقطعت أيمانهما فكان الاعسر يعمل بيساره أعماله كلها والايمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيأ فافتخر الاعسر عليه بذلك فقال له الايمن ما علمت أن للاعسر فضيلة الا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه (الفاسق) الخارج عن الطاعة الى ركوب المعصية أو عن الايمان الى الكفر أخذ من فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وقال قوم الفاسق الجائر واحتجوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أي جار عنه قال رؤبة

يهوين في نجد وغور غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

ثم نضعه فأنشد مرتجلا
وشدا عجلا
تبا له من خادع مماذق
أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق
زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق
يدعو الى ارتكاب سخط
الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق
ولا بدت مظلمة من فاسق

(اشمأز) انقبض (باخل) شحيح وبخيل أكثر من باخل (طارق) قاصد بليل (المطل) تأخير الحق الواجب وأصله من مطل القين الحديد فى النار اذا مدّه وطوّله (العائق) الحابس وقد عاقه عن الشئ اذا حبسه (راشق) عائن وأصله الرامى فجعله للذى يصيب الناس بعينه و(استعيذ) قرئ عليه المعوّذتان وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (الخلائق) الطبائع واحدتها خليقة (الآبق) الهارب وأبق العبد يأبق اباقا اذا زال عن مولاه وفى معنى فراق الدينار قول الاخطل

ومعشوق يرقص كل يوم ٭ ترى فى وجهه أبدا كلاما
اذا فرقته جددت خيرا ٭ ولا يجدى عليك اذا أقاما

وهذا من قول الحسن البصرى وقد رأى رجلا يقلب درهما فقال له أتحب درهمك هذا قال نعم قال فانه ليس لك حتى يخرج من يدك (واها) تعجب معناه ما أعجب من يقذفه (حالق) جبل أملس منيف (ناجاه) حدثه سرا (الوامق) المحب وقد ومق يمق مقة (المحق) القائل الحق (قوله ما أغزر وبلك) أى ما أكثر بلاغتك و(أملك) ألزم وأحق يريد أن شرطك الذى شرطت من اعطائى دينارا آخر ان ذممته قد لزمك بذمى له والشرط أملك مثل وأول من قاله الافعى الجرهمى وكان حكيما العرب فتحاكم اليه خصمان فاشترط أحدهما وأراد أن لا يلتزمه فقال الافعى الشرط أملك وتقديره الشرط أملك لأمرك منك (نفحته) رميته (عوّذهما) ارقهما و(المثانى) أم القرآن سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة واختصها لانه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار فكأنه قال اقرا الحمد لله رب العالمين شكر الله عليهما وتعويذا لهما وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل

معتدل القامة والقد ٭ مورّد الوجنة والخد
لو وضع الورد على خدّه ٭ ما عرف الخدّ من الورد
قل للذى يعجب من حسنه ٭ اقرأ عليه سورة الحمد

وله فى مثله

شكوت بالحب الى ظالمى ٭ فقال لى مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لى ٭ اقرأ عليه قل هو الله

وقال أبو عبيد المثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء القرآن سماه الله المثانى فى قوله تعالى كتابا متشابها مثانى وسمى الفاتحة مثانى فى قوله سبعا من المثانى وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم ان المثانى من السور ما دون المئين كأنها جعلت مبادى والتى تليها مثانى (قوله بتوأمه) أى بأخيه يعنى الدينار الاوّل (انكفأ) انقلب وولى (مغداه) بكوره وسيره فى الغدو (النادى وندااه) المجلس وكرم أهله ونريد أن نأتى بفصل فى مدح الشئ وذمه على حكم ما مدح الحريرى الدينار وذمه ونبين مذهب العرب وأهل الادب فى ذلك فقد ألف ابن رشيق فيه كتابا جلبت فى هذا الكتاب عيونه قال أبو عثمان الجاحظ العربى يعاف الشئ ويهجو به غيره فان ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشئ الذى يهجون به وهذا باطل ليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين واذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين قال ابن رشيق أكثر ما تجرى هذه المدائح والمذام على جهة المنافقة لا على جهة المناصفة ومن باب المسامحة لا من باب المشاححة والا فالشئ لا يوافق ضده فيكون الحسن قبيحا فى حالة واحدة والمدح ذمّا المعنى واحد لكن لكل

٭ (مدح الشئ وذمه) ٭

ولا اشمأز باخل من طارق
ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق
وشرّ ما فيه من الخلائق
ان ليس يغنى عنك فى المضايق
الا اذا فرّ فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق
لا رأى فى وصلك لى ففارق
فقلت له ما أغزر وبلك فقال
والشرط أملك فنفحته
بالدينار الثانى وقلت له
عوّذهما بالمثانى فألقاه فى
فيه وقرنه بتوأمه وانكفأ
يحمد مغداه ويمدح النادى
ونداه (قال الحرث بن
همام) فناجانى قلبى بأنه أبو
زيد وأن تعارجه لكيد

شئ

شئ كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن كما فعل عمرو بن الاهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد استشهده الزبرقان بن بدر على ما ادّعاه من الشرف في قومه قال عمرو أجل يا رسول الله انه
مانع حوزته مطاع في أدنيته شديد العارضة فقال الزبرقان أما والله لقد علم أكثر مما قال
ولكن حسدني شرفي فقال عمرو اما وقد قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروأة
لئيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله
فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت في الاولى
ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر
لحكمة * وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه الى عبيد الله بن زياد وقد ولاه محاربة الحسين بن علي
رضي الله عنهما وكان قبل ذلك يسيء الرأي فيه أما بعد فان الممدوح مسبوب يوما وان الممدوح
مسبوب يوما ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيأ قط فمر يوما بكلب ميت فقال
أصحابه ما أنتن ريحه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أحسن بياض اسنانه وقالت الحسن
ابن منذر امرأة كيف سدت وأنت دميم بخيل فقال لاني سديد الرأي شديد الاقدام وقال مسلمة
ابن عبد الملك لاخيه هشام كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان فقال لاني حليم وأنا
عفيف فسلم لعائبه ما ادّعاه من مساويه وذكر من محاسنه ما لم ينازع فيه * صعد خالد بن عبد الله
القسري منبر مكة يوم الجمعة وهو أمير للوليد بن عبد الملك بن مروان فأثنى على الحجاج خيرا فلما
كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه
واظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله
عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة
فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه منهم فلعنوه وان الحجاج كان
يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله وغشه
على ما خفي عنا فلما أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل ومر غيلان
ابن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح
هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير يتعلم العوم فيه صبيانهم ويكون
لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم ميرتهم ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه فقال زياد ما أضر هذا
النهر لاهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الامير تنز منه دورهم وتغرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله
بعوضهم ومدح الجاحظ العروض فقال هو ميزان الشعر ومعياره به يعرف الصحيح من السقيم
والعليل من السليم وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الاود والكسر ثم ذمه فقال هو
علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض تستكره العقول مستفعلن وفعول من غير
فائدة ولا محصول * وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها أما المال
فتبلعين وأما المروأة فتخلعين وأما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول أما النفس
فتسمعين وأما الهم فتطردين أفتراك مني تفلتين ثم يشربها وشكا أبو العيناء حاله الى عبيد الله
سليمان فقال أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر قال كتبت الى رجل قد حصر من همته
الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فأخفقت في طلبتي قال أنت اخترته قال وما علي

أعز الله الامير فى ذلك قد اختار موسى من قومه سبعين رجلا وما كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع الى المشركين مرتدا واختار على رضى الله عنه أبا موسى حاكما فحكم عليه (قوله فاستعدته) أى قلت له أعد على (عرفت بوشيك) أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه (استقم) استعد وأزل عوجك (حييت) طال بقاؤك والتحية البقاء (حييت) عشت (والحوادث) ما يحدث من الخير والشر (بؤس) شدة العيش (رخاء) لينه وسعته (زعزع) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه وزعزعته تحريك الشىء اذا أردت قلعه (رخاء) ريح لينة سريعة من الارخاء فى السير وهو عدو فوق التقريب وناقة مرخاء سريعة (القزل) أسوأ العرج وقد قزل قزلا و(هزل) هزلا ترك الجد فى قول أو فعل يقول كيف تحليت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع فى هذه النقيصة ويهزأ به فغضب عند ذلك (استسر بشره) زال عنه سماحه وطلاقة وجهه (تجلى) ظهر (ولى) ذهب (قوله قرع) أى أضرب (الفرج) كشف الهم (ألقى حبلى على غاربى) أى أسرح وأمشى حيث أحببت والعرب تطلق هذا اللفظ فتقول للمرأة حبلك على غاربك أى أنت مسيبة فى وجهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس والغارب ما انحدر من السنام والحبل هو الذى يعقل به البعير فاذا سرحوه حلوا عقاله وألقوه على غاربه قال ابن الانبارى أصله أن يلقى حبل الناقة على غاربها فتفزع ولا ترعى اذا لم تره على الارض (أسلك مسلك) أى أدخل مدخل والمسلك الطريق (مزج) خلط الجد بالهزل (حرج) اثم والله تعالى أعلم

(شرح المقامة الرابعة وهى الدمياطية)

(قوله ظعنت) رحلت والظعن ضد الاقامة (دمياط) بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخا وهى على ساحل البحر الملح والى دمياط ينتهى ماء النيل فيفترق منها فيخرج بعضه الى بحيرة تنيس وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ويخرج بعضه الى البحر وبها تعمل الشروب وقد ذكرنا ذلك عند تنيس (قوله هياط) صياح وتهايط القوم اجتمعوا ودبروا أمرهم (مياط) دفاع أى كان عام هرج وخلاف (مرموق) منظور اليه (الرخاء) سعة المال (موموق) محبوب (أسحب) أجر (مطارف) ثياب لها أعلام فى أطرافها (أجتلى) أنظر (معارف) وجوه (السراء) الغنى والسرور (رافقت) صحبت فى السفر و(الصحب) الاصحاب (الشقاق) الخلاف ومعنى شقوا عصاه أزالوه وطرحوه والعرب تقول شق فلان العصا اذا ترك الطاعة وخرج مباينا قال أبو عبيد العصا تضرب مثلا للاجتماع وانشقاقها يضرب مثلا للافتراق الذى لا اجتماع بعده (أفاويق) جمع أفواق وأفواق جمع فواق وهو ما بين الحلبتين و(الوفاق) ترك الخلاف وقد وافقته موافقة ووفاقا (قوله لاحوا) ظهروا والعرب تضرب المثل باسنان المشط وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان وقال النبى صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية فان أرادوا الاستواء فى الشر قالوا سواسية كاسنان الحمار وقال كثير يهجو ضمرة

نسائل بنومى كل أجرد سابح ... وسل غمارى بضمرة أوسحلا
سواء كاسنان الحمار فلا ترى ... لذى كبرة منهم على ناشئ فضلا

فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب فى الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة فى العرج
ولكن لاقرع باب الفرج
وألقى حبلى على غاربى
وأسلك مسلك من قد مرج
فان لامنى القوم قلت اعذروا
فليس على أعرج من حرج

(المقامة الرابعة الدمياطية)

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الاخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلى معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كاسنان المشط فى الاستواء

(التئام) اجتماع واتفاق (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه وتميل اليه النفس فاراد أن أغراضهم متفقة (النجاء) السير السريع (نرحل) نشدّ عليها الرحل ونشخص بها (هوجاء) ناقة سريعة كأن بها هوجا وهو الحمق لسرعة مشيها (وردنا منهلا) أتينا ماء ننزل عليه والنهل الشرب الاوّل والعلل الثانى وذلك أن الابل ترد الماء فتشرب منه ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرئة ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء فالشرب الاول نهل والثانى علل والمنهل موضع النهل والورود قصد الماء (اختلسنا) استرقنا (اللبث) الاقامة ومثله المكث أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه الا قليلا و (الركاب) الابل و (اعمالها) استعمالها (قتبة الشباب) صغيرة السن وأراد أنها طويلة سوداء لا قمر فيها الا أن شعر الشباب أسود ويريد أنها أوّل الشهر فهى كالفتية والليلة أوّل الشهر سوداء (غدافية) منسوبة الى الغداف وهو الغراب لسواده و (الاهاب) الجلد وأراد لونها (أسرينا) مشينا الليل يقال سرى وأسرى (نضا الليل شبابه) أى أزال ظلامه ونضا ثوبه جرده عنه ومثله (سلت خضابه) وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه وسلت الشئ سلتا أزاله عما علق به والمرأة خضابها كذلك وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة وينظر الى سراه مع صحبه فى سواد الليل قول ابن شهاب

وفتوّ أسروا وقد عكف الليـ ـل وأرخى مغدودف الاطناب
وكان النجوم لما هدتهم * أشرقت كالعيون من أهداب
يتفرون جوز كل فلاة * جنح ليل جوزاؤه من ركاب
عن ذكرى لمدحهم فتناهوا * من حديثى فى عرض أمر عجاب
همة فى السماء تسحب ذيلا * من ذيول العلا وجد الركاب

ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن المعذل وهو من حسن الاستعارة

أقول وجنح الدجى ملبد * والليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمن المسجد
فيا ليلة الوصل لا تبعدى * كما ليلة الهجر لا تبعد
ويا غدان كنت لى راحما * فلا تدن من ليلتى يا غد

وقال ابن المعتز يا رب ليل حالك الجلباب * ملتحف خافقى غراب

وما أحسن قول ابن شهيد فى وصف الليل

وبتنا نراعى الليل لم نطو برده * ولم يحن شيب الصبح من فرعه وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام شيأ فى تأخره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال حبيب البلد هتكا جنح ليل كأنه * قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وقال ذو الرمة ودوّية مثل السماء اعتسفتها * وقد صبغ الليل الحصى بسواد
وليل كجلباب العروس ادّرعته * بأربعة والشخص فى العين واحد
أحمّ غدافى وأبيض صارم * وأعيس مهرى وأروع ماجد

ى يا خليلىّ بالهواجر من معـ * ـن بن عوف وبحتر بن عتود

وكالنفس الواحدة فى التئام الاهواء وكامع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب فى ليلة قتبة الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا

اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

(وقال السلامى)

اليك طوى عرض البسيطة عاجلا * قطار المطايا أن يلوح لها القصر
وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فالبيت الاول والثانى نحو بيت البحترى و بيت الثالث نحو بيت ذى الرمة فى التقسيم ويمثل هذا الكلام يمتدح الملوك والاذلا ولما مدح عضد الدولة بلغه به من المكانة الغاية القصوى وفتن بشعره حتى كان يقول اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت أن عطاردا نزل من السماء وسنذكر من شعره ما يحسن (قوله سرى) أى السير بالليل (الكرى) النوم (مخضلة) مبتلة بالندى (الربا) الكدى واحدها ربوة (معتلة الصبا) أى لينة الريح (مناخا) منزلا (العيس) الابل يخالط بياضها حمرة (محطا) منزلا يحط به الاحمال (التعريس) النزول بالليل فى آخره وهذا التخير الذى ذكر لهذا الارض منتزع من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أرض مخصبة فتقصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها فان الله رفيق يحب الرفق واذا كانت مجدبة فألحوا عليها وعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل واياكم والتعريس على ظهر الطريق فانه مأوى الحيات ومدارج السباع (الخليط) الاصحاب (هدأ) سكن (الاطيط) أصوات الابل و (الغطيط) أصوات الناس النيام (صيتا) جهير الصوت (سميره) رفيقه الذى يسمر معه بالحديث (الرحال) منازل المسافرين سميت رحالا باسم الرحل التى توضع فيها والرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل (سيرتك) عادتك (جيلك) أهل عصرك (جيرتك) جيرانك (قوله أرعى) أى أحفظ (جار) تعدى ومال عن الحق قال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (ابذل) اعطى (صال) صاح مخوفا (الخليط) الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد وسمى بذلك لاختلاط الامر بين الصاحبين (الحميم) الاول الصديق المخلص والثانى الماء الحار (الشفيق) المحب (الشقيق) الاخ من الاب كانه شق معك ظهر أبيك ومن الام كانه شق معك بطن أمك (أفى للعشير) أعامل الصاحب بالوفاء (يكافئ بالعشير) يجازى بالعشر من فعلى والمكافأة المواساة (أستقل) اراه قليلا (الجزيل) الكثير (النزيل) الضيف والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره (أغمر) اعطى (الزميل) الرديف (الجميل) الافعال الجميلة (أميرى) الحاكم على (الانيس) الذى يؤنسك بحديثه وفلان رئيس قومه أفضلهم وأعزهم (أودع) اعطى وديعة (معارفى) من يعرفنى (عوارفى) هباتى واحدها عارفة وهى اليد من النعمة (أولى مرافقى) اعطى مصاحبى فى السفر ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض و (مرافقى) جمع مرفقة وهى المعونة وما يرتفق به و (القالى) المبغض وقليت الرجل قلى أبغضته (تسآلى) كثرة سؤالى (السالى) الناسى للمودة والتارك لها وسلوت عن الشئ أسلو سلوا وسلوة اذا تركته (اللفاء) النقصان وقال أبو على فى الايضاح اللفاء مادون الحق قال أبو زبيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر رحمه الله

فما أنا بالضعيف فتظلموه * ولا حظى اللفاء ولا الخسيس

السرى وملنا الى الكرى
صادفنا أرضا مخضلة الربا
معتلة الصبا فتخيرناها
مناخا للعيس ومحطا
للتعريس فلما حلها الخليط
وهدأ بها الاطيط والغطيط
سمعت صيتا من الرجال
يقول لسميره فى الرحال
كيف حكم سيرتك مع
جيلك وجيرتك فقال أرعى
الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط
ولو أبدى التخليط وأود
الحميم ولو جرعنى الحميم
وأفضل الشفيق على
الشقيق وأفى للعشير وان
لم يكافئ بالعشير وأستقل
الجزيل للنزيل وأغمر
الزميل بالجميل وأنزل سميرى
منزلة أميرى وأحل أنيسى
محل رئيسى وأودع معارفى
عوارفى وأولى مرافقى
مرافقى وألين مقالى للقالى
وأديم تسآلى عن السالى
وأرضى من الوفاء باللفاء

(أقنع) أرضى والقناعة الرضا باليسير و (الجزاء) المكافأة وجازيته بما صنع مثل كافأته مكافأة و (الاجزاء) الانصباء تقسم على جماعة واحدها جزء وأقلها أنقصها (أتظلم) أشتكى من الظلم (لا أنقم) لا أنتقم تقول نقمت منه نقمة أى عاقبته فمعناه لا أعاقب صاحبى ولو بلغ فى الاضرار منى الغاية وتقول أيضا نقمت الشئ وأنقمته نقما ونقوما اذا أنكرته فمعناه على هذا لا أنكر على صاحبى ولو بالغ فى الاذى و يقال فى الانكار نقم ينقم (قوله ويك) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبك أو عجبا لك وقيل أراد ويلك فحذف اللام (انما يضن بالضنين) وهذا مثل أول من قاله الاغلب العجلى وفسره أبو عبيد فقال معناه تمسك باخاء من تمسك باخائك و بيانه أن الضنين البخيل ويضن يبخل فيقول انما أمسك وأتعلق بصاحب تمسك بى وعرف حقى فأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى فى صحبته كما يبخل بى هو على غيره وقيل الضنين فى المثل هو الشئ المضنون به لنفاسته فمعناه انما يبخل بالشئ النفيس الرفيع (الموانى) المساعد الموافق (العاتى) المتكبر الصعب الخلق و (المراعاة) المحافظة للود و (أسم) اجعل لها سمة أى علامة (اصافى) أخلص له ودى (يأبى) يمنع (انصافى) أى اعطائى الحق من نفسه (أواخى) أصير له أخا واتخذه صديقا (يلغى) يترك ويطرح (الاواخى) أسباب الود واحدها أخية وأصل الأخية عروة من حبل تشد فى وتد أو على حجر تحت الارض وتبقى العروة على وجه الارض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها (أمالى) أعاون وأصلها الهمزة تقول مالأته على الامر أمالئه اذا عاونته وساعدته ومنه والله ما قتلت عثمان ولا مالأت فى قتله فخفف الهمزة ليوافق (آمالى) وهو جمع أمل وهو الرجاء (صرم حبالى) قطع أسباب وصالى وهم يكنون بالحبل عن الودلان الود يربط القلوب و يؤلفها كالحبل فيما يربط به (قوله أدارى) أسوس وأحسن صحبته و (الزمام) حبل من جلد و يربط فى حلقة فى أنف البعير (يخفر ذمامى) ينقض عهدى أى لا أنقاد لمن لا عهد له (ودادى) حبى وهو من وادته وهو الذى لا يكون الا من اثنين فوضعه موضع ودى ويقال أيضا فى الحب حباب مثل وداد قال الشاعر

* أداء عرانى من حبابك أم سحر * (أضدادى) أعدائى المناقضين لافعالى (ايعادى) تهديدى وتخويفى (الايادى) النعم (وواسيته) مواساة جعلته أسوة نفسى فى مالى فقاسمته فيه (مسا آتى) أحزانى وما يسوءنى (التفاتى) نظرى وانعطافى الى جهته (يشمت) يسر (وفاتى) موتى (أخص) أفرد (حبائى) عطائى (أحبائى) جمع حبيب (أستطب) أطلب طبه (خلتى) صداقتى (يسد خلتى) يصلح فقرى (أخلص) أجعله خالصا (يفعم) يملأ (أفرغ ثنائى) أصب مدحى وأكسوه أو يكون أفرغه أبلغ آخره (قوله تخزن) أى تحبس (أذكو) أضئ يقال (خمدت) النار اذا سكن لهبها وذكت اتقدت و (المثقال) الصنجة التى يوزن بها سميت بذلك لانها تثقل ما يوزن بها فى الكفة الثانية (تحاذى) تشابه (والفعال) بفتح الفاء اسم للفعل الحسن والقبيح ولا يقال بكسرها الا فى مصدر فاعل قال ابن الاعرابى الفعال فعل الواحد من الخير والشر والفعال بالكسر الفعل بين الاثنين (حذو) مشابهة والعرب تقول فى الشيئين يشتبهان هما حذو النعل بالنعل أى كل واحد من النعلين تقطع على قالب أختها ومنه قول الهذلى

وتأمل السبب الذى أحذوله ... وانظر بمثل حذائه فاحذونى

(التغابن) الغبن (نكفى) نمنع (التضاغن) العداوة وتضاغن الرجلان اعتقد كل واحد منهما

واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو لدغنى الارقم فقال له صاحبه ويك يا بنى انما يضن بالضنين وينافس فى الثمين لكن انا لا آتى غير الموانى ولا اسم العاتى بمراعاتى ولا اصافى من يأبى انصافى ولا أواخى من يلغى الاواخى ولا أمالى من يخيب آمالى ولا أبالى بمن صرم حبالى ولا ادارى من جهل مقدارى ولا أعطى زمامى من يخفر ذمامى ولا أبذل ودادى لاضدادى ولا أدع ايعادى للمعادى ولا أغرس الايادى فى أرض الاعادى ولا أسمح بمواساتى لمن يفرح بمسا آتى ولا ارى التفاتى الى من يشمت بوفاتى ولا أخص بحبائى الا احبائى ولا استطب لدائى غير أودائى ولا املك خلتى من لا يسد خلتى ولا اصفى نيتى لمن يتمنى منيتى ولا اخلص دعائى لمن لا يفعم وعائى ولا افرغ ثنائى على من يفرغ انائى ومن حكم بان ابذل وتخزن وألين وتخشن واذوب وتجمد واذكو وتخمد لا والله بل نتوازن فى المقال وزن المثقال وتحاذى فى الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن ونكفى التضاغن

والايام أعالك وتعلى واقالك
وتستقلنى واجترح لك
وتجرحنى واسرح اليك
وتسرحنى وكيف يجتلب
انصاف بضيم واى تشرق
شمس مع غيم ومتى اصحب
وبعسف واى حر رضى
بخطة خسف ولله ابوك
حيث يقول
جزيت من اعلق بى وده
جزاء من يبنى على اسه
وكات الخل كما كال لى
على وفاء الكيل أو بخسه
ولم اخسره وشر الورى
من يومه أخسر من امسه
وكل من يطلب عندى جنى
فماله الاجنى غرسه
لا ابتغى الغبن ولا اتنى
بصفقة المغبون فى حسه
ولست بالموجب حقا لمن
لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالنى
أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله انى
اقضى غريمى الدين من جنسه
فاهجر من استغبالك هجر القلى
وهبه كالملحود فى رمسه

لصاحبه صغناوهو الحقد (أعالك) أسقيك للاأى مرة بعد أخرى (تعلنى) تمرضنى (أقالك) أرفعك (تستقلنى) تحقرنى (أجترح) اكتسب (أسرح) أرعى لك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشى (تسرحنى) تهملنى (ضيم) ذل (أى) كيف (تشرق) تضيء من أشرقت واشرق تطلع من شرقت (غيم) سحاب (أصحب) أنقاد (بعسف) بجور وأصل العسف ركوب الامر بغير تدبير و(الخطة) المنزلة والمرتبة و(الخسف) الاذلال والنقصان ومنه خسف الارض والخاسف المهزول ويقال باتوا على الخسف أى جياعا ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للدابة أن تبيت بغير علف (قوله أعلق) يعنى علق أى الصق (أسه) أصل بنائه يقول من علق بقلبى وده جعلت ذلك الود أساسا بقلبى وبنيت عليه ودى فان أسس فى قلبى ودا سليما بنيت له عليه مثله وان غشنى فى ود غششته والهاء فى أسه ترجع الى من أى من نصحنى فى صحبته نصحته و(الخل) الصاحب (بخسه) نقصه (أخسره) أنقصه (الورى) الخلق من الناس (الجنى) ما يجنى من الثمرة (أبتغى الغبن) أطلب الخداع (أنثنى) أرجع و(صفقة المغبون) بيعة المخدوع (حسه) فهمه والحس صوت حركة الحى و(الصفقة) فى الاصل مصدر يقال صفق بيده يصفق صفقا اذا ضرب باحداهما على الاخرى وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشترى بيده على يد البائع فان رضى البيع قبض على يد المشترى وانعقد البيع وان لم يرض أرسل يده ثم صاروا يقولون رضى الصفقة اذا رضى البيع ثم سمى عقد البيع صفقة (مذاق) خلاط غير مخلص (الهوى) الحب و(خالنى) حسبنى (لبسه) تخليطه وتلبيسه (غريمى) صاحب دينى (من جنسه) من نوع ما أعطانى (استغبالك) استجهلك (القلى) البغض (هبه) احسبه (الملحود) المدفون (رمسه) قبره وينظر الى بيته قول ابن الرومى

من تصدى لاخيه * بالغنى فهو أخوه
فان احتاج اليه * راءمنه ما يسوه
يكرم المثرى فان أملق أقصاه بنوه
أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فان احتجت اليه ساعة مجك فوه

ووجد على حجر مكتوبا

كل من أحوجك الدهر اليه * وتعرضت له هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين من كتاب الله تعالى الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذى ترى له وللشعراء القدماء والمحدثين فى المذهبين شعر كثير قال المقنع الكندى فى المذهب الاول

وان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
أراهم الى نصرى بطاء وان هم * دعونى الى نصر أتيتهم شدا
وان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي * زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى * وان قل مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

وقال معن بن أوس المدني في المذهب الثاني

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام خلفتي * وبدل سوأ بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أدم * على ذاك الا ريثما أتحول

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)

أميل مع الزمان الى ابن عمي * وآخذ للصديق من الشفيق
وان ألفيتني حرا مطاعا * فانك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي وبيني - وأجمع بين مالي والحقوق
وكنت اذا الصديق أراد غيظي ، وأشرقني على شرق بريق
غفرت ذنوبه وصفحت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

وكلف ابراهيم بن العباس بعض اخوانه مقاطعة صديق فقال له

أخا مني أحمل بحقدك * لا أضربه سواكا
ومتى أطعتك في أخيك أطعت فيك غدا أخاكا
حتى أرى مستقسما * يومي لذا وغدا لذاكا

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني

فان تزرني أزرك أوان * تقف ببابي أقف ببابك
والله لا كنت في حسابي ، الا اذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضا وقد خالف فيه خلافا شديدا ولا نازعه أحد فيه ولا سبقه اليه اذ يقول

واني لاختص بعض الرجال * وان كان فدما ثقيلا عياما
فان الجبين على انه * وخيم ثقيل يشهي الطعاما

ولابن شرف

بع من جفاك ولا تحل بسلعته * واطلب به بدلا ان رام تبديلا

وهو كثير وبما ذكرت يستدل على الباب (قوله وعت) أي حفظت (تقت) أي اشتقت (عينهما) شخصهما (لاح) ظهر (ابن ذكاء) هو الصبح وذكاء هي الشمس ويقال للصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (ألحف) غطى (الجو) الهواء بين السماء والارض أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه ومن حسن التشبيه في ضوء الصبح قول ذي الرمة

وقد لاح للساري الذي كمل السرى ، على أخريات الليل فتق مشهر
كلون الحصان الابيض البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

والبس لمن في وصله لبسة
لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى
انك محتاج الى فلسه
(قال الحرث بن همام) فلما
وعيت ما دار بينهما تقت
الى أن أعرف عينهما فلما
لاح ابن ذكاء وألحف الجو
الضياء

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الاشقر الابيض البطن وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشقر ملقى الجلال

(وقال أبو يوسف الرمادى)

وليلة أنس قد خرقنا ظلامها بأوجه راح تستنير فترشف
الى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحمل لقمان وأقبل يوسف

(قوله غدوت) أى بكرت (استقلال) ارتفاع وقيام و(الركاب) الابل واحدتها راحلة (ولا اغتداء الغراب) أى ولا مثل اغتدائه فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لان لا لا تنصب المعارف وأراد أن اغتدائى كان قبل أن يغتدى الغراب والغراب أكثر الطير بكورا وهذا وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله ولا كيد فرعون موسى ولا انهلال السحب ولا عمرو بن عبيد اذا طابت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا الا عن العرب تقول العرب فتى ولا كمالك فيريدون أن مالكا أفضل من الفتى ومثله مرعى ولا كالسعدان أى ان المرعى فاضل فى طيبه ولكن السعدان أفضل منه ومثله ماء ولا كصداء فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه فهذا مذهب العرب فى ذكر ولا بين المشبهين وأما قول الحريرى غدوت ولا اغتداء الغراب فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب وكذلك ولا انهلال السحب وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب لان كلام العرب فلان أبكر من الغراب وأجود من السحاب ولا يقولون السحاب أجود من فلان ولا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظه ولا فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى وانما اللفظ من كلام عامة العراق فاستحسنها لانها عندهم متعارفة وليست بعربية ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم وبيانه فى مقامات البديع كثير ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة ولا فى تشبيهاتهم كثيرا جدا على حد استعمال الحريرى لها ولا يستعملها أهل الاندلس وقال الفنجديهى الرفع فى قوله ولا اغتداء الغراب أكثر مبالغة فى التشبيه من النصب (قوله أستقرى) أى أتتبع (صوب) جهة وناحية (الليلى) الذى سمع بالليل (أتوسم) أتعرف وأتطرسمتها (الجلى) البين (لمح) رأيت (بردان رثان) ثوبان خلقان (نجيا البلتى) أى المتحدثان فيها وجعلهما متحدثين مع البلى مجازا لما أوقعا الحديث فيها كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ولا يمكران انما يمكر فيهما فنسب ذلك المكر اليهما (صاحبا روايتى) أى اللذان أروى عنهما هذه القصة (كلف) محب (دمثتهما) سهولتهما والدماثة سهولة الارض وكل ما وطئته وسهلته أو ذللته بيدك فهو دمث (راث) بالى متشقق (ورثاثتهما) سوء حالهما (أبحته) جعلته له مباحا (كثرى وقلى) أى كثير مالى وقليله (طفقت) أخذت (أسبر) أمشى (السيارة) القوم الذين يسيرون فى الاسفار (أهز الاعواد) استثارة وأراد أنه يستعطف لهما أصحاب الاموال فيواسونهم فكنى عنهم بالاعواد وقد كرر هذا المعنى ابن سناحين قال

قصدته والشيخ يبغى جنى عود اله مازال مهزوزا

وقال الشاعر فى مثله

غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقرى صوب الصوت الليلى وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى الى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا البلى وصاحبا روايتى فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما وأبحتهما الى رحلى والتحكم فى كثرى وقلى وطفقت أسبر السيارة فضلهما وأهز الاعواد المثمرة لهما

الا يكن ورقي غضا أراح به * للمعتفين فاني لين العود

أراد ان لا أكن كثير المال فاني كريم والورق المال غير الصامت وأراح به اهتز به من الاريحية وراح الشجر أتى بورق في آخر الصيف لا أصل لها ويقال لها الخلفة والرمل (قوله غمرا) أى أعطيا (النحلان) العطايا (الخلان) الاصحاب و (قوله وكنا بمعرّس) المعرس موضع النزول آخر الليل (تنوّر) نظر النيران (القرى) طعام الضيف (كيسه) وعاء دراهمه والكيس خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرة تسع عشرة آلاف درهم قال حبيب

من بعد ما صارت هنيدة صرمة * والبدرة النجلاء صارت بوسا

(قوله انجلاء بوسه) انكشاف فقره (درني) وسخي و (رسخ) الشيء في الارض رسوخا غاب فيها ورسخ العالم في العلم دخل فيه (استحم) أدخل الحمام واستحم الرجل اغتسل بالحميم وهو الماء الحار (أقضي) أقطع وأزيل وقضيت الشيء صنعته (المهم) أراد به فرض الصلاة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان أهمّ أموركم عندي الصلاة فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع وقيل المهمّ الوسخ لان الامر المهمّ هو الذي في القلب منه همّ وشغل وقد ذكر ان الذي أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ فيكون قوله وأقضي هذا المهمّ من قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وقد أهمني الشيء فهو مهمّ وهذا القول أوفق بمراده وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ في دخول الحمام

يا صاح عهدي بالحمام قد بعدا * فلا تلمني فيه ان طلبت مدى
قارعت فيه العدا في معرك لجب * دحض تزل به الاقدام قد بعدا
عدا أثر برأسي حين ثرن به * توقدا وأعادت جلده جلدا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها * فلم أدع والدا منها ولا ولدا
ثم انثنيت معا في ناعما جذلا * مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدي الحكاك فقال

أأعتران متى في العمر لي * وأرجى المتاب الى قابل
وأغفل والموت لي طالب * حثيث كذئب الفضا القاتل
كأني بي هكذا ميتا * تحكم في يد الغاسل

وله أيضا

شكوت للدهر حسن ما صنعا * طريد مجد تحيتي رفعا
يا حسن حمامنا وقد غربت * شمس الضحى فيه بعد ما متعا
أيقن ان الهلال راكبه * فضاه للحاضرين واتسعا
فانعم أبا عامر بنعمته * واعجب لامرين فيه قد جمعا
نيرانه من زناد كم قدحت * وماؤه من بنانكم نبعا

ولبعضهم في حمام كانت ضاوئه من زجاج أحمر وفي سمائه حمرة وبياض

تحيرت من طيب حمامنا * فخيل لي ان فيه الفلق
فمن حمرة فوقنا وابيضاض * لخد الحبيب اذا ما عرق
رأى الدهر ما ستمن حسنه * فسد كوى سقفه بالشفق

ودخل الحمام أبو جعفر الطليطلي وأبو بكر بن تقي رحمهما الله تعالى فقال ابو جعفر

الى أن غمرا بالنحلان وكنا واتخذا من الخلان بمعرس تبين منه بنيان القرى وتنور نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن لي في قصد قرية لاستحم وأقضي هذا المهم

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه الى غلام وسيم فقال

هل استمالك ميال القوام وقد سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كثب فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال آخر حمام ... حل لنيه محتدم وفيه للبرد سر غير ذي ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيق ومما قاله على عتب وداع

ولم ادخل الحمام ساعة بينهم لاجل نعيم قد رضيت ببوسى
ولكن لدرى عبرتي مطمئنة فابكي ولايدري بذاك جليسي

وقال آخر وحمام كان النار فيه مسعرة بنيران الجحيم
دخلت أنارمن أعوادفيه * فعاد لنا كجنات النعيم

وقال آخر في ذم حمام

وحمام سوء وخيم الهوا تلبس المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود ولا للقعود به من قيام
حياض ... القسي ، وقطراته صائبات السهام

وقال آخر في تعجيل الخروج منه

خذ من الحمام واخرج * قبل أن يأخذ منك
حد ناعيه والا ، حدث الحمام عنك

وقال ابن رشيق

وحمام لدى الحمام أصحى وحالاه لاصحاب السعير
اذا سئموا العذاب أو استغاثوا * أغاثوهم بباب الزمهرير
كذلك حاره حرا وبردا ، بيت الحوض أو بيت الطهور
وطال به انتظار مواعديه فقد زاد الشقي على النظير

وله ايضا سأشكر للحمام بدأ وعودة أيادي بيضا مالهن ثمين
جلاك على عيني عريان حاسرا فرحت بتطليق وأنت غبين
وطهر قلبي من هواك ببارد وسخن فقلب الجفن وهو سخين

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحمام يذكر جهنم وينقي الدرن . وقال على رضي الله عنه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى ودخل بعض الامراء مع الرقاشي فقال له امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب النظافة وينشر الهمة ويطيب النعمة ... فقال يهتك الاستار ويولف الاقذار ويذهب بالوقار (قوله اذا شئت فالسرعة السرعة) يقول اذا شئت أن تقصد الحمام فالزم السرعة وعجل الرجعة وكثرة ... كبدا والدعل الساصب له ما يلزم انضماره مع التكرير فاذا أفردت جاز

فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة

فقال سيد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غر وطلب المغر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد الى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال مدى الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار

قوله رقبة أهلة عبارة غيره كما ترقب أهلة الاعياد وهي أوضح اهـ مصححه

اظهار الفعل ونظيرهما قول العرب الطريق الطريق والاسد الاسد وقال الشاعر

خل الطريق لمن يبني المنار له * فلما سقط النكر ساغ له اظهار الفعل (مطلعي) مصدر

بمعنى طلوعي أهل الحجاز يفتحون لامه في المصدر وغيرهم يكسرها (ارتداد طرفك) اي رجوع

طرفك (استن استنان الجواد) جرى كما يجري الفرس وانما يقال استن في كلامهم اذا جرى

في غير طريق بتعريف ومنه قولهم استنت الفصال حتى القرعا يدون جرت الفصال وهي تلعب

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فاستنت شرفا أو شرفين وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها

في جهة

بمستنة كاستنان الخروف - وقد قطع الحبل بالمرود

أراد المهر ويقال له خروف وفلو وقد فسر استنت الفصال بأن معناه أحسن رعيتها حتى كأنه

صقلها والجواد الفرس الكريم (المضمار) الطلق تجري فيه الخيل سمي مضمارا لان الخيل

تضمر فيه وذلك ان العرب كانت تسمن الخيل فتستخرجها الى المضمار فتجريها طلقا قدر

ما تحتمل ثم تزيدها يوما آخر في الجري على ذلك ثم لا تزال تزيدها في الطلق كل يوم حتى تجري

بها الاميال فيسيل عرق الخيل بذلك الجري ويشتد لحمها بذلك التضمير قال زهير

تضمر بالاصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

القرون دفع العرق واحدها قرن وقوله (بدار بدار) اي سبقا سبقا وهو معدول عن ابدر

فيقول لابنه ابدر بالجري واسبق الى الحمام (نخل) نحسب (غر) خدع (نرقبه) اي ننتظر من أين

يجيء ويرى و(رقبة) أهلة (الاعياد) وما أحسن قول ابن الرقاق في هذه الرقبة

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله ، جفونا الى نحو السماء موائلا

الى أن بدا أحوى المدامع أحور * يجر لأذيال الشباب غلائلا

فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا * بمن قد حوى طيب الشمول شمائلا

أتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وأنت كذا تمشي على الارض كاملا

وله في معناه

لله شهر ما نظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام

حتى تبدى لي أغن مهفهف بضيائه يحجاب كل ظلام

فطفقت أهتف بالانام ضللتم - وغلطتم في عدة الايام

ما جاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

(نستطلعه) اي نلتمس طلوعه (الطلائع) الباحثون عليه (والرواد) الطالبون له وأصل الطلائع

الباحثون عن أخبار العدو والراصدون في الطرقات الواحد طليعة وأصل الرواد الطالبون

للمرعى (هرم) شاخ ومعناه قارب أن يتم (ينهار) ينهدم و(الجرف) ما يأكله الوادي استعاره

للنهار (لاحت) ظهرت و(الاطمار) الثياب الخلقة أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير

وبلي عند الغروب وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات في الشتاء وغروب الشمس ومما يستغرب

قول العلوي الاصبهاني

ومجلس شرب جئته متطربا ، عشيا وعين الشمس في الافق تنعس

لرومي

كأن جنوح الشمس ثم غروبها * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

تخاوص عين صدّ أجنانها الكرى ٭ يرنق منها النوم وهي تغمض

وقال ايضا

اذا رنعت شمس الاصيل ونفضت ٭ على الافق الغربي ورسا مرصعا
وودّعت الدنيا لتقضي نحبها ٭ وشوّل باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت الانوار وهي مريضة ٭ وقد وضعت خدا على الارض أضرعا
كما لاحظت عوّادة عين مدنف ٭ توجع من أوصابه ما توجعا

أخبرني ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى ورّاق فنظر الى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وأنشدني مرتجلا

انظر الى الشمس في الاصيل ٭ كأنها وجنتا عليل
ورق هذا النسيم حتى ٭ كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الزقاق

وعشية لبست ملاء شقيق ٭ تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما ٭ أبقى الحياء بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربتها كالقابها ٭ وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال ابن سراج

والشمس تنفض زعفرانا بالربا ٭ وتبث مسكتها على الغيطان

وما احسن قول الرصافي في معناه

وعشيّ أنس للسرور وقد بدا ٭ من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم تملك يمينك ردها ٭ فوددت يا موسى لوانك يوشع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة

تريك بياض غرتها ووجها ٭ كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا ٭ كلا وانفلّ سائره انفلالا

قوله بدا كليلا اشارة الى أنه عند ما بدا غاب بسرعة وأذكر كلا في المقامة التاسعة والثلاثين وقال ابن المعتز في نحوه

تظل الشمس ترمقنا بلحظ ٭ مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتح غيم وهو يأبى ٭ كعنين يريد نكاح بكر

(قوله تناهينا) اي بلغنا النهاية (المهلة) التراخي يقول قد تراخينا في انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك (تمادينا في الرحلة) هذا على حذف مضاف للعلم به تقديره تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ومثل هذا الحذف جائز في النظم والنثر وأنشد أبو علي

أيا الندم لكم مني مجاهرة ٭ كي لا ألام على نهي وانذاري

أي على تركي النهي والانذار وقال آخر

واهلك مهر أبيك الدوا ٭ ء ليس له من طعام نصيب

أي فقد الدواء وجاء في القرآن واسأل القرية التي كنا فيها اي أهل القرية وهي أشد قوة من

قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة

قرينتك اى من اهل قرينتك ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام الفصيح مما لا يتم المعنى الا بتقديره فالذى غلط الحريرى نقال لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سيرة تصل قد جهل الكلام الفصيح فأراد طالت بنا هذه السفرة وتمادى الشئ فهو متماد اذا طال فيه المدى وهو الغاية البعيدة يقول تأخرنا عن السفر اليوم لتمدينا فى انتظاره فطالت علينا السفرة لعطلة السفر حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه (الزمان) اليوم (بان) تبين (مان) كذب يقال منه مان يمين مينا وأمانه يمونه مونا فقام بمؤنته (قوله فتأهبوا) استعدوا (الظعن) الرحيل (ولا تلووا) تعرجوا (خضراء الدمن) عشب المزابل هى حسنة المنظر سيئة المخبر واذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه فشبهها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه فى كذبه واخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهارا فى انتظاره قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل له وما خضراء الدمن فقال الجارية الحسناء فى المنبت السوء (قوله احدج) اى اجعل عليها الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد أرحل الناقة (وراحلته) ناقته (أتحمل لرحلتى) أو قرحلى للرحيل يقال تحمل القوم اذا عبوا أحمالهم وارتحلوا و(القتب) خشب الرحل (قوله ساعدا) اى ذراعا يستعين به (مساعدا) موافقا (نائيتك) بعدت عنك (أشر) بطر وعدم شكر يقال أشر الرجل يأشر أشرا اذا بطر قال الاخطل يذكر بنى أمية

أعطاكم الله جدا تنصرون به ۔ لاجد الاصغر بعد محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه ۔ ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

قوله مذلم أزل) اى مذنبت ووجدت (اتشر) ذهب (عتب) لام وسخط عليه (خرافة) حديثه الملهى وحديث خرافة مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث يضرب لكل حديث لا حقيقة له ووقع فى أمثال المفضل بسند يصل الى عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حدثنى حديث خرافة فقال رحم الله خرافة كان رجلا صالحا فاخبرنى انه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن فسبوه فقال أحدهم نعفو عنه وقال آخر نقتله وقال آخر نستعبده فبينما هم يتشاورون فى أمره اذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام قال وما أنتم قالوا نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر فى أمره فقال ان حدثتكم حديثا عجيبا أتشركونى فيه قالوا نعم قال انى كنت ذا نعمة فزال ت ور كبنى دين فخرجت هاربا فاصابنى عطش شديد فسرت الى بئر فنزلت لاشرب فصاح بى صائح من البئر مه فخرجت منها ولم أشرب فغلبنى العطش فعدت فصاح بى ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت اليه فقال اللهم ان كان رجلا فحوله امرأة وان كان امرأة فحولها رجلا فاذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجنى رجل فولدت منه ولدين ثم عدت الى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها فنزلت فصاح بى كما صاح فى الاول فشربت ولم ألتفت له فدعا كالاول فعدت رجلا كما كنت فأتيت بلدى فتزوجت امرأة فولدت منه ولدين فلى ابنان من ظهرى وابنان من بطنى فقالوا ان هذا لعجيب أنت شريك فيه فبيناهم يتشاورون اذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم اذا رجل بيده خشبة وهو يحضر فى اثره فوقف عليهم فسلم فردوا وسألهم فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم فقال ان حدثتكم بحديث أعجب من

الى أن أضعنا الزمان وبان ان الرجل قد مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتى وأتحمل لرحلتى فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يامن غدا لى ساعدا
ومساعدا دون البشر
لا تحسبن انى نأيتك
عن ملال أو أشر
لكننى مذ لم أزل
ممن اذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب لتعذره من كان عتب فاعجبوا بخرافته

(ذكر حديث خرافة)

هذا أتشركوني فيه قالوا نعم قال كان لي عم وكان موسرا وكانت له ابنة جميلة وكنا سبعة اخوة وكان لعمي عجل يربيه فانفلت فقال أيكم رده فابنتي له فاخذت خشبتي هذه واتزرت ثم خرجت في اثره وأنا غلام وقد شبت فلا أنا ألحقه ولا هو يكل فقالوا ان هذا العجب اقعد فانت شريكنا فبينما هم يتشاورون اذ ورد عليهم رجل على فرس أنثى وخلفه غلام على فرس ذكر فسلم كما سلم صاحباه فردوا عليه كرد هم على صاحبيه فأخبروه الخبر فقال لهم ان حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركوني فيه قالوا نعم قال كانت لي أم خبيثة ثم قال للفرس الانثى التي تحته أكذلك فقالت برأسها نعم قال وكنت أتهمها بعبدي ثم قال للفرس الذي تحت غلامه أهكذا فقال برأسه نعم فوجهت بغلامي هذا الراكب ذات يوم في بعض حاجاتي فحبسته عندها فأغفى فرأى في منامه كأنها صاحت صيحة فاذا هي بجرذ قد خرج فقالت احرث فحرث ثم قالت اكرب فكرب ثم قالت ادرس فدرس ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق فأتت به الغلام فقالت له ائت به مولاك فأتاني به فاحتالت على صاحبتي فسقيته القدح فاذا هي فرس أنثى واذا هو فرس ذكر قال أكذلك قالت الفرس الانثى برأسها نعم وقال الفرس الذكر برأسه نعم فقالوا ان هذا أعجب شيء سمعناه فأنت شريكنا فاجمع رأيهم أن جعلوا حرافة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الحديث فما جاء من الاحاديث المحالة نسب الى حرافة صاحب الحديث (قوله آفته) أي ضرره (ظعنا) رحلنا (اعتاض) استبدل

وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

(شرح المقامة الخامسة وهي الكوفية)

---

*(المقامة الخامسة الكوفية)

(حكى الحرث بن همام) قال سمرت بالكوفة

(سمرت بالكوفة) الكوفة المدينة المعروفة بالعراق بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا وسميت كوفة لاستدارتها أخذا من الكوفان وهي الرملة الشديدة لبياض وقيل سميت كوفة لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوف الرمل تكوفا اذا ركب بعضه بعضا وقيل سميت كوفة لانها قطعت من البلاد من قولهم أعطيت فلانا كيفة أي قطعة وكفت أكيف كيفا قطعت والكوفة فعلة منه قلبت الياء واوا للضمة التي قبلها وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق ذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير في رحلته حاجا انه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة فقال هي مدينة كبيرة قد استولى الخراب على أكثرها فالغامر منها أكثر من العامر ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها وهي لا تزال تضر بها وكانت تعاقب الايام والليالي ماحقا ومفنيا وبناؤها بالآجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلي شرق البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمس أبلاطة وفي سائر الجوانب بلاطان متسعان وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا تسمى عليها وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما رئي في الارض مسجد أعلى سقفا منه ولا أطول أعمدة ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت بازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال انه كان مصلى الخليل ابراهيم عليه السلام وعليه ستر أسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة والناس يزدحمون على هذا البيت

للصلاة فيه وبقربه هذا البيت عن يمين القبلة محراب أغلق عليه بأعواد الساج كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه ضربه الشقي عبد الرحمن بن ملجم فالناس يصلون فيه باكين داعين وفي الزاوية من البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير أغلق عليه بأعواد الساج وهو مفار التنور الذي كان آية نوح عليه السلام ويتصل بالجدار القبلي فضاء يقال انه كان منشأ السفينة ومع هذا الفضاء دار علي ابن أبي طالب رضي الله عنه تلقيناها هذه الآثار من أشياخ البلد وفي الشرقية بيت قبر مسلمة ابن عقيل وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير حيث بركت ناقة علي رضي الله عنه وهو محمول عليها ميتا وفيه قبره والله تعالى أعلم بصحة ذلك والفرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ والجانب الشرقي كله حدائق نخل ملتفة يتعسوادها امتداد البصر (قوله سمرت) أي ذهب نومي (الاديم) الجلد وأراد ان لون الليلة فيه سواد وبياض لان قمرها ناقص ولذلك جعله (كتعويذ من لجين) وهو حرز فضة يستعمل مستديرا استدارة القمر وبعض الدائرة فارغ فيربط في الدائرة خيط فيعلق في أعناق الصبيان وقال فيه السكرداي

قم سل همي بالمدا ... م ففيه هم قد أمضه
أو ما ترى قمر السما ... ء كأنه تعويذ فضه
فاذا ألم به المحا ... ق تخاله في الخد عضه

وعلى معنى البيت الآخر قال اسمعيل الشاشي يصف الهلال

اسقني قبل صاحي ... واخش صرف النوائب
فالهلال الذي يلو ... ح خلال الغياهب
مثل فخ اللجين صيـ ... ـغ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب

لما رأيت الهلال منطويا ... في غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لي ... بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسين بن لبال

انظر الى الهلال اذ ... لاح بهي المنظر
كزورق من فضة ... وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز

أهلا بفطر قد أنار هلاله ... فالآن فاغد الى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضا

أهلا وسهلا بالساقي والعود ... وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشر مرأى الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره ... يفتح فاه لاكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر فأحسن حيث يقول

في ليلة أديمها ذو لونين
وقمرها كتعويذ من لجين
مع رفقة

وجانى فى قميص الليل مستترا ، يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر

(وأخذه من قول الاعرابى)

كأن ابن مزنتها جانحا فسيط لدى الافق من خنصر

ابن مزنتها الهلال و (قسيط) قلامة ظفر (قوله غدوا) أى درابه وجعل غذاءهم والليان للاكمات والالبان للاكمات وغيرهن (حبوا) جروا (سحبان) فصيح العرب وانظره فى السادسة عشرة (ذيل النسيان) طرفه يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سحبان فكأنهم جروا عليه ثوب النسيان حتى غطوه فلا يذكره أحد من هؤلاء وأصل ذلك ان يسحب ذيل الثوب على أثر يخفى كقول امرئ القيس تعفى بذيل درع اب سنت مولى ... وكقوله

خرجت بها تمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

(قوله يحنط عنه) أى هم علماء يروون ما يحفظ عنهم أى يحذرون منه وأخذه من قول سليمان الارت لعبد الملك قد كانت الطيب وليست بين ركبت الفاره وتسطنت العذراء فلم يبق لى من لذتى الا صديق أطرح ثيابى بينى و بينه وثقة لا نظر شهرة الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ و ثقة تعنيه فى الامور كأنه على حذر وأنشد ثعلب

انى لا عصر عاشت اعفت لم تر مه عين وقلوب

(قوله يميل الرفيق اليه) تقول مات لى فلان ذ حبيه وتقربت منه وملت عنه اذا كرهته وبعدت عنه و (الرفيق) الصاحب يرتفق بك فى السفر (قوله سهوا) هوى بنا وشغلنا و (السمر) الحديث يسمر عليه وذكر الحريرى ان اصل السمر ظل القمر والسمر الحديث ومنه أخذ السميرة غلب حول السمار انهم يتحدثون فى ظل القمر وقد ذكرناه فى تفسير الرابعة والاربعين وهو الاصل ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرا على أى حال اتفق (روق) ضرب رواقه والرواق الثوب يستعمل به من الشمس يريد ان الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقا فاحجب عنهم به القمر و (البهيم) الخالص لسواد البهيم الخالص من كل لون و (التهويم) النوم بالليل والتغوير النوم فى القائلة وقد هوم الرجل اذا سقط النعاس رأسه فا تنبه بسقوطه فرفعه خفيفة بحود الرأس من النعاس قال ذو الرمة فى ذلك

وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه وجيف همموم والمهاوى الاباعد
سقاه نعاس كأس سكر فرأسه يدين لكرى فى آخر الليل ساجد

ويقال خفق رأسه فهو خافق قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له زع بالزمام وجوز الليل مركوم

(وقال الرصافى فأحسن)

وفتيين فى السرى نتعاطرا غفوات الكرى بغير كؤس
جرورة و على العيس حتى خلتهم يأثمون أيدى العيس
نبهو العمض وشرب الكرى وجدوه سلافة فى الرؤس

(قوله نبأة) أى صوت (مستنبح) يحكى نبح الكلاب وكان الرجل اذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر

فاتهموا البيان و سحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه و يميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح

أين يتوجه حاكى بصوته نباح الكلب فان كان قريبا من العمران نبحت لنباحه كلاب الحى فسمع أصواتها فقصد الحى فتسمى العرب من يفعل هذا المستنبح وأنشد أبو على فى نوادره

ومستنبح بات الصدى يستتيهه * فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوبا زنادها * يليح الى السارى هلم الى قدر

(وقال حسان بن ماثل) *

ومستنبح فى جنح ليل دعوته * بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
فقلت له أقبل فانك راشد * وان على النار الندى وابن ماثل

وقد أنشد أبو تمام فى حماسته فى باب الاضياف فى المستنبح ما فيه كفاية فلينظرها مالك (قوله تلتها) أى تبعتها (صكة) دفعة (مستفتح) طالب فتح الباب (الملم) النازل (المدلهم) الشديد السواد من الدهمة ولامه زائدة (المغنى) المنزل (وقيتم) كفيتم وانما دعا لهم بهذا لان فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك قلوب الناس أن تملأ شرا حتى يجرى الشر فضلا بين الناس فلا يجد قلبا يدخله (اكفهر) تراكم ظلامه وكثر (ذراكم) منزلكم وكنكم وكل ما استترت به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرا (شعثا) متغير الشعر والشعث ترك غسل الرأس حتى يتغير (مغبرا) عليه الغبار وفى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا ما ينقى به ثيابه ورأى رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا ما يسكن به شعره (أخا سفار) صاحب أسفار أى ملازم لها (اسبطر) امتد وطال سفره (انثنى) رجع وعاد (محقوقفا) منحنيا (الافق) ناحية السماء (افتر) انفتحت أطرافه ولم يتقارب كأنه فرهذا من هذا ومنه فررت الدابة وافتر ضحك وشبه انحناءه من السفر بدائرة القمر الناقص وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه فى الانحناء من الكبر قال الشاعر

تقوس بعد مر العمر ظهرى * وداستنى الليالى أى دوس
فأمشى والعصا تهوى أمامى * كأن قوامها وتر لقوسى

وقال ابن ليال

قوس ظهرى المشيب والكبر * والدهر يا عمرو كله عبر
كأنى والعصا تدب معى * قوس لها وهى فى يدى وتر

(قوله عرا) قصد (فناءكم) منزلكم وفناء الدار ما أحاط بها من الارض خمسته (معترا) قاصد الطلب معروفكم (أمكم) قصدكم (طرا) أجمع (يبغى قرى) يطلب طعاما (احلولى) اشتدت حلاوته (ينث) ينشى وينشر (البر) الاحسان (قوله خلبنا) أى خدعنا (علما وراء برقه) يريدان ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم كما أن البرق اذا ضرولاح علم ما وراءه من المطر (ابتدرنا) استبقنا (الترحاب) قولهم مرحبا مرحبا (هيا هيا) أى سق سق (هلم ماتهيا) أى أحضر ما تيسر (لا تتلمظ بقراكم) تتذوقت بطعامكم وأصل التلمظ تتبع اللسان ما بقى من الطعام فى الفم بعد الاكل (كلا) ثقيلا وفلان كل على أهله اذا لم يكفهم مؤنة نفسه والكل الاعياء وجمعه كلول وعلى فلان كل كثير قال النابغة الجعدى

رأيتم بنى سعد كلولا كثيرة * شهيدى بذالك ابنا جار بن احمرا

ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم فى الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا
الى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا
حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا
وقد عرا فناءكم معترا
وأمكم دون الانام طرا
يبغى قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا
يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثنى عنكم ينث البرا

(قال الحرث بن همام) فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذى أحلنى ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا الى أن لا تتخذونى كلا

(تجشموا) تكلفوا (أكلات) طعاما و (الاكلة) الغداء والعشاء والاصل فى هذا ان الاكل بالفتح مصدر أكل وبالضم ما أكل والاكلة بالفتح المرة الواحدة وبالضم اللقمة وبالكسر هيئة الاكل (هاضت) أضعفت وادخلت عليه هيضة وهى القىء والاسهال وأصل المثل رب أكلة تمنع أكلات وقال ابن هرمة

ورب أكلة منعت أخاها | بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشئ | وفيه هلاكه لو كان يدرى

و (المآكل) جمع مأكلة وهى ما أكل وهى أيضا ما يؤكل (سام التكليف) أى عرض وفى الاصل مأخوذ من سام السلعة اى عرضها للبيع ... الى تكلف ما شق عليه و (الاذى) الضرر و (المضيف) صاحب المنزل (يفضى) يؤل (ساراً سائره) نشر الحديث ... فى الناس (خير العشاء سوافره) لوا كره أى ما أكل منه بضوء النهار واحدها سافرة والسافرة المرأة التى سفرت نقابها عن وجهها أى كشفته فكأن اللقمة اذا أبصرتها عند أكلها قد سفرت اللثام عن نفسها وتجمع على سوافر على هذا المعنى حكى أبو بكر بن شعيب الحوى قال دخلت على محمد اليزيدى وهو يتغدى فقال يا أبا بكر خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا قلت لا أدرى فقال دخلت على حسين بن الخادم وهو يتغدى فقال يا أبا سليمان خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا قلت لا أدرى قال كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى فدخل الاصمعى فقال يا أصمعى خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا فقال بواصره يعنى ما يبصر من الطعام قبل الظلام ويحكى أبو يعقوب فى الغداء لتأخيره فقال قال الحكيم ... قال هواء الى ابن أبى طالب رضى الله عنه من سره نساء ولا نساء [٣] فليبكر الغداء وليباكر عشاء وليخفف الرداء قيل فى البين (التعشى) أكل العشاء وهو ما يؤكل بالعشى (يعشى) يورث العشا وهو سوء البصر ليلا قال ابن دريد

وأرى العشا فى العين أكثر ما يكون من العشاء

وانما تأخير العشاء لان أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره وقال كشاجم

وجيم ... * لا يشاء الذى أشا
هو فى الصدر ... | وعدو اذا انتشى
فترحت العشاء | ما عليه وأدهشا
ساعة ثم قال لى | العشا يورث العشا

كأن هذا المتطبب أخذ كشاجم من قول الصاحب بن عباد قال الصاحب ما أحمنى أحد كأبى الحسن البديهى فانه كان عندى فقدمت اليه فاكهة فأمعن فى المشمش فقلت المشمش يلطخ المعدة فقال لا يعجبنى المتطبب اذا تطبب فوددت أنى لم أقله وورد النهى عن ترك العشاء حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا العشاء ولو بكف ... فان تركه مهرمة وقوله (تحول دون الهجوع) أى تمنع من النوم وجاء فى الحديث النهى عن الاكثار ... قال ... سلمان ذهبت أنا وصاحب لى الى سلمان فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بخبز وملح فقال صاحبى لو كان فى ملحنا صعتر فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان

لو

ولا تتجشموا الاكلات فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف من سام التكليف وآذى المضيف خصوصا أذى يعلق بالاجسام ويفضى الى الاسقام وما قيل فى المثل الذى سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشى ويجتنب أكل الليل الذى يعشى اللهم الا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع

[٣] قوله فليبكر الغداء الخ لعله ولا بقاء فليبكر الخ كما هو ظاهر اهـ

مصححه

٣ قوله الهجوع اى النوم هذا مكرر مع ماتقدم له فى أول شرح هذه الجملة اهـ

(قال) فكأنه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لاجرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام الراح وأذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو أبو زيد فقلت احبى ليهنئكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا الدعة التى كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ماطووها وأبو زيد مكب على أعمال يديه حتى اذا استرفع ماليديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو بعجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب مالم يره الراؤن ولا رواه الراوون وان من أعجبها ماعاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه فى مسرح مسراه فقال ان مرامى الغربة لفظتنى الى هذه التربة وأناذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد أم موسى

(ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام)

لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل وكفى بالمرء اثما أن يسخط ماقرب اليه (٣) الهجوع أى النوم (قوله عقيدتنا) أى ماانعقدت عليه نياتنا ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بها الا أن ترميها من يدك (لاجرم) بمعنى حقا ولابد ولامحالة (السبط) السهل (راح) تيسر (أذكى) أوقد (السراج) المصباح (تأملته) نظرته (ليهنئكم) أى ليسركم (الوارد) القاصد (المغنم البارد) الهنى الذى يغنم دون قتال ولاتعب (أفل) غاب (الشعرى) كوكب معروف وهما شعريان العبور والغميصاء سموها عبورا لانهم يزعمون أنها عبرت المجرة وسموا الاخرى الغميصاء لانها بكت على أختها حتى غمصت عينها أى خفيت (استسر) غاب وخفى (النثرة) (٤) ثلاثة أنجم مجتمعة (تبلج) ظهر وأضاء (النثر) ضد النظم يقول ان غاب قمر السماء الذى يهتدى بضوئه فهذا أبو زيد قمر الفصاحة قد طلع فجددوا حديثكم ودعوا النوم (سرت) مشت (حميا المسرة) شدة السرور والحميا حدة الخمر وتسمى الخمر الحميا (السنة) أخف من النوم (ماقيهم) عيونهم والمأق طرف العين من جهة الانف (رفضوا) تركوا (الفكاهة) الحديث المطرف وأصلها المزاح ومنه قولهم لاتمازحن صبيا ولاتفاكهن أمة قال ابن الانبارى المعنى لاتمازحن الا أنه استسمج اعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه يخالف لفظه وتفاكهن مشتق من الفكاهة وهى المزاح وقال طرفة

وان امرأ لم يعف يوما فكاهة * لمن لم يرد سوأ به لجهول

ووصف أبو العيناء ابن أبى دواد فقال له هزل يؤتم به وجد يتقدم الجد وبين ذلك فكاهة تستملح ودعابة تستظرف ومزح مصادره ثلاثة مزح ومزاح ومزاحة اليزيدى المزاح بالكسر لاغير أبو عمرو ماذكره اليزيدى مصدر مازحت مزاحا وممازحة (قوله مكب) أى مائل الرأس (اعمال يديه) استعمالها بالاكل و(استرفع) أمر برفعه ويروى استفرغ أى أتم (أطرفنا) أى حدثنا بطرفة وهى الحديث المستملح والطرفة عند العرب الشئ المحدث الذى لم يكن عرف وجاء فلان بطرفة وشئ طريف وهو مشتق من الطريف والطارف وهما المال المستحدث الذى جمعه الرجل واكتسبه والتالد ماورثه عن الآباء قال الشاعر

وأصبح مالى من طريف وتالد * لغيرى وكان المال بالامس ماليا

(أسمارك) جمع سمر وهو الحديث يسمر عليه (قوله مالم يره الراؤن) أى الناظرون اليه وقوله (ولارواه الراوون) اى حفظه الحافظون (عاينته) شاهدته ورأيته بعينى (انتيابكم) قصدكم (مصيرى) رجوعى (مرآه) رؤيته (مسرح) حيث يسرح ويمشى (مسراه) سيره بالليل (مرامى) قواذف (التربة) البلدة (مجاعة) جوع (بوسى) ضرر (جراب) وعاء الزاد (كفؤاد أم موسى) فارغا لقوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا وسمى موسى لانهم وجدوه بين ماء وشجر ومو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت فجعلت الشين سينا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يزل بنو اسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة وهم على بقايا من دين ابراهيم عليه السلام المشروع له واسحق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام اليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا وكان شديد الغلظة سيئ الملكة واسمه الوليد بن

٤ قوله ثلاثة انجم الخ الذى فى القاموس انها كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كانه قطعة سحاب وهى انف الاسد اهـ

...عب وكان اتخذ بنى اسرائيل خولا فصنف منهم يبنون وصنف يحرثون ومن لا عمل له وظف عليه الجزية فرأى في منامه أن نارا أقبلت من المقدس فأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد الذى جاء بنوا اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل وعهد اليهن بذلك فذبح الولدان وعذب الحبالى حتى يطرحن ما فى بطونهن حتى كاد يفنيهم فقيل له انما هم خولك وانك ان تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاما ويستحيون عاما فولد هرون فى السنة التى يستحيون فيها وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها فلما وضعته أمه حزنت لشأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى فعملت تابوتا وجعلته فيه وألقته فى اليم وقالت لأخته قصيه أى اتبعى أثره فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون فخرج جوارى فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون وهى بنت مزاحم اسرائيلية فكشفت عنه التابوت فرأته فرحمته وأخذته وأخبرت به فرعون فأراد أن يذبحه وخشى أن يكون المولود الذى حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فاللام من ليكون للعاقبة ولم يكن لفرعون ولد فاتخذه له ولدا فأرادوا له المرضعات فلم يقبل ثدى واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجدا عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها دلينا على ذلك فذهبت فجاءت بأمه فلما رأته كادت لشدة حبها فيه وفرحها به أن تقول هو ابنى وتفتضح نعصمها الله من ذلك وذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها فأعطته ثديها فأخذه وأرضعته فربته فى قصر فرعون فلما تحرك عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده الى لحيته فنتفها فقال فرعون على بالذباحين فانما هو هذا فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه فانه صبى لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار فوضعها موسى عليه السلام فى فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر فى حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ثم ان موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب فركب اثره فأدركه ببلد منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس فى طرقها أحد فرأى اسرائيليا مع قبطى يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلى فوكز القبطى فقضى عليه فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى فى كتابه حتى خرج خائفا يترقب الى مدين وأما رجوعه منها الى فرعون بأنه رسول الله الى أن غرق فرعون فى البحر وجنوده فمذكور فى الثامنة عشرة (قوله نهضت) أى مشيت (سجا الدجى) سكن بالظلام وغطى كل شئ (الوجى) الحفاء (أرتاد) أطلب (مضيفا) منزلا وأضافه أنزله وضافه نزل به فهو ضيف وضيفه أى النازل به (أقتاد) أقود (حادى السغب) سائق الجوع (حييتم) طابت حياتكم والتحية البقاء (خفض) لين وخفض عيشه خفض اذا خصب (خضل) ناعم وخضل الشئ يخضل خضلا ابتل (ابن سبيل) خاطر طريق وهو الغريب وسمى الغريب ابن السبيل لانه اذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب الا السبيل الذى جلبه (مرمل) لا زاد له وأرمل القوم فنى زادهم ومن أبيات اللغز فى ابن السبيل

نهضت حين سجا الدجى
على ما بى من الوجى لارتاد
مضيفا أو أقتاد رغيفا
فساقنى حادى السغب
والقضاء المكنى أبا العجب
الى أن وقفت على باب دار
فقلت على بدار
حييتم يا أهل هذا المنزل
وعشتم فى خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله * وليس له في الناس من طالب وترا
فان تحفظوا فينا أبانا فحقنا * رعيتم والا أوقدت ناركم شرا

أي سببتم في كل مكان كما قال الآخر

وانت الذي شيبتني قبل شيبتي * وأوقدت لي نارا بكل مكان

(ومنها أيضا) وأحيانا يكون كبيرسن * وأحيانا يكون من الشباب
ومنسوب الى من لم يلده * كذلك الله أنزل في الكتاب

(قوله نضو سرى) أي هزيل من مشي الليل في الاسفار و (خابط ليل) الذي يمشي فيه على غير هداية (أليل) شديد السواد (جوى الحشى) فاسد الجوف من الجوع وهو (الطوى مشتمل) منضم أي قد انضم جوفه على الجوع ففسدت أحشاؤه (موئل) ملجأ من وأل الى كذا أي لجأت (دجا) ألبس (جنح) سواد (المسبل) المطبق (تململ) تقلب وتوجع و (الربع) المنزل و (المنهل) موضع الماء * ويقال ألقى عصاه اذا ترك السير وأقام وروى الاصمعي عن بعض البصريين انه قال سميت العصا عصا لان اليد والاصابع تشتمل عليها وهو من قول العرب عصوت القوم اذا جمعتهم على خير أو شر ويقال عصى بالسيف يعصى اذا ضرب به كما يضرب بالعصا (بشر) طلاقة وجه (برز) خرج (جؤذر) ظبي وأصله ولد الغزالة (الشوذر) ثوب قصير و (الشيخ الذي سن القرى) هو ابراهيم عليه السلام واختصه بلقب الشيخ لانه أول من شاب ولما رأى الشيب قال يارب ماهذا فاوحى الله اليه يا ابراهيم هذا وقار فقال يارب زدني وقارا وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك انه لما ولدت سارة اسحق قال الكنعانيون ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما فتبنياه فصور الله اسحق على صورة ابراهيم عليهما السلام فلم يفصل بينهما فوسم الله ابراهيم بالشيب (قوله سن) ابتدأ وجعله سنة وهو أول من ضيف الضيف وأطعم المساكين وقص شاربه وقلم اظفاره واستحد واستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء (واسس المحجوج) أي بنى اساس البيت الحرام و (أم القرى) مكة و (الطارق) الآتي بالليل و (المناخ) موضع البروك (يقري) يضيف (الكرى) النوم (برى أعظمه) أي أزال اللحم عنها (انبرى) اعترض وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف ابراهيم عليه السلام

للجود منهم حين يقتسم العلا * لاربه المكدى ولا المسهوم
وبيان ذلك ان أول من قرى * وحبا خليل الله ابراهيم

وقال أبو بحر صفوان بن ادريس في فتى اسمه ابراهيم وذكر لفظ المقامات وأبدع ما شاء حيث قال

أسمي من سن القرى رفقا بمن * يفنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حسنك فاصطنعني انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
لما نظرت نجوم خيلان بدت * في صحن وجنتك استقدت مقاما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يا زهرة سكنت فؤادي غضة * اني تبوأت اللهيب كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعي * يانار كوني برداله وسلاما

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار

نضو سرى خابط ليل أليل
جوى الحشى على الطوى مشتمل
ماذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ
فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل
وابشر بشر وقرى معجل
قال فبرز الى جؤذر عليه
شوذر وقال
وحرمة الشيخ الذي سن القرى
وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا الطارق اذا عرا
سوى الحديث والمناخ
في الذرا
وكيف يقري من نفى عنه
الكرى
طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ماترى
فقلت ما أصنع

أبا قاسم والهوى جنة * وانى من حرها لم أفق
تقحمت جاحم نار الحشى * وخضت بحار سواد الحدق
أكنت الخليل وكنت الكليم * أمنت الجوى وأمنت الغرق

انظر الى الاضياف في الرابعة والاربعين (قوله بمنزل قفر) كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول

بمنزل قفر

ليس اغلاقى لبابى أن لى * فيه ما أخشى عليه السرقا
انما أغلقته كى لا يرى * سوء حالى من يمر الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

ثم أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى وكان من أهل الملح فاستضافه أعرابى فقال ما عندنا الا الاسودان فقال الاعرابى خير كثير فقال لعلك تظنهما التمر والماء والله ما هما الا الليل والحرة فلم يكن ليزيد دار الا الحرة وهى أرض سوداء فيها حجارة سود وهى مقبرة المدينة والقبور المجصصة بالليل موحشة فخططنك بقبور وسود البناء فى أرض سوداء فى ظلمة الليل كيف حال من يكون هذا قراه فبهذا البلاء عرض يزيد على ضيافة الاعرابى ونحو هذا من أقوال المتزحين قول أبى الشمقمق ويروى عن وهب عابس قرطبة

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابى
فمنزلى الفضاء وسقف بيتى * سماء الله أو قطع السحاب
لانى لم أجد مصراع باب * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود تخت * أؤمل أن أشد به ثيابى
ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهر ذا أبدا ودابى

(وقال آخر)

ولما التمست الرزق فانجذ حبله * فلم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت من الاعدام احدى بناته * فزوجنيها الفقر اذ جئت أخطب
فأولدتها الحرب الشقى فماله * على الارض غيرى والدحين ينسب
فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان علىّ بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب
ولو قطر الناس الدنانير لم يكن * بشئ سوى الحصباء رأسى تحصب
وان يقترف ذنبا برقة مذنب * فانّ برأسى ذلك الذنب يعصب
وان أرخ خيرا فى الانام فنازح * وان أرشرا فهو منى مقرب
أمامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه ورائى جحفل حين أركب

(وقال آخر)

لو ركبت البحار صارت أجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا

ولواني وضعت ياقوتة حمـراء في راحتي لصارت زجاجا
ولواني وردت عـذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا

(وقال آخر)

لو وردت البحار أطلب ماء * جف قبل الورود ماء البحار
أو مسست العود النضير بكفي * لذوى بعد بهجة واخضرار
أو رمى باسمي النجوم الدراري * لا نزوى ضوؤها عن الابصار
ولواني بعت القناديـل يوما * أدغم الليل في ضياء النهـار

(وقال شواش)

كسدت شواشينا وقل معاشنا * فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قطعت رؤس الناس أو * خلقوا الشقوتنا بغير رؤس

ومنزل حلف فقر ولكن يافتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشئي فيد

قيـل لابي الشمقمق ابشر فانا روينا في الحديث العارون في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فأنشأ يقول

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شئ اذا قيل * لمن هذا قلت ذالي
فأراضي الله فرشي * والسموات ظلالي
ولقد أفلست حتى * حل أكلي لعيالي
من رأى شيأ محالا * فانا عين المحال
لو بقي في الناس حر * لم أكن في مثل حالي

(قوله منزل) أي مضيف (حلف) صاحب (منشئي) موضعي الذي نشأت فيه و(فيد) بلد مشهور في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد وفيها عين ماء وينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيئ وهم في سفح جبلهم المعروف بسلمى وقد ذكرها زهير في قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم * ماء بشرقي سلمى فيد أوركل

قال الزجاجي سميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها قال ويقول أهل العراق هي من قولهم فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات أو من قولهم استفاد فائدة وقلما يقولون أفاد فائدة والفيـد أيضا نور الزعفران قال شيخنا ابن جرير رضي الله عنه انه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضحوة يوم السبت الثامن من المحرم سـنة سبع وتسعين مع أمير الحاج وصبحوا فيدا يوم الاحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم ثم وصفها فقال هي مصر كبير منفرج في بسـيط من الارض ممتـد حوله ربض لطيف بسور عتيق وهو معمور بسكان من الاعراب يتعيشون من الحجاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وفيها ينزل بعض الحجاج بعض أزوادهم اعتدادا لارمال من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها وهي نصف الطريق من بغـداد الى مكة أو أقل يسـيرا ومنها الى الكوفة اثناعشر يوما في طريق سهلة ودخلها أمير الحاج على تعبية رأهبة ارهابا للمجتمعين بها من الاعراب لئلا يداخلهم الطمع في الحاج فهم لا يجدون اليهم سبيلا والمياه كثيرة في آبارها اعتدها عيون تحت الارض وامتـلأت أيدي الحجاج القادمين من أغنـام

ووردت هـذه المدرة امس مع أخوالى من بنى عبس فقلت له زدنى ايضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتنى أمى برة وهى كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على مايقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف أحى هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدى وصدفنى عن التعرف اليه صفر يدى فنصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولى الالباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها فى عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها فى الآفاق فأحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على ماسردها ثم استبطناه عن مرتآه فى استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردنى خف على أن أكفل ابنى فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك فى الحال فقال وكيف لا يقنعنى نصاب وهل يحتقر قدره الامصاب (قال الراوى) فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك السنع

العرب بالمبايعة فلم يبق خيمة ولا مظلة الا الى جانبها كبش أو كبشان بحسب الوجد فعمت جميع المحلة الغنم واللبن والسمن والعسل فأكلوا واحتملوا وكان ذلك اليوم عيد الركب قال وبهذه المحلة العراقية وما انضاف اليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم الا الله تعالى يغص بهم البسيط الافيح ويضيق بهم المهمه الفيحح فترى الارض تميد بهم ميدا وتموج بجمعهم موجا فتبصر بهم بحرا طامى العباب ماؤه السراب وسفينه الركاب وشراعه الظلال المرفوعة والقباب يسير سير السحاب متداخلا بعضها على بعض فتعاين تزاحما فى البراح المنفسح يهول ويروع واصطكاكا كالمسبع النجارات فيه فبعضها ببعض مقروع فمن لم يشاهد هذا السفر العراقى لم يشاهد عجبا يتحدث به ويتحف السامع بغرائبه والقدرة والقوة لله وحده وحسبك ان النازل فى منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتلف وعاد منشودا بجملة الضوال وربما اضطر به الحال الى الوصول لمضرب الامير ورفع المسئلة اليه فيأمر أحد المنشدين ممن أعد لذلك أن يردفه خلفه على جمل ويطوف به المحلة مناديا باسم جماله وبلده الى أن يؤديه الى رفقته وعجائب هذه المحلة كثيرة ولاهلها من اليسار مايغنيهم على ماهم بسبيله وماذكرنا أمر هذه المحلة الا ليستدل على ان فيها بلدا فى غاية القوة والعمارة حيث أمد هذا الجمع الكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الارزاق وان قبائل طئ متوفرة بحيث تطلع الى الغارة على مثل هذه المحلة والملك لله وحده ومفنى الجميع بعد كمال العدة (قوله وردت) أى أتيت (المدرة) البلد (عبس) قبيلة (ايضاحا) بيانا (نعشت) جبرت و (برة) الاول اسمها والثانى صفتها يريد أنها مكرمة كثيرة البر (نكحت) تزوجت (عام الغارة) أى عام أغار عليهم عدوهم (ماوان) بلدة (سراة) سادة (آنس) أبصر و (الاثقال) الامتلاء بالولد (باقعة) داهية ويقال انه الذى جال بقاع الارض وعرف خيرها وشرها قال ابن الانبارى رحمه الله فلان باقعة أى داهية حذر محتال حاذق والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المباقع ولا يرد المشارع والمياه المحصورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد ثم شبه به كل حذر محتال (هلم جرا) معناه الى الآن قال ابن الانبارى هلم جرا سيروا على هينتكم أى تثبتوا على سيركم ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها أخذ من الجر فى السوق وهو ان تترك الغنم والبقر ترعى فى السير وينتصب جرا فى قول الكوفيين على المصدر لان فى هلم معنى جر وفى قول البصريين هو مصدر فى موضع الحال تقديره هلم جارين أى مستثبتين قياسا على جاء عبد الله مشيا وأقبل ركضا وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض وقال بعضهم ينصب على التمييز (يتوقع) ينتظر (أودع) أدخل (اللحد البلقع) اللحد الخالى (صدفنى) أمالنى (التعرف) أن يعرفه انه أبوه (صفر يدى) فراغهما من الدراهم (فصلت) زلت (مرضوضة) مدقوقة مكسورة (مفضوضة) متفرقة (أولى الالباب) أهل العقول (العجاب) مبالغة فى العجب (خلدوها) أى أثبتوا اسكنها (الآفاق) البلدان وجهات الارض جميعها (أساودها) اقلامها (رقشنا) كتبنا (على ماسردها) أى كما حكاها وتكلم بها (استبطناه) سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه (مرتآه) رأيه وغرضه (ردنى) كمى (أكفل) اضم (نصاب) عشرون دينارا (ألفناه) جمعناه (يقنعنى) يكفينى (مصاب) مجنون (قوله قسطا) أى نصيبا (قطا) كتابا (الصنع) الفعل

الجميل

واستنفد فى الثناء الوسع
حتى اننا استطلنا القول
واستقللنا الطول ثم انه نشر
من وشى السمر ما أزرى
بالحبر الى ان أظل التنوير
وجشر الصبح المنير
فقضيناها ليلة غابت
شوائبها الى أن شابت
ذوائبها وكمل سعودها الى
ان انفطر عودها ولما ذر قرن
الغزالة طمر طمور الغزالة
وقال انهض بنا لنقبض
الصلات ونستنض الاحالات
فقد استطارت صدوع
كبدى من الحنين الى
ولدى فوصلت جناحه حتى
سنيت نجاحه فحين أحرز
العين فى صرته برقت أسارير
مسرته وقال لى جزيت
خيرا عن خطا قدميك والله
خلفتى عليك فقلت أريد
أن أتبعك لاشاهد ولدك
النجيب وأنافثه لكى يجيب
فنظر الى نظرة الخادع الى
المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع وأنشد
يامن تظنى السراب ماء
لما رويت الذى رويت
ماخلت أن يستسر مكرى
وأن يخيل الذى عنيت
والله مابرة بعرسى
ولالى ابنه اكتنيت
وانما لى فنون سحر
أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعى فيما
حكى ولا حاكها الكميت

الجميل (استنفد) استتم (الوسع) الطاقة ووسع الرجل قدر ما يجده من مال أو كلام أو غير ذلك وهو من السعة أى أتى غاية ما يمكنه من الثناء (استطلنا) استكثرنا ووجدناه كثيرا طويلا والطول الانعام والفضل أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلا و(الوشى) ثياب مرقومة بالوان شتى من الحرير و(الحبر) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة والحبر تصنع باليمن فشبه حسن حديثه بالوشى وانه قصر بالحبر لحسن فنونه وقال ابن الرقاق وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم أبو زيد وزاد عليه بالشجاعة

لله ليلتنا التى استجلى بها * فلق الصباح لسرية الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم * من قتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نطرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

(جشر) طلع (قضيناها) أتممناها (شوائبها) ما ينكدها ويكدرها (الذوائب) الشعر الطويل الاسود وأراد به ظلام الليل وجعل فيه بياض الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر قال ابن دريد

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(انفطر) انشق وطلع (عودها) بياض صبحها ويقال انفطر القضيب اذا بدا نبات ورقه وقال امرؤ القيس كتغعوبة البانة المنفطر * (قرن الغزالة) شعاعها وحاجبها والغزالة من أسماء الشمس وأسماؤها كثيرة ذكرها يعقوب وغيره وذكر منها عشرة خمسة بالهاء وهى الغزالة والخارجة والجونة ومهاة والهة وخمسة بغير الهاء وهى الشمس والسراج والصبح وذكاء ويوح (طمر) وثب (الغزالة) الظبية (انهض) أى قم (الصلات) العطايا (نستنض) نستحضر والناض المال الحاضر و(الاحالات) الديون التى وعدوه بها (استطارت) توسعت وانتشرت (صدوع) شقوق و(الحنين) الشوق والرحمة (وصلت جناحه) أى مشيت معه ويدى فى يده وجناح الرجل يده (سنيت) يسرت (نجاحه) قضاء حاجته (احرز العين) حصل المال و(صرته) خرقة دراهمه (برقت) لمعت (أسارير) طرق الوجه ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تبرق اسارير وجهه ويقال لها الاسرة ويقال لخطوط الكف الاسرة وقد جمعهما التهامى فى لفظ واحد فى قوله

يدى أسرة وجهه ويمينه * فى ساعة الاعسار والايسار

(مسرته) سروره أراد انطلق وجهه سرورا بالمال (خطا) مشى و(النجيب) الجيد العقل الكريم الاصل (قوله أنافثه) أى أكلمه (تغرغرت) امتلأت (تظنى) حسب (خلت) حسبت (يستسر) يخفى (مكرى) خدعى (يخيل) يلبس ويشبه (عرسى) زوجتى (فنون) أنواع (أبدعت فيها) أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها (يحكها) يحدث بها (حاكها) نسجها وقال مثلها الاصمعى مذكور فى المقامة الاربعين وأما الكميت الشاعر فهو ابن زيد الاسدى وهو شاعر مجيد مكثر جدا وديوان شعره مستعمل مشهور ولما قال قصائده الهاشميات قصد البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك فقال ومن أنت فانتسب له قال صدقت وما حاجتك قال أنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت أن أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير

ذلك ثم تحتى بستره قال يا ابن أخي احسب شعرك على قدر عقلك فقل راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ... وما لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فانشده

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب

قال لم لا يتطربك اذا فقل

ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تكلم ثعلب

قال أنت ممن ويحك والى من تسموقل

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال ما هذا فقد أحسنت فيه قال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب

قال ويحك من هم ويحك فقال

الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني أتقرب

فقال أرحني ويحك من هؤلاء فقال

بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال لله درك يا بني فقد أصبت وأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يتلب قولك ثم مر فيها فقال أظهر وأشهر فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقى فخيئذ قدم المدينة فاتى عبد الله بن الحسين فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها قد أشهدت لك بها شهودا فقال بأبي أنت وأمي كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم شيئا الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله ثمنا فلما أبى عليه أخذه ثم رده فدفعه لي أربعة غلمان فجعل يدور بدور بني هاشم ويقول هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني أمية فاثيبوه بما قدرتم فاجتمع له من حلي النساء ومن الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن في دولة عدونا فاستعن بهذا على دهرك فقال بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطبتم وما أردت بمدحي اياكم الا الله فاردده الى أهله فجهد به بكل حيلة فأبى فقال اما اذا أبيت أن تقبل فان رأيت ان تقول شعرا تعصب به بين النزارية والتميمية لعل فتنة تحدث فتخرج بين اضغانها فقال قصيدته التى أولها

الا حييت عنا يا مدينا ... وهل ناس تقول المسلمينا

فعرض فيها وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم مثل قوله

لنا قمر السماء وكل نجم ... يشير اليه أيدى المهتدينا

وما ضربت هجان بني نزار ... هوا جم من فحول الاعجمينا

وما حملوا الحمير على هجان ... مضمرة فيلفوا مبغلينا

ومشت في العرب فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار وثارت العصبية في البادية والحاضرة وتحزب الناس فتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن فانحرف عنه الى الدعوة

العباسية

العباسية وكان الكميت سبب ذلك وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببنى أمية يطلبه خلفاء بنى أمية فهرب منهم عشر ين سنة فقدهشام بن عبد الملك فى طلبه ولم يجده ولم يستقر للكميت قرار من خوفه وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يتقضيها الله لا يرده فيها فخرج مسلمة لبعض صيوده فأتاه الناس يسلمون عليه فأتاه الكميت ومسلمة لا يعرفه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله يا مسلم ابن أبى الوليد * لقد ظننت انى شئت ناشر

علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور

فالآن صرت الى أمية * والامور لها مصاير

والآن كنت به المصيب * كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الذى أقبل من أخريات الناس ثم بدأ بالسلام ثم قال أما بعد ثم بدأ بالشعر قبل الكميت فأعجب بفصاحته فسأله عما كان فيه من طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال هشام نعم الحمد لله من هذا قال الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته وجعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقينا وأبصر مستبينا وأشهد بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده العربى ورسوله النبى الامى الذى أرسله والناس فى هفوات حيرة ومدلهمة ظلمة عند استقرار أبهة الضلالة فبلغ عن الله ما أمر به حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم ثم انى يا أمير المؤمنين تهت فى حيرة وحرت فى سكرة أهاب بى داعيها فأجابه غاويها فاطمطيت فى الضلالة حائدا عن الحق قائلا بغير الصدق فهذا مقام العائذ بك ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال هشام وقد علم انه الكميت من سن لك هذه الغواية وأهاب بك فى العماية قال الذى أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما وأنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها فبصرت وحقن بك دماء قوم اشرب خوفك قلوبهم لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك وعز بأسك وثبات جأشك وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الالباب برأى أريب وحلم مصيب فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء وأتم عليه النعماء ودفع به الاعداء فرضى عنه وأمر له بمال كثير فهذه منزلة الكميت من الشعر والخطابة خلافا لمن يقول القافية جلبته فى المقامات وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه (قوله حاكها) أى نسجها يريد أن الكميت ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه فلذلك قال حاكها وسأل بعض الخلفاء جريرا عن النابغة وزهير فقال نيران الشعر وبستانه والعلماء بالشعر يسمون صناع الشعر عبيد الشعر مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت (قوله تخذتها) أى اتخذتها يقال تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ وخفف عنه حذفوا ألف الوصل من اتخذ والتاء الاولى الساكنة التى هى فاء النعل فبقى تخذ ومثله اتقى يتقى وتقى يتقى حذفت ألفه

تخذتها وصلة الى ما

تجنيه كفى متى اشتهيت
ولو تعافيتها الحالت
حالى ولم أحو ما حويت
فهد العذر أو فسامح
ان كنت أجرمت أو جنيت
ثم انه ودعنى ومضى وأودع
قلبى جمر الغضى

(المقامة السادسة المراغية)

(روى الحرث بن همام)
قال حضرت ديوان لنظر
بالمراغة وقد جرى بذكر
البلاغة فأجمع من حضر
من فرسان البراعة وأرباب
البراعة على أنه لم يبق من
ينقح الانشاء ويتصرف
فيه كيف شاء ولا خلف
بعد السلف من يبتدع
طريقة غراء أو يفترع رسالة
عذراء وان المفلق من كتاب
هذا الاوان المتمكن من
أزمة البيان كالعيال على
الاوائل ولو ملك فصاحة
سحبان وائل وكان بالمجلس
كهل جالس فى الحاشية
عند مواقف الحاشية فكان
كلما شط القوم فى شوطهم
ونثروا العجوة والنجوة من
نوطهم

وتاؤه الاولى وليس بطرد هذا التخفيف واغما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع فقالوا اتقى وتخذ وتجه وتسع (وصلة) أى موصلة (تعافيتها) تكارهتها وهى تفاعلت من عفت الشئ أعافه عيافا أى كرهته (حالت) تغيرت (أحو) أجمع (مهد) اقبل وسهل (أجرمت) أذنبت لنفسى (جنيت) أذنبت لغيرى أراد ان كان عذرى بينا فاقبله وان كنت ظالما فتجاوز وسامح (أودع) ضمن وجعل فيه (الغضى) شجر جمره يبيت فى النار

(شرح المقامة السادسة وهى المراغية)

وتعرف بالحيفاء (ديوان النظر) أى مجلس المناظرة (المراغة) بلدة من كور اذربيجان (البراعة) القلم قبل أن يبرى ويسوى فاذا برى وسوى قيل له قلم وبقى عليه الاسم الاول وهو البراعة والبراع القصب (أرباب البراعة) أصحاب اصالة الرأى والبارع الاصيل الجيد الرأى ويقال برع يبرع بروعا وبراعة اذا فاق فى السودد (ينقح) يحسن ويخلص (الانشاء) الكتابة (خلف) بقى (السلف) المتقدمون وسلفوا ذهبوا وتقدموا (يبتدع) يحدث (طريقة) حالة موصوفة وطريقة فلان كذا أى حالته التى هو عليها (غراء) واضحة مشهورة لم يقل أحد مثلها وغرة الشئ أوله (يفترع) يفتض (عذراء) بكرا سميت عذراء لصعوبة جماعها وتعذر الشئ تصعب وافتراع البكر ادماؤها وازالة ما تصعب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته فمعنى يفترع رسالة عذراء أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره فاقتدر هو على سلوك طريقها والاتيان بها (المفلق) الفصيح المعرب الذى يأتى بالفلق وهو الشئ العجيب (الاوان) الوقت (العيال) من يتكل فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه وعال الرجل عيلة اذا افتقر وعلته عولا قمت بمؤنته فيريد أن كتاب هذا الزمان عيال على من تقدمهم حيث افتقروا الى الاخذ من كلامهم وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى ان شاء الله تعالى (الكهل) التام الخلق بين الشاب والشيخ (الحاشية) طرف المجلس و (الحاشية) الثانى الاتباع وخدمة القوم وأصلها رذال المال وصغاره ، قال يعقوب الحاشية والحواشى والحشو صغار الابل وأنشد ، جللتها والاخر الحواشيا * (شط) بعد (شوطهم) طلقهم (نثروا) القوا عليها (العجوة) التمرة الطيبة (والنجوة) الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وما وجدت فى كتاب لغة ان النجوة اسم للتمرة الرديئة وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث فى كل كتاب يتهم فيه ذكر النخل والتمر فأخبرنى أنه ما وجد لها ذكرا وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم فى التمر الردئ لا أنها لغة عربية فانه حملها كما استعمل غيرها من لغة بلده لان البصرة أكثر بلاد الله نخلا فيسمون كل نوع من التمر باسم والتمر تكثر أنواعه عندهم ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ورأيت بها نوعا من التمر زعموا أنه لا يطيب أبدا واغما حاله أن ينكمش على نواه فلا تجد الا جلدا يابسا على النواة فيعلفونه المعز فيحتمل أن يكون مثل هذا فى نخل البصرة يسمى نجوة ويقابل بالعجوة التى هى أشرف التمر وأطيبه وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الارض فلا معنى له * الفنجديهى النجوة قيل انها الناطفة التمر اذا سقطت لا يبالى بها فان صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التى هى العذرة (نوطهم) وعائهم قال أبو حنيفة النوطة الحلة الصغيرة من

حلال التمر واحدها الوعاء الذى يكنز فيه التمر وكل وعاء له علاقة فهو نوطة والجمع نوط وقد ناطه ينوطه اذا علقه فأراد ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم (ينبئ) يخبر (تحاز رطرفه) كسر عينه بالنظر وتحازر نظر بمؤخر عينه وهو نظر المنكر للشئ (تشامخ) ارتفع وهو فعل المستحقر للشئ (مخرنبق) متهيئ (لينباع) لينهض وفسر أبو عبيد فى الامثال فقال المخرنبق المطرق الساكت لينباع ليثب اذا أصاب فرصة قال ومعناه أنه سكت لداهية يريدها وقيل المخرنبق الساكت على السوء لينباع ليظهر الذى فى ظنه من الشر (مجرمز) منقبض وهو كقول النابغة

وقلت ياقوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

فأخذه ابن الرومى فقال

سكن سكونا كان رهنا لوثبة * عماس كذاك الليث للوثب يلبد

(نابض) رام ويقال أنبض القوس اذا جذب وترها ثم أطلقه لتختبر شدتها ونبض العرق تحرك فيكون نابض على النسب أو على حذف الزائد فيجىء على أورد أبو الحسين بن فارس اللغوى فى كتابه المجمل ان نبض لغة فى أنبض وهما بمعنى واحد قال الشاعر

فان أباها مقسم بيمينه * لئن نبضت كفى فانى لنابض

فصح بهذا قوله (رابض) لاطئ بالارض وربضت الشاة اذا اضطجعت (يبغى النضال) أى يطلب المراماة وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليجاذبوه (قوله تثلت) أى نفضت وصب ما فيها (الكنائن) الجعاب وهى أوعية السهام (فاءت) رجعت (السكائن) جمع سكينة وهو الوقار يريد أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا (ركدت) سكنت (الزعازع) الرياح الشديدة المزلزلة واحدها زعزع (كف المنازع) أمسك المخالف يريد انقطع كلامه (اذا) أمر افظيعا منكرا (جرتم عن القصد) خرجتم عن الاستقامة (جدا) كثيرا (الرفات) البالية (افتتم) فعلتم مالا يجب وتجاوزتم فيه ويقال افتات الرجل افتعل من الفوات وفات ذهب وعدم (غمصتم) حقرتم وغطيتم (جيلكم) أهل عصركم (اللدات) جمع لدة وهو الذى ولد معك (جهابذة) حذاق الواحد جهبذ (النقد) معرفة الكلام نقده ميزه وأصله من ميز الدراهم الجيدة من الرديئة (موابذة) حكام والموبذ الكثير الجاه من الفرس مثل الوزير والقائد (أبرزته) أظهرته (طوارف) جديدات وغريبات (القرائح) الاذهان (برز) غلب (الجذع) من الخيل ابن سنتين (القارح) ابن خمس أى غلب فيه الحديث العصر القديم (عبارات) جمع عبارة وهى التفسير وعبرت عن فلان تكلمت عنه وكنت لسانه (المهذبة) المخلصة من العيب و(الاستعارة) أن تعير اللفظ مايستحقه غيره وهى من العارية (الموشحة) المزينة (الاساجيع) جمع أسجوعة وهى الكلام المربوط بقافية (أنعم) بالغ (المطروقة) التى نزل عليها (المعقولة) المربوطة (الشوارد) الفارة يقول ليس للقدماء الا المعانى التى قصدها المتأخرون كما قصدها المتقدمون وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون فكان تقييدها سببا لان مشت فى الاقطار فعرفت وحفظت (المأثورة) المحدث بها (الصادر) الخارج عن الماء و(الوارد) الداخل اليه وذكر هنا ان الصادر يتقدم الوارد وذلك أنا اذا فرضنا موضع ماء لايمكن وروده الا واحدا بعد واحد فالصادر يسبق الوارد على ماذكره فى المقامة قال الحريرى فى درة الغواص ان الخواص يقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد

ينبئ بتحازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد اباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغى النضال فلما تثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وسكت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيأ اذا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتم فى الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم ياجهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا أنعم النظار من حضر غير المعانى المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد

وانى لاعرف الآن من اذا أنشا وشى واذا عبر حبر وان أسهب أذهب واذا أوجز أعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناطورة الديوان وعين أولئك الاعيان من قارع هذى الصفاة وقريع هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا شئت ذاك فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له ياهذا ان البغاث بأرضنا لايستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه

ووجه الكلام أن يقال الوارد والصادر لانه مأخوذ من الورد والصدر ولما كان الورد يقدم الصدر
وجب أن يقدم لفظ الوارد على الصادر وهذا كما ترى الورد يقدم الصدر فى حق واحد يقال ورد
الماء ثم صدر عنه وهذا فى حق اثنين كما تقدم وكما ذكره وفى هذا قيامة تالصادر تقدم الوارد
وقول الناس هذا أمر يعرفه الصادر والوارد فى حق اثنين فهم فيه على صواب ومحال أن يكون
المثال فى حق واحد لان الشئ لايعطف على نفسه ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز
تقديم الصادر عليه لان الواو لاتقتضى رتبة يقول لاتتحدث بكلسهم وتقدمهم بتركهم لفضلهم
علينا لكن لسبقهم لنا (أنشا) كتب (وشى) زين ورقم (عبر) تكلم أو فسر (حبر) حسن
(أوجز) اختصر (أعجز) أى عجز عن فعله غيره (أسهب) أطال الكلام (أذهب) جاء بالذهب
وأصل أسهب حفر بئرا بعيدة القعر وأذهب صادف معدن الذهب فى حفر (بده) ارتجل ولم
يتفكر (شده) حير من يتعاطى منزلته (اخترع) قال مالم يسبق اليه (خرع) شقق المعانى (قوله
ناطورة) أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون اليه (الديوان) دار الكتاب وموضع اجتماعهم
والديوان الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم وأصله دوان فقلبت واوه الاولى ياء لانكسار
ماقبلها ودل عليه دواوين فى جمعه وهو اسم أعجمى عرب والاصل فى تسميته ان كسرى أمر
الكتاب أن يجتمعوا له فى دار ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام وأعجلهم فيه فأخذوا فى ذلك
واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من
كثرة حركتهم فقال أى ديوانه ومعناه شياطين ثم سمى موضعهم ديوانا ثم استعملته العرب
وجعل كل محصل من كلام أو شعر ديوانا (قارع) ضارب وكاسر (الصفاة) الصخرة الملساء
استعارها للمعجم من الكلام (قريع) سيد (الصفات) النعوت التى تقدم أنه يعرف بفعلها
و (قرن مجالك) صاحب كلامك الذى تقول فيه يعنى نفسه (قرين جدالك) صاحب مجادلتك
والقرن بالكسر الذى يقاتلك فى شدة وخصام أو نحوه وان لم يكن بينكما معرفة وقرينك صاحبك
الذى لايفارقك كأنه قرن معك والمجال الموضع الذى تراض فيه الخيل (رض) سس ولين
(النجيب) الفحل الكريم من الابل يعنى نفسه (ادع مجيبا) يقول سلنى ثم ادعنى استجب لك
(ترى عجيبا) فى حسن جوابى (البغاث) صغار الطير (يستنسر) يصير نسرا يقول نحن أهل علم
ومعارف فلا تجوز علينا الزخارف والعرب تقول فى أمثالها ان البغاث فى أرضنا يستنسر
أى يرجع الضعيف قويا لعزنا وحمايتنا له ممن يريده وقيل فى البغاث انه ذكر الرخم وقيل البغاث كل
مايصاد من الطير والجوارح كل مايصيد والرخم مالايصيد ولايصاد كالخطاف ونحوه (القضة)
الحصى البيض الصغار ويقال فيها القض والقضيض بالقاف والضاد ومعناه جاءوا بالكبير والصغير
والقضيض صغار الحصى وماتكسر منه وقالوا جاؤا قضهم بقضيضهم أى كلهم (استهدف) صار
هدفا وهو الغرض للسهم (النضال) المراماة (العضال) الذى لايبرأ منه (استثار) حرك (نقع)
غبار (الامتحان) الاختبار (يقذ) يقع فى عينه القذى وهو مايسقط فى العين يقول من صار
غرضا للالسنة قل أن يسلم ومن صار طالبا للمناظرة أهل المعارف أعيى وأخزى (المفاضح) الخزيات
واشتهار العيوب (وسم) علامة (قدحه) سهمه يريد قداح الميسر وكان كل رجل يعمل فى قدحه
علامة يعرف بها قال دريد بن الصمة

واصعر

وأصغر بين قداح النبع فرع * به علمان من عتب وضرس

الضرس العض بالضرس وسنذكر في الثالثة والاربعين قداح العرب (ستشترى) ستكشف (قوله تناجت) أي تحدثت سرا (يسبر) يقاس (لبيبه) بئره (يعمد) يقصد (تقليبه) تجربته (ذروه) اتركوه (حصى ذي النبالة تمتحى) خبرى وجعل لمسئلته حجرا يرميه به مجازا (عضلة) صعبة (العقد) جمع عقدة يريد أن عقدها اصعب الحل (محك المنتقد) وهو حجر يقاس به جيد الفضة والذهب من الردئ أراد أن مسئلته نهاية في الصعوبة والعضلة كل مسئلة شديدة لا يهتدى لمثلها ولا يوقف على جوابها من قولهم داء عضال ومعضل اذا كان شديدا لا يهتدى لدوائه ولا يوقف على علاجه وعضلت المرأة تعضيلا نشب ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة بيضتها كذلك وفلان عضلة من العضل أي داهية لا يهتدى لمكره (قوله الزعامة) أي الرياسة (وأبو نعامة) هو قطرى ابن الفجاءة التميمي الخارجي وكان له فرس يكنى بها في الحرب ويكنى في السلم أبا محمد وقطرى منسوب الى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعرا مجيدا وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بأمير المؤمنين عشرين سنة وكان خطيبا فصيحا وله خطبة في ذم الدنيا انتهى فيها من البلاغة الى الغاية وأولها أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحليت بالعاجل وتحببت بالامانى وتزينت بالغرور لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة لا تعدو اذا هي تناهت الى أمنية الرغبة منها والرضا عنها أن تكون كما قال تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا ومنها وكم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته وكم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وذى تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ومن جيد شعره في وقعة دولاب

لعمرك انى في الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طعت غلمان بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
فلم أر يوما كان أكثر مقطعا * يمج دما من فائض وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنى يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

أم حكيم التي شبب بها كانت معه في عسكر الاباضية وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها

وستفترى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصى لارميه بحجر قصى فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فاقبل على الكهل

وأحسنهم بدينه متمسكا وكان قطرى يحبها ويجلها وأخبر من شاهدها فى تلك الحروب انها كانت ترتجز فتقول

أحمل رأسا قد سئمت حمله * وقد مللت دهنه وغسله * ألا فتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والامهات وخطبها جماعة من أشرافهم فردتهم وقالت

الا ان وجها حسن الله خلقه * لأجدر ان يلقى به الحسن جامعا
وأكرم هذا الجرم عن أن يناله * نوائب خل همه أن يجامعا

أين هذه من أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد كان يقال لها خطب فتقول نكح وضرب بها المثل فقيل أسرع من نكاح أم خارجة وأين هى من حفيدة قطرى صاحبها حكى الاصبهانى عن اسمعيل ابن المباجر قال خرجت أنا والسيد الحميرى سكارى فلقينا بنت الفجاءة بن ظفر بن قطرى بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فواقفها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها فقالت كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قيل لها خطب قالت نكح فاستضحكت وقالت ننظر فى هذا وعلى ذلك فمن أنت قال،

ان تسأليني بقومى تسألى رجلا * فى ذروة المجد من أجواد ذى يمن
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به * من كبة النار للهادى أبى حسن

فقالت لا شئ أعجب من هذا يمان وتميمة ورافضى وأباضية فكيف يجتمعان كذا بحسن رأيك فى تحشد نفسك ولا يذكر أحد منا سلفا ولا مذهبا قالت أفليس التزويج اذا علم استعملته معه لستور قال وأنا أعرض عليك أخرى قالت وماهى قال المتعة التى لا يعلم بها أحد الصغرى أخت الزنا قال أعيذك بالله ان تكفرى بعد ايمانك قالت وكيف قال لها قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت أستخير الله وأقلدك اذ كنت صاحب قياس وتفتيش فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل فجحدت وقالوا أتزوجت بكافر فكانت تختلف اليه مرة وتواصله وقوله تقليد الخوارج أزمة الزعامة لما قتل الزبير بن على أمير الخوارج داروا أمرهم فأرادوا تولية عبيد بن هلال اليشكرى فقال ألا أدلكم على من هو خير لكم منى لكم من يطاعن فى قبل ويحمى عن دبر عليكم بقطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه، قوله (أوالى) أى ألازم وأتخذه وليا (أرقح) أصلح يقال رقح من عيشه اذا أصلح منه قال الشاعر

يترك مارقح من عيشه * يعبث فيه همج هامج

الهمج البعوض ثم قيل لأرذال الناس همج (الحالى) المزين بالحلى (أودى) عوجى (سالمة) كثرة (ذات يدى) أى مالى (عددى) عيالى (حذى) ظهرى وفلان خفيف الحاذ أى قليل العيال والمال وأصل الحاذ مؤخر الفخذين (تندوذاذى) فرغ قليل مالى والرذاذ المطر الضعيف (أمته) قصدته (أرجائى) جوانبى وبلادى (رجائى) أملى (روائى) حسن هيئتى وحالى (ارواتى) ازالة عطشى (هش) خف ورجل هش بسام طليق الوجه (للوفادة) القدوم عليه (وارتاح) طرب واهتز (الافادة) تكسيب الفوائد (المراح) بفتح الميم المشى والانصراف و(المراح) بالضم الموضع الذى تروح اليه الابل وتروح منه أرتاح اليه أى تساق بالعشى و(المراح) بالكسر النشاط والخفة وتدرج مرحا عجبا من الفرح (كاهل) ما بين فروع الكتفين استعارة للنشاط

وقال اعلم انى أوالى هذا الوالى لأرقح حالى بالبيان الحالى وكنت استعنت على تقويم أودى فى بلدى بسعة ذات يدى مع قلة عددى فلم تزل حاذى عددى ونفد رذاذى أممته من أرجائى برجائى ودعوته لاعادة روائى واروائى فهش للوفادة وارتاح وغدا بالافادة وراح فلما استأذنته فى المراح الى المراح على كاهل المراح

قال قد أزمعت أن لا أزودك شاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ لى امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانى حولا فما أحار قولا ونبهت فكرى سنة فما ازداد الاسنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته

(أزمعت) عزمت (بتاتا) زادا (شتاتا) مالا متفرقا (تنشئ) تصنع وتكتب (امام ارتحالك) قبل سفرك (تودعها) تضمنها وتجعل فيها (يعجمن) ينقطن واعجمت الكتاب أزلت عنه عجمته (قط) لفظة موضوعة لما مضى من الدهر وجعل الحريرى قول الخواص لا أكلمه قط من أفحش الخطا لتناقض الكلام قال وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبدا فيما يستقبل فيقولون ما كلمته قط ولا أكلمه أبدا والمعنى ما كلمته فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اذا قطع طرفه وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان اذا استقبل قد واذا استدبر قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا يقول تصنع رسالة تضمنها حالك يكون تركيبها من كلمة يعم حروفها النقط وكلمة لا ينقط منها حرف وبهذا المعنى سميت المقامة الخيفاء لان الاخيف من الخيل الذى احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء (استأنيت) أمهلت وأخرت (أحار) رد وراجع (نبهت) أيقظت (سنة) حولا (سنة) نوما (قاطبة) جماعة (قطب) وجهه اذا عبسه (صدعت) أوضحت وأظهرت وأصل الصدع الشق (باليقين) بالحق الواضح (آية) علامة قال ابن الانبارى رحمه الله فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه قيل انها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها واحتج أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر

بآية ما تحبون الطعاما ❊ وبقول النابغة توهمت آيات لها فعرفتها ❊ لستة أعوام وذا العام سابع

الثانى سميت آية لانها جماعة حروف قال أبو عمرو خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم الثالث سميت آية لانها عجب من العجائب فالآية العجب (قوله استسعيت) طلبت سعيه أى جريه و(اليعبوب) الفرس السريع (استسقيت) استمطرت وطلبت سقياه و(الاسكوب) المطر الكثير (باريها) صانعها وكل هذه أمثال ويريد أنا أهل لكل ما طلبت وأول من قال أعط القوس باريها الحطيئة وذلك أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يقرى الناس فأكل أكلا جافيا وخرج الناس فأقام وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستى انى بنفسى عنهم لأرغب فقال له سعيد دعه ثم تذاكروا الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ولو أعطيتم القوس باريها وقعتم على ما تريدون فقال له سعيد فمن أشعر العرب قال الذى يقول

لا أعد الاقتار عدما ولكن ❊ فقد من قد رزئته الاعدام

الى آخر القصيدة قال فمن قائلها قال أبو دواد الايادى قال ثم من قال والله لحسبك عندى رهبة أو رغبة أنا اذا رفعت احدى رجلى على الاخرى وعويت فى اثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى اثر أمه قال ومن أنت قال الحطيئة قال حياك الله يا أبا مليكة ألا أعلمتنا بمكانك ولم تحملنا على الجهل بك فنضيع حقك ونبخسك قسطك وأدناه ووصله قال الشاعر

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه ❊ لا تظلم القوس أعط القوس باريها

(ريث) مقدار وبطء (استجم) استكثر (قريحته) طبيعته والقريحة فى الاصل أول ماء البئر النابع واستجمها تركها حتى تكثر (استدر) استنزل درها وهو لبنها و(اللقحة) الناقة ذات اللبن يريد أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول ومثل هذه الحالة ذكر أن صديقا لكلثوم العتابى أتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الاشاردة عنك فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى

حتى يرجع الى موضعه وهذا مثل قول امرئ القيس ويقال انه قالها وهو ابن عشر سنين

أذود القوافى عنى ذيادا * ذياد غلام غوى جوادا

فلما كثرن وعنينه * تخير منها جوادا جيادا

فأعزل مرجانها جانبا * وآخذ من درها المستجادا

(وقال عريف القوافى) .

أبيت بأبواب القوافى كأنما * أصادى بها سربا من الوحش نزعا

عواصى الا ما جعلت وراءها * عصاه وستغشى وجوها وأذرعا

اذا خفت أن تزرى على رددتها * وراء التراقى خشية أن تطلعا

أصادى أدارى وجعل القوافى تتقحم عليه كالابل وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها (قوله ألق) أى اجعل فيها الليقة تقول لقت الدواة فهى مليقة وألقتها فهى ملاقة وجمع الليقة ليق ويقال للصوفة قبل أن تبل بالمداد البوهة والمرارة فاذا بلت بالمداد سميت ليقة وقد يقال لها ليقة قبل أن تبل سميت بما تؤول اليه كما قيل للكبش ذبيح وللصيد رمية فان كانت قطنة فهى العطبة والكرسفة وكرسفت الدواة كرسفة والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال للمداد نقس ونقس والكسر أفصح وقيل الفتح مصدر نقستها جعلت فيها النقس والحبر من المداد بالكسر لا غير والحبر بالفتح والكسر العالم وقال بعضهم سمى المداد حبرا باسم العالم كأنهم أرادوا مداد حبر فحذفوا ولو كان ما قالوه صحيحا لقالوا للمداد حبر بالفتح والاشبه أن يسمى حبرا لانه يحسن الكتابة من قولهم حبرت الشئ اذا حسنته ويقال للجمال حبر وسبر فداد حبرك ولك مداد زينة ويجوز أن يكون من الحبر والحبار وهو الاثر فسمى بذلك لتأثيره فى الكتاب ويقال مددت الدواة أمدها مدا اذا جعلت فيها المداد فان كان فيها مداد فزدت عليه قلت أمددتها فاذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت استمد فان سألته أن يعطيك على القلم مدادا قلت أمددنى من دواتك واستمددته أى سألته أن يمدنى وقال الخليل مدنى وأمدنى أعطنى من مداد دواتك وكل شئ زاد فى شئ فهو مداد له وأميت الدواة وموهتها اذا جعلت فيها ماء والامر من ذلك كله أمه وموه دواتك واشتقاق الدواة من الدواء لان بها اصلاح أمر الكتاب وبعض الشعراء اشتقها من دوى الرجل يدوى دوى اذا صار فى جوفه الداء قال

أما الدواة فدوى حملها جسدى * وحرف الخط تحريف من القلم

ووزنها فعلة تحركت الياء وقبلها فتحة فقلبت ألفا وتجمع دويات كقناة وقنوات ودوى كقناة وقنى ويقال أدويت فانا مدو اذا اتخذت دواة ويقال للذى يبيعها دواء كخياط واذا أمرت من يتخذها قلت أدو دواة ويقال لمن يحملها ويمسكها دواء ويقال لها الدواة والرقيم والنون ويقال للقلم والمزبر القلم والمذبر من زبرت وذبرت أى كتبت ومن فرق بينهما قال زبرت بالراى أى كتبت وذبرت أى قرأت وسمى القلم قلما لانه قلم أى قطع وسوى كما يقلم الظفر وكل عود قطع وحز رأسه ثم يعلم بعلامة فهو قلم قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة ويقال للذى يتلع به القلم المدية وللذى يبرى به مبرى ولما سقط عن البرى والتقليم القلامة والبراية ويقال ان أعرابيا سئل عن القلم فتفكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدرى فقيل له توهمه

وقال ألق دواتك وارب
كلام لطيف يتعلق بالدواة
والمداد والقلم

تى تفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتاليم الاظفار ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب ولما بينها الانابيب واحدها انبوب ويستعملان فى الرمح وفى كل عود فيه عقد والعقدة التى تشبه قد تسمى الذنبة وجمعها أبن فان كان فى العود أو القصبة تأكل قيل فيه قادح ونقد ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره اللبط فان قشرت عنه قشرة قلت لحيت من اللحاء لبطه فان أخذت شحمته بالسكين قيل شحمته أشحمه فان أفرطت فى أخذها قلت بطنته تبطينا فهو مبطن وحفرته فهو محفور فان تركت شحمته قلت أشحمته اشحاما ويقال لغشائه الذى عليه الغلاف واللحاء والقشر فاذا نزعتها عنه قيل قشرته وبشرته ولحوته ونجوته وسحوته ويقال فى ثلاثتها بالياء وسحيته وجلته وجلفته ورسقته ونحته مشددان ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة فاذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل قططته أقطه قطا وقصمته اقصمه قصما والمقط بالكسر ما يقط عليه وبالفتح الموضع الذى يقط من رأسه فان جعلت احدى سنيه أطول من الاخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا فان سويتهما قلت قلم مبسوط فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشيق ويقال للقصب اليراع والاباء الواحد يراعة واباءة وقيل الاباء أطراف القلم أى القصب ويقال للقطن الذى يوجد فى بطنها البلم والقيصف والقيسع واحدته بلمة وقيصفة وقيسعة فان كان فى القصب تأكل قيل فيه قادح ونقد وكذلك العود والسن والقرن فان كان فيها عوج فذلك الدرء (قوله خذ أداتك) أى تلك

وقال ابن طاهر لكاتب له ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وقوسط بين الحروف وقال ابن عبد ربه ينبغى للكاتب أن يصلح آلته التى لا بد له منها وأداته التى لا تتم صناعته الا بها وهى دواته فليبغ بها اصلاحها ثم ليتخير من أنابيب القصب أقلها عقدا وأكثفها لحما وأصلبها قشرا وأعدلها استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا ليكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصب واعلم أن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس نظم هذا أحد الشعراء فقال

يمسك الفارس رمحا بيد ⁂ وأنا أمسك فيها قصبه

فكلانا فارس فى شأنه ⁂ انما الاقلام رمح الكتبه

وقال أبو الفتح البستى

اذا هز أقلامه يوما ليعملها ⁂ أنساك كل كمى هز عامله

وان أقر على رق أنامله ⁂ أقر بالرق كتاب الانام له

رأى جعفر بن يحيى خطا فاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها ومن كتاب لجعفر بن يحيى الى محمد بن الليث يستوصفه الخط أما بعد فليكن قلمك محرفا لا سمينا ولا رقيقا ضيق التلب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة أعطف بطنه ورقق شفرتيه وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج مخرج السحاء مستويا من أحد الطرفين الى آخره فليس تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر مطك فى اطراف القرطاس الذى فيه يسارك واقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر الا بقدر نصف الخط ولا يقوى عليه الا الحاذق قال العتابى سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت له ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من الدرية الظهور النيرة القشور الفضية الكسور قال فأى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت له البرية المستوية القطة التى عن يمينها برية

وخذ أداتك واكتب

تاتى معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها صفيق وللريح فى جوفها خريق والمداد فى خرطومها رقيق فبقى شاخصا الى لا يجد جوابا وقال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب الى خلال جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأتى لامتطاء الانامل وارسال المدة بعد اشباع الحروف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع وقال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال وقال بعض الكتاب أيضا

وما روض الربيع وقد زهاه ✱ ندى الاسحار يأرج بالغداة

بأضوع أو بأسطع من نسيم ✱ تؤديه الافاوه من دواة

كان هذا يقادى من قول الآخر

دعى فى الكتابة لا روى ✱ له فيها يعد ولا بديه

كأن دواته من ريق فيه ✱ تلاق فريحها أبدا كريه

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره فقال له

لا تجزعن من المداد فانه ✱ عطر الرجال وحلية الكتاب

(ولبعضهم يهجو كاتبا)

حمار فى الكتابة يدعيها ✱ كدعوى آل حرب فى زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ✱ ولو لطخت نفسك بالمداد

وقال كشاجم لوراق يدعى الكتابة

وزعمت أنك فى الكتابة مدرك ✱ شأوى فقلت رماحها أقلام

هيهات تلك صناعة ممروحة ✱ فمها ضياء واضح وظلام

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى ✱ وبه يمج دماءنا الحجام

وقال أبو العيناء كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والاصل أحوج الى المراعاة من الفرع وهذا السواد حاجة هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ ✱ وأسلمه الوجود الى العيان

ووشاه فنمنمه جواد ✱ فصيح فى المقال بلا لسان

ترى حلل البيان منشرات ✱ تجلى بينها صور المعانى

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم فى يده فأنشد

اذا ما التقينا واتضينا صوارما ✱ يكاد يصم السامعين صريرها

تساقط فى القرطاس منها بدائع ✱ كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

تقود أبيات البيان بفطنة ✱ تكشف عن وجه البلاغة نورها

تظل المنايا والعطايا شوارعا ✱ تدور بما شئنا وتمضى أمورها

اذا ما حطوب الدهر أرخت ستورها ✱ تجلت بشاحمايسر ستورها

وقع رجل وكيعا فقال الرجل ان الك بحرمة فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب بمحبرتى عند الاعمش فوثب وكيع الى منزله ثم أخرج صرة دنانير فدفعها اليه وقال له اعذرنى فما أملك غيرها

اليه وقال أبو الحسن بن ليال فى محبرة آبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كافٍ بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وحدثنى عن شيخى الفقيه أبى عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين قال حدثنى أبى أنه كان بسبتة أيام الشبيبة والطلب فى مجلس جمع من طلبة الادب فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة فأطرقوا يرتؤون فبادرهم أبو الطالب بن أبى ركب فقال

جاءتك من غرر العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فاستحسنها من حضر ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر فكتب الرجل فى رقعة فبعد ما سار بها قليلا رجع فأبرزمنها قلم صفر مذهبا ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف الى البيتين فأطرقوا يرتؤون فى ذلك فبادرهم أبو طالب المذكور فقال

كملت بأصفر من نجار حليها * تخفيه أحيانا وحينا يظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما نشاء ويذكر

(وقال آخر يصف دواة وأقلاما)

قد بعثنا اليك أم العطايا * والمنايا زنجية الاحساب
فى حشاها من غير حرب حراب * وهى أمضى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * تصاب من المرء الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها * لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

(وقال أبو الفتح البستى)

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال البحترى تعنوله وزراء الملك راغمة * وعادة السيف أن يستخدم القلما

(وقال أبو العباس التنوخى)

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يقابله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذاقضى الله للاقلام مذبريت * أن السيوف لهامذأرهفت خدم
(وناقضه أبو الطيب المتنبى فقال)*
حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * فانما نحن للاسياف كالخدم
وقال الصولى فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم أنا أكتب بلاغرر وأنت تقتل على خطر فقال صاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده والافالى السيف معاده قال الصولى وقال بعض اليونانيين الدين والدنيا تحت شيئين سيف وقلم والسيف تحت القلم وفى ذلك يقول جرير النميرى
أتحقرنى ولست لذاك أهلا * وتدنى الاصغرين من الخوان
جهابذة وكتاب وليسوا * بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى اذاما * تلاقى الحلقتان من البطان
وقال كشاجم هنيألاصحاب السيوف بطالة * تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الامر لم يرع * بحرب ولم ينهر لقرن مصمم
وكل ذوى الاقلام فى كل ساعة * سيوفهم ليست تجف من الدم
وقال آخر قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالاينال بحد المشرفيات
(وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه)
واذا تألق فى العيون كلامه المعمود خلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انحنت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * مناو يبعد نيله من قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود لها * شخص الحبيب بدا لعين محبه
(وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية)
مارقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن وجهة الهزل الى الجد
ياكاتبا أسلمنى عتبه * اليه حسبى منك ماعندى
(وقال البحترى فى ابن الزيات)
قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس ذكر عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك * امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد

ما أعيرت منه بطون القراطيس وما جلت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
فالعذارى غدون فى الحلل الصفر اذا رحن فى الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود ان شاركاك فى اللفظ فقد تاركاك فى الخط فقال يا أمير المؤمنين ان من أعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه أدّى عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنا ولا يقرأ من حروفها حرفا وبقى عمود ذلك فى أهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد لنهيه ولامره فتعاقبت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ولو كنت أميا قد ذكرنا من آلات الكتابة نثرا ونظما ما فيه كفاية وفى السادسة والعشرين من النظم فى أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردناها وانما أخرج الحريرى رسالته الخيفاء من هذه الاوصاف المنظومة فى الرسائل التى قدمناها آنفا لما ذكر من أن جميع الكتاب قطب لانشائها وباب لما فيها من لزوم نقط لفظة وترك أخرى وهى على ما بها من التكلف رائقة المعانى أنيقة المبانى ولو غيره تعاطاها لاظلمت معانيها وتداعت مبانيها فلله هو لقد كان منقادا له صعب الكلام بأيسر مرام وما هو فى محاولة البلاغة الا كما قال ابن حبيب فى سليمان بن وهب

سرح نطقه اذا ما استمرت * عقد العى فى لسان الخطيب
ومصيب شواكل الامر فيه * مشكلات ملكن لب الليب
لا معنى بكل شئ ولكن * ما عجيب فى عينه بعجيب

(قوله غض الدهر جفن حسودك) يقال غض جفنه أى سدّ عينه دعاء عليه بالعمى يقول الكرم يزين صاحبه واللؤم وهو البخل يشينه ويعيبه ثم دعا له بدوام السعد وثبوته وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين (الاروع) السيد الكريم وهو الذى قصد وقيل الاروع الحديد النفس وقيل الذى يروعك بجماله (يثيب) يجازى قاصده (والمعور) البادى العورة وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده لانه قابل به الاروع وهو التام الجسيم الجهير الصوت قال الشاعر

يواخى لئيم الناس كل ملائم * وينطق بالعوراء من كان معورا

(الحلاحل) السيد الذى يحل به الناس كثيرا (يضيف) ينزل الاضياف ويكرمهم (والماحل) البخيل شبه بالبلد الماحل وهو الجدب فكأن الماحل الذى لا يوجد عنده خير يقال أمحل البلد وبلد ماحل وذو محل مثل لابن وتامر والماحل النمام يقال محل به الى السلطان اذا وشى به وهو الذى (يخيف) على الحقيقة والماحل أيضا المخاصم وقد ماحلته وماحلنى (يغذى) يطعم (والمحك) اللجوج وهو مقابل السمح الخلق (يقذى) يجعل فى العين قذى أى يضر قاصده ويؤلمه (يجى) يخلص صاحبه من الذم وتقدم المطال (ينقى) نغسل العيب (والالطاط) الامتناع من فعل الخير ويقال لط وألط اذا ذهب ولط الشئ وألطه اذا ستره (يخزى) يهين (اطراح) ترك (ذى الحرمة)

الكرم زين يثيب الله جيش
سعودك يزين واللؤم غض
الدهر جفن حسودك يشين
والاروع يثيب والمعور
يخيب والحلاحل يضيف
والماحل يخيف والسمح
يغذى والمحك يقذى
والعطاء يجى والمطال يشجى
والدعاء يقى والمدح ينقى
والحر يجزى والالطاط
يخزى واطراح ذى الحرمة

أى صاحبها والحرمة مالا يحل تركه لضياع ومن قصدك فقد دخل فى حرمك فتركه ليس من المروأة (نحى) فساد وضلال (محرمة) منع (بنى الآمال) أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه (بغى) ظلم (ضن) بخل (غبين) مخدوع فى رأيه (ضنين) بخيل يقول مايضن بماله من هو سديد النظر ولا المصيب الرأى انما يبخل به من هو فاسد النظر مغبون فى رأيه (خزن) حبس ماله (قبض راحه) ثم كفه على مافيها وهذه كناية عن المنع والبخل و(التقى) الذى يقى نفسه من العذاب بعمله الصالح من وقيت نفسى أقيها واختلف فى وزنه فقيل فعول وأصلها وقوى فأبدلوا من الواو تاء لقرب مخرجيهما ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء وكسروا القاف لتصح الياء والاختيار أن يكون وزنه فعيلا وأصله تقى فأدغموا الياء فى الياء والدليل على صحته جمعهم له على أتقياء كولى وأولياء ومن قال انه فعول قال لما أشبه فعيلا جمع جمعه (قوله مافتى) أى مازال (يفى) يصدق ويكون وفيا (آراؤك) جمع رأى (تشفى) تزيل الهم عن قلب وليك وتبرئ مرض قاصدك من فقره يصفه بجودة الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده (هلالك يضى) يصفه بطلاقة الوجه واضاءته عند السؤال قال زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة

وإذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

خلافا للسيئ الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء واللئيم الذى اذا سئل ازوى وتقبض (يغضى) يسمح (آلاؤك) نعمك (أعداؤك تثنى) يقول لكثير المادحين لك والناشرين لفضلك لم يمكن أعداءك وحسادك ذمك لتكذيب الناس اياهم فصاروا يثنون عليك مع من يثنى * ويحكى ان اعرابيا استضاف حاتما فلم ينزله فبات جائعا مقرورا فلما كان فى السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكرا فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لى ناقة فأطعمنى لحما عبيطا وأسقانى الخمر وعلف راحلتى وسرت من عنده بخير حال فقال له أنا حاتم والله لا تبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابى ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شرا كنت أكذب فرجعت مضطرا الى قولهم ابقاء على نفسى لا عليك وقد تقدم قول البحترى فى هذا المعنى

أأشكو نداه بعد ما وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال حبيب

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم اننى غير حامد
بسباقة تنساق من غير سائق * وتنقاد فى الآفاق من غير قائد
أفادت صديقا من عدو وغادرت * أقارب دنيا من رجال أباعد
ومخلفة لما ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم يقول يسمع عدوك اطنابى فى مدحك فيمدحك صاغرا فكيف وليك فأمدحك بقصيدة تقطع الارض ليست بابل تساق ولا بخيل تقاد فترد العدو صديقا والبعيد قريبا ولا يسمعها أحد الا ويحلف أنه لم يسمع مثلها فيشهد له بالصدق

نحى ومحرمة بنى الآمال بغى
وماضن الا غبين ولا غبن
الاضنين ولا خزن الاشقى
ولا قبض راحه تقى ومافتى
وعدك يفى وآراؤك تشفى
وهلالك يضى وحلمك يغضى
وآلاؤك تغنى وأعداؤك
تثنى

(قوله

(قوله وسودد لك يبني) أي يرفع لك مجدا وشرفا (حسامك يفني) أي سيفك يقطع و يفني أعداءك (مواصلك يجتني) أي من زارك وواصلك اجتنى نعمك ومواهبك (يقتني) أي يكتسب (سماؤك تغيث) أي تأتي بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجدب (سماحك يغيث) أي جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم وتقول غوث الرجل أي قال واغوثاه وأغثته اغيثه اذا فرجت عنه ما يشتكي منه (درك يفيض) عطاؤك يشمل أي لبنك يملأ الاناء ويفيض عليه يريد أن عطاءه يكثر لسائله (وردك يغيض) أي منعك يذهب الرزق وغاض الماء غار في الارض (مؤملك) راجيك و(الفيء) الظل بعد الزوال يريد ان عمره قد أدبر فشبه نفسه بالفيء الذاهب (أملك نطن) أي قصدك برجاء و(حرصه يثب) أي طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق (تخب) مختارة (مهورها) حقوقها يقول مدحك ينتخب في ملئه فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها ومما ينظر الى هذه المعارضة قول الشاعر

وخذ حمدي بجودك ذا بهذا * كلانا اليوم أربح صيرفي
لاصبح من نوالك في رياش * وتصبح من مقالي في حلي

وقال حبيب

وحلة كساها * كالحلي في التهابه
فاستبطنت مديحا * كالاري في نصابه
فراح في ثيابي * ورحت في ثيابه

(وقال ابن شهيد في ضيف له)

وما انفك معشوق الثواء عميده * ببشر وترحيب وبسط لسان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حان
فأتبعته ماسد خلة حاله * وأتبعني ذكرا بكل مكان

(قوله مرامه يخف) أي مطلبه يسهل عليك (أواصره) جمع آصرة وهي صلة الرحم والاصر الموضع الحابس من قولهم أصرت فلانا على الشيء آصره اصرا اذا حبسته عليه وعطفته ويقال ما تأصرني على فلان آصرة أي ما تحبسني عليه حابسة ولا تعطفني عليه عاطفة ذكره ابن الانباري وذكر الحريري في الدرة ان اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر بكسر الصاد ومعناه الموضع الحابس المار عليه فسميت أواصر لانها تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم * قال وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابي فتحادثا فحكى أبو نصر أن أبا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جديدة من غير ان يسأله أو استكساه فخرج وهو يقول

كساك ولم تستكسه فحمدته * فتى ماجد يعطي الجزيل وياصر
وان أحق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من اعطاك والعرض وافر

فقال ابن الاعرابي وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعني يا هذا وياصري وعليك بناصرك يريد بياصر يعطف (قوله تشف) أي تزيد وتفضل غيرها يقول ان الاسباب التي توجب عطفك وحنانك علي كثيرة منها الشيخ والضعف وكثرة العيال وجودة المدح والعهود السابقة التي بيني وبينك (اطراؤه يجتذب) أي مدحه يجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته وأصل

وسوددك يبني وحسامك يفني ومواصلك يجتني ومادحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فيء ولم يبق لي شيء أملك نطن حرصه يثب ومدحك ينتخب مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب

وملامه يجتنب ووراءه
ضفف مسهم شظف
وحصهم جنف وعمهم
قشف وهوفى دمع يجب
ووله يذيب وهم تضيف
وكمدينف للمأمول
خيب واهمال شيب وعدو
ناب وهدوتغيب ولم
يزغ ود فيغضب ولاخبث
عوده فيقضب ولا نفث
صدره فينقض ولا نشز
وصله فيبغض ومايقتضى
كرمك نبذحرمه فيبض
أمله بتخفيف ألمه ينث
حمدك بين عالمه بقيت
لاماطة شجب واعطاء نشب
ومداواة شجن ومراعاة يفن
موصولا بخفض وسرورغض
ماغشى معهدغنى أوخشى
وهم غبى والسلام فلما
فرغ من املاء رسالته
وجلى فى هيجاء البلاغة عن
بسالته أرضته الجماعة
فعلاوقولا وأوسعته
حفاوة وطولا ثم سئل من
أى الشعوب نجاره وفى
أى الشعاب وجاره فقال
غسان أسرتى الصميمه
وسروج تربتى المديمه
ذالبيت مثل لشمس اشراقا
ومنزلة جسيمه
والربع كفردوس مطيبة
ومنزهة وأديمه

الاطراء المدح فى الوجه فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى أوظهرت عليه طراوة (ملامه يجتنب) ذمه يخاف ويبعد منه فيرثى عليه يقول ان الذى رجاك شيخ مسن فقير قصدك بيقين أنك من أهل الكرم فطمعه لذلك يزيل ما ارتجى من معروفك وأهدى اليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ومراده سهل عليك ولديك علق تقوم مقام القرابة وتزيد على ذلك وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه (ووراءه ضفف) أى خلفه كثرة عيال من ضف الطعام ضفا اذا كثر القوم عليه وضف العيش اشتد و (الشظف) سوء الحال (حصهم) عراهم وتف ريشهم (جنف) ميل الدهر عليهم (قشف) بؤس عيش (يجيب) يساعد (وله) هم وحيرة (يذيب) يذهب اللحم (تضيف) نزل به ومال اليه (كمد) حزن قارب الموت (نيف) زاد على المعهود (المأمول) أى المقصود مرجو (اهمال) تضييع وتسييب (نيب) عض بأسنانه (وهدو تغيب) أى سكون وأمن زال عنه (يزغ) يل (نفث صدره) أى تكلم بشر ونفث برق من داء فى صدره ومنه المثل لا بد للمصدور أن ينفث (ينقض) أى يضرب ويبعد (نشز) ارتفع وزال (يقتضى) يتضمن ويلزم (نبذ) طرح (حرمه) جمع حرمة (يبض أمله) أى أسعد رجاءه ورده أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ويزيل وجعه (ينث) ينشر (عالمه) ناسه وأهل زمانه (بقيت) عشت وطال بقاؤك (اماطة شجب) ازالة هلاك وتنحيته (نشب) مال (شجن) حزن والشجن أيضا الحاجة (مراعاة) حفظ (يفن) شيخ كبير (موصولا) أى متصلا (بخفض) عيش هنىء (غض) ناعم جديد (غشى) قصد ودخل (معهد) موضع يعهد به جلوسه (وهم غبى) غلط جاهل (قوله املاء رسالته) أى القائها عليه ليكتبها (جلى) كشف (الهيجاء) الحرب وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب (بسالته) شجاعته (أوسعته) كثرت له (حفاوة) اكرام و (الطول) الانعام (الشعوب) القبائل واحدها شعب بفتح الشين وهو الاب الكبير يعلب الشعب الأب الاكبر الذى ينتهون اليه والقبيلة دونه (نجاره) أصله (الشعاب) الطرق فى الجبال (وجاره) جحره وأراد بيته لانهم سألوه من أى قبيلة هو وعن مسكنه فى أى موضع هو (قوله غسان أسرتى) أى هذه القبيلة أصلى وقرابتى (الصميمة) الصريحة الخالصة (تربتى) بلدتى (اشراقا) ضياء ونقاء من العيب (جسيمة) عظيمة (الفردوس) الجنة سميت بذلك لعرائشها والفردوس المعرش من الكرم (مطيبة) أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء وفى نزهتها وحسنها وفى قدرها وأراد بالبيت غسان وبالربع سروج أو يريد بيته فى غسان فى الشرف كالشمس ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها وقد قال فى أخرى

من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس قول أبى الطمحان القيسى

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(وقال حسان بن ثابت)

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول

وزاد عليه فى الاضاءة والاشراق جحة بن المضرب فقال

اضاءت

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس فى علو الهمة وتبعيد منازلها من منازل الكواكب حيث يقول

وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة وهذا من غلو المتنبى الذى يخرج به عن الناس حتى يعاب لانه لو جعلها مع زحل فى منزلة واحدة كما جعل الحريرى منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية وزاد على غيره فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل كما يعلو زحل على الارض ومن هذا الافراط فى شعره كثير وأكثر النقاد يعيبون عليه وبعد هذا فجزاته فى الشعر زاد بها على المتقدمين والمتاخرين عند الاكثر فلا يجارى فى كثير منها (واها) تعجبا كأنه قال ما أعجب ما كان عيشى بها (عمية) كثيرة (أسحب مطرفى) أى أجر ثوبى المعلم فى طرفه اعجابا بنفسى (أختال) أمشى الخيلاء متكبرا (برد الشباب) ثوب الفتوة (أجتلى) أنظر (الوسيمة) الحسان و (النوب والحوادث) والنوازل والمصائب كلها بمعنى واحد وهى ما ينوب الانسان أو يحدث عليه أو ينزل به أو يصيبه من البلاء بعد العافية (الملمة) التى تأتى بما يلام عليه (كربى المقيمة) همومى الثابتة (مهجتى) نفسى وأصلها دم القلب (تقتاده) تسوقه (برة) حلقة من صفر تجعل فى وترة أنف البعير يذلل بها (الصغار) الذلة (العظيمة) داهية يستعظم أمرها (والهضيمة) المحقرة لشانه عند الناس فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد ويذلل بالبرة وبالعظيمة سؤاله الناس وبالهضيمة احتقارهم له اذا سألهم فيردونه خائبا (والسباع) هنا الاسود (تنوشها) تتناولها وتخدشها (والضباع) جمع ضبع وهو نوع من سباع الارض وهى مضادة فى الخلقة لسبع الاندلس لانها عظيمة الكفل والفخذين رقيقة الصدر وهذا السبع أزل عظيم الصدر والضبع عظيم البطن ولذلك سمى حضاجر بالجمع والحضجر العظيم البطن والحضجر الوطب الكبير من اللبن ويشبه به العظيم البطن وهى عرجاء مثل هذا السبع ويضرب بحمقها المثل فيقال أحمق من ضبع وأحمق من أم عامر وهى كنيتها ومن حمقها ان الصائد يدخل وجارها فيقول لها خامرى أم عامر ومعناه الجئى الى أقصى مغارك واستترى فتنقبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول ابشرى ام عامر بكمر الرجال أبشرى أم عامر بشاة هزلاء وجراد عضلاء فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ولو شاءت ان تقتله لامكنها ولا يدخل عليها الاعربانا وان دخل بثوب قتلته ثم يخرج لاصحابه بالحبال وهم على فم الوجار باسلحتهم فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها * ومن حمقها انها تترك جراءها اذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء أخرى قد خرجت أيضا لذلك وتركت جراءها فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها فربما ضاعت جراؤها فا كلها الذئب قال الشاعر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد والضباع لا تفترس شيأ انما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته وليس لها بالنهار كبير عمل قال الهذلى

تبيت الليل لا يخفى عليها * حمار حيث جر ولا قتيل

(قوله المستضيمة) أى المذلة والضيم الذل يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالاسود والضباع

واها العيش كان لى
فيها ولذات عميه
أيام أسحب مطرفى
فى روضها الماضى العزيمه
اختال فى برد الشباب
وأجتلى النعم الوسيمه
لا أتقى نوب الزمان
ولا حوادثه الملميه
فلو آن كربا متلف
لتلفت من كربى المقيمه
أو يفتدى عيش مضى
لفدته مهجتى الكريمه
فالموت خير للفتى
من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار
الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها
ايدى الضباع المستضيمه

(ذكر الضبع)

فقال ان الضباع المحتقرة عند الاسود تتناول الاسود بالضرر وكذلك الزمان يرفع الحقير والهين ويكثر رزقه ويضع الرفيع ويقتر عليه ويملك الهين والاراذل اللطط الجسام ويجرع النبلاء والاعيان غصص المخازي وكؤس الحمام وهذه أحوال مشاهدة تنسب الى الدهر لوقوعها فيه وقدرها البارى عزوجل اختبار العباده وليبصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه وان الكل تحت قهره وان كل انسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن ادراك مالم يقدر له وقال محمد بن الفضل

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللئاما

فهم فيها يعيشو * ن ويلحون الكراما

(وقال المعرى فى معنى بيت الحريرى)

ومن صحب الليالى علمته * خداع الالف والقيل المحالا

وغيرت الخطوب عليه حتى * تريه الذر يحملن الجبالا

(وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل)

علتك أسياف من لادونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

وأصبح الناس فوضى يعجبون به * لينا صريعا تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب

من لم يعاين أبا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقه سبع

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

هكذا ينظم حر الكلام ويعتذر لموت الكرام وتنفى عنهم شماتة اللئام وقد أحسن الاعتذار أيضا لابى نصر بأغرب من هذا وجعله قاتل نفسه اذ لانظير له فى شجاعته فيقتله وانما قتله أمر الله الذى لايغالب كما قال أبو الطيب

ألا انما كانت وفاة محمد * دليلا على أن ليس لله غالب

وكذلك قوله

فان ترم عن عمرو انى به المدى * لما بك حتى لم يجد فيك مصرعا

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها حتى انثنى فتقطعا

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الجرمى ومما قال فيه حبيب وهو أشجع بيت قيل قوله

ونفس تعاف العار حتى كأنما * هو الكفر يوم الروع أودونه الكفر

فأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

والذنب للايام لو لاشؤمها لم تنب شيمه ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

(ذم الزمان)

(قوله والذنب للايام) نسب الذنب اليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم (تنب) ترتفع (شيمه) طبيعة أى لولا شؤم الايام لم تتغير الطباع أى لو استقامت هى لاستقامت أحوال الناس فيها فكان كل انسان يدرك منها على قدر منزلته ومما قيل فى ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ان عبد الملك بن مروان سأل مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين فقال أى الملوك رأيت أكمل وأى الزمان رأيت أفضل فقال أما الملوك فلم أر الاحامدا أوذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم *أبو جعفر الشيبانى قال

أتانا يوماً أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال ما أنتم فيه قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا ان الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أوشر كان على حاله ثم أنشأ يقول

أرى حللا تصان على رجال * وأخلاقا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر

أيا دهران كنت عاديتنا * فها قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا * وأوليتنا بعد وجه قفاكا

(وقال أبو العتاهية)

كفاك عن الدنيا الذميمة مخبرا * غنى باخليها وافتقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها * وان رجال الضر فوق سنامها

(وقال ابن لنكك)

يا زمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندى بزمان * انما أنت زمانه

وقال ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل فى الميزان ما رجحا

وقال آخر

رب يوم بكيت فيه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

وقال آخر

لم أبك من زمن نكد أساء به * الا بكيت عليه حين أفقده
ولا جزعت على ميت فجعت به * الا ظللت بسكنى القبر أحسده
ولا ذممت زمانا فى تقلبه * الا وفى زمنى قد صرت أحمده

(وقال ابن أبى عيزارة)

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تفويت غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

(وأنشد المبرد)

حياة أبى العباس زيدت بقربه * أخا ثقة قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو قضى * لكنا على الباقى من الناس أعتبا

قال عروة بن الزبير الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم أخذه أبو الطيب فقال

وشبه الشئ منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام
ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث عظام
وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

الطغام السفلة (قوله نما) أى ارتفع ووصل (اللآلى) الدرر (سامه) كلفه (ينضوى) ينضم و(احشائه) خاصته (يلى ديوان انشائه) يتولى دار كتابته أى يكون هو الذى ينشئ الكتب وينسخها الكتاب وتنفذ الى البلاد (أحسبه) كفاه (الحباء) العطاء (طلقه) منعه (الاباء)

ثم ان خبره نما الى الوالى فلا قاما اللآلى وسامه أن ينضوى الى أحشائه ويلى ديوان انشائه فأحسبه الحباء وطلقه عن الولاية الاباء

الامتناع وقد أبيت من كذا أى امتنعت منه ويكنى به عن نزاهة النفس (عود شجرته) يريد انه كان عرفه قبل أن يتكلم وأن يعرف نفسه و (ايناع الثمرة) ادراكها ونضج ثمرتها (ايماض جفنه) اشارة عينه (عضبه) سيفه (جفنه) غمده أى أشار على أن أستره (بطين) مملوء (الخرج) وعاء معلوم وهذا كقول الشاعر

يبيتون بالدهنا خفافا عيابهم * ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وقد أخذ هذا النمط فى مقامة أخرى فقال حتى آل ذا عيبة خضراء وحقيبة بجراء أى مملوأة والى هذا المعنى أشار نصيب فى قوله

أقول لركب قافلين رأيتهم . قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا اخبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثناؤها عليه أن بدت للناس مملوأة من معروفه فأتى أبو العتاهية فزاد المعنى بيانا بقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(قوله فصل) أى زال وتنحى (الفلج) الظفر بما أراد (الرعاية) حفظ الصحبة (لاحيا) لائما (رفض) ترك (مترنما) مطربا أى لما خرج ممتلئ الوعاء طافرا بما أراد دلته على ترك خدمة الامراء التى كلفه فأنشد معتذرا (المتربة) أى الفقر (المرتبة) المنزلة الرفيعة وهذا البيت ينظر الى حكاية الاصمعى وقد روى راكبا حمارا فقيل له ابعد سرادين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت الا اطرافا بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا

شربنا بريق من هواها مكدر . وليس يعاف الريق من كان صاديا

يقول هذا واملائدى ونفسى أحب الى من ذلك مع ذهابهما أطرف الشئ وتطرفه استفاده وقيل استجاده (نبوة) ارتفاع وقلة ثبات (معتبة) سخط (يالها) تعجب كأنه قال ياعجبا لها ما أشدها (يرب) يصلح ويقوى (الصنيع) الفعل الجميل (يشيد) يرفع ويتم (رتبه) بناءه وهيأه (السراب) ما يظهر نصف النهار كأنه ماء (اشتبه) أشكل (الحالم) من يرى فى منامه رؤيا وقد حلم يحلم و (الروع) الفزع يقول مثل المترفه بالخطة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميرا فانتبه فى أيدى أعاديه أسيرا أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزئير اسود ولصفير ثعابين وكذلك الامراء ان رفعوا الخديم بعض انعامهم كدروه بتعجيل انتقامهم ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر الى الله أشكو كل يوم وليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا كان لاشك واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول اشعب الطماع قال رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قيل وكيف ذلك قال كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى فانتبهت فاذا السلح ولا بدرة قال الفنجديهى ومن أحسن ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المبانى شرفنى بانشادها وامر بها على السيد الاجل أبو الظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم وزارنى طيف من أهوى على وجل من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

(قال الراوى) وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره فأوحى الى بايماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شعته قاضيا حق الرعاية ولاحياله على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه
احب الى من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة
ومعتبة يالها معتبه

ومافيهم من يرب الصنيع
ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب
ولا تأت أمرا اذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه
وأدركه الروع لما انتبه

فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

ومن ملح هذا الباب أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة فقال أيها الامير انى رأيت رؤيا فأذن لى بقصها فقال قل فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتنى بوليدة * مغنوجة حسن على قيامها
وببدرة حملت الى وبغلة * شهباء ناجية يصل لجامها

فقال له بشر كل شئ رأيته فهو عندك الا البغلة فانها دهماء قال امرأتى طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء ولكنى غلطت قال البطين الشاعر قدمت على على بن يحيى الارمينى فكتبت اليه

رأيت فى النوم أنى راكب فرسا * ولى غلام وفى كفى دنانير
فقت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لى بالفعل تبشير

فوقع فى أسفل كتابى اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم امر لى بكل ما رأيته فى منامى

(المقامة السابعة البرقعيدية)

(حكى الحرث بن همام) قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله

(شرح المقامة السابعة وهى البرقعيدية)

(ازمعت الشخوص) أى عزمت على الخروج (برقعيد) بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخا (شمت) نظرت ويريد (برق عيد) مقدمات العيد التى ينظر الناس بها فى اسبابه سال رجل الجنيد لماذا سمى يوم العيد فقال لان آدم لما خرج من الجنة واهبط الى الارض ثم تاب الله عليه فرده الى الجنة كان فى ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لانه أعيد الى الجنة فيه قال ابن الانبارى رحمه الله معنى يوم العيد الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح أو الحزن واصله العود لانه من عاد يعود فلما سكنت الواو وكسر ما قبلها قلبت ياء فصارت من باب ميزان وميقات وهما من الوزن والوقت وكذلك الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها قلبت واوا مثل موسر وموقن وهما من أيسر وأيقن ويقولون فى الجمع مياسر (المدينة) البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن اذا أقام فيه فهى فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهى مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له أطعت ويقال للامة مدينة لانها مملوكة قال الشاعر

ربت وربى فى كرمها ابن مدينة * يظل على مسحاته يتوكل

يعنى عبدا (يوم الزينة) يوم العيد لتزين الناس فيه (قوله أظل) أى قرب ودنا حتى دخلنا فى ظله (بفرضه) يعنى زكاة الفطر (ونفله) يعنى صلاة العيد. الفنجديهى فرض العيد صدقة الفطر ونفل العيد مثل الصلاة والغسل ولبس الجديد من الثياب ابن عمر رضى الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين. ابن عباس رضى الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى

وأجلب بخيله ورجله اتبعت
السنة فى لبس الجديد
وبرزت مع من برز للتعييد
وحين التأم جمع المصلى
وانتظم وأخذ الزحام
بالكظم طلع شيخ فى شملتين
محجوب المقلتين وقد
اعتضد شبه المخلاة واستقاد
لعجوز كالسعلاة فوقف
وقفة متهافت وحيا تحية
خافت ولما فرغ من دعائه
أجال خمسه فى وعائه فأبرز
منه رقاعا قد كتبن بالوان
الاصباغ فى أوان الفراغ
فناولهن عجوزه الحيزبون
وأمرها بأن تتوسم الزبون
فمن آنست ندى يديه ألقت
ورقة منهن لديه فأتاح لى
القدر المعتوب رقعة فيها
مكتوب

لقد أصبحت موقوذا
باوجاع وأوجال
وممنوّا بمحتال
ومختال ومغتال
وخوّان من الاخوان
قال لى لاقلالى
واعمال من العمال
فى تضليع أعمالى
فكم أصلى بأذحال
وأمحال وترحال
وكم أخطر فى بال
ولا أخطر فى بال
فليت الدهر لما جار
أطفالى أطفالى
فلولا أنّ أشبالى
اغلالى وأعلالى

زكاة مقبولة ومن أداها بعدها فهى صدقة من الصدقات (أجلب بخيله ورجله) أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ضرب به المثل لاقباله وتصميمه على المجئ * (لبس) لباس وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعته ولعيده * جابر كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة (برزت) خرجت (التأم) التحم والتصق (المصلى) موضع صلاة العيد (الزحام) الضيق لكثرة الناس (الكظم) تضييق النفس من شدة الزحام (شملتين) عباءتين والشملة نوع من الاكسية وقيل لها شملة لان صاحبها يشتمل بها أى يديرها حواليه (محجوب) مستور (المقلتين) العينين أراد أنه أعمى (اعتضد) علقها فى عضده (استقاد) جعلها تقوده (السعلاة) أنثى الغول وذكرها يسمى الكعنكع وأنشدوا غولا ترا عى شرسا كعنكعا * والغول جن مسكنها الصحارى تتراءى للانسان كأنها انسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك (قوله متهافت) أى متساقط لضعفه وتهافت الشئ فى يدى تناثر (خافت) خفى الصوت وقد خفت الرجل اذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك وأصل خفت مات هزالا (فرغ) أتم (أجال) مشى وصرّف (خمسه) أصابعه (فى وعائه) يعنى المخلاة التى اعتضدها وهى تعليقة يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة (أبرز) أخرج (أوان) وقت (الفراغ) قلة الشغل (ناولهن) أعطاهنّ (الحيزبون) المسنة القوية الخلق (تتوسم) تنظر (الزبون) المنخدع عن ماله فعول بمعنى مفعول وهو من ألفاظ أهل المشرق وأراد به الكثير الصدقة (آنست) أبصرت (ندى) كرم (أتاح) ساق (القدر المعتوب) الملوم (قوله موقوذا) أى مشرفا على الموت من شدة الاوجاع والاوجال والموقوذة فى القرآن المقتولة بالخشب والوقذ شدة الضرب (أوجال) مخاوف (ممنوّا) مبتلى (محتال) ماكر كثير الحيلة (مختال) متكبر (مغتال) مهلك (خوّان) كثير الخيانة * ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يوجد فى آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به (قال) مبغض (اقلالى) فقرى (اعمال) جد وبحث تقول أعملت الشئ فى الشئ اذا جعلته يعمل فيه و (العمال) عامل كل شئ (تضليع) افساد (أعمال) جمع عمل يريد انه مطلوب يبحث على اعماله اذا أتى بها مجموعة فتنقض اعماله وتصيرله اضلاعا بعد اجتماعها وذلك فسادلها ويحتمل أن يكون التضليع من ضلعك مع فلان أى ميلك معه فاعماله تميل عن طرقها فتفسد وقيل تضليع الاعمال تثقيلها قال الازهرى رحمه الله ضلع الدين ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله وفى الحديث أعوذ بالله من ضلع الدين (أصلى) احترق (أذحال) احقاد وعداوات (امحال) فقر (ترحال) سفر ونقلة من بلد الى بلد (أخطر) امشى متبخترا وقد خطر الرجل اذا أقبل بيديه وأدبر بهما وهى مشية الشبان (بال) خلق (اخطر فى بال) أمرّ على بال أحد ولا خاطره (جار) مال عن الحق ولم يعدل (اطفا) أمات (أطفالى) أولادى ومثله (أشبالى) * الفصحى يقول ليت الدهر لما ظلم أولادى وجار عليهم اماتنى لأتخلص فانّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد قال ابن عيينة قلت لصياد اى طائر أسرع الى مصايدكم قال الذى يرق يعنى الذى يطعم ولده (اغلالى) قيودى و (الاعلال) جمع علّ وهو القراد الضخم وهو الذى يلصق بأفخاذ الدواب وهو كثير التشبث والالتصاق لا يقلع الا بجهد فيريد بالاغلال أولاده

لانهم قيوده فلا يسرح بسيبهم و بالاعلال انهم قد تعلقوا به يطلبون ما عنده وقال الشاعر يصف ناقته

ولو طل فى أوصالها العل يرتقى * ويقال للقراد الطلح والقبنق والحمر والعل والبرام والقرشوم واللبود فى بعض اللغات (جهزت) أرسلت (آل) قريب وآل أهل أو يكون آل أمير اوساسنا قال عمر رضى الله عنه ألنا وايل علينا أى سسنا الناس وساسنا غيرنا فيكون على هذا مقلوبا من آيل كاميل سار فى سائر (مسحب) طريق يقول لولا ذل الاولاد ما قصدت والباو لا جررت ذيلى فى طريق ذل ويقال سحب ذيله سحبا اذا جره والمسحب موضع جره ثوبه (محرابى) مسجدى (أحرى) أحق بى (اسمالى) أثوابى الخلقة و(أسمى لى) اعزلى وأرفع لقدرى (أثقالى) هموى أوديونى أو كثرة عيالى واحدها ثقل وثقل الشئ ثقلا ضد خف وأثقل الرجل كثر عياله (بلبالى) حزنى والبلبال وسواس الهموم (سربال) قميص و(السروال) معروف وفى الحديث أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها فقالوا انها متسرولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمتسرولات من أمتى ثلاثا يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن ومن ملح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء كتب له

أيا من عطاياه تعطى الغنى * الى راحتى من نأى أودنا

كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون فى * ثياب من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبه وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا غير هذا من الخز لاعطيناكه ثم أمر بادخاله الى الخزانة وصب تلك الخلع عليه وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح (قوله ملحمها) ناسجها ولما جعل الشعر حلة جعل لها ناسجا ورافما (ناجانى) حدثنى (الوصلة) الموصلة (استعرضت) أى نظرت وعرضتها على نفسى (تقت) اشتقت (أقتانى) أعلمنى (الحلوان) اجر الكهان وأراد اجرة العراف وهو الذى يعرف بالسلائف الملتقطة أربابها فيفتكونها منه بما اتفقوا عليه فذهب مالك أن من عرف لقطة وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل ذلك فله أجرة مثله والشافعى لا يوجب له حقا سواء كان من شأنه أن يعرف باللقطة أولم يكن تعب فى ذلك أولم يتعب الا أن يشرط قبل الطلب (رصدتها) ارتقبتها (تستقرى) تتبع واقتريت الارض واستقريتها تتبعتها متاملا (تستوكف) تستمطر (ينجح) ينفع ويؤثر يقال نجحت الحاجة اذا انقضت ونجح طالبها اذا لم يخب وأنجح أشهر يقول ان مشيها عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها وقصد (برشح الاناء) كرم الكف يقول لم يرشح لها كف بعطية (أكدى) خاب وصعب ويقال أكدى الحافر وهو أن يحفر البئر يطلب الماء فاذا بلغ الى الصلابة وبئس من الماء ولم يقدر على الحفر قيل له أكدى فهو مكد والكدية هى الصلابة التى يتعذر حفرها (استعطافها) تليينها القلوب (كدها) اتعبها (مطافها) مشيها

لما جهزت آمالى الى آل ولاوالى
ولا جررت أذيالى على مسحب اذلالى
فمحرابى أحرى بى وأسمالى أسمى لى
فهل حر يرى تخفيف أثقالى بمثقالى
ويطفى حر بلبالى بسربال وسروال
(قال الحرث بن همام) فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة ملحمها وراقمها فناجانى الفكر بأن الوصلة اليه العجوز وأفتانى بأن حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهى تستقرى الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف كفا كفا وما ان نجح لها عناء ولا برشح على يدها اناء فلما أكدى استعطافها وكدها مطافها

وطوفها على الناس ويحسن أن ينشد هنا فى حالها لابى نواس

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

غيره

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

(عاذت) تعوذت ولاذت (الاسترجاع) قولهم انا لله وانا اليه راجعون وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ما قال أحد عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا استجيب له (ارتجاع) رد (تعج) تمل وترجع (بقعتى) موضعى (آبت) رجعت (الحرمان) الخيبة والمنع (تحامل) مشقات وتحاملت فى الامر تكلفته على مشقة (أفوض) أرد (لا حول) أى لا حيلة يقال ماله حيلة ولا حول وماله احتيال ولا محتال ولا محالة ولا محيلة كله بمعنى ويقال ماله محال بالفتح أى حول ومحال بالكسر أى مكر ثعلب هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ومحل به القرآن شهد عليه بالتقصير وقال الفراء المحالة على ثلاثة أقسام هى الحيلة والتى تجعل على رأس البئر كالبكرة وواحدة محال الظهر وهى فقاره ويقال أخذت فى الحولقة والحوقلة اذا قلت لا حول ولا قوة الا بالله وتنصب لا حول ولا قوة بالتبرئة وان شئت رفعتهما بالابتداء وبالله خبر قوة وحذفت خبر لا حول لدلالة الثانى عليه وان شئت رفعت حولا بالابتداء ونصبت قوة بالتبرئة وان شئت نصبت حولا بالتبرئة ورفعت قوة بالعطف على موضع لا حول وان شئت نصبت قوة بالتنوين عطفا على اللفظ (قوله صاف) أى خالص الود (مصاف) صادق فى وده (معين) ماء كثير يريد صاحب كرم كثير (معين) يعين بماله (المساوى) ضد المحاسن واحدها سوء على غير قياس وقيل لا واحد لها (بدا) ظهر (الثمين) النفيس العالى الثمن يقول ان الناس قد استووا فى الافعال السيئة وأراد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا هلكوا ومعناه ان الناس فى الغالب انما يتساوون فى الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء لان الخير قليل قال أبو العباس التطيلى فيما يتعلق بهذا المعنى

والناس كالناس الا ان تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل بالثمر

وقال التهامى

ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لا خير فى يمنى بغير يسار
والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاضل الاقوام بالاصدار

(قوله عديها) أى طمعيها (استعدتها) رددتها (عالت) أهلكت واستعار للتضييع يدا مجازا (تعسا) هلكا والتعس الدعاء أن لا تقال عثرته (بالكاع) يا لئيمة يا منتنة واللكاع وسخ الفرج واللكع ولد الحمار (القنص) الصيد (الحبالة) الشبكة وصفة الحبالة أن يعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف فذلك أقوى له فيعقد فى أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ويربط فى الطرف الثانى خشبة وربما حددوا طرفها ثم يأتون الى الطريق الذى يدخل منه الصيد الى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ويفتحون عليها عين الحبل ثم يغطونها بالتراب

عاذت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتى فلم تعج الى بقعتى وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال انا لله وأفوض أمرى الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم أنشد

لم يبق صاف ولا مصاف * ولا معين ولا معين
وفى المساوى بدا التساوى * فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها منى النفس وعديها واجمعى الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد عالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يالكاع أنحرم ويحك القنص والحبالة

والزبل

والقبس والذبالة انها الضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتنى قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت فى المشوف المعلم وأشرت الى الدرهم فبوحى بالسر المبهم وان أبيت أن تشرحى فخذى القطعة واسرحى فمالت الى استخلاص البدر التم والابلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدالك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من أهل سروج وهو الذى وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق

والزبل حتى تصير فى طبع الارض فاذا أقبل الصيد للماء فوضع يده أو رجله فى الحفرة سقطت به وانضم على يده أو رجله الحبل فيثب فازعا ويفرق فتتبعه تلك الخشبة فكلما انتفض أقبلت عليه فتضربه فى يديه ورجليه وبطنه وظهره فتوهى أعضاءه وربما كسرت يديه أو رجليه فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف موقوذا منها فيأتيه الصائد فيأخذه وأنواع الحبالة كثيرة (قوله القبس) يريد به نور المصباح و(الذبالة) الفتيلة (ضغث) حزمة من حشيش صغيرة وأصلها جماعة القضبان وشبهها من النبات يجمعها أصل واحد وكل ما جمعت عليه كفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضغث (ابالة) حزمة كبيرة والضغث على الابالة مثل حزمة الحطاب اذا حملها للبيع وجعل فوقها حزمة صغيرة لنفسه فالكبيرة ابالة والصغيرة ضغث فكأنه قال انها خسارة على خسارة ويقال لها ابالة وابيل وابيلة وبيل وبيلة وضغث على ابالة مثل أخذه من قول الشاعر

فى كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على ابالة

(وقال آخر وذكر ناقته)

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت * بمثل ابالة من خالص الشعر

(وهذا مثل قول حبيب)

فكم جزع واد جب ذروة غارب * وبالامس كانت أمسكته جوانبه

(قوله انصاعت) أى ذهبت نافرة وانثنت مسرعة وكل ما ثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعا وكذلك اذا جمعته وفرقته فذهب عنك بسرعة وصاع الشجاع القوم فى الحرب اذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ففروا سراعا متفرقين وكل نافر مسرع منصاع قال ذو الرمة فى الحمر

فرت من الرامى فانصاعت * والويل هجيراه والحرب

(تقتص) أى تتبع (مدرجها) طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ويقال درج الشيخ والصبى درجا ودرجانا اذا تقاربت خطاهما والمدرج الموضع الذى درجا فيه والمدرجة قارعة الطريق (تنشد) تطلب من نشدت الضالة و(مدرجها) رقعتها ويقال أدرجت الكتاب والثوب طويتهما (القطعة) عند أهل المشرق الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس يعمدون الى دراهمه فيقطعونها قطعا فهى صرفهم وبها يتصدقون فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهما وقطعة من الخندوس وقال لها ان خبرتنى بقائل الشعر فخذى الدرهم أجرة وان أبيت أن تعرفينى به فخذى القطعة صدقة وانصرفى (المشوف) المصقول المجلو والشوف الجلاء و(المعلم) المنقوش ونقشه علامته وقيل هو الذى عليه علامة الملك وأخذه من قول عنترة

ولقد شربت من المدامة بعدما * ركد الهواجر بالمشوف المعلم

(بوحى) تكلمى (المبهم) المغلق الملبس (أبيت) امتنعت (اسرحى) اذهبى (استخلاص) تخليص واستخلص الشئ جعله خالصا (التم) الكامل (والابلج) النقى الابيض وفعله ابلاج كاحمار (الهم) الكبير الذى يهم بمن رآه وشيخ هم مسن والهم الرقيق النحيف وهو من همته النار اذا أذابته وهممت الشحم أذبته (استطلعتها طلعه) استخبرتها خبره وسألتها أن تطلعنى عليه وتقول استطلعت طلع الشئ اذا حاولت الاطلاع عليه وأردت معرفة خبره الذى تطلع منه عليه وطلع بالكسر (بردته) ثوبه (وشى) زين ورقم (خطفت) أخذت بسرعة (الباشق) من جوارح الطير

(مرقت) خرجت بسرعة (الراشق) الذى يرشق الصيد اى ينشبه ويكون الراشق بمعنى المرشوق كقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق (قوله خالج) أى داخل وجاذب (تأجج) اشتعل (كربى) همى والتأجج التفعل من الاجيج وهو تصويت النار ولهبها اذا اشتعلت وعظمت (آثرت) اخترت وفضلت وآثرته بكذا فضلته به والايثار المصدر (أفاجيه) آتيه بفجأة وهو لايشعر (أناجيه) أحدثه (أعجم) أجرب (فراستى) نظرى وجعل لها عودا مجازا (تخطى رقاب الجمع) الجواز على أعناق الناس خرج الترمذى فى النهى عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم (عفت) كرهت (يتأذى) يصيبهم أذى (يسرى) يصل (اللوم) ضد الحمد وهو أن تأخذ الانسان بلسانك ذما لما فعل (سدكت) التصقت ولزمت (قيد عيانى) غرض نظرى أى قيدت نظرى فيه (انقضت) تمت (حقت الوثبة) أى وجبت القفزة اليه (خففت) أسرعت (توسمته) نظرته (التحام) التصاق وانعلاق (ألمعيى) ذكائى وصدق ظنى والالمعى هو الذى يظن بك الظن ولا يخطئ وهو اليلمعى من اللمعان كانه يلمع لذكائه وجودة فطنته وقال أوس

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

فلا يبين أحد الالمعى باحسن مما بينه أوس فاذا سئلت ما الالمعى فانشد بيته تأت بالجواب الشافى و(الفراسة) ان تنظر الشئ فتستدل بظاهره على باطنه وبما حضر على ماغاب وقيل الالمعية ان ترى الشئ على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر أو بما يريد أن يفعله فالالمعية فى البعد والفراسة فى القرب وكيف اختلفت الالمعية والفراسة فالظن الصادق يجمع بينهما و(ابن عباس) رضى الله عنه هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى السنة التى مات فيها ما بين ثمان وستين فى الاقل وأربع وسبعين فى الاكثر وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الامة وضرب على قبره فسطاط روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقها وفى حديث آخر اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وكلها أحاديث صحاح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول ابن عباس فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول * عبد الله بن عبد الله ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا ولا أثبت نظرا من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين * عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر * عطاء كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والانساب وناس يأتون لايام العرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه فما منهم صنف الا يقبل عليهم بما يشاؤن * مسروق كنت اذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا تحدث قلت أعلم الناس * أبو وائل خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت

ومرقت مروق السهم الراشق خالج قلبى ان أبا زيد هو المشار اليه وتأجج كربى لمصابه بناظريه وآثرت أن أفاجيه وأناجيه لاعجم عود فراستى فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطى رقاب الجمع المنهى عنه فى الشرع وعفت أن يتأذى بى قوم أو يسرى الى لوم فسدكت بمكانى وجعلت شخصه قيد عيانى الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة خففت اليه وتوسمته على التحام جفنيه فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس وفراستى

(ترجمة ابن عباس رضى الله عنهما)

أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والترك والروم لاسلمت * طاوس أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا ابن عباس خالفوه فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا الى قوله * ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ولو أدرك اسناننا ماعاشره منا رجل * يزيد الاصم خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم * القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر وذكر أبو العباس في الكامل أن عمرو بن أبي ربيعة أنشده قصيدته

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فحفظها من سمعها وهي ثمانون بيتا * مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما رأيت جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا لي بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وروى عنه انه رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك فعمي بعد ذلك في آخر عمره وهو القائل في ذلك ويروى لحسان رضي الله عنهما

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلب ذكي وعقل غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

نظر اليه الحطيئة في مجلس عمر رضي الله عنهما فقال من هذا الذي برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه فقيل له عبد الله بن عباس وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنهما

اذا ما ابن عباس بدا لك وجهه * رأيت له في كل أحواله فضلا
اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بمنتظمات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * لذى اربة في القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

ونظر اليه معاوية يوما يتكلم معه فأتبعه بصره فقال متمثلا

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يسرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائرا أبيض خرج من قبره فتأولوه علمه خرج الى الناس وقيل دخل قبره طائر أبيض فقيل هو بصره قال أبو الزبير مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل في نعشه حين حمل فما رؤى خارجا منه وفضائله كثيرة مشهورة فلنقف منها على هذا القدر

فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قصي

(ترجمة اياس القاضي)

(وأما اياس) فهو أبو واثلة بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال بن رباب المزني قاضي البصرة وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب الى عدي بن ارطاة عامله على البصرة ان اجمع اياس بن معاوية المزني والقاسم بن ربيعة الحارثي فول القضاء أنفذهما وأفقههما فجمع بينهما فقال كل واحد ان صاحبه أنفذ وأفقه فقال له اياس سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لاتسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا لافقه مني وأعلم بالقضاء مني فان كنت كاذبا

غاعليك أن لا تولينى وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى فقال له اياس انك
جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها و ينجو مما يخاف
فقال له عدى أما انك اذفهمتها فأنت لها فاستقضاه وقال اياس رحمه الله أرسل الى ابن هبيرة
فأتيته فسألنى فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدالك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال
أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم
شيأ قلت أنا بها أعرف قال انى أريد أن استعين بك على عملى قلت ان فى خصالا ثلاثا لا أصلح معها
للعمل قال ماهى قلت أنا دميم كما ترى وأنا عيى وأنا حديد قال أما دمامتك فانى لا أريد أن أحاسن
بك الناس وأما العى فانى أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قم فولانى
القضاء وأعطانى عشرة آلاف درهم فهى أول مال تمولته ودخل عليه عدى بن ارطاة فى مجلس
القضاء وعدى أمير البصرة وكان أعرابى الطبع فقال يا هناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال
فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت
لاهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال فى حفظ الله قال
فاقض بيننا قال قد فعلت قال فيم تحكم قال بأن لا تخرجها قال بشهادة من قال بشهادة ابن
أخت خالتك وأول ما ظهر من ذكائه أنه دخل دمشق وهو غلام فتحاكم مع شيخ عند قاضيها فصال
اياس بحدته على الشيخ فقال له القاضى انه شيخ كبير فخفض كلامك فقال له اياس الحق أكبر منه
فقال له القاضى اسكت فقال ومن ينطق بحجتى فقال له القاضى ما أراك تقول حقا فقال له اياس
لا اله الا الله أحق هذا أم باطل فدخل القاضى من فوره الى عبد الملك بن مروان فأعلمه بما رأى
من ذكائه فقال له عبد الملك اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق الى بلاده لئلا يفسد
على أهل الشام ولما دخل عبد الملك البصرة رأى اياسا وهو صبى وخلفه أربعة من القراء
أصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال عبد الملك أف لهذه العثانين أما فيهم شيخ يقدمهم غير
هذا الحدث ثم التفت اليه وقال كم سنك فقال سنى أطال الله بقاء الامير سن اسامة بن زيد بن حارثة
حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك وكان
سنه سبع عشرة سنة * وأما ذكاؤه وفراسته فقد ألف فى ذلك المدائنى كتابا سماه كتاب زكن اياس
والزكن التشبيه يقال زكن عليهم وزكم شبه وخيل وقيل الزكن الظن والتفرس ومن زكنه
أنه اختصم اليه رجلان فى قطيفتين حمراء وخضراء فقال أحدهما دخلت الحوض لاغتسل
ووضعت قطيفتى ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجنب قطيفتى ثم دخل واغتسل فخرج قبلى وأخذ
قطيفتى فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ائتونى بمشط فأتى به فسرح رأس
هذا ثم هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر أخضر فقضى بالاخضر
لصاحب الاخضر وبالاحمر لصاحب الاحمر وأتى المدينة فصلى فى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزكنه أهلها حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه معلم وأخرى تزعم أنه قاض ثم وجهوا
اليه رجلا فأخبره خبرهم فقال أصاب الذين ذكروا انى قاض ورويدا أخبرك عن القوم أما
الذى من صفته كذا فهو كذا وأما الذى يليه فهو كذا وأما ذاك الشيخ فانه نجار فقال الرجل فى
كلهم والله أصبت الا فى الشيخ فانه من قريش فقال اياس وان كان من قريش فقام الرجل

الى

وأهبت به الى قرصي فهش
لعارفتي وعرفاني ولبي
دعوة رغفاني وانطلق
ويدي زمامه وظلي امامه
والعجوز ثالثة الاثافي
والرقيب الذي لا يخفى عليه
خافي فلما استحلس وكنتي
وأحضرته عجالة مكتني
قال لي يا حارث أمعنا ثالث
فقلت ليس الا العجوز قال
مادونها ساتر محجوز ثم مسح
كريمتيه ورأرأ بنو أمتيه

الى أصحابه فقال قد جئتكم من عند أعجب الناس والله ان منكم من أحد الا أخبرني بصناعته الا هذا فزعم أنه نجار فقال صدق والله انى لا نجر عيدان جوارى يعنى عود المزمار ونظر الى ثلاث نسوة فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فوجدن كذلك فسئل من أين علم ذلك فقال لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها فوضعت المرضع على ثديها والحامل على بطنها والبكر على فرجها وسمع نباح كلب لم يره فقال هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر فكان كما قال فقيل له في ذلك فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر * ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له في ذلك فقال لانى وجدت اعتلافه من جهة واحدة ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب بجود حاتم وحلم الاحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب نظمهم حبيب في بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس

وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائة وأخباره كثيرة وفيما أوردناه كفاية (قوله أهبت به) أى دعوته وأصل أهاب دعا النفس من بعد وقيل الاهابة دعاء الابل للشرب (والقرص) رغيف صغير سمى قرصا كأنه قرص من العجين أى قطع والتقريص التقطيع (هش) خف فرحا و (العارفة) يريد النعمة وهى المعروف (لبى) أجاب وقال لبيك ومصدره تلبية وهى تفعلة من الالباب وهو اللزوم ولب بالمكان وألب به أقام وأصله لبب بثلاث باآت فأبدلوا الآخر ياء استثقالا لاجتماع الامثال كما قالوا تظنيت وتمطيت فالياء فيه ما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ثم اتبعوا الابدال في المصدر وهى تلبية فأوها ياء وقولهم لبيك معناه اجابة بعد اجابة ولزوما لطاعتك بعد لزوم (رغفان) جمع رغيف يريد أنه لما سمع بذكر الخبز فكأن الخبز دعاه فاجابه (زمامه) مقوده (امامه) هاديه (الاثافي) حجارة القدر وهى ثلاث والعرب تقول رماه الله بثالثة الاثافي يعنون بها الجبل لانهم يجعلون حجرين ويلصقونهما بالجبل فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث واحدتها اثفية بالتشديد وقد تخفف وقد أثفيت القدر وأثفتها وثفيتها وتسمى العرب أثافي الحديد المنصب (الرقيب) الحافظ يريد الله تعالى (استحلس وكنتي) أى دخل بيتي وجلس على حلسه وهو ما يبسط تحت بسطه يقيها الارض وفلان حلس بيته أى لازم القعود فيه وفي الحديث كن في الفتنة حلس بيتك أى لا تدخل فيها والحلس كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه فشبه الذين يعرفون الشئ ويلزمونه بالحلس ومنه قولهم لست من احلاسها أى من أصحابها العارفين بها ومنه بنو فلان احلاس الخيل أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها واحلاس القوافي المجيدون في نظم الشعر والوكنة النقبة في الحائط يسكنها الطائر وقيل هى الموضع من الشجرة وغيرها يقع عليه للمبيت وهى الوكن ووكن الطائر وكافهو واكن اذا حضن على فرخه فلزم وكنته (عجالة مكتني) ما تعجل وأمكن من الطعام (محجوز) ممنوع وحجزت الشئ عزته ومنعته وحجزت بين الشيئين حجزا فانا حاجز اذا جعلت بينهما حائلا والمفعول محجوز ومنه الحجاز لانها أرض حجزت بين نجد والسراة (كريمتيه) عينيه وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه الا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما كريمتاه قال عيناه (رأرأ) قلبهما وأدارهما ادارة كثيرة و (بوأمتاه) كريمتاه

وقوله (مسح كريمتيه) يريد أنه حكهما بكفه فاستنض عنهما ما كان الصقهما به حتى التحما وقيل رأرأ أدار العين وحدد نظرها وتوأمتاه عيناه وفي الغريب المصنف رأرأت المرأة بعينها ولألأت اذا رقت عينها وأنشد ابن الاعرابي

عجبت من الحور والكريم نجارها * ترأرئ بالعينين للرحل الجبل

الجبل الداهية (الفرقدان) نجمان منيران في بنات نعش (ابهجت) فرحت (سيره) عاداته (يلقى قرار) يحبسني سكون وطمأنينة (التعامي) استعمال العمى (المعامي) الطرق المجهولة وقيل القفار البعيدة التي تعمى فيها الآثار فلا يهتدى فيها (الموامي) القفار واحدها موماة (ايغالك) ابعادك ومبالغة دخولك (المرامي) المقاصد والبلاد التي ترميه الى بلاد أخر يقول سألته ما الذي دعاك الى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق في المشقات وجوب البلاد البعيدة فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان (تظاهر) استعان و(اللكنة) احتباس اللسان يريد لما امتلأ فمه بالطعام لم يتسرح لسانه بالكلام فوجد ذلك علة لقطع الجواب فكانت اللكنة أعانته على ذلك (اللهنة) الطعام المعجل للضيف قبل الغداء وكل ما تعجلته قبل ادراك الطعام لهنة ولهنت الضيف عللته بذلك (قضى وطره) أتم حاجته من الأكل والوطر المراد ولا فعل له (اثار) تابع نظره وحدده (الورى) الخلق (انحائه) اغراضه (ومقاصده) والنحو القصد (لاغرو) لاعجب (يحذو حذوه) أي يفعل فعله وهذا الاعتذار عن التعامي حسن وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضي الله عنهما عنه ومما يعزى للحصري في ذلك

وقالوا قد عميت فقلت كلا * فاني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبي * ليجتمعا على فهم الامور

(أخذه من قول بشار)

اذا ولد المولود أعمى وجدته * وجدك أهدى من بصير وأجولا

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال بشار

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدي لكم يهون

تالله ما في البلاد شيء * تأسى على فقده العيون

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل ما أشد ما عليك في ذهاب بصرك قال ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك * ومما يستملح من هذا الباب نشأ أعمى بين أعورين فاذا مشيا أو قعدا حاذى عور هذا عور هذا نشأ بينهما أعمى وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد

أيا ابن كروس يا نصف أعمى * وان تفخر فيا نصف البصير

فاذا انضم ابن كروس الى مثله نشأ بينهما أعمى قال الشاعر

وبيننا أبدا أعمى نؤلفه * قد يخلق الله عميانا من العور

وقال آخر

ألم ترني وعمرا حين نغدو * الى الحاجات ليس لنا نظير

فاذا سراجا وجهه يقدان
كأنهما الفرقدان فابتهجت
بسلامة بصره وعجبت من
غرائب سيره ولم يلقني قرار
ولا طاوعني اصطبار حتى
سألته ما دعاك الى التعامي
مع سيرك في المعامي وجوبك
الموامي وايغالك في المرامي
فتظاهر باللكنة وتشاغل
باللهنة حتى اذا قضى وطره
أثار الي نظره وأنشد
ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل اني أخو عمى
ولا غرو ان يحذو الفتى حذو
والده

(ذكر العمى وما يتعلق به)

اسايره

أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

«(وقال آخر فى أعور وعوراء تعاشقا)»

هى عوراء باليمين وهذا * أعور بالشمال وافق شنا

بين شخصيهما ضرير اذا ما * قعدت عن شماله تتغنى

«(فأما قول جميل اليشكرى فى صفة الذئب)»

وأعور من عيناه ان شاء مرة * وان شاء من يسراه ما كان راقدا

لقد فزت دون العور أوس برتبة * وأعطيت نابا يفلق الصخر باردا

فانما وصفه بشدة الحذر وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد بن ثور

ينام باحدى مقلتيه ويتقى باخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقال ابن المعدل اشتهى فى المقلة القبلا ، لا كثيرا يشبه الحولا

واجرار الخد من خجل ، انى استحسن الخجلا

وقال آخر وأحول ذى حركه * يملأ بيتى بركه

يريد انه يرى من الشىء اثنين كما قال الآخر

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة * والواحد اثنين مما بورك البصر

لان هذا يصف الكبر واعتذر القاضى أبو محمد عبد الوهاب عن الحول فاحسن حيث يقول

حمدت الهى اذ بليت بحبها * وبى حول يغنى عن النظر الشزر

نظرت اليها والرقيب يظننى * نظرت اليه فاسترحت من العذر

فقوله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال

ولما التقينا والعيون نواظر * وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف

تنزهت فى خديك من نظر خفى * ومازلت أخفى الود ضعفا على ضعف

فان غفل الواشون فزت بنظرة * وان نظروا نحوى نظرت الى كفى

فلذلك حمد الله على الحول وقال الناشى فى هذا المعنى فأحسن

يتناقلان اللفظ من جفنيهما * فكأنما يتناسخان كتابا

واذا سهين عن الرقيب تخالست * كفاهما خلس السلام سلابا

وللقاضى أبى محمد أنشدنا بعض أشياخنا عبد الوهاب البيت الثانى والآخر من القطعة الثانية وكان كثيرا ما يحرضنا بها على الطلب ويسلينا عن الغربة

ومحجوبة فى الخدر عن كل ناظر * ولو برزت بالليل ما ضل من يسرى

أقول لها والدمع يغلب صبرها * أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر

سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر

أليس من الحرمان ان لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ولم ينشدنا البيت الاول ولا الاوسط وهما من القطعة وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه فهو منقول من مقامة البديع يقول على لسان عيسى بن هشام ثم فارقهم وتبعته وعرفت انه لسرعة ما عرف الدينار فلما انظمتنا خلوة مددت يمناى الى يسرى عضديه فقلت والله لتريني سرك

أولاهتكن سترك فقتح عن توأميه وحدر لثامه عن وجهه فاذا والله أبو الفتح الاسكندرى فقلت له أنت أبو الفتح فقال

أنا أبو قلمون * فى كل لون أكون * اخترمن الكسب دونا * فان دهرك دون
زج الزمان بحمق * ان الزمان زبون * لا تكذبن بعقل * ما العقل الا الجنون

وعتب الحريرى على العمى فائق فى النثر وشعره فى الاعتذار عنه رائق فى النظم وهو على انطباعه فى القصيد اذا أتى بالبيتين أتى بالعجب وهو فى ذلك كما قيل فى أبى منصور الفقيه اذا رمى بزجيه قتل (قوله المخدع) هو بيت داخل بيت قال ابن الانبارى هو الخزانة فى جانب البيت وهو من خدع اذا توارى واستتر واخدعه اخداعا أخفاه فن ضم ميم مخدع فهو من أخدع ومن فتح فهو من خدع وخدع الضب فى جحره خدعا دخله خوفا من صائده (الغسول) الاشنان وهو المقاوة ويقال أيضا الغاسول وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول (يروق) يعجب و(الطرف) العين و(ينقى) ينظف و(البشرة) ظاهر الجلد و(النكهة) رائحة الفم ونكهت الرجل أنكهه وأنكهه والفتح أقل واستنكهته كله شممت فاه قال الشاعر

نكهت مجالدا فشممت منه * كريح الكلب مات حديث عهد

و(اللثة) اللحم على الاسنان (نظيف الطرف) نقى الوعاء (أريج العرف) عطر الرائحة والارج فوح الطيب وأرج المسك فاح (فتى الدق) طرى الكسر (ناعم) حسن قد بولغ فى سحقه يريد انه فى الحال الذى يسحق يستعمل (الناشق) الشام (والذرور والكافور) من انواع الطيب والذرور هو المعروف بالذريرة والذرور أيضا غبار يذر فى العين وكله مأخوذ من الذر وهو التفرق لان أجزاءه تفرقت عند سحقه وفعله ذر واصله ذرر والكافور مأخوذ من الكفر وهو التغطية فلشدة فوحه وحده يستر رائحة غيره من الطيب و(اللامس) الذى يمسه بيده (الخلالة) عود رقيق يخرج به الطعام من خلل الاسنان (انيقة الشكل) معجبة الهيئة وشكل الشئ هيئته التى هو عليها و(مدعاة) داعية والهاء للمبالغة (نحافة الصب) رقة العاشق و(العضب) السيف القاطع (آلة) عدة وأداة يريد انها محددة مصقولة مثل آلة الحرب ويروى آلة بالتشديد وهى الحربة (الدونة) لين (نحافة الصب) ليس هو تشبيها حقيقيا وانما أراد انها أخذت من العاشق نحافته ومن العضب صقالته ومن الغصن لدونته ولو شبه الخلالة فى الرقة بالعاشق ونحوله لكان جائزا وكان من التشبيه المقلوب وكلاهما بديع فى بابه والخلالة التى ذكر أصلها نبات لشجير فى الصيف وتطلع له رؤس يكون فى الواحد منها عدة من قضبان رقاق فيمسك الرجل منها فى جيبه رأسا فى أكل طعاما نزع منها قضيبا فتخلل به ويعرف هذا النبات عندنا بالبستنيج فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذى عندهم فى المشرق والاوصاف التى وصفت موجودة فى البستنيج من الرقة والصفاء واللين والحدة وجاء فى الحديث النهى عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقوا أفواهكم بالخلال فانها مسكن الملكين الكاتبين الحافظين وان قلمهما اللسان ومدادهما الريق وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام * أبو أيوب قال صلى الله عليه وسلم حبذا المتخللون فى الوضوء والطعام * أبو هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم من أكل فليتخلل فما تخلل فليلفظ وما لاك بلسانه فليبتلع والخلالة

ثم قال انهض الى المخدع
فأتنى بغسول يروق الطرف
وينقى الكف وينعم البشرة
ويعطر النكهة ويشد اللثة
ويقوى المعدة وليكن نظيف
الظرف أريج العرف
فتى الدق ناعم السحق
يحسبه اللامس ذرورا
ويخاله الناشق كافورا
واقرن به خلالة نقية الاصل
محبوبة الوصل أنيقة
الشكل مدعاة الى الأكل
لها نحافة الصب وصقالة
العضب وآلة الحرب
ولدونة الغصن الرطب

اذا بلغت من رقتها أن تقع بين الاسنان فالعاشق اذا بلغ الغاية في النحول هو الذي يشبه بها كما
قال في التاسعة في وصف الصبي الهزيل من الجوع ولي منه سلالة كأنها خلالة وأخذه من قول
ديك الجن ارحم اليوم ذلتي وخضوعي * فلقد صرت ناحلا كالخلال
وقال أبو الطيب روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر والتشبيه المقلوب عندهم شيء مستطرف ومذهب
مستحسن كما قال ذو الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

فقلب التشبيه لان العادة أن تشبه الاعجاز بكثبان الرمل كما قال الآخر
*مثل قضيب تحته كثيب * وكما قال الآخر

وبيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الازر رملات عالج

وأخذه وجود الصنعة حبيب حيث قال

كم أحرزت قضب الهندي مصلتة * تهتز من قضب تهتز من كثب

علق قوله من قضب تهتز بأحرزت يلح لك بديع صنعته بسرعة فانه أراد كم أحرزت قضب الهند
وهي السيوف اذا أصلتت من أغمادها وهزت من قضب أي قدود نساء تهتز من كثب أي
أكفال شبه أكداس رمال وما أعذب وأطرف قول البحتري

أين الغزال المستعير من النقا * كفلا ومن نور الاقاحي مبسما

فهذا هو الذي جرت به العادة في التشبيه فقلب ذو الرمة العرف والعادة فشبه كثبان النقا
باكفال النساء وتبعه خالد الكاتب وغيره حدث جحظة قال حدثني خالد الكاتب قال جاءني
يوما رسول ابراهيم بن المهدي فسرت اليه فرأيت رجلا اسود على فرش قد غاص فيها فاستجلسني
وقال أنشدني من شعرك فأنشدته

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حياني بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعني كأسا كأن حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي
وراح وفعل الراح في حركاته * كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود
فزدني فانشدته عاتبت نفسي في هوا * ك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليـ * ك ولم أطع من يعذل
لاوالذي جعل الوجو * ه لحسن وجهك تمثل
لاقلت ان الصبر عنـ * ك من التصابي أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش ثم قال زدني فأنشدته

عش فحبيك سريعا قاتلي * والضنا ان لم تصلني واصلي
فانا بين اكتئاب وضنا * تركاني كالقضيب الذابل
فبكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل

فاستخف طربا ثم قال يا بليق كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون دينارا قال اقسمها بيني وبين خالد فدفع الى نصفها وقد سبق الى قوله كأنه خدود قال المفضل دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيأ تشبهه به فأنشأت أقول

كأنه خد معشوق يقبله * فم الحبيب وقد أبقى به خجلا

وقالت الجارية كأنه لون خدي حين تدفعني * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور ولقد أحسن ابن الرقاق في قوله ورياض من الشقائق أضحت * تتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زاهرات تروق لون الراح

قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال البحتري في طلعة الشمس شيء من ملاحتها * وللقضيب نصيب من سنيها

وقال ابن المعتز سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين في الشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

وأستطرد الى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذي ذكرنا فأقول اذا صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر

أنحلني الحب فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

قد كان لي فيما مضى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبي بكر بن دريد

ان الذي أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر

صبابة لو أنها قطرة * تجول في جفنك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب باضعاف فينقلب التشبيه وكذلك اذا بولغ في وصف الاكفال بالعظم صغرت عندها الكثبان فينقلب التشبيه وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة فقال هذا باب من غلبة الاصول الفروع ثم أنشد بعض ما أنشدناه وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه الباب وللمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير ويستحسن في ذلك قول المجنون فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

أخذه المؤمل فقال قد صرت من ضعفي الى حالة * تجري لها آماق حسادي

يكاد جسمي من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوادي

وزاد خالد الكاتب فجعله لا يدرك الا بالوهم فقال

يا من تجاهل عما كان يعمله * عمدا وباح بسر كان يكتمه

غدا خليلك نضو الاحزان به * لم يبق من جسمه الا توهمه

فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال

د سهد حانه التفريق في أمله * أضناه سيده طلما تحمله

فدق حتى لو ان الدهر قاداه * حتفا لما أبصرته مقلتا أجله

فاعدمه المنبي واستريح منه فقال

أراك حسبت السلك جسمي فعقته ✤ عليك بدر من لهاء الترائب
ولو قلم ألقيت في شق بريه ✤ من السقم ماغيرت من خط كاتب

(قوله أدرأ) أي أزيل (العمر) الودك (أهم) أظن ويذهب وهمي (تظنيت) حسبت وأبدل احدى نوني ظنن ياء تخفيفا للتضعيف (سخر) هزأ (الملتمس) المطلوب (الجو) هنا داخل البيت (أجفلا) هربا وأسرعا (قوله استشطت) اشتد غضبي (مكره) خداعه (أوغلت) بالغت وباعدت (قس) غمس (عرج به) طلع به (عنان) بفتح العين سحاب والعنانة السحابة وأعنت السماء صار لها عنان والله الموفق للصواب

(شرح المقامة الثامنة وهي المعرية)

(معرة النعمان) هي بلدة بالشأم والنعمان اسم جبل مطل عليها والمعرة اسم البلدة فأضيفت اليه ولها سبعة أبواب وعلى جبل منها دير سمعان فيه قبر عمر بن عبد العزيز وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها وداخلها قبر يوشع بن نون وله يوم حفيل في كل عام والى المعرة ينسب الشاعر المعري قال شيخنا ابن جبير انه خرج من قنسرين يريد حمص قال فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من أخصب البلاد وأكثرها أرزاقا وورائها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفي سفح الجبل حصون للملحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادعت الالهية فيض لهم شيطان يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الانفس دونه حصلوا من طاعته بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى المأمور والله يضل من يشاء (قوله الاطيبان) أي الاكل والنكاح أي هو شيخ مسن وقيل الاطيبان النوم والنكاح وقيل طيب النكاح وطيب النكهة أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الاطيبان التمر واللبن وسئل شيخ مسن من العرب عن حاله فقال ذهب مني الاطيبان السير والأير وبقي الارطبان الضراط والسعال و(البان) شجر تشبه بقضبانه القدود الناعمة (المتقاضي) أي المتحاكم الذي يطلب من الحاكم قضاءه وعونه على خصمه وهذا الغرض الذي ذكره ضرب من الالغاز لانه مشى كلامه في وصف جارية وغلام وقد ضمن الكلام وصف ابرة ومرود (مملوكة) يعني الابرة جعلها مملوكة لانها مما يتمول (رشيقة القد) معتدلة القامة (أسيلة) ملساء خد الابرة شق فيه ثقبها وأصل الخد شق مستطيل في الارض والاسالة ملاسة مع طول (صبور على الكد) أي صابرة على المشقة والتعب وفعول بمعنى فاعل يمنع من الحاق الهاء به اذا وقع صفة لمؤنث قال عنترة

اني امرؤ سهل الخليقة ماجد ✤ لا اتبع النفس اللجوج هواها

ومنه امرأة شكور وصبور ولجوج وحكى أبو محمد خواص العراق يقولهم شكورة ولجوجة وصبورة وقال ان هذه الهاء انما تدخل في فعول اذا كانت بمعنى مفعول نحو ناقة ركوبة وشاة

قال فنهضت فيما أمر لا أدرأ عنه العمر ولم أهم الى أنه قصد أن يخدع بادخالي المخدع ولا تظنيت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في اثره طلبا فكان كمن قس في الماء أو عرج به الى عنان السماء

(المقامة الثامنة المعرية)

(أخبر الحرث بن همام) قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد

حاوية قال وذكر النحويون فى امتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل للمؤنث عللا أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به فأسقطت الهاء من صبور وفتاة معطار ونظائره كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة لتدل على تحقيق المبالغة وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة وامتناع الهاء المذكورة أصل مطرد الاعدوة فانهم ألحقوه بصديقة والشئ فى أصول العربية يحمل على ضده ونقيضه كما يحمل على نظيره ورسله (تخب) تثب فى الثوب بسرعة (النهد) الفرس الضخم (أطوارا) احيانا وهذه تمر الخائط الذى يمسك فيه ابرته (تموز) أحد الشهور وهو يوليه و(البرد) أن يبردها الحداد بالمبرد ليقومها ويعدلها فالبردها فعل صانعها قال ابن ظفر ذهب بالبرد الى ما طبع عليه الحديد من البرد فى القيظ (قوله ذات عقل وعنان) أراد بالعنان الخيط لانها ترسل فى الخياطة والعقل شدها بالخيط حين تمسك فى الثوب (سنان) طرفها المسنون أى المحدد (كف بنان) الكف والتضريب شيئان معروفان فى الخياطة فيريد ان الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان ويكفه بالابرة (فم) يريد نقب الابرة (تلدغ) تضرب الاصبع و(اللسان النضناض) للحية والنضنضة قيل هى صوت الحية وقيل حركة لسانها وانما اختلف فيها لان الحية اذا ضيق عليها فتحت فاها وصفرت وحركت لسانها فيقال نضنضت وشبه طرف الابرة بلسان الحية لكثرة حركته فى الثوب وما أحسن قول الشاعر فى تشبيه لسان الافعى بنور السراج

وقنديل كأن النور منه * محيا من أحب اذا تجلى
أشار على الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلى فى شمعة

يطعن صدر الدجى بعالية * صنوبرى لسان كوكبها
كحية باللسان لاحسة * ما أدركت من سواد غيهبها

وللبيتين الاولين حكاية مستظرفة حدثنى بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لامرين لشهرتها ولانى وجدت البيتين مثبتين فى بعض النسخ من القلائد لاحد رجالها ثم عزم على بعض الادباء أن أذكرها فذكرت على اختصار فائدتها وذلك ان الشاعر المعروف بالكى الهجاء دخل عليه فى ليلة ماطرة ذات رعد وبرق فى بيت فندق دواب شخص فى الظلام لا يعرفه وعلى البكى بقية من سلهامه خلقة لا يوارى بهغ برها وعلى الثانى بقية من قميص قد اسود من طول البلى وكثرة الاوساخ حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو وقد بلل كل واحد منهما المطر وهما فى بلاء من القر والجوع والبرد فرق لهما خادم الفندق فدخل عليهما بقنديل فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيرا فى الشقاء فقال البكى لجليسه أى شئ أنت فقال شاعر وشؤم الادب بلغ بى ما ترى قال فأجز فقال وقنديل كأن النور منه * فقال الآخر

محيا من أحب اذا تجلى * فقال البكى * أشار على الدجى بلسان أفعى فقال الآخر

فشمر ذيله فرقا وولى * فقال له البكى وقد أعجب به من تعرف فقال بعنق البرة قال له وأنا البكى فجعلا يتناظران بقية ليلهما فى أيهما أكثر حرمانا حتى أصبحا وكانا بتلمسان فقال عنق البرة للبكى هلم لنقترع أينا يقيم هنا وأينا يرتحل فانا ان بقينا فى موضع واحد أدرك الناس

من

تخب أحيانا كالنهد
وترقد أطوارا فى المهد
وتجهد فى تموز وفى البرد
ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف بنان وفم
بلا أسنان تلدغ بلسان
نضناض

قوله سلهامه فى نسخة سهامه وكلاهما غير مناسب ولعله محرف من مسهمة كمعظمة برد مخطط كما فى القاموس وحرر اه مصححه

من شؤمنا ما يؤدّى بهم الى الهلاك فاترعا خرجت قرعة البكى بالرحيل فارتحل ونزل بفاس فحل باهلها من بلائه ما قد شهر ولمن كان البيتان فلقد أجاد وأحسن ماشاء (قوله ترفل فى ذيل فضفاض) أى تمشى فى خيط طويل (تجلى فى سواد وبياض) أى تبرز فى خيط أسود للخياطة السواد وأبيض لخياطة البياض (نسق) أراد سقى الحداد لها اذا أخرجها من النار ألقاها فى الماء لتصلب (ناصحة) خائطة والنصاح الخيط ونصحت الثوب خطته (خدعة) تخدع الخائط كثيرا فتخيط وجه الثوب الاعلى وتترك الاسفل والهاء فى هذه الصفات للمبالغة (خبأة طلعة) يصف حالها فى الخياطة حين تختبئ فى الثوب ثم تطلع فى يد الخائط (مطبوعة) أى مصنوعة لينتفع بها (مطواعة فى الضيق والسعة) يريد اذا دفعتها فى الثوب دخلت فيه سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق (اذا قطعت وصلت) يريد اذا قطعت الثوب وفصلته ألفته (فصلتها عنك) نحيتها وجعلتها فى مئبرها (خدمتك) أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك (جلت) ألفت قطع الثوب (جنت عليك فآلمت) أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم (مللت) أى جعلتك متقلبا لشدة الوجع (قوله استخدمتها) أى طلب منى خدمتها (العرض) حاجة وأصل العرض ما قصدته سهام الرامى ثم سميت الحاجة غرضا لانها قصدت بالرغبة فيها (وسعها) طاقتها وقدر ما تحتمل مما تكلف (أولج فيها متاعه) أى أدخل فيها خيطه (أفضاها) خرق عينها وفى المرأة خلط مسلكيها من أفضيت الى الشئ وصلت الى متسعه ومنه القوم فوضى أى متسعون مختلطون (بذل) أعطى (القطا) طائر يصيح قطا قطا فسمى بصياحه وبما يفهم من صوته ولذلك تسميه العرب الصدوق ويقال أنسب من قطاة لانها اذا صاحت عرفت وقال الشاعر

تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت * يا صدقها حين تدعوها فتنتسب

حمراء مقبلة سكاء مدبرة * للماء فى النحر منها نوطة عجب

* (وقال الكميت) *

لا تكذب القول ان قالت قطا صدقت * اذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وقال أبو وجزة

مازلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباشر عرما غير أزواج

يريد أن الحمير وردت الماء ليلا فأثارت القطا عن أفاحيصه فصاحت قطا قطا فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا والعرم بيضها لان فيها سوادا وبياضا وبيض القطا افراد ثلاثة أو خمسة قال مزاحم العقيلى فى القطا وفراخها

فلما دعته بالقطاة أجابها * بمثل الذى قالت له لم يبدل

وقال المعرى عرفت بجدولك اذ نطقت وطالما * لفظ القطا فأبان عن أنسابها

وقال الاصمعى القطا لا تصيح الا اذا رأت الماء فاذا عدم الماء وسمعت العرب صياح القطا فرحوا به وعرفوا قرب الماء من بعده وقيل سمى قطا لثقل مشيه يقال قطا الرجل يقطو اذا ثقل مشيه (قوله فرط) أى سبق (عن خطا) أى عن غير تعمد (رهنته) أعطيته رهنا وأرهنتك أعطيتك ما ترهنه و (الارش) قيمة العيب أى دية الجرح مأخوذ من أرش بين القوم لان الارش يختصم فى قدره (أوهنته) أفسدته ووهى الشئ يوهى ويهن ضعف وأوهنته أنا اذا أضعفته (مملوكا)

وترفل فى ذيل فضفاض
وتجلى فى سواد وبياض
ونسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خبأة
طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطواعة فى الضيق والسعة
اذا قطعت وصلت ومتى
فصلتها عنك انفصلت
وطالما خدمتك فجملت
وربما جنت عليك فآلمت
ومللت وان هذا الفتى
استخدمنيها العرض فأخدمته
اياها بلا عوض على أن
يجتنى نفعها ولا يكلفها
الا وسعها فأولج فيها متاعه
وأطال بها استمتاعه ثم
أعادها الىّ وقد أفضاها
وبذل عنها قيمة لا أرضاها
فقال الحدث أما الشيخ
فأصدق من القطا وأما
الافضاء ففرط عن خطا
وقد رهنته عن أرش
ما أوهنته مملوكا لى

يعني المرود (متناسب الطرفين) أي هذا الطرف مثل هذا الطرف تكتحل بايهما شئت (القين) الحداد الذي صنعه (الدرن) وسخ الحديد والشين العيب أي هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب (يقارن محله سواد العين) أي عند التكحل به (يفشي) يحدث ويظهر واحسان الكحل في العين لا يخفى (ينشي الاستحسان) أي ينشئ لناظر العين استحسان الكحل في العين و (الانسان) انسان العين يغذيه بالكحل والانسان السواد الذي في وسط العين اذا رأيته رأيت فيه شخصا والشخص هو الانسان فسمى السواد به (يحامى) يبعد عنه يريد انه يكحل العين ولا يقرب من السم (نزله سود) أي جعل فيه الكحل (جاد) أعطاه العين (وسم) العين بالكحل (أجاد) عمله فيها (فلما ينكح الامنى) أي لا ينكح عينا واحدة في الغالب وقد نظم هذا الشرقي المائية والاربعين (جوده) أي يجود بكحله للعين (ويسمو) يطلع للعين ويجعل له الكحل غذاء لانه يأخذ ويرتفع به للعين (فرينته) مكحلة (من طينته) من جنسه (زينته) تزيينه للعين (يطمع في لبنته) أي لا يطمع أن يكون الحديد لينا وكل لفظة فسر بها المرود والابرة لها لفظ في ظاهرها غيره فسرت به (تبينا) توضحا وتفسر احديثكما المبهم الملغز (فبينا) ابعدا وارتفعا (قوله أرفو) أي اخيط ويروى لأرتأ يقال رفأت الثوب ارفؤه ورفوته أرفوه والرفو من أدق أنواع الخياطة وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود كأنه لم يكن فيه خرق وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء

يا رافيا قطع كل ثوب ... ويا رشا حبه اعتمادي

عسى بخيط الوصال ترفو ... ما قطع الهجر من فؤادي

(وقال الحلواني في خياط)

رب خياط فتنت به ... فتنة أوهنت قوى جلدي

لاعب بالخيط يفتله ... أتراه ظنه جسدي

ليت أني كنته فاري ... بين ذاك الدر والبرد

فعلت بالثوب ابرته ... فعل سهم الشوق في خلدي

وجرى المقراض في يده ... جري عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس انه كان يرا أكل اسمعيل بن أبي سهل فعرضت له على مائدة رقاقة في جانبها خرق قد ضم فرفعها باحدى يديه ونقرها بالاخرى فانفرجت وقال وهو يضحك أخبز كم مرفوء فلما خرج قال

خبز اسمعيل كالوشي اذا ما انشق يرفا

عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى

ان رفاءك هذا ... ألطف الأمة كفا

فاذا قابل بالنصف من الخبزة نصفا

ألطف الصنعة حتى ... لا ترى مغرز اشفى

مثل ما جاء من التنور ما غادر حرفا

و (الاطمار) الثياب الخلقة واحدها طمر (عفاها البلى) غيرها القدم ودرسها (وسودها) بالاوساخ حتى صارت في طبع الترب فتى غسلت لم تزل ومما قالت الشعراء في الاطمار البالية مما استحسن قول الحمدوني في طيلسان وهبه له أحمد بن حرب المهلبي

متناسب الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين يفشي الاحسان وينشي الاستحسان ويغذى الانسان ويتحامى اللسان ان سود جاد أو وسم أجاد واذا تزود وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح الامنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وان لم يطمع في لبنته فقال لهما القاضي اما أن تبينا والا فبينا فابتدر الغلام وقال

أعارني ابرة لأرفو أطمارا عفاها البلى وسودها

يا ابن حرب أطلت حمى برفوى ‏ طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العر ‏ ض على النار بكرة وعشيا

وقال أيضا فيه
طيلسان لابن حرب ‏ يتداعى لامساسا
قد طوى قرنا فقرنا ‏ وأنا سافانا سا
لبس الايام حتى ‏ لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحس حتى ‏ لا يرى الا قياسا

وقال فيه أيضا
قل لابن حرب مقالة العاتب ‏ ولست فيما أقول بالكاذب
أما رأيت الرفاء يحزننى ‏ برفوه طيلسانك الذاهب
أفناه جور البلى عليه كما ‏ أفنى الهوى عمر خالد الكاتب

وقال فيه أيضا
ان ابن حرب جادلى كاسيا ‏ بطيلسان هرم قشعم
انظر الى كثرة تمزيقه ‏ كأنما مزق فى مأتم
رفوى له وهو رميم كمن ‏ يبنى بناء فوق مستهدم
يصدعه اللحظ بايماضه ‏ صدع فؤاد العاشق المغرم
يذكرنى كثرة تمزيقه ‏ تفرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضا
يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا ‏ مل من صحبة الزمان وصدا
طال تردداه الى الرفو حتى ‏ لو بعثناه وحده لتهدى
فحسبنا نسج العناكب قد جا ‏ ءت الى ضعف طيلسانك شدا

وقال أيضا فيه
يا قاتل الله ابن حرب لقد ‏ أطال اتعابى على عمد
بطيلسان خلت أن البلى ‏ يطلبه بالوتر والحقد
أجد فى رفوى له والبلى ‏ يلهو به فى الهزل والجد
ان أتهم الرافى فى رفوه ‏ مضى به التمزيق فى نجد
غنيته لما مضى راحلا ‏ تركتنى يا واحدى وحدى

والحدونى هو اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه نسب الى جده وهو من أهل ميسان وكان حلو التصرف مليح الافتنان وهو القائل

من كان فى الدنيا له شارة ‏ فنحن من نظارة الدنا
نلحظها من كسب حسرة ‏ كأننا لفظ بلا معنى

(وقال ابن الرومى فى طيلسانه)

ولى طيلسان ناحل غير أنه ‏ نبوت لهبات الرياح الزعازع
وما ذاك الا انه متهتك ‏ يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية ‏ وتمنعنى من لمسه بالاصابع
شكا ثقل اسم الطيلسان لضعفه ‏ فسميته سابا فهل ذاك نافعى

(وقال ابن سارة فى فروة)

أودت بدا ان يدى فروة أرنب ‏ كفوءاد عروة فى الضنا والرقة

فانخرمت فى يدى على خطا
منى لما اجتذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحنى
بارشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها
أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق مبلى رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه ويدى
تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتى
وارث لمن لم يكن تعودها
فأقبل القاضى على الشيخ
وقال ايه بغير تمويه فقال
أقسمت بالمشعر الحرام ومن
ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتنى الايام لم ترنى
مرتهنا سلة الذى رهنا
ولا تصديت أبتغى بدلا
من ابرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقنى
بعصميات من ههنا وهنا
وخبر حالى كخبرى الته
ضر او بؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا
نظيره فى الشقاء وهو أنا
لاهو يسطيع فك مرودة
لما غدا فى يدى مرتهنا
ولا مجالى لديه ذات يدى
فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتى وقصته
فانظر اليوم بيننا ولنا
فلما وعى القاضى قصصهما
وتبين خصاصتهما
وتخصصهما أبرز لهما دينارا

يجشم الرفاء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لوأن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على "اذا السماء انشقت"

وله فيها أيضا

لى فروة وصفى لجاحتى بها * يأتيك بين مقرط ومشنف
عطلت كتب أبى عبيد الذى * ألف فيها من غريب مصنف
يسطر على "العرم فى ترقيعها * سطو الغرام على فؤاد المدنف
فأنا وفروى خوف تزبق لها * أحكى معاوية لجنب الاحنف

وله فى طيلسانه

وطيلسان هرم يحتمى * عليه أن كل الخل والبقل
كانه كفى" اذا انضمتا * عليه خوف الريح فى غل"

(ولبعض أصحابه فيه)

على منكب ابن على "سمل * تقطعه لحظات المقل
اذا غيم الجو أبصرته رهين الذبول بكف البلل
نسوا طيلسان ابن حرب به * وصاروا به يضربون المثل

وله فى غفارته

لاحمد بن على غفارة كالسراب
ان هب أدنى نسيم * تمر مر السحاب

والشعر فى هذا الباب كثير (قوله انخرمت) أى انكسرت (مقودها) خيطها (تأودها) انكسارها وأصله الاعوجاج (اعتاق مبلى) حبس مرودى (ناهيك) كافيك ومعناه المبالغة كأنه بلغ النهاية فى العيب الذى فعل (سبة) عيب يسب به (مرهى) خالية من الكحل وقد مرهت الرجل مرها اذا لم يتعهد الكحل والمرهى من النساء البيضاء البينة الزرق الذى يختص الكحل فى زرقها (اسبر) قس (غور) نماية وقدر (ارث) ارحم وتوجع (ايه) كلمة يستزاد بها الحديث (والتمويه) الكذب وفى الحديث كالتعمية وقد موه عليه اذا خيل له أنه على شئ وهو على ضده وأصل التمويه الصقل كأن على ألفاظه المموهة صقالة وهو من لفظ الماء (المشعر) المزدلفة وهو جمع سمى مشعرا لانه من علامات الحج وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدى بمكة المفضل سمى مشعرا لانه أشعر أنه حرام كالبيت (الناسكين) الحجاج الذين يشعرون الهدى وما ينحر نسك ونسك ينسك منسكا ونسكا ونسكا اذا ذبح النسك وأصلها ذبائح الجاهلية ثم سميت الاضاحى والهدى بمكة نسكا بها والناسك أيضا الزاهد (خيف) موضع بمنى (قوله ساعفتنى) ساعدتنى (تصديت) تعرضت (غالها) أهلكها (الخطوب) الامور الشداد (ترشقنى) تصيبنى (بعصميات) بسهام قاتلة (بؤس) شدة حال (ضنا) ضعف ومرض (وهو أنا) أى هو مثلى فى ضيق الحال (مجالى) موضع تصرفى (ذات يدى) مالى وذات اليد ما يملك (العفو) الغفران (جنى) أذنب (قصتى) حديثى يقول فانظر اليوم بيننا بعين الشفقة والرحمة وأصلح بيننا بما ننصرف به شاكرين لك وهب لنا ما نثنى به عليك وجعل انظر عاملا فى الجميع لان من وجوه النظر الاصلاح بينهم والتكرم عليهم (قصصهما) أى حديثهما وهو جمع قصة (خصاصتهما) فقرهما (تخصصهما) رفعهما وانقباضهما وقد تخصص الرجل اذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة (أبرز) اخرج

(مصلاه)

(مصلاه) بساطه الذى يصلى عليه (افصلاه) اقطعاه وأزيلاه (استخلصه) حازه لنفسه خالصا (الجدّ) التحقيق (العبث) الهزل (سهم) نصيب (مبرّتى) اكرامى الذى وصلنى به القاضى (أميل) أخرج وأعدل عنه (عرا) قصد ونزل به (حدث) طهر (اكتئاب) حزن وهم (وجم) غضب والوجوم السكون على غضب (هيج) حرك (أسفه) حزنه (بال) فكره (بلباله) حزنه ووسواسه (رضخ) كثر العطاء (اجتنبا) باعدا (المعاملات) المعاوضات والعوارى (ادرءا) ادفعا (كيس) وعاء الدراهم (رفده) عطاؤه (يخبو ضجره) يسكن غضبه (بض حجره) رشحت كفه قال الاخطل

كف اليدين من العطية ممسك * ماان تبض صفاته ببلال

(ينصل كده) يزول حزنه و(الجلمد) الصخر الصلب كنى به عن كفه وأنه بخيل ويد البخيل تشبه بالحجر وقال جرير

كانما خلقت كفاه من حجر * فليس بين يديه والندى عمل
يرى التيمم فى بر وفى بحر * مخافة أن يرى فى كفه بلل

(وقال ابن عبدربه)

براعة غرتنى منها وميض سنا * حتى مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

أين هذه الاكف من التى ذكرجبة بن المضرب حين قال

اناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم غر
يصونون أحسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
فلو لامس الصخر الاصم أكفهم * أفاض ينابيع الندى ذلك الصخر

(وقال ابو الشيص)

ان الامان من الزمان وريبه * ياعقب شطا بحرك الفياض
بحر يلوذ المعتفون بسيله * فعم الجداول مترع الاعراض
لابى محمد المؤمل راحتنا * مال الى أعلى العلا نهاض
فيد تدفق بالغنى لصديقه * ويد على الاعداء سم قاضى

وقال أبو تمام
تعوّد بسط الكف حتى لوانه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال البحترى
قد قلت للغيث الركام ولج فى * ابراقه وألح فى ارعاده
لاتعرضن لجعفر متشبها * بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه وأعلى ذكره * ووراه غيث بلاده وعباده

(وقال ابن الرومى)

مقبل ظهر الكف وهاب بطنها * له راحة فيها الحطيم وزمزم
فظاهرها للناس ركن مقبل * وباطنها عين من الجود غيلم

(قوله غشيته) أى ذهاب عقله بأن نغشى عليه و(عاشيته) زواره ومن يغشى موضعه (أشرب) دوخل (حسى) ادراكى وفهمى (نبأنى) حدثنى وأخبرنى (حدسى) ظنى قال الفراء رحمه الله

من تحت مصلاه وقال لهما اقطعابه الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لى بسهم مبرتى وسهمك لى عن أرش ابرتى ولست عن الحق أميل فقم وخذ المنديل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب واكفهر على سمائه سحاب وجم له القاضى وهيج أسفه على الدينار الماضى الا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضرانى فى المحاكمات فما عندى كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضى ما يخبو ضجره من ذنب حجره ولا ينصل كده منذ رشح جلمده حتى اذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسى ونبأنى حدسى

قوله غيلم بالغين المعجمة المفتوحة منبع الماء كما فى القاموس اه مصححه

حدست أحدس اذا قلت فى الشئ برأيك * غيره حدست ظننت ظنا بلغت منه غاية الشئ فى عدده أو وزنه وأصله من قول العرب بلغ الحداس أى الشئ الذى تطلب لحاقه و(الدهاء) فى الرجل الحذق والتبصر فى الاشياء (لاخصما ادعاء) أى ليس بينهما ادعا وعلى الحقيقة فيختصمان فيها (سبرهما) اختبارهما (استنباط) استخراج (نحرير) حاذق (زمرته) جماعته وجعله (شرارة) لنفوذ ذهنه واتقاده ولذلك يسمى نحريرا أى ماهرا بالاشياء كلها كأنه لادراكه وفهمه بالاشياء ينحرها بظنه الصادق (خبئهما) خفى عندهما (نفاهما) أتبعهما (والعون) الشرطى لانه يعين من يتصرف له (مثلا) وقفا يقال مثل الشئ فهو ماثل اذا قام وانتصب واذا لطئ بالارض أو ذهب وهو من الاضداد (سن بكركما) حقيقة خبركما والبكر الفتى من الابل وسنه مبلغ عمره لان بالسن يعرف كم بلغ من العمر وانقط المثل صدقنى سن بكره وروى البكرى عن ابن الاعرابى ان رجلا سام رجلا بكرا على ان يشتريه منه فقال البائع هذا جمل لبكر له وقال المشترى هذا بكر فقال البائع بل هو مسن فبينماهما يتنازعان اذ نفر البكر فقال صاحبه ليسكن نفاره هدع هدع وهى كلمة من العرب يسكن بها صغار الابل عند نفارها ولا تقال للكبار فقال المشترى عند ذلك صدقنى سن بكره (تبعة) شرحت فى الصدر (أحجم) تاخر فزعا (أقدم) تقدم متشجعا (استقال) طلب الاقالة (الشبل) ولد الاسد (الخبر) التجربة والخبرة (تعدت) ظلمت والمتعدى الظالم المجاوز الحد فى الظلم (مالبنا) أى حطنا (نجتدى) نسأل الناس الجدا وهو العطاء (ندى الراحة) كريم الكف و(جعد الكف) ضده وأراد يسأل كل كريم سهل العطاء وكل لئيم صعبه وأصل الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لتقبض الكف من اللؤم ومثله مغلول اليد أى كان يده محبوسة بغل اللؤم او السائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيده محبوسة بغل اللؤم وفى الكتاب العزيز ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فهذا نهى عن البخل ولا تبسطها كل البسط فهذا نهى عن التبذير وقال حبيب فى قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدى ويذكر الجعودة وهى

يرى الوعد أحدى العار اذ لم تكن	مواهبه تأتى مقدمة الوعد
فان كان ما يعطيه غيثا الا مطرت	سحائبه من غير برق ولا رعد
من الكرم جعدا بيض الوجه والندى	وليس بنان يجتدى منه بالجعد

وقال البحترى

صنتنى عن معاشر لا أسمى	أوليهم الاعداء سبابى
من جعاد الاكف غير جعاد	وغضاب الوجوه غير غضاب
خطروا خطرة الجهام وساروا	فى نواحى الظنون سير السحاب

(وقال أيضا فى نحوه).

وخلفنى الزمان على أناس	وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض	وأخلاق قبحن فهن سود
اناس لو تاملهم لبيد	بكى الخلف الذى يشكو لبيد

(غوله الاد) ضد الجد وهو اللهو واللعب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا الدد منى أى لست من باطل ولا الباطل منى (اجتدى) نفع (الحظ) البخت والنصيب (والصدى) العطشان وأراد أن حظه فى الدنيا قليل فهو يسعى ليجاب رزقا يكثر به حظه (تنفد) تتم (أنكد) مشؤم وكل

أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فنفاهما عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقانى سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال أنا السروجى وهذا ولدى والشبل فى الخبر مثل الاسد وما تعدت يده ولا يدى فى ابرة بود ولا فى مرود وانما الدهر المسئ المعتدى مال بنا حتى غدونا نجتدى كل ندى الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد بكل فن وبكل مقصد بالجد ان أجدى والا بالدد لنجلب الرشح الى الحظ الصدى ونتفد العمر بعيش أنكد

ماجلب شرّافهو أنكدونكدو (المرصد) الموضع الذى ترتقب فيه من تريد أخذه وقد رصدته رصدا ترقبته (يفاج) يأت على غفلة وأصل فاجا بالهمز فسهله (قوله لله درك) أى ما أحسن كلامك والدر أصله اللبن وكأنه سمى بحكاية صوته عند الحلب ولله أصله القسم ولا تدخل اللام فى القسم الاعلى اسم الله تعالى والتعجب معها الازم فاذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب الناقة لله درك فكأنه قال والله ان درك هذا الكثير ثم استعير للفصيح فى كلامه ولكل من أحسن فى شئ فكأنه قيل ما أحسن ما جئت به وقيل معناه لله اللبن الذى شربته من أمك قال الفراء رحمه الله ربما قالوا در درك ولم يقولوا لله درك وأنشد

درّ درّ الشباب والشعر الاسـ ـود والضامرات تحت الرجال

(قوله نفثات) أى كلمات (واها) عجبا و (المنذر) المعلم بما يخاف (تماكر) تخادع (سطوة) بطشة (المتحكم) الذى يتحكم بما شاء فيمتثل حكمه (مسيطر) أمير مسلط (بقيل) يغفر الزلة (أوان) وقت (عاهده) حالفه (مشورته) أخذ رأيه (الارتداع) الكف (تلبيس) تخليط (صورته) قصته (فصل) زال (الختر) الخداع (يلمع) يضئ يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الغدر وان يمينه التى حلف له كاذبة وأول من نظم هذا المعنى فى اليمين الشماخ حين قال

أتتنى تميم قضها بقضيضها ∴ تمسح حولى بالبقيع سبالها

يقولون لى احلف ولست بحالف * أخادعهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عنى بحلفة كما شقت الشقراء عنى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة قول ابن الرومى

وانى لذو حلف كاذب * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على معسر * يدافع بالله ما لا يطيق

وقال فيه أيضا
اذا حلت على ضيق ديونى * وباكرنى التجار وخوفونى
دفعتهم بمن لو شاء أدى * حقوقهم اليهم منذ حين

ولدعبل
سالونى اليمين فارتعت عنها * كى يغروا بذلك الارتياع
ثم أرسلتها كمنحدر السيـ * ـل تدلى من المكان اليفاع

(وأنشد أبو على)

لاشئ يدفع حق خصم شاغب * الا الكلاف عبيدة بن سميدع

يمضى اليمين على اليمين لحاجة * غض الجموح على اللجام المقدع

فاذا يذكر حافة أصغى لها * واذا يذكر بالتقى لم يسمع

(قوله تصاريف) أراد التصرف بالجولان فى البلدان و (الاسفار) الاول جمع السفر فى البلاد والثانى جمع سفر وهو الكتاب قال الفراء رحمه الله الاسفار الكتب العظام و (التصانيف) التآليف المنوعة والمصنف الذى فيه أنواع شتى

(شرح المقامة التاسعة وهى الاسكندرية)

(طحا) بك قلبك و وهمك طحوا وطحيا ذهب بك و طحا الله الارض و دحاها بسطها * ابن الانبارى

والموت من بعد لنا بالمرصد
ان لم يفاج اليوم فاجى فى غد
فقال له القاضى لله درك فما أعذب نفثات فيك وواها لك لولا خداع فيك وانى لك لمن المنذرين وعدلك من المحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته والختر يلمع من جبهته (قال الحرث ابن همام) فلم أر أعجب منها فى تصاريف الاسفار ولا قرأت مثلها فى تصانيف الاسفار

(المقامة التاسعة الاسكندرية)

(قال الحرث بن همام) طحا بى

طما قلبه فى الهوى واللهو اذا تطاول وتمادى قال طرفة * طحابك قلب فى الحسان طروب *
(مرح الشباب) نشاط الفتوة (جبت) قطعت ومشيت (فرغانه) مدينة فى أقصى خراسان
وكان فيها بيت يسمى هيكل الشمس بناه فارس الملك وخربه المعتصم وبها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى
أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين وبينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا قال اليعقوبى من
سمرقند الى اسروشنة خمس مراحل شرقا ومن أسروشنة الى فرغانة مرحلتان ومدينة فرغانة
التى ينزلها الملك يقال لها كاسان وهى مدينة جليلة القدر عظيمة الامر وكل هذه المدن مضافة
الى عمل سمرقند وكان أنوشروان بنى فرغانة ونقل اليها من كل بيت قوما وسماها از هر خانه أى من
كل بيت (وغانة) بلد من بلاد السودان واليها ينتهى التجار والمدخل اليها من سجلماسة ومن
سجلماسة اليها مسافة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك
أن الرفاق تجهز اليها من سجلماسة بالامتاع والاثقال فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر اليها بثلاثين
جملا يرجع منها بثلاثة أجمال أو بجملين واحد لركوبه وثان للماء بسبب المفازة التى فى طريقها
حدثنى غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة فى ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء الا على ظهور
الابل فأثمان أجمال الثلاثين جملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل فى مزود واحد فيطوون المراحل
المخفة وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب
كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى
ويقيمون بها عند أميرها فى غاية الكرامة والحلم فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة
فى خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الابدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال
الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح وكان ابن الرومى وصف واحدة منهن بقوله

تذكرك المسك والغوالى والـ * ـنذوات النسيم والعبق
لست من العبس الاكف ولا الـ * ـفلح الشفاه الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
يفتر ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يضحكها * ليل تعرى دجاه عن فلق
لهاحر يستعير وقدته * من قلب صب وصدر ذى حنق
يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق
غصن من الآبنوس ركب فى * موزر معجب ومنتطق

(وقال الشريف الرضى)

أحبك يالون السواد فانتى * رأيتك فى العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم * جنونى على الظبى الذى كله لمى

(وقال ابن مسلمة)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من * يراها كلها فى العين خالا

مرح الشباب وهوى الاكتساب الى أن جبت ما بين فرغانة وغانة

وله أيضا لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنما في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * اني أهيم بشخص كله خال

ولابن رباح وسوداء الاديم اذا تبدت * يرى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظري فصبا اليها * وشبه الشيء منجذب اليه

ولابن رشيق دعاك الحسن فاستجيبي * يامسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * في أعين الناس والقلوب

قال ابن رشيق أخذته من قول الآخر أنشده الجاحظ

مشبهات الشباب والمسك تفديـ * ـهن نفسي من الردى والخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وصال الـ * بيض والبيض مشبهات المشيب

وأخذ بيته الآخر من قول الآخر أنشده الجاحظ

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

فاخذه أيضا أبو الطيب فقال في كافور وأحسن

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وأماقيا

ولابن الجهم وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذي محك
قولوا له المعنى أما تستحي * من يجعل الكافور كالمسك

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي والناس تبع له حيث قال

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(علي بن العباس بن الاحنف معاصره قال)

أحب النساء السود من أجل نكتم * ومن أجلها أحببت ما كان أسودا
فجئني بمثل المسك أطيب نكهة * وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا

(أخذ بيته الاول من قول ابن الاعرابي)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض)

وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الاقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على تحسين القبيح والامر المجمع عليه تفضيل البياض قال الجاحظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه وأنشد

لهم ديباجة عرفت قديما * بياض في الوجوه وفي الجلود

(وأحسن كشاجم فيما قصد اليه بقوله)

يامشبها في فعله لونه * لم تعد ماأوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(قوله جبت ما بين فرغانة وغانة) ما ههنا بمعنى الذي كأنه قال جبت الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال فما هي التي أوجبت لما بين البلدتين مما ذكر أن يعم بالمشي ولو سقطت ما لم يلزم العموم وكأنه يشير بهذا التبعيد الى قول حبيب

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

أخوض الغمار لاجني الثمار
وأقتحم الاخطار لكي أدرك الاوطار

(قوله أخوض الغمار) أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها (أقتحم الاخطار) أي أترامى في المخاوف والخطر الغرور (الاوطار) الحاجات وقال أبو عمرو القسطلي فيما يتعلق بهذا

تخوفني طول السفار وانني * لتقبيل كف العامري سفير
دعيني اردماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات نمير
ألم تعلمي أن الثواء هو النوى * وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير

(وقال النابغة الجعدي)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(وقال ابن سارة)

سافر فان الفتى من بات مفتحا * قفل النجاح بمفتاح من السفر
ان شئت خضرتها يا ابن الرخا فكن * في طي غمر الفيافي نائي الحضر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه * قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لابد أن يقع المطلوب في شرك * ولو بني وكره في دارة القمر

ذكر السفر والحض
عليه وترك العجز

ومما ينتظم في باب الحض على السفر وترك العجز قولهم لا ينبغي للعاقل أن يكون الا في احدى المنزلتين اما في الغاية من طلب الدنيا واما في الغاية من تركها ولا ينبغي للعاقل أن يرى الا في أحد مكانين اما مع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا يعد العرم غرما اذا ساق غنما ولا الغنم غنما اذا ساق غرما ونظم هذا المعري فقال

ذر الدنيا اذا لم تحظ فيها * وكن فيها كثيرا أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين اما * مليكا في العشائر أو أبيلا

الابيل الراهب وفي كتاب الهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وفي التوراة ابن آدم خلقت من الحركة الى الحركة فتحرك وأنا معك وفي بعض الكتب امدد يدك الى باب من العمل افتح لك بابا من الرزق وقالوا من ضعف عن عمله اتكل على رزق غيره وقال علي رضي الله عنه الحرص مقدمة السكون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ما المروأة فيكم قالوا العفة والحرفة وروى عكرمة وراء نهر بلخ فقيل له ما جاء بك ههنا فقال بناتي وقال رجل لمعروف الكرخي يا أبا محفوظ

أتحرك لطلب الرزق أم أجلس قال لابل تحرك فانه أصلح لك فقال أتقول هذا قال وما أنا قلته ولكن الله عزوجل أمر به قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولوشاء لانزله عليها وأنشد الثعالبى

ألم تر أن الله أوحى لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولوشاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقال موسى بن عمران عليه السلام لاتلوموا السفر فانى ادركت فيه مالم يدركه أحد يريد ان الله كلمه ونظم هذا المعنى حبيب فقال

فان موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس
صار نبيا وعظم بغيته * فى جذوة للصلاء والقبس

قال المأمون لاشئ ألذمن السفر فى كفاية لانك تحل كل يوم فى محله لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم * الثعالبى من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار مايزيده علما بقدرة الله ويدعوه الى شكر نعمته وفى الاثر الصحيح سافروا تصحوا وتغنموا * آخر السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهى الطعام * آخر ليس بينك وبين بلد نسب نخير البلاد ماحملك قال ابن رشيق كتب الى بعض اخوانى مثل الرجل القاعد أعزك الله كمثل الماء الراكد ان ترك تغير وان تحرك تكدر ومثل المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه رحمة وهؤلاء يدعونه نقمة فاذا اتصلت أيامه ثقل مقامه وكثر لوامه فاجمع لنفسك فرحة الغيبة وفرحة الاوبة والسلام وقال ابن رشيق

غب عن بلادك وارج حسن مغبة * ان كنت حقا تشتكى الاقلالا
فالبدر لم يجحف به ادباره * أن لايسافر يطلب الاقبالا

وقال أبو الطيب وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الأدنون غير الاصادق
وقال البحترى واذا ماتنكرت لى بلاد * أوصديق فاننى بالخيار
وقال أبو الطيب اذا لم أجد فى بلدة ما أريده * فعندى لاخرى غربة وركاب

(وقال ابراهيم بن العباس الصولى)

لايمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

أى لايمنعك الشوق الى الوطن فى الغربة من الاستمتاع بلذة العيش فالارض واحدة والناس جنس واحد وفى غير الحماسة

لايمنعنك خفض العيش فى دعة * من أن تبدل أوطانا بأوطان

برفع خفض أى لايمنعنك عيشك الهنى فى بلدك أن تجول فى البلدان وترى الناس فتستفيد النزهة والتجربة قالوا المسافر يسمع العجائب ويكشف التجارب ويجلب المكاسب أوحش أهلك اذا كان انسك فى ايحاشهم واهجر وطنك اذا نبت نفسك عنه قيل لأعشى بكر الى كم ذا الاغتراب أماترضى بالدعة قال لودامت الشمس عليكم يوما لمللتموها أخذه حبيب فقال

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء لاتنال الراحة الابالتعب ولاتدرك الدعة الابالنصب وقال حبيب

على أنني لم أحو وفرا مجمعا * ففزت به الابشمل مبدد

ولم تعطنى الايام يوما مسكنا * ألذبه الابنوم مشرد

وقال ابن عبدربه هل يجول فى عقل أو يمثل فى وهم أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو يثمر مال بغير طلب أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح وقد يكون الاكدامع الكد والخيبة مع الغيبة وقال الشاعر

ومازلت أقطع عرض البلاد * من المشرقين الى المغربين

وأدرع الخوف تحت الدجى * وأستصحب الجدى والفرقدين

وأطوى وأنشر ثوب الهموم * الى أن رجعت بخفى حنين

(وقال ابن رشيق)

يعطى الفتى فينال فى دعة * مالم ينل بالكد والتعب

فاطلب لنفسك فضل راحتها * اذليست الاشياء بالطلب

ان كان لارزق بلاسبب * فرجاء ربك أعظم السبب

(وقال محمد بن بشير)

قد يرزق الخافض المقيم وما * شد لعيس رحلا ولاقتبا

ويحرم المال ذو المطية والرحل ومن لايزال مغتربا

(وقال آخر)

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله * ويحرم الرزق بالاسفار والتعب

انى وعمرك ماأحصى ذوى حق * الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ولآخر ألا رب باغى حاجة لاينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس

آخر قد يرزق المرء لامن حسن حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

مامسنى من غنى يوم ولاعدم * الا وقولى فيه الحمد لله

آخر لو كان باللب يزداد اللبيب غنى * لكان كل لبيب مثل كافور

لكنه الرزق بالقسطاس من حكم * يقصى اللبيب ويعطى كل ماخور

ومثل هذا قليل فى كثير وانما يحكم بالاغلب والنجح مع الطلب أكثر والحرمان للعاجز أصحب وشرح حبيب هذا المعنى فقال

همّ الفتى فى الارض أغصان المنى * غرست وليست كل حين تورق

أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا فقال انك تدخل بلدا لاتعرفه ولايعرفك أهله فتمسك بوصيتى تنفق بها عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ونظافة البزة فانها تشهد بالنشء فى النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروأة والادب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والانفة فانك ان استحييت من الغظاظة اجتنبت الخساسة وان أنفت من الغلبة

لم

لم يتقدمك نظير فى مرتبة (قوله لقفت) أخذت واللقف أخذما يرمى اليك بيدك (ثقفت) قيدت و يمدح الرجل الحازم به فيقال فلان ثقف لقف و (الاريب) العاقل وقد أرب ارابة وأرباصار أريبا والاريب من أربت العقدة أرباشددتها (يستميل) يستنزل ويدعوه أن يميل اليه (يستخلص مراضيه) أى يحوزها لنفسه ومراضيه ما يرضى القاضى و يوافقه وهو جمع مرضاة و يقال صلة الرحم مرضاة للرب أى يرضيه بها يقول العاقل اذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه بحسن تخدمه له حتى يحقف عليه (ليشتد) ليتقوى (جور) ظلم (اماما) قدوة (زماما) حبلا أقودها به (ولجت) دخلت (عرينة) بالمد وأصلها بيت الاسد (الراح) اسم الخمر وأبهم على بن الرمى ما اشتق اسمها حين قال

والله ما أدرى لأية علة * يدعونها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والاربعين (عنايته) اعتناؤه به واهتمامه (الاسكندرية) مدينة عظيمة من بلاد مصر بناها الاسكندر ذو القرنين وهو الذى مشى مشارق الارض ومغاربها قال السدى لما سأل أهل الكتاب النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين قال سأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ان أول أمره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية وقال الهمدانى ذو القرنين ينسب اليه التاريخ قبل الاسلام ومؤدبه ارسطاطاليس الحكيم وكان ملكه الذى بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر عاما والاسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام واذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط فى خرق الابرة من بياض رخامها وقيل انها مكثت سبعين عاما لايدخلها أحد الاوعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ورخامها ولم يحتج لها فى تلك المدة الى سراج بالليل من ضيائها وقيل كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور قال ابن جبير ما شهدنا بلدا أوسع مسالك ولا أعلى بناء ولا أعتق ولا أحفل من الاسكندرية وأسواقها فى نهاية الاحتفال ومن أعجب ما فى وضعها ان بناءها تحت الارض كبنائها فوق وأعتق لان الماء اذا جاء من النيل يخترق جميع ابارها وأزقتها تحت الارض فتتصل الآبار بعضها ببعض و يمد بعضها بعضا وعاينا فيها من سوارى الرخام وألواحه كبرا وعلوا واتساقا وحسنا مالا يتخيل الابالوهم حتى انك تلقى بعض سواريها يغص بها الجو صعودا لايدرى معناها ولالاى شئ وضعت الا انا نحدث أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنارة التى للمتوسمين وهداية للمسافرين لولاها ما اهتدوا فى البحر الى بر الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا ومبناه فى نهاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا يزاحم الجو سموا وارتفاعا ينحصر عنه الوصف و ينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع ذرعنا أحد جوانبه الاربع فألفينا فيه نيفا وخمسين باعا ويذكر أن فى طوله أزيد من مائة وخمسين قامة وأما داخله فمرأى هائل اتساع معارج ودواخل وكثرة مساكن حتى ان الوالج فى مسالكه ربما ضل وفى أعلاه مسجد موصوف بالبركة فيتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا اليه وشهدنا من شأن مبناه عجبا لايستوفيه

وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن فى الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحى زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوى الاجساد بالارواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية

وصف واصف والله تعالى لايخليه من عزة الاسلام (قوله عشية عرية) أى باردة (بفضه) يفرقه (ذوى الفاقات) أهل الفقر والحاجات (عفرية) يقال رجل عفرية وعفر وعفير اذا كان صحيحا شديدا موثق الخلق أخذ من عفر الارض وهو التراب أى من علق به عفره بالارض ومنه ليث عفرين أى ليث ليوث معفر لفريسته قال الخليل رجل عفار بين العفارة اذا وصف بالشيطنة والعفير أيضا الظريف الكيس ويقال للشيطان عفريت وعفرية وعفارية وقرئ قال عفرية من الجن وفى الحديث ان الله ليبغض العفريت النفريت قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدى دخل رجل عظيم الجسم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال فبالصداع قال ما أدرى ماهو قال أفأصبت بمالك قال لا قال أفرزئت بولدك قال لا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض العفريت النفريت وهو الذى لا يرزأ فى نفسه ولا يصاب فى ماله وقوله (تعتله) أى تسوقه بعنف وكذلك تدعه (مصيبة) لهاصى (جرثومة) أصل وكذلك (أرومة ميسمى) علامتى (الصون) الصيانة والانقباض (شيمتى) طبيعتى (الهون) الرفق (بون) بعد (بناة) جمع بان و (المجد) الشرف الضخم وأصله من الابل المواجد وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت وأمجدها راعيها اذا رعاها بحيث تمجد ومجدت هى تمجد مجدت فامتلأت وحكى الاصمعى قال أتيت شعبة يوما وعنده حماد بن سلمة وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة يا أبا سلمة هذا الفتى الذى ذكرت لك فقال حماد يا بنى كيف تنشد بيت الحطيئة أولئك قوم فابتدأت القصيدة من أولها

الا طرقتنا بعد ما هجعت هند ، وقد سرن خمسا واتلأبت بها الجد

الى ان بلغت قوله

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا ، وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

فقال لى حماد يا بنى ان العرب تقول بنى يبنى بناء فى العمران ويقولون فى الشرف بنا يبنو بنا فانشد هذا البيت أحسنوا البنا فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد الا كما لقننى (قوله أرباب الجد) أى أصحاب السعد والمال والعرب تقول لفلان جد فى الدنيا أى حظ وبخت قال امرؤ القيس * وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وقال آخر

عش بجد ولا يضرك نوك ، انما عيش من ترى بالجدود

وجد الرجل صار له جد وأجده الله جعل له جدا وما كنت ذا جد ولقد جددت تجد ورجل جديد حظيظ من الجد والحظ أبو عبيد قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى ولا ينفع ذا الغنى منك غناه انما تنفعه طاعته يعقوب أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة (بكتهم) قطع كلامهم واهانهم (عاف) كره (وصلتهم) اتصالهم به والوصلة سبب التواصل وهى فى الآدميين ما يصل واحدا بآخر من حب وغيره والوصلة بالفتح ما جعلته بين عود وعود أو حبل وحبل فوصلتهما به (صلتهم) عطيتهم (حلفة) يمين (يصاهر) يخاتن (حرفة) صنعة ومكسب وهى فعلة من الحرف وهو الحرمان والمحارف المحروم كأن صاحبها منع الرزق فصار يعالج كسبه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح سهل بن سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة

فى عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات لبفضه على ذوى الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصيبة فقالت أيد الله القاضى وأدام به التراضى انى امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤلة وعمومة ميسمى الصون وشيمتى الهون وخلقى نعم العون وبينى وبين جاراتى بون وكان أبى اذا خطبنى بناة المجد وأرباب الجد بكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذى حرفة

ومن النساء الغزل (قوله قيض) أي قدر وساق (نصبي) تعبي (ووصبي) مرضي ونصب الرجل نصبا أعيا من التعب ووصب وصبا أتعبه المرض فهو نصب ووصب (الخدعة) الكثير الخداع اء برهو بسكون الدال الذي يخدعه غيره كثيرا التحريك للفاعل والسكون للمفعول مما أتى على فعلة من الصفات (نادى) مجلس (رهطه) قومه وهو اسم الجماعة من ثلاثة الى عشرة و يجمع أرهط وأراهط (وفق شرطه) أي موافق ما اشترط (نظم درة) يريد أنه جوهري ينظم سلوك اللؤلؤ (بدرة) عشرة آلاف درهم وأراد بالدرة هنا الكلمة و يعبر بها عن الحكمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدعوا الدرة في أفواه الكلاب يعني العلم (اغتر) انخدع وهو افتعل من الغرور (زخرفة محاله) تزيين باطله وأصل زخرف زين الشيء بالزخرف وهو الذهب (كناسي) بيتي وأصله للظبي وهو من قوله تعالى الجوار الكنس تشبيها لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة و يقال له كناس ومكنس من الكنس كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأته (رحلني) نقلني وحملني على الرحل (كسره) بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء لان جانب الخباء قد انكسر عن يمينه (أسره) حبسه (قعدة) كثير القعود (جثمة) كثير الجثوم وهو ملازمة الموضع (ضجعة) كثير الاضطجاع وهو الامتداد على الارض للنوم (نومة) كثير النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم المقت من الله فذكر الذي يكثر النوم بالنهار ولم يأخذ من الليل شيأ وفي حديث آخر خير أهل شر الزمان مؤمن نومة أبو عبيدة هو الخامل الذكر الذي لا يعرف الشر وأهله فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها فان تصرفت فيه اعترضها ممتدا فلا تجده معه راحة (رياش) ثياب فعال من الريش لانها تكسو البدن كما يكسو الريش الطائر (زى) هيئة حسنة من اللباس (أثاث) متاع (رى) حالة حسنة وأصله الهمز فسهل وأدغم ليوافق زيا قال ابن الانبارى الاثاث المتاع والرؤى والرؤاء المنظر وماله رؤاء أي ماله منظر ولا لسان والحرفان من رأيت أرى (ما برح) ما زال (الهضم) النقصان (الخضم) الاكل بالفم كله و (القضم) الاكل باطراف الاسنان (مزق) قطع وأفسد (حالى) غناى ويروى مالى مكان حالى وما فيه بمعنى الذى كأنه قال فرق الذى لى ورواية ابن ظفر بالى بالباء وقال والبال الخاطر وما لهذا الشيء بال اذا حقرته والبال كالخلد تقول خطر ببالى كما تقول خطر بخلدى ونفسى وكان هذا هو الاصل والبال الحال أيضا ومنه قوله به وخالف بال أهل الدار بالى (عسره) أي فقره (الراحة) القرار والعيش الهنيء وأراد (بأنقى من الراحة) خلو الكف من الشعر (مخبا) ستر (بؤس) شدة وفقر (عطر) طيب (ولا عطر بعد عروس) مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة اليه وأصله ان رجلا تزوج امرأة فوجدها تفلة فقال لها أين عطرك فقالت خبأته لغير هذا الوقت فقال لها لا مخبأ لعطر بعد عروس وبهذا اللفظ روى أبو زيد الانصارى المثل • البكرى عروس رجل كانت عنده ابنة عم له فمات عنها فتزوجها بعده ابن عم لها آخر وهي كارهة وانطلق بها الى أهله وقد زودها طيبا في سفط فمر بها بقبر عروس فأقبلت تبكيه وترفع صوتها وتقول يا عروس الاعراس ويا شديد الباس مع أشياء لا يعلمها الناس فانتهرها زوجها وقال ما تلك الاشياء فقالت كان عن المكارم غير نعاس يعمل السيف صبيحة الباس ثم قالت يا عروس الاعراس الازهر الكريم المحضر مع أشياء كانت تذكر فازداد زوجها غضبا وقال ما تلك الاشياء

فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادى أبي فأقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني الى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم وينفق ثمنه في الخضم والقضم الى أن مزق حالي بأسره وأنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس

فانهض للاكتساب بصناعتك وأجنني ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الارض من الفساد ولي منه سلالة كأنه خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتجم عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك فبرهن الآن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق اطراق الافعوان ثم شمر للحرب العوان وقال اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب سروج داري التي ولدت بها والاصل غسان حين أنتسب وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب أغوص في لجة البيان فأختار اللآلى منها وانتخب

فقالت كان عبوفا للغنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر ثم أخذت السفط وكسرته على قبر عروس ثم قالت لا عطر بعد عروس فذهب مثلا فقال زوجها ارجعي الى أهلك أنت طالق فقالت اذا انصرفت مغتبطة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عروسا هذا رجل من هذيل وامرأته هذلية اسمها اسماء (قوله براعتك) أي جودة تدبيرك (سلالة) ولد صغير كأنه سل من بطن أمه ولهذا سمي ولد الناقة عند النتاج قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى سليل ثم اتسعوا في السلالة فقالوا فلان كريم السلالة و (الخلالة) عود ينقى به الاضراس من الطعام شبهت ولدها به في رقته (ترقأ) تنقطع (الطوى) الجوع وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت (تجم) تختبر (دعواه) ما ادعاه من الصنعة وعجمت العود عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه (وعيت) حفظت (قصص عرسك) حديث زوجتك (برهن) أظهر حجتك والبرهان الحجة (لبسك) تخليطك والتباس أمرك (أطرق) امال رأسه الى الارض ساكتا (الافعوان) ذكر الافاعي وهذا منقول من قول المتلمس

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لنابيه الشجاع لصمما

ووقع لنافي رواية لناباه وهي لغة (شمر) احتزم (العوان) التي قوتل فيها مرة بعد أخرى وهي أشد والمرأة العوان التي علت في السن ولم تهرم والعوان الثيب كانت ذات زوج أو لم تكن وعونت المرأة تعوينا والجمع عون (قوله ينتحب) أي يبكي ونحب نحيبا أعلن بالبكاء (خصائصه) فضائله وما يختص به من الافعال المحمودة (ريب) شكوك (التبحر) التوسع (طلابي) أي طلبي اغاهو للعلم وذكر التبحر واللآلى والغوص وغير ذلك مجازا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انتعل رجل قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدو في طلب علم يتعلمه الا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انتعل ليتعلم خيرا غفر الله له قبل ان يخطو * ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح في تعليم العلم خير عند الله من الجهاد في سبيله * ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به ضلالا الى هدى أو باطلا الى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة (قوله يصاغ) أي يصنع (القريض) الشعر (اغوص) أغيب في الماء الى قعره (واللجة) معظم الماء جعله للبيان مجازا (اللآلى) جمع لؤلؤة (انتخب) اختار وقال المسيب بن علي في وصف الغائص وانتخابه الدرة وتشبيه المرأة بها

كجمانة البحري جاء بها * غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامره * وشريكه بالغيب ما يدري
فأصاب منيته فجاء بها * صدفية كضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا فيمنعها * ويقول صاحبه ألا تشري
وترى الصراري يسجدون لها * ويضمها بيديه للنحر

(وقال عبد الرحمن بن حسان)

وهي بيضاء مثل جوهرة الغواص ميزت من جوهر مكنون

(وقال النابغة)

وكنت من قبل أمترى نشبا
بالادب المنتقى وأحتلب
ويمتطى أخمصى لحرمته
مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى
ربعى فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به
أكسد شئ فى سوقه الادب
لاعرض ابنائه يصان ولا
يرقب فيهم إل ولا سبب
كأنهم فى عراصهم جيف
يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبى لما منيت به
من الليالى وصرفها عجب
وضاق ذرعى لضيق ذات يدى
وساورتنى الهموم والكرب
وقادنى دهرى المليم الى
سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لى لبد
ولا بتات اليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سالفتى
بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشى على سغب
خمسا فلما أمضنى السغب
لم أر الا جهازها عرضا
أجول فى بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة
والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به
حد التراضى فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها
أن بنانى بالنظم تكتسب
أو أننى اذ عزمت خطبتها
زخرفت قولى لينجح الارب

أودرة صدفية غواصها ... بهيج متى يرها يهل ويسجد

(قوله اليانع) أى الناعم (الجنى) الطرى (أمترى نشبا) أى استخرج مالا ومريت ضرع الناقة مسحته وحككته ليدر اللبن والنشب قيل هو العقار ومالا ينقل وكان مالكه قد نشب اليه حيث لا ينتقل به كالذى ماله الماشية أو الذهب والفضة (المنتقى) المختار ويروى المقتنى وهو المكتسب ويقال احتلب وحلب حلبا والحليب اللبن وهو الحلاب والحلاب أيضا الاناء يحلب فيه وأصله السيلان وتحلب الضرع سال وانحلبت عينه سال دمعها (يمتطى) يركب (أخمصى) باطن قدمى وهو ما ضمر منها وارتفع عن الارض (لحرمته) أى لرفعته وشرفه (مراتبا) منازلا والمرتبة منزلة الشرف من الرتب وهو ما أشرف من الارض (والرتب) جمع رتبة وهى بمعنى المرتبة وأصل الرتب الدرج تقطع فى الحجر ليصعد بها الى أعلى الجبل ومنه رتب كلامه اذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال (زفت) حملت من زففت العروس الى زوجها اذا أهديتها له (الصلات) العطايا (ربعى) منزلى (لم أرض كل من يهب) أى لا أرضى أن أكون تحت منة كل أحد (من يعلق) معنى من استفهام [٣] (يرقب) يرعى (الّ) قرابة والّ بقاء عهد و (سبب) معرفة وصحبة والسبب العلم ومنه وآتيناه من كل شئ سببا وأصله الحبل ثم يستعمل فى كل ما يربط شيأ بشئ من كلام أو غيره (عراصهم) مواضعهم وأصل العرصة فناء الدار يقال لب الرجل يلب لبابة ورجل ملبوب موصوف باللبابة ولب كل شئ من الثمار ولبابه داخله ولب كل شئ خالصه (منيت) ابتليت وقدر لى (صرفها) تقلبها وتصرفها بما يكره (ذرعى) كناية عن صدرى وخلقى وأصل الذرع كيل الشئ بالذراع ثم صار مثلا يقال ضاق ذرعى بكذا اذا لم تحتمله وضاق تصرفى فيه (ذات يدى) أى مالى (ساورتنى) واثبتنى (الكرب) الهموم وكررها لاختلاف اللفظ (المليم) الذى أتى بما يلام عليه (سلوك) دخول (يستشينه) يستعيبه والشين العيب (لبد) شئ لا قليل ولا كثير وأصله الصوف وأكثر ما يستعمل مزدوجا مع سبد يقال ما عنده سبد ولا لبد أى لا شعر ولا صوف ويراد بهما أنثى الابل والغنم ثم صار نفيا لكل شئ من المال (بتات) زاد (أنقلب) أرجع (ادنت) أخذت بالدين وفى حديث عمر فادان معرضا (والسالفة) صفحة العنق يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العطب و (العطب) الذى هو الهلاك دونه فى الشدة عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار وروى جابر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (الحشى) اسقاط الجوف (سغب) جوع (أمضنى) أحرقنى (جهازها) متاعها الذى جاءتنى به والجهاز متاع البيت يريد شوارها (عرضا) أراد عرضا فحركه ضرورة والعرض الامتعة هنا أخبرنى بهذا من يوثق به فى اللغة والعرض خلاف النقد مشهور فى اللغة وفى العين العرض بفتح الراء كثرة المال فيقول لما لم يبق لى مال لم أر مالا الا جهازها فيكون على هذا أتم معنى ويخرج عن الضرورة التى ألزمته ذلك التحريك (أجول) أتصرف (أضطرب) أكثر الترداد والتصرف (عبرى) باكية (مكتئب) حزين (عبثت) لعبت وتحكمت فيه يقول ما تصرفت فى بيعه الا برضا منها ومنى [٤] (قوله توهمها) أى ظنها (خطبتها) مراسلتها فى النكاح (لينجح الارب)

[٣] قوله معنى من استفهام الظاهر ان من موصولة وعبارة غيره أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده اه بالحرف اه مصححه [٤] قوله ومنى لا حاجة اليه اه مصححه

فوالذى سارت الرفاق الى
كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من شيمى
ولا شعارى التمويه والكذب
ولا يدى مذ نشأت نيط بها
الا مواضى اليراع والكتب
بل فكرتى تنظم القلائد لا
كفى وشعرى المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى
ما كنت أحوى بها واجتلب
فاذن لشرحى كما أذنت لها
ولا تراقب واحكم بما يجب
(قال) فلما أحكم ما شاده وأكمل انشاده عطف القاضى الى الفتاة بعد أن شغف بالابيات وقال أما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام وميل الايام الى اللئام وانى لاخال بعلك صدوقا فى الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه معروق العظم واعنات المعذر ملائمة وحبس المعسر مائمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعى الى خدرك واعذرى أبا عذرك ونهنهى عن غربك وسلمى لقضاء ربك ثم انه فرض لهما فى الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده

لتقضى الحاجة (تستحثها) تستعجلها (النجب) الابل الكرام (المكر) الخداع (المحصنات) العفائف (شيمى) طبائعى (شعارى) علامتى (التمويه) تقدم فى الثامنة (نيط) علق وناط الشئ نوطا علقه (اليراع) الاقلام و (المواضى) المسرعة فى الكتابة يريد انه فصيح لا يتوقف قلمه (السخب) جمع سخاب وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ قال ابن ظفر السخب العقود من اللؤلؤ وغيره ومن الطيب أيضا (أحوى) أحوز وأجمع (فأذن) اسمع (لا تراقب) لا تراع منا أحدا ولا تؤثره على صاحبه (واحكم) بيننا (بما يجب) وأخذ معنى الابيات المتقدمة من قول ابن هرمة انى امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله * كفاى لكن لسانى صائغ الكلم

(وقال آخر)

وانى لنظام القلائد للعلا * ولست بنظام القلائد للنحر

(قوله أحكم) أى اتقن (شاده) بناه وزينه وشاد البناء أطاله وعمله بالشيد وهو الجص ويقال فيه أشاد ويقال شاد عمله بالشيد وأشاده أطاله وهو الاول وأشاد الحديث رفعه و (عطف) ثنى عنقه وردها وكل ما تثنيه من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته (شغف) أعجب (انقراض) انقطاع وهلاك (جيل) صنف وجيلك أهل عصرك (بعلك) زوجك وبعل الرجل بعولة تزوج و (القرض) السلف أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفا (صرح) بين (وصرح عن المحض) مثل يضرب لسر الامر اذا انكشف وقالوا أمر صراح أى منكشف ظاهر والصريح من اللبن المحض الخالص الذى لا رغوة فيه قال الشاعر *وتحت الرغوة اللبن الصريح* ثم قالوا لكل شئ خالص صريح وقوله (بين مصداق النظم) يريد ان نظمه انما هو للشعر لا للجوهر (معروق) لا لحم على عظمه أى هو فقير (اعنات) مشقة (المعذر) الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه يقال قد أعذر أى قد بين عذره انه لا يقدر عليه وعذر فهو معذر اذا اقصر فى طلب الشئ وقال تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقال ابن دريد *حكم المعذر غير حكم المعذر* (الملائمة والمأثمة) اللوم والاثم و (المعسر) الفقير و (الزهادة) قلة الرغبة قال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله كان حقا على الله ان يفتح عليه رزق سنة من حلال وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثا الا أتاهم الله عز وجل برزق (خدرك) بيتك وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة (أبا عذرك) زوجك المفتض لك (نهنهى) كفى (غربك) حد لسانك وقيل معنى نهنهى من غربك أى غيضى من دموعك والغرب فيض الدمع والاول أشبه (سلمى) انقادى (فرض) أى أوجب (حصة) نصيب (ناولهما) اعطاهما (قبصة) ما أخذت باطراف أصابعك (العلالة) الشئ القليل (تعللا) خذا منه شيأ بعد شئ وكذلك (تنديا) وأصل العلالة بقية الماء فى الاناء وبقية اللبن فى الضرع بعد الحلب قال الراجز *يرضعها الدرة والعلالة* و (البلالة) الندى القليل يبل وجه الارض (كيد) مكر (كده) جهده وأنشد أبو محجن الثقفى

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى * له فرجا مما ألح به الدهر

اذا

فعسى الله أن يأتى بالفتح
أو أمر من عنده فنهضنا
وللشيخ فرحة المطلق من
الاسار وهزة الموسر بعد
الاعسار (قال الراوى)
وكنت عرفت انه أبوزيد
ساعة بزغت شمسه ونزغت
عرسه وكدت أفصح عن
افتنانه واثمار أفنانه ثم
أشفقت من عثور القاضى
على بهتانه وتزويق لسانه
فلا يرى عند عرفانه أن
يرشحه لاحسانه فأحجمت
عن القول احجام المرتاب
وطويت ذكره كطى
السجل للكتاب الا أنى قلت
بعدما فصل ووصل الى
ماوصل لو أن لنا من ينطلق
فى أثره لأتانا بنص خبره
وبما ينشر من حبره فأتبعه
القاضى أحد أمنائه وأمره
بالتجسس عن أنبائه فما
لبث أن رجع متدهدها
وقهقر مقهقها فقال له
القاضى مهيم ياأبا مريم
فقال لقد عاينت عجبا
وسمعت ما أنشأ لى طربا
فقال له ماذا رأيت وما الذى
وعيت قال لم يزل الشيخ
مذ خرج يصفق بيديه
ويخالف بين رجليه ويغرد
بملء شدقيه ويقول
كدت أصلى بليه
من وقاح شمريه
وأزور السجن لولا
حاكم الاسكندريه
فضحك القاضى حتى هوت دنيته

اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

(الاسار) الحبل يشد به الاسير (هزة) طرب (الموسر) الغنى (الاعسار) الفقر وسئل حكيم أى الاشياء أحلى قال النصرة على العدو بعد الهزيمة والاستغناء بعد الحاجة والغلبة للمتكلم (قوله بزغت) أى طلعت (ونزغت) نشزت وقابلته بالشر والذكر القبيح وأراد انه عرفه حين ساقته زوجته الى القاضى (أفصح) أبين (افتنانه) تنوعه (اثمار) اخراج الثمر وهو حمل كل شجرة (أفنانه) أغصانه (أشفقت) خفت (عثور) ظهور وعثر على الامر اطلع عليه (بهتانه) باطله وكذبه (تزويق) تزيين وهو من الزاووق الذى يعرفه العامة بالزواق أى انه تزيين فى الظاهر وليس له ثبات (عرفانه) تقدم معرفته (يرشحه) يهيئه وفلان يرشح لكذا أى يؤهل له من رشحت الام ولدها باللبن اذا جعلته فى فيه شيأ بعد شئ حتى يقوى وقيل الترشيح التربية وقيل هو تحنن الام على ولدها من الشدة (أحجمت) تأخرت (المرتاب) صاحب الريبة (طويت) سترت (السجل) الورق و(الكتاب) المكتوب فيها وقوله تعالى كطى السجل للكتاب قيل السجل اسم كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل ملك فى السماء الثالثة ترفع اليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين (فصل) زال وانفصل (بنص خبره) بحقيقة أمره (ينشر) يظهر (حبره) حسن كلامه وأصله ثياب يمانية مزينة ونشرها حلها من طيها (التجسس) البحث (أنبائه) أخباره (مالبث) أى ما أقام والمعنى ما أبطأ شيأ حتى رجع (متدهدها) متحركا والتدهده قذف الحجر من أعلى الى أسفل (قهقر) رجع الى خلف (مقهقها) مبالغا فى الضحك والقهقهة حكاية صوت الضاحك (مهيم) كلمة استفهام معناها ما الامر (عاينت) رأيت (أنشأ) أحدث وتقديره سمعت شيأ أحدث لى ذلك الشئ المسموع الطرب ولا يكون أنشأ فعلا لابى زيد انما هو فعل لما من قوله ما أنشأ (وعيت) حفظت (يصفق بيديه) يضرب بكفيه (يخالف بين رجليه) يعبث بهما فى مشيه فيضع كل رجل موضع الاخرى وهى من أنواع الرقص أراد أنه يضرب بكفيه ويرقص (يغرد) يغنى (بملء شدقيه) أى بصوت شديد يمتلئ به أشداقه وملء القدح قدر ما يملؤه. أبو يعقوب يقال أعطنى ملء القدح ماء وأعطنى ملأيه وأعطنى ثلاثة أملائه (أصلى بليه) أى قربت أن أحترق بها وأتصلى بها والبلية المصيبة يبتلى بها (وقاح) جمع وقاحة وهى صلابة الوجه وأصلها من الحافر الصلب وقال بعضهم فى صلابة الوجه

لا يعمل المبرد فى وجهه * بل وجهه يعمل فى المبرد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد (شمريه) أى شديدة القحة قال الاصمعى سألت اعرابيا وقد خرج من الصلاة ماقرأ الامام قال ما أدرى الا انه وقع بين موسى وفرعون شمرية (هوت) سقطت (دنيته) قلنسوته وهذه اللفظة انما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ودنينته بنونين لتوافق سكينته والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الاولى وهى قلنسوة محددة الطرف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب انما هى من الالفاظ المستعملة فى العراق وقد استعملها شعراؤهم قال ابن لنكك

نفسى تقيك أبا الهندام يا أملى * انى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما كان أرى فقيها اذ ظفرت به * فكيف ألبسه دنية القاضى

وقال الصابى ... وفوقه دنيـة * تذهب طوراوتجى

(زوت) زالت وخفت (سكينته) وقاره وأصل زوى فى الشئ الذى فيه بلل وندوة فيجف بلله فاستعاره للسكينة (فاء) رجع (وعقب) اتبع (الاستغراب) كثرة الضحك حتى ندمع العينان أراد انه اتبع ضحكه (الاستغفار) ليكون كفارة له وهذا الذى حكى عن القاضى يحكى مثاله عن الحجاج يقال انه كان استغرب ضحكا فوالى من الاستغفار وقال عبد الله بن مسعود فى كتاب الله آيتان ماأصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الاغفر له الاولى قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية والثانية قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه خمس مرّات غفر له ولو فرّ من الزحف * شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى وأنا عبدك (٢) أصبحت على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء بنعمتك على وذنوبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وأصل غفر واستغفر غطى قال قطرب اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى غطها من قول العرب غفرت المتاع فى الوعاء اغفره غفرا أى غطيته ثعلب غفر الرجل فى مرضه يغفر غفرا أى نكس فكأن المرض غطى عليه وقال الاصمعى رحمه الله اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى استرها علينا ومنه اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أى أستر وهذه معان متقاربة (قوله على به) أى جئنى به (مجدا) مجتهدا فى طلبه (لأيه) ابطائه (تأيه) بعده (الحذر) الخوف (أوليته) بمعنى وليته وأعطيته (أولى) أحق يريد انه لو رجع اليه كان يصله فى المرة الثانية بماهو خير مما وصله به أول مرة (قوله صغو) أى ميل (فوت) ذهاب (التنبيه) الاعلام (غشيتنى) غطتنى ولحقتنى (أبان) طلق (النوار) بنت عم الفرزدق وزوجه (استبان) تبين وقال الشاعر

لوأن صدور الامر يبرز للفتى * كاعقابه لم تلفه يتندم

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمى من أشراف تميم والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه والفرزدق قطع العجين وقيل الرغيف الضخم وخبره مع النوار بنت أعين المجاشى أنه خطبها رجل من قريش أومن دارم فبعثت الى الفرزدق أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشأم من هو أقرب اليك منى ولاء وأنا احذر من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك على فأشهدى انك جعلت أمرك الى فجعلت له أمرها أن يزوجها ممن يرى وأشهدت له بذلك فقال لها أرسلى الى القوم أزوجك من خطبك فلما غص مسجد بنى مجاشع ببنى تميم جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار ولتنى أمرها وأشهدكم انى قد زوجتها من نفسى فنشزت عليه ونافرته من البصرة الى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعياها أمراء البصرة أن يطلقوها منه وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره فلم يقدر أحد على حملها حتى تحمل قوم من بنى عدى يقال لهم بنو بشير الى مكة فصحبتهم النوار فقال الفرزدق

وقد سخطت منى النوار الذى ارتضى * به قبلها الازواج خاب رحيلها
أطاعت بنى أم البشير فأصبحت * على شارف ورقاء صعب ذلولها
وان امرأ أيسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى تستقيلها

وزوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسى على المتأدبين ثم قال لذلك الامين على به فانطلق مجدا فى طلبه ثم عاد بعد لأيه مخبرا بتأيه فقال له القاضى أما انه لو حضر لكفى الحذر ثم لأوليته ماهو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الاولى (قال الحرث بن همام) فلما رأيت صغو القاضى اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتنى ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعى لما استبان النهار

(ترجمة الفرزدق)

(٢) قوله اصبحت على عهدك الخ كذا بالاصل ولعله رواية ولاتخفى الرواية المشهورة اه مصححه

ومن دون أحوال الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وانّ أمير المؤمنين لعالم ، بتاو يما أوصى العباد رسولها

ثم ارتحل في اثرها حتى وصلا مكة فنزلت النوار على بنت منظور بن زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ونزل الفرزدق على ابنه حمزة وقال

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي ، ان المنوّه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطئ الحصا * وجرت له في الصالحين عروق
بين الحواري الاغر وهاشم * ثم الخليفة بعد والصديق

فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارا أفسدته بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار وقضى ابن الزبير عليه فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره توقف في أمره فلقيه يوما بباب المسجد فضمه الى الحائط حتى كادت تزهق نفس الفرزدق وكان ابن الزبير في غاية من القوة ثم هزه وتركه خائفا ثم دخل على النوار فقال لها اما أن تمضي زواج ابن عمك والا قتلته وأرحت المسلمين من شر لسانه فقالت له ولا بد أن تقتله قال ولا بد فعطفها عليه رحم القرابة وقالت لا والله لا أدعه للقتل قد رضيته فتزوجها فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم بن زياد وكان ابن الزبير قد حبسه فقال

دعي مغلق الابواب دون فعالهم * ومري بمسرى في هبيب الى سلم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلم وأنشده القصيدة فقال هي لك ومثلها النفقة فقبض عشرين ألفا فدفع مهرها فدخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان في محمل وكانت أبدا تخالفه وتسبه لانها كانت صالحة الدين وكان هو رديء الدين زانيا قاذفا للمحصنات فكانت تكرهه * ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه فتهددها بالهجاء فاستعانت بالنوار فقالت واعديه ليلة ثم أعلميني ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وبادر الحجلة والنوار فيها وهو لا يشك انها صاحبة الدار فواقعها فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرفها وعلم انه قد خدع فقال لها وأنت هي يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأبردك حلالا فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها فحدث أبو معقل راويته قال قال لي الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فاني أريد أن أطلق النوار فقلت اني أخاف ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد قال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال لتعلمن أن النوار طالق مني ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال الفرزدق يا هذا ان في قلبي من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أني ملكت يدي ونفسي * لاصبح لي على القدر اختيار
وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح ما يضيء له نهار

وتوفي سنة عشر ومائة وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن فقالت امرأة بصرية كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه وأضافت جريرا الى البصرة لكثرة قدومه اليها ومسكنه باليمامة واخباره تطول وانما ذكرنا منها ما تعلق بالنوادر معه * وأما الكسعي فرجل منسوب الى كسع قبيلة باليمن واسمه محارب بن قيس وبندامته يضرب المثل يقال اندم من الكسعي وقيل انه من بني سعد بن ذبيان وقيل اسمه عامر بن الحرث ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بواد كثير العشب والحمط فبينما هو يرعاها بصر بنبعة على صخرة فقال ينبغي أن تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشأ يقول

(ترجمة الكسعي)

يا رب وفقني لنحت قوسي * فانها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي * انحتها صفراء مثل الورس
*صلداء ليست كالقسي النكس *

ثم دهنها وخطمها بوتر واتخذ من برايتها خمسة أسهم وجعل يقلبها في كفه وينشد

هن وربي أسهم حسان * يلذ للرامي بها البنان
كانما قومها ميزان * فابشروا بالخصب يا صبيان
* ان لم يعقني الشؤم والحرمان *

ثم أتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع فرمى عيرا منها بسهم فأمخطه أي نفذه وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأه فأنشأ يقول

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان * يوري شرارا مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

لا بارك الرحمن في رمي القتر * أعوذ بالخالق من شر القدر
أأمخط السهم لارهاق الضرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر
* أم ليس يغني حذر عند قدر *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

ما بال سهمي يوقد الحباحبا * قد كنت أرجو أن يكون صائبا
فأخطأ العير وولى جانبا * فصار رأيي فيه رأيا خائبا

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأمخطه السهم وصنع ما صنع أولا فأنشأ يقول

يا أسفا للشؤم والجد النكد * في قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ما أرجو لأهل وولد * فيها ولم يغن الحذار والجلد
* فخاب ظني الاهل جمعا والولد *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأخطأه السهم وصنع كما صنع أولا فأنشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها . احمل قوسى وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها . والله لا تسلم منى بعدها
ولا أرجى ما حييت رفدها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر وبات فلما أصبح أبصر الاعيار الخمسة مطروحة حوله فأسف وندم على كسر القوس وعض على ابهامه فقطعها تلهفا وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو أن نفسى . تطاوعنى اذا لقطعت خمسى
تبين لى سفاه الرأى منى . لعمر أبيك حين كسرت قوسى

«(شرح المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية)»

(هتف بى) أى دعانى يقال هتف بى هتفا وهتافا دعا، وهتفت الحمامة مدت صوتها و (الشوق) تحرك الحب يريد أن شوقه الى الرحبة يهيج عليه حتى سار اليها وجعل له داعيا مجازا (والرحبة) مدينة شهيرة من عمالة الفرات بناها مالك بن طوق وولها فنسبت اليه واليها تنسب الشاب الرحبية وتعرف برحبة الشأم وهى على يسار الطريق هى والرقة فى استقبالك النرات جائيا من حران وهى فى آخر ديار ربيعة وأول بلاد الشأم والفرات بين ديار ربيعة والشأم فاذا عبرته صرت فى حد الشأم و (مالك) كنيته أبو كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة

يا مال قد علمت ربيعة أنه * ما كان مثلك فى الاراقم أرقم
طالت يدى لما رأيتك سالما . وأنيخ عن خدى ذل العظلم
وشممت ترب الرحبة العبق الثرا * وشفى صداى البحر منها الخضرم
كم حل فى أكنافها من معدم * أمسى بها يأوى اليه المعدم

وقال فيه

رأته فى النوم عتاب فقال لها * ذوو النراسة هذا صفوة الكرم
نجاء والنسب الوضاح جاءبه . كأنه بهمة فيه من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونائله * ان السيور التى قدت من الادم
لو كان يا مال عمرو مثله خلفا . من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا فى اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم وأين هذا من قول دعبل يهجوه

الناس كلهم يعدو لحاجته . ما بين ذى فرح منه ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته * يروم منها بناء غير مهدوم
يبنى بيوتا خرابا لا أنيس بها * ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم

وكان ملكا شجاعا جوادا ممدوحا أميرا على الجزيرة مسكن قومه بنى تغلب (قوله لبيته) أى أجبته (ممتطيا) راكبا (شملة) ناقة سريعة (منتضيا) مجردا (عزمة مشمعلة) أى عزمة سريعة لا توانى فيها (المراسى) هى محابس السفينة (امراسى) حبالى يريد أنه استعد للاقامة وترك السفر وضرب لذلك المثل بالقاء المراسى وشد الامراس (برزت) خرجت وظهرت (سبت) حلق ودق

(المقامة العاشرة الرحبية)

(حكى الحرث بن همام) قال هتف بى داعى الشوق الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسى وشددت أمراسى وبرزت من الحمام بعد سبت راسى

دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤسهم (أفرغ) وضع لبصنع و (القالب) الذى تطبع فيه الدراهم ودرهم مفرغ اذا أذيبت فضته وصبت فى قالبه فيريد أن هذا الغلام لافراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال * ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ونضيف الى ذلك ما قيل فى الغلمان من الاشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعها من كل مقامة يقع فيها ذكر الغلمان قال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الادحى وقال أعرابى

ذكر الحسن والجمال وما قيل فى الغلمان الحسان

وما تطيبت من صفراء خالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال آخر

كان لون البيض فى الادحى * لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضمخ بالجادى وهو الزعفران وصفرة النعمة لاتبلغ صفرته وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء قال الاعشى

رأيت غلاما أفرغ فى قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

العرار البهار وقال الحريرى فى الدرة فأما قولهم فى الحسن أحمر فمعناه أنه لايكتسب ما فيه من الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الحمراء للمجدبة وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر وأما قوله

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق لها العينان والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقالوا فى الجارية جميلة من بعد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم والمليحة البيضاء من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته وقال عدى بن زيد فى تلون الوجه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال ابن عبد ربه فى ذلك)

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ماان رأيت ولاسمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لايكون رقيقا

وأعاد معنى * درا يعود من الحياء عقيقا * فى بيت آخر فقال وأحسن

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فأصاره وردا على وجناته

قالت امرأة خالد بن صفوان لخالد لقد أصبحت جميلا قال وكيف ذاك وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وماذاك قال عموده الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وقالوا الحلاوة فى العينين والجمال فى الانف والحسن فى الوجه والملاحة فى الفم وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام والمدار على العقل

الشطاط كسحاب وكتاب الطول وحسن القوام أو اعتداله قاله المجد اه مصححه

وقال علي بن عبيدا لريحاني الحسن تناسب الصورة وزينته اعتدال الحركة ثم ما لا يحسن اللسان الترجمة عنه من خفة الروح والقبول وسئل عن اختياره من الحسن فقال أما ما يمكن نعته فخلتان وثلاثة بينهما ليست من صفة اللسان تجيئى صورة أكثر نعتها الملاحة وبراعة بفصاحة والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل فهذه زبدة هذا الباب وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتضييق وتحلية وتزويق وأطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة ومزاج معتدل وثغر نقى قال امرؤ القيس ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ويحكى ان سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقبا لئلا يشغله بحسنه عن تعليمه ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وكان يقال انه أطيب الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه فكان اذا استأذن عليه سيبويه يقول مرحبا بزائر لا يمل وكان أبو حاتم السجستانى يختم القرآن فى كل أسبوع ويتصدق كل يوم بدينار ومع هذا الفضل كان يميل بحبه الى أبى العباس المبرد وكان أبو العباس يلزم حلقته وهو غلام وسيم فقال فيه

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام
وقف الجمال بوجهه * فسمت له حدق الانام
حركاته وسكونه * يجنى بها ثمر الاثام
فاذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اعتزام
لم أعد أفعال العفا * ف وذاك آكد للغرام
نفسى فداؤك يا أبا العباس يا جل اعتصام
فارحم أخاك فانه * نزر الكرى بادى السقام
وأنله مادون الحرا * م فليس يرغب فى الحرام

والولوع فى الجمال سجية ركبها الله فى الاولياء وأكابر العلماء فمن دونهم من السوقة والغوغاء وعلى قدر ذكاء الارض يطيب زرعها وعلى قدر طيب التربة يطيب معها مغنها العذب والاجاج وما بينهما وعلى قدر شرف النفس يكون حبها فمنه المستحسن ومنه المستقبح

* وكل اناء بالذى فيه ينضح * وفى كتاب الوشاح العشق اذا تزين بالعفاف فهو معنى شريف وتأول قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فمن اتقى الله فهو خليل وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين الى أن الله تعالى انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى لانه لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج اليهم ورازقهم مبتدئ المن عليهم فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة لسواه كان هو تعالى أولى ان يتبع رضاه قالوا ولا ينبغى للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص وحنين شكل الى شكل ومؤالفة الف الى الف فالقلوب صافية قابلة والعيون اليها ناقلة وقالوا الاعاشق على الاغلب الا موفور النعماء مكفى نكد المعيشة لانه من فراغ نفسه ورقة حاشيته وقد قيل ان جميلا وبثينة لو قعدا البلتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما فى وجه صاحبه ، ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويطمع ويستتر ويلمع ويدنو ويحجب

ويلين ويصعب ويرضي ويسخط ويقرب ويشحط كما قال أبو الطيب

وأحلى الهوى ماشكّ في الوصل ربه ... وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى ... مجال لدمع المقلة المترقرق

والحسن أول سعادة المرء ورائد اليمن وسائق النجح لان الله تعالى بلطف الحكمة وبشرف الابداع والصنعة لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الاعن فضل الاحتفاء ولم يطابقهامن الاخلاق الابما يناسب جمالها من العقل والصفاء وقلما تجد الخلق الاتبعا للخلقة تناسبا يطرد وأصلالا ينعكس واجماعا لا ينفرد وماخلق الله ساقط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته لاول وهلة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولى مرتبة وأعلى منقبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لايعذب حسان الوجوه سود الحدق وورد عليه وفد عبد القيس وفيه غلام وضيء الوجه فأقعده وراء ظهره وقال انما أتى أخي داود من النظر وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام وكانه يصف الفتى الذي ذكره الحريري

يامن تسربل بالملاحة وارتدى ... فعليه تعتكف العيون اذا بدا

فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيـ ... ـبا ناضرا ويرى كثيبا أملدا

فاذا نهضت ترجرجا واذا سفر ... ت تبلجا واذا مشيت تأودا

فترى الجبين كتاج ملك زانه ... درّ تراه مفسرقا ومنضدا

ويجول ذاك الرشح في أقطاره ... كالياسمين جرى به قطر الندا

الوجه فضي أحاط بوجنتي ... ذهب فأنبت عارضين زبرجدا

وفم عقيق تضمن لؤلؤا ... رطبا ونظم فوق ذاك زمردا

(ولابي اسحق الخفاجي)

وأغيد أهدى نرجسا من محاجر ... وثنى فأبدى سوسنا من سوالف

وقد ماج في عطفيه ماء شبيبة ... يعب ولا أمواج غير الروادف

تطلع مثل الرمح بسطة قامة ... وفتكة الحاظ ولين معاطف

ولابن وكيع

يامن اذا لاحت محاسن وجهه ... غفرت بدائعها جميع ذنوبه

ان كان في تعذيب قلبي راحة ... لك فاجتهد بالله في تعذيبه

(ولابي اسحق الخفاجي)

يارب وضاح الجبين كأنما ... رسم العذار بصفحتيه كتاب

تغري بطلعته العيون ملاحة ... وتبيت تعشق عقله الالباب

جعلت عليه من الصباح غلالة ... تندى ومن شفق السحاب نقاب

ولابي نواس

أساء فزادته الاساءة حظوة ... حبيب على ما كان فيه حبيب

يعدّ على الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب

(ولابي اسحق الخفاجي)

تعلقته نشوان من خمر ريقه ... له رشفها دوني ولي دونها السكر

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه ۔ ويذكى على قلبى ووجنته الجمر
أرق نسيبى فيه رقة حسنه فلم أدر أيا قبلها بهما السحر
وطيب معا ثغرا وشعرا كانما ٭ له منطق ثغر ولى ثغره شعر

(قوله وقد اعتلق شبح برده) أى تعلق بكمه واطراف ثوبه (قتك) قتل والفتك ان تاتى رجلا آمنا منك وتقتله أو تكمن له فى موضع لا يعرف بك فاذا أتاك قتلته ثم سمى من هجم على الامور العظام فاتكا فاذا أدخلت رجلا منزلك أو موضعا لا مغيث له فيه فقتلته فذلك الغيلة فان كان رجلا يخافك فأمنته وآنسته حتى امنك ثم قتلته فذلك الغدر (عرفته) معرفته (يكبر) يراه أمرا كبيرا (قرفته) تهمته وقد قرفته بذنب اذا احلته عليه واتهمته به وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار (اشتطاط اللدد) اشتداد الخصام (التنافر) التحاكم (يزن بالهنات) يتهم بالقبائح والهنات الدواهى والهن والهنة من الكنايات العامة التى يكنى بها عن كل شئ ولا يقتصر بها على شئ دون شئ (قوله و يغلب حب البنين على البنات) ذكر هنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع قال أهل الاخبار ان القاضى يحيى بن أكثم كان مشتهرا بحب الغلمان وان أهل البصرة رفعوا بأمره الى المأمون قبل اتصاله به وقالوا فيه انه قد أفسد أولادهم وظهرت منه الفواحش وانه القائل فى صفة الغلمان

أربعة تعشق ألحاظهم وعين من تعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه ٭ منافق ليست له آخره
وآخر دنياه منفوصة من خلفه آخرة وافره
وثالث فاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا ولا آخره

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ونادمه فخرج معه فى يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ويحيى يحادثه و يضاحكه فنظر الى غلام أمرد من أولاد الجند فى غاية الفراهة عليه ثوب حرير أخضر ودرع موشاة مزررة بالذهب فالتفت الى يحيى وقال له ماتقول فى هذه البضاعة فقال يا أمير المؤمنين ان هذا القبيح من امامه سلك مع فقبه مسلى قال فمن الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناة ولا يرى على من يلوط من باس

قال من عليه لعنة الله وغضبه ابن أبى نعيم الذى يقول

أميرنا يرتشى وحاكمنا ، يلوط والشر بين الناس

قاض يرى الحد البيت وبعده

لا أحسب الموت ينقضى وعلى الأمة وال لآل عباس

قال وصحيح هذا قال نعم قال ينفى الى السند وانما مازحناك ثم قال المأمون فى الغلام

أيها الراكب ثوبا من حرير وحديد
جئت للعيد وفى وجهك للاعين عيد
أنت جندى ولكن فيك للحسن جنود

وقد اعتلق شبح برده يدعى أنه قتل ابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والى البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى

(وفي يحيى يقول ابن أبي نعيم)

يا ليت يحيى لم تلده أمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض في البلاد نعلمه * أي دواة لم يلقها قلمه

وأي بحر لم يلجه أرقمه

وهذا كقول الآخر * يدخل الافعى الى حبس الاسد * ويحيى خراساني من مرو وبلغ من تحكمه على المأمون ان فرض لاربعمائة غلام مرد واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه فقال راشد بن اسحق

خليلي انظرا متعجبين * لاطرف منظر تقلاه عيني
لفرض ليس يقبل فيه الا * أسيل الخد حلو المقلتين
يقودهم الى الهيجاء قاض * شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم غلام * تجدل للجبين ولليدين
وبات الشيخ منحنيا عليه * وصدغاه تحاذي الركبتين

وقال فيه

وكنا نرتجي أن نرى العدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي مولعا بالغلمان وكان له غلام اسمه نسيم في نهاية من الحسن وكان يؤثره على سائر غلمانه ويخصه بتقريبه واستخدامه فكتب اليه بعض من يأنس به

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحت البيت نعم ولم لا وسنذكر من شعره في هذه المقامة ما يستملح وممن كان يميل الى الغلمان من الامراء أبو العشائر الهمذاني الذي يقول فيه المتنبي

فيا بحر البحور ولا أوري * ويا ملك الملوك ولا أحاشي
كأنك ناظر في كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

(قال بعض الرواة) دخلت على أبي العشائر أعوده من علة فقلت ما يجد الامير فأشار الى غلام قائم بين يديه كأن رضوان قد غفل عنه فأبق من الجنة ثم أنشأ يقول

أسقم هذا الغلام جسمي * بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلال * أهدى فتورا الى عظامي
وامتزجت روحه بروحي * تمازج الماء بالمدام

(ولأبي العشائر)

سطا علينا رشا حاز الجمال سطا * ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذاران قد خطا بوجنته * فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فقال الكل من شغف * يا ليته في سواد الناظرين خطا

ومع هذا الميل كان نزيه النفس رفيع الهمة سليم الناحية وكان في الجود غاية وفي الشجاعة نهاية وفي الشعر آية واذا كان المتنبي الذي هو أشعر الناس عند الاكثر يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره قد تجوزت في شعري وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان

ومنهم

ومنهم الذى يقول يعنى أبا العشائر

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفى ، والخيل من تحت الاسنة تخط
لقرأت منها ما تخط يد الوغى ، والبيض تشكل والاسنة تنقط

فهكذا استعار المعانى البديعة فى الالفاظ الرفيعة فما ظنك بمن يثنى عليه المتنبى هذا الثناء

*وممن وصف غلاما فأحسن الامير تميم بن المعز صاحب مصر حيث قال

وبات ضجيعى منه أهيف ناعم * وأدعج وسنان وألعس أشنب
كان الدجى من لون صدغيه طالع * وشمس الضحى فى صحن خديه تغرب

وقال أيضا يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * وكانت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

وقال أيضا ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الانو * ف وذا يقبله الفم
فاذا عدلت فأفضل الـ * وردين ورد يلثم

(قوله ندونه) أى مجلسه و(السليك) هو ابن السلكة معروف بامه وكانت أمه سوداء شديدة السواد وكان هو اسود وأبوه عمرو بن سنان بن عمير بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم السعدى التميمى وكان يسبق الخيل على رجليه وكان من العدائين ومن رجلى العرب وهم الذين يسعون على أقدامهم ويسبقون الخيل فيستغنون بأرجلهم عنها وكان من أشجع الناس وكان لا يغير الا وحده وكان يقال له الرئبال وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب فقال أى العرب كان أبغض اليك أن تلقاه فقال أما من معد فعدى بن فرارة ومرة بن ذبيان وكذاب ابن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والاراقم من تغلب ثم لو جلت بفرسى على مياه سعد ما خفت هيج أحد ما لم يلقنى حراها أو عبداها فقال اما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث ابن شهاب وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب وأما عدوته المذكورة فقال انه أحاط به عدوه فنزا نزوة عدّ فيها أربع وعشرون خطوة وعدّ أيضا فى نزوة للشنفرى احدى وعشرون خطوة ويقال فى المثل أعدى من الشنفرى وأعدى من السليك نأما الشنفرى فانه أغار على بجيلة مع تأبط شرا وعمرو بن براق فرصدتهم بجيلة على الماء فقال تأبط شرا ان بالماء رصدا فقالا ليس عليه أحد ولا بد من وروده فورد الشنفرى ثم عمرو فقال تأبط شرا القوم انما يدونى فلذلك لم يعرضوا لكما واذا وردت أنا الماء فيشدون على ويأسرونى فاذهب يا شنفرى كأنك تهرب وكن فى أصل ذلك القرن فاذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لعمرو انى سآمرك ان تستأسر لهم فلا تبعد ولا تمكنهم من نفسك ثم ورد الماء فشدوا عليه وكتفوه وفعلا ما أمرهما فقال تأبط شرا يا معشر بجيلة هل لكم فى أن تيسروا وافداءنا وتستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال يا عمرو هل لك أن تستأسر وياسرونا فى الفداء قال حتى أروض نفسى شوطا أو شوطين فجرى الاول كالريح والثانى كالخيل ثم أراد أن يجرى ثالثا فجعل يقع ويقوم فلا يطمعهم بذلك فقال لهم تأبط شرا خذوا خذوا فاسرعوا اليه بأجمعهم وهوى الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ثم أحضروا ثلاثتهم فنجوا فقال تأبط شرا من قصيدة

ندونه كالسليك

(ترجمة السليك بن السلكة)

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم * بالعيكتين لدى عمرو بن براق
لا شيء أسرع مني غير ذي عذر * أو ذي جناح بجنب البرد خفاق

فالثلاثة عداؤون والمثل مقصور على الشنفرى وأما السليك فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السليك بنا أنذرقومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هاجاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه يوماً أجمع ثم قالا اذا كان الليل أعيا فنأخذه ووجدا أثر بوله قد خد في الارض فقالا قاتله الله ما أشد متنه فتبعاه ليلهما فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة فندرت منها كنانة قدمه وسقطت قوسه في جريه فانحطمت فوجدا قطعة منها قد ارتزت بالارض فقالا ما بعد هذا شيء والله لا تبعناه بعد هذا ومر السليك الى أهله فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه آخرون فورد عليهم الجيش فاكتسحهم ومن شعر السليك يرثي فرسه وكان يقال لها النحام وأنشدها المبرد في باب التشبيه من الكامل

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتي أصلا محار
على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار
وما يدريك ما فقري اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا
ويحضر فوق جهد الحضر نصا * يصيدك نافلا والمخ رار

أي يصيدلك نافلا ثانيا ورار ذائب من الهزال وحكاية السليك عن أبي عبيدة وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني وكلتاهما على اختصار ونزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه وجمعوا له ابلا كثيرة وأعطوه اياها وكان قد كبر وشاخ وذهبت قوته وانتقص عدوه فقالوا والله ان رأيت أن تريناما بقي من عدولك قال نعم ابغوا الى أربعين شابا وابغوني بدرع ثقيلة عظيمة فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء عدائين فلبس سليك الدرع ثم قال للشبان الحقوني ثم عدا عدوا وسطا وعدا الشبان وراءه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم كر راجعا حتى عاد الى القوم وحده يخطر والدرع عليه وسبق الشبان وخرج في ليلة مقمرة يطلب الاغارة فغلب عليه النوم آخر الليل فبينما هو نائم ملتف بكساء جثم عليه رجل مثله شديد البأس عظيم القوة وأمسك على يديه ومنعه التحرك وجعل يلزه ويؤذيه ويقول له استأسر يا خبيث فاجتهد سليك حتى خاص احدى يديه فضم الرجل اليه ضمة وعصره عصرة فضرط فقال له أضرطا وأنت الاعلى فارسلها مثلا فلما تخلص منه قال له من أنت قال أنا رجل افتقرت فقلت لاخرجن ولا أرجع الى أهلي حتى آتيهم وأنا غني فقال له السليك انطلق معي فانطلقا فوجدا ثالثا قصته كقصتهما فاصطحبوا حتى أتوا واديا المراد فلما أشرفوا عليه اذا فيه نعم قد ملأ نواحيه من كثرته فقال لهما السليك كونا قريبا مني حتى آتي الرعاء فاعلم علم الحي أهو قريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت وان كان بعيدا أوحيت اليكما بقولي فأغيرا فأتى الرعاء فاستخبرهم عن الحي فاخبروه ببعد الحي وانهم ان طلبوا

في عدونه فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن

لم يدركوا فقال للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته فغنى

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ في الوادي ... سوى عبيد وآم بين أذواد

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تعدوان فإن الريح للعادي

فلما سمعوا ذلك أتبعوا وطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوا بالابل قال ابن الاعرابي آم ههنا لوب آم وهم العزاب جمع أمة وكان السليك من أدل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها وكان يستودع الماء بيض النعام في الشتاء ويدفنه في المفاوز لعلمه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار على ربيعة وشرب من ذلك الماء وكان يقول اللهم اني أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة (قوله عدونه) العدوة بالكسر الحالة وبالفتح المرة الواحدة فيريد الحريري أن اسراعه الى الوالي كان كعدوة السليك (واستدعى عدواه) أي طلب اغاثته وأعداه الحاكم اغاثه (استنطق) أمره أن ينطق وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام قال ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته وكذلك لم يرد الوالي أن يستنطقه ليقول حجته بل ليعلم حلاوته من صورته التي فتنته وتذكر بالاستنطاق أن فائدة الحسن انما تدور على اللسان وهذا الاستنطاق هو الذي ذهب بابراهيم بن سيار النظام الذي هو امام في علم الكلام الى علاقة غلام وذلك أنه لقي غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فقال له يا غلام انه لولا ما سبق من قول الحكماء جعلوا السبيل لمثلي الى مثلك بقولهم لا ينبغي لاحد أن يصغر عن أن يقول ولا أن يكبر عن أن يقال له لما أنست الى مخاطبتك ولا انشرح صدري الى محادثتك لكنه سبب الاخاء وعقد المودة ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال استاذنا ابراهيم بن سيار النظام الطباع تتجاذب ما شاكلها بالمجانسة وتميل الى ما قارنها بالموافقة وكياني مائل الى كيانك بكليتي ولو كان الذي أنطوي عليه لك عرضا لم أعتد به ودا ولكنه جوهر جسمي فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلي

فتبيني أني بكم كلف ... ثم اصنعي ما شئت عن علم

فقال له النظام انما كلمتك بما سمعت وأنت عندي حسن الصورة غلام ولولا أن محلك محل مقيم وأصحابه في الجدل ما تعرضت لك ثم اعتلقه النظام بعد وقال فيه جريا على علمه

توهمه طرفي فآلم خده ... فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحه كفي فآلم كفه ... فمن لمس كفي في أنامله عقر

ومر بفكري خاطرا فجرحته ... ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

وقال فيه أيضا

وإذا تأمل في الزجاج خياله ... جرحته لحظة عينه الظل

وقال فيه أيضا

أفرغ من نور سماوي ... صور في جسم انسي

وافتقر الحسن الى حسنه ... فجل عن تحديد كيفي

وقال فيه

يا مشرقا ملأ العيون فلحظها ... ما يستقل

أوفى على شمس الضحى ... حتى كأن الشمس ظل

أتريد قتلى عامدا * وكقتل مثلى مايحل

فصرّف فى شعره من صناعته وأبدع فى تخيله ببراعته (قوله غرّته) أى وجهه (طرّ) أى قطع وأذهب (تصفيف طرته) شعره المعتدل على جبهته (أفيكة أفالك) كذبه كذاب (سفالك) قتال (عضيهة) بهتان وباطل (مغتال) قاتل الغيلة (استوف) استكمل (جدله) صرعه والقاه على الجدالة وهى الارض (خاسيا) متباعدا ممنوع الكلام كأنه قهره ومنعه أن يصيح عنده ولذلك لم يجد عليه شاهدا وأصله الهمز فسهله ليوافق (خاليا) ان أخذته من خسأت الكلب وان أخذته من خسى البصر اذا كل فلا تسهيل فيه ومعناه قريب من الاول أى انه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله (افاح دمه) بحاء مهملة أراقه قال أبو زيد فى نوادره أخفت دمه فقاح يحا وفيحا ناوأنشد

نحن قتلنا الملك الجحجاحا * ولم ندع لسارح مراحا * ولاديارا أودما مفاحا

*وقال أبو حاتم أرادو دما مفاحا أى مهراقا (خاليا) يعنى منفردا (أنى) يعنى كيف (مشاهد) من شاهد حاله وحضر عليها (ولنى) مكنى (تلقينه) تفهيمه والقاءه عليه (يمن) يكذب (وجدك) حزنك (المتهالك) الكثير التفاوت وتهالكت المرأة عليه تراخت عليه وتكاسلت قال الاعشى

تهالك حتى يشكر المرء عقله * وتسبى الحكيم ذا الحجى بالتنقل

(قوله والذى زين الجباه بالطرر) الى آخر يمينه انما ذكر صفات الحسن شيأ بعد شئ ليرى هذا الوالى كمال الغلام فيشتد حبه فيه فاذا ذكر صفة من صفاته نبه الوالى بذكرها على النظر اليها فوجدها كما يصف فهو الآن فى هذه اليمين يجلو محاسن الغلام عليه (الطرر) جمع طرة وهو اعتدال الشعر على الجبهة والطرة عندهم أن يقطع الجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها فيبقى ما بين شعر ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقيا والشعر عليها معتدل كطرة الثوب ثم تسمى الشعور الحسان طررا *أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن *عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال فيقولون سبحان الذى زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها وقالوا الشعر الحسن يزيد الوجه حسنا وجمالا وقال ابن صارمة وكأنه وصف طرة هذا الغلام يصف بها أبا الفضل بن الاعلم وكان من أجمل الناس وأذكرهم فى علم النحو والادب وقرأ النحو قبل أن يلتحى فقال فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح

ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح

ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراح

لله راء زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح

ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح

رشأ له خد الثريا ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

*وذكر بعد هذا الحور فى العينين وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل وكل ذلك عندهم

غرته وطرّ عقله تصفيف طرته فقال انها أفيكة أفالك على غير سفالك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالى للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ انه جدله خاسيا وأفاح دمه خاليا فأنى لى شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولنى تلقينه اليمين لتبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذى زين الجباه بالطرر والعيون بالحور

ممدوح وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر على أنا
نذكر بعض ما قيل في ذلك وأما ما زهد فيه من ذلك ويقل ذكره في أشعارهم فالزرق على انه قد جاء في
حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرق في العينين يمن وقال
معاوية لصفاري العبدي انك أحمر قال والذهب أحمر قال انك لازرق قال والبازي أزرق
ولبعض أصحابنا

احبك أن قالوا بعينيك زرقة * كذلك عتاق الطير زرق عيونها

(وقال الصنوبري)

قالوا به زرقة فقلت لهم بذاك عمت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها * كم بين ياقوتة الى سبجه

وقال آخر

ماسئل ذا الظبي في الظباء * الا زرق الازرق النباء
يجول في مقلتيه طرفي * في زرقة الماء والسماء
يا آبى الشقر ما عليهم * من ذلك النور والبهاء
شقرة شعر على بياض * شعاع شمس على هواء

والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الالوان ولسواد الالوان في التاسعة فصل مستطرف
فقف عليه واختلفوا في الحور فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض بياض العين في شدة سواد
سوادها وقال أبو عمرو الطيبة الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في
الانس انما يكون في الوحوش وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال
قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت واشتقاق ح ور يدل على صحة قول يعقوب
وأبي عبيدة لانهم انما اوقعوه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد
البياض ونحوه وقلما يتفق شدة بياض العين الامع شدة سوادها الا ترى أن بياضها مع الزرق ليس
هنالك في النقاء وقال القاضي التنوخي في أحور

حور بعينيه أطال تحيري * ترك الدموع بخدي المتعصفر
غصن تأود فوق غصن من نقا * ليل تبلج عن نهار مسفر
كالشمس الا أنه متنفس * عن مسكة متبسم عن جوهر

(والبلج) أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من علامات السادة عند العرب و يتمدح
به ويتيمن بصاحبه ويتطيرون من الحاجبين ويقال أبلج وأبلد وهي البلجة والبلدة قال كثير

جميل المحيا أبلج الوجه واضح * حليم اذا ما زلزلته الزلازل

(الفلج) أن يكون بين منابت الاسنان تباعد وقد فلج ثغره فلجا وهو مستحب في الثغر قال وجيه
الدولة وهو مما يليق بهذا الموضع اذ كره أوصافا ذكرها الحريري رحمه الله هنا

اذا عدم الروض المنور ناظري * أرانيه ظبي فاتر الطرف أدعج
فصدغاه ريحاني وعيناه نرجسي * ومن ثغره لي اقحوان مفلج
و واحر باس حسن وردبخده * يطيف به من عارضيه بنفسج

(الجفون) اغطية العيون ثم تسمى العين جفنا مجازا و(السقم) فتور العين ومن حسن التشبيه

فى ذلك قول أبى نواس

فطب بحديث من نديم مساعد .. وساقية بين المراهق والحلم

ضعيفة كر الطرف تحسب انها . قريبة عهد بالافاقة من سقم

وقال أيضا وشادن قال لى لما رأى سقمى وضعف جسمى والدمع الذى انسجما

أخذت دمعك من لحظى وجسمك من حصرى وسقمك من طرفى الذى سقما

(وقال ابن الرومى)

قلبى من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو اليه رحيم

(وقال ابن الرقاق)

ومقله شادن أودت بجسمى . كان السقم لى ولها الباس

يسل اللحظ منها مشرفيا لتقتلنى ثم يغمده النعاس

(ولابى العلاء بن زهر فى مثل ذلك)

يا راشقى بسهام مالها غرض الا فؤادى ومامنها له عوض

ومرضى بجفون كلها سقم صحت وفى طبعها التمريض والمرض

امن ولو بخيال منك يؤنسنى فقد يسد مسد الجوهر العرض

بالشمم والخدود باللهب

(الشمم) ارتفاع فى لين الانف وهو من علامات الجمال والسودد قال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته . فلا يكلم الاحين يبتسم

وقال آخر فى باعه طول وفى وجهه نور وفى العرنين منه شمم

وقال النابغة * شم العرانين ضرابون للهام (اللهب) اشتعال النار بغير دخان فشبه الحمرة فى الخد وضياءه بحمرة النار وكنى به أبو لهب لجماله وقال ابن وكيع فجمع السقم واللهب

واحرنى من جفون ظبى . أقام عذرى بها عذاره

أسقم جسمى بسقم طرف . حيرنى فى الهوى احوراره

عجبت من جمر وجنتيه . يحرقنى دونه استعاره

هو اختيارى فابصروه . شاهد عقل الفتى اختياره

وله قريب منه كان صدغاه اذ تراه . وهو على خده مدار

بيت من الحسن لى اليه . حج مدى الدهر واعتمار

ولابن الرقاق بابى من لم يدع لى لحظه . فى الهوى من رمق منذ رمق

جعلت نكهته فى ثغره . عبقا فى نسق مسى الحدق

وبدت خجلته فى خده . شفقا فى فلق تحت غسق

وقال الخفاجى يا بانة تمر فينانة . وروضة تنفح معطارا

كم دمع عين فيك قد أجريت وقلب صب فيك قد طارا

كنى سمى قوسه حاجبا . رمزا وسمى النبل أشفارا

فان رمى يجرحنى طرفه . لحظته أجرحه ثارا

فيصبغ الدر عقيقا به * ويصبغ الالوان أزهارا

يلوح للاعين من وجهه * كعبة حسن حجها دارا

قد طبع الحسن بدرهما * تحت منه العين دينارا

قلبي به عين بحوسية * تعبد من وجنته نارا

(غيره) وأعبد ثدي وجسا من اللؤلؤ ... تمثلت الامن صدودي بالشح

غدا قائلي ان طلت أجرح خده ... متى صار بالتثنيل القصاص من الجرح

(الثغور) جمع ثغر وهو السن ونتقدم الشنب في الثانية وقال أبو العباس بن الاحنف في طيب الفم

ذكرتك بالتفاح لما شممته * وبالراح لما أقبلت أوجه الشرب

تذكرت بالتفاح منك سر النسا ... وبالراح طعما من مقبلك العذب

(وقال ديك الجن واسمه عبد السلام)

دابي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب

كشهادة لله خالصة * قبل العيان بأنه الرب

(وقال أحمد بن محمد العسانى)

له مبسم برقه خاطف ... عقول الرجال اذا ما ابتسم

أقول اذا بدا دره ... شهدنا الصانعه بالحكم

أرى الدر نقبه الناظمون * ومن ثغره افكيف انتظم

(وقال أبو بكر البلوقي)

تقطف من ثغره ووجنته * أنامل الطرف زهرة عجبا

شقيقها مذهبا يرى خجلا * والاقحوانا منضضا شنبا

(وقال ابن بشر الكاتب)

ولم يزل والظلام حارسنا * جسمين مستودعين في جسم

ألثمه في الدجى وبرق ثنا * يا يريني مواقع اللثم

ثم افترقنا عند الصباح وقد * أثرت به كهيئة الختم

(وقال الشريف الرضى)

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى ... يلفنا الشوق من فرق الى قدم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي ... مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي حسان التثني ينقش الوشي مثله ... اذا مسن في أجسامهن النواعم

ويبسمن عن در تقلدن مثله ... كأن التراقي وشحت بالمباسم

فهذه معان مختلفة في أوصاف الثغر كاحسان قوله رو ابيض بالترف أي الاصابع باللين والنعمة وأحسن ما قيل في ذلك قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فهذا تشبيه بديع وقال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك اسحل

والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف أي ماقلت ابنك

وقال غيره يا قمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المأتم لي كارها * من بين دايات وحجاب
تبكي فتلقي الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وقال عكاشة سقيا لمنزلنا الذي كنا به * يوم الخميس عشية أصحابا
اذ نحن نسقاها شمولا قرقفا * تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكأن يمناها اذا ضربت بها * تلقي على يدها الشمال حسابا

وقال آخر وحوراء اللواحظ بين قلبي * وبين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها * كمثل الخمر في صافي الكؤس
كأن بنانها أقلام عاج * مرصعة الرؤس بآبنوس

و وصف الخصور بالهيف وهو الضمر والرقة وسنذكر معها ما يستطرف وقد تقدم قول ابن عبد ربه يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وقال ابن الرومي وهبت له عيني الهجوعا * فأثابها منه الدموعا
ظبي كأن بخصره * من ضمره ظما رجوعا

(وقال عبد الله بن عبد الله)

سلمى وما سلمى تفوق المنى * والحسن أوصافا وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها * كجائع يحسد شبعانا

(وقال كشاجم في مقلوبه)

مساوله الكل غير بطن * مثقل فهي عنكبوت
جولها الدهر في اضطراب * ووشحها كاظم صموت

وقال حبيب مها الوحش الا أن هاتي أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

(أخذه القاضي بن ليال فقال)

جلوت لنا شيا من الدر عاطلا * بعيشك لم جنبته الجيد والنحرا
فقالت ولم تكذب خشيت سقوطه * وأومت الى فيها فنظمته ثغرا
كذلك ان عض السوار بمعصمي * وحاذرت أن يدميه حلته الخصرا

وأكثر ما يذكرون الخصر بالرقة مع ذكر الكفل بالعظم كما قال ديك الجن

وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها * وردية ومدامة من ثغرها

(وقال القاضي أبو حفص بن عمر)

مشت كالغصن يثنيه النسيم * ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق من ضعيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وما حي لها الاعذاب * علمه من نضارتها نعيم

(قوله سهوا) أي خطأ و(الهامة) الرأس (والافرى الله جفنى بالعمش) انما ذكر العمش والعش وما بعده لانها اضداد لما تقدم وعند الاشارة لما يتبين من الاعلام عند الوالى اضدادها فيزداد حسنا، وبضدها تتبين الاشياء، والعمش انتثار شعر العينين و(العش) أخفى من البرش (الجلح) الصلع وهو انحسار الشعر من النزعتين وفعله جلح الرجل واجلح كاسود و(الطلع) قد تقدم فى الثانية واذا علته خضرة سمى بلحا (البهار) نرجس المغرب وهو أصفر والورد أحمر فدعا له بعلة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده و(الحار) كالبخر النتن و(المسكة) أطيب العطر فدعا له بتغير الرائحة وتقدم أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة وتقدم فى الثانية معنى قوله وورد بالبهار منظوما وقال الصابى فى أبخر

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد

فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

(وقالت جنان فى أبى نواس)

فاذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شكرا

فليكن ذاك بالضمير فخن سبح بالقسو نال اثما ووزرا

وقال آخر أهدى زريق قطه لقمة * قد لاكها فى فمه الابخر

فبادر القط الى دفنها * يحسبها من بعض ما قد خرى

(قوله وبدرى بالمحاق) المحاق أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شئ، واحتراق الفضة اسودادها (وشعاعى بالظلام) أى صباحة وجهه ووضاءته بسواد اللحية أى عاجلنى الله بالالتحاء ويريد بهذا كله أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر فيكسد ولا يلتفت اليه وقال ابن المعتز فى مثل هذا الدعاء

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * وليس لى فرج من طول هجرته

فاشف السقام الذى فى طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسن التغرى وهو من شعراء اليتيمة

لى حبيب يزهى بحسن عجيب * وبه تمثل القضيب ارطيب

أحدقت بالسواد فضة خديه فقد أحرقت سواد القلوب

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح به وذم قال ابن عبد ربه

(ذكر العذار والالتحاء)

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن ان سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(وقال ابن صارمة)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال عبد المحسن الصورى)

ومعتذر العذار الى فؤادى * بجرم سابق من مقلتيه

وكم أعرضت عنه فأعرضت بى * عن الاعراض خضرة عارضيه

سهوا ولا عمدا ولا جعلتها تمه لسبنى عمدا والافرى الله جفنى بالعمش وختى بالنمش وطرتى بالجلح وطلعى بالبلح ووردتى بالبهار ومسكتى بالبخار وبدرى بالمحاق وفضتى بالاحتراق وشعاعى بالاظلام

ولما قلت ان الشعر يسعى * لقلبي في الخلاص سعى عليه

(وقال أبو القاسم الزاهي)

لولا عذارك ما خلعت عذاري * ولكنت في وزر من الاوزار
ما كنت أحسب ان أعاين أو أرى * تخطيط ليل في بياض نهار
حتى نظرت الى عذارك فاغتدى * سم القلوب ونزهة الابصار

وللمعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واحتاط الليل بالنهار
اخضر في أبيض تبدى * ذلك آسي وذا بهاري
لقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

(وقال ابن حمدون)

طلعت في خده العذار * فانتقص الآس والبهار
وابيض هذا واسود هذا * واجتمع الليل والنهار
أغض عيني عنه لاني * عاينت منه ما لا اغار

فهذا كله حسن في مدح العذار وان كان النذير بموت الجمال فاذا تقوى العذار واسود صاروا الى نعيه كما قال أبو بكر البلوي

انظر الى ميت ولكنه * خلو من الاكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده * بالشعر هذا آخر الباطل

وله في ضده

لما التحى من قد هويت * وقلت رسم قد دثر
عاينت من طلابه * زمرا مواصلة زمر
وكذا الاصحاب الحديث * بناقهم عند الكبر

(وكما قال أبو الحسن بن الحاج)

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فاصبح ينبت شوك القتاد
أبن لي متى كان بدر السما * عبدك بالكون أو بالفساد
وهل كنت في الملك من عبد شمس * فاخفى عليك ظهور السواد

(وقال سعيد بن حميد في غلام التحى)

هلا وأنت بماء وجهك يستقي * روض الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحية * ذهبت بحسنك مل‌ء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذاذة مثل خل الحامض

(وقال علي بن بسام في أخيه جعفر)

يا من نعته الى الاخوان لحيته * ادبرت والدهر اقبال وادبار
قد كنت ممن يهش الناظرون له * تعض دونك أسماع وأبصار
أيام وجهك مصقول عوارضه * وللرياض على خديك أنوار
فالدهر مضى ما كان أحسنه * اذ أنت ممتنع والشرط دينار

منسبته تاسود عارضه * كما سر د الات الدار

(وفيه قول أيضا)

حانت وفاتك يا أبا العباس * فدع المكاس فلات حين مكاس

مابال وجهك بعد كثرة نوره * قد سر دوه بحالك الانقاس

أين الدنانير التى عززتها * هيهات جاء الشعر بالافلاس

كانت بحدثيابه ديباجة * فاستبدلت حلسا من الاحلاس

وكذا البناء فعير مرتفع اذا * كانت بليسه من الاساس

(وقال مصعب الماجن)

قد صافحت أقطار خدك لحية * تركت وهو مسود الاقطار

فكان خط الشعر فى جنباته * ليل أقام على نجوم نهار

وكان لمحمد بن بشر باباب يدخل من الاكابر أصحابه ومن الاصغر أحبابه فدنا يوما غلام مليح وأراد الدخول من الاصغر على عادته فمنع فجعل يخاصم البواب لادلاله فبلغ ذلك ابن بشر فكتب له

قل لمن رام بجهل * مدخل الظبى الغرير

بعد أن علق فى خديه شكلا الشعير

ليته يدخل ان جاء من الباب الكبير

وقال ابن الابار

لست بصاب الى معذر * ليل د فى حسنه يسدر

لأعشق الظبى ذا الجام * لانه فى الظبا منكر

أحسن مافيه ان تراه * بين مهاة وبين جؤذر

ينظر قوله لانه فى الظبا منكر الى قول حسن

تعشقتك الكاريدل عدى * على أن الرحى قلبت تسالا

وقال آخر

ل فى أبى يحيى ومعشوقه * شغل على ذى شغل شاغل

ياليت شعرى قول ذى حيرة * من منهما المفعول والفاعل

(وقال ابن حصين فى محبوب صغير)

يا أبى ظبى صغير السن حازت ذات شئ

سرنى أن ليس يدرى ما الذى فيه ودى

فهو يدعونى أبا * وأنا أدعوه باى

(وللخابزرزى)

قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع فى * روض المحاسن حتى يدرك الثمر

ربيع حسن دعانى لاتباع هوى * لما تفتح فيه النور والزهر

(وقال التسوحى فى جسيم)

من أين استر وجدى وهو منهتك * ما للمتيم فى نيل الهوى درك

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم * الشمس أعظم جسم ضمه الفلك

(وللفقيه ابن حزم)

وذى عذل فيمن سبانى حسنه * يطيل ملامى فى الهوى و يقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف اللثم أنت قتيل
فقلت له أسرفت فى اللوم ظاهرا * وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى * على ما بدا حتى يقوم دليل

(وأحسن حبيب حين قال)

قال الوشاة بدا فى الخد عارضه * فقلت لا تنكروا ما ذاك عائبه
الحسن منه على ما كنت أعهده * والشعر حرزله ممن يطالبه
أحلى وأعذب ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى فى مودته * ان سيل عنى وعنه قال صاحبه

(وقال الحلوانى)

قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته * فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته * هذى محاسن يا أهل الهوى أخر

وله أيضا
لى حبيب اذا شكوت اليه * سامنى بالهوى عذابا شديدا
لست أدعو بالشعر غيظا عليه * خيفة أن يكون حسنا جديدا
غير أنى أدعو بقلب قريح * أن أراه مثلى محبا عميدا

وقال غيره
قد حل فى سوقك الكساد * مذ لاح فى خدك السواد
كأنما الشعر فيه زرع * والنتف منه له حصاد

ودوانى بالاقلام

وقوله (ودوانى بالاقلام) أى ابتلاه الله أن يلاط به قال الفنجديهى أنشدنى بعض الشعراء بمرو و روز لبعضهم

دوادار الامير له دواة * كمثل الياسمين بغير صوف
يرى قلم الامير يغوص فيها * مغاص عصيدة فى حلق صوفى

ونقل لفظ الدواة والاقلام من قول ديك الجن وكان يهوى غلاما من حمص اسمه بكر فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر فقام بكر ليمشى فقال

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر * اذا ما تجلى عن محاسنك الشعر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل * فأنت لنا سحر وريقك لى خمر
ولو قيل لى قم فادع أحسن من ترى * لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع فاحتال عليه قوم من حمص فأخرجوه الى متنزه فاسكروه وفسقوا به فبلغ ذلك ديك الجن فقال

يا بكر ما فعلت بك الارطام * يا دار ما فعلت بك الايام
فى الدار بعد بقية مستامة * أم ليس فيك بقية تستام
شغل الظلام كراك فى أبوابهم * فتفرعت لدواتك الاقلام

(وله فيه أيضا)

قولا لبكر بن مهدى اذا اعتكرت * عساكر الليل بين الطاس والجام

ألم أقل لك ان الكبر مهلكة * والبغي والعجب افساد لاقوام
قد كنت تفرق من سهم تعاينه * فصرت غير ذميم وقصة الرامي
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل * وقد ذللت لاسراج والجام
ان تدم فخذاك من ركض فربتما * أمسي وقلبي منك الموجع الدامي

قال أبو علي بن رشيق كنت أوصي غلاما أو نبيا كان يختلف الي واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما في جماعة من أصحابه فأوقع به فأخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

(وهذا من قول ابن المعتز)

مضى خالد والمال تسعون درهما * وآب ورأس المال ثلث الدراهم

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين في اليد وقال ابن رشيق

سقطت ثنيته فاوجع قلبه * لسقوطها وجرى عليه عظيم
فاذا مررت به فسل فؤاده * عنها وقل صبرا كذاك الريم
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها * والسلك لا واه ولا مفصوم
أتعديا ياخطب وهو مصون * أبدا بخاتم ربه مختوم

ويستحب لمن وسم بوسمة الجمال أن يكون شديدا التصاون قليل التبذل فذلك أدعى للسلامة وقد قال ابن وكيع في ذلك

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لوجاد هان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

فاذا ابتذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ونبت عن محاسنه العيون لان النفس الحرة لاتنفك من غيرة وقد قال العباس بن الاحنف

ياقوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسدا
لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

(وقال الوليد بن حزم)

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتي فتماسكت * من بعد ما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحي لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وله أيضا

يقول وقد لمته في الهوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدني قلت لا والذي * أحلك في الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الازار * وقد سلك الناس تلك السبيلا

(وقال محمد بن السري)

قايست بين جماله وفعاله * فاذا الملاحة بالخيانة لاتفي
والله لا كلمته ولو أنه * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

(وقال آخر)

أبا حسنا أزرت تبائح فعله ... عليه كما أزرى الكسوف على البدر
لقد فقت كل الناس حسنا وزينة ... ولكنما قبحت ذلك بالغدر

(وقال ابن عيينة)

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... فى حفظه عجب وفى تضييعك
ان تقتليه وتذهبى بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

(قوله الاصطلاء) اى الاتصال والتلبس و(البليه) أراد دعوة الباطل التى ادّعى عليه الشيخ و(الايلاء) الحلف و(الالية) اليمين و(القود) قتل النفس بالنفس فيقول الصبر على الضرب او القتل أهون من هذه اليمين التى لم يحلف بها أحد (اخترعها) استنبطها (أمقر) أمر من المقر وهو الصبر وهذه اليمين المخترعة حكى الاصمعى شبهها فقال اختصم اعرابيان عند بعض الولاة فى دين فجعل المدّعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال المدّعى دعنى من هذه الأيمان واحلف بما أقول لك فقال وما قولك قال قل لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا وحتك من أهلك وولدك كما تحات الورق من الشجر ان كان بى لى هذا الحق قبلك فأطادحقه ولم يحلف له وحكى المسعودى أنّ الفضل بن الربيع قال سار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أرادنى على بيعته فأخبرت الرشيد بذلك فجمع بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض بيعتنا ودولتنا فقال له موسى ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف لئلا يظهر منه الضحك ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا المشنع على خروج مع أخى محمد على جدك المنصور وهو القائل

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... انّ الخلافة فيكم يا بنى الحسن

وليست سعايته حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت وأنا أسد لفه بيمين فان حلف بها انى قلت ذلك فدمى حلال لأمير المؤمنين فقال له الرشيد احلف له فامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت أنه قال ذلك قال فانى أحلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوّة دون حول الله وقوّته الى حولى وقوّتى ان لم يكن ما قلته حقا فحلف فقال موسى الله أكبر حدثنى أبى عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كذب الا عجل الله له العقوبة وها أنا ذا بين يدى أمير المؤمنين فى قبضته فان مضت ثلاث ولم يحدث له حادث فدمى حلال لأمير المؤمنين قال الفضل فوالله ما صليت العصر فى ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من داره فدخلت عليه فوالله ما كدت أعرفه لانه صار كالزق العظيم ثم اسودّ حتى صار كالفحم فعرّفت الرشيد فى الحين فما انقضى كلامى حتى عرفنا انه قد مات فبادرت بتجهيله وتوليت الصلاة عليه فلما ووري فى قبره انخسف به وخرجت رائحة مفرطة النتن ومرت احمال شوك على الطريق فأمرت بها فطرحت فى قبره فانخسف ثانية فأمرت بألواح ساج فطرحت على قبره وألقى التراب عليها وانصرفت وأعلمت الرشيد فأكثر التعجب وأحضر موسى فأعطاه ألف دينار وقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس فقال أخبرت بالسند المتقدم عن النبى صلى

فقال الغلام الاصطلاء بهذه البلية ولا الايلاء بهذه الالية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ الا تجريعه اليمين التى اخترعها وأمقرله تجرعها

الله عليه وسلم أنه قال من حلف بيمين كاذبة ليدال الله بها استحل الله من تحجيل عقوبته ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها وفي رواية عجل الله العقوبة قبل ثلاث (قوله التلاحي) السباب والتشاتم . عن علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من لاحى الرجال سقطت مروأته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن عبادة الاوثان وفي المثل من لاحاك فقد عاداك (يسعر) يتقد (شجة التراضي) أي طريق الرضا (تعر) تصعب و (في ضمن تأبيه) أي في أثناء كلامه وامتناعه (يخلب) يخدع ويأخذ قلبه (تلويه) انعطافه (يطمعه) يدعوه للطمع (يلبيه) يجيبه لمراده و (ران) غلب وغطى . أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب صقلت وان عاد زادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (أأبه) أهام (لبه) عقله (سوّل) زين (الوجد) حرقة القلب (تيمه) عبده وذلله والمتيم المستعبد لهواه (تقحمه) (يستخلصه) يخلصه لنفسه (حبالة) آلة الصيد (يقتنص) يصيد يقول ان هذا الغلام في أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطمع الوالي في الانقياد له وانه اذا دعاه لما يريد منه أجابه وانما فعل هذا حين رأى ادامة نظر الوالي وجهه واستحسانه كلامه ولو شعر الوالي مثل العلام منظوم لانشد

يهدي لك الدرّ من لفظ ومبتسم ... فبان منتثره منه ومنظوم
يجني الذنوب وأحذر أن أؤاخذه ... من أجل ذلك قيل الحسن مرحوم

(ولانشد اذا غلب عليه هواه)

هم آية الشمس ولا القمر ... وورد خديك لا ورد ولا زهر
في ذمة الله قلب أنت ساكنه ... ان بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبي لما أسفت ... نفسي عليك فرفقا أيها القمر

هذه الابيات للوليد بن حزم وقد كرر معنى البيت الاخير فقال

أذكيت من قلبي بنأيك لوعة ... حتى خشيت على محلك منه

(ومما يلحق بهذا المعنى قول الآخر)

ولما رماني بالسهام تعمدا ... وفيها نصال الهجر حتى استلا صدري
فقلت له لاترم قلبي فانه ... مكانك والمرمى أنت ولا تدري

وقال آخر

حملتك في قلبي فهل أنت عالم ... بأنك محمول وأنت مقيم
ألا ان شخصا في فؤادي محله ... وأشتاقه شخص علي كريم

وقال التهامي

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل ... تذكي شهاب الشوق في أثنائه
جاورته شر الجوار وزرته ... لما حللت فناءه بفنائه
حرق سوى قلبي ودعه فانني ... أخشى عليك وأنت في سودائه

وقال آخر

أودع فؤادي حرقا أودع ... نفسك تؤذي أنت في أضلعي
أمسك سهام اللحظ أو فارمها ... أنت بما ترمي مصاب معي
موقعها القلب وأنت الذي ... مسكنه في ذلك الموضع

ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعر والعلام في ضمن تأبيه يخلب قلب الوالي بتلويه ويطمعه في أن يلبيه الى أن ران هواه على لبه وأتابه رأيه فسوّل له الوجد الذي تيمه والطمع الذي تقحمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه

فقال الشيخ هل لك فيما هو ألبق بالاقوى وأقرب للتقوى فقال الام تشير لا أقفه ولا أقف لك فيه فقال أرى ان تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لا تحمل منها بعضا وأجتبي الباقي لك عرضا فقال الشيخ مامنى خلاف فلا يكن لو عدك اخلاف فنقده الوالى عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ماراح ودع عنك اللجاج وعلى في غد أن أتوصل الى أن ينض لك الباقي ويتحصل فقال الشيخ أقبل منك على أن ألازمه ليلتي و برعاه انسان مقلتي حتى اذا أغفى بعد اسفار الصبح بما بقي من مال الصلح تخلصت قائبة من قوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالى ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا

(قال الحرث بن همام) *فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية

(ترجمة ابن سريج)

(قوله ألبق) أى أشكل وأصقل (بالاقوى) صاحب القوة *والذى هو أقرب للتقوى هو العفو لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى (أقفه) أتبعه (لا أقف لك فيه) أى لا أتوقف فيما تشير به (تقصر) تكف (عن القيل والقال) أى عن كل كلام (أجتبي) أجمع (عرضا) كل ماليس فيه روح من الامتعة غير العين وهو ماليس بنقد من السلع التى يتجر فيها من متاع ورقيق وغير ذلك (أتحمل) أضمن وفلان حميل بكذا أى ضامن له (اخلاف) كذب وعد (نقده) أعطاه نقدا (وزع) فرق (وزعته) شرطته الذين يكفون عنه الناس واحدهم وازع مثل كافر وكفرة وقد وزعته وزعا كففته وأبضا دفعته وقال الحسن البصرى رحمه الله لابد للسلطان من وزعة (الاصيل) العشى *وثوبه ضوء الشمس وهو فى ذلك الوقت رقيق (صوب) وقع وصاب السهم صوبا وصيبا وقع بالرمية وصاب السحاب الموضع أمطره و(التحصيل) ان يحصل بقية المال (راح) حضر وتيسر و يقال راح الشئ روحا فهو رائح اذا جاء سريعا (قوله انسان مقلتي) أى سواد عيني (برعاه) يحفظه و ينظره (أغفى) أتى بالبقية والعفاوة بقية المرق فى القدر (تخلصت) انفصلت و (القائبة) البيضة (والقوب) الفرخ وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة وجاء مقلوبا بالاداة الذى ينفصل ويخرج انما هو الفرخ من البيضة والقوب من تقوب الشئ اذا انقشر ومنه القوباء الداء الخزاز و (ابن يعقوب) هو يوسف عليهما السلام وبراءة الذئب من دمه هو ما يحكى أن اخوته لما جاؤا الى أبيهم يبكون على يوسف علموا أنه لا يصدقهم فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم وأتوه يبكون وقالوا انه هذا الذئب قد ضرى أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا قال لهم أطلقوه ودعا الله يعقوب أن ينطقه فقال للذئب ادن منى فجعل يبصبص بذنبه و يدنو منه حتى وضع خده على فخذ يعقوب فقال له لم أكلت ابنى وفجعتنى فيه فقال لا والله يا نبى الله ما رأيته ولا أكلته وانى لغريب فى أرضكم اليوم وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته فأوثقنى هؤلاء وساقونى اليك فقال لهم يعقوب عليه السلام الذئب مع أخيه أوفى منكم مع أخيكم (قوله سمت) أى كلفت (شططا) شيأ بعيدا والشطط مجاوزة القدر (ورمت فرطا) طلبت شيأ متفاوتا وكيف لم يسمه شططا وقد حرمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجى حيث يقول

وليلة طلقة قضتني * من موعد الحبيب دينا
بتنا نجر الذيول فيها * والخمر تمشى بنا الهوينا
أرسل فى روض وجنتيه * لحظة عين تفيض عينا
كأنما اللحظ كيمياء * تذهب من وجهه لجينا
وما توهمت أن طرفا * يقلب عين اللجين عينا

(أوليلة الآخر حين يقول)

لما رأى من ظلت فيه متيما * جسمى صئيلا والفؤاد مولها
جادت شمائله على بليلة * أهدت الى الصب المعنى ما اشتهى
عانقت فيها البدر ليلة تمه * يا من رأى بدرا يعانقه السها

(قوله الحجج السريجية) منسوبة الى أحمد بن سريج وهو من كبار أصحاب الشافعى وكان حسن الاحتجاج مليح المناظرة وقال الفنجديهى السريجية منسوبة الى الامام أبى العباس أحمد بن

عمر بن سريج امام أصحاب الشافعي على الاطلاق ومن لا نفست ذات در بمثله في الآفاق حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج وأقواها وأمتنها على مرور الايام والحجج وكان يلقب بالبازي الاشهب وبالشافعي الثاني لبحره في استنباط المعاني من غوامض الاخبار والمثاني دلائله في فنون العلم متينة وبراهينه مبينة وقال رأيت في المنام كأنا أمطرنا كبريتا أحمر فملأت أكمي وحجري وجيبي منه فعبر لي اني أرزق علما غزيرا كعزة الكبريت الاحمر وسمع يتمثل بهذه الابيات

فلا تحسد الكلب أكل العظام * فعند الخراءة ما ترحمه
تراه وشيكا اشتكى استه * كلوما جناها عليه فمه
اذا ما أهان امرؤ نفسه * فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه السؤال أبلعني ريقي فقال له قد أبلعتك الدجلة والفرات وقال له مرة أمهلني ساعة فقال قد أمهلتك من الساعة الى أن تقوم الساعة وقال له ابن داود يوما أكلتك من الرجل وتجيبني من الرأس فقال له كذلك البقر اذا حفيت أظلافها دهنت قرونها واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الاصبهاني في مجلس عيسى بن الجراح الوزير فتناظرا في الايلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام في الايلاء فقال له ابن داود لئن قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال له ابن سريج م تفتخر ولو شئت قلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
أصبو لحسن كلامه وحديثه * وأكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال له أبو بكر أصلح الله الوزير يحفظ عليه ما قال حتى يقيم عليه شاهدين عدلين أنه ولى بخاتم ربه وبراته فقال له ابن سريج فيلزمني في هذا ما يلزمك في قولك * وأمنع نفسي أن تنال محرما * فضحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وعلما وفهما * اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم والفضل والدين كانا يرتاحان الى التعشق على سبيل التطرق والتزام التعفف على ما يليق ويشكل بمنصبهما واذا كان التعشق بشرط العفاف فانما يزيد الرجل الفاضل رقة طبع وحلاوة شمايل وقال ابن سريج في مرضه الذي مات فيه أريت في المنام البارحة كأن قائلا يقول هذا ربك يخاطبك فسمعته يقول ماذا أجبتم المرسلين فقلت بالايمان والتصديق قال فقيل ماذا أجبتم المرسلين فوقع في نفسي انه يراد مني زيادة في الجواب فقلت بالايمان والتصديق غير انا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال اما اني سأغفرها لك وتوفي لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وبلغ سنه سبعا وخمسين سنة وستة أشهر ودفن في حجرة بسويقة غالب ببغداد رحمة الله عليه ونذكر الآن من نفيس الشعر المضمن من ظفر من محبوبه

بمراده من الوصال ثم عف عما يخل باهل الجلال قال ادريس بن اليمان

لم تدر ماخلدت عيناك فى خلدى ، من الغرام ولا ما كابدت كبدى
أفديك من زائر رام الدنو فلم ؛ يسطعه من حرق فى الدمع متقد
خاف العيون فوافانى على عجل * معطلا جيده الا من الغيد
عاطيته الكاس فاستحيت مدامتها * من ذلك الشنب المعسول والبرد
حتى اذا غازلت أجفانه سنة * وصيرته يد الصهباء طوع يدى
اردت توسيده خدى وقل له * فقال كفك عندى أفضل الوسد
فبات فى حرم لاغدر يذعره * وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد
بدر ألم وبدر التم منمحق * والافق محلولك الارجاء من حسد
تحير الليل فيه أين مطلعه * أمادرى الليل أن البدر فى عضدى

(وقال الرمادى)

وليلة راقبت فيها الهوى * على رقيب غير وسنان
والراح ماتنزل من راحتى * وقد اومن راحته دمان
ورب يوم قيظه منضج * كأنه احشاء ظمآن
أبرز من خديه لى رشحه * طلى على ورد وسوسان
وكان فى تحايل أزراره * أسود لى من ألف شيطان
فتحت الجنة من جيبه * فبت فى جنة رضوان
مرء أفى الحب تنهى بأن * يجاهر الله بعصيان

(وقال سعيد بن حميد)

زائر زارنا على غير وعد * أهيف الكشح مثقل الارداف
غالب الخوف حين غالبه الشو * ق وأخفى الهوى وليس بخاف
غض طرفى عنه تقى الله واختر * ت على بذله بقاء التصافى
ثم ولى والخوف قد هز عطفيـ * ـه ولم يخل من لباس العفاف

(وقال بعض الطالبين)

رمونى واياها بشنعاء هم بها * أحق أدال الله منهم وعجلا
بامر تركناه ورب محمد * جميعا فاما عفة أو تجملا

وسنزيد مايستحسن فى العفاف وضده فى الثانية عشرة (قوله علم السروجية) أى مشهورها والعلم الجبل (لبثت) أقمت (عقود) جمع عقد أراد مايعقد من جموع الناس فى الزحام (اشترت) افترقت (زهرت) أضاءت (الفناء) ماحول الدار (ناشدته) سألته (هفت) أى طارت (الاحلام) العقول (فطرته) خلقته (تبرز) تظهر و(الطرة) قد تقدمت وشبه اعتدال الشعر على الجبهة بشكل السين على السطر وأخذه من قول التهامى

يارب معنى بعيد الشأن نسلكه * فى سلك لفظ قريب الفهم مختصر

علمت أنه علم السروجية فلبثت الى أن زهرت نجوم الظلام واشترت عقود الزحام ثم قصدت فناء لوالى فاذا الشيخ للفتى كالى فنشدته الله أهو أبو زيد فقال اى ومحل الصيد فقلت من هذا الغلام الذى هفت له الاحلام قال هو فى النسب فرخى وفى المكتسب فخى قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالى الافتتان بطرته فقال لولم تبرز جبهته السين

لفظ يكون لعقد القول واسطة * مابين منزلة الاسهاب والحصر
ان الكتابة طارت تحت أنمله * والجود فالتقيا منه على قدر
تردّ اقلامه الارماح صاغرة * عكسا كعكس شعاع الشمس للقمر
وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما فى أحسن الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(ومن ملح الخابزرزى)

وبنفسى من اذا خمشته * نثر الورد عليه ورقه
واذا مست يدى طرّته * افلتت منه فعادت حلقه

أخذها من حكاية لعمر بن أبى ربيعة حدّث المغيرة بن عبد الرحمن قال حججت مع ابى وانا غلام على جمة فجئت عمر فسلمت عليه فجلست عنده فجعل يمدّ الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ويقول وا شباباه حتى فعل ذلك مرارا ثم قال لى يا ابن اخى قد سمعتنى أقول فى شعرى قالت وقلت وكل مماليكى لى حرّ ان كنت كشفت عن فرج امرأة حرام قط فسألت عن رقيقه فقيل لى أما فى الحول فسبعون سوى غيرهم وسايرعمر عروة بن الزبير يحدثه فقال وأين زين المواكب يعنى ابنه محمدا وكان يعرف بذلك لجماله فقال عروة هو أمامك فركض يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب أولسنا اكفاء كراما للمحادثة قال بلى بأبى أنت وامى ولكنى مغرى بهذا الجمال حيث كان ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولع بالحسن أتبعه * لاحظ لى فيه الالذة النظر

أخذه العباس بن الاحنف فقال

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طالت اقامته * عف الضمير ولكن فاسق النظر

ومما يتعلق بذكر الشعر حلاقه والشعر فيه كثير فنلم منه باليسير وأول من قرع هذا الباب فيما ذكر القائل

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا * خيفة منهم عليه وشحا
كان من قبل ذاك ليلا وصبحا * فمحوا ليله وأبقوه صبحا

(وقال أبو العباس القريعى)

كان الاقرا تحت دجى * فانجلى الليل ولاح القمر
أوكزهر فى كمام كامن * شققت عنه فتم الزهر

(وقال أبو العباس بن حيون)

حلقوك فى تغيير حسنك رغبة * فازداد حسنك بهجة وضياء
كالجرفض ختامه فتشعشعت * والشمع قط ذباله فاضاء

(قوله قنفشت) اى أخذت بسرعة تقول قفشت الشئ قفشا اذا جمعت عليه كفك بسرعة وقد انقفشت العنكبوت اذا دخلت جحرها (قوله الجوى) أى مرض القلب (تديل) تعوض والادالة أن يكون الشئ لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدولة (النوى) البعد ويريد هلم تجدد

لما قنفشت الحسين ثم قال بت الليلة عنلى لنطفئ نار الجوى وتديل الهوى من النوى فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة

المودة فى هذه المسلة ويكون ذلك عوضا من طول الفراق فقد عزمت على ان أنسل بالسحر وأفتر والانسلال الخروج مستخفيا (أصلى قلب الوالى) أجعله متحرقا بالحسر والتفجع (قضيت) أتممت (سمر) حديث بالليل يسمر عليه (آنق) أحسن (حديقة) بستان ولا تكون الا تحت حائط أو زرب (زهر) نور (خميلة) روضة فيها شجر (الآلا) لمع واضاء (الافق) جهات السماء (ذنب السرحان) هو الفجر الكاذب وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد الى السماء والسرحان الذئب شبه ضوءه بذنبه (آن) حان وقرب (انبلاج الفجر) ظهور ضوءه (من) ظهر (الحريق) النار (سلم) ترك (محكمة الالصاق) متقنة الطى (القرار) السكينة يريد أن الوالى اذا أخبر بهربنا ذهب عقله فجعل يتململ ولا يقر (فضضتها) كسرت ختامها و (المتلمس) شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وسمى المتلمس بقوله

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة اذا طلبها سرا من غيره وأصل ذلك من اللمس باليد كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيأ ضاع منه أو كلمس الاعمى شيأ بيده ومن كلام عامتنا فلان يتلمس بسكون التاء أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به والمتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين فى الجاهلية وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام و (المتملس) بالميم قبل اللام هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة وقد أملس اذا أخرج من بين القوم هاربا وهم لا يشعرون وقد أملس الشئ اذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته و (الصحيفة) الكتاب * وقصتها أن المتلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وهو الذى حرق من تميم مائة رجل فهجوه فقال فيه المتلمس وكان طرده لشئ بلغه عنه

أطردتنى حذر الهجاء ولا * واللات والانصاب لا تئل

أى لا تنجو وقال فيه أيضا

ان الخيانة والمغالة والخنا * والغدر تتركه ببلدة مفسد
ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل أيره كالمبرد
فاذا حللت ودون بيتى غاوة * فابرق بارضك ما بدالك وارعد

وقال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

فى أبيات شهرتها تنبى وتغنى عن ذكرها فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما بصحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز فذهبا فرأيا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وآكل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أقتل عدوا وأدخل طيبا وأخرج خبيثا أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك الصحيفة

وأصلى قلب الوالى نار حسرة قال فقضيت الليلة معه فى سمر آنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى اذا الآلا الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالى عذاب الحريق وسلم الى ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب

(قصة المتلمس)

فاذا فيها فاذا اتاك المتلمس فاقطع يديه و رجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال قذفت بها في اليم من جنب كافر * كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشأم وقال ألق الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

أراد أنه تخفف للفرار فالقى ما لا ينقل وما لا بد للسفر منه وقال حين نجا

من مبلغ الشعراء عن اخويهم * خبرا فتصدقهم بذاك الانفس

اودى الذى علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حياته المتلمس

ألق الصحيفة لا اباك انما * يخشى عليك من الحباء النقرس

وأما طرفة فوصل الى البحرين فلما قرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فاخبره بفراره عفا عنه لصدقه و رعايته لطابع الملك حيث لم يفكه وقيل انه سجنه و بعث الى عمرو بن هند وقال له ما كنت لاقتل طرفة وأعادى قبيلته فاذا أردت قتله فابعث اليه من يقتله ففعل وخير في قتله فاختار أن يسقى الخمر و يفصد أكحلاه ففعل به ذلك حتى مات نزفا ودفن بهجر وقيل في قتله غير ذلك وقال البحترى يصدق ما تقدم

٣ ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أرى عند طعم الحنظل

وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الاكحل

وقال وهو في السجن يخاطب قومه

أسلمني قومي ولم يغضبوا * لسوأة حلت بهم فادحه

كل خليل كنت خاللته * لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن

أبا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقتل وهو ابن عشرين سنة والعرب تقول أشعر الناس ابن العشرين وتعنيه الا أن أبا العباس أنشد لاخيه يرثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفى واستوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على خير حال لا وليدا ولا قحما

وهلك المتلمس في الجاهلية ببصرى (قوله غادرته) أي تركته (بعض اليدين) تندما (سادما) متغيرا والسادم المتغير العقل من الغم من قولهم ماء سدم ومياه سدم وأسدام أي متغيرة وقيل السديم الحزين الذى لا يطيق ذهابا ولا مجيأ من قولهم بعير مسدم اذا منع من الضراب فكان الحزين منع من الذهاب والمجيء فيقول تركته يعض يديه تندما وتلهفا (اللظى) لهب النار وقد لظت النار علا لهبها فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين (جاد) سمح (العين) الذهب (هواه) تعشقه وميله (انثنى) رجع (بلا عينين) أي بغير مال ولا بصر (خفض) سكن

قل لوال غادرته بعد بيني * سادما نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه * لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما * يجدى طلاب الآثار من بعد عين

٣ قوله ولقد سكنت الخ هكذا في بعض النسخ وفي بعضها ولقد سكنت من الصدود الى النوى الخ اه مصححه

(معنى) معذب (يجدى) ينفع و (العين) ههنا الشخص * وقولهم طلب أثرا بعد عين كأن رجلا تمكن من عدوه أو من صيد لم يرمه فتراخى عنه حتى فاته ثم شد فى طلبه بعد الفوت وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العامرى وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكا بسبب قتيل كان له فى عماليته فحبسهما زمانا ثم قال لهما انى قاتل أحدكما فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فقتل سماكا وخلى مالكا فقال سماك حين ظن أنه مقتول

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده
برأس سبيل على مرقب / ويوما على طرق وارده
أأم سماك فلا تجزعى - فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركبا مروا بهم وأحدهم يغنى بهذا البيت وأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج فى طلب ثار أخيك فخرج فلقى قاتل أخيه فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فعرفوه فقالوا والله لك مائة من الابل وكف عنه فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله (قوله جل) أى عظم (عراك) قصدك (رزء الحسين) المصاب بقتله حين قتل بكربلاء * وحديثه ان معاوية لما مات أرسل اليه أهل الكوفة انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك وطولب بالمدينة أن يبايع يزيد فخرج الى مكة وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له ان كان حقا ما كتبوا به فعرفنى ألحق بك فخرج من مكة للنصف من رمضان وقدم لخمس خلون من شوال وأميرها النعمان بن بشير فدخل مستترا فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفا فكاتبه بذلك فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له يا ابن عم أهل العراق أهل غدر وانما يدعونك للحرب فقال له يا ابن عم كتب الى مسلم باجتماع أهل الكوفة على فقال له قد جربتهم وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم اذا بلغ ابن زياد خبرك استنفرهم فكان الذين كتبوا اليك أشد عليك من عدوك فان أبيت الا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فرد عليه لان أقتل بموضع كذا أحب الى من ان أستحل بمكة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة فخرج مسرعا فدخلها فى حشمه وهو ملثم والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ويقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر فحسر اللثام ففتح له النعمان الباب وتنادى الناس ابن مرجانة فحصبوه بالحصباء ففاتهم ووضع الرصد فى طلب مسلم فصاح مسلم يا منصور وكان شعارهم فاجتمع لهم فى ساعة واحدة ثمانية عشر ألفا فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد فلم يمس المساء ومعه مائة رجل فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كندة فبلغ الباب ومعه ثلاثة فخرج وليس معه أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يتوجه فنزل من على فرسه ودخل أزقة الكوفة فانتهى الى باب مولاة لمحمد بن الاشعث فاستسقاها فسقته وأعلمها حاله فرقت له فآوته وأعلمت محمد بن الاشعث بمكانه فمشى الى ابن زياد فأعلمه فوجه معه سبعين رجلا فاقتحموا عليه فقاتلهم مسلم فأمنه محمد بن الاشعث وحمله الى ابن زياد فضرب عنقه وبعث برأسه الى يزيد بن معاوية فصلب جثته وانتهى الامر الى الحسين وقد بلغ القادسية فهم

ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين

(حديث رزء الحسين)

بالرجوع فقال له اخوة مسلم لانرجع أونقتل أونأخذ بثارنا فقال الحسين لاخير فى العيش بعدكم فسار حتى لقى خيلا لابن زياد وعليها عمرو بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى نحو خمسمائة فارس فلما كثرت العساكر أيقن أنه لامحيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقاتلوننا ثم خطب قومه فقال ياعباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد أوبقى عليها أحد لكانت الانبياء أحق بها وبالبقاء غير أن الله خلقها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والدار قلعة والمنزل تلعة فتزوّدوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم قاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وتولى قتله سنان بن أنس النخعى واحتز رأسه وانطلق به مسرعا الى ابن زياد وهو يقول

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا

وبعث معه الرأس الى يزيد بن معاوية وعنده أبو برزة فجعل ينكت بالقضيب على فيه وهو يقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق واظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين وقتل معه سبعة وثمانون منهم على ابنه الاكبر ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ومن اخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو على ومن بنى عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم وقتلوا هم من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين (قوله اعتضت) افتعلت من العوض (يبغى ذين) يطلب هذين (الظباء) الغزلان (يلج) يدخل (محدقا باللجين) أى محلقا بالفضة والصائد يفرق حول الفخ حب القمح وشبهه فيلقطه الطائر حتى يتوصل الى مانصب له فيقع فقال ما كل طائر يخدع ولو حلق له الفخ بحب اللجين بدلا من القمح وانى من هذا الصنف (قوله ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد) من قول الصابى

يا مقرا كالخشف فى نظرته * وكالقضيب اللدن فى نضرته
خلتك صيدا كان فى قبضتى * فصرت من صيدى فى قبضته

(والسابق له كعب بن زهير فى قوله)

طاف الرماة بصيد راعهم فاذا * بعض الرماة بنبل الصيد مقتول

(وبخفى حنين) يضرب بهما المثل للخائب الخاسر . واختلف فى حنين فقال يعقوب انه كان رجلا مدعيا فجاء الى عبد المطلب وعليه خفان فقال ياعم انى من ولد هاشم فأنعم النظر فيه وقال لا وعظام هاشم ما أرى فيك شمائل هاشم فارجع فرجع خائبا خاسرا وقيل كان رجلا مغنيا فدعاه قوم من أهل الكوفة ليطربهم فى نزهة فخرجوا به الى الصحراء فضربوه وسلبوا ثيابه وتركوا عليه خفيه فلما رجع الى زوجته وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها رجع حنين بخفيه وقيل انه كان صانعا فساومه أعرابى بخفين وما كسه حتى أخرجه فلما ارتحل الاعرابى أخذ حنين احدى الخفين فوضعها

فقد اعتضت منه فهما وحزما
والبيب الاريب يبغى ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم
ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ
خ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد
فاصطيد * ولم يلق غير خفى حنين

على الطريق ثم مشى وألقى الاخرى فى موضع آخر على الطريق وكمن له فلما مر الاعرابى بالخف قال ما أشبه هذه بخف حنين ولو كان معها الاخرى لاخذتها فلما انتهى الى الاخرى ندم على ترك الاولى فأناخ راحلته وأخذها ورجع الى الاولى فلما غيب عمد حنين الى راحلته بما عليها فركبها ومضى بها ورجع الاعرابى الى قومه بالخفين فكان اذا سئل عن حاله قال رجعت بخفى حنين فصار مثلا وقيل كان حنين لصا حقيرا فأخذ وصلب بفنائه أمه وعليه خفان فانتزعتهما ورجعت فقيل رجعت بخفى حنين أى رضيت منه بذلك (قوله تبصر) اى أحسن النظر (حن) هلالك (والصاعقة) نار ترسل مع الرعد والبرق وجمعها صواعق وصعق الرجل اذا أصابته وصعق اذا مات وقيس تقول صاعقة وبنو تميم صاقعة وقد صقع (غرام) عذاب الحب (شن) عيب و (البذر) زرع الحب فى الارض (طموح) ارتفاع يريد ان أصل العشق مداومة النظر ألم فيه بقول عيسى عليه السلام لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك وقد تقدم من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة ۔ وطول الهوى رين على القلب رائن

فكن دافنا للشر بالخير تسترح * من الشر ان الخير للشر دافن

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال المتنبى)

عزيز أسى من داؤه الاعين النجل * عناء به مات المحبون من قبل

فمن شاء فلينظر الىّ فمنظرى * نذير الى من ظن ان الهوى سهل

وما هى الا لحظة بعد لحظة * اذا نزلت فى قلبه رحل العقل

(وقال ابن زيدون)

من يسأل الناس عن حالى فشاهده * محض العيان الذى يغنى عن الخبر

أما الضنى فجنته نظرة علق * كأنها والردى جا آعلى قدر

فهمت طرق الهوى من وحى طرفك لى * ان الحوار لمفهوم من الحور

(وقال العباس بن الاحنف)

الحب أول ما يكون لجاجة * تأتى به وتسوقه الاقدار

حتى اذا اقتحم الفتى لجج الهوى * جاءت أمور لا تطاق كبار

فهذا كله يبين بيت الحريرى (قوله مزقت) قطعت (شذر مذر) قطعا متفرقة فى كل جهة وأصل الشذر قطع الذهب ومذر اتباع لها (لم أبل) أى لم أبال (عذل) لام (عذر) قبل العذر

(شرح المقامة الحادية عشرة وهى الساوية)

الحادية عشرة تبنى على الفتح كبناء احد عشر (آنست) أدركت وأحسست (القساوة) غلظ القلب وقلب قاس وقسى أى صلب وقلوب قاسية وقسية وهما عند الكسائى والفراء لغتان بمعنى واحد * أبو عبيدة القاسية مأخوذة من القسوة والقسية التى ليست بخالصة الايمان

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسى فيه ثوب ذل وشين فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين (قال الراوى) فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعذل أم عذر

(المقامة الحادية عشرة الساوية)

(حدث الحرث بن همام) قال آنست من قلبى القساوة

كالدرهم نقسي وهو الذى خالطه غش من نحاس أو غيره وقد قسا القلب يقسو قساوة وقساء صلب (ساوة) بلد بينه و بين الرى اثنان وعشرون فرسخا وهي فى الطريق ما بين همذان والرى (الخبر المأثور) اى المحدث به وهو قوله صلى الله عليه وسلم عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة وسأل رجل عائشة رضى الله عنها فقال يا أم المؤمنين ان لى داء فهل عندك دواؤه قالت وما داؤك قال القسوة قالت بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت وقيل لعلى رضى الله عنه ما شأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وكانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فاذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب فاذا جاء النهار خرجت الى المقبرة فعوتبت فى اتيان القبور فقالت ان القلب القاسى اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى وانى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القوم بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلا ثم بكى وقال والله لا أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله * استنشد المتوكل أبا الحسن على بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقال انى لقليل الرواية فى الشعر فقال لابد فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهمو صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل

فافصح القبر عنهم حين سائلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

كان عمر لو أنشد شعرا فى أوصاف آبائه وبنى عمه ملوك بنى أمية وانحطاطهم من عز المملكة الى ذل المقبرة لم يكن الا هذا الشعر وأبو الحسن القاوى كان قد سعى به الى المتوكل وقيل له ان فى بيته سلاحا وكتبا وغير ذلك فوجه اليه بعدة من الاتراك فهجموا عليه على غفلة ممن فى داره فوجدوه فى بيت مغلق عليه وحده وعليه مسح شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة صوف متوجه الى ربه يترنم بالقرآن فمثل بين يدى المتوكل على حاله والمتوكل يشرب وفى يده كأس فلما رآه عظمه وأجلسه الى جنبه وعلم أنه لم يوجد عنده شئ مما قيل فناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ولا دمى قط فاعفنى عنه فأعفاه ثم قال أنشدنى شعرا أستحسنه فأنشده الابيات المتقدمة فأشفق من حضر عليه من المتوكل فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا وبكى من حضر وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال أربعة آلاف درهم فدفع

حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور فى مداواتها بزيارة القبور

السمور دالى منزله مكرما وقال له ما يقول ولدا أبيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقولون يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما أراد طاعة الله على بنيه فعرّض * وقال سابق البربرى فى المعاريض

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن * على الاثم والعدوان ممن يعاون

وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك ولا يحتال من لا يداهن

ولا بد ذا الوجهين يبدى بشاشة * وفى صدره ضب من الغل كامن

رجعت الى عرض المقامة * عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور ولا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وكان رجل يشهد الجنائز فاذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذا شيأ قال فأمسيت ليلة ولم أدع فيها ما كنت أدعو به قال فبينما أنا نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت من أنتم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك كنت عودتنا هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك (قوله محلة الاموات) هى المقابر التى يحلون بها (كفات) قبور وأوعية وكفت الشئ ضممته وقبضته وكفات الشئ ما ضمه وستره وقوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قيل كفات الاحياء بيوتهم وكفات الاموات قبورهم و(الرفات) العظام البالية وقال ابن المعتز فى مقبرة

وسكان دار لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى التجاور من بعض

كأن خواتيما من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

* (وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) *

انظر لنفسك يا مسكين فى مهل * ما دام ينفعك التفكير والنظر

قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها * لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة * وفيهم لك يا مغتر معتبر

وقال مالك بن دينار مررت بالمقابر فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر

وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

فنوديت من بينهم لا أرى * شخوصا لهم ولا من أثر

تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر

فيا سائلى عن أناس مضوا * أما لك فيما ترى معتبر

فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر

تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

تناجيك أجداث وهن سكوت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

قال اعرابى من خاف الموت بادر الفوت ومن لم يقمع النفس عن الشهوات بادرت به الى الهلكات والجنة والنار أمامك * مرض اعرابى فقيل له انك تموت قال واذا مت فالى أين أذهب قالوا الى الله قال فما كراهتى ان أذهب الى من لم أر الخير الا منه وقال اعرابى ما بقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معترض للآفات ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحيا له ليله وأظمأ له نهاره وقال آخر من كانت مطيتاه الليل والنهار سارا به وان لم يسر وبلغا به وان لم يبلغ * آخر نصرف الليل والنهار لا تبقى معه الاعمار ولا لاحد فيه الخيار (قوله مجنوز) أى ميت وحكى ابن سيده قول بعضهم جنزت الميت اذا سترته بالكفن وقال الحسن لما أنذر بجنازة النوار امرأة الفرزدق المنذر بها اذا جنزتموها فآذنونى بالجنازة والجنازة من جنزت وهى بالفتح الميت وبالكسر النعش وقيل معناهما واحد وهو الميت والمختار الكسر (يقبر) يدفن (انحزت) ملت (المآل) المرجع (متذكرا) متذكرا (درج) هلك (الآل) الاهل (ألحدوا) دفنوا وألقوه فى اللحد وهو حفير فى جانب القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقبرة يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وكان على رضى الله عنه اذا دخلها يقول السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم واعف عنا وعنهم ثم يقول الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا منها خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضى عن الله وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا دخل قال اللهم رب الاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منا (قوله أشرف) أى طلع (الرباوة) الكدية و(متخصر) أى جاعلها مما يلى خصره (هراوة) عصا (لفع) غطى (نكر) غير هيئته (لدهائه) لمكره * ويقال قصر فهو مقصر اذا ترك الشئ وهو قادر عليه وشمر اجتهد (والمتبصر) الناظر فى الشئ على وجه التفهم فقد يصيب وقد يخطئ ولذلك قالوا أحسنوا النظر (الاتراب) الاصحاب المتقاربون فى المولد كأنهم قطعوا من تربة واحدة وأكثر ما يقع للنساء وذا مات للانسان صاحب على سنه كان

ومجنوز يقبر فانحزت اليهم متفكرا فى المآل متذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب

أوقع لحزنه فلذا نبه بالترب قال الالبيرى

فانّ الردى غل أهل التقى * فلم يبق الا الغشوم العنيد
وأودى بكل خليل ودود * فأين ولا أين خل ودود
وكم من أخى ثقة قد حدت * فلله ماغيبته اللحود *
وأثكلنى الانس ثكل اللدات * فصرت كأنى غريب وحيد
وكم من شقى يوارى التراب * وكم من سعيد يوارى الصعيد

(قوله يهولكم) أى يفزعكم (الهيل) الصب الكثير من أعلى الى أسفل فى مثل كدس الرمل وعند صب التراب على الميت تطير القلوب اشفاقا وتسيل العيون رحمة قال أبو العتاهية

بكيتك ياأخى بدموع عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أبو على الرازى مررت بصبيان فى طريق الشأم يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت مهلا فقد غبرتم فقال صبى منهم ياشيخ أين تنزاد اهيل عليك التراب فى القبر فغشى على فافقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون فقلت له أعندك حيلة فى الفرار من التراب قال أنا لا أعلم ولكن سل غيرى فقلت زمن غيرك قال عقلك (تعبؤن) تبالون وتهتمون و (النوازل) جمع نازلة وهى المصيبة (الاحداث) مايحدث على الانسان من الخير والشر و (الاجداث) بالجيم القبور واحدها جدث وجدف (تستعبرون) تبكون (تعتبرون) تتعظون وترونه عبرة (والنعى) ذكر موت الانسان وكانت العرب اذا مات منها سيد ركب رجل فرسه ومشى فى الاحياء فيقول نعاء فلانا والناعى المخبر بموت الرجل وقد نعاه نعيا (ترتاعون) تخافون (الالف) صاحب وهو فى الاصل مصدر ألفت الشئ القاسمى به ويقال فى معناه أليف (تلتاعون) تحترقون من الحزن واللوعة حرقة من الهم (المناحة) اجتماع النساء للبكاء على الميت (تعقد) تجمع وتؤلف (وقلبه تلقاء البيت) أى وقلبه مستقبل لبيت الميت يفكر فيما ترك لبرثه (مواراة) دفن وقد واراه اداستره (استخلاص) تحصيل (ودده) الاول محبوبه الذى يوده (ودوده) الثانى جمع دودة والواو للعطف *وقال سابق البربرى فى معنى ماتقدم

نلهو ونا سل أياما تعدلنا * سريعة المرتطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته * ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربى كل مرضعة * وللخراب يرى الارواح باديها
لاتبرح النفس تنعى وهى سالمة * حتى يقوم بنادى القوم ناعيها
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة * حتى تقيم بوادغير واديها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(وقال آخر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ماقدمت من عمل يحصى عليك وماخلفت موروث

ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبؤن بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولاتستعبرون لعين تدمع ولاتعتبرون بنعى يسمع ولاترتاعون لالف يفقد ولاتلتاعون لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره فى استخلاص نصيبه ويخلى بين ودده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما

وقال الحسن ابن آدم أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضي ومن نعيمها بما يمضي ومن ملكها بما ينفد تجمع لنفسك الاوزار ولاهلك الاموال فاذا مت حملت أوزارك الى قبرك وتركت أموالك لاهلك أخذه أبو العتاهية فقال

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * ياليت شعري ما أبقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم * فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل في الميراث والقال

(وقال ابن عبد ربه)

ياما من عنده أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها * كعارية ترد الى المعير

(وقال جبلة بن حرب)

ياقلب انك في الاحياء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
تريد أمرا ولا تدري أعاجله * خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبطا * اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره * والدهر أية ما حين دهارير
وذاك آخر عهد من أخيك اذا * بالموت ضمنه اللحد الحباصير

(قوله أسيتم) أي حزنتم (اثلام) انكسار ونقصان (اخترام) هلاك يقول اذا انتقص لكم من المال أدنى شيء حزنتم عليه ولا تحزنون على نقص أحبابكم * أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله (قوله استكنتم) ذللتم والاستكان استفعل من لفظ السكن وهو لحم باطن الفرج (اعتراض العسرة) ظهور الفقر (انقراض الاسرة) موت القرابة (الزفن) الرقص (تضحكم عند الدفن) جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في الجنائز ورأى ابن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال تضحك وأنت في جنازة والله لا أكلمك أبدا ونظر عبد الله بن ثعلبة الى رجل يضحك في جنازة مستغربا فقال أتضحك ولعلك قد أخذت أكفانك من القصار وفي الحديث كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء المؤمن (قوله تبخترتم) أي تعظمتم وأظهرتم الاعجاب في مشيكم (الجوائز) الصلات وهم يظهرون في أحسن الثياب عند الملوك لكثر لهم العطاء (أعرضتم) تنحيتم وهو من العرض كأنك اذا لقيت من تكره استقبلته بعرضك أي بجانبك (النوادب) النوائح اللواتي يندبن الميت أي يبكينه فيقول أعرضتم عن الباكيات حين عددن خصال الميت المحمودة ولم تفكروا في تلك الحال (اعداد) أي استعداد (المآدب) المطاعم للاعراس (تحرق) توجع (الثواكل) الفاقدات لاحبابهن و(التأنق) التحسين وقد

اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وتضحكم عند الدفن ولا تضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبخترتم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو

تأنق فى الشئ اذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه (بال) دارس متغير يريد الميت (ببال) بفكر وخاطر (الجمام) الموت وأصله القدر وهو من حمّ أى قدر وذات الشئ نفسه وحقيقته (مسالمة) متاركة ومصالحة، أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت وقال الالبيرى فى معنى ما تقدّم

كم آمن للمنون لاه * عن الردى بات مطمئنا

صبحه وافد المنايا * فعاين الموت حين عنا

حتى اذا ما قضى بكاه * حميمه معولا مرنا *

واروه فى لحده وسنوا * عليه قيد التراب سنا

وانتهبوا ماله وشنوا الـ * غارات فيما حواه شنا

لمثل هذا فكن معدّا * ما قد أعدّ الهداة منا

وارتقب الموت فهو حتم * يخترم الطفل والمسنا

(قوله كلا) زجر أى ليس الامر كما ظننتم وقوله (أيا من يدّعى الفهم * الى كم يا أخا الوهم) يسمى هذا من أنواع الشعر المسمط أى المفصل مأخوذ من السمط وهو سلك الجوهر اتصل بالزمرد والذهب وغير ذلك (الوهم) الغلط (الجم) الكثير وعلى قوله * وتخطى الخطأ الجم * ذكر الحريرى فى الدرّة ان قول الخواص أخطأ المرء يأتى بالذنب متعمدا تحريف للفظ والمعنى ولا يقال أخطأ الا لمن لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد ولم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وانما أوجب له الاجر على اجتهاده اصابة الحق الذى هو نوع من انواع العبادة لا على الخطا الذى يكفى صاحبه أن يعذر فيه ويرفع مأثمه عنه والفاعل من أخطأ مخطئ والاسم الخطأ قال الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ وأما المتعمد فيقال فيه خطئ فهو خاطئ والمصدر خطء قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا والاسم منه الخطيئة ويقع على الصغيرة قال الله تعالى أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين اخبارا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى الكبيرة كقوله تعالى وأحاطت به خطيئته الآية قال أبو محمد الحريرى ولى فى تضمين هاتين اللفظتين وتخصيص معنييهما المتنافيين

لا تخطون الى خطء ولا خطا * من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا

فأى عذر لمن شابت مفارقه * اذا جرى فى ميادين الهوى وخطا

وهذه التفرقة منه مستحسنة وكذا يقع فى أكثر كلامهم وأما على القطع فلا لانه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد فى الجمهرة ان العرب تقول خطئت الشئ أخطؤه خطأ وخطئنى وأخطأته خطأ فى معنى واحد قال

والناس يلحون الامير اذا هم * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

(أما) حرف استفتاح واخبار (بان) ظهر (أما أنذرك الشيب) سيأتى مستوفيا وقال فى الشيب الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله

ذهب الشباب بجهله وبعاره * وأتى المشيب بحلمه ووقاره

شتان بين مبعد من ربه * بغروره ومبشر بجواره

بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هاذم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد

أيا من يدعى الفهم
الى كم يا أخا الوهم

تعبى الذنب والذم
وتخطى الخطأ الجم

أما بان لك العيب
أما أنذرك الشيب

مازلت أمرح بالشباب جهالة * كالطرف يمرح معجبا بعذاره
وسحبت أثواب البطالة لاهيا * وجررت من بطر فضول ازاره
حتى تقلص ظله فتكشفت * عوراته وبدا قبيح عواره
لم أحظ منه بطائل غير الاسى * وتندمي على أوزاره
والآن قد خط المشيب بمفرقي * بمواعظ والحق في تذكاره
والنفس تركب غيها الاترعوى * عنه ولا تصغى الى انذاره
لهفي على عمر تزمضيعا * محصى على بليله ونهاره

* كان شاب في بني اسرائيل عبد الله عشرين سنة وعصاه عشرين سنة فنظر يوما في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع صوتا من زاوية البيت أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك قال ابن وضاح اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح ابليس على وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح أبدا وأنشدوا

واذا مضى للمرء من أعوامه * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
ركدت عليه الحزبات وقلن قد * أرضيتنا فأقم لذا لاتبرح
واذا رأى ابليس غرة وجهه * حيا وقال فديت من لم يفلح

وقال آخر

تلاحظني المنية من قريب * وتلحظني ملاحظة الرقيب
وتنشر لي كتابا فيه طي * بخط الدهر أسطره مشيبي
كتاب في معانيه غموض * تلوح لكل أواب منيب
أزال الله ياصاحي شبابي * فعوضت البغيض من الحبيب
وبدلت التكاسل من نشاطي * ومن حسن النضارة بالشحوب
كذاك الشمس يعلوها اصفرار * اذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كاف هنا في ذكر الشيب (قوله ريب) شك (أما أسمعك الصوت) الصوت هنا النياحة على الميت و(الفوت) بعد الشئ * الاحتياط من الحوطة وهي الوقاية (تسدر) تتحير (تختال) تتكبر (الزهو) الكبر (عم) شمل ولابي العتاهية في معناه

حتى متى ذو التيه في تيهه * أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم * وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به * فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه * من ليس يرجوه ويخشاه

(ولمحمد بن حازم)

فيا شامخا أقصر عنانك مقصرا * فان مطايا الدهر تكبو وتعثر
ستقرع سنا أو تعض ندامة * يديك اذا خان الزمان وتبصر
ويلقاك رشد بعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والامر مدبر

(قوله تجافيك) أي تباعدك من فعل الخير (ابطاء) تأخر (تلافيك) تداركك (طباعا) أخلاقا

وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صم
أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو
وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو
كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك
وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم
اذا أسخطت مولاك
فما تقلق من ذاك

يريد أن اخلاقك قد جمعت فيك عيوبا انضم عليك شملها (أخفق) خاب (مسعاك) طلبك ومشيك في اكتساب الرزق (تلظيت) احترقت واشتعلت وهو تفعلت من اللظى (الاصفر) الدينار ونقشه الكتاب الذي فيه (تهتش) تخف وتهتز طربا (تغاممت) أظهرت الغم (ولاغم) أي ليس عندك غم على الحقيقة كان أبو الدرداء رضي الله عنه اذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحي فانا غادون * أبو عمرو بن العلاء قال جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه ودع أمامة حان منك رحيل * ثم طلعت جنازة فامسك وقال شيبتني هذه الجنازة قلت فلم تساب الناس قال يبدؤني ثم لا أعفو وأعتدي ولا أبتدي

ثم أنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة هجمة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

(وقال آخر)

وتعد كثرة من يموت تعجبا * عما قريب سوف تدخل في العدد

وأراك تحملهم ولست تردهم * وكأنني بك قد حملت ولا ترد

(قوله تعاصى الناصح البر) أي تعاصى من ينصحك ويبرك (تعتاص) تتصعب وهو تفتعل من العصيان على القلب (ترور) تنقبض (غر) خدع (مان) كذب و(نم) مشى بالنميمة (الرمس) القبر (لاحظك الحظ) نظرك السعد (طاح بك) أذهبك وأهلكك واللحظ النظر بمؤخر العين وقد لحظه لحظا ولاحظه ملاحظة وكله من اللحاظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ و(جلا) كشف (تذرى) تصب وترسل متفرقا * أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فلو أن السفن أجريت في دموعهم لجرت (لاجع) أي لا قبيل ولا عشير يحميك ولا يمنعك يوم القيامة (بقى) يمنع (عرصة الجمع) موضع اجتماع الناس في الحشر (تحط) تنزل (اللحد) حفير في جانب القبر (وتغط) تنضم وتنقبض يقال غططته في الماء اذا أغرقته فيه وغمسته (أسلمك الرهط) تركك قومك (سم) عين الابرة يريد ضيق القبر على الميت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ وعن أنس رضي الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه قلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا فم ذلك قال ذكرت ضغطة بنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين (قوله ينخر) أي يبلى و(العود) تابوت الميت و(رم) بلي قال الفضيل يهوى الى ان ينخر العود أي الى ان يبلى الجسم الناعم الذي هو مثل القضيب وقال الالبيري

كأني بنفسي وهي في السكرات * تعالج ان ترقى الى اللهوات

وقد زم رحلي واستقلت ركائبي * وقد آذنتني بالرحيل حداتي

الى منزل فيه عذاب ورحمة * وكم فيه من زجر لنا وعظات

ومن أعين سالت على وجناتها * ومن أوجه في الترب منعفرات

وان أخفق مسعاك
تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش
من الاصفر تهتش
وان مر بك النعش
تغاممت ولا غم
تعاصى الناصح البر
وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم
وتسعى في هوى النفس
وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ
لما طاح بك اللحظ
ولا كنت اذا الوعظ
جلا الاحزان تغتم
ستذرى الدم لا الدمع
اذا عاينت لا جمع
بقى في عرصة الجمع
ولا خال ولا عم
كأني بك تنحط
الى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط
الى أضيق من سم
هنالك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود
ويمسي العظم قد رم

وكم وارد فيه على مايسره * وكم وارد فيه على الحسرات

(قوله اعتد) أى استعد روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء التقادع التهافت كأن كل واحد منهم يقدع صاحبه كى يسبقه (والجسر) بناء على النار يجاز عليه من جهة الى أخرى و (أم) قصد (مرشد) هاد (ضل) تحير (الخطب) الامر الشديد (طم) عظم (الغمر) الجاهل بالامور (والذى يحاويه المر) هو التوبة والاعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد (يهى) يضعف (أقلعت عن ذم) أى رجعت عن أمر مذموم وقال ابن عبد ربه بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يعدد اليك يدا

وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا

(قوله لا تركن) تقول ركنت الى فلان اذا اتخذته ركنا تلجأ اليه (تلفى) توجد (اغتر) انخدع (تنفث) تبصق عند لدغها (خفض) سكن (تراقيك) ارتفاعك وتكبرك (سار) ماش (والتراقى) العظمان المعوجان على الصدر (يشكل) يضعف وينقطع (ان هم) ان أراد له وهم بك وفى معنى هذا قول أبى نواس قال غانم الوراق دخلت عليه قبل وفاته بيوم فقال لى أمعك ألواحك قلت نعم قال اكتب

دب فى السقام سفلا وعلوا * وأرانى أموت عضوا فعضوا

ليس تمضى من لحظة لى الا * نقصتنى بمرها بى جزوا

ذهبت جدتى بطاعة نفسى وتذكرت طاعة الله نضوا

لهف نفسى على ليال وأيا * م تجاوزتهن لعبا ولهوا

قد أسأنا كل الاساءة فاللهم صفحا وغفرا وعفوا

(قوله نفس) أى وسع نفسه كأنه خنق فضاق نفسه فأمر بحله (أخى البث) صاحب الحزن (نث) نطق وكشف له سره (رم) أصلح وقد رممت الشئ رما أصلحته (الرث) الخلق (رش) اجعل له ريشا (المحص) انتتف ريشه تقول رشت الرجل أى أغنيته وأنميته (بما عم وما خص) أى بما كثر من العطية وقل (تأس) تحزن (على النقص) أى على النقصان فى الصدقة والمعروف ولا تكن أيضا حريصا على جمعه ومنعه ممن احتاج اليه و (اللم) جمع المال ولمست الشئ لما (الرذل) الردىء يريد عادا خلاق البخل أو الخلق السوء * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسىء الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق لانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه و (البذل) العطاء وبذلت الشئ بذلا أى أبحته عن طيب نفس و (العذل) اللوم أى من لامك على العطاء لا تسمعه وأعط واحسن ما قيل فى رد العذل على كثرته قول زهير

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله

بكرت اليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله

يفديته طورا وطورا يلمنه * وأعيى فما يدرين أين مخاتله

فأقصرن فيه عن كريم مرزأ * صبور على الامر الذى هو فاعله

(قوله نزهها) أى باعدها (عن الضم) أى عن ضم الاصابع على ما فى الكف يقول ابسط كفك

من العرض اذا اعتد
صراط جسره مد
على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل
ومن ذى عزة ذل
وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر
لما يحلو به المر
فقد كاد يهى العمر
وما أقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر
وان لان وان سر
فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك
فان الموت لاقيك
وسار فى تراقيك
وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد
اذا ساعدك الجد
وزم اللفظ ان ند
فما أسعد من زم
ونفس عن أخى البث
وصدقه اذا نث
ورم العمل الرث
فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص
بما عم وما خص
ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل
وعود كفك البذل
ولا تسمع العذل
ونزهها عن الضم

بالعطية ولا تقبضها على ما فيها شحا قال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق

وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما الفقد لك فى الاحشاء احراق

كانه قلب بيت ابن دريد فى رجل من أهل البصرة

يا من يقبل كف كل مخرق   هذا ابن يحيى ليس بالمخراق

قبل أنامله ولسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

أخذه ابن دريد من ابراهيم بن العباس الصولى يمدح الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل

وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

(وسرقه ابن الرومى فقال)

أصبحت بين خصاصة ومذلة * والمرء بينهما يموت ذليلا

فامدد الى يدا تعود بطنها   بذل النوال وظهرها التقبيلا

(وقال ابن عبد ربه)

وما خلقت كفاه الا لاربع   عقائل لم يعقل لهن ثوانى

لتقبيل أفواه واعطاء نائل   وتقليب هندى وحبس عنان

(قوله ودع ما يعقب الضير) أى دع عملك شيأ يجيئك فى اثره ضرر (المركب) السفينة هنا و(اليم) البحر (واللجة) معظم الما وجعل الميت كالمسافر وضرب له بالبحر مثلا لكثرة ما يرى من الاهوال فأمره بالاستعداد لذلك (ياصاح) ياصاحب (بحت) نطقت بسر دأن كل ما قدم من الوصية انما هو على وجه النصح كما وصى هو بها قبل ذلك وأراد بقوله صاح كل من يسمع وصيته لا صاحبا معينا (طوبى) شجرة فى الجنة وهى عندهم فعلى من الطيب (يأتم) يقتدى بها فى الظاهر يريد أنه من اقتدى بهذه الوصية طوبى له وهو يريد من حصل آداب المقامات كلها رأس (قوله حسر) أى كشف (ردنه) كمه (الاسر) الخلقة ومنه قوله تعالى وشددنا أسرهم أى خلقهم وهو من الاسار وهو القد الذى يشد به الاسير فشرك الجلد هى الاسار ويراد بها فى الخلقة العصب التى يشتبك بها الجسد وتلتئم بها الاعضاء واليها حكم حركة البدن من القيام والقعود فسبحان الذى أنشأ الخلقة كيف شاء (الاستماحة) الطلب استعالة من ماح الرجل يميحه اذا أعطاه وأصل ذلك من المائح وهو النازل فى قعر البئر ليغرف ماءها ويصرفه على دلاء المستقين وقد ماح البئر يميحها (الوقاحة) ترك الحياء وصلابة الوجه من الحافر الوقاح وهو الصلب ومعرضها موضع عرضها ونشرها وان كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة لبسه لان المعرض الثوب الذى تعرض فيه الجارية للبيع والوقاحة اظهار ذراعه صحيحا مشدودا عليه بخرق ليوهم من رآه أنه مكسور (اختلب) خدع واحتلب بالحاء حلب ما عندهم كما تحلب الشاة (الملأ) الجماعة (اترع) ملأ (انحدر) هبط والربوة لغة فى الرباوة التى تقدمت (جذلا) مسرورا (الحبوة) العطية (جاذبته) نازعته (مينه) كذبه (أفانيك) أنواع كذبك وحيلك (ينحاش) ينضم ويجتمع وحشة

وزود نفسك الخير
ودع ما يعقب الضير
وهيء مركب السير
وخف من لجة اليم
بذا أوصيت ياصاح
وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح
بآدابى يأتم
ثم حسر ردنه عن ساعد
شديد الاسر قد شد عليه
جبائر المكر لا الكسر
متعرضا للاستماحة فى
معرض الوقاحة فاحتلب
بها أولئك الملأ حتى أترع
كمه وملأ ثم انحدر من
الربوة جذلا بالحبوة
(قال الراوى) فجاذبته من
ورائه حاشية ردائه فالتفت
الى مستسلما وواجهنى
مسلما فاذا هو شيخنا
أبو زيد بعينه ومينه
فقلت له
الى كم يا أبا زيد
أفانينك فى الكيد
لينحاش لك الصيد

الصيد أحوشه اذا جئته من حواليه لتصرفه الى الحبالة (لا تعبا) أى لا تبالى من عبأت الحمل للبهل والخيل للحرب اذا استعددته واذا لم يبال بالشئ لم يستعدله (ارتياء) ابطاء وهو افتعال من رؤية القلب التى معناها التدبر والتفكر وأصل بابه الهمز فنقلها لمكان همزة اللام يقول أجاب من غير فكرة (يقمر) يغلب وتقول قامرت الرجل قمارا فقمرته أقمره أى غلبته (دسته) أى حملته والدست الذى يكون الك فيه الغلب فى الشطرنج تقول الدست لى والدست على ومن ألفاظ عامة المشرق أن يقول الرجل لصاحبه هل تأخذ دستا (ثم) كمل (قوله زاملة) أى حاملة والزاملة الدابة يحمل عليها (طلاوة علانيتك) أى حسن ظاهرك (خبث نيتك) فساد باطنك وفى معنى هذا قال لقمان لابنه احذر واحذر وهى أهل الصدر ايالك أن ترى انك تخشى الله وقلبك فاجر يحذره من الرياء وفى الحديث من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقيل لرجل مراء ما أحسن صلاتك قال ومع هذا فانى صائم قال الشاعر

وإذا أظهرت شيأ حسنا   فليكن أحسن منه ما يسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(وقال محمود الوراق لابن أخيه)

تصوف كى يقال له أمين * وما معنى التصوف والامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه

(وقال فيه أيضا)

شمر ثيابك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاء بثوم
وعليك بالثورى فاجلس عنده * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وقال الابيض الالبيرى)

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يصبح فى الظلام العاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال آخر

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أى سؤال

(قوله مفضض) مطلى بالفضة (والكنيف) المستراح (ذات) جهة وناحية (ناوحت) قابلت (مهب) ناحية هبوبها (الجنوب) الريح القبلية و(الشمال) ٣ الجنوبية

(شرح المقامة الثانية عشرة وهى الدمشقية)

(شخصت) أى خرجت (العوطة) موضع بالشأم خصيب بخارج دمشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الشأم فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الشأم وفسطاط المؤمنين بارض منها يقال لها العوطة قال الاصمعى أحسن أنهار الدنيا ثلاثة أنهار العوطة

ولا تعبا بعين ذم
فاجاب من غير استحياء
ولا ارتياء وقال
تبصر ودع اللوم
وقل لى هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم
متى مادسته ثم
فقلت له بعدا لك يا شيخ النار
وزاملة العار فما مثلك فى
طلاوة علانيتك وخبث
نيتك الامثل روث
مفضض أو كنيف مبيض
ثم تفرقنا فانطلقت ذات
اليمين وانطلق ذات الشمال
وناوحت مهب الجنوب
وناوح مهب الشمال
(المقامة الثانية عشرة
الدمشقية)
حكى الحرث بن همام قال
شخصت من العراق الى
العوطة

٣ قوله الجنوبية كذا بالاصل ولعل الصواب مقابل الجنوب أو مقابل الجنوبية اه مصححه

وسمر قنسدونهر الابلة وهو قريب من البصرة وحشوشها ثلاثة عمان وأردبيل وهيت وسميت دمشق باسم صاحبها الذى بناها وهى ارم ذات العماد وقال اليعقوبى مدينة دمشق جليلة المقدار قديمة وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والاسلام وليس لها نظير فى جميع بلاد الشأم فى أنهارها وبساتينها ومبانيها وكثرة عمارتها وافتتحت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة وقال شيخنا ابن جبير مدينة دمشق هى جنة المشرق ومطلع حسنه المونق وعروس المدن قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين وحلت من وضع الحسن بمكان مكين وتجلت فى منصتها بأجمل تزيين وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل ينساب انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض تحيى النفوس بنسيمها العليل تبرز لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم ألا هلموا الى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت أرضها كثرة المياه حتى اشتاقت الى الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الاكمام للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظته بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد النظر ولقد صدق القائلون عنها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك منها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها وقال فيها البحترى

اذا أردت ملأت الطرف من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * ويانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد وقدته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

(قوله جرد) أى خيل قصيرة شعر الجسد (جدة) غنى (مغبوطة) محسودة أراد مغبوط عليها مالكها فقلب (يلهينى) يدعونى الى اللهو (خلو الذرع) فراغ البال والصدر من الهم (يزدهينى) يحملنى على الزهو (حفول الضرع) كثرة المال والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدى للمرأة وحفوله امتلاؤه باللبن (شق) مشقة (انضاء) اهزال و(العنس) الناقة القوية (الفيتها) وجدتها (النوى) البعد والانتقال من بلد الى بلد وأراد أنه شكر سفره (ويد النوى) النعمة التى أنعم بها عليه بأن أوصله الى الغوطة (الهوى) ماتهواه النفس وتشتهيه (طفقت) أخذت (أفض) أكسر (ختوم) ربوط يريد أن شهوته التى كانت قد شدت وربطت أخذ يكسر ختومها ويسرحها فى المآكل والمشارب واللذات (اجتنى) أجمع جناه (قطوف) ما يجنى من الثمار وجعله للذات اتساعا (شرع) أخذوا بتدأ من شرعت الدابة فى الماء اذا دخلته لتشرب (سفر) مسافرون (الاعراق) المشى الى العراق (أشفقت) خفت (الاغراق) الفقر من أجل الزاد والمأكل وكأنه غرق فى ذلك فهو يرجع الى الغرق والاغراق المبالغة فى الشئ يقال أغرق الرجل فى القول والرمى بالقوس اذا بالغ فيهما (عادنى) زارنى (عيد) شوق وكل ما تذكرته واشتقت اليه عيد كأنه عاد الى قلبه بعد نسيانه وتقل لنفظ الشاعر

عاد قلبى من الطويلة عيد * واعترانى من حبها تسهيد

وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهينى خلو الذرع ويزدهينى حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس ألفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض فيها ختوم الشهوات وأجتنى قطوف اللذات الى أن شرع سفر فى الاعراق وقد أشفقت من الاغراق فعادنى عيد من تذكار الوطن

*ابن الانبارى العيد هنا الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق وقال تأبط شرا

يا عيد مالك من شوق وابراق * ومرّ طيف على الاهوال طراق

العيد ما يعتاد من الحزن والشوق ومعنى مالك من شوق ما أعظمك من شوق (الحنين) الشوق (العطن) مبارك الابل حول الماء وأراد به بلده (قوضت) هدمت (خيام) بيوت (الاوبة) الرجوع وأراد قطعت أسباب الاقامة (استتب) تهيأ وأقام (الخنا) خفنا (الخفير) المجير وهو الذى يمشى الرفاق فى ذمته وتسميه العامة الغفير (ردناه) طلبناه (أعوز) عدم الاحياء الاول القبائل والثانى ضد الموتى (حالت) تغيرت (لعوزه) لفقده (عزوم) جمع عزم وهو الجلد (السيارة) الرفقة وهى فعالة من السير (اشتدوا) اجتمعوا (باب جيرون) من أبواب جامع دمشق وجيرون هذا هو جيرون بن سعد بن عاد وهو الذى بنى دمشق ونقل اليها الرخام وسماها ارم وعلى هذا نقلة الاخبار ان ارم ذات العماد هى دمشق يقال انه كان فيها أربعمائة ألف عمود وقد تقدم أيضا ان دمشق سميت باسم بانيها وهو دماشق بن نمرود بن كنعان وقيل بانيها دمشق بن عابر بن ملك بن أرفخشذ بن سام بن نوح قال اليعقوبى جامع دمشق ليس فى الاسلام أحسن منه بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين مفروش بالرخام الابيض المختم بالازرق وسقفه لا خشب فيه مذهب كله ومنائره ثلاث الواحدة فى مؤخر المسجد مذهب كلها من أعلاها الى أسفلها وذكر شيخنا ابن جبير فى وصف هذا الجامع ووصف دمشق غرائب لا يتسع لها هذا الكتاب فلنلم هنا ببعض ما وصف فى هذا الجامع لنفى بشرطنا قال هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ومن عجيب شأنه أنه لا يلم به نسج العنكبوت ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف انتدب لبنائه الوليد ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثنى عشر ألف صانع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد فى ذلك ان توقف فامتثل أمره مذعنا فشرع فى بنائه وبلغ الغاية فى التأنق فيه وأنزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه صالح النصارى لما دخلها بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى فصيره مسجدا وبقى النصف الغربى للنصارى فأخذه الوليد وأدخله فى الجامع بعد أن رغب اليهم أن يعوضهم عنه فأبوا فأخذه قهرا وكانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون فأكملوا هدمها ثم أرضاهم عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعه مائتا خطوة وهى ثلثمائة ذراع وذرعه فى السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وتكسيره بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم غير أن طوله من القبلة الى الشمال وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامة البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها ثمانية أرجل تتخللها

والحنين الى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد الاوبة ولما تأهبت الرفاق واستتب الاتفاق ألخنا من المسير دون استصحاب الخفير فردناه من كل قبيلة وأعملنا فى تحصيله ألف حيلة فأعوز وجدانه فى الاحياء حتى خلنا أنه ليس من الاحياء فحارت لعوزه عزوم السيارة واشتدوا بباب جيرون

واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذى يلى الصخرة وأربعة أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالا غريبة قائمة فى البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنتان وسبعون شبرا ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سعته عشر خطا عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلا والباقى سوار وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص وأعظم مافيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهى سامية فى الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد أغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء كأنها معلقة فى الجو وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلى ويتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لاتبلغ العبارة تصورها ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله قد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سواريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان لم يرشيء أجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهى أول مقصورة وضعت فى الاسلام طولها أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها بجهة الغرب المقصورة الى أحدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهى أكبر والثالثة بالجانب الغربى يجتمع الحنفية فيها للتدريس وله أربعة أبواب باب قبلى يعرف بباب الزيادة وباب شمالى يعرف بباب الناطفين وباب غربى يعرف بباب البريد وباب شرقى يعرف بباب جيرون وهو أعظمها وله وللغربى دهاليز متسعة يفضى كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها ثم ذكر فى الصحن عجائب من الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيه مايطول وصفه واختصاره أنه قال هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه مجتمع أهل البلد ومفترجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من باب جيرون الى باب البريد لايزالون على هذه الحالة الى انقضاء صلاة العشاء الاخيرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ فهذا دأبهم أبدا بالعشى والغداة والاحفل بالعشى وأهل البطالة يسمونهم الحراثين * وللجامع أربع سقايات فى كل جهة سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون وذكر أن حول باب جيرون من الابنية الغريبة مايطول وصفه وذكر باب جيرون فقال يخرج من دهليزه الى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة فى جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهى كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبى الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز وفوقها سطح يبيت فيه سكان الحجر والبيوت وفى وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام وفى وسط الحوض أنبوب صفر تزعج الماء بقوة فيرتفع فى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمى الماء علوا فتخرج

منها

منها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائسة ومنظرها أبدع من أن يوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فمنذ انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدّان أعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة ويغلق الباب تلك الساعة بلوح أصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى مرضعه وهي التي تسمي الميقاتة ثم ذكر في باب جيرون وفي الجامع وفي خارج البلد عجائب ليس من شرطنا وانما ذكرنا منها مادعت اليه الحاجة من ذكر باب جيرون (قوله الاستخارة) أي طلب الخيرة واستخرت الله سألته أن يهب لي الخيرة (شزر) عقد (سحل) حل وشزرت الحبل شزرا شددت فتله وسحلت النسج سحلا أفردت سداه ولم تفتله (نند) ثم وفرغ (النناجي) المحدث سرّا (قنط) يئس (الراجي) الطامع (حذتهم) قريبا منهم تقول داري حذوه وحذوته وحذته أي حذاءه (ميسمه) علامته وأصل الميسم الموسم لانه من وسمت الشيء فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ماقبلها (لبوسه) ثيابه (الرهبان) العباد والترهب ترك النساء (سبحة) خيط ينتظم فيه خرز يعدّ به التسبيح وكانت لابي هريرة رضي الله عنه سبحة من النوى المجزع وهو الذي حك حتى اختلف لونه وفرغ من سبحته أي من صلاته وما يتبعها من الذكر (ترجمة) علامة (النشوان) السكران (قيد لحظه) ربط نظره أي شخص فيهم (أرهف) أحدّ (آن) حان وقرب ويروى ناء مقلوب آن (انكفأوهم) انقلابهم ورجوعهم (برح) انكشف (خفاؤهم) سرهم (ليفرخ كربكم) ليزل ويسكن ومثل العرب أفرخ روعك ومعناه انجلي وانكشف كما ينكشف مافي البيضة اذا انشق عن الفرخ وقيل معني أفرخ ذهب وقال الفارسي في التذكرة معني أفرخ روعك صار له فرخ واذا أفرخ الطائر طار لانه فارق الحضن وهذا قول حسن وقال عروة بن مضرس أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلي الصبح فقلت يارسول الله طويت الجبلين ولقيت شدّة فقال أفرخ روعك من أدرك افاضتنا هذه فقد أدرك الحج وقال الاخطل يصف الثور والكلاب

حتى اذا ما الثور أفرخ روعه ... وأفاق أقبل نحوها يتذمر

أضما وهزلهن روقي رأسه ... أن قد أتيح لهن موت أحمر

فقوله أفاق بعد أفرخ روعه يدل على أنه أراد ذهب فزعه وزال ويتذمر يحض نفسه على الاقدام يقال ذمرته اذا حضضته وأضما أي غضبان والموت الاحمر مذكور في المقامة بعد هذه (قوله كربكم) أي همكم (سربكم) أي جمعكم أي تأمنوا في نفوسكم (سأخفركم) سأجيركم

للاستخارة فقازال وابن عقد وحل وشزر وسحل الى أن نند النناجي وقنط الراجي وكان حذتهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح له خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما

يسرو روعكم ويبدو طوعكم (قال الراوى) فاستطلعنامنه طلع الخفارة وأسنيناله الجعالة عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنهافى المنام ليحترس بها من كيد الانام فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له أنا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال مابالكم اتخذتم جدّى عبثا وجعلتم تبرى خبثا ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار وولجت مقاحم الاخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم انى سأنفى مارابكم واستسل الحذر الذى نابكم بأن أوافقكم فى البداوة وارافقكم فى السماوة فان صدقكم وعدى فاجدّوا سعدى وأسعدوا جدّى وان كذبكم فمزقوا أدمى وأريقوا دمى (قال الحرث ابن همام) فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق مارواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته

(يسرو) يكشف ويزيل (روعكم) فزعكم (يبدو) يظهر (طوعكم) منقادالكم وأراد سأجيركم بشئ يزيل عنكم الفزع ويكون منقادالكم وذلك الشئ هو الكلمات التى يأتى بها (استطلعنا منه طلع الخفارة) أى استخبرناه عن خبر الاجارة قال ابن الانبارى معنى السفارة فى كلامهم الاصلاح والسفير المصلح قال الشاعر

وماأدع السفارة بين قومى ، وماأمشى بغش ان مشيت

(وأسنيناله الجعالة عن السفارة) أى كثرناله العطاء ليدلناعلى المجير وان يكون رسولا بيننا وبينه ويمكن ان تكون السفارة فعالة من لفظ السفير فيكون اسما للحرفة كالتجارة والخياطة (لقنها) حفظها (ليحترس) ليمتنع (يومض) يشير (لحظ) نظر بطرف عينيه (غض) كسر النظر أى جعلوا يتغامزون عليه استضعافا لخبره (استشعرنا الخور) أى ظهر علينا الفزع والضعف من كلامه (العبث) اللعب (تبرى) ذهبى والتبر كل مالم يصنع من الجواهر من نحاس وغيره (خبثا) فاسدا (جبت) قطعت (مخاوف) مواضع الخوف (الاقطار) نواحى الارض (ولجت) دخلت (مقاحم) مهالك والقحمة الامر العظيم لايركبه أحد لهوله (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (جفير) جعبة السهام (رابكم) شككم (استسل) أزيل (الحذر) الخوف (نابكم) قصدكم (أوافقكم) أساعدكم وأمشى معكم مصاحبالكم (أرافقكم) أسافر معكم والرفيق الصاحب فى السفر (السماوة) مفازة بين الشأم والعراق وسماوة كل شئ شخصه وبذلك سميت السماوة لانها منازل ثمود وفيها الى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم (أجدّوه) ردوه ذاجد وهو السعد والحظ والمعنى أنه يقول ان كان سعدى قليلا فاجدّوه أى كثروا حظه بعطيتكم حتى يعود صاحبه كثير السعد وكذلك يقدّر (أسعدوا جدى) فيريد ان صدقكم وعدى وسلمتم فهبوالى من أموالكم مايتقوى به سعدى الضعيف ويكثر حظى القليل ويقال أيضا أجدّ الشئ اذا صيره جديدا (مزقوا) قطعوا (أدمى) جلدى (اريقوا) صبوا (ألهمنا) أى ألقى فى قلوبنا (نزعنا) أقلعنا (مجادلته) مخالفته (استهمنا) ضربنا السهام وتخاطرنا على من يركب معه رفيقا و(معادلته) الركوب معه فى المحمل وهو ان يركب هذا فى الايمن وهذا فى الايسر مأخوذة من العدل * ونذكر هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بيانا كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكاف وكان عجيب الصورة والحديث فقال المعتصم لابن حماد اذهب الى ابن الجنيد وقل له يتهيأ ليزاملنى فأتاه فقال له تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة فقال كيف أتهيأ لها أصيب رأسا غير رأسى اشترى لحية غير لحيتى قال ابن حماد شروطها الامتاع بالحديث والمذاكرة والمنادمة وأن لاتبصق ولاتسعل ولاتمخط ولاتنحنح وأن تتقدم فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك فى النزول فتى لم يفعل هذا المعادل كان مثقلة الرصاص التى يعدل بها القبة واحدا فقال لابن حماد اذهب قل له مازاملك الامن أمه زانية فرجع الى المعتصم وأعلمه فضحك وقال على به فلما جاء قال ياعلى أبعث اليك أن تزاملنى فلاتفعل فقال له ان رسولك هذا الارعن جاءنى بشروط حسان السامى وخالويه الحاكى فقال لاتبصق ولاتعطس وجعل يقرقع بصاداته وهذا لاأقدر عليه فان رضيت أن أزاملك فاذا جاءنى الفساء والضراط فسوت وضرطت والافليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال نعم زاملنى على هذه الشروط فسارا ساعة

وقصمنا بقولهم العرا الربائث والغينا اتقاء العابث ولما عكمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلماته الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيى الرفات ويا دافع الآفات ويا واقى المخافات ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولىّ العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذنى من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرنى اللهم من جور المجاورين ومجاورة الجائرين وسطوة الجبارين وكف عنى أكف الضائمين وأخرجنى من ظلمات الظالمين وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين اللهم حطنى فى تربتى وغربتى وغيبتى وأوبتى ونجعتى ورجعتى وتصرفى ومنصرفى وتقلبى ومنقلبى واحفظنى فى نفسى ونفائسى وعرضى وعرضى وعددى وعددى وسكنى ومسكنى وحولى وحالى ومالى ومآلى ولا تلحق بى تغييرا ولا تسلط على مغيرا واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسنى بعينك وعونك واخصصنى بأمنك ومنك وتولنى باختيارك وخيرك ولا تكلنى الى كلاءة غيرك وهب لى عافية

فلما توسط البر قال يا أمير المؤمنين قد حضر ذلك المتسامح قال ذلك الدبث قال يحضر ابن حماد فحضر فناوله كمه فقال أجد فى كمى دبيب شئ فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكنى أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا ويقول لابن حماد قلت لى لا تسعل أو لا تمخط نخريت عليك ثم قال قد نضجت القدر وأريد أخرأ فأخرج المعتصم رأسه من العمارية حين كثر عليه الضحك وصاح ويلك يا غلام الارض الساعة أموت (قوله قصمنا) أى قطعنا وحللنا و(العرا) عيون من شريط أو غيره يشد بها فم الخرج أو العدل واحدها عروة و(الربائث) العلق واحدها ربيثة وهو ما يثبط الانسان ويحبسه عن أمر يريده وقد ربثتك عن الامر ربثا وتربثت أنا تربثا اذا ثبطت (الغينا) اطرحنا (اتقاء) خوف (العابث) الذى يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها والعابث المفسد ويقال عبث بفتح الباء عبثا خلط وبكسرها عبثا لعب واستخف * وعاث عيثا أفسد (عكمت الرحال) أى شدت الاحمال بالعكام والعكام ما يشد به فم العكم وهو العدل وقيل ان أصل العكام كمامة تربط على فم البعير ومثله البجام يستعار لما اشتد به المتاع ويقال عكمت المتاع عكما شددته فى العكم أو شددته بالعكام وعكمت البعير شددت عليه العكم أو ربطت العكام على فمه وأعكمتك أعنتك (أزف) دنا وقرب (استنزلنا) طلبنا منه انزالها أى تلطفنا به ليذكرها (الراقية) الرفيعة من رقى فى الدرجة أو المعوذة لنا من رقيت المريض وهو أشبه لموافقها لمعنى (الواقية) وهى الكافية لما يخاف من الشر (أظل) الامر قرب ودنا كأنه ألقى عليك ظله (الملوان) الليل والنهار و(الخاضع) الذليل وخضع خضوعا أقر بالذل و(الخاشع) المتواضع وخشع خشوعا خفض صوته ورمى ببصره الى الارض والخضوع قريب منه الا أن أكثر ما يستعمل الخشوع فى الصوت والخضوع فى الاعناق (الرفات) العظام البالية (الآفات) المضرات (المكافاة) المجازاة (موئل) ملجأ (العفاة) جمع عاف وهو سائل العفو (ولىّ العفو) صاحب المغفرة و(المعافاة) المباعدة من الضرر وقد عافاه مما يكره وأعفاه (أنبائك) أخبارك والنبأ الخبر (أسرته) رهطه وأراد بالمصابيح المهاجرين وبالمفاتيح الانصار (أعذنى) أجرنى (النزغات) الافساد نزغ الشيطان بين القوم أى أفسد ذات بينهم والشيطان البعيد من الخير من قولهم دار شطون أى بعيدة ونوى شطون قال النابغة * نأت بسعاد عنك نوى شطون * وقال نابغة بنى شيبان فاضحت بعدما وصلت بدار * شطون لا تعاد ولا تعود (نزوات) وثوب وقد نزا نزوا ونزوّا اذا وثب ونزا على الشئ ارتفع (اعنات) مشقة (الباغين) (المتعدّين) وقد بغى عليه بغيا تعدى عليه (معاناة) معالجة ومقاساة (الطاغين) المسرفين فى الظلم والمعاصى و(العادين) المتجاوزين الحد فى الظلم (غيل) جمع غيلة وهى الهلاك (والمغتال) المهلك (أجرنى) أمنى (سطوة) بطش وتهديد (الضائمين) المذلين (قوله اللهم حطنى فى تربتى) أى احفظنى فى بلدتى (أوبتى) رجعتى (نجعتى) سفرى فى طلب الرزق (نفائسى) كرائم مالى (عرضى) نفسى (وعرضى) مالى (عددى) أهلى (عددى) آلاتى وما أستعده (سكنى) أهلى (حولى) قوتى (حالى) بالى (مآلى) مرجعى (منك) احسانك (تولنى) كن لى وليا (تكلنى) تحوجنى (كلاءة) حفظ وحراسة و(عافية) عيش سالم من الآفات، أبو الدرداء

رضى الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء وما أعد الله لصاحبه من الثواب اذا صبر وذكر العافية وما أعد الله لصاحبها من الثواب اذا شكر فقلت يا رسول الله أعافى فأشكر أحب الى من ان أبتلى فاصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحب معك العافية (غير عافية) أى غير دارسة (رفاهية) غنى متسع (واهية) ناقصة ضعيفة (مخاشى) ما يخشى ويخاف (اللأواء) الشدة (اكفنى) استرنى (غواشى) أى ما يغشى به أى يتغطى (الآلاء) النعم (أطرق) أى نظر الى الارض ساكتا وقد فسر قوله أطرق بقوله (لايدير لحظا ولا يحير لفظا) فيدير لحظا يجيل نظاره فى الجهات الاربع ويحير لفظا يرد كلاما (الغشية) أن يغشى على عقله (أقنع) رفع (صعد) جعلها تصعد أى ترتفع (الابراج) أى منازل القمر (الفجاج) أى المسالك واحدها فج والفج الطريق الواسع فى الجبل وقيل هو المتسع بين مرتفعين وقيل هو الفتح بين الشيئين (الثجاج) السيال الكثير الصب (السراج) الشمس (الوهاج) الوقاد المتلألئ وهو من وهج النار وهو اتقادها وحرها (العجاج) المصوت لاضطراب أمواجه (الهواء) ما بين السماء والارض (والعجاج) الغبار (والعوذ) الرقى (أغنى) أجزأ وأكفى والغنى الكفاية وأغنى فلان مغنى فلان أى كفاه الحضور وقام مقامه (والخوذ) بالخاء المهملة الدرع وبنقط الخاء بيض السلاح (ابتسام الفلق) ظهور الفجر (نشفق) يخاف (خطب) أمر شديد (الشفق) الحمرة بعد غروب الشمس (ناجى) تكلم بها سرا (طليعة الغسق) أول طلوع الظلام (تلقناها) أى فهمناها (أتقناها) أحكمناها (تدارسناها) الدرس فى كلامهم الرياضة والتذليل وطريق مدروس كثر مشى الناس فيه فذللوه وأثروا فيه فمعنى درس القرآن أو الدعاء ذلل لسانه وراضه ونصل هذا الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق اذا صحب الداعى به الاخلاص والتضرع بأدعية ينتفع بها ان شاء الله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الحضر اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن سوء المنظر فى الاهل والمال والولد وقالت أم سلمة رضى الله عنها من خرج فى طاعة الله تعالى فقال اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكنى خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو وتصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف استجيب له باذن الله تعالى وقالوا كلمات الفرج عند الكرب لا اله الا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال جعفر بن محمد لسفيان الثورى اذا كثرت همومك فأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واذا درت عليك النعم فاكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عليك الرزق فاكثر من الاستغفار ومن قال فى ليل أو نهار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم لم يضره شئ ومن قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ليلا أو نهارا أمن مما يخاف ومن قال سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن من كل غم وجذام وبرص وفالج ومن قال باسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء

الله

غير عافية وارزقنى رفاهية غير واهية واكفنى مخاشى اللأواء واكنفنى بغواشى الآلاء ولا تظفر بى أظفار الاعداء انك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم أقنع راسه وصعد أنفاسه وقال اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج انها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسى الخوذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب الى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال فتلقناها حتى أتقناها وتدارسناها لكى لا ننساها ثم سرنا

الله كل نعمة من الله ماشاء الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها اذا أصبح أمن من الحرق والغرق ومن دخل على سلطان يخاف سطوته فقال الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من عبدك فلان وجوره وأشياعه وأتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك ثلاث مرات أمن من شره وقال المنصور للربيع على بجعفر قتلنى الله ان لم أقتله فلما مثل بين يديه حرك شفتيه ثم قرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطى فشكر وان أيوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر عليهم السلام وأنت على أثرهم وأحق من تأسى بهم فنكس المنصور رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال الى أبا عبد الله فأنت القريب القرابة وأنت ذو الرحم الواشجة والسليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه ثم قال عجلوا لابى عبد الله اذنه وجائزته وكسوته فلما خرج أمسكه الربيع وقال له رأيتك قد حركت شفتيك فاشحنى الامر وأنا خادم السلطان ولا غنى لى عنه فعلمنى اياه فقال نعم قلت اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بحفظك الذى لا يرام لا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره * ومن قال اذا سمع المؤذن رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا غفرت له ذنوبه * ومن دعاء الأعراب قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما من قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم وقال غيلان اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الاعراب وقال الاصمعى سمعت أعرابيا بفلاة من الارض يقول اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتى سعة رحمتك لعجز الهى كم تحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك يا من اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين قال وسمعت آخر يقول فى دعائه اللهم انى أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت اللهم أعذنى من سطواتك وأجرنى من نقماتك قال ودعت أعرابية لابن لها خرج مسافرا فقالت كان الله صاحبك فى السفر وخليفتك فى أهلك وأنجح طلبتك امش مصاحبا مكلوأ لا أشمت الله بك عدوا ولا أرى فيك لمحبك سوأ وهذا الباب كثير وانما ذكرنا من الادعية ما جرب واستحسن والله ينفع بها آمين * قال أعرابى يصف دعوة

وسارية لم تسر فى الليل تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط * بأوراقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لوفدها * اذا قرع الابواب منهن قارع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وانى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(قوله نزجى) أى نسوق (الحمولات) بفتح الحاء الابل وبضمها الاحمال (الحداة) خدمة الابل

نزجى الحمولات بالدعوات . لا بالحداة

بمنزلة المكارين للدواب (نحمى) نمنع (الكماة) الشجعان (يتعهدنا) يتفقدنا (يستنجز) يطلب احضار ما وعد به (عانة) بعين غير منقوطة قرية بالجزيرة كثيرة الاعناب وقال امرؤ القيس

من خمر عانة أو كروم شآم (واطلالها) آثارها يريد أنه لما أشرف على عانة قال لهم اعطونى ما أستعين به (المعلوم) الظاهر (والمكتوم) المستور (والمعكوم) المجعول فى عكم قال يعقوب العكم نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها أو يكون المعكوم المشدود بالعكام وقد تقدم آنفا (والمختوم) المطبوع عليه يريد أريناه أنواع أموالنا (استخف) استحقر (الخف) الخفيف (الهين) الهين (حلى) حسن (الحلى) ما يتحلى به النساء (والعين) الذهب والفضة يريد أنه استحقر الخفيف القدر الهين القيمة مثل الامتاع وشبهها فتركها واعجبه الحلى والذهب فحملهما أو يكون معنى استخف وجده خفيفا والخف والهين يريد الخفيف عليه حمله الهين عليه نقله يريد الذهب والجوهر ويكون قوله حلى بعينه وما بعده مفسرا ومؤكدا لاستخف وما بعده وهذا أشبه من الاول (وقره) حمله (ناء) نهض بثقل (خالسنا) سارقنا وتسلل عنا (الطرار) الذى يشق الجيوب ويستخرج ما فيها والطر القطع وقد طر طرا وطرة الشعر منه لانها مقطوعة من جملته منفصولة عنه والمنتهز الذى يختطف من يدك الشئ بسرعة (انصلت) انسل ولم يشعر به (والانصلات) سقوط السيف من الغمد و(القرار) هو الزاووق ويسمى الزئبق سمى قرارا لانه سريع السيلان لا يستقر فى موضع والفرار من كثر فراره (أوحشنا) اذهب انسنا (أدهشنا) حيرنا (امتراقه) خروجه مسرعا ومرق السهم خرج من القوس ومن الرمية (ننشده) نطلبه (مغوو هاد) مضل ومرشد (الحانة) بغير نقط بيت الخمار أو حانوته والحان والحانة هى الدسكرة التى ذكر وقال ابن شهيد فيه

يارب حان قد أدرت بديره * خمر الصبا مزجت بصفو خموره
فى فتية جعلوا الزقاق تكاهم * متصارعين تخشعا لكبيره
يهدى اليها الراح كل مصفق * كالخشف خفره التماح خفيره
والى على بطرفه وبكفه * فأمال من رأسى لعب كبيره
وترنم الناقوس عند صلاتهم * ففتحت من عينى لرجع هديره

(زايل) فارق (أغرانى) حثنى (سبكه) تجربيه (الانسلاك) الدخول (سلكه) شكله وانسلكت حبة اللؤلؤ جرت فى السلك وهو خيط النظام (أدلجت) مشيت بالليل (الدسكرة) بناء كالقصر حوله بيوت يسكنها الخمار والحشم قال الجعدى

ودسكرة صوت أبوابها * كصوت المراتج بالحوأب
سبقت صياح فراريجها * وصوت نواقيس لم تضرب
برنة ذى عتب شارف * .وصهباء كالمسك لم تقطب

المراتج البكرات والحوأب اسم ماء الفراريج الديوك عتب أوتار وشارف اسم العود شبهه بالشارف من الابل لانها أغن صوتا وأطربه قال متمم

اذا شارف منهن قامت فرجعت * حنينا فابكى شجوها البرك أجمعا .

(ممصرة) مصبوغة بالمصرة وهى العصفر قبل ان يوضع فيه الخل فلونها أصفر فاذا وضع فيها الخل

ونحمى الحولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشى والغداة ولا يستنجزنا العدات حتى اذا عاينا أطلال عانة قال لنا الاعانة الاعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فما تجد فينا غير راض فما استخف سوى الخف والهين ولا حلى بعينه غير الحلى والعين فاحتمل منهما وقره وناء بما يستدفقره ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات الفرار فأوحشنا فراقه وادهشنا امتراقه ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغو وهاد الى أن قيل انه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغرانى خبث هذا القول بسبكه والانسلاك فيما لست من سلكه فأدلجت الى الدسكرة فى هيئة منكرة فاذا الشيخ فى حلة ممصرة

احمر مايصبغ به وسمى معصفرا (والحلة) ثوبان ازار ورداء وسميت حلة لانها تحل على لابسها كما يحل الرجل على الارض (دنان) جمع دن وهو نوع من الخوابى طويل الاسفل ضيقه ويسمى الراقود وهذه الحالة التى وجد عليها الحريرى السروجى بعد ذلك الترهب الذى كان عليه فى أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفضل حكى الثعالبى فى يتيمته وقد ذكر القاضى التنوخى فقال هو أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم من أعيان أهل العلم والادب وأفراد ذوى الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأت فى فصل للصاحب ان أردت فانى سجة ناسك أو أحببت فانى تفاحة فاتك أو اقترحت فانى مدرعة راهب أو اخترت فانى نخبة شارب وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين وكان المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء يعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير اشعاره ناظم حاشيتى البر والبحر وناحيتى الشرق والغرب وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون اليه فى الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة منهم ابن فريعة وابن معروف والقاضى الاندرجى وغيرهم ومامنهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى واذا تكمل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب فيهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع بين يدى كل واحد منهم طست من ذهب من ألف مثقال مملوء شرابا فيغمس فيه لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثره ويرش بعضهم بعضا ويرقصون باجمعهم وعليهم مصبغات الثياب ومخانق البرم ويقولون بكرا أسرهم هوهر وفيهم يقول السرى

مجالس ترقص القضاة بها * اذا انتشوا فى مخانق البرم

واذا أصبحوا اعادوا العادتهم فى الترهب والتوقر والتحفظ وأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وقال فى ابن معروف كان كما قرأته فى فصل للصاحب شجرة فضل عودها أدب وأغصانها علم وثمرها عقل وعروقها شرف تسقيها سماء الحرية وتغذوها أرض المروءة وفيه يقول الصابى

أقسمت بالله مايرجى لمعروف * فى الحادثات سوى القاضى ابن معروف

(ومن شعر ابن معروف)

لو كنت تدرى ما الذى صنع الهوى * والشوق فى الجسم النحيل البالى
لهجرت هجرى واجتنبت تجنبى * ووصلت من بعد النعيم وصالى

(وقال القاضى التنوخى فى غلام جسيم)

له فى كل عضو دعص رمل * ثقيل الجسم ذو روح خفيف
أأعشق لاعشقت أخا نحول * كأنى لست ذا الخلق الظريف
اذا لمسته كفى لم تلامس * سوى جلد على عظم ضعيف

*شرب المأمون وعبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضى فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى فغمزا به الساقى فاسكره وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان فامر المأمون فشق له قبر فى الردم وصير فيه وعمل بيتى شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وغنت بهما وهما

ناديته وهو حى لاحراك به * مكفن فى ثياب من رياحين

بين دنان ومعصرة وحوله سقاة

فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني * فقلت خذ قال كفي لا تواتيني

(فانتبه يحيى لرنة العود فقال)

ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضا قد وهى قدمي * ولا أجيب لداع حين يدعوني
فانظر لنفسك في قاض يكون لكم * اني غدوت دفينا في الرياحين

والحالة التي وصفها أبو زيد خلعت الامين عن الملك ونقلته الى المأمون قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع على عمامة مقصصة فلقد أصاب فما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع أتراني لا أحسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الي وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة (قوله تبهر) أي تسقيه بالبهار وهو شبه الاريق وقيل تبهر تغلب العقول بحسنها يقال بهر وبهرا اذا غلبه وبهر القمر السماء ملأها بنوره (تزهر) تضيء (شموع) مصابيح الشمع (آس) ريحان (عبهر) نرجس وقيل ياسمين قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة واحدة ولو في الدهر مرة واحدة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها الا شم النرجس وقال علي رضي الله عنه حباني النبي صلى الله عليه وسلم بالورد وقال أما انه سيد ريحان الجنة بعد الآس وقال أردشير بن بابك الورد در أبيض وياقوت أحمر على كراسي زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر * ونذكر هاطرفا من المنظوم في الازهار يليق بالموضع بحول الله تعالى قال محمد بن عبد الله بن طاهر ملما بقول أردشير

كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستطرف حسن * من خمرة مزجت كالجمر في اللهب

(وللمعتمد بن عباد)

كأنما ياسميننا الغض * كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه * كخد عذراء مسه عض

(ولابي الفضل الميكالي)

وما ضم شمل الانس يوما كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أحداق تبر وساقه * كقامة ساق في غلائله الخضر

(ولعضد الدولة)

يا طيب رائحة من نفحة الخير * اذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد واعتبقت * به دواخن ند عند تبخير
كأن أوراقه في القد اجنحة * حمر وصفر وبيض من زنابير

(ولعلي بن بسام)

تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر وهزمار

أماترى الوردية عوللورود على * حمراصافية فى لونها صهب
مداهن من يواقيت مركبة * على الزبرجد فى أفواهها ذهب

(وقال آخر)
نرجسة عينها محيرة * لم تكتحل قط آفة الغمض
باكرها الطل فهى باهتة * تنظر فعل السماء فى الارض

(وللاسعد بن بليط)
بنفسج بانت أكف الصبا * تنثره فى زرقة لا تحد
كأنما قط بمنشوره * رؤس أقلام من اللازورد

(وقال آخر فى نوار الباقلا)
نوارة الباقلا اذراق منظرها * تحكى الفراشة تنقيطا وتريشا
كأنما هى ماحول الذبالة اذ * مدت جناحا كان الكف مرقوشا

والباب كثير (قوله مزهر) عود الغناء (يستبزل) يستسقى منها شرابا والمبزل الثقب فى جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية و يبقى العكر فى قعرها قال الاخطل

لما أتوها عصباح ومبزلهم * شارت اليهم شراء الابجل الضارى
تدمى اذا طعنوا فيها بجائفة * وفى الزجاج عقيق غير مسطار

أراد أن الخمر خرجت خروج الدم من الابجل وهو عرق وقال ابن حصين

فجيت عنها الدن فاستعبرت * جريا كاقوس احليل
كأنها فى الكاس منصبة * خيط من الفضة مفتول

(وقال آخر فى قع الشراب)
ولما رأى الناس فضل المدام * وخافوا على جرمها أن يسيلا
تواخوا الى شربها بينهم * سبيل حفاظ فكنت السبيلا

ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

(قوله يستنطق) يأمر بضربها ليسمع صوتها (يستنشق) يشم (يغازل) يلاعب (عثرت) اطلعت واعثرت فى معناه (لبسه) تخليطه (تفاوت) تباعد (أولى لك) كلمة تهديد معناها قد وليك الشر فاحذر و (الملعون) المطرود ولعنه الله طرده و (الاستغراب) الضحك الكثير ومما يوافق شعره وحاله قول الببغا

غادنى بالصبوح قبل الصباح * واجر فى حلبة الصبا والمراح
عاطنيها كالجلنار اذا ما * كللت من حبابها بالاقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحمـ * ـرة لا فى كثافة التفاح
خادمتها الاجسام بالطبع لما * شاهدت قربها من الارواح
فتداركت بها حشاشة نفسى * أوحركت بها سكون ارتياحى
بين وردين من نبات وخد * وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث * وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خالط العا * قل فيها افساده بالصلاح

(وله أيضا فى مثله)

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زار فى أشرف الدهر فصل فيه أشرف الاخوان
وأدرها عذراء وانهز الام * كان من قبل عاتق الامكان
فى كؤس كأنها زهر الخشخاش ضمت شقائق النعمان
واجترعها عند البزال بالقا * ظ المثانى ومطربات الاغانى

(وقال وكيع فى الخشخاش)

وخشخاش كأنما نقرى * قمص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صينت * بأغشية من الديباج خضر

(وقال آخر فى شقائق النعمان)

كان الشقائق اذ برزت   غلالة درونو بأحم
قصاع من الخمر مشوبة   باوساطها لمع من حمم

(قوله السفار) مصدر سافرت (جبت) قطعت (عفت) كرهت (خضت) جزت ومشيت فيها (رضت) ذللت وركبت (المرح) النشاط والعجب (مطت) نحيت وأزلت ويقال ماط وأماط باعد وأيضا باعد غيره والاصمعى يقول ماط هو وأماط غيره (العقار) المال الثابت الذى لا ينقل (حسو) شرب (العقار) الخمر (رشف) مص (الطماح) ارتفاع النظر (باح) نكلم و(الملح) الكلام الحلو يريد أنه فعل ماذكر ليرتاح وبشرب الخمر ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها وذهابها بالهموم والاسقام وذكر أنهما من أفضل الاشياء وأن بيع أشرف الاعلاق فيها سداد وان ترك الاصغاء فيها الى العذل رشاد وأن كمال لذتها مع السقاة الحسان والتطريب بأنواع الغناء والالحان الى غير ذلك مما أشار اليه ونبه عليه وأنا أسوق هنا فى وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والادباء وسائر الافاضل من الملوك ومهرة الشعراء جريا معه فى أغراضه حسبما فعلت فى العاشرة فى أوصاف الغلمان وفى الحادية عشرة فى فضائل أهل الاديان وأكثر اعتمادى فى هذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كتاب قطب السرور وضممت اليها ما يلائمها من غيره وهو فصل بديع فى بابه ذكر مؤلفه فى منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وقال تعالى فى الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى فلم يذكر الماء واللبن الا بالسلامة من التغير والعسل الا بانه مصفى وجعل الخمر لذة للشاربين فكان هذا من التفضيل وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون فنفى عنها عيوب خمر الدنيا وهى ذهاب العقل بالسكر والصداع بالخمار وذهاب المال كما قال تعالى فى فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فاكهة الدنيا التى تأتى فى وقت وتنقطع فى آخر وتمنع الا بالثمن وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وأما ماذكره تعالى من أن فيها منافع للناس فان منافعها لا تحصى كثرة فمن منافعها ما يصيب الناس من أثمانها ولو لم تعصر الاعناب لبارت على أهلها ومنها اصلاح الجسم لانها ترق الدم وتفتق اللسان وتزيد فى الهمة وتهون الرزية وتعدف الامنية قال جالينوس

لزمت السفار
وجبت القفار
وعفت النفار
* لاجنى الفرح *
وخضت السيول
ورضت الخيول
لجر ذيول
* الصبا والمرح *
ومطت الوقار
وبعت العقار
لحسو العقار
* ورشف القدح *
ولولا الطماح
الى شرب راح
لما كان باح
* فمى بالملح *
ولا كان ساق

الخمر تدر الدم وتصفي اللون وتقوى المنعة وتبعث النشاط قال افلاطون انما كان النبيذ يثمر السرور ويولد الضحك ويطيب النفس لشبهه بالدم وانه يفعل في الجسد اذا اعتدل فعله لانه أحمر حار رطب والدم أحمر حار رطب فاذا صح جوهره وتمت اجزاؤه ولد في النفس السرور والضحك والنشاط * الحرث بن كلدة طبيب العرب الطلاء مصلحة للبدن ومطيبة للنفس تفتح له العروق أفواهها كما تفتح الفراخ أفواهها للطعام * بعث قيصر الى قس بن ساعدة فسأله أي الاشربة أفضل فقال ما صفا في العين ولذ على الذوق وطاب في الانف من شراب الخمر قال ما تقول في مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال ميت أحيي وفيه بعض المنفعة وما يكاد يحيا من مات قال ما تقول في نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فنبيذ التمر قال أوساخ تدعو اليها ضرورات تذم عاقبتها في الابدان قال فما الذى يذهب بالهموم عند الشراب قال جوهر فيه لا تبلغه عقول العباد قال فما أصلح أوقات الشراب قال أول النهار ألا ترى ان الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أذكى والفطن أسرع قال ففي أي شيء يكون الخمار قال من ضعف قوة الجوارح عن جذب ما يصعد الى الدماغ من البخار حتى يغشيه الهواء قليلا قليلا قال فالصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والممزوج سلطان عادل والعادل مصلح والجائر مفسد قال أفتشرب به أنت قال نعم ولا أبلغ ما يغير عقلي قال ولم قال أصونه لسؤال مثلك أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة فلما قدم عليه قال يا ابن شراعة والله ما أرسلت اليك أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه قال يا أمير المؤمنين لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا قال أرسلت اليك أسألك عن القهوة قال دهقانها الحكيم وطبيبها الرفيق العليم فاسأل عما بدا لك قال فاخبرني عن الماء قال لابد لي منه والكلب والحمار شريكاي فيه قال فما تقول في اللبن قال ما رأيته الا استحييت من أمي لطول ما أرضعتني اياه قال فالسويق قال شراب المحرور والعجلان والمسافر قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش ضراط كله قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال حومة حاموها حول الحق فلم يصيبوه قال فما تقول في الخمر قال تلك صديقة روحي جلت عن المثل تلك التي تزيد النفس اشراقا قال فأنت يا ابن شراعة صديقي اجلس أي الطعام أحب اليك قال يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير ان أنفعه أدسمه وأشهاه أمرؤه قال فأي المجالس أحب اليك أن يكون شربنا فيه قال ما لم تخف الشمس أن تحرقه أو السماء أن تغرقه ولا تشرب الا على وجه السماء فوالله يا أمير المؤمنين ما نادم الناس أصبح من وجهها قال فابرز بنا فلم ير بعد ذلك يشرب الا تحت السماء * كان أبو السائب فتيها وعاطر يفا فسأله بعض المجان فقال يا أبا السائب ما تقول في نبيذ الجر قال اشربه حتى تجر قال فنبيذ الدن قال أشربه حتى تجن قال فالراذى قال أحلى من العسل الماذى قال فنبيذ الزبيب والعسل فرفع يديه وقال العظمة لله قال فما تقول في الخمر قال لا أشربها قال ولم قال أخاف ان لا أؤدى شكرها فتنتزع مني * قيل لابي نواس صف لنا الاشربة قال أما الماء فيعظم خطره بقدر تعززه وأما السويق فبلغة العجلان وري الظمآن وأما العسل فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فهي شقيقة الروح وصديقة النفس ما رضعت ممزوجة وصرفها غير مأمون على نهك البدن وغرس السقم المؤدى

الى العطب * قالت الهنديات الشراب مبارك بريدفى الدم بحرارته ويكسر البلغم بحدته ويشهى الطعام بلطافته واما السكر فحرم فى كل ملة وسبيل من سبل الضلالة واسم من أسماء الوسوسة قبيح الافعال مذموم الاحوال * وقالت الحكماء من فضائل الشراب ان كل مشروب وان راق وصفا وحلا وعذب فأوله طيب ثم يعود فى نقصان حتى يعود مكروها الا الشراب فانك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا وكان أوسطه اليك أعجب وآخره أطرب حتى اذا سرا فى العروق برقته وعم البدن بلطافته ودب فى الاعضاء والمفاصل دبيب النمل فى نقى الرمل وخادع عقلك فامتلأت بهجة وسرورا وعدت ملكا محبورا تضرب فى الخلافة بأوفر سهم ثم أسلمك الى النوم الذى هو حياتك وصحتك فاجتذبت النفس ماشاكلها من لطيفه وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ثم لا يزال الهواء يخرج بالانفاس متصعدا ببخاره ويجذب ما تحت الدماغ من استاره فحينئذ تهب بجذل ونشاط كأنما أنشطت من رباط وذلك تقدير العزيز العليم * وقالوا الشراب مصباح الظلام وشفاء الاسقام واذا تمشى فى عظامك جعلك خالى الذرع فسيح الباع رخى البال قليل الاشتغال رحب الهمة واسع النعمة فهو أخو الصبوة وقسيم الشهوة ولو لم يكن من منته عليك الا انه اذا مزجته بروحك وخلطته بدمك بعض اليك الحرص ونصبه والشره وتعبه وحبب اليك المروأة والسماح وحسن لك الفكاهة والمزاح * وقالوا الشراب يلذ لك فى السفر كلذته فى الحضر ويطيب استعماله فى الصحو كما يطيب فى المطر فهو أصل اللذات الذى عليه تتفرع وعنصرها الذى عنه تنبع وبه تصل واليه ترجع يرد الشيوخ فى طبع الشبان ويدعو الشبان الى نشاط النشوان وقال أبو نواس فى ذلك

ما العيش الا فى جنون الصبا * فان تولى فجنون المدام
راح اذا ما الشيخ والى بها * خمسا تردى برداء العلام

فلله در من استنبطه ودل عليه وسقيا لمن بحث عنه واهتدى اليه ماذا أثار وأى شئ أظهر * قالوا ومدار قوامه على اثنى عشر شيأ المواد الثلاث والقوى الاربع والحواس الخمس فالثلاث هى نسيم الهواء وعذوبة الماء ومأ لوف الاهواء والاربع هى القوة الجاذبة التى تطيب الطعام وتبرده والماسكة التى تمسكه وتجذبه والهاضمة التى تهديه وتنضجه والدافعة التى تدفع الى كل عضو سهمه من جوهره فتخرج عنه ثقله والحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكل شئ من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه فى حال ضعفه ويصفيه من أوساخه فلم يجد اهل التجارب الماضون لذلك سببا أبين أثرا ولا أخف محملا ولا ألطف دبيبا فى الابدان من ماء الكرم فاستعملوه ولذلك استعملا دائما فهو ريحانة النفس وترياقها فيشرب فى كل حين وينفع كل حاسة وتحيد عنه النوازل والاحزان وحق للنفس أن تالفه وللطبيعة أن تلائمه اذ كان حبيبا وشقيق روحها فتراه يحدث فى النفس الشجاعة والتكرم والاناة والتحلم ومن علامات الكريم اذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهو والسرور والبذل لما فى يديه وكسوة جليسه من أنفس ثيابه واذا بلغ المدى فى شربها توسد يساره ونام جيدا كريما ومن علامات اللئيم المماراة والسفه وقتل الشارب والتلفت الى العربدة وشدة الغضب وربما بكى وعوى عواء الذئاب ونبح نباح الكلاب فشرب الماء يحرم مع مثل هذا

فكيف الشراب * ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة في كل زمان من فصول السنة يشربه المحرور ممزوجا فيبرده والمقرور صرفا فيسخنه واليابس معتدلا فيرطبه والمرطوب صرفا فيجففه فمن شربه في الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت الظلال وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح وان كان في الشتاء فبخلاف ذلك من الجلوس في الاكنان واستعمال الكوانين ولبس الاحمر والممثل وشم فتيت المسك والعنبر والمرزنجوش واما الربيع والخريف فبين ذلك لاخذهما من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف واذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهي والعيدان تعاونا على اذهاب الغموم والاحزان فلله در من استنبطه ماذا أثار وعلى أي شئ دل ولو لم يكن الشراب أغلب شئ على العقول وأقربه للقلوب وألطف محلا في النفوس وأشد ملاءمة للاجسام وأجمعه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذة ولا تساويه شهوة ولا تعدله خصلة من خصال المسرات لما حملت الاشراف وذوو العقول أنفسهم على معاقرته لا يردهم ما ينالهم فيه عن معاودته من شنيع الاقوال ولوم العذال فيما أنفقوا عليه من الذخائر وبذلوا من الاموال * كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله في الشراب فباع ضيعته فلما تم البيع قال له المشترى تأتيني بالعشي أدفع لك المال وأشاهدك فقال لو كنت ممن يرى بالعشي ما بعت الضيعة قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابني مثل هذا فقلت

اتلفت مالى في العقار * وخرجت فيها عن عقارى
حتى اذا كتب الكتا * ب وجاءني رسل التجارى
قالوا الشهادة بالعشي ونحن في صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتا * ب ولا تعنوا بانتظارى
لو كنت أظهر بالعشي لما سمعت ببيع دارى

(وقال ابن الرومي)

أنا أهوى ذات الخمار على الجيب وذات الوشاح والدملجين
وأرى في النبيذ رأى صواب * لشيوخ العراق والكوفتين
واذا ما الغناء خاض ذوو الالباب فيه اعتصمت بالحرمين
كلما جاءت الرخائص فيه * كان أخذى له بكلتا اليدين

(وقال العطوى)

جارة لى أجارها الحسن من كل عائب
فهي بين النساء كالبدر بين الكواكب
سألتني هل النبيذ حلال لشارب
قلت اى والذى يريك دون الرقائب
فاشربيه فان فيه لاحدى العجائب
ينبت الورد في رياض خدود الكواعب

(ولبعض المتقدمين)

قوله والممثل هكذا في النسخ التى بأيدينا ولم نر له معنى مناسبا هنا ولعله الممشق أو الممسك فتأمل وحرر اه

من ذا يحرم ماء المزن خالطه * في جوف خابية ماء العناقيد
انى لاكره تشديد الرواة لنا * فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

(وقال ابن الرومى)

أحل العراقى النبيذ وشربه * وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد * فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها حلا وللاوزار الوزر

* خرج الحسن بن هانئ ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دير خمار فقال الحسن لمطيط ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار فدخلا فسلما فرد عليهما السلام فقال له الحسن أعندك خمر عتيق قال عندى منها أجناس فأى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

حجبت حقبة وصينت حقاءة * كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الاكف تصبغ من ضو * ء سناها بالورس والزعفران

فملا له الخمار قدحا من خمرة صفراء كأنها ذهب محلول فشربه الحسن وقال أحسن من هذا أريد فقال له الخمار من أى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

رقتها أيدى الهواجر حتى * صيرت جسمها كجسم الهواء
فهى كالنور فى الاناء وكالنا * ر اذا ما تصير فى الاحشاء

فملا له الخمار قدحا من خمرة كأنها العقيق فشربه وقال ارفع من هذا أريد قال أى نوع تريد قال التى يقول فيها الشاعر

فاذا حسا منها الوضيع ثلاثة * سمح الوضيع كفعل ذى القدر
فى لون ماء المزن الا انها * بين الضلوع كواقد الجمر

فملا له الخمار قدحا من خمرة بيضاء كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار أتعرفنى قال اى والله يا سيدى أنا أعرف الناس بك قال فمن أنا قال أنت الذى سكر من غير وزن فضحك الحسن وقال لمطيط ادفع اليه ما معك من النفقة فأعطاه مائة درهم وانصرف *وقال أبو عثمان الناجم دخلت على أبى العباس عبد الله بن المعتز وهو مخمور طيب النفس فقال يا أبا عثمان أنشدنى ما شئت حتى اعارضك باحسن منه أو مثله فأنشدته لابى نواس

وعاشق دنف نبهته سحرا * فقام للراح والتذكار مصطبحا
ودارت الخمر من صهباء صافية * فما احتسى قدحا حتى بكى قدحا

(فسكر ساعة وضحك وقال)

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى فى قعره شبحا
اذا تعاطيتها لم تدر من لطف * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

وقالوا ما در اربع الخمر والسرور بأدفأ من الشراب للمصرور والمترور وقال بعضهم كنت فى منزلى واذا شيخ مع على علوة معه صبى فى يوم بارد فكنت أسمع الصبى يقول للشيخ اعطنى فروتى فيناوله شيأ لا أتبينه فبعثت غلامى ينظر اليه فاذا عند الشيخ قنينة كلما طلب الصبى فروته سقاه قدحا قال وأنشدوا للهدهد الاصبهانى

انا أناس حسن دينا * لبيعنا الآجل بالعاجل
اذا شربنا خمسة خمسة * فقدا بسنا الفرو من داخل

وقال عمرو الضبابي

أعددت لليل اذا الليل برد * خابيتين من طلاء قد ركد
* فتطرد الهم وتكفيك الصرد *

وقال آخر اذا هبت الارواح فاجعل دثارها * اذا التحف الاقوام ذكي المطارف
ثلاثة أرطال شرابا معتقا * تكن آمنا منها ولست بخائف
فان دثار المرء من تحت جلده * أخف وأدفا من دثار الملاحف

قال الجاحظ جلست عجوز من العرب الى فتيان يشربون فسقوها قدحا فطابت نفسها ثم سقوها آخر فاحمر وجهها وضحكت ثم سقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة وا ته لايدرى أحدكم من أبوه * وسقى اعرابى قدحا من شراب ولم يكن يعرفه فحركته الاريحية فسألوه عنها فقال والله ما أدرى ماهى غير أنى أراكم تحببون الى وأراني أسر بكم وما وهبت الى أحد منكم شيأ * ومر أعرابي بقوم يشربون فدعوه فنزل وعقل بعيره وشرب معهم فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره وشوى لهم من كبده وسنامه ثم رفع عقيرته يتغنى

علاني انما الدنيا علل * واسقياني عللا بعد نهل
بادرا باللهو يوما صالحا * ودعاني من عتاب وعذل
وانشلا ما اغبر من قدريكما * واسقياني أبعد الله الجمل

وقال اسحق الموصلى سمعت اعرابيا نبيذا فقال ما على هذا شيء يطيب النفس ويطرد الحزن ويهنى الخير ويعد الغنى ثم أنشأ يقول

ألا خذها كماء الزعفران * ربتها بالتحول يد الزمان
تصوغ اذا علاها الماء طوقا * من الياقوت فصل بالجمان
وتترك من أراد الشرب منها * صحيح الجسم منكسر اللسان
كأن الشمس طالعة بكفى * اذا أخذت زجاجتها بنانى

ومر الفرزدق بالحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقاه ماء فقال هلا لبنا يا أبا فراس قال ذلك اليك فلا له عسا من خمر وأمر فحلب عليه لقحة فصعدت الرغوة فوق الشراب وأتاه به فشربه حتى صك بالعس جبهته وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه فمسح سباله وقال جزاك الله خيرا فانك مازلت تخفى الصدقات ونعماهى * ودخل الاخطل على عبد الملك فقال ليت شعرى ما يعجبك من ادمان الخمر وأولها التقطب والكراهة وآخرها السكر والسفاهة فقال ولكن بينهما حالة مايسرني بها ملكك هذا نظمه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها * ويكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة * وصفها بالسرور لن يستطاعا

(وأنشد ابن قتيبة لابى محجن الثقفى)

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال فأخبرنى من رأى قبره بارمينية أنه بين شجرات الكروم والفتيان يشربون عندها وينشدون شعره واذا ج قدحه صبوه على قبره * ومنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل الشأم شرب الخمر فقال شاعرهم

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * ولا يملك الانسان صرف المقادر
صبرت ولم أجزع وقدمات اخوتى * وما أنا عن شرب المدام بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها * فخلانها يبكون حول المعاصر

(ورأى ذؤيب السلمى خمرا اهراقها السلطان فقال)

* يا لقومى لما أتى السلطان * لا يكن للذى أهانوا هوان
سكبوا فى التراب من حلب الكر * م عقارا كأنها الزعفران
سكبت فى مكان نحس لقد صا * دف سعد السعود ذاك المكان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـ * ـبر عن بعض نفسه انسان

ولما انهمك الوليد بن يزيد فى الشراب والتبذل مع الندماء اجتمع وجوه بنى أمية فلاموه وعنفوه فقال لهم اسمعوا ما عندى

أشهد الله والملائكة الابـ * ـرار والعابدين أهل الصلاح
انى أشتهى السماع وشرب الراح والعض فى الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا * ره يسعى على بالاقداح
وظريف الحديث والكاعب الطفـ * ـلة ترتج فى سموط الوشاح

انصرفوا فيئسوا منه فدبروا فى افساد دولته * ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء وبين يديه جام زجاج فيه رطل شراب فدبه يده المأمون الى الرجل فقال يا أمير المؤمنين والله ما شربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرديده الى عمرو فأخذها منه وقال الله الله يا أمير المؤمنين انى آليت فى الكعبة أن لا أشربها ففكر طويلا والكأس فى يد عمرو ثم قال

ردا على الكأس انكما * لا تعلمان الكأس ما تجدى
لو ذقتما ماذقت ما امتزجت * الا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعماها اذا اشتملت * الا اشتمال فم على خد
خوفتمانى الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لا تشربان معى * خوف العقاب شربتها وحدى

(وقال الحسن بن هانئ وهو الامام فى الخمريات)

ساع بكأس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريك وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وله أيضا
قال ابغنى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا

فسكبت

فسكبت منها فى الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فألبسها المزاج وشاحا
شق البزال فؤادها فكأنها * أهدت إليك بريحها تفاحا
فأتتك فى صور تداولها البلى * فأزالهن وأثبت الارواحا

وقال ابن المعتز
ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى ما يرق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

وقال ابن وكيع
وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواعب در فى سماء عقيق

الطوق حاشية الكأس وقال ابن المعتز فى الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيه بجميعه

أسق مخدرة الدنا * ن سلاف خمر قرقفا
راحا تخال حبابها * درا يجول مجوفا

وقال الحسن
بنت عشر لم تعاين * غير نار الشمس نارا
ثم سحت فأدارت * فوقها طوقا فدارا
كاقترا ن الدر بالد ر صغارا وكبارا
فاذا ما اعترضته الـ * ـعين من حيث استدارا
خلته فى جنبات الـ * ـكأس واوات صغارا

(وله أيضا فى مثل ذلك)

والكأس أهواها وان رزئت * بلغ المعاش وقلت فضلى
ذخرت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بخطوة القبل
فأتاك شئ لاتلامسه * الابحسن غريزة العقل
فاذا علاها الماء ألبسها * نمشا كمثل خلاخل الحجل
حتى اذا سكنت جوانحها * كتبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع * غفل من الاعجام والشكل

(وقال ابن المعتز)

كأن فى كأسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم

(وقال حبيب)

ضعفت وراض المزج سيء خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلاعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها * نار ونور قيدا بوعاء
أودرة بيضاء بكر أطبقت * حبلا على ياقوتة حمراء

(وقال ابن لبال)

ومدامة لبست غلالة نرجس * وتنفست فى الكأس أى تنفس

باكرتها والورد يوقظه الندى * وتبسل خديه عيون النرجس
والشمس تنظر من وراء غمامة * لبست من الكافور أحسن ملبس
نبهتها بيد المزاج فأصبحت * ترنو الى بأعين لم تنعس
وتوردت حتى توقد كأسها * فحسبتها فى الكف جذوة قبس

(قوله دهانى) أى تشيطنى ومكرى (السبح) جمع سبحة وقد تقدمت (تعجبن) ترفعن صوتك بالصياح (تعتبن) تلومن (وضح) طهر (أبن) أقام (مغنى) منزل (أغن) كثير الاشجار فاذا هبت الريح فيها سمعت لها غنة ومن هذا قولهم روضة غناء لان صوت الريح يخرج من بين أشجارها وعشبها أغن ومن فسرها بأن الذباب يغنى فيها فهو صحيح فى المعنى فاسد فى التصريف لان يغنى أصله غ ن ى وأغن أصله غ ن ن فيريد بالمعنى الاغن منزلا كثير الاشجار وفسره بعضهم كثير الاهل والاول أولى (طفح) امتلأ خمرا و(المدام) الخمر (وقوله تقوى العظام، وتشفى السقام) قد تجاوز هنا قوم حتى جعلوها تشفى من العاهات قال الاقيشر ويروى لابى نواس

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحها * اذا شمها الخانى من الدن كبرا
توقد فى أيدى السقاة كؤسها * اذا مارآها صائم القوم أفطرا

وقال آخر

أباهاشم هل لى سبيل الى التى * أرى شربة منها قواما لأحدب

(قوله وتنفى الترح) أى تزيل الحزن وقال الحسن بن هانى فى أن الخمر تزيل الحزن والهم

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر * فطل من وجهها فى البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها بالعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى لا يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها * حتى تولد أنوار وأضواء

(وقال البحترى)

فاشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد ضل فى الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكأس قائمة بغير اناء

(وقال حبيب)

بمدامة يغدو الفتى لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق فى الاحشاء
عنبية ذهبية سبكت لها * ذهب المعانى صاغة الشعراء

(قوله أماط) أى أزال (اطرح) رمى بها وهذا منتزع من قول على بن الخليل

لا تكمل اللذات الا بالقيان وبالخمور
هتك الستور وانما الـ * ـلذات فى هتك الستور

دهانى الرفاق
لارض العراق
بحمل السبح
فلا تغضبن
ولا تعجبن
ولا تعتبن
فعذرى وضح
ولا تعجبن
لشيخ أبن
بمغنى أغن
ودن طفح
فان المدام
تقوى العظام
وتشفى السقام
وتنفى الترح
وأصفى السرور
اذا ما الوقور
أماط الستور
الحيا واطرح

فدع العواذل لا يقفش عليك من دون الصدور
واعلم بأنك راجع * حقا الى رب غفور

(قوله الغرام) شدة الحب (المستهام) الذى حمله الحب على أن يهيم أى يذهب ولا يدرى أين يتوجه (افتضح) اشتهر يقول أصفى ما يكون السرور اذا أزال الوقور ثياب الحياء واطرحها عنه وأحلى ما يكون العشق اذا ازال العاشق الكتم وشهر نفسه به ومن هذا قول أبى نواس

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(قوله زند أسالك) الزند الذى يقدح به النار والاسى الحزن يقول بردت لك بذكر من تهوى فانك ان رمت كتمه قدح به زند حزنك ونحو هذا ما يحكى أن أبا الفضل الدارمى كان له هوى بغلام فاذا رآه أنكر حبه والعلام يعرف شدة وجده به فدمعت يوما عينا أبى الفضل فقال له العلام دمعك شاهد عليك فقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

(وقال المتنبى)

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

والشعر فى هذا كثير وكله تبع لقول العباس بن الاحنف

لا جزى الله دمع عينى خيرا * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيأ * ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذى ذكر فانما يأخذ به أهل التماجن ومن لا يبالى به وأما أهل المروآت والتصاون فغايتهم اعلام المحبوب بشأنهم وكتمه عن الناس وذلك شديد ولا يقوم به الا من كمل عقله وأما أن يكتمه عن محبوبه كحكاية أبى الفضل فاشد أحوال هذا الباب ان يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم ويألفونه فيعلمون بشأنك كما فعل أبو الاصبغ بن رشيد المرتكى أنشدنيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون

أبا قاسم ان قسمت الهوى * كؤوسا فحظى أوفى الكؤوس
وبين جفونك يا قاتلى * وبين فؤادى حرب البسوس
وبين الجوانح نار الجوى * كما قد سمعت بنار المجوس
أسارقك اللحظ فى خفية * كما يتناول قيد الشموس
فهما بدوت ومهما رنوت * فشغل العيون وشغل النفوس
مررت به بين أصحابه * فمدوا اللحاظ وهزوا الرؤس
وهذا على خطرة فذة * فكيف لو أنى نويت الجلوس

(قوله داوا الكلوم) يريد جراح قلبه من أنكاد الدهر ولذلك اتبعه بـ(سل الهموم) لانه فى معنى داوا الكلوم وهذا كقول العطوى

وأحلى الغرام
اذا المستهام
أزال اكتتام
الهوى وافتضح
فبح بهواك
وبرد حشاك
فزند أسالك
به قد قدح
وداوا الكلوم
وسل الهموم
بينت الكروم

أعجبتني أن أناخ بي الدهـ * ـر فخاصمته الى الاقداح
لاتذاد الهموم أنشبن أظفا * را حداد ابشرب ماء قراح
أحمد الله صارت الكأس تأسو * دون اخواني الثقات جراحي

(قوله تقترح) تتمنى (الغبوق) شرب العشي و (المشوق) المحب (وطمح) ارتفع بالنظر يقول خص شرابك بالعشي مع غلام حسن يسقيك ويبيت معك على شرابك ويكون لافراط حسنه يجلب عذاب العاشق اذا نظره * ومما قيل في السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبي نواس

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * ومالم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها ساق أغن ترى له * على مستدار الخد صدغا معقربا
سقاني ومناني بعينيه منية * فكانت الى نفسي ألذ وأعجبا

(وقال ابن الرومي فأحسن)

ومهفهف كملت محاسنه * حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤس الى مراشفه * وتضج في يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها * قمر يقبل عارض الشمس

(وقال ابن المعتز)

ظبي خلي من الاحزان أودعني * مايعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الكاس في يده * هلال أول شهر غاب في شفق

وقال أيضا

ياحسن أحمد غاديا أمس * بمدامة صفراء كالورس
وكأن كفيه تقسم في * اقداحنا قطعا من الشمس

ولابي طالب الرفاء في معنى آخر

لها في كف شاربها شعاع * تطرف منه مبيض البنان

(ولابي بكر الخالدي)

تومي اليك بأطراف مطرفة * فيها خضابان للعناب والعنب

فهذا في انتقال حمرتها الاصابع حابسها فاذا انتقلت لخد شاربها احدث للشعراء في ذلك معنى بديع من صنع البديع يسمى المطابقة وهو الوصف بالغروب والطلوع وقال في ذلك الطليق المرواني

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه * أطلعت في الخد منه شفقا

(ولابي مطروح بن فتوح)

صهباء تغرب ان بدت من كفه * في فيه ثم تلوح في وجناته

وقال غيره

بدر بدا يشرب شمسا بدت * وجدها في الحسن من جده
تغرب في فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع في خده

وقال آخر

أقول والكأس على فيه وقد * صوبها كالكوكب الصائب

التي تقترح
وخص الغبوق
بساق يسوق
بلاء المشوق
اذا ما طمح

ذا كوكب يغرب في كوكب * ويلي على الطالع والغارب

(رجعنا الى ذكر السقاة قال ابن المعتز)

تدور علينا الكأس من كف شادن * له لحظ عين يشتكي السقم مدنف

كأن سلاف الخمر من ماء خده * وعنقودها من شعره الجعد يقطف

(وقال أبو بكر الخالدي)

أهلا بشمس مدام من يدي قمر * تكامل الحسن فيه فهو تياه

كأن خمرتها اذ قام يمزجها * من خده اعتصرت أو من ثناياه

في وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه

النرجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجني الورد خداه

(ولابن الرقاق)

وساق يحث الكأس وهي كأنما * تلألأ منها مثل ضوء جبينه

سقاني بها صرف الجماعشية * وثنى بأخرى من رحيق جفونه

هضيم الحشا ذو وجنة عندمية * تريك قطاف الورد في غير حينه

فأشرب من عيناه ما فوق خده * وألثم من خديه ما بيمينه

(وقال الخوارزمي)

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم

مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم

يدور بها ظبي تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال ابن المعتز

وندامای في شباب وشيب * أتلفت مالهم نفوس كرام

بين أقداحهم حديث قصير * وهو سحر وما سواه كلام

وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كما ناح في الغصون الحمام

وكأن السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور قيام

وشادٍ يشيد

بصوت يميد

جبال الحديد

له ان صدح

(قوله شاد) أي مغن (يشيد) يتقن غناءه ويحكمه (تميد) تميل (صدح) رفع صوته بالغناء والصداح الصوت الشديد يقول وأحضر الخمر مغنيا تميل الجبال لحسن غنائه وهذا مثل ما حكى المنجم قال حكى لي ابن ابراهيم بن المهدي كان أحسن الناس غناء ببرهان وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يعني المغنون فاذا ابتدأ هو لم يبق أحد من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار الا وقد ترك ما في يده وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغيا اليه لاهيا عما كان فيه ما دام يغني فاذا أمسك وغنى غيره رجعوا الى اشغالهم ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة واتفاق الطبائع على الميل اليه مع اختلافها في غير ذلك وقال منصور بن المهدي غنى أخي ابراهيم الامين يوما فقال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤ * أتيت الفتوة من بابها

وكان الامين مشرفا على حمر الوحش وهو مخمور وكان من عادته أن لا يشرب وهو مخمور فاستوى

جالسا وطرب وقال أحسنت والله يا عم وأحييت لي طربا وغنى يومئذ على أشد طبقة ينتهى اليها وما سمعت مثل غنائه قط وقد رأيت منه شيأ عجيبا لو حدثت به ما صدقته كان اذا اشتد أيعنى أصغت الوحش ومدت أعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تضع رؤسها على الدكان الذى كنا عليه فاذا سكت نفرت عنا حتى تنتهى الى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا وجعل الامين يعجب من ذلك (قوله يديم) أى يجعله مباحا يقول اعص من يعذلك فى وصل المليح متى سمح بوصله وكان أبو العلاء قد طال تعشقه بجارية فقيل له ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا رقيب ولا حاضر قال اذا والله لا أجعل لأهون الناظرين لكني كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عذب واعراض عما يسخط الرب ويقطع الحب فان تلق وصال المليح اذا سمح عمل هذا فهو بيان النصيح واجب وأكثر الناس يرى ان الظفر بالمعشوق يسقط نصف عشقه وأن النكاح يفسد الحب وقال ابن أبى أمون

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
وكتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

(وقال حبيب فى نقيضه وأجاد)

وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

(وقالت أم الضحاك المحاربية)

شفاء الحب تقبيل وضم * وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقال الحسن

اذا هجع النيام نخل عنى * وعمس كان يصلح للدبيب
فانى عالم فطن أريب * ولم يخبرك مثل فتى أريب
ألذ الفعل تأخذه سرورا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وبعد هذا ما يقبح ذكره وشعر الحسن يكثر فى هذا الباب وقال ابن الابار رحمه الله وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيبه

فوثبنا على الغزال وثوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وقال ابن بسام لقد طرف ابن الابار واستهتر ما شاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له هذا المذهب لدب عليه وابن المعتز كنى ولم يصرح فقال

فكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أين ما قدمناه لابن الابار من قول الآخر فى ضده

ومنع غض القطاف * عذب لماه للارتشاف
فوردت جنة نحره * ونعيمها دون اقتطاف
وعصيت سلطان الهوى * وأطعت سلطان العفاف

(وقال ابن الابار أيضا)

وعاص النصيح الذى لا يبيح
وصال المليح اذا ما سمح

ومعرّض بالغصن فى حركاته * تسل القلوب العفو من لحظاته
عاطيته كاساً كان سلافها * من ريقه المعسول أو وجناته
وأطعت سلطان العفاف تكرما * والمرء مجبول على عاداته

(وقال الشريف الرضى فأحسن)

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم
وبات الريح كالعذرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ما تعلقه * غير العفاف وراء العيب والكرم

(وقال ابن ورج الجيانى)

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت بالليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت الهوى جماح شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

(وقال أيضا فأحسن)

بأيهما أنا فى الشكر بادى * أشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى لى فازدهى أملى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتياد
كأنه لما عف فى اليقظة جرى على عادته فى النوم وهذا من قول أبى الطيب
يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد
وهذا أملك شهوة من التهامى وان كان قد أحسن حيث يقول
انى لاصرف طرفى عن محاسنها * تكرما وأكف الكف عن لمم
ولا أهم ولى نفس تنازعنى * أستغفر الله الا ساعة الحلم
وقال ابن طباطبا يقظانه ومنامه شرع * كل بكل منه مشتبه
ان هم فى حلم بفاحشة * زجرته عفته فينتبه
أخذه السرى فكتب الى صديق له وكان اتهمه بغلام بعثه اليه
أبا بكر أسأت الظن فيمن * سجيته التمنع والخلاف
وخفت عليه فى الخلوات منى * ولم يك بيننا حال يخاف
جنوت من الصبا ما ليس يخفى * وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أنى هممت بقبح فعل * لدى الاغفاء أيقظنى العفاف

وجل فى المحال * ولذ بالمحال

(قوله جل) تصرف (المحال) المكر (لذ) تعلق وتستر (المحال) الباطل وما لا يمكن ثبوته

(ودع مايقال) أى لاتلتفت الى من ينقصك باتباع لذاتك وخذ ماوافقك ويصلح بك وهذا رأى من اشتهر بالمجون كالحسن فى قوله

دع عنك ماجدوا به وتبطل * واذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل
لاتركبن من الذنوب خسيسها * واعمد اذا قاربتها للانبل
وخطيئة تغلو على مستامها * يأتيك آخرها بطعم الاول
حلت لاحرج على حرامها * ولربما حللت غير محلل

(وقال ابن وكيع)

لاتقبلن من الرشيد كلامه * واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع الترهب والتجمل للورى * فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال أيضا

فارقت بعدك عفتى ووقارى * وخلعت فى طرق المجون عذارى
لاتأمرنى بالتستر فى الهوى * فالعيش أجمع فى ركوب العار
لاتكثرن على ان أخا الحجى * يرم بقرب الصاحب المكثار

(قوله أبالك) اى تمنع منك (سنح) تيسر يقال سنح الشئ سنوحا اذا تيسر (صاف الخليل) أى أخلص الود للصاحب (ناف) باعد (أول الجميل) ألصق المعروف بمن يستحقه وقد أولانى فلان المعروف ألصقه بى وجعله بينه وبينى وقيل معنى أولاى ملكنى من قولهم هذا ولى المرأة أى مالك أمرها وقيل معناه عضدنى به وقوانى من قولهم بنو فلان ولاة على بنى فلان أى يعينونهم و يعضدونهم وقيل أولانى أنعم على من الآلاء وهى النعم واحدها الى وألى والاصل ولى وولى أبدل من الواو المكسورة همزة على حد اسادة وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد وامرأة أناة (وال المنح) تابع العطايا (أمام الذهاب) قدام الموت يقول اذا شخت وأيقنت الموت فاضرب باب التوبة فانه يفتح لك اذ كل كريم بابه يفتح *ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يقرع باب الملك وانه من يداوم قرع الباب يوشك أن يفتح له والله تعالى أكرم الكرماء وبابه باب التوبة وقال الالبيرى

فلازم قرع باب التوب دأبا * فان لزومه سبب الدخول

(قوله بخ بخ) أى عجب عجب وتثقل وتخفف وهى كلمة تقال عند الاعجاب بالشئ (أف وتف) الاصمعى الاف وسخ الاذان والتف وسخ الاظفار ثم استعمل ذلك عند كل شئ يضجر منه وقال غيره الاف القلة مأخوذ من الافف وهو القلة ثم نسق التف عليه ومعناه كمعناه ويقال لمن يدعى عليه بالخيبة أف وتف لك وقال ابن الانبارى اذا أفردت أف ففيها عشرة أوجه فتح الفاء وكسرها وضمها على قياس مدو ثلاثتها بالتنوين على قياس ويل فنصبه على الدعاء ورفعه بالابتداء وخفضه على التشبيه بالاصوات كمه وصه وأف كقد وأفى بضم الهمزة منصوب على الدعاء وأفى باضافته الى نفسه وأف بضم الهمزة وسكون الفاء تشبيها بالادوات نحو هل وبل (غوايتك) ضلالتك (الاعياص) الاصول والعيص بيت الاسد يريد من أى القبائل والبلاد (أعضلنى) صعب على (عويصك) صعب أمرك ومشكله (أفصح) أبين (أكنى) أورى أى أدل على نفسى بكلام خفى (الطروقة) غريبة (الحول) الكثير الحيلة (هاضه) كسره (اهتضم) ظلم ونقص (الوضم)

ودع مايقال* وخذ ماصلح
وفارق أباك * اذا ما أبالك
ومد الشباك*وصد من سنح
وصاف الخليل وناف البخيل
وأول الجميل * ووال المنح
واذنا المتاب * أمام الذهاب
فمن دق باب * كريم فتح
فقلت له بخ بخ لروايتك
وأف وتف لغوايتك فبالله
من أى الاعياص عيصك
فقد أعضلنى عويصك
فقال ماأحب أن أفصح
عنى ولكن سأكنى
أنا أطروفة الزما
ن وأعجوبة الامم
وأنا الحول الذى احـ تال
فى العرب والعجم
غير أنى ابن حاجة
هاضه الدهر فاهتضم
وأبو صبية بدوا
مثل لحم على وضم

قوله وأفى بضم الهمزة منصوب على الدعاء كذا فى النسخ والمناسب مقصور وقد ذكر فى القاموس فيها أربعين لغة اه

خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم و (العيلة) الفقر وعال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة وقال الشاعر

ومايدري الفقير متى غناه * ومايدري الغني متى يعيل

والمعيل الكثير العيال وقد أعال يعيل (قوله الريب) اى الريبة (مسوّدوجه الشيب) نبه به على قوله في اوّل المقامة ميسمه ميسم الشبان يريد أنه خضب شيبه وتشبه بالفتيان والخضاب مباح والتدليس مكروه قال النبي صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب وكان ابو بكر رضي الله عنه يخضب بالحناء والكتم وجاء النهي عن الخضاب بالسواد وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة ومن كلام المولدين الخضاب تذكرة الشباب الخضاب أحد الشبابين وقال مالك بن اسماء بن خارجة لجارية له قومي اخضبي رأسي ولحيتي فقالت دعني فقد عييت مما أرقعك فقال

عيرتني خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وقال آخر

أليس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ماقد كان أخلقه * طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال آخر

وقائلة تقول وقد رأتني * ترقع عارضاي من القتير

عليك الخضب علك أن تداني * الى بيض ترى منهن حور

فقلت لها المشيب نذير عمري * ولست مسودا وجه النذير

(وقال عبدان الاصبهاني)

في مشيبي شماتة لعداتي * وهو ناع منغص لحياتي

ويعيب الخضاب قوم وفيه * لي أنس الى حضور وفاتي

لا ومن يعلم السرائر مني * ماتطلبت خلة الغانيات

انما رمت أن يغيب عني * ماتريني كل يوم مراتي

وهو ناع الى نفسي ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وقال آخر

بكرت تحسن لي سواد خضابي * لو كان ذلك يعيدني لشبابي

واذا أديم الوجه أخلقه البلى * لم ينتفع فيه بحسن خضاب

ماذا الذي يبدي عليك خضابه * وخلاف مايرضيك في الاثواب

(وقال ابن عبدربه)

اذا فصل الخضاب بكى عليه * ويفرح كلما وصل الخضابا

كأن حمامة بيضا أظلت * تقاتل في مفارقه غرابا

(وقال ابن الرومي)

ياأيها الرجل المسوّد شعره * كيما يعدّ به من الشبان

أقصر فلو سوّدت كل حمامة * بيضاء ماعدّت من الغربان

(وأملح منه قول الآخر)

وأخو العيلة المعيل اذا احتال لم يلم (قال الراوي) فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسوّد وجه الشيب

قالت خضبت الشيب ثم أتيتنا * تبغي لدينا بالخضاب ودادا
فأجبتها لم أختضب لك انما * شيبي صبغت على الشباب حدادا

(وما أحسن ما قال ابن هانئ الاندلسي)

بنتم فلولا أن أغير لمتي * عبثا وألقاكم على غضابا
لخضبت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النفس منه كتابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أنني أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وساءني عظم تمرده وقبح تورده فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة ألم يأن لك ياشيخنا أن تقلع عن الخنى فتغجر وزجر وتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعد عما بدا الى أن تلاقي غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتي لابسا حداد النسدم على نقلي خطا القدم الى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو ردّ على عصر الشباب ثم انّا رحلنا العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس

(قوله تمرده) تشيطنه وتمرّد اذا كثر شره والمريد الخبيث الذي لا يطاق مكره (تورده) اتيانه بما لا يحل وأصل التورد قصد الماء (الانفة) العضب (يأن) يحين ويقرب (الخنى) الفساد (تغجر) اشتدّ غضبه (زجر) تكلم بما لا يفهم (تنكر) تغير على ونكر نفسه كأنه لا يعرفني (مراح) طرب ونشاط (تلاح) مشاتمة (نهزة) فرصة وغنيمة (كفاح) قتال (فعدّ) اصرف واترك (فرقا) فزعا (عربدته) شره وشغبه (الحداد) ثياب الحزن (الخطا) جمع خطوة وهي ما بين القدمين (نباذ) خمار (عصر) زمان (رحلنا العيس) جعلنا على الابل رحالها (التغليس) الخروج في الغلس وهي الظلمة التي بين طلوع الفجر والشمس وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لابي دلامة * حكى الاصبهاني أن موسى بن داود الهاشمي عزم على الحج فقال لابي دلامة احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعها اليه فأخذها وهرب الى السواد وجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر فطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشي فوت الحج وخرج فلما شارف القادسية اذا هو بأبي دلامة خارج من قرية الى أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرح في محمل بين يديه فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب * اذا بدا لك في أثوابه السود
اني أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكلف حجا يا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربي بتصريد
والله ما في من أجر فتطلبه * ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى ألقوه عن المحمل لعنه الله فألقي وعاد الى موضعه بالسواد حتى أنفق المال وقال آخر

ألم ترني وبشارا حججنا * وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد * فمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا * وأبنا موقرين من الخساره

(وقال أبو نواس في الحج)

وقائل هل تريد الحج قلت له * نعم اذا فنيت لذات بغداذ
وكيف بالحج لي ما دمت منغمسا * في بيت قوّادة أو بيت نباذ

(قوله وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس) من قول الحسن

بتّ وابليس الى الصبح فى ، كل الذى يؤثمنى خصمى

وانظر هذا فى الثامنة والاربعين والله أعلم

(شرح المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية)*

(المقامة الثالثة عشرة البغدادية)

(روى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء

(ندوت) أى خرجت ويقال ندت الابل تندو اذا خرجت من المشرب ترعى فيما قرب منه وهو الذى قصد لانه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج البلد يستريحون ثم يرجعون و(الضواحى) المواضع البارزة للشمس و(الزوراء) هى فى الجانب الشرقى من بغداد وسميت زوراء لازورار قبلتها أى لانحرافها وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مقطعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم والزوراء هى بغداد ويقال لها الزوراء ومدينة السلام ومدينة المنصور وبغداد وبغداذ وبغدان وبغذان وبغدام وبغذام وبغذاد عن الفراء وبعضهم يقول تفسيره بستان رجل فبغ بستان وداد رجل وقيل بغ صنم وداد عطية وانما اختلفت العرب فى لفظها اذلم تكن من كلامها ولا اشتقاق لها من لغتها وأشهر لغاتها بغداد بدالين وبغدان بالنون وكان الاصمعى رحمه الله لا يقول بغداد وانما يقول مدينة السلام لان بغ عندهم اسم صنم وداد عطية بالفارسية فكانها عطية الصنم وبناها المنصور وبعث رجالا يطلبون له موضعا يبنى فيه مدينة فطلبوا فلم يجدوا حتى جاء ينزل فنزل على البر الذى فى الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة فوجه حينئذ الصناع من الشأم والموصل والكوفة وواسط والبصرة فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة وقال محمد بن أبى سهل لما أراد المنصور بناء بغداد أمرنى أن آخذ الطالع فأخذنا طالعها فكان المشترى فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول بقائها وكثرة عمارتها ثم قلت وخلة أخرى يا أمير المؤمنين نجدها على ما تدل عليه النجوم لا يموت فيها خليفة فرأيته يتبسم وقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل لرجل كيف رأيت بغداد فقال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها. ابن جبير بغداد هى المدينة العتيقة ولم تزل حضرة الخلافة العباسية وقد ذهب رسمها ووسمها وهى بالاضافة الى ما كانت عليه قبل ايجاد الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس والاثر الطامس وتمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر الا دجلتها التى بين الشرقية والغربية منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين والعقد المنتظم بين لبتين فهى تردها فلا تظمأ وتطلع فى مرآة صقيلة لا تصدأ والهواء المنتظم يتولد بين هوائها ومائها فهى معروفة بفتن الهوى الا أن يعصم الله منها وكنا سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى النفس ويبعث دائما على الانبساط والانس فلا تكاد تجد فيها الاجذلان طربا وان كان نازح الدار مغتربا حتى حللت بقرية وزيران وهى على مرحلة منها فلما نفحتنا نوافح هوائها ونقعنا الغلة ببرد مائها أحسسنا من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الاطراب واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالاياب وهفت بنا محركات من الانس ذكرتنا معاهد الاحباب فى عصر الشباب هذا للغريب النازح الوطن فكيف الوافد فيها على أهل وسكن

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب

(ذكر بغداد)

وبغداد جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وهو كان المعمور أولا ولكنه مع خرابه يحتوي على سبع عشرة محلة كل واحدة منها مدينة مستقلة لها الحامان والثلاثة وصلاة الجمعة في ثمان منها وأكبرها القرية وهي على شط دجلة ومقربة من الجسر ثم الكرخ وهي مدينة مشهورة ثم محلة باب البصرة وهي مدينة بها جامع المنصور وهو كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهي مدينة وهذه الاربع أكبر المحلات والوسطة بين دجلة وبين نهر يتفرع من الفرات وينصب في دجلة يجيء فيها جميع المدائن التي يستقيها الفرات وعلى بابها نهر آخر منه ينصب في دجلة ومنها العتابية وهي مدينة يصنع فيها الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها وأما الشرقية فهي محدثة وهي حفيلة الاسوار عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر كبير لا يحصيهم الا الذي أحصى كل شيء عددا وبالشرقي محلة الرصافة وبها كان باب الطاق المشهور على الشط وبازائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبي حنيفة رحمه الله فيها قبة سامية في الهواء بيضاء فيها قبر الامام أبي حنيفة وبالقرب منها قبر الامام احمد بن حنبل رحمه الله وحمامات بغداد لا تحصى أخبرني بعض أشياخها ان فيها اليوم ألفي حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر فيها أنه رخام أسود صقيل وأكثر حمامات هذه الجهة على هذه الصفة لكثرة القار عندهم وشأنه عجيب لانه منبع عين بين البصرة والكوفة يصير القار في جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالقه وببغداد من المدارس نحو الثلاثين ما منها مدرسة الا كالقصر العظيم وأعظمها النظامية وبساتين بغداد وحدائقها بالغربية ومنها تجلب الفواكه للشرقية والعادة أبدا أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ومع ذلك فلا ينقطع العبور بينهما من الناس في الزوارق لا يحصى وذلك لكثرة الناس وزوارقها لا تحصى والناس ليلا ونهارا من معاينة العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هي اليوم مما كانت عليه هي اليوم داخلة تحت قول حبيب «لا أنت أنت ولا الديار ديار» ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكل عيب من الكبرياء وبيع الرياء ثم استثنى فقهاءها ووعاظها (قوله مع مشيخة من الشعراء) قال الخليل في مدح الشعراء هم أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤا وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته وسئل غيره عنهم فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا بينهم وقال آخر اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى كلمة وقال بعض الظرفاء يذمهم

الكلب والشاعر في رتبة * ياليت أني لم أكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه * يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا حرفات الهوى * ما كنت الا رجلا تاجرا

(وقال ابن الرومي)

يقولون ما لا يفعلون مسبة * من الله مسبوب بها الشعراء

وقال أيضا

للناس فيما يكلفون مغارم * عند الكرام لها اقضاء زمام

ومغارم

مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم

(مدح الشعراء وذمهم)

ومعارم الشعراء في أشعارهم * اتساق أعمار وهجر منام
وجدالات وهجر مكاسب * لو خولس حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع سابغ الانعام

(قوله مبار) أي معارض (مضمار) طلق (ممار) مجادل (أفضنا) اندفعنا (يفضح) يكشف عيوبها شبه الجماعات في الآداب بالخيل الجياد في الطلق لا يلحق غبارها من يجاريها وجعل حديثهم بحسن تفننه يفضح الازهار حتى قرنها بها ونجعل تفسير الهذا المجلس الموصوف باجتماع الشعراء ما حدث به دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص وأبو نواس وهؤلاء مشيخة شعراء عصرهم فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده فأنشد أبو الشيص

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن أكرم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضي عجبه ثم أنشد مسلم أبياتا منها

فأقسم أنسى الداعيات الى الصبا * فقد فاجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها ثمار نحورها * كأيدي الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لي أبو نواس هات أبا علي وكأني بك قد جئت بأم القلادة لا تعجبي يا سلم فأنشدته

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف صبركما * يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تطلبا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

(ثم سألناه أن ينشدنا فأنشد)

لا تبك ليلى ولا تركن الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحرا ومن يدها * خمرا فمالك من سكرين من بد
لي سكرتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من بينهم وحدي

فلما بلغ هذا البيت قاموا فسجدوا له فقال أفعلتموها والله لا أكلمكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة في هجر الاخوان كثير وفي بعضها استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة ثم التفت الينا وقال اعلموا ان حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخي ان أيام العمر أقل من تحمل الهجر نظم ذلك الشاعر فقال

العمر أقصر مدة * من أن يمحق بالعتاب
أو ان يكدر ماصفا * منه بهجر واجتناب

مبار يعبار ولا يجرى معهم ممار في مضمار فأفضنا في حديث يفضح الازهار

الى ان نصفنا النهار فلما غاض درّ الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا ان عرتنا حتى اذا ماحضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا ياما آل الآمل وثمال الارامل أنى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا

(وقال ابن طاهر)

الى كم يكون الصد فى كل ساعة * ولم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنبا * ان الصدود هو الفراق الاوّل
حسب الاحبة أن يفرّق بينهم * ريب الزمان فما لنا نستعجل

(وقال القاضى عبد الوهاب)

لا تعجل قطيعتى فكفى * بوما ابدا الدهر بيننا مقطع
عما قريب تجىء فرقتنا * ثمت لا ملتقى ولا مجمع

(وأخذه الكل من قول جميل)

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

(قوله نصفنا) أى بلغنا نصفه (غاض) جف (درّ الافكار) كلامها والدرّ اللبن استعار لما يتولد من الذهن (صبت) مالت (الاوكار) البيوت هنا (لحنا) أبصرنا (تحضر) تجرى (الجرد) الخيل القصيرة الشعر (استتلت) جعلتهم تلوها يتبعونها (أنحف) أقل لحما (الجوازل) فراخ الحمام واحدها جوزل (عرتنا) قصدتنا (المعارف) الاول الوجوه واحدها معروف قال الشاعر

متلثمين على معارفنا * تثنى لهن حواشى العصب

(وان لم يكن معارف) أى وان كنت لا أعرفهم (مآل) مرجع وقد آل يؤل أولا ومآلا اذا رجع و(الآمل) الراجى (وثمال) غياث وملجأ (الارامل) المساكين يعقوب هن جماعة الرجال والنساء ويقال لهم أرامل وان لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ويقال للرجال الضعفاء المحتاجين أرملة وان لم يكن فيهم نساء وأرمل القوم فنى زادهم وواحد الارامل أرمل وأرملة وانما قيل للفاقدة زوجها أرملة لان أمرها يؤل الى الضيعة والحاجة (سروات) سادات واحدها سراة والسرى السيد الكبير ذو المروأة والسرو المروأة وقد سرى سروا وسرو سراوة جمع السخاء والفضل قال امرؤ القيس * ولها عليه سراوة الفضل * وأنشد يعقوب

ان السرىّ هو السرىّ بنفسه * وابن السرىّ اذا سرى أسراهما

قال ثعلب السرى فى كلامهم الرفيع ماخوذ من السراة وسراة كل شئ أعلاه و(سريات) سيدات (العقائل) كرائم النساء تريد أن آباها وأمهاها من السادات (البعل) الزوج وبعل الرجل بعولة تزوج (الصدر) مقدم المجلس (القلب) قلب العسكر والعسكر خمسة أقسام مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب وهو محل الملوك أرادت أن قرابتها منهم (يمطون) يهبون و(الظهر) الابل بأوقارها وأمطاه أعطاه دابة يركب مطاها أى ظهرها (يولون اليد) يهبون النعمة (أردى) أهلك (الاعضاد) جمع عضد وهو غليظ الذراع الذى بين المرفق والمنكب (فجع) أحزن وجع الفجيعة وهى الرزية تفجع عليها (الجوارح) عوامل الجسد كاليد والرجل والعين تريد أن الدهر اذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فتعطلت منفعتها (انقلب) تحول (ظهرا لبطن) كناية عن الخلاف أى بعد ان كان مستقيما انقلب (نبا) ارتفع ولم يستقر (الناظر) من ينظر اليها

(الحاجب) من يحجبها ويسترها و(العين) الذهب (الراحة) الدعة والسكون (صلد) لم يور نارا وأرادت انقطاع الخير عنها (وهنت) استرخت (اليمين) القوة (بانت) ذهبت وبعدت (المرافق) من كان يرتفق بحياته ومنفعته والمرافق كل ما ارتفقت به من مال وغيره (ثنية) صغيرة من الابل و(ناب) مسنة وهذا الكلام كله استعارة كما تقدم في الابرة والمرود لكنه كنى هنا بالجوارح والاعضاء عمن كان يستعين به من القرابة على الدهر ومعاني الاعضاء بينة الا الراحة فانها بطن الكف والزند طرف عظم الساعد والثنية والناب صريحان ونبا الناظر لم ينم وجفا الحاجب لم يرسل الجفن على العين فتنام كما قال بشار

نبت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

(وقال التهامي)

قصرت جفوني أم تباعد بينها * أم صورت عيني بلا أشفار

(قوله اغبر) أي علته غبرة و(الاخضر) الناعم (ازور) انقبض (الاصفر) هو الدينار (الفود) ناحية الرأس بين الاذن والجبهة وهذا من قول أعرابي ذكر مصيبته فقال مصيبة والله تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وهونت المصائب بعدها

(وقال عبد الله بن الزبير الاسدي)

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

(وقال التهامي)

تسود الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما في الحكم واحدة * لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

(قوله رثى) بكى وأشفق (العدو الازرق) أراد الروم وهم أعداء العرب (والموت الاحمر) الشديد ومنه الحسن أحمر أي من أحب الحسن احتمل المشقة وفي الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب الى العدو منه فمعناه اشتد وقيل معنى الموت الاحمر القتل وقد قال الاخطل * أن قد أتيح لهن موت أحمر * يريد قتل النور الكلاب وتقدم في المقامة قبل هذه فلما فيه من الدم سمي أحمر وهو الاظهر من مقصد الحريري لانه علق غيره من الصفات باللون مثل العدو الازرق والروم زرق العيون فكذلك الموت الاحمر ، أبو عبيدة الموت الاحمر أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا في عينيه حمراء ورداء والموت الاغبر هو الموت جوعا لانه يغبر في عينيه كل شئ والموت الاسود هو الموت في غمة الماء والموت الابيض هو موت العافية قال الخطابي الموت الابيض أي فجأة لانه يأخذ الانسان ببياض لونه (قوله تاوى) أي خلقي والي جاني (عينه) شخصه (فراره) معرفته أي شخصه يعرفكم بحاله والعرب تقول عينه فراره للشئ تعرفه اذا أبصرته والفر في البهائم كشف اسنانها حتى يعرف مالها من السن ووقع في المقامات فرار بضم الفاء وكذا في نوادر أبي علي ووقع في النسخ العتاق من الامثال لابي عبيد فراره بكسر الفاء وأنشد أبو علي * هو الحبيب عينه فراره * وفسره فقال تطرك اليه يغنيك عن فره أن تخبره وهما لغتان فراره وفراره (قوله ترجمانه) المتكلم عنه يريد أن صفرة لونه تخبرك أنه

الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره

نابجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي وصدق توسمي ونظر الي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لاريتكم أولا شعاري ثم لاروينكم اشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وأنشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض
ريب الزمان المتعدى البغيض

يا قوم اني من أناس غنوا
دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض

فخارهم ليس له دافع
وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا اذا ما نجعة أعوزت
في السنة الشهباء روضا أريض

تشب للسارين نيرانهم
ويطعمون الضيف لحما غريض

ما بات جار لهم ساغبا
ولا لروع قال حال الجريض

جائع (قصوى) غاية (بغية) طلب (وقصارى أمنيته) أي منتهى ما يتمناه وغايته (بردة) ثوب أي أقصى ما يطلب ما يأكل وغاية ما يتمنى ما يلبس (آليت) حلفت (أبذل الحر) أهين الخد (الحر) الكثير المروءة (نابجتني) حدثتني (القرونة) النفس (المعونة) ما يستعان به (آذنتني) أعلمتني (فراسة الحوباء) فطنة النفس (الينابيع) جمع ينبوع وهو ما يخرج من الماء وينبع (الحباء) العطاء (أبر) راعى وأكرم (توسمي) نظري ورأيي (يقذيها) يجعل بها القذى (الجود) الشح وقال بعضهم في ذم التشكي الى المخلوق

لا اشتكي ضري الى الناس وهم من أعلم
ان إلهي بالضر جواد منعم
أشكو الذي يرحمني * الى الذي لا يرحم

الكسقي قال أملقت حتى لم يبق في منزلي الا جارية فدخلت دار المتوكل فلم أزل متفكرا فحضرني بيتان فأخذت قصبه وكتبت على الحائط الذي كنت الى جانبه

الرزق مقسوم فأجمل في الطلب * يأتي بأسباب ومن غير سبب
فاسترزق الله ففي الله غنى * الله خير لك من أب حدب

فركب المتوكل في ذلك اليوم وجعل يطوف على الحجر ومعه الفتح بن خاقان حتى وقف على البيتين وقال من كتب هذا وقرأهما الفتح له فاستحسنهما وقال لمن كان في هذه الحجرة فقيل الكسقي فقال أغفلناه وأسأنا اليه فأمر لي ببدرتين وقال محمد بن مخلد الكاتب لزمت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات أغدو وأروح الى بابه لا أحظى بطائل ولا أصل الى تشريف ولا نائل حتى كرهت نفسي فرأيت هاتفا في المنام يقول لي

يا أيها المكثر في المطلب * اهجر تصاريف المنى الكواذب
اذا أتى وقت القضاء الغالب * بادرت الحاجة كف الطالب

فتركت المسير اليه فلم يمض لي أسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدني كتابته فثابت حالي (قوله همنا) أي تحيرنا (البراعة) الفصاحة (عبارتها) سياق كلامها (ملح استعارتها) يريد ما استعارته من تسمية الاشخاص بأسماء الاعضاء (إلحامك) نسجك الشعر (يفجر الصخر) أي يخرج من الحجر الماء ومن البخيل العطاء (مواساتك) صلتك وأصلها أن تجعل صاحبك اسوة نفسك (شعاري) ثوبي اللاصق بجسمي سمي شعارا لانه يلي شعر الجسد والظهار الثوب الذي يظهر للعيون والدثار الثوب الذي بينهما (ردن) كم (درع) قميص (دريس) خلق (برزت) ظهرت (درديس) داهية (ريب) جور (غنوا) أقاموا (غضيض) منكسر (صيتهم) ذكرهم الحسن وهو من الصوت فلما كسرت الصاد أصبر على وزن الذكر وهو معناه وانقلبت الواو ياء (مستفيض) متحدث به مشهور (نجعة) مرعى (أعوزت) فقدت (الشهباء) التي أجدبت بلا مطر فيها ولا عشب (والروض) الموضع الكثير العشب (أريض) متسع (تشب) توقد (للسارين) للماشين بالليل (غريض) طري (ساغبا) جائعا (لروع) لفزع (الجريض) الغصص بالريق عند الموت (حال) منع أي لا يقول جريضهم حال الموت دون الامل وهو لعبيد بن الابرص على النعمان الاكبر وهو ابن الشقيقة وباني الخورنق فانه مدحه فوصله وأكرمه وكان له يوم نعيم ويوم بؤس

فعيضت منهم صروف الردى
بحار جود لم اخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى
أسد التحامى وأساة المريض
فمحملى بعد المطايا المطا
وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وأفرخى ما تأتلى تشتكى
بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله
مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه
وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه
من دنس الذم نقى رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو
بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم
ويغتنم الشكر الطويل العريض
فوالذى تعنو النواصى له
يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لى صفحة
ولا تصديت لنظم القريض
(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح

فى السنة فورد عليه فى يوم بؤسه فقال له ما أخرجك ثكلتك أمك فقال حضور أجلى وانقطاع أملى وكان من لقيه يوم بؤسه لم يخلصه من الموت شئ فاستنشده أقفر من أهله ملحوب فقال له حال الجريض دون القريض فعزم عليه أن ينشد فأنشده

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

ثم قال له اختر ان شئت أخرجت نفسك من الاكحل وان شئت من الابجل وان شئت من الوريد فقال عبيد

خيرتنى بين سحابات عاد * فردت من بؤسك شر المراد

وكان قتل النعمان لعبيد سبب قطعه يوم بؤسه فلم يفعله بعد (قوله غيضت) أى أذهبت والصروف الطوارى تصرفك من حال الى حال (لم اخلها) لم أحسبها (أودعت) ضمنت (الثرى) التراب (التحامى) الحماية والمنعة وتحاميته تباعدت منه ومنعت عليه (أساة) أطباء (المطايا) الابل (المطا) الظهر (محملى) ما أحمل عليه أثقالى تقول صرت أحمل على ظهرى بعد ان كان محملى ظهور الابل (اليفاع) الارتفاع من الارض (الحضيض) أسفل الجبل (ما تأتلى) تقصر (بؤسا) ضرا (وميض) لمعان (القانت) العابد والقنوت طول القيام (يفيض) يملأ العين حتى تفيض بالدمع (النعاب) فرخ الغراب اختصه من الطير لانهم يزعمون أنه يخرج من بيضته أبيض الزغب فيراه الذكر فيستريب فيضرب أنثاه وينقرها حتى تفرط أثرة فيطير خلفها ويتركانه فيقيض الله له ذبابا يطير حول عينيه فيفتح منقاره ليشردها فتدخل فى حلقه فيتغذى بها حتى يسود ريشه فحينئذ يرجع اليه أبواه فيكملان تربيته ويا رازق النعاب من دعاء داود عليه السلام (المهيض) الذى انكسر بعد الجبر (أتح) قدر (رحيض) مغسول (مذقة) جرعة (حازر) لبن حامض شديد الحموضة و (المخيض) اللبن يمزج بالماء ويحرك والمخض التحريك ليخرج زبده واذا طال مكث المخيض واشتدت حموضته سمى حازرا (نابهم) نزل بهم (العريض) الواسع العرض (تعنو) تذل (النواصى) شعر مقدم الرأس (صفحة) ناحية العنق (تصديت) تعرضت (القريض) الشعر (قوله صدعت) شقت (اعشار) قطع (خبايا) ما خبئ فيها من الدراهم (ماحها) أعطاها (دينه) عادته (الامتياح) طلب المعروف يريد مشيخة الشعراء الذين قدمر ذكرهم وعيش الشعراء انما هو من الاستجداء والطلب ومعلوم أنه من كانت عادته أن يأخذ لا يعطى فى الغالب شيأ ولذلك قال (من لم تخله يرتاح) أى من لم تحسب أنه يهتز للعطاء وقد ارتاح اذا اهتز للكرم والعطاء ولذلك قال حبيب

لم يخلق الرحمن أحمق لحية * من سائل يرجو الندى من سائل

وقال آخر

لموت الفتى خير من الفقر للفتى * وللموت خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللموت خير من سؤال سؤول

وحدث عيسى بن عمر النحوى قال قدمت من سفر فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه أن أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا نعطى ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة فقال له يا أبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغاية تنا جميعا السؤال وكان بشار يعطيه فى كل سنة مائتى درهم فأتاه مرة فقال هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هى قال هو ما تسمع فقال له بشار

بمارحه أنت أفصح منى قال لا قال فأعلم قال لا قال فاشعر قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك
قال ان هجوتنى هجوتك قال أبو الشمقمق أوكذا هو اسمع

انى اذا ماشاعر هجانيه * أدخلت فى است امه علانيه

بشار يابشار وأراد أن يقول يا ابن الزانية فأمسك بشار بفمه وقال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لاتسمعن منك هذا الصبيان ولقيت سجلماسة شاعرها وعينها الحاج امدحثر وكان له شعر رائق فحدثت عنه انه قصده يوما فتى شاعر يستجديه بشعر فوقع الحاج تحت شعره

نحن بزاة الناس لانصاد * من كان ذا فهم بنا يصطاد

ثم كتب له قطعة من شعره وقال له اقصد بها فلانا فانه يصلك بما يرضيك فعلم المقصود بالشعر بنية الحاج فوصله بما أرضاه وعد أبو نواس أبا الطفيل الشاعر وعدا فألح عليه فقال

واخرس ولاج وغاد ورائح * رجاء نوال لو يعان بجود
وانى واياه كعريان يصطلى * من الطل نارا غير ذات وقود
زويت له وجها قطوبا عن الندى * وألبسته من وعده بوعيد
فان كنت لاعن سوء فعلك مقلعا * فدونك فاستظهر بنعل حديد
فعندى مطل لايطير غرابه * مطير ولا يدعى له بوليد

(قوله افعوعم) امتلأ وافعوعل بنية للمبالغة (تبرا) ذهبا (أولاها) أعطاها (البر) الاكرام (فاغر) منفتح (اشرأبت) تطاعت وتقول اشرأب الرجل اذا مد عنقه لينظر (سبرها) اختبارها (تبلو) تختبر يريد ان الجماعة أرادت ان تعرف هل أوقعت اكرامها فيمن يستحقه أم لا (كفلت) ضمنت (استنباط) استخراج (المرموز) المخفى (نهضت) تقدمت للمشى (اقفو) أتبع (معتصة) ممتلئة (انغمست) غابت ودخلت (الغمار) كثرة الخلق وجماعتهم التى تعمر الارض أى تغطيها ورده ابن الانبارى وجعله من خطا العامة وقال انما تقول العرب دخل فى خمار الناس بالخاء وهو جمعهم اذا استتر بهم ومنه الخمار لتغطية الرأس ومنه الخمر وقال يعقوب هو كل ما استتر به الانسان من شجر أو غيره فان كان من شجر خاصة فهو الضراء وحكى بعضهم غمارا جعله من غمر الماء الشئ اذا غطاه (قوله امّلست) انفلتت بسهولة والاملاس ان يسقط الشئ من يدك ولا تشعر به (الاغمار) الجهال (عاجت) مالت (بخاو بال) أى خالية منفردة (أماطت) أزالت (الجلباب) ثوب أوسع من الخمار تجلبب به أى يلتف فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل (نضت) نحت وجردت (النقاب) مايغطى به الوجه (ألمحها) انظرها (خصاص) فرج يريد به من شقوق الباب (انسرت) زالت ويروى بفصل سرت عن أن ومعناه أن أزالت بالهمزة والمنفصل فعل العجوز والمتصل فعل الاهبة وهى العدة يريد لما ان أزالت عنها هيئة لباسها التى استترت بها عنا كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تكشف وجهها حتى نعرفها (محيا) وجه (سفر) انكشف (اهجم) آخذه على غفلة (أعنفه) اقبح فعله (اسلنقى) صار على ظهره (المتمردين) الشياطين ومن لايرجى صلاحه (عقيرة) صوت (المغردين) المطربين بالغناء والعقيرة بمعنى معقورة أى جارحة مقطوعة كان لرجل قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى ورفع صوته فقيل

فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الاصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت الى سوق معتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغمار وامّلست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخاو بال الى مسجد خال فاماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ماستبدى من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبى زيد قد سفر فهممت بأن اهجم عليه لاعنفه على ما أجرى اليه فاسلنقى اسلنقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

كم قد قمرت بنيه
بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف
عليهم وبنكر
اصطاد قوما بوعظ
وآخرين بشعر
وأستفز بخل
عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر
وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا
مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي
ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا
عذري فدونك عذري

(قال الحرث بن همام) فلما طهرت على جلية أمره وبديعة إمره وما زخرف في شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولايفعل الا ما يريد فثنيت الى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

(المقامة الرابعة عشرة المكية)

(حكى الحرث بن همام) قال نهضت من مدينة السلام لحجة الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت

الكل من رفع صوته فقد رفع عقيرته (قوله ياليت شعري) معناه ليت درايتي وفطنتي ومعنى الشاعر في كلامهم الفطن العالم وسمي شاعرا لانه يفطن لما لا يفطن له غيره وأجاز الفراء ليت شعري أباك ما صنع على معنى ليتني أعلم أباك ما صنع وأنشد

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ * ـرو وليت يقولها المحزون

ومعناه ليتني أعلم مسافرا وقال آخر

خمر الشيب لمتي تخميرا * وحدا الى القبور البعيرا
ليت شعري اذا القيامة قامت * ودعي بالحساب أين المصيرا

قال ثعلب المصير منصوب بشعري أي ليتني أعلم المصير أين هو والبعير منصوب بحدا أي وحدا الشيب البعير الى القبور (كنه) حقيقة (غوري) آخر أمري وأصل الغور قعر الجرحة والمنخفض من الارض (قمرت) غلبت وخدعت (مكري) خداعي (أستفز) أستخف وأخدع واستفزه من كذا أخرجه منه والخل كناية عن الشر والخمر كناية عن الخير هذا على مذهب العرب وكانت الخمر أجل ما عندهم ويقولون ما عنده خل ولا خمر أي ما عنده شر ولا خير واذا فسدت الخمر عندهم صارت خلا وقد قال في ألغازه

وماشيء اذا فسدا * تحول غيه رشدا

يريد أن الخمر اذا فسدت صارت خلا فبعد أن كانت حراما رجعت حلالا وزال تأثيرها في العقول (صخر) هو ابن الشريد و(أخته) الخنساء فأراد أنه مرة رجل ومرة أخرى امرأة * ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لعنوا في السماء رجل خلقه الله ذكرا فتأنث وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال والذي يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيي بن زكريا عليهما السلام *وأما صخر فهو ابن عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكان في جاهله أجمل رجل في العرب وسنذكر لمعة من أخبار صخر وأخته الخنساء في المقامة الاربعين ان شاء الله تعالى (سلكت سبيلا) دخلت طريقا (مألوفة) مركوبة ملتزمة (قدحي) سهمي (قدحي) ضربي بالزند (عسري) فقري (خسري) ضد ربحي والخسر النقص يريد لو مشيت على طريقة واحدة أبدا لخسرت وخبت (دونك) أي خذ (جلية) طاهرة (بديعة) غريبة (إمره) دهائه وعجبه (زخرف) زين (المريد) العاري من الخير انما هو شر كله (التفنيد) اللوم وفند فعله اذا عابه (ثنيت) عطفت وتقول جاء ثانيا عنانه اذا بلغ مراده ولم يجهد نفسه (أبثثتهم) أخبرتهم (أثبته) حققه (عياني) معاينتي (وجموا) غضبوا (الجوائز) العطايا (تعاهدوا) تحالفوا (محرمة) منع وحرمان

(شرح المقامة الرابعة عشرة وهي المكية)

(نهضت) أي تقدمت وسمي النهوض تقدما لسرعة الحركة * وسمي المنصور بغداد مدينة السلام لان دجلة يقال لها وادي السلام ونهر السلام * وأضاف الحجة الى الاسلام لانها أحد أركانه قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس والحج أحدها (التفث) ما يلزم الحاج

الطيب والرفث صادف موسم الخيف معمان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حرّ الظهيرة فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب اسعاف وسر ضرّي غير خاف والنظر الي شفيع لي كاف وأما الانسياب الذي علق به الارتياب فما هو بعجاب اذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال ان للكرم نشرا تنم به نفحاته وترشد الى روضه فوحاته فاستدللت بتأرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني تضوع رندكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنتكفل باعانته فقال ان لي

من ترك الطيب وحلاق الشعر (والرفث) النكاح (استصت) استحلت (الموسم) الموضع الذي يجتمع فيه الناس من عيد أو سوق (الخيف) موضع بمكة (معمان) شدة الحر (استظهرت) استعددت تقول قد استظهر للشيء بكذا اذا استعدّ له وقد تقدم آنفا الحسن

فدونك فاستظهر بنعل حديد (يقي) يمنع (الظهيرة) حر نصف النهار ويقول بسبب ضرورة الحر جعلت على نفسي سترا يمنع عني حر الشمس (طراف) قبة من جلد (ظراف) جمع ظريف وهو النبيل المهذب (حمي وطيس الحصباء) اشتدّ حر الجنادل لمن وطئها وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه (أعشى) أعمى (الهجير) حر نصف النهار (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس وتدور معها وانظرها في المقامة السادسة والثلاثين وقال المعري

وهبيرة كالهجر موج سرابها * كالبحر ليس لمائه من مطلب

أوفى بها الحرباء عودي منبر * للظهر الا أنه لم يخطب

فكأنه رام الكلام ومسه عي فاسعده لسان الجندب

(وقال أيضا في نحوه)

وساحرة الاقطار يحيى سرابها فيصلب حرباء بريا على جذع

(قوله هجم) أي دخل على غفلة (متسعسع) هرم متقارب الخطو (مترعرع) شاب مراهق وترعرع الغلام أي أخذ في الزيادة في طوله وخلقته والرعرع الشباب (أريب) عاقل (حاور) راجع الكلام (نثر من سمطه) أبدى من كلامه وأصل السمط خيط الجوهر (انبساطه) دالته وهذا الكلام أصله في البساط تقول بسطته فانبسط فلا يكون الانبساط مطاوعا الا بعد الشروع في البسط يقول فهذا الشيخ انبسط علينا قبل ان نبسطه أي دل علينا قبل أن نجعل له السبيل في ذلك ومما يستحسن من المطلوم هنا قول ابن كناسة

في انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها * فقلت ما قلت غير محتشم

قال اسحق الموصلي أنشدني ابن كناسة هذين البيتين فقلت له وددت أني سبقتك اليهما وينقص من عمري سنتان (ولجت) دخلت (عاف) طالب معروف (اسعاف) قضاء حاجتي (الشفيع) الطالب لغيره يقول لست أحتاج اليكم مع ظهور سري لشفيع لان نظركم الي يغني عن الشفيع (كاف) مغن عن غيره (الانسياب) الدخول بسهولة وقد تقدم أصله في الاولى (الارتياب) الشك والانكار (عجاب) مبالغة في عجب (أنى) كيف (نشرا تنم به نفحاته) طيبا تفوح روائحه وأنفاسه (ترشد) تدل وتهدي (فوحاته) روائحه العطرة و(العرف) الرائحة الطيبة و(تأرجها) تحركها وتأرج الطيب فاح (تبلج) ظهور (عرفكم) معروفكم ولاحظ الحريري في هذا قول العرجي

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج

أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قالوا ويستدل بالطيب على الملوكية في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين فمن ذلك الحمام ومعرك الحرب وسل هذا الموطن الذي ذكر الحريري في الحج اذا حل قالوا والطيب

دليل لا يكذب وعلم لا يفسد والطيب غذاء الروح والنفحات الذكية نشاط النفس فهو طب وطيب وقال ابن البوّاب

اذا أبصرتك العين من بعد غاية * فاوقعت شكا فيك أثبتك القلب

ولو أن ركباً يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

(وقال السرى الموصلى)

حليه وثناياه وعنبره * كل ينم عليه أو يراقبه

فلست أدرى اذا ما سار فى أفق * شمائل الافق أذكى أم جنائبه

(وقال ابن سكرة)

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس

تسترت بالدجى عمداً فما استترت * وناب اشراقها لساع عن القبس

ولو طواها الدجى عنى لاظهرها * برق اللثات وعطر النحر والنفس

(وأخذه المعتمد بن عباد فقال)*

ثلاثة منعتنا من زيارتها * خوف الوشاة وخوف الحاسد الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

(قوله مأربا) اى حاجة (المرامين) المطلبين (الكبر الكبر) أى قدّموا الاكبر ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدّم الاكبر (أجل) نعم (دحا) بسط (السبع الغبر) الارضين (المنشط) المحلول (عقال) قيد البعير وعقدته بأنشوطة أى عقدته عقدة تحل بجذبة أو بجذبتين وقولهم بئر نشوط اذا كان دلوها يخرج بجذبة أو جذبتين وتسمى عامتنا عقدة الانشوطة الخ (أبدع بى) أى عطبت ناقتى يقال أبدع بالرجل اذا كلت ابله أو عطبت وفى الحديث ان رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال احملنى فانى أبدع بى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما عندى ما أحملك عليه ولكن اذهب الى فلان فقل له يحملك فأتاه فحمله فرجع اليه فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم من دلّ على خير فله أجر فاعله (قوله الوجى) وجع الحافر من الحفا (شقق شاسعة) سفرتى بعيدة (خبى) مشيتى وخب الفرس خبباً وهو ضرب من العدو دون الاسراع (الخردل) حب معروف فى نهاية الصغر (مطبوعة) مصنوعة (منسدّة) منغلقة (العطب) الهلاك (تخلفت) تأخرت (مذهبى) طريق (زفرتى فى صعد) نفسى فى ارتفاع (عبرتى فى صبب) دمعى فى انحدار (المتجع) الموضع الخصيب الذى يتجع للمرعى يقول موضعكم خصيب وأنتم كرام فمن طلب منكم رزقه وجده (لها كم) عطايا كم (منهلة) منصبة (لاذ) تستر ولجأ (مرتاع) خائف (النوب) جمع نائبة على غير قياس وهى الداهية وجعل لها نابا مجازاً وجنس به وأصل الناب للسبع (استدر) طلب الدر وهو اللبن (آمل) راج (حباءكم) عطاءكم (انعطفوا) ميلوا (منقلبى) مرجعى يقول عسا كم أن تشفقوا على وتميل قلوبكم بالرحمة الى حتى يحسن منقلبى من عندكم (بلوتم) جربتم (أسلمنى) تركنى (الكرب) الهموم (خبرتم) اختبرتم (حسبى) شرفى والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة (مذهبى) طريقى (حوت) جمعت

السبع الغبر ثم وثب المقال

كالمنشط من العقال وأنشد

انى امرؤ أبدع بى

بعد الوجى والتعب

وشقق شاسعة

يقصر عنها خببى

ومامعى خردلة

مطبوعة من ذهب

فحيلتى منسدّة

وحيرتى تلعب بى

ان ارتحلت راجلاً

خفت دواعى العطب

وان تخلفت عن الر

رفقة ضاق مذهبى

فزفرتى فى صعد

وعبرتى فى صبب

وأنتم منتجع الر

راجى ومرمى الطلب

لها كم منهلة

ولا انهلال السحب

وجاركم فى حرم

ووفركم فى حرب

ما لاذ مرتاع بكم

خاف ناب النوب

ولا استدرّ آمل

حباءكم فخاب

فانعطفوا فى قصتى

وأحسنوا منقلبى

فلو بلوتم عيشتى

فى مطعمى ومشربى

لساءكم ضرّى الذى

أسلمنى للكرب

ولو خبرتم حسبى

ونسبى ومذهبى

وما حوت معرفتى

قوله والحسب آباء الخ كذا فى النسخ ولا يخفى ان الحسيب وصف للآباء لا هو هم كما فى القاموس وراجعه اه

(النخب) المختارة (اعترتكم) قصدتكم (شبهة) شك وحيرة (دهاني) أهلكني وضرني (شؤمه) نحسه (عقني) قطعني وأساء الى بتعلمه فهو يتطير بأدبه والتطير بالادب مذهب قديم متداول وقد أشار اليه ابن قتيبة في صدر أدبه وقال عمرو بن شبة من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى وقيل للحسن البصري رحمه الله لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل في أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر وقال الحمدوني

ماازددت من أدبي حرفا أسربه * الا تزيدت حرفا تحته شوم

كذا المقدم في حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال أبو اسحق الصابي)

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت أن تدري الذي هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ماجرت * به لهما الارزاق حين تفرق

فحيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

أخذه عبد الملك بن وهبون فقال

يعز على العلياء أني خامل * وان أبصرت مني خود شهاب

وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابي

(وقال أبو اسحق الصابي)

قد كنت أعجب من مالي وكثرته * وكيف تغفل عنه حرفة الادب

حتى انثنت وهي كالغضبى تلاحظني * شزرا فلم تبق لي شيأ من النشب

واستيقنت انها كانت على غلط * فاستدركته وأفضت بي الى الحرب

الضب والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع المال والادب

وقال علي بن بسام يرثي عبد الله بن المعتز على ما كان بينهما من العداوة

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب

ما فيه لو ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الأدب

وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به أمر به فرمي في صهريج فيه ماء في شدة البرد فمات ومن عجائب الدنيا ان أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماما وأغلق عليه فمات من حره وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم في الغالب كذلك نفوا أن تجتمع النجابة في الولد والوالد في الغالب قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرا لبيبا * فكن في ابنه سيء الاعتقاد

فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار غير الرماد

ولما أوجع الفقر والحرمان القاضي عبد الوهاب لاجل أدبه على ما شرطوا في الادب تمنى الكفاف ولزوم العلم الى الممات فقال

بالهف نفسي على شيئين لو جمعا * عندي لكنت اذا من أفضل البشر

كفاف عيش كفاني ذل مسئلة * وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة
في أن دائي أدبي
فليت أني لم أكن
أرضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه
وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فاماربة ولدك فقال له فيا بني

كما قام أبوك وفه بما فى نفسك

لافض فوك فنهض نهوض

البطل للبراز وأصلت لسانا

كالعضب الجراز وأنشأ يقول

ياسادة فى المعالى

لهم مبان مشيده

ومن اذا ناب خطب

قاموا بدفع المكيده

ومن يهون عليهم

بذل الكنوز العتيده

أريد منكم شواء

وجردقا وعصيده

فان غلا فرقاق

يوارى الشهيده

أولم يكن ذا ولاذا

فشبعة من ثريده

فان تعذر نطرا

فعجوة ونهيده

فأحضروا ماتسنى

ولوشظى من قديده

ورزجوه فنفسى

لماير وج مريده

والزاد لابد منه

لرحلة لى بعيده

وأنتم خير رهط

تدعون عند الشديده

أيديكم كل يوم

لها أياد جديده

وراحكم واصلات

شمل الصلات المقيده

وبغيتى فى مطاوى

ماترفدون زهيده

وفى أجر وعقبى

تنفيس كربى جميده

ولى نتائج فكر * يفضض كل قصيده *(قال الحرث بن همام)* فلما رأينا الشبل يشبه الأسد أرحلنا الوالد وزودنا الولد

فقابلا الصنع بشكر نشرا أرديته وأتيا بديته ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحلة

فلما فتح عليه باب الرزق مات على ما يأتى ذكره فسبحان من أنفذ حكمه فى خلقه كيف شاء (قوله صرحت) بينت (فاقتك) فقرك وتصريح أبياته بعطب ناقته هو قوله أبدع بى المتقدم وفى معناه ان اعرابية خرجت الى الحج فلما كانت ببعض الطريق عطبت ناقتها فرفعت يديها الى السماء وقالت يارب أخرجتنى من بيتى الى بيتك فلا بيتى ولا بيتك (قوله نعطيك) نعطيك مطية (مأربة) حاجة (فه) تكلم (فض) كسر (نهض) تقدم (أصلت) جرد (العضب الجراز) السيف القاطع (مشيدة) مرتفعة (ناب خطب) قصد أمر شديد و(المكيدة) هى الكيد وكل مايكاد به فهو مكيدة و(قاموا بدفعها) اقتدروا عليها يقول اذا قصدوا بأمر عظيم وكيدوا به اقتدروا على دفع المكيدوا كتنوا ممن يريد ضرهم (العتيدة) الحاضرة المدخورة (رقاق) خبز رقيق (توارى) تغطى (الشهيدة) الشاة المشوية وقلما يؤكل لحمها الا بالرقاق وربما سموا الهريسة شهيدة وأنشدوا فى ذلك

هلموا الى من عذبت طول ليلها * بأضيق سجن فى الجحيم تسعر

وقد جلدوها الحد وهى بريئة * فسيروا الى دفن الشهيدة تؤجروا

وقيل الشهيدة الدجاجة المحشوة وقيل السمكة المحشوة (طرا) جميعا (عجوة) نوع من التمر طيب و(النهيدة) الزبدة والتمر بالزبد شئ يلذ عندهم أكله (تسنى) حضر (شظى) قطعة (روجوه) عجلوه (ولابد منه) أى قد وجب عليكم فالتزموه لى تقول لابد من كذا معناه قد ألزمته نفسى وجعلته واجبا على من قول العرب قد أبد الرجل القوم وأبد الرامى الوحش اذا ألزمهن الحتف قال أبو ذؤيب فأبدهن حتوفهن فهارب * بدمائه أو بارك متجعجع (قوله اياد) اى نعم (راحكم) أكفكم (واصلات شمل الصلات) أى تؤلف وتصل متفرق العطايا والفوائد (بغيتى) ارادتى (مطاوى ماترفدون) مطاوى الثوب معاطفه ومايطوى منه وترفدون تعطون وتقدير البيت بغيتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطايا كم أى ماطلبته منكم قليل فى أثناء ماتهبون (قوله وفى أجر) عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه المؤمن طعاما وافق بشهوته أدخله الله الجنة وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق (تنفيس) تفريج وترويح يقول عاقبة تفريج همى لمن فرجه محمودة للاجر الذى فيها والثناء بشعرى عليه وعلى هذا رتب (ولى نتائج فكر) وهى أشعاره الحسان (يفضض) يشهرن عيوبها يقول اذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت (الشبل) ولد الاسد (أرحلناه) أعطيناه راحلة يركبها (الصنع) الفعل الجميل (نشرا أرديته) استعارة لنشر الشكر (أتيا) أعطيا (ديته) حقه يقول جعلا شكرهما حقا لبرنا ومكافأة لصلتنا وكأن المال الموهوب قد استهلكه الآخذ فان شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله الهالك وانما أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره وفى حديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى شيأ فوجد فليجز ومن لم يجد فليثن به فان أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال من دعاكم فأجيبوه ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم يجد أحدكم فليدع له حتى يعلم أنه قد كافأه وقالوا اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وما أحسن قول حبيب فى نشر الشكر وذم ستره

النارنار الشوق فى كبد الفتى * والبين شبههما هوى مسموم
خبر له من أن يخامر قلبه * وهو امعروف امرئ مكتوم
سرق الصنيعة فاستمر ملعنا * يدعو عليه السائل المظلوم
أأقنع المعروف وهو كأنه * قمر الدجى انى اذا اللئيم
مثر من المال الذى ملكتنى * أعنافه ومن الوفاء عديم
فأروح فى بردين لم يسحبهما * قبلى فتى وهما الغنى واللوم

ومن ملح الاعراب أن أعرابيا الصا أخذه الحجاج فضربه سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا يارب فقال له والله مايمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك أما سمعت الله يقول لئن شكرتم لازيدنكم فأنشأ الاعرابى يقول

يارب لاشكر فلا تزدنى * أسأت فى شكرك فاعف عنى
* باعد ثواب الشاكرين منى *

ومر بشار برجل قد رمحته بغلة فسقط مكسورا وهو يقول الحمد لله والشكر لله فقال استزده يزدك من هذه النعم وسيأتى نوع آخر من الشعر فى الشكر بحول الله تعالى (قوله حبك النطاق) النطاق والمنطقة مايشد على وسطك كالحزام والحبك خيوط أوشرك يشد بها النطاق وأراد أنهما تحزما للارتحال و يقال حبكت الشئ حبكا شددته واحتبكت ازارى شددته والمحبوك المفتول وحبكته شددت فتله والحبك الطرائق فى السماء من أثر الغيم والحبك أيضا التكسير الذى يكون فى الرمل والشعر والماء (ضاهت) شابهت (عدتنا) ماوعدناك به من الراحلة ولا بلك من الزاد (عرقوب) رجل من العماليق يضرب به المثل فى اخلاف الوعد وقصته انه أتاه أخ له يسأله شيأ فقال له اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت أتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما أزهت قال له دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعطه شيأ وقيل عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم و يقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الاوس والخزرج قال علقمة

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعد عرقوب أخاه بيثرب
(وقال كعب بن زهير)
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

وقال عبدالله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق و (حاجة نفس يعقوب) خشية العين على بنيه حين أمرهم أن يتفرقوا على الابواب ولايدخلوا من باب واحد لانهم كانوا فى غاية من الجمال وكمال الخلق وقال الله تعالى ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وأراد الحريرى هل بقيت لك حاجة لم تقضها (فقال حاش لله) أى معاذ الله * ابن الانبارى قولهم حاشى فلانا معناه أستثنيه وأخرجه من المذكورين الفراء هو من حاشيت أحاشى و يقال قام القوم حاشى عبدالله بالنصب والخفض وحاشى لعبدالله وحاش وحشى وخفض مابعدها باضمار اللام لكثرة صحبتها حاشى كأنها ظاهرة أو تقول أضيفت حاشى الى عبدالله لانه أشبه الاسم لما لم يأت معه فاعل (كلا) معناها الزجر أى ليس الامر كما تظن (جل) عظم وهو من الجلل والجليل هو العظيم

حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أوهل بقيت حاجة فى نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم

(ترجمة عرقوب)

ويكون فى غير هذا اليسير وهو من الاضداد (جلى) سبق معروفكم كل معروف والمجلى من الخيل السابق (دنا) جازنا (أين الدويرة) سأله أين يسكن من البلاد (ملكنا) غلبتنا يقول قد التبس علينا أمرك وتحيرنا فيه (تنفس) ردد النفس الى الجوف بصوت ورفعه الى صدره والتنفس ضد الشهيق وهو رد النفس الى الجوف بصوت (يلعثم) يلوى ويعقل ويقال سأله عن كذا فما تلعثم أى ما توقف ولا تلبث ولا أبطأ فاذا ذكرت للغريب بلده وهو على بعد منه تنفس وتلهف (أناخ) أقام ونزل (أخنوا) أفسدوا وأتوا على خرابها * والتى يبغى حط الذنوب اليها هى مكة (حط) القاء وانزال (لديها) عندها أى اذا حج ودعا الله حط ذنوبه عنه وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (راق) أعجب (طرفيها) جهتيها (اغرورقت) امتلأت (آذنت) أعلمت (الهموع) السيلان (يستوكفها) يستدرها ويجريها (يكفكفها) يردها (المستحلى) المستعذب (أوجز) اختصر ومما ينتظم بهذا الموضع من ذكر الاوطان والتشوق اليها قول رفاعة بن عاصم الفقعسى وأنشدها البكرى لامرأة من طيئ

ألم تعلمى يادار ملحاء أننى * اذا أخصبت أوكان جدبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين منعج * الى وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

قال على بن عبد الكريم النصيبينى أتانى ابن الرومى بقصيدته التى يمدح فيها سليمان بن عبد الله ابن طاهر وقال لى أنصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى موطن آليت أن لا أبيعه * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو قول الاعرابى أحب بلاد الله الابيات فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت حب الوطن والعلة فى ذلك وقال ابن الرومى يتشوق الى بغداد

بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول اعرابى يتشوق الى بلده

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * بشوق الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ربع به اخضر شاربى * وقطع عنى فيه عقد التمائم

(وقال اسحق الموصلى)

أتبكى على بغداد وهى قريبة * فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى * لو انا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزنا ان رحت لم أستطع لها * وداعا ولم أحدث لسا كنها عهدا

وأنشدنى شيخنا أبو بكر السلامى وكان يزعم أنهما لاخى الحريرى وقد أحسن قائلهما كأننا من

وجلى فقلت له فدنا كما دنالك وأفدنا كما أفدنالك أين الدويرة فقد ملكنا قبلك الحيرة فتنفس تنفس من اذكر أوطانه وأنشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج دارى ولكن * كيف السبيل اليها
وقد أناخ الاعادى * بها وأخنوا عليها
فوالتى سرت أبغى * حط الذنوب لديها
ماراق طرفى شئ * مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك أن يكفكفها فقطع انشاده المستحلى وأوجز فى الوداع وولى

كان طيب الهواء ببغداد يؤرقني * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

(شرح المقامة الخامسة عشرة وهي الفرضية)

(أرقت) سهرت ولم أنم وفي حديث زيد بن ثابت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابني فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ياحي يا قيوم اهدأ ليلي وأنم عيني فقلتها فأذهب الله عني ما كنت أجده (حالكة الجلباب) سوداء الثوب (هامية الرباب) سائلة السحاب يريد أن الليلة مظلمة ممطرة (صب) عاشق (طرد) نفي (منى) ابتلي (صد) هجر (الافكار) أحاديث النفس (يهجن) يحركن و(يجلن) يصرفن و(الوساوس) الفكر المقلقة (وهمي) بالي وخاطري وقال ابن شهيد في نحو هذه الليلة

ولرب ليل للهموم تسدلت * أستاره فمحا الضيا بستوره
كالبحر يضرب موجه في موجه * صعب على العبار وجه عبوره
طاولته من عزمتي بتصبر * أثبت همي في قرارة كوره
وبراحة من همتي ذو كرة * عمدت يداكر بي لطبع ذكيره
فردا اذا انبعثت دياجي جنحه * هولا على خبطت في ديجوره
حتى بدا عبد العزيز لناظري * أملي ٣ فرقت الربا عن نوره

وليلة الحريري ضد ليلة ابن رشيق في قوله

ومن حسنات الدهر عندي ليلة * من العمر لم تترك لايامنا ذنبا
خلونا بها ننفي القذى عن عيوننا * بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الخدود ولثمها * كميل جياع الطير تلتقط الحبا

(قوله تمنيت) ابن الانباري في معناه قدرت وأحببت أن يصير الى وهو من المني وهو القدر يقال منى الله لك ما تحبه يمنيه منيا أي قدره لك (لمضض) أي لحرقة (عاينت) شاهدت ويروى عانيت أي قاسيت (سميرا) صاحبا يسمر معه (يقصر) يردها قصيرة بأنسه وحديثه (الليلاء) الشديدة الطويلة السواد ولابن الرقاق في مثل هذا السمير

رب ليل أتحفت فيه بانس * من سمير زف الحديث عروسا
فاجتنينا مما يحدث زهرا * واغتبقنا من خلقه خندريسا
وانثنى الليل يفضل الصبح حسنا * والدراري يفضلن فيه الشموسا
ولئن كان لم يحل عن دجاه * فلقد عاد فحمه آبنوسا

(قوله أغمضت مقلتي) نامت عيني (قرع) ضرب (خاشع) لين (أثمر) طلع ثمره (الحظ) البخت (أقمر) صار فيه قمر يقول لعل بختي قد زال نحسه وأقبل سعده اذ وجدت ما تمنيت (نهضت) تقدمت (الطارق) الآتي بالليل (أجنه) ستره (غشيه) غطاه (الايواء) مصدر آويت الرجل اذا أنزلته على نفسك وضممته وتقول أويته وآويته بمعنى واحد (أسحر) دخل في وقت السحر يريد أنه لا يطلب غير المبيت وينصرف في السحر (الشعاع) ما يبدو لك من الشمس اذا ظهرت

(المقامة الخامسة عشرة الفرضية)

(أخبر الحرث بن همام) قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومني بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همي ويجلن في الوساوس وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء لبقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا أغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع لصوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا أسحر قدم السير قال فلما دل شعاعه على شمسه

٣ قوله فرقت الربا عن نوره هكذا بالاصول التي معنا ولعله فرقت الدجى من نوره اهـ مصححه

ونمّ عنوانه بسرّ طرسه علمت انّ مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص
قد حنى الدهر صعدته و بلّل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر ٢٣١ على تلبية صوته واعتذر من الطروق
في غير وقته فدانيته بالمصباح
المتقد وتاملته تأمل المنتقد
فألفيته شيخنا أبا زيد بلا
ريب ولا رجم غيب فاحللته
محلّ من أظفرني بقصوى
الطلب ونقلني من وقذ
الكرب الى روح الطرب ثم
أخذ يشكو الأين وأخذت
في كيف وأين فقال أبلعني
ريقي فقد أتعبني طريقي
فظننته مستبطنا للسغب
متكاسلا لهذا السبب
فأحضرته ما يحضر للضيف
المفاجي في الليل الداجي
فانقبض انقباض المحتشم
وأعرض اعراض البشم
فسؤت ظنا بامتناعه
وأحفظني حوّل طباعه
حتى كدت أغلظ له في
الكلام وألسعه بحمة
الملام فتبين من لمحات
ناظري ما خامر خاطري
فقال يا ضعيف الثقة بأهل
المقة عدّ عما أخطرته بالك
واستمع الى لا أبا لك فقلت
هات يا أخا الترّهات فقال
اعلم أنّي بتّ البارحة حليف
افلاس ونجيّ وسواس فلما
قضى الليل نحبه وغوّر الصبح
شهبه غدوت وقت الاشراق
الى بعض الاسواق متصدّيا
لصيد يسنح أو حرّ يسمح
فلحظت بها عراقد حسن تصفيفه وأحسن اليه مصيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقابلته لبأ قد برز
كالابريز الاصفر وانجلى في اللون المزعفر فهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوّب رأي مشتريه

كالخيال (نمّ) أفشى السرّ و(الطرس) الكتاب (العنوان) ما يكتب على ظهره يريد أنّ
كلام الطارق دل على مراده و(المسامرة) هي المساهرة (غنم) غنيمة (نعم) نعمة (بسلام)
أي بسلامة وأمن (قوله صعدته) الصعدة الرمح الطويل وكنى به عن القامة (بردته) ثوبه
(عضب) قاطع (تلبية) قولي له لبيك (الطروق) المجيء بالليل (دانيته) قربت منه (تاملته)
نظرته (المنتقد) المجرّب للدراهم أي نظرته بعين المباحثة (ألفيته) وجدته (ريب) شكّ (رجم
الغيب) رمي الظنّ (أظفرني) ملكني (قصوى) غاية وهي مؤنث الاقصى أي الابعد (وقذ
الكرب) حرقة الهموم (روح الطرب) راحة السرور (الاين) التعب (كيف) سؤال عن حال
(وأين) سؤال عن مكان أي سألته كيف حالك ومن أين جئت (أبلعني ريقي) أي لا تكثر عليّ
السؤال فيعجلني جوابك عن بلع ريقي (السغب) الجوع وقد سغب وسغب جاع (الداجي) المظلم
(المحتشم) المستحي هنا (أعرض) نحي وجهه وتحقيقه ولي عرضه أي جانبه (البشم) الكسل من
الشبع وقد بشم بشما مرض من كثرة الاكل (سؤت ظنا) ساء ظني وظنا المنصوب على التميز
فاعل في المعنى من باب تفقأ شحما (أحفظني) أغضبني (حوّل طباعه) تغير أخلاقه (حمة
الملام) سم العتاب (ألسعه) أقرصه بلساني ولسعته العقرب ضربته بابرتها (لمحات ناظري)
أي خطرات عيني (خامر خاطري) خالط فكري (المقة) الحب (عدّ) أي اصرفه عن نفسك
(الترّهات) العجائب وأيضا الاباطيل وأصلها الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الاعظم
(حليف افلاس) ملازم فقر (نجيّ) محدّث ولما كانت الوساوس تشغل بال الانسان وتجعله
يتحدّث وحده جعل نفسه محدّثا لها (قضى نحبه) تم وانقضى وقضى الرجل نحبه مات والنحب
النذر (وغوّر) غيب (شهبه) نجومه (الاشراق) ارتفاع الشمس وصفاؤها (الاسواق) جمع
سوق وسميت سوقا لانّ الاشياء تساق اليها وتساق منها أو لانّ سوق الناس تكثر فيها والسوق
جمع ساق والسوق بالفتح مصدر سقت و بالضم الاسم (متصدّيا) متعرضا (يسنح) يعرض من جهة
اليمين ويزاد بيانا عند ذكر السانح والبارح (يسمح) يجود (لحظت) نظرت ولحظني أضيق عيني
أي أبصرت بضيق عيني (تصفيفه) أي جعله صفا واحدا وصففت الشيء جعلته صفا واحدا
مضموما (المصيف) زمن الصيف (الرحيق) الخمر (قنوء) حمرة (العقيق) خرز أحمر * عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب
أحدكم غم ما دام عليه ذلك (واللبأ) أوّل ما يحلب من اللبن وهو لم ينضج (برز) ظهر (الابريز)
الذهب الخالص (المزعفر) المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر
و(طاهيه) طابخه (تناهيه) غايته وكماله يقول هذا اللبأ بحسن صنعته وجودة طبخه كأنه
يثني للمشترين على طابخه وان لم يكن له لسان فكماله في الحسن وجودته في الصنعة قام له مقام
اللسان وهذا يسمى الكلام بلسان الحال قال الشاعر

ولسان نعمتك التي قلدتني * بالشكر أبلغ من لسان بياني

وقال المتنبي

تشدأ ثوابنا مدائحه * بألسن ما لهنّ أفواه

اذا مرونا عـلى الاصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه

(أخذه من قول نصيب)

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(وقال أبو العتاهية)

أيا عجبا كيف يعصى الالـه أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

ولله فى كل تسكينة * وتحريكة فى الورى شاهد

وقال الفضل بن عيسى الرقاشى سل الارض من غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ومنه سؤال العرب المنازل الخالية والديار الدارسة وقال شاعرهم

وأجهشت للتوباذ حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

رأذريت دمع العين لما رأيته * ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى أمن وخصب زمان

فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

التوباذ جبل ببلاد بنى عامر وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى فجعله لفظيا مجازا وهذه الحالة الدالة التى سماها الجاحظ فى أقسام البيان النصبة قال الجاحظ جميع أصناف الدلالة على المعانى من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصبة والعقد أخذ العدد فى الاصابع (قوله نقد) أى أعطى نقدا وهو المال الحاضر (حبة القلب) سواده (أسرتنى) ربطتنى كالاسير (أشطانها) حبالها (أسلمتنى) تركتنى (العيمة) شهوة اللبن و(سلطانها) قدرتها وغلبتها يريد أن الشهوة الى اللبن قهرته حتى تركته مستسلما لا يملك نفسه (الضب) يشبه الحرذون وهو حرذون الصحراء واذا فارق جحره لم يهتد اليه فيتحير فيجعل حجرا عند جحره واقفا ليهتدى به فاذا أزاله الصائد تحير فجاء فأخذه ورعاقلة بذلك الحجر قال الشاعر

وان الضب ذو دهى ومكر * كما اليربوع والذئب اللعين

يرى مرداته من رأس ميل * ويأمن سيل بارقة هتون

ويدخل عقربا تحت الذنابى * رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لان من رآه صاح عليه ومرداته جحره والعقرب يعده الضب للصائد ان أدخل يده فى جحره وأخذ بذنبه لسعته العقرب وربما أكل العقارب وترك منها واحدا فى باب جحره للصائد قال الشاعر

وأخدع من ضب اذا جاء حارس * أعد له عند الذنابة عقربا

والضب يوصف بالضلال وقالوا فى بيت المتنبى

لقد لعب البين المشت بها وبى * وزودنى فى السير ما زود الضبا

أراد انه زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق للعود اليه والاجتماع مع الحبيب وقال الواحدى يقول جعل البين زادى زاد الضب والضب لا يتزود فى المفازة ومعناه فارقت الحبيب من غير وداع ولا التقاء يكون لى زادا على البعد ويقال أيضا أخدع من ضب وذلك أنه

ولو نقد حبة القلب فيه

فأسرتنى الشهوة باشطانها

وأسلمتنى العيمة الى سلطانها

فبقيت أحير من ضب

وأذهل من صب لا وجد بوصلني الى نيل المراد ولذة الازدراد ولا فدم بطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حداني القرم وسوربه والسغب وفوربه على أن أتجع كل أرض وأقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي الى الانهار وهي لا ترجع بلة ولا تجلب نقع غلة الى أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد اذ قابلني شيخ يتأوه أهة الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك فانك ستجدني طبا آسيا

يطمع الصائد في نفسه فاذا احتق عليه خدع في جحره ومنه أخدعني الخداع ويقال فيه انه أعق من ضب وذلك انه يأكل أولاده ويكنى أبا الحسل ويسمى ولده الحسل وأمثال العرب به كثيرة ويزعمون انه كان حكما في الدواب في الزمان الذي كانت فيه الحيوان تتكلم زعمه يروون في نيته يؤتى الحكم يعني نفسه وفيه خواص ليست في الحيوان ترعم العرب انه لا يشرب الماء واذا أخذه العطش صعد ربوة واستقبل الريح وأنه طويل العمر ويقولون انه أحيى من ضب يريدون أن حياته لا تكاد تنقضي وأنه لا يسقط له سن وانه أطول الدواب دما اذا ذبح بقي زمانا وحينئذ يموت وأن له ذكرين ولا نثاه فرجين (قوله اذهل من صب) أي أشغل قلبا من عاشق ووساوس العشق أفضت ببعض العشاق الى الجنون (وجد) غني وقد وجدت وجدا أي كثر مالي و(الازدراد) كثرة الاكل وزردت الطعام وازدردته اذا ابتلعته و(الالتهاب) اشتعال نار الجوع (حداني) ساقني (القرم) شهوة اللحم وأراد به شهوة الاكل (سوربه) شدته و(فورة السغب) غليان الجوع (أتجع) أمشي في طلب ما آكل و(الورد) الحظ من الماء و(البرض) قليل الماء (سحابة ذلك النهار) أي طول ذلك النهار كما تقول بياض يومي أي يومي كله أي لم يزل طول يومه يستجدي فلم يعط شيأ (نقع غلة) ارواء عطش (صغت) مالت (اللغوب) الفشل (حرى) ملتهبة (انثنيت) رجعت أطال أبو محمد هذه المقامة حتى كادت تثقل على السامع والبديع فيما يتعلق بمعناها مقامة بتراء فلو زيد في البديعيه وقصر في الحريريه لاعتدلتا وها أنا أذكر البديعية هنا لحملتها الرشاقة أو خفتها قال عيسى بن هشام كنت بعد ادعام المجاعة فدفعت الى جماعة قد نظمهم سلك الثريا وكلهم يطلب شيأ وفيهم ذو لثغة في لسانه وفلج في أسنانه فقال ما خطبك فقلت حالان لا يفلح صاحبهما فقير كده الجوع وغريب ليس يمكنه الرجوع فقال أي الثلمتين تريد سدها فقلت الجوع يا سيدي وقد بلغ مني مبلغه فقال ما تقول في رغيف على خوان نظيف ونقل قطيف على لون لطيف وخردل حريف الى شواء صفيف يقربه اليك من لا يماطلك بوعد ولا يعذبك بصد أذلك أحب اليك أم أوساط محشوة وأكواب مملوة وأنقال معددة وفرش منضدة ومطايب مجيد له من الغزال عنق وجيد فان لم ترد هذا ولا ذلك فما تقول في لحم طري وسمك بحري وباذنجان مقلي وراح نقي وتفاح جني ومضطجع وطي على حذاء نهر جار وبركة ذات نثار فقلت أنا عبد الثلاثة فقال وأنا خادمها لو حضرت فقلت من أي الحجرات أنت فقال

من ربعة الاسكندريه ... من نبعة فيهم زكيه
سخف الزمان وأهله ... فركبت من سخفي مطيه

(قوله أسعى) أي أمشي مسرعا (أهب وأركد) أتحرك وأسكن أراد أجري وأقف وأصل الهبوب والركود للريح (يتأوه) يتوجع ويقول آه وهو قول الحزين (أهة الثكلان) توجع الفاقد لاحبابه (تهملان) تسيلان و(داء الذئب) هو الجوع والذئب أصبر السباع على الجوع واعفها واذا افترس شاة أكل منها شبعة وترك سائرها ولم يرجع اليها وعافه ان أروح (الخوى) خلو الجوف من الطعام (المذيب) المذهب اللحم والقوى (التعاطي) تناول ما لا تجب و(مداخلته) معرفة سره (مخاتلته) مخادعته (تحرقك) توجعك و(البرحاء) الشدة والمشقة (طبا) حاذقا (آسيا)

أوعونا مواسيا فقال والله ما تأوهي من عيش فات ولا من دهر اقتات بل لانقراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه

فقلت وأي حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه

لقد أنزلها بأعلام المدارس فما امتازوا عن الأعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولا خرس سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلي أغني فيها فقال ما أبعدت في المرام فرب رمية من غير رام ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاء فماله من شبيه

أفتنا في قضية حاد عنها ... كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر ... رتقي من أمه وأبيه

وله زوجة لها أيها الحبر ... وأخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالارث دون أخيه

فاشفنا بالجواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا أني مضطرم الاحشاء مضطر الى العشاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معي الى مربعي لتظفر بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته الى ذراه كما حكم الله فأدخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت الا أنه جبر ضيق ربعه

طبيبا (مواسيا) معينا والمواساة تكون بالنفس أو بالمال ويشاكل كلامه قول الشاعر

ولابد من شكوى الى ذي مروأة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(اقتات) طال وجاوز الحد (انقراض) انقطاع (دروسه) محوه (أفول) مغيب وكنى بالاقمار والشموس عن مشاهير العلماء وبأفولهم عن هلاكهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم (حادثة) نازلة وأمر حدث (نجمت) ظهرت (نجمة) تتمة (استعجمت) أشكلت (هاجت) حركت (الاسف) الحزن (سلف) مات وذهب (أعلام) مشاهير وأصلها الجبال يستدل بها على مجاهيل الارض (المدارس) جمع مدرسة وهي المواضع التي يدرس فيها العلم (امتازوا) افترقوا و(الاعلام الدوارس) الجبال المقفرة الخالية من الاشجار والعمران (استنطق) استخبر وسألهم أن ينطقوا ويجيبوا عنها (أحبار) علماء (خرسوا) سكتوا (أغني) أقرب وأنفع (المرام) الطلب (رب رمية من غير رام) أي قد يصيب الغرض من ليس له علم بالرماية وهو مثل قاله حكيم بن عبد يغوث المنقري وكان حكيم من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولا بد فخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيأ فبات ليله بأسوإ حال وفعل في اليوم الثاني والثالث كذلك فلما أصبح قال لقومه ما أنتم صانعون فاني قاتل اليوم نفسي ان لم أعقر اليوم مهاة فقال له ابنه يا أبت احملني معك أرفدك فقال وما أحمل من رعش وهش فشل فانطلقا فاذا هما بمهاة فرماها فأخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم يا أبت ناولني القوس فغضب أبوه وهم أن يعلوه بها فقال له مطعم أحمد بحمدك فان سهمي سهمك فناوله القوس فرمى مطعم فلم يخط فقال عند ذلك حكيم رب رمية من غير رام وقال

رماها مطعم من غير علم ... بنبس القوس لم يخطئ صلاها

وكان أبوه قد آلى عليها ... فلم تبرر أليته مهاها

(قوله فاق) أي فضل (ذكاء) حدة ذهن (حاد) مال (قوله رجل مات عن أخ) البيت فائدة ذكر الاخ اثبات النسب لان الاجنبي لا يرث وفائدة ذكر المسلم ان أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التقي فالقيت من أشياخنا من نبه عليه حتى حدثني به الفقيه أبو العباس اللبثي عرف بالحضار فقال فائدة لطيفة وهي التحرز من قاتل العمد لانه لا يرث وليه فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه (الحبر) العالم (تمويه) شك وكذب (حوت) حازت (الارث) لغة في الورث وهو بالهمز بدل من الواو (لمحت) أي نظرت واللمحة نظرة غير متمكنة (ابن بجدتها) عالم سرها ويقال بجد في المكان اذا أقام به والمقيم بالموضع عالم به وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أي من أهل البادية وعم العلماء باللسان على ما وضع (حططت) نزلت و(الخبير) عالم الخبر وهذه أمثال العالم بحقيقة الشئ (مضطرم) متقد (مثواي) منزلي وأكرمت مثوى الضيف اذا أحسنت نزله ووطأته (فتواي) ما أفتيك به (الاشتراط) والشرط بمعنى (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) مجاوزة الحد (مربعي) منزلي (تظفر) تفوز وأصله من الظفر كأنه اذا ظفر بشئ أنشب أظفاره فيه (تنقلب) ترجع (ذراه) منزله وكل ما كان من حائط وشبهه ذرى (أحرج) أضيق (أوهن) أضعف (جبر)

أصلح (توسعة ذرعه) سعة خلقه واحتماله (القرى) طعام الضيف (مطايب) جمع طيب على غير قياس (أزهى) أعجب والزهو الكبر وكانوا يصففون التمر على اللبا عند بيعه فيريد بالراكب التمر وبالمركوب اللبأ لانهم يشقون التمرة ويغترفون بنصفها من القدح الذى فيه اللبأ ويريد (بأنفع صاحب) التمر و (أضر مصحوب) اللبا وهذا يوافق قول الاعرابى

ألا ليت لى خيرامس التمر واللبا * مخيلا من البرنى فرسانها الزبد
فأطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يعد له لحد

والبرنى من أفضل التمر وقال عمار الكلبى

أكلت الضباب فما عفتها * وانى لاهوى قديد الغنم
وركبت زبدا على تمرة * فنعم الطعام ونعم الادم

والعرب تقول على التمرة مثلها زبدا وقيل فى تفسيره بالعكس لان الاطباء يقولون ان التمر مضر سريع العفن يولد السدد ويقولون أيضا انه حار رطب مليس للبطن يولد المنى فيقابل ضرره نفعه وكفى لنا انه قوت يكتفى معه بأدنى الطعام وفيه قوة زائدة وبالجملة فاللفظ مشكل وما وجدت من يحققه * ويستملح من كلام الحريرى انه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر لانه قدمه فى التفسير حين قال لعلك تعنى ابنة نخيلة مع لبا نخيلة وليس فى الابيات المتقدمة شاهد على الدلالة من حكم الزبد اللزوجة وتعلقه بالتمرة غير حكم اللبا فبالحرى يقرن اللبأ بالتمر اذا شئت وجه له أضر مصحوب لانه لبن لم يصبح والنار تقطع بعض ضرره وقال الفنجديهى أزهى راكب التمر أى أحسن منظرا وأكثر حمرة وأشهى مركوب اللبأ وجعل التمر راكبا واللبأ مركوبا لان التمر يجتنى من رؤس النخل فهو كالراكب ولان اللبأ يضع تمرات فوق اللبا والراتب ليزيد رغبة المشترى فيه وجعل التمر أنفع صاحب لاكتفاء العرب به عن جميع المطعومات حتى يبقى أحدهم دهرا لا يأكل الا التمر ولا يضره ذلك وجعل اللبأ أضر مصحوب لانه يولد الصفراء وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها انا كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرا لا نستوقد نارا ان هو الا الاسودان الماء والتمر وقال صلى الله عليه وسلم بيت لا تمر فيه جياع أهله والعرب تستحسن أكل الزبد مع التمر قال سفيان الثورى مارأيت أحسن من زبد على ارادة وقال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر أى اللقمة أطيب قال تمصوصة عليها مثلها زبدا والازاد نوع من التمر والتعضوض تمر أسود وقالوا ما أكلنا تمرا أجد من التعضوض أى أشد حلاوة وتاؤه زائدة (قوله سخيلة) السخلة ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى (تعنيت) تعبت وقال اعرابى أنا أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جناحين من اللحم لها جناحان من الفواق فأضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم وقال رجل لاعرابى مايسرنى لو بت ضيفا لك قال لو بت ضيفى لأصبحت بطن من أمس قبل أن تملك بساعة قيل لأشعب ما تقول فى ثريدة معمورة بلحمين مشققة باللحم قال وأضربكم قالوا أنا كلها من غير ضرب قال هذا ما لا يكون ولكن لم ضرب و تقدم على بصيرة وقيل لمزيد وقد أكل طعاما فسكه قته فقال وما فيه خرنق ولحم جدى طرى امرأته طالق لو وجدت قبالا كانه (قوله نهض) تقدم للمشى (نشطا) أى خفيفا وهى من الانشوطة (ربص) نزل (مستنشطا) شديد العضب (نباهة) رفعة (عاهة) آفة وعيب (شعار) علامة وشعار المؤمنين فى الحرب لا اله الا الله أى

بتوسعة ذرعه فهدى آ
فى القرى ومطايب
مايشترى فقلت اريد ازهى
راكب على اشهى مركوب
وانفع صاحب مع اضر
مصحوب فافكر ساعة
طويلة ثم قال لعلك تعنى
بنت نخيلة مع لبا نخيلة
فقلت اياهما عنيت
ولاجلهما تعنيت فنهض
نشطا ثم ربص مستنشطا
وقال اعلم أصلحك الله
أن الصدق نباهة والكذب
عاهة فلتحملك الجوع
الذى هو شعار الانبياء

علامتهم والانبياء عليهم السلام ، نزهون عن شهوات المطاعم * أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربه اليه حب المساكين والدنو منهم لاتشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى خفة من الطعام بات حور العين حوله حتى يصبح أبو هريرة رضى الله تعالى عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ما أحوجك الى الجلوس قال الجوع فبكيت فقال لاتبك فان شدة القيامة لاتصيب الجائع اذا ما احتسب (قوله حلية) صفة يتحلون بها و (تخلق) تطبع (يجانب) يباعد وأشار لقوله صلى الله عليه وسلم قيل أيكون المؤمن كذابا قال لا * عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ صريح الايمان عبد حتى يدع المزاح والكذب والمراء وان كان محقا وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان (قوله تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها) أى لاترضع لبنها بالاجرة ثم تأكلها وهو مثل يضرب للذى لايمنعه من صيانته شدة فقره وهذا المثل للحرث بن سليل الاسدى وكان خطب الى علقمة بن خصفة الطائى وكان شيخا فقال علقمة لامرأته اختبرى ما عند ابنتك فقالت أى بنية أى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الواصل المياح أم الفتى الوضاح الذهول الطماح قالت بل الفتى قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يعيرك قالت يا أماه ان الفتى شديد الحجاب كثير العتاب يا أماه اخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ويبلى شبابى ويشمت بى أترابى فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحرث ثم ارتحل بها الى أهله وانه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهى الى جانبه اذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها ما يبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها ثم قال وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك قولها الجحجاح السيد السمح والمياح الكثير المعروف ويغيرك يتزوج عليك ويعيرك يميرك ويعتلجون يتصارعون والحوقل المسن والفنيخ الضعيف الرخو وقول العامة لاتأكل ثدييها أى لاتأكل لحم الثدى خطأ لاوجه له ويجوز على حذف مضاف تقديره أجر ثدييها أو ثمنهما أو يكون على المجاز كأنها اذا أكلت أجرهما فقد أكلتهما ونحوه قول الشاعر

اذا اصبت ما فى القعب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودعا

يريد رجلا أخذ ابلا فى دية أبيه فيقول له اذا شربت لبنها فكأنك تشرب دم أبيك (قوله وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها) اى تمتنع من اتيان الفعل الدنىء ولو ألجئت اليه و (الزبون) الذى يغلب فى المعاملات فعول بمعنى مفعول لانه يزبن اى يدفع عن استكمال حقه (أغضى) أسدل جفنى أى لاأسكت لك على الخداع (أنذرتك) نبهتك (ينهتك) ينقطع (الوتر) العداوة وقيل الفرد فيكون معنى ينعقد بيننا الوتر أى يرتبط وترى بوترك أى تختص بشخصك فى هذه المعاملة أو عند المضاربة معك ان خدعتنى (تلغ) تترك (الانذار) التحذير (حذار) أى احذر وخف (الربا) البيع الفاسد * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين ٣ ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به (فهت) نطقت (زور) باطل (دليتك بغرور) يريد أنه لم يغرر به بل صدقه (ستخبر) ستجرب (هش) اهتز (المصدوق) الذى أخبر

وحلية الاولياء على أن تلحق بمن مان وتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم انى لست للزبون ولاأغضى على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل ان ينهتك الستر وينعقد فيما بيننا الوتر فلاتلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت له والذى حرم أكل الربا واحل أكل اللبا مافهت بزور ولادليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق

٣ قوله وثلاثين كذا بالاصل ولعله سقط بعده زنية والله أعلم بما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم اه مصححه

بالصدق

بالصدق (مغذا) مسرعا وقد أغذ اغذاذا اذا أسرع (يدلح) يتثاقل من الحمل ودلحت الدابة بالحمل دلوحا والسحاب بالماء نهضت به ثقيلا (يكلح) يعبس (المتن) المتنضل (اضرب الجيش بالجيش) أى اخلطهما عندأ كالك لهما (تحظ) تسعد (حسرت عن ساعد) أى شمرت عن ذراع (النهم) الكثير الشهوة والحرص على الاكل (الملتهم) المبتلع لما وجد (يلحظنى) ينظرنى بطرف عينه (الحنق) المغتاظ وحنق حنقا اشتد غيظه (هلقمت) ابتلعت بسرعة (غادرتهما) تركتهما (أثرا بعد عين) أى بعد ان كان الطعام مرئيا ابتلعته فلم يبق غير أثره فى الاناء * ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه ماشهر من مغربات الزرد قال الشاعر فى أكول

فتضرب خمس كفك فى ثريد * بلقم ينسلك منكمش الذهاب
كأن دويه فى الحلق لما * تهمهم صوت رعد أو سحاب

وقال اخر اذا اغتزد العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر لم تر عينى آكلا مثله * يضرب باليسرى معا واليمين
تلعب باللقمة أطرافه لعب أخى الشطرنج بالشاهين

(مشاهير أهل الزرد)

* فى مشاهير أهل الزرد هلال بن أسعد المازنى وهو من شعراء الدولة الاموية ذكر الاصبهانى انه كان عظيم الخلق شديدا قويا قال أبو عمرو بن العلاء لم أكن أره حبا بل رأيته ميتا فما رأيت على سرير أطول منه قال هلال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته فأكلته الاما جعلته منه على ظهرى ثم أردت جماع امرأتى فلم أقدر فقالت كيف تصل الى وبيننا بعير وحدث شيخ من بنى مازن قال أتانى هلال فأكل جميع مافى بيتنا فبعثنا الى الجيران نستقرض الخبز منهم فلما رأى اختلافنا قال كأنكم أرسلتم الى الجيران أعندكم سويق فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرنية فيها نبيذ فصب السويق كله وصب النبيذ وازدرد الكل ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ومعه زوارق رطب قد ساقها من بستانه فجلس على زورق منها صغير مغطى ببارية فقال آكل من رطبك قال نعم قال ما يكفينى قال ما يكفيك فجلس على الزورق يأكل التمر الى أن اكتفى فسأل البارية فاذا الزورق مملوء نوى وقال صدقة بن عبد الله المازنى أولم على أبى لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور فأول من جاءنا هلال فقدمت اليه جفنة فأكلها ثم أخرى حتى أتى على عشر جفنات ثم استسقى فأتى بقربة من نبيذ فوضع طرفها فى شدقه فأفرغها فى جوفه ثم خرج فاستأنفنا عمل الطعام ومن أعجب ما أكله ما أثار غيظ بكول بلخ وكانت شبعته تكفيه لخمسة أيام وكان لا يقاومه أحد فى الخدمة

* ومنهم سليمان بن عبد الملك ذكر المسعودى ان شبعته كانت كل يوم مائة رطل بالعراق وكان ربما أتاه الطباخون بسفافيد فيها الدجاج وعليه جبة وشى فيحرصه على الطعام كان يدخل يده فى كمه ثم يقبض على الدجاجة وهى حارة فينتشلها قال الاصمعى ذكرت ذلك للرشيد فقال قاتلك الله ما أعرفك بأخبارهم لقد كنت أرى الدسم فى أكمام جبابه ولا أدرى ما سببه حتى حدثتنى وكسانى منها جبة وخرج يوما من الحمام وقد اشتد جوعه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ولم يكن فرغ من الطعام شئ فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها مع أربعين رقاقة ثم قدم الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئا قال الشمردل وكيل عمرو بن العدس

وانطلق مغذا الى السوق فما كان بأسرع من أن قفل بهما يدلح ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدى ووضع المتن على وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا هلقمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين

رضى الله عنه لما قدم سليمان الطائف دخل بستانى هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه فجال فى البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا ما الاثم ألقى صدره على غصن شجرة وقال ويلك يا شمردل ماعندك شئ تطعمنى فقلت بلى عندى جدى كان تعدو عليه بقرة وتروح أخرى قال عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا ابنه ولا عمر حتى اذا بقى الفخذ قال هلم أبا حفص قال انى صائم فأتى عليه ثم قال ويلك أعندك شئ فقلت سبع دجاجات هنديات كأنهن رئلان النعام قال عجل بهن فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها بنيه فلما فرغ منهن قال ويلك أعندك شئ فقلت حريرة كأنها قراضة ذهب فقال عجلها فأتيته بها فجعل يشربها شربا فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال يا غلام أفرغت من غدائى قال نعم فقدم اليه ثمانين قدرا فأكثر ما أكل من قدر ثلاث لقمات وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس وصفت الموائد فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيأ وسبب وفاته ان نصرانيا أتى بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أكل الزنبيلين ثم أتوه بقصعة مملوأة مخا بسكر فأكله فاتخم فمات ومنهم عمرو بن معديكرب دخل على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال من أين أقبلت يا أبا ثور فقال من عند سيد بنى مخزوم أعظمها هامة وأقلها ملامة وأفضلها حلما وأقدمها سلما قال من هو قال سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد قال فاى شئ صنعت عنده قال أتيته زائرا فدعا الى بتعب وفرس وثور فقال له عمر وأبيك ان فى هذا لشبعا قال لى أولك قال لى ولك قال بلى فما تقول يا أمير المؤمنين انى لآكل الجذع من الابل انتقيه عظما عظما وأشرب التبن من اللبن رثيئة وصريفا (قوله أقردت) سكت وخضعت (مالبث) ماتمهل (الجراب) وعاء الزاد وأراد بطنه (أمل) يقال أمليت عليه اذا ألقيت عليه مايكتب وأمللت لغة وقيل الاصل أمللت فابدل من اللام ياء (نكلت) انقطعت (لاغرو) لاعجب (علقت) حملت (ذويه) قرابته وأضاف ذوى الى المضمر وهى لغة قليلة ومنعها بعضهم وجوزها جماعة من أئمة اللغة وقال أبو على الفارسى اللهم صل على محمد وذويه حملوا ذوى على الاصحاب الازهرى سمعت غير واحد من العرب يقول كنا مع ذوى عمرو يعنى مع أصحاب عمرو وهو كثير فى كلام قيس ومن جاورهم وقال الحريرى فى الدرة ويقولون رأيت الاميروذويه فيهمون فيه لان العرب لم تنطق بذى الذى بمعنى صاحب الامضافا الى اسم جنس كقولك ذومال وذو نوال فاما اضافته الى الاعلام أو الى أسماء الصفات المشتقة من الافعال فلم تسمع بحال ولهذا لحن من قال صلى الله على محمد وذويه وكلام يقولوا ذوأبى ولا ذوأمى واقتصروا على اضافته الى الجنس ولهذا لم يرفع السبى لانه ليس بمشتق فلا يقال مررت برجل ذى مال أخوه وتجيه ذومال أخوه لان النكرة تختص بأن توصف بالجملة (قوله مراء) جدال (تمويه) كذب (الصريح) الخالص (أدنى) أقرب (التراث) المال الموروث (حوى) حاز (تحلى) خرج بلا شئ (هالك) خذ (يحتذيها) يتبعها ويعمل بها وتقريب هذا اللغز أن تقول رجل وابنه وامرأة وابنتها تزوج الرجل البنت والابن الام فمات الابن وقد حملت منه الام فوضعت غلاما فكان للرجل ابن ابنه ولزوجته أخا لام ثم مات الرجل وترك أخا فورثت زوجته الثمن وأخوها من أمها الباقى لانه ابن ابن الميت وهو يحجب الاخ كما

أقردت حيرة فى اطلال البيات
وفكرة فى جواب الابيات
فما لبث أن قام واحضر
الدواة والاقلام وقال قد
ملأت الجراب فامل الجواب
والاقتيأ ان نكلت لاعتزام
ثم أكلت فقلت له ماعندى
الاالتحقيق فاكتب الجواب
وبالله التوفيق
قل لمن يلغز المسائل انى
كاشف سرها الذى تخفيه
ان ذا الميت الذى قدم الشر
ع أخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه عن رضاه
بحماة له ولاغروفيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه
ه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء
وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى
الى الجد
د وأولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزو
جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذى هو
فى الاصل
ل أخوها من أمها باقيه
وتحلى الاخ الشقيق من الار
ث وقلنا يكفيك أن تكبه
هالك مى الفتيا التى يحتذيها
كل قاض يقضى وكل فقيه

كان يحسبه الابن لو كان حيا ومثله قول الآخر

وقائلة أوس الغداة فانني * أرى الموت قد حطت لديك ركائبه
فقلت وقد راع الفؤاد مقالها * وخاف به خوف الحمام مذاهبه
لك الثمن ان حانت وفاتي فريضة * وسائر ما يبقى فصنولك صاحبه

جوابه

تعلم فان العلم أكبر ملبس * لمن شرفت أخلاقه ومذاهبه
حليلة هذا أمها زوجة ابنه * فذلك والالغاز جم عجائبه
فان ابنه صنو لزوجته ومن * يقرّ بعرف العلم تعلو مراتبه
فميراثها ثمن وللصنو ما بقي * كذلك يقضى من تعالت مناقبه

والمتقدم للسؤال في هذه المسئلة عبد الملك بن مروان وذلك انه وقف به رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا تزوجت امرأة وزوجت ابني من أمها فامددنا بشئ نستعين به فقال له ان أخبرتني كيف يدعى ابن كل واحد منكما لابن صاحبه فأنا أرفدك والا فلا أعطيك شيأ فقال له الرجل فسل عن ذلك كاتبك وصاحب شرطتك فان أجابك فتعطيه لي فادفعه اليهما والا فأنا أعذر فسألهما فلم يعرفا ذلك فابتدر رجل من آخر الصفوف وقال له أرأيت ان أخبرتك أتعطيني ما ذكرت للسائل فقال له نعم فقال ابن الاب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الاب فوصله فهذا أخف أمرا في الظاهر من التوارث الذي فرض الحريري وأشكل في المعنى (قوله أثبت) صحح (استثبت) أي وجده ثابتا (أهلك والسيل) كلام للعرب كأنه قال بادر أهلك قبل السيل وتحقيق المعنى في ذلك أنه عطف السيل على الاهل وجعلهما مبادرين ومعنى المبادرة مسابقتك الشئ كقولك بادرت زيدا المنزل كأني (٣) سابقته اليه وكأن السيل والرجل المخاطب يتسابقان الى أهل الرجل فأمره الآمر أن يسابق السيل اليهم ليكون عندهم قبل السيل (شمر الذيل) أي ارفع ساقك واستعد للمشي (ابوائي) ضمي (قربة) ما يتقرب به من أعمال البر (أغدف) أسبل وأرسل ومنه قول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المتلثم

وانما قيل للغراب غداف لسبوغ ريشه وقال رؤبة يخاطب أخاه

* نبت من جناحك الغداف * (جنح الظلام) ميله وجنح الليل جنوحا وأجنح مال وهو من الجناح وكان الطائر اذا عدل عن طريق طيرانه فيرجع يطير الى جهة جناحه قيل له جنح ثم استعير في السيل وغيره كما قيل نكب عن طريقه هي من المنكب كأنه قال مال بمشيه الى جهة منكبه (سجع) صوت (الغمام) السحاب (اغرب) غب وابعد (ذرالك) منزلك (أنعم) بالغ (ترائي) تحتفظ (أمعن) كثر وتقول أمعن لي بحقي اعترف به وأظهره مأخوذ من الماء المعين وهو الجاري الظاهر * الثراء المعين من الماعون أو مفعول من العيون (سطن) ملأ بطنه (كظة) امتلاء البطن (مدننة) ممرضة (هيضة) انطلاق البطن بالقئ والاسهال (كفافا) مسالمة أي كف عني شرك وخيرك (معاق) سالم من الآفات (ألية) يمينه (بلوت) خبرت وشاهدت (الرغم) الذل (تجودني) تمطرني (السماء) المطر هنا * وتذكرت بهذه الحالة خروج السلامي من دار الشريف الرضي في عشية ماطرة فأعطاه كساء استتر به فلما وصل الى منزله كتب اليه بقصيدة ضمنها

قال فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت اني بدار غربة وفي ايوائي أفضل قربة لاسيما وقد أغدف جنح الظلام وسجع الرعد في الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذرالك قال لاني أنعمت النظر في التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وسطن ما سطنت لم يكد يخلص من كظة مدننة أو هيضة متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت معافى فو الذي يحيي ويميت مالك عندي مبيت فلما سمعت أليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم تجودني السماء

٣ قوله كأني سابقته الخ كذا في النسخ التي بايدينا ولعل الاولى كأنك سابقته اه الخ

ودعت دارك والسماء تجودني ... بيد الغمام فلا يكن بل ما بي
ما كنت الاجنة فارقتها ... كرها فصب على صوب عذاب
ورأيت غالية الطريق ومسكه ... طينا معدا الى على الابواب
وحمى كساؤك لا عدمت معيره ... دراعتي وعمامتي وجبابي
فوليت يا بحر السماحة كسوتي ... وولى أخوك الغيث بل ثيابي
فوصلت أشكر ذا وأشكو ذا وبا ... لعينين ما بهما من التسكاب

(وقال آخر فاحسن)

وعمامة نثرت دموعا عندما ... نثر النسيم جمانها تسبيكا
تهدى السقوف جمانها استغرقا ... وبعده عند السقوط سلوكا

(وقال ابن شهيد فأحسن)

ومن تجز ألقى بدى الاثل كلكلا ... وحط بجرعاء الاباريق ماحطا
سعى فى قياد الريح يسمح للصبا ... فألقت على غبر التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربا ... درانك والعيطان من نشره بسطا
وعسى له ريح تساقط قطره ... كما نثرت حسناء عن جيدها قرطا

ويخبط بى الطلماء وتنهى الكلاب وتتقاذف بى الابواب حتى ساقنى اليك لطف القضاء فشكر اليد البيضاء

(قوله تخبط) أى تجعلنى أمشى فيها على غير هدى (تتقاذف) تترامى وتتطارح وجعل الابواب يرميه بعضها على بعض لما كان يقرعها ولا تفتح له (لطف القضاء) أى رفق قدر الله وقضائه (يده البيضاء) نعمته الكريمة وتقول لفلان على يد بيضاء أى نعمة وجمعها أياد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له استجيب له فيهم قال عبد الله بن المبارك أقبل نصر بن سيار فقال اللهم انى أهديت الى بسام نعمة فلم يعدلى بشكرها فاجعل موتهم قتلا بالسيف فبلغنى أنه قتل منهم سبعون رجلا وقال ابو نواس وأتى بمعنى بديع

قد قلت للعباس معتذرا ... من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعما ... أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة ... لاقتك بالتصريح منكشفا
لا تحدثن الى عارفة ... حتى أقوم بشكر ما سلفا

(اعترضه الناشى فى معناه فقال)

ان أنت لم تحدث الى يدا ... حتى أقوم بشكر ما سلفا
لم أحظ منك بنائل أبدا ... ورجعت بالحرمان منصرفا

(وقال طريح)

طلبت ابتغاء الشكر فيما صنعت بى ... فقصرت مغلوبا وانى لشاكر
وقد كنت تعطينى الجزيل بداية ... وانى لما استكثرت منك لحاقر
فأرجع مغبوطا وترجع بالتى ... لها أول فى المكرمات وآخر

(وقال آخر)

رهنت يدى بالشكر فى شكر بره ... وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو أن شيئا استطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)*

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه * فتعلم أني امرؤ شاكر

وهذا الباب من الشكر وان وفيناه حقه هنا يأتي متفرقا في الكتاب * ولما ذكر البطنة وخطرها
وما أوجبت عليه من خروجه من منزل ضيفه على الحالة التي وصف أردنا أن نصلها بما يشاكلها
* وما جاء في ذم البطنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
أراد أن يشتري غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الأكل من الشؤم
وقيل للتستري الرجل يأكل في اليوم مرة قال أكل الصديقين قيل فمرتين قال أكل المؤمنين
قيل فثلاثا قال قل لأهلك يبنوا لك معلفا وقبيح أن يكون الرجل وصافا لمعدته وفرجه وان من
المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنهما يوم
الحكمين أكثروا الطعام فوالله ما بطن قوم قط الا فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل
باتت بطينا وقال بعض الحكماء لكل شيء صدأ وصدأ القلوب شبع البطون * عزم المعتصم يوما
على الاصطباح وأمر ندماءه أن يطبخ كل واحد منهم قدرا اذ دخل عليه غلام ابن أبي دواد فقال
المعتصم الساعة يأتي ابن أبي دواد فيقول فلان الهاشمي وفلان القرشي والانصاري فيقطعنا
بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أني لا أقضي له اليوم هذه حاجة فلم يتم الكلام الا والحاجب
يستأذن به فقال للجلساء كيف ترون فقالوا لا تأذن له فقال سوأة لكم لحمى سنة أهون علي من
ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى ضحك المعتصم وسفر وجهه اليه ثم قال يا أبا عبد
الله لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما في طبخها قال فليحضر كل واحد قدره
وآكل ثم أحكم فيها فوضعت بين يديه وأكل من أول قدر أكلا كثيرا فقال المعتصم هذا ظلم قال
وكيف ذاك قال لأني أراك قد معنت في هذا اللون وستحكم لصاحبه فقال علي أن آكل من القدور
كلها مثله قال شأنك فأكل ثم قال أما هذه فقد أجاد طباخها اذ قلل خلها وكثر زيتها ثم أكل من
كل قدر كذلك ووصف القدور كلها بصفات حسنة مرتبها أصحابها ثم قدم الطعام فأكل مع القوم
كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه وهو يحدثهم بأخبار الأكلة في صدر الاسلام كمعاوية وعبد الله
ابن زياد والحجاج وسليمان بن عبد الملك وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب
وحاتم الكيال واسحق الحمامي فلما رفعت الموائد قال له المعتصم وقد طرب بحديثه ألك حاجة
يا أبا عبد الله قال رجل من أهل بيتك رطئه الدهر وغير حاله قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله
قال قدر له ما يصلحه قال خمسون ألفا قال قد أنفذت ذلك له قال ولي حاجة أخرى ثم ذكر ثلاث
عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها ثم قام خطيبا فقال عمرك الله يا أمير المؤمنين طويلا فبعمرك
تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زلت ممتعا بالكرامة والسلامة مدفوعا
عنك حوادث الأيام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله يتزين الملك بمثله ويبتهج بقربه
أما رأيتم كيف دخل وكيف تكلم وكيف أكل ثم انبسط في الكلام وكيف طاب به أكلنا ما يرد
هذا عن حاجته الا لئيم الأصل والله لو سألني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف ما رددته عنها

(ما جاء في ذم البطنة)

وأنا أعلم انه يكسبنى فى الدنيا حمدا وفى الآخرة ثوابا وفيه يقول أبو تمام

لقد أنست مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبى دواد

وهذه الحكاية تنتظم فى حكايات أهل الزرد المتقدمين فى المقامة وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ختمنا بها الباب (قوله أحبب) تعجب معناه ما احب لقاءك الى قلبى (المتاح) المقدر و (المرتاح) المهتز طربا (يفتن) ينوع (ويشمط) يخلط (أنفه) أوله وجعل للصباح أنفا عاطسا مجازا لما كان يدفع ظلمة الليل (هتف) صاح (داعى الفلاح) هو المؤذن والفلاح البقاء (تاهب) استعد (عقته) حبسته (الانبعاث) النهوض ودكران (الضيافة ثلاث) لانه جاء فى حديث أبى شريح الخزاعى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه فما أنفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة أبو عبيد جائزته يوم وليلة أى يعطى الضيف بعد اكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوما وليلة يقال أسف بجائزة وجيزة وجوزة أى قدر ما يجوز به المسافر من منهل الى منهل ومن ملح باب الضيافة قال المبرد أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت له ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعل فقالت المرأة للضيف بالذى يبارك لك فى غدوك غدا أينا أظلم فقال والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهرا ما أعلم ونزل بصرى على مدنى وكان صديقا له فألح عليه فى الجلوس فقال المدنى لامرأته اذا كان غدا فانى أقول لضيفنا كم دراع يقفز فاقفز فاذا قفز فاغلقى الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المدنى كم تقفز يا أبا فلان قال جيد فعرض عليه أن يقفز معه فاجابه فوثب المدنى من داره الى خارج أذرعا وقال للضيف ثب أنت فوثب الضيف الى داخل الدار ذراعين فقال له وثبت أنا الى خارج الدار أذرعا وأنت الى داخلها ذراعين فقال الضيف ذراعان فى الدار خير من أربع الى برا الازهرى برا مولدة (قوله ناشد) حلف (حرج) وكد يمينه أى لا يقيم والحرج الاثم ابن الانبارى تحرج فلان عن كذا أى تدين وضيق على نفسه والحرج عندهم الضيق (أم) قصد (عرج) التوى عن الباب منصرفا (اجتلاء) نظر (القرح) الجرح وأنشد الثعالبى فى هذا المعنى فقال

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

فانى رأيت الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا نظمه الشاعر فقال

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقالوا قلة الزيارة أمان من الملالة وقالوا فى ضده ترك الزيارة سبب القطيعة وقال على رضى الله عنه الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة وقال عبد الصمد بن المعذل فى ضد هذا وان يحافظ على الصداقة بطهر الغيب ويمدح ابراهيم بن الحسن

يا من فدت نفسه نفسى وقد جعلت * له وقاء لمن يخشى وأخشاه

أبلغ أخاك وان شط المزار به * انى وان كنت لا ألقاه ألقاه

وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه

فقلت له أحبب بلقائك المتاح الى قلبى المرتاح ثم أخذ يفتن فى حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعى الفلاح فتأهب لاجابة الداعى ثم عطف الى وداعى فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلاث فناشد وحرج ثم أم المخرج وأنشد اذ عرج

لا تزر من تحب فى كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون اليه

(قال الحرث بن همام) فودعته بقلب داعى القرح ووددت لو أن ليلتى بطيئة الصبح

الله

الله يعلم انى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
لاشئ يمارى إلا اشـبه * ومالكم آل ابراهيم اشباه
عذرا فهل حسن لم ينمه حسن * وهل فتى عدلت جدوا مجدواه

وقال أبو العتاهية
اقلل زيارتك الصديق ولا تطل * اتيانه فتلج فى هجرانه
ان الصديق يلج فى غشيانه * لصديقه فيلج فى عصيانه
حتى تراه بعد طول سروره * وكأنه متبرم بمكانه
واذا تولى عن صيانة نفسه * رجل تنقص واستخف بشانه

وافراط البر بالصاحب داع الى كثرة الاخجال ومانع من العودة بعد الانفصال * وكتب ابن عمار الى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز بلده ولم يلقه هذه الابيات
لم يلو عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عا ... عنكم بخلة عرضت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو احصر م من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الحصر

ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين وهو للمعرى وماقيل فى العجز عن الشكر أحسن منه والاقلال يمنع تلاقى الاحباب ويحط من هم ذوى الاحساب فانه اذا لم يكن عندك ماتقدم بين يدى صيفك أو زائرك تمنيت اذا حل بك أن لا تراه وقال حبيب
وسيان عندى صادفوا لى مطعما * أعاب به أو صادفوا لى مقتلا

(وقال ابن الجد)
وانى لصب بالتلاقى وانما * يصده(٣) عن معاذيرك العسر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وفى المقامة التى تلى هذه فن ثان من الزيارة تقف عليه ان شاء الله تعالى

(شرح المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية)

(أديتها) تممتها (شفعتها) زوجتها يريد أنه صلى الفريضة ثم صلى النافلة (بنفلها) يريد أنه صلاها فى الجماعة وهى أفضل من صلاة الفذ (انتبذوا) انفردوا وصاروا الى جهة وزاوية من المسجد (وامتازوا) انفصلوا (صفوة) خيار (يتعاطون) يعطى بعضهم بعضا (المنافثة) المحادثة (يقتدحون) أى يضربونها ويستخرجون نارها (المماحنة) المناظرة فى العلم (المتطفل) الآتى الى الطعام من غير أن يدعى وهو الوارش عند العرب وتطفل تشبه بطفيل العرائس وهو طفيل بن دلال الدارمى يسمى طفيل الاعراس وطفيل العرائس لكثرة دورانه على حضورها ومشاهدته لها والاكل منها من غير أن يدعى اليه واسمه مشتق من الطفل وهو اقبال الليل على النهار أبو عمرو الطفل الطلمة ابن الاعرابى ويقال للطيفلى العموط والجمع العماميط وطفيل من بنى عبد الله ابن غطفان كان يأتى الاعراس ولم يدع وسكنه بالكوفة وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على فيها خافية فنسب اليه كل من يتطفل نسبة مذهب لا نسب والتطفل

---

(٣) قوله يصده عن معاذيرك الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وهو شطر ناقص ولعل الاصل يصد فؤادى عن معاذيرك العسر أو نحو ذلك اه مصححه

(المقامة السادسة عشرة المغربية)
(حكى الحرث بن همام) قال شهدت صلاة المغرب فى بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفى رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت فى محادثتهم لكلمة تستفاد أو أدب يستزاد فسعيت اليهم سعى المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون

من اخلاق اللئام ومحايا الاوغاد ومنهى عنه فى الشرع * ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوى دخل سارقا وخرج مغيرا * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم من دخل على قوم لطعام لم يدع فأكل دخل فاسقا وأكل حراما ونسوق هنا فصلا للطفيليين يكون فى هذه المقامة بمنزلة فصل الاكلة فى المقامة قبل هذا الان حالتيهما متقاربة فمن ذلك ما يحكى عن بشار الطفيلى انه قال رحلت يوما الى البصرة فلما دخلتها قيل لى ان هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم ويرشدهم الى الاعمال ويقاسمهم فسرت اليه فبرنى وكسانى وأقمت عنده ثلاثة أيام وله جماعة يصيرون اليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف فوجهنى معهم فى اليوم الرابع فحصلت فى وليمة فأكلت وأزلت معى شيأ كثيرا وجئته به فأخذ النصف واعطانى النصف فبعت ما وقع لى بدراهم فلم أزل على هذه الحالة أياما ثم دخلت يوما على عرس جليل فأكلت وخرجت بزلة حسنة فلقينى انسان فاشتراها بدينار فأخذته وكتمته وكتمت أمرها فدعا جماعة من الطفيليين فقال ان هذا البغدادى قد خان فظن انى لا أعلم ما فعل فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا فأجلسونى شئت أم أبيت وما زالوا يصفعونى واحدا بعد واحد فيصفعنى الاول منهم ويشم يدى ويقول أكل مضيرة ويصفعنى الآخر ويشم يدى ويقول أكل كذا ويصفعنى الآخر حتى ذكروا كل شئ أكلته ما غلطوا بشئ منه ثم صفعنى شيخ منهم صفعة عظيمة وقال باع الزلة بدينار وصفعنى آخر وقال هات الدينار فدفعته اليه وجردنى الثياب التى أعطانيها وقال اخرج يا خائن فى غير حفظ الله فخرجت الى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب * ونريد هنا أن نذكر بعض ما اشتهر من حكايات طفيلية البصرة اذهم أحذق خلق الله فى باب التطفيل بعث المأمون فى عشرة من زنادقة البصرة فجمعوا فرآهم طفيلى فمضى معهم فأدخلوا فى سفينة فدخل معهم وجئ بالقيود فقيد معهم فقال أحدهم يا طفيلى الى هنا فأقبل عليهم فقال فديتكم أى شئ أنتم فقالوا له بل أنت من أنت وهل أنت من أصحابنا قال والله ما أعرفكم غير أنى طفيلى خرجت من منزلى فرأيت منظرا جميلا ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخلت وسطكم كأنى أحدكم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش ومهد ورأيت سفرا مملوأة فقلت نزهة الى بعض البساتين والقصور ان هذا اليوم يوم مبارك فزدت ابتهاجا فجاء هذا الموكل بكم فقيد كم فطار عقلى فما الخبر فضحكوا وفرحوا به وقالوا له قد حصلت فى الاحصاء ونحن مانية على مذهب مانى القائل بالنور والظلمة نسير الى المأمون فيسألنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة ويظهر لنا صورة مانى ويأمرنا أن نتفل عليها ونبرأ منها فمن فعل نجا والا قتل فاذا دعيت فاخبره باعتقادك وللطفيلى مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها فكان ذلك فلما دخلوا على المأمون دعاهم بأسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف وتأخر الطفيلى وقد استوعب العدة فسأل الموكلين بهم فقالوا وجدناه معهم فجئنا به فقال له ما خبرك فقال له يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ انما أنا رجل طفيلى ثم قص قصته معهم فضحك المأمون كثيرا ثم أظهر الصورة فلعنها وبرئ منها ثم قال اعطونيها حتى أسلح عليها والله ما أدرى ما مانى أنصرانى أم يهودى أم مسلم فقال المأمون يؤدب على فرط جهله وتطفيله ومخاطرته بنفسه فقال

(أخبار الطفيليين)

يا أمير المؤمنين بحياتك ان كنت ولا بد عازما فاجعل السياط كلها على بطني فهو الذي حملني على هذا الغرر فعاد الى العمل فاستوهبه منه ابراهيم بن المهدي بحديث في تطفله يذكر في خبر اسحق الموصلي فوهبه له وأجاز الطفيلي بجائزة سنية * كان ابراهيم بن المدبر عاملا على البصرة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم وكل واحد منهم منفرد بعلم من العلوم وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل ملحة افتنانا فاحتال ودخل في جملة الندماء فخرج ابراهيم فرآه فقال لحاجبه قل لهذا الرجل ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة تمت عليه وانه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته الا بقتله ثم يجر برجليه فقال له يقول لك الاستاذ ألك حاجة فقال قل له لا فأدخل عليه فقال فاي شيء ادخلك أأنت طفيلي فقال نعم أصلحك الله فقال ان الطفيلي يحتمل على دخوله على الناس بخصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد او ضاربا بالعود أو بالطنبور فقال أيدك الله انا بالمذاكرة في الطبقة العليا فقال لبعض الندماء لاعبه بالشطرنج قال أعزك الله فان قمرت قال اخرجناك قال وان قمرت قال أعطيناك ألف درهم فقال أحضرها فان في حضورها قوة للنفس فلعبا بالشطرنج فغلب الطفيلي ومد يده لاخذ الدراهم فقال الحاجب أعزك الله ذكر أنه في الطبقة العليا وان فلانا غلامك يغلبه فأحضر الغلام فغلبه فقالوا له انصرف فقال أحضروا النرد فلوعب به فغلب فقال الحاجب لكن بوابا فلان يغلبه فأحضر البواب فغلبه فقيل له اخرج قال فالعود فاعطى عودا فضرب فأصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب يا سيدي ان في جوارنا شيخا يعلم القيان هو أحسن منه فأحضر اليه فكان أطيب منه فقيل له اخرج فقال فالطنبور فضرب فلم نر أحسن منه فقال الحاجب ان ولانا المحتكر أطيب منه فأحضر فكان أحذق منه فقال ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فابت حرفتك الا طردك فقال يا سيدي بقيت معي فائدة حسنة فقال وما هي قال تأمر أن يحضر قوس بندق مع خمسين بندقة من رصاص ويقام هذا الحاجب فأرميه في دبره فان أخطأته بواحدة فاضرب عنقي فضج الحاجب ووجد ابن المدبر شفاء نفسه في عقوبته فأمر بخشبتين وشد الحاجب فوقهما وأعطى القوس فرماه بخمسين بندقة فما أخطأ دبره بواحدة منها وحل الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي يا صنعان هل على باب الامير من يحسن مثل هذا فقال له الحاجب يا قرنان اذا كان البرجاس استي فلا يحسن أحد مثلك قال وذهب الضحك بابن المدبر هو وأصحابه كل مذهب ثم أعطاه ألف درهم وانصرف * صحب طفيلي رجلا في سفر فلما نزلوا ببعض المنازل قال له الرجل خذ درهما وامض اشتر لنا لحما فقال له الطفيلي قم أنت والله اني لتعب فاشتر أنت فمضى الرجل فاشتراه ثم قال له الرجل قم فاطبخه فقال لا أحسن فقام الرجل فطبخه ثم قال الرجل للطفيلي قم فاثرد فقال والله اني لكسلان فثرد الرجل ثم قال له قم فاغترف قال أخشى ان ينقلب على ثيابي فغرف الرجل حتى اروى الثريد فقال له قم الآن فكل قال نعم الى متى هذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك وتقدم فأكل * وقال طفيل العرائس ليس في الارض أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى عليه السلام وخوان الطعام ومنبر الخليفة ومن وصيته لاصحابه اذا دخلتم عرسا فلا تلتفتوا الى الملاهي وتخيروا المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض احدكم ولا ينظر في عيون الناس ليظن اهل الرجل انه من أهل المرأة وأهل المرأة

انه من أهل الرجل وان كان البواب فظا وقحا فليبدأ به فليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال وقال بنان الطفيلي التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان * وسئل بنان هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيأ قال نعم آية قيل وما هي قال واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا قيل أتحفظ شيأ من الشعر قال بيتا واحدا قيل ما هو قال

تزوركم لا تكافيكم بجفوتكم * ان الكريم اذا ما لم يزر زارا

(وبعده)

يقرب الشوق دارا وهي نازحة * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

(وقال أبو الورد الحاكمي في طفيلي)

طفيلي يوم الخبز أني * يراه ولو يراه على يفاع
ولا يروي من الاخبار الا * اجيب ولو دعيت الى كراع

(وقال طفيلي أيضا)

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى نس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دعينا فغبنا * واتانا فلم يجدنا الرسول

*وأقبل طفيلي الى طعام لم يدع اليه فقال صاحب الطعام من دعاك فانشده

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمد لي لا لك في الدعوه
وكان ذا احسن من موعد * مخلفه يدعو الى الجفوه

*ودخل طفيلي في صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشأ يقول

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا لم يزر زارا

فقال زر زارا ليس ندري من هو اخرج من بيتي *وقال آخر في طفيلي كوفي

زرعنا فلما أتم الله زرعنا * وأوفى عليه منجل لحصاد
بلينا بكوفي حليف مجاعة * أضر بزرع من وباء وجراد

*وحدث آدم الطويل قال دخل حانوتي غريب يأكل شيأ من الطعام فتقدم سائل فقلت له ما أكثر ترددك الي فقال الغريب الذي في الحانوت لعله كما قال الشاعر

لو طبخت قدر بمطمورة * أوفي ذرى قصر بأعلى الثغور
وكنت بالصين لوافيتها * ياعالم الغيب بما في القدور

*حكى المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي فأنكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت بأهذا اقبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك وأعظم لقدرك وأجل لمروأتك فقال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك وأعط من منعك واحسن الى من أساء اليك وأنشد

كل يوم أدور في عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب
فاذا ما رأيت آثار عرس * أو دخانا أو دعوة الاصحاب

لم أعرج دون التقحم لا أر * هب شتما ولكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليه * غير مستأذن ولا هياب
ذاك أهنى من التكلف والغر * م وشتم البقال والقصاب

* كان بالبصرة طفيلي يكنى أبا سلمة وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة فيتقدم أحدهما فيدق الباب ويقول افتح يا غلام لأبي سلمة ثم لا يلبث حتى يلحقه الآخر فيقول افتح ويلك قد جاء أبو سلمة ويتلوهما فإن لم يعرفهم البواب فتح لهم وإن عرفهم لم يلتفت إليهم ومع كل واحد منهما فهر مدور يسمونه كيسان فينتظرون من دعى فإذا جاء وفتح له طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب فلا يقدرون على إغلاقه فيجيئون ويدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها بشدة حرارتها فجمعت أحشاؤه ومات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه

أحزان نفسي عليك غير منصرمه * وأدمعي من جفون العين منسجمه
على صديق ومولى لي فجعت به * ما كان في جميع الصالحين لمه
كم جفنة مثل دور الحوض مترعة * كوماء جاء بها طباخها ردمه
قد كللتها شحوم من قلتها * ومن سنام جزور رعبطة سنمه
غيبت عنها فلم تعلم لها خبرا * لهفي عليك وعولي يا أبا سلمه
ولو تكون لها حيا لما بعدت * يوما عليك ولو في جاحم حطمه
قد كنت أعلم أن الأكل يقتله * لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه
إذا تعمم في شبليه ثم غدا * فإن حوزة من يأتيه مصطلمه

(قوله نزيلا) أي ضيفا و(الأسمار) المذاكرة بالليل و(جناها) ما يجنى من فوائدها (يبغي) يطلب (ملح الحوار) ملح الكلام والحوار مراجعة القول (ملحاء الحوار) لحم سنام الفصيل (الحبا) جمع حبوة وكانت العرب ليس لها في البوادي حيطان تستند إليها في مجتمعهم فكان الرجل يقيم ركبتيه في جلوسه فيضع عليهما أو يدير بهما ثوبا يعقد عليهما بيديه ويستريح إليها ويقوم ذلك له مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة وأراد أنهم حلوا له الحبا إكراما له (لمحة بارق) لمعة برق (خاطف) يخطف البصر بسرعة فيمنعها النظر (نغبة) جرعة (غشينا) دخل علينا فجأة (جوّاب) قطاع للأرض بمشيه (العاتق) ما بين المنكب والعنق (جراب) وعاء الخبز (الكلمتين) سلام عليكم (التسليمتين) سلامه عند الدخول وسلامه من الركعتين، وتحية المسجد أن يركع الداخل فيه ركعتين وقيل التسليمتين تسليمه من صلاة المغرب وتسليمه من الركعتين اللتين بعدها (الألباب) الأذهان و(اللباب) الخالص (أنفس) أرفع (القربات) ما تقرب به إلى الله عز وجل واحدها قربة (الكربات) الهموم و(تنفيسها) تفريجها وإزالتها (أمس) أقوى وأغلظ (النجاة) التخلص (مواساة) جعلك لهم أسوة نفسك (ساحتكم) موضعكم (أتاح) قدر (استماحتكم) اجتداءكم والطلب منكم (شريد) منفر والشريد الهارب (قاص) بعيد (بريد) رسول (خماص) جياع (يفثأ) يكسر (حميا المجاعة) حدة الجوع (فضلات) بقايا (لفاظات) ما يلفظ منها أي يطرح (نفاضات) ما ينفض من بقية الزاد * ابن عباس قال قال رسول الله صلى

نزيلا يطلب جنى الأسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا لي الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة طائر خائف حتى غشينا جوّاب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمس أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عني حميا المجاعة فقالوا له يا هذا إنك حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعا فما تجد فيها ممنوعا فقال إن أخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات

المزاود فامر كل منهم عبده ان يزوّده ماعنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرقب مايحمل اليه وبنا نحن الى استثارة ملح الأدب وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا الى أن نستنتج له الأفكار ونفترع منه الأبكار على أن ينظم البادئ ثلاث جمانات في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع صاحب ميسرته على رغمه (قال الراوي) وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا ألفة أصحاب الكهف

في القاموس وأصحاب الكهف مكسلمينا امليخا مرطوكش نوالس سانيوس بطنيوس كشفوطط أو مليخا مكسلمينا مرطوس نوانس أربطانس أونوس كندسلططنوس أو مكسلمينا مليخا مرطونس ينيونس ساربونس كفشطيوس ذونواس أو مكسلمينا أمليخا مرطونس يوانس ساربنوس بطنيوس كشفوطط أو مكسلمينا عليخا مرطونس ينيونس دوانوانس كشفيطط نونس اه

الله عليه وسلم من أكل ماسقط من الخوان نفى عنه الفقر وعن ولده الحمق و (المزاود) أوعية الزاد (الصنع) الجميل (قوله وجلس يرقب) وقال قبل هذا ألم أجلس الالمحة بارق وقال في الثامنة والعشرين وجلس حتى ختم نظم التأذين وأكثر ماصرف الجلوس في مقاماته من قيام وقال في الدرة ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ماحكاه الخليل أن يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد وان الجلوس من سفل الى علو ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما امرتك فاجلس

أي اقصد نجدا وكان عمر واليا على المدينة فقال للفرزدق ان كنت تلزم العفاف والا فاخرج الى نجد ❊ وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت على سيف الدولة بن حمدان يوما فلما مثلت بين يديه قال اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب والذي نظر هو الوجه ولهذا جعله على الاختيار ولم يجعله من اللحن الا انه لقرب المعنيين يجوز أن يكون قد استعمل جلس في المقامات من القيام (يرقب) ينظر ويحرس (بنا) رجعنا (استثارة) استخراج (ملح) مايتملح به من الكلام (عيونه) مختاره (استنباط) استخراج (معينه) ماؤه الصافي (عيونه) جمع عين الماء وكنى بالمعين والعين عن الكلام والقلوب (جلنا) تصرفنا (يستحيل) يتغير (الانعكاس) قراءة اللفظة من آخرها (ساكب) صاب (تداعينا) دعا بعضنا بعضا (نستنتج) نستدعي منها النتاج وهو الولد (الافكار) جمع فكر وجعل مايبديه الفكر من الكلام نتاجا له (نفترع) نفتض (جمانات) جمع جمانة وهي حبة تعمل من فضة كالدرة (تتدرج) تمشي (يربع) يصنع أربع جمانات (ذو) بمعنى صاحب (يسبع) يصنع سبعا (رغمه) اكراهه واذلاله (انتظمنا) اجتمعنا (تألفنا) تصاحبنا وانضم بعضنا الى بعض ومنه ألفت الكتاب و (الالفة) الصحبة والاجتماع و (الكهف) الغار وأصحابه قصتهم معروفة قال ابن عباس في قوله عز وجل مايعلمهم الا قليل أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا ويمليخا وهو المبعوث بالورق الى المدينة ومرطونس وساربنوس ويوانس وكفشطيوس وقطينوسيسوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير وهو أنمردون ٢ الكروى وفوق القلطي وقال أبو شبل بلغني ان من كتب هذه الاسماء في شيء ووضعه في الحريق سكن الحريق وذكر الطبري انهم كانوا في أيام الطوائف على دين عيسى بن مريم وكانوا في حكم ملك الروم يسمى دقيانوس يعبد الاصنام فبلغه عن الفتية مخالفتهم لدينه فطلبهم فهربوا منه فاجتاز وا براعي غنم فاتبعهم بكلبه فعلموه دينهم وصاروا الى ربهم فآواهم الليل الى كهف فقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح فنرى رأينا فضرب الله على آذانهم فناموا وتبعهم الملك فوجدهم في الكهف فلم يطق أحد منهم دخوله فبنى عليهم باب الكهف ففتحه الرعاء بطول الزمان فأقاموا فيه ماذكر الله تعالى ثم أحياهم الله تعالى بعد ثلثمائة وتسع فشكوا اهل ناموا يوما واحدا أو بعضه ثم مسهم الجوع فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاما ووصوه أن يحترز حتى لايشعر بهم أحد فيدل عليهم فيحملوا الى الملك الذي فروا منه أمس فيماطلوا فيرجعهم أو يرجعوا الى دينه فلما أتى باب المدينة أنكر ان تكون هي التي خرج منها أمس

٢ وقوله وهو أنمردون الخ هكذا في النسخ التي بايدينا وليحرر اه مصححه

أمس في ظنه لانها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها فأنكر أهلها ثم أخرج الدراهم ليشترى طعاما فقال له البائع من أين لك هذه الدراهم وأمسكه فقال خرجت أمس مع أصحاب لي فارين من هذا الملك ودينه فبتنا في كهف وأصبحنا اليوم فأرسلوني لأشترى لهم طعاما فاستر علينا فحمله الرجل الى ملك المدينة يسمع منه وكان ملكا صالحا فقص عليه القصة فركب الملك في جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم فدخل على أصحابه فوجدهم قد عادوا الى نومهم فضرب الله على أذنهم معهم فدخل الناس فوجدوا أجساما لا ينكرون منها شيأ وكأنهم مستيقظون يكلمونهم غير أنهم بغير أرواح فقال لهم الملك هذه آية الله اليكم فبنوا عليهم مسجدا يصلون فيه (قوله لعظم محنتى) لعظم بليتى (لم) من اللوم (مل) من الملل (كبر) عظم الكبير وقدمه على نفسك (يرب) يصلح (بر) أكرم (ينم) يزيد خيره وترتفع منزلته ونمى الشئ ينمى وينمو نماء ونموا ونميا زاد قال الاصمعي نميت حديث فلان الى فلان أنميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير وفى الحديث فقال خيرا أو نمى خيرا أى أبلغ خيرا أو رفعه وكل شئ رفعته فقد نميته ورواية ابن ظفر من يرب اذا بر ينم أى اذا كان البر من الناس يمشى بالنميمة فمن يرب فعلا جميلا ويصلحه (تكس) تكن كيسا والكيس الناقد في أموره وقيل العاقل (أفضت) وصلت (النوبة) الدولة (السمط) الخيط يعقد فيه اللؤلؤ (يصوغ) يصنع (يثرى ويعسر) أى يستغنى ويفتقر أى يكثر له الكلام مرة ويقل أخرى (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه وفى مدته (استطعم) اطلب طعاما هذا أصله وتقول أطعمت القارئ اذا وقف ففتحت عليه وأفتيته واستطعم هو اذا استدعى ذلك *على رضى الله عنه اذا استطعم الامام فأطعموه أى اذا ارتج عليه فافتحوا له (ركد النسيم) سكنت الريح يعنى كلامه (حصحص) تبين (التسليم) الانقياد أى انقدت للعجز عن الاتيان بها (المقام) الموقف (العقام) الشديد الذى لا يؤثر فيه الدواء بمنزلة الرحم العقيم التى لا تؤثر فيها النطفة فلا تلد (اياس) تقدم ذكره و (اليأس) ضد الطمع ولما ذكرهما اياسا ويأسا ذكر فصلا ذكره فى الدرة على اللفظتين قال ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيهمون كما وهم أبو سعيد السكرى وكان من جلة النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال ان اياسا سمى بالمصدر من أيس وليس كذلك وانما الاياس عند المحققين مصدر أسته أى أعطيته والمصدر منه الاوس ومنه المواساة فكأنهم سموا اياسا بمعنى تسميتهم عطاء ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لان أصل الفعل منه يئس على فعل قال الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فأما أيس بتقديم الهمزة فمقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم بن المفضل النحوى على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوى لفظة اليأس الذى هو الاصل فى نظم الصيغة فتكون الياء مبدوأ بها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما فى أيس فلهذا حكم على أيس انها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الاصل ولا يكون له مصدر (نفيص) نندفع بالكلام (المعترى) القاصد (يلحظنا) ينظر نا بطرف عينه احتقارا منه لنا (المزدرى) المحتقر (يؤلف) يجمع (الدرر) جواهر الكلام (عثر) اطلع (افتضاحنا) اشتهارنا بالعجز (نضوب ضحضاحنا) جفوف ماء نا القليل (الاستيلاد) طلب الولد يقول ان من تعب النفس طلب فائدة من ذهن كليل وقريحة جامدة (نابك) نزل بك (تثر) تقول ثأر اذا استتر به والتجأ اليه (مؤمل)

فابتدر لعظم محنتى صاحب ميمنتى وقال (لم أخامل) وقال ميامنه (كبر ربا أجر ربك) وقال الذى يليه (من يرب اذا بر ينم) وقال الآخر (سكت كل من نم لك تكس) وأفضت النوبة الى وقد تعين نظم السمط السباعى على فلم يزل فكرى يصوغ ويكسر ويثرى ويعسر وفى ضمن ذلك أستطعم فلا أجد من يطعم الى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابى لو حضر السروجى هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه باياس لامسك على ياس وجعلنا نفيص فى استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزور المعترى يلحظنا لحظ المزدرى ويؤلف الدرر ونحن لا ندرى فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذى علم عليم ثم أقبل على وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فان شئت أن تثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل

مرجو لفعل الخير (لم) جمع المال (بذل) تكرم على غيره وهذا اللفظ من المعكوس فى النثر بديع خاطنك بهذا النظم الرفيع الذى أردفه عليه فانه من أشرف حسناته رحمه الله (قوله أس) أعط والاوس العطية (أرملا) فقيرا أفنى زاده (عرا) قصد (ارع) احفظ الصحبة (أسا) أتى بسوء وأصله الهمز أساء فسهل الهمزة يقول ان قصدك فقير فصله وان أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حق الصحبة ويقال المرء بالهمز والمر بلا همز وبترك الهمز يستقيم الانعكاس فى بيت الحريرى ويقال المرة قال دعبل

واحفظ عشيرتك الادنين ان لهم * حقا يفرق بين الزوج والمرة

وهذا البيت الذى فسرناه وما بعده من الابيات تقرؤه ان شئت من أوله وان شئت من آخره وجعل هذا النمط فى عكس الحروف توطئة لما يذكر فى المقامة بعد هذا فى الرسالة القهقرية من عكس ألفاظها من أولها الى آخرها الا أن ذلك العكس بالالفاظ وهذا بالحروف وكلاهما غاية فى بابه وانما يذكر الادباء هذا استملاحا فى كلامهم وامتحانا لخواطرهم * ونريد أن نذكر هنا فصلا مما يوافقه أو يقاربه على ما شرطناه فمن ذلك أن بعض الادباء اتهم صاحبا له بسعاية فى جانبه فكتب اليه فى المجلس ساءك ثم فنظره الذى وشى به فكتب اليه صحفه واقلب فهو والله ما نطق به على لسانك من بغيك وعدوانك وهو مقلوب مصحف منك أتيت فتضاحكا وتصافيا *وكتب بعضهم الى خازن السلطان

قد أقبل الشهر واقباله * يأتى بما أجرى ترتيبه

فوجه البر ومقلوبه * يجزيك عن برك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء الى صاحب له وهو مقلوب مصحف ظبى سراب خشن فاذا قرأته على الولاء من آخره بعد القلب والتصحيف جاء منه حسن شراب طيب * ومن أنواع المعميات التصحيف ومثاله أن ابراهيم بن المهدى كتب الى اسحق الموصلى لا يرتج مثل الاسنة فكتب اليه اسحق لا برث جبل الاثبنة وقال أبو الجهم بن الانبارى للحسن بن وهب ما تصحيف كلنى بيمينك فبعنى بحبتين فقال كل شئ منك فى عينى حسن وغاب صديق عن صديق له فلما القيه قال له عن تعبى تجاوبه زرعنا برذا دحبا فالاول قال غبت عنى والثانى قال زرغبا تزداد حبا وذكر فى بعض مجالس الادب التصحيف فقال فتى شاب أنا ابن بجدته فقال بعضهم ما تصحيف نعمت تخشى فقال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه فاتهمه شاعر من بلنسية فقال ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فقال له البلنسى صدق ظنى انك تنتحل ما تقول ويحك والفتى يضحك فقال له اشعر فانك شاعر فقال وأى نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقام وهو يقول هو ذاك ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من حضر فنظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى دار الفتى معتذرا * كتب بعض وزراء ابن عباد اليه يتسخط الاخوان هذا البيت

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع فى الكتاب وأين ذاك الواحد صحف تعرف فلما قرأه الوزير طار سرورا ومثل بالبساط فائمه بين يديه وانما صحف وأين فجاء منه وأنت فرد عليه من كلامه أبلغ جواب * ومن ملح ابن عباد فى التصحيف أنه خرج فى جملة وزرائه الادباء فاجتازوا باشبيلية بالموضع الذى يباع فيه الجير

اذا لم ومالك بذل وان أحببت أن تنظم فقل للذى تعظم
اس أرملا اذا عرا
وارع اذا المرء اسا

والجبس فلقي هنالك جارية من أحسن الناس وأقلهم حياء فأقبل ابن عباد على ابن عمار وقال يا ابن عمار الجبارين فقال ابن عمار يا مولاي والجباسين فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر فبحثوا عن مرادهما فلم يعرفوه فسألوا ابن عمار فقال له ابن عباد لا تبعها منهم الاغالية ثم ان ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية وعابها بقلة الحياء فصحف الجبارين بجبا منه الحيا زين وصحفت أنا الجباسين بجبا منه الخناشين فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كنايتهما أين هذه الاذهان من رجل مغفل كان له ابن يسمى حسنا مسافرا فاستفتح المصحف يتفاءل له في القدوم فخرج له وحسن ما آب فترك النيامن بهذا اللفظ لما آب الفتى سالما وقال تصحيف حسن ما آب حسن مات فاستدعى أم الفتى وخدمه ونعاه لهن فاقمن مناحة وجاء الجيران والقرابة يتطلعون حادثتهم فهو يخبرهم بما تصحف له والفتى داخل قد أقبل في أغبط حال وأسرها فاستحمق وصار مثلا (قوله أسند) أضفته اليك وقربه منك (نباهة) رفعة (أبن) باعد (دنس) عيب يقول صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به وقد قيل الصاحب رقعة في الثوب فلينظر الانسان ما يرقع به ثوبه قال ابن رشيق

اصحب ذوي القدر واستعتبهم * وعد عن كل ساقط سفله
فصاحب المرء شاهد ثقة * يقضي بها بعاليه وله
ورقعة الثوب حين تلبسه * شهرته أو تكون مشتكله

وفي الحديث الانفس أجناد مجندة وانها لتشام في الهوى كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال

ان القلوب لأجناد مجندة * لله في الارض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(وقال طرفة أو عدي بن زيد)

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدي

وقال أبو العتاهية

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

(وقال الخالدي)

واذا أردت ترى فضيلة صاحب * فانظر بعين البحث من ندمانه
فالمرء مطوي على علاته * طي الكتاب وصحبه عنوانه

ومما روي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

فلا تصحب أخا السوء * واياك واياه
فكم من جاهل أودى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه
وفي الناس من الناس * مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للعين أن تنطق أفواه

أسند أخا نباهة
ابن أخا دنسا

والقـلب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيق

اختر لنفسك من تعا * دى كاختيارك من تصادف

ان العدو أخو الصديـ * ـق وان تخالفت الطرائق

(قوله اسل جناب غاشم) يريد جانب منزل ظالم ولا تقربه وساوت يتعدى بعن و بنفسه تقول ساوت عنه وساوته وسليته وقال الاسود بن يعفر

فأقسمت لا أشربه حتى يملني * بشيء ولا أسليه حتى يفارقا

(قوله مشاغب) مسارع للشر (هب) تحرك (مرا) جدال ومعنى (اسر) أكشف وأزل يقول اذا تعلق بك وهب عليك جـدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة و باعد المراء وتقول سريت الثوب عني وسريته اذا كشفته قال ابن هرمة * سرى ثوبه عنى السرى المتحامل * ومنه سرى عن الرجل أي كشف عنه ما كان يجده من الغم والغضب وقد يكون معنى اسر باعـد وفارق من السرى وهو سرا الليل فيقول فارق موضع الجدال و باعده (رسا) ثبت أي اذا سكن الخـلاف بين القوم فارم أنت به واتركه و يروى اسر بالضم أي كن سريا أي سيدا ذا مروأة اذا هاج الجدال بين القوم فباعده وقال سابق البربرى

لا تنفـعن لجوجا حـين تزجره * ان اللجوج له فى المال اغراء

وأغض فى حسن عفو عن نوادره * فالحر فيه عن الآفات اغضاء

والمراء مدافعة الحق وترك الانقياد لما ظهر منه وقد يستعمل بمعنى الجدال فمن جادل ليظهر باطلا لجده الله محظور وفى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له بيتا فى الجنة وقال ميمون بن مهران لا تمار من هو أعلم منك انه يحترن عنـك علمه ولم تضره شيأ وقال لقمان لابنه من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يا بنى لا تمار العلماء فيمقتوك وقال مالك بن أنس رضى الله عنـه المراء يقسى القلوب و يورث الضغائن وقال بلال بن مسـعدة اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه

انى منحتك يا كدام نصيحتى * فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

انى بلوتهـما فلم أحترهـما * لمجاور جارا ولا لرفيـق

(قوله اسكن) الزم السكون والوقار (تقو) أراد تتقوى (يسعف) يساعد و يوافق (نكس) قصر بك يقول لا تبادر الى الجـدال والزم السكون حتى يتقوى نظرك و يظهر لك صوابك فعسى يوافقك على الاصابة بحسـن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب لو التزمت الجدال ومن أعاجيب ابن الرومى قوله فى ذم الجدال

لأولى الجدال اذا غدوا لجدالهم * حجج تضل عن الهدى وتجور

وهن كآنية الزجاج تصادمت * فهوت وكل كاسر مكسور

فالقاتـل المقتول ثم لوهنـه * ولضعفه والآسر المأسور

(وقال من شعر يمازح صديقا له)

لكن فى الشيخ غريزة * يخاصم الله بها فى القدر

اسل جناب غاشم
مشاغب ان جلسا
سر اذا هب مرا
وارم به اذا رسا
اسكن تقوى فعسى
يسعف وقت نكسا

ذكر المراء والجدال
وما يتولد منهما

ما كان لم كان وما لم يكن * لم لم يكن فهو كيل البشر

(قوله سحرنا) تركنا مسحورين (بآياته) بعجائبه يقال ان فلانا آية من الآيات أى عجب من العجائب (حسرنا) قطعنا وأكللنا و(الغاية) الطلق يريد أنا كللنا في الغايات التي جرى فيها البعدها ويريد اتساعه في الكلام (استغنى) قال عافوني منه (منحناه) أعطيناه (استكفى) قال يكفيني (اردفر) حمله على ظهره والزفر الحمل على الظهر (جرابه) وعاء خبزه (عصابة) جماعة (صدق المقال) أى صادقين في قولهم وصدق جمع صدوق وعدل عن صدوق على جهة المبالغة في صدقه (مقاولا) ملوكا (فاقوا) فضلوا وزادوا عليهم (فضائلا) جمع فضيلة وهي ما تفضل به غيرك من الافعال المحمودة (مأثورة) متحدث بها (فواضلا) عطايا وايادى الواحدة فضيلة وفواضل المال ما يأتيك من مرافقه وعكسه ومن كلام العرب اذا عزب المال قلت فواضله أى قل انتفاع رب الابل بلبنها اذا بعدت قال الشاعر

سأبغيك مالا بالمدينة انني * أرى عازب الاموال قلت فواضله

(قوله حاورتهم) خاطبتهم (سحبان) فصيح العرب وهو سحبان بن زفر بن اياس بن عبد شمس الوائلي من وائل باهلة وكان من فصحاء العرب وبلغائها وبه يضرب المثل في البيان والفصاحة فيقال أفصح من سحبان ودخل عند معاوية وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال

لقد علم الحي اليمانون أنني * اذا قلت أما بعد أني خطيبها

فقال له معاوية اخطب فقال انظروا الى عصا قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين قال وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فأخذها في يده فتكلم من الظهر الى أن كادت صلاة العصر تفوت ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقيت عليه فيه بقية ولا مال عن الجنس الذى يخطب فيه فقال معاوية الصلاة فقال الصلاة أمامك ألسنا في تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه ووعد ووعيد فقال له معاوية أنت أخطب العرب فقال العرب وحدها بل أخطب الانس والجن فقال له معاوية كذلك أنت وهو أول من قال أما بعد وأول من آمن بالبعث من الجاهلية وأول من توكأ على عصا وعمر مائة وثمانين سنة وهو القائل يمدح طلحة بن عبيد الله وهو طلحة الطلحات الخزاعى فقال فيه

يا طلح أكرم من مشى * حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطايا فاعطنى * وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الورد وقصرك بدريج وغلامك الخبار وعشرة آلاف درهم فقال له أف أف لك لم تسألني على قدرى انما سألتني على قدرك وقدر باهلة والله لو سألتني كل قصر لي وعبد ودابة لأعطيتك (قوله باقلا) هو من اياد وقيل من بنى مازن وقال حميد الارقط في وصف ضيف أكثر من الطعام

أتانا وما داناه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما أن تكلم باقل

والعرب تقول انه لأعيا من باقل ومن عيه أنه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فلم

قوله وعدل عن صدوق الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ولعله تحريف والاصل عدل عن صادق أو عدل الى صدوق أو غير ذلك تأمل اه مصححه

(ذكر سحبان وائل)

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا بعد غاياته مدحناه حتى استغنى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة
صدق المقال مقاولا
فاقوا الانام فضائلا
مأثورة وفواضلا
حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا

(ذكر باقل)

عنه بيده وفتح أصابعه وأشار بها وأخرج لسانه يريد انه باحد عشر درهما ولم يلهم أن يخبر عن سومه بلسانه ولماعير باقل بفعله قال

يلومون في عيه باقلا * كأنّ الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العتب في عيه * فللعيّ أجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان * أخف علينا من المنطق

الاموق الاحمق (قوله حلت) نزلت (سائلا) طالبا معروفهم (جودا) كرما (سائلا) جاريا (حيا) مطرا كثيرا (والوابل) أشد المطر يريد أنهم كانوا يريدون عليهم في الفضل (خطا) مشى ونقل خطاه (قيد) قدر (مستعيذا) مستجيرا (الحين) الموت (عدم الآل) فقد الاهل يقول أنتم عز لمن فقد اهله وكنز لمن أخذ ماله (العاسق) القمر * عائشة رضي الله عنها قالت نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شرّ هذا فان هذا هو العاسق اذا وقب يعني من شرّه اذا كسف ووقب القمر يقب وقوبا دخل في الظلام الذي يكسفه وكل ما غاب فقد وقب (المحجة) الطريق (انقب) استتر وجعل من الظلام نقابا و (كنى) منزلي (دامس) مظلم (طامس) دارس لان الظلام لما غطاه كأنه محاه (الآثار) الطرق التي أثر فيها المشي قال الصابي في شمعة وذكر هذا المعنى

وليلة من محاق الشهر مدجنة * لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر
كلفت نفسي بها الادلاج ممتطيا * عزما هو الصارم الصمصامة الذكر
الى حبيب له في النفس منزلة * ما حلها قبلهم سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة * تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز أثمر في * أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طوته ادونها الجدر

(وقال آخر في مثله)

لنا شمعة نيطت ذراها بشعلة * كحقة تبر علقت بلسانها
اذا عثر الساري بذيل من الدجا * نحرناله قلب الدجى بسنانها
تفك قيود الليل عن كل زائر * فتجري بها الرجلان مل عنانها
اذا ما أحست بالصباح تمارضت * كنرجسة قد أذبلت بمكانها
تموت اذا ما قبلت خد حائط * فتثبت خالا فوقه من دخانها
كأن الجراد امتص جوهر روحها * ولم يمتنع منها سوى يد اجنانها

(وقال الغزي)

ولما دجا الليل مزقته * بروح يخف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح * يحاكي ذراها وألوانها
غصون من التبر قد ركبت * لهيبا يزين أفنانها
فيا حسن أرواحها في الدجى * وقد أكلت فيه أبدانها

(قوله الملتمس) أي المطلوب وهو المصباح والقبس ضوءه (جلا) كشف (صاحب صيدنا) اي

وحلت فيهم سائلا
فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرا
م حيا لكانوا وابلا
ثم خطا قيد محسن وعاد
مستعيذا من الحين وقال
يا عز من عدم الآل وكنز من
سلب المال ان العاسق
قد وقب ووجه المحجة قد
انقب وبيني وبين كني
ليل دامس وطريق طامس
فهل من مصباح يؤمنني
العثار ويبين لي الآثار
قال فلما حيي بالملتمس وجلى
الوجوه ضوء القبس رأيت
صاحب صيدنا هو أبو زيدنا

(ذكر وصف الشمع)

فقلت لاصحابى هذا الذى أشرت الى أنه اذا نطق أصاب وان استمطر ٢٥٥ صاب فاتلعوا نحوه الاعناق وأحدقوا به الاحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجبروا عيلته فقال حبا لما أحييتم ومرحبا بكم اذ رحبتم غير أنى قصدتكم وأطفالى يتضورون من الجوع ويدعون لى بوشك الرجوع وان استرأثونى خامرهم الطيش ولم يصف لهم العيش فدعونى لاذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم ثم أنقلب اليكم على الاثر متأهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئته ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحثحثا ايابه فأبطأ أبطأ جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ما عندك من الحديث عن الخبيث فقال أخذنى فى طرق متعسة وسبل متشعبة حتى أفضينا الى دويرة خربة فقال ههنا مناخى ووكر أفراخى ثم استفتح بابه واختلج منى جرابه قال ولعمرى لقد خففت عنى واستوجبت الحسنى منى فهاك نصيحة هى من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

اذا ما حويت جنى نخلة * فلا تقربنها الى قابل

واما سقطت على بيدر * فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن اذا ما لقطت * فتنشب فى كفة الحابل

ولا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة فى الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف * وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب * فما مل قط سوى الواصل

الذى اصطاد أموالنا (استمطر) سئل المطر (صاب) وقع وقعا شديدا وكنى بالمطر الصوب عن العلم الكثير (أتلعوا) مدوا وأتلع الرجل نصب عنقه ومدها وتطاول لينظر شيأ (أحدقوا) حلقوا واحاطوا و(الاحداق) سواد العين الاعظم (عيلته) فقره (يتضورون) يصيحون ابن الانبارى وقولهم تركته يتضور معناه يظهر الضر الذى وقع به بالتقلقل والاضطراب والصياح فيتضور يتفعل من الضور والضور بمعنى الضير ويقال ضرنى يضرنى ضرا وضارنى يضيرنى ويصورنى ضيرا وضورا بمعنى (وشك) سرعة (استرأثونى) استبطؤنى (خامرهم) خالطهم (الطيش) الخفة وذهاب العقل من الجوع (أسد مخمصتهم) أزيل جوعهم و(الغصة) ما يختنق به و(اساغتها) تسهيلها حتى تبتلع (انقلب على الاثر) أى فى الحين وفى الطريق الذى أمضى فيه أرجع أمشى على أثرى فيه مسرعا قبل أن يمشى غيرى فيه يره فهذا معنى أنقلب على الاثر (متأهبا) مستعدا (فيئته) رجوعه (مضطبنا) حاملا على ضبنه وهو خصره (محثحثا) معجلا (ايابه) رجوعه (الخبيث) قال أبو الهيثم الخبيث الذكر من الشياطين وجمعه خبث أبو عبيدة الخبيث ذو الخبث فى تفسيره (متشعبة) متفرقة وتشعب الطريق خرجت منه شعب الى كل جهة اى طرق أخر فأراد أنه خلط عليه بحيث لا يهتدى الى منزله فكان يخرجه من طريق الى طريق (أفضينا) وصلنا وهو من الفضاء (مناخى) منزلى وأصله موضع اناخة البعير (وكر أفراخى) عش أولادى (استفتح) ضرب وقال افتحوا الباب (اختلج) أخذ بسرعة (جرابه) وعاء زاده (الحسنى) الفعل الحسن (هاك) خذ (النفائس) الذخائر الرفاع (مغارس) مواضع يغرس فيها (المصالح) جمع مصلحة مفعلة من الصلاح (حويت) جمعت وحزت (جنى نخلة) هو الثمر (بيدر) أندر الزرع يسمى بالشأم اندرو بالعراق بيدر (حوصل) اجعل فى حوصلتك وهى للطائر فى الاصل (كفة) شبكة (الحابل) الصائد (توغل) تكثرن الدخول (سبحت) عمت (الساحل) ماولى الماء من الارض وهو فاعل بمعنى مفعول لان الماء سحله أى قشره وأخذ عشبه كما تسحل الحديدة بالمبرد اى تبرد بالمبرد والسحالة ما سقط من المسحول (وخاطب بهات) عكس قول الصاحب وقد أهدى اليه العميدى قاضى قزوين هدية وكتب معها

العميدى عبد كافى الكفاة * وان اعتد فى وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات

(فوقع تحتها)

قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعى * قول خذ ليس مذهبى قول هات

(قوله آجلا) ضد عاجل وقوله (ولا تكثرن على صاحب) اى لا تكثر من الزيارة وأقللها حشية الملل وروى قدامة بن جعفر أن رجلا كتب الى آخر ان رأيت ان تجدد لى موعد الزيارة تك أتوقته الى وقت رؤيتك فيؤنسنى الى حين فافعل فأجابه الآخر أخاف أن أعدك وعدا يعرض دون الوفاء به مالا أملك دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة فأجابه المبتدى انما أسر بموعدك وأكون جذلا بانتظارك فان عاق عائق عن انجاز وعدك كنت قد ربحت السرور بما أحبه وأصبت أجرى على الحسرة بما حرمته ولبعضهم

أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وعما جاء فى قصر الزيارة قول أبى الشيص

يا حبذا الزور الذى زارا * كأنه مقتبس نارا

نفسى فداء للذى زائر * ما حل حتى قيل قد سارا

مرّ بباب الدار فاجتازها * يا ليته لو دخل الدارا

(وأنشد الحاتمى والوليمى لجحظة)

بأبى من زارنى مكتتما * خائفا من كل حس جزعا

حذرا دل عليه نوره * كيف يخفى الليل بدرا طلعا

رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا

كابد الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال العباس بن الاحنف)

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال

ما أناخوا حتى ارتحلنا فما فـ * ـرق بين النزول والترحال

(وقال محمد بن أمية الكاتب)

يا فراقا أتى بعقب فراق * واتفاقا جرى بغير اتفاق

حين حطت ركابهم لتلاق * زمت العيس منهم لانطلاق

ان نفسى بالشأم اذ أنت فيها * ليس نفسى نفسى التى بالعراق

اشتهى أن ترى فؤادى فندرى * كيف وجدى بهم وكيف احتراقى

ومن الزوار طيف الخيال وهو فى الشعر الجاهلى والمولد كثير وسنذكر منه شيأ يستحسن ان شاء الله تعالى قال قيس بن الخطيم

انى شربت وكنت غير شروب * ومقرب الاحلام غير قريب

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

(وقال أبو الفرج الكاتب)

خيالك كان أعرف بالغرام * وأرأف بالمحب المستهام

فلو يسطيع حين حضرت نومى * لكان يزور فى غير المنام

وقال الرضى

وزور زارنى والليل داج * فعللنى بباطل ذاك حينا

يريك أنه يأتى وسادى * مضاجعة وزور ما يرينا

نعمت بباطل ويود قلبى * ودادا لو يكون لنا يقينا

وقال ايضا

وزور تخطى جنوب الملا * فناديت أهلا بذا الزائر

أتى فى هدوّ وعين الرقيـ * ـب مطروفة بالكرى الغامر

وأحبب به يسعف الهاجعين * وتحرمه مقلة الساهر

وعهدى بتمويه عين المحب * تنم على قلبه الطاهر

فلما التقينا برغم الرقا * دموه قلبى على طائر

واتل عليهم وصيتى وقل لهم عنى ان السمر فى الخرافات لمن اعظم الآفات ولست آلفى احتراسى ولا اجلب الهوس الى راسى (قال الراوى) فلما وقفنا على فحوى شعره واطلعنا على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسره وصفقة خاسره

* (المقامة السابعة عشرة القهقرية) *

(حدث الحرث بن همام) قال لحظت فى بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الدجا وهم فى مماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة الألهوب فهزنى لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء جنى المناظرة فلما انتصب برهطهم وانتظمت فى سمطهم قالوا أأنت ممن يلى فى الهيجاء ويلقى دلوه فى الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا عن حجاجى وافاضوا فى الاحاجى وكان فى بحبوحة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأنحل

قال الرضى قلت هذه الابيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتداول أهل الادب انشادها واستغربوا هذا المعنى وشهدوا أنه مخترع لم يسمع فلما تصفحت ديوان شعر أبى سنة اثنتين وعشرين وار بعمائة وجدت بخطه فى الجزء الثانى من شعره

ان طيف الخيال زار طروقا * والمطايا بين العناق وشعب

زارنى واصلا على غير وعد * وانثنى هاجرا على غير ذنب

كان قلبى اليه رائد عينى * فعلى العين منة للقلب

كان عندى أن الغرور بطرفى * فاذا ذلك الغرور بقلبى

فلا أدرى هل قصد نظمها حتى لا يخلى شعره من هذا المعنى أو أنسى سماعه منى وقذف به خاطره وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيواردون فى بعض المعانى المسبوق اليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها والخواطر مشتركة والمعانى معرضة لكل خاطر وكثيرا ما جرى الامر فالعنصر واحد (قوله اخزنها فى تامورك) اى اجعلها فى قلبك والتامور حجاب القلب وقيل دم القلب (كلاءة) حفظ وكلاءه كلؤه حفظه (الخرافات) أحاديث اللهو والاباطيل قال الخليل الخرافة الحديث المستملح فى الكذب * أبو عبيدة كان خرافة رجلا صاحبته الجن فرأى منهم عجائب فحدث بها فيقال فى كل حديث يستغرب كأنه حديث خرافة (آلفى) أترك (احتراسى) تحفظى (الهوس) يبس الرأس يتولد من كثرة السهر (فحوى) معنى (نكره) منكره ودهائه (تلاومنا) لام بعضنا بعضا (الاغترار) الانخداع (افكه) كذبه (باسرة) عابسة وبسر وجهه بسورا عبسه (وصفقة خاسرة) اى تجارة ومبايعة ناقصة

* (شرح المقامة السابعة عشرة القهقرية)

(لحظت) نظرت (مطارح) جمع مطرح وهو الموضع تطرح فيه نفسك اى ترميها فيه (البين) الفراق فعبر به عن مطارح لبين البلاد التى طرحه فيها البين برماه اليها (مطامح العين) المواضع الحسان التى تطمح فيها العين بالنظر اى ترتفع اليها (سيما الحجا) علامة العقل والسيماء وسمت الشئ وسما اذا علمته وأصله وسمى فحولت الواو من موضع الفاء الى العين فصار سومى فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها (طلاوة) حسن (الدجا) الظلمة (المماراة) الخصام (مشتدة) كثيرة الحركة و(الشد) الجرى (الهبوب) مجئ الريح (مباراة) معارضة (مشتطة) ممتدة متجاوزة الحد (الالهوب) الجرى الشديد فاراد ان حركة الكلام بينهم فى المناظرة شديدة و(المحاضرة) مجالسة العلماء (مناظرة) سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدر معرفته (جناها) فوائدها (رهطهم) جماعتهم (انتظمت فى سمطهم) اى جلست بينهم (يلى فى الهيجاء) يقاتل فى الحروب (النظارة) القوم يقعدون فى موضع مرتفع من الارض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه فأراد أنى ممن يحضر معكم للاستماع لا للمناظرة (الحجاج) مصدر حاجه تقول حاججت فلانا اذا أوردت عليه الحجة وأوردها عليك فان غلبته قلت حججته (أفاضوا فى الاحاجى) اندفعوا فى الالغاز (بحبوحة) وسط (الاكليل) دائرة وأصلها عصابة مكللة بالدر والياقوت تعقد على رؤس الملوك (رفقتهم) جماعتهم (برته) أذهبت لحمه (لوحته) غيرته وأضمرت جسمه (السموم) الريح الحارة (أنحل

من جلم الا أنه كان يلى
العجاب اذا أجاب وينسى
سحبان كلما أبان فأعجبت
بما أوتى من الاصابة والتبريز
على تلك العصابة ومازال
يفضح كل معمى ويصمى
فى كل مرمى الى أن خلت
الجعاب ونفد السؤال
والجواب فلما رأى انفاض
القوم واضطرارهم الى
الصوم عرّض بالمطارحة
واستأذن فى المفاتحة فقالوا
له حبذا ومن لنا بذا فقال
أتعرفون رسالة أرضها
سماؤها وصبحها مساؤها
نسجت على منوالين وتجلت
فى لونين وصلت الى جهتين
وبدت ذات وجهين ان
بزغت من مشرقها فناهيك
برونقها وان طلعت من
مغربها فيا لعجبها قال فكأن
القوم رموا بالصمات أو
حقت عليهم كلمة الانصات
فما نبس منهم انسان ولا فاه
لاحدهم لسان فحين رآهم
بكما كالانعام وصموتا
كالاصنام قال لهم قد
أجلتكم أجل العدة
وأرخيت لكم طول المدة
ثم ههنا مجمع الشمل وموقف
الفصل
فان سمحت خواطركم مدحنا
وان صلدت زنادكم قدحنا
فقالوا له والله مالنا فى لجة
هذا البحر مسبح ولا فى ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد وهئ

أيبس (جلم) مقص وأكثر ما يستعمل مثنى فيقال جلمان والعجب من أبى محمد يقول فى الدرة
ويقولون قرضت بالمقراض وقصصت بالمقص فيهمون كما وهم بعض المحدثين حين قال فى صفة
مزنون بالقيادة وان كان قد أبدع فى الاجادة

اذا حبيب صد عن الفه * تيها وأعيا كل روّاض
ألف فيما بين شخصيهما * كأنه مسمار مقراض

قال والصواب أن يقال مقراضان ومقصان وجلمان لانهما اثنان فما منعه غيره أباحه هنا
لنفسه فقال أنحل من جلم ولا نقول كما قال انه وهم بل نقول انها لغة قليلة قال يعقوب والجلم
الذى يجز به وقال رجل من الازد فى مفرد مقراض

فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى * وعلىّ أن ألقاك بالمقراض

وقال الراجز فى مفرد الجلم * وجلم كريشة الوقواق * والوقواق الخطاف والجسم النحيل
يشبه بالقلم والجلم وقلب الشاعر التشبيه وألغز بالقلم فقال

ضئيل الرواء كبير الغناء * من البحر فى المنصب الاخضر
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الاصفر

(وقال ابن أبى لبابة فى جلم)

ومعتنقين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لمعنى * سوى معنى القطيعة والفراق

وتقدم فى الثانية من أبيات المعانى فيه

ارعت مراتع مدراها على وهن ٣ * صنوين ان أفردا لم يرعيا أبدا

(أبان) بين (التبريز) الظهور والخروج قبلهم (العصابة) الجماعة (يفضح) يشهر عيبه (معمى)
مستور (يصمى) يصيب المقتل (خلت الجعاب) اى افرغ الكلام والجعبة وعاء السهام فكنى
بها عن القلوب وبالسهام عن الكلام الذى تصدر عنها (الانفاض) فناء الزاد وقد أنفض القوم
وأراد نفاد ما عندهم من العلم (الصوم) السكوت والامساك عن الكلام (المطارحة) أصلها
فى الغناء وهو ما يأخذه المتعلم عن المعلم و(عرّض بها) أى ذكرها (المفاتحة) استفتاح الكلام
(أرضها سماؤها) يريد أعلاها أسفلها (صبحها مساؤها) أولها آخرها (المنوال) خشبة الحائك
أراد أنها نسجت من الطرفين لانك تبتدئ بها بالقراءة ان شئت من أولها وان شئت من آخرها
(بزغت) طلعت (ناهيك) كافيك (رونقها) حسنها والرونق صفاء الوجه وحسنه ونعمته
(الصمات) السكوت و(الانصات) مثله (نبس) تكلم (الانعام) المواشى (أجلتكم) أخرتكم
و(العدة) هنا عدة الموت لانها أطول العدد ألا ترى أنه أرخى لهم طول المدة و(الطول) الحبل
و(الشمل) الاجتماع (الفصل) القضاء يقول قد طولت لكم الامد لتستخبروا هذه الرسالة وفى
هذا الموضع يكون اجتماعنا ويفصل فيه بين العارف وضده (خواطركم) أذهانكم (صلدت)
شحت (قدحنا) ضربنا زند النار يقول ان عرفتموها مدحناكم وان جهلتموها عرفناها لكم وجعل
صلود الزند كناية عن جود القرائح (لجة) معظم الماء (مسبح) موضع يسبح فيه اى يعام
(مسرح) موضع يسرح فيه اى يمشى ويتصرف (الكد) الجهد والتعب (هئ) طيب

(النقد) حضور المال (يثبون) يقومون لقيامك (يثيبون) يهبون الثواب (استثبت) طلبت الثواب (استملوا) اكتبوا (صبيعة) مايصطنعه الانسان لغيره من الخير يريد ان الانسان أهل الاحسان وان عكست قلت الاحسان صبيعة الانسان أى اصلاح الاحسان وتتميمه من صنع من يوصف بالانسانية وقد تقدم

* ومافيهم من يرب الصنيع * وقال اعرابى لعبد الملك بن مروان

يرب الذى يأتى من الخير أنه * اذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبان حين تم بناؤه * تتبعه بالنقض حتى تهدما

فمعنى يرب هو قوله زاد وتمما (الندب) السيد الخفيف (شيمة) طبيعة (الذخيرة) الشئ الرفيع من مال او غيره والادخار كالاقتناء (استثمار) تناول الثمر (عنوان) دليل (تباشير) اوائل وتباشير الصبح طرائق ضوئه فى الليل ويقال للطرائق التى تراها على وجه الارض من آثار الرياح التباشير (البشر) طلاقة الوجه (المداراة) خداع القلوب بلطف الكلام ومداراة الناس معاملتهم بما يحبون (المصافاة) اخلاص المحبة (عقدها) ربطها (يقتضى) يتضمن (حلية) زينة (الالباب) العقول (الهوى) مايهواه الانسان ويميل اليه (آفة) داء (الخلائق) الناس (شين) عيب (الخلائق) الطبائع شوك الملل فى الناس يعيب أخلاقهم (سوء الطمع) كثرة الحرص (تباين) يباعد (الورع) الكف عما فيه اثم وقد ورع الرجل يرع ورعا ورعة اذا كف عما لا يحل والورع بفتح الراء الجبان وقد ورع وورع وقال عروة بن أذينة فى ذم الطمع

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وان لم آت يأتينى

أسعى له فيعنينى تطلبه * وان قعدت أتانى لايعنينى

لاخير فى طمع يدنى الى طبع * وعفة من قوام العيش تكفينى

وأنشد الحريرى البيت الاول فى الدرة

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى

قال فيروى أكثرهم الاسراف بالسين المهملة وروى بعضهم بالشين المعجمة ليكون معناه التطلع الى الشئ والاستشراف اليه قال ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين واعلاق الامل بالخالق دون المخلوقين تحليته بها تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله وهو مارويته من عدة طرق أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخل عليه عروة قال له ألست القائل لقد علمت وخير القول أصدقه * الابيات وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشأم فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ وأذكرت ماأنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها ثم نصها نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان من الليل تعار على فراشه فذكره فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الى اليوم فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه قال لاجرم ليعلم ان الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له فأعطاه ألفى دينار وقال ألحق بهذا أين أدركته فاعطه اياها قال فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى (قوله الحزامة) جودة الرأى والحازم الجامع لرأيه المحكم لاموره وأصل الحزم الجمع والشد ومنه

العطية بالنقد واتخذنا اخوانا يثبون اذا وثبت ويثيبون متى استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا منى وانتقلوا عنى الانسان صبيعة الاحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزامة

الحزمة وحزمت المتاع جمعته وشددته ومنه الحزام لانه يشد به وقد حزم الرجل وحزم صار حازما (الزمام) مقود البعير (المثالب) المساوى وثلبه ذكره بسوء (التطلب) البحث يريد أن البحث عن عيوب الناس من أكبر العيوب قال رجل للمستورد الخارجى أريد غلاما عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وكان يقول أول ما يدل على عائب الناس معرفته بالعيوب * معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم *أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها, مر المسيح صلوات الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له فى ذلك فقال كل ينفق مما عنده *وكتب الشافعى رضى الله عنه لصديق له

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى انى خطرت ببالكا

وأتى الشافعى رضى الله عنه مسجدا فصادف قوما يغتابون فسد الباب وقال

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال الشاعر ثالبنى عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

(قوله العثرات) السقطات (يدحض) يبطل يريد أن البحث عن عيوب الصاحب يبطل مودته *أبو بردة الاسلمى رضى الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا الناس ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بطن بيته وقال سابق البربرى اذا ما كنت طالب كل ذنب * ولم تحلل أخاك عن العتاب

تباعد من تباعد بعد قرب * وصار بك الزمان الى اجتناب

وقال عبد الله بن جعفر عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان غبت عنه صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير ان كان وقيل خير الاخوان من اذا نسيت ذنبك لم يقرعك به ومعروفه عندك لم يمن عليك به وقال الشاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * سنيا سريا ماجدا فطناحرا

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(قوله خلوص النية) صفاؤها أى من أخلص لك النية فكأنه قد أعطاك خالص ماله والخلاصة ما خلص من الشئ وصفا (النوال) العطاء (الكلف) المشقات (يسنى) يسهل (المؤنة) خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول من تيقن أن الله يعينه على البر وما ينويه من الحقوق سهل عليه تكلف المؤن وهو من قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يتم تلك النعمة عرض النعمة للزوال وأما معكوس ما قبله وهو تيقن الخلف يسهل الكلف فمن قوله صلى الله عليه وسلم من أيقن بالخلف جاد بالعطية قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال عن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يسنى المؤنة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح

وقالوا المعروف ثلاث خصال تعجيله وتيسيره وستره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط منه الشكر (قوله الفضل) هو الزيادة على قدر الحاجة (الصدر) هو المتقدم في الامور مثل والوسيد القوم يقول من يتصدر لامور الناس ففضله وشرفه سعة خلقه (الرعاة) الولاة (مقت السعاة) بغض العمال الذين يجمعون الزكاة والسعاة أيضا المشاؤن بالنميمة للملوك فيقول زين الملوك بغض العمال الذين جرت العادة في قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس فاذا أبغضوهم بحثوا على أعمالهم الفاسدة فخافوهم فعدلوا وأما بغض المشائين بالنميمة للملوك فواجب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث قيل ومن المثلث يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه (قوله بث) أى نشر (المنائح) العطايا يقول جزاء المدح بذل المال وأصل المنائح بذل فوائد الاموال لا الاموال (مهر) حق (الوسائل) القرب والوسيلة ما تجعله سببا بينك وبين من تريد الوصول اليه مثل الشفيع والهدية في قضاء حاجتك (المسائل) جمع مسئلة وهي هنا سؤال المحتاج (والمجلبة) منعلة من الجلب والمعنى حق الوسيلة قضاء الحاجة (الغواية) الضلالة (استغراق) تجاوز الحد و(الحد) الاول الفصل بين الشيئين وأصله المنع والحد الآخر حد السيف وشبهه (يكل) يضعف (تعدى) تجاوز (يحبط) يفسد (ينشئ العقوق) يظهر المقاطعة (تحاشى) ترك واعتزال (الريب) التهم (الرتب) المنازل الرفيعة قال بعض الحكماء ثلاثة لاغربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى ونظمها الشاعر فقال

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانية حسن أخلاقه * وثالثهن اجتناب الريب

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لدهقان بعض ملوك العجم بم ينبل الرجل عندكم قال بترك الكذب فانه لا يشرف الامن وثق بقوله وبقيامه بأهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره ومجانبة الريب فانه لا يعز من لا يأمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (قوله ارتفاع الاخطار) أى شرف الاقدار والقيم (اقتحام) دخول شديد يقال فلان يقتحم في الامور أى يدخل فيها بغير تثبت ولا روية وتقحمت الناقة اذا ندت فلم يمسكها راكبها ومنه قحمة العرب سميت قحمة لانهم اذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (تنوه) ترفع (مواتاة) موافقة (الاقدار) الاول جمع قدر الانسان أى منزلته والاقدار الثاني جمع قدر الله تعالى وقال الشاعر

الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد في الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(تقصير الآمال) تقليل الرجاء وكفه ومن قل الطمع شرف عمله (الفكرة) التدبير (تنقيح) تخلص وأصله ان تشذب العقد من العود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب قال الشاعر وطارت بصلب قوضت عنه بيتها * له أبن ما قوضت وكعوب صلب عمود البيت جذبته المرأة لتضربه فتهدم بيتها (تهذب) تخلص والمهذب المخلص من العيوب و(السياسة) حسن المداراة و(اللجاجة) ركوب الرأس في الباطل (تلقى) توجد ويروى

بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدى الادب يحبط القرب وتناسى الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي الريب رفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوه الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال في تقصير الآمال واطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلقى

تلغى وتلقى ومعناهما تترك وتطرح و(الحاجة) مايحتاج اليه فان عكست رجعت الحاجة الفقر يريد اذا الجئت فى شئ أدركت حاجتك وعلى تلغى اذا وقعت لجة فى حاجتك تركت وعلى العكس من افتقر يلح فى السؤال حتى يعطى (الاوجال) جمع وجل وهو الفزع والمعنى ان تفاضل الرجال فى الصبر عند النوازل * سلمان رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من الف مثله الا الانسان وقال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تسارعوا * الى الخير حتى عد ألف بواحد

وفى عكسه يقول الامور المخوفة تصغر على العظيم وتعظم على الصغير فعلى قدر ما يفضل الرجل صاحبه فى عزمه واقدامه تتزايد الاوجال وتنتقص وقد قال المتنبى

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

(الهمم) جمع همة (تتفاوت) تتباعد ما بينها (القيم) المنازل (السفير) الرسول (يهن) يضعف والمعنى ان السفير اذا تعدى فزاد فى الحديث ضعف التدبير ولو عكست لقلت ان تدبير المرسل اذا اختل ضعف السفير وان كان حازما وعلى هذا أنشدوا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

وان باب امر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه

وذو الحق لا تنتقص حقه * فان القطيعة فى نقصه

ولا تحرصن فرب امرئ * حريص مضاع على حرصه

(قوله خلل) فساد و(الاجاد) ان تجد الرجل محمودا و(الاجتهاد) بلوغ الجهد وهو أقصى الطاقة والمعنى أن الرجل يستحق أن يكون محمودا بحسب ما بذل من اجتهاده وطاقته ولو عكست لقلت الاجتهاد واجب عليك فيما كلفته بحسب احمادك من كلفك (الملاحظة) النظر بمؤخر العين (المحافظة) التحرز والمعنى انك اذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك ففعلك ذلك كفاء محافظته وان عكست قلت ان المحافظ لك اذا اصفت محافظته فهى كفاء ملاحظتك له (الموالى) الذى يوالى الخير والكرم أى يفعل المرة بعد المرة (تعهد) تفقد (الموالى) بنو العم وقيل الموالى من والاك بعتق أو بحلف أو بصحبة فكل واحد منهما مولى للآخر والموالى بالضم الفاعل والمعنى اذا تعاهدت من والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك وان عكست قلت ان الموالى يتعهدون من والاهم والصحيح فى هذا الموضع ان الموالى الذى يواليك وده والموالى العبيد والاتباع وسألنى الاستاذ المقرى الحاج ابن السقاط فى هذا الموضع فأجبت بما تقدم فقال لى معنى هذا الموضع غائب عمن لا يعرف سيرة أهل المشرق وذلك ان الرجل الشريف حين يصبح عندهم يأمر مواليه ان يقصدوا نظراءه من الاشراف والاعيان فيأتون باب الشريف فيستاذنون عليه ويدخلون اليه ويقولون له نعم مولانا صباحك ثم يسألونه عن حاله وعما حدث عنده ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاهم وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود فى قصد نظراء مولاهم فتنضبط بذلك عندهم الرعايات بين الاصدقاء والاقارب وتتزايد المودات بين الاولياء والاجانب فعلى هذا المعنى

الحاجة وعند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد السفير يهن التدبير وبخلل الاحوال تتبين الاهوال ويوجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الاجاد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالى بتعهد الموالى

وتحلى المروآت بحفظ
الامانات واختبار الاخوان
بتخفيف الاحزان ودفع
الاعداء بكف الاوداء
وامتحان العقلاء بمقارنة
الجهلاء وتبصر العواقب
يؤمن المعاطب واتقاء
الشنعة ينشر السمعة وقبح
الجفاء ينافي الوفاء وجوهر
الاحرار عند الاسرار ثم قال
هذه مائة لفظة تحتوي على
أدب وعظة فمن ساقها هذا
المساق فلا مراء ولا شقاق
ومن رام عكس قالبها وان
يردها على عقبها فليقل
الاسرار عند الاحرار وجوهر
الوفاء ينافي الجفاء وقبح
السمعة ينشر الشنعة ثم
على هذا المسحب فليسحبها
ولا يرهبها حتى تكون خاتمة
فقرها وآخر دررها ورب
الاحسان صنيعة الانسان
(قال الراوي) فلما صدع
برسالته الفريدة وأملوحته
المفيدة علمنا كيف يتفاضل
الانشاء وأن الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل
منا بذيله وفلذه فلذة من نيله

يقول في تعهد الموالي وهو حسن ان شاء الله تعالى (قوله تحلى) أي تزين (المروآت) تقدمت
(وتخفيف الاحزان) تهوين الطوارئ والنوازل (الاوداء) الاحباب يريد أنهم يكفون الاعداء
ورواية ابن ظفر دفع العداء وأنكر الاعداء وقال العداء بالفتح والمد الظلم (امتحان) اختبار
يقول انما يتبين لك العاقل بمقارنته وبمصاحبته الجاهل لانه لا يوافقه وان عكست قلت الجاهل
اذا صحب العاقل تبصر واتقى جهله وقالوا اذا أردت ان تفهم عالما فأحضر جاهلا وقال الشاعر

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله وجاء كيسان الى الخليل يسأله ففكر ليجيبه
فلما استجمع الكلام قال له لا أدري ما تقول فقال الخليل

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت انك جاهل فعذرتكا

(تبصر العواقب) امعان النظر في عاقبة الامور و(المعاطب) المهالك يريد من نظر في عاقبة أمره
أمن ما يحذر (الشنعة) الفعل القبيح ينشر ذكره (السمعة) الذكر الجميل يسمع عنك أو القبيح
فينتشر في الناس (الجفاء) سوء الادب وثقل الكلام و(ينافي) يباعد (الوفاء) ضد الغدر (تحتوي)
تشتمل (عظة) موعظة (المراء والشقاق) معناهما الخلاف والعكس رد أول الكلام على آخره
وهو الرد على العقب كما ذكره وهو معنى القهقرة الذي سمي به المقامة ولذلك لم ينسبها الى بلد
والقهقرة رجوع الرجل عنك كما جاء عليك وذلك ان يرجع الى خلف وهو يستقبلك بوجهه وهو
الرد على العقب وذلك أن الرجل اذا توجه مقبلا اليك فانما يقدم في مشيه اليك صدوره وقدميه
فاذا تقهقر قدم في مشيه عقبه وأصل القهقر الحجر المدحرج فاذا ضربته تدحرج في جريه حتى
يستقر فاذا أردت أن يرجع الى الموضع الذي جاء منه ضربته فتدحرج راجعا الى جهة موضعه
فشبه رجوع الرجل على ما وصفنا وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها الى أولها مشبه بذلك
ولذلك شبه الاعرابي فرسه في اجتماعه بالحجر فقال محبوك مهملج كما تقهقر الادعج (والمسحب)
الطريق الذي تجر فيه الشيء (يسحبها) يمشها (يرهبها) يخفها أي لا يخرج الالفاظ عن طريقها
فتختل وذلك ان هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدا وخبر فان وقفت فيها على مبتدا في أولها أو
آخرها أو وسطها فاقرأ مع ما بعده تجده مستقيما واقرأ مع ما قبله تجده كذلك فان وقفت على
خبر مبتدا فلا يستقيم مع ما بعده وهو مع ما قبله ابعد وأراد بقوله لا يرهبها لا يبتدئ لفظة بغير
مبتدا فتتداعى مبانيها وتبطل معانيها فتفهمه والفقر في غير الموزون مثل القوافي في الموزون
والفقر مشتقة من فقار الظهر لانها تنقطع على قافيتين أو ثلاثة وهذا هو الفرق بين الفقر
والاسجاع اذ الاسجاع كلها ترجع الى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لا يختلف ولهذا قال
المعري في الغراب

أتى وهو طيار الجناح وان شدا * أشاع بما أعيا سطيحا من السجع

وسطيح كاهن وكلامه أسجاع (صدع) كشف وشق (الفريدة) التي لا مثل لها (أملوحته) يريد بها
الرسالة والاملوحة الكلام المليح يعجب له السامع و(الانشاء) الكتابة (فلذ) قطع (فلذة) قطعة
وأصلها قطعة من كبد البعير قال الشاعر

فأبى قبول فلذتى وقال لست أرزأ تلامذتى فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أناهو على نحولى ونحولى وقشف محولى فأخذت فى تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه ليروعنى وأحد غربه

واستل من جفنى كراه مراغما واسال غربه

وأجالنى فى الافق اطوى شرقه وأجوب غربه

فبكل جو طلعة فى كل يوم لى وغربه

وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

يكمسه حرة فلذان ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

(نيله) عطائه (أرزأ) أنقص (والتلميذ) هو متعلم العلم ولذلك أبى ان يأخذ منه شيا وهو فى كل مقامة اذا تعرض للكدية يفرده بالاخذ منه أو يتدئ التقدير منه وذلك أن الجماعة فى هذه المقامة اشترطوا مناظرته وابن همام شرط أنه من نظارة الحرب أى انما جلس لينظر ويتعلم فلهذا أخذ منهم وتركه وزاده فائدة التنبيه على أنه أبو زيد ولذلك قال له (كن أبا زيد) وكن أتى به بلفظ الامر ومعناه الدعاء وفى الحديث كن أبا ذر وكن أبا خيثمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شخصا من بعيد فرجا أن يكون أبا ذر الغفارى فقال كن أبا ذر أى جعلك الله أبا ذر فكان ما رجاه النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان اللفظ هنا كان ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب الرسالة تمنى أن يكون أبا زيد لما عهد من فصاحته فقال كن أبا زيد أى جعلك الله أبا زيد الذى عهدت منه الفصاحة متى رأيته فصدق منه امنيته فقال انا هو الذى تمنيت والدعاء بلفظ الامر كثير فى كلامهم كقوله

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وقول الآخر * ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

أى سلمك الله من ربع وجعل صباحك ناعما الفنجديهى كن أبا زيد أى أنت ابو زيد ومنه كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنتم خير أمة (شحوب) تغير (سحنتك) جلدة وجهك وهيئتك (نضوب) جفوف و(الوجنة) العظم الشاخص تحت العين (نحولى) يبسى (قشف) تغير هيئته بترك النظافة (محولى) جفوف جسمى (تثريبه) لومه وتعييب فعله والتثريب بالذنب المؤاخذة به وأصله الاختلاط والافساد وانما يقول لا تثريب عليك من قدر فعفا (حولق) قال لا حول ولا قوة الا بالله (استرجع) قال انا لله وانا اليه راجعون (عضبه) أى سيفه القاطع (ليروعنى) ليفزعنى (غربه) حده (استل) ازال (كراه) نومه (مراغما) مذللا (غربه) مجرى دمعه والغرب فيض الدمع (أجالنى) صرفنى ومشانى (الافق) نواحى الارض (أطوى) أقطع (أجوب) اخترق (جو) ناحية (غربه) فعلة من الغروب مثل طلعة من الطلوع (المغرب) المبعد (المتغرب) الملازم للغربة (نواه) سفرته (غربه) بعيده ومن أحسن ما قيل فى تبعيد السفر قول ابن حبيب

سلى هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعى من ركابى سباسبا

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

خطوبا اذا لاقيتهن رددننى * جريحا كانى قد لقيت الكتائبا

وله أيضا

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى * البين أكبر من شوقى واحزانى

دع الفراق فان الدهر ساعده * فصار أملك من روحى لجثمانى

خليفة الخضر من ربع على وطن * فى بلدة فظهور العيس أوطانى

فى الشأم أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى

وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغنى اقصى خراسان

(وقال الحلوانى)

يا نفس ويحك فى التغرب ذلة * فتجرعى كأسى هوى وهوان

واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

وقال

*(وقال ابن شرف)

ان ترم العربة في معشر * قد جبل الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

(وقال البستي)

لا يعدم المرء كاشحاً كربه * وشبحة بين أهله وأصحابه
ومن نأى عنهم وقل مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

والسابق لهذا المعنى زهير في قوله

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وفي قوله   فنترى في بلادك اخوتنا   حتى يدعوا بلادهم ويهونوا

يقال جاء (يجر عطفيه) اذا جاء يمشي الخيلاء متبختراً ناظراً في عطفيه اذا كان معجباً بنفسه وثاني عطفيه بمعنى متكبر والعطفان جنبا الثوب والعطاف الرداء والجمع عطف ويقال جاء يجر رجليه اذا جاء مثقلاً لا يقدر أن يحمل رجليه (يخطر بيديه) يحركهما عند المشي (متهافت) متساقط من التهافت وهو التساقط (أيادي سبا) يريد في كل طريق وجهة وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة سموا باسمه وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو أول من سبى السبي وقيل سبأ اسم مدينتهم وكانت من أحسن بلاد الله تعالى وأخصبها وأكثرها شجراً وماء وقد ذكرها الله تعالى ثم كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر في شهر للمجد الراكب يسير في جنان من أولها الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك الا قصموه وكانت في بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم في دفع السيل فاجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف الماء واتخذ سداً في موضع جريان الماء من الجبال رصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجاري للماء في استدارة الذراع يخرجون منها مقداراً معلوماً من الماء وشراً مقسوماً للارض فاذا جاء السيل تصرفت المجاري الى جنانهم ومزدرعاتهم بقدر يعمهم نفعه وقد رصعه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وذكر الاعشى في شعره ان حميراً بنته فقال

رخام بنته لهم حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم
وأروى الزروع وأعنابهم * على سعة ماؤهم قد قسم
فعاشوا بذلك في غبطة * فجاف بهم جارف منهدم

فلما كفروا بأنعم الله ورأوا أن ملكهم لا يفنى وعبدوا الشمس بعث الله على سدهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل وأباد الله خضراءهم ولما انتهى الملك في ولد سبا الى عمرو بن عامر مزيقياء وسمي بذلك لانه كان يمزق في كل ليلة حلة كراهية أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمي بذلك لانه مزق الازد في البلاد وكان أخوه عمران كاهناً وامرأته كاهنة تدعى ظريفة فاخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل واسرته فقال لها وما آية ذلك فقالت اذا رأيت جرذاً يكثر بيديه الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم انه قد اقترب الامر فقال وما الامر فقالت وعد من الله نزل فليعيرك

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا

يا عمرو فلتكثر الشكر فرأى عمرو يوما فى السد جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع وهو يقول

أبصرت أمرا هاج لى برح السقم * من جرذ كفحل خنزير أجم

* له مخالب وأنياب قضم *

أى معوجة فأجمع على الخروج منها واعمل الحيلة فى بيع ماله وأن لا ينكر الناس عليه فقال لابنه انى صانع طعاما وداع اليه أهل مأرب فاردد علىّ ما أقول لك من الحديث ففعل ابنه ذلك وردّ عليه بأقبح ردّ فصاح عمرو واذلاه يجبهنى صبىّ فحلف أن لا يقيم ببلد ضيم فيه فجعل يبيع أمواله وبعضهم يقول لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى فلما اجتمعت له أمواله أخبرهم بشأن السيل فأجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه انى أصف لكم بلدانا فاختاروا أيتها شئتم فمن كان منكم ذا همّ بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الاوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهى من أرض الشأم فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والاوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الازد وتخلف مالك ابن اليمان فى قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال السراة على تخوم الشأم فلما تفرقت فى البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى متفرقين فى كل ناحية وقيل فيهم انهم كانوا مجتمعين يدا واحدة فلما مزقهم الله وفرقهم صارت يدهم أيادى متفرقة وأخذ كل طائفة منهم طريقا على حدة أو يريد به النعمة فالمعنى تفرقنا كما تفرقت نعم أهل سبأ الزجاج سبأ مدينة تعرف بمأرب على ثلاث ليال من صنعاء * الجوهرى سبأ اسم رجل سميت به البلدة وذكر فى الدرة ان لفظة التفرق تستعمل فى الاشخاص والاجسام نحو تفرق القوم وانّ الافتراق يقال فى الاهواء والآراء كما قال النبىّ صلى الله عليه وسلم تفترق أمتى على كذا وكذا فرقة فاذا قيل ان لزيد ثلاثة اخوة متفرقين فالمعنى انّ كل واحد منهم ببقعة وان قيل مفترقين فالمعنى ان أحدهم لابيه وأمه والآخر لابيه والثالث لامه وكذلك يقال فرق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقوله فرق بين الحق والباطل والحالى والعاطل

(المقامة الثامنة عشرة السنجارية)

(حكى الحرث بن همام) قال قفلت ذات مرة من الشام

(شرح المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجاريه)

(قفلت) رجعت من السفر الى (الشأم) ويقال له شأم وشام ويذكر ويؤنث وينسب اليه شامى وشآم على فعال ويحكى عن سيبويه شآمىّ واثبات الالف فى النسب يدل على اثباتها فى أصل البناء وقيل ألف يمان وشآم عوض من ياء النسب قال طرفة شآمية تزوى الوجوه بليل * وقال فى الدرة المنسوب اليه على ثلاثة أوجه شامىّ وهو القياس وشآم بياء مخففة كالمنقوص

وشآمى وهو شاذ لانه يصير بمنزلة المنسوب الى المنسوب وكذلك جوزت الثلاثة فى المنسوب الى اليمن وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبى ربيعة * اذ أتيحت لى يمانية * احدى بنى الحرث من مذحج ولم يجز الحريرى تأنيث الشام وقال لفظه مذكر وقال ابن الانبارى وذكر الشام والحجاز وغيرهما فمن أنث من ذلك شيأ فانما يذهب به الى معنى المدينة وقالوا الشأم صفوة بلاد الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومعاذ عليكم بالشأم فان الله قد تكفل بالشام وأهله وسميت شاما لانها عن شامة الكعبة * ابن الانبارى يجوز أن يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى وقال قوم أصله فى الكعبة لان بابها يستقبل المطلع فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينه فى شق الجنوب والشأم عن يده الشومى فى شق الشمال * أبو القاسم الزجاجى قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال شام جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض شبهت بالشامات وقال الشرقى سميت بسام بن نوح لانه أول من ناها فغيرا اللفظ العجمى فجعل السين شينا وقسمت الشأم خمسة أقسام الشام الاولى وأول حدها من طريق مصر أمج ثم غزة ثم الرملة ومدينتـه العظمى فلسطين وعسقلان وفلسطين هى الشأم الاولى وبها بيت المقدس الشأم الثانية الاردن ومدينتـه العظمى طبرية وهى بشاطئ البحيرة واليرموك بين فلسطين والاردن والشأم الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها اطرابلس الشام الرابعة أرض حمص الشأم الخامسة قنسرين ومدينته العظمى حلب وهى من قنسرين على أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والانهار (قوله أنحو) أى اقصد (الركب) اسم لمن يركب الابل كذا قال الخليل وقال يعقوب الركب جمع راكب وهم أصحاب الابل خاصة ولا يكون الركب الا أصحاب الابل وراكب الفرس فارس وراكب البغل بغال وراكب الحمار حمار وراكب الفيل فيال والجمع خيالة وبغالة وحمارة وفيالة وتبعه ابن قتيبة فى هذا وخطأهما جميعا ابن السيد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس

اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

فقوله ركبوا الخيل يدل على أنه يقال لمن ركب الفرس راكب وما ذكره يعقوب هو الصحيح لان العرب اذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع فى كلامها الا على أصحاب الابل مطلقا فاذا أرادت ان توقعه على أصحاب الخيل قيدته بذكر الخيل فقالوا اركبت الفرس وراكب الفرس فيذكرون الفرس وعلى هذا أتى * اذا ركبوا الخيل واستلأموا * فخفيت هذه التفرقة على ابن السيد على حفظه الوافر من اللغة وقال الحريرى فى الدرة الراكب هو راكب البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والاركوب فقد جوز الخليل ان يطلق اسمهما على راكبى كل دابة الا أن الاركوب أكثر من الركب عدة وأكثر جماعة و (بنو نمير) قبيلة من بنى صعصعة احدى جمرات العرب وأشرف بيوت قيس عيلان وجمرات العرب ثلاثة سموا بذلك لانهم متوافرون فى أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم والتجمير فى كلامهم التجميع وهم بنو نمير وبنو الحرث بن كعب وبنو ضبة ابن أد فطفئت جمرتان وهم بنو ضبة لمحالفتها الرباب وبنو الحرث لمحالفتها مذحج وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها قال شاعرهم

نمير جمرة العرب التى لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا

أنحو مدينة السلام فى ركب من بنى نمير

وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت قال نميري كما ترى ادلالا بنسبته وافتخارا بجمعه حتى قال جرير في الراعي

فغض الطرف انك من نمير ۔ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار اذا قيل له ممن أنت قال عامري ومرت امرأة بهم فأحدّوا النظر اليها فقال أحدهم والله انها الرسحاء فقالت يا بني نمير والله ما امتثلتم في واحدة من اثنين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير

فغض الطرف انك من نمير ٭ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قوله أولي خير) أي ذوي غنى (وبر) صلة وصدقة (عقلة العجلان) حابس المستعجل (سلوة الثكلان) مذهب حزن الحزين يقول اذا رآه من هو في شغل معجل حبسه أو حزين أزال حزنه (البنان) الاصابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الامن عصمه الله (سنجار) بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخا وقرقيسيا على الفرات وهي كورتهم كورديار ربيعة وفي سنجار فوهة نهر الخابور فيمر حتى يصب في الفرات وهي على أميال من نصيبين وعين طريق الموصل (قوله أولم) أي صنع وليمة والوليمة طعام العرس و (المأدبة) طعام يدعى اليه الناس و (الجفلى) الناس أجمع و (الحضارة) ضد البداوة ويفتح أولها او يكسر (الملا) القفر وأراد دعا اهل الحاضرة والبادية (سرت) وصلت (القافلة) الرفقة الراجعة من سفرها قال الازهري سميت قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأت وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة الا منصرفة الى وطنها وهذا غلط وما زالت العرب تسمى الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بان ييسر الله لها القفول وهو شائع عند فصحائهم الى اليوم وأراد (بالفريضة) أعيان التجار الذين حضورهم كالفرض و (بالنافلة) المكارين والاتباع أو يريد بالفريضة من لا بد له ان يدعوه للحضور مثل القرابة والوجوه والاصحاب والنافلة لفيف الناس وأراد أنه جعل لعرسه من يجب ومن لا يجب والهاء من فيها ضمير الدعوة ويروى فيهما بالميم وأما ذكر الحاضرة والبادية فقد أتى في ذلك بفصل ادبي مستحسن ولسنا نحتاج الى اقامة دليل من شاهد على فضل الحاضرة لانها محل الجمعات والجماعات واليها تجلب الخيرات وبها تستمد البركات ومنهم العلماء والنصارى والملوك الى ما يطول تعداده ومن أراد الله به خيرا نقله من البادية الى الحاضرة وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا فيه فضل للحاضرة لا يدفع اذ قرن الخروج من السجن بالمجيء من البدو وعده من احسان الله سبحانه وتعالى ٭ ووقف اعرابي على دعبل وهو ينشد

اذا القوس أوترها أيد ٭ رمى فأصاب الكلا والذرى

ونسأله ما عنيت فقال دعبل القوس قوس قزح أمطرت الارض بها فأعشبت فرعاها المال فسمنت فغدوا أسنمه فقال الاعرابي لله دركم يا حاضرة انكم تسيرون عنا فتساورون وتسكرون عما فتغفوون وفي ضد هذا المعنى قال شبيب بن شبة كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة بعثني المنصور أقوم في المناهل وأتكلم بذم البادية وأوبخهم بما يردعهم فلم أرد ماء الا تكلمت عليه

ورفقة أولي خير وبر وهنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها احد التجار فدعا الى أدبته الجفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته الى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة

بما يحضرني فلا أجد من ينطق حتى يقف على ما ابتني به فلما انقضى كلامي قام رجل منهم فقال الحمد لله أفضل ما حمده به الحامدون قبلك أو بعدك وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأتمها وأخصها وأعمها ثم انى قد سمعت ما لست بمدح الحاضرة وأهلها وذم البادية وأهلها ومهما كان فينا أهل البادية من وفينا نقب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا نيك الذكور قال فأخزى والله حتى بلغت أنى لم أحر ما للة الوب وقال القطان

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأي رجال بادية ترانا

قال ابن رشيق ومن أملح ما سمعه الناس في تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى وقرب مأخذ قول أبي الطيب

من الجآذر في زي الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(ثم قال) ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة ... أوراكهن صقيلات العراقيب

ومن هوى كل من ليست مموهة ... تركت لون مشيبي غير مخضوب

فلولم تفضل البادية الا بهذا لكان فيه مقنع (قوله بدية) أي جلسة (وطعام اليد) الثريد ونحوه و (طعام اليدين) الدجاج والشواء ونحوذلك ركانة ولهذا قال الانصار لخصم حسان بن ثابت وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فلما وضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بني أطعام يد أم طعام يدين قال بل طعام يد فلما جيء بالشواء أعلمه بذلك فقال بل طعام يدين فأمسك (حلا) طاب (حلي) حسن وحلا في الفم من الحلاوة وحلي في العين من الحلي المتزين به وفي الدرة العرب تقول حلا في فمي وحلي في عيني وليس الثاني من نوع الأول وهو من الحلي الملبوس فكان المعنى حسن في عيني كاحسن الحلي الملبوس وهو من ذوات الياء والأول من ذوات الواو الا أن المصدر فيهما جميعا الحلاوة والاسم حلو لا حالي لان الحالي ضد العاطل وهو الذي عليه الحلي (والجام) اناء من زجاج (جمد) عقد وصبغ جامدا و (الهباء) غبار الشمس وهو ما تراه يدخل لبيتك مع الشمس من شق باب أو كوة حائط (صيغ) صنع (نور الفضاء) يعني الشمس والفضاء الارض الواسعة وفي الفضاء يتسع ضوء الشمس فيبيض نوره (أودع) ضمن وجعل فيه (لفائف النعيم) ما لف من الحلاوى وطوى بعضه على بعض والنعيم هي لفائف النعيم الرزين والقطائف (ضمخ) لطخ (العبير) الكثير (شرب) مد (وتسنيم) أرفع شرابات أهل الجنة (سفر) كشف (مرأى وسيم) منظر حسن (أرج نسيم) طيب رائحة وأما نسيم الريح اللينة الهبوب ويريد أنه أحضر الجام ساترا دفعه عنه مذ العسل الشهد ثم كشف لهم عن الجام فرأوا منظرا حسنا حلاوة لونه ورائحة طرية لذوقه وقال في ذلك عبد السلام بن الحسين المأمون

خبيصة في الجام تندمس ... مدفونة في اللوز والسكر

يأكل مريأ كله خمسة ... بكفه فيما لم يشعر

(قوله اضطرمت) أي اشتعلت (قرمت) أي اشتهت (اللهوات) جمع لهاة وهي أقصى الفم

فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه احضر من أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من الدرة البيضاء وقد أودع لفائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسقي المشرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت بمحضره الشهوات وقرمت الى مخبره اللهوات

وشارف ان تشن على سربه
الغارات وينادى على نهبه
يا للثارات نشز ابو زيد
كالمجنون وتباعد عنه تباعد
الضب من النون فراودناه
على ان يعود وان لايكون
كقدار فى ثمود فقال والذى

(ذكر هلاك ثمود)

(شارف) قارب وأشرف عليه (تشن) تفرق (سربه) جماعته ويريد به مافيه من الحلواء والسرب بالكسر جماعة النساء وبالفتح الابل فى المرعى (الغارات) يريد الايدى التى تغير على الطعام (نهبه) انتهابه بالايدى وأكل مافيه (ياللثارات) كلمة ينادى بها العرب اذا ظفروا بأعداتهم الذين لهم عندهم دم والثار الطلب بالدم وثأر بالقتيل قتل قاتله وقال حسان بن ثابت

لتسمعن وشيكا فى دياركم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

فالثارات هنا جمع ثار وهو المطلوب بالدم قال

وكيف تجلد الاقوام عنه * ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على الثار المقتول سمى بالمصدر كرجل عدل ولذلك جمع بالتاء وتفسير أبى على عكس ماتقدم واذا كان منقولا من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وثارات عثمان محتملة للتفسيرين فتقديره على قول أبى على يا مطلوبات عثمان وعلى القول الآخر يا طالبات عثمان هذا أوانكم بالجد وتفسير ياللثارات فى المقامة يستقيم على المعنيين فعلى الاول معناه يامطلوبات الجياع قد تمكنتم منك وعلى الثانى معناه ياطالبين الاكل قد تمكنتم من المأكول وقوله (نشز) أى وثب * وتقدم فى الضب انه لايرد الماء وان مسكنه الصحراء (والنون) الحوت وهو لايفارق الماء وهما لايجتمعان وقد تقدم للصابى * الضب والنون لايرجى التقاؤهما *

وقال آخر فلو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لقلت هو الشكل الموافق للشكل
ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * تقامص والمدعو فيها أبو الحسل

فضرب بتباعدهما المثل (راودناه) أردناه على الفعل تقول راودته على كذا اذا أردته على فعله (يعود) يرجع (ثمود) أمة صالح عليه الصلاة والسلام و(قدار) هو عاقر الناقة يضرب به المثل فى الشؤم فيقال أشأم من قدار ومن أحيمر عاد وتقريب قصته أن ثمود كانت تبنى فى طول أعمارها فاتخذوا من الجبال بيوتا فرهين وبيوتهم الى وقتنا هذا باقية منحوتة فى الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم ورممهم وآثارهم فيها بادية فلما بعث فيهم صالح قال له زعيمهم ان كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف فاتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها فآمن كثير منهم وكان شربها يوما وشربهم يوما فاذا كان يوم شربها حلبوها فملؤا من لبنها كل اناء ووعاء فلما امتنعت بلهم من الماء يوم شربها استثقلوها وكان فيهم امرأتان عنيزة وصدقة فبذلتا أنفسهما للقدار على ان يعقر الناقة وهو قدار بن قديرة وهى أمه وسالف أبوه وكان قدار أزرق أشقر قصيرا وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج معاون له على ما كان به من الفساد فى الارض وكانا فى تسعة من أهل الفساد فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب مصدع العرقوب الآخر واستهموا لحمها فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنه لاذنب لها فقال انظروا هل تدركون فصيلها فعسى ان يرفع عنكم العذاب فالتمسوه فصعد الى جبل يقال له القارة وطال الجبل به فى السماء حتى ماتناله الطير وبكى ثم استقبلهم ورغا ثلاثا فقال صالح دعوة اجلها يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية ذلك أن تصبح وجوهكم فى الاول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله فمنع منهم فلما رأوا صدقه فى اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا وبكوا وضجوا وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم

ينشر الاموات من الرجام لاعدت دون رفع الجام فلم نجد بدا من تألفه وابرار حلفه فأشلناه والعقول معه شائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء الى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام ولأى معنى استرفع الجام فقال ان الزجاج نمام وانى آليت مذ اعوام ان لا يضمنى ونموما مقام فقلنا له وما سبب عينك الصرى والبثك الحرى فقال انه كان لى جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب

العذاب فصيحتهم فى اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فعقروها يوم الاربعاء وأصيبوا يوم الاحد وانما أصيبوا والمذنب بعضهم لانهم رضوا فعله والنية أبلغ من العمل وبلادهم بين الشأم والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ومرّ النبى صلى الله عليه وسلم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها وأراهم مرتقى الفصيل ولما رأى صالح انهادارسخط ارتحل بمن معه الى مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم فى غربى البيت بين دار الندوة والحجر وقال حباب بن عمرو

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة * ما ان يضام لهم فى الناس من جار

فأهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها فكانوا غير أبرار

(قوله ينشر) اى يحيى ويقيمهم فينشرون فى الارض و(الرجام) القبور واحدها رجم (تألفه) ضمه وترك خلافه (ابرار حلفه) مراعاة قسمه (أشلناه) رفعناه (شائلة) مرتفعة (فاء) رجع (مجثمه) موضعه وأصله للطائر (الصرى) العزيمة ويقال أصررت على الشئ عزمت عليه وهو منى صرّى وصرّى وأصرّى اى عزيمة وجد * وصلت ناقة ابى السمال فقال والله لئن لم يردها الله علىّ لا أصلى أبدا فذهب فى ابتغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة فقال علم الله أنها كانت منى صرّى فردها علىّ وقال حبيب

لما رآهم حائلا دون المنى * هجر الغواية بعد طول وصال

فحذا الفرار أخا وأيقن انه * صرّى عزم من أبى السمال

يقول لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه فهجر الضلالة وانهزم اذ أيقن ان طالبه مصر على طلبه (الحرّى) الوكيدة الشديدة والكبد الحرى اليابسة العاطشة وناظر الحريرى بهذه المقامة مقامة المضيرة فى البديعية ومن هنا الى أولها مبنى على تلك قال البديع حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بالبصرة ومعى أبو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدم مضيرة تثنى على الحضارة وتترجرج فى الغضارة وتؤذن بالسلامة وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة فى قصعة يزل عنها الطرف ويموج فيها الظرف فلما أخذت من الخوان مكانها ومن القلوب أوطانها قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ويثلبها وطابخها ظنناه يمزح فاذا الامر بالضد واذا المزاح عين الجد وتنحى عن الخوان وترك مساعدة الاخوان فرفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت معها العيون وتحلبت لها الافواه وانقادت لها الاكباد لكنا سألناه عن أمرها وساعدناه على هجرها ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها كما يذكر الآن السروجى ومقامة المضيرة طويلة مضحكة (قوله جار لسانه يتقرب) معناه يتودد اليه بلسانه ويكتم العداوة فى قلبه وهذا معنى ما ذكر بعده أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة سوء الجوار تعوذوا بالله من ثلاث هنّ العواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن امرأة السوء التى ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها السنتك قال بعض الفضلاء الجار السوء يفشى السرّ ويهتك الستر وقيل لاهل البحرين ان كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال صدق

الحديث وأداء الامانة وحسن الجوار فان أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد من الصداة (قوله ينقع) أي يروى العطش و (منقع) أى أديم جبسه وأنقع سم الحية نبت ودام خبوه) باطنه وما خبأه من الشر (محاوربه) محادثه (مكاشرته) مضاحكته (معاشرته) مصاحبته (استهوتنى) ذهبت بى (خضرة دمنته) حسن ظاهره وتقدمت خضراء الدمن (أغرتنى) حرضتنى وألصقتنى به (سمته) علامته (مناسمته) مصاحبته وقرب نسمتى من نسمته اى شخصى من شخصه (مازجته) لطفته (مكاسر) قريب الدار وكسر البيت جانبه (والعقاب الكاسر) التى تضم جناحيها وتهوى على فريستها فضم الجناح هو كسره (وآنسته) أبصرته (حب) حبيب وكان زيد بن حارثة يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حبيبه (وضح) تبين (حباب) حية (موالس) مخادع خائن صحبته (ماحته) واكلته أى أكلت معه الملح وأصل المملحة الرضاع كأنه حين نادمه راضعه الكأس وملحت المرأة الصبى أرضعته (نقده) تجربته (عاقدته) عاهدته وعقدت يدى على يده (فقره) اخباره وكشف سره يريد أن هذا الصاحب كان يظهر موّدته ويسر عداوته وقال الشاعر وهو المغيرة بن شعبة

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده * ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا * وان غبت عنه لسعتك عقاربه

(قال وأنشد آخر)

على لاخوانى رقيب من الصفا * تبيد الليالى وهو ليس يبيد
وانى لاستحيى أخى أن أرى له * قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

(وقال ابن المعتز)

لم يبق مما فاتنى كسبه * الافتى يسلم لى قلبه
أى فلا يدهمه نأيه * عنى ولا يفسده قربه
يكون حسبى من جميع الورى * فى كل حال وأنا حسبه

(وقال بشار وزاد معنى)

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

(قوله مجاريه) مباريه معارضة وفلان يبارى الريح جودا كأنه يعارضها بفعله فاذا هبت فى زمن الشتاء والجهد فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته فاصلحها (سفرت) كشفت وجهها (خجل) استحيا (النيران) الشمس والقمر (صليت) احرقت يقول اذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها واحترقت القلوب بنيران حبها * ونسوق هاهنا جملة من الشعر المستحسن فى أوصاف النسوان قال الشاعر

لما تبدت من الاستار قلت لها * سبحان سبحان ربى خالق الصور
ما كنت أحسب شمسا غير واحدة * حتى رأيت لها اختا من البشر
كأنها هى الا ان يفضلها * حسن الدلال وطرف فاتر النظر

(وقال اعرابى)

ولفظه شهد ينقع وخبؤه سم منقع فلت لمجاورته الى محاورته واغتررت بمكاشرته فى معاشرته واستهوتنى خضرة دمنته لمادمته واغرتنى حدعة سمته بمناسمته فمازجته وعندى انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه حب فوضح انه حباب موالس وماحته ولا اعلم انه عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقدته ولم ادر انه بعد فقره ممن يطرب لفقره وكانت عندى جارية لا يوجد لها فى الجمال مجارية ان سفرت خجل النيران وصليت القلوب بالنيران

(فصل فيه ذكر أوصاف النسوان)

اذا حجبت لم يكفك البدر فقدها * وتكفيك فقدالبدران فقد البدر
وحسبك من خمر تفوتك ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولوان جلد الدر لامس جلدها * لكان للمس الدر فى جلدها اثر

(وقال العباس بن الاحنف)

تاهت علينا بأن عمت محاسنها * خود تكمل فى اعطافها الفتن
همت باتياننا حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن
ما كان هذا جزائى من محاسنها * اغرت بى الشوق حتى شفنى الشجن

(وقال بشار)

درة حيثما اديرت اضاءت * ومشم من حيثما شم فاحا
وجنات قال الاله لها كو * نى فكانت روحا وروحا وراحا

(وله ايضا)

كأنها يوم راحت فى محاسنها * فارتج أسفلها واهتز أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس مقبلة * فالشمس طلعتها والمسك رياها
راحت ولم تعطه برأ لعلته * منها ولو سألته النفس أعطاها
من اللواتى اكتسب بردا فشق لها * من حسنها الناس سربالا فرداها

(وقال السلامى)

وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا * فعاتب حلو اللفظ حلو الشمايل
أدارت علينا من سلاف خدودها * كؤسا وغنتنا بصوت الخلاخل

(وقال أيضا)

لبيك لبيك داعى اللهو من كثب * الى معاطف كالاغصان من كثب
ان السوالف كالسوسان فى صعد * ان العدائر كالحال فى صبب
الى خدود بنات الروم قد برزت * من حجبها وأدارت أعين العرب
من كل سافرة عن مشرق خجلا * فيه طراران من ماء ومن لهب
واستضحكت عن لآ لى أو حصى برد * يكاد يقطر من مائية الشنب
تحدو بها فتية صيغت وجوههم * من الرضا وعواليهم من الغضب

(وللامير تميم بن المعز)

نا ولتها شبه خديها معتقة * صرفا كان سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة * فكيف تهدى خدود الناس للناس
قلت اشربى فهى من دمعى وحمرتها * دمى وطابخها فى الكاس أنفاسى
قالت فان كنت من حبى بكيت دما * فأسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * وباتت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

(وقال أيضا)

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما تحويه أضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال التهامى)

أهدى لنا طعمها شهدا وسا كنه * حتى اقتنصنا ظباء البدو في الحضر
فبات يجلو لنا من وجهها قمرا * من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حر أنفاسى فقلت لها * هواء نار وأنفاسى من الشرر
وزاد در الثنايا در أدمعها * فالتف منتظم منه بمنتثر
ولو قدرت وثوب الليل منخرق * بالصبح رقعته منهن بالشعر
بيضاء تسحب لبلا حسنه أبدا * في الطول منه وحسن الليل في القصر
لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وان بسمت أزرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان وان
رنت هيجت البلابل

(ولبعض أصحابنا)

شدهت فلا أدرى بأى صفاتها * تقيد ألباب الورى وتقودها
وأى لآليها أشد نفاسة * أمنطقها أم ثغرها أم عقودها
فللشمس مرآها وللغصن قدها * وللمسك رياها وللريم جيدها

(وقال الحسن)

وذات خد مورد * ورهية المتجرد
تأمل العين منها * محاسنا ليس تنفد
فبعضها في انتهاء * وبعضها يتولد
فالحسن في كل جزء * منها معاد مردد
وكلما عدت فيها * تكون في العود أحمد

(قوله أزرت بالجمان) أى قصرت بحب الفضة (المرجان) اللؤلؤ الصغار و(المجان) شئ لا ثمن له وخذ هذا مجانا أى باطلا أراد أنها اذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف وأخذه من قول أبى تمام

وقهوة كوكبها يزهر * يسطع منها المسك والعنبر
وردية يحثها شادن * كأنها من خده تعصر
مهفهف لم يبتسم ضاحكا * مذ كان الا كسر الجوهر

(وقال آخر وذكر المجان)

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن * لكنه يشتهى مدحا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(رنت) نظرت (البلابل) وساوس الهموم والسحر ينسب الى بابل وقال السلامى في هذا المعنى

أكحيلة الاجفان بالسحر الذى * لولاه مادرت البلابل بابل
قد كان قلبي غافلا عما به * أودى وقلب أخى السلامة غافل
حتى دهانى منك صدر رامح * ذرب سنانا وطرف قاتل
ماعقدك المهنا بجيدك درة * لكن فرند فى حسام جائل

(وللامير تميم بن المعتز)

وليلة بتها على طرب * آخرها مشبه لاولاها
أقبل البرق من ثنيتها * وألثم الشمس من محياها
سقتنى الراح وهى خداها * بأكؤس السحر وهى عيناها
اذا أرادت مزاجها جعلت * بآخر اللعظ من فى فاها
فبالها قهوة معتقة * وليس الا الخدود مأواها
حبابها الثغر حسن تزجلى * ونقلها اللثم حين أسقاها

وحققت سحر بابل

(ذكر بابل)

و(بابل) مدينة كان ينزلها ملوك العجم وهى دار نمرود بن كنعان وكانت بابل من استعظامها واستبشاع أمرها لا تكاد تحمل وأسسها نمرود وكانت مدينة ضاحكة المنظر زاهية البناء واسعة الفناء جمعت الى حسن المنظر رصافة البنيان وبهاء المنصب فكانت سهلة بطحاء مربعة فى كل تربيع حصنان عظيمان وسورها لا يكاد سامع خبره يصدقه كان عرضه خمسين ذراعا فى ارتفاع مائتى ذراع فى دور أربعة وستين ميلا وحوله خندق يجرى فيه الفرات وفيها مائة باب نحاس وهى أقدم بناء بنى بعد الطوفان ونسب السحر لها لان بها هاروت وماروت معلمى السحر فكانا يتعجبان من بنى آدم حيث يعصون الله تعالى على انعامه عليهم فابتلاهما الله تعالى فسلط عليهما الشهوة الآدمية وحرم عليهما القتل والزنا والخمر وانزلهما الى الارض للحكم بين أهلها فجاءتهما الزهرة فى خصام فوقعت فى قلوبهما فشكا كل واحد منهما لصاحبه ما يجده من حبها فأرسلا اليها فراوداها فأبت حتى يعلماها الاسم الذى يرجعان به الى السماء فأبيا عليها قالت لهما فاشربا الخمر فشرباها فسكرا وعلماها الاسم وواقعاها ثم خرجا فوجدا رجلا فظنا انه ظهر على أمرهما فقتلاه وتكلمت الزهرة بالاسم الذى يرجعان به الى السماء فرفعت ومسخت دريا وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل ويعلمان السحر وجاءت امرأة الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت يا أم المؤمنين قالت لى امرأة هل لك أن أعلمك شيأ يصرف وجه زوجك اليك فأتت بتيسين فركبت واحدا وركبت الآخر وسرنا ماشاء الله فقالت أتدرين انك ببابل ودخلت على رجلين فقالا لى بولى على ذلك الرماد فذهبت ولم أبل ورجعت فقالا لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ قالا أنت على رأس أمرك فرجعت فتشددت وبلت فخرج مثل الفارس المقنع فصعد فى السماء فقالا لى ما رأيت فأخبرتهما فقالا لى ذلك ايمانك فارقك فخرجت الى المرأة فقلت لها والله ما علمانى شيأ ولا قالا لى كيف أصنع فقالت فما رأيت قلت كذا وكذا فقالت أنت أسحر العرب اعمليه فقطعت جدا ولى فاذا زرع يهتز فقلت أفرك فاذا هو قد يبس فأخذته وفركته وقالت خذيه واجعليه سويقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيأ من ذلك وانتهى الامر الى هذا فهل لى من توبة ورأت رجلا من خزاعة فقالت يا أم المؤمنين

هذا أشبه الناس بهاروت وماروت روى هذا الحديث باسناده ابن قتيبة (قوله عقلت لب العاقل) اللب العقل وعقلته شددته بعقال وهو قيد البعير و(العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلي الذي في يديه بياض والمعصم موضع الخلخال * الخليل الاعصم الوعل وعصمته بياض في رجليه و(المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامها العذو بته يغلب أهل العقول حتى تعداهم الى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمة وهمه من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبي بكر بن دريد

لو ناجت الاعصم لانحط لها * طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت في مخلولق * مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه * تأثيمها حتى تراه قد صبا

والسابق الى هذا المعنى النابغة بقوله

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

و(المفؤد) الذي يشتكي فؤاده و(الموؤد) المدفون حيا وانظره في الخامسة والثلاثين وأراد أن حسن صوتها بالقرآن يشفي من مرض الفؤاد ويحيي الموتى والعرب تزعم في شعرها ان افراط الحسن يحيي الموتى قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * قام ولم يحمل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

(وقال توبة بن الحمير)

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وان نطقت عقلت لب العاقل
واستنزلت العصم من المعاقل
وان قرأت شفت المفؤد
وأحيت الموؤد وخلتها
أوتيت من مزامير آل داود
وان غنت طلل معبد لها
عبدا

(قوله مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع مزامير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر ويقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التي يزمر بها الزمارة * وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا واذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحنت حتى تؤخذ بأعناقها وهي مصغية له وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط الا على صوته و(معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلي أطبع المتأخرين وفي معبد يقول حبيب

(أخبار معبد)

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى في أول الدولة الاموية وتوفي أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اسمها ظبية فاشتراها رجل من الاهواز وذهب به الى كل مذهب غنائه وأخذت جواريه أكثر غنائها فكان من أجلها يفضل معبدا على نظرائه ويظهر التعصب له فسمع به معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا الى الاهواز في سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه في مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ الى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت احداهن للنابغة

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * ومعبد ساكت في ثياب السفر حتى سكتت فصاح يا جارية

غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبي بكر

يابنة الازدي قلبي كئيب * مستهام عندها ما ينيب

ولقد قالوا فقلت دعوني * ان من تهوون عنه حبيب

انما أفنى عظامي وجسمي * حبها والحب شيء عجيب

فصاح معبد يا جارية قد أخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت

خليلي عوجا بالملا ساعة معي * على الربع نقضي حاجة ونودع

وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أذري من دموعك أودعي

فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا * مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ما قومت صوتا واحدا فقال له الرجل والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لاخرجنك من السفينة فاندفع معبد يغني الصوت الاول فصاح الجواري أحسنت والله يا رجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثاني فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله ان يعيد لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فاسألك أن تنزل الي فأبى فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبي عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت مني محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وانك لانت هو أفتعرفني قال لا فصك معبد بيده صلعته وقال فأنا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ولقصدك بالاهواز دخلت السفينة والله لا قصرت في جواريك حتى أجعلهن خلفاء ن الماضية وأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسأنا عشرتك وأنت بمن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف الى الحجاز قال ابن الكلبي قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا في صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلا حتى اذا هما بغسالة تغسل فيها الثياب قرب المدينة اذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى

القصر فالنخل والابواب بينهما * أشهى الى النفس من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه مالا اليه واستعاداه فاعاد الصوت فسمعا شيئا لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن في المدينة اما انا فثكلت والدي ان لم أرجع فرجع ولم يدخلها وروى اسحق أن معبدا سافر الى مكة فسمع ببطن مر غناء فقصد الموضع واذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه دراعة مصبوغة بزعفران وهو يغني شعره

حن قلبي من بعد ما قد أنابا * ودعا الهم شجوه فأجابا

ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا

عجت فيه وقلت للركب عوجوا * طمعا أن يرد ربع جوابا

قوله القصر الخ هكذا في الاصل الطبع الذي بايدينا وفي نسخة خط القصر فالنخل فالجماء بينهما الخ فلعلهما روايتان اه مصححه

فاستثار المغنى من لوعة الحب وأبدى الهموم والاوصابا

(فقرع معبد بعصاه وغنى)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق يقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها اغراض

فقال الرجل له أنت معبد قال نعم وقال له معبد بالله أنت ابن سريج قال نعم والله لو عرفتك ماغنيت بين يديك قال معبد فلما قدمت مكة قيل لى ان ابن صفوان قد جعل بين المغنين جائزة فأتيت بابه فطلبت الدخول فقال لى آذنه قد أمرنى أن لا آذن لاحد عليه قلت فدعنى أدنو من الباب فأغنى صوتا فقال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت فقالوا معبد ففتحوا لى وأخذت الجائزة *

(ذكر اسحق الموصلى)

وأما اسحق فذكره صاحب الاغانى وقال كان محل اسحق من العلم والادب والرواية وتقدمه فى الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ماوسم به وان كان الغالب عليه وهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقها وميزها تمييزا لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده من تدقيق المجارى وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تفترق عند مسقط مثله وأين مثله وروى عنه أنه قال بقيت دهرا أغلس الى هشام أسمع الحديث والى الكسائى أقرأ عليه جزأ من القرآن والى الفراء وابن غزالة أسمع اللغة ثم آتى منصور زلزل فيطارحنى طريقين أو ثلاثا ثم آتى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ثم آتى الاصمعى وأبا عبيدة فاستفيد منهما وأناشدهما ثم أصير الى أبى فأعلمه بما صنعت وأتغدى معه فاذا كان العشى رحت الى الرشيد وروى الحديث ولقى أهله مثل مالك ابن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لامع المغنين فاذا أراده للغناء غناه فأجابه الى ذلك وقال المأمون لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء لوليته القضاء بحضرتى فانه أولى به وأصدق وأعف وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وكان أجود الناس بالمال وأبخلهم بالغناء وأعطى لمنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم وأهدى له ابن الاعرابى نسخة من النوادر بخطه فمر يوما على المدائنى فقال الى أين يا أبا عبد الله قال أمر على رجل كما قال الشاعر

نحمل أشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال ومن هو قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم ومات وهو أشعر أهل زمانه وقال رأيت جريرا فى منامى ينشد شعرا فلما فرغ أخذ كبة شعر فألقاها فى فى فابتلعتها فتأولت ذلك انه ورثنى الشعر ومر به شيخ وهو فى الحديث فقال لجلسائه هذا أشبه الناس بجرير الذى رأيت فسئل الشيخ فاذا هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومن شعره يفتخر

اذا كانت الاحرار أصلى ومنصبى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

وسمعهما الاصمعى فاستحسنهما وأعجب بهما وفضلهما ودخل على مروان بن أبى حفصة وهو يتحدث مع أبيه فأنشده

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم

عطست بأنف البيت فجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه فقال مالك لا تجيبني فقال انك ما تدري ما أفرغ ابنك في أذني ووجه اليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب اليه

اشرب على الزعفران الرطب متكئا * وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة * كحرمة الود والارحام والادب

(فأجابه اسحق الموصلي)

اذكر أبا جعفر حقا أمت به * انى واياك مشغوفان بالادب
وانا قد رضعنا الكأس درتها * والكأس حرمتها أولى من النسب

وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم لم لا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها * من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الوجه ريقته * بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح الا من يدى رشا * تقبيل راحته تغنى عن الراح

فدعا له بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره، ومن طرف اسحق ان كلثوما العتابى كان من العلم وغزارة الادب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على ما لم يكن عليه أحد فحضر مجلس المأمون فوضع بين يديه ألف دينار وعزا اسحق بالعبث به فأقبل اسحق يعارضه فى كل باب ويزيد عليه وهو لا يعرف اسحق فقال أيأذن أمير المؤمنين فى نسبة هذا الرجل والسؤال عن اسمه فقال افعل فقال له العتابى ما اسمك ومن أنت فقال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى اما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكور فقال له اسحق ما أقل انصافك أوما كلثوم من الاسماء فالبصل أطيب من الثوم فقال له العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة أيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفور عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه العتابى بقية يومه وكانت هشيمة الخمارة تجيد الشراب فلما ماتت قال يرثيها

أضحت هشيمة فى القبور مقيمة * وخلت منازلها من الفتيان
كانت اذا هجر الحبيب محبه * دبت له فى السر والاعلان
حتى يلين لما يريد قياده * ويصير سيئه الى الاحسان

وهو اسحق بن ابراهيم بن ماهان أصله فارسى وترك ماهان ابراهيم صغيرا فنشأ فى بنى تميم وهذا الذى ذكرنا نبذة من أدبه وأما محاسنه فى الغناء فلا يأتى عليها الحصر قال الواثق ما غنانى اسحق قط الا ظننت أن قد زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ أحد بمثلها ولو أن له العمر والنشاط مما يشترى لاشتريتهما بشطر ملكى * وحدث حماد ابنه قال حدثنى أبى قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة فركبت بكرة عازما أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى ان جاء رسول الخليفة فعرفوه أنى ركبت فى مهم ومضيت وطفت ما بدا لى وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى ظل جناح شارع لاستريح فلم ألبث اذ جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية تحتها منديل دبيقى وعليها من اللباس الفاخر الاغاية وراءه فرأيت لها شمايل ظريفة

وطرفافترا لقد ثت أنها مغنية قد خلت الدار التي كنت عليها واقفا فعلقها قلبي علوقا شديدا لم أستطع معه براحا وأقبل رجلان شابان لهما هيبة تدل على قدرهما وهما راكبان فأذن لهما فحملني حب الجارية وحسن حالهما ان توسلت بهما فدخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن هو أني معهما فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا وجيء بالشراب فخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيت جارية حسناء فغنت غناء صالحا فتمكن ما في قلبي منها وشربنا ثم قمت للبول فسألهما صاحب المنزل عني فأنكراني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته فجئت وجلست فغنت في لحن لي

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تستريح وتسنح
من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى في وجهها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي

الطلول الدوارس * فارقتها الاوانس
أوحشت بعد أنسها * فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الاول ثم غنت من صنعتي في شعري

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه فأقبل علي أحد الرجلين فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي وقد يقترح فلم أجبه وكفه صاحبه عني فلم يكف ثم قاموا للصلاة فأخذت عود الجارية وأصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت ثم عادوا فعاد ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت فأخذت الجارية عودها وجسته فقالت من جس عودي فقالوا ما جسه أحد فقالت والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته فقلت لها أنا أصلحته فقالت بالله عليك خذه واضرب به فاخذته منها وضربت مبدأ طريق عجيب صعب فيه نقرات محكمة فما بقي منهم أحد الا وثب وجلس بين يدي وقالوا بالله يا سيدي أتغني قلت نعم وأعرفكم بنفسي انا اسحق الموصلي و والله اني لأتيه على الخليفة وأنتم تشتموني منذ اليوم لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية و والله لانطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعربد الغث ونهضت لاخرج فتعلقوا بي وتعلقت الجارية بي فقلت والله لا أجلس الا أن يخرج فقال له صاحبه من شبه هذا حذرت عليك فأخرجوه فغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لي هل لك في أمر أعرضه عليك فقلت ما هو فقال تقيم عندي شهرا والجارية مع ما عليها لك فقلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني فجئت بذلك منزلي بعد شهر وركبت الى المأمون فقال لي يا اسحق ويحك أين تكون فعرفته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فعرفتهم موضعه فأحضره وقال أنت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم ونهاه أن لا يعاشر ذلك المعربد النذل وأمر لي بخمسين ألفا وقال أحضر لي الجارية فأحضرتها

فغنته فقال قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثا تغنى مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله تلك الركبة وأربحت * وتشبه هذه الحكاية حكاية ابراهيم بن المهدى اذ شفع للمأمون فى طفيلى قد قدمنا ذكره فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدثك حديثا عجيبا فى التطفيل عن نفسى قال قل فقلت خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد فشممت رائحة ابزار من جناح دار وقدور قد فاح قتارها فسألت خياطا عن رب الدار فقال رجل من التجار اسمه فلان فخرجت من شباك فى الجناح كف ومعصم ما رأيت مثلهما قط فذهب عقلى وبهت واذا رجلان نبيلان فقال الخياط هذان نديماه وهما فلان وفلان فحركت دابتى ودخلت بينهما فقلت قد استبطأكما أبو فلان فأتينا الباب فدخلنا فلم يشك صاحب الدار أنى منهما فرحب بى وأجلسنى فى أجل موضع فأتينا بالالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى أكلت الالوان بقى الكف ثم سرنا الى مجالس المنادمة فاذا أنبل مجلس وصاحب الدار مقبل باللطف والحديث على المتطفل أنى منهما فخرجت جارية تتثنى كالخوط بان فسلمت وجلست وأخذت بالعود وجسته فتبينت الحذق فى جستها وغنت هذا الصوت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فآلم كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر
ومر بفكرى شخصها فجرحته * ولم أر شخصا قط تجرحه الفكر

فهيجت بلابلى وطربت ثم غنت

أشرت اليها هل علمت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى ما لم أملك معه نفسى ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكى الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وقلب متيم

فحسدتها على حذقها فقلت يا جارية بقى عليك شئ فغضبت ورمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون مجالس البغضاء فندمت ورأيت تغير القوم فدعوت بالعود وغنيت

ما للمنازل لا يجبن حزينا * أصممن أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا أو بقين بقينا

فأقبلت على رجلى تقبلهما وتقول المعذرة والله يا سيدى من تغير مثلك وقام مولاها وصاحباه وصنعوا مثلها وشربوا بالطاسات طربا ثم غنيت

أبى الله هل أمسى ولا تذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

فجاء والله من طرب القوم ما حسبت له أن يخرجوا من عقولهم فأمسكت حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى

هذا محبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده

لهيد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كافنا مستهدفا أسفا * كفت منيته في طرفه ويده

فصاحت الجارية السلاح هذا والله العناء ولاى وسكروا وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم الى منازلهم وبقيت أشرب معه وكنت جيد الشراب فقال لى يا سيدى ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت فأخبرته فقبل رأسى وقال أعجب من هذا الادب وأنا منشد اليوم مع الخلافة وسألنى عن قصتى فأخبرته خبر الطعام والمعصم فأحضر جواريه فلم أره فقال ما بقى غير أمى وأختى والله لانزلهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت ابدأ بالاخت فعل فلما رأيت معصمها قلت هى هى فأرسل الى عشرة مشايخ وأحضر بدرتين وقال أشهدكم أنى قد زوجت أختى فلانة من ابراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم ودفعت اليه البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وانصرفوا وقال يا سيدى أمهد لك بعض البيوت وأحشمنى فقلت بل أحملها لى منزلى فى عمارته فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل لى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فعجب المأمون من كرمه فأمر باحضاره فصار من خواصه (قوله سحقا) اى بعدا (وزنام) الزامر هو الذى أحدث الناى وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمعرب الزلامى فصحفه وما بدل نونه لاما وانما هو زنامى وقال فيه الشاعر

وقيل سحقا الاسحق و بعدا وان زمرت اضحى زنام

ان فى ناى زنام شغلا * يشغل العاقل عن ناى زنام

(ذكر زنام الزامر)

قال القاسم بن زرزور الزامر حدثنى زنام الزامر قال لما اعتل المعتصم علته التى مات منها قال هو الى الزلالة حتى أركبه فهيئ له فركب وأتى فى من معه فى دجلة بازاء منازله فقال يا زنام قل لبيك يا أمير المؤمنين قال ازمر

يا منزلا لم تبل اطلاله * حاشا لاطلالك أن تبلى
العيش أولى ما بكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى
لم أبك اطلالك لكننى * بكيت عيشى فيك اذ ولى

قال فزمرت وما زلت أردده وهو ينتحب ويبكى الى أن خرج ثم توفى بعد خمسة أيام وزنام سار المثل يضرب بزمره واتقان صنعته وكان الواثق ولعا بزمره بعد أبيه المعتصم * حدث حسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق فقال قل الساعة أبياتا املاحا حتى أهب لك شيأ مليحا فقلت فى اى معنى قال فيما تشاهد بما ترى بين يديك فالتفت فاذا بساط قد تفتحت انواره وأشرق فى نور الصبح بمنثور نورها وتبرجها بحفلها وارتجع على فقال الواثق الست ترى نور صباح ونورا فاح ففتح لى فقلت

ألست ترى الصبح قد اسفرا * ومنسكب الغيث قد أمطرا
واسفرت الارض عن حلة * تصاحك بالاصفر الاحمرا
وتعمل كأسين فى فتية * تطارد بالاصغر الاكبرا
بحث كؤسهمو مخطف * تجاذب اردافه المئزرا
فكل ينافس فى بره * لنفعل فى ذاته المنكرا

فضحك وقال نستعمل ما قلت يا حسين الا الفسق فلا ولا كرامة ثم قال قوموا بنا الى حانة الشط فقام اليها وشرب وطرب وما ترك احدا من المغنين والجلساء الا أمر له بصلة وكان من الايام التى

سارت اخبارها فى الآفاق فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدنى ما قلت فى يومنا الماضى فأنشدته

يا ابنة الشط قد اكرمت مثوانا * عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقدينا دعابات الامير ولا * طيب ابتلاله اسرارا واعلانا
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا * شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أخرانا بأولانا
لا زلت آهلة الاوطان عامرة * بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

ذكرنا هذه الحكاية لطرفها ولما وقع لزنام من الذكر فى شعر حسن (قوله زنيما) اى دعيا فى الزعم قال ابن الاعرابى الزنيم ابن الزانية * ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شئ من نسله الى سبعة آباء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت العبادة فيما مضى اذا عبد الله احدهم اربعين سنة يسعى نوره بين يديه فعبد الله عابد اربعين سنة واربعين فلم يسع له نور فابتهل الى الله تعالى فقال عبدتك اربعين واربعين ولم يسع لى نور فأرى فى منامه أنه لغير رشدة فقال يا رب ان كان أبواى أكلا حامضا أضرس أنا فسعى نوره بين يديه (قوله جبله) اى اهل عصره الزعيم الاول السيد والثانى الصادق اراد أنه يعمى لمن سمعه أن يطربه

وقال ابو الفضل الدارمى فى زامر أسود

وحالك اللون كالليل البهيم له * فصائل مشرقات الحسن كالفلق
تحال مع لسنا وجهابه حسنا * انصار فيه كتخال مخجب لبق
تراه يبسط ما يوحى اليه به * وسره أبدا يهوى بمخترق
يحدو بأنفاسه الاوتار مجتهدا * فتستقيم به الالحان فى الطرق
أهدى الشباب اليه حسن بهجته * فناسب المسك فى لون وفى عبق

(الحبب) الفقاقيع تعلو الماء والخمر (أزدرى) احتقر (النعم) الابل واكرمها الحمر (احلى) ازين (تمليها) بطول حياتها ومدتها او الملاوة المدة ومنه قوله تعالى وأملى لهم (مرآها) رؤيتها (اذود) ادفع (شرائع) طرق (السمر) الحديث بالليل (أليح) اشفق (تسرى) تسيرا ليلا (رياها) رائحتها الطيبة (يكهن) يشعر ويحس وتكهن الرجل تحدث عن الغيب (وسطيح) الغسانى اكهن الناس واوسع بسيل العرم فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها ومن كهانته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فأعظم ذلك اهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية ثم كتب اليه صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت عليه الكتب اظهر سريره وبرز الى اهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان ايها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تأويلها قال ما عندى شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم الحدثان فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فأخبره كسرى بالخبر

عندها زنيما بعد أن كان لجبله زعيما وبالاطراب زعيما وان رقصت أمالت العمائم عن الرؤس وأنستك رقص الحبب فى الكؤس فكنت ازدرى بها حمر النعم واحلى تمليها جيد النعم واحب مرآها عن الشمس والقمر واذود كراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك أليح من أن تسرى برياها ريح أو يكهن بها سطيح

(ذكر سطيح)

فقال ايها الملك ما عندى فيها شئ ولكن جهزنى الى الشأم الى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال

أصم أم يسمع غطريف اليمن * رسول قيل العجم يهوى للوثن
يا فاصل الخطة اعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن

* ابيض فضفاض الرداء والرسن *

فرفع اليه سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أقبل الى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت الواد وانتشرت فى البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وغاض وادى السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات بعدد ما سقط من الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قال

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور
فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولهم والاسد المهاصير
حثوا المطى وجدوا فى رحيلهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس ابناء علات فمن علموا * أن قد أخل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره فغمه ذلك فقال الى أن يملك منا اربعة عشر ملكا يدور الزمان فملكوا كلهم فى اربعين سنة (قوله ينم) من النميمة (مليح) كثير الظهور (الحظ) البخت والنصيب و (وشكه) سرعة زواله (المنحوس) المنقوص (نكد) مشقة (الطالع) نجم الانسان والطالع يقابله الساقط (حيا) حدة (ثاب) رجع (صرد) خرج من قوسه وأراد بالسهم اللفظ الذى سمع منه جاره (الخبال) الفساد (الوبال) الثقل وهو وبال عليه اى ثقيل فى العاقبة وطعام وبيل ثقيل متخم ومنه استوبلت المدينة اذا لم توافق جسمك وان أحببتها (اودع) جعل فيه و (الغربال) معلوم يشبه به النمام حيث لا يمسك ما جعل فيه قال الحطيئة يهجو أمه

تنحى فاجلسى منى بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

كانون أبرد ايام الشتاء ويريد انها باردة الحديث قال كعب بن زهير رضى الله عنه

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

(وقال فى الحماسة)

ولا اكتم الاسرار لكن انمها * ولا ادع الاسرار تغلى على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر
اعزز على باخلاق وسمت بها * عند البرية يا فاو ذيح السوق
تضيق بالسر ذرعا ان خصصت به * حتى يرى ذائعا كالفجر فى البوق

وقال فى ضده
ومستخبر عن سر ريا رددته * بعمياء من ريا بغير يقين

او ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس أن ونكد الطالع المنحوس أنطقنى بوصفها حيا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال

بيد أني عاهدته على عكم ما لفظته وأن يحفظ السر ولو احفظته فزعم أنه يخزن الاسرار كما يخزن اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لان يلج النار فما ان غبر على ذلك الزمان الا يوم أو يومان حتى بدا الى أمير تلك المدره وواليها ذي المقدره أن يقصد باب قيله مجددا اعرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل يبذل الجعائل لرواده ويسني الوسائل لمن يظفر بمراده فأسف ذلك الجار الختار الى بذوله وعصى في ادراع العار عذل عذوله فاتى الوالي ناشرا أذنيه وأنبه ما كنت أسررته اليه فما راعني الا انسياب صاعيته الى وانثيال حفدته على يسومني ايثاره بالدرة اليتيمة على أن أتحكم عليه في القيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم ازل ادافع عنها ولا يغني الدفاع واستشنع اليه ولا يجدي الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد

(تكملة قصة موسى وفرعون)

وقال اتتهمني اني لك ناصح * وما أنا ان خبرته بامين

(وقال قيس بن الخطيم)

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بيث وتكثير الحديث قمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين

(وقال العباس بن الاحنف)

تعنيت تطلب ما استحق * به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتي * اذا كان سرك لا يشهر
أمني تخاف انتشار الحديث * وحظي في صونه أوفر
ولو لم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

(قوله بيد) بمعنى غير (عكم) ربط (أحفظته) اغضبته (يهتك) يخرق (غبر) مضى (المدرة) البلدة (قيله) ملكه الاعظم (مجددا اعرض خيله) اى ليعرض عليه ما عنده من الاجناد (النيل) اى العطاء (ارتاد) طلب (تحفة) هدية (تلائم) توافق (هواه) ارادته (نجواه) حديثه مع الملك والجعل حق من ذلك على حاجة والجعالة بمعناه والجعائل جمعها (يسني) ييسر وأصل (الرواد) طلاب المرعى واحدهم رائد وأصل (الوسائل) اسباب الود (أسف) انحط ودنا وأسف الطائر تدلى نحو الارض لشيء يأخذه وأسف الرجل طلب مداق الامور (والجار الختار) الخداع (بذوله) عطاؤه (ادراعه) لبسه الدرع (ناشرا أذنيه) أي طامعا وهو مثل (أنبه) قال له سرا (قوله راعني) أي أفزعني (انسياب) دخول (صاعيته) حاشيته ومن يميل اليه (انثيال) انصباب (حفدته) أتباعه (يسومني) يعرض علي (ايثاره) تفضيله على نفسي (الدرة اليتيمة) الجوهرة النفيسة وبهذا سمى الثعالبي كتابه الدرة اليتيمة أي الدرة المفردة التي لا مثل لها واليتيمة درة مشهورة في البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة استخرجها من البحر كلب جاء الملغ فتعلقت محارتها بفمه فنفضها في البر فهي من عجائب الدنيا ومن عجائبها الحافر وهو حجر ياقوت شبه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان والعربية الثالثة فرس ذهب لم يصنعه صانع انما وجد في معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة يغانه و(الذي غشي فرعون وجنوده من اليم) هو الغرق واليم البحر الذي ذهبت نفوسهم فيه ولا بد ان نلم بنبذة من خبره نكمل بها القصة حسبما شرطنا وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج فارا من فرعون حسبما قدمنا في السادسة توجه الى مدين فبلغها كالاجائعا فقيرا فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي يحبسان غنمهما فأخبرتاه بانهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء وأن لهما أبا شيخا كبيرا فرحمهما واقتلع الصخرة عن البئر وكان لا يرفعها الا عشرة فملأ وسقى لهما ثم تولى الى ظل شجرة مثمرة فقال يا رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل أراد خضرة البقل الذي أكل في طريقه فرجعت الجاريتان بسرعة الى أبيهما فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذي جرت العادة بمجيئهما فيه فأخبرتاه خبر موسى فارسل احداهما فاتته وهي تستحيي منه فقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فمشى معها وهي بين يديه فضرب الريح ثوبها فنظر الى

عجزتهافقال لهاانشي خلفي ودليني على الطريق فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه فقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت إحداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فقال لها الشيخ أما القوة فقد خبرته بقلع الحجر فما يدريك أمانته قالت له اني مشيت أمامه فلم يحب أن يخونني وردني خلفه فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين الى آخر القصة فلما انقضى أجله وسار بأهله وكان في شتاء رفعت له نار فلما رآى فكانت من نور الله تعالى فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا الآية ومعنى تصطلون أي من البرد فكان عند اتيانه لها ما أخبر الله تعالى من أنه نودي أن بورك من في النار ومن حولها فلما فزع قال الحمد لله رب العالمين فنودي اني أنا الله رب العالمين وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي أي أضرب بها ورق الشجر للغنم ولي فيها مآرب أخرى من حمل الزاد وعاء او السقاء وغير ذلك فقال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب أي لم ينظر فنودي لا تخف انك من الآمنين الآيات فسأل الله تعالى أن يرسل معه اخاه هرون ردأ أي عونا لكونه كان أفصح منه لسانا للجمرة التي كانت أحرقت لسانه في صغره وثقل لسانه فقال سنشد عضدك بأخيك فاقبل موسى الى أهله فسار بهم الى مصر فدخلها بالليل فنزل ضيفا بامه وأخيه وهم لا يعرفونه وهرون غائب فنزل بجانب الدار وجاء هرون فسأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه وأكل معه ثم سأله من هو فقال انا موسى فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه فقال له موسى ياهرون ان الله قد أرسلني واياك الى فرعون فانطلق معي فقال سمعا وطاعة فصاحت أمهما وقالت نشدتكما الله تعالى أن لا تذهبا اليه فيقتلكما فانسكاه ثم انطلقا اليه ليلا في قول السدي وضربا الباب فكلمهما البواب فقالا له انا رسول رب العالمين ففزع البواب فاتى فرعون فاخبره ان مجنونين بالباب يزعمان كذا فقال أدخلهما وأما ابن اسحق فحدث أنهما وقفا على باب فرعون يلتمسان الاذن يغدوان ويروحان سنتين وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل عليه فقال له أيها الملك ان على الباب رجلا يزعم أن له الها غيرك فقال أدخلوه فدخلا وبيده موسى عصاه فلما وقفا عرفه فرعون فقالا انا رسول رب العالمين فجاوبه بقوله ألم نربك فينا وليدا الآيات ثم ذكره اياديه قبله فقال له موسى وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تقتل من شئت وتسترق من شئت فقال له وما رب العالمين فاراه الآية الكبرى في العصا أن ألقاها فاذا هي ثعبان مبين ملأ ما بين السماطين فاتحة فاها قد صارت محجنها على ظهرها فارفض الناس ومال فرعون عن سريره فناشده موسى بربه فادخل يده في جيبه فاخرجها بيضاء كالثلج ثم ردها فعادت هيئتها ثم وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة وأخذ فرعون بطنه وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتمس الخلاء وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبه في الناس فقال للملائه ان هذا لسحر عظيم فجمع السحرة ووعدهم ليوم العيد وأن يحشر الناس ضحى يحضرون امرهم مع موسى فاجتمعوا لذلك اليوم فصف خمسة عشر الف ساحر كل ساحر له نوع من السحر فخرج موسى يتوكأ على عصاه حتى اتى الجمع وفرعون في مجلسه مشرف على وجوه اهل مملكته فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب الآية فقال بعضهم لبعض اهكذا يقول ساحر فخيروه في أن يلقي او يلقوا فقال بل القوا فالقوا حبالهم

وعصيهم

وعصيهم اشياء حيروا بها العقول من حيات قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ونيران تحرق
في ظاهرها اماهرت به ودلم مسكته كما وصف الله تعالى واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ففزع
موسى واخوه هرون مما رأيا وذلك قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت
الاعلى الآيات فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف كل ما صنعوا به وكانوا اجلبوا آلاتهم في السفن
في النيل فابتلعت السفن والآلات فتصايحت فاذا على قبة فرعون ممن فيها افقروا وتعلقوا بموسى
يستنقذون به فأخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت فوقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب
هرون وموسى لما تبينوا ان امر العصا الهي ليس من تخاييلهم فقال لهم فرعون آمنتم له
قبل ان آذن لكم الآيات الى قوله تعالى والله خير وأبقى اى لا سلطان لك الا في الدنيا ولا سلطان
لك بعدها قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فقتلهم فكانوا اول النهار سحرة وآخره
شهداء ثم امر الله تعالى موسى ان يخرج بني اسرائيل فقال اسر بعبادي ليلا فأمرهم ان
يستعيروا الحلي من القبط فخرجوا ليلا والقى الله على القبط النوم حتى طلعت الشمس وكان
موسى على ساقة بني اسرائيل وهرون على المقدمة وعدد بني اسرائيل ستمائة الف وعشرون الف
مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان
وهم في ألف ألف وسبعمائة ألف فذلك قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فلما تراءى
الجمعان قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا بالذبح ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون
فيقتلنا قال كلا ان معي ربي سيهدين فأتى موسى البحر فكناه أبا خالد فضربه بعصاه فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل فصار في البحر اثنا عشر طريقا فدخل كل سبط طريقه وكل
سبط يقول قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر فنظر آخرهم الى أولهم وجاء فرعون ومن معه فأبت
خيله أن تقتحم فتقدمها جبريل على فرس أنثى فاقتحمت الخيل في اثره فلما توسط البحر أمر البحر
أن يأخذهم فانطبق عليهم فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وجعل جبريل يدس الطين في فيه لئلا يتم الكلمة فيرحمه الله وميكائيل يقول آلآن وقد عصيت
قبل وأخرج الله بدن فرعون ميتا حتى عرفه بنو اسرائيل فهذا هو الذي غشي فرعون وجنوده من
اليم (قوله الاعتياص) أي التصعب واعتاص الشيء اعتياصا تصعب وتلوى (المناص) الملجأ
والمفر (وتجرم) أتى الجرم (وتضرم) اشتد غضبه (والارم) الاسنان (وحرق) عض بعضها على
بعض حتى صوت وذلك لشدة الغيظ وهو مثل (آل) رجع (الوعيد) التهديد (قراعا) ضربا والقراع
الخبط والضرب والتقريع الاخذ باللسان يريد هددوني فلما أبيت ضربوني (الحين) الموت
(قضته) عاوضته وبادلته (سواد العين) جاريته التي هي نور عينه (صفرة العين) لون الدنانير (لم يحظ)
لم يأخذ حظوة وهي النصيب و (الواشي) النمام سمي واشيا لاستخراجه الاخبار وتوصله الى
معرفتها من قولهم فلان يوشي الخبر اذا استخرجه وقيل سمي واشيا لتحسينه ما ينقل من الاخبار
وثوب موشى محسن بما فيه من النقوش وقيل هو من الشية وهي العلامة كأنه جعل لنفسه
علامة من الوصف القبيح (والشين) العيب وعلى وصف الجارية المذكورة بالادب والجمال نريد
ان نسوق فصلا في الجواري ذوات الادب ممن أهديت الى الملك كحال هذه أولها معه سبب
* حدث الاصمعي قال بعث الي هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم

الاعتياص وارتياد المناص
تجرم وتضرم وحرق على
الارم وتنسى مع ذلك لا تسمح
بمفارقته بدرى ولا بأن أنزع
قلبي من صدري حتى آل
الوعيد ايقاعا والتقريع
قراعا فقادني الاشفاق من
الحين الى ان قضته سواد
العين بصفرة العين ولم يحظ
الواشي بغير الاثم والشين
فعاهدت الله تعالى منذ ذلك
العهد أن لا أحاضر نماما
من بعد

أدخلني عليه وقت المغرب فاستدناني وقال لي يا عبد الملك وجهت فيك بسبب جاريتين أهديتا لي لهما أدب أحببت ان تبرز ما عندهما وتشير علي بالصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فأحضرتا فرأيت جاريتين ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم فقالت ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر الناس فيه من الاخبار والاشعار فسألتها عن حروف من القرآن فأجابتني كأنها تقرأ القرآن في كتاب ثم سألتها عن الاخبار والاشعار والنحو والعروض فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيأ فأنشدت

يا غياث العباد في كل محل * ما يريد العباد الارضاكا

لا ومن شرف الامام وأعلى * ما أطاع الاله عبد عصاكا

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في مسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال يا عبد الملك انا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما شهدت من أعاجيب الزمان أتفرج به فقلت يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث اليه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته ما سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فألفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا * مريشة بأنواع الخطوب

ترى ريب المنون لهن سهما * يصيب بنصله مهج القلوب

فقلت

فني شفتي في موضع الطبل ترتعي * كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن

هبيني عودا يابسا تحت شقة * يمتع فيما بين نحرك والذقن

فلما سمعت الشعر رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرق رأسي فلم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها فضحك الرشيد حتى استلقى ثم قال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت له قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني الخادم فقال أنا رسول بنتك يعني الجارية تقول لك ان أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع لي ألف دينار فلم تزل تواصلني بالبر والواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها عني وأمر لي الفضل بعشرة آلاف درهم * حدث علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة فخرج وهو يضحك فقال يا علي دخلت فرأيت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فسبقتني محبوبة فقالت وأخذت عودها وغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيا من مناها في السريرة جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ويا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

ويامن

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلبت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر فقلت للمتوكل أقلني فقد والله عرب ذهني عني فلم يزل يعسر في به ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة فقال يا علي أعلمت أني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة فقالت جاريته شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها همهمة فقال قم حتى ننظر ما هي فقام حافيا حتى قرب باب مقصورتها فاذا هي تغني وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * اشكو اليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره فصارمني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها * حدث أبو علي بن الاسكري المصري واسكر هي القرية التي ولد بها موسى عليه السلام قال كنت من جلاس تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا جلاسه ومدت الستارة فأمرها فغنت

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه

وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده أشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

قال فأحسنت ما شاءت وطرب تميم ومن حضر ثم غنت

ستسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

استودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فأفرط تميم في الطرب جدا ثم قال لها تمني ما شئت فلك مالك فقالت أتمنى عافية الامير وسعادته فقال لا والله فقالت على الوفاء أتمنى أيها الامير فقال نعم فقالت أتمنى ان أغني هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقاموا فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال لي ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر لي بناقة ومحمل عليه هودج فأدخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت لي تقول لك سيدتي أين نحن فقلت نحن نزول بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتها قد ارتفع بالغناء

لما نزلنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الحجا * زنسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمــن أحب بجمع شمـل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى اعيدى بالله فما سمع لها كلمة فلما نزلنا الياسرية على جمسة أميال من بغداد فى بساتين متصلة يبيت الناس بها ثم يبكرون لبغداد بتنا هنالك فلما قرب الصباح اذا بالسوداء قد أتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة و والله لا أدرى أين هى فطلبتها فلم أجدها ولا وجدت لها ببغـداد خبرا فقضيت حوائجى ببغـداد وانصرفت الى تميم فأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر * ومما جاء فى الواشى ما حكى أن رجلا وشى برجل الى بلال بن أبى بردة فقال للساعى انصرف حتى أكشف عما ذكرت فلما كشف عن الساعى اذا هو لغير رشدة قال أبانا أبو عمرو وما كذبت ولا كذبت حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الساعى لغير رشدة وذكر السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من غيهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله وقال ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب وقال الشاعر

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

ووشى واش بعبـد الله بن همام السلولى الى زياد فقال له انه هجاك فقال أجمع بينكما قال نعم فبعث الى ابن همام وأدخل الرجل بيتا فقال زياد ابن همام بلغنى أنك هجوتنى فقال كلا أصلحك الله ما فعلت ولا أنت لذلك بأهل فأخرج الرجل وقال ان هذا أخبرنى فأطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل فقال

وانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فاعجب زياد بجوابه وأقصى الواشى ولم يقبل منه قال وأنشد الشاعر

لا تقبلن نميمة من قائل * وتحفظن من الذى انباكها
ان الذى أنباك عنه نميمة * سيدب عنك نميمة قد حاكها

*على بن أبى طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان موسى قال يارب انى حيث ذهبت لا انصر ولا أخذل فاوحى الله اليه ان فى عسكرك غمازا قال يارب دلنى عليه قال ياموسى أبغض الغماز فكيف أغمز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون بين البرآء العيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى فذكر رجلا يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة (قوله والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة) قال السرى فيما يتعلق بالزجاج من النم

رأيتك تبدى للصديق نوافذا * عدولك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * ويارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بينى وبينك صائنا * عهودك ان العهد للمرء صائن

والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة

وألقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلى منك خل ماعلمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن المعتز)

لحى الله امرأ أعطاك سرا * فضيعه وفض الله فاه
فانك كلما استودعت سرا * أنم من الزجاج بما وعاه

(وقال السرى)

استودع الله خلا منك أوسعه * وداو بوسعى غشا وتمويها
كان سرى فى احشائه لهب * فمايطيق له ضما حواشيها
قد كان صدرك للاسرار جندلة * ضنينة بالذى تخفى نواحيها
فعاد من بث ما استودعت جوهرة * رقيقة تستشف العين مافيها

(وله أيضا)

ثنانى عنك ما استشعرت شرا * خلال فيك لست لها براضى
وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

(قوله وبه جرى المثل فى النميمة) يقال أنم من الزجاجة على ما فيها لانه جوهر لا يكتم ما فيه قال الاصبهانى ما زال البلغاء يتعاطون وصف هذا الجوهر فعبروا عن مدحه وذمه فأما ذمه فان ابراهيم بن سيار النظام أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سريع الكسر بطىء الجبر وقال فى الذهب الذهب لئيم لان الشكل يصير الى شكله وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام وأما سهل بن هرون فكان يوما بمجلس احد الملوك وشدا دالحربى يعدد خصال الذهب فقال هو أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصانا فى النار وهو أوزن من كل ذى وزن اذا كان فى مقدار شخصه ولو وضعت على ظهر الزئبق فى اناء قيراطا من ذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء وسائر الجواهر تطفو فوقه ولو كان الجوهر ذا وزن ثقيل وريح عظيم ولا تشد الاسنان المقلقلة بغيره ولا يوضع فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال والهند تمره فى العين بلا كحل لصلاح طبعه وعليه مدار التبايع مذكان التبايع وهو ثمن لكل شئ وهو الزرياب والصفائح التى تكون فى سقف الملوك والطبخ فى قدوره أغذى وأمرأ وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب فأدرك سهل بن هرون من الغيرة والحسد مادعاه الى معارضته فقال يذم الذهب ويفضل الزجاج الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وان فضله الذهب بالصلابة فضله الزجاج بالصفاء والزجاج أبقى على الدفن والزجاج نور علوى والذهب مباع سيال ولم تتخذ الناس آنية الشراب أجمع لما يريدون من الشراب منه والشراب فيها أحسن منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا ينقل اليد ولا يرتفع فى السوم وكان سليمان اذا شرب فى اناء كلحت فى وجهه مردة الجن فعلمه الله تعالى صنعة القوارير فحسم عن نفسه تلك الجراءة ومن كرع فيه فكأنما كرع فى اناء من ماء وهواء ونور وقد تقدح النار من كسر قنينة الزجاج اذا كان فيها ماء لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس واحد وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صبغ منه وأجدر أن لا يفارقه حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية

وبه يضرب المثل فى النميمة
فقد جرى عليه سيل دمعى
ولذلكم السبب لم تمتد اليه
عينى شعر
فلا تعذلونى بعد ماقد شرحته

قول الشارح قوله وبه جرى المثل الذى بايدينا من اصول المتن وبه يضرب الخ فلعلها نسخة وقعت له اهـ مصححه

على أن حرمتني اقتطاف القطائف فقد بان عذري في صنيعي وانني سارتق فتقي من تليدي وطارفي على أن مازودتكم من فكاهة ألذ من الحلاوى لدى كل عارف (قال الحرث بن همام) فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما وقذت النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم سألناه عما أحدث جاره القتات

فيه ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه فان كان الجام ذا لونين أراك الوشي أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ورد الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبر واذلك بالشعاع الذي يسقط على المرآة على وجه الماء أو على الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين انسان أعشاه وربما أعماه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والزيت في الزجاجة نور على نور وقال الله تعالى انه صرح ممرد من قوارير وقال تعالى وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة فاشتق اسما للفضة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعادي بالابل يا أنيس ارفق بالقوارير فاشتق للنساء اسما منه وقدوره أطيب طعاما من قدور الحجارة وهي لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت عادت جددا واسم الذهب يتطير منه وان سقط عليك قتلك ومن لؤمه سرعته الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وهو من مصائد الشيطان ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وهو فتان قال لمن أصابه فلم يبق في المجلس أحد الا تحير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته واحتجاجه في معارضته من غير روية وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز وأنه مخراق يذهب في كل فن فاذا صح العقل صح تقويم اللسان (قوله القطائف) هي ما يجنى من الثمار يريد بها الحلاوى التي حرمهم أكلها و(الرتق) السد والاغلاق وهو ضد الفتق ويقال هو الفاتق الراتق اي هو مالك الامر فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع ورتق ضم وجمع وامرأة رتقاء لا يصل اليها الرجال وقوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما أي كانتا سماء واحدة وأرضا واحدة فجعلت كل واحدة منهما سبعا وقيل كانتا معا ففتقناهما بالهواء الذي بينهما وقيل فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فقال سأسد ما حرقته (قوله التليد) المال القديم و(الطريف) المكتسب (فكاهة) ملح (عذاره) شعر خده شبه بالشوكة التي تقع على خد الفرس وقد عذرت الفرس عذرا وأعذرته بالعذار يعني ألجمته وأعذرت اللجام جعلت له عذارا وأنشد ابن رشيق في معذر

وأسمر اللون عسجدي * يكاد يستمطر الجهاما
ضاق بحمل العذار ذرعا * كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس اذ رآني * كآبة واكتسى احتشاما
وظن ان العذار مما * يزيح عن قلبي الغراما
وما درى أنه نبات * أنبت في قلبي السقاما
وهل ترى عارضاه الا * حمائلا قلدت حساما

(قوله قدما وقذت) اي قديما أمرضت وأوجعت (حمالة الحطب) هي أم جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبي لهب وكانت تمشي بالنميمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقيل بين زوجها وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك للماشي بالنميمة لان الحطب يهيج النار والنميمة تهيج الشر وقيل سميت حمالة الحطب لانها كانت تطرح الشوك للنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه وكانت عوراء وابو لهب أحول و(القتات) النمام والكذب والنميمة قت

ودخلله المقتات بعد ان راش له نبل السعاية وجذم حبل الرعاية فقال أخذ فى الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع

الى ذوى المكانة وكنت حرجت على نفسى أن لا يسترجعه أنسى أو يرجع الى آسى فلم يكن له منى سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من من التجه ولا يتنب من وقاحة الوجه بل يلط بالوسائل ويلح فى المسائل فما أنقذنى من ابرامه ولا أبعد عليه نيل مرامه الا أبيات نفثت بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فانها كانت مدحرة لشيطانه ومسجنة له فى أوطانه وعند انتشارها بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور ويئس من نشر وصلى المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فناشدناه أن ينشدنا اياها وينشقنا رياها فقال أجل خلق الانسان من عجل ثم أنشد لايزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندیم محضته صدق ودى
اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال
حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا
ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأسى
منه قلبى بما جناه كليما

(غدر الاخوان وقلة الوفاء)

وقت يقت قتا مشى بالنميمة ونم ينم نماضيع الاحاديث ولم يحفظها وقيل النميمة من قولهم جلود نمت اذا لم تمسك الماء والقتات أيضا المتسمع على من ليس يشعر به وهو القتات والنمام والعساس والهمام والهماز والعماز والمهيم والمورش والممش وقد مأس يمأس (دخلله) خاصته العالم بداخل أمره (المقتات) المستبد برأيه المتسور على ما لا ينبغى له (راش) جعل لها ريشا (السعاية) المشى بالنميمة (جذم) قطع (الرعاية) حفظ الصداقة (الاستخذاء) الخضوع (والاستكانة) الذل (ذووا المكانة) أهل الجاه (حرجت) أثمت وضيقت عليها بيمين أكيدة (الاصرار) العزيمة (والصد) الاعراض عنه (يكتئب) يهتم (التجه) الجفاء وتغليظ الكلام (يتنب) يرجع (يلط) يكثر اللزوم بها ويقال الط بالشئ اذا لزمه (ابرامه) ثقله (نفث) نطق وتكلم (الموتور) المظلوم (المبتور) المقطوع بالهم (مدحرة) مدفعة ومبعدة ودحرت الشئ دحورا ودحرا أبعدته ودحر هو بعد (بت) قطع وأمضى وجعله بتا تاو هو ما لا رجعة له فيه (الحبور) السرور وحبرته حبرة سررته (الثبور) الهلاك وثبر الله العدو ثبورا أهلكه (يئس) قطع رجاءه (نشر) احيا (المقبور) المدفون (الكفار) الدافنون للموتى (ناشدناه) سألناه وجعلناه (ينشقنا رياها) يشممنا رائحتها (أجل) حرف جواب بمعنى نعم (خلق الانسان من عجل) قال أبو على هو على القلب معناه خلق العجل من الانسان قال الزجاج ويدل على ذلك قوله تعالى وخلق الانسان عجولا ومثله وقد بلغنى الكبر أى بلغت الكبر ومثله فاختلط به نبات الارض قال الشماخ كما عضت العلباء بالعود أى العود بالعلباء وقال القطامى* *كما طينت بالفدن السياعا* أى طينت بالسياع وهو الطين بالتبن والفدن القصر وقال ابن مقبل وابتذلت وقع المحاجن بالمهرية الزفن *أى ابتذلت المهرية بوقع المحاجن ومن جعل العجل الطين فلا قلب فيه وأراد لم يصبر واعن الا يات لعجلتهم فى طلبها وقوله (يزويه) أى يقبضه (خجل) حياء وقد خجل اذا استحيا (يثنيه) يرده (وجل) خوف (محضته) أى أخلصته (توهمته) حسبته و (الحميم) الخاص من الاخوان و (الحميم) الثانى الماء الحار السخن و (الصديد) الدم المختلط بالقيح (أوليته) ألصقت به (القطيعة) البعد (قال) مبغض (ألفا) صاحبا (ذمام) عهد (بان) تبين (جلفا) جافيا (ذميما) مذموما (كليما) الاول مكلما والثانى مجروحا وقد أكثر الناس من التشكى بغدر الاخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه ونسوق منه ما يليق بهذا الموضع * قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لصديق له هل بلغك شئ تكرهه ممن لا تعرف قال لا قال فأقلل ممن تعرف ، الجاحظ قرئ على باب شيخ من أهل الرى جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيرا كأنه اتقى من ثقاته وقال امرؤ القيس بن حجر

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته * وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا * من الناس الا خاننى وتغيرا

(وقال النابغة)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ولما انحرف ابن الزيات عن ابراهيم بن العباس الصولى تحاماه الناس أن يلقوه وكان الحرث ابن سنجر صديقا له فهجره من ذلك فكتب اليه

تغير لي فمن تغير حارث * وكم من خليل غيرته الحوادث
أحارث ان أشركت فيك فطالما * نعمنا وما بيني وبينك ثالث

وكتب لابن الزيات

أخي بيني وبين الدهر صاحب أينا غلبا
صديقي ما استقام فان * نبا دهر علي نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد أخا به حدبا

وكتب اليه أيضا

وكنت أخي باخاء الزمان * فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اليك ألوم الزمان * فأصبحت فيك ألوم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات * فأصبحت أطلب منك الامانا

(وقال أبو فراس)

اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن * وأن خليلا لا يضر وصول
تصرفت أحوال الرجال فلم يكن * الى غير شاك في الزمان وصول
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

(وله أيضا)

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة * فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد من خلة ما أريده * فعندي لاخرى عزمة وركاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وقال الخباز البلدي)

ألا ان اخواني الذين عهدتهم * أفاعي رمال لا تقصر في اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * نزلت بواد منهم غير ذي زرع

(ولابن هرون القرطبي)

ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى * تلقى الصديق من الوفاء عريانا
يعطيك ودا صادقا بلسانه * ويجن تحت ضلوعه ألوانا

(وقال المعري)

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري * لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الانام فلا أواخي * وغبت عن الانام فلا أعادا
فأي الناس أجعله صديقا * وأي الارض أسكنها ارتيادا
وليس صبا يعاد وراء شيب * بأعوز من أخي ثقة يعادى

وله أيضا   والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(وكتب المعتصم صاحب المرية الى ابن عمار)

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب

فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب

ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

(وقال البحتري)

أما العداة فقد أرولك نفوسهم * فاقصد بسوء ظنونك الاخوانا

(وقال أيضا)

أما العدو فيبدي   ما عنده ويكاشف * لكن توق وحاذر * من الصديق الملاطف

وقال معمور بن اسمعيل التميمي الفقيه قال ابن رشيق

لو قيل لي خذ أمانا * من حادثات الزمان

لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وهذا الباب لا يحصى كثرة (قوله تظننيته) أي حسبته وأبدل من احدى نونيه ياء (لعينا رجيما) شيطانا مبعدا من حوما بالنجوم وقيل الرجيم المرجوم أي المشتوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى لئن لم تنته لارجمنك أي لاسبنك وقيل الرجيم الملعون وهو مذهب أهل التفسير فعني اللعين والرجيم واحد (تراءيته) ظننته من تراءى لي الشيء ظهر بعض الظهور (مريدا) محبا (جلي) كشف (سبكي) تجربتي (مريدا) كثير الشر خبيثا (لئيما) وضيع القدر خسيس الهمة (توسمت) ظننت وتوسمت فيه الخير أي رأيت فيه سمته أي علامته (والنسيم) الريح اللينة (والسموم) الحارة (لسعه) نهشه (سليم) الاول ملدوغ والثاني سالم (ورائع) الاول حسن المنظر والثاني مفزع (بلوته) جربته (عديما) غير موجود (يلفى) يوجد (هوى) حب (رقيبا) حافظا (ينمى) ينم (فاه) نطق (قوله بغض الصبح) هو من المثل الليل أخفى للويل وقالوا أنم من الصبح لانه يهتك حجاب الظلام وقال بعض الحكماء لابنه اجعل تظرفك في العلم ليلا لان القلب في النهار كالطائر وهو في الليل ساكن فما ألقيت فيه من شيء وعاه فاما أكثر الشعراء فهم الى الليل أفزع ومن النهار أنزع لان الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الاحزان والذكر قال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي

(وقال النابغة)

وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(وقال قيس بن ذريح)

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل أدتني اليك المضاجع

(وقال الطرماح بن حكيم)

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بهم وما الاصباح فيك بأروح

بلى ان للعينين في الصبح راحة * لطرحهما طرفيهما كل مطرح

وتظننيته معينا رحيما
فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا فجلي
عنه سبكي له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما
فأبى أن يهب الا سموما
بت من لسعه الذي أعجز الرا
قي سليما وبات مني سليما
وبدا منه جه غداة افترقنا
مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن
كان بالشر رائعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كا
ن عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم الى قلـ
ـبي لان الصباح يلفى نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا
ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من ينمي ولو فاه بالصد
ق أثاما فيما أتاه ولوما
قال فلما سمع رب البيت

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي وأجاد)

كم زورة لك في الاعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وهذا البيت أمير شعره على كثرة الجيد فيه والبديع فيه انه قابل الشطر الاول بالثاني حرفا بحرف فقابل أزورهم بقوله انثني وسواد الليل بياض الصبح ويشفع لي يغري بي وحكى ابن جني قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال قال لي ابن جيرانة وزير كافور أعلمت اني أحضرت كتبي كلها وجماعة من أهل الادب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا به وكان أكثر من رأيت كتبا قال ابن جني ثم عثرت على الموضع الذي أخذ منه وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ صغير جرى فيه معنى بيت المتنبي كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو *فالشمس نمامة والليل قواد* قال الثعالبي اما أن يكون ألم به فحسنه وزينه فصار أولى به أو عثر على الموضع الذي عثر عليه ابن المعتز فاربى عليه في جودة أخذه أو يكون قد افترع المعنى وابتدعه فلله دره وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه قال ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل الا بانشاد بيتين قبله وهو

عذيري من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد المسخ والمحو
وأبدت برأسي طالعات أرى بها * سهام أبي يحيى مسددة نحوي
فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه * بان عني أولو الوجوه الصباح

(وقال المتنبي)

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب
وقاك أذى الاعداء تسرى اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية هم الثنوية وهم الذين يقولون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بان وجد الخير في الظلام حيث ستره من أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا على زيارة حبه ووجد الضد في النور وهذا كله يجري في نمط بيت الحريري (قوله قريضه) أي شعره وتقدم السجع (تقريظه وسبعه) المدح والذم ويقال سبعه يسبعه اذا رماه بقبيح من قولهم سبع الذئب اذا رسته وقيل معنى سبعت قلت له قولا غمه وذعرمنه ويقال سبعت الوحش ذعرتها والاسد أفزعته (بوأه) أنزله (مهاد) فراش (صدره) قدمه وأجلسه في صدر وسادته (التكرمة) الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه * ودخل عمر على سلمان رضي الله عنهما فألقى له وسادة فقال ماهذا يا أبا عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن امرئ مسلم يدخل عليه

قريضه وسجعه واستملح تقريظه وسبعه بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته

أخوه المسلم فيلقي اليه وسادة اكراما له واعطاه الاعفر الله تعالى له (قوله استحضر) أمر باحضارها (الغرب) نوع من الخشب كريم (القند) عصارة قصب السكر (والضرب) العسل الابيض (الطنة) التهمة وأراد بالبرىء آنية الغرب وبالمتهم جام الزجاج و(الابرار) الاخيار (صون) حفظ (تولها) تلصق بها (عاد) قوم هود وأراد لا تساوي بين هود وهو مؤمن وبين قومه وهم كفار فهم أضداد كالبرىء والمتهم فقد خرج من نوعهم وان كان جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان في الآنية والوعاء ويختلفان في الاحتواء على ما فيهما بالاخفاء والاظهار وهود هو ابن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن فدعاهم هود الى عبادة الله تعالى فكذبوه وعصوه وكانوا جبابرة أقوياء طول الرجل منهم مائة ذراع وطول أقصرهم ستون ذراعا قال الله تعالى وزادكم في الخلق بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة ووعظهم هود عليه الصلاة والسلام وقال لهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآية فكان جوابهم ان قالوا من أشد منا قوة وقالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين الآيات واستكبروا ولم يؤمنوا فحبس عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأرسلوا وفدا يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكنيته أبو سعد وجلهمة بن الخيبري ولقمان ابن عاد ومع كل رجل منهم رهط من قومه فلما قربوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلي وكانوا أخواله وصهره فأنزلهم وأكرمهم شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما الجرادتان فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم للبلاء الذي نزل بهم شق عليه ذلك وقال هلك أصهاري وأخوالي والله ما أدرى ما أصنع بهم واني أستحيي ان آمرهم بالخروج من عندي فيظنون أنه ضاق بي مقامهم عندي فقال شعرا وأعطاه للجرادتين تغنتاهم به وهو

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ❊ لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا ❊ قد أمسوا لا يبينون الكلاما
وان الوحش تأتيهم جهارا ❊ فلا تخشى لعادي‌هم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم ❊ نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ❊ ولا لقوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم لما نزل بهم فادخلوا الحرم فاستسقوا فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون حتى تطيعوا نبيكم فقال له جلهمة

أيا سعد وانك من قبيل ❊ ذوي كرم وانك من ثمود
أتأمرنا بترك دين وفد ❊ رمل آل صد والوفود
ونترك دين آباء كرام ❊ ذوي رأي ونتبع دين هود
فانا لا نطيعك ما بقينا ❊ ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية احبس مرثدا عنا لا يدخل مكة معنا وهو على دين هود فدخلوا مكة وخرج مرثد فأدركهم قبل أن يدعوا فقال اللهم لا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وقيل قال اللهم ان

❊(ذكر هود عليه السلام وقومه أهل الانتقام)❊

ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال له لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن يجعل البرىء كذى الظنة وهذه الآنية تتنزل منزلة الابرار في صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم أمر خادمه بنقلها الى

مثواه ليحكم فيها بما يهواه فاقبل علينا أبو زيد وقال اقرؤا سورة الفتح وأبشروا باندمال القرح فقد جبر الله تكلكم وسنى أكلكم وجمع فى ظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال الى استهداء الصحاف فقال للآدب ان من دلائل الظرف سماحة المهدى بالظرف فقال كلاهما لك والعلام فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب فى الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا أبو زيد الى حوائه وحكمنا فى حلوائه وجعل يقلب الاوانى بيده ويفض عددها على عدده ثم قال لست أدرى أأشكو ذلك النمام أم أشكر وأتناسى فعلته التى فعلها أم أذكر فانه وان كان أسلف الجريمة ونمنم النميمة فمن غيمه انهلت هذه الديمة وبسيفه انحازت لى هذه الغنيمة وقد خطر ببالى أن أرجع الى أشبالى وأقنع بما تسنى لى وأن لا أتعب نفسى ولا أجمالى وأنا أودعكم وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته

كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونودى من السحائب ياقيل اختر لنفسك ولقومك قال لقد اخترت السوداء لانها أكثر السحاب ماء فنودى اخترت رمادا رمددا لا يبقى من عاد أحدا فساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء الى عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فسخرت عليهم سبع ليال ريح صرصر فلم تدع منهم أحدا الا هلك ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة منهم تعالوا نقف على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترمى به حتى يدق عنقه فتركتهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبهم منها الا نسيم يلين البشرة وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض ورجع وفد عاد فنزلوا على معاوية فأتاهم راكب على ناقة فى الليلة الثالثة من مصابهم فأخبرهم الخبر فقالوا وأين فارقت هودا فقال بساحل البحر وخير واحد من دعوا بمكة لانفسهم فقال لقمان يارب أعطنى عمرا فعمره الله عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ اذا خرج من بيضته فيغذيه حتى يموت ثم يأخذ آخر حتى بقى السابع فقال له ابن أخيه ما بقى من عمرك قال عمر هذا النسر وهو لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسور أيقن لقمان الموت فماتا جميعا واختار قيل أن يصيبه ما أصاب قومه فأتى قومه فلعنته الريح فقتلته وقال مرثد يارب أعطنى برا وصدقا وعمر هود فعمر مائة وخمسين سنة (قوله مثواه) أى منزله (وقال اقرؤا سورة الفتح) أى لان الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم (اندمال القرح) الجرح (جبر) أصلح (تكلكم) حزنكم على فقدكم الحلواء بسببى (والحلواء) كل طعام عولج بحلاوة وتمد وتقصر (شملكم) عددكم المفترق وفى معنى الآية قول بعضهم

لا تكره المكروه عند نزوله . ان المكاره لم تزل متباينه

كم من يد لا تستقل بشكرها + لله فى طى المكاره كامنه

(الآدب) صاحب العرس (الظرف) جودة الرأى عند الاصمعى وابن الاعرابى الظريف البليغ الجيد الكلام وقالا الظرف فى اللسان واحتجا بقول عمر رضى الله عنه انه اذا كان الرجل ظريفا لم يقطع اى اذا كان بليغا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد قال الكسائى رحمه الله تعالى وفى الوجه يقال لسان ظريف ووجه ظريف * غيره الظريف الحسن الوجه والهيئة (المهدى) مرسل الهدية و(الظرف) الوعاء (احذف) اقطع بعضه (انهض) تقدم (وثب) بالغ وعجل جوابه (الروض) موضع العشب والانوار (حوائه) موضعه والحواء أخبية قريب بعضها من بعض (ويفض) يفرق و(أسلف الجريمة) قدم الذنب (نمنم) زين والنمنمة النقش (غيمه) سحابه (انهلت) سالت (الديمة) العطية هنا وانظر معنى هذا الشك الطارئ له فى السابعة والعشرين فى قوله يا أخى الحامل ضيمى (محافظ) راع للمودة (أستودعكم) أترككم وديعة فى يده (خير حافظ) هو الله سبحانه وتعالى يشير لقوله تعالى فالله خير حفظا (استوى عليها) أى ركبها وقال فى الدرة الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها للمبالغة كالتى فى داهية وراوية وسميت راحلة لانها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء فى التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية ولا عاصم اليوم من أمر الله أى لا معصوم ومن ماء دافق أى مدفوق وحرما آمنا أى مأمونا كما جاء مفعول بمعنى فاعل فى قوله تعالى حجابا مستورا أى ساترا وكان وعده مأتيا أى آتيا

(فى حافرته) فى الطريق الذى جاء منه (لاويا) عاطفا (زافرته) قرابته (وخدت) أسرعت (عنسه) ناقته الصلبة ومنه عنست المرأة اذا طال مكثها لا تتزوج (زايلنا) فارقنا (دست) جلس (صدره) أى أنسه (أفل) غاب

راجعا فى حافرته ولاويا الى زافرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه وزايلنا أنسه كدست غاب صدره أو ليل أفل بدره

(المقامة التاسعة عشرة النصيبية)

(شرح المقامة التاسعة عشرة وهى النصيبية)*

(روى الحرث بن همام) قال أمحل العراق ذات العوم لاخلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين

(أمحل) أجدب اى لم ينزل فيه مطر (اخلاف الانواء) يريد النجوم التى من عادتها أن تطلع بالمطر واخلفت لم تجئ بمطر (الركبان) أهل الاسفار (ريف) خصب (نصيبين) مدينة ديار ربيعة العظمى وهى مطلة على جبل الجودى الذى استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه وهو جبل عال مستطيل * أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فرأيت مدينة أعجبتنى فقلت يا جبريل أى مدينة هذه قال نصيبين فقلت اللهم عجل فتحها قال اليعقوبى هى مدينة عظيمة كثيرة الانهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بنى تغلب افتتحها عياض بن غنم الفهرى فى خلافة عمر رضى الله عنهما سنة ثمان عشرة

(ذكر مدينة نصيبين)

قال شيخنا ابن جبير مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه وتطرد فى نواحيه وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم حافتيه وتفئ ظلالها الوارفة عليه فرحم الله أبا نواس حيث يقول

طابت نصيبين لى يوما وطبت لها ... ياليت حظى من الدنيا نصيبين

فخارجها رياضى الشمائل اندلسى الخمائل يرف نضارة وغضارة ويتألق عليه رونق الحضارة وداخلها شعث البادية بادية عليه فلا مطمح للبصر اليه لاتجد العين فيه فسحة مجال ولا مسحة جمال وهذا النهر ينساب اليها من عين معينة تنبعها بجبل قريب منها تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمائرها ويتخلل منه البلد جزء يخترق على شوارعه ويلج فى بعض دياره ويخترق جامعها منسربا ينصب فى صهريجين أحدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقى ينضى الى سقايتين حول الجامع وعلى النهر جسر معقود من صم الحجارة متصل بباب المدينة القبلى وفيها مدرستان ومارستان واحد (قوله وبلهنية أهلها المخصبين) البلهنية رخاء العيش * ونريد أن نصل ما ذكر من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة فى أوصاف الرياض تقع كالصفة لها قال ابراهيم بن العباس الكاتب

(ذكر أوصاف الرياض)

تأمل سماء أطلت عليك ... فيها مصابيحها تزهر
وأرضا تقابلها بالعرو ... س والمرج بينهما جوهر
ومسحب نور غداة الربيـ ... ـع بينهما المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر ... وأضعاف أصفره أحمر
وللماء مطرد بينها ... يضيق بوارده المصدر

يشارفه البرد من جانب ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرسى سفين * فياعذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عزها * يسوسهم الملك الاكبر

(وأنشد السيراقى)

ومجلس قنيان الى جنب حافة * بقطربل بين الرياض الحدائق
تقاضى ميادينا له أحدقت به * مواخرها موصولة بالجواسق
وحف بريحان وكرم معرش * ونهر وأشجار ونخل بواسق
وورد ونسرين وآس وسوسن * أقاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرف بالنوار حتى كأنما * به جنة محفوفة بالنمارق

(وقال كشاجم)*

وروضة صنف النوار جوهره * فيها فاشئت من حسن ومن طيب
كأن ماتجتنيه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكى بدمع من الانواء مسكوب
حتى كأن أفانين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبير ثوب من الموشى مصبوب

(ولابن المعتز)

وقاذفة بالماء فى وسط جنة * قد التحفت لخضامن الطل سجسجا
اذا انبعثت بالماء ردته منصلا * وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تحاول ادراك النجوم بقذفها * كأن لها قلبا على الجو محرجا
لدى روضة جادا السحاب ربوعها * فزخرفها بين الرياض ودبجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا * وآس ربيعى يناغى بنفسجا
كأن غصون الاقحوان زمرد * تعمم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كأن نسيمه * من المسك فى جو السماء تأرجا

قال البحترى تعرضت لابى نجمة وكان مجنونا يبعد ادله بديهة حسنة فقلت له كيف أنت يا أبا نجمة فانشأ يقول

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوى غير ملتفت * متحرفا عن غير منحرف
يا من أطال بهجره تلفى * أسفى عليك أشد من تلفى

فاخرجت قبضة نرجس من كمى فاخذها وشمها مليا وأنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بهاطل * جون هتون زبرج دلاح
أضحى يلقحها وسمى الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فأتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح

من أصفر فى أزهر قد زانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن فى عقد الزبرجد فاغتدى * والعراقة ناطر ابصلاح

*ويتصل بهذه الحكاية فصل فى ذكر مايستحسن من أشعار المجانين فان أبا محمد قد ذكر فى هذه المقامة المصابين وذكر المجانين فى غيرها فلا نخل بما شرطنا قال بعض الادباء كان رجل من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة فقلت له يا أبا فلان ما بالك وأين النعمة قال تغير قلبى بالحب فتغيرت النعمة ثم بكى وأنشأ يقول

(فصل فى ذكر مايستحسن من أشعار المجانين)

أرى التجمل شيأ لست أحسنه * وكيف أخفى الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الشوق ينحله والهجر يحزنه
وانه حين لا وصل يساعفه * يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت فتنته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال تقف قليلا فوالله لاطرحن فى أذنيك أدبا أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش النعام فوقفت فأنشد

للحب نار على قلبى مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها فى محاجرنا * يا للرجال لماء فاض من نار

وأنشد أيضا

عاد الصدود وأحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
وأحسب نفسى على ما أرى * ستلقى من الهجر هما طويلا
وأحسب قلبى على ما بدا * سيذهب من قد لا قليلا

(قال الحسن بن هانى رأيت مانيا الموسوس فانشدنى)

شعر حى أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاد عن أعين الحوادث يخفى
لو تأملتنى لتبصر شخصى * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم أتيت جعيفران الموسوس وهو شيخ كبير من بنى هاشم عليه قطيفة وفى عنقه غل من ذهب فقال من أين جئت يا حسن فقلت من بيت مانويه فقال فى حرأم مانويه وقال لى اكتب

ما غرد الديك ليلا فى تنبهه * الا حننت اليك السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذراقدها * بنومة فى لذيذ العيش ممهودا
الا استطبت الدجى شوقا اليك ولو * أصبحت فى حلق لا قياد مصفودا
اسعى مخاطرة بالنفس يا أملى * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترق ولم ترث لذى دنف * زودته حرقات القلب تزويدا
هيهات لا غدر فى جن ولا بشر * من الخلائق الافيك موجودا

ثم قال لى خرق رقعة مانويه فخرقتها ثم مضيت فلقيت غرددا المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويقول يا أيها الناس الفراق مر المذاق فقلت أبا محمد من أين اقبلت فقال شيعت الحاج اذ كان لى فيهم سكن وقلت فى ذلك

هم رحلوا يوم الخميس غدية * وودعتهم لما استقلوا وودعوا

فلما ان لواولت النفس فيهمو * فقلت ارجعي قالت الى اين أرجع

الى جسد ما فيه لحم ولا دم * وما هو الا أعظم تتقعقع

وعينان قد أعماهما الحزن والبكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وجعيفران من مجانين الكوفة أعطاه رجل درهما وقال له قل شعرا على قافية الجيم فقال بديها

عادني الهم فاعتلج * كل هم الى فرج

سل عنك الهموم بالـ * كأس والراح تنفرج

(وهو القائل)

ما جعفر لابيه * ولا له بشبيه * أضحى لقوم كثير * وكلهم يدعيه

هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه * والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

(وقال مانى)

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب

يا حسن ما سرقت عيني وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب

اذا يد سرقت فالحد يقطعها * والحد في سرقة بالعين لا يجب

وله أيضا

له وجنات في بياض وحمرة * فخافاتها بيض وأوساطها حمر

رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج أجيلت في جوانبها الخمر

وأشعار المجانين في هذا الباب أكثر من أن تحصى (قوله اقتعدت مهريا) أي ركبت بعيرا منسوبا الى مهرة قبيلة من قضاعة ابلهم أنجب الابل زعموا أنه كان يلقحها الوحش وهي ابل وحشية صغار بيض تكون بين عمان والشحر وتزعم العرب أنها ابل الجن لسرعتها فبقيت أنسالها في بني مهرة قال أبو عبيدة المهرية من الابل تسير أربعمائة ميل كل يوم ثم نسبت العرب الى مهرة كل بعير نجيب (اعتقلت) حبست والاعتقال أن تحبس الرمح بين ركابك وساقك (تلفظني) ترميني (رفع) مرتفع (خفض) منخفض (يجذبني) يسوقني لنفسه (نقضا على نقض) هزيلا على هزيل وأخذ هذا اللفظ من قول أبي الشيص يصف شدة السير

أكل الوجيف لحومها ولحومهم * فأتوك أنقاضا على أنقاض

ولقد أتتك على الزمان سواخطا * فرجعن عنك وهن عنه رواضي

(وقال حبيب في معناه)

وركب يساقون الركاب زجاجة * من الصبر لم يقصر لها كف قاطب

وقد أكلوا منها العوارب بالسرى * وصارت لها أشباحهم كالغوارب

(ولحبيب أيضا)

وركب كأمثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو كواكبه

على كل رواد الملاط تهدمت * عريكته العلياء وانضم جانبه

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت أكمنته مذانبه

(قوله أنخت) بركت (مغناها) موضع سكناها (نويت) قصدت (حراني) صدري والجران باطن

فاقتعدت مهريا واعتقلت سمهريا وسرت تلفظني أرض الى أرض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ أهلها جيراني

عنق البعير يقول لما أخذ نصيبا فى مرعاها أضمر أن يقيم بها ريثما يأتى أرضه المطر (الجماد) التى لا مطر فيها (تتعهد) تتفقد وتزور (العهاد) كثرة المطر * وتمضمضت العين بالنوم اذا خالطها ودب فيها ، وتمخضت المرأة اضربها وجع الولادة وتقول تمخضت المرأة عن زوجها اذا جاءت بالولد عنه وتمخضت بولدها اذا تحركت به ودنت ولادتها واذا استعير هذا المعنى للليلة صار تمخضها عن اليوم السابق لها كأن اليوم التى فى الليلة ما كان فيه من الحوادث فقد تركت به فيريد أنه لم تقض يومى الذى وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل فى الليلة التى ولاجل هذا قال قبل هذا تمضمض مقلتى بنومها أراد أنه لقيه قبل الليلة التى ينام فيها ولو قال تمخضت بيومها لزم أن يكون اليوم الذى فى بعدها كأنها كانت حاملة تلده اذا طلع صبحه من حيث انه متصل بها ولو جعلت عن بمعنى الباء لانقلب الى هذا المعنى واعتادل الكلام على صحة المعنى الاول وأصل المخض التحريك ومنه مخضت اللبن اذا حركته لاخراج زبده وتمخضت المرأة وتمخضت تحرك ولدها ليخرج ثم يستعار ذلك للايام وغيرها وأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان فى النعمان

أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال بقاءه النعم الركام

تمخضت المنون له بيوم . أتى ولكل حاملة تمام

النعم الركام الابل الكثيرة وصغر قابوس تصغير الترخيم وجعل المنية حاملا باليوم الذى هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة وقال حبيب فى معناه

حتى اذا مخض الله السنين لها مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

فهذه استعارة من مخض اللبن أراد أن السنين تحركت لهذه البلدة أى كانت تمر عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة فى حسنها ولذتها فأكلوها باستباحة من فيها (قوله ألفيت) أى وجدت (يجول) يتصرف (أرجاء) نواحى (يخبط) يسأل الناس وأصل الخبط نفض ورق الشجر ينفض للابل فيجرش ثم يدق لها فى زمن الشتاء ويبل بالماء فتعلفه ثم يستعار الخبط للمعروف وقال زهير بن أبى سلمى

وليس مانع ذى قربى وذى نسب * يوما ولا معدما من خابط ورقا

يقال خبطت الرجل أى سألته وخبط الرجل بالامر لم يهتد له وابه والبعير ضرب بيده الارض والشئ ضربته والدابة الارض شدت وطأها والشيطان الانسان صرعه (قوله المصابين) أى المجانين (والمصيبين) الواجدين لما يطلبون والمصيب أيضا ضد المخطئ والمفعول مصاب فيريد أنه يجول فى نواحيها مسرعا كالمجنون أو كالمتيقن بوجود حاجته (الدرر) الجواهر و(الدرر) اللبان أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا (قدحى الفذ) أى سهمى المسرد (توأما) زوجا وأراد أنه كان منفردا فصار بأبى زيد زوجا (انبعث) نهض وتوجه (نفث) نطق (عراه) قصده (امتد مداه) أى طالت مدته (عرقته) أخذت لحمه (مداه) سكاكينه (يسلمه) يتركه و(أبو يحيى) كنية الموت وقد تقدم فى المقامة قبل سهام أبى يحيى مسددة نحوى * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى من فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة وقال مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصداع والحمى يصيب الانسان وان ذنوبه مثل أحد فما يفارقه حتى لا يدع من ذنوبه وزن خردلة * أنس

الى أن تحيا السنة الجماد وتتعهد أرض قومى العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتى بنومها ولا تمخضت ليلتى عن يومها دون ان ألفيت أبا زيد السروجى يجول فى أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو يترمس فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت بها جهادى قد حاز مغنما وقدحى الفذ قد صار توأما ولم أزل أسمع طله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث الى أن عراه مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب الحيا ويسلمه الى أبى يحيا فوجدت له فوت لقياه

(ذكر ثواب المرضى)*

رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض اذا برئ وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها (قوله سقياه) أى فوائده التى كان يسقيه بها (مراده) حاجته (فطامه) قطعه عن الرضاع (أرجف) تحدث الارجاف خوض الناس فى الفتنة وحديثها و(غلق) كف وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن للمرتهن ان لم آتك الى كذا فالرهن لك فان أتاه بالدين بعد الامد قال له قد غلق الرهن وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه (المخلب) ظفر الطائر الصائد (الحمام) المنون (اشالوا) انصبوا وارفعوا (عقوته) موضعه وأصلها فناء الدار (موجفين) مسرعين (حيارى) جمع حيران والحيرة التردد فى الامر وعدم التهدى له قال الواثق

لا بك السقم ولكن كان بى * وبنفسى وبامى وأبى

قيل لى انك صدعت فما * خالطت عيناى حتى ديربى

وقال آخر

أنا مذ خبرت بالعلة والله عليل

ليت حالى بجسمى * ولك العمر الطويل

(عيد) عيل (شجوهم) حزنهم (الخندريس) الخمر (أسالوا العروب) أجروا الدموع والعربة الفيضة من الدمع والجمع غروب (عطوا) شقوا (صكوا) لطموا (شجوا) جرحوا (يودون) يتمنون (سالته) تركته وصالحته وأصله الصلح (المنون) المنية (غالت) أهلكت (نفائسهم) كرائم أموالهم * ونذكر هنا من الشعر ما يوافق هذا الموضع * دخل أبو دهمان القيسى يوما على بعض الامراء يعوده فأنشده

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد * نقيك الذى تخفى من السقم أو تبدى

بنا معشر العواد ما بك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى

ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعوده فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض

فليت أن الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض

فى الامام لنا من غيره عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض

*(وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر)

أعزز على بأن أراك عليلا * أو أن يكون لك السقام نزيلا

لوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا

فتكون تبقى سالما بسلامتى * وأكون مما قد عراك بديلا

هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى * وكذا الخليل اذا أحب خليلا

هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله وكان المعتصم أميا لان أباه هرون الرشيد بدأ به فى صغره للتعلم فسمعه يوما يقول وقد مرت به جنازة ليتنى مكانك ولا أرى هذا البلاء فقال له لا انده الى شئ سمى الموت من أجله فلهذا لم يكن له علم بالادب كأخويه الامين والمأمون ولابى العباس المبرد

يا عليل أفديك من ألم العلة هل لى الى اللقاء سبيل

ان يحل دونك الحجاب فما يحجب عنى منك الضنى والنحول

وانقطاع سقياه ما يجلبه المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين واشالوا الى عقوته موجفين حيارى قد عيل بهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا يودون لو سالته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا (قال الراوى) وكنت فيمن التف بأصحابه

(ولأبي تمام في مالك بن طوق)

ألبسك الله منه عافية * في نومك المعترى وفى أرقك

يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ولابن عبد ربه)

يامن عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب

ما أنت وحدك مكسو اثياب ضنى * بل كلنا لك من مضنى ومشحوب

ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبي الله أيوب

(قوله أغذ) أى أسرع (تصدينا) تعرضنا (الاستنشاء) الاستطلاع (أنبائه) أخباره (برز) خرج (مفترة) ضاحكة (استطلعناه) سألناه أن يطلعنا (طلع الشيخ فى شكاته) خبر مرضه (كنه) حقيقة (عركة الوعكة) شدة المرضة وعركت الشئ دلكته بيديك وحككته ووعكته الحمى كسرته و (شفه الدنف) أضعفه المرض ونقص جسمه (استشفه) استقصى بقية قوته (ذمائه) قوى نفسه (اغمائه) ذهاب عقله من الضعف (ارجعوا أدراجكم) اى فى الطريق الذى جئتم فيه (انضوا انزعاجكم) اى أزيلوا ازعاجكم وطيشكم والانزعاج ضد القرار (أعظمنا بشراه) اى وجدنا ما بشرنا به عظيما والبشارة بكسر الباء ما بشرت به والبشارة بضمها ما يعطى على البشارة والبشارة بفتحها الجمال وفلان بشير الوجه اى حسنه وعند أكثرهم ان لفظ بشرته لا يستعمل الا فى الاخبار فى الخير وليس كذلك بل يستعمل فى الخير والشر قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم والعلة فى ذلك أن البشارة انما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها فى بشرة من بشر بها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب الا أنه اذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة يطلق لفظها فى الشر وهذا ذكره الحريرى فى الدرة قال ابن عزيز البشرى والبشارة أخبار بما يسر وقال تعالى لهم البشرى (اقترحنا) طلبنا واقترحت الشئ فعلته قبل أن يفعل (مؤذنا) معلما (لقى) طريحا (طلقا) فصيحا (محدقين) محلقين وأحدق القوم بالشئ اذا أحاطوا به واحتفوا حوله وحدقوا اى نظروا اليه نظرا شديدا فهم محدقون اليه اى ناظرون والحدقة سواد العين الاعظم و (الاسارير) تكاسير جلد الوجه أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا فجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة المريض اذا دخلت عليه أن تضع يدك على رأسه وتقول كيف أصبحت أو كيف أمسيت واذا دخلت عليه تغمدتك الرحمة واذا خرجت من عنده خضتها مقبلا ومدبرا وأومأ بيديه الى حقويه. أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد المريض خاض الرحمة فاذا جلس عنده انغمس فيها. أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه فى أجله فان ذلك لا يضره شيأ وهو يطيب نفس المريض نفسوا وسعوا عليه بطول عمره ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان يعوده فقال له لولا ان سرورك ما يتم بان تسلم وأسقم أنا لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بمال

وأغذ الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستنشاء أنبائه برز البنا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ فى شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان فى قبضة المرضة وعركة الوعكة الى أن شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه فأفاق من اغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا انزعاجكم فكأن قد غدا وراح وساقاكم الراح فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينامنه لقى ولسانا طلقا وجلسنا محدقين بسريره محدقين الى أساريره

فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادي

(وكتب آخر الى عليل)

نبئت أنك معتل فقلت لهم * نفسي الفداء له من كل محذور
ياليت علته لي غير أن له * أجر العليل وأني غير مأجور

(قوله قلب طرفه) اى حول عينيه ينظرهم (اجتلوا) انظروا ونسب الشعر للساعة لما قيل فيها (عافاني) اى سلمني (تعفيني) تهلكني (من) أنعم (حتف) هلاك (تقضى الاكل) تمامه وآخره (ينسيني) يؤخرني والاصل الهمزة فسهله للشعر (حم) قدر (حيم) صاحب (حمى كليب) هو ابن ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس وكان أعز الناس في العرب وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث ما بلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع الا باذنه واذا جلس لا يمر أحد بين يديه اجلالا له ولا يحتبي أحد في مجلس غيره ولا توقد نار غير ناره ولا يجير تغلبي ولا بكري رجلا ولا يحمي حمى ولا يغير الا باذنه وكان يحمي الصيد فيقول صيد كذا في جواري فلا يصيب أحد منه شيأ وكان قد حمى حمى لا يطؤه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها

يالك من قنبرة بمعمري * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان وكان لمرة وهو من بني بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام فجاءت جساسا خالة له اسمها البسوس التي يقال فيها أشأم من البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب بفصيل لها فدخل الحمى يوما فوجد بيض القبرة قد وطئته سراب فكسرته فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس فقال أوقد بلغ من قدره أن يجير دوني اذني يا غلام ارم ضرعها فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه عن شبيث والاحص غديرين حتى بلغ غدير الذنائب فجاء جساس فقال نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه فقال انا للمياه شاغلون فقال هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها فقال أوقد ذكرتها أما اني لو وجدتها في غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها فعطف عليه جساس فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال يا جساس اسقني ماء فقال تجاوزت شبيثا والاحص واحتز رأسه وأمال يديه وجاء فقالت أخته لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه قال أبوها والله ما خرجتا الا لامر فلما وصله قال ما وراءك يابني قال طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا قال قتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك متم قبل هذا ما بنا الا أن تتشاءم بنا وائل ثم لقي أخاه نضلة فقال

واني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

(فأجابه أخوه نضلة)

فان تك قد جنيت على حربا * فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده أن لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل

فقلب طرفه في الجماعة ثم قال اجتلوها بنت الساعة وأنشد
عافاني الله وشكرا له
من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه
لابد من حتف سيرديني
ما يتناساني ولكنه
الى تقضى الاكل ينسيني
ان حم لم يعن حميم ولا
حمى كليب منه يحميني
وما أبالي أدنا يومه
أم أخر الحين الى حين
فاي فخر في حياة أرى
فيها البلايا ثم تبليني
قال فدعونا له بامتداد الاجل

(ذكر حمى كليب)

فأسرّت اليه الخبر فقال له مهلهل ما قالت لك أمتك فقال زعمت أنّ أخي جساسا قتل كليبا فقال است أختك أضيق من ذلك وتحمل القوم وغدا مهلهل في ثأر أخيه بالخيل واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرة فتكلموا معه في القصاص من جساس واخونه فذهب مرة الى الدية فغضبت تغلب ووقعت في الحرب فدامت بينهم أربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخته رحلي جليلة عن مأتمك فان قيامها شماتة بنا وعار علينا فقالت لها اخرجي يا هذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا فلما رحلت قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت نعرة الحياء وخوف الاعتداء وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته بالهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بينه وبين بكري كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه فسألها فأخبرته فلما أوى الى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة نفط ما بين ثديها من حرارتها فقامت الجارية فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته فقال ثائر ورب الكعبة فلما أصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال له انما أنت ولدي ومني وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا قال نعم ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بسلاحه فأتيا جماعة قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قدموا للعقد أخذ بوسط رمحه وقال وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه ودرعي وزريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم وقد قيل في صورة قتل كليب غير ما ذكرنا وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب وقد نسب شعر القبرة لطرفة وقال النابغة الجعدي وذكر قتل كليب وحذر به عقالا العقيلي

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرّج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم
فقال لجساس أغثني بشربة * تداركها منا علىّ وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو مترسم

الترسم اتباع الماء في قعر البئر يقول اى افتخار في حياة تعرض علىّ فيها الامتحانات ثم بعد هذه المشقات تردني الى الكبر والشيخوخة فلم أبال أدنا الموت أم تأخر اذ المآل الى الهرم القائد الى الموت وأشار بهذا الى قول النمر بن تولب

يودّ الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(والى قول حميد بن ثور)*

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وجاء كفى بالسلامة داء وجاء في أجر البلايا قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ماله خطيئة * أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهوى والبلاء والشهوة معجونة بطينة آدم (قوله ارتداد الوجل) اى ازالة الخوف و (اتقاء الابرام) خشية الثقيل قال بعضهم

(ذكر تخفيف العيادة)

اذا ما عدت محموما فخفف * فتخفيف العيادة خير عاده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا العيادة وأقلوا الجلوس والعيادة يوم * أبو القاسم الوزير بن عيسى قال أنشدني أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد وقد جئته عائدا وأطال قوم عنده الجلوس فقال لي يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا فصرفت من حضر ثم هممت بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع ثم أنشدني عن محمد بن الجهم

لا تضجرن مريضا جئت عائده * ان العيادة يوم اثر يومين
وسله عن حاله وادع الاله له * واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اذا دامت مودته * وكان ذاك صلاحا للخليلين

وقال آخر

عيادة المرء يوم بعد يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمن مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل

مرض يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج ويسأل الحاجب عن منامه وطعامه وشرابه فلما أفاق قال ما عادني الا اسمعيل بن صبيح ودعا له ومن زاد على التخفيف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مرض أخوه محمد بن عبد الله فلم يعده عبيد الله فكتب له محمد

اني وجدت على جفا * ئك من فعالك شاهدا
اني اعتللت فما وجد * ت سوى رسولك عائدا
ولو اعتللت فلم أجد * شيأ اليك مساعدا
لاستشعرت عيني الكرى * حتى أعودك راقدا

*(فأجابه عبيد الله أخوه)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ جمعت طعم الرقاد
يا أخي الحافظ المودة والنا * زل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفرى من الانين فؤادي

ومرض حماد عجرد فعاده أصحابه الا مطيع بن اياس وكان خاصا به فكتب اليه يقول

كفاك عيادتي من كان يرجو * ثواب الله في صلة المريض
فان تحدث لك الايام سقما * يحول جريضه دون القريض
يكن طول التأوه منك عندي * بمنزلة الطنين من البعوض
فنفسي عليك تذوب حزنا * وما دمعي عليك بمستفيض

(ولمحمد بن عبد الله في محبوب له مرض)

أسأل الله منه عافية * تغنيك عن دعوتي وعن جلدك
سقمك ذا الا لعلة عرضت * بل سقم عينيك دب في جسدك

فياهرىض الجفون أحى فتى ، قتلتـه بالجفون لا بيـدك
(وقال آخر فى محبوب له تركت الحمى على فيه أثرا)
يا أولى كيف أنت من ألمك وكيف ماتشتكيه من سقمك
هـذان يومان لى أعدّهما * مذ لم تلح لى بروق مبتسمك
حسدت حالك حين قيل لنا * بانها قبلتك فوق فمك
(وقال العباس بن الاحنف)
قالت مرضت فعدتها فتبرمت * وهى الصحيحة والمريض العائد
والله لو أن القلوب كقلبها ، مارق للولد الضعيف الوالد

(قوله البثوا) اى أقيموا (باض بومكم) اى طوله و باض النهار ضوءه (مناجاتكم) محادثتكم (مغناطيس) حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس (تحرينا) اى قصدنا (تحامينا) تباعدنا (تمخض زبده) تحرك وتجمع فوائده وكنى بالزبد وهو جمع زبدة عن خيار الكلام (نلغى زبده) نترك ما الاخير فيه وزبد الماء ما يعلوه من الرغوة (المقيل) النوم فى وقت القائلة (حامى الوديقة) شديد الحر (يانع الحديقة) ناعم الروضة والحديقة كل بستان محلق بحائط أو زرب (راود) طالب (الآماق) العيون وأصله طرف العين من جهة الانف (والخلب) من يخطب المرأة و (القيلولة) الرقاد فى القائلة و (الآثار) الاحاديث (فلما وقال) يقال قال يقيل قيلولة ومقيلا نام نصف النهار أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم من تسحر وقال وشرب بعد ما يأكل وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لا تقيل ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع فضربه برجله وقال قم لا نامت عيناك تنام فى ساعة يقسم فيها الرزق وانما النوم على احدى خصال خرق أو حمق أو خلق فنومة الحمق بعد العصر لا ينامها الاسكران أو شيطان ونومة الخرق نومة الصبح ونومة الخلق نصف النهار ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بقيلولة النهار على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار (قوله السنة) النوم (الهجود) الرقاد (باخ) سكن حره (تمخضنا) اى تحركنا (ملقى الرحال) موضعها (شبله) ولده (شاكلته) طريقته (شكله) مثله وسكون الشاكلة والشكل واحد او جمع الشكل أشكال وشكول (اخال) أحسب وكنى الجوع أبا عمرة لانه يعمر كل جوف قيل لمدنى أتعرف أبا عمرة قال كيف لا أعرفه وقد تربع فى كبدى وقال الراجز
حل أبو عمرة وسط حجرتى وحل نسج العنكبوت برمتى
(أضرم) أوقد وكنى الخوان وهو المائدة أبا جامع للاجتماع حوله للاكل (وأردفه) جئ به خلفه وكنى الحوارى وهو الدرمك أبا نعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصعاها (الضيم) الذل وجعله صابرا على كل ذل لانه لا يصل من صورة البر الى الخبز الا بعد علاج شديد وتغييره من حال الى حال ، وفسر معنى أبى حبيب بقوله المحبب الى كل لبيب وقوله المقلب بين احراق وتعذيب يريد أن ماولى من الجدى النار وقت شيه احترق ومالم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسال ودكه فذلك تعذيبه (أهب) ادع به وصح به وكنى الخل أبا ثقيف لانه يثقف الطعام

البثوا باض يومكم عندى لتشفوا بالمفاكهة وجدى فان مناجاتكم قوت نفسى ومغناطيس أنسى فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغى زبده الى أن حان وقت المقيل وكلت الالسن من القال والقيل وكان يوما حامى الوديقة يانع الحديقة فقال ان النعاس قد أمال الاعناق وراود الآماق وهو خصم ألد وخلب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المقولة (قال الراوى) فاتبعنا ماقال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة فى الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم قد شاخ فتنكرنا لصلاة الجماعتين وأدينا ما حل من الدين ثم تمخضنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت أبو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال انى لاخال أبا عمرة قد أضرم فى أحشائهم الجمرة فاستدع أبا جامع فانه يشرى كل جائع وأردفه بأبى نعيم الصابر على كل ضيم ثم عزز بأبى حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب وأهب بأبى ثقيف فبذا هو

اى بحذقه فيطيب للآكل (ألف) صاحب وانما قال حبذا هو من صاحب لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل * وكنى الملح أبا عون لانه يستعان به على أكل الطعام وطعام بلا ملح لا يؤكل وقد أشار الى هذا بقوله (فما مثله من عون) * وكنى البقل أبا جميل لانه يحسن بحضرته الادام ويزينه أو لانه يذهب بالجميل وهو ودك اللحم فيخف للآكل وقوله (لجل أى تجميل) أليق بالتفسير الاول ولا يمتنع من الثانى وحدث واثلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحضروا موائدكم البقل فانه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى أبو السمل ابن مالك يعجبنى البقل على المائدة فاذا رأيت السكباج نسيت البقل السكباج لحم خل والسك بالفارسية الخل والباج اللحم * وسمى السكباج بأم القرى لانه من أجل أطعمتهم وأم الشئ معظمه وجليله ومنه أم القرآن الحمد لله وأم القرى لمكة المشرفة وأم الشئ أجله والقرى طعام الضيف فكأنه قال عجل بطعام فاضل يقدم للضيف و(كسرى) ملك الفرس وجعلها تذكر به لانه أول من صنعت له فاستعملها وأمر باجادة الصنعة فى طبخها وقيل ان غيره طبخها واستعملها فى زمن كسرى فنسبت اليه وكنى الجوذابه بأم الفرج وهى خبزة توضع فى التنور ويعلق عليها طير أو لحم فيسيل ودكه فيها ما دامت تطبخ فتفرج عنك هم الادام فلا تحتاج اليه فهى خبز بادامه (افتك بها ولا حرج) أى كلها ولا اثم عليك وان كان اللفظ يعطيك معنى آخر فالمراد به هذا * وكنى الخبيص أبا رزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان غنه ونجعله آخر ما يؤكل والرزين من الرجال الكثير الوقار وقرن به الفالوذج لانه نوع منه قال بعض الطفيلية الحلوا مثل الملك يدخل بيتا فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لاحد فاذا نظروا الى الملك تضايقوا وأوسعوا له وكان عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأله عنه فقيل له هو الفالوذج قال وما هو قيل لباب البر مع العسل النحل فقال ابعوا الى غلاما يصنعه فأتوه به فابتاعه وقدم مكة فصنع له بها الفالوذج فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى ألا من أراد الفالوذج فليحضر فكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت وكان يمتدحه كثيرا فقال فيه

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هادى

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

الى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

ولباب البر خالص القمح ويسمى النشا يلبك يخلط والشهاد العسل والفالوذج الذى رأيت بسجلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار ثم يعقدان بالنشا ثم يلون الكل بالزعفران فيجئ مستغرق الحمرة فيقطع قطعا على قدر أكبر التمر وفى شكله ويؤتى به فى الاعراس بعد الشواء ويؤتى بالخبيص آخرا وخبيصهم فى غاية البياض ليس كخبيص الاندلس ويقرص قرصا على قدر صغار الجبن فى رآها على بعد لم يشك أنها جبن ويعد رجال المائدة ويؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم وأمام كل رجل قرصته فلا يكاد يكملها بالاكل لافراط حلاوتها وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها واستعمال الابل فى السواقى والطواحن ودق السوى لعلفها انهم وعلى ان البربرية

عالبة

من ألِيف وهلم بأبى عون
فما مثله من عون ولو
استحضرت أبا جميل لجل
أى تجميل وحيهل بأم
القرى المذكرة بكسرى
ولا تتناس أم جابر فكم
لها من ذاكر وبادأم الفرج
ثم افتك بها ولا حرج واختم
بأبى رزين فهو مسلاة
كل حزين وان تقرن به أبا
العلاء تمح اسمك من
البخلاء

غالبة على ألسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيرا من ألفاظ أهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة ويسمون البرادة التي لشرب الماء بوقالا وكذا تسمية أهل سجلماسة وجمع البوقال بواقيل قال الحسن بن هانئ

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لي انما التمساح في نيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فلا أرى النيل الا في البواقيل

وكان رأى التمساح أخذ رجلا فهجا النيل والبرادة عندهم آنية من صفر فيها مخاطيف تعلق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد فيها الماء (قوله المرجفين) الطست والابريق لان لهما عند أخذهما صوتا ينفر أحدهما في الآخر فكان ذلك الصوت يرجف أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام أبو بكر الصفار حضر مجنون بالكوفة طعام قوم بجلس بيا كل فجعل الغلام يحرك الطشت والابريق فقال من هذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا * بينما طفيلي يأكل سمع صوت دق الاشنان فامتنع من الاكل فقيل له ألا تأكل قال حتى يسكن هذا الارجاف الذي أسمع ، وقيل لطفيلي مم اصفر وجهك قال من فترة بين قصعتين مخافة أن تكون قد فنيت (استقلال) ارتفاع (حول البين) أي ابل الفراق ويريد بها الموائد لانها اذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول اياك أن تقربهما قبل أن ترتفع الموائد فيسيء الناس للغسل والانصراف فان غسلت الايدي والموائد باقية توهم ان ثم طعاما يستأنف أكله (نزع) زال وتنحى (المراس) غسل الايدي وذلك بعضها ببعض (صافحوا) باشروا والغسول قد تقدم في السابعة (أطف) اجعله يطوف وقد بين لما كناه ابا السرو أنه من فعل السرى من الرجال و (عنوان السرو) دليل المروأة (قوله فقهه) أي فهم (لطائف) دقائق (رموزه) اشاراته الخفية والرمز الاشارة بالشفتين أو العينين (آذنت) اعلمت (أجمعا) عرسا (البديع) العجيب (قمطريرا) مظلما ورجل قمطرير شديد العبوس واقمطر القوم اشتدوا (الصبح والمسي) اسمان لوقت زوال الظلام والضياء (مستنيرا) كثير الضوء و (النوب) النوازل (فرجة) راحة (تجلو الكرب) تزيل الهموم وأنشدوا في هذا المعنى

لا تضيقن في الامور فقد تكـ * ـشف غماؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

كذا أنشدوه فرجة بالفتح والفرجة بالضم في الحائط وشبهه وبالفتح في الامر وانظر هذا البيت في الاربعين في أخبار عمرو بن العلاء (سموم) ريح حارة (نسيما) ريحا لينة (تدى) ابتدأ وظهر (اضمحل) زال (سكب) أمطر (خطب) أمر شديد (لهب النار) اشتعالها بعير دخان وفي هذا المعنى قال أبو نواس

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه

فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك ان تكفى الذي تخشاه

(وقال أيضا)

حسن الظن بمن قد عودك * كل احسان وقوى أودك

ان ربا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حول البين واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا أبا الياس فاطف عليهم أبا السرو فانه عنوان السرو قال ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والنسب الى ان آذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعا على التوديع قلنا له ألم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه قمطريرا ومسيه مستنيرا فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسن عند النوب
من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم
جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تدى
فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه
فما استبان له لهب

(ذكر الفرج بعد الشدة)

(الاسى) الحزن (تفيئته) أى حينه وقال الزبيدى فى الابنية جاء على تفيئة ذلك وتفئته حينه ووقته و (الروح) الرزق والروح السرور والفرح والروح برد نسيم الراحة (اللطائف) جمع لطيفة وهى رفق الله تعالى بعباده واحسانه اليهم واللطيف الرفيق والمحسن وأراد فى البيت ارج فى شدائدك الله فله ألطاف كثيرة لا تحصى بالعدة فبعد العسر يسر وأنشد أبو حاتم فى معنى أبيات المقامة

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
ووطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكساف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منه غوث * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فمقرون بها الفرج القريب

* (قال أبو بكر بن الانبارى أنشدنى اسمعيل القاضى)

لا تعتبن على النوائب * فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه * ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى * ولكل خالصة شوائب
كم فرجة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث تنتظر المصائب

قال القاضى رحمه الله ماعرض لى هم فادح فذكرت تلك الابيات الارجوت من الله الفرج ثم تؤول عاقبة ما أحذره الى فاتحة ما أوثره قال على الكاتب أصبحت يوما مغموما مهموما لا أعرف سببه فجاءنى رجل يظهر حوار واذا فيه

روح فؤادك بالعصى * ترجع الى روح وطيب
لا تيأسن وان ألح الدهر من فرج قريب

قال فزال عنى الهم ووجدت طعم الفرج وحكى الاصمعى رحمه الله تعالى قال بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم أر شخصه

فرج القضاء بكف من * بقضائه نزل البلاء
واصبر فكل شديدة * لابد يتبعها رخاء

* (وقال آخر) *

سوف تبلى كل جده * وستقضى كل مده
انما الدهر عناء * وعوار مستردة
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

* (وقال آخر) *

خف اذا أصبحت ترجو * وارج ان أصبحت خائف
رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

ولطالما طلع الاسى
وعلى تفيئته غرب
فاصبر اذا ما ناب روع
فالزمان أبو العجب
وترج من روح الاله
لطائفا لا تحتسب
قال فاستملينا منه أبياته
الغر ووالينا لله تعالى
الشكر وودعناه مسرورين
ببره مغمورين

(قوله استملينا) كتبنا (الغر) الحسان (والينا) تابعنا (مغمورين) مغطين (بره) افاته

بره *(تفسير ألفاظ ما تضمنته هذه المقامة من كلمات لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية)* (قوله ذات العويم) يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين (والسمهرية) الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح بسوق هجر فنسبت اليهما (وقوله نقضا على نقض) أي مهزولا على مهزول (والجران) باطن العنق وقيل منه بمقدم السياط (وقوله فضرب الله على الآذان) أي أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف أي أنمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع (وقوله تكرعنا الصلاة العجماوين) أي غسلنا أكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء (وقوله هلم) أي قل هلم وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل والافصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم

(بره) احسانه واكرامه و (حيهل) قال ابن الانباري فيها ست لغات قال عبد الله بن مسعود اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ومعناه أقبلوا على ذكر عمر فتسون هلا وتنصبه على المصدر كأنه قال مرحبا به الثاني تفتح حي وهل وتبنيهما كخمسة عشر الثالث تسكن هاء هلا هذه المشبهة لكثرة الحركات الرابع حيهل بتسكينهما جميعا كبخ بخ الخامس حيهل الى عمر أي هلموا الى ذكره السادس حيهل على عمر أي أقبلوا على ذكره

(شرح المقامة العشرين وهي الفارقية)

(يممت) أي قصدت (ميافارقين) بلد ذمنها الى نصيبين ثلاثون فرسخا وميافارقين ديار بكر وهي من كور الجزيرة وكان تملكها سيف الدولة وذكرها المتنبي فقال

نحن لميافارقين ونرحم ... ثنت اعن ذات اليمين كأنها

الفنحديهي سمعت بعض الادباء يقول سميت ميافارقين لان ذا الرمة أو غيره من العشاق لو وصل اليها لانتفاق وشاهد وجوه أهلها الملاح والعيون السقيمة الصحاح وعاين رشاقة القدود ولباقة الخدود وسواد الطرر وبياض الغرر وسمرة الشفاه اللعس وحمرة الوجنات والجباه الملس لقال لصاحبته ميافارقيني ولاتراتيني فلا يجوز التيمم مع وجود الماء ولا حاجة الى الدواء بعد البرء والشفاء (قوله يمارون) أي يجادلون ويخالفون (المناجاة) المحادثة (المداجاة) المساترة بالعداوة (لم يرم) لم يزل يقال ما رامني ولا يريمني أي لم يبرح عني ولا رال ولا يقال الامنفيا (وجاره) بلده وأصله الجحر (ظعن) رحل (ألفه) صاحبه (الاكوار) الرحال (الاوكار) البيوت يريد انهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن فتركوا النقلة وأقاموا في البيوت (تناهينا) نهى بعضنا بعضا (ناديا) مجلسا (نعتمره طرفي النهار) أي نجلس فيه بالغدو والعشي (طرف) غرائب (السلك) خيط النظام و (انتظمنا) اجتمعنا فيه (الالتئام) الاتفاق (جري) يقال للسان جري متقدم على الكلام (جرس) صوت (جهوري) عال (نفاث) ساحر و (العقد) ما يعقدها السحرة وينفثون عليها

وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجمع هلممن (وقوله حيهل) أي عجل وأسرع يقال حيهل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وفي حيهل لغات أخر أضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية (فأبو يحيى) كنية الموت و (أبو عمرة) كنية الجوع ويكنى أيضا أبا مالك و (أبو جامع) الخوان و (أبو نعيم) الخبز الحواري و (أبو حبيب)

الجدي و (أبو ثقيف) الخل و (أبو عون) الملح و (أبو جميل) البقل و (أم القرى) السكباج و (أم جابر) الهريسة و (أم الفرج) الجوذاب و (أبو رزين) الخبيص و (أبو العلاء) الفالوذق و (أبو اياس) الغسول و (المرحفان) الطست والابريق و (أبو السرو) البخور *(المقامة العشرون الفارقية)* (حكى الحرث بن همام) قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ماطعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن ألفه وجاره فلما أنخنا مطايا التسيار وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن به في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد

قناص للاسد والنقد ثم قال
عندي يا قوم حديث عجيب
فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في ريعان عمري أخا
بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من
يوقن بالقتل ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته
حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى
عن موقف الطعن بزمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا
مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسموله
نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها
يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه
وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتره دهره
ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى
يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقي تحليل ما *
به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصار منه *
من بعدما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه
ومن نعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن
يرغب في تكفين ميت غريب

بالبصاق (قناص) صائد (النقد) غنم صغار و (اللبيب والاريب) كلاهما بمعنى العاقل (ريعان) أول (أخا باس) صاحب شدة (الحسام القضيب) السيف القاطع (المعرك) موضع القتال وأراد بفروج الابكار (القتل) سفك الدم وهو أيضا ركوب الرجل ماهم به (كرات) دفعات ورجعات (ضنكا) ضيقا (رحيب) واسع (بارز) قاتل (الاقران) الامثال في الشدة وغيرها (انثنى) رجع (خضيب) مخضوب يريد أيضا اقتضاض الابكار (سما) ارتفع وقام (مسيع) أي صعب ممنوع (مهيب) مخوف (يميس) يتبختر (يرتشف) يقبل ويمص ريقهن والترشف المص الكثير و (الغيد) جمع غيداء وهي اللينة المفاصل من النعمة وقيل المائلة العنق في نعمة (يبتره) يجرده و (البطش) القوة والتناول الشديد (صليب) قوي شديد (لقى) طريحا (يعافه) يستثقله ويكرهه (تحليل) اذهاب وازالة وتحلل الداء ذهب شيأ فشيأ (أعيا) غلب (صارم) قاطع (البيض) النساء الحسان (المجاب) الذي تجيبه النساء لحاجته منهن و (المجيب) الذي يجيبهن لحاجتهن منه (آض) رجع (المنكوس) المردود الى حالته الاولى من الضعف وأشار الى قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فرده الى الحالة الاولى وهذا هو النكس في الخلق والنكس في المرض أن يمرض ثم يبرأ ثم يمرض والنكس في السهام ان ينكسر السهم فيجعل في الجعبة محولا الكسر الى فوق فاذا أدخل الرامي يده في الجعبة ليأخذ سهما فوجده محولا تركه وأخذ غيره (دواهي المشيب) حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك * وتذكر ها من الادب ما يليق بالموضع * دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجدني قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد واشتد مني ما كنت أحب أن يلين وابيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود مني ما كنت أحب ان يبيض ثم أنشأ يقول

سلني أنبئك بآيات الكبر نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الطعم اذا الزاد حضر * وتركك الحسناء من قبل الطهر
* والناس يبلون كما تبلى الشجر *

ثم قال ألا أخبركم بجيد العنب هو ما روى عموده واخضر عوده وتفرق عنقوده ألا أخبركم بجيد الرطب هو ما كبر لحاه وصغر نواه ورق سحاه وفي الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وقال ابن أبي معن

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

(قوله مسجى) أي مغطى ووصف في أول الشعر ذكره بالشدة وفي آخره باللين * وأذكر من الصفتين ما يكون من شرط ما ذكر * حكى أبو زياد الكلبي قال كان عندنا أبو العريب شيخا فتزوج ولم يولم فاجتمعنا على باب خبائه فصحنا أولم ولو بيربوع أو بقرد مجذوع قتلتنا من الجوع فاولم فلما عرس غدونا عليه فقلنا

يا ليت شعري عن أبي الغريب * اذبات في مجاسد وطيب
معانقا للرشا الربيب * أأخذ الحفار في القليب
* أم كان رخوا يابس القضيب *

فصاح يابس القضيب والله ثم أنشأ يقول

سقيا لعهد خليل كان يأدم لى * زادى ويذهب عن زوجاتى الغضب
كان الخليل فأضحى قد تخونه * مر الزمان وتطعانى به الثقب
يا صاح أبلغ ذوى الزوجات كلهم * أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب

والقوافى وقعت فى لفظ يعقوب موقوفة وعرا الذنب عروق الذكر وكان أبو البيداء الاعرابى عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه زوجونى امرأتين فيقولون أما فى واحدة كفاية فيقول أما لى فلا فزوجوه اعرابية وقالوا له ان كفتك والا زوجناك الاخرى فدخل بها وأقام عليها أسبوعا فزاره اخوانه فى اليوم السابع فقالوا له يا أبا البيداء ما كان من أمرك فى اليوم الاول فقال عظيم جدا فقالوا ففى اليوم الثانى فقال أعظم وأجل قالوا ففى اليوم الثالث قال لا تسألوا فقالت امرأته من وراء الستر

كان أبو البيداء ينزو فى الوهق * حتى اذا ما حل فى بيت أفق
فيه غزال حسن الدل خرق * مارسه حتى اذا ارفض العرق
* تكسر المفتاح وانسد الغلق *

الوهق حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة والافق الجيد ينزو يمتد ويقصر * تزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع فعجز عنها فقال

يا لهف نفسى على نعظ فجعت به * حين التقى الركب المحلوق والركب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية فنظرها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لى ألف حر ما طمعت فى واحد قال ولم يا لخناء قالت لقبح منظرك وسوء مخبرك فيما أرى فقال لها أما والله لو خبرتنى لغفر مخبرى على منظرى ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر فكشفت له عن مثل سنام البعير فتسمها وقال

أدخلت فيها كذراع البكر * مدملج الرأس شديد الاسر
زاد على شبر ونصف شبر * كأنما أولجته فى جحر

* وسمع بشار كلام امرأة فأحبها وأرسل لها ان تواصله وألح عليها فقالت لرسوله أى معنى له فى أولى فيه وهو أعمى لا يرانى فيعرف جمالى وهو قبيح الوجه لا حظ لى فيه فليت شعرى لاى شئ يطلب وصال مثلى فأدى اليه الرسول كلامها فقال عد اليها فقل لها

ايرى له فصل على آيارهم * واذا أشط سجدن غير أواب
تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب
وكأن هامة رأسه بطيخة * حملت الى ملك بدجلة جاب

* وعشق امرأة وتردد رسوله اليها حتى أبرمها فشكته الى زوجها فقال أجيبيه وعديه الى هنا ففعلت ووجهت له فجاء ولم يعرف بزوجها فقال لها ما اسمك بأبى أنت وأمى فقالت أمامة فقال

أمامة قد وصفت لنا بحسن * وانا لا نراك فالمسينا

فوضعت يده على اير زوجها وقد أنعظ لحسن حديثها معه ففرع ووثب قائما وقال

على ألية ما عشت حيا * أمسك طائعا الا بعود

ولا أهدى لأرض أنت فيها * سلام الله الا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفى * على ايرأشد من الحديد
فخيرمنك من لاخير فيه * وخير من زيارتكم قعودى

فقبض زوجها عليه وقال هممت أن أفضحك فقال كفانى فديتك مافعلت بى والله لا اعود لمثلها ابداء سمع الحكم بن عبدل امرأة تمثل بقوله

واعسر احيانا فتشتد عسرتى . فادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

فقال لها يا أخية اتعرفين قائل هذا الكلام قالت هو ابن عبدل قال أفتعرفينه عيانا فقالت لا والله فقال انا هو والذى أقول

وانعظ أحيانا فينقد جلده * وأعذله جهدى فلا ينفع العذل
وأزداد نعظا حين أسمع جارتى * فاوثقه كى ماينوب له عقل
وربتما الم ادرما حيلتى به * اذا هو آذانى وغرّ به الجهل
فأوفيه فى بطن لجارى وجارتى * مكابرة قرما وان رغم الفحل

فقالت المرأة بئس الجار والله للمغيبة أنت قال إى والله وللتى معها زوجها وابنها واخوها أين قول هذا على اسلامه من قول عنترة على جاهليته

وأغض طرفى مابدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى ماواها
انى امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

(وقال أبو الرقعمق)

كل يوم انامن فعلى فى امر عجاب ليس يخليني من همّ وحزن واكتئاب
عينه فى كل من دبّ على وجه التراب لم يدع لى ذهبا الا رماه بالذهاب
وابتدى المشؤم ان يعمل فى بيع الثياب لعنة الله عليه * وبراغيث الكلاب

وللمفجع البصرى فى ضد ماتقدم والمفجع صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة فى الاملاء

لى أير أراحنى الله منه * صار همى به عريضا طويلا
نام اذزارنى الحبيب عنادا * ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة على الحينى * وانصرفنا وماشفينا غليلا

(وللراشد بن اسحق)

طالما قت كالمنارة تهتز اهتزازا تسمو اليه العيون
رب يوم رفعت فيه ثيابى * فكأنى فى مشيتى مختون
خنت قوسك الخطوب وأفنت * لك فنون تفنى عليها الفنون
لم يدع منك حادث الدهر الا * جلدة كالرشاء فيها غضون
تتثنى كأنها صولجان * أوكما عرفت من الخط نون

وله أيضا فيه
كأنه حين أطويه وأنشره * سير يلف على دوامه الزيق
وان يقم قلت قناة معنفقة * أوعروة ركبت فى رأس ابريق

وله أيضا فيه
أيرضعيف المتن رث القوى * لوشئت أن أعقده لانعقد

ان يمس كالبقلة في لينها * فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضا فيه

ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات ما يحس بها الكف

كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

* الفضيحي يحيى سمعت الحافظ أبا جعفر المروزي يقول مازحت شيخنا نجيب بن ميمون الواسطي يوما وكان شيخا دمناظر بنا فقلت له أخبرني هل بقي من سلطان الهوى شئ وهل تقوم المخدمة العكازة الميمونية فقال آه آه ثم أنشد

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وأنشد أيضا يقوم في الليل عند البول منحنيا * كأنه قوس نداف بلا وتر

ولا يقوم اذا نبهته سحرا * كما تقوم أيور الناس في السحر

ثم بكى بكاء شديدا وذكرنا وعظنا وهذه الابيات المنسوبة لراشد بن اسحق كلها من قصائده له مطولة في هذا الفن وأكثر شعره فيه وله فيه شعر كثير ومنه انتزع الحريري قصيدته في هذه المقامة (قوله أعلن) أي رفع صوته و (النحيب) البكاء وفي بكاء المحب على الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى

أتتني تؤنبني في البكاء * فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفي قولها حكمة * أتبكي بعين تراني بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت البكاء بتأديبها

(قوله رقأت) أي انقطعت (انفثات) انكسرت وسكنت (لوعته) حرقته (النجعة) المرعى (الرواد) الطالبون لها (بهتان) باطل (عيان) معاينة (قوله في عصاي سير) مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة والسير الشراك يدخل في ثقب في رأس العصا ويعقد منه حلقة يدخل فيها يده التي تمسك العصا فتكون أشد لاعتماده عليها وضربه بها فجعل عصاه عاطلة من سيرها وهو يريد أن لا منفعة عنده وأنشدوا

يا لك من همة وخير * لو كان لي في عصاي سير

صبرا على النائبات صبرا * ما يصنع الله فهو خير

فمن قليل بدا كثير * كم مطر بدؤه مطير

وذكر الجاحظ فوائد العصا فنها سئل يونس عن قول الله عز وجل ولي فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة اليها من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكأ عليها الكبير والسقيم والاقطع والاعرج والخطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهي للقصار والدباغ وهي معاد للملة ومحراك للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر وللشرطي والمكارى وللراعي غنمه وللراكب مركبه وتدق الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وان شئت مظلة وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك والثاني في يد صاحبك وان كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطردا وان زدت شيأ كانت رمحا وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه وكانت لا تفارق يد سليمان عليه الصلاة والسلام في مقاماته حتى سلط الله

ثم انه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاي سير

عليها الارضة وهو ميت فسقط فكانت للجن آية * وكان الحكم بن عبدل اعرج احدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بابواب الملوك فلا يؤذن لهم وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا يؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل

عصا حكم فى الباب أول داخل * ونحن على الابواب نقصى ونحجب
وكانت عصى موسى لفرعون آية * وهذى لعمر الله أدهى واعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر امرها * ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة وصارت ضحكة فاجتنب أن يكتب عليها وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى بن علبة وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة الى منزل بعض اخوانهما وابن عبدل يحمل والاعمى يقاد فلقيهما صاحب العسس فأخذهما وحبسهما فنظر ابن عبدل الى عصا ابن علبة فى الحبس الى جانب عصاه فضحك وقال

حبسى وحبسك يا ابن علـ * ـبة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا اليدان
يا من رأى ضب الفلا * ة قعيسد موت فى مكان
طرفى وطرفك يا ابن علـ * ـبة بيننا متوافقان
من يفتخر بجواده * فجوادنا عكازتان

(وقال أيضا)

أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونوحى به نوم الاسير المقيد
أعنى على حفظ النجوم ورعيها * أعنك على تحبير شعر مقصد
ففى حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب من ذا حبس أعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه * ينخ سريعا أو على الكف يسجد
فعكازة تهدى الى السبل أهلها * وأخرى مع الرجلين قامت مع اليد

وولى امرة الكوفة أعرج وولى شرطتها أعرج فقصد الامير ابن عبدل وهو أعرج ووجد سائسا أعرج فقال

ألق العصا ودع التخامع والتمس * عملا فهذى دولة العرجان
لاميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا * وأنا فان الرابع الشيطان

فبعث اليه الامير بمائتى درهم فضة وسأله ان يكف وكثيرا ما تصرف الشعراء فى ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم فنها ما يحسن ومنها ما يقبح وقال ابن سارة

ولى عصا من طريق الذم أحمدها * بها أقدم فى تأخيرها قدمى
كأنها وهى فى كفى أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمى
كأننى قوس رام وهى لى وتر * أرمى عليها سهام الشيب والهرم

(وقال ابو بكر الباوى)

كأن يمينى حين حاولت بسطها * لتوديع الفى والهوى يصرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

قال ابن رشيق كنت أميل الى قينة اسمها ليلى فعشقها بعض خدام الحصون وكان يحسب خدمتها وكنسها منزلة لا يثلم جاه متوليها فنهيته عنها فلم ينته فقلت فيه

ظن أن الحصون ملك سليما * ن وليلى بجهله بلقيسا
وله في العصا مآرب أخرى * حاش لله أن تكون لموسى

(وقال الصابي)

يبدى اللواط مغالطا وبحانه * أبدا الاغراض الورى يستهدف
فكأنه ثعبان موسى اذ غدا * لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال الصاحب هذا ابن متوية له آية * يبتلع الاير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعا سوى * موسى بن عمران لاجل العصا

وقال أبو الفرج الاصبهاني في القاضي الاندنجي والتمس منه عكازة فلم يعطها اياه

اسمع حديثي تسمع آية عجبا * لا شئ أعجب منه يبهر القصصا
طلبت عكازة للرجل تحملني * ورمتها عند من يخفى العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب * ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان سقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأما قول الشاعر

ويكفيك أن لا يرحل الضيف لائما * عصا العبد والبئر التى لا تهينها

فقال يعقوب البئر هنا حفرة تجعل فيها الملة وتجعل عليها الخبزة والعصا تلبب بها الخبزة على الملة وينفض بها الرماد وقال آخر

اذا جاء ثقاف يجر قناته * طويل العصا نكبته عن شياهنا

فالثقاف الرسول بين المريب والمريبة يأتى كالسائل فاذا وقف ثقف الارض بعصاه فاذا سمعت المرأة ذلك خرجت اليه فابلغها الرسالة فنقفه علامة بينهما وأراد بالشياه النساء (قوله غيبى) أي سحابي (مطير) تصغير مطر أي لو كان لى قوة ومال لاستأثرت بذلك نفسى (استأثرت) اختصصت (جناح) اثم (يأتمرون) يتشاورون (يتخافتون) يتكلمون سرا (فيما يأتون) أي فيما يفعلون معه (توهم) ظن (صرفه) رده (حرمان) خيبة (برهان) حجة (فرط) سبق (يلامع) جمع يلمع وهو السراب (القاع) منخفض الارض (يرامع) جمع يرمع وهي الحصى البيض وقيل الحجارة الرخوة (البقاع) جمع بقعة وأراد أن لهم ظاهرا وليس لهم خبرة كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له واليرمع تظنه فضة وهو حجر (الارتياء) تدبير الرأي وأصله الهمز لانه من الرأي (استوهبتم) طلبت منكم هبة (بردة) ثوب يلبس (هززتم) حركتم (البيت) الكعبة (اف) خيبة وقد تقدم ان الصخرة والحصاة يكنى بهما عن يد البخيل (ذلاقته) حدة لسانه (رفاه) وصله (والطل والسيل) هنا القليل والكثير (سيبهم) عطاؤهم (وحق) وجب (التاسى) الاقتداء (خلجت) جذبت وأخرجت (الخنصر) الاصغر من الاصابع ويليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى

ولغيبى مطير لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح (قال الراوى) فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم انهم يتمالؤن على صرفه بحرمان او مطالبته ببرهان ففرط منه ان قال يا يلامع القاع ويرامع البقاع ما هذا الارتياء الذى يأباه الحياء حتى كأنكم كلفتم مشقة لا شقة اواستوهبتم بلدة لا بردة او هززتم لكسوة البيت لا لتكفين الميت أف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله (قال الحرث بن همام) وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتبيا بظهرى عن طرفى فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق على التاسى بهم خلجت خاتمي من خنصرى

المسبحة والمشيرة ثم الابهام وقال أبو العلاء المعرى

شغلت عن الرعى خمسه اثنتين نخصهما المفخر
يشار السك بسبابة * وتثنى على فضلك الخنصر
فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعريت البنصر

وقال صريع الغوانى يلغز بخاتم

وأبيض أما رأسه فمدور * نقى وأما جسمه فعار
ولم يتخذ الالتسكن وسطه * خضيبة رأس ماعليه خمار
لها أخوات أربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

ولفت اليه بصرى فاذا هو شيخنا السروجى بلا فرية ولا مرية فأيقنت انها أكذوبة تكلفها واحبولة نصبها الا انى طويته على غره وصنت شعاه عن فره وقلت حصبته بالخاتم فقال ارصده لنفقة المأتم فقال واهالك فما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما فنزعت الى عرفان ميته وامتحان دعوى جميته فقرعت ظنبوبى وألهبت ألهوبى حتى ادركته على غلوة

(لفت) رددت (فرية) كذب (مرية) شك وتقول بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها أى أحاديث كذب (تكلفها) استفعلها (أحبولة) آلة يصاد بها و(طويته على غره) أى سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل والغر بالنقط كسور الثوب يقال اطو الثوب على غره أى على كسوره طيه الاول * جابر قال النبى صلى الله عليه وسلم طى الثوب براحته (صنت) حفظت وكتمت (شعاه) عيبه (فره) كشفه والشغا بروزسن على اخواتها وخروج الحنك الاعلى على الاسفل (حصبته) رميته والحصباء الحصى الصغار وحصبته رميته بالحصباء فاستعاره للخاتم (أرصده) أعده (واها) عجبا (ما أضرم شعلتك) أى ما أكرك وقد ذهنك والشعلة لسان النار وانما تعجب منه لانه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرفه بكره حين قال له أرصده ثم ستر عليه وأهل الشرق يختمون ويتصدقون بخواتمهم وفى البديعية بعد تشك تقدم من أبى الفتح قال ابن هشام فوالله ما آنسنى عن وحدتى الا خاتم ختمت به خنصره فلما تناوله انشأ يقول

ومنطق من نفسه * بقلادة الجوزاء حسنا
متألف من غير أسرته على الايام خدنا
كمتيم لقى الحبيب فضمه شغفا وحزنا
علق سنى قدره * لكن من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * فى المجد لفظا كنت معنى

قال فتبعته حتى سفرت الخلوة وجهها فاذا والله أبو الفتح والطلا زغب اوله فقلت أبا الفتح شبت وشب العلام فاين الكلام وأين السلام فقال

غريبا اذا جمعتنا الطريق * الوفا اذا انظمتنا الخيام

(قوله يسعى) أى يسرع المشى (قدما) أى قدامه وقبالته (يهرول) يسرع والهرولة تجرى بين المشى والعدو (قدما) أى قديما وأولا ومعناها كما فعل فى أول مرة حين سعى قدما (نزعت) اشتقت (امتحان) تجربة (قرعت) ضربت (ظنبوب) مقدم عظم الساق ويقال قرع لهذا الامر ظنبوبه اذا أسرع وجد فيه ويبينه قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

أى كانت اغاثتنا له اسراعنا فى نصرته (الهبت) اشعلت (الهوبى) شدة جريى و(الغلوة) مقدار

رمية السهم (اجتليته) نظرته (بجمع اردانه) أى بجمع اطراف ثوبه (عقته) صرفته عن وجهه (سنن) طريق (ميسدانه) موضع جريه وطلقه (ملجأ) موضع يلجأ اليه (منجا) موضع تنجو فيه (غرموله) ذكره (قاتلك الله) اى قتلك الله وا كثر ما يقع فاعلت عن الاثنين وقد يكون عن الواحد نحو ناولت وسافرت وقيل معنى قاتله لعنه وقيل عاداه (النهى) العقول واحدها نهية ومنه نهيته عن كذا فانتهى و (اللها) العطايا واحدها لهوة واصلها القبضة من الطعام تجعل فى فم الرحا (يكذب) يحدث بالكذب (يبرقش) يزين والبرقشة التزيين بألوان شتى (وريت) يقال وريت الخبر او ريه تورية سترته واظهرت غيره وفى الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا ورى بغيره وهو مأخوذ من الوراء كأنه جعل الخبر وراءه ولم يظهره (راءيت) استعملت الرياء يريد انه صرح لهم بذكر العورة ولم يكن عنها (فقهقهوا) اكثروا الضحك * ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله (من كيت وكيت) اى من هذه القصة التى اسمعهم وكيت وكيت كناية عن الحديث المدمج المداخل والله اعلم

(شرح المقامة الحادية والعشرين وهى الرازية)

(عنيت) أى شغلت (أحكمت) أتقنت (قبيلى من دبيرى) أى ما أقبل عليه من أمرى وما أدبر عنه * ابن الانبارى ما يعرف قبيلا من دبير أى ما يعرف الاقبال من الادبار أى ما يعرف ما أقبل به من القبل الى الصدر مما أدبر عنه وقيل معناه ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة والمقابلة التى شق أذنها الى قدام والمدابرة التى شق أذنها من مؤخرها وترك ما قطع معلقا الى خلف لا يبين (أصغى) أميل (العظات) هى المواعظ (ألغى) أترك (الكلم) جمع كلمة (المحفظات) المغضبات (أتحلى) أتزين وأتصف (وأتخلى) ازول وأفرغ وتخليت من كذا تركته (يسم) يجعل سمة (الاخلاق) العيوب وتمزيق العرض وأصله فى الثوب (أخمد) أسكن و (التطبع) له فى الطبيعة أثر وان لم تذهب الطبيعة بالجملة لانه اتفقت العرب والعجم على قولهم الطبع أملك وكان ملك من ملوك الفرس له وزير مجرب حازم فكان يعرف اليمن فى مشورته فهلك وقام ابنه بعده فلم يرفع به رأسا فذكر له مكانته من أبيه فقال كان أبى يغلط فيه وسأريكم ذلك فاحضره وقال له أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة فقال الطبيعة لانها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا الملك بسفرة فوضعت وأقبلت سنانير بايديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال له اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فقال له أمهلنى فى الجواب الى الليلة المقبلة فقال لك ذلك فخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة فساقها حية فربطها بخيط وعقدها فى سبنية فلما راح الى الملك وضعها فى كمه ودخل فأحضر السفرة والسنانير فالقى لها الوزير الفأرة فاستبقت السنانير اليها وتطاير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال للملك كيف رأيت غلبة الطبع للادب قال صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه وقال ذو الاصبع

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

وقال المتنبي

أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه ~ فما طلبي منها حبيبا ترده

واجتليته فى خلوة فأخذت بجمع اردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له والله مالك منى ملجأ ولا منجا او تريني ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما العبك بالنهى واحيلك على اللها ثم عدت الى اصحابى عود الرائد الذى لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله فأخبرتهم بالذى رأيت وماوريت ولاراءيت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

(المقامة الحادية والعشرون الرازية)

(حدث الحرث بن همام) قال عنيت مذ أحكمت تدبيرى وعرفت قبيلى من دبيرى بأن أصغى الى العظات وألغى الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق وأتخلى مما يسم بالاخلاق ومازلت آخذ نفسى بهذا الادب وأخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا

وأيسر مفعول فعلت تغيرا * تكلف شيء في طباعك ضده

(وقال العرجي)

يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق

ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وقال المتنبي أيضا يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقال الشريف هيهات لا يتكلفن الى الهوى * فضح التطبع شيمة المطبوع

(وقال ابن طاهر الاندلسي)

نقل الطباع من الانسان ممتنع * صعب اذا رامه من ليس من أربه

يريد شيأ وتأباه طبائعه * والطبع أملك للانسان من أدبه

فلما حللت بالري وقد حللت حبا الغي وعرفت الحي من اللي رأيتها ذات بكرة زمرة في اثر زمرة وهم متشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحاولون ابن سمعون دونه

فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر حتى انقادت له الى ما يريد والتطبع استعمال غير ما في طبعك والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه الا بمشقة (قوله فلما حللت بالري) الري أرض على جادة خراسان واسم مدينة الري المهدية سميت بهذا الاسم لان المهدي تولاها في خلافة المنصور لما توجه الى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي وبها ولد الرشيد والمهدي أقام بها عدة سنين فشيد بناءها وأتقنه وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد وأهل الري أخلاط من العرب والعجم قليل فيها وافتتحها قرظ بن كعب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة وبها واد عظيم يأتي من بلاد الديلم يقال له نهر عيسى ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجناته وأشجاره وله رساتيق وأقاليم ونسب اليها الرازي وهو من شاذ النسب وكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ما يقعمك بأرض الفراعنة والجبابرة سر الى خراسان أرض الفضة والعقبان والجواري الحسان وتقدم الحبا و (الغي) الضلال * والعرب تقول ما يعرف الحي من اللي والحو من اللو تقوله لمن تستجهله وتنفي عنه الفطنة وتصريفها ان الحي مصدر حويت الشيء حزته وجمعته ولويت الرجل مطلته ومنعته حقه لوا وليا ولويا فالحي مدح واللي ذم فكأنه اذا قال عرفت الحي من اللي انما قال عرفت الخير من الشر وما يضر مما ينفع وعرفت الحي من اللي وقبلي من دبري انما يستعملان في النفي وتجوز أبو محمد في استعمالهما في الايجاب حيث كان أصلا للنفي (الزمرة) الجماعة وتقول فلان أثر فلان أي خلفه وقريبا منه كأنه يتبع أثره اذا رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه في الموضع (متشرون) متفرقون (مستنون) جارون (متواصفون) يصفه بعضهم لبعض (ابن سمعون) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل بن عيسى بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ وكان وحيد عصره وفريد دهره في الاخبار عما يجس في الافكار وليا من الاولياء الاخيار كلامه في الوعظ نافع ونصحه في القلوب ناجع ومجاله في تصاريف الكلام على الخواطر رحب واسع وكان يقال له الشيخ المنطق بالحكمة وحدث أبو الطاهر محمد بن علي العلاف قال حضرت ابن سمعون يوما وهو في مجلس الوعظ على كرسيه وكان أبو الفتح القواس جالسا الى جنب الكرسي فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومك فقال نعم فقال

أبو الحسن لذلك أمسكت عن الكلام خوفا ان تنزعج وتنقطع عن الكلام الذى كنت فيه

*وذكر أبو على الهاشمى قال حكى لى مولى الطائع لله تعالى قال أمرنى الطائع أن أوجه الى ابن سمعون فأحضره دار الخلافة ورأيت الطائع على صفة من الغضب وكان يتقى فى تلك الحال لانه كان ذا حدة فبعثت الى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لاجله فلما حضر أعلمت الطائع حضوره فجلس مجلسه وأذن له فى الدخول فسلم عليه بالخلافة ثم أخذ فى وعظه فأول ما ابتدأ به ان قال روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر خبرا ولم يزل يجرى فى ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه وابتل منديله بين يديه بدموعه فأمسك ابن سمعون حينئذ ودفع الى درجا فيه طيب وغيره فدفعته اليه وانصرف وعدت الى الطائع وقلت يا مولاى رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون ثم انتقلت عنها عند حضوره فما السبب فقال رفع الى أنه ينتقص عليا رضى الله عنه فأحببت أن أتيقن ذلك فان صح منه قتلته فلما حضر بين يدى افتتح كلامه بذكره والصلاة عليه وأعاد فى ذلك وأبدى وقد كان له مندوحة فى الرواية عن غيره وترك الابتداء به فعلمت انه وفق لما تزول به عنه المظنة وتبرأ ساحته عندى ولعله كوشف بذلك وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث متصلة الاسانيد ومن كلامه ان القلب بمنزلة المرآة فاذا أصابتها الطخية عولجت بالزيت فاذا ازدادت زيد فيها من حتات الآجر فاذا ازدادت جليت بالحديد فاذا ازدادت على ذلك حتى ركبها الصدأ لم يكن لها بد من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها وتوفى ابن سمعون فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن بداره بشارع العباسى فلم يزل هنالك حتى نقل يوم الخميس الحادى عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد وقيل ان أكفانه لم تكن بليت بعد (قوله يتكاءدنى) أى يشق على (أقاصى) اباعد (اللاغط) الصائح بكلام لا يفهم و(الضاغط) الذى اذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك يريد انه لم يمنعه ما أصابه من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الواعظ ويبين هذا قوله فى الحسن ولم أزل أتنقل فى المراكز وأغضى للاكز والواكز (أصحبت) انقدت (المطواعة) المقادين المطاوعين (والانخراط) دخول الانسان فى الامر بغير علم وتقدم السلك (أفضينا) وصلنا وأراد ان هذا المجلس جمع العامة والامير ومن له ذكر رفيع وشهرة ومن هو مجهول مخمول وأراد بالهالة حلقة الناس وبالاهلة أشراف الناس والعلماء وحرك السين من وسط مع الهالة لانها دارة وساحة والعرب تقول فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك وسكن مع الاهلة لانه أراد معنى بين والعرب تقول جلس وسط القوم فحماوه على بين لما حل محلها وكان فى معناها ولا يجوز جلس بين الدار فلهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين (تقوس) انحنى (اقعنسس) تقبض واحدودب والقعس دخول الظهر وخروج الصدر والحدب ضده وبينه الراجز بقوله اقعس يمشى مشية التقاعس (تقلنس) لبس القلنسوة (تطلس) لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص (يصدع) يشق (قوله ما أغرك) ما أكثر لصوقك (بعرك) يدلك على الغرور (أضرك) أشد ملازمتك (ألهجك) أشد حبك (يطغيك) يردك طاغيا متجاوزا قدرك (أبهجك) أشد سرورك (يطريك) يمدحك فى وجهك والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها ويثنى عليها فرارة ممن يحقرها ويذمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا

فلم يتكاءدنى لاستماع المواعظ واختبار الواعظ أن أقاصى اللاغط وأحتمل الضاغط فأصحبت أصحاب المطواعة وانخرطت فى سلك الجماعة حتى أفضينا الى ناد جمع الامير والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفى وسط هالته ووسط أهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفى الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول ابن آدم ما أغرك بما يغرك وأضرك بما يضرك وألهجك بما يطغيك وأبهجك بمن يطريك

التراب فى وجوه المداحين تذليلا لهم بذلك حيث اكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر قال الشاعر وخدعته بخديعة لما أبى * والحر يخدع بالكلام الطيب

(تعنى) تشتغل (يعنيك) يتعبك (تنزع) ترمى (تعديك) طلك (الحرص) أسوأ الطمع (يرديك) يهلكك * كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لهامن حرص المرء على المال والسرف لدينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة ولا تزداد الناس الا حرصا على الدنيا ولا تزداد منهم الا بعدا وقال محمود الوراق

كم الى كم أنت للحر ، ص وللآمال عبد

ليس يجدى الحرص والسعى اذا لم يك جد

* مالما قدره الله من الامر مرد

وفى كتاب للهند لا ينبغى للملتمس من عيشه الا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه وماسوى ذلك فانما هو زيادة فى غمه وقالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى وقال أبو دؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه يابنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه وقال الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس قال ابن أبى حازم رحمه الله تعالى

استغن بالله لا تضرع الى الناس ، واقنع بياس فان العز فى الياس

واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ان الغنى من استغنى عن الناس

ومن دعاء عمر رضى الله عنه اللهم لا تكثر لى من الدنيا فاطغى ولا تقلل لى منها فانسى فانه ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وقالوا ثمرة القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب وقالوا لاغنى الا غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع يا ابن آدم اذا أصبحت آمنا فى سربك معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وقيل لابى حازم ما مالك فقال مالان الغنى بما فى يدى واليأس مما فى أيدى الناس وقيل لآخر ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن ومما قيل من الشعر فى معنى ما تقدم قال محمود الوراق

ياعائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر

أنك تعصى الله تبغى الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومن سره أن لا يرى مايسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جازبه الحدا

(وقال البحترى)

اذا ما كان عندى قوت يوم * طرحت الهم عنى ياسعيد

تعنى بما يعنيك وتهمل مايعنيك وتنزع فى قوس تعديك وترتدى الحرص الذى يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع

ولم تخطر هموم غد ببالي * لان غد اله رزق جديد

(وقال طباطبا)*

ان في نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد ضد السرف
كسراج دهنه عمر له * فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر
واذا نبابى منزل جاوزته * واعتضت منه غيره لى منزلا
واذا غلاشئ على تركته فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(قوله ولا بالوعيد ترتدع) أى لا تكف عن غيك ولا ضلالك بما تخوف به من أهوال الآخرة (دأبك) أى عادتك (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه النفس وتميل اليه (تخبط) تمشى على عماية (العشواء) الناقة التى لا تبصر (تدأب) تداوم (الاحتراث) الكسب (التراث) المال الموروث وفى معناه انه وجد على حائط مكتوبا يا ابن آدم غاوص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل فى قلبك هم يوم لم يأت ان يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك فى طلب المال اسوة المغرورين فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تسيير المرء على نفسه توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات قال بديع الزمان

أيا جامع المال من حله يبيت ويصبح فى طله
سيؤخذ منك غدا كله * وتسئل من بعد عن كله

وله أيضا
ياحريصا على الغنى قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعد هذا فانما أنت ساع لقاعد

(وقال سابق البربرى)

حتى متى تلهو بمنزل باطل ، كانك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع مالا تأكل الدهر دائما * كانك فى الدنيا لغيرك خازن

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فلانا يجمع مالا قال فهل جمع له أياما أخذه الشاعر فقال

ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له * ياجامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ، ما المال مالك الا حين تنفقه

(قوله التكاثر) أى كثرة المال تقول تكاثر المال تكاثرا جاز الحد فى الكثرة * أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثرا حشر مع اليهود والنصارى والدين قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (تسعى لغاريك) تجهد فى كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك وهما الغاران وقيل هما الفرج والفم وقيل الحنكان الاعلى والاسفل وأخذ اللفظ من قول الشاعر

ألم تر ان الدهر يوم وليلة * وان الفتى يسعى لغاريه دائبا

ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب فى الاحتراث وتجمع التراث للوراث يحسك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاريك ولا تبالى ألك أم عليك أتظن أن ستترك

سدى وان لا تحاسب غدا أم تحسب ان الموت يقبل الرشا أو يميز بين الاسد والرشا كلا والله لن يدفع المون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ثم أنشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المعالي ولا الغنى
اذا سكن المثرى الثرى وثوابه
جد فى مراضى الله بالمال راضيا
بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه
بمخلبه الاشغى يعول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤن ومكره
فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذى ما أطاعه
أخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه
لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه
بدمع يضاهى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحى حفرة
سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله
وأبدى التلافى قبل اغلاق بابه

(قوله سدى) أى مهمل مسيب (الرشا) بالضم جمع رشوة وهى العطية تدفعها مضرة من يقدر عليك (الرشا) بالفتح الغزال (كلا) زجر (المنون) هى المنية (المبرور) المتقبل (وعى) حفظ الوصية (ما ادعى) أى ما ادعاه من أنه قبل الوصية (وحققه) داوم عليه بعمله (ارعوى) رجع وتاب (ما سعى) أى ما عمل وتعب فيه (الفائز) الظافر بحاجته (وجل) خائف (زجل) شديد وزجل الصوت زجلا ارتفع وأيضا اطرب وقال أبو العتاهية فيما تقدم من ذكر الموت

ينعى كل حين ٭ علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والـ ٭ ـموت يغدو ويروح

وقال البديع

انما الدنيا غرور ٭ ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ ٭ ـظ لواعيه فصيح
نحن لاهون وآجا ٭ ل المنايا لا تريح

(قوله لعمرك) العمر البقاء فاقسم به كأنه قال وحق بقائك الكريم على المحب الحى (المعانى) المنازل الشريفة (المثرى) الكثير المال (الثرى) التراب الندى واثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته (ثوى) أقام (جد) تكرم بمالك (تقتنى) تكتسب أى لا تنفع المنازل الرفيعة السناء ولا المال الكثير اذا آل الحال الى الموت (بادر) سابق (صرف) تقلب (الاشغى) المعوج (يعول) يهلك (نابه) ضرسه (الخؤن) الكثير الخيانة (النابه) والنبيه من النباهه وهى الجلالة والرفعة و(الخامل) ضده و(أخنى) أهلك وأخنى على أخنى مال (ضلة) أى ضلالة و(هوى) سقط (عقابه) الاول جباله والثانى عذابه (تله) تشتغل (يضاهى) يشابه (الوبل) أكثر المطر (حال مصابه) أى حال وقوعه والمصاب مصدر صاب يصوب صوبا وصابا (الحمام) الموت (روعة) فزع صاحبه حين يلقاه (صابه) مره والصاب شجر مر (وقصارى) آخرها غاية كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها (واها) عجبا (التلافى) التدارك لما فات (اغلاق بابه) أى موته ٭ وفى روعة ملقاه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التى تقبض عليها أرواح الفاجر قال لا تستطيع ذلك قال بلى قال فاعرض عنى ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومن منخريه لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد الى صورته فقال ابراهيم لو لم يكن للفاجر عند موته الا صورتك لكان حسبه ٭ وفى مطعم صابه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال له الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب قال أما انا هونا عليك وقال لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كعصفور يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا يطير فينجو وفى رواية كشاة تسلخ من جلدها وهى حية وقال كعب الاحبار لعمر رضى الله عنهما وقد سأله ان يحدثه عن الموت قال الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ الغصن ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند موته يقول ان للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيته من موته صلى الله عليه وسلم فهذه حال أحبابه فكيف بمن عمر فى بحار المعاصى اللهم عفوك وشعر

المقامة

المقامة مزدوج القوافي وعارضه الزاهد بن عمران فقال

مالي وللدنيا وعلى بها * عرارة خداعة مالي
تعرني حتى اذا مكنت * تعبت في نفسي وفي مالي
همت بها حبا فقد أفسدت * ما كان من صالح أعمالي
أعمى الهوى قلبي وحبي لها * رأس خطاياي وأعمالي
تبكي على الفائت من حظها * عيني بتسكاب واهمالي
يارب زهدني في حبها * ولا تؤاخذني باهمالي

وله في مثله

ارغب عن الدنيا وأوصافها * مشوبة جاءتك أوصافه
قل لأولي الالباب من معلها * فاع الى نعتي وأوصافه
ما بال من يعتز ذو فطنة * كلا ولا يعتز بالعافيه
كم من غني قد عاد فقرا وكم * تافية قد أصبحت عافيه

وله أيضا

ما الزهد يا قوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال وأخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * في حسن آداب وأخلاق

وله أيضا

خليلي لا يعرر لذي طاهري * ودبهما سالت الله فاسأله لي صفحا
فلو كنت ذا علم كعلمي بباطني * لاضربت عن ذكري أيادي النهي صفحا
ولكن أرى الله الجميل بفضله * فلم يبش لي سرا ولم يسدل لي صفحا

وقال بعض الزهاد لصاحبه اني أحبك في الله فقال له لو علمت مني ما أعلم من نفسي لابغضتني في الله وله أيضا

تحفظ بدينك لا تبتذله * ولا تلف عرضك عرضا كلما
وعد عن الذنب لا تأته * وبادر باصلاح ما منك لما
فأنت ابن عمران موسى المسي * ولست ابن عمران موسى الكليما

وقال غيره

لا تأمن الدهر الخؤ * ن وخف بوادر بغتته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يطهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الخاسر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معرضا بالامير

عجبا لراج أن ينال ولاية
حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدي ويلحم في المظالم والغا

(قوله عبرة يذرونها) أي دمعة يسفونها (وتعول) تريد تضيق يريد يضيق وقتها ويدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين (خشعت) ذلت (التأم الانصات) اتصل السكوت (استكت العبرات والعبارات) أي سكن البكاء والكلام (استصرخ مستصرخ) أي استغاث مستغيث (يجأر) يصيح يريد ان رجلا تشكي للامير من عامل له ولاه عليهم بجائر فمال الامير مع الوالي وترك المشتكي وقوله (صاغ) أي مائل و(لاه) أي تارك ومشتغل (يئس) قطع رجاءه (روحه) نصرته وعدله الذي يريح المشتكي والروح السرح والسرور (استنهض) سأله النهوض ليسمع الامير عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان داوصلة لاخيه المسلم الى السلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام (الشمير) الماضي في أموره (معرضا) من التعريض وهو ان تخاطب غيره وأنت تريده (نال بغيته) أي أدرك ما طلب (بغى) جار وظلم (يسدي ويلحم) أي يتصرف في المظالم طولا وعرضا ومقبلا ومدبرا

في وردها طورا وطورا مولغا
ثم ان يبالي حين يتبع الهوى
فيها أأصلح دينه أم أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه
ما حالة الا تحول لما طغى
أو لو تبين ما ندامة من صغى
سمعا الى افك الوشاة لما صغى
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه
وتغاض ان ألغى الرعاية أو لغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه
ورد الاجاج اذا جالك السيغا
واجل اذاه ولو أمضك مسه
وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا
عنه وشب لكيده نار الوغى
ولينزلن به الشمات اذا بدا
متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خدته
أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا وله لسوف يوقف موقفا
فيه يرى رب الفصاحة ألثغا
وليحشرن أذل من فقع الفلا
ويحاسبن على النقيصة والشغا
ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى
ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى
ويناقشن على الدقائق مثل ما
قد كان يصنع بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه
ويود لو لم يسغ منها ما بغى

(ذكر الولاية والعزل والتشكي من الولاة)

والسدى خيوط الثوب طولا واللحمة خيوطه عرضا (والغا) شاربا (وردها) ماؤها (مولغا) مسقيا غيره يريد انه يباشر الظلم بنفسه تارة ويوليه غيره أخرى (أوتغ) أفسد وأهلك (يا ويحه) قال الازهري رحمه الله تعالى ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والفرق بين ويح وويل ان ويح تقال لمن وقع في بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فجزعت فقال لي يا حميراء ان ويح كلمة رحمة فلا تجزعي منها ولكن اجزعي من الويل (يوقن) يحقق (تحول) تغير (طغى) ارتفع وجاز الحد في الجور (صغى) مال (افك) كذب (الوشاة) جمع واش وقد تقدم (انقد) أطع يقول من أصبح حاكمك فاتبعه وأطع له (تغاض) تغافل (ألغى) ترك (الرعاية) المحافظة للحقوق (لغا) أخطأ وقال قبيحا ثم قال ان حملك على الذل فاحتمله وكنى برعي المرار عنه (رد الاجاج) اشرب الماء المر والملح (جالك السيغا) منعك العذب السهل للشرب (أمضك) أحرقك وصيرك مهموما والمض التوجع من قول أوجرح (مسه) وقعه بجسمك (والغرب) فيض الدمع والغرب الدلو (هذا له) اشارة الى ذل العزل (الالثغ) الاخرس المحبوس اللسان وهو أيضا الذي يبدل الياء والراء غينا (وربها) صاحبها (والفقع) ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضعفه وهو الفقاع وبه يضرب المثل فيقال أذل من فقع بقرقرة (الشغا) الزيادة (اجتنى) جمع أموال الناس وضبطها لنفسه (اجتنى) اختار يريد انه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالي الذي اختاره وولاه (احتسى) شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة (ارتغى) شرب الرغوة أي يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن (يناقش) يبحث عليه ويخرج ما عنده (أبلغ) ازيد (يسغ) يدرك ويطلب ونذكر هنا فصلا من الآداب يحتوي على الولاية والعزل والتشكي من الولاة حسبما تضمن هذا الموضع في المقامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة * أراد عمر رضي الله عنه ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال قد كنا أردناك لذلك ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه ولقي عمر رضي الله عنه أبا هريرة رضي الله عنه فقال ألا تعمل فقال ما أريد العمل قال قد طلبه من هو خير منك يوسف الصديق عليه السلام قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم * قال المغيرة بن شعبة أحب الامرة لثلاث لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لثلاث لروعة البريد وذل العزل وشماتة الاعداء وقال أمير لأعرابي قل الحق والا أوجعتك ضربا قال وانت فاعمل به فوالله لما وعدك الله على تركه أعظم مما توعدتني به وذكر أهل السلطان عند اعرابي فقال أما والله ان اعتزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل ولقد رضوا بقليل فان عوضا من كثير باق واتما تزل القدم حيث لا ينفع الندم * تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا أمير المؤمنين ما ترك لنا فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا ماشية الا مشى بها ولا غلة الا اغلها ولا ضيعة الا أضاعها ولا علقا الا اعلقه ولا عرضا الا عرض له ولا جليلا الا أجله ولا دقيقا الا أدقه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته * قحطبة بن حميد اني لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقدهم بالقيام عليها اهبة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون

الي

الى يحيى بن أكثم فقال يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمي فى حاجتك فقالت

يا خير منتصف يرجى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد الملك أرملة * عدا عليها فلم يترك لها السبد
وابتزمني ضياعي بعد منعتها * ظلما وفرق منى الاهل والولد

فاطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه فقال

فى دون ماقلت زال الصبر والجلد * عنى واقرح منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى * وأحضرى الخصم فى الوقت الذى أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحد

فجلس يوم الاحد فكانت أول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت واقف على رأسك واشارت الى ابنه العباس فقال يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد يا أمة الله أنت بين يدى أمير المؤمنين وتكلمين الامير فاخفضى من صوتك فقال له المأمون دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه ثم قضى لها برد ضياعها وظلم العباس وأمر لها بنفقة وبكتاب الى عامل بلدها ان يحسن معاونتها * قال أبو العيناء كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى وزارته فلما صرف رهبنى فلما لقينى سلم على فدنوت منه وقلت له والله لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك والحمد لله على ما آلت اليه حالتك فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة وان كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعم وما شكرت حق المنعم فقيل له يا أبا عبد الله لقد أبلغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردنى عنها بأقبح من صورته * وقال ابن الرومى فى أبى الصقر وكان قد مدحه فلم يرفع به رأسا

فلئن نكبت لطالما نكبت * بك همة لجأت الى سندك
لو تسجد الايام ما سجدت * الا ليوم فت فى عضدك
يا نعمة ولت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردا على كبدى * لما غدت حرا على كبدك

وقال فيه

خفض أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها * فصانها الله بتطليق
لا قدست نعمى تسربلتها * كم حجة فيها لزنديق

(وقال فيه قبل النكبة)

غدا يعلو الجياد وكان يعلو * اذا ما استفره السبت الطراقا
أعنتها الشسوع فان عراها * حفاه الكد أنعلها طراقا
فزوج بعد فقر منه نعمى * أرانى الله صحتها طلاقا

* ومن غرائب الكتاب فى العزل ما كتب به أحمد بن مهران الى معزول بلغنى أعزلك الله

انصرافك عن عملك فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه أو يضعك عزل عنه والله لولم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان في لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأنيك ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك ونحن الى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك اذ أردت الصرف فأوتيته وأحببت الاعتزال فاعطيته فبارك الله لك في منقلبك وهنالك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها ، كان أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة الاقضاها ولا يشفع لاحد الاشفعه فلما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فردهم حتى لم يبق الا أبو شراعة فقال يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوأ من غير قلا والله ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى وأطال ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهنئة بالعزل

يا أبا اسحق سر في دعة * وامض مكلوأ فما منك خلف
ليت شعري أي أرض أجدبت * فأريحت بك من جهد العجف
نزل اللطف من الله بهم * وحرمنا الذنب قد سلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار

* ومن ملح هذا الباب ان بعض الوزراء قلد ابن حجاج عملا فخرج اليه يوم الخميس وتبعه كتاب عزله يوم الاحد فقال فيه

يا من اذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد
واذا رأته الشمس كا * دت ان تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتني * وصرفتني يوم الاحد
والناس قد غنوا علي * لما خرجت من البلد
ما قام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد

وذكر اللثغ وللشعراء في اللثغ ما يستحسن قال ابن شهيد

مرض الجفون ولثغة في المنطق * سببان جرا عشق من لم يعشق
يثني فينبو في الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له في مهرق

(وأحسن ما في وصفه قول الرمادي)

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها في راحتي * فبكيت منتحبا أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف فقال

أيها الالثغ الذي شف قلبي * جد بحرف ولو نطقت بسبي
هجرك الراء مثل هجري سواء * فكلانا معذب دون ذنب
فاذا شئت أن أرى لي مثالا * في غرامي خططت راء بجنبي

(قوله المتوشح) أي المحترم و(المترشح) المتهيئ (للرعاية) أي لحفظ الناس (الاغترار) الانخداع

(صولتك)

بصولتك فان الدولة ريح قلب والامرة برق خلب وان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل يا انسان ولا تلغى الاساءة ولا الاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الامرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فأشكاه والى المشكو منه فأشجاه وألطف الواعظ وحباه واستدعى منه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته أخطو متقاصرا وأريه لحاظا باصرا فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب طرفي فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب مني وأنشد
أنا الذي تعرفه يا حارث حدث ملوك فكه منافث

(صولتك) عزك وقهرك يقال صال الرجل على قرنه والفحل على ابله أي قهر وعلا والفحل أيضا عض ورعى وباهم فعل الفحل (قلب) اى متقلب (خلب) خادع لا ماء فيه يريد أن الولاية تنقل من انسان الى آخر (تلغى) تهمل (العاجلة) الدنيا الآن خيرها معجل (تولى) صار واليا (سعى) مشى مسرعا * ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر أمتي شيأ فحسنت سريرته رزق الهيبة في قلوبهم واذا بسطت يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا أنصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا عدل مد في عمره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الدين ولاة السوء وأيما وال ولي شيأ من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن من أخذ من هذه وهذه (الديان) المجازي وهو الله سبحانه وتعالى لانه يجزي العباد على أعمالهم وقال الالبيري

كل امرئ فكما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هي بالتي يبقى لها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان
أأسر في الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

(تهمل) تترك مهملا و(وجم) سكت غاضبا (امتقع وانتقع) تغير وذهب الدم من وجهه ويقال في معناهما التقع واهتقع (يتأفف) يقول اف اف وذلك فعل النادم المهموم (الزفرة) النفخة من الهم (أشكاه) أنصفه ورفع عنه شكواه وفي الحديث شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا أي لم يزل شكوانا أي شكوا اليه ما يصيب أقدامهم من شدة الحر في صلاة الظهر وسألوه تأخيرها الى الابراد فلم يجبهم الى ذلك وأنشد يعقوب

* ونشتكي لو أنها تشكينا * والمشكو اليه الوالي الذي اشتكي اليه (أشجاه) آذاه وأبكاه (ألطف) بره وأكرمه (حباه) أعطاه الحباء (يغشاه) يزوره (محصورا) محبوسا (يتهادى) يمشي متثاقلا مشي الوقار (يتباهى) يتعاظم (بفوز صفقته) بظفر قصته مع الوالي وفاز فوز الظفر بخير دنياه وأخراه وأصل الصفقة في البيع هو أن تضرب بيدك على يد مبايعك (اعتقبته) مشيت خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطئ عقبيه (أخطو متقاصرا) أي أمشي مستخفيا متشبها بالقصار (لحاظا باصرا) اى نظرا شديدا (استشف) استقصى (فطن) تنبه وشعر (أرشد) دل يقول اذا كان لك دليلان لخيرهما من هداك الطريق فلما رآه ينظر وتشكك فيه قال خير دليليك من دلك على (اقترب) قرب (حدث ملوك) أي يحدثهم بما يطربون (فكه) طيب الحديث والفكه المزاح الحسن الخلق وفكه فكها وفكاهة طابت نفسه وكثر ضحكه قال الشاعر

فكه الى جنب الخوان اذا غدت * فكها تقطع ثابت الاطناب

أبو عبيدة رجل فكه يأكل الفاكهة وفاكه عنده فاكهة وقال الشاعر أيضا

فكه العشي اذا تأوب رحله * صيف الشتاء مسامح بالميسر

أي يأكل الفاكهة وقرئ فاكهين وفكهين قال الفراء رحمه الله تعالى معناهما واحد أي معجبين بما آتاهم ربهم كطمع وطامع وفكه وتفكه اذا تعجب ومنه فظلتم تفكهون وقيل معناه تندمون

(قوله مناقث) أي محادث (المثالث) من أوتار العود (طورا) حينا (عابث) لاعب (الحوادث) ما يحدثه الدهر من خير أو شر (التي) قشر (خطب كارث) أمر ثقيل صعب (فرى) قطع (نابي) ضرسي (فارث) مفتت الكبد قال الشاعر

هوى من صخرة صلد * ففرّث تحتها كبده

وفرث الكرش أخرجت ما فيها من الزبل (ضابث) قابض عليه (السرح) المواشي تغدو راعية في المسرح وتروح منه (عائث) مفسدا آكل لها (وسام وحام ويافث) أولاد نوح عليه الصلاة والسلام وفيهم نزلت وجعلنا ذريته هم الباقين وبذلك جاءت الاخبار وهم لام واحدة وأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطفته فجاءت بالسودان وذكر أهل التوراة أن نوحا عليه السلام شرب وانتشى وتعرى فأبصر حام عورته فاطلع عليه أخواه فأخذا رداءه فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فوارياه فعلم نوح عليه السلام بذلك فقال ملعون ٣ كنعان بن حام عبيد يكونون لاخويه ومبارك سام ويكثر الله يافث وفي تفسير النقاش ان نوحا لما أهبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر اليها حام فضحك ولم يغير عليه يافث فنظر ذلك سام فزجره وغطى عورة أبيه فلما استيقظ أخبره فدعا نوح ابنه حاما فقال يا بني غير الله ماء صلبك فلا تلد الا السودان وقال ليافث جعل الله ذريتك عبيد الاولاد سام وقال لسام جعل الله منك الانبياء والصالحين والملوك فكان سام القيم بعد أبيه في الارض ونزل وسطها نزل الحرم الى اليمن الى الشأم ومن ولده الانبياء كلهم عربيها وعجميها ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم وهم العرب العاربة لان العربية لسانهم التي جبلوا عليها ويقولون لبني اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ومن العماليق الجبابرة بالشأم والفراعنة بمصر. سعيد بن المسيب سام ولده العرب وفارس والروم وفي كل خير وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان والترك والخزر ويأجوج ومأجوج * ابن المسيب وليس في واحد من هؤلاء خير وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام والخلاف كثير (قوله ولا عمرو بن عبيد) هو الزاهد الذي كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصري حتى حفظ عنه شيأ كثيرا من علومه واشتهر فضله بصحبته وكان له سمت واظهار زهد ورآه الحسن يوما فقال هذا سيد شباب أهل البصرة ان لم يحدث ثم ازاله ونهى عنه فقال بالعزل ودعا اليه وترك مذهب أهل السنة واعتزل الحسن البصري ونسبت اليه المعتزلة فأما قيامه الذي ذكره فهو دخوله على المنصور في جماعة من أهل العلم فاستشارهم في أمر فكلهم أشار عليه بمراده الا عمرا فانه لم يصحبهم ونصحه فقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد قبلك لما وصلك ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه فقال الربيع يا عمرو غممت أمير المؤمنين فقال عمرو ان هذا يعني الربيع صحبك عشرين سنة ما نصحك يوما واحدا وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله تعالى فقال له المنصور فماذا أصنع هذا خاتمي في يدك فخذه أنت وأصحابك فاكفوني فقال عمرو ادعنا بعدلك تسمح أنفسنا بعونك ببابك ألف مظلمة اردد منها واحدة حتى نعلم انك

(ذكر سام وحام ويافث)

أطرب مالا تطرب المثالث
طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث
ولا التي عودي خطب كارث
ولا فرى حتى نابي فارث
بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرح فيه ذئبي عائث
حتى كأني للأنام وارث
سامهم وحامهم ويافث

(قال الحرث بن همام)
فقلت له تالله انك لابو زيد
ولقد قمت لله ولا عمرو بن
عبيد

(أخبار عمرو بن عبيد الزاهد)

صادق ويروى انه قال له المنصور راعني بأصحابك فقال ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم قال له المنصور ماحاجتك ياأباعثمان فقال له تأمر برفع هذا الطيلسان عني فرفع وكان أمر المنصوران يطرح عليه عند دخوله فقال له لاتدع اتياننا قال نعم لايضمني واياك بلد الا أتيتك وان بدت لي حاجة اليك سألتك ولكن لاتعطني حتى أسألك ولا تدعني حتى آتيك قال اذا لاتأتينا أبدا فلما ولوا للخروج أتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشي رويد * كلكم حابل صيد * غير عمرو بن عبيد

وكان جده باب من سبي فارس وكان أبوه عبيد بن باب نساجا ثم تحول فصار للحجاج شرطيا بالبصرة وكان فظا غليظا خسيسا وبلغه أن الناس اذا رأوا ابنه قالوا هذا خير الناس ابن شر الناس فقال صدقوا أنا كآزر وابني كابراهيم عليه السلام وقال اسحق بن الفضل بينما أنا واقف الى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل ونحى البساط برجله وجلس دونه فقال لي عمارة لاتزال بصرتكم ترمينا بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أين أبو عثمان عمرو بن عبيد فوالله مادل على نفسه حتى أرشد اليه فأتكأه يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداءك فمر متوكئا عليه فقلت لعمارة الذي استحمقته قد دعي وتركنا فقال كثيرا مايكون مثل هذا فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو متوكئ عليه وهو يقول ياغلام حمار أبي عثمان فما برح حتى اقره على سرجه وضم اليه ثوبه واستودعه الله عز وجل فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولي عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه قال فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب قال فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال ماهو الا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل هو والمهدي اليه وعلى المهدي سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه ومازال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفى ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال ياأباعثمان عظني فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ياأبا جعفر فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديدا وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة الا تلك الساعة فقال زدني قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يدي من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكى والله أشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه فقال له سليمان بن مالك رفقا بأمير المؤمنين لقد أتعبته في هذا اليوم فقال له عمرو بمثلك ضاع الامر وانتشر لا أبا لك وماذا خفت على أمير المؤمنين ان بكى من خشية الله تعالى قال فانت والله الصادق البر قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك فقال لا حاجة لي بها قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين وتحلف فأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو ولي عهد المؤمنين فقال والله لقد سميته اسما مااستحقه عمله وألبسته لبوسا ماهو من لبوس الابرار ولقد ملكته أمرا أمتع مايكون به أشغل مايكون عنه ثم التفت الى المهدي وقال ياابن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك

لان أباك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث
الى حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم استحفظه الله عز وجل وودعه وانصرف
فلما ولى أتبعه المنصور بصره وهو يقول * كلكم يمشي رويد * الابيات وقال اسمعيل بن مسلمة
أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في
الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الليلة
الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك (فهش) أي فرح (أم) قصد (الوعيد)
التهديد (أغبى الورى) أجهل الناس به قال المنصور والله ما عز ذو باطل ولو طلع في جبينه القمر
ولا ذل ذو حق ولو أصفق العالم عليه وفي معنى قوله وابغ رضا الله تعالى البيت ان ابن هبيرة شاور
الحسن البصري فقال يا أبا سعيد ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها
فان أنفذتها خفت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في
يزيد ولا تخف يزيد في الله فان الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى فما وافقه فنفذه وما خالفه فلا
تنفذه فقال صدقتني ورب الكعبة وشاور معاوية الاحنف في استخلاف يزيد فسكت فقال مالك
لا تقول فقال ان صدقناك أسخطناك وان كذبناك أسخطنا الله عز وجل فسخطك أهون علينا
من سخط الله تعالى قال صدقت وكتب أبو الدرداء الى معاوية أما بعد فانه من يلتمس رضا الله
بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس
وكتبت اليه عائشة رضي الله تعالى عنها أما بعد فانه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من
الناس ذاما له والسلام (قوله أخدانه) أصحابه و (يسحب ارادنه) يجر أذياله (استنشرنا) طلبنا
أن ينشر لنا و (المدرجة) الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأضافها الى الطي لانها
تطوى على ما فيها من الكتاب فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوى عليه يريد أنه
أرسل فيه الرسائل الى البلاد فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت (عاره) ذهب به وأتلفه * ويكنون
بالجراد عن الناس فكأنه قال ما يدري أي الناس ذهب به ويقال عارت عينه صارت عوراء وعرتها
أنا فقأتها فكأنه ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف والله أعلم بالصواب

فهش هشاشة الكريم
اذا أم وقال اسمع يا ابن أم
ثم أنشأ يقول
عليك بالصدق ولو أنه
أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى
العبيد
ثم انه ودع أخدانه وانطلق
يسحب أردانه فطلبناه من
بعد بارى واستنشرنا خبره
من مدارج الطي فما فينا
من عرف قراره ولا درى أي
الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

(حكى الحرث بن همام) قال
أويت في بعض الفترات الى
سقي الفرات

* (شرح المقامة الثانية والعشرون وهي الفراتية) *

(أويت) أي ملت وانضممت (الفترات) جمع فترة وهي الهدنة والسكون فكأنه قال مشيت في
بعض السنين الآمنة والفترة أيضا ضعف الاعضاء والفترة أيضا ما بين نبي ونبي و (سقي الفرات)
بلاد يسقيها الفرات والفرات نهر شق بلاد الروم وبلاد العراق ويقع في البحر الحبشي وجريانه
خمسمائة فرسخ وقال الرشاطي ابتداء الفرات وفوهته من قاليقلا من بلاد ارمينية ثم يسير الى
منبج من كور قنسرين الى سميساط ثم الى ملطية ثم الى كيسوم من أرض الرقة ثم الى الرقة
وقرقيسيا والرحبة وكور الفرات ثم الى الانبار ثم الى الكوفة ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط
والبصرة ومنها انصبابها الى البحر وجريانهما من الشمال الى الجنوب وقال شيخنا ابن جبير هذا
النهر كاسمه فرات وهو من أعذب المياه وأخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر وأما

* (ذكر سقي الفرات) *

سقيه في أحواز بغداد فنبين لك قدره انه ذكر أنه عاينه في طريقه من الكوفة الى بغداد وأنه رحل
مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت قال ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات
ورحلنا من ذلك الموضع ونزلنا ليلة الاحد سلخ محرم بقرية من الحلة ثم جئناها يوم الاحد وهي
مدينة عتيقة الموضع مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرقي وهي على شاطئه ويمتد
بطولها ولها أسواق حفيلة جامعة للمرافق قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل وألفيناها
جسرا معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط أمر الامير بعقدها اهتماما بالحاج
فعبرناها ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد والطريق من الحلة الى بغداد أحسن طريق
وأجملها في بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من الفرات
تسقيها فللعين في هذه الطريق مسرح انشراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح ومن مدينة الحلة
يتسلسل الحاج أرسالا وأفواجا لا يعرج المتأخر على المتقدم فيما شاؤا نزلوا ومن جملة الدواعي
لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة في طريقهم الى بغداد لا تكاد تمشي ميلا الا وتجد قنطرة على نهر
متفرع عن الفرات فلو زاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعة لتراكموا وقوعا بعضا على بعض
فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أول يوم من صفر ونزلنا بعصره بقرية تعرف بالقنطرة كثيرة
الخصب كبيرة الساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلال بشجرات الفواكه من أحسن
القرى وأجملها بها قنطرة محدودة تصعد اليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات فعرفت
القرية بها ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ونزلنا ضحوة بالفراش قرية كثيرة العمارة يشقها الماء
وحولها بسيط أخضر جميل المنظر والقرى من الحلة الى بغداد على صفة الفراش في الحسن
والاتساع ثم رحلنا منها ونزلنا عشي النهار بزريران وهي قرية من أجمل قرى الارض وأحسنها
منظرا وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطا وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل ولها
سوق تقصر عنه أسواق المدن وحسبك من شرفها ان دجلة تسقي شرقيها والفرات يسقي
غربيها وهي كالعروس بينهما ومن شرفها ان بازائها ايوان كسرى وهو بناء عال في الهواء على
مقدار الميل منها وامامها بيسير مدائنه واجتزنا صحر على المدائن فعاينا من طولها واتساعها
مرأى عجيبا ونزلنا قافلين بصرصر وهي أخت زريران حسنا يمر بجانبها القبلي نهر متفرع من
الفرات وهي من القرى التي تملأ النفوس حسنا وجمالا لها أسواق حفيلة وجامع وجسر معقود
على مراكب من الشط الى الشط وهي من بغداد على ثلاثة فراسخ ورحلنا منها قبل الظهر وجئنا
بغداد قبل العصر على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها فمن أراد أن يعرف قدر سقي الفرات
فليقف على هذا الفصل الذي ذكرناه (قوله كتابا أبرع من بني الفرات) أي احذق وأزيد فضيلة
والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة وتقلد الوزارة قال في
بعضهم صالح بن موسى رحمه الله

آل الفرات نداهم * على الفرات يزيد

وأنت فضلك فيهم * وعليك منه شهود

(وقال ابن المعتز في علي بن محمد بن الفرات)

أباحسن ثبت في الامر وطاتي * وأدركتني في المعضلات الهزاهز

فلقيت بها كتابا أبرع من بني الفرات

(ذكر بني الفرات)

وألبستنى درعا علىّ حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقال على بن بسام)

وقفت شهور اللوزير أعدها * فلم تنسه محوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعانى رعاية مثله * ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

وكان موسى بن الفرات عاملا لاحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل واستوزر المقتدر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات يعزله ثم يردّه وقبل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره وتولى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبى الحسين بن الفرات فكان محل آل الفرات الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة وحكى ان بعض الادباء جوّز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات ان السين تقام مقام الصاد فى كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أو ومن سلح فخجل الرجل وانقطع ومثل هذا النادر ان النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد يعنى أذهب وهو كلام العرب فقال أبو صالح ان السين تبدل من الصاد كالصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت اذا أبو سالح فخجل الرجل (قوله أعذب من الماء الفرات) أى أحلى والماء الفرات العذب الحلو (أطفت) أى ألممت ونزلت (لتهذيبهم) لظرفهم ونقاء نفسهم من عيوب الجفاء (كاثرتهم) صاحبتهم فكاثرت عددهم لى (ما آديهم) طعامهم (أضراب) أمثال (القعقاع بن شور) قال المبرد هو رجل سيد من عبد الله بن دارم وكان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوّه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك قال الفنجديهى هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل الشيبانى وهو من الاجواد والاسخياء يضرب به المثل فى حسن المجالسة والمعاشرة واتيان الجليس بالشئ النفيس قال أبو عبيدة وكان من جلساء معاوية فأهدى الى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة فدفعها الى جلسائه ودفع الى القعقاع جام ذهب وفى القوم اعرابى الى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فأخذه الاعرابى ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السنّ ان أمر بخير * وعند الشر مطراق عبوس

(ومما يستحسن فى البر بالجليس قول صاعد اللغوى)

لى من سرّ بنى العباس خل وجليس
شهد المجد عليه * انه العلق النفيس
فاذا جالسته لم * تدر من منا الجليس

وقال كشاجم

جليس لى أخو ثقة * كأنّ حديثه خبره
بسر لك حسن ظاهره * وتحمد منه مختبره
ويستر عيب صاحبه * ويستر أنه ستره

وقال آخر

جليس لى له أدب * رعاية مثله تجب

وأعذب أخلاقا من الماء
الفرات فأطفت بهم لتهذيبهم
لا لذهبهم وكاثرتهم لا دبهم
لا لمآ ديهم فألفت منهم
أضراب قعقاع بن شور

(ذكر ما جاء فى الجليس)

لو انتقدت خلائقه * تبهرج عندها الذهب

وقال آخر

لى صديق غلطت بل لى مولى * من لمثلى بأن يكون صديق

نتلاقى التقاء روح بروح * بضروب التقبيل والتعنيق

ليس فى الارض من يميزنا * عاشقا فى اللقاء من معشوق

أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور

قلت لندمانى على خلوة * أدن كذا رأسك من رأسيا

ونم على وجهك لى ساعة * انى امرؤ أنكح جلاسيا

والبة بن الحاجب شيخ الحسن بن هانئ أدبه صغيرا فتخلق بخلاقه وقال الحسن

وجليس كان فى وجنتيه * كل شئ تسمو اليه النفوس

قد أصبنا منه فنستغفر الله كثيرا وقد يصاب الجليس

(قوله الكور والحور) أى الزيادة والنقصان وكلام العرب نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فنلب اللفظ على مراده وهو من كور العمامة وهو استعارة من نقض الامر كنقض العمامة بعد كورها وهو شدها وكار عمامته شدها على رأسه وجمعها وحار بها انقضها وافسدها وأمر الحجاج رجلا على جيش ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر فقال هذا الحور بعد الكور فقال له الحجاج وما الحور بعد الكور قال النقصان بعد الزيادة فعلى هذا أكثر أهل اللغة وقيل معناها نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا فى الكور وهو الاجتماع من كار عمامته جمعها فى رأسه وحارها أفسدها ويروى بعد الكون من قولهم حار بعد ما كان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها وقيل معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكون على الاستقامة فنذف للعلم به (فى المرتع والمربع) يعنى المأكل والمنزل والمرتع الاتساع فى الاكل الكثير والشرب والمربع المنزل فى الربيع من ربعت فى الموضع أقمت فيه (الانملة) طرف الاصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤسهم (ابن انسهم) أى الذى بأنسون به (عند الولاية والعزل) أى زمن العمل والعطل (خازن) كاتم وحابس (ندبوا) أى دعوا (استقراء) أى تتبع (الرزداقات) العمالات والانظار وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع وكل موضع أو قرية انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة فالرزداق بخراسان وهو فارسى عربى والمخلاف لليمن والكورة لغيرهما من الارضين (الجوارى) السفن (المنشآت) المصنوعات (حالكة الشيات) مسودة اللون والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك فأراد أن موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء (جامدة) ساكنة * وركب السلامى دجلة فى زورق ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال

وميدان تجول به خيول * تقود الدارعين ولا تقاد

ركبت به الى اللذات طرفا * له جسم وليس له فؤاد

جرى فحسبت أن الارض وجه * ودجلة ناظر وهو السواد

وقال القاضى التنوخى يصف دجلة فى الظلام والقمر يلمع عليها وينتظم فى سلك أبيات السلامى رحمه الله تعالى

ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركونى فى المرتع والمربع وأحلونى محل الانملة من الاصبع واتخذونى ابن انسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم فى الجد والهزل فاتفق أن ندبوا فى بعض الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر فى أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

(وقال منصور بن كيغلغ)

كم ليلة ساهرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
والبدر يجنح للأفول كأنه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وتسميته السفينة جارية لجريانها على الماء قال تعالى فى السفن العظام ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام ولبعضهم

يا من تأهب من معا لرواح * متيمما بغداد غير ملاح
فى بطن جارية كفتك بسيرها * رقلان كل شساحة وشاح
فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة فى يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

الشناح الجمل التام الخلق وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاصطول

يا حسنه يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
ومجاذف تحكى أراقم ربوة * نزلت لتكرع فى غدير متأق
والماء فى شكل الهواء فلا ترى * فى شكلها الاجوارح تلتق

(ولابن حرابق)

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح صاحب الطوفان
فاذا رأين الماء تطفح نضضت * من كل حرت حية بلسان

وتساب فى الحباب كالحباب ثم دعونى الى المرافقة فلبيت بلسان الموافقة

(ذكر التلطف فى المشى)

(قوله تساب) أى تمشى بسلاسة (الحباب) طرائق الماء و(الحباب) بالضم الحية وتشبيه المشى السهل بحباب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل وهو متمكن فى المعنى وبه وقع التشبيه هنا فى المقامة وقال امرؤ القيس فى تشبيهه بحباب الماء

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

(وقال ابن الرومى)

فصغت ذلك من قولى الى قمر * يلهو بكحل طورا ومختضب
جرت تدافع من وشى لها حسن * تدافع الماء فى وشى من الحبب

(وقال عمر بن أبى ربيعة فى مشى الحية)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ * ـحباب وركنى خيفة القوم أزور

ثبت فى الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الاعرابى

من المتصديات لغير سوء * تسيل اذا مشت سيل الحباب

يروى بالفتح والضم وابن الاقليلى يأبى الا الضم وقال أبو القاسم بن هانئ فجمع بين التشبيهين

قامت تميس كأنها دافع جدول ❊ وانساب ايم فى نقا يتهيل
وأنت تزجى ردفها بقوامها ❊ فأطر الاعلى وماج الاسفل

❊(وقال آخر ورفع الاحتمال)❊

لما دنا الليل بأرواقه ❊ ولاح الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفيف كما ❊ ينساب فى مكمنه الارقم

❊(وما أحسن قول ابن شهيد فى معناه)❊

ولما تملى من سكره ❊ ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على رتبة ❊ دنو صحب درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى ❊ وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلا ❊ وأرشف منه اللمى واللعس

فلما تورّكنا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسبال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله

(قوله المطية الدهماء) هى السفينة السوداء و(توركناها) قعدنا عليها متكئين و(تبطنا) دخلنا بطنها (الولية) المطبعة وأوهم بقول الناس فلان ولى يمشى على الماء فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها ولية (ألفينا) وجدنا (سحق سربال) أى قميص خلق و(لسب) الخمار فيريد أن عليه مئزرا أو خمارا باليا والمرر كالخمار للمرأة (عافت) كرهت (عنفت) لامت وأغلظت له القول والعنف ضد الرفق (ثاب) رجع ❊ قال الفراء رحمه الله تعالى معنى السكينة الطمأنينة ❊ أبو عبيدة هى فعيلة من السكون وتشبه حالة أبى زيد هنا فى اهانة أولا واكرامه آخرا حالة معبد فى دخول السفينة وقد تقدمت فى الثامنة عشرة (لمح) رأى و(الظل) يوصف بالثقل مبالغة فى ثقل صاحبه يقال للمستثقل ظلك على ثقيل أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال ثقل علينا فيصور شخصك أى منزلته من الثقل وانما يتصور ثقل الظل حقيقة اذا أخذ عليك انسان عين الشمس فى زمن البرد أوضوأها وأنت تنظر ما يدفئ ومما قيل فى ثقيل

أنت يا هذا ثقيل ❊ وثقيل وثقيل
أنت فى المنظر انسا ❊ ن وفى المخبر فيل
لو تعرضت لظل ❊ فسد الظل الظليل

وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل ينشد

فما الفيل تحمله ميتا ❊ بأثقل من بعض جلاسيا

وذكر ثقيلا كان يجلس الى جانبه فقال والله انى لابغض شق الذى يليه منى وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قرأ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون عائشة رضى الله عنها نزلت آية فى الثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث الشعبى من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء وكان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى ثقيلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه قيل لجالينوس لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه وقال طبيب للحجاج اياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح وقال حكيم لآخر لا تصحبن ثقيلا فمن يصحبه فانما يعذب روحه وقيل سخنة العين النظر الى الثقلاء وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا غشى عليه وكان آخر اذا رأى

❊(ذكر الثقلاء)❊

ثقيلا غمض عينيه وكان بعض الظرفاء اذا رأى ثقيلا قال قد جاءكم الجبل فان جلس عندهم قال قد وقع عليكم * وسمع الاعمش كلام ثقيل فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى يتألم قال رجل لخالد بن صفوان اتستثقل فلانا قال أوه كدت والله أن تصدع قلبى بذكره والله لهو أثقل من شراب التربخبيل بماء البير فى أيام الحكاك بعقب التخمة وأوان الحجامة * سلم ثقيل على بعض الظرفاء فقال وعليك السلام شهرا قعد ثقيل عند ظريف فسئل عن ذلك فقال كانت نفسى قد شمخت على فأردت ان أهينها بذلك وقال رجل لغلام هاشمى يابغيض فسكاه الى أبيه فقال قد علمت انك بغيض فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بغضك باسنادك. وسئل انسان له ثلاث بنين ثقلاء أى بنيك أثقل فقال ليس بعد الكبير أثقل من الصغير الا الاوسط * كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد أنت والله يا محمد ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم بارد حامض منتن قال سهل بن هرون من ثقل عليك نفسه وغمك سؤاله فاعره أذنا صماء وعينا عمياء وأنشدوا

مشتمل بالبغض لا ينثنى * اليه طوعا لحظه الرامق
يظل فى مجلسنا قاعدا * أثقل من واش على عاشق

وقال بعضهم

يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
انى لاذكره حينا فأحسبه * من ثقله جالسا منى على كبدى

ولبعضهم

نظر العين نحوه * علم الله يمرض
فاذا ما أردتم * أن تروه فغمضوا
لا تصبكم ملة * والملمات تعرض

وقال بعضهم

شخصك فى مقلة النديم * أوحش من نحسة النجوم
يارجلا وجهه علينا * أثقل من منة اللئيم
انى لأرجو بما أقاسى * منك خلاصى من الجحيم

(وقال بعضهم أيضا)

ولى خلتان على هامتى * جلوسهما مثل حد الوتد
ثقيلان لم يعرفا خفة * فهذا الصداع وذاك الرمد

والاشعار فى الثقلاء كثيرة وفى كتب الآداب مشهورة فلنقتصر على هذه النبذة (قوله استبراد طله) الطل أضعف المطر وهو الرذاذ واكثر نزوله سا كنا بغير ريح ولا برد فى الغالب يكون معه فكنى هنا بالطل عن كلامه القليل وانه عندهم بارد الحديث وان كل ماجاء منه ثقيل مؤذ وقد جاء فى ذلك

واستبراد طله

ولو مازج النار فى حرها * حديثك أطفأ منها اللهب

(ماجاء فى البارد)

(وقال آخر فى شعر الصولى)

دارى بلا خيش ولكننى * عقدت من خيشى طاقين
دارمتى ما اشتد فى حرها * أنشدت للصولى بيتين

وكلامه

ويوم كتنور الطهاة سجرته * على أنه منه أحر واوقد
ظللت به عند المبرد جالسا * فمازلت فى ألفاظه أتبرد

لقى برد الخيار المغنى أبا العباس المبرد فى يوم ثلج بالجسر فقال له أنت المبرد وأنا برد الخيار واليوم

كما ترى اعبر بنا الا يهلك الناس من الفالج بسبينا وقال كشاجم رحمه الله تعالى

غناء مديح بارض الحجاز * يطيب وأما بحمص فلا

لبرد الغناء وبرد الهواء * فان جعا خفت أن يقتلا

(قوله تعرض) اى تهيأ (المنافثة) الكلام معهم (صمت) سكت * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقع حديث الرجل من القوم كوقعه من قلوبهم (جدل) قال الحمد لله (ماشمت) ما ادخل عليه السرور بقولهم يرحمك الله تعالى * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطس او تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء اهونها الجذام وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله والذى يشمت يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله و يصلح بالكم ومما يستطرف من حديث العطاس أن صوفيا فى بلدنا كان حافظا للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا و ينشد عليه شعرا فاتفق ان عطس رجل بحضره فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى ان سمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فأصبح للطلبة راغبا أن ينظم له هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد

ياعاطسا يرحمك الله ان * أعلنت بالحمد على عطستك

ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك

وقل له ياسيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك

وأنت يارب النداء والندى * بارك رب الناس فى ليلتك

فان يكن منك لنا دعوة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير الشريف انما يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى يستهدى كتاب العقد

أيا من غدا سلكا بجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه

محبك أضحى عاطل الجيد فالجد * بعقد على لبانه وسوالفه

وتوعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

* لله در عصابة أمجاد * شرف النداء بقصدهم والنادى

لما أشاروا بالسلام وأربعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد

فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يافرحتى بثلاثة الاعياد

(قوله أقرد) أى سكت ذلا و يروى أخرد أى سكت حياء واستتر تقول أخردت وخردت من حر الشمس أى استترت وأقرد من لفظ القرد أو القراد وأخرد من لفظ الخريدة (آلت) رجعت (المبغى عليه) أى المظلوم وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه من قوله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله (جلنا) تصرفنا (شجون) ضروب من الكلام ومنه الحديث شجون أى فنون ومشتبك بعضه ببعض وفى الحديث الرحم شجنة من الله معناه القرابة مشتبك بعضها ببعض كاشتباك العروق (اعترض) تصلب وظهر (الانشاء) الكتابة وكتبه الانشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون (أنبل) أعظم قدرا و (الحساب) كتبة الزمام (احتد) اشتد و (الحجاج) جمع حجة ٣ و (اللجاج) ركوب

(ماجاء فى تشميت العاطس)

تعرض للمنافثة فصمت وجدل بعد أن عطس فاشمت فأقرد ينظر فيما آلت حاله اليه و ينتظر نصرة المبغى عليه وجلنا نحن فى شجون من جد ومجون الى أن اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء أنبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال

٣ قوله الحجاج جمع حجة كذا بالنسخ والظاهر ان يقول الحجاج المحاجة اه

سطرح ولا للمراء مسرح
قال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم
الغلط وآثرتم الصواب
والغلط وان جلية الحكم
عندى فارتضوا بنقدى
ولا تستفتوا أحدا بعدى
اعلموا أن صناعة الانشاء
أرفع وصناعة الحساب
أنفع وقلم المكاتبة خاطب
وقلم المحاسبة حاطب
وأساطير البلاغة تنسخ
لتدرس ودساتير الحسابات
تنسخ وتدرس والمنشئ
جهينة الاخبار وحقيبة
الاسرار ونجى العظماء
وكبير الندماء وقلمه لسان
الدولة وفارس الجولة
ولقمان الحكمة وترجمان
الهمة وهو البشير والنذير
والشفيع والسفير به
تستخلص الصياصى وتملك
النواصى ويقتاد العاصى
ويستدنى القاصى وصاحبه
برئ من التبعات آمن
كيد السعاة مقرظ بين
الجماعات غير معرض لنظم
الجماعات فلما انتهى فى
النصل الى هذا الفصل
لحظ من لمحات القوم أنه
ازدرع حبا وبغضا وأرضى
بعضا

الرجل على الباطل (مطرح) موضع يطرح فيه (المراء) قد تقدم (آثرتم) فضلتم (جلية) بيان (نقدى) تمييزى (قوله خاطب) أى جامع الكلام (حاطب) جامع للحطب يريد أن المنشئ كالحطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالى كاتب الحساب بما كتب ويكون حاطب بمعنى مجمع للمال (أساطير) أحاديث وهى جمع أسطار وأسطار جمع سطر وقيل الاساطير جمع أسطورة وأسطارة (دساتير) أزمة (تدرس) تمحى أو تترك حتى تتغير (جهينة الاخبار) أى العارف بها واختلفوا فى المثل قال الاصمعى رحمه الله تعالى جفينة بالجيم والفاء وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى حفينة بحاء غير معجمة وقال ابن الكلبى جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج يطلب فرصة فاجتمع برجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب فنزلا فى بعض منازلهما وتعاقدا أن لا يلقيا أحدا الا سلباه وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه كل ما معه فقال لهما هل لكما أن تردا على بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم فقالا نعم قال هذا رجل لخمى قدم من بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا فردا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعامه وشرابه فحياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فنزلا فأكلا وشربا مع اللخمى ثم ان الاخنس ذهب لبعض شأنه فلما رجع أبصر سيف صاحبه مسلولا واللخمى يتشحط فى دمه فسل سيفه وقال ويحك قتلت رجلا قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا ثم ان الجهنى شغل صاحبه بشئ ثم وثب عليه فقتله وأخذ متاعه ومتاع اللخمى ثم انصرف الى قومه راجعا بماله وكانت لحصين أخت تسمى صخرة فكانت تبكيه فى المواسم وتسأل عنه فلا تجد من يخبرها بخبره فقال الاخنس حين أبصرها

وكم من فارس لا تزدريه * اذا شخصت لرؤيته العيون
علوت بياض مفرقه بعضب * يبين لوقعه الهام السكون
يذل له العزيز وكل ليث * من العقبان مسكنه العرين
فأضحت عرسه ولها عليه * هدوا بعد رقدتها أنين
كصخرة اذ تسائل فى مراح * وفى جرم وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندى * لسائله الحديث المستبين

مراح وجرم قبيلتان (حقيبة) وعاء (نجى) متكلم (الندماء) الجلساء على الخمر يريد أن أصحابه أعيان وأشراف (النذير) المخوف (السفير) الرسول بين القوم (تستخلص) تملك وتحصل (الصياصى) الحصون (النواصى) الرؤس وأصل الناصية شعر مقدم الرأس (القاصى) البعيد (التبعات) المطالبات (السعاة) جمع ساع وهو جابى الصدقة (مقرظ) ممدوح (نظم الجماعات) تحميل الحساب والجماع الأخلاط وضروب من الناس والجماع كل شئ انضم بعضه الى بعض وتجمع أراد أن كاتب التراسيل قد أمن من مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعترض لان يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات (النصل) أى القضاء والحكم وأراد أنه فصل فى القضاء بين الصنفين من الكتاب (الى هذا الفصل) أى الى هذا الحد

والفرق

وأحفظ بعضا فعقب كلامه بان قال الآن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لايدركه قياس ولايعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وحملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات وأعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع في الاخلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الانشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش

والفرق فالاول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا قضى والثاني من فصلت بين الشيئين فصلا وفصولا فرقت يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف وأراد أنه ازدرع في قلوب كتبة الانشاء حبه لمدحه لهم وفي قلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم فأخذ يستأنف مدحهم (أحفظ) أغضب (عقب) اتبع ، وأراد بالتحقيق ان صنعة الحساب برهانية محققة و(التلفيق) ضم شئ لطيف الى مثله ولفقت الشئ تلفيقا ضممت بعض اجزائه الى بعض (ضابط) محقق والضبط الاخذ بشدة ورجل ضابط للشئ اذا اقوى عليه فلم يفلت منه (خابط) مغرر وخبط مشى على غير هداية (الاتاوة) الخراج والجباية الى بيت المال (توظيف) تقسيط ووظف على الناس الغرم قسطه عليهم والوظيفة نصيبك الذي تغرمه (المعاملات) انواع من علم الحساب وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة اذا وافقته على بيع أو كراء أو اجارة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض (تلاوة) قراءة (طوامير السجلات) بطائق الترسيل والطومار الكتاب (بون) بعد (يعتوره) يتداوله ويقصده (التباس) شك (الاكياس) أوعية الدراهم و(الاتاوة) رشوة العمال قال النبي صلى الله عليه وسلم هدايا العمال رشوة (تفرغ الرأس) تهوسه بكثرة الدروس والسهر (الاوارج) أزمة الخراج وقيل صنف من الخراج (الناظر) العامل فيها وأورجها اذا تولى عملها والقيام بها (المدارج) الرسائل سميت بذلك لانها تدرج أي تطوى على مافيها * واستخراجها تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها (يعني) يتعب (الناظر) سواد العين يريد أن كاتب الزمام في راحة وهو على على اكاسه بالدراهم وكاتب الرسالة متعوب قليل المال (النقلة الاثبات) أي هم على يقين وثبات فيما ينقلون (السفرة) الكتبة (الثقات) الامناء (أعلام الانصاف) يريد المشاهير بانصاف السلطان من الناس والناس منه وتقول أنصفت الرجل أعطيته حقه وانتصفت منه أخذت حقك و(المقانع) الذين يقنع بفعلهم أي يرضى و(الاخلاف) جودة الزرع تقول أخلف الزرع اذا طاب ورد على أصحابه أضعاف ماانفق عليه (المستوفي) رأس المشارب (قطب) أصل وقطب القوم سيدهم الذي يدبر أمرهم ويدورون على رأيه بمنزلة قطب الرحى الذي تدور عليه (الديوان) دار كتاب الخراج وهو فارسي معرب (قسطاس) ميزان يريد أنه ميزان العمل الذي يعتدل به (المهيمن) الشاهد (المآب) الرجوع (السلم والهرج) الصلح والحرب (المدار) المعول أي عليه يعول في ادارة مايدخل على السلطان من المال من رعيته ومايخرج عنه من لوازم الاجناد وغيرهم وفلان كثير الدخل والخرج اذا كثر مايدخل عليه من الفوائد ومايخرج عنه من الانفاق (مناط) تعلق (أودت) هلكت (نظام) خيط (مطلولا) هدرا أي باطلا لاحق فيه (التناصف) أخذ الحق واعطاؤه واستعار له عنقا وجعله مغلولا أي محبوسا بغل (التظالم) ضد التناصف (يراع) أقلام (متقول) منحول مايقوله (متأول) مدبر يريد أن الملك يلق للكاتب مقصد فيحسن الكاتب الالفاظ ويرتب الفقر فيزيد في كتابته ألفاظا على ماحدله بالضرورة فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل مالم يقل وكاتب الحساب لايحتاج الى تقول (مناقش) مباحث (أبو براقش) أي ياتي بانواع مختلفة وأبو براقش طائر فيه ألوان شتى مشتق من البرقشة وهي النقش والرقم يقال برقشت الثوب وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء لبعض بني أسد

ان يبخلوا أو يحسنوا * أو يعذروا والايحفلوا
يغدوا عليك مرجلين * كأنهم لم يفعلوا
كأبى براقش كل حين * لونه يتخيل *

وأبو براقش وأبو قلمون كنية للرجل الكثير التلوّن القليل الارتباط وأصل أبى قلمون كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا شتى وفى البديعية أنا أبو قلمون فى كل لون أكون (حمة) بالتخفيف سمّ وشرّ (يرقى) يصعد فى منزله ويرتفع فى أصابع الكاتب حين يكتب به (برقى) اشارة للرشوة لانها تسكن شرّه كما تسكن الرقية الوجع (اعنات) مشقة (يغشى) يكتب (يغشى) يقصد ويدخل عليه هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور لانهم حقروه أولا فى السفينة ثم عظموه آخرا بعد الاختبار * ونذكر الحكاية وان طالت لموافقتها المقامة حدّث عمرو بن مسعدة أن المعتصم لما رجع من الثغر وصار بناحية الرقة قال لى مازلت تسألنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز وقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك واحلف أن لاتقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له وقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا العامل خراج ولم أجد بدا من طاعته فخرجت الى بغداد فقرش لى زورق وحشى بالمخ فلما صرن عند دير هرقل واذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال هذا شحاذ وان قعد معك آذاك فامرت الغلمان فأدخلوه فى كوثل الزورق فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع الا أنه نظيف فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى مايستعمل العوام مع الخاصة أن يقوم فيغسل يده فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فقلت ياهذا ماصناعتك فقال حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى ثم قال لى جعلت فداك سألتنى عن صناعتى فأخبرتك فما صناعتك فقلت هذه والله أعظم فكرهت ذكر الوزارة فقلت كاتب فقال الكاتب على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والتهانى والتعازى والصدور وجملا من الاعراب وكاتب خراج يحتاج الى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف شيات الخيل وحلى الناس وكاتب شرطة يحتاج الى أن يعرف الجراح والقصاص والديات وكاتب قاض يحتاج الى أن يعرف الفقه والوثائق ومايتعلق بذلك فأيهم أنت أعزك الله تعالى قلت كاتب رسائل قال فاخبرنى ان كان لك صديق تكتب له فى المحبوب والمكروه فتزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيه أو تعزيه قلت والله لاأدرى وهو بالتعزية أولى قال صدقت فكيف تعزيه قلت والله لاأدرى قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول وقد ولاك السلطان عملا فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنصفهم وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم براح فاردت مساحته قلت أضرب العطوف فى العمود قال اذن تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة والعطوف على حدة قال اذن تظلم الناس قلت والله فما أدرى قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند فقال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما قلت اكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم قال وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر

ولكنها حمة حين يرقى الى أن يلقى ويرقى واعنات فيما يغشى حتى يغشى ويرشى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم

ألف درهم فيقبض هذا دعوة هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض قال فما تقول فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وللزوجة بنت وللسرية ابن فتنازعتا فيه فقالت كل واحدة منهما هذا ابنى وأنت خليفة القاضى قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاض قال فأيهم أنت قلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومة فقلت لا أعلم وقد سألت ففسر لى ماذكرت قال أما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان احكام الله تعالى تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للمخلوق فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام قال وأما البراح فتضرب واحدا فى واحد فى مساحة العطوف فثم بابه قال واما المقطوع العليا فتكتب عليه أحد الاعلم وعلى المقطوع السفلى أحد الاشرم واما المرأتان فيوزن لبنهما فأيتهما كان لبنها أخف فهى صاحبة البنت وفى الموضحة خمس من الابل وفى المأمومة ثمانية وعشرون قلت فما نزع بك الى هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فلاقيته معزولا فخرجت الى بعض النواحى أضطرب فى المعاش قلت أليس قد ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب فلما بلغنا الاهواز أمرت الحجام فأخذ من شعره وأدخل الحمام فكسوته من ثيابى وكلمت الرخجى فيه فى الاهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فقال لى المعتصم ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبرى ثم خبر الرجل فقال هذا لا يستغنى عنه فلاى شئ يصلح قلت هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه البناء فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه فيقول ياسبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ومثل ابهامه هنا انه حائك ابهام أبى زيد فى التاسعة أنه نظام (قوله أمتع الاسماع) أى متع الآذان ولذذها ومنه يقال فى الكتابة أبقاك الله وأمتع بك ومعناه أطال الله عمره من الماتع وهو الطويل عند العرب ومنه متع النهار أى علا وقال الانصارى

(قال الحرث بن همام) فلما أمتع الاسماع

واها لايام الصبا وزمانه * لو كان أمتع بالمقام قليلا

ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنياء ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلون وكتب محمد ابن عبد الملك الزيات الى عبد الله بن طاهر كتابا فى صدره وأمتع بك فكتب اليه ابن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك

أم قد ترى أن فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك

ان جفاء كتاب ذى ثقة * يكون فى صدره وأمتع بك

أتعبت كفيك فى مخاطبتى * حسبك مما لقيت من تعبك

(فأجابه ابن الزيات)

كيف أخون الاخاء يا أملى * وكل شئ أنال من سببك

ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك

أنكرت شيأ ولست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك

فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات ان الحسن بن وهب مرض فلم يعده ولا تعرف خبره فكتب اليه الحسن

أيها ذا الوزير ايدك الله * وأبقاك لي زماناطويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا * س لكيما أراه رضا جميلا
انني قد أقمت عشرا عليلا * ماترى مرسلا الي رسولا
ان يكن يوجب التعهد في النسبة منا على دمك طويلا
فهو أولى ان يساء الناس برا * وافتقادا لمن يكون عليلا

(وأجابه ابن الزيات)

دفع الله عنك نائبة الدهر * وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائرا مقبولا
ولعمري أن لو علمت فلا رمتك حولا لكان عندي قليلا
فاجعلن لي الى التعلق بالعذر * رسبيلا ان لم اجدلي سبيلا
فقديما ماجاد بالصفح والعفو وماسامح الخليل خليلا

وكتب بعض الكتاب الى صديق له يعاتبه على ترك عيادته

ياجافيا ترك السؤال بعبده * نفسي فداؤك من ملول قاطع
اعتل عبدك من تشكي رأسه * سنا وأردفها بيوم سابع
فبست رسلك عن تعهد علتي * وقطعت من سبب الوصال مطامعي
وعلمت منك تماديا في جفوتي * فرجعت في عنوى كاحسن راجع

(فأجابه الآخر)

لاوالذي قسم الجمال بفضله * فحباك منه بالضياء اللامع
ماان علمت بعلة لك سيدي * الا يحطك في القريض البارع
واذا أتتك رسالتي فقرأتها * فاقبل فديتك من مقر خاضع

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاما لابي تمام روميا وكان أبو تمام يتعشق غلاما للحسن خزريا فرآه أبو تمام يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقت في الروم لأركضن الى الخزر وما أشبهك الا بداود وأشبه نفسي بخصمه فقال الحسن لو كان هذا منظوما خفناه والمنثور عارض لاحقيقة له فقال أبو تمام

أبا علي لصرف الدهر والغير * وللحوادث والايام والعبر
أذكرتني أمر داود وكنت فتى * مصرف القلب في الاهواء والذكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الاحشاء للقمر
ان أنت لم تترك السير الحثيث الى * جآذر الروم أعنقنا الى الخزر

وكان الحسن يكتب لابن الزيات فلما وقف على ما بينهما من أمر العلاء بن تقدم الى بعض ولده وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه مايدور بينهما فعزم غلام أبي تمام على الحجامة فكتب الى الحسن يعلمه بذلك و يسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه اليه مائة دن ومائة دينار وخلعة و بخورا وكتب اليه

ليت شعري يا أملح الناس عندي * هل تداويت بالحجامة بعدي
رفع الله عنك لي كل سوء * باكر ائح وان خنت عهدي

قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى * فبدا منه غير ما كنت أبدى

وخلعت العذار فليعلم النا * س بأنى اليك أصغى بودى

وليقولوا بما أحبوا اذا كنـ * ـت وصولا ولم ترعنى بصد

من عذيرى من مقلتيك ومن اشـ * ـراق وجه من تحت حمرة خد

ووضع الرقعة تحت مصلاه وأعلم ابن الزيات خبرها فأرسل فى الحين وشغله بشئ ووجه من جاء بها فلما قرأها كتب فيها على لسان أبى تمام

ليت شعرى عن كتب شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجد

فلئن كنت فى المقال محقا * يا ابن وهب لقد تطرفت بعدى

وتشبهت بى وكنت أرى أنى * أنا العاشق المتيم وحدى

ان مولاى عبد غيرى ولولا * شؤم جدى لكان مولاى عندى

ثم قال ضعوا الرقعة مكانها فلما قرأها الحسن قال أنا لله افتضحنا عند الوزير واعلم أبا تمام فتلقاه فقال الا ما جعلتنا بين هذين العلاء بين سببا المكاتبة بالاشعار فقال لهما ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله عليهما أشد * محمد بن اسحق قلت لابى تمام غلامك أطوع للحسن من غلامه لك قال انى أعطى غلامه قبلا وقالا ويعطى غلامى شبابا ومالا وقال أبو تمام فى غلامه

يا عمرو قل للقمر الطالع * اتسع الخرق على الراقع

يا طول فكرى فيك من حامل * لرقعة مفكوكة الطابع

ما أنت الا رشا جوذر * حل مغنى أسد جائع

(قوله راق) أى أعجب (راع) أفزع لافراط حسنه (استنسبناه) سألناه عن نفسه وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فان ذلك أوصل للمودة (استراب) دخلته الريبة (منسابا) موضعا يدخل فيه (لبسه) تخليطه و(غمة) القلب ما يغطيه من الشك أو الهم فأراد انه لبس عليه فلم يعرفه (اذكرت) أى ذكرت (أمة) حين (الفلك) مدار النجوم (والفلك السيار) أى السفينة السريعة والفلك لفظ يقع للواحد والجمع (أعهده) أعرفه (رواء) فتوة وحسن هيئة (أيد) قوة (استحالة) تغير و(الحول) القوة وأيضا الحيلة ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان الشريف الرضى فى جوابه للصابى وقد شكا اليه الهرم والجلوس فى المحفة وامتناعه من التصرف فقال

لئن رام قبضا من بنانك حادث * لقد عاض منك انبساط جنان

وان أقعدتك النائبات فطالما * سرى سوقرا من مجدك الملوان

وان هدمت منك الخطوب بمرها * فثم لسان للمناقب بان

(قوله لا يفرى فريه) أى لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله قال الحوفزان

وما ارتعشت كفى ولا طاش ضربها * اذا طرحوا بالنارس المتهلل

ولكنها انذالك تفرى فريها * وتقرع رأس النارس المتقلل

(يبارى عبقريه) يجارى جنبه واللفظ الحريرى كله منتزع من الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأنى على بئر وأرى جميع الناس فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا

بما راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسابا لانساب فحصلت من لبسه على غمه حتى اذكرت بعد أمه فقلت والذى سخر الفلك الدوار والفلك السيار انى لاجد ريح أبى زيد وان كنت أعهده ذا رواء وأيد فتبسم ضاحكا من قولى وقال أنا هو على استحالة حالى وحولى فقلت لاصحابى هذا الذى لا يفرى فريه ولا يبارى عبقريه فخطبوا منه الود

أوذنوبين وفيه ضعف والله يغفرله ثم جاء عمر رضى الله عنه فاستحالت بيده غربا فلم أرعبقريا من الرجال يفرى فريه حتى ضرب الناس بأعطانهم يقال رجل عبقرى أى كامل قوى والعبقرى أيضا الحسن من كل شئ (الوجد) المال (رغب عن الالفة) أى تباعد عن الصحبة (ولم يرغب فى التحفة) أى لم يطمع فى العطية أى لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم (سحقتم) نقضتم وغيرتم (سحق) ثوبى البالى (وكسفتم) بالى تنقصتم حالى وغيرتوها (سربالى) قميصى (السخينة) الساخطة الحارة الدمع (شاب) أى خلط و (محضه) خالصه و (غشه) عيبه وفساده وللزاهد بن عمران فى النصيحة

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من أصل الديانه
لاتعرضن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من أن تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

(وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة)

اذا ما هديت امرأ مخطئا * أضل السبيل الى قصده
ولم تلقه ساديا قابلا * فحسن له المشى فى ضده

(وقوله لا تعجلن) ومابعده من قول الشاعر

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

(ولابن عمران أيضا)

تحر سبيل القصد فى الناس ولتكن * على حذر منهم ولا تسئ الظنا
ولا تمدحن من لم تجرب ولا تقل * على غير علم ذاك من ذا كم أسنى
فما كل من يرضيك ظاهر حاله * لدى الخبر محمودا وقد يحمد الادنى

(القضية) الحكم (مبتوتة) مقطوعة (تبله) تجربه (خدشه) عيبه واذايته (تجتلى) تنظر (بطشه) صولته عند الغضب يقول لاتحكم بشئ على أحد حتى تجربه فى الشدة والرخاء وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان فلانا الرجل صدق قال أسافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه خصومة قال لا قال فهل ائتمنته على شئ قال لا قال فأنت الذى لاعلم لك به وانما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد (يبين) يظهر (خلب) كاذب (الشائمين) الناظرين الى البرق (وبله) مطره الكثير (طشه) مطره القليل (يشين) يعيب (واره) استره (كرما) أى تكرما منك عليه (أفشه) حدث به وانشره (الارتقاء) الترفيع (رقه) رفعه (استحط) انضع (حشه) كنفه وهو المستراح (التبر) الذهب قبل السبك (يستثار) يستخرج (النبش) البحث عليه (الغباوة) الجهالة (رونق رقشه) حسن زينته (مهذبا) مخلصا (دروس) اخلاق (بزته) لبسته (رثه) ضعف (طمرين) ثوبين خلقين (هب) خف (مفوف) مزين (لفحشه) لقبح كلامه (يغش عارا) يدخله (أسماله) ثيابه البالية (مراقى) سلالم ومدارج (عرشه) سريره ومنزلته (العضب) السيف (قرابه) جفنه * ومما ينتظم فى هذا السلك ان الصحار العدوى دخل على معاوية فى عباءة فاحتقره فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فلا سمعه بيانا ثم خرج ولم يسأله شيأ فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه

وبلوا الله الوجد فرغب عن
الالفه ولم يرغب فى التحفه
وقال أما بعد ان سحقتم
حتى لاجل سحق وكسفتم
بالى لاخلاق سربالى فما
أراكم الابالعين السخينه
ولا الكم منى الاصحبة
السفينه ثم أنشد
اسمع أخى وصية من ناصح
ماشاب محض النصح منه بغشه
لاتعجلن بقضية مبتوتة
فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى
وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه
للشائمين ووبله من طشه
فهنالك ان ترما يشين فواره
كرما وان ترما يزين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه
ومن استحط فحطه فى حشه
واعلم بان التبر فى عرق الثرى
خاف الى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا
لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا فى نفسه
لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخى طمرين هب لفضله
ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن
أسماله الا مراقى عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه
خلقا ولا البازى حقارة عشه

وقال

وقال بعضهم

اني وان كنت أثوابي ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد همماتي وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لحان

(وقال آخر)

هل ينفعنك بعد شيبك في الهوى * توقير مكتسب ولبس ثياب
هيهات ما نفع المهند في الوغى * بحلى غمد فوقه وقراب

(وقال الخازرزي)

لا تنظرن الى أثواب مغترب * نائي المحل بعيد الاهل والدار
وانظر اليه اذا ما قام في ملا * بمنطق لذوي الالباب سحار

(وقال المعري)

وان كان في لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

(وقال أبو هفان)

لعمري لئن بيعت في دار غربة * ثيابي ان ضاقت على المآكل
فما أنا الا السيف أخلق جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

(وقال لبيد)

أصبحت مثل السيف أخلق جفنه * تقادم عهد السيف والسيف قاطع

(وقال النمري)

فان تك أثوابي تمزقن عن بلى * فاني كنصل السيف في خلق الغمد

كان بالكوفة رجل يعرف بابي ذؤيب وكان مقصد الشعراء فدخل مجلسه محمد بن حازم الباهلي وعليه ثياب رثة وهم يتكلمون في معاني الشعر فساله ابن حازم عن بيت الطرماح فرد أبو ذؤيب جوابا محالا وهو في ذلك كالمزدري لابن حازم فوثب مغضبا فقيل له ماذا قصحت على نفسك من الشر أتدري من احتقرت قال لا قيل هو أخبث الناس لسانا واهجاهم هذا ابن حازم فوثب حافيا حتى لقيه وحلف انه لم يعرفه واستقاله فأقاله وقال

أخطا على ورد غير جوابي * وزرى على وقال غير صواب
وسكت من عجب لذاك فزادني * فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى على بظاهر من كسوة * لم يدر ما اشتملت عليه ثيابي
من عفة وتكرم وتجمل * وتجلد لمصيبة وعقاب
لكنه رجعت عليه ندامة * لما يسبب وخاف مض عتابي
فأقلته لما أقر بذنبه * ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط الهمة يرضيه اليسير على انطباعه في شعره وقال حماد بن يحيى قال لي ابن حازم يوما ما بقي على شيء من اللذات الا بيع السنانير فقلت له ويحك وأي شيء في ذلك من اللذة قال يعجبني أن تجيء العجوز الرعناء تخاصمني وتقول هذا سنوري سرق فأخاصمها فتشتمني فأشتمها وأغيظها ثم أنشد صل خمرة بخمار * وصل خمارا بخمر

ثم ماعتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على مافرط فى ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لانحتقر شخصا لرثاثة برده وأن لاتزدرى سيفا مخبوأ فى غمده

وخذ نصيبك من ذا * وذا الى حيث تدرى

فقلت الى أين ويحك فقال الى النار يا أحمق (قوله ماعتم) أى ماأبطأ ولاتأخر ويقال عتم القرى اذا تأخر وأعتم حاجته أخرها ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها (استوقف الملاح) أمر خادم السفينة بالوقوف (صعد) ارتقى وارتفع (ساح) ذهب فى الارض (فى ذاته) أى فى نفسه (أغضى جفنه) سد عينه (قذاته) عاره وعيبه الذى تلقى به السروجى عند الدخول فى السفينة والقذاة مايسقط فى العين فيوجعها (تزدرى) تحتقر (رثاثة برده) لاخلاق ثوبه والله تعالى الموفق

(شرح المقامة الثالثة والعشرين وهى الشعرية)

(المقامة الثالثة والعشرون الشعرية)

(حكى الحرث بن همام) قال نبابى مألف الوطن فى شرخ الزمن لخطب خشى وخوف غشى فارقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت فى سرى وعورا لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافه والحرم العاصم من المخافه فسروت ايجاس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همى على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفى وأجيل فى طرقه طرفى فاذا فرسان متتالون ورجال متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت فى أثر النظاره

(قوله نبابى) أى قلق بى ولم يوافقنى (الوطن) المنزل و (مألفه) موضع الاجتماع به والتأليف فيه (شرخ) أول أراد فى أول زمانه وشبابه (خطب) أمر مخوف (خشى) خيف و (غشى) نزل وغطى (أرقت) هرقت وجعل للكرى وهو النوم كأسا مجازا وكنى بهرقها عن ازالة النوم عن عينه (نصصت) رفعت وحركت (ركاب السرى) ابل السير (جبت) قطعت (وعورا) طرقا صعبة (تدمثها) تسهلها وتلينها (الخطا) هنا الاقدام وقوائم الحيوان و (القطا) طائر وقد تقدم و (هدايتها) فيما زعموا أنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين أو سبعة فما دونها فيردنه ضحوة يومهن فيحملن الماء لفراخهن فينهلنهن ثم يرجعن بعد الزوال الى تلك المسافة فيشربن ويأتين فراخهن فى عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن فيقال لذلك اهدى من القطا قال الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

(وقال حميد بن ثور)

كما اتصلت كدر النسق فراخها * بعروة رفقا والمياه شعوب

فجاءت ومسقاها الذى وردت به * الى الصدر مشدود العصام كتيب

تبادر أطفالا مساكين دونها * فلا لاتخطاه الركاب رغيب

وضعن لها غوثا بأرض تنوفة * فما هى الا نهـــــله وتوب

(قوله حمى الخلافة) هى بغداد (الحرم) موضع الامن (العاصم) المانع (سروت) أزلت (ايجاس الروع) احساس الفزع والخوف و (استشعاره) استفعال من شعرت بالشىء (تسربلت) لبست سربالا (قصرت همى) حبست همتى وارادتى (ملحة) طرفة وشىء عجب (أجتليها) انظرها (الحريم) موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم (اروض) أعلم وأسوس (طرفى) فرسى (أجيل) أمشى (متتالون) متتابعون (متتالون) منصبون لكثرة جريهم (الطيلسان) ثوب خز أخضر (لبب) جعل فى عنقه ثوبا وقاده به وأخذ بتلابيبه وهى أطواق ثوبه والتلابيب مأخوذة من اللبة وهى وسط الصدر (جديد الشباب) أى فتى السن وتقدم الجلباب (ركضت فى أثر النظارة) أى خلف الناظرين لما يفعل به ومن شأن الغوغاء والعامة اذا رأوا محبوسا أو مضروبا أن يتبعوه ويتكاثروا عليه ونظر عمر رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا مريبا فقال لامرحبا

حتى وافينا باب الامارة وهنالك صاحب المعونة متربعا فى دسته ومروعا بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالى وجعل كعبه العالى انى كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوى على ويتقح حين يروى منى ويلقح فقال له الفتى علام عثرت منى حتى تنشر هذا الخزى عنى فوالله ماسترت وجه برك ولاهتكت حجاب سترك ولاشققت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأى ريب أخزى من ريبك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحرى واستلحقته وانتحلت شعرى واسترقته واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار

بهذه الوجوه التى لاترى الاعند الشر وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما اجتمعوا قط الاضروا ولاتفرقوا الانفعوا قيل له قد علمنا ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى كيره وكل صانع الى صنعته وقال دعبل

ما أكثر الناس لابل ما أقلهم * والله يعلم انى لم أقل فندا

انى لأفتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

ومر على بن الجهم بمبرسم والناس قد تجمعوا حوله وحلقوا به فلما رآهم المبرسم أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول

لاتحفلن بعشر الهمج الذين تراهم

فبحق من أبلى بهم * نفسى ومن عافاهم

لوقيس مولاهم بهم * كانوا اذا مولاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الوجه حسن اللبسة فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول

هذا السعيد بينهم * قد صار بى أشقاهم

(وافينا) وصلنا و(صاحب المعونة) والى الجنايات وقال الرسمى ولى فلان المعونة أى ولى العون أى ولاه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهى بتأويل المصدر بمنزلة قولهم ماله معقول أى عقل ولامجلود أى جلد (مروعا بسمته) أى مفزعا بهيئته ووقاره (جعل كعبه العالى) أى جعل أسفل شئ منه يعلو أرفع شئ فى غيره (كفلته) ضممته وقت بؤسه. أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وخير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشرها بيت فيه يتيم يساء اليه. أبو أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الالله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا واياه فى الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه (فطيما) أى صغيرا كما منع الرضاع (لم آله) أى لم أقصر فى تعليمه (مهر) ظهر وصار ماهرا أى حاذقا (بهر) غلب أمثاله (العدوان) الظلم (يلتوى) ينعطف لضرى وهو من فعل الحية اذا اتبعها الرجل التوت عليه لتلسعه (يتقح) يسقط حياؤه (يلتقح) يشرب لبن لقحتى واللقحة الناقة ذات اللبن (عثرت) اطلعت (الخزى) العار والشر والخزى الهوان (هتكت) خرقت (حجاب سترك) أى ثوب طاعتك (ولاشققت عصا أمرك) أى ماخالفت حكمك وشق فلان العصا خرج عن الامر مخالفا وشق عصا المسلمين فرق جماعتهم والاصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ومنه قولهم للمطمئن ألقى العصا وقيل شق العصا صار منها فى شق وخرج عن الجماعة وفسر قوله تعالى شاقوا الله ورسوله بالمباينة لان من صار فى شق عن شق صاحبه فقد باينه وقيل معنى شق العصا ذهب الى شقها أى كسرها فجئ بالشق الذى هو من صفة العصا وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ

تصدع شعب الحى وانشقت العصا * كذاك النوى بين الخليط شقوق

(ألغيت) تركت (تلاوة) قراءة و(الريب) الريبة والتهمة (أخزى) أضر وأكثر هوانا (أفحش) أقبح (ادعيته) نسبته لنفسك وليس لك (سحرى) بديع كلامى (استلحقته) ألحقته بنفسك (انتحلت) ادعيت (أفظع) أمر (البيضاء والصفراء) الفضة والذهب (بنات الافكار) هى الاشعار

(سلخ) أخذ المعنى (مسخ) قلب الكلام وغيره (نسخ) نقله بعينه والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه وهى النسخ والمسخ والرسخ والفسخ فالنسخ عندهم أن يحول الادنى الى الاعلى والمسخ ان يحول الاعلى من الحيوان الى الادنى والرسخ رد الحيوان جمادا والفسخ ان يتلاشى فلا يكون شيأ وقال شاعرهم

(أقسام سرقات الشعراء)

تعوذ بالاله من الممسوخ * وسله ان تكون من الدسوخ
لقد حاب الذى أضحى وأمسى * ينقل فى فسوخ أو رسوخ

(وقال المعرى)

وقال بأحكام التناسخ معشر * غلوا فأجاروا الفسخ فى ذا والرسخا

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم بالمصنف فى الدلالات على سرقات المتنبى فانه جعلها عشرين وجها عشرة أوجه يعفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته الاول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير كقول طرفة

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد

فقال الوالى للشيخ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ

اختصره ابن الزبعرى فقال

والعطيات خساس بينهم * وسواء قبر مثر ومقل

ففصل صدر بيته وجاء بيت طرفة فى عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح الثانى نقل اللفظ الرذل الى الرشيق الجزل كقول العباس بن الاحنف

زعموا لى انها باتت تحم * اشتكى الله بهذا من زعم
اشتكت أكمل ما كانت كما * يشتكى البدر اذا ما قيل تم

(فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال)

طوى عارض الحمى سناه فقالا * وألبس ثوبا للسقام هزالا
كذا البدر محتوم عليه اذا انتهى * الى غاية فى الحسن عاد هلالا

الثالث نقل ما قبح مبناه دون معناه الى ما حسن مبناه ومعناه كقول أبى نواس

يح صوت المال مما * منك يدعو أو يصيح ما لهذا آخذ فوق * يديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه سلم فقال

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والاعداء وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى الرابع عكس ما يصير بالعكس ثناء بعدما كان هجاء كقول البلاذرى

قد يرفع المرء اللئيم حجابه * ضعة ودون العرف منه حجاب

معكوسه

ملك أغر محجب * معروفه لا يحجب

الخامس استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ما قصد اليه كقول أبى نواس فى الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

احتذاه البحترى وفارق مقصده فجعله فى محبوب فقال

غاب دجاها وأى ليل * يدجو علينا وأنت بدر

السادس توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق كقول أبى تمام

لا امر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذه من قول الاعرابى أنشده الاصمعى رحمه الله تعالى

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ماجنت المنون

فجرد لفظه من لفظ من أخذ منه وهو فى معناه متفق معه وهذا من أدل الاقسام على فطنة الشاعر السابع فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات وهذا من أشذ باب وأقله وجودا وانما قل لانه أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته كقول أبى نواس

واسقنيها من كميت * تدع الليل نهارا

(ثم قال أيضا)

لاينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

(ثم قال أيضا)

ألمبتغى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا

(ذكر السرقات المذمومة)

فكل هذه معان متقاربات وألفاظ متشابهات مولد بعضها من بعض الثامن مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام وان كان الاول أحق به لانه ابتدع والثانى اتبع من ذلك قول العكرى فى فرس

مطرد يرتج من أقطاره * كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه فأخذه ابن المعتز فقال

فكأنه موج يذوب اذا * أطلقته فاذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين التاسع مماثلة السارق المسروق بزيادته فى المعنى ماهو من تمامه كقول أبى حية

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

(أخذه من قول النابغة)

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فلم يزد النابغة على اتقائها باليد وزاد عليه أبو حية بقوله دونه الشمس وخبر عن المتقى بأحسن خبر فاستحقه العاشر رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه كقول حسان

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لايسألون عن السواد المقبل

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

الى بيت حان لاتهر كلابهم * على ولا ينكرون طول ثوائى

ولا فرق بين المعنيين والسرقات المحمودة أكثر من أن تحصر ونذيل وجه السرقات المذمومة وهى كالمحمودة عشرة أقسام الاول نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير كقول سالم الخاسر

أقبلن فى رأد الضحى بنا * يسترن وجه الشمس بالشمس

(أخذه الثانى فقال)

واذا الغزالة فى السماء تعرضت * وبدا النهار لوقته يترحل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها * تلقى السماء بمثل ما تستقبل

المعنى صحيح والكلام مليح غير أنه تطويل وتضييق والبيتان جميعا نصف بيت سالم الثانى نقل الرشيق الجزل الى المستضعف الرذل كقول القائل

كأن ليلى صبير غادية * او دمية زينت بها البيع

(أخذه أبو العتاهية فقال)

كأن عتابة من حسنها * دمية قس فتنت قسها

فقصر لفظه عن الفصاحة ومعناه عن الرجاحة الثالث نقل ماحسن معناه ومبناه الى ماقبح مبناه ومعناه كقول امرئ القيس

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فاتى بما لا يعلم وجوده فى البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبا وجاء ببيت فى مراده حسن النظام مستوفى التمام أخذه كثير فقال

فما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فطوّل وحسن وقصر غاية التقصير وأخبر أنها اذا انطيبت كالروضة فى طيبها وذلك مما لا يعدم فى أقل البشر تنظيفا الرابع عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد ان كان ثناء كقول أبى نواس رحمه الله تعالى

فهو بالمال جواد * وهو بالعرض شحيح

(عكسه ابن الرومى فقال)

ماشئت من مال حمى * يأوى الى عرض مباح

الخامس نقل ماحسنت أوزانه وقوافيه الى ماقبح وثقل على لسان راويه كقول مسلم رحمه الله تعالى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

(أخذه أبو تمام فقال)

قال لى الناصحون وهو مقال * ذم من كان جاهلا اطراء

صدقوا فى الهجاء رفعة أقوا * م طغام فليس عندى هجاء

فبين الكلامين فرق بعيد الثامن نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى كقول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم)

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * جرى المعافاة فى أعضاء منتكس

التاسع نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وافساد كقول القائل

ولقد أروح الى التجار مرجلا * مذلى بمالى لينا اجيادى

وانما الجيد واحد وهذا وان جاز عند بعض العرب فهو عند الآخرين غير جيد ولا سديد العاشر أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال

قوله الثامن كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا وقد اسقط السادس والسابع اه

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال الاعشى فكيف أنا وانتحالى القوافى * بعد المشيب كفى ذاك عارا

ومن سرقة اللفظ والمعنى ما يحكى عن أبى المعافى أنه لما مدح أبا العباس محمد بن ابراهيم الامام بقوله

الذك بمدحى يا خير أبنا * رسول الله من تلد النساء

ستأتيك المدائح من رجال * وما كف أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بان وضع الرجال موضع النساء وغير عجز البيت الآخر فقال

* كما اختلفت الى الغرض النبال * فاستعدى عليه أبا المعالى صالح بن اسمعيل وهو على شرطة محمد بن ابراهيم بالمدينة فقال

ماسارق الشعر فيه وسم صاحبه * الا كسارق بيت دونه غلق

بل سارق البيت أخفى حين يسرقه * والبيت يستره من ظلمة غسق

من جيد الشعر أن يخفى لسارقه * وجيد الشعر قد سارت به الرفق

فقال صالح فما تحب أن أفعل به فقال تحلفه عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا ينشد هذا الشعر الالى وكان محمد بن زهير يشرب فاذا سكر لا يفيق الا بانشاد الشعر فأمر يوما جبار بن محمد الكاتب أن ينشده فأنشده أبياتا لابى نواس ادعى أنه قائلها وهى

صاح مالى وللرسوم القفار * ولنعت المطى والاكوار

شغلتنى المدام والقصف عنها * وسماع الغناء والمزمار

ومضى فى الشعر وأبو نواس قاعد فوثب وتعلق به قدام محمد بن زهير وأنشأ يقول

أعدنى يا محمد بن زهير * يا عذاب اللصوص والذعار

يسرق السارقون ليلا وهذا * يسرق الشعر جهرة بالنهار

صار شعرى قطيعة لجبار * أفهذا لقالة الاشعار

قل له فليغر على شعر حماد أخى الفتك أو على بشار

وسرق محمد بن يزيد الاموى شعرا لحبيب فقال حبيب

من بنو بحدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل وعامر ومن الحرث أو من عتيبة بن شهاب

انما الضيغم الهصور أبو الاشبال جبار كل جيش وغاب

من عدت خيله على سرح شعرى * وهو للحين راتع فى كتاب

غارة أسخنت عيون المعانى * واستباحت محارم الآداب

لو ترى منطقى أسيرا وأصبحت أسيرا بعبرة واكتئاب

يا عذارى الاشعار صرتن من بعدى سبايا تبعن فى الاعراب

طال رهبى اليك يارب يارب ورغبى اليك فاحفظ ثيابى

وعارض أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه

نال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير اغضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم - وظل لص القريض ينتهبه
اردد علينا الذى استعرت وقل - قولك يعرف لغالب غلبه

واستعدى ابن الرومى العلاء بن عيسى على البحترى فقال

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت * به الدواهى نصول الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * فالقوم ما بين مقتول ومغتصب
نكله ان اناساقبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقد دها شعراء الناس بالحرب
وان اساء فأوجب قتله قودا * عن آفات اذا أبقى على السلب
يسىء عفافان أكدت مسائله * أجاد لصا شديد البأس والكلب
حتى يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذى لجب

(وقال فيه ابن الحاجب)

والفتى البحترى يسرق ما قا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

(ولابن الحاجب أيضا)

هل الى محنة تخبر من فا * ضلنا فى القريض والمفضول
محنة تفضح اللصوص وتقضى * بالذى فيهم قضى التنزيل
سارق المال تقطع الكف منه * واللسان السروق منها بديل
ليسود الذى يحق له السو * دد منا ويرذل المرذول

و بلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره فقال أبلغوه عنى

سرقت شعرى وغيرى * يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك ضعفا * بكل رأسا وأخدع
فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

فاتخذ السارق لذلك جلا وهرب من الرى وبين السرى الموصلى والخالديين مستطرفات فى هذه السرقات اشتهرت فى كتب الآداب فلنلم ببعض ما قال السرى فيهما وفيه يقول الثعالبى السرى وما أدراك ما السرى صاحب الشعر الجامع بين عقود الدر والنافث فى عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق فى كعبة الظرف وكتبت منه محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح قال يتظلم الى سلامة بن فهد من الخالديين

تحيف شعرى يا ابن فهد مصالت * عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفى كل يوم للغبيين غارة * تروع ألفاظى المحجلة الغرا

اذا عنّ لي معنى تضاحك لفظه * كما ضاحك النوّار في روضه الغدرا
غريب كنشر الروض لما تبسمت * مخايله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه * وصدر من الاقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم * من العلم معذور متى خلع العذرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها * وأدنستما تلك المطارف والازرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما * وأبقيتما لي في محاسنه الشطرا

وقال يخاطب أبا الخطاب وقد سمع ان الخالديين يرجعان الى بغداد

بكرت عليك معرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردا العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحرث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما * في القتل لا في صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلي غارة * وحذار من فتكات ليثي غاب
تركت غرائب منطقي في غربة * مسبية لا تهتدي لاياب
أعزز عليّ بأن أرى أشلاءها * تدمى بظفر للعدو وناب
جرحى وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
ان عز موجود الكلام عليهما * فانا الذي وقف الكلام ببابي
كم حاولا أمري فطال عليهما * أن يدركا الامشار ترابي

والقصيدة طويلة جمعت منها ما وافق الغرض وسلم بشيء منها في الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى وقال يتظلم منهما لابي البركات

يا أكرم الناس الآن تعدّ أبا * فات الكرام بآيات وآثار
أشكو اليك حليفي غارة شهرا * سيف العقوق على ديباج أشعاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم * لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغي مصلتة * في جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فظل العطر متهما * لديهما يشترى من غير عطار
ان قلداك بدرا فهو من نخبي * أو ختماك فياقوتي وأحجاري
كأنه جنة راقت حدائقها * بين الغبيين في نار واعصار
عار من النسب الوضاح منتسب * في الخالديين بين الخزى والعار

وشتان بين قول السري في أبي بكر وأبي عثمان ابني هشام الخالديين وبين قول الثعالبي فيهما حين قال ان هذين لساحران يغربان فيما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان وكان ما يجمعهما من أخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب وهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان في قول الشعر وينفردان ولا يكادان في السفر والحضر يفترقان وكانا في التساوي كما قال أبو تمام

رضيعي لبان شريكي عنان * عتيقي رهان حليفي صفاء

(بل كما قال البحتري)

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعلم موضع فرقد عن فرقد

(بل كما قال الصابي)

أرى الشاعرين الخالدين تشرا * قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا * ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا الى حكمي فأصلحت بينهم * وماقلت الابالتي هي أرشد
هما لاجتماع الفضل روح مؤلف * ومعناهما من حيث ألفت مفرد
كما فرقدا الظلماء لما تشاكلا * علاء أأشكى ذاك أم ذاك أمجد
فزوجهما ماشله فى اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أسعد
فقاموا على صلح وقال جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وأفاضل الشأم والعراق بعضهم يفضل السرى عليهما وبعضهم يفضلهما فهذا كله فصل فى السرقات مستطرف احتوى على فوائد من علم الادب وهى عشرون وجها والعشرون وجها فى السرقة جلبتها من كتاب الوكيعى على اختصار (قوله والذى جعل الشعر ديوان العرب) أى كتابا تدون فيه أخبارهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم فى ناديهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من الشعر لحكمة رواه ابن عمر رضى الله عنه * عمر رضى الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الاخلاق (قوله يا خاطب الدنيا الدنية) أى التى لاخير فيها (شرك) مصائد (الردى) الهلاك (قرارة) موضع يستقر فيه الماء (الاكدار) ما يتكدر به الماء الصافى (أظل) دنا وقرب (ينقع) يروى (صدى) عطش (جهامه) سحابه الذى لاماء فيه (الغرار) الخداع (تنقضى) تنقطع وتتم أراد أن الدنيا تهلك من فيها فكنى بالاسير عن ذلك وأسير الموت لايفدى (الجلائل) جمع جليلة وهى الشئ الرفيع * وتقدمت الاخطار (مزده) معجب (غرورها) خداعها (متمردا) متجاوزا الحد فى الفساد (المجن) الترس (أولغت) جعلتها تلغ الدم (المدى) جمع مدية السكين (بزت) وثبت عليه (الثار) طلب الدم وأراد أنها لما بسطت الارزاق للانسان فأعجب بها وركب رأسه فى الفساد تحولت عليه وسقت سكينها من دمه والعرب تقول قلبت له ظهر المجن اى غيرت له حالى وهو مثل يضرب للمحاربة بعد المسالمة وأصله فى الحرب لان الرجل اذا صالح صاحبه جعل بطن مجنه مما يلى صاحبه المصالح فاذا حاربه قلب له ظهره للقتال وفى جواب رسالة المهلب الى الحجاج وزعمت انى ان لم ألقهم فى موضع كذا أسرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن ثم اذا كانت الواقعة فهذا بين ما ذكرناه (اربا بعمرك) أى ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرك وتقول ربأت القوم أى صرت لهم ربيئة وهو الحارس لهم والمربأ الموضع المشرف الذى يقعد فيه الناظر فمعنى اربا بنفسك أى

فقال والذى جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما أحدث سوى أن يترنمل شرحه وأغار على تلى سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها ليتضح ما احتازه من جلتها فانشد

يا خاطب الدنيا الدنية انها
شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها
أبكت غدا بعدا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتقع
منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضى وأسيرها
لايفتدى بجلائل الاخطار
كم مزده بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت
فيه المدى وبزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا

ارتفع عوضع ممتنع واحترس فيه لتنجو (سدى) مهملا (استظهار) استعداد وقد استظهرت بالشئ فظهرت به وأظهرته اذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية والظهير المعاون و(العلائق) كل مايعلق القلب بحب الدنيا و(الرفاهة) الخفض والعيش الهنئ (الاسرار) البواطن يريد ان سر الانسان وخاطره اذا قطع علائق الدنيا كان مترفهاخالى السر والبال (ارقب) احرس (سالمت) صالحت (كيدها) مكرها (الغدار) الذى يؤمنك فاذا أمنته خانك (وثوبه) تهيؤه للوثب عليك (خطوبها) أمورها ونوازلها (تفجا) تأتى على غفلة (ونت) فترت و(السرى) مشى الليل (الاقدار) مايقدره الله على العبد من خير أوشر فيقول اذا أمنتك الدنيا من مكرها فلا تأمنها تخطوبها تأتى على غفلة بعد أمد طويل وضمن هذا الشعر وصايا فى التحذير من الدنيا ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم فى سلك ما نظم قال النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لايشبع وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال ابنه محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وقيل لبعض الحكماء صف لنا الدنيا فقال أمل بين يديك وأجل مطل عليك وشيطان فتان وأمانى جرارة العنان تدعوك فتستجيب وترجوها فتخيب وقيل لآخر صف لنا الدنيا فقال ناقصة العزيمة مرتجعة العطية كل من فيها يجرى الى مالايدرى وقال هرون الرشيد لو قيل للدنيا صفى نفسك ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس

فيها سدى من غيرما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدا ووثوب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو
طال المدى ووفت سرى الاقدار

(ذكر التحذير من الدنيا)

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال آخر

ياخاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أبو العرب الصقلى)

ولايغررك منها حسن برد * له علمان من علم الذهاب
فأوله رجاء من سراب * وآخره رداء من تراب

(وقال أبو العتاهية)

أصبحت الدنيا لنا فتنة * والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وله أيضا

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل فى الذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وقال المتنبى

أبدا تسترد ماتهب الدنـ ـيا فياليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لاتحـ ـفظ عهدا ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها * وبفك اليدين منها تخلى
شيم الغانيات فيها فلا أد * رى لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وله أيضا)

فذى الدار أخون من مومس * وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

(وقال المعرى)

وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما * جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى
على أم دفر غضبة الله انها * لأجدر أنثى أن تخون وأن تخنى
كعاب دجاها فرعها ونهارها * محياها قامت له الشمس بالحسن
كان بنيها يولدون ومالها * حليل فتخشى العار ان سمحت بابن

(وقال ابن عبدربه)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا فجائع * عليها ولا اللذات الا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وقال أبو العتاهية)

رضيت بذى الدنيا لكل مكاسر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها ترقيه حتى اذا سما * فرت حلقه منها بشفرة جازر

(وقال أبو بكر الباوى)

ان الذى أصبح لا والد * له على الارض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده
ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

(وقال ابن عمران)

أف لدنيا قد شغفنا بها * جهلا وعقل للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها * فلا تكن ممن بها ينخدع
أضغاث أحلام اذا حصلت * أو كوميض البرق مهما لمع

(وقال ابن قاضى ميلة)

لدنياك نور ولكنه * ظلام يحاربه المبصر
فان عشت فيها على أنها * كما قيل قنطرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلا * فان الخراب بلا تعمر
ولا تدخرن خلاف التقى * فتفنى ويبقى الذى تدخر

ابن عمران واعلم ان الانسان لا يحب شيأ الا أن يجانسه فى بعض طباعه وان الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فأحبها بكله وقال

نراع لذكر الموت فى حال ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال ابراهيم بن أدهم)

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا فقال اقدم للؤمه في الجزاء على أبياتي السداسية الاجزاء فحذف منها جزأين

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابي قيل له كيف أنت في دينك فقال أخرقه بالمعاصي ولا أرقعه بالاستغفار

وللأعمى الطليطلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتهم بددا

قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا

وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا

ما لابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

تأمل هذه المقاطع فانها تضمنت حكما وآدابا وكل قطعة منها لها تعلق بشعر الحريري اما باللفظ أو بالمعنى (قوله أقدم) أي تقدم (لؤمه في الجزاء) يريد أنه جازاه على ما فعل معه من الخير مجازاة لئيم فسرق شعره (السداسية الاجزاء) لان عروضها من الكامل وأجزاؤها متفاعلن ست مرات (الرزء) المصاب (فلذ) قطع (أرعني سمعك) أي اسمع مني (ذرعك) بالك وقلبك (أصلت) جرد سيفه (تتصعد) تطلع الى فوق (الخريج) الذي خرجه معلمه وفلان خريجك أي الذي خرج بتهذيبك وتعليمك (مارق) خارج عن الطاعة (وتلميذ) طالب متعلم (برئت) زلت وانفصلت (يناويه) يعاديه (يقوض) يهدم (نمت) اتصلت ونميت الحديث أسندته (ألفت نظمي) جمعت شعري (توارد الخواطر) تواطؤ الاذهان أي وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع لذهن الشيخ مثل الحافر الذي يقع على الحافر وهذا الكلام يعزى لابي الطيب المتنبي وسئل عن اتفاقات الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال الاصمعي رحمه الله تعالى قلت لابي عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع شعره فقال لي تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها ومن مشهور ذلك ما وقع في القصيدتين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة وكذلك اتفاقه مع طرفة في قوله

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال امرؤ القيس وتجمل ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل

وقال النابغة صرورة متعبد وقال

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولهم من تاموره يتنزل

وقال النابغة لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

تاموره صومعته ومن ذلك ما حكى أبو علي انه خرج جرير والفرزدق مردفين الى هشام بن عبد الملك فنزل جرير يبول فتلفتت الناقة فضربها الفرزدق وقال

الام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي * من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال الآن يجيء جرير فأنشده البيتين فيرد علي

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفأس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

ونقص من أوزانها وزين حتى صار الرزء فيها رزأين فقال له بين ما أخذ ومن أين فلذ فقال أرعني سمعك واخل للتفهم عني ذرعك حتى تبين كيف أصلت علي وتسدر قدر اجترامه الي ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنـ ـية انها شرك الردى

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

واذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى

غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى

كم مزدهٍ بغرورها حتى بدا متمردا

قلبت له ظهر المجـ ـن وأولغت فيه المدى

فاربأ بعمرك ان يمر بمضيعا فيها سدى

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى

وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدا

واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الادب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه ان كانت أبياته نمت الى علي قبل ان ألفت نظمي وانما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر

قال فاءجرير والفرزدق يضحك فقال ما يضحكك يا أبا فراس فأنشده البيتين فقال جرير تلفت انها البيتين كما قال الفرزدق سواء فقال والله لقد قلت هذين البيتين فقال جرير أما علمت أن شيطاننا واحد ومر رجل بالفرزدق بالمربد فقال من أين أقبلت قال من اليمامة قال فأى شئ أحدث ابن المراغة فأنشده ، هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فقال الفرزدق ، فانظر بتوضح باكر الاحداج * فقال الرجل ، هذا هوى شغف الفؤاد مبرح ، فقال الفرزدق ، ونوى تقاذف غير ذات خلاج فقال الرجل ، ان الغراب بما كرهت لمولع فقال الفرزدق * بنوى الاحبة دائم التسحاج ، فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيرى قال لا ولكن هكذا ينبغى أن يقال فقال أما علمت ان شيطاننا واحد ودخل الفرزدق على امرأة من عقيل فحدثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل فاقبلت عليه تحدثه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك وقال للفتى أتصارعنى قال ذلك اليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب الفتى عنه وقال هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال والله ما بى ذلك ولكن كأنى بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر فقال .

جلست الى ليلى لتحظى بقربها ... فخانك دبر لا يزال خؤن

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها * كما شد خرقا بالدلاص قيون

فلما بلغ الخبر جرير قال البيتين وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه فلم يفعل وأعطاه سيفا لا يقطع فضرب به عنق رومى فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فجلس وهو يقول

أيعجب الناس ان أضحكت سيدهم ، خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفى من رعب ولا دهش ، عن الاسير ولكن أخر القدر

ثم قال ما ان يعاب فرس اذا كبا ولا يعاب صارم اذا نبا ثم جلس وهو يقول كأنى بابن المراغة قد بلغه الخبر فقال

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم

وانصرف فجاء جرير وأخبر الخبر فقال بسيف أبى رغوان البيتين ثم قال كأنى يا أمير المؤمنين بابن القين قد أجابنى فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(فاخبر الفرزدق القصة فقال)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع احيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

فهذا ان صح من أعجب اتفاق الخواطر وقال الاقيشر

جريت مع الهوى طلق العتيق ، وهان على مأثور الفسوق

وجدت ألذ عارية الليالى ، قران النغم بالوتر الحقوق

وسمعة اذا ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الصبوح عرا الغبوق

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان علي مأثور القبيح
وجدت الذعارية اللبالى * قران النغم بالوتر الفصيح
وسمعة اذا ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الغبوق عرا الصبوح

ومن ذلك مانسب السرى للخالدى فيما قدمناه من سرقة شعره قال السرى

وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

وقال أبو بكر الخالدى فكأن الكأس لما * ضحكت تحت الحباب
وجنة حمراء لاحت * لك من تحت النقاب

(وقال السرى فى وصف جام فيه فالوذج)

بأحمر مبيض الزجاج كأنه * رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه * وان كان تلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته * كواكب در فى سماء عقيق

(وقال أبو بكر الخالدى)

ومداما كأن الكف من طيب نشرها * وصفرتها قد خلقت بخلوق
تعاينها نورا علاه تجمد * وتشربها نارا بغير حريق
كأن حباب الماء فى جنباتها * كواكب لاحت فى سماء عقيق

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

رأت شيبا بصاحبنى فصدت * وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت اذ رأت للمشط فيه * سواد الابنوس كله نفيسا
تلق العاج منه بمشط عاج * ودع للابنوس الابنوسا

(وقال أبو عثمان أيضا)

وقفتنى مابين هجر وبوس * وانثنت بعد ضحكة بعبوس
اذ رأتنى مشطت عاجا بعاج * وهى للابنوس بالابنوس

وهذا ماتواردا أو تسابق والتسابق أشبه بهم (قوله زعمه) الزعم قول معه اعتقاد (بادرة) سابقة وهى الكلمة الرديئة تبدر من المتكلم (الفائق) الفاضل وفاق الناس فضلهم وعلاهم بقول أو علم (المائق) الاحمق الضعيف التدبير (المناضلة) المراماة (لزهما) ضمهما وشدهما (قرن) حبل يقرن به بين الشيئين (المساجلة) أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل مايخرج الآخر فايهما نكل فقد غلب وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

قال فكأن الوالى جوز ومد قدرعمه فندم على بادرة ذمه فظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير الا أخذهما بالمناضلة ولزهما فى قرن المساجلة

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بيت العرب

ومر الفرزدق بالفضل وهو يستقي وينشد البيتين فشمر ثيابه عن نفسه وقال أنا أساجلك ثقة بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس فرد ثيابه وقال ما يساجله الامن عض ابر أبيه ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة وأرادهنا بالمناصلة والمساجلة أن يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب وأكثر ما جرت به العادة فيها بانصاف الابيات كما شهر في قصة امرئ القيس والتوأم حين قال امرؤ القيس * أحار ترى بريقا هب وهنا * فقال التوأم * كنار مجوس تستعر استعارا * ثم مضيا على القطعة بالانصاف حتى كملت وهي مشهورة قال أبو العيناء وقف على غلام يسألني ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لي أسود قد اغتسل وهو يرعد وكان خبيثا فاومأت الى الاسود فقلت * كأنه ذئب غضى أزل * فقال الغلام * بات الندى يضربه والطل * فوصلته بدراهم وانصرف واجتاز ابن أبي الخصال من بلده شقورة بأبذة وهو صبي صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضي ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا أسود فقال القاضي * انظر اليه في العصا * فقال ابن أبي الخصال * كرأس زنجي عصا * فعلموا أنه سيكون له شأن في البيان ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله ان أبا بكر بن المجل وأبا بكر بن الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب وحازا قصب السبق في حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المجل في سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ويقول له قطعت ما بيني وما بين صفيي أبي بكر باقذاعك في ابنه فقال له ابنه انه بدأني والبادئ أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبلا على واد تنق فيه ضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز * تنق ضفادع الوادي * فقال ابنه * بصوت غير معتاد * فقال الشيخ كأن نقيق مقولها فقال ابنه * بنو الملاح في النادي * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه * اذا اجتمعوا على زاد * فقال أبو بكر * ولا غوث للمهوف * فقال ابنه * ولا غيث لمرتاد * والاجازة بالابيات بكمالها كثيرة مشهورة وحكى الماوردي ان الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر فقال عبد الله

ومستودعي سرا تضمنت ستره * فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي

وما السر في قلبي كميت بحفرة * لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

* وحكى الفقيه أبو الحسن ان أباه حدثه أن الاديب أبا الطاهر ابن أبي ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان في نزهة شعبان لاستقبال رمضان فاكل مع من حضر ضروبا من الاطعمة والالوان فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لابي عبد الله بن زرقون اجز

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عني الجوع في رمضان

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى

كما حمد الصب المتيم زورة * أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر دعوها بشعبانية فلو أنهم * دعوها بشعبانية لكفاني

وحدثني أيضا ان أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في منا كبها غوم

فقال أبو عبد الله عنع لا تعوم به سفين * ولو حدقت به الزهر النجوم

(قوله افتضاح العاطل) أي شهرة الفارغ من قول الشعر (تراسلا) تجاريا والتراسل في الغناء والنشد أن يتجاذب الصوت المغنيان والتراسل في الخيل ان ترسل فرسين في الطلق (تباريا) تجاريا (وتجاولا) تصرفا (والحلبة) يأتي ذكرها في المقامة وأراد تجاريا في الشعر كما يتجارى خيل الحلبة في الميدان (بسرك) قياسك وتجربتك لنا (متوارد) متسابق متتابع و(التجنيس) أن تكون الالفاظ متناسبة والمعاني متباينة (تلحمانها) تنسجانها و(شيه) رقه (ترصعانها) تزينانها وكل ما خرزته او عقدته فهو مرصع (الف) معشوق يؤلف ويؤنس به (بديع) غريب (ألمى) أسمر واللمى ان تعتق حمرة الشفة حتى تضرب الى السواد (التثني) الانعطاف (التيه) الاعجاب والاحتقار بغيره (التجني) ادعاء الجناية على عاشقه وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنبا عليه وجناية ليتوصل بذلك الى هجره ثم سمى الصد والاعراض تجنيا (مغرى) مولع (والتناسي) استعمال النسيان أراد أنه بعد عاشقه بالزيارة وغيرها فاذا كربها قال نسيت (والصد) الاعراض (على هذا النسق) اى على هذا التتابع والانضمام (اتسق) انضم واجتمع ونسقت الشيء بالشيء ضممته اليه (أحوى) أسمر الشفة والحوة حمرة تضرب الى السواد يقال شفة حواء حمراء (رقى) اى ملكي والرق الملك ورق الرجل رقا صار عبدا (برقة لفظه) بحلاوة كلامه (غادرني الف السهاد) تركني صاحب سهر (بغدره) بقلة وفائه (تصدى) تعرض (اسره) حبسه (باسره) بجملته و(الزور) الكذب (ازوراره) انقباضه و(الهجر) الفحش (استعذب) أستطيب (أجد عذابي) جدد عذابي (جد) زاد واجتهد (بره) اكرامه يريد متى زادني عذابا وهجرا ازددت فيه حبا وبرا (ذمامي) عهدي (مذمة) عيب (أحفظ) أغضب (التباهي) التفاخر (اكبره) أعظمه وأراه كبيرا (أفوه) أنطق (نشره) تحرك رائحته (رشف ثغره) تقبيل أسنانه (ثنيت) عطفت (أعنتي) جمع عنان (أجتلي) أنظر (نور بدره) حسن وجهه يقول لولا حسن سنيه لتركته وملت الى غيره ثم قال واني على ما يلقاني به من الهجر والجفاء وألقاه به من البر والصفاء ليرجع عندي المر من أفعاله حلوا في اتباعي لما يحب ويامر به وقد أنشدوا في ذلك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالكا

وقال في مثله وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فهذا غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب وقال الشاعر

ولقد محضتكم المودة محضة * وكتمت ما اشتملت عليه ضلوعي

جاز تموني بالوصال قطيعة * شتان بين صنيعكم وصنيعي

فاذا أتيتك زائرا متشوقا * قصر الطريق وطال عند رجوعي

وفي معنى قوله له مني المدح يقول ابن رشيق و زاد معنى مستظرفا

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى * علي وغيري يجتني رشف ثغره

وأكبره عن أن أفوه بكبره * له مني المدح الذي طاب نشره * ولي منه طي الود من بعد نشره

ولولا سنيه شنيت أعنتي * بدارا الى من أجتلي نور بدره

فقال لهما ان أردتما افتضاح العاطل وافتضاح الحق من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاريا لبهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بامرك فقال اني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الف لي بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد واطالة الصد واخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا بتا فبيتا على هذا النسق الى أن كمل نظم الابيات واتسق وهي

وأحوى حوى رقي برقة ثغره * وغادرني الف السهاد بغدره

تصدى لقتلي بالصدود واني * لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدق منه الزور خوف ازوراره * وأرضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما * أجد عذابي جد بي حب بره

تناسى ذمامي والتناسي مذمة * وأحفظ قلبي وهو حافظ سره

وأعجب ما فيه التباهي بعجبه

أراك اتهمت أخاك الثقه * وعندك مقت وعندى مقه
وأثنى عليك وقد سؤتنى * كما طيب العود من أحرقه

(وقال ابن زيدون)

بنى جهور أحرقتم بجفائكم * جنانى فما بال المدائح تعبق
تعدوننى كالعنبر الند انما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

وانما أوردا على هذا المعنى فانما أخذا من قول حبيب

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ذكر ما جاء من الشعر في أوصاف الغلمان

ونذكر هاجملة من الشعر الرائق المستطرف الفائق تنسحب على أوصاف الغلام المذكور وتتعلق بشعر الحريرى من جهة التجنيس أو من جهة الانقياد للمحبوب وان جفا وصد ونبدأ بذكر حكاية أبى اسحق الحضرمى لتعلقها بما انبنت عليه المقامة من نوادر الخواطر كان أبو اسحق يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل

قوله الحضرمى كذا بالاصل وفى نسخة الحصرى اه مصححه

ومعذرين كأن نبت خدودهم * أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلى رآهم * وجد الهوى بهم اليه طريقا

وكان يختلف اليه غلام من أعيان أشراف القيروان وكان به كلفا فبينما هو عنده والحضرمى قد أخذ فى الحديث اذ أقبل الغلام وهو يقول

فى صورة كملت تخلت بأنها * بدر السماء لستة وثمان
يعشى العيون صباؤها فكأنها * شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال الشيخ يا حضرمى ماتقول فيمن هام بهذا القد وصبا لهذا الخد فقال الحضرمى الهمان والله بهذا غاية الطرف لاسيما اذا شام كافورة خده ذلك المسك الفتيت وهجم على صبحه ذلك الليل البهيم والله ماخلت سواده فى بياضه الا بياض الايمان فى سواد الكفر أو غيهبا فى ضوء الفجر فقال للحضرمى صفه فقال من ملك رق القول حتى انقاد له صعابه فذل له جموحه حتى سطع له شهابه أقعدنى فى ذلك فقال صفه فانى معمل فى ذلك فكرى فأطرق ساعة فقال الحضرمى

أوردقلبى الردى * لام عذار بدا
أسود كالكفر فى * أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ أراك اطلعت على ضميرى أو خضت بين جوانحى فقال له الحضرمى ولم ذاك قال لانى قلت

حرك قلبى فطار * صولجان لام العذار
أسود كالليل فى * أبيض مثل النهار

فهذا غاية فى بابه وقال السرى

بلانى الحب فيك بما بلانى * فشانى ان تفيض غروب شانى
أبيت الليل مرتقبا أناجى * بصدق الوجد كاذبة الامانى
ويشهد لى على الارق الثريا * ويعلم ما أقاسى الفرقدان
ستصرف طاعتى عمن نهانى * دموع فيك تلحى من لحانى

ولم

ولم أجهل نصيحته ولكن * جنون الحب أحلى فى جنانى
فيا ولع العواذل خل عنى * ويا كف الغرام خذى عنانى

وهذا مما يأخذ بمجامع القلوب ويحتوى على النوعين من المعنى المطلوب وقال السلامى

ماض على عزمه فى الجود والبخلا * أعزما عنده النفس التى بذلا
يحكى المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا وأطلال الديار بلا

وقال أيضا

بنيت بين اذا منيت أدمعه * مشاى الى سمع عارضيه
وفاضت رحمة لى حين ولى * مدامع كاتبى وكاتبيه

(وله فى غلام بدوى)

وعلقته بدوى اللسا * ن والوجه والزى ثبت الجنان
أعانق من قده صعدة * ترى اللحظ سهاما كان السنان
أدار اللثام على خده * فأهدى الشقيق الى الاقحوان
ومسك ذوائبه سائل * على آس ديباجه الخسروان
أحييه بالورد والياسمين * فيصبو الى الشيح والايهقان

(وله فى غلام غزى رام)

قمر من الاتراك تحسب أنه * خود الحصان على أقب حصان
يرمى بلحظيه القلوب وسهمه * فعجبت كيف تشابه السهمان
بطل حمائله كعارضه وما * جبه الاريج كقوسه المرنان
حييته لعفافا مطر راحتى * قبلا فليت فى مكان بنانى

(وللشريف الرضى)

يا صاحب القلب الصحيح اما اشتفى * ألم الهوى من قلبى المصدوع
أأسأت بالمشتاق حين ملكته * وجريت فرط نزاعه بنزوع
وتركتنى ظمآن أرشف دمعتى * أسفى على ذاك اللمى الممنوع
قلبى وطرفى منك هذا فى حمى * قيظ وهذا فى رياض ربيع
كم ليلة جرعته فى طولها * مضض الملام ومؤلم التقريع
تفرى أناملها التراب تعللا * وأناملى فى سنى المقروع
أبكى ويبسم والدجى ما بيننا * حتى أضاء بثغره ودموعى
قمر اذا استجلته بعتابه * لبس الغروب فلم يعد لطلوع
لو حيث يستمع السرار وقفتما * لعجبتما من عزه وخضوعى
أعزز على اذا امتلأت من الكرى * أنى أبيت بليله الملسوع

(وللوزير ابن المغربى)

دنف بمصر وبالعراق طبيبه * بصميمه طول بعاده وبديه
ما باله الا الذى هو أهله * اذ غاب عن بلد وفيه حبيبه
لزم السهاد تحيرا وتلذذا * وتأسفا اذ أوبقته ذنوبه

زعم الفراق دعا به فأجابه * ونعم دعاه فلا أراه يجيبه

وله أيضا

ولقد أراه فى الغدير * يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهو * فرنده فى صفحتيه
صبغت بياض النيل حمرة * وردة فى وجنتيه

(ولابن الزقاق)

تمنيت من أهوى به وهو قاتلى * ورب منى للمرء فيه مناياه
فسافر مالى عن قسى حواجب * تنوب لها دأبا عن الرشق عيناه
أدلنا دماء فى هواه وأدمعا * وضن لنا ظلما بلثم ثناياه
فيا برح الشوق المبرح ساميا * لأحوى حوى كل المحاسن مرآه
فمنظره والثغر منه وعرفه * وقامته والردف منه وخداه
لشمس الضحى والدر والمسك نفحة * وغصن النقا والدعص والورد اشباه

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ومهفهف بت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والجمال أرق من * صقل الحسام المنتضى وفرنده
يحيى الانام بلمحة من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانحى لم يهده

وقال أيضا

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضا سيف أجفانه طرفه
وقد لبسه راحة * تخلت الاقاح دنا قطفه
أشار لتقبيلها فى السلام * فقال فمى ليتنى كفه

(ولادريس بن اليمانى)

ودى لعس للاقحوان ثناياه * وللورد خداه وللآس صدغاه
وللسوسن الريان صفحة خده * وللظبى عيناه وللمسك رياه
فريد جمال تم لى توأم الهوى * به ولكل العاشقين فراداه

(ولبعض أصحابنا)

كف عنى الملام يا من يلوم * ان لوم الشجى فى الحب لوم
جل همى بأن أهيم حياتى * صغرت همة امرئ لا يهيم
أبدا أطلب الغرام مجدا * فكأنى الى الغرام غريم
ان ربما رمت براءة قلبى * مقلتاه حى له لا يريم
صح حبى واعتل جسمى فحسبى * أن كلى الى هواه سقيم

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريرى من التذلل والخضوع الى المحبوب فهو حكم الباب والمجمع عليه عند ذوى الالباب الا قوله وغيرى يجتنى رشف ثغره فان أكثر أهل هذا الشأن يأبون أن يكون المحبوب بين عاشقين وينسبون محبه الى خساسة الهمة ويعتدونها على المحبوب من

أكبر التهمة قال امرؤ القيس

انى بحبلك واصل حبلى * وبريش نبلك رائش نبلى
مالم أجدك على هدى اثر * يقرو مقصك قائف قبلى

يقول أنا أديم من مواصلتك مالم أجد غيرى يتبعك طمعا فى مواصلتك وقال أبو ذؤيب

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

فهذا قد أبى الشركة على التساوى فكيف الاقامة على الجور والذى ذكر الحريرى وقد قدمناه فى العاشرة للمولدين فنا غير هذا على أن المحبوب اذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد فى أبهة جماله كما أن الجفاء فى المحبوب والخلق الذميم يطمس نور حسنه وينقص من كماله وأنشدوا

أيا حسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر

(وقال عبد الصمد المصرى)

فلو زين الحسن من وجهه * بهجر الصدود ووصل الوصال
لتم ولكن ما ان أرى * جميل المحيا جميل الفعال

(وقال آخر)

صحا عن حبك القلب المشوق * فما يصبو اليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء * وقد يسلى عن الولد العقوق

فهذه جملة كافية ونرجع الى ذكر أنواع البلاغة فى صناعة الشعر التى سماها المحدثون صنعة البديع والشعراء يتفاضلون فى سياقها والاقتدار عليها وهى فى أشعار العرب موجودة وفى الشعر المولد أكثر وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ونبدأ منها بالتجنيس الذى أولع به الحاكم فى المقامة *(التجنيس)* هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم قال أبو بكر حازم بن حازم التجنيس أن تجئ الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام وهو من أضيق أنواع البديع فمنه قوله تعالى وأسلمت مع سليمان وأقم وجهك للدين القيم وفى الحديث عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله والظلم ظلمات يوم القيامة وقال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت والتجنيس أنواع فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ومنه تجنيس الخط وهو ما نصح تصحفه كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفى حديث سعد بن أبى وقاص لما أسلمت راغمتنى أمى فهى مرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالبسر * البحترى من سعادة جدك وقوفك عند حدك وفى رسالة عاد الى المسامحة والمحاسنة بعد المشاححة والمخاشنة وقال البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

(وقال البحترى أيضا)

وحالا كريش النسر مهما رأيته * جناحا لشهم عاد ريشا على سهم

*ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومن رسالة لم يكن لامره مضيعا ولا لسره مذيعا * البستى من لم يكن لك نسيبا فلا ترج منه نصيبا ومن لم يكن لك

صدره بالحاجات فسيحا فلا تسمع له بها لسانا فصيحا وقال

أبوك كريم غير أنك سابق * مداه فلا ضيم عليك ولا ذيم

فلا تعجب الناس مما أقوله * وأقضى به فالغيث يقدمه الغيم

(وقال المعري رحمه الله تعالى)

أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيرا أسروه أو شرا أذاعوه

وخالد بن سنان ليس ينقصه * من قدره الكون في حي أضاعوه

*ومنه تجنيس المضارعة فمنه من رسالة أتابه بين احتفاء واحتفال وبين ذكر معطر مطرب وثناء معرم مغرب وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تطول بأسياف صوارصوارم

وقال المعري، من اتقى الله فهو السالم السارى *وقال ابن عمار

اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فانظره آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب والناس له تبع كما انفرد بحسن القطع في آخر قصائده فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا في آخر قصائده في الغالب كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتدا آت لا يجارى فيها كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه يكاد على كثرته في شعره أن لا يسقط له تشبيه واحد كما انفرد المتنبي بلطف التخلص من التغزل الى المدح ومن تجنيس حبيب قوله

عدا الدحر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

السلسال العذب والحصب الجاري على الحصباء شبه الريق به ففي هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتتميم والترديد والتبليغ وتأتى هذه الانواع في هذا الفصل وحبيب أكثر الناس استعمالا لصنع البديع ومن شعره يتعلم وقال أيضا

كم نيل تحت سناها من سنى قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

وقال أيضا يا من تدمى عينه تلك الدمى * فيه ويقمر ليلة الاقمار

أخذه البحتري فقال جافى المضاجع لا يتقلب في لجب * يكاد يقمر من لالائه القمر

وأنشد أبو علي الفارسي في نوادره لابي العول الطهوي يصف سحابا

وقرى كل قرية كان يقرا * ها قرى لا تجف منه القرى

وفي المقامات من التجنيس كثير وفي هذا الشرح منه ما يستطرف ويستبدع فما يستحسن منه قول السري يمدح سيف الدولة

أغرتك الشهاب أم النهار * وراحتك السحاب أم البحار

خلقت منية ومنى فأضحت * تمور بك البسيطة أو تمار

تحلي الدين أو تحمي حماه * فأنت عليه سور أو سوار

سيوفك من شكاة الثغر برء * ولكن للعدا فيها بوار

وكفك للعمام الجود يسرى * وفي احشائه ماء ونار

فيجني من يمينها المنايا * ويسرى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذي جمع الى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابي أبا أحمد الشيرازي

قوله تجنيس المضارعة الخ عنونه في التلخيص بالجناس الناقص المطرف وقوله تطول الخ كذا في النسخ التي بأيدينا والذي في معاهد التنصيص *تصول بأسياف قواض قواضب* فتأمل اه مصححه

من شعر يشتكى له نقرسا أصابه وأوله

الى الله أشكو ضنى شفنى * وكم قبله من ضنى قد شفانى

فأجابه الصابى

عنانى من الهم ما قد عنانى * فأعطيت صرف الليالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع * فعيناى عينان نضاختان
لسقم أخ على سيد * به قد غفرت ذنوب الزمان
وكيف سطابهما واستطال * وأرض بساطهما النيران
وهلا تجاوزه قاصدا * الى عصبة عصبت بالهوان
اذا ماسعى لطلاب العلا * فكل أوان هم فى توان
* أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب * وطل الامان ونيل الامانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الزمان ورجع القيان
أجبت عن الشعر مسترسلا * بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكونى الى فضله * قبضت بنانى بقبض اللسان

(وقال أبو الفتح البستى)

ان أسيافنا العضاب الدوامى * صيرت ملكنا قرين الدوام
باقتسام الاموال من وقت سام * واقتصام الاموال من وقت حام

(التشبيه) وقد أوردنا فى هذا الكتاب منه كل غريب والتشبيهات على ضروب مختلفة فنها تشبيه الشئ بالشئ صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتا ومنها تشبيهه به حركة وسرعة فالاول كقوله

(ذكر التشبيه)

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

اجمع أهل العلم بالشعر كأبى عمرو بن العلاء والاصمعى أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان فى بيت واحد وان أحدا لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس كأن قلوب الطير وقال بشار مازلت مذ سمعت قوله كأن قلوب الطير أراود نفسى أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك الى ان قلت كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويا بعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب ولا أحفظ للبيتين ثالثا الا أن بشارا قد قال أيضا

من كل مشتهر فى كف مشتهر * كأن غرته والسيف نجمان

وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالاسد والجميل بالقمر وكقوله

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

واللون كقول ابن هرمة

وليل كسربال الغراب ادرعته * اليك كما أخبث اليمانى أجدل

والصوت كقول النابغة * له صريف صريف القعو بالمسد * والحركة والسرعة كقول امرئ القيس * كجلمود صخر حطه السيل من عل * وربما امترجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق

قوله كما أخبث الخ كذا فى النسخ التى بايدينا وحرر صحته اه

فى الشئ المشبه معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وأصدق التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه و يكون صاحبه مشبها به صورة ومعنى كقول امرئ القيس

تظرت اليها والنجوم كانها * مصابيح رهبان تشب لقفال

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح وربما أشبه الشئ الشئ صورة وخالفه معنى وقد تقدم ذكر ذلك فى الثانية وربما قاربه ودا ناه وشابهه مجازا لاحقيقة * وأدوات التشبيه كان والكاف ومثل وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر وقد يشبه بقولهم تخاله وتحسبه فما كان منه صادقا قيل فيه كأنه أو كذا وما قارب الصدق قيل فيه تراه أو تخاله فاذا حققت هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه وقد تقدم نوع من التشبيه فى الثانية وسيأتى فى الاربعين تشبيهات الغريب العقم فى حكاية الاصمعى

(ذكر أدوات التشبيه)

*(الاستعارة) وهى من العارية لان الشاعر يعير المعنى ألفاظا غير لفظه الموضوع له وهى على ثلاثة أوجه أحدها ما يستعيره الشاعر من الالفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعانى وهذا الضرب يعد فى البديع ومحاسن الشعر وهو كثير فى كلامهم وعليه انبنى كتاب المقامات وقلما يوجد بيت يخلو منه وماجاء منه فى القرآن سماه بعضهم مجازا وأباه بعضهم نحو قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة واشتعل الرأس شيبا وقال النبى صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال امرؤ القيس * وليل كموج البحر أرخى سدوله * وقال علقمة وهو بديع * والصبح بالكوكب الدرى منحور * وقال زهير فى الحرب

(ذكر الاستعارة)

ضروس تهر الناس أنيابها عضل * وقال عمرو بن كلثوم

الا أبلغ النعمان عنى رسالة * فمجدك حولى ولومك قارح

وقال الحسن

فى مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

(وقال العباس بن الاحنف)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى أنه صدقا

*الثانى ان ينتحل الشاعر قولا لغيره فيدخله فى شعره وهذا هو الاجتلاب الذى نفاه جرير عن نفسه بقوله

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيابهن ولا اجتلابا

*الثالث أن يستعير الشاعر ألفاظا كان غنيا عنها والمعنى غير مفتقر اليها ويسمى الحشو والاستعانة ويحسن بقدر ما يتحمل من الفوائد و يقبح اذا فرغ منها *(الاشارة)* قال قدامة الاشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير

وانى لو لقيتك فاجتمعنا * لكان لكل منكرة كفاء

(وقال امرؤ القيس)

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وان

فتأمل ما اشتملت عليه لفظة أفانين مما لوعد كان كثيرا وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعا عن غير طلب ولا مسئلة ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر عيوب الخيل والاشارة

(ذكر الاشارة)

من

من غرائب الشعر وملحه ولا يأتي بها الا شاعر مبرز وتسمى اللمحة الدالة وأصلها الاختصار وهي أنواع فنها الوحى كقول جاهلي في يزيد بن الصعق

تركت الركاب لاربابها * وأزمت نفسي على ابن الصعق
جعلت يدي وشاحاله * وبعض الفوارس لاتعتنق

فقوله جعلت يدي وشاحاله اشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظه *(ومنها الايماء)* فن ملحه قول قيس بن الذريح

(ذكر الايماء)

أقول اذا نفسي من الوجد أصعدت * لها زفرة تعتادني هي ماهيا

وقول كثير

تجافيت عني حين لالى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

فقوله غادرت ماغادرت ايماء مليح *(ومنها التلويح)* ومن أجوده قول النابغة في طول الليل

(ذكر التلويح)

تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذي يرعى النجوم بآيب

فالذي يرعى النجوم هنا الصبح أقامه مقام الراعي بغدو فتذهب الابل والماشية فتلويحه هذا عجب في الجودة ومنه قول المجنون

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بي النقض والابرام حتى علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا *(ومنها التعريض)* كقول عمرو بن معديكرب

(ذكر التعريض)

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

أي لو أن قومي صدقوا في القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين فكأنها أجرت لساني أي شقته كما يجز لسان الفصيل فكأنها أسكتتني فهذا تعريض ينوب عن التصريح وأخذه أبو بكر بن دريد فقال

يا بني مالك عقلتم لساني * كيف يجري المقيد المعقول
ان سلكتم الى الفعال سبيلا * وضحت لي الى المقال سبيل

(ومن التعريض قوله)

بني عمنا لاتذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

(ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدم)

أرى بصري قد خانني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

(ومنها التفخيم) كقول الغنوي

(ذكر التفخيم)

أخي ما أخي لافاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب

ونحو هذا حكاية الاعرابي في نوادر ابي علي حين سئل أله بنون فقال نعم وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة فلما ذكر أسماءهم قال جهم وماجهم غشمشم وما غشمشم عشرب وما عشرب ومن هذا التفخيم ما يجيء على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة وهو كثير في كلام العرب ومما جاء في الاشارة على معنى التشبيه قول الاعرابي يصف لبنا ممذوقا * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * فاشار الى تشبيه لونه اذا غلب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال

فيشرب مذقا ويسقي عياله * سجاجا كاقراب الثعالب أورقا

(ذكر المطابقة)

(المطابقة) أبو الفرج على بن الحسين قلت لابى الحسن على بن سليمان الاخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر طائفة وهم الاكثرون تزعم أن الطباق ذكر الشئ وضده فيجمعهما اللفظ لا المعنى وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد مثل قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل قبيلة وكاهل للعضو فقال من ذا الذى يقول هذا قلت قدامة وغيره فقال هذا يابنى هو التجنيس ومن ادعى انه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعى قلت أفكانا يعرفان هذا فقال سبحان الله وهل غيرهما فى علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه قلت فانشدنى أحسن طباق للعرب فقال قول عبد الله بن الزبير الاسدى

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقال أبو الفرج وأنا أقول ان أحسن بيت قيل فيه

للسود فى السود آثار تركن بها * لمعا من البيض تثنى أعين البيض

يعنى أن الليالى بمرورهن تبيض سواد الشعر قال أبو حاتم سألت الاصمعى عن صنعة الشعر فذكر فى بعض قوله المطابقة وقال أصلها وضع الرجل فى موضع اليد فقلت أنشدنى أحسن ما قالت العرب فى ذلك فقال قول زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وقيل المطابقة أن يأتى الشاعر بلفظتين مختلفتين فى المعنى واللفظ فى بيت واحد أو فى كلام نحو قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال على رضى الله عنه من رضى عن نفسه كثر من يتسخط عليه وقال أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل تذهب بمعروف الحق وقال الفرزدق

لعن الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال حبيب يرى العلقم المأدوم بالعز أرية * يمانية والأرى بالضيم علقما

(ذكر التقسيم)

(ومنها التقسيم) قال أبو الحسن على بن هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور هو أن يستقصى الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه فلا يغادر قسما يقتضيه الا أورده والى هذا كان يذهب أهلنا وأحسن ما قيل فى ذلك قول زهير

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقول عنترة ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا * أشدد وان يرموا بضنك أنزل

* أبو العيناء اجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن أبى ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت تقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسلى ولا أنت مقصر

* المبرد لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح وهو

وقد كان فيها للامانة موضع * وللكف مرتاد وللعين منظر

وقد

وقد تقدم في شرح الثانية بيت المتنبي في التقسيم وهو بدت قمرا البيت ونسج على منواله الزاهر فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وقال الناشي

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ما يفني من المال مغنما
ندوم أسيافا ونعلو قواصيا * وننقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال السلامي

ماضن عنك بموجود ولا بخلا * أعز ما عنده النفس التي بذلا
يحكي المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا وأطلال الديار بلا

والتقسيم في الشعر كثير *(التسهيم)* قال على بن هرون هذا اللقب نحن اخترعناه وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهى اليها راويه حتى لو سمع الشطر الاول استخرج الآخر قبل أن يسمعه وأحسن ماقيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثى أخاها

(ذكر التسهيم)

فأقسمت يا عمرو لو نبهاك * اذا نبها منك داء عضالا
اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء لا تشتكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

قال الحاتمي فانظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها والى تقسيماته ما أوفاها وانظر الى قوله مفيتا مفيدا ووصفها اياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل تجد المطبع الممتنع القريب البعيد *(التتميم)* هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيأ يتم ويتكامل الاحسان معه فيه الا أتى به وأحسن ماقيل في ذلك قول طرفة

(ذكر التتميم)

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فقد تم الاحسان في المعنى الذى ذهب اليه بقوله غير مفسدها ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزى

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

فالمعنى تم بقوله ويعطوه ولولاه كان ناقصا وقال حبيب

حتى لقد ظن العواة وباطل * أنى تجسم في روح السيد

فتم الاحسان في المعنى الذى أراد بقوله وباطل والسيد الحميرى له في الشيعة مذهب ردىء والعواة هنا القائلون بالتناسخ يقول لافراط حبهم في أهل البيت توهم العواة أن روح السيد تجسم في وتوهمهم باطل *(الترديد)* هو تعليق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر وأكثر ما يستعمله المحدثون وأجمعوا أن أبا حية النميرى سبق الى الاحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه في قوله

(ذكر الترديد)

الا حى من أجل الحبيب المغانيا * لبس البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما انقضى للمرء يوم وليلة * تقاضاه شىء لا يمل التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الاول فأحسن الابتداء وردد في المصراع الثانى فأحسن في الترديد ثم ابتدع

في البيت الثاني ماليس لاحد مثله * أبو تمام لا أعلم أحدا أحسن صنعة في الترديد من زهير في قوله

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

* الحاتمي وأحسن الخليع الباهلي في الترديد بقوله

لقد ملأت عيني بحسن محاسن * ملأن فؤادي لوعة وهموما

التجريد)* *(التجريد)* وهو أن يجرد الشاعر موصوفه من صفته ويسندها لاجنبي في الظاهر وهو يريد الاول في المعنى مثل قول الاعشى

ياخير من يركب المطي ولا * يشرب كاسا بكف من بخلا

فظاهره أنه لا يشرب كأسا بكف رجل ينسب الى البخل انما يشربها بكف كريم وذلك الكريم هو الممدوح في المعنى يجرده في الظاهر وهو يريد بكف بخيل من نفسه وأبو علي الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ومنه قول طرفة

جازت البيد الى أرحلنا * آخر الليل بيعفور رحذر

يعني بيعفور حذر من نفسها وقال الاخطل

ربيع حيا ما يستقل بحمله * سوم ولا مستنكس الجرناضبه

أي ما يستقل بحمله سوم من نفسه أي ليس بعاول وقال النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * طفحت عليك بناتق مذكار

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس . على لاحب لا يهتدى بمناره * فظاهره أن المنار الذي يهتدى به الى الطريق لا يهتدى به وهو في المعنى قد جرد الطريق من المنار وانما أراد ليس به منار أصلا فليس ثم اهتداء فنفى المسبب الذي هو الاهتداء وأثبت السبب الذي هو المنار في اللفظ واتكل على قوة دلالة المعنى وأن مراده نفي سبب الهداية الذي هو المنار فتنتفي الهداية ومثله قول النابغة

يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أي ليس بها رمد فتحتاج الى كحل وقال الراجز * ولم يقلب أرضها البيطار * وقال الله عز وجل ولم يكن له ولي من الذل وهو كثير في الكلام * (التتبيع) - وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له فاذا قال التابع أبان عن المتبوع وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

التتبيع)*

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

ذهب الى طول العنق فلم يذكره بلفظ خاص به بل أتى بمعنى دل به على طوله وهو قوله بعيدة مهوى القرط ومثله قول الآخر

نعلق في مثل السواري سيوفنا * وما بينها والكف مهوى نفانف

فأراد نعلق سيوفنا في أعناق مثل السواري في الطول والاعتدال وما بين العنق والكف طول كثير فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به وأبدع ما في التتبيع قول امرئ القيس

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * فدل على ترفهها وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك

التبليغ)* *(التبليغ)* وسماه قوم الايغال وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما قبل انتهائه الى القافية ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة * النوري قلت للاصمعي رحمه الله

تعالى

تعالى من أشعر الناس قال من يأتى الى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظه حسنا أو ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى مثل قول ذى الرمة

أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيأ * ومن التبليغ قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية وزاد بقوله الذى لم يثقب بلوغا الى الغاية القصوى فى الجودة وكذلك قوله

اذا ما جرى شاوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

فمرت بأثأب زيادة على التشبيه التام والاثأب شجر يكون للريح فى أغصانه حفيف شديد فأفادت الزيادة فى التشبيه معنى بديعا وقال زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة فى آخر البيت الايغال والتبليغ وفى حشوه المبالغة والتتميم

(التصدير) هو أن يبدأ الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجزه أو فى النصف منه ثم يرددها فى النصف الآخر منه فاذا انظم الشعر على هذه الصنعة كسى استخراج قوافيه قبل أن يطرق اسماع مستمعيه وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل

وكنت سناما فى فزارة تامكا * وفى كل حى ذروة وسنام

التامك الشديد وقال الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وقال آخر جهول اذا أزرى التحلم بالفتى * حليم اذا لم يزر بالحسب الجهل

والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء رد الاعجاز الى الصدور. *(الاستثناء)* قيل ان أول من بدأ به النابغة وأحسن كل الاحسان فى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا كقول الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ويستحسن قول أبى هفان

فان تسألى عنا فنحن حلى العلا * بنى دارم والارض ذات المناكب

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والبأس فى كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

ويسمى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم *(الالتفات)* اسحق الموصلى قال لى الاصمعى رحمه الله تعالى أتعرف التفات جرير قلت لا فانشدنى

أتنسى اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له *(الاعتراض)* ويسمى الالتفات وهو

(التصدير) *(الاستثناء)* *(الالتفات)* *(والاعتراض)*

أن يكون الشاعر آخذا فى معنى فيعدل عنه آخذا فى غيره قبل أن يتم الاول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة فى الاول وزيادة فى حسنه قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة وعن المخاطبة الى الاخبار ومن أحسن ما فى ذلك قول النابغة

ألا زعمت بنو عبس بأنى * ألا كذبت كبير السن فان

وقيل بل قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك العطايا

فقوله ألا كذبت وقوله وأنت منهم اعتراض بين أول الكلام وآخره وفيه زيادة حسنة ويستحسن قول الآخر

فانى ان أفتك يفتك منى * فلا تسبق به علق نفيس

فقوله فلا تسبق به اعتراض لطيف فى معناه وموضعه ويسمى هذا أيضا وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد ومنه قول الاخطل

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فقوله حقا حشو أفاد معنى حسنا وكذلك قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقول خبائنا وأرحلنا الوسقط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا فأورده حشوا وفيه زيادة بارعة رائعة وهى الاخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق فى صيده وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى

وخيل طواها السير حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد خفاف وأرجل

فوقع ظالمين أحسن موقع لانه نفى بذلك عنها هجنة البطء وأخذه من قول اعرابى

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقى من معاهده ذاكر

وقلت له ذلفاء ويحك سببت * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فحسنه ابن المعتز ما شاء وأما الحشو القبيح فكقول أوس بن حجر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا فى العمومة مخولا

فذكره للمال مع قوله مقل حشو لا فائدة فيه وكذلك قول الهذلى رحمه الله

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع حشو لا فائدة فيه وأهجن منه قول الاعشى

فرميت غفلة قلبه عن شأنه * فأصبت حبة قلبها وطحالها

فتكريره ذكر القلب لا فائدة فيه وهجنه بذكر طحالها ودون هذا قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا الذهب

كتنفس الريحان مازجه * ماورد جور قاطر السحب

فذكر الماء مع المزج حشو لا فائدة فيه وأخذه من قول أبى نواس

سلبوا قناع الطين عن رمق * حى الحياة مشارف الحتف

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الانف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج وذكره ديك الجن فقصر عنه وزاد الحسن عليه بذكر الانف حسنا وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن لان ذكاء الريحان أكثر ما يكون اذا أصابه بلل لكنه في ذكره ماء الورد زيادة معنى بلا شك الا أنه قد انضاف اليها العيوب المتقدمة ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى في بيت واحد وديك الجن في بيتين وصاحب بيت أبدا عندهم باتفاق أشعر كقول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فما احتوى عليه هذا البيت أتى به علقمة في ثلاثة أبيات مشهورة وان كان المعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت والزمان واحد لان من قال علقمة سرقه فقد أخطأ فأما اذا كان السابق مستوفي المعنى في بيت واحد ويسوقه المتأخر في أبيات فالكلام في هذا كقول امرئ القيس

نمس باعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مهضب

أخذه عبدة بن الطبيب فقال

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار للقوم بالغلي المراجيل

وردوا أشقرها ينهيه طابخه * ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

وقال عبد الملك يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء ما خير المناديل فقال قائل مناديل مصر كأنها عرقئ البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعني عبدة وأنشد الابيات وهي مع جودتها قصرت عن بيت امرئ القيس وكذلك قول طرفة

نطرد القر بحر صادق * وعليك القيظ ان جاء بقر

(وقال الاعشى)

ونبرد برد رداء العرو * س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

ونسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الا هريرا

(الاستطراد) البحتري أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس الشامي

وسابح هطل التعداء هتان * على الجراء أمين غير خوان

أظمى الفصوص ولم تظما قوائمه * فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مسيحا والحصى زيم * بين السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال ما هذا من الشعر قلت لا أدري فقال هذا هو الاستطراد فقلت فما معنى ذلك فقال يريك وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان فأخذه البحتري فقال في فرس

يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت * صيدا وينقض انقضاض الاجدل

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

وكان حمدويه عدو الممدوح فاستطرد به ويقال ان البحتري لما عير بسرقة هذا البيت ازاله من

(الاستطراد)

شعره وقال دعبل

فلو أنني أصبحت في جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبي

فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

فخرج في استطراده من مدح الى ذم وهو مقلوب استطراد زهير في قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ*ـكن الجواد على علاته هرم

فخرج من ذم الى مدح وقال جرير

ترى برصا بمجمع اسكتيه * كعنفقة الفرزدق حين شابا

والسابق الى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال

وانا اناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومما يستحسن قول بشار

خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قرعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين

اذا جئته في حاجة سد بابه * فلا تلقه الا وأنت كمين

فقف على هذه الجملة من صناعة البديع ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى وأما قوله (فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا) فاصل ذلك في الخيل ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع وينتظم المجلى والمصلى في حكاية الرشيد مع المأمون وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة فوقف ينظر متلوما حتى طلعت فاذا في أولها فرسان في عنان واحد فتأملهما فقال فرسي والله ثم تأمل وقال وفرس ابني عبد الله فجاء الفرسان أمام الخيل فرسه السابق وفرس المأمون المصلي فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما قال الاصمعي فقلت للفضل يا أبا العباس هذا من أيامي فاحتل حتى توصلني فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان الاصمعي قد أعد في أمر الفرسين شيأ يريد به سرور أمير المؤمنين فقال هات يا أصمعي فقلت يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرسا كما كما قالت الخنساء وقد قيل لها كيف تفضلين أخاك على أبيك فقالت

جاري أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر

حتى اذا جد الجراء وقد * ساوت هناك العذر بالغدر

وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدرى

برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى

أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

قيل لابي عبيد ليس هذا في مجموع شعرها فقال العامة أسقط من أن يجودوا عليها بمثل هذا فقولها ملاءة الحضر تعني بها غبرة الفرسين التي أثاراها جعلتها كالملحفة يرتديانها ويتجاذبانها وسيأتي من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق اليه في الاربعين ومراتب الخيل في الحلبة

(ذكر الحلبة من الخيل)

السابق منها يسمى المجلى ثم المصلى ثم المسلى ثم التالي ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظي ثم المؤمل ثم اللطيم ثم السكيت قال الاصمعي وأبو عبيدة لم نسمع في سوابق الخيل اسما لشئ منها ممن يوثق بعلمه

الا الثانى واسمه المصلى قال الاصمعى هو من الصلا وهو جانب ذنبه والعاشر واسمه السكيت وما سواهما فانما يسمى الثالث والرابع الى التاسع وكان عند المتقى العباسى فتى راوية للخبر والشعر يانس به فقال ليلة لجلسائه عودوا الى ذكر الخيل فقال الفتى يا أمير المؤمنين حدثنى كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها أرسالا عشرة عشرة والقصب سبعة فلا يدخل الحجرة من الخيل الا ثمانية الاول السابق المجلى لانه جلى عن وجه صاحبه الكرب والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهو صلاه والصلا عجب الذنب والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق فسلى عن صاحبه بعض همه والرابع التالى لانه تلا المسلى دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمى مرتاحا والسادس حظى لانه نال حظا فحظى به وان قل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيبا وهو آخر حظوظ الحلبة وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشيء وان خس اذ كان قد دخل الحجرة الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سمى اللديغ سليما فسمى مؤملا لقربه من ذوات الحظوظ التاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة لطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن العاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وغما وكانوا يجعلون فى عنقه حبلا ويحملون عليه قردا يركضه ليعير بذلك صاحبه أبو عبيدة يشدد السكيت وسمى سكينا لانه آخر العدد الذى يقف عليه العاد والسكت الوقوف وسميت حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها أى تضمرها وأنشد ابن الانبارى أبياتا تجمعها وهى قوله

جاء المجلى والمصلى بعده * ثم المسلى بعده والتالى
والخامس المرتاح ينقص عدوه * والعاطف الصهال كالرئبال
نستقاوقاد حظيها فى صهوة * ذاك المؤمل غير ذى الاشكال
ثم اللطيم يقودها بجميعها * قبل السكيت العاشر الذيال

(ذكر الخيل)

ونذكر هنا جملة مقاطيع فى أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود قال امرؤ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحطب

(وقال عمارة بن عقيل)

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

وقال حبيب

محلق وجهه على السبق * تخليق عرس لليلة عرس
يقتل عشرا من النعام به * بواحد الشد واحد النفس

وقال أيضا

ان زار ميدانا سبى أهله * أو نادياقام اليه الجلوس
ترى رزان القوم قد أسمحت * نفوسهم فى حسنه وهن شوس
كأنما لاح لهم بارق * فى المحل أو زفت اليهم عروس
سلم اذا استعرضته رتبة * أعلى رطيب قده اربيس
كأنما خامره أولق * أو عارضت هامته الخندريس
عوذه الحاسد بخلابه * ورفرفت خوفا عليه النفوس

(وقال البحترى)

وأغرّ فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغرّ محجل
كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالرداء المسبل
تتوهم الجوزاء فى أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع فى الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
هزج الصهيل كأن فى نغماته * هزات معبد فى الثقيل الاول
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل

(وقال عبد الله بن المعتز)

ولقد وطئت الغيث يحملنى * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما * صدر المعشوق ذو الدلال وصد
جماع أطراف الصوارغا الا خرى عليه اذا جرى بأشد
بل المهابد ماتهن ولم * يبتل منه بالحميم جسد
وكأنه موج يذوب اذا * أطلقته واذا حبست جمد

(وقال المتنبى)

وعينى الى أذنى أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه فى اهابه * يجىء على صدر رحيب و يذهب
شققت به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب
وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين يركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
اذا لم تعاين غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرسا أغر حمله سيف الدولة عليه

قد جاءنا الطرف الذى أهديته * هاديه يعقد أرضه بسمائه
يختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه
لا تعلق الالحاظ فى أعطافه * الا اذا كفكفت من غلوائه

(وقال أيضا)

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * و يطوى خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

(وقال أبو منصور يخاطب أبا الفضل الميكالى)

يا مهدى الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شئ أسرع منه الا خاطرى * فى شكر نائلك اللطيف الموقع
ولو انى أنصفت فى اكرامه * لجلال مهديه الكريم الاروع

أقضمته حب القلوب لقضمه * وجعلت مربطه سواد الادمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب بجيله والبرقع

(وقال القسطلي)

سامى التليل كأن عقد عذاره * فى رأس غصن البانة المياد
يهدى بمثل الفرقدين وناب عن * رعى السماك بقلبه الوقاد
فكأنما أطأ الاباطح والربا * بعقاب شاهقة وحية واد
وكأنه من تحت سوطى خارجا * فى الروع شعلة قادح بزناد

(ولابى تمام الاندلسى)

وأقب تنقد البروق اذا جرى * من غيظها حسدا بان لم تلحق
ملك الرياح قوائما لجرى بها * فيكاد يأخذ مغربا من مشرق

(وقال فيه أيضا)

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
له فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لناقيه نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهتها عن الونى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

وكان للمتوكل قبطليوس فرس أخضر أغر محجل على كفله ست نقط بيض فبذل كل شاعر فى وصفه جهده فما سبق الغاية الا البجلى بقوله

حمل البدر جواد سابح * تقف الريح لادنى مهله
وكأن الصبح قد خاض به * فبدا تحجيله من بلله
لبس الليل قميصا سابغا * فالثريا نقط فى كفله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

والباب لايدخل تحت الحصر فلنكتف بهذا القدر (قوله بهت) أى تحير (المتعادلين) المتماثلين وشبههما بالفرقدين لرفعتهما وتوقدهما وأخذ الحريرى هذا التشبيه من البحترى فى قوله * كالفرقدين اذا تأمل ناظر * وتقدم فى الثانية وبالزندين لما فيهما من النار وفى هذين من الذكاء وجعلهما فى وعاء يريد متى التمسهما الانسان وجدهما وقعت عليه يده حاجته (وجده) غناه وما عنده من العلم (ثب) ارجع (هيهات) معناها بعد (مقتى) محبتى (تعلق به ثقتى) يريد لا أثقه بعد ما جربته (بلوت كفرانه للصنيع) اى جربت قلة شكره لفعل الجميل معه (منيت) بليت (العقوق) المقاطعة (الشنيع) المشتهر بالقبيح * ونسوق هنا فى كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قلنا من أولئك يا رسول الله قال المتبرئ من والديه رغبة عنهما والمتبرئ من ولده ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها وفى التوراة من صنع معروفا الى أحمق فهى خطيئة تكتب عليه وقال الحجاج لابن الكلبى أخبرنى عن خمسة أشياء أضيعت فى الدنيا قال نعم أصلح الله الامير سراج يوقد فى شمس ومطر جود فى أرض سبخة وامرأة حسناء تزف الى عنين وطعام اجتهد صاحبه فى صنعته فقدمه الى سكران أو شبعان ومعروف تصنعه الى رجل لا يشكرك

وانى على تصريف أمرى وأمره
أرى المرحاوا فى انقيادى لامره
فلما أنشدها الوالى متراسلين بهت لذكاء يهما المتعادلين وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء وكزندين فى وعاء وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغنى بوجده عمن سواه فتب أيها الشيخ من اتهامه وثب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتى أو تعلق به ثقتى وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع

عليه * عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين كما لا تنفع الرياضة الا فى نجيب * المدائنى خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت فاتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبد الله لم تمنعنا من صيدنا فقال انها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد اعدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه * مع الامن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه ومعروفه فى أهل الحفاظ واذا أراد به سوأ جعلها فى أهل المضائع وقال حسان

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادفت موضعه فهو الذى قصدت والا فكنت أحق به قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس أهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت أهله وقد قال الحريرى بعد هذا * واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة أم غمط * أى لا نفسد معروفك بالمن شكره من أنعمت عليه أم كفره وغمط ستر وهو ضد شكر (قوله اعترضه) اى واجهه وقابله (شوم) نحس وطيرة (الحنق) الغضب (الظنة) التهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات أمتى سوء الظن والحسد والطيرة قيل ما يذهبهن قال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر واذا تطيرت فامض (اعنات) مشقة (هبنى) احسبنى (اقترفت واجترحت) معناهما اكتسبت (جريرة) جناية (ابان أنسك) أى وقت أنسى بك (تجاف) تباعد (تعنيفه) لومه (زاغ) مال (قسط) جار وقوله (وهن ان عز) لفظ المثل اذا عز أخوك فهن يروى بضم الهاء وكسرها فالضم من هان يهون قال ابن أحمر

دببت لها الضراء وقلت أبقى * اذا عز ابن عمك أن تهونا

ورواه بالكسر أبو عبيد وثعلب وقال أبو عبيد معناه أن ما سرك صديقك ليست بضيم يركبك فتدخلك منه حمية انما هو حسن خلق وتفضل منك فاذا عاسرك فياسره فالضيم الذى ذكر هو الهوان بعينه قال ابن درستويه معناه اذا صار أخوك عزيزا قويا عليك فأطعه واخضع له تسلم من ظلمه ورواية الكسر من هان يهين ويكون معنى عز تصعب واشتد لا من العزة ومعناه اذا صعب أخوك فلن له والمثل لهذيل بن هبيرة وسببه أنه أغار على ضبة فغنم وأقبل بالمغانم فقال له أصحابه اقسمها بيننا فقال أخاف أن يدرككم الطلب فأبوا فعندها قال المثل ونزل فقسمها

فاعترضه الفتى وقال يا هذا ان اللجاج شوم والحنق لوم وتحقيق الظنة اثم واعنات البرى ظلم وهبنى اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة أما تذكر ما أنشدتنى لتنسك فى ابان أنسك
سامح أخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه ان عاصى وهن * ان عز وادن اذا شحط

واقن الوفاء ولو أخل
بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك ان طلبت
مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب وا
لمكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو
ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطو
يل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزما
ن وجدت أكثرهم سقط
رضت البلاغة والبراعة
والشجاعة والخطط
فوجدت أحسن ما يرى
سبر العلوم معا فقط
قال فجعل الشيخ ينضنض
نضنضة الصل ويحملق
حملقة البازي المطل ثم قال
والذي زين السماء بالشهب
وأنزل الماء من السحب
ماروعي عن الاصطلاح
الا لتوقي الافتضاح فان
هذا الفتى اعتاد أن أمونه
وأراعي شؤنه وقد كان
الدهر يسح فلم أكن أشح
فاما الآن فالوقت عبوس
وحشو العيش بوس حتى
ان بزتي هذه عارة وبيتي
لا أطور به فارة قال فرق
لمقالهما قلب الوالي

(قوله شطط) أي بعد (واقن الوفاء) أي الزمه وقنيت الحياء بكسر النون أقنيه قنيا الزمته (أخل) نقص (بما اشترطت وما اشترط) أي بما جعلتما بينكما من علامة ومنه أشراط الساعة أي علاماتها ومنه الشرط لان لهم علامة يعرفون بها (مهذبا) مخلصا و(الشطط) مجاوزة القدر قال الفضيل بن عياض من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ وقال الحرث المحاسبي ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة وقال النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(وقال يزيد بن محمد الباهلي)

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

(قوله قط) بمعنى الدهر والابد و(الحسنى) الفعل الحسن (فقط) حسب (لزا) ربطا (النمط) ثوب من الصوف المصبوغ والنمط الطريق تقول الزم هذا النمط والنمط النوع من العلم والخبر فيريد أن الخير والشر قد نظما في سلك واحد فاذا أتى يوم يرضى أتى بعده يوم بسخط (الجنى) الطري مما يجنى فعيل بمعنى مفعول وأصل مجني مجنوي فأعل و(الملتقط) من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة أي اخترتها واتخبتها أبو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الناس اليوم كشجرة ذات جنى ويوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك وان هربت منهم طلبوك قيل فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وأنشد عمر بن الجعد

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا
ما وجدنا أحدا يسوى على الخبرة فلسا

(قوله نغص) تكدير العيش ونغص الرجل اذا لم يتم له أمره وتكدر عيشه (يشوبها) يخالطها (الشمط) اختلاط الشيب بالسواد و(انتقدت) فتشت و(السقط) من لا خير فيه وللزاهد بن عمران في معنى أبيات الحريري رحمه الله تعالى

اذا وغد جفاك فلا تلمه * لانك ان فعلت أثرت جيفه
وان يصل الكريم عليك فاصفح * ستعطفه اصالته الشريفة
ومن يك بين ذالك فأغض عنه * تنل مجدا ومرتبة منيفه
وسل الضغن ان آنست ضغنا * ببسط الوجه والحيل اللطيفه

أخذ البيتين الاولين من قول حاتم

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(قوله ينضنض) أي يحرك لسانه (الصل) الحية (يحملق) ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه وذلك نظر الغضبان (المطل) المشرف على فريسته (الشهب) النجوم (روعي) فراري (توقي) خشية (الافتضاح) الشهرة (أمونه) أتكلف لوازمه (أراعي) احفظ (شؤنه) أموره (يسح) يصب الرزق (الحشو) ما حشي به (بوس) ضر (بزتي) ثوبي (عارة) أي عارية (تطور) تقرب منه يريد أن

الفأرة ليس لها فيه ما تأكل وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وقد أعاد هذا المعنى منظوما فى الثالثة والثلاثين فقال

وأمحلت ربعى حتى خلت * من ربعى الممحل جرذانه

وحكى الفنجديهى بسنده الى أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا أنسخ فى السراج وبين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة فأخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذى فى القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا فأرة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الاخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة فى خلاصها فمضت أختها فأتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنه لم يبق عندها شئ فخليت عن الفأرة قال الفنجديهى رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات وعلى ذكر الفأرة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة الى الصاحب منها وحال عبد مولانا فى الحنطة مختلفة وجرذان داره عنها منصرفة فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب عنده فعل ان شاء الله تعالى فوقع فيها أحسنت يا أبا حفص قولا وسنحسن اليك فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قوله أوى) أشفق (غير) تغير وهو من تغير الحال وهو اسم واحد بمنزلة النطع والغير مذكر وجمعه أغيار هذا قول الكسائى ويجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة وهذا قول ابن عمرو ويقال للدية غيرة لانها تغير الفؤاد الى الرضا به (صبا) مال (الاسعاف) قضاء الحاجة (النظارة) الناس الناظرون اليه (متشوفا) متطلعا (وسمه) علامته (يسفر) يكشف (يفرج) يفتح لى فرجة (تقوضت) تفرقت وأصلها الهدم (أجفل) أسرع المشى (توسمته) نظرته (مغزاه) مذهبه ومقصده (انقض) انحط وأنصب (استعرف) أعرفه بنفسى (زجرنى) انتهرنى (ايماض) اشارة بالعين خفية وكثيرا ما يصرف الحريرى فى المقامات تنبيه أبى زيد لابن همام على نفسه بخفى الاشارة المغنية عن تصريح العبارة وهو مذهب للعرب وبلغاء أهل الادب وقد قالوا رب كناية تغنى عن ايضاح ورب لحظ يدل على ضمير وفى اشارة اللحظ يقول الشاعر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال أبو نواس

لهفى على النجل العيون * النهد القب البطون

الناطقات عن الضمير * لنا بألسنة الجفون

(وقال المهدى بن المنصور)

ومطلع من نفسه ما يسره * عليه من اللحظ الخفى دليل

اذا هو لم يبد الذى فى ضميره * ففى اللحظ والايماء منه رسول

وأوى لهما من غير الليالى وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وأمر النظارة بالانصراف (قال الراوى) وكنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلى أعلم علمه اذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لى فأدنو منه فلما تقوضت الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فاذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت أنقض عليه لاستعرف اليه فزجرنى بايماض طرفه

واستوقفني بايماء كفه فلزمت موقفي وأخرت منصرفي فقال الوالي مامرامك ولاي سبب مقامك فاشدره الشيخ وقال انه أنيسي وصاحب ملبوسي فتسمح عند هذا القول بتأنيسي ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لاعرف مثواهما وأتزود من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا الى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبا بي الى حوزته فقلت لابي زيد ما أظنه استحضرني الا ليستخبرني فاذا أقول وفي أي واد معه أجول فقال بين له غباوة قلبه وتلعابي بلبه ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا وجدوله صادف تيارا فقلت أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشري طيشه فيسري اليك بطشه فقال اني أرحل الآن الى الرها

وقال تميم بن المعتز
سبحان من خلق الخدو * د شقائقا تتبسم
وأعارها الالحاظ فهـ * ـي بلحظها تتكلم

وقال آخر
العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال أعرابي
وليل لم يقصر مرقاد * وقصر طوله وصل الحبيب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عد الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ * فترجمت العيون عن القلوب

(وقال الحسن بن بشير)

أما ترى لي ناظرا شاهدا * بالحب والاعين رسل القلوب
ودون الحاح جفوني هوى * يخبر عما في ضمير الكئيب
وأنت لا شك به عالم * لان عند اللحظ علم الغيوب

(وقال الاحوص)

ودعتهن ولا شئ يراجعني * الا البنان والا الاعين السجم
اذا أردن كلامي عنده عرضت * من دونه عبرات فارعوى الكلم
مسندات وقد مالت سوالفها * ومابهن سوى مس الهوى ألم

(وقال ماني الموسوس)

بنان يد تشير الى بنان * تجاوبتا وماتتكلمان
جرى الايماء بينهما رسولا * فاحكم وحيه المتناجيان
فلو أبصرتنا لغضضت طرفا * عن المتحدثين بلا لسان

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة (قوله واستوقفني بايماء كفه) أي أمرني بالوقوف والايماء الاشارة (مرامك) مرادك (مقامك) تلبثك ووقوفك (أنيسي) صاحبي الذي أتأنس به (فتسمح بتأنيسي) أي أولاني منه المؤانسة (رخص) لين وسهل (أفاض) صب (خلعتين) كسوتين (والنصاب) عشرون دينارا و (العين) الذهب (استعهدهما) استحلفهما (يتعاشرا) يتصاحبا (اظلال) قرب ودنو (اليوم المخوف) يوم موته (ناديه) مجلسه (مشيدين) رافعين بشكره أصواتهما (أياديه) نعمه (مثواهما) مسكنهما (نجواهما) معنى كلامهما ويروى نجواهما أي سرهما (أجزنا) خلفنا (أفضينا) وصلنا (الفضاء) المتسع من الارض (جلاوزته) شرطه واحدهم جلواز والجلاز عقب ملوي على القوس وجلزت القوس والسوط والسكين عصبتهما بالعقب فسموا جلاوزة لانهم يعصبون بالسياط الناس عند الضرب أو لان السياط لا تفارق أيديهم والجلز الشد وهم يربطون الناس ويشدونهم (مهيبا) داعيا حوزته موضعه الذي يحميه ويحوزه (استحضرني) طلب حضوري (يستخبرني) يسألني خبره (أجول) أتصرف وأمشي أي علي في أي غرض من الحديث آخذ معه (غباوة) جهل ورجل غبي غير فطن (تلعابي بلبه) أي لعبي بعقله والتلعاب بنية للمبالغة (يستشري) ينتشر (طيشه) خفته من الغضب (يسري) يسير (بطشه) ايقاعه وتناوله بما يكره (الرها) بلد من كورة الجزيرة تجاور الرقة

وأنى يلتقى سهيل والسها
فلما حضرت الوالى وقد خلا
مجلسه وانجلى تعبسه
أخذ يصف أنا زيد وفضله
يذم الدهر له ثم قال نشدتك
الله ألست الذى أعاره الدست
فقلت لا والذى أحلك فى هذا
الدست ما أنا صاحب ذلك
الدست بل أنت الذى تم
عليه الدست فازورت
مقلتاه وأحجرت وجنتاه
وقال والله ما أعجزنى قط
فضح مريب ولا تكشيف
معيب ولكن ما سمعت بأن
شيخا دلس بعد ما تطلس
وتقلس

وحران سميت باسم صاحبها الرهاب بن البلوى بن مالك بن ذعر وهو أول من نزلها وقال اليعقوبى الرها من ديار مصر وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الانهار وبها الكنيسة التى للنصارى وهى احدى عجائب الدنيا الموصوفة وكان بالرها رجل ضعيف الحال متحمل بين الناس فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له فلقيه سائل فسأله شيأ يدفئه فقال والله ما أملك غير جبتى هذه فقال السائل ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فدفعها اليه (أنى) كيف (سهيل والسها) كوكبان لا يلتقيان لان السها نجم خفى فى بنات نعش وبنات نعش لا تغرب أبدا فى بلاد أرمينية وفى سمتها بلاد الشأم والمغرب والاندلس وسهيل لا يرى فى شئ من هذه البلاد الا رؤية لا يعتد بها فى أيام قلائل فلا يلتقى سهيل والسها بوجه وانما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى ربيعة حيث قال

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحرث وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فضرب لها عمر المثل بالكوكبين وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها وأفاد عدم الالتقاء وسهيل هو كوكب أحمر يخيل اليك لشدة اضطرابه أنه يستدير وقال المعرى فى صفته فأحسن

وسهيل كوجنة الحب فى اللو * ن وقلب المحب فى الخفقان
مستدير كأنه الفارس المعـ * ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ * ـرع باللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى * فبكت رحمة له الشعرتان
قدماه وراءه وهو فى العجـ * ـز كساع ليست له قدمان

قالوا ولا تقع عين بعير على سهيل الا مات من حينه وقد أشار المعرى الى هذا فى قوله

لا تحسبن ابلى سهيلا طالعا * بالشأم فالمرئى شعلة مقبس

ومتى طلع صرفت الابل كلها وجوهها عن مطلعه وقابلته باعجازها وقال المتنبى

وتنكر قتلهم وأنا سهيل * طلعت بموت أولاد الزناء

وفى معنى تخويف ابن همام للسروجى بعقاب الوالى ما حدث ان أبا الحسن العباس بن حيون دخل عليه فى السجن من أعلمه أن ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد مفرا فقال لمعلمه بالخبر وأحسن فى قوله

تخوفنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل * سيبلغ حيث بلغه الكتاب

(قوله انجلى) أى زال وانكشف (نشدتك) حلفتك (الدست) الاول هو الثوب والثانى المجلس والثالث هو الاول والرابع هو الخداع والحيلة وقد قدمه فى الحادية عشرة حيث قال متى ما دسته تم (ازورت مقلتاه) اعوجت عيناه وتغير نظرهما (والوجنتان) ما أحاط بالعين من أسفل (أعجزنى) غلبنى (فضح مريب) كشف متهم (تطلس) لبس الطيلسان وهو من لباس الخواص

وهو كساء خز (لبس) خلط (سكع) ذهب (اللكع) اللئيم العاجز قال بعض أهل العلم كان يقال خمس خصال من أقبح شئ فمن كن فيه الحدة فى السلطان والكبر فى ذى الحسب والبخل فى الغنى والحرص فى العالم والفسق فى الشيخ وثلاث هن أحسن شئ فمن كن فيه تودة لغير ذل وجود لغير ثواب ونصب لغير الدنيا (أشفق) خاف (تعدى طوره) تجاوز قدره (ظعن) رحل (فوره) حينه (نوى) بعد وسفر (كلاءه) حفظه (ثوى) أقام (زاولت) حاولت (نكره) منكره (مكره) خداعه (أوغلت) أبعدت (أوقع به) أتناوله بالشر والمكروه والضرب وقال أبو حازم فى معنى دعاء الوالى على السروجى

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لادرت السحاب
زالت سراعا وزلت تجرى * بينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب * وحيث لا يبلغ الكتاب

والذى استعمل الناس فى الدعاء على الغائب أن لا يرجع قول زهير
(لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم)
(وقال آخر)
(كما سار الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومثل هذا رقية المرأة اذا سافر زوجها قالت نافر لك القمر وظل الشجر شمال تشمله ودبور تدبره ونكباء تنكبه شيك ولا انتقش وتعس ولا انتعش ثم ترمى اثره بحصاة ونواة وروثة و بعرة وتقول حصاة حص أثره ونواة نأت داره وروثة رات خبره وبعرة بعره ولو أوغل فى طلبه كما ذكر فأدركه لانشده السروجى

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع
(وقال المعرى)
اذا ما أخفت المرء جن مخافة * وأيقن أن الارض كفة حابل
يرى نفسه فى ظل نفسك قائما * وبينكما بعد المدى المتطاول
(وقال محمد بن هانئ رحمه الله تعالى)
فلا مهجة فى الارض منك منيعة * ولو قطرت من ريق أرقط شجعم
ولو أنها انبسطت بمخلب طائر * ولو أنها باتت على قرن أعصم

وقال أشجع السلمى فى الرشيد حين بعث لادريس بن عبد الله العلوى من اغتاله بالمغرب
أتظن يا ادريس أنك مفلت * كيد الخلافة أو يقيك حذار
ان السيوف اذا انتضاها عزمه * طالت وتقصر دونه الاعمار
هيهات الا أن تكون ببلدة * لا يهتدى فيها اليك نهار
(ولابى العرب الصقلى)
كأن بلاد الله كفك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل
فأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان يطوى فى يديك المراحل

(قوله تشيع) أى تتصل يقال شاع الخبر فى الناس اى اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به

فبهذا تم له أن لبس أفتدرى أين سكع ذلك اللكع قلت أشفق منك لتعدى طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلاءه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة أدبه لاوغلت فى طلبه الى أن يقع فى يدى فأوقع به وانى لاكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين الانام

ويقال سهم شائع ومشاع اذا كان في جميع الدار فاتصل كل جزء منه بكل جزء منها واصله في الناقة يقال أوزعت الناقة ببولها ايزاعا اذا فرقته فاذا أرسلته متصلا قيل أشاعت به (تحبط) تسقط وتبطل (مكاتي) منزلتي (ضحكة) يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول وتحريكها للفاعل (أفوه) أنطق (اعتقد) أي قصد من الخداع (حلا) مقيما (يتأول) يحتال ليمينه فيحملها في الباطن على غير ما أوقعها في الظاهر عليه فيريد أنه ثبت له اليمين (السموأل) هو ابن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وقصة وفائه ان امرأ القيس لما ألح المنذر في طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به فقال له يا ابن حجر اني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس بك أفلا أدلك على رجل لم أر أحسن جوارا منه فدله على السموأل بتيماء ووصف له حسبه وحصنه فقال ومن لي به فقال أصحبك من يوصلك اليه فأصحبه الربيع بن ضبع وكان الربيع يأتي السموأل ويمدحه فيحمله ويعطيه فمشوا حتى قدموا على السموأل فأنشدوه اشعارا فعرف حقهم وأنزل هندا بنت امرئ القيس في قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكان عنده ماشاء ثم طلب أن يكتب له للحرث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وأدراعه الخمس وهي الفضفاضة والصافية والحصنة والحريق وأم الذيول وكن لبني آكل المرار وهم أجداده يتوارثن ملكا عن ملك فمضى الى قيصر وأقام عنده حتى جهزه بجيوش ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما لبسها تقطع لحمه ومات فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل فبعث اليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وما ترك عنده من المال فقال له انما أدفع ذلك لابنته ولورثته فحاصره في الحصن حتى أخذ ابنا له صغيرا فقال للسموأل اما أن تعطيني ماترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لا وفيت له في حياته وأغدره بعد وفاته أبدا فشأنك بابني فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته وقال

وفيت بأدرع الكندي اني * اذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا انه كنز عظيم * ولا والله أغدر ماحييت
بنى لي عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل في الوفاء وانظر في الثلاثين ابتداء الحكاية

وتحبط مكانتي عند الامام وأصير ضحكة بين الخاص والعام فعاهدني على أن لا أفوه بما اعتقد مادمت حلا بهذا البلد

(قال الحرث بن همام) فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل

(قصة وفاء السموأل)

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله شرح المقامة الرابعة والعشرين)

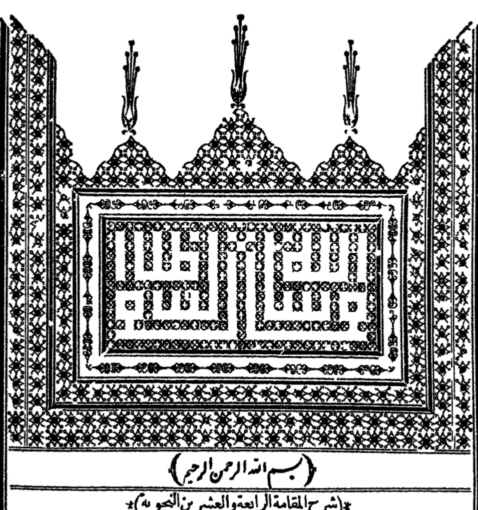
(فهرسة الجزء الثانى من كتاب شرح المقامات الحريرية للامام الشريشى)

(تمت)

الجزء الثاني من شرح المقامات الحريرية
للامام أبي العباس أحمد
ابن عبد المؤمن القيسي
الشريشي رحمه
الله تعالى

م

* (وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له) *



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقامة الرابعة والعشرون النحوية)

(حكى الحرث بن همام) قال عاشرت بقطيعة الربيع فى إبان الربيع فتية وجوههم أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزرى على الربيع الزاهر ويغنى عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فاجمعنا فى يوم سماء جنه ونما حسنه وحكم بالاصطباح

(شرح المقامة الرابعة والعشرين النحويه)

(عاشرت) صاحبت (قطيعة الربيع) بلد معروف والربيع حاجب المنصور ومولاه وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبى فروة وكان أقطعه المنصور بلدا بالعراق فبناه وبنى الناس معه حتى صار فيه عمارات كثيرة وهى محلة قريبة من كرخ بغداد فى أعلى غربية بغداد فنسبت الى الربيع (ابان) وقت (الربيع) فصل النوار (ابلج) أحسن لونا وأنم (أنواره) أزهاره ونوّار النبات وأنوار صار فيه النور و (ابهج) أحسن لونا والبهجة حسن اللون و (نسيم) السحر ريحه اللينة الباردة وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للجنة كل يوم طيبى لأهلك فتزداد طيبا فذلك البرد الذى تجده الناس بسحر ذلك اليوم وقال ابن عمار فى نسيم السحر على الرياض فأحسن

و يوم لنا بالسد بين معاطف * من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا يزورنا * هداياه فى أيدى الرياح النواسم
يبلغنا أنفاسه فنردها * باعطر أنفاس وأذكى لناسم
تسير علينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(اجتليت) نظرت (يزرى) يقصر وتقول زريت عليه اذا عبت عليه ما فعل وأزريت به قصرت (الزاهر) الناعم (رنات) أصوات (المزاهر) عيدان الغناء (تقاسمنا) تحالفنا (حظر) منع (الاستبداد) الانفراد بالشئ (يستأثر) يختص (رذاذ) أقل المطر أى اتفقوا أن لا ينفرد واحد بشئ دون أصحابه (أجمعنا) عزمنا (سماء جنه) ارتفع سحابه (نما) زاد (الاصطباح) شرب الخمر

بالسحر

بالسحر (مزنه) مطره وفى مثل بكورهم قول عبد الجبار الصقلى

بادر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(انتهى) تسلى وتتفرج و(المروج) المواضع المخفضة الخصبية واحدها مرج وسمى مرجا لان البهائم مرج فيه أى تسيب (نسرح) نسيب (النواظر) العيون وبالضاد نواعم الازهار و(الخواطر) الاذهان (شيم المواطر) نظر السحاب (برزنا) خرجنا وجعل خروجهم فى السحر لان أول النهار أجد أوقات الشرب فقال أول النهار ألا ترى الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أزكى والفطن أصح وقال القطوى

قبح الله أول الناس سن الشرب ظهرا ماذا أتى من خسار

مجلس مونق وكأس وندما * ن وتأخيرها الى الاظهار

نكتة فى السرور بادية الشين لاهل العقول والابصار

ان شرب النبيذ سير الى اللهو وخير المسير صدر النهار

ما رأينا النشوة الصبح شكلا * كنديم مساعد وعقار

وغناء يفت فى عضد الحلم ويزرى على النهى والوقار

وأحاديث فى خلال الاغانى * كانفتاح الرياض غب النهار

وبعضهم يمدح الغبوق ويذم الصبوح وابن المعتز ممن يذهب الى ذلك (قوله كندمانى جذيمة) أى صاحبيه على الخمر واسمهما مالك وعقيل وجذيمة ابن مالك بن تيم الازدى وكان ملك أيام الطوائف بشاطئ الفرات وما والى ذلك الى السواد ستين سنة قال ابن الكلبى جذيمة أول من ملك قضاعة بالحيرة وأول من حذا النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأظهرهم حزما وهو أول من استجمع الملك له بأرض العراق وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عن البرص اعظاما فقالت له جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة وصادفت خيول تبع سرية له فقتلوهم فبلغ الخبر جذيمة فقال

ربما أوفيت فى علم * ترفعن ثوبى شمالات

فى فنون أنت كالؤهم * من بلايا غزوة ماتوا

ليت شعرى ما أماتهم * نحن أسرينا وهم باتوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين وسماهما الضيزنين ومكانهما بالحيرة معروف وغزا ايادا بعين اباغ فبعثوا اقواما منهم سرقوا منهم الضيزنين وأصبحوا بهما فى اياد فأرسلوا اليه ان صنميك أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فاعطنا عهدا الا تغزونا ونردهما اليك ففعل وكان يلعب أن غلاما من لخم يسمى عدى بن نصر مقيم فى أخواله من اياد وله ظرف ولب وانه لحسن أن ينادم الملك ويقوم بمجلسه فاشترط على اياد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر وكان له جمال وظرف فدفعوه اليه معهما فضمه الى نفسه وكان ينادمه ويسقيه فتعشقته رقاش أخت جذيمة فبعثت اليه اذا سقيت أخى واستنشى فاخطبنى لك وأشهد عليه ففعل فلما طرب جذيمة خطبها فأنعم

قوله وجعل خروجهم الخ لا يناسب نسخة المتن التى بايدينا اهـ مصححه

مزنه على أن نلتهى بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر فى الرياض النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندمانى جذيمة مودة

ترجمة جذيمة وندمانيه

عليه وأشهد عليه فقال له عرّس باهلك ففعل فلما أصبح غدا على جذيمة مضرجا بالطيب فقال له ماهذه الآثار فقال آثار العرس قال وأى عرس قال عرس رقاش فأكب جذيمة على الارض وفرّ عدى وطلبه جذيمة فلم يدركه وقيل ظفر به وقال لرقاش

حدثينى رقاش لا تكذبينى * أبحر زنيت أم بهجين

أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت له أنت زوجتنى وما كنت أدرى * فأتانى النساء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك فى الصبا والمجون

فحبسها فى قصرها فاشتملت على حمل فأتت بغلام وسمته عمرا وربته حتى ترعرع فجملته وعطرته وألبسته كسوة مثله ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبته وخرج جذيمة فى سنة قد أكلأت وبسط له فى روضة وعمرو مع غلمة يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم يقول

هذا جناى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحل منه بمكان ثم ان الجن استهوته فطلب زمانا وأرسل فيه فى الآفاق فلم يجد له خبرا ثم ان عمرا أوفى على مالك وعقيل ابنى فارج بن مالك بن كعب بن القيس بن حمير بن قضاعة وقد نزلا منزلا وهما متوجهان الى خاله جذيمة ومعهما قينة يقال له أم عمرو وهى تغنيهما وتسقيهما فرأت عمرا وقد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فاحتقرته فرمت اليه بكراع من طعامهما وناولتهما وأوكأت زقها ولم تناول عمرا شيأ فقال لها عمرو

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا

وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فما شرب الشراب كمثل عمرو * وما نال المكارم فاصبحينا

فلا تنكرى عمرا فانى * أنا ابن عدى حقا فاعرفينا

وخالى لا أبالك ذو المعالى * جذيمة كيف ويحك تنكرينا

فقالا له من أنت يافتى قال أنا عمرو بن عدى فضماه اليهما وغسلا رأسه وأخذا من شعره وقلما أظفاره وألبساه بعض الثياب التى كانت معهما وقالا ما كنا نهدى جذيمة أنفس من ابن أخته ثم وردا به على جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما تمنيا فسألاه أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا فنادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثا فضرب بهما المثل فى تأكيد الالفة وقال مالك بن نويرة فى مالك

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وتمثلت بهما عائشة رضى الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبى أنى تناسيت عهده * ولكن صبرى يا أميم جميل

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميذع العمليقى من العماليق ومنهم قوم من

حميرو كان ملك الجزيرة وملك الحضر وهي مدينة قديمة بين دجلة والفرات فهزم جذيمة جيوش عمرو وقتله وفرّق جموعه وقال في ذلك شاعرهم

كأن عمرو بن برقا لم يكن ملكا ✽ ولم يكن حوله الرايات تختفق
لاقى جذيمة في شعواء مشعلة ✽ فيها حواشف بالنيران ترتشق

ترجمة الزباء

فملكت بعده الزباء ابنته واسمها نائلة قال ابن الكلبي ولم يكن في عصر الزباء أجمل منها جمالا وأكمل منها كمالا وكان لها شعر اذا مشت يتدلى وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء لكثرة شعرها فجمعت خيل أبيها وغزت بالجيوش من حوالها من الملوك فذللتهم فضرب بها المثل فقيل أعز من الزباء واشتهر عنها علو الهمة وسمو القدرة وقوة المنعة ومضاء العزم وبذل الاموال فلما استحكم ملكها أرادت أن تغزو جذيمة لتدرك فيه ثأر أبيها فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت لا طاقة لك به ولكن ابغي أمرك فيه على المكر والحيل فبعثت الى جذيمة تخطبه على نفسها ليتصل ملكه بملكها فيصير بذلك أعز الملوك وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه في الظفر بها فاخبر أرباب دولته بمخاطبتها اياه فكلهم أشار عليه أن يتزوجها الا قصير بن سعد بن عمرو وكان لبيبا عاقلا له عزم وحزم وكان خازنه وعميد دولته فانه قال له هذا رأي فاتر لان الزباء قتلت أباها والدم لا ينام ولك في بنات الملوك الاكفاء متسع فقال له الملك ان النفس الى ما تحب تواقة وان كان القدر قد يجري بشيء فلا مفر عنه وكتبت اليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح وقالت له لولا أن السعي في مثل هذا للرجال أجمل ولهم ألزم لسرت اليك وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والاموال والذهب هدية سنية فلما وصلت أبهجته وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه فشاور قومه وابن أخته عمرا فشجعوه على المسير اليها واستخلف عمرا على ملكه وسار في خواصه حتى نزلوا بالفرضة فشاور خواصه وقصيرا في الجملة فاشاروا عليه بالمسير الا قصيرا فانه قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فآخره الى فساد ولولا أن الامور تجري على المقدور لعزمت على الملك أن لا يفعل فقال جذيمة الرأي مع الجماعة فقال قصير أرى القدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير رأي فلما اقترب من ديارها أرسل اليها يعلمها بموضعه فاظهرت السرور به وأخرجت له هدايا وأنواعا من الاطعمة والاشربة فقال لقصير كيف ترى فقال قصير من لم ينظر في العواقب لم يأمن المصائب فاستدرك الامر قبل فوته وارجع فان في يديك بقية تستدرك بها الصواب وان كنت لابد فاعلا فان القوم ان تلقوك غدا يجيء قوم ويذهب قوم فالامر في يديك وان تلقوك صفين فاذا توسطتهم وأحدقوا بك فقد ملكوك وهذه العصا وهي فرس لجذيمة تستبق الطير فسأعرضها لك فاركبها وتسلم عليها فانه لا يسبق غبارها فأرسلها مثلا فلما كان غد لقوه صفين فلما توسطهم انقضوا عليه فقال لقصير صدقت فالرأي فقال له قد تركت الرأي وهذه العصا اركبها فشغله الامر عنها فلما رأى قصير الجيوش تسير بجذيمة أخذ على العصا عنانها فهوت به هوي الريح فتطاول اليه جذيمة ينظره فقال ويل له جذيمة فجرت به الى غروب الشمس قال الاصمعي رحمه الله تعالى لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبال فبني على الموضع برج يسمى برج العصا وأشرفت الزباء من قصرها تنظر الى جذيمة وهو يساق فقالت ما أحسنك من عروس يزف الي فدخلوا به اليها وحولها ألف وصيفة لا تشبه واحدة صاحبتها في خلق ولا زي وهي بينهن كالقمر

حفت به النجوم فامرت بالانطاع فبسطت وقالت للوصائف خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فأجلسنه على الانطاع ففعلن به ذلك ثم كشفت له عن شعرتها فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها فقالت له يا جذيمة أشوار ذات عروس قال بل شوار بظراء تفلة وأمر غدر قد بلغ المدى فقالت والله ماذا لك من عدم المواسي ولكنها شيمة أناسي ثم أمرت به ففسق الجرحتى أخذت فيه وكانت الملوك لا تضرب الاعناق الافي الحرب ثم أمرت أن تقطع رواهشه وقالت تحفظن بدمه لانه ان قطرت من دمه قطرة فى غير الطشت طلب بدمه فجرى دمه فى طشت ذهب فلما ضعفت يداه سقطتا فقطرت على النطع من دمه قطرات فقالت لا تضيعوا دم الملوك فقال لها لا يحزنك دم ضيعه أهله فذهبت مثلا فقالت ان دماء الملوك شفاء من الكلب والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك ثم أمرت به فدفن وكان عمرو بن عدى يخرج كل يوم لبعض الحيرة يستطلع أمر خاله فنظر يوما الى فارس قد أقبل فأشرف عليهم قصير فقال له ما وراءك فقال له سعى القدر بالملك الى حتفه فاطلب بثأره فقال عمرو وأى ثأر يطلب من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو فقال قصير والله لا أنام عن طلب دمه مالاح نجم فاجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها فقال عمرو ما أنت لذلك بأهل وقد علمت نصحك لخالى فقال خل عنى اذا فجدع أنفه فلحق بالزباء فقالت ما جاء بك فاشار بظهره وأنفه فقالت العرب لامر ما جدع قصير أنفه فقالت يا قصير وبيننا دم خطير فقال يا ابنة الملوك العظام لا ثأر ولا قود ولقد أتيت فيه على ما يأتى مثلك فى مثله وقد جئتك مستجيرا بك من عمرو فانه علم أنى أشرت على خاله بالمجىء اليك فجدع أنفى وأذنى وأوجع ظهرى وحال بينى وبين مالى وولدى فاستجرت بك لعلمى أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك فقالت له أهلا وسهلا وكان يبلغها من رأيه وحزمه فاختصته وأنزلته واصطفته فلما وثقت به أخذت تستشيره فى أمورها فقال لها يوما ان عمرا يطلبك بخاله والرأى ان تتخذى نفقا للعلك تحتاجين اليه فقالت له انى قد اتخذته تحت سريرى وخرجته تحت سرير أختى وكان الفرات يشق بين قصريهما فأظهر لها السرور ثم قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة تصلح بالملوك فان جهزتنى بمال للتجارة توصلت فيه الى أخذ تلك الذخائر ونقلها اليك فجهزته فاحتال حتى وصل الى عمرو فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والاسلحة فرجع بها فلما تحققت نصحه أرسلته الى العراق ثالث سفرة ليضرب لها باعدة من السلاح ويشترى لها خيلا وعبيدا لتجهز جيشا الى من حواليها من الملوك فمشى فيما أمرته به وتوصل الى عمرو وقال قد أصبت الفرصة من الزباء فقال عمرو قل أسمع ومر أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والمال فقال حكمك فيما عندى مسلط فعمد الى ألفى رجل من أهل القتال وجعلهم فى غرائر سود وجعل سلاحهم السيوف والجحف وجعل رؤس الغرائر مربوطة من داخلها وجعل عمرا فى الجملة وساق الخيل والعبيد فلما قاربها بعث اليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به فسألت عن العير أين نزل فقيل لها بالغوير وكانت تنظر من غير طريق الغوير فقالت عسى الغوير أبؤسا وتقدم قصير فدخل عليها فبشرها فرقيت سطحا عاليا لتنظر مجىء الابل فنظرت قوائمها تسوخ فى الارض لما عليها من الاثقال فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا ۞ أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانابارداشديدا * أم الرجال جثماقعودا

وكانت قالت لجواريها انى أرى الموت الاحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلا فدخلت الجمال المدينة فجس بوّاب بمخصرة فى يده غرارة على آخر بعير فأصابت المخصرة خاصرة رجل فضرط فصاح الشر الشر فأظهروا علامة كانت بينهم فحلوا رؤس الجوالق فخرج منها ألفا دارع بألفى سيف فصاحوا يالثأر الملك المقتول غدرا وهربت الزباء تطلب النفق الى تحت الفرات فسبق عمرو الى بابه مع قصير وكانت صورة عمرو مصوّرة فى جانبها فعندما رأته عرفته وكانت جعلت تحت فص خاتمها سما ساعة فمصت الفص وقالت بيدى لا بيد عمرو فسقطت وعمرو وقصير يضربانها بالسيف فماتت بين السم والسيف فاستباحوا البلد هابمافيه واستولى عمرو على مملكتها واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه وتوارثها بنوه واحدا واحدا الى النعمان بن المنذر وهو الذى أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى وهو آخرهم وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام وقال ابن دريد

وسيف عمرو اشعلته همته * حتى رمى أبعد شأو المرتمى

فاستنزل الزباء قسرا وهى من * عقاب لوح الجوّ أعلى منتهى

الى حديقة أخذت زخرفها وازينت

(قوله الى حديقة أخذت زخرفها وازينت) نريد أن نصل باب الرياض والبساتين اذهى جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة ولم تمازجها الكلفة مع بديع أزهارها التى سماها الله سبحانه وتعالى زينة وزخرفا فقال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وان نجتنى فيه بعض ماقالت العرب ونقلته الرواة من الشعر المستحسن والتشبيه المشاكل فان جل النفوس مستأنسة به ونازعة اليه ومرتاحة لذكره ومشتاقة الى زمانه ولا تكون الرياض مونقة والازهار مشرقة الا فى اعتدال الزمان وجدة الايام وهى اذا حلت الشمس فى برج الحمل كما قال الحسن

أماترى الشمس حلت الحملا * وقام وزن الزمان واعتدلا

فاشرب على جدة الزمان وقد * أصبح وجه الزمان مقتبلا

وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا

(قال الاصمعى) رحمه الله تعالى سألت اعرابيا عن الغيث فقال عطلت الحياض وأشرقت الرياض وأخرجت الارض زخرفها وأنبتت من كل زوج بهيج * وقيل لاعرابى أى شئ رأيت أحسن فقال الاعرابى ظباء رائعة فى رياض يانعة والشمس طالعة وقيل لآخر صف لنا الربيع وأوجز فقال هو صديق النفس بريحانه وملك الطرف بريعانه مع أنه أشكل بالشبيبة وباعث الشهوة البعيدة وقال ابراهيم بن السدّى خرجت أريد نزهة نهر الابلة مما يلى كاظمة تميم وقصر معبد حتى غورت فى مبنى أتخيل الرياض وأجيل ناظرى فى ساقط الغيث حتى دفعت الى اعرابى عند روضة غناء عميم نبتها زاهر نورها يطيف بها فقلت يا اعرابى أحسن عندك ماترى فقال كلا والله سماء مظلة وارض مقلة تحول هذه عن بكاء هذه فما شئت من درة بيضاء وياقوتة حمراء وزمردة خضراء قد نظمتها أيدى المزن فى نحور الصعيد وقال يزيد بن ماهان الاوسى أتيت أرض السماوة فى أنف من الربيع وقد اكتهل النبت فلما جزت ساحة الحىّ دفعت الى جوار كأنهن دمى العاج يمشين كقضيب البان وبين أيديهن روضة مشرقة وهن يطفن

بهاويهن الولوج فيها فقلت مالكن لا تلجن الروضة فهي أوطأ الاقدام مكن وأقرب لاثارة أرجها من أنوفكن فقالت احداهن أحرام عندك أن يطأ بعضنا خدود بعض قلت بلى والله قالت فوجه الارض أحق بالتحريم أن يحصد أو يتوسد * وبعث الحجاج الى عبد الملك بجاريتين وكتب اليه هما عندي بمنزلة روضتين من رياض السماوة جاد الربيع أوله وآخره عليهما فاعتم نبتهما ونور زهرهما وحسن منظرهما وقد بعثت الى أمير المؤمنين بهما مباركا له فيهما *(وقد ذكرت الشعراء الغيث والرياض بألفاظ مستحسنة ومعان مستطرفة وتمثيل رائع وتشبيه رائق يبعث السرور وينفي لوعة المحزون ويجلب أريحية الفتوة والشباب فنذكر ههنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها في ذلك ما نرجو به أن يفي بالغرض الذي قصده وضمنه الحريري صدر هذه المقامة ونوافقه ونشرح منزعها الشريف في ذلك ونحققه ان شاء الله تعالى أنشد السري الخباط رحمه الله تعالى يصف روضة

نضاخة تملأ العينين بهجتها * فيحاء حفت بأنواع الرياحين
في ظل آس وجرجير ونرجسة * وسوسن زان وردا بين نسرين
وكرمة ذات أعناب مذللة * من كل أقطارها تحت الافانين
شبهت فيها العناقيد التي بقيت * أولاد زنجية فطس العرانين
فتارة من يواقيت منضدة * وكالزبرجد في بعض الاحايين
فعينها غدق وماؤها غبق * وريحها ريح مسك الهند والصين
فيها زرابي قد بثت ملمعة * يضحكن عن زهر أنواع البساتين

فعارضه حسن الكوفي فقال

كأنها كاعب حسناء أبرزها * عبد فلم تأل في طيب وتزيين
تبرجت لتروق الناس بهجتها * فالناس ما بين مبهوت ومفتون
والايك مائلة الاغصان زائدة * قد كسيت زخرفا حر الافانين
اذا الرياح جرت في نورها لفظت * قراضة من حرير الري والصين
كأنما ألبست أكمامها حللا * من وشي اسكندر أو من نصيبين

(وقال علي بن الجهم)

لم يضحك الروض الا حين أعجبه * حسن النبات وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدى لنا دنيا محاسنها * وراحت الراح في أثوابها الجدد
ما قابلت قضب الريحان طلعته * الا تنسبت فيه ذلة الحسد
بين النديمين والخلين مسرعة * وسيرت بيد موصولة بيد
فبادرته يد المشتاق تسنده * الى الترائب والاحشاء والكبد
لا عذب الله الا من يعذبه * بمسمع بارد أو صاحب نكد

(وقال البحتري)

سقى الغيث أكناف الحمى من محله * الى الحقف من رمل اللوى المتقاود
ولا زال مخضرا من اللون يانع * عليه بمحمر من النور جاسد

يذكرنار ؤيا الاحبة كلما * تنفس فى جنح من الليل بارد
شقا ئق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منظم * على نكت مصفرة كالفرائد

(وقال أيضا)

وكأن المحودات والاقحوان الـ * ـغض قضبان لؤلؤ وفريد
قطرات من السحاب وروض * نثرت وردها عليه الخدود

(وقال أيضا)

وقد نبه النسرين فى غسق الدجى * أوائل ورد كن بالامس نوما
ومن شجر رد الربيع لباسه * عليه كما نشرت بردا منمنما

(وقال الحسن بن وهب)

طلعت أوائل للربيع فبشرت * نور الرياض بجدة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب فى الثرى * أذيال أسحم حالك الجلباب
يبكى فيضحك نورهن فياله * ضحكا تحسر عن بكاء سحاب
وترى السماء اذا أجد ركابها * فكأنما التحفت جناح غراب
وترى الغصون اذا الرياح تأرجت * ملتفة كتعانق الاحباب

(ولابى زرعة الدمشقى)

وقد أخذت زهر الرياض حليها * وألبست الارض الفضاء الزخارف
لجين وعقيان يروق وجوهر * تؤلفه أيدى الربيع اللطائف
تهادى التلاع الغور مسكا وعنبرا * تؤديه أنفاس الرياح العواصف
كأن أباريق المدامة بينها * من المنظر الاعلى ظباء رواعف

(ولبكر بن حماد)

فسقيا لايامنا الذاهبات * لقد فارقتنا بصفو الهوى
وهذا الربيع وريعانه * يجدد لى عهد ها قد مضى
يذكرنى الورد حمر الخدود * ولعس الشفاه اذا ما بدا
وسوسنه صحن خد الفتاه * اذا برزت لمحب أتى
ونشر الرياح رياح الحبيب * تباعد موعده أو دنا
يجود بها الطل وشى النبات * وينظمه بلاكى الندى

(ولمحمد بن يزيد)

وروضة صنف النوار جوهرها * فيها كما شئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكى بدمع من الانواء مسحوب
حتى كأن أفانين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبير ثوب من الموشى مخضوب

(وقال كشاجم)

الى الروض الذى قد زينته * شآبيب السحائب بالبكاء
بكين عليه فابتهجت رباه * تباهى فى زخارف نسج ماء
كأن الاقحوان بجانبيه * عذارى يبتسمن من الحياء

(وقال ابن الرقاق)

وحدائق خضر المعاطف ألبست * من حسن بهجتها ثياب زبرجد
جرت عليه الشمس فضل ردائها * فيرى زبرجدهن تحت العسجد

(وقال أيضا)

وروضة عاطر بنفسجها * عطرها وشيها وسندسها
لما غذته السحاب درتها * من فوق خوداتها ونرجسها
خاف عليه الغمام حادثة * فسل سيف البروق يحرسها

(وقال أيضا)

نثر الورد فى الغدير وقد دوحه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت دماؤه بجراح

(وقال أيضا)

وقزازة زرقاء راق صفاؤها * قد ضم زهر الجلنار رداؤها
فاعجب لراح كأسها من فضة * ما ان تسيل وقد يسيل اناؤها

(ومن ملح الادباء وما تصرفوا به فى الانوار) ما كتب به أبو دلف الى ابن طاهر يعاتبه

اخاؤكم كالورد ليس بدائم * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدى لكم كالآس حسنا وبهجة * له ورق خضر اذا فنى الورد

(فأجابه ابن طاهر)

أشبهت عهد الورد فيما تذمه * وهل زهرة الا وسيدها الورد
اخاؤكم كالآس مر مذاقه * وليس له فى الريح قبل ولا بعد

ولم يأت أحد بأخبث من تشبيه ابن الرومى فى ذم الورد

كأنه سرم بغل حين أبرزه * بعد الخرا باقى الاروات فى وسطه

(وقال أبو الشيص)

يا من تجلى بريحان ينادمه * من بين ورد وخيرى ونسرين
وياسمين وعود ما يغيره * ما كان أحسن ذا لو لم يكن دونى

(وقال أبو المعلى الطائى)

كأن عيون النورزين بالندى * عيون تراسلن الدموع على عذلى

(وقال أيضا)

ترى للندى فيه مجالا كأنما * تثرن عليه لؤلؤا فتبددا

(قوله

(قوله حديقة) أى بستان (زخرفها) أى زينتها (تنوعت أزاهيرها) اختلفت أنواع أزهارها وهذه الحديقة التى ذكر من حسنها مثل البستان الذى دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان وكان عروة معرضا عن الدنيا فحين رأى فى البستان الوصف الذى ذكر الحريرى قال ما أحسن هذا البستان فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم وكان عبد الملك يحب عروة ويعظمه على ما بين الزبيرية والمروانية من التباغض وقال لابن شهاب حين وفد عليه عند من طلبت قال عند سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب فقال عبد الملك فأين أنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء قال ابن شهاب فلم أبارح عروة بعد حتى مات قال ابن وكيع فى وصف ما ذكره الحريرى

ألست ترى وشى الربيع تنمنما * وما صنع الربعى فيه ونظما
وقد حكت الارض السماء بنورها * فلم أر فى التشبيه أيهما سما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه * وأنوارها تحكى لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نفسه * تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجنى تطاولا * وأظهر غيظ الورد فى خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله * فزاد عليه الورد فضلا وقدما
فظل لفرط الحزن يلطم خده * فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ دونه * على كل أنواع الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة * فأغرب فى الملبوس فيها وأحكما
وأنوار منثور يخالف شكلها * فصار بها شكل الربيع منمنما
جواهر لو قد طال فيها حياتها * رأيت بها كل الملوك مختما

(وقال أبو بكر الباوى)

وروضة بات طل الغيث ينسجها * حتى اذا التحمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه * الف فيضحكها طورا ويبهجها
اذا تنفس فيها ريح سوسنها * وفاح مثل خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده * كأس كشعلة نار اذ يؤججها
لا تمزجنها بغير الريق منك فان * تبخل بذاك فدمعى سوف يمزجها
أقل ما بى من عينيك أن يدى * اذا دنت نحو قلبى كاد ينضجها

(وقال الوزير المهلبى)

الورد بين مضمخ ومضرج * والزهر بين مكلل ومتوج
طلع النهار فلاح نور شقائق * وبدت سطور الورد بين بنفسج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا * نصطحك بابنة كرمة لم تمزج
فكأن يومك فى غلالة فضة * والنبت من ذهب على فيروزج

(وقال السرى)

وحديقة ينسيك وشى برودها * حتى تشبهها سبائب عبقرى

وتنوعت أزاهيرها وتلونت

تجرى النسيم خلالها فكأنما * غمست فضول ردائها فى العنبر
طارت قلوب المحل تحفق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صبغت بعسجد فيه جابه عصفر

(وقال السلامى)

نسب الرياض الى الغمام شريف * ومحلها عند النسيم لطيف
أوما ترى طرز البروق توسطت * أنفا كان المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرّج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف
فأدر سقيت الرىّ جامك انه * يوم على كبد الزمان خفيف

(قوله الكميت) يعنى الخمر (الشموس) التى فيها حدة (والشموس) السقاة الذين وجوههم كالشمس وللسلامى فى ذلك

ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس

وظبية من بنات الانس فى يدها * و وجهها للصبا والحسن خاتام
قد حللت لؤلؤ الازرار عن درر * لهن فى ثغرها الفضى أتوام
وزارت الارض منا مقلتان لها - وحشيتان وعذب الريق بسام
والكاس للسكر التبرى صانعه * والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا فى ثغور الروض أيتام

وهذه أشعار غريبة عجيبة ولابن سكرة فى ذلك

اشرب ففى اليوم فضل لو علمت به * بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا * والغيم مبتسم والشمس فى الحجب
لا تحبس الكاس واشربها مشعشعة * حتى تموت بها موتا بلا سبب

وقال سيف الدولة وذكر قوس قزح

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجوّ دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء باصفر * على أخضر فى أحمر قوس مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وهذه من التشبيهات الملوكية التى لا تحضر السوقة بمثلها وقال ابن الرقاق

وشادن طاف بالكؤس ضحا * حثها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى العقار يجحده * عنا فلما تبسم افتضحا

(وقال أيضا)

نبهته ونجوم الليل زاهرة * والفجر منصدع والصبح قد لاحا

والليل

راالليل منهزم ولت عساكره * والروض مبتسم والزهر قد فاحا
فقام يمسح عينيه براحته * نخلته فى ظلام الليل مصباحا

(قوله الشادى) المغنى (يلهيه) يشغله ويزيل همه (يقرى) يعطى ويهدى (سمع) أذن ولبعضهم فى غلام مغن وأجاد

فديتك يا أتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الابصار حسنا * وصوتك أمتع الاصوات طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

(وقال ابن الرقاق)

يذكرنى تحنان شدو غناؤه * على الايك تحنان الحمام المغرد
له نغمات ألجمت كل صادح * وصوت نشيد قد شجا كل منشد
فدع كل ما حدثت عن صوت معبد * وطارح نشيدا عن نشيد ابن معبد

(قوله اطمأن) أى استقر وسكن (وغل) دخل والواغل الداخل على الشرب ولم يدع اليه (ذمر) شجاع والذمر أيضا الحيث ذو الدهاء وهو مخفف من ذمر وهو الشجاع والجمع اذمار ومنه فلان حامى الذمار معناه يحمى ما يلزمه أن يحميه وسمى ذمارا لان الانسان يذمر نفسه أى يحرضها به وذمرت الرجل أذمره اذا حرضته (طمر) خلق (تجهمناه) عبسناه والجهامة العبوس ويقال تجهمنى فلان بكذا يتجهمنى بمعناه (الغيد) النساء الحسان اللينات الاعناق (الشيب) الشيوخ الواحد أشيب (شيب) كدر ونغص وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه رقوما

وعلقمة فى قوله

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقال حبيب فى هذا المعنى فأحسن

لعب الشيب فى المفارق بل جد فأبكى تماضرا ولعوبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله أن للشيب فضلا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا

(وقال على بن الجهم)

أنكرت ما رأت برأسى وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما برأسى فأنت * أنة يستثيرها المهموم
حسرت عنى القناع ظلوم * فولت ودمعها مسجوم

(وقال عمرو الوراق)

لا تطلبن أترابعين * فالشيب احدى الميتتين
أبدى مقابح كل شىء ومحا محاسن كل زين

والشادى الذى يطرب السامع ويلهيه ويقرى كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤس وغل علينا ذمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب

فاذا رأيت الغانيا * ت رأين منك غراب بين
ولربما نافسن فيك وكن طوع اليدين
أيام همتك الشبا * ب وأنت سهل العارضين

الفجيهي من أحسن ما سمعت فى هذا المعنى قول ابن البيانى رحمه الله تعالى

عرض المشيب بعارضى فأعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
فكأن فى الليل البهيم توسطوا * حمرا وفى الصبح المنير تقبضوا
ولقد رأيت وما رأيت بمثله * بيناغراب البين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد فى الشيب نقاء الخد

راحت غوانى الحى عنك غوانيا * يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت * تركت عمود القريتين عمودا
أربين بالمرد الغطارف بدنا * غيدا ألفتهم لدانا جيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا
حتى اذا ما الشعر سود وجهه * عاد المسود بينهن مسودا

هذا من قول الاعشى

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

ولحبيب وروى لابى دلف

نظرت الى بعين من لم يعدل * لما تمكن طرفها من مقتلى
لما رأت وضح المشيب بلحيتى * صدت صدود مفارق متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف * والشيب يغمزها بان لا تفعل

وقال محمد بن أمية

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى * فأعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن اذا أبصرننى أو سمعننى * دنون فرفعن الكوى بالمحاجر

وللشريف الرضى رحمه الله

قالوا المشيب فعم صباحا بالنهى * واغفر جنايات الطروق الزائر
لودام لى ود الكواعب لم أبل * بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس ان يك طالعا * عندى فوصل البيض أول غابر
ان أعرضت عنه الخدود فطالما * عطفت له بسوالف ومحاجر
ولقد يكون وماله من عاذل * واليوم عاد وماله من عاذر
كان السواد سواد عين حبيبه * فغدا البياض بياض عين الناظر
لولم يكن فى الشيب الا أنه * غدر الملوك ومحنة للغادر

وقال أيضا

لجام الشيب ثنى لى جيادى * وربانى لعذالى وراضا

لوى عنى الخدود من الغوانى * وغمض عنى الحدق المراضا
وصار بياضه عندى سوادا * وكان سواده عندى بياضا

ودخل أبو دلف على المأمون وقد ترك الخضاب فغمز جارية عنده أن تعبث به فقالت شبت يا أبا دلف انا لله وانا اليه راجعون فسكت عنها فقال له المأمون أجبها فأطرق برأسه ثم رفعه فقال

تهزأت اذ رأت شيبى فقلت لها * لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة * وشيبكن لكن الويل فاكتئبى
فينا لكن وان شيب بدا أرب * وليس فيكن بعد الشيب من أرب

(قوله يفض) يكسر (لطائم) أوعية الطيب وجعلها للكلام مجازا (تنزوى) تنقبض (وتبرى) تبادر (لطى بساطه) لقطع كلامه (المغرب) الحسن الغناء الآتى بالغريب فيه (والشادى والمغرد) واحد وهو المغنى (المطرب) الآتى بالطرب وهو الاهتزاز بالسرور وقد يكون من شدة الحزن وقال ابن رشيق فى مغن

غننى يا مجود الخلق عندى * حق مجدا ومن بأكاف نجد
واسقنى ما بصبر ذو البخل منها * حاتما والجبان عمرو بن معدى
فى زمان الشباب عاجلنى الشيب فهذا أوائل الدن دودى

(وقال البحلى فى مغنية)

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا استولت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فمناها يفديها فؤادى * و يسراها نفديها ذنوبى

(قوله تأوين) أى تشفقين (عيل) غلب وأنث الروح لانه ذهب به الى النفس قال ابن ظفر الروح الذى يكون به الحياة واذا فارق الجسد كان الموت والنفس التى بها العقل وهى المقبوضة عند النوم ولا معنى للاكثار فى هذا لان الشارع ليس له فيه قول يعول عليه ولا للحواس على ادراكه حول فتهتدى اليه (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خلى) صاحبى (صرم) قطيعة و يستقبح عندهم مجازاة الحبيب على اساءته كبيت امرئ القيس *فسلى ثيابى من ثيابك تنسل* وقول طرفة واذا تلسنن اننى * لست بموهون فقر

وقول الاعراب

ان كان أهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وأرغب

والمستحب عندهم قول ابن أبى ربيعة

ألا يامن أحب بكل نفس * ومن هو من جميع الناس حسبى
ومن يظلم فأغفره جميعا * ومن هو لا يهم بغفر ذنبى

(وقال أبو نواس)

جنان تسبنى ذكرت بخير * وتزعم أننى رجل خبيث
وأن مودتى كذب ومين * وأنى للذى يطوى بثوث
وما صدقت ولا ردعليها * ولكن الملول هو النكوث

الا أنه مسلم تسليم أولى الفهم
وجلس يفض لطائم النثر
والنظم ونحن تنزوى
من انبساطه وتبرى لطى
بساطه الى أن غنى شادينا
المغرب ومغردنا المطرب
الام سعاد لا تصلين حبلى
ولا تأوين لى مما ألاقى
صبرت عليك حتى عيل صبرى
وكادت تبلغ الروح التراقى
وها أنا قد عزمت على انصاف
أساقى فيه خلى ما يساقى
فان وصلا ألذبه فوصل
وان صرما فصرم كالطلاق

ولى قلب ينازعنى اليها * وشوق بين اضلاعى حثيث
رأت كلفى بها ودوام عهدى * فلتنى كذا كان الحديث

(وقال ابن شهيد)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * وبلى من الحب أو ويلى من الكرم

وأطرب من شعر المقامة للغناء ما حكى أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى خرج الى حضور جنازة وكان رجل من اخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه بالميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جاريته

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال الراوى فلقد رأيته يكبر على جنازة والابيات على ظهر يده * وقال ابراهيم بن المهدى دخلت يوما على الرشيد وفى رأسه فضلة خمار وبين يديه المغنون فقال يا ابراهيم بحقى عليك غنى فأخذت العود فغنيته من أشعار جرير

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى * شيأ ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من تمل حديثه * فانقع حديثك من حديث الوامق
أهوى أرض فوق هوى النفوس ولم يزل * مذ بنت قلبى كالجناح الخافق
شوقا اليك ولم تجار مودتى * ليس المكذب كالحبيب الصادق

وقال ابراهيم الموصلى لابن جامع لو هذا طلب الغناء كما نطلبه ما أكلنا معه الخبز فقال ابن جامع صدقت ومما ينتظم فى هذا النمط و يغنى به قول الآخر

قال الوشاة لهند عن تصارمنا * ولست أنسى هوى هند وتنساني
تدللت حين بدا لى بخل سيدتى * وقد تتبع فى بثى وأحزانى
هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

والحريرى لم يتعرض لشعره فى هذا لانه بنى البيت على المسئلة لكن فيما ذكرناه زيادة بيان وانه يجب أن يختار المغنى ما يتلقى للغناء من كل جهاته بالاستحسان (قوله العابث بالمثانى) أى اللاعب باوتار عود الغناء . ومما يستحسن فى وصف العود قول ابن القاضى

جاءت بعود تناغيه ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عودها الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزل عليه أو به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

(وقال ابن شرف)

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى * ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس

(ومما قيل فى ذم مغن)

قال فاستفهمنا العابث بالمثانى لم نصب الوصل الاول ورفع الثانى

لو أبصرت عيناك بشرا جالسا ✻ والعود فى يده يئث وساوسا
لرأيت منه فتى تحب بان ترى ✻ فى الرأس منه مساورا وطنانسا
فاذا تربع لاتربع بعدها ✻ وبدا يحرك عوده متنافسا
فكان جرذان المدينة كلها ✻ فى عوده يقرضن خبزا يابسا

المثانى أوتار بالعود معروفة على سائر أوتاره (بتربة أبويه) يريد عظامهما التى تصير ترابا فى القبر ولذلك أقسم بالقبر ✻ وأما (سيبويه) ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وتفسير سيبويه بالفارسية ريح التفاح وهو لقب له لانه كان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقد أشرنا الى ذلك فى العاشرة وقيل معنى سى ثلاثون وبويه رائحة التفاح فكان معناه الذى ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة وقيل ان أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فلزمته وولد بالبيضاء وهى قرية بشيراز من عمل فارس ونشابها وقدم البصرة فى أول ايامه ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوما قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لو شئت لاخذت عنه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت ياسيبويه ليس هذا حيث ذهبت انما ليس هنا استثناء فقال سيبويه سأطلب علما ليس يلحننى فيه احد فلازم الخليل فبلغ فى علم النحو الغاية وضرب به فى ذلك المثل وهو أول من بسط طريقته وشرع شريعته وكتابه الامام فى النحو الذى لم يصنع قبله ولا بعده مثله وغاية الائمة فهمه وأخذه الاخفش عنه وقيل ليونس ألف سيبويه كتابا نحوا من ألف ورقة فى علم الخليل فقال متى سمع سيبويه هذا كله فأتى بكتابه فنظر فيه فقال يجب أن يكون صدق عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى وناظر الاصمعى سيبويه فغلبه الاصمعى بلسانه فقال يونس الحق مع سيبويه وكانت فى لسانه حبسة وقلمه ابلغ من لسانه قال أبو زيد كان سيبويه يختلف الى وهو غلام له ذؤابتان واذا قال فى كتابه حدثنى من أثق به فانما يعنينى قال الاخفش كان سيبويه اذا وضع شيأ من كتابه عرض على وهو يرى انى أعلم منه وكان أعلم منى والاخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بنى مجاشع يكنى أبا الحسن وهو الذى أخذ الكتاب عن سيبويه وهو أكبر من سيبويه وصحب الخليل وأما الاخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد المجيد يكنى أبا الخطاب وهو الاخفش الكبير ويونس هو ابن حبيب يكنى أبا عبد الرحمن مولى بنى ضبة أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبى عمرو بن العلاء وقيل انه جاوز المائة فى سنه ولما فاق سيبويه فى علم النحو أهل عصره وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره سمع ان الكوفيين ظهروا ببغداد عند الرشيد بعلم النحو وهم الكسائى وأصحابه فقصدهم ببغداد وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن برمك وناظره الكسائى وقيل الفراء بحضرة الكسائى فى المسئلة الزنبورية المشهورة وقد ذكرناها فى الرابعة والثلاثين وكان فيما ذكر الظهور لسيبويه وتراضوا بينهم بشهادة الاعراب الحاضرين بباب الخليفة فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للاعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين فأجابوا لذلك فخرج سيبويه خجلا وكاد يموت غما فزعموا انهم شفعوا للرشيد لئلا يرجع مغلوبا خائبا فأمر له بعشرة آلاف درهم فانبعث الى الاهواز ولم يعرج على البصرة فأقام هنالك مدة مديدة الى أن مات ✻ وحكى انه لما انصرف عنهم مغموما لقى الاخفش سعيد بن مسعدة فأخبره بما لهم عليه فدخل الاخفش فسأل الكسائى

✻ (ترجمة سيبويه)

فاقسم بتربة أبويه لقد نطق بما اختار سيبويه

عن مائة مسئلة تخطاه فيها كلها فقال له انت سعيد بن مسعدة فقال له نعم فسأله أن يؤدب اولاده فأجابه وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه واعطاه سبعين دينارا ويروى انه لما بلغ الكسائي موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين أدعني ديته فاني أخاف أن أكون شاركت في موته وقيل انه مات من ذرب المعدة وقيل انه لما خرج عنهم سأل من يرغب من الملوك في النحو فقيل له طلحة بن طاهر بخراسان فقصده فلما انتهى الى ساوة مرض ومات ولما احتضر وضع راسه في حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه اليه وقال

احنين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يامن الدهرا

(ثم قال عند موته)

نؤمل دنيا لنبقى بها * وتأتي المنية دون الامل

حثيثا يروي أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وفيه انه مات بشيراز وقبرها سنة ثمانين وقيل سنة أربع وتسعين ومائة قال أبو سعيد الصولي رأيت على قبره مكتوبا بالسلمان بن يزيد

ذهب الاحبة بعد طول تزاور :: ونأى المزار فاسلموك وأسرعوا

تركوك أوحش مايكون بقفرة :: لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا

قضى القضاء وصرت صاحب حفرة :: عنك الاحبة اعرضوا وتصدعوا

(قوله تشعبت) تفرقت وشعبت الشئ فرقته وجمعته وهو من الاضداد ورجل شعاب يضم ويجمع (آراء) جمع رأي (واستبهم) استغلق (استعر) اتقد (الاصطخاب) اختلاط الاصوات وقد صخب صخبا (بنت شفة) كلمة ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعاني في رفع وصل وخفضه اختلاف أصحاب الواثق على جارية غنت بحضرته

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

وذكر الحريري في الدرة أن أبا العباس المبرد ذكر أن أبا عثمان المازني قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من قبول بذله فقلت له جعلت فداك أتترك هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ولست أرى ان امكن منه ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي أظلوم البيت فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه بان على انه اسمها ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان لقنها اياه بالنصب فأمر الواثق باحضاره قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال من أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة فقلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال لي باسمك يريد ما اسمك وهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كان في أول الاسماء فكرهت ان اجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته واعجب منه ثم قال ما تقول في قول الشاعر * أظلوم ان مصابكم رجلا * أترفع رجلا ام تنصبه فقلت بل الوجه النصب قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم رجلا مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ البريدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربكم زيدا ظلم فالرجل

فتشعبت حينئذ آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة

مفعول بمصابكم ومنصوب بهو الدليل عليه ان الكلام معلق الا أن يقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدت قول الاعشى

أيا أبتا لاترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
ارانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال كيف رأيت يا أبا العباس ردنا الله تعالى مائة فعوضنا بألف قال الحريرى فهذه الحكاية ترغب فى اقتباس الادب ودراسته حيث استعطف المازنى الواثق بيت الاعشى حتى اهتز لاحسان صلته * قال وفى اخبار النحويين أيضا ان المازنى سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى وما كانت أمك بغيا فقيل له كيف حذفت الهاء من بغيا وفعيل بمعنى فاعل تلحقه الهاء نحو فتى وفتية وغنى وغنية فقال ان بغيا ليست فعيلا انما هو فعول بمعنى فاعل لان الاصل بغوى ومن أصول التصريف انه متى اجتمعت الياء والواو فى كلمة وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء كشويته شيا ويوم وأيام وهذا أصل مطرد لم يشذ منه الا القليل فعلى هذه القضية تحذف الهاء وجوبا لانها بمعنى باغية كما تحذف من صبور لانها بمعنى صابرة * قال المازنى حضر يعقوب عند الواثق وقد حاز منزلة العلماء فقال لى الواثق سله عن مسئلة فقلت له ما وزن نكتل فقال نفعل فقلت له غلطت ثم قال لى فسره فقلت اصله نكتيل فقلبت الياء الفا للفتحة قبلها وسكنت اللام للجزم لانه جواب امر فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فقال الواثق هذا الجواب لاجوابك يا يعقوب فلما خرجنا قال لى يعقوب ما حملك على هذا وبينى وبينك المودة فقلت والله ما ظننت انه يعزب عنك مثل هذا فانظر كيف لم يثبت يعقوب الاوزان على ثبوت قدمه فى العلم * لقى هرون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله فقال انا بخير يا امير المؤمنين ولو لم أجد من ثمرة الادب الا ما وهب الله تعالى لى من وقوف امير المؤمنين على لكان ذلك كافيا محتسبا * ودخل ابو يوسف رحمه الله تعالى وهما فى مذاكرة وممازحة فقال يا امير المؤمنين ان هذا الكوفى قد غلب عليك فقال يا ابا يوسف انه ليأتينى بأشياء يشتمل عليها قلبى وتأخذ بمجامعه فقال الكسائى يا أبا يوسف هل لك فى مسئلة فقال فى نحو أو فى فقه فقال بل فى فقه فضحك هرون حتى فحص برجليه فقال تلقى على أبى يوسف الفقه فقلت نعم ثم قال يا ابا يوسف ما تقول فى رجل قال لزوجته انت طالق أن دخلت الدار قال اذا دخلت الدار طلقت قال اخطأت يا ابا يوسف فضحك الرشيد ثم قال فكيف الصواب قال اذا قال ان وجب الفعل دخلت بعد او لم تدخل واذا قال ان بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق * دخل الفراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات فقال له جعفر يا امير المؤمنين انه قد لحن فقال الرشيد للفراء اتلحن يا يحيى فقال ان طبع اهل البدو الاعراب وطباع اهل الحضر اللحن فاذا حفظت او كتبت لم الحن واذا رجعت الى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه وعلم أنه الحق وهذا القدر من المناظرة النحوية كاف (قوله الزماجر)

حتى اذا اسكنت الزماجر

وصمت المزجور والزاجر قال ياقوم أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله انه يجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة فى الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف فى هذا المضمار قال ففرط من الجماعة افراط فى مماراته وانخراط الى مباراته فقال أما اذا دعوتم نزال وتلبيتم للنضال فما كلمة هى ان شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب وأى اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ٢٠ وأية هاء اذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وأى مضاف أخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأى عامل نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا وفى أى موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لا يعرف الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفى وضعه الاول التزام وفى الثانى الزام وما وصف اذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه تسعاعشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وان عدتم عدنا (قال المخبر بهذه الحكاية) فورد علينا من أحاجيه اللاتى هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وحالت فلما أعجزنا العوم أوضح فى بحره واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا به استثقال الروية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغى التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذى نزل النحو فى الكلام منزلة الملح فى الطعام وحجبه عن بصائر الطغام لا أنلتكم مراما ولا شفيت لكم غراما أو تخولنى كل يد ويختصنى كل منكم بيد فلم يبق فى الجماعة الا من أذعن لحكمه ونبذ له مخبأة كمه فلما حصلت تحت وكائه أضرم شعلة ذكائه فكشف حينئذ عن أسرار ألغازه وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان وجلى مطلعه

أى الاصوات من الجوف كصوت الاسد الواحدة زمجرة (صمت) سكت (المزجور) المنهى (والزاجر) الناهى وزجرته انتهرته (أنبئكم بتأويله) أخبركم بتفسيره (المغايرة) المخالفة وهى من لفظ غير (المضمار) الموضع يختبر فيه جرى الخيل (فرط) سبق (افراط) تجاوز الحد (مماراته) مخاصمته (انخراط) اندفاع وانطلاق وخرط عبده أطلقه على اذاية الناس والمرأة تكبها والشجرة تخرط ورقها بيده (مباراته) معارضته (نزال) أى انزلوا للحرب ولذلك بنيت على الكسر لانها فى معنى فعل الامر وهى كلمة تقال فى الحرب ولها مقامان الاول أن ينزلوا من ظهور الابل الى ظهور الخيل والثانى أن ينزلوا من ظهور الخيل الى الارض وذلك أشد ما يكون للحرب (تلبيتم) تحزمتم (النضال) المراماة بالسهام (حرف) ناقة (حلوب) لها لبن (حازم) مشمر آخذ بالثقة (أماطت) أزالت (المعتقل) المحبوس (تجامل) أى تلقى المعزول بجميل (أخل) نقص (معكوسه) مقلوبه (نائبه) القائم مقامه (أرحب منه وكرا) أوسع موضعا (مكرا) تصرفا (الحجال) جمع حجلة وهى الستر (المراتب) المواضع (استضافة) اضافة (أردف) جعل ردفه أى خلفه (قوم) قدرت قيمته (الدون) الحقير (الزبون) الكريم الكثير دفع العطايا أى أخرج من هذه الصفة (والهون) الهوان (وفق) موافقة (لددكم) خصامكم (عدتم) رجعتم للخصام *ومن ملح ابن رشيق فى مليح نحوى

ان زارنى يوما على خلوة * أو زرته فى موضع خال
كنت له رفعا على الابتدا * وكان لى نصبا على الحال

(وقال الميكالى)

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مجادلا فاجتنيت الشهد من شفته
وأورد الحجج المقبول شاهده * مناظر البريئ فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأى رضيت به * والرفع من صفتى والخفض من صفته

(أحاجيه) ألغازه (هالت) عظمت فى النفوس (انهالت) انصبت وانهال الرمل انصب أعلاه الى أسفله (الافكار) الاذهان (حالت) تغيرت (استسلمت) انقادت (تمائمنا) معاذاتنا وهى الاحراز (عدلنا) ملنا (الروية) الفكرة (استنزال) طلبه بتلطف (بغى) ظلم (ابتغاء) طلب (التبرم) الاستثقال وبرم بالامر برما ضجر والبرم البخيل الذى لا يدخل فى الميسر (والبصيرة) اليقين والمعتقد وجمعه بصائر و(الطغام) الاوغاد وأرذال الناس (أنلتكم) أعطيتكم (مراما) مرادا (تخولنى) تملكنى وتعطينى (يختصنى) يفردنى (بيد) أى نعمة (أذعن) انقاد وذل (نبذ) رمى (خبأة كمه) ما خبئ فيه (بدائع) غرائب (اعجازه) ما عجز به (جلا) كشف (صدأ) وسخ (جلى)

أوضح (البرهان) الحجة (همنا) تحيرنا الحسن ماسمعنا وهام الرجل ذهب فى غير طريق (فهمنا) من الفهم أى عرفنا (ند) سبق وخرج يريد الكلام الذى بدروه به وردّوا كلامه وند أصله شرد البعير (قوله الاكياس) الحذاق العقلاء (ارتضاع) شرب (مأرب) حاجة قال يعقوب قال الاموى ومن الامثال مأرب لاحفاوة يضرب للرجل اذا كان يتملقك أى انما بك حاجة الى لا حفاوة بى قال ابن سيده مأرب بيننا يكون واحدا وهو السابق ويكون جمع مأربة من الجمع الذى يفارق واحده بالهاء (حفاوة) تهمم وقد حفيت بك أى تهممت واعتنيت (ومشرب لم يبق له عندى حلاوة) قال الشاعر فى معناه

ولم أجتنب شرب المدام لعلة * ولم ألحق الصهباء ذما ولا عذلا
تنافرنى أن صرت ضد الشكلها * فليست لنا أهلا ولست لها أهلا

(وقال ابن رشيق)

قرعت سنى على مافاتنى ندما * من الشباب ومن باللهو للشيب
فقد رددت كؤس الراح مترعة * على السقاة وكانت جل مشروبى
أنزه السمع والعينين فى نغم * ومنظر عابث بالحسن والطيب
من كل لافظة بالدر باسمة * عنه حلاة نوع منه مثقوب
أيام تصحبنى الغزلان آنسة * هذا على اننى أعدى من الذيب

والسابق لرد الكاس لعله الكبر أيمن بن خزيم بن فاتك الاسدى فى قوله

وصهباء جرجانية لم يطف بها * حنيف ولم يسعر بها ساعة قدر
ولم يحضر القسى اليهم نارها * طروقا ولم يشهد على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة * وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
فقلت اغتبقها أو لغيرى فاسقها * فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى السنين التى خلت * فكيف التصابى بعدما كلأ العمر
اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى ربا * وان جر أسباب الحياة له الدهر

قال الهيثم بن عدى كنا نقول بالكوفة من لم يروهذه الابيات فلا مروأة له أنشدها أبو على فى نوادره وأنشد أيضا

رأيت النبيذ يذل العزيز * ويكسو التقى النقى اتساخا
فهبنى عذرت الفتى جاهلا * فما العذر فيه اذا المرء شاخا

وأنشد أيضا فى نوادره لمن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية مروأة جلة أشعار شهرتها فى الكتاب أغنت عن ذكرها وأين شرف أولئك فى جاهليتهم على أن الخمر مباحة لهم من مجون جماعة من الاسلاميين على تحريمها عليهم مثل الرمادى فى قوله

أفى الخمر لامت خلتى مستهامها * كفرت بكاسى ان أطعت ملامها
لمحمولة فى الفلك فى جنة المنى * قد أوصى لنوح غرسها وضمامها
فخادعه ابليس عنها العلمه * بها فرأى كتمانها واغتنامها

بنور البرهان (قال الراوى) فهمنا حين فهمنا وعجبنا اذ أجبنا وندمنا على ما ندمنا وأخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس فقال مأرب لاحفاوة ومشرب لم يبق له عندى حلاوة فأطلنا مراودته ووالينا معاودته

فقـاز بثلثيهـا ونوح بثلثهـا * ولولامضى عنـه لم يك رامها
لمحظ أنثى وهو حظ مذكر * قليل لعيني ان أطيل انسجامها
وانا الوتران وقدمات جـدنا * عنينا وانا لا نجيز اقتسامها

أخذ هذا من خبر يروى أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما نزل من السفينة نازعه ابليس أصل العنب فاصطلحا أن لنوح الثلث ولابليس الثلثين ولما قيل للحسن نزعت عن اللهو الى التوبة قال

قالوا نزعت ولما يعلموا وطرى * فى وصل أغيد ساجى الطرف مياس
كيف النزوع وقلبى قد تقسمه * لحظ العيون ولوح الراح فى الكاس
اذا نزعت على رشدى تكنفنى * رأيان قد شغلا يسرى وافلاسى
فاليسر فى القصف واللذات أخلسها * والعمر فى وصل من أهوى من الناس
لاخير للعيش الا فى المجون معا لا * كفاء والخمر والنسرين والآس
ومسمع يتغنى والكؤس لها * حث علينا باجماس واسداس
يا مورى النار قد أعيت فوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس

فشمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه أنفا

(قوله شمخ) أى تكبر ورفع أنفه (صلفا) تخة وصلابة وجه وفى فلان صلف أى قلة انطباع وموافقة اذا أردت منه شيأ تهاون بك والصليفان ناحيتا العنق كأنه اذا كلمته فى شئ أعرض عنك ولوى عنك صليفه والصلف مجاوزة قدر الظرف وفى الشهاب آفة الظرف الصلف (نأى) نهض ويروى نأى تباعد (أنفا) غضبا وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت وأصله من رفع الانف فكأنه رفع أنفه تيها عليهم وتكبرا عن منادمتهم لاحتقارهم له أولا قبل اختباره ثم تبدلهم آخر بعد اعتباره واعتذر لذلك بالشيب وتذكر هنا فصلا أدبيا يأتى على جميع اغراض هذه الابيات * قال بعض الظرفاء يذم الخمر الشراب أول الخراب ومفتاح كل باب يمحق الاموال ويذهب الجمال ويهدم المروأة ويوهن القوة ويضع الشريف ويذل العزيز ويبيع الحرائر ويفلس التجار ويهتك الاستار ويورث الشنار * وقال بعضهم لابنه كثرة الشراب تكسد القلب وتقل الكسب وتغير اللب واعلم أن الظمأ الذابح خير من الرى الفاضح وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه

لعمرك ما يحصى على الناس شرها * وان كان فيها لذة ورخاء
مرارا تريك الغى رشدا وتارة * تخيل أن المحسنين أساؤا
وان الصديق الماحض الود مبغض * وان مديح المادحين هجاء
وجربت اخوان النبيذ فقلما * يدوم لاخوان النبيذ اخاء

(وقال ابن الرومى)

مودة اخوان النبيذ سلافة * يسولونها عند انقضاء المجالس
فبينا تراهم أهل القوائرة * وبينا تراهم بينهم حرب داحس
فأما اذا ناديتهم لملمة * فنادالتصاوير التى فى الكنائس

ولهذا كتب الحسن الى صديق له يستهدى منه مشروبا

لما رأيت الحظ للقاعد * والناس من واش ومن حاسد

خلوت فى بيتى وحدى ولا * أقلّ فى الاعداد من واحد
فابعث بها تشغلنى واكفنى * رؤية هذا العالم الفاسد

(وقال أيضا) خلوت بالخمر أناجيها * أشرب منها وأعاطيها
نادمتها اذلم أجد صاحبا * أرضاه أن يشركنى فيها
شربتها صرفا على وجهها * فكنت ساقيها وجانيها

قيل لبعضهم لم لاتتخذ لك نديما قال لانه مأخوذ من الندم واختلفوا فى اختيار استعمال النديم فنهم من اختار نديما واحدا ومنهم من انتهى فى الاختيار الى ستة بالساقى وصاحب البيت وما زاد على ذلك مغموم باجماع منهم قال وأنشدوا فى ذلك

وخير الندامى ستة من ذوى الحجى * فخمسة اخوان وآخر يمنع
ويحمد فى الاخوان من كان محسنا * بصوت يغنيه ولا يتمنع

(قوله نهانى الشيب) جعله الناهى عن اللذات لانه الداعى الى الفناء والنذير بالموت ومايقول بغير هذا الاستكلاف عذر كقول اعرابى ويروى لابراهيم بن المهدى

وأنشد
نهانى الشيب عما فيه أفراحى

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

(وقال المعدل) لاح شيبى فظلت أمرح فيه * مرح الطرف فى اللجام المحلى
وتولى الشباب فازددت ركضا * فى ميادين باطل اذ تولى
ان من ساءه الزمان بشيب * لاحق أمره بأن يتسلى
أتراني أسوء نفسى لما * ساءنى الدهر لا لعمرى كلا

(وقال البحترى يعتذر منه)

عيرتنى بالشيب وهى رمته * فى عذارى بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب * ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازى أصدق حسنا * ان تاملت من سواد الغراب

(أخذه ابن رشيق فقال)

وان لم تحيى ببياض شعر * فلا تستغربى بلق الغراب
تعافين المشيب وليس هذا * ولكن هذه شية الشباب

(وقال حبيب يشكاه)

أصبحت روضة الشباب هشيما * وغدت ريحه البليل سموما
شعلة فى المفارق استودعتنى * فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
غرة غـــــرة ألا انما كنــــت أغترا أيام كنت بهيما
رقة فى الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمى اللديغ سليما

(وقال مسلم بن الوليد)

الشيب كره وكره أن يفارقنى * أعجب بشئ على البغضاء مورود
يمضى المشيب فلا يأتى له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

أخذه سليمان بن وهب حين نظر الى المرآة فقال عيب لاعدمناه وقال أبو الفتح البستى

يا شيبتي دومي ولا تترحلي * وتيقني أني بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مدة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

وزاد أبو الطيب على هذا فقال وذكر أنه يتمنى الشيب في زمن الشباب

متى كان لي أن البياض خضاب * فيخفى بتبييض القرون شباب
ليالي عند البيض فودي فتنة * وفخر وذاك الفخر عندي عاب
فكيف اذم اليوم ما كنت أشتهي * وادعو بما أشكوه حين اجاب

كان أبا الطيب نسي ما قاله في الشيب في الزمن الذي زعم أنه كان يشتهيه و يتمناه

ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت أسود في عيني من الظلم

وقال ربعي

من كان يبكي الشباب من أسف * فلست أبكي عليه من اسف
كيف وشرخ الشباب أوقفني * يوم حسابي مواقف التلف
لا صحبت شرة الشباب ولا * عدمت ما في المشيب من خلف

وقال ابن رشيق

اراك الشيب ذا اكتئاب * فأين تمضي عن الصواب
ان كنت ترعى الوفاء حقا * فالشيب اوفى من الشباب

وحقيقة الامر أنه ما زال الناس يكرهون الشيب ويذمونه نثرا ونظما لما فيه من دليل الفناء والهجنة عند النساء وقطع اللذات بالرقبة والحياء ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من عذرة الجاهل واتيان العاجل وحسن الشمائل الا أن لطف الحذاق من الشعراء في تحسين ما كانوا يكرهون وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضة للنفوس وتوسعا في القول كما قال أحدهم

تفاريق شيب في العذار لوامع * وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقالوا في الشيب استحكام الوقار وتناهي الجلال وميسم التجربة وشاهد الحلية وهذه مقاصدهم فقف عليها (قوله افراحي) جمع فرح (الراح) الخمر والثاني جمع راحة وهي الكف (معتقة) خمر قديمة شديدة الحمرة (أنار) بيض (اصباحي) احمرار شعري والصبح حمرة الشعر وضعه موضع السواد لان كليهما من حلية الشباب وحمله على هذا ما ضمن الشيب من التحسين فيقول مستفهما هل يجوز شربي في البكور من خمر صافية في حال تغيير الكبر شبابي وتبديله حلية الشباب بحلية الشيوخ (خامرتني) خالطتني (افصاحي) تبييني (السلاف) الخمر و(أجلت) صرفت (قداحي) سهام الميسر (اقداح) جمع قدح وهو الكأس (صرفت) رددت (صرف) خمر (مشعشعة) رقيقة المزاج (همي) همتي وارادتي (رحت) مشيت بالعشي (مرتاحا) مهتزا من الطرب وارتاح وجد راحة الطلب أو خفة الكرم (نظمت) جمعت (مشمولة) خمر وهي الشمول سميت بذلك لاشتمالها على عقل صاحبها وقيل لانها تشمل القوم بريحها أي تعمهم وقيل لها عصفة كعصفة الريح الشمال (شملي) مجموع أمري و(الندمان) هو النديم (الصاحي) المفيق من سكره (محا) ازال (مراحي) طربي (خط) كتب (أبغض به) أي ما أبغضه الي (لاح) ظهر (يلحى) يلوم ويغلظ القول (جري العنان) أي انهماكي في الملاهي (ملهى) لهو (سحقا) بعدا (لائح) ظاهر في الرأس (لاحي) شاتم وعائب يريد أن شيبه لاح في رأسه فلحاه على اللهو والصبا (فودي) جانب رأسي (شائب) فيه الشيب (خبا) طفئ وسكن ضوؤه (غسان) قبيلة

فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة
وقد أنار مشيب الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت
روحي بجسمي وألفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد
ولا أجلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة
همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا انتظمت على مشمولة أبدا
شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على
رأسي فأبغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان الى
ملهى فسحقا له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شائب لخبا
بين المصابيح من غسان مصباحي

واحسن

قوم سجاياهم توقير ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير ياصاح ثم انه انساب انسياب الام واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج وبدر الادب الذى يحتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده * (تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجى النحوية) * أما صدر البيت الاخير من الاغنية الذى هو (فان وصلا ألذبه فوصل) فانه نظير قولهم المرء مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة أودعها سيبويه كتابه وجوز فى اعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خيرا الاول وترفع الثانى وتنصب شرا الاول وترفع الثانى ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول على أنه خبر كان وترفع الثانى على أنه خبر مبتدا محذوف وقد حذفت فى هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو ان على تقديرهما وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثانى أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا ٢٥ فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على أنه خبر كان وينتصب الثانى انتصاب المفعول به والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان فى عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على أنه اسم كان ويرتفع خير الثانى على ما بين فى شرح الوجه الاول وقد يجوز أن يرتفع خير الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير فى المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير أى ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه

الرابع وهو أضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه فى الوجه الثالث وتنصب الثانى على ما بين ذكره فى الوجه الثانى ويكون التقدير ان كان فى عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت الذى غنى به ومما ينتظم فى هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر (وأما الكلمة التى هى حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهى نعم ان أردت بها تصديق الاخبار والعدة عند السؤال فهى حرف وان عنيت بها الابل فهى اسم والنعم تذكر وتؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفى الابل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل (وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم) فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم وقال آخرون بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف

وأحسن ما سمعت فى شيب الفود وفى وخط المشيب الذى ذكر قول عبد الرحيم بن هرون

رأيت الشيب مبتسما بفودى * ففاضت أدمعى بدم الفؤاد
وعمرى كل يوم فى انتقاص * وذاك النقص لقب بالزيادى
ولى خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض * وتكتبه بياضا فى سواد

انشدها الفنجديهى وقال عند انشادها ولعبد الحميد أبيات كأنها روضات جنات (قوله سجاياهم) أى طباعهم (ياصاح) أراد ياصاحب فرخم لكثرة الاستعمال ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف والشيب ضيف وجب عليه توقيره ومراعاة مثل هذا العموم قد تقدم له فى ذم الرجاج الذى جرت عليه سبيله وأخذ هذا من قول دعبل

أحب الشيب لما قيل ضيف * لحبى للضيوف النازلينا

وقال المتنبى فى ذم هذا الضيف

ضيف ألم برأسى غير محتشم * والسيف احسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت اسود فى عينى من الظلم

وقال محمود الوراق

للضيف أن يقرى ويعرف حقه * والشيب ضيف فاقره بخضاب
وافى بأصدق شاهد ولربما * وافى المشيب بشاهد كذاب
فافسخ شهادته عليك بخضبة * تنفى الظنون بها عن المرتاب
فاذا دنا وقت الرحيل فخله * والشيب يذهب فيه كل ذهاب

(وقوله والشيب ضيف له التوقير) قام وكيع لسفيان فنكر قيامه اليه فقال اتنكر على قيامى

وانما لم يتصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف وبعدها حرف مشدد أو حرفان اوثلاثة اوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بأن لا نظير له فى الاسماء الآحاد وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف باللازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم (واما الهاء التى اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل) فهى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف باللازم (وأما السين التى تعزل العامل من غير أن تجامل) فهى التى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل الى أن تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف) فهو عند اذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن (واما المضاف الذى أخل من عرا الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة) فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها فى الكلام ثم نونتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (واما العامل الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها اى وكلتاهما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيان وان كانت يا أجول فى الكلام واكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادى ٢٦ بأى القريب فقط كالهمزة (واما العامل الذى نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء هى اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك أقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن وانما ابدلت الواو منها فى القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتقارب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالاقسام ولهذا ألغز بأنها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو أكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذى يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال) فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما فى ضد قالبه وبرز فى بزة صاحبه (وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب) فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما أو فى أحدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرار كل منهما فى رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذى لا يفهم الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين) فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التى هى بمعنى اكفف ومن ما والقول الثانى وهو الصحيح ان الاصل فيها ما ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الاولى هاء فصارتا مهما ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التى بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته

الك وأنت حدثتنى عن عمرو بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله عزوجل اجلال ذى الشيبة المسلم قال فأخذ سفيان بيده فأقعده الى جانبه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله عليه ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله تعالى له من يكرمه عند كبر سنه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الى ربى يقول الشيب على عبدى المؤمن نور من نورى وأنا أكرم من أن أحرق نورى بنارى وحدث محمد

ابن مسلم الخواص الرجل الصالح قال رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه فلما أفقت قالها ثانية وثالثة فلما أفقت قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال تعالى وما حدثت عني قلت حدثني عبد الرزاق قال حدثني معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك يا عظيم انك قلت ما شاب لي عبد في الاسلام شيبة الا استحييت منه أن أعذبه بالنار فقال الله عز وجل صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق أنس وصدق نبيي وصدق جبريل أنا قلت ذلك انطلقوا به الى الجنة

(شرح المقالة الخامسة والعشرين وتعرف بالكرجية)

(شتوت) أقمت في الشتاء (الكرج) مدينة معروفة وبشدة البرد موصوفة وهي بين أصبهان وهمذان وقد تقدم برد همذان في الاول ومن همذان الى نهاوند مرحلتان ومن الكرج الى مدينة أصبهان ستون فرسخا وهي منازل عيسى بن ادريس بن معقل العجلي ولم تكن في أيام العجم مدينة مشهورة وانما كانت في عداد القرى العظام من رساتيق كورة أصبهان فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة وقال أبو دلف دخلت على الرشيد فقال لي يا قاسم ما خبر أرضك قلت خراب يباب خربها الاكراد والاعراب فقال قائل هذا آفة الجبل وهو أفسده فقلت فأنا أصلحه قال الرشيد وكيف ذلك قلت أفسدته وأنت علي وأصلحه وأنت معي ففعل ذلك وعمر الكرج حتى صار دار أجناد ومحل وفود وقصاد* وقال علي بن جبلة زرته في الجبل فلما حللت بالكرج أطهر من بري واكرامي أمرا مفرطا حتى تأخرت عنه تأخرا كبيرا فوصل الي معقل بن عيسى فقال يقول الامير انقطعت عني وأحسبك استقللت بري فلا يغضبنك ذلك فساز يدفيه حتى ترضى فقلت والله ما قطعني عنه الا افراطه بالبر قال وكتب اليه في ذلك

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا * فافرطت في بري عجزت عن الشكر
فالآن لا آتيك الا مسلما * أزورك في الشهرين يوما أو الشهر
فان زدتني برا تزايدت جفوة * ولم تلقني طول الحياة الى الحشر

فلما وصلت اليه قال قاتله الله ما أشعره وأدق معانيه فأجابني لوقته وكان حسن البديهة

ألا رب ضيف طارق قد بسطته * وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجيني فما حال دونه * ودون القرى والعرف من نيله ستري
وجدت له فضلا علي بقصده * الي وبرا زاد فيه على بري
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودني مدحا يدوم مع الدهر

وبعث الي بها وبالف دينار مع وصيفة فقلت حينئذ

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره
ملك تندى أنامله * كانبلاج النوء عن مطره

أن يكف (وأما الوصف الذي اذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الربون وتعرض للهون) فهو ضيف اذا ألحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف

(المقامة الخامسة والعشرون الكرجية)

(حكى الحرث بن همام) قال شتوت بالكرج لدين

مستهل عن مواهبه * كابتسام الزهر عن زهره
جبل عزت مناكبه * امنت عدنان فى ثغره
كل من فى الارض من عرب * بين باديه ومحتضره
مستعير منه مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

والبيت الثانى أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سل لسانه من قفاه (قوله اقتضيه) أى أجتنيه (ارب) حاجة (بلوت) قاسيت (الكالح) الشديد وكلح كلوحا أبدى أسنانه عند العبوس والبرد الشديد يبدى الاسنان عند رعده (صرها) بردها الشديد (النافح) المحرك بالريح الباردة (جهد البلاء) مشقة الضر ويقال بلغ جهده أى أقصى قوته فأراد بجهد البلاء المشقة التى يتمنى الانسان عندها الموت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء اللهم انى أعوذ بك من سوء القضاء وجهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وروى فى جهد البلاء أنه القتل صبرا * أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال قتل الصبر جهد البلاء وقال صلى الله عليه وسلم جهد البلاء أن تحتاج الى ما فى أيدى الناس فيمنعوك * مجاهد قال كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بالكوفة فأتى برجل أن يضرب عنقه فقلت هذا والله جهد البلاء فقال والله ما هذا الا كشرطة حجام بمشراط ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع * الاحنف جهد البلاء خمسة خادم مذموم وحطب رطب وبيت يصف وخوان ينتظر وجبار على الباب يدق (عكف بى على الاصطلاء) ألزمنى التسخن بالنار وعكف على الشئ عكوفا لزمه (أزايل وجارى) أفارق بيتى والوجار جحر الضبع (اقامة جماعة) أى حضور الصلاة مع الجماعة وبردشكير بغرناطة كان أشد على ابن صارة حيث منعه الصلاة من برد الكرج على ابن همام حيث يقول ابن صارة

أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحميا وهو شئ محرم
فرارا الى نار الجحيم فانها * أرق علينا من شكير وأرحم
لئن كان ربى مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

(جوه مزمهر) هواؤه بارد والزمهرير البرد (دجنه مكفهر) سحابه متراكم مظلم (كنانى) بنى (مهم) أمر لا يؤخر (عنانى) عرض لى وقصدنى (الجردة) الجلدة التى تجرد عنها ثوبها وفلان حسن الجردة والمتجرد أى حسن العرى وقيل الجردة الثوب المتجرد البالى و (الربطة) عند العرب شئ رقيق شبه الملحفة ولذلك سمى به المرأة ولا معنى لهذه الصفة لانه قد وصفه بالعرى وانما أراد به هنا شبه الكراز فهو لفظ مغير عن أصله كالفوطة عند ناضرب مما يعتم به وهى مغيرة عن أصلها وانما أصل الفوطة ثوب يجلب من الهند غليظ وتصغيرها فويطة يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الاندلس الاحرام والمئزر (واستثفر) بالثوب اذا لواه على فخذيه ثم أخرجه من بينهما فشده فى حجزته واستثفر الكلب بذنبه جعله بين فخذيه فتخيل صورة السروجى هنا التى هى نهاية فى القبح على ما يتصف به أبدا وقلنسوة على رأسه قطعة من عمامة بالية واستثفر بمثلها فلا تجعله مثلا الا ما قال أبو دلامة فى نفسه

اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

أقتضيه وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفنى جهد البلاء وعكف بى على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجارى ولا مستوقد نارى الا لضرورة أدفع اليها أو اقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت فى يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى أن برزت من كنانى لمهم عنانى فاذا شيخ عارى الجلدة بادى الجردة وقد اعتم بربطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع

وأين هذا من قول ابن رشيق فى غلام معتم بعمامة حمراء

يامن يعـــــرولا تمـرّ به الا اوب من الحرق
بعمامـة من خـدّه * أوخـدّه منها سرق
فكأنه وكـأنها * قـمرأحاط به شـفق
شغل الجوارح والجوا * نح والخواطر والحدق

(وقال السلامى فى عمامة)

حسنا ضافية بيضاء ناقية * كان رونقها فى صارم ذكر
يزين أطرافها طرز كمارقت * على المجرة طرز الانجم الزهر

(كثيف) خشن منضم بعض حواشيه الى بعض من الكثرة (يحاشى) يستثنى (بنىء) يخبر (اوان القر) وقت البرد (حاذروا) خافوا (سلم) صلح (نبيه القدر) رفيع المنزلة (آوى) ارجع (وفر) مال كثير (يفرى) يقطع (تفيد) تأتى بالفوائد (صفرى) دنانيرى (تبيد) تتلف (سمرى) رماحى (كومى) ابلى والكوماء الناقة العظيمة السنام (اقرى) أطعم الاضياف أى تشتكى ابلى من كثرة ما أنحرها للضيفان (شن) فرّق (الرزايا) المصائب (الغبر) الآتية فى الزمان المحل (يسحتنى) يستأصل مالى (يبرى) يقطع لحى (عفت) درست (غاض) ذهب وجف (درى) لبن ابلى (بار) كسد وضاع (سعرى) سوقى (نضو) هزيل (فاقة) حاجة وفقر (عسر) ضيق حال (المطا) الظهر (قشرى) ثيابى و (الدفء) ذهاب البرد وقد دفئ يدفأ أى سخن وذهب برده (الصن والصنبر) يومان من أيام العجوز وهى سبعة أربعة من آخر فبراير وثلاثة من أوّل مارس وقال الشاعر يجمعها

كسع الشتاء بسبعة غبر * بالصنّ والصنبر والوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفىء الجمر

(التغمى) الجلوس للشمس (خضم) كريم شبه بالبحر وهو الخضمّ (ذو رداء غمر) ذو عطاء كثير (مطرف) ثوب مربع فى طرفه علم * الفراء قيل مطرف لانه أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان (طمر) ثوب خلق (أرباب الثراء) أصحاب المال (الرافلين) الماشين بخيلاء وتبختر (الفراء) جمع فروة (أوتى) أعطى (خيرا) مالا (يرفق) يعين وأرفقته أعطيته ما يرتفق به (غرور) كثير الخداع (عثور) واقع بأهله (المكنة) الغنى (طيف) ما يرى فى النوم * ابن الانبارى فى طيف الخيال قولان قيل أصله طيف مخفف وقال الاصمعى رحمه الله تعالى هو مصدر طاف وبه أخذ السهيلى رحمه الله تعالى فقال هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل لانه لا حقيقة للخيال انما هو توهم وتخيل فان كان شئ له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك لان الذى طاف عليها له حقيقة ويقال انه جبريل عليه الصلاة والسلام وأما قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقد قرئ طائف أيضا فطائف لان له حقيقة وطيف لانه غرور الشيطان وأمانيه تشبيها بالخيال وما لا حقيقة له فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فيعبر بالطيف ويقال فى وسوسة الشيطان طائف وطيف وما عدا هذين فهو باسم الفاعل ولا يعبر عنه بطيف فقف عليه (الفرصة) ما تهيأ لك وتيسر لك

كثيف الحواشى وهو ينشد ولا يحاشى
ياقوم لا ينبئكم عن فقرى أصدق من عربى أوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضرّى باطن حالى وخفىّ أمرى
وحاذروا انقلاب سلم الدهر فاننى كنت نبيه القدر
آوى الى وفر وحد يفرى تفيد صفرى وتبيد سمرى
وتشتكى كومى غداة أقرى فجرّد الدهر سيوف الغدر
وشنّ غارات الرزايا الغبر ولم يزل يسحتنى ويبرى
حتى عفت دارى وغاض درّى وبار سعرى فى الورى وشعرى
وصرت نضو فاقة وعسر عارى المطا مجرّدا من قشرى
كأننى المغزل فى التعرّى لا دفء لى فى الصنّ والصنبر
غير التغمى واصطلاء الجمر فهل خضم ذو رداء غمر
يسترنى بمطرف أو طمر طلاب وجه الله لا لشكرى
ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين فى الفراء من أوتى خيرا فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فان الدنيا غرور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة

من مطالبتك (مزنة صيف) أى سحابة لادوام لها وأراد قول عمران بن حطان

أرى أشقياء الناس لايسمونها * على انهم فيها عراب وجوع

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قريب تقشع

ولما ولى بلال بن أبى بردة البصرة كان اذا اجتاز فى مواليه بخالد بن صفوان يقول سحابة صيف عن قريب تقشع * فبلغ قوله بلالا فقال والله لاتقشع حتى يصيبك منها شؤبوب بردة ثم ضربه بمائة سوط (كافات) جمع كاف وأراد بها آلته ومايستعد له بها وهى الاهب التى أراد (موافاته) مجيئه وحضوره (ساعدى) ذراعى (بردتى) ثوبى (الحفنة) مايملأ الكف (الجفنة) الصحفة (فليتعظ) أى يعتبر ويجعلنى عبرة (صرف) تقلب (استعد) أعد (لمسراه) مثواه وقال الالبيرى فى هذا المعنى

وذى غنى أوهمته همته * أن الغنى عنه غير منفصل

جر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء فى حلل

برته أيدى الخطوب برية * فاعتاض بعد الجديد بالسمل

فلا تثق بالغنى فآفته الـ * فقر وصرف الزمان ذو دول

كفى بنيل الكفاف منه غنى * عنه فكن فيه غير محتفل

*ومن مقامات البديع حدثنا عيسى بن هشام قال أحلنى جامع حاوريا وقد انتظمت مع رفقة فى سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع الينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستتلى طفلا عريانا يضيق بالضر وسعه ويأخذه القر ويدعه لايملك غير القشرة بردة ولايكتنى بحماية رعدة فوقف الرجل وقال لاينظر لهذا الطفل الامن يرحم الله طفله ولايرق لهذا الضر الامن لايامن مثله يا أصحاب الجدود المفروزة والاردية المطروزة والدور المحدة والقصور المشيدة انكم لن تأمنوا حادثا ولن تعدموا وارثا فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن فقد والله طعمنا السكباج وركبنا الهملاج ولبسنا الديباج وافترشنا الحشايا بالعشايا فما راعنا الاهبوب الدهر بغدره وانقلاب المجن لظهره فعاد الهملاج قطوفا والديباج صوفا وهلم جرا الى ماتشاهدون من حلى ومن تشاهدون فى زى فها نحن نرتضع من الدهر ثدى عقيم ونركب من الفقر ظهر بهيم فلا نرنو الا بعين اليتيم ولانمد الايد الغريم فهل من كريم يجلو غياهب هذه البوس ويفل أسباد هذه النحوس ثم قعد مرتفعا وقال للطفل أنت وشأنك فقال ما أكاد أقول وهذا الكلام لولق الشعر حلقه أو الصخر لفلقه وان قلبا لم ينضجه لنئ وقد سمعتم يا قوم مالم تسمعوا قبل اليوم فليشغل كل منكم بالجود يده وليذكر غداه اقباوله وامنحونى أشكركم واذكرونى أذكركم وتمامها فى العشرين (قوله جلوت) أظهرت وكشفت (اجل) اكشف وبين عنه (تبا) خسرانا (نخر) بال (المنتقى) المختار (تجلى) تبدى وتظهر (الرميم) البالى (يبغى) يطلب وقوله تبا لمفتخر بعظم نخر كانت العرب تتفاخر بالاحساب وتتعاظم بكرم الآباء فنزل القرآن العظيم بترك ذلك فى قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وإن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أيها الناس انما الناس اخوة وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى أيها الناس ان ربكم واحد

مزنة صيف وانى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت الاهب له قبل موافاته وها أنا اليوم ياسادتى ساعدى وسادتى وجلدتى بردتى وحفنتى جفنتى فليتعظ العاقل بحالى وليبادر صرف الليالى فان السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى

وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم فلذلك قال انما الفخر بالتقى وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء
فان يكن لهم من قبل ذا نسب * يفاخرون به فالطين والماء

(وقال عامر بن الطفيل)

وانى وان كنت ابن سيد عامر * وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن ولادة * أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكب

فهذا مع امكانه الفخر بالآباء لم يفتخر الا بنفسه وأخذه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب فقال

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وهذا مثل قول الحسن رضى الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر فليم فى ذلك فقال أترانى خفت أن يقول انى لست ابن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولكنى خفت أن يقول لست كمثلهما فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا فى الكتاب محفوظا على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى (قوله والادب المنتقى) حدثنى يحيى بن أكثم قال بينما أنا جالس مع المأمون اذ دخل الدار فتى أبدع الناس زيا وهيبة ووقارا وهو لا يلتفت اعجابا بنفسه فنظر اليه المأمون فقال يا يحيى ان هذا الفتى لا يخلو أن يكون هاشميا أو نحويا ثم بعثنا من يتعرف ذلك منه فعاد الرسول فأخبر انه نحوى فقال المأمون يا يحيى أعلمت ان علم النحو قد بلغ باهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بنى هاشم فى شرفهم يا يحيى من قعد به نسبه قام به أدبه قال وأنشد الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك مأثوره عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى
مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى ولا أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد أعجبه ابن من أنت يا غلام فقال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت أخذه ابن دريد فقال

كن ابن من شئت وكن مؤدبا * فانما المرء بفضل حسه
وليس من تكرمه لغيره * مثل الذى تكرمه لنفسه

وقالت عائشة رضى الله عنها كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به يعنى ان افعال الانسان اذا كرمت لم يضره لؤم آبائه واذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه وقال المعرى

لو يعلم الانسان مقداره * لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه * لكان كالمعدوم فى وجده

والادب المنتقى ثم انشد
لعمرك ما الانسان الا ابن يومه

ومجده أفعاله لا الذى * من قبله كان ولا بعده

(قوله ماتجلى يومه) أى على ماظهر وانكشف يومه من أفعاله المحمودة أو المذمومه (محقوقفا) منحنيا (اجرنثم) انقبض (مقنقفا) مرتعدا و يقال قف شعره اذا ارتفع من ذعر أصابه وقف جلدى من هذا الحديث اذا اقشعر من استشناع ماسمع فاذا ضعف الفعل فردعلى فعفل زاد معناه مبالغة (غمر بنواله) أى غطى بعطاياه (وأمر بسؤاله) يريد قوله تعالى واسئلوا الله من فضله (آله) أهله (أهواله) شدائده ومخاوفه (أتح) قدر (يؤثر) يفضل غيره على نفسه (خصاصة) جوع وهذا منتزع من القرآن و (العصامية) منسوبة الى عصام بن شهبر بن الحرث الجرمى حاجب النعمان بن المنذر الذى يقول له النابغة

فانى لا ألام على دخول * ولكن ماوراءك ياعصام

ولم يكن عصام شريفا ولا نشأ فى قومه ولكن كان من أشد الناس بأسا وأفصحهم لسانا وأحزمهم رأيا وأقربهم الى النعمان وقال له رجل يوما كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنىء الاصل فقال

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته سيدا هماما

و يقال كن عصاميا ولا تكن عظاميا أى افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا و بقيت عظامهم فكل من ليس له شرف قديم وشرف بنفسه يقال له عصامى وكانت لرجل عند الحجاج حاجة فوصف بالجهل والحمق فأراد أن يختبره فقال أعصامى أنت أم عظامى فقال له الرجل عصامى عظامى فظن انه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم فقال الحجاج هذا من أفضل الناس وقضى حاجته ثم جربه بعد ذلك فوجده أجهل الناس فقال له أصدقنى والا قتلتك كيف أجبتنى بعصامى وعظامى فقال له الرجل لم أعلم معناهما فخشيت أن أقول أحدهما فأخطئ فقلت فى نفسى أقولهما معا فان ضرنى أحدهما نفعنى الآخر فقال الحجاج المعاذير تصير الغبى خطيبا فذهبت مثلا وسمع المأمون رجلا يفخر بنفسه وهو ناقص فقال أنت عظامى لا عصامى ولهذا أشار بما تقدم من قوله يا المفتخر بعظم نخر يريد ان عصاما ساد بنفسه لا بآبائه وكذلك السروجى لم يفخر الا بنفسه (الاصمعية) التى حكاها الاصمعى وقدمر من ملح الاصمعى فى هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى والاصمعى عصامى لانه من باهلة وهى أهجن قبيلة فى العرب وألأمها وذكر المبرد فى كامله جملة أخبار فى أمثالها قال فيها الشاعر

ولو قيل للكلب يا باهلى * عوى الكلب من لؤم ذاك النسب

وهو مع ذلك خامل المنشا وقد ذكرنا فى الاربعين خمول أبيه الا انه ساد الناس بنفسه أدبا وعلما ودينا ومن ملحه انه قال بينما انا فى طرق البصرة اذا انا بكناس يكنس كنيفا واذا هو يقول

فايأك والسكنى بارض مذلة * تعد مسيأ فيه ان كنت محسنا

فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن * عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

قال فوقفت عليه فقلت والله مابقى عليك من الهون شئ الا وقد اهنتها به فما الذى تلت من كرامتها قال والله لكنس الف كنيف احسن من القيام على باب مثلك ساعة * الاصمعى كان اعرابيان متواخيان بالبادية ثم ان احدهما استوطن الريف واختلف الى باب الحجاج فولاه اصبهان فسمع اخوه خبره فضرب اليه فأقام ببابه حينا لا يصل اليه ثم اذن له بالدخول فأخذه الحاجب

على ماتجلى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم
وانما الفخار الذى يبغى الفخار
بنفسه ثم انه جلس محقوقفا
واجرنثم مقفقفا وقال
اللهم يامن غمر بنواله وامر
بسؤاله صل على محمد وآله
واعنى على البرد وأهواله
واتح لى حرّا يؤثر من خصاصة
ويواسى ولو بقصاصة
(قال الراوى) فلما جلى
عن النفس العصامية
والملح الاصمعية جعلت

فمشى به وهو يقول

فلست مسلما مادمت حيا * على زيد بتسليم الامير

فقال زيد لا أبالى فقال الاعرابى

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال نعم فقال الاعرابى

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

(تجمه) تختبره (مرامى لحظى) نظرات عينى وسهام نظرى واحد المرامى مرماة وهى السهم (ترجمه) ترميه وتقع عليه (أحبولة) شبكة (يهتكه) يكشفه (السمر) ظل القمر ثم سمى حديث الليل سمرا به (الزهر) النجوم (خيمه) طبعه (أشرب) سقى (المروأة) الفعل الجميل (أديمه) وجهه ويقال أشرب فلان حب فلان اذا خالط حبه قلبه (ماعناه) ماأراده يريد انه لما قال لن يسترنى انما اراد لن يستر على هذه الحيلة التى أريد بها خداع الناس بعدما عرفها الامن هو كما وصف وقال النبى صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها (ساءنى) شق على (يعانيه) يقاسيه (اقشعرار) انقباض وارتعاد (عمدت) قصدت (رياشى) لباسى (نضوتها) جردتها (افرها) اتخذها (جنة) سترا ووقاية (واقيا) صائنا (مهجتى) نفسى (وقى) كفى (الجنة) الجن (سندس) ثياب خضر (افتنانه) تنوعه (البراعه) الجودة والفصاحة (المغشاة) المغطاة بغيرها من الثياب (الموشاة) المزينة بالرقم (آده) أثقله (يقله) يرفعه (مستسقيا) داعيا بأن يسقيه الله تعالى (التقية) الخشية (قوله بدت السماء نقية) مثل ضرب لخلو الموضع من الناس وظهوره فيه وحده (ويك) أى عجبا لك (العذل) اللوم (تقف) تتبع يقال قفوت أثره أقفوه قفوا اذا تبعته ومنه قفا فلان فلانا اذا اتبعه بكلام قبيح ويقال قفاه بالتخفيف * أبو عبيدة رحمه الله تعالى أصل القفو والتقافى البهتان يرمى به الرجل صاحبه واحتج بحديث حبان بن عطية من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج قال الفراء رحمه الله تعالى القفو مأخوذ من القيافة وهو تتبع الامر يقال قاف القائف يقوف قيافة فهو قائف بتقديم الفاء على الواو كما قالوا فى جذب جبذ وقرئ ولا تقف مثل تقل (نور) بيض (طيبة) مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وطيب الله تربتها بأن صيرها موطنا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى حياته ومستقرا له بعد مماته وذكر شيخنا ابن جبير المدينة فقال للمدينة المكرمة أربعة أبواب وهى تحت سورين فى كل سور باب يقابله آخر باب الحديد وباب الشريعة وباب القبلة وباب البقيع وبين سورها الغربى وخندق النبى صلى الله عليه وسلم مقدار غلوة وبين السور والخندق عين النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلق عظيم مستدير ومنبع العين وسطه كأنه الحوض المستطيل وتحت العين سقايتان بينهما جدار لطهر الناس وغسل أثوابهم والعين للاستقاء والعين عند السقايتين وتهبط اليها على خمس وعشرين درجة وماؤها يعم أهل الارض فضلا عن أهل المدينة وبقربة من الحوض مما يلى الحوض حجر الزيت يقال ان الزيت رشح للنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الحجر بحرمة الخوف وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد قتل نبيكم وعلى شفير

ملاحظ عينى تجمه ومرامى لحظى ترجمه حتى استبنت انه ابوزيد وان تعزيه احبولة صيد ولمح هوان عرفانى قد ادركه ولم يأمن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يسترنى الامن طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه فعقلت ماعناه وان لم يدر القوم معناه وساءنى مايعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هى بالنهار رياشى وفى الليل فراشى فنضوتها عنى وقلت له اقبلها منى فما كذب أن افتراها وعينى تراها ثم أنشد

لله من ألبسنى فروة
أضحت من الرعدة لى جنه
ألبسنيها واقيا مهجتى
وقى شر الانس والجنه
سيكتسى اليوم ثنائى وفى
غد سيكسى سندس الجنة

قال فلما افتن قلوب الجماعة بافتنانه فى البراعة ألقوا عليه من الفراء المغشاه والجباب الموشاه ما آده نقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستسقيا للكرج وتبعته الى حيث ارتفعت التقيه وبدت السماء نقيه فقلت له لشد ماقرسك البرد فلا تعرمن بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ماليس لك به علم فوالذى نور الشيبة وطيب تربة طيبة لولم أتعر لحت بالخيبه

ذكر طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

الخدق حصن الغراب وهو خرب كان عمر رضى الله عنه بناه لغراب المدينة وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التى اشتراها عثمان رضى الله عنه بعشرين ألفا وداخل باب الحديد سقاية يهبط اليها على أدراج وهى بمقربة من الحرم المكرم و بقبلى الحرم دار مالك بن أنس رضى الله عنه و يطيف بالحرم شارع مبلط بالحجر المنحوت وفى جوفى المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها و بقبليه مسجد حمزة وقبره برحبة بجوفى المسجد وبازائه قبور الشهداء وحوله تربة حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة وشرقى المدينة بقيع الغرقد واذا خرجت على باب البقيع تلقى على يسارك قبر صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس وأمامه قبر السلالة الطاهرة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر الذى جلده أبوه الحد فمات و بازائه قبر عقيل بن أبى طالب وعبد الله ابن جعفر و بازائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم و يليها روضة العباس والحسن رضى الله عنهما وعليها قبة مرتفعة فى الهواء وقبراهما مرتفعان على الارض مغشيان بألواح ملتصقة أبدع التصاق مرصعة بالصفائح الصفر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم عليه السلام ابن النبى صلى الله عليه وسلم وفى آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد وعليه قبة مختصرة البناء و بمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم على كرم الله وجهه ومشاهد البقيع أكثر من أن تحصى لانها مدفن الصحابة رضى الله عنهم وقبلى المدينة على نحو الميلين قباء وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة و بها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب وهو سبع بلاطات فى الطول ومثلها فى العرض وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة للنبى صلى الله عليه وسلم عليه حلق قصير شبه الروضة يتبرك الناس بالصلاة فيه وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مسطبة وهو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى قبلته دار بنى النجار وهى دار أبى أيوب الانصارى و يليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها و بازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم و بازائها بئر أريس حيث تفل فيه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد عذبا بعد أن كان أجاجا وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه وحديثه مشهور وفى آخره تل مشرف يعرف بعرفات لانه كان موقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومنه زويت له الارض فأبصر الناس بعرفات ويدخل من التل على دار الصفة و بها كان عمار وسلمان وأصحابهما والطريق من قبلى قباء الى المدينة بين حدائق النخل المتصلة والنخيل تحدق بالمدينة من جهاتها وأعظمها جهة القبلة والشرق وأقلها جهة الغرب وآثار المدينة وقباء لا تحصى فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عباده أقسم الحريرى بمن طيبها (صفر العيبة) خلو الوعاء (نزع) مال وحن وتبرقع وستر وجهه (الاكفهرار) العبوس (شنشنتى) طبيعتى (الانعطاف) الرجوع (عفتنى) حبستنى (عققتنى) قطعتنى (أفتنى) حرمتنى (أفدتنى) أكسبتنى فائدة (اعفنى) أرحنى وعافنى (لغولك) باطلك (التلعابة) كثرة اللعب ورجل تلعابة حسن اللعب مزاح وفى الحماسة

هو الظفر الميمون ان عاد واغتدى ... به الركب والتلعابة المتحبب

وصفر العيبة ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شنشنتى الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد وأراك قد عفتنى وعققتنى وأفتنى أضعاف ما أفدتنى فأعفنى عفاك الله من لغولك واسدد دونى باب جدك ولهوك فجبذته جبذ التلعابة

(جعجعت) صحت ودعوت به والجعجعة رغاء الابل (الدعابة) المزاح (أوارك) أسترك (عوارك) عيبك (صله) عطية (سترى لك) أى ثوبى وأراد (بعلمك) سكوتى عنك حين قلت لن يسترنى الا من طاب خيمه (ازمهر) توقدت عيناه غضبا (المغضب) المستعمل الغضب (الدابر) الماضى و(الغابر) الذاهب وقوله (سبحان من طبع) معناه تنزيها للبارئ مما من الولد والصاحب والشريك اى نزهناه من ذلك وانتصابه على المصدر كأنك قلت سبحت الله تسبيحا فجعلت سبحان فى موضع التسبيح ومعنى طبع على قلبك أى غشاه بالصدأ والدنس والوسخ قال الله تعالى فطبع على قلوبهم وقال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون وفى الحديث نعوذ بالله من طمع يدنى الى طبع وقال الشاعر

لا تطمعن طمعا يدنى الى طبع * ان المطامع فقر والغنا يأس

وأنشد يعقوب

لا خير فى طمع يدنى الى طبع * وغفة من قوام العيش تكفينى

و(الذهن) قوة ادراك العقل (أوهى) أضعف (خزنك) نقيضك وحرزك (الدسكرة) هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشر فرسخا و(ابن سكرة) من شعراء اليتيمة قال صاحبها ابن سكرة الهاشمى هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد شاعر متسع الباع فى أنواع الابداع فائق فى قول الطرف والملح صاحب الفحول والافراد وجاء فى ميدان المجون والسخف بما أراد وكان يقال ببغداد ان زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخى جدا وما أشبههما الا بجرير والفرزدق فى عصرهما ويقال ان ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت ومن شعره فى غلام فى يده غصن نوار

غصن بان بدا وفى اليد منه * غصن فيه لؤلؤ منظوم

فتحيرت بين غصنين فى ذا * قمر طالع وفى ذا نجوم

وله فى غلام يعرف بابن برغوث

بليت ولا أقول بمن لأنى * اذا ما قلت من هو تعشقوه

حبيب قد نفى عنى رقادى * فان غمضت أيقظنى أبوه

وله فى غلام أعرج

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم * العيب يحدث فى غصون البان

ماذا على اذا استجدت تمايلا * ورودافا تغنى عن الكثبان

انى أحب جلوسه وأريده * للنوم لا للجرى فى الميدان

فى كل غصن منه حسن كامل * ماضره ان زلت القدمان

وله فى غلام سميه

اذا باسمى دعيت حننت شوقا * وذكرنى به الداعى حبيبى

فليت كما اتفقنا فى الاسامى * وألفتها اتفقنا فى القلوب

وله أيضا

بنفسى عذار بدا طالعا * على ناضر الورد ما أملحا

كتمت هواه زمان الصبا * وبوحت بالحب لما التحى

وجعجعت به للدعابة وقلت له والله لولم أوارك وأغطى على عوارك لما وصلت الى صله ولا انقلبت اكسى من بصله فجازنى عن احسانى اليك وسترى لك وعلمك بان تسمح لى برد الفروة أو تعرفنى كافات الشتوة فنظر الى نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب ثم قال أما رد الفروة فأبعد من رد أمس الدابر والميت الغابر وأما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك وأوهى وعاء خزنك حتى أنسيت ما أنشدتك بالدسكرة لابن سكرة

وقالوا محا الشعر لما بدا * محاسنه منه فاستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه * ولكن صبرى عنه محا

وله فى مثله
وغزال لولا نعمة شعر * ذكرته لقلت بعض الجوارى
شارب أشرب الصبابة قلبى * وعذار خلعت فيه عذارى

وله فى مثله أيضا
من عذيرى من شادن لا يرانى * وهو روحى أهلا لرد السلام
أنا من خده وعينيه والثغـ * ـر ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس ولآل * أقحوان وبابلى مدام

وله فى مثله أيضا
فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخد ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وله فى مثله أيضا
لقد أمسكت من عمرو بن يحيى * بحبل ما أخاف له انبتاتا
حبانى فى الحياة ورم حالى * وأوصى بى أبا حسن وماتا
فكنت مجاور اللبحر منه * فلما مات جاورت الفراتا

جاء الشتاء وعندى من حوائجه
سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

وله فى وزير المهلبى
لا عذب الله ميتا كان ينعشنى * فقد لقيت بضرى مثل ما لاقى
طواه موت طوى عنى مكارمه * فذقت من بعده بالنقر ما ذاقا

وقال فيه أيضا
مضى ملك عم البرية جوده * رؤف وان راع الاسود شفيق
سكرت بنعماه وجود وزيره * فقالت لى الايام سوف تذوق

وقال رحمه الله أيضا
لقد كان الشباب فكان غضا * له غرر وأوراق تظلك
وكان البعض منك فمات فاعلم * متى ما مات بعضك مات كلك

وما بعد ما بين حاله وقت قوله جاء الشتاء البيتين وبين حاله وقت موت المهلبى وقد أدركته فاقة فسئل عما أعد للشتوة فقال

قيل ما أعددت للبر * د فقد جاء بشدة
قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

(قوله اذا القطر عن حاجاتنا حبسا) فى معنى ذلك أن الحسن بن وهب تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له فاستبطأه فكتب الحسن اليه

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ما ترى بى من هذه الانواء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالثكـ * ـل وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه منى * لك غضا يا سيد الوزراء

كان لابن عبد ربه فتى يهواه فاعلمه انى راحل غدا فلما أصبح عاقه عن السفر تكاثر المطر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثا لى فيك الريح والمطر

يا برده من حبا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وعد ابن رشيق محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلى وارتقبه فاذا بالسماء قد أرعدت وأبرقت فكتب اليه

تجهم العيد وانهلت مدامعه * وكنت أعهد منه البشر والضحكا
كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وكتب السلامى الى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم

قطعتكم برغم المجد شهرا * أشد على من شهر الحرام
وكيف أزوركم والمزن تبكى * على دارى بأربعة سجام
وكانت منزلا طلق المحيا * فصارت واديا صعب المرام
تهافت ركع الجدران فيها * سجود السرعود بلا امام
أنادى كلما ارتفعت سحاب * فأبكت البوارق بابتسام
حوالينا كذاك ولا علينا * كفانا الله شرك من غمام

(كنّ) أى بيت (كيس) وعاء الدراهم (كانون) حيث تجعل النار فيه (طلا) خمر (كباب) لحم يشرح و يشوى وكبيته فعلت ذلك به وقيل الكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين وأراد بها ههنا شواء اللحم و(الكس) اسم فرج المرأة وليس بعربى قال الفنجديهى رحمه الله تعالى سمعت بعض الفضلاء يقول كتب ابن سكرة فى يوم مطر الى صديق له

يوم مطير وعندى من خواطره * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
حروف كافاتها فيها مقومة * اذا تلاها الفتى ذو اللب أو درسا
كنّ وكيس وكانون وكأس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا
فلو مطرت البحار الدهر لم ترنى * اقول أحسن هذا اليوم بى وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كافا ثامنة فقال

وكم ليلة فى شهر كانون بتها * أعانق من حبى بها الدعص والغصنا
سمعت من الكافات فيها ثمانيا * فاشتت من مرأى أنيق حوى الحسنا
كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا * كساء وكوبا والكوانين والكنّا

كما نقصه الامير تميم بن المعز السابعة فقال

اذا هب سلطان المريسى ضاحكا * ... را وحل الغرب كل نقاب
وردّ على الارض الغمام ثيابه * فقم والقه فى عدة وحراب
بكنّ وكانون وكأس مدامة * وكيس وكس وفرو وكباب

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان قال ولما جمعنا فى أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت فى ضدها من الحربيتين جمعت فيهما من الراآت ثمانية وهى

عندى فديتك راآت ثمانية * ألقى بها الحر وافى وان بردا
رق وروح وريحان وريق رشا * ورفرف ورياض ناعم وردا

كنّ وكيس وكانون وكأس طلا
بعد الكباب وكس ناعم وكسا
ثم قال الجواب يشفى خير

من جلباب يدفى فا كتف بما وعيت وانكفى ففارقته وقد ذهبت فروتى لشقوتى وحصلت على الرعدة طول شتوتى

(المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء) ٣٨ (حدث الحرث بن همام) قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة الاعواز فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجى أياما مسودة الى ان رأيت تمادى المقام من عوادى الانتقام فرمقتها بعين القالى وفارقتها مفارقة الطالل البالى فظعنت عن وشلها كميش الازار راكضا الى المياه الغزار حتى اذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين تراءت لى خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيهما لعلى أنقع صدى أوأجد على النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته فضحك الى وأحسن الرد على وقال ألا تجلس الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن أنيابه عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ وحفت بى فرحتان ساعتئذ ولم ادر بأيهما أنا أضفى فرحا وأوفى مرحا أباسفاره من دجنة أسفاره أم بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسى الى أن أفض ختم سره وأبطن داعية يسره فقلت له من أين ايابك والى اين انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال أما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس وأما الجدة التى أصبتها فمن رسالة اقتضبتها

(جلباب) ثوب يلبس على الثياب (اكتف) اقنع (وعيت) حفظت (انكفى) ارجع الى موضعك (طول) مدة والله تعالى اعلم

(شرح المقامة السادسة والعشرين وتعرف بالرقطاء)

(حللت) نزلت (الاهواز) مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس قال الرشاطى الاهواز متصلة بالجبل واصبهان وقيل ان الاهواز بلد من سكن فيه ضعف عقله ولزمته الحمى (حلة الاعواز) ثوب الفقر والحلة ازار ورداء ولا يقال لثوب واحد حلة (لبثت) أقمت (أكابد) أقاسى (أزجى) أسوق (مسودة) شداد مشؤمة (تمادى) دوام وطول (المقام) الاقامة (عوادى) جمع عادية من العدوان وهو الظلم و (الانتقام) العذاب والنكاية (رمقتها) نظرتها (القالى) البغيض (الطلل) ماشخص من آثار الدار (ظعنت) ارتحلت (وشلها) ماؤها القليل (كميش) مشمر وانكمش فى طلب حاجته اسرع فيها و (الازار) والمئزر ما يلبس عوضا من السراويل ولا تعرف العرب السراويل ووجدها اعرابى فظنها قميصا فأدخل يديه من على ساقيها والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد فرمى بها وقال هذا قميص الشيطان (قوله راكضا) أى جاريا وهمزة ماء مبدلة من هاء مياه (الغزار) الكثيرة (سرى ليلتين) أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين (تراءت) ظهرت (مشبوبة) موقودة (أنقع صدى) أروى عطشا (أجد على النار هدى) أى أجد عليها من يرشدنى الى الطريق (روقة) حسان وغلام روقة اذا أعجبك وغلمان روقة الواحد والجمع سواء وقيل روقة لفظ مفرد والجمع روق والهاء للمبالغة (شارة) هيئة حسنة يشار اليها (مرموقة) محبوبة (بزة سنية) ثياب حسان والبزة والبز أفضل الثياب (جنية) طرية كما اجتنيت (حييته) سلمت عليه (تحاميته) تباعدت عنه (تروق) تعجب (تشوق) تشوق وتدعو الى الطرب (مفاكهته) ممازحته وفاكهته حدثته بما يعجب (التهام) ابتلاع (سفر) كشف وبين أنه من أهل الادب (كشر عن أنيابه) كشف عن أسنانه عند الضحك (ملحه) مليح كلامه (قلحه) صفرة أسنانه (تعارفنا) عرفته من أنا وعرفنى من هو (حفت) أحاطت و (المرح) شدة الفرح وأوفى مرحا أى أكمل طربا ونشاطا (اسفاره) طلوعه واضاءته (دجنة) سواد وظلام (أسفاره) جمع سفر (رحاله) أوقاره يصف كثرة ماله وأنه اذا نزل منزلا أخصب بكثرة اجماله (امحاله) جدبه (تاقت) اشتاقت (أفض) أكسر (ختم) ربما وشد (أبطن) أعرف باطنه (يسره) غناه (ايابك) رجوعك (انسيابك) ذهابك (عيابك) أوعية متاعك (طوس) مدينة منها الى نيسابور مرحلتان قال اليعقوبى مدينة طوس العظمى يقال لها نوقان وبها قبر الرشيد وبها توفى الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وهى من ثغور الجبال المتصلة بخراسان وتجاورها أيضا مدينة أصبهان وهى عظيمة وأما (السوس) فمدينة بارض فارس تعمل بها الثياب السوسية من الخز قال الرشاطى السوس من كور الاهواز والسوس فى بلاد الغرب وذكر الجاحظ أن من طنجة اليها عشرين يوما وسوسة من بلاد افريقية على البحر يصنع بها ثياب رفاع والسوس اسم مشترك والذى قصد الحريرى منهما الاولى (الجدة) الغنى (اقتضبتها)

ارتحلتها (يفرشنى دخلته) يبسط لى باطن أمره وافرشتك حديثى بسطته لك وبينته (يسرد) يقرأ (مرامك) مطلبك وتقدمت (حرب البسوس) فى التاسعة عشر (عكفت) أقمت (يعلنى) يسقينى مرة بعد مرة و (التعليل) أن يطمعك فى قضاء حاجتك فاذا تقاضيته أظهر لك عللا وعوائق ثم يغنيك فى ماجئته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء حوائجك (يجرّنى) يعلقها بى ويجعلنى أجترها (أعنة) جمع عنان (التأميل) مصدر أمل اذا رجاه وحقق له أمله (حرج صدره) اذا ضاق (عيل) غلب وعالنى الامر يعولنى عولا غلبنى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان خفتم عيلة عائلة أى خصلة تعولكم وتغلبكم (تعلة) ما تبديه من العلل فى اعتذارك لمن يتقاضاك (وفى غد أزجر غراب البين) أى التفاؤل به لفراقك وانما ينسبون الفراق للغراب لانهم اذا ارتحلوا عن موضع اجتمعت الغربان فيه يلتقطن ما تركوا من بقايا طعامهم وزبل دوابهم واذا أخذوا فى هدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبة فيما يلتقط فيقولون عند ذلك نعق غراب البين فصار وا يتشاءمون به وزجر الطير يذكر فى الثامنة والثلاثين قال المعرّى فى صدق التفاؤل بالغراب

نبىّ من الغربان ليس على شرع * يخبرنا أنّ الشعوب على صدع

أصدّقه فى مرية وقد امترت * صحابة موسى بعد آياته التسع

كأن بفيه كاهنا أو منجما * يخبرنا عما لقينا من الفجع

وما كان أفعى أهل نجران مثله * ولا كان للانس الفضيلة فى السمع

أتى وهو طيار الجناح وان مشى * أشاح بما أعياسطيحا من السجع

(قوله أخلفك) أكذب وعدك (أرجأت) أخرت (لا ألبثك) لا أبطئك وأجعلك تقيم معى (استربت) تشككت وداخلتك الريبة (أغرائك) حرضك وألصقك (أصخ) اسمع (قصص) خبر وحديث (سيرتى) عادتى (أضفها) ضمها و (أخبار الفرج بعد الشدّة) ان ينزل بالانسان شدة فيشرف منها على الهلاك ثم ينزل الله تعالى تفريجها فالحديث بها يسمى خبر الفرج بعد الشدّة ومنها ما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشأم الى المدينة ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى فبينا هو جاء من الشأم عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف التاجر وقال له شأنك بمالى فقال له اللص المال مالى وانما أريد نفسك فقال له أنظرنى حتى أصلى قال افعل ما بدا لك فصلى أربع ركعات ورفع رأسه الى السماء يقول ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد يافعالا لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وأسألك برحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يامغيث أغثنى ثلاث مرات واذا بفارس بيده حربة فلما نظره اللص ترك التاجر ودنى نحوه فلما دنا منه طعنه فأرداه عن فرسه ثم قتله وقال للتاجر اعلم أنى ملك من السماء الثالثة لما دعوت الاولى سمعنا الابواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام ينادى من لهذا المكروب فدعوت الله أن يولينى قتله واعلم ياعبد الله أن من دعا بدعائك فى كل شدة أغاثه الله وفرّج عنه ثم جاء التاجر الى النبى صلى الله عليه

فسألته أن يفرشنى دخلته ويسرد على رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس أو تصحبنى الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت عليه بها شهرا وهو يعلنى كاسات التعليل ويجرنى أعنة التأميل حتى اذا حرج صدرى وعيل صبرى قلت له انه لم يبق لك علة ولا لى فى المقام تعلة وفى غد أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفى حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفك وما أرجأت أن أحدثك الا لالبثك وانا كنت قد استربت بعدتى وأغراك ظن السوء بمباعدتى فأصخ لقصص سيرتى الممتدة وأضفها الى أخبار الفرج بعد الشدة فقلت له هات

وسلم فاخبره الخبر فقال لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التى اذا دعى بها أجاب واذا سئل بها أعطى
وقال عمرو السرأبا كنت أعبر فى بلاد الروم وحدى فبينا أنا نائم اذ وردعلى علج فحركنى ثم قال
يا أعرابى اختر اما مسايفة واما مطاعنة أو مصارعة فقلت المسايفة والمطاعنة لا معنى لهما
ولكن المصارعة فلم ينهنهنى ان صرعنى وقعد على صدرى وقال أى قتلة تريد أن أقتلك فذكرت
الدعاء ورفعت رأسى الى السماء وقلت أشهد أن كل معبود ما دون عرشك الى منتهى الارضين
باطل عز وجهك الكريم فقد ترى ما نزل بى وأغمى على فأفقت والرومى قتيل الى جانبى فقمت
وكنت أعلم الناس هذا الدعاء ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق فأطلق أهل
سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبى مسلم كاتبه فظفر به يزيد لما ولى افريقية فجعل محمد يقول
اللهم احفظ لى اطلاق الاسرى واعطاء الفقراء فلما دنا يزيد منه وفى يده عنقود قال يا محمد مازلت
أسأل الله أن يظفرنى بك فقال له محمد ومازلت أستجير الله منك قال فوالله ما أجارك ولا أعاذك
منى ووالله لاقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ووالله لو رأيت ملك الموت يريد قبض روحك
لسبقته اليها وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه وتقدم فصلى بهم وكان أهل افريقية
اجتمعوا على قتل يزيد فلما ركع ضربه رجل بعمود حديد فقتله وقال لمحمد اذهب حيث شئت
* وقال حماد الراوية كنت منقطعا الى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفونى فى أيامه
لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته فكنت فى بيتى سنة لا أخرج الا لمن آمن
اليه من اخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرنى فى السنة أمنت فخرجت وصليت الجمعة فى
الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد أجب الامير يوسف بن عمر فقلت فى نفسى من
هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطيين هل لكما ان تدعانى حتى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا يرجع
اليهم أبدا ثم أسير معكما اليه فقال ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت فى أيديهما وسرت الى يوسف بن
عمر وهو فى الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى الى كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث الى حماد
الراوية من يأتيك به من غير تروع ولا تتعتع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه
اثنتى عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير وجعلت رجلى فى غرز جمل أعدلى ووافيت دمشق
لاثنتى عشرة ليلة واستأذنت على هشام فأذن لى فدخلت عليه فى دار مفروشة بالرخام وبين
كل رخامتين قضيب من ذهب وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ
بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان
لم أر مثلهما قط فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال كيف أنت يا حماد
وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدرى فيم بعثت اليك قلت لا قال فى بيت خطر ببالى
لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها ابريق

فقلت هو لعدى بن زيد فى قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق

لست أدرى اذا أكثر العذل فيها أعدو يلومنى أم صديق

حتى انتهيت الى قوله * ودعوا بالصبوح يوما ، البيت

قدمته على سلاف كعين الديك صفى سلافها الراووق

مسزة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

فطفا فوقها فقاقيع كاليا * قوت حمر يزينها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا ضرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال لى أحسنت والله يا جاد ثم قال لاحدى الجاريتين اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ثم قال أعده فأعدته عليه فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للاخرى اسقيه فسقتنى شربة فذهب ثلث آخر من عقلى ثم قال سل حاجتك فقلت احدى الجاريتين فقال هما جميعا لك ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت منها فلم أفق الا والجاريتان عند رأسى وعشرة من الخدم مع كل واحد بدرة فقيل لى يقول لك أمير المؤمنين انتفع بهذا فى سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلى وذكر أبو محمد هذه الحكاية فى الدرة وقال هذه حكاية تشرما ثر الاجواد وترغب المتأدب فى الازدياد وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدة فلنقتصر عليها (قوله ما أطول طيلك) أى ما أكثر حيلتك يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرف والطيل الحيل (أهول) أخوف وأغرب (وقير) اتباع لفقير وفائدة الاتباع المبالغة فى معنى الاول وذلك أنك تقول فلان فقير فيكون له الشئ اليسير من المال فاذا قلت وقير فليس له شئ البتة وقيل معنى وقير مثقل بالدين وقربه والاتباع قصد لانه فسره بقوله لا قبيل لى ولا نقير كان انسانا توهم أن له شيأ فذكر وقيرا لنفسه ثم زاده بيانا بما بعده ولانه ذكر استئناف الدين بعد ذلك ويكون الوقير أيضا من الوقر فى العظم وهو الكسر كأنه مكسور العظم كما أن الفقير أصله المكسور الفقار و(القبيل) الخيط الذى فى شق النواة مثل الفتيلة والنقير الفرض الصغير الذى فى ظهرها وفيه كالنقطة ومنه تنبت النخيل والقطمير اللفافة التى عليها وهى القشرة اللطيفة (صفر اليدين) فراغهما من المال (التطوق) لبس الطوق أراد أنه لبس من الدين طوقا (اذنت) أخذت الدين و(الاتفاق) ضد الاختلاف (عسر) صعب (توهمت) حسبت (تسنى) تيسر (النفاق) ضد الكساد (توسعت) كثرت (بهظنى) غلبنى وثقل على (حقه) واجبه * أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابواب الرزق مفتوحة الى باب العرش فينزل الله تعالى الى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن قلل قلل له ومن كثر كثر عليه (مستحقه) صاحبه (حرت فى أمرى) أى فى هم الدين وقال النبى صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل دعاء فى الدين وهو أن يصلى اذا زالت الشمس أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا سلم قرأ قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ثم يقول يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحيم الدنيا والآخرة ارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك واقض دينى فان الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الاعظم (غريمى) صاحب دينى سمى غريما لادامته التقاضى والحاحه وملازمته من

فما أطول طيلك وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس ألقانى الى طوس وأنا يومئذ فقير وقير لا قبيل لى ولا نقير فألجأنى صفر اليدين الى التطوق بالدين فأذنت لسوء الاتفاق ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت تسنى النفاق فتوسعت فى الانفاق فما أفقت حتى بهظنى دين لزمنى حقه ولازمنى مستحقه فحرت فى أمرى وأطلعت غريمى

القرابة قد تقطع والمعروف قد يكفر وما رأيت كتقارب القلوب أخذه ابن مناذر فقال

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النعمى ولا كتقارب القلبين

يدني الهوى هذا ويدني ذا هوى * فاذا هما نفس ترى نفسين

أخذه أبو تمام فحسنه فقال

فان الفتى في كل حال مناسب * تناسب روحانية من يشاكل

ولم ينظم العقد الكعاب لزينة * كما تنظم الشمل الاشت الشمائل

وقد تقدم حديث الارواح جنود مجندة ونظم الحسن له وقال الشاعر

لا خير في قربى بغير مودة * ولرب منتفع بود أباعد

واذا وجدت من البعيد مودة * فامدد له كف القبول بساعد

(قوله وقطيعته نصب) اى عداوته هم وتعب وقد قال أبو تمام

والا فاعلمه بأنك ساخط * ودعه فان الخوف لاشك قاتله

(غربه) اى حده (ذلق) اى حاد (شهبه) نجومه يعني أخلاقه ومكارمه (تأتلق) تضيء (وظلفه) منعه وكفه وظلفت نفسي عن الشيء منعتها منه (زان) يزين يقول ان قعه من تجاوز قدره ومنعه من سأل ما لا يجب زين بالممنوع وشرف بالمسموع فتأديب الملوك لا عار به وانما العار أن يهينك كفؤك ومن لا حكم له عليك وقال المتنبي

ومن شرف الاقدام انك فيهم * على القتل مومومق كانك شاكد

وان دما أجريته بك فاخر * وان فؤادا رعته لك حامد

وقال حبيب

خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال آخر وان أمير المؤمنين وعتبه * لك الدهر لا عار بما فعل الدهر

واذا تزين بمنعه فاطنك بعطائه على أن اليد القابلة للجدوى وهي اليد السفلى لا تنفك عن حشمة أو ذلة وقد اعتذر لهذا المعنى قال أبو تمام

رأيت رجائي فيك وحدك همة * ولكنه في سائر الناس مطمع

وقال أيضا تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعروه مؤتنفا

ما زلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت نوالا يقتضي شرفا

وقال ابراهيم بن العباس

اذا طمع يوما عراني منحته * كتائب يأس كرها وطرادها

سوى طمع يدني اليك فانه * يبلغ أسباب العلا من أرادها

وقال الحريري عطاؤك زين لامرئ ان أصبته * بخير وما كل العطاء يزين

وليس بعار لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وقال أبو الطيب وفيض نواله شرف وزين * وفيض نوال بعض الناس ذم

وقال ابن أبي خالد شرف الشريف منك نوال * ربنيل تعافه الاحرار

فزاد بقوله للشريف على من سبق (قوله قويم نهجه) أي مستقيم طريقه (بان) تبين (قلب)

وقطيعته نصب وغربه ذلق وشهبه تأتلق وظلفه زان وقويم نهجه بان وذهنه قلب وجرب ونعته

بحث (شرق وغرب) أي مشى بوصفه المادحون شرقاً وغرباً وأنشد المتنبي وزاد فيه معنى

سحايبك السمار مالاح كوكب * وتحدو بك السفار ماذر شارق

تخلى من الدنيا لينسى فما خلت * معاربها من ذكرموا لمشارق

(قلب) درّب بالامور وفلان حول قلب اذا كان متصرفاً في أموره نفاعاً لاوليائه ضراراً لاعدائه كانه لمعرفته بالامور قد حوّل الامور وقلبها و(مبر) أي غالب لاعدائه (فطن) ذكي (معرب) يأتي بالغرائب (عزوف) نزيه النفس بعيد من الريب (عيوف) كاره للدنايا (والمتلف) عند العرب الذي يتلف ماله بالجود و(المخلف) الذي يخلف ما أتلفه بالاغارة على الاعداء وأخذ أموالهم يصفه بالشجاعة والكرم وقال البحتري

بأروع من طي كأن قميصه * يزرّ على الشيخين زيد وحاتم

سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا * اذا اجتمعا في العارض المتراكم

وقال ابن الرومي لم تخل قط من صنائعك الشغر ولا من حروبك الضرس

تصرّف الغيث في صواعقه * وتارة في سجاله البجس

(وقال البحتري)

ضحوك الى الابطال وهو قريعهم * وللسيف حدّ حين يسطو ورونق

حياة وموت واحد منتهاهما * كذلك غمر الماء يروي ويغرق

وقال ديك الجن هو عارض زحل غشي شاء الحيا * أرضي ومن شاء الصواعق أغضا

وقال أبو مسهر

تحيا الانام به في الجدب ان قحطوا * جوداً وتشقى به يوم الوغى الهام

كالمزن يجتمع الحالان فيه معاً * ماء ونار وارهام واضرام

وقال ابن الرومي والناس طرابين مرتقب * سطواته ومؤمل نفعه

كالعارض انبثت صواعقه * وسقى البلاد فلم يدع بقعه

(قوله أغر) مشهور (فريد) ليس له نظير (نابه) رفيع الذكر (ذكي) متوقد الفطنة ويروى زكي وهو الطاهر العفيف وقيل هو المتزيد في الخير والزكاء النماء والزيادة (أنوف) كثير الحمية والغضب لما استراب منه (مفلق) فصيح وأفلق جاء بالفلق وهي الداهية كانه جاء من الفصاحة بما لا يطاق (أبان) بين كلامه (طب) حاذق حسن التدبير (ناب هياج) حدث شر واختلاف (جل خطب) عظم أمر (مناطم) جمع منظوم (تأتلف) تجتمع يريد أن ما ينظم في شرفه من المدائح يأتلف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسودد كما قال حبيب

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال أبو الطيب لك الحمد في الدر الذي لي لفظه * فانك معطيه واني ناظم

وقال آخر مالقينا من فضل جود بن يحيى * صير الناس كلهم شعراء

شؤبوب حبائه) دفع عطائه والشؤبوب دفع المطر (يكف) يقطر ويسقط (نائل) عطاء (فاض) سال وخرج على الارض (غاض) غاب وجف (والخلف) حلمة الضرع الذي يحلب منه اللبن وهو أيضاً اسم للضرع (سخائه) جوده (عيابه) جمع عيبة (يحترب) يستلب أي لكثرة جوده

قوله سحايا البيتين ليسا على ترتيب القصيدة التي في الديوان اه

شرق وغرب
سيد قلب سبوق مبر
فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد
نابه فاضل ذكي أنوف
مفلق ان أبان طب اذا نا
ب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب
حبائه يكف ونائل يديه فاض
ونبع قلبه غاض وخلف
سخائه يحتلب وذهب
عيابه يحترب

كان ماله يسلبه القاصدون له (من لف لفه) أي من التف به ودخل في جماعته واللف لفيف الناس ولف القوم اجتمعوا والتف بعضهم ببعض وأخذ هذا اللفظ من قول الاعشى

وقد ملأت بكر ومن لف لفها * نبا كافا حواض الربا فالنواعصا

بكر قبيلة ومن لف لفها أي من التف بها (فلج) أي ظفر بما أحب (جلب) ساق أي الباجر الذي يقصد بابه بما جلب اليه من الفوائد يجازيه على ذلك بالعطاء الكثير فلكثرة ما أخذ فكأنه قد خدعه والملك المفضال يوصف أنه يخدع لكثرة هباته وقيل لعرابة بم سدت قومك قال أنخدع لهم في مالي (هضم) نقص أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب اليه (غوى) ضال مفسد (ليانه) أي لين خلقه (بعز) يمنع ويعظم والعزة في اللغة الشدة والمنعة والعزاز الارض الصلبة يريد أن الامير اذا انبسط لم يهب واذا اشتدت سطوته لم يؤلف فحالة هذا الممدوح بين العزة واللين وقال أبو تمام

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب

شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير في الصهباء مالم تقطب

(نكب) عدل ومال (مذهب) طريق (كز) بخيل قليل الخير (وثاب) عجول كثير الوثوب (نهزة) فرصة وغنيمة (يعف) يكف نفسه (بر) مطيع لله أراد أنه عفيف عن المحارم (قوله شعفنا) اى حبا يطلب الغاية وشعاف القلب أعلاه يريد أن عفافه بلغ غاية الحب من القلوب وفلان مشعوف بفلان اذا ذهب به حبه كل مذهب * الفراء هو من الشعف وهي رؤس الجبال واحدها شعفة فكأن معنى شعف بفلان ارتفع حبه الى أعلى موضع فيه (لبابه) خالصه (خلاب) آخذ للنفس غالب عليها (غر) حسان (ترف) تتلألأ وتشرق والرفيف بريق اللون (وفوقه) سهمه (والفوق) طرف السهم الذي يلي الوتر (ناضلته) راميته يقول سهمه (غلاب) لمن راماه (سجح) سهل الخلق (يهش) يهتز طربا (تلاف) تدارك (هفا) زل وسقط والهفوة الزلة (خل) صاحب (يرتاب) يشك (خرق) كريم جواد يتخرق في العطاء (يعتر) يقصد (برز) ظاهر غير محتجب قال الفنجديهي رجل برز أي عفيف عاقل كريم (لا يليه باب) أي لا يحتجب ببابه دون قصاده ومما قيل في الحجاب شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزها * وتنافسوا في قبح وجه الحاجب

فاذا تلطف للدخول عليهم * راج تلقوه بعذر كاذب

فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادي الضراعة طالبا من طالب

هي لمحمود الوراق وقال أبو مسهر أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافي فحجبني فكتبت اليه

اني أتيتك للتسليم أمس فلم * تأذن عليك لي الاستار والحجب

وقد علمت بأني لم أرد ولا * والله ما رد الا الحلم والادب

فاجابني بهذا القول

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما * قال ابن أوس وفيما قاله أدب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقال حبيب سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

ولا

من لف لفه فلج وغلب
وناجر بابه جلب وخلب
كف عن هضم برئ وبرئ
من دنس غوى وقرن ليانه
بعز ونكب عن مذهب
كز ليس بوثاب عند نهزة
شر بل يعف عفة بر
فلذا يحب ويستحق عفافه
شعفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر ترف وفوقه
فوق اذا ناضلته غلاب
سجح يهش وذو تلاف ان هفا
خل فليس بحقه يرتاب
لا باخل بل باذل خرق اذا
يعتر برز لا يليه باب

ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ * حمى بابه من أن ينال دخولا
اذا لم أجد للاذن عندك موضعا * وجدت الى ترك المجيء سبيلا

وحجب أبو العتاهية عن بعض الهاشميين وقال له تكون لك عودة فقال

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم * سأصرف نفسي حيث تبغى المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقال المتنبي أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة * هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونواله * لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر
فاذا احتجبت فانت غير محجب * واذا بطنت فانت عين الظاهر

وقال جرير قوم اذا حضر الملوك وفودهم * نتفت شوار بهم على الابواب

وقال آخر نهيت جميع الناس عن كل خطة * يدبرها في رأيها ابن هشام
فلما وردنا الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر وكل خفيف الشان يدعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى أن يفتح الباب أجمعا

(قوله عض أزل) أى اشتد زمان والازل ضيق العيش من الجدب والقحط وعض قبض باسنانه (فل) كسر (غرب) حد (بنابه) بكفايته (انحت) انكسر (ناب) سن يقول ان عضت الشدائد الناس وأضرت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن افقرته ومن مليح ما قيل في هذا المعنى

ان عض أزل فل غرب عضاضه بنابه فانحت منه ناب

قول المتنبي اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستسقيا مطرت على مصائبا
حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائبا

نقل المتنبي اللفظ والمعنى من قول أبي تمام

كثرت خطايا الدهر في وقد يرى * لنداك وهو الى منها تائب

والم به الحصني أيضا في قوله

وقد تحسن الايام بعد اساءة * ويذنب صرف الدهر ثم يتوب

وقال ابن المعتز وعوقبى الدهر عن قربه * زمانا فقد تاب عن ظلمه

وقال ابن الرومي أساءت لي الايام يا ابن محمد * وهن الى اليوم معتذرات
رأين مطافي حول عفوك عائذا * فهن لما أبصرنه حذرات

وقال أبو تمام اذا العيس لاقت بى أبا دلف غدا * تقطع ما بيني وبين النوائب

وقال أبو نواس

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحه * فعيني ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايام عنى ما درت * وأين مكانى ما عرفن مكانى

وقال أيضا أنا في ذمة الخصيب مقيم * حيث لا تهتدى صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خلالا * آمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالى اغتيالا * ومكانى من الخصيب مكانى

(قوله جدير) اى حقيق (لب) كان لبيبا وعاقلا (شطن) بعد (أذعن) ذل وانقاد (القريع) السيد يدفع ضر الزمن ويقرعه (جابر زمن) اى مغن فقير والزمن الفقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض وبزمانة وأصل ذلك من الزمن (لبانه) اى لبن أمه وقال فى الدرة وقولهم الرضيع الانسان ارتضع بلبنه صوابه بلبانه لان اللبن هو المشروب واللبان هو مصدر لابنه اى شاركه فى شرب اللبن هذا معنى كلامهم الذى نحوا اليه ولفظوا به (التهتان) سيلان المطر و (افاضته) صبه وأراد فى لبن أمه ارتضع الجود فداوم عليه كقول المتنبي

سموا للمعالى وهم صبية ٭ وسادوا وقادوا وهم فى المهود

وقد غلط المتنبي فى هذا ونسب فيه الى الكذب والمحال الفاضح لان سيادة الاطفال فى المهود وقود الجيوش من أمحل المحال وهذا وان كان ظاهره كذلك فقد اتسعت العرب وأهل الادب فى هذا القدر وأقاموا تخيل النجابة فى المولود فى مهده مقام وجودها فى كبره ثم اذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل التام حكموا بكمالها لانه رضعها فى ثدى أمه او غذى بها فى بطن أمه ألا ترى قوله تعلمت العلم قبل أن يقطع سرك وسر رك وقبل أن يقطع ذاك كان فى بطن أمه وهذا لم ينكره أحد ومن شعر الحماسة فى الذى رأى المهلب فى مهده فقال

خذونى به ان لم يسد سرواتهم ٭ ويبرع حتى لا يصاب له مثل

وفيها أيضا لئن فرحت بى معقل عند شيبتى ٭ لقد فرحت بى بين أيدى القوابل

وذلك لتخيل النجابة فيه فى ذلك الوقت ألا ترى ما تبث نساء العرب من بلوغ السيادة لابنائهن عند ترقيصهن وانظر الى ذلك ان شئت فى فصل نظمناه فى كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبى على فقد سقط عن المتنبي والحريرى بهذا ما عيب عليهما وقال سوار بن أبى شراعة

تعرف السودد فى مولودهم ٭ وتراه سيدا ان أيفعا

(نعش) رفع الضعيف بجوده (فرج) أزال همه (منافر) فاخر (أبهج) أدخل السرور على أحبابه اذا كان له الغلب (نافر) حاكم فى النسب وكانوا فى الجاهلية اذا تنازع الرجلان الشرف تنافرا الى حكامهم فيفضلون الاشرف وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة أينا أعز نفرا وأشهر منافرة فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر حين قال له علقمة الرياسة لجدى الاحوص وانما صارت الى عمك أبى براء من اجله وقد أسن عمك وقعد عنها فانا أولى بها منك وان شئت نافرتك فقال عامر قد شئت والله لانا أكرم منك حسبا وأثبت نسبا وأطول قصبا فقال علقمة أنافرك وانى لبر وانك لفاجر وانى لولود وانك لعاقر وانى لعف وانك لعاهر وانى لواف وانك لغادر فقال عامر أنافرك أنا أسنى منك سنة وأطول قمة وأحسن لمة واجعد جمة وأبعد همة فقال علقمة أنت جسيم وانا قضيف وأنت جميل وانا قبيح ولكن انافرك أنا اولى بالخيرات منك فخرجت أم عامر فقالت نافره ايكما اولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مائة من الابل يعطاها الحكم الذى ينفر عليه صاحبه فخرج علقمة ببنى خالد بن الاصفر وبنى الاحوص ومعهما القباب والجزور والقدور ينحرون فى كل منزل يطعمون وخرج عامر ببنى مالك وقال انها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما شخص به وقال لعمه أبى براء أعنى فقال سبنى فقال

وجدير بمن لب وفطن وقرب وشطن أن أذعن لقريع زمن وجابر زمن مذ رضع ثدى لبانه خص بافاضة تهتانه نعش وفرج وضافر ونافر فأزعج فابهج

لأسبك وأنت عمى فقال وأنا لا أسب الاحوص وهو عمى ولكن دونك نعلى فانى ربعت فيها أربعين سنة ولم ينهض معه فجعلا منافرتهما الى أبى سفيان بن حرب بن أمية ثم الى أبى جهل بن هشام فلم يقولا بينهما شيأ ثم رجعا آخرا الى هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزارى فقال لعمرى لأحكمن بينكما أعطيانى موثقا أطمئن اليه ان ترضيا بحكمى وتسلما ما قضيت بينكما ففعلا فأقاموا عنده أياما فارسل الى عامر فأتاه سرا فقال قد كنت أحسب ان لك رأيا وأن فيك خيرا وما حبستك هذه المدة الا لتنصرف عن صاحبك أتنافر رجلا لا تفتخر أنت وقومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل علىّ علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى فاجزها واحتكم فى مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسو بينى وبينه فقال هرم انصرف فسوف أرى رأيى فانصرف عامر وهو لا يشك انه ينفره عليه ثم أرسل الى علقمة سرا فقال له ما قال لعامر فقال له أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء وأسمح سماحا فما الذى أنت به خير منه فرد عليه علقمة ما رد عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه فأرسل هرم الى بنيه وبنى أخيه وقال لهم انى قائل غدا بينهما مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا بنى جعفر قد تحاكمتما الىّ وأنتما كركبتى البعير الآدم الفحل تقعان على الارض وليس فيكما واحد الا وفيه ما ليس فى صاحبه وكلا كما سيد كريم ولم يفضل واحدا منهما على صاحبه لئلا يجلب بذلك شرا بين الحيين ونحرت الجزر وفرق على الناس وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه فقال يا هرم أى الرجلين كنت مفضلا لو فعلت فقال لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شعفات هجر فقال عمر نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة اسرارهم والحكاية طويلة وقال فيه الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الباهر
لا يقبل الرشوة فى حكمه * ولا يبالى غبن الخاسر

(قوله فاء) اى رجع (أبلج) بين ظاهر (اتعب من سيلى) يقول ان الامير الذى يأتى بعده فى تعب لانه يروم أن يفعل مثل ما فعل فيعجز عنه وأعاد هذا المعنى منظوما فى السابعة والثلاثين حين قال

سماحه ازرى بمن قبله * وعدله أتعب من بعده

أخذه من قول رجل قال لاحد الامراء وقد عزل عن عمله أصبحت والله فاضحا متعبا أما فاضحا فلكل وال قبلك بحسن سيرتك وأما متعبا فلكل وال بعدك أن يلحقك (قرظ) مدح (هز) حرك بالثناء عليه (بلى) جرب (توج صفاته) أى زينها وشرفها (عفاته) قصاده (بهجة) سرور وكنى بخصبه عن ماله ودعا له بالبركة والكثرة اذ جعله ممتد الظل (بر) مكرم (آنس) أبصر (شهبه) نيرانه الساطعة واحدها شهاب وأصل هائه الثقيل فخففت وكانت العرب توقد النيران فيقصدها الاضياف بالليل أراد أنه كثير الاكرام لمن يقصد ناره وأخذ اللفظ من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا (مزايا) فضائل (ظرفه) حسن هيئته وعذوبة لسانه وهو مصدر ظرف يظرف ظرفا فهو ظريف فمن قال الظريف البليغ وقصره على اللسان لم يجز له أن يقول ما أظرف زيد على

وفاء يحق أبلج أتعب من سيلى وقرظ اذ هز وبلى
وتوج صفاته بجب عفاته
فلا خلا ذا بهجة
يمتد ظل خصبه
فانه بر بمن
انس ضوأ شهبه
زان مزايا ظرفه

الاستفهام ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة جازله ذلك وكذلك من جعل الظرف عاما فيكون معناه أى شئ فيه الظرف أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته (بلبس) اختلاط أراد أنه يخلط الهزل بالجد والمزاح وخفة الطرب بالانقباض والحشمة وقد تقدم فى صفة التنوخى مثل هذا (والمزايا) جمع مزية وهى التمام والكمال وأصلها من الزى (فوزه) ظفره (تأثلت) تقدمت واتصلت (جلت) عظمت (فوته) سبقه (صنائع) أفعال جميلة (نمت) اشتهرت (يلائم) يوافق (حضرته) موضعه الذى يحضر فيه والقرب جمع قربة وهى ما يتقرب به من أعمال البر الى الله تعالى وسن الهدايا الى الملوك (غوث) اغاثة وكشف ضر (رقه) عبده (حظ) نصيب (حظوته) مكانه ورفعته (تليد ندب) تقول ندبت القوم دعوتهم يريد أنه عبد للدعوة التى دعا بها خصمه الى الوالى والتليد من العبيد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فكبر عندك وجعل نفسه عبدا للدعوة لما تعبد بها أو يريد بالتليد القديم فان التليد والتالد المال القديم والندب الهم من ندبت الميت فيريد أنه قديم هم ورجل ندب أى خفيف فى قضاء الحوائج لاصحابه فيريد على هذا بتليد ندب أى خفيف ومن هذه صفته فقد رجبت حرمته (وشريد جدب) طريد فقر وجوع والجدب ضد الخصب (نوب) نوازل (أثرت) أبقت به أثرا وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيرا فمن نظره رأى أثر النوائب عليه (ناظم قلائد) قائل قصائد ورسائل (تسيرت) مشت فى الناس والبلاد (جاش خطبة) تحرك صدره للكلام بها يريد أنه اذا أراد قول خطبة ازدحم الكلام فى صدره وارتفع كما يجيش القدر أى يغلى وتقدم هذا الكلام (قس) فصيح العرب ويأتى ذكره فى الاربعين (ثم) معناه هنالك (باقل) تقدم يريد أن قسا على فصاحته لوحضر مع الموصوف لنظم أو نثر لرجع فى عى باقل والعادة انما يذكر معه سحبان للزوم الرسالة وقال حبيب وذكر ثلاثة من أصحاب عبد الله ابن طاهر

أول حازوا خلائق قد تيقن العلا * كل التيقن انهن نجومها

ثان لو أن باقلا انتهت بنبرى * فى مدحها سهلت عليه حزومها

ثالث ولو أن سحبانا يسحب ذيله * فى ذمها لم يدر كيف يذيعها

(حبر) قال شعرا أو رسالة وأصل حبر وشى وزين (حبر) ثياب موشاة (نمنمت) زينت ورقت (نمت) تحركت بالروائح العطرة وقال الصابى فى المهلبى وكأنه يصف هذا الكلام

وان استنطق الانامل جاءت * ببيان كالجوهر المنضود
فى سطور كأنما نشرت منه * منها عصائبا من برود
فقر لم يزل فقيرا اليها * كل مبدى بلاغة ومعيد
يغتدى البارع المستلذ بها * لاحقا بالمقصر المستفيد
ببيان شاف ولفظ مصيب * واختصار كاف ومعنى سديد

(وله فى مثله أيضا)

وكم من يد بيضاء حازت جمالها * يدلك لا تسود الامن النفس
اذا رقشت بيض الصحائف خلتها * تطرز بالظلماء أردية الشمس

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

بلبس خوف ربه
فليهن سيد نافوزه بمفاخر
تأثلت وجلت وفوته
بصنائع نمت ونمت ويلائم
قرب حضرته غوث رقه
بحظ من حظوته فانه تليد
ندب وشريد جدب وجريح
نوب أثرت وناظم قلائد
تسيرت اذا جاش لخطبة
فلا يوجد قائل ثم قس ثم
باقل فان حبر قلت حبر
نمنمت وخلت رياضا قد نمت

شغلتك عن حسن الشآم مدائح * حسنت فما تنفك تطرب سامعا
زهر اذا اصاخ من سمع معاقد * خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى * مازال فى صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر يانعا * متنوردا ترفا وأصفر فاقعا

(وله أيضا فى مثله)

سأبعث الحمد موشيا سبائبه * الى الامير صريحا غير مؤتشب
ان المدائح لاتهدى لناقدها * الاو ألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر منها روضة انفا * تفتح الزهر فيها عن جنى الادب
لفظ يروح له الريحان مطرحا * اذا جعلناه ريحانا على النجب

هذا ثم شربه برض وقوته قرض وفلقه غسق وجلبابه خلق وقد قلق لتوغر غريم غاشم يستحثه بحق لازم فان من سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بمجد فاق وباء بأجر فكى من وثاق لاخلت سحايا خلقه ترفد شائم برقه بمن رب أزلى حى أبدى (قال) فلما استشف الامير لآليها ولمح السر المودع فيها أوعز فى الحال بقضاء دينى وفصل بين خصمى وبينى ثم استخلصنى لمكاثرته واختصنى بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم فى ضيافته

(قوله شربه) أى حظه من الماء (برض) قليل (قرض) سلف والقرض ما أخذ ليعوض منه (وفلقه) ضوء صبحه (غسق) ظلام يريد أن حاله متغيرة (جلبابه) ثوبه (خلق) بال (توغر) توقد واشتد غضبه والتوغر التوقد لشدة الغيظ والوغر شدة الحر (غاشم) ظالم جاف (يستحثه) يستعجله (لازم) واجب (من) أنعم واحسن (بكفه) برده عن (هبات) عطايا (توشح) تحزم وتزين وتوشح الرجل بثوبه جعله موضع الوشاح وتحزم (فاق) فضل بهذا المجد كل أحد (باء) رجع (فكى) انقاذى (وثاق) شد وربط (سجايا) طبائع (ترفد) تصل وتعن والرفد المعونة (شائم برقه) راجى خيره ونائل أمره ونزل البرق منزلة الجود لانه يأتى بالمطر والمطر يشبه به الجود (بمن) باحسان وانعام (أزلى) قديم (أبدى) باق مع الابد وهو الدهر * واذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها فانا نعتذر الى من وقف على شرحنا لها من صعوبة هذا المقام فان هذه الرسالة وأمثالها انما يؤتى بها على جهة الملح والاقتدار لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ألا ترى الحريرى كيف اعتذر فى مثلها حيث قال اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس ولا شك ان الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى انه يعوص على تلك الاستعارات البعيدة فيريد أن يبرز المعنى فى غاية البيان واللفظ فى أغلبها موضوع على غاية الابهام فوقع التمانع فلا يصل الى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ولا تبعد من اللفظ الابعد جهد فهذا اعذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والقهقرية والخيفاء المتقدمتين وما علمت أحدا شرحها شرحا ولا بلغ منها مبلغنا ولله در منشئها من عالم بارع فما اتفق له انشاؤها الا بعد التبحر فى علوم اللغات حتى كان أبا حفص بن برد يخاطبه بهذه الابيات

أبا العلاء استمع تعريض ذى مقة * أهدى لك الود محضا غير مقطوب
أنت الذى لم نعاشر مثله رجلا * فى العلم والظرف والآداب والطيب
تحصيل فضلك للحساد معجزة * ولكنه علمك شئ غير محسوب
اما اللغات فما يعقوب يبلغ ما * وعيت منها ولا أشياخ يعقوب

(قوله استشف) نظر (لآليها) جواهر كلامها (لمح) رأى (المودع) المضمن المجعول وعنى بالسر ماذكر من النقط لحرف والترك لآخر (أوعز) تقدم (فصل) قطع (استخلصنى) ضمنى وأنقذنى منه (لمكاثرته) لزيادة عدده يريد ان الامير خلصه من غريمه وضمه اليه وجعله فيمن حواليه فكثروا به (اختصنى بأثرته) افردنى بعطيته وآثرنى بها على غيرى (لبثت) أقمت (بضع سنين) قال

فقلت له شكر المسن أتاح لك لقيان السمح الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد ثم قال أيما أحب اليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت املاء الرسالة أحب الي فقال وهو وحقك أخف علي فان نحلة ما يلج في الاذان أهون من نحلة ما يخرج من الاردان ثم كأنه أنف واستحيا فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففزت منه بسهمين وفصلت عنه بغنمين وأبت الى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

(المقامة السابعة والعشرون الوبرية)

(حكى الحرث بن همام) قال مات في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة أهل الوبر لآخذ نفوسهم الابية وألسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا وجعلت أضرب في الارض غورا ونجدا الى أن اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت الى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فأوطنوني أمنع جناب وفلوا عني حد كل ناب فما تأوبني عندهم هم ولا اقترع صفاتي سهم الى أن أضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم أطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فاقتعدت فرسا محضارا

أبو عبيدة رحمه الله البضع من واحد الى أربعة وقال الاخفش من واحد الى عشرة وقال الفراء مادون العشرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما البضع من الثلاثة الى عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لما نزلت في بضع سنين البضع ما بين السبع والتسع قال ابن سلام فلما انقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس وقال أبو محمد في الدرة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسر ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وذلك ان المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب والمشركون يميلون الى أهل فارس لانهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بان الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبابكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم فقال له أمية ابن خلف خاطرني على ذلك فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له ما حملك على تقريب المدة قال الثقة بالله ورسوله فقال له عد اليهم فزدهم في الخطر وازدد في الاجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الاجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه ويقال البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة (أرتع) آكل وأتنعم و(الريف) الخصب و(الرافة) الرفق (غمرتني مواهبه) غطتني عطاياه وأراد باطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول وصار يجر ذيله تبخترا (تلطفت) تسللت برفق (أتاح) قدر (لقيان) لقاء (الضغطة) التضييق وضغطه ضيق عليه (الجد) الحظ والسعد (الالد) الشديد الخصومة (أحذيك) أعطيك (أتحفك) أهديك و(املاء الرسالة) القاؤها عليه ليكتبها (نحلة) عطية (يلج) يدخل (الاردان) الاكمام (أنف) كبر ذلك عليه واستنكفه (والحذيا) العطية (فصلت) زلت (أبت) رجعت (قرير العين) مسرورا بالفائدة (حزت) جمعت وصار في حوزي أي في ملكي (والعين) الذهب الاحمر

(شرح المقامة السابعة والعشرين وهي الوبرية)

(غبر) تقدم (أهل الوبر) أصحاب البوادي الذين مالهم الابل وكنى بالوبر عنها (الابية) العزيزة التي تابى الذل (يألو جهدا) يقصر في الاجتهاد (أضرب) أمشي في الارض و(غورا ونجدا) مرتفعا ومنخفضا (اقتنيت) اكتسبت لنفسي لا للبيع وشرح الحريري ألفاظا في المقامة فنقتصر فيها على شرحه الا بقدر ما يزيد الكلام بيانا مثل قوله (آخذ أخذ نفوسهم) أي أتخلق باخلاقهم وطباعهم ويقال لو كنت منا لاخذت باخذنا بكسر الهمزة وفتحها أي بخلائقنا وشكلنا واستعمل فلان على الشأم وما أخذ أخذه أي وما والاه وكان في حيزه (وقوله ارداف اقيال) يفسر القيل بالملك وبردف الملك وقيل القيل بالمشرق كالقائد بالاندلس والردافة في الجاهلية كالوزارة في الاسلام والردافة أن يرتدف مع الملك على مركوبه وان يستخلفه في موضعه متى غزا و(أويت) رجعت واتخذته مأوى (أوطنوني) أنزلوني (جناب) جانب (فلوا) كسروا (ناب) ضرس (تأوبني) أتاني ليلا (ولا اقترع صفاتي سهم) أي لم ينلني ضر (اضللت) أتلفت وضلت الناقة واضللتها (منيرة) مضيئة (اللقحة) الناقة ذات اللبن (غزيرة الدر) كثيرة اللبن (القاء) ترك (غاربها)

اعلى

أعلى سنامها (اللدن) الرمح اللين (الخطار) الطويل المضطرب (واعتقات) الرمح جعلته مابين سرجك ورجلك (أجوب البيداء) اقطع القفر وفسر (حيعل) بأنه قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح وشاهده

ألا رب طيف بات منك معانقى * الى أن دعا داعى الصلاة فحيعلا

وقال آخر أقول لها ودمع العين جار * ألم تحزنك حيعلة المنادى

ومعنى حى هلم وأقبل والفلاح الفوز وأفلح الرجل اذا فاز وأصاب خيرا والمفلحون الفائزون وقيل الفلاح البقاء أى أقبلوا على سبب البقاء فى الجنة والمفلحون الباقون و (الصلاة) المعاودة والصلاة الرحمة كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبى أوفى والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل ومن كان صائما فليصل (اداء) فضاء (حلت فى صهوتها) ركبت ظهرها ووثبت عليها (فررت) كشفت (قفوته) اتبعته (نشزا) مرتفعا (استطلعته) استخبرته وسألته (جدى) عزمى واجتهادى (هدرا) باطلا (ورده صدرا) أى سؤاله خبرا والورد اتيان الماء والصدر الرجوع عنه (لفح) تحرك (هجير) حر (يذهل) يشغل و (غيلان) اسم ذى الرمة وهو غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة عداده فى الرباب والرباب عدى بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكل وهو عوف بن عبد مناة وثور بن عبد مناة وضبة بن أد وهو عمهم وأد بن طابخة بن الياس بن مضر وسمى ذا الرمة بقوله يصف وتدا

وغير موضوح القفا موتود * أشعث باقى رمة التقليد

نعم فانت اليوم كالمعمود * من الهوى أو شبه المورود

بمى ذات المبسم المبرود * والمقلتين وبياض الجيد

وقيل سمى به لانه خشى عليه من المس فأتى به رجل من الحى فكتب له معاذة علقت فى عنقه وشدت بحبل وقيل سمته بذلك خرقاء التى يذكرها فى شعره وذلك انه رآها وهى فى جوار على سنها فأعجبته وأدام الالتفات اليها ثم قال لها يا جارية اخرزى لى هذه القربة فعلمت مراده فقالت له انى خرقاء فولى وفى يده قطعة حبل بال فنادته يا ذا الرمة ان كنت خرقاء فجاريتى صناع فاذهب اليها فمضى عليه ذو الرمة وسماها فى شعره خرقاء فغلبت عليها وهى مى بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم وتكنى أم ثور وغلبت عليه حتى عرف بها فقيل غيلان مى كما قيل كثير عزة وأول أمره مع مى فيما حكى الاصبهانى عن أمة لام مى قالت كنا نازلين بأسافل الدهناء ورهط ذى الرمة مجاورون لنا فجلست مية تغسل ثيابا لها ولامها فى بيت رث فيه خروق وهى فتاة أحسن من رأيته حين بدا ثديها فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها وأقبل ذو الرمة ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية انى لأرى ان هذا العذرى قد رآنى منكشفة واطلع على من حيث لا أشعر فان بنى عذرة أخبث قوم فى الارض فاذهبى فقصى أثره قالت فقصصت أثره فوجدته قد تردد أكثر من ثلاثين مرة كل ذلك يدنو فيطلع عليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك ثم لم ينشب ان جاء بأشعره فيها من كل وجه ومكان وحدث أيضا بسنده عن عمارة بن ثقيف ان ذا الرمة حدثه ان أول أمره معها انه خرج مع أخيه وابن عمه فى بغاء ابل لهم فوردوا على ماء وقد جهدهم

واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتى جمعاء أجوب البيداء واقترى كل شجراء ومرداء الى أن نشز الصبح راياته وحيعل الداعى الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم حلت فى صهوتها وفررت عن شدوتها وسرت لا أرى أثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا جزعته ولا راكبا الا استطلعته وجدى مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد ورده صدرا الى أن حانت صكة عمى ولفح هجير يذهل غيلان عن مى

(أخبار غيلان مع مى)

العطش قال فأتيت خباء عظيما أستسقي لهما ماء فاذا عجوز جالسة في رواقه فالتفتت وراءها وقالت يا مي اسق الغلام فدخلت عليها وهي تنسج شقة فقالت لي لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من حداثة سنك ثم قامت تصب في ركوتي ماء وعليها شوذن فلما انحطت على القربة رأيت مرأى لم ار أحسن منه فلهوت بالنظر اليها وهي تصب الماء فيذهب يمينا وشمالا فقالت العجوز يا بني الهتك مي عما بعثك له أهلك أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا قلت أما والله ليطولن هيامي بها ثم أتيت بالماء أخي وابن عمي فلففت رأسي وانتبذت ناحية وقلت

قد سحرت اخت بني لبيد * مني ومن سلم ومن وليد
رأت غلامي سفر بعيد * يدرعان الليل ذا الصدود
مثل الذراع البلق الحديد

وهي أول قصيدة قلت ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة وأما ابن قتيبة فقال مكثت مي تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه فجعلت لله ان تنحر بدنة يوم تراه وكانت من أجمل الناس فلما رأته دميما أسود صاحت واسوأتاه واضيعة بدنتاه فقال

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فكشفت عن جسدها وقالت أشينا ترى لا ام لك فقال

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له قد رأيت ما تحت الثياب فلم يبق الا أن أقول لك هلم فذق ما وراءه فوالله لاذقت ذلك أبدا ثم صلح الامر بينهما فعاد الماكانا من حبهما وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفراء * أبو الفرج كان سليمان بن أبي شيخ راوية لشعر ذي الرمة فانشد يوما قصيدة له واعرابي من بني عدي يسمعه فقال أشهد أنك فقيه تحسن ما تلوته وكان يحسبه قرآنا وكان أهل البادية يعجبهم شعره وكان جرير والفرزدق يحسدانه وقال حماد الراوية ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه وقال أبو المطرق لم يكن أحد منهم في زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا وكان كلامه أحسن من شعره وقال مولى لبني هاشم رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال يا اعرابي يهزأ به أتشهد بما لم تر قال نعم قال بماذا قال أشهد أن أباك ناك أمك * الاصمعي ما أعلم أحدا من العشاق شكا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل * أبو عبيدة يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف في الحكم وعفاف وقال ذو الرمة من شعري ما ساعدني فيه القول ومنه ما أجهدت نفسي فيه ومنه ما جننت فيه جنونا فاما الذي طاوعني فيه القول فقولي

خليلي عوجا في صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل

(وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي)

أأن توسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعد أحوال مضين لها * بالاشيمين يمان فيه تسهيم

(وأما الذي جننت فيه جنونا فقولي)

ما

مابال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب
براقة الجيد واللبات واضحة * كأنها ظبية أفضى بها لبب
زين الثياب وان أثوابها سلبت * فوق الحشية يوما زانها السلب
اذا أخو لذة الدنيا تبطنها * والبيت فوقهما بالستر محتجب
ساقت مطيبة العرنين مارنها * بالمسك والعنبر الهندى مختضب
لمياء فى شفتيها قد حوت لعسا * وفى اللثات وفى أنيابها شنب
كحلاء فى برج بيضاء فى دعج * كأنها فضة قد زانها ذهب

وهذه القصيدة من المطولات التى ينفت على المائة وربعها وتصرف فيها ماشاء من أوصاف الاطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبى وغير ذلك وفى خلال ذلك يأتى بتشبيهات بديعات وهو أشعر الشعراء الاسلاميين فى التشبيه وكان يقول اذا قلت كان فلم أجد مخرجا فقطع الله لسانى واحتذى فى ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز وقصده الحريرى فى هذا الموضع لمعنيين أحدهما لانه كان صادقا فى حب مية فكان لا يشغله عنها شىء لا مثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق فى حبه والثانى أنه يكثر فى شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله

وهاجرة من دون مية لم تقل * قلوصى بها والجندب الجون يرمح
اذا جعل الحرباء مما أصابه * من الحر يلوى رأسه ويرنح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من مى فللموت أروح
وللشكوت الحب كما تبينى * بودى قالت انما أنت تمزح

فذكر الحريرى ان هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مى حتى طلب ظلا يلوذ به (أستكن) أستتر وأطلب كنا (الوقدة) شدة الحر (أستجم) أستريح فأتقوى (أدنفنى) أمرضنى (اللغوب) التعب *وذكر طول اليوم وأنشد عليه فى الشرح ويوم كظل الرمح وذكر أن اليوم القصير يوصف بابهام القطاة ولم ينشد عليه شيأ وقال جرير

ويوم كابهام القطاة محبب * الى صباه غالب لى باطله
رزقنا به الصيد الغزير فلم يكن * كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خيره قبل شره * تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال الاصمعى قال لى خلف الاحمر ويحه فما ينفعه حين يؤل الى الشر قلت فكيف يجب أن يقول قال خيره دون شره قلت والله لا أرويه بعدها الا هكذا (عجت) ملت (سرحة) شجرة (كثيفة) ملتفة (الاغصان وريقة) كثيرة الورق و (الافنان) الاغصان أو ماتفرع منها وما أحسن ما نظم فى الفرار من الحر الى الظل المازنى كاتب مروان صاحب ميافارقين حين قال

وقانا وقدة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الظل العميم
قصدنا نحوه فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم
يراعى الشمس أنى قابلتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

وهذا ما يتعلق بالغرض وزاد فيه معنى بديعا بقوله

ويسقينا على ظما زلالا * ألذ من المدام مع الكريم

وكان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلات فأيقنت أنى ان لم أستكن من الوقدة وأستجم بالرقدة أدنفنى اللغوب وعلقت بى شعوب فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان

تروع حصاها حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

تأمل هذه الصفة تجدها غاية في بابها وتخيل هذه الجارية كيف نظرت بياض الحصى في الماء فارتاعت وحسبت عقدها تناثر فالتمسته بيدها وقال السرى فأحسن

أدرها فقد ألقى الزمان اليك بالـ * ملاهي وجاءت بالرضا والغنائم
ولا عيش الا في اعتصام بقهوة * يروح الفتى منها خضيب المعاصم
ولا ظل الا ظل كرم معرش * تغنيك من قطريه ورق الحمائم
سماء غصون تحجب الشمس ان ترى * على الارض الا مثل نثر الدراهم

وقال ابن ليال في منتزه بشريش يسمى اجانة

أيا حبذا الاجانة كيفما اغتدت * زمان ربيع أو زمان عصير
مذانب ماء كاللجين على حصى * كدر بلا ثقب أغر نثير
ورمل اذا ما ابتل بالماء عطفه * غنينا به عن عنبر وذرور
وتين كما قامت على حلماتها * نهود عذارى الزنج فوق صدور
كأن القباب الخزفية اعرائس * على سرر مفروشة بحرير

(وله أيضا عفا الله تعالى عنه)

كأن جنى الفوطى في رونق الضحى * وقد حلته راحة الورقات
نهود عذارى زحزحت عن مقرها * فقامت على الاطراف والحلمات

(قوله استروح نفسي) أي استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب أي ماسكنت عني أنفاس التعب واستروحت الشيء وجدت ريحه (سانح) خاطر و(سائح) عابر يسيح في الارض أي يمشي في جهاتها ويقال للمكدي سائح لانه يسيح في الكدية (ينتجع نجعتي) أي يقصد قصدي في طلب الراحة والانتجاع طلب المرعى (يشتد) يجري (بقعتي) موضعي (انعياجه) انعطافه (معاجي) مكاني الذي عجت اليه (مفاجي) آت على غفلة (يتصدى) يتعرض (منشدا) دالا على الضالة تقول نشدت الضالة طلبتها وأنشدتها دللت عليها طالبها (مرشدا) هاديا للطريق (ساحتي) موضعي الذي أنا فيه (ألفيته) وجدته (متشحا بجرابه) أي جعل جرابه موضع الوشاح (أهبة تجوابه) أي عدة جولانه (ورد) وصل (ماشرد) نفر يعني الضالة (استوضحته) سألته أن يوضح لي أمره (بديها) مرتجلا من غير فكرة (المستطلع) الذي يحب أن يطلع على الامر (دخيلة أمري) باطنه (عزازة) عزة ورفعة (جوب) قطع (سرى) مشي الليل (مفازة) قال الاصمعي هي المهلكة سميت بذلك تفاؤلا لسالكها بالفوز كما سمي اللديغ سليما تفاؤلا بالسلامة * ابن الاعرابي هي مأخوذة من فوز الرجل اذا هلك والعرب تسمي النعل مطية مجازا حيث يستعان بها على قطع المفازة وأنشد أبو علي الفارسي رحمه الله

رواحلنا ست ونحن ثلاثة * نجنبهن الماء في كل مشرب

(وقال أبو نواس)

اليك أبا العباس يا خير من مشى * عليها امتطينا الحضرمي الملسنا
قلائص لم تعرف حنينا على طلا * ولم تدر ما قرع العقيق ولا الضنى

فوالله ما أستروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى سائح في هيئة سائح وهو ينتجع نجعتي ويشتد الى بقعتي فكرهت انعياجه الى معاجي فاستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدى مرشدا فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه ومضطلعا أهبة تجوابه فأنساني اذ ورد وأنساني ماشرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل ايها قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازة أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازه زادي الصيد والمطية نعلي

(وأخذه أبو الطيب فقال)

لا ناقتي تقبل الرديف ولا * بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ومشفرها * زمامها والشسوع مقودها
أشد عصف الرياح تسبقه * تحتي من خطوها تأيدها

وكان السروجي أكثر عدة من أبي الشمقمق في قوله

كلما كنت في جموع فقالوا * قربوا للرحيل قربت نعلي
أترى انني من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآني فقد رآني ورحلي

(ومن أبيات المعاني في نعل)

وسوداء المناسب يمتطيها * أخو الحاجات ليس له نكير
فيحملها ويحمله وفيها * منافع حيث يبتدر السفير
على أن السفار ينال منها * فيرفعها اذا جد المسير

السفير ورق الشجر والمسفرة المكنسة (والجهاز) ما يحتاج اليه المسافر من العدة (والعكازة) العصا (مصرا) بلدا (الخان) الفندق (والنديم) الصاحب على الشراب و(جزازة) قيل انه خليع مشهور عندهم وهذا لا يبعد وأخبرني الاستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها فيريد أن نديمه اذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجزها ورقة كبيرة يكتب فيها بما يجلب مما يؤكل ويشرب والجزازة ما يسقط من الشئ تجزه كالقصاصة ما يسقط مما يقص والنحاتة والقلامة وغير ذلك فلما كانت القطعة الصغيرة تسقط من الورقة سموها جزازة ثم اشتهر عندهم ما صغر من القراطيس بهذا الاسم قال الفنجديهي جزازة أي قطعة كاغد عليها شئ مكتوب والجزازة ما يقطع من الشئ قال وأنشد بعضهم

وقالوا كيف حالك قلت حالي * تقضي حاجتي وتفوت حاجي
نديمي هرتي وسمير أنسي * دفاتيري ومعشوقي سراجي

(أساء) أصاب فيه بسوء (أحزن) عليه (حاول) طلب (ابتزازه) تجريده وازالته (خلو) فارغ البال (الاسى) الحزن (منحازة) متنحية ومنعزلة منقبضة وانحاز انعزل (مل ء جفني) أي أرقد هنيأ لقلة همي فتملئ عيني بالنوم وهو من قول المتنبي

* أنام مل ء جفوني عن شواردها * و(الحزازة) في القلب تأثير الهم كانه يحز فيه أي يقطع وقال الشاعر

اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

والحزازة هنا الولد السوء ولا شئ أنكى للقلب من همه والحزازة أيضا الحقد والغيظ وفي قلبي منه حزازة أي حرقة وحزن (تفوقت) أي شربت فواقها وهو أخذه ما فيها شيأ فشيأ أفا بين عبة وعبة فواق وأصله ما بين حلبة من الضرع وحلبة (مزازة) بين الحموضة والحلاوة (مجازا) طريقا يجاز عليه (تسني) تيسر (اجازة) عطية وصلة (يروم) يطلب (نجازه) قضاءه وتمامه ولبعضهم في هذا المعنى

وجهازي الجراب والعكازة
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي
غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما أساء ان فات أو أحـ
زن ان حاول الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهمـ
ـم ونفسي عن الاسى منحازه
أرقد الليل مل ء جفني وقلبي
بارد من حرارة وحزازه
لا أبالي من أي كاس تفوقـ
ـت ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذ
ل مجازا الى تسني اجازه
واذا مطلب كسا حلة العا
ر فبعدا لمن يروم نجازه

ثم رفع الى طرفه وقال لامر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتي السارحة وما عاينته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل من مال عن ريحك وأضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل وتتحامى القال والقيل فان الابدان انضاء تعب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما أريد أن أشق عليك فافترش التراب واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت على ان أحرس ولا أنعس فأخذتني السنة اذ زمت الالسنة فلم أفق الا والليل قد ولج والنجم قد تبلج ولا السروجي ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة في رحلتي وأخرى في رجعتي الى ان وضح لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو راكب يخد في الدو فألمعت اليه بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبأ بالماعي

أشد من علة وجوع * أغضاء حر على الخضوع
فاقنع من الدهر قوت يوم * وأنت بالمنزل الرفيع
ولا ترد ثروة بمال * ينال بالذل والخشوع
وارحل اذا أجدبت بلاد * منها الى الخصب والربيع

(الدناءة) الفعل القبيح (تكس) دنيء (عاف) كره (اهتزازه) طربه وخفته ولبعضهم في هذا المعنى

ويجتنب اللبيب ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه
كما سقط الذباب على طعام * فتتركه ونفسك تشتهيه

وقال أبو محمد المصري يخاطب المعتمد وقد فر منه

رحلت وفي القلب جمر الغضى * وهجري لكم دون شك صواب
كما هجر النفس حر الطعام * اذا ما تساقط فيه الذباب

(المنايا ولا الدنايا) أي اتيان المنية ولا فعل الدنية قال أوس بن حارثة يا مالك المنية ولا الدنية في وصية طويلة والمنية معناها المقدورة المحكوم بها وهي مفعولة من المنى وهو المقدر والقدر يقال مناك الله بما يسرك وأصلها ممنوة فصرفت مفعول الى فعيلة كمطبوخ وطبيخ وأدغمت الياء في الياء (الخنا) الفساد (الجنازة) النعش (قوله لامر ما جدع قصير أنفه) أي ما جدع قصير أنفه الا لمعنى وكذلك أنت ما خرجت في هذا الوقت لشدة حره الى هذه القفار المخوفة الا لمعنى فأخبرني به فلذلك قال (فأخبرته خبر ناقتي) وأيضا فان أول الكلام يدل عليه لانه قال فاستوضحته من أين أثره فأخبره السروجي في الشعر بقصته فلما أكملها سأل ابن همام عن قصته فأخبره بالناقة الضائعة و(السارحة) التي سرحت أي مشت حيث شاءت (عاينته) شاهدته ورأيته (الالتفات) النظر الى جهة (والطماح) ارتفاع العين بالنظر و(طاح) ذهب وتلف (لا تأس) لا تحزن (تستمل) تستدع حبه وأن يميل اليك بوده (مال) انحرف (عن ريحك) عن طريقك وهو الك (أضرم) أوقد (تباريحك) أحزانك (تقيل) تنام في القائلة (تتحامى) تتباعد عنها (أنضاء) جمع نضو وهو المهزول أي قد أهزل التعب أبداننا (الهاجرة) القائلة سميت هاجرة لانها تهجر البرد أو لانها أكثر حرا من سائر النهار يقال فلان أهجر من فلان اذا كان أفحش منه (لهب) نار و(شهري ناجر) يونيه ويوليه وهما أشد الحر قال الازهري هما حزيران وتموز النجران العطشان * ابن سيده ظن قوم انهما حزيران وتموز وهذا غلط وانما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ * الليث كل شهر في صميم الحر فاسمه ناجر لان الابل تنجر فيه أي تشتد عطشا حتى تيبس جلودها فلا تكاد تروى من الماء (هجع) رقد (وارتفقت) توكأت على مرفقي (السنة) النوم القليل (زمت) ربطت ومنعت (ولج) دخل (تبلج) أضاء وظهر (المسرج) الفرس عليه سرجه (أساور) أواثب (الوجوم) السكوت على غيظ والمعنى أن الغيظ اذا اشتد عليه عالج كظمه ودفعه عن نفسه فكأنه يواثبه (أساهر) أسامر والسهر امتناع النوم (الرجلة) بضم الراء القوة على المشي ورجل يرجل رجلا ورجلة اذا مشى في السفر وحده بلا دابة (وضح) تبين (افترار) انكشاف وافتر كشف أسنانه عند الضحك (يخد) يسرع (الدو) الصحراء و(الراكب) من يركب البعير و(الجو) نواحي السماء (يعرج الى صوبي) يميل الى جهتي وقصدي (يعبأ) يبالي (الماعي) المشير

وهو مصدر ألمعت اليك أي أشرت اليك فاذا بعد عنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك
وأشرت اليه والاشارة بالثوب هي الالماع (أوى) أشفق (التساعى) تحرقي وتوجعي (هينته)
سكينته (أصماني) أصاب مقتلي (اهانته) احتقاره (أوفضت) أسرعت (أستردفه) أطلب اليه
أن يردفني (تغطرفه) تكبره والغطريف السيد العظيم (الاين) الفتور (أجلت) صرفت
(مسرح) موضع تسرحها وجولانها بالنظر و(اللقطة) ما يجده الانسان قد سقط لغيره فيأخذه
ويلتقطه (أدرته) رميت به عنها (مضلها) أي الذي ضلت له وتلفت (رسلها) لبنها (أشعب)
الطماع رجل مدني صاحب نوادر وملاوله صنعة في الغناء وكان أبخل الناس وأكثرهم طمعا
ويقال في المثل أطمع من أشعب ولهذا قال الحريري فلا تك كأشعب اي لا تطمع في اخذ الناقة
فتكون مثله في طمعه في مال غيره (فتتعب) من تعلقت له بشيء (وتعب) أنت معه في المخاصمة

(نبذة من حكايات اشعب)

(ومن حكايات اشعب) قال سالم بن عبد الله بن عمر لاشعب ما بلغ من طمعك قال لم أنظر الى
اثنين يتساران في جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لي بشيء وقال له ابن أبي الزناد ما بلغ من طمعك
قال ما زفت بالمدينة امرأة الا كنست بيتي رجاء أن يغلط بها الي وكانت عائشة بنت عثمان كفلته
مع ابن أبي الزناد فقال أشعب تربيت معه في مكان واحد وكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون
وقيل لعائشة هل آنست من أشعب رشدا فقالت أسلمته منذ سنة في البز فسألته بالامس أين بلغت
في الصناعة فقال يا أمه قد تعلمت نصف العمل وبقي نصفه تعلمت النشر في سنة وبقي علي تعلم الطي
وسمعته اليوم يخاطب رجلا وقد ساومه قوس بندق فقال بدينار فقال أشعب والله لو كنت اذا
رميت عليها طائرا وقع في حجري مشويا مع رغيفين ما اشتريتها بدينار فأي رشد يؤنس منه ونظر
الى رجل يعمل طبقا فقال له أسألك بالله الا ما زدت في سعته طوقا أو طوقين فقال له الرجل ما معنى
ذلك قال لعله أن يهدى الي يوما فيه شيء وقيل له أرأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشأم
مع رفيق لي فتلاحينا عند دير فيه راهب فقلت له الكاذب منا اير الراهب في استه فنزل الراهب
من صومعته وقد أنعظ فقال أيكما الكاذب ثم قال دعوا هذا امرأتي أطمع مني ومن الراهب
فقيل له وكيف ذلك فقال انها قالت ما يخطر على قلبك شيء يكون بين الشك واليقين الا وأنا أتيقنه
ودعوا هذا شاتي أطمع مني ومنها قيل وكيف قال صعدت على سطح فنظرت الى قوس قزح
فظننته حبل قت فأهوت اليه فسقطت فاندقت عنقها وقيل له هل رأيت أطمع منك قال كلبة
آل فلان رأت رجلا يمضغ علكا فتبعته فرسخين تظن انه يأكل شيأ وقيل له ما بلغ من طمعك
قال أضجرني الصبيان يوما فأردت أن أشغلهم عني فقلت لهم ان بموضع كذا عرسا فامضوا نحوه
فلما ذهبوا ظننت أن ثم عرسا فتبعتهم وقال ابن شرف

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به * فكيف لي بقضاء غير مكتوب

وقال ابن حجاج

فديت من نفسي من كلما * لقيته والحق لا يغضب
فقلت يا عرقوب أطمعتني * فقال لم نفسك يا أشعب

(قوله يتقح) أي يسدي الوقاحة (ينزو) يقفز (يستأسد) يتشبه بالاسد فيتقوى (يستكين) يذل

ولا أوى لالتساعي بل سار على
هينته وأصماني بسهم اهانته
فأوفضت اليه لأستردفه
وأحتمل تغطرفه فلما أدركته
بعد الأين وأجلت فيه
مسرح العين وجدت ناقتي
مطيته وضالتي لقطته فما
كذبت أن أدرته عن
سنامها وجاذبته طرف
زمامها وقلت له انا صاحبها
ومضلها ولي رسلها ونسلها
فلا تكن كأشعب فتتعب
وتتعب فأخذ يلدغ ويصي
ويتقح ولا يستحي وبيناهو
ينزو ويلين ويستأسد
ويستكين

يريد انه كان مرة يتقوّى ومرة يذل (غشينا) جاءنا فجأة (لا بساجلد النمر) أى وقحا شجاعا (هاجما) آتيا على غفلة (المنهمر) الكثير الانصباب وتقدّم أثر خبر بعد عين (الامسية) المنسوبة الى أمس * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى النسبة الى أمس امسى وهو من شاذ النسب (ناشدته) حلفته (أوافى) أجاء وآتى (التلافى) التدارك قبل فوته (معاذ الله) أى استجير بالله مماذكرت (أجهز) أتم عليه (مكلومى) مجروحى وفى أخبار على رضى الله عنه انه ما أجهز على مكلوم قط (أخبر) أعلم (كنه) حقيقة (جاشى) نفسى قاله ابن سيده وقيل الجاش القلب وقيل رباطته وشدته عند الشئ يسمعه ما يدرى ما هو وقيل جاشى روع قلبى واضطرابه عند الفزع و (استوحش) من الشئ لم يأنس به (انجاب) انقشع وزال (أطلعته طلعها) أخبرته سرها وعاوت طلع الاكمة أى مكانا يطلع منه على ماحولها ويشرف عليه و (القحة) صلابة الوجه كانه جعل منها برقعا على وجهه (العريسة) ماوى الاسد و (الفريسة) الصيد يفترسه أى يكسر عنقه وهى اكيلة الاسد (أشرع) صوّب (أنار) نور (ينج منى) يخلص مخلص وشبه خلوصه بخلوص الذباب لانه يقع على الجسد أو الطعام فيقتذر الانسان بعقره فيشرده وهو واجد عليه فينجو الذباب سالما لبعد اذايته وأخذه من قول ابراهيم بن العباس الصولى لمحمد بن الزيات

فلن كيف شئت وقل ماتشا * وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجا بك قومك منجى الذباب * حمته مقاديره أن ينالا

وأخذه ابراهيم من قول الآخر

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

ومن قول الآخر

قوم اذا ماجنى جانيهم وأمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وهو كثير وانما اخترع ابراهيم لفظ الذباب وعرض أى بعض الادباء على صاحب له بحضر جماعة شعرا فجعل يعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد حسدا فقال له صاحب الشعر أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد وتدنيسه وقال ابن الرومى

تأمل العيب عيب * ما بالذى قلت ريب
والشعر كالشعر فيه * مع الشبيبة شيب
فليصفح الناس عنه * فطعنهم فيه عيب

ومنكيات الذباب لابن آدم كثيرة منها نزوله على الوجه عند النوم فيلقى منه بلاء أو فى الصلاة فيصير أضر من ابليس للتشاغل وأما اذا تساقط فى الطعام فتنغيصه وتنفيره للطباع اضرار لا يخفى وقد قدمت آنفا فى ذلك من الشعر شيأ ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول أجرأ من ذباب لانه ينزل على الاسد والامير * ونذكر هنا ما هو أشد اذاية منه وهو البعوض ولولا أن أيامه قلائل لاخلى البلاد قال ابن رشيق يتشكاه

يارب لا أقوى على دفع الاذى * وبك استعنت على الضعيف الموذى
مالى بعثت الى ألف بعوضة * وبعثت واحدة الى النمروذ

اذ غشينا أبو زيد لابساجلد النمر وهاجا هجوم السيل المنهمر نخفت والله أن يكون يومه كأمسه وبدره مثل شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين فلم أر الآن أذكرته العهود المنسية والنعل الامسية وناشدته الله أوافى للتلافى أم لما فيه اتلاف فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومى أو أصل حرورى بسمومى بل وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك فسكن عند ذلك جاشى وانجاب استيحاشى وأطلعته طلع اللقحة وتبرقع صاحبى بالقحة فنظر اليه نظر ليث العريسة الى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح وأقسم له بمن أنار الصبح لئن لم ينج منجى الذباب

ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن سنانه وريده وليفجعن بوليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وأفلت وله حصاص فقال لى أبوزيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين وويل أهون من ويلين (قال الحرث بن همام) فخرت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضره فكأنه نوجي بذات صدري أو تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وأنشد بلسان ذليق

يا أخى الحامل ضيمي دون اخوانى وقومى

ان يكن ساءك أمسى فلقد سرك يومى

فاغتفر ذا لهذا واطرح شكرى ولومى

ثم قال أما تتق وأنت متق فكيف تتفق

وقال ابن شرف

لك منزل كملت ستارته لنا * للهو لكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال آخر

ليل البراغيث والبعوض * ليل طويل بلا غموض

فذاك ينزو بغير رقص * وذا يغنى بلا عروض

(وقوله ويرض من الغنيمة بالاياب) منقول من قول امرئ القيس وقد طفت البيت وهو مشهور (ليوردن) يدخلن (وريده) صفحة عنقه والوريدان العرقان يجرى فيهما النفس وهما فى مقدم العنق وفجعته المصيبة فجعا أوجعته فهو فجيع ومفجوع وموت فاجع والفجيعة الرزية الموجعة (يفجعن) يحزنن (وليده) ابنه (وديده) صاحبه (نبذ) رمى (حاص) مال الى الهرب ويقال حاص يحيص حيصا اذا عدل ومنه مالهم من محيص أى من ملجا ومحيد (تسلمها) خذها (تسنمها) اركب سنامها (احدى الحسنيين) أى المسرتين ولو رجع له الفرس لكملتا له فالناقة احداهما (بذات صدرى) علم بحاجة نفسي وبحقيقة ما أضمرته فى صدرى (تكهن) علم (خامر) خالط (طليق) مستبشر (ذليق) حديد (ضيمي) ذلى وضرى (ساءك) أحزنك (اطرح) اترك وقد أعاد هذا فى السابعة والثلاثين فقال وهبها الاخطأ ولا اصابة * وسأل الحطيئة عتيبة النهاس العجلى فرده فقال له قومه عرضتنا ونفسك للشر هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء فقال ردوه فردوه فقال كتمتنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ثم قال له من أشعر الناس فقال الذى يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له وهذه من مقدمات أفاعيلك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فابتع له كل ما أحب فعرض عليه الخزوز ورقيق الثياب فعرض هو الى الاكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد فرجع الى عتيبة فقال له اسمع

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لاذم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطى وقد يعدى على النائل الوجد

وامتدح أبو تمام ابراهيم بن المهدى فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأناله ما يصلحه وقال له عسى أن أقوم من مرضى فأكافئك فأقام شهرا ثم كتب له

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجى من الصفد

كما الدنانير والدراهم فى الـ * بيع حرام الا يدا بيد

فقال لحاجبه أعطه ثلاثين ألفا وجئنى بدواة فكتب اليه

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقال الخوارزمى

ولما ان رأيت ابنى وليد * وبينهما اختلاف فى الفعال

وهبت قبيح ذا لجميل هذا * وأسلمت العواقب للبالى

اذا اليد أحسنت منها يمين * تسوغنا لها ذنب الشمال

وولى يفرى اديم الارض و يركض طرفه أيما ركض فما عدوت أن اقتعدت مطيتى وعدت لطيتى حتى وصلت الى حلتى بعد اللتيا والتى *(تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية)* (قوله ريق زمانى) وراتقه يعنى أوله وقد يخفف فيقال ريق وقوله (آخذ أخذ نفوسهم الابية) يعنى أقتدى بهم يقال منه أخذ أخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها (والهجمة) بحو المائة من الابل (والثلة) القطيع من الغنم و (الراغية) الابل و (الثاغية) الشاء ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية أى لا ناقة له ولا شاة وقوله (أرداف أقيال) أى يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله (أبناء أقوال) أى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن أقوال (وقوله فتدثرت فرسا محضارا) التدثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وهو العدو وقوله (أقترى كل شجراء ومرداء) الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه عن الشعر وقوله (حيعل الداعى الى صلاته) يعنى به قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله (فنزلت عن متن الركوبة) يعنى المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم و (الصهوة) مقعد الفارس و (الشحوة) الخطوة (والجزع) قطع الوادى عرضا وقوله (صكة عمى) يعنى به قائم الظهيرة وقد اختلف فى أصله فقيل كان عمى رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبى لانه يسدر فى الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية ٦٢ واصطكاك الظبى بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمى كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله (وكان يوما أطول من ظل القناة) يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

(وقوله أحر من دمع المقلاة) المقلاة هى المرأة التى لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهى الحرارة وقيل ان اقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم أن المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا أشار بشر بن أبى حازم فى قوله تظل مقاليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر وقوله (علقت بى شعوب) يعنى المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله (لا غور تحنها الى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله (مضطغنا أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشئ تحت حضنه والاضطبان ان يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو أسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع المصادر التى جاءت على تفعال هى بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وزاد بعضهم تمثال وقوله (عجرى وبجرى) يريد به جميع أمرى الظاهر والباطن وأصل العجر العقد الناتئة فى العصب والبجر العقد الناتئة فى البطن وقوله (ولم يقل ايها) أى لم يأمرنى بالكف يقال للمسترسل اذا نهيته وللمستكف ايها وقوله (لامر ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة هو الذى جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة اذ أشار عليه بقصدها فحظى بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف منه الى ان استصحب فى آخر نوبة الرجال فى الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاها وقصته مشهورة

(شرح)

(قوله يفرى) أى يقطع (أديم الارض) وجهها (يركض طرفه) يجرى فرسه (أيما) صفة لمصدر محذوف وفيه معنى التعجب من كثرة جريه تقديره يركض ركضا أى ركض (اقتعدت) ركبت القعود وتقدمت فى الاولى (ما عدوت) ما جاوزت أى ما عملت شيأ قبل القعود على الناقة (حلتى) موضعى الذى هو سكنى ونزولى وحل نزل

وقوله (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها او جمعها بوح وقيل ان البوح من أسماء الذكر وقوله (في شهري ناجر) هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله (بت بليلة نابغية) أومأ به الى قول النابغة فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع وقوله (فالمعت اليه شوبي) يعني أشرت اليه يقال منه ألمع ولمع بمعنى وقوله (يلدغ ويصى) هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صات العقرب تصى صأيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى

تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله (ينزو ويليس) هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان أصله ان الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله (لايساجل النمر) هذا المثل يضرب للمتقح الجريء لان النمر أجرأ سبع وأقله احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر أي صار مثل النمر وقوله (فألحق بالقارظين) الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما أشار أبو ذؤيب في قوله

وحتى يؤب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله (حروري بسمومي) ٦٣ الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا وقد يقام احداهما مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار وقوله (ليث العريسة) يعني مأوى السبع ويقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله (أفلت وله حصاص) هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعدما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله (ويل أهون من ويلين) هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الراجز أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض وقوله (أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق) هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا مأخوذ من قولهم أتأقت الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكي فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم أنا كلف وأنت صلف فكيف نأتلف وقوله (لطيتي) يعني لقصدي وجهتي وقد يقال فيها طية بالتخفيف وقوله (بعد اللتيا والتي) اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس أن يضم أول الاسم اذا صغر وقد أقر هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا أن العرب عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفا في آخره وأجرت أسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره *(المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية)* (أخبر الحرث بن همام) قال استبضعت في بعض أسفاري القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس المراح الى غرض الافراح وأستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها بكرة

(شرح المقامة الثامنة والعشرين وهي السمرقندية)

(استبضعت) اتخذت بضاعة (القند) عسل السكر و(سمرقند) بلد عظيم من بلاد خراسان غزاها ملك من ملوك اليمن اسمه شمر فملكها وهدمها فسميت شمركند بمعنى خرابة شمر ثم عربت فقيل سمرقند وأهلها السغد وفي رواية انه لما انتهى الى السغد قاتلهم أياما فتحولوا الى مدينتهم فحاصرهم حولا حتى افتتحها عنوة فقتل منهم وسبا وهدمها ثم ثاب له رأي فأمر ببنائها فبنيت خيرا مما كانت ثم أمر بصخرة فبنيت عند بابها وكتب عليها هذا بناء ملك العرب لا العجم شمر الملك الاشم ووجد في سورها لوح من نحاس فيه كتاب وهو هذا مما أمر ببنائه شمر وقد تقدم أن فرغانة من أعمالها التي هي آخر خراسان وبين سمرقند وبغداد ستة أشهر وتقدم أن مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى ولما أشرف قتيبة بن مسلم عليها فرأى ما أدهشه لافراط حسنها قال كأنها السماء في الخضرة وكأن قصورها النجوم والزهرة وكأن أنهارها المجرة (قوله قويم الشطاط) أي معتدل القامة (جموم النشاط) أي كثير القوة والخفة و(المراح) النشاط و(الافراح) جمع فرح و(ماء الشباب) نضارة الفتوة ونعمة الصبا (ملامح السراب) مواضع يلمح السراب فيها أي يلمع ويظهر فأراد انه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء (وافيتها) أتيتها

(عروبة) اسم يوم الجمعة سمي بذلك لحسنه حيث كان موسما وهو من قولهم جارية عروب أي حسناء وكانت العرب تسمي أيام الاسبوع باسماء يجمعها بيتان وهما

أؤمل أن أعيش وأن يومي * بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شبار

وعروبة من الاسماء التي تدخلها الالف واللام مرة وتسقط منها أخرى قال الشاعر

يوم كيوم عروبة المتطاول *

وقال آخر * يوم العروبة أورادا بأوراد *

وحكوا أن سيبويه كان في حلقة بالبصرة فتذاكروا شيأ من حديث قتادة فذكر سيبويه حديثا غريبا وقال لم يروه هذا الاسعيد بن أبي العروبة فقال له بعض الفضلاء ماهاتان الزيادتان يعني الالف واللام في العروبة فقال سيبويه هكذا ينبغي أن يقال لان العروبة هي يوم الجمعة من قال عروبة فقد أخطأ قال محمد بن سلام فذكرت ذلك ليونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه لله دره وسمي يوم الجمعة لما جاء في حديث سلمان قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدري لم سمي يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قال لان فيه جمع أبوك آدم وقال بعضهم فذكر عروبة في العيدزار

وكان يوم عروبة * يا فرحتي بثلاثة الاعياد

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما تلقاه عانقه وأنشد

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا في العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال ابن الرومي

وحبب يوم السبت عندي أنني * ينادمني فيه الذي أنا أحببت
ومن عجب الاشياء أني مسلم حنيف ولكن خير أيامي السبت

عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت الى أن حصل البيت فلما نقلت اليه قدمي وملكت قول عندي عجت الى الحمام على الاثر

(قوله كابدت) أي قاسيت (سعيت وما ونيت) جريت وما فترت ويقال وني يني أي ضعف والوني الضعف والفتور والاعياء (ملكت قول عندي) يريد أن المسافر في الطريق لا يحسب ماله ملكا له حتى يدخل المدينة لانه متعرض للهلاك في الطريق فاذا دخل المدينة وحصل في بيته ملكه فصار ملكت قول عندي عبارة عن سلامة ماله وخلاصه من حوادث الاسفار نحو السرق والنهب والغرق والغصب أو يكون عبارة عن الحصول في البيت يقول عندي كذا أي في بيتي (عجت) أي ملت على الاثر أي في الحين ورجع على الاثر أي مستعجلا كأنه مشى على أثره في طريقه قبل غيره فمعنى عجت الى الحمام على الاثر أي دخلته على الفور في الحال وقد ذكرنا أبياتا أدبيا من الشعر في الحمام في الرابعة ونذكر هنا فيه فنا آخر من الادب قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض الاعاجم وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجل الا بازار وامنعوا النساء أن يدخلنها الامريضة أو نفساء وروي أن عبيد بن قرط الاسدي دخل مع صاحبين له بلدا فيها حمام فأحب صاحباه دخوله فيها فنهاهما عبيد فأبيا الادخوله فلما دخلا مرا أيا فيه رجلا يتنور أي يستعمل النورة فسألاه عنها

فأخبرهما باذهابها الشعر فاستعملاها فلم يحسنا فأحرقتهما وأضرت بهما فقال عبيد

لعمري قد حذرت قرطا وجاره * ولا ينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتهما عن نورة أحرقتهما * وحمام سوء ناره تتسعر
فما منهما الا أتانى موقعا * به أثر من مسها يتقشر
أجدكما لم تعلما ان جارنا * أبا الحسل بالبيداء لا يتنور
ولم تعلما حمامنا فى بلادنا * اذا جعل الحرباء فى الجذب يحضر

وورد أعرابى البصرة فنزل على ابن عم له فلما رأى البصرى شعث الاعرابى أراد أن ينظفه فقال له يوم جمعة ان الناس يتطهرون للجمعة وينظفون ويلبسون أحسن الملابس فتعال أدخلك الحمام لتتنظف من قشف السفر والبادية وتتطهر للصلاة فدخل معه الحمام فعندما وطئ الاعرابى فرش أول بيت فى الحمام لم يحسن المشى عليها لشدة ملاستها فزلق وسقط لوجهه وصادفت جبهته حرف مدخل البيت فشجه شجة منكرة فخرج مرعوبا وهو ينشد ودماؤه تسيل

وقالوا تطهر انه يوم جمعة * فأبت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجة فوق حاجبى * بغير جهاد بئسما كان متجرى
يقول لى الاعراب حين رأيتنى * به لا بظبى بالصريمة أعفر
وما تعرف الاعراب منسيا بأرضها * فكيف ببيت ذى رخام ومرمر

وقال ابن سكرة دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت الى دارى حافيا وأنا أقول

اليك أذم حمام ابن موسى * فان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

يريد بشرا الحافى وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فلقب به (وقوله أمطت) أى أزلت (وعثاء السفر) شدته ومشقته وفى الحديث اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وأصله من الوعث وهو الدهس أى الرمل الدقيق وقيل الوعث الرمل تغيب فيه القوائم وقيل هو الطريق الخشن الصعب (بالاثر) أى بالحديث المروى وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم جمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح فى الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر و(الانعام) هى الابل والبقر والغنم وقال فى الدرة فرقت العرب بين النعم والانعام فجعلت النعم اسما للابل خاصة وللماشية التى فيها الابل وتذكر وتؤنث وجعلت الانعام اسما لانواع المواشى مثل الابل والبقر والغنم (حظيت) سعدت (جليت) سبقت و(الحلبة) جماعة الخيل وأراد بها الناس المبادرين للصلاة وأنه سبقهم (المركز) الموضع تنتظر فيه الصلاة (دين) طاعة (أفواجا) جماعات (يردون) يأتون الجامع (اكتظ) امتلأ وضاق بأهله (حفله) اجتماع الناس فيه (أظل) دنا وقرب (تساوى الشخص وظله) يريد حديث عمر رضى الله عنه أن صل الظهر اذا صار ظلك مثلك (برز) خرج (أهبته)

فأمطت عنى وعثاء السفر وأخذت فى غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت فى هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لاحظى بقرب من الامام ويقرب أفضل الانعام فحظيت بأن جليت فى الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوى الشخص وظله برز الخطيب فى أهبته

عدته للصلاة (متهاديا) متمايلا لوقاره (عصبته) جماعة المؤذنين (ارتقى) طلع (مثل بالذروة) جلس بأعلى المنبر أوظهر بأعلاه (والماثل) اللاطئ بالارض أو القائم المنتصب وهو من الاضداد وسمى المنبر منبرا لارتفاعه وعلوه من النبر وهو ارتفاع الصوت ونبر الرجل نبرة تكلم بكلمة فيها علو وأنشد أبو الحسن بن البراء

انى لاسمع نبرة من قولها ۔ فأكاد أن يغشى على سرورا

(مشيرا باليمين) مذهب الشافعى رضى الله عنه أن الخطيب اذا جلس على المنبر أشار الى الناس بيمينه مسلما من غير كلام قال ابن عمر رضى الله عنهما انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مسجد قباء فصلى فيه فخرج على صهيب فقلت يا صهيب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردّ على من يسلم عليه قال يشير بيده (قوله جلس) قال الخليل يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وهذا صحيح لان القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا يقال لمن أصيب برجله مقعد والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ورجل جالس آت نجدا وهو المكان المرتفع وذكره الحريرى فى الدرّة (ختم) أكمل (قوله الآلاء) اى النعم الواسعة الكثيرة (حسم اللاواء) قطع الشدة (الرمم) العظام البالية (مصورها) منشئ صورتها وأراد قوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة (عادوارم) أمتان قديمتان وقيل ارم قبيلة من عاد فيها مملكة عاد وقيل ارم اسم لقبائل كثيرة كالعماليق وطسم وجديس هلكوا وهم من ولد ارم بن سام بن نوح ومن لم يصرف ارم جعله اسما للقبيلة وقال سابق البربرى فى ذهاب الامم

وكيف يامن ريب الدهر مرتهن ۔ بعدوة الدهر ان الدهر عداء
ألقى على الجبل من عاد كلا كله * وقوم هود فهم هام وأصداء

وقال أيضا أين الملوك التى عن خطبها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
غرّت زمانا بملك لادوام له ۔ جهلا كما غرّ نسا من يمنيها
وصبحت قوم عاد فى ديارهم * بقطع يوم عادتهم عواديها
وتبعا وثمود الحجر غادرهم * ريب المنون رميما فى مغانيها
فكيف يبقى على الاحداث غابرنا * كأننا قد أظلتنا دواهيها

وقال الالبيرى أين الملوك وأين ماجمعوا وما * دخروه من ذهب المتاع الذاهب
ومن السوابغ والصوارم والقنا * ومن الصواهل بدن وشوارب
كانت سوابقها تحمل منهم ۔ أقمارا ندية وأسد كتائب
كانوا ليوث حقيبة لكنهم ۔ سكنوا غياض أسنة وقواضب
قصفتهم ريح الردى ورمتهم * كف المنون بكل سهم صائب

(قوله مصر) اى مقيم على الذنب (العالم) كل مخلوق وأراد به الحيوان (طوله) فضله (هد) أذل وأهلك وهد البناء كسره وهدمه و (المارد) العاتى وهو المبالغ فى الطغيان والفساد والكثير الشر (حوله) قوته (مؤمل) راج (مسلم) مفوض (الصمد) من أسماء الله تعالى والسيد المطاع والصمد الذى لا يولد له وقيل الصمد الذى لا جوف له وقال ابن الانبارى أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أن الصمد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس فى أمورهم وأنشد لورقة بن نوفل

متهاديا خلف عصبته فارتقى فى منبر الدعوة الى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم تطلم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللاواء مالك الامم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعمّ كل عالم طوله وهدّ كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له • رب البرية فرد واحد صمد

وأنشد لعمرو بن مسعود • وبالسيد الصمد * وأنشد • ولا رهينة الاسد صمد • وأنشد خذها حذيف فأنت السيد الصمد • (قوله ردء) معين وأردأته على الامر أعنته (مساعد) موافق لمراده (ممهدا) باسطا و (الملة) الدين (الاحمر) أراد به الابيض وأراد لكل الناس وقيل الاحمر العجم مثل الروم والفرس لانهم بيض تعلوهم حمرة والاسود العرب لانهم لسكناهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم (الارحام) فى الاصل الفروج ثم يكنى بها عن القرابات الذين بينهم رحم (وسم) بين وجعل له علامة والسمة العلامة (رسم) كتب و بين وأصل الرسم الاثر ورسمت الشئ أثرت به أثرا (الاحلال) الدخول فى الحل (الاحرام) الدخول فى الحرم وأراد انه علم موضع الحل والحرم (آله) أهله (همر ركام) انصب سحاب (هدر) صوت (وسرح) تفرق فى المرعى (سوام) ابل راعية (سطا) اهتز ليقطع (اكدحوا) اعملوا والكدح عمل الانسان من خير وشر وا كتسابه للدنيا والآخرة (لمعادكم) أى ليوم بعثكم والمعاد المرجع (الاصحاء) جمع صحيح (اردعوا) كفوا (اذرعوا) البسوا الخوف (أود) اعوجاج (وساوس الامل) أحاديث الطمع والرجاء (أوهامكم) نفوسكم (حوّل) تغير (حاول) نزول (الاهوال) المخاوف (مساورة) مواثبة (الاعلال) الاصابة بعلة (مصارمة) مقاطعة (الآل) الاهل والقرابة (اذكروا الحمام) اذكروا الموت (الرمس) تراب القبر (هول مطلعه) خوف ما يراه الانسان فيه (اللحد) الحفيرة فى جانب القبر (مودعه) المجعول فيه كأنه وديعة فيه (الملك) منكر ونكير اللذين يفتنان الناس فى قبورهم (روعة) تفريع وتخويف (المطلع) المأتى قال الجوهرى رحمه الله تعالى يقال أين مطلع هذا الامر أى مأتاه وهو موضع الاطلاع من اشراف الى انحدار وجاء هول المطلع فى الحديث حدث واثلة بن الاسقع وغيره قالوا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اذكروا الموت وهول مطلعه وما تقدمون عليه من أعمالكم فانما أنتم عابر وسبيل الى دار الخلود ازهدوا فى دنيا ناقصة غير زائدة مفرّقة غير مجمعة وارغبوا فى دار لا تخرب قصورها ولا يبلى سرورها ولا يموت سكانها أعمار أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة مكحلون يأكلون ويشربون لا يخرج من أجوافهم شئ الا يعرقون عرقهم ذلك مسك فلم أر مثل الجنة نام طالبها ولم أر مثل النار نام هاربها وقال ابن سكرة

محمد ما أعددت للترب والبلى * وللملكين الواقفين على القبر

وأنت مصرّ لا تراجع توبة * ولا ترعوى عما يذمّ من الامر

سيأتيك يوم لا تحاول دفعه * فقدّم له زادا الى البعث والحشر

وتقدم الباب موفى حقه فى الحادية عشر * ونذكر هنا بعض ما قيل فى الامل والطمع المانعين للناس من أعمال البر قال أبو العتاهية

تعلقت بآمال * طوال أى آمال

فأقبلت على الدهر * ملحا أى اقبال

أيا هذا تجهز لـ * ـفراق الاهل والمال

فلا بد من الموت * على حال من الحال

وقال أبو تمام ألعمر فى الدنيا تجد وتعمر * وأنت غدا فيها تموت وتقبر

ولا ردء معه ولا مساعد أرسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء واردعوا أهواءكم ردع الاعداء وأعدّوا للرحلة اعداد السعداء وادّرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا الاوهامكم حوّل الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه

تلقح آمالا وترجو نتاجها * وعمرك مما قد ترجيه أقصر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه * وليلته تنساك لو كنت تشعر
تحوم على ادراك ماقد كفيته * وتقبل بالآمال فيها وتدبر
ورزقك لا يعدوك اما معجل * على حاله يوما واما مؤخر

(وقال محمود الوراق)

علام يسعى الحريص فى طلب الرزق بطول الرواح والدلج
يا قارع الباب رب مجتهد * قد أدمن القرع ثم لم يلج
فاطو على الهم كف مصطبر * فآخر الهم أول الفرج

(وقال عبد الصمد بن المعذل)

وأعلم أن بنات الرجا * تحل العزيز محل الذليل
وأن ليس مستغنيا بالكثير * من ليس مستغنيا بالقليل

والحوا الدهر ولوم كره
وسوء محاله ومكره كم
طمس معلما وأمر سطعما
وطحطح عرمرما ودمر
ملكا مكرما

(قوله الحوا) انظروا (كره) رجوعه (محاله) شدته ومعاداته وخداعه (طمس) محا وأذهب (معلما) موضعا مرتفعا تعلم به الجهة التى هو فيها (طحطح) أهلك وفرق (عرمرما) جيشا كبيرا (دمر) أهلك والدمار الهلاك، ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الاسلام من ذلك أن سليمان ابن عبد الملك لبس فى يوم الجمعة لباسا شهر به ودعا بتخت فيه عمائم و بيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى وأرخى سدولها وأخذ بيده مخصرة واعتلى منبره ناظرا فى عطفيه وجمع حشمه وقال أنا الملك الشاب السيد الحجاب الكريم الوهاب فتمثلت له احدى جواريه فقال كيف ترين أمير المؤمنين فقالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
أنت خالو من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من صلاته رجع ودعا بالجارية وقال لها ما حملك على ما قلت قالت والله ما رأيتك ولا دخلت عليك فأكبر ذلك ودعا بقية جواريه فصدقنها على ذلك فراعه ذلك ولم يبق الامديدة حتى مات * الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه فنزلنا بعض المنازل فدعانى وهو فى قبته الى حائط وقال ألم أنهكم أن تدعوا العامة تدخل هذه المنازل فيكتبون فيها ما لا خير فيه قلت وما هو قال ألا ترى ما على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت والله ما على الحائط شئ وانه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال انها والله نفسى نعيت الى الرحيل بادر بى الى حرم الله وأمنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وثقل حتى بلغ بئر ميمون فقلت له قد دخلت الحرم قال الحمد لله وقبض من يومه ولما حضرته الوفاة قال هذا السلطان لا سلطان من يموت * على بن يقطين قال لما كنا مع المهدى بماسبذان قال لى أصبحت جائعا فأتنى بارغفة ولحم باردفأ كل ونام فى البهو فما استيقظنا الا لبكائه فبادرنا فقال أما رأيتم ما رأيت وقف على رجل لو كان فى ألف ما خفى على فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد الملك من بعد بهجة * الى قبره تحثى عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * ينادى عليه معولات حلائله

فما أتت عليه عشرة أيام حتى توفى قال الاصمعي دخلت على الرشيد يوما وهو ينظر فى كتاب ودموعه تحدر على خده فالتفت وقال اجلس أرأيت ما كان منى قلت نعم قال أما انه لو كان من أمر الدنيا ما رأيت هذا ثم رمى الى به فاذا فيه مكتوب لابى العتاهية

يا مؤثر الدنيا بلذتها * والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره
هل أنت معتبر بمن خربت * منه غداة قضى عساكره
وبمن خلت منه أسرته * وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم * صاروا مصيرا أنت صائره

ثم قال كأني أخاطب بهذا دون كل الناس فلم يلبث الا قليلا حتى مات * ولما رجع المأمون من غزوته التى افتتح فيها أربعة عشر حصنا نزل على عين تعرف بالعشيرة ينتظر رجوع رسله من الحصون فأعجبه بردمائها وصفاؤه وحسن بياضه وكثرة الخضرة والخصب بالموضع وجلس على خشب بسط له على الماء وطرح فيه درهما فقرأ كتابته فى قرار الماء لصفائه ولم يقدر أحد يدخل الماء لشدة برده فلاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فنزل بعض الفراشين فأخذها فاضطربت فى يده وعلمت ووقعت فى الماء فنضح منه على صدر المامون ثم أخذها ووضعها بين يديه فى منديل تضطرب فأمر بأن تقلى الساعة فأخذته رعدة من ساعته ولم يقدر يتحرك فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح البرد فأتى بالسمكة فلم يقدر عليها وسال على جسمه عرق كالرب لم يعرفه الاطباء فلما ثقل قال اخرجونى أنظر الى عسكرى وأنظر الى مالى وملكى وذلك ليلا فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه فلما ثقل رنا بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى عليه من ساعته وكان كثيرا ما ينشد

ومن لم يزل غرضا للمنو * ن تترك ذات يوم عميدا
وان أخطأت مرة نفسه * فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينا يحيد وتخطئنه * قصدن فأعجلنه أن يحيدا

* وذكر أبو المواريث قاضى نصيبين أنه رأى فى المنام ليلة قائلا يقول

يا نائم الليل فى جثمان يقظان * ما بال عينيك لا تبكى بتهتان
ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان
هلا رأيت صروف الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

يعنى المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان قال فأتى البريد بقتلهما فى تلك الليلة وقال سابق البربرى

ورب أغيد ساجى الطرف معتصب * بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا * اليه تبنى قباب الملك والحجر

همه سك المسامع وسح المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع عم حكمه المالك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد والاساود والآساد مامول الامال وعكس الآمال وماوصل الاوصال وكلم الاوصال ولاسر الاوساء ولؤم وأساء ولا أصم الاولد الداء وروع الاوداء الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الاسرار وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما دار العصاة الحطمة المؤصدة حارسهم مالك ورواءهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لامال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه واحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل مادام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصلة والا

قد غادرته المنايا فهو مستلب * مجندل ترب الخدين منعفر

(همه) مراده (سك المسامع) قطع الآذان وقد سك أذنه اذا استأصلها بالقطع والمقطوع الاذن يقال له أسك وسككت الشئ فاستك أى سددته فانسد (سح) صب (أكداء) قطع ومنع (ارداء) اهلاك (الرعاع) سقط الناس (المسود) من ليس بسيد (المطاع) الذى يقول ما أراد فيطاع ولا يعصى (الاساود) الحيات (والآساد) جمع أسد (مول) أعطى مالا (مال) انحرف وخرج عن طريقه (عكس) قلب (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء وقال مسلم بن الوليد

الدهر آخذ ما أعطى مكدرما * أصفى ومفسد ما أهدى له بيد

فلا يغرنك من دهر عطيته * فليس يترك ما أعطى على أحد

(وقال أبو تمام)

أقول لنفسى حين مالت لصبوها * الى خطوات قد تخص أمانيا

فهبنى من الدنيا ظفرت بكل ما * تمنيت أو أعطيت فوق مناتيا

أليس الليالى غاصباتى مهجتى * كما غصبت قبل القرون الخواليا

(قوله صال) صاح وهدر (كلم) جرح (الاوصال) المفاصل وهو موصل عظم عضو فى عضو (لؤم) صار لئيما (روع الاوداء) فزع الاحباب (السهو) الغلط (الاصرار) الاقامة على الذنب (الآصار) الاثقال يريد اثقال الذنوب (اطراح) ترك ورمى (مسلككم) طريقكم (الساهرة) وجه الارض وقيل الارض البيضاء (المورد) موضع الماء الذى يرده الناس والبهائم ولا غناء لاحد من قصد الماء فجعل الساهرة موردا على هذا المعنى (أهوال الطامة) مخاوف القيامة وما فيها من الهول والخوف واصابت الناس طامة أى داهية وأمر عظيم وقد طم الامر اذا عظم وجاوز الحد (مرصدة) معدة منتظرون بها و(الحطمة) التى تحطم الناس أى تكسرهم يعنى جهنم أعاذنا الله منها وهو اسم علم من أسماء جهنم دخلته اللام ايذانا بالصفة (المؤصدة) المغلقة (رواؤهم) منظرهم الحسن (حالك) أسود (السموم) جمع سم و(السموم) الريح الحارة (أم) قصد (أحكم) أتقن (كدح) عمل (روح مأواه) راحة مسكنه (موادعا) متاركا ومصالحا قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك (دهمه) غشيه وأتاه فجأة ودهمه يدهمه لغة (المرام) المطلب (حصر) حبس (الملم) نزول (الالام) الاسقام (حوم الحمام) دنو الموت (هدو) سكون (الحواس) الادراكات وهى التى يحس بها الانسان الاشياء ويدركها وهى خمسة العين يدرك بها النظر والانف والاذن يدرك بهما الشم والسمع واللسان واليد يدرك بهما الذوق واللمس فيريد أن هذه الجوارح تسكن بالموت ولا تتحرك ونشد هنا أبياتا لها بالموضع بعض تعلق ويذكر فيها الاطباء الذين لا حيلة لهم فى الموت قال عدى بن زيد

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الاسرة والانماط أفضت الى التراب الخدود

والاطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود

دهمه عدم المرام وحصر الكلام والملم الآلام وحوم الحمام وهدو الحواس

وصح

وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

(وقال الخليل بن أحمد)

فكن مستعدا لداعى الفناء * فان الذى هو آت قريب

وقبلك داوى المريض الطبيب * فعاش المريض ومات الطبيب

ولابن الرومى وفصده بعض الاطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته وقال

غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت محالته عن الاصدار

والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدار

(وقال غيره)

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار نعمان الى رمسه

فاين ما يذكر من طبه * وحذقه بالماء مع جسه

هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

(ومنه قول الآخر)

أقول لنعمان وقد ساق طبه * نفوسا نفيسات الى باطن الارض

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(ويحكى) أن القاضى ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك وقال فأين طبه فبلغت أبا العلاء فقال

قالوا ابن منظور تبسم هازئا * لما مرضت فقلت يعثر من مشى

قد كان جالينوس يمرض دائما * فى الامام المرتضى قبل الرشا

(وقال المتنبى)

لابد للانسان من ضجعة * لا تقلب الانسان عن جنبه

ينسى بها ما مر من عجبه * وما أذاق الموت من كربه

نحن بنو الموت فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه

تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه

فهذه الارواح من جوه * وهذه الاجساد من تربه

يموت راعى الضأن فى جهله * كموت جالينوس فى طبه

(اصيب الجرمى فى عينيه فقال)

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فبعض الشئ من بعض قريب

يمنى الطبيب شفاء عينى * وما غير الاله لها طبيب

(قوله مراس) أصله معالجة الشئ الشديد وكل شئ التصق بشئ واحتك به فقد مارسه ومرست الدواء بالماء دلكته و(الارماس) القبور واحدها رمس فيريد بها ما يلقاه الانسان فى قبره من الدواهى وتقدمت فى الحادية عشر ويروى الامراس جمع مرس وهو حبل من ليف يفتل على ثلاثة مراسه جريانه على البكرة فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه كما ان الايام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه فاذا مات أكل بدنه القبر (آها) كلمة توجع (حسرة) فجيعة والهاء فى لها كناية عن

ومراس الارماس آهالها حسرة

ألهاموكد وأمدها سرمد
وممارسها مكمد ما ولهه
حاسم ولا لسدمه راحم ولا
له مما عراه عاصم ألهمكم
الله أحد الالهام ورداكم
رداء الاكرام وأحلكم
دار السلام وأسأله الرحمة
لكم ولاهل ملة الاسلام
وهو أسمع الكرام والمسلم
والسلام (قال الحرث
ابن همام) فلما رأيت
الخطبة نخبة بلا سقط
وعروسا بغير نقط دعاني
الاعجاب بنمطها العجيب الى
استجلاء وجه الخطيب
فأخذت أتوسمه جدا وأقلب
الطرف فيه مجدا الى أن
وضح لي بصدق العلامات
أنه شيخنا ذو المقامات ولم
يكن بد من الصمت في ذلك
الوقت فأمسكت حتى تحلل
من الفرض وحل الانتشار
في الارض ثم واجهت
تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما
لحظني خف في القيام وأحفى
في الاكرام ثم استصحبني
الى داره وأودعني خصائص
أسراره وحين انتشر جناح
الظلام وحان ميقات المنام
أحضر أباريق المدام
معكومة بالفدام فقلت
أتحسوها امام النوم وأنت
امام القوم

الحسرة أضمرها بشريطة التفسير أي ما أعظمها من حسرة آها أي تأوها (ألهاموكد) أي وجعها شديد متتابع (سرمد) دائم (ممارسها) معالجها ومخالطها (مكمد) مهموم محزون (ولهه) حزنه (حاسم) مزيل قاطع (سدمه) حيرته (عراه) قصده (عاصم) مانع (ألهمكم) ذكركم ونبهكم (أحلكم) أنزلكم (دار السلام) الجنة من دخلها سلم من العذاب وبقي في سلامة (ملة) دين (أسمع) أكرم (السلام) الذي هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف ومعناه ذو السلام أي صاحب السلام ويحتمل أن يريد به اللفظة التي يقطع بها الكلام كما تقول لمن تقطع كلامه والسلام أي لا زيادة عندي على هذا أو أردت والسلام عليكم فحذفت اختصارا وفي تأويل السلام عليكم وجهان احدهما أنه اسم الله بمعنى الله تعالى عليكم اي على حفظكم أو بمعنى السلامة عليكم فالسلام جمع سلامة * قال ابن الانباري السلام في كلام العرب على أربعة أقسام السلام التسليم تقول سلمت سلاما والسلام الله تعالى والسلام جمع سلامة والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الاخطل

ورابية السكران قفر غنابها * لهم شبع الاسلام وحرمل

(نخبة) مختارة (سقط) لفظ رديء (استجلاء) نظر (أتوسمه) أنظر سمته أي علامته التي يعرف بها (جدا) كثيرا (مجدا) مجتهدا (وضح) تبين (ذو المقامات) صاحب المجالس (البد) الفرار قال الفراء رحمه الله تعالى يقال لابد اليوم من قضاء حاجتي أي لا فرار ويقال ليس لهذا الامر بد أي لا محالة (الصمت) السكوت والانصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعي رضي الله عنه لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أي لاستماع الخطبة وقال جماعة من المفسرين انه انما نزلت الآية في السكوت لاستماع الخطبة * أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت فقد لغوت أبو هريرة وأبو سعيد انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج الى الجمعة وعليه الوقار ثم رجع ثم أنصت الى ان جلس الامام فلم يتكلم حتى ينزل ثم صلى الجمعة غفر الله له ما بينه وبين الجمعة التي تليها قال أبو هريرة وثلاثة أيام يريد من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (تحلل من الفرض) تخلص من الصلاة (الانتشار) انحلال الجموع من الصلاة وانساطهم على الارض (تلقاءه) مقابلته (أحفى) بالغ واستقصى وتحفيت بفلان أظهرت العناية به في سؤاله اياه (ميقاته) وقته (معكومة) مشدودة وعكمت البعير شددت فمه والوعاء شددت رأسه (الفدام) خرقة يشد بها فم الابريق ليصفو بها ما فيه (تحسوها) تشربها (وأنت امام القوم) توبيخ له على قبح فعله مع الفضل الذي سبق له والعيب الكبير يصغر في حق أهل الريب كما ان الصغير يعظم في حق أهل المروآت وقال المتنبي في المعنى وان كان من غير الباب

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

(وقال المخزومي)

والعيب في الجاهل المغمور مغمور * وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفى من حقارتها * ومثلها في سواد العين مشهور

(وقال ابراهيم بن المهدي)

لولا الحياء وانى مشهور * والعيب بالرجل الكبير كبير
لحللت منزله الذى يحتله * ولكان منزلنا هو المهجور

(مه) اسكت ومعنى قوله (انا بالنهار خطيب وبالليل أطيب) مما وقع فى كتاب مفتاح السرور والافراح حكاية عن بعضهم أنه قال رأيت قاصا يقص غداة يوم ثم رأيته بالعشى فى حانة والقدح فى يده فقلت ما هذا فقال انا بالغداة قاص وبالعشى عاص ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتابا الى الرشيد انه مشتغل بالصيد وادمان اللذات فرمى به الى يحيى وقال يا أبت اكتب اليه بما يردعه فكتب على ظهر الكتاب حفظك الله يا بنى وأمتع بك فقد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وادمان اللذات فعاود ما هو اليق بك وأزين لك فانه من عاد الى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به وقد قلت أبياتا فالتزمها وان جاوزتها عزلتك عن سخط ولم أكملك حولا وكتب اليه

انصب نهارا فى طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل أتى مقبلا * واستترت فيه عيون الرقيب
فباشر الليل بما تشتهى * فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا * قد لقى الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أثوابه * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مشهورة * يرصدها كل حسود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل عنها وقال الحلوانى فى ضده

أنت الذى قسم الزمان لنفسه * قسمين بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة العلاء نهاره * منها وخص الليل للمحراب

وقال الفنجديهى فى قوله انا بالنهار خطيب وبالليل أطيب معناه أنا صالح المنظر فاسد المخبر انظر فى مرآة المراآة وأسر مساواة المساآت وأديم المناجاة جلوة وأقيم المداجاة خلوة آمر الناس بالرشاد وأنا أتوسد وسادة الفساد وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حين يراه الناس ثم أساءها حين يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه (قوله تسليك عن أناسك) أى اشتغالك عن أهلك وبلدك وهو مسقط رأسه أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته (خطابتك) فصاحتك فى خطبتك (أدناسك) عيبك وتلطيخ عرضك (مدار) دورانه فى أيدى الشاربين (أشاح) نحى معرضا وأشاح فى الامر صمم عليه (الفا) صاحبا (نأى) بعد يقول له جوابا للومه لا تبك صاحبا بعد عنك ولا منزلا تغربت عنه وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله (ودر) من الدوران (سكنا) أهلا والفا تسكن اليه (ومثل الارض كلها دارا) أى بلدا والدار البلد فى قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وتمتعوا فى داركم (داره) لاينه وسايسه (اللبيب) العاقل (دارى) أحسن مخالطة الناس واصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد أدريه دريا وداريته اداريه مداراة والدرية بعير يقعد عنده الصائد يستتر به فيجيء الصيد فيأنس بالبعير فيرميه من قريب وكان الحسن يقول المداراة تستجلب مودة القلوب فتخدعهم فى عقولهم وفى الحديث أحب الناس تحببا الى الله أكثرهم تحببا الى الناس وفيه اذا أحب الله

فقال مه أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيب فقلت والله ما أدرى أأعجب من تسليك عن أناسك ومسقط راسك أم من خطابتك مع ادناسك ومدار كاسك فأشاح بوجهه عنى ثم قال اسمع منى
لا تبك الفا نأى ولا دارا
ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا
ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره
وداره فاللبيب من دارى

عبدا حبيه الى الناس *(وقال ابن عبد ربه)*

وجه عليه من الحياء مهابة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبدا حببه الى الناس واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك وقال بعضهم أتيت الخليل فوجدته على طنفسة صغيرة فوسع لى فكرهت أن أضيق عليه فتأخرت فأخذ بعضدى وقدمنى الى نفسه وقال لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الارض متباغضين أخذه ابن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى مباغضة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولابى محمد بن أبى الوليد المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

(ولابن الزقاق)

ألا ادن وان ضاق الندى فانه * رحيب بود ضمنته الاضالع
يضيق الفضاء عن صاحبين تباغضا * وسم خياط بالحبيبين واسع

(وقال التهامى)

بين المحبين مجلس واسع * والود حال يقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

(فرصة) نهزة وغنيمة (دارا) دهرا وقال السرى

قم فاستصف من صروف الدهر والنوب * واجمع بكأسك بين اللهو والطرب
واخلع عذارك واشرب قهوة مزجت * بقهوة الفلج المعسول والشنب
توج بكأسك قبل الحادثات يدى * فالكأس تاج يد المثرى من الادب

(جائلة) دائرة (كسرى) اسم ملك الفرس وكسرى ملك الملوك أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم كان موصوفا بالعدل معروفا بحسن الرعاية والفضل وشهرته فى كتب الآداب مغنية فى ذكره عن الاطناب قيل كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه وملك تسعا وأربعين سنة وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كان ملكا شديد البطش نافذ الرأى قد بلغ من الظفر ومسالمة الدهر حدا لم يبلغه ملك من الملوك كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة وفى سنة ثلاثين من ملكه بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وحدث خالد بن ربوة وكان رأسا فى المجوس فأسلم قال كان كسرى اذا ركب ركب معه رجلان فيقولان له ساعة ثم أنت عبد ولست برب فيشير برأسه أن نعم فركب يوما فقالا ذلك له فلم يشر برأسه فشكواه الى صاحب الشرطة فركب ليعاتبه وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب فى أذنه استيقظ فدخل عليه صاحب الشرطة فقال أيقظتمونى انى رأيت كأنه رقى بى فوق

ولا تضع فرصة السرور فما
تدرى أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة
وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة
ما كثر عسكر الحياة ومادارا
فكيف ترجى النجاة من شرك
لم ينج منه كسرى ولادارا

سبع سموات فوقفت بين يدي الله تعالى واذا رجل بين يديه عليه ازار ورداء فقال لي سلم مفاتيح خزائن الارض الى هذا ألست المأمور بكذا فلم تفعل واني أردت أن أقولها فأستردها منه فأيقظموني وصاحب الازار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس وكتب له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم فان أبيت فان اثم المجوس عليك فلما قرأ الكتاب شقه وقال يكتب الي بهذا وهو عبدي فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق الله ملكه أو قال اللهم مزقهم كل ممزق ثم كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين جلدين يأتياني به فبعث باذان قهرمانه وكان كاتبا حاسبا وهو بابومة وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال لبابومة ويلك انظر من الرجل وكلمه واتني بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فسألا عنه فقالوا هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف وقالوا نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابومة وقال ان شاهانشاه ملك الملوك كسرى كتب الى باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي فان فعلت كتبت فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك فقال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في ليلة كذا في شهر كذا بعد ما مضى من الليل كذا سلط الله عليه ابنه فقتله فقالا هل تدري ما تقول فانا قد خفنا منك ما هو أيسر من هذا أفنكتب به عنك ونخبر الملك قال نعم أخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له ان أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك واني لأرى الرجل نبيا فان كان ما قال حقا فهو نبي مرسل فان لم يكن فسأرى فيه رأيا فلم يلبث ان قدم عليه كتاب شيرويه وفيه أما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس بما كان استحل من قتل اشرافهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الى الرجل الذي كتب لك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه فقال باذان ان هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت الابناء من فارس وكسرى أنوشروان هو الذي بنى سور الابواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادنته الملوك وكاتبته وهو الذي افتتح كثيرا من بلاد الشأم الرومية ونقل منها الرخام الى العراق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد لاثنتين وعشرين سنة من ملكه وقيل انه ولد في آخر ملكه كما قدمنا ثم ولي من بعده ابنه هرمز وكان مضعفا غزته الملوك وطمعت فيه ثم خلعته الفرس وسملت عينيه وعقدا الملك لابنه ابرويز في حياته فبعد حروب شديدة اجتمع لابرويز أمره وكان وزيره بزرجمهر أكثر الفرس حكما ومواعظ وفي ملكه كانت وقعة ذي قار بين بكر بن وائل والهامرز صاحب أبرويز لاربعين سنة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم

وقيل انها كانت فى غزوة بدر وقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصرت وكان على مربط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل فخرج فى أحد أعياده وقد صفت له الجيوش وأحدقت بمائة ألف فارس دون الرجالة وصفت له الفيلة فلما بصرت به سجدت له فما رفعت رؤسها حتى رفعت خراطيمها بالمحاجن فأعلم بذلك وقال وددت أنها فارسية ولم تكن هندية انظروا الى أدبها من بين سائر الدواب ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالاسلام قال الالبيرى

قطف البلاد لكى ترى آثار من * قدكان يعمرها من الاقيال
عصفت بهم ريح الردى فذرتهم * ذرو الرياح الهوج حقف رمال
فتقطعت أسبابهم وتمزقت * ولطالما كانوا كنظم لآلى

قيل لابرويز وكان حكيما ماشهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الابد قال أما فى الدنيا فمشاهدة الاخوان وأما فى الآخرة فنعيم الجنة ونظر الى قذاة فى طعام فدعا الطباخ فقال ماهذا فقال حاولته بالليل فى وقت لم يكن فيه ماء معين فأمر بضرب عنقه فغضب الطباخ وقال يا ابن الاشتوربان تفسيرها يا ابن سائس الدواب فعفا عنه وقال انا معشر الملوك نعاقب فى الصغير ونعفو عن الكبير *وأما دارا بن دارا بن بهمن وهو آخر ملوك الفرس الاول فانه كان ضخم الملك ذا قدرة ومكانة وهو الذى بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا بجرد وكانت جنده ستمائة ألف ولقيه الاسكندر بالجزيرة فدارت بينهم الحروب أربعين يوما وخندق دارا على عسكره خمس خنادق وجعل على كل خندق اثنى عشر ألف رجل وكانت النوبة لاتصيب الرجل الا يوما فى كل خمسة أيام فوجد الاسكندر من ذلك وجدا شديدا فبعث الى دارا انا كدنا نتفانى ورأيت رأيا فيه البقاء لنا ولك وذلك أن تفرج لى فأخرق صفك خرقا الى جانب بلادك وأرجع الى بلادى فانا لانرى الفرار من الزحف وهو عار لايغسل فأجابه دارا الاسبيل الى ذلك فلما رأى الاسكندر ذلك وضع البرنس وحسر عن رأسه وقال يامعشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار هل فيكم من يحتال لى فى هذا الامر وله نصف مال الروم والعجم ونصف مافى بيوت الاموال فقد أدركتنى الحيسة فبلغ الخبر الى صاحب حرس دارا فقال أنا أفعل ذلك وآخذ مالا عظيما فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة فى ظهره فوقع على الارض وانهزم عسكر دارا فجاء الاسكندر ووضع رأس دارا فى حجره ومسح التراب عن وجهه وقبله وبكى وقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلك على يدى ولا على يد أحد من جندى فسل ما بدالك أقضه فقال له دارا من حاجتى عندك أن لاتخرب بيوت النيران وأن تنصفنى من قاتلى قبل موتى فانه ان بقى عندك سيكفر معروفك كما كفر معروفى فقال له الاسكندر حاجتى عندك أن تزوجنى بنتك روشنك فقال دارا على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها فأجابه الى ذلك وزوجه ابنته وأخذ الاسكندر قاتله وقطعه أربع قطع واستولى على جميع مملكته وملك دارا أربع عشرة سنة وقيل ست سنين وقسم الاسكندر غنائم عسكره فى ثلاثين يوما وشاور الاسكندر معلمه ارسطاطاليس فى أن يقتل من بقى من الفرس فقال له لاتفعل ولكن ول على كل جهة شريفا من أهلها فيتنافسون فلا يجمعهم

(ذكر دارا)

ملك

ملك أبدا فذهل نهم ملوك الطوائف حتى انتزع اردشير منهم الملك وقال ان كلمة فرقتنا خمسمائة
سنة وتسع عشرة سنة يعني كلمة ارسطاطاليس لكاممة بالغة وملوك الفرس الاول ستة عشر ملكا
وملوك الفرس الثواني اثنان وثلاثون منهم امرأتان وملك بعد اردشير سابور وهو من عظمائهم
فتح الحصون ومدن المدن وبنى الايوان وهو بالجانب الشرقي من المدائن وهو من عجائب البنيان
وعجائب الفرس كثيرة وفي هذه النبذة غنية توافق ماشرطناه (قوله اعتورتنا) أى قصدتنا ودارت
علينا (الغموس) الشديدة وهى في الجاهلية التى تغمس صاحبها في العار وفي الاسلام تغمس
صاحبها في الاوزار والغمس ارتباط الشئ في الشئ في ماء أو صبغ حتى اللقمة في الخل والغموس
قيل انها اليمين التى يقطع بها الرجل حق غيره فيحلف كاذبا * الليث رحمه الله هى اليمين التى
لا استثناء فيها وفي الحديث اليمين الغموس تدع الديار بلاقع أى قفرا فارغة من كل رزق
و (الناموس) اظهار فعل الخير وتنامس الرجل اذا اظهر عملا لا يعتقده وأصل النمس الستر وكل شئ
سترت به شيأ فهو ناموس له وناموس الرجل صاحب سره ويقال لصاحب سر الخير ناموس
ولصاحب سر الشر جاسوس قال أبو عبيدة هما بمعنى * غيره الناموس صاحب سر الملك وقد نمس
ينمس نمسا ونامسته منامسة (مرامه) مطلبه ومراده (رعيت ذمامه) حفظت حقه ومابيني
وبينه مما يجب ان يراعى (الملا) الجماعة (الفضيل) هو ابن عياض التميمي كنيته أبو علي وهو ممن
شهر بالزهد والخير وهو من رجال رسالة القشيري قال صاحبها أبو علي خراساني من ناحية مرو
ولد بسمرقند ومات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وكان شاطرا يقطع الطريق وسبب توبته
أنه عشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدار اليها اذ سمع تاليا يتلو ألم يأن للذين امنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فقال يارب قد آن فرجع فأوى الى خربة فاذا فيها رفقة فقال
بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا في الطريق فيقطع علينا فأمنهم وسار معهم حتى
بلغوا وجاور الحرم وقال الفضيل اذا أحب الله عبدا أكثر همه واذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه
وقال الكامل المروأة من بر والديه وأصلح ماله وأنفق من فضله وأكرم اخوانه وحسن خلقه ولزم
بيته وقال اذا رأيت الليل مقبلا فرحت وقلت أخلو بربي واذا أبصرت الصبح استرجعت كراهة
أن يجئ من يشغلني واطلع عليه بعض اخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعا فقال ياهؤلاء ليس
هذا زمن حديث انما هو زمن احفظ لسانك وعالج قلبك وأخف مكانك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر وقال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم
الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثيابه وقال ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس
هو الشرك وقال أبو علي سليمان الداراني صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا
متبسما الا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال ان الله تعالى أحب أمرا فأحببته وقال انى
لاعصى الله فاعرف ذلك في خلق حماري وأخباره كثيرة وهذه اللمعة دالة عليها (قوله سدلت) أى
أرخيت (مخازي) قبائح ومايخزى عليها فاعلها والمطلع على فعله (دأبه ودابي) عادته وعادتي (ابابي)
رجوعي (مصر) مقيم (التدليس) تلبيس الامر وكتمان العيب ويشبه عذل ابن همام السروجي
في شرب الخمر ثم مساعدته اياه بعد لومه وشربه معه قول ابن أبي ربيعة وهو أحسن ماقيل
في المساعدة

قال فلما اعتورتنا الكؤس
وطربت النفوس جرعى
اليمين الغموس على أن أحنط
عليه الناموس فاتبعت
مرامه ورعيت ذمامه
ونزلته بين الملا منزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازى
الليل ولم يزل ذلك دأبه
ودابي الى أن تهيأ ايابي
فودعته وهو مصر على
التدليس وسر حسو
الخندريس

وخل كنت عين النصح منه * اذا نظرت ومستمعا سميعا
أطاف بقبنية فنهيت عنها * وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدي فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وقال اعرابي وكنت اذا علقت حبال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي * مشيئتهم وأترك ما أشاء

(شرح المقامة التاسعة والعشرين وهي الواسطية)

(الجائي) اضطرني (قاسط) جائر (أنتجع) اقصد لطلب الرزق (واسط) بلد معروف بناه الحجاج وسط المسافة التي بين البصرة والكوفة منها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا وسكنه ومات فيه وقال اليعقوبي واسط مدينتان على حافتي دجلة فالمدينة القديمة التي هي منازل الدهاقين هي الشرقية من دجلة وهي مدينة كسكر وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسرا من السفن وبنى بها قصره والقبة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع وعليها سور ونزلتها الولاة بعد الحجاج وهي بين البصرة والكوفة والاهواز متوسطة فسميت واسط بذلك قال الطبري خرج الحجاج يرتاد منزلا لاهل الشام فأمعن حتى نزل اطراف كسكر فبينما هو كذلك اذ هو براهب قد أقبل على أتان له فعبر دجلة فلما كان بموضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول وحمله حتى رمى به دجلة وذلك بعين الحجاج فقال علي به فلما أتاه قال ما حملك على ما صنعت فقال انا نجد في كتبنا انه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام أحد في الارض يوحد فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع وذلك سنة ثلاث وثمانين (قوله سكنا) أي صاحبا يسكن اليه ويؤنس به و(المسكن) المنزل الذي يسكن فيه (البيداء) الصحراء أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالحوت في الصحراء و(اللمة) الجمة من الشعر تلم بالمنكب (فادني) ساقني (الحظ) النصيب و(الجد) السعد (الناكص) الراجع الى خلفه يريد ان سعده يمشي الى جهة خلف ونكص ينكص رجع القهقرى (خان) فندق و(الشذاذ) الغرباء الذين شذوا عن أوطانهم اي فروا منها وبعدوا والشذاذ التفرق وكلمة شاذة مفترقة من جنسها وشذ الرجل انفرد عن أصحابه و(الآفاق) النواحي (اخلاط الرفاق) من لا يختص منهم ولا يتعين (ايطانه) سكناه (هوى أوطانه) حب بلاده (استفردت) سكنته منفردا و(الحجرة) البيت (أنافس) أغالي من قولهم نفست عليه بالشيء اذا ضننت به ولم تحب أن يصير اليه (لمح الطرف) نظر العين (بيت بيت) أي بيته ملاصق بيتي وهما اسمان جعلا كاسم واحد وبنيا على الفتح (نزيله) النازل معه (جدك) سعدك (ضدك) عدوك المخالف لك (البدري) الابيض المستدير كالبدر يريد الرغيف شبهه بالبدر في بياضه واستدارته وقال ابن الرومي مررت بخباز يبسط الرقاق كاسرع من رجوع الطرف ما بين أن ترى العجين في يده كالكرة حتى ينداحي فيصير كالقمر الامقدار لحظة فشبهت سرعة انبساطها بسرعة الدائرة في الماء يقذف فيه بالحجر فقلت

ما أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاق كوشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر

(المقامة التاسعة والعشرون الواسطية)

(حكى الحرث بن همام) قال ألجأني حكم دهر قاسط الى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في ايطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم أنافس في أجرتها فكان الا كلمح طرف أو خطف حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله في البيت قم يا بني لاقعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه البدري

(ذكر مدينة واسط)

الابقـدار ماتنـداح دائرة ، فى صفحة الماء يرمى فيـه بالحجر

ويتعلق بهذا ماقيـل من الشعر فيمن ايس له نباهة من الغلمان كان ابن وضاح جالسا مع جلة من الادباء فمر بهم غلام ظريف يبيع الخبز فلم يتجه لاحد فيه شئ الا ابن وضاح فانه قال

خازن الخبز ظريف * عذبت فيه الحتوف

خامل الانساب لكن * هو فى الحسن شريف

خصره أهيف سحت * وكذا الغزلان هيف

من يخاصم قلبه * حكمت فيه السيوف

(نظر ادريس بن اليمانى الى غلام وسيم يا اما ابيه اسمعيل فقال)

نسيم يا اظلماء وهو صباح * وامرض بالاجفان وهى صحاح

وطل فؤادى طائرا عن جوانحى * وليس له الا الغـرام جناح

قضيب صباح فى وشاح دجنة * ألا ليتنى تحت الوشاح وشاح

ولا عجب أن أفسدتنى جفونه * فكل فساد فى هواه صلاح

(وقال الرصافى)

يقولون لى يوما وقد مر صاربا * بمعوله ضرب المرجم بالغيب

تعلم صـفارا فقلت استعارها * غداة تزيا من صبغة العاشق الصب

يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا * بكفيه عند السبك والمد والضرب

فحمرته مشتقة من حيائه * وصفرته مما يخاف من العتب

(قوله الدرى) الابيض الذى يشبه الدر فى لونه و يقال كوكب درى منسوب الى الدر شبها به لصفائه وحسنه بضم الدال وتشديد الياء ودرىء بالضم والهمز ودرىء بكسر الدال مع الياء مع الهمزة ودرىء بالفتح والهمز فمن كسر وهمز فهو فعيل من درأ الكوكب اذا جرى فى أفق السماء ومن كسر بلا همز فلاجل الياء بعد الراء ومن ضم وهمز خطأه الفراء قال فعيل ليس فى ابنية العرب وأثبته سيبويه قال أبو عبيدة أصله درى مثل سبوح فجعلوا الواو ياء وجعلوا الضمة قبلها كسرة ومثله عتو وعتى (قوله الاصل النقى) يعنى القمح الذى صنع منه كان نقيا من الزبل وغيره و(شقاء جسمه) قد فسر فى التاسعة عشر وهو الآن يبين بعض شقائه (فقبض ونشر) وقت العجن أو وقت الخبز لانه يقطع قبضة ثم يبسط للخبز (سجن) خزن قمحه فى المخازن (وشهر) أبرز منها للسوق وشهر على الناس أو يكون سجنه الفرن وشهرته البيع فى السوق أو عندما يطاف به على الاسواق وقال المعرى يلغز فى القمح

وسمراء فى بيض الحسان شريتها * بصفر من العين الشبيهة بالشمس

وقد غيبت فى الخدر عصرا مصونة * محجبة عن أعين الجن والانس

فلما بدت عنه بدت سمة النوى * عليها ولم تجزع لحادثة الامس

فأهـلا بأنى لم ترد يد لامس * بسوء ولا أبدت نفارا من اللمس

(سقى) جعل الماء عليه للعجين (فطم) قطع عنه الماء (لطم) سوى بالكف وعامتنا تشدد الطاء (أركض) أسرع (المشوق) الكثير الشوق وشاقك الشئ يشوقك اذا هاجك (قابض) عاوض

والاصل النقى والجسم الشقى الذى قبض ونشر وسجن وشهر وسقى وفطم وأدخل النار بعد ما لطم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقابض

والنيل الممنع الذى اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث فى الخرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق الاصدر الصادر برز فتى يميس وما معه أنيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول وتعرى بالدخول فى الفضول فانطلقت فى اثر الغلام لاخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعى العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند الرواح الى حارة القدّاح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنها سروجية وان لم أسأل وما كذبت أن بادرت الى الخان منطلق العنان لاتطركنه فهمى وهل قرطس فى التكهن سهمى فاذا أنا فى الفراسة فارس وأبو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتقارضنا تحية الاصدقاء ثم قال ما الذى نابك حتى زايلت جنابك فقلت دهر هاض وجور فاض فقال والذى أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعمّ العدوان وعدم المعوان والله المستعان فكيف أفلت وعلى أى

وقايضت الرجل فعلت معه ما يفعل معك (اللاقح) فى الاصل الناقة يعلوها الفحل فتحمل منه ولقحت حملت و الملقح الفحل يعلوها عند السفاد وقد بين انه يريد حجر الزند جعله لاقحا لانه حامل بالنار وملقحا لان به تخرج النار من الزند فكأنه القحه بالنار أى جعلها فيه والزند أيضا لاقح ملقح لان النار لا توجد فى واحد منهما على انفراده والنار تصلح فى موضع وتفسد فى آخر فلذلك وصفه بهما (المعنى) المتعب باحراقه (المروّح) المدخل الراحة باصلاحه وان جعله للزند فمعنى اذا شحّ ومروح اذا أورى ونحوه (المكمد) أى المحزن (المفرّح) ضده (الزفير) التنفس وزفرة الجمر هى النار وهى تحرق كل ما تعلقت به وهو (الجنين) أى المستور فى الحجر فاذا ظهر أشرق وأضاء و (اللفظ) صوت الجمر فى الزند فاذا أبدى النار أقنعك واكتفيت به وهو (نيله) أى عطاؤه و (الممنع) الكثير وقليل النار كثير وقد قال الاعرابى انّ السقط يحرق الدوحة أراد ما يسقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر الكثير الملتف (طرق) ضرب (رعد) صوّت (برق) لمعت ناره (باح) أظهر ما بسرّ فيه (الحرق) التهاب القلب بالهم فكنى به عما فى الجمر من النار (نفث) برق (الخرق) التى تسقط فيها نار الزند وهذه ألفاظ كلها متقاربة بعضها يفسر بعضا لانها من مليح الكلام (قرّت) سكنت (الهادر) الفحل و (شقشقته) ما يخرج من لهاته وتقدمت فى الاولى ويزعمون انها لا توجد عند نحر الفحل وكذلك بيضه لا يوجد قال وأنشد بشر بن المعتمد

خصيته تبطل من حطمه * عند حدوث الذبح والنحر
ما ان يرى الراؤن من بعدها * شقشقة مائلة الهدر

وأراد به سكت المتكلم (صدر الصادر) خروج الخارج من الماء بعد شربه (برز) خرج (يميس) يتبختر ويتثنى (عضلة) داهية وأمر صعب (تعرى) تحرض وتلصق (فحوى) معنى (يسعى) يجرى (العفاريت) شر الشياطين وأدهاها (نضائد) ما جعل شيأ على شئ (الرواح) العشى (القدّاح) حجر الزند تقدح النار منه (ناول) أعطى (لطيفا) دقيقا (فطانة) ذكاء (وما كذبت) أى ما خببت (منطلق العنان) مسيب حيث شاء (كنه) حقيقة (قرطس) أصاب الغرض مرة بعد أخرى والقرطاس يجعل غرضا فاذا تولى ضربه قيل قرطس و (التكهن) الحديث بما يكون (والفراسة) النظر بالظن (وصيد الخان) فناء الفندق وقيل بابه أوصدت الباب أغلقته وقيل عتبة بابه (تهادينا) أهديته وأهدانى (البشرى) السرور أى فرح كل واحد منا بصاحبه فتهادينا البشرى (تقارضنا) اندفعنا بالسلام يريد حالة الصديقين اذا التقيا بعد سفر فيبالغ كل واحد منهما فى سلام صاحبه ويتابعه و (التحية) السلام ومنه التحيات لله ومنه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أى سلم عليكم وقيل التحيات الملك وكان الملك يحيا بأنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل معناه البقاء لله وقال زهير بن خباب

من كل ما نال الفتى قد نلته * الا التحية من الله قادر

أى البقاء (نابك) نزل بك (جنابك) بلدك وناحيتك والجناب فناء الدار (هاض) كسر (فاض) كثر (الغمام) السحاب (والثمر) الثمار و (أكمامها) ما يكون فيها ثمرها وكل ما وارى شيأ فهو كمام له وكم (عم) شمل (العدوان) الفساد (المعوان) ما يستعان به وقال الشاعر

لله دراببك أى زمان * أصبحت فيه وأى أهل زمان

كل

كل يدانيك المحبة جاهلا * يعطي ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل * مالت مودته مع الرجحان

(وقال ابن لنكك)

نحن مع الدهر في أعاجيب * فنسأل الله صبر أيوب
أقفرت الارض من محاسنها * فابك عليها بكاء يعقوب

(وصفيك) حاليك من الخير والشر وهي حالة السفر (اجفلت) هربت مسرعا والاجفال الهروب ثم قال مشيت في ظلام الليل فصار لي كالقميص (ادلجت) مشيت في السحر (خميصا) جائعا (أطرق) أمال رأسه ساكتا (ينكت) يخط في الارض (ارتياد) طلب (القرض) من العطية ما قرضت على نفسك عطاءه على أن لا تجازى عليه و (القرض) ما أعطى من غير فرض قال الحريري القرض بالقاف ما يستعاد عوضه والفرض بالفاء ما لا عوض فيه وأنشد في الدرة لابي عبد الله النمري يرثي أبا عبد الله الازدي

مضى الازدي والنمري يمضي * وبعض الشكل مقرون ببعض
أخي والمجتني ثمرات ودي * وان لم يجز في قرض وفرض
وكانت بيننا أبدا هنات * توفر عرضه فيها وعرضي
وما هانت رجال الازد بعدي * وان لم تدن أرضهم من أرضي

الهنات كناية عن المنكرات فأراد أنه أمال رأسه الى الارض مفكرا وجعل يخط فيها بيده أو بعود وهو فعل المهموم الكثير الفكر كما قال امرؤ القيس

ظللت ردائي فوق رأسي قاعدا * أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

فلم يرد أنه يعدها ليعلم كم فيها وحاله من البكاء والحيرة تنفي الثبات على العدد وانما أراد أنه كان يعبث فيها بيده اشتغالا وفي قلبه من الهم ما غلب على الصبر وقد بالغ ذو الرمة في بيان هذا المعنى بقوله

عشية مالي همة غير أنني * بلقط الحصى والخط في الدار مولع
أخط وأمحو تارة وأعيده * بكفي والغربان في الدار وقع

(وقال ابن جعيل في ذلك)

لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم * عند السؤال كأحسن الالوان

(وقال الشريف الرضي فأحسن)

تفري أنامله التراب تعللا * وأناملي في سني المقروع

(قوله أكثبه) أي دنا منه (قنص) صيد (فرص) جمع فرصة وهي كالغنيمة (يأسو) يطب (يريش) يجعل عليه الريش (الغل) الزوجة هنا وقالت عائشة رضي الله عنها انما النساء اغلال فلينظر أحدكم غلا يجعل في عنقه وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق غل قمل وعوتب الكسائي في ترك التزوج فقال وجدت معاناة العفة أيسر من معاناة العيال (القل) القلة (وضل بن ضل) مجهول لا يعرف وفلان ضل اذا كان مجهولا متمكنا في الضلال (المشير بك والي) يقال أشار به اذا رفعه وأشار النار وأشار بها وشورها أي رفعها فمعنى انا المشير بك أي ارفع قدرك واعظم منزلتك أي

وصفيك أجفلت فقلت ثم اتخذت الليل قميصا وادلجت فيه خميصا فأطرق ينكت في الارض ويفكر في ارتياد القرض والقرض ثم اهتز هزة من أكثبه قنص أو بدت له فرص وقال قد علق بقلبي أن تصاهرن بأسوا جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف أجمع بين غل وقل ومن الذي يرغب في ضل بن ضل فقال أنا المشير بك والي

أنى عليك بخير في غيبتك عند اصهارك والمشير اليك اذا حضرت أشرت اليك ان تتزوج فيهم اذا رأيتهم أكفاءك (والوكيل لك) عليهم حتى يزوجوك والوكيل عليك لتمتثل ما آمرك به من الزواج فيهم حسبنا الله ونعم الوكيل قيل فيه الكافى هو قال الفراء يكون المعنى كافينا الله ونعم الكافى كقولك رازقنا الله ونعم الرازق ابن الانبارى وهو أحسن فى اللفظ من قولك كافينا الله ونعم الوكيل (دينهم) عادتهم (جبر) اصلاح (فك) حل (احترام) اعزاز وتقريب وهو افتعال من الحرمة أى يجعلونه فى حرمتهم (العشير) الصاحب (استنصاح المشير) أى من أشار عليهم بشئ رأوه ناصحا (ابراهيم بن أدهم) هو من شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيرى قال صاحبها فنهم أبو اسحق ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخى من كورة بلخ من أبناء الملوك وحدث ابراهيم بن بشار قال صحبت ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخى بالشأم فقلت له يا أبا اسحق خبرنى عن بدء أمرك كيف كان فقال كان أبى من ملوك خراسان وكنت شابا فركبت يوما على دابة ومعى كلب وخرجت الى الصيد فاثرت ثعلبا فبينا أنا فى طلبه اذ هتف بى هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل مثل ذلك ثلاث مرات ثم هتف بى من قربوس السرج لا والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت قال فنزلت وصادفت راعيا لابى فأخذت منه جبة من صوف فلبستها وأعطيته الفرس وما كان معى ثم دخلت البادية متوجها الى مكة فبينا أنا يوما فى مسيرى اذا برجل يسير وليس معه اناء ولا زاد فلما أمسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لا أفهمه واذا أنا باناء فيه طعام واناء فيه شراب فأكلت وشربت وكنت على ذلك معه أياما وعلمنى اسم الله الاعظم ثم غاب عنى وبقيت وحدى فبينا أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا أنا بشخص آخذ بحجزتى فقال لى سل تعط فراعنى صوته فقال لا روعة عليك ولا بأس أنا أخوك الخضر ان أخى داود علمك اسم الله الاعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شحناء فتهلكه ولكن ادع الله به ان يقوى ضعفك ويؤنس وحشتك ويجدد به فى كل يوم نيتك ورغبتك ثم تركنى وانصرف وصحبه سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشأم ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وكان كبير الشأن فى الورع وقال أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وكان عامة دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك الى عز طاعتك وقال لرجل فى الطواف اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات وهى أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة وتغلق باب العز وتفتح باب الذل وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر وتغلق باب الامن وتفتح باب الاستعداد للموت وقال محمد بن المبارك الصورى كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت الصلاة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولنى الاخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت قصيرة فلما رجعنا مررنا بها وهى شجرة عالية ورمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين وركب ابراهيم فى مركب فهاجت ريح شديدة فلف ابراهيم رأسه بعباءة وطرح نفسه مع

(ترجمة ابراهيم بن أدهم)

والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير وفك الاسير واحترام العشير واستنصاح المشير الأيهم أو خطب اليهم ابراهيم ابن أدهم

الناس فسمعوا صوتا من البحر يقول لاتخافوا فيكم ابراهيم بن أدهم وصاح الناس فى المركب أين ابراهيم بن أدهم ثم سكنت الريح فخرج وماعرفوه وقال له رجل من أين كسبك فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ، فلا ديننا يبقى ولامانرقع

(ترجمة جبلة بن الايهم)

وأخباره فى كتب التصوف كثيرة تطول (وأما جبلة بن الايهم) بن جبلة بن الحرث الاوسط بن ثعلبة بن الحرث الاكبر بن عمرو بن جفنة وفى نسبه اختلاف وهو آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبرا فاذا ركب مسح الارض بقدميه ولما أراد ان يسلم كتب الى عمر ليستأذنه فى القدوم عليه فسر بذلك وكتب اليه ان اقدم فلك مالنا وعليك ماعلينا فخرج فى مائة فارس من عك

أو جبلة بن الايهم

وجفنة فلما دنا الى المدينة ألبسهم ثياب الوشى المنسوجة بالذهب الاحمر والحرير الاصفر وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها أطواق الذهب والفضة ولبس تاجه وفيه قرط مارية فلم يبق فى المدينة الا من خرج اليه وفرح المسلمون بقدومه واسلامه ثم حضر الموسم مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من فزارة فحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزارى عمر فقال ماد عاك الى أن لطمت أخاك فقال انه وطئ ازارى ولولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى فيه عيناه فقال له عمر أما أنت فقد أقررت فاما أن ترضيه واما أن أقيده منك قال أتقيده منى وهو رجل سوقة قال قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية قال قد رجوت ان أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال هو ذاك قال اذا أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة فقال جبلة أنظرنى الى غد يا أمير المؤمنين قال ذلك اليك فلما كان فى جنح الليل خرج فى أصحابه الى القسطنطينية فتنصر وأعظم هرقل قدومه وسربه وأقطع له الاموال والرباع فلما بعث عمر رضى الله عنه رسوله الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابه الى المصالحة ثم قال للرسول أرأيت ابن عمك الذى أتانا راغبا فى ديننا يعنى جبلة قال لا قال القه ثم ائتنى وخذ الجواب فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والبهجة مثل ما على باب قيصر قال فتلطفت فى الاذن حتى دخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به أسود اللحية فأنكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير فلما عرفنى رفعنى معه على السرير وجعل يسائلنى عن المسلمين فقلت قد أضعفوا أضعافا على ماتعرف وسأل عن عمر رضى عنه فقلت بخير حال فاغتم بسلامة عمر فانحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولاتبال علام قعدت فطمعت فيه عند صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ويحك ياجبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعدما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد وضرب أوجه المسلمين بالسيف ثم أسلم وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما قال زدنى من هذا ان كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن الخلافة فأومأ الى وصيف بين يديه فذهب مسرعا فاذا مواثد الذهب قد نصبت بصحائف الفضة فقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن

نق قلبك وكل فيما أحببت فأكل فى الذهب والفضة وأكلت فى الخلنج ثم جيء بطشت من الذهب فغسل فيها وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم عن يمينه فذهب مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره واذا عشر جوار فى الشعور عليهن ثياب الوشى مكسرات فى الحلى فقعدن عن يمينه وقعد مثلهن عن يساره واذا بجارية قد خرجت كالشمس حسنا وعلى رأسها تاج عليه طائر وفى يدها اليمنى جامة وفيها مسك وعنبر فتيت وفى يدها اليسرى جامة فيها ماء الورد فصفرت بالطائر فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم وقع فى جامة المسك فتمرغ فيه ثم طار فوقع على صليب فى تاج جبلة فرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجوارى اللاتى عن يمينه بالله أضحكننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن يقلن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه نقية أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

فضحك ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للاتى عن يساره بالله أبكيننا فاندفعن بعيدانهن يغنين

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أعلى اليرموك والصمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر محلا لحادثات الزمان
قد أرانى هناك دهرا مكينا * عند ذى التاج مجلسى ومكانى
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم * يوم حلوا بحادث الجولان
ودنا الفصح فالولائد ينظمـ * ـن سراعا أكلة المرجان

فبكى حتى سالت الدموع على لحيته ثم قال لى وهذا لحسان أيضا ثم أنشأ يقول

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم ثم أمر بمال وكسوة ونوق موقورة برا وقال أقرئه سلامى وادفع له هذا وان وجدته ميتا فادفعه الى أهله وانحر الجمال على قبره فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر فقال هلا ضمنت له الامر فاذا أسلم قضى الله علينا بحكمه ثم بعث الى حسان فأقبل وقد كف بصره فلما دخل قال يا أمير المؤمنين انى وجدت ريح آل جفنة قال نعم هذا رجل أقبل من عنده قال هات يا ابن أخى ما بعث به الى معك قلت وما علمك قال انه كريم من عصبة رجال كرام مدحتهم فى الجاهلية فحلف أن لا يلقى أحدا يعرفنى الا أهدى الى معه شيأ فدفعته اليه وأخبرته بأمره

فى الابل فقال وددت انى كنت ميتا فنحرت على قبرى ثم أخذها وانصرف وهو يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر - لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هو ربها - كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم
فأتيته يوما فقرب مجلسى * وسقى ورو انى من الخرطوم

وذكر الثعالبى أن رسول عمر لما أرسله الى قيصر قال وأمرنى ان أضمن لجبلة ماشرط فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء قد غلب عليه وحدثت أن صاحب بر طونة اليوم من ذريته وذكر الثعالبى أنه وجد للصابى فصلا من كتاب استظرفه جدا بذكر صلة وصلت اليه من الصاحب وهو وصل أطال الله بقاء سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين فعرجا على مسلمين وعاجا على مسايلين فحين عرفتهما وقبل أن أرد السلام عليهما مددت اليد الى ما معهما كما مدها حسان بن ثابت الى رسول جبلة ابن الايهم ثقة منى بصلته وشوقا الى تكرمته واعتمادا لاحسانه والفا بموارد انعامه وتيقنا أن الخطرة فى على باله مقرونة بالنصيب من ماله وان ذكراه لى مشفوعة بجدواه *رجع ما انقطع فيريد أنه لو خطب لهؤلاء القوم ابن أدهم على زهده وفضله أو ابن الايهم على ملوكيته وعزته لسوّوا بينهما فى الصداق اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى الترمذى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا تغالوا صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله لكان أولاهم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم وما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه على أكثر من اثنتى عشرة أوقية قال ابن عيينة والاوقية عند أهل العلم أربعون درهما واثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما وفى غير الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تياسروا فى الصداق وكانت صدقات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على عظم قدره وعلوهمته اثنتى عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهما فذلك خمسمائة درهم وروى عن عمر رضى الله عنه أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا لا تغالوا صدقات النساء فانه لا يبلغنى عن أحد أنه ساق أكثر من شئ ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق اليه الا جعلت فضل ذلك فى بيت المال فعرضت له امرأة فقالت يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك قال كتاب الله تعالى قال فيم ذلك قالت الله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أفقه من عمر ثم رجع الى المنبر فقال انى كنت نهيتكم عن أن تغالوا فى صدقات النساء فليفعل كل رجل منكم فى ماله ما أحب فرجع عمر عن اجتهاده الى ما قامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله فى نفسه فأصدق أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم أربعين ألفا والقنطار ألف دينار ومائتا دينار الا أن المياسرة فى الصداق أحب عند أهل العلم من المغالاة *ومن الملح فى صداق خمسمائة ما حدث به ابن أبى شيبة قال كان حجاج جارنا فسمعته يقول لابيه تزوجت أمى على خمسمائة درهم وبقيت أنا لك ربحا فقال له أبوه من سخنة عين هذا الربح أخشى (قوله مهر) يقال مهر المرأة يمهرها وأمهرها عين لها مهرا (لن تطالب بصداق) أى أن القصة ليس لها حقيقة فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق (حشدك) جمعك وأصله مصدر

(ذكر مغالاة الصدقات)

لما زوجوه الاعلى خمسمائة درهم اقتداء بما مهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن تطالب بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم انى سأخطب فى موقف عقدك وبجمع حشدك خطبة لم

حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا وقال أبشر باعتاب الدهر واختلاب الدر فقد وليت العقد وأكفلت النقد وكأن قد ثم أخذ في مواعدة أهل الخان واعداد حلواء الخوان فلما امتد الليل أطنابه وأغلق كل ذي باب بابه أذن في الجماعة ألا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم الامن لبى صوته وحشر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه الى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع القاس في الراس وخلص الناس من النعاس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقله الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور لينكشفن سر هذا الامر المستور ولينتشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الأمطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها

ثم استعمل لجماعة الناس (تفتق) تشق (رتق) غلق و (السمع) الاذن (ازدهاني) دعاني الى الزهو وهو العجب والكبر أي أعجبت بوصفها (المتلوة) المقروأة و (الخطبة) الزوجة المخطوبة (المجلوة) التي كشف وجهها لينظر اليها (وكلت) أي أسندت (اليك) وجعلتك القائم (الخطب) الامر (طب) أصلح حال العليل فيقول دبر هذا الامر تدبير الطبيب أمر حبيبه اذا كان عليلا وطبه أي عناه وقيل معنى طب حذف بالشئ وجاد فيه ذهنه والطب الحاذق بالامر فيكون معناه دبر أمري تدبير المبير الحاذق أمر حبيبه قال ابن الانباري قولهم من حب طب أي من أحب حذق وفطن واحتال لمن يحب والطب في اللغة الحذق والفطنة ورجل طبيب وطب اذا كان حاذقا وسمي الطبيب لفطنته ومعنى حب أحب وقال البصريون لا يقال حب يحب وجاء عنهم محبوب على فعل لا يتكلم به الكسائي والفراء يقال حببت وأحبب وحب في المثل يدل على صحته والبصريون يقولون حب اتباع لطب (مهرولا) مسرعا (متهللا) مستبشرا (اعتاب) ارضاء (الدر) اللبن (وليت العقد) اى أعطيت النكاح أي جعلني أبو الزوجة وليا لها (أكفلت النقد) أي جعلت كفيلا على أخذه والكفيل الضامن أو يكون معنى أكفلت ضمن لي وأعطيت كفيلا والنقد المال الحاضر (وكأن قد) اى وكأن نقدا أحضر المال وتيسر النكاح (الخوان) المائدة (اذن) صاح (لبى) أجاب وقال لبيك (الاصطرلاب) آلة للمنجمين يأخذون بها الاوقات (يلحظ) ينظر (التقويم) التعديل (غشي النوم) غطى العيون ونحوها (ضع الناس في الراس) أي اقصد الى عين الخبر وهي كلمة تقال عند التوكيد في العزم على الامر ومعناه اقطع ما تريده من الامر وافصله والذي نظر نظرة في النجوم هو ابراهيم عليه السلام لانه تفكر ما الذي يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم فقال اني سقيم (انتشط) انحل و (العقلة) ما ينشب فيها الانسان فتعقله ويقال لفلان عقلة يعتقل بها الناس وذلك اذا صارعهم عقل أرجلهم و (الوجوم) العبوس والحزن الشديد أراد أنه كان في تقويمه طالع نحس فكان معبسا حزينا فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد استبشر وزال عبوسه وانما عقد هذا النكاح ليلا لان قصده المكر ولانهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله قال بعض العلماء ذهبوا في ذلك الى اتباع السنة في الفال فآثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح تيمنا بما فيه من الهدو والاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار وذهبوا الى تأويل القرآن لان الله سمى الليل في كتابه سكنا وجعل النهار نشورا كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع وقال الشاعر

و يوم الجمعة التنعيم فيه * وتزويج الرجال من النساء

(الطور) جبل موسى عليه السلام الذي آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده (سر هذا الامر) أراد ما أضمره لهم من الخداع انه سينكشف و يتحدث به الى يوم القيامة (جثا) يجثو جثوا جلس على ركبتيه (استرعى) استدعى (الاسماع) الآذان و يقال أرعني سمعك أي اسمع مني واخل أذنيك لاستماع حديثي (قوله مآل) اى ملجا (مطرود) منفي (ساطح) باسط (المهاد) الارض (موطد الاطواد) مثبت الجبال و (الاوطار) الحاجات (مدمر الاملاك) اى مهلك الملوك والاملاك جمع ملك وهذا كما قال عدي بن زيد

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر اذبناه واذدجلة تجبى اليه والخابور
وتفكر رب الخورنق اذ أشرف يوما وللهدى تذكير
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
ثم بعد القلاع والملك والامرة وارتهم هناك القبور
ثم راحوا كأنهم قصب جف فألوت به الصبا والدبور

(وقال الاسود بن يعفر)

ولقد علمت لوان على نافعي * ان السبيل سبيل ذى الاعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها با كرم غنية * فى ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

الاصمعى أصيب فى حفير حول الحيرة تابوت فيه رجل عليه خفان وعند رأسه لوح فيه أنا عبد المسيح بن حيان بن نفيلة

حلبت الدهر أشطره حياتى * ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الامور وكافحتنى * ولم أخضع لمعضلة كؤد
وكدت أنال بالشرف الثريا * ولكن لاسبيل الى الخلود

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك فقال كيف حالك وكان قد أسن فقال ضعف حالى وقل مالى وكثر منى ما كنت أحب أن يقل وقل منى ما كنت أحب أن يكثر قال فكيف أنت فى شعرك فقال والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب وما الشعر الا من نتائج هذه على انى القائل

رأيت المرء تأكله الليالى * كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها عما قليل * ستوفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفى نذرها بك مالى ولك قال يا أمير المؤمنين لا ترع فما عنيت الا نفسى فقال أما والله لتلمن بى وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولارطاة و(التكوير) ادخال الليل على النهار والنهار على الليل وكورت الشئ رددته ولويت بعضه على بعض (هطل وهمل) معناهما صب (الركام) السحاب المتراكم (السؤل) المطلوب (أوسع) أغنى (المرمل) الذى نفد زاده (الارمل) الفقير أو الذى ماتت زوجته والتى مات زوجها يقال لها أرمل وأرملة ومنع قوم أن يقال للفاقد زوجه أرمل وأجازه بعضهم (مداه) غايته (الاواه) ابراهيم عليه السلام وهو من التأوه وهو التوجع والتحزن والنطق بأوّاه أوّاه (صادع) مفسد والصدع الشق فى زجاجة أو حائط (علما) اى اماما يهتدى به (مسددا) مصلحا و(الرعاع) السقاط والضعفة من الناس (ودوسواع) صنمان (حكم) قضى (احكم) أتقن (أصل) ثبت الاصول (مهد) سوى ووطأ (الوعود) جمع وعد

ومكور الدهور ومكررها
ومورد الامور ومصدرها
عم سماحه وكمل وهطل
ركامه وهمل وطاوع
السؤل والامل وأوسع
المرمل والارمل أحمده
حمدا ممدودا مداه وأوحده
كما وحده الاواه وهو الله
لا اله للامم سواه ولا صادع
لما عدله وسواه ارسل
محمدا علما للاسلام واماما
للحكام ومسددا للرعاع
ومعطلا أحكام ود وسواع
أعلم وعلم وحكم وأحكم
وأصل الاصول ومهد
وأكد الوعود

وأوعدوا صل الله له الاكرام واودع روحه دار السلام ورحم آله وأهله الكرام مالمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع اهلال اعلموا وعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الاحرار مولدا وأسراهم سوددا وأحلاهم موردا وأصحهم موعدا وهاهو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الاولاد وملك ما أراد وماسها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم احماد وصاله ودوام اسعاده وألهم كلا اصلاح حاله والاعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما فرغ من خطبته

(اوعد) هدد وخوف (واصل) داوم (أودع روحه دار السلام) أدخله الجنة (آل) سراب (ملع) أسرع (رال) فرخ النعام (اهلال) رفع الصوت بالتلبية بمكة (اطرحوا) اتركوا وارموا به (عوه) احفظوه (الارحام) القرابات الواحد رحم والارحام من النساء الواحد رحم (راعوها) احفظوها وحاموا عليها (الاهواء) دواعى النفس (اردعوها) كفوها (صاهروا) ناكحوا (لحم) قرابات ولحمة النسب التحام القرابة وانضمامها (صارموا) قاطعوا (مصاهركم) ختنكم المتزوج اليكم (أسراهم) أسرفهم وأكثرهم مروأة وقد سرى فهو سرى (أمكم) قصدكم (حل) نزل (حرمكم) بلدكم وموضعكم الذى هو كالحرم فى أمنه (مملكا) متزوجا والاملاك التزويج الذى لك به المرأة . قال ابن هشام أم سلمة بنت أمية بن المغيرة تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر فى سنة اثنين من التاريخ واسمها هند بنت أمية زاد الركب ابن المغيرة وفى حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم (سها) أخطأ (مملكه) منكحه الذى أعطاه وابنه (وكس) غبن و(وهم) فى الحساب غلط فيه و(ملاحمه) أى مصاهره (وصم) عيب والوصم العيب و(أحمد) الرجل احمادا أى صار أمره الى الحمد أراد أنه من أهل الاحساب فلا ينقص من يصاهره (الاعداد للمعاد) أى الاستعداد لليوم الذى يعاد فيه الى نشأته الاولى (السرمد) الدائم (والرسول) الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم جاءت الابل أرسالا أى متتابعة ويثنى رسولان ويجمع رسل ومنهم من يوحده فى كل حال قال الله تعالى انا رسول رب العالمين وحده لانه فى معنى الرسالة وأنشد

فأبلغ أبا بكر رسولا سريعة . فمالك يا ابن الحضرمى ومالما

قال الفراء رحمه الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين وأنشد

ألكنى اليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر

أراد الرسل فاكتفى بالواحد عن الجمع واذ كملت الخطبة فلنسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع * ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبى طالب فى تزويج النبى صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وهى الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزرع اسمعيل وجعل لنا حرما آمنا وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى ممن لا يوازن فتى فى قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية وعن يحيى بن أكثم أراد المأمون أن يزوج ابنته من على الرضا فقال يا يحيى تكلم فاجللت أن أقول أنكحت فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الاكبر والامام الاعظم وأنت أولى بالكلام فقال الحمد لله الذى تصاغرت الامور بمشيئته ولا اله الا الله اقرارا بربوبيته وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته أما بعد فان الله سبحانه قد جعل النكاح دينا ورضيه حكما وأنزله وحيا ليكون سببا للمناسلة وانى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى الرضا وأمهرتها أربعمائة دينار اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهاء الى ما درج اليه السلف الصالح والحمد لله رب العالمين وحضر المأمون املاكا وهو أمير فسأله من حضر أن يخطب فقال الحمد لله والصلاة على المصطفى رسوله

(ذكر خطب فى النكاح)

البديعة النظام العرية من الاعجام عند العقد على الجمس المتين وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبدى الآبدة عندها فأقبلت اقبال الجياع عليها وكدت أهوى بيدي اليها فزجرني عن المواكلة وأنهضني للمناولة فوالله ما كان بأسرع من تصافح الاجفان حتى خر القوم للاذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو كصرعى بنت خابية علمت انها احدى الكبر وأم العبر وقلت له يا عدي نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم حلوا أم بلوى فقال لم أعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها السارين طرا لقد جئت شيأ نكرا وأبقيت لك في المخزيات ذكرا ثم حرت فكرة في صبور أمره وخفت من عدوى عره حتى طارت نفسي

وخير ما عمل به كتاب الله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ولو لم يكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله في ذلك من تألف البعيد وبر القريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وقد بذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا فيه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم * وخطب رجل من بني أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر الحمد لله ذي الكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعت الينا وان الرغبة فيك أجابت منا وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله تعالى امساك بمعروف أو تسريح باحسان ، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول في خطبة النكاح بعد الحمد والثناء أما بعد فان الله تعالى جمع لهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المفترقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج من أمره وقد خطب فلان اليكم وعليه من الله نعمة وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله ، الاصمعي رحمه الله كانوا يستحبون من الخاطب أن يطيل ليدل على الرغبة ومن المخطوب اليه الايجاز ليدل على الاجابة (قوله البديعة النظام) اى الغريبة التأليف (العرية من الاعجام) اى العاطلة من النقط (الرفاء) السكون والالتحام ويدعى للمتزوج فيقال له بالرفاء والبنين اى بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها وهو من رفأت الثوب اذا ضممت بعضه الى بعض او من رفوت الرجل اذا سكنته قال ابو زيد رحمه الله هو من المرافاة غير مهموز وهي الموافقة وتزوج عقيل بن أبي طالب فقيل له بالرفاء والبنين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفأ أحدكم أخاه فليقل على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك (الآبدة) الداهية وجاء بآبدة أي بكلمة أو خصلة وحشية منكرة واشتقاقه من الاوابد وهي الوحش وكذلك الآبد يقال أبد الشاعر اذا أتى بالعويص في شعره فمعنى أبدى الآبدة أي أظهر الداهية التي يبقى ذكرها على الابد (زجرني) نهاني (أنهضني) أقامني وقدمني (المناولة) اعطاء الطعام (تصافح الاجفان) غلقها وفتحها بسرعة كقولك طرفة العيون (خروا للاذقان) أي سقطوا على وجوههم والذقن مجمع اللحيين يعبر به عن الوجه لان العرب تسمي الشيء ببعض ما فيه واذا خر على وجهه فأقرب شيء الى الارض ذقنه فخصه بالذكر ولهذا قال الله تعالى يخرون للاذقان سجدا (أعجاز) أصول (خاوية) فارغة من ساكنه ويقال خاوية ساقطة بالية (صرعى) قتلى وأراد به السكارى و (بنت الخابية) هي الخمر ومعنى الخابية التي تخبأ فيها الاشياء مأخوذ من خبأت فبنيت على ترك الهمز ويقال خبأت الشيء وخبأته وخبيته وقرأت الشيء وقريته (احدى الكبر) واحدة من الكبر (أم العبر) أي أعظم الدواهي وما يتعظ به (لم أعد) لم أتجاوز (الخبيص) نوع من الحلواء (البنج) نبات يسكر منه وهو لبن الخشخاش البري المعروف بالافيون و (الخلنج) ضرب من الخشب (زهرا) مضيئة يعني الكواكب (السارين) الماشين بالليل (طرا) جميعا (نكرا) منكرا (المخزيات) جمع مخزية وهي الخصلة الرديئة يخزى صاحبها متى ذكرت له والخزي الهوان (صبور) مآل ورجوع أي ما يصير اليه أمره (عدوى عره) أي انتقال ضرره والعر الجرب والعدوى انتقال المرض من المريض الى الصحيح ومعناه عند العرب

شعاعا وأرعدت فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال ماهذا الفكر المرمض والروع المومض

فان يكن فكرك في أجلي
من أجلي فأنا الآن أرتع
وأطفر وأقوى هذه البقعة
مني وأقفر
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
وان يكن نظر النفسك
وحذرا من حبسك فتناول
فضالة الخبيص وطب
نفسا عن القميص حتى
تأمن المستعدي والمعدي
و يتمهد لك المقام بعدي
والا فالمفرّ المفر قبل أن
تسحب وتجرّ ثم عمد
لاستخراج ما في البيوت من
الاكياس والتخوت
وجعل يستخلص خالصة كل
مخزون ونخبة كل مذروع
وموزون حتى غادر ما ألغاه
نخه كعظم استخرج مخه
فلما همن ما اصطفاه ورزم
وشمر عن ذراعيه وتحزم
أقبل على اقبال من لبس
الصفاقة وخلع الصداقة
وقال هل لك في المصاحبة
الى البطيحة لازوجك
باخرى مليحة فاقسمت له
بالذي جعله مباركا اينما كان
ولم يجعله ممن خان في خان
انه لاقبل لي بنكاح حرتين
ومعاشرة ضرتين ثم قلت
له قول المتطبع بطباعه
الكائل له بصاعه قد كفتني
الاولى نفرا فاطلب آخر
للاخرى فتبسم من كلامي
ودلف لالترامي فلويت عنه

عذاري وابديت له ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلي له اعراضي انشد يا صارفا عني المودة والزمان له صروف ولائمي

اذا كان الجرب بواحدة من الابل سرى في غيرها وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ولا يورد ممرض على مصح فقال أعرابي يارسول الله فما بال الابل التي تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الاول وقال النابغة

فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب

فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذنب السروجي (شعاعا) متفرقة في كل جهة يقال نفس شعاع أي تفرقت همتها ورأى شعاع أي متفرق (والفرائص) جمع فريصة وهي بضعة عند الكبد ترعد عند الفزع قال امرؤ القيس * وترعد منهن الكلى والفرائص * (ارتياعا) فزعا (استطارة فرقي) انتشار فزعي (واستشاطة) التهاب واحتراق (المرمض) المحرق وهو من لفظ الرمضاء و (الروع) الفزع (المومض) الذي يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته وأومضت المرأة بعينها اذا برقت (الاجل) بالتحريك التأخير وبتسكينها الجناية يقول ان تفكرت في تأخيري من الهرب بسبب جنايتي فالآن أجمع أموالهم وأفر قال الفنجديهي ان يكن فكرك في اجلي أي في جنايتي يقال اجل الرجل عليهم شرا يأجل ويأجل اجلا اي جناية وهيجه من أجلي أي من جرائي (أرتع) آكل اموالهم (أطفر) أفر هاربا وطفر وثب وسار مسرعا (اقوى وأقفر) معناهما اخلى موضعي وأقفر الرجل من أهله انفرد عنهم وبقي وحده والدار خلت وكذلك أقوت وقويت واقفرت الارض من الكلا ورأسه من الشعر وجسده من اللحم وأقوى واقفر لا يتعديان (تصفر) تصوت وهذا عجز بيت لتأبط شرا وصدره * فابت الى فهم وما كدت آيبا * تصفر اي تنفخ ندما على فوتي والنادم على الشيء يتابع النفخ يقول كم مثل هذه الخصلة فارقتها وهي تصفر تندما على مافاتها (تناول) خذ (فضالة) بقية (طب نفسا) عنه أي لتكن نفسك طيبة على فقده فانك اذا أكلت الخبيص سكرت فذرتك فصرت في جملة من أكل ماله فتأمن بذلك (المستعدي) هو الشاكي (والمعدي) هو الحاكم ويقال استعديت الحاكم فأعداني اي استعنته فأعانني (يتمهد) يتوطأ (المفر المفر) أي بادر الفرار (وتسحب) هو (تجر * الاكياس) اوعية الدراهم والدنانير (التخوت) أوعية الثياب (يستخلص) يختار (خالصة) خياره وكذلك (نخبة * مذروع) مكيل بالذراع يعني الثياب (موزون) يعني الجواهر وما في معناها مما يباع بالوزن مثل العطريات وغيرها من شبهها (الفخ) آلة الصيد يحسن أن يكنى به عن المكيدة (همن) شده بالهميان نوع من التكة (اصطفاه) اختاره (رزم) جعله رزمة والرزمة في كلام العرب التي فيها ضروب من الثياب واخلاط يقال رازم الرجل في أكله اذا خلط بعضه ببعض ورازمت علف الدابة خلطته وقد يريد به ماشد على وسطه من المال بهميانه (الصفاقة) صلابة الوجه (خلع) ازال (البطيحة) قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط وبينها وبين البصرة وواسط بجهة كبيرة تعرف بالبطاح وتتوسطها البطيحة (معاشرة ضرتين) مصاحبة زوجتين (المتطبع بطباعه) المتخلق بخلقه (الكائل له بصاعه) أي الذي أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه (دلف) أسرع (الترامي) معانقتي وضمي له (لويت) عطفت أي أعرضت عنه بوجهي (ازوراري) انقباضي (تجلي) ظهر (اعراضي) تركي اقبالي عليه (صارفا) مختار المودة) المحبة (صروف) دفوع (معنفي) موبخي

ولائمى (فضيع) كشف و (العسوف) الآخذ بجهالة قبل التجربة (تلحى) تلمى (يراعون) يحتفلون حقوقهم (بلوتهم) خبرتهم ومثله (سبكتهم زيوف) دراهم رديه يريد أنهم قوم لاخير فيهم (مخيف) مضر مفزع (ان تمكن) ارتفع وكانت له مكانة (مخوف) لايقدم عليه خوف ضرره (الصفى الوفى) الصادق الود (الحفى) المكرم لصديقه المعتنى به (العطوف) الرحيم (الضرى) المعتاد الذى ضرى أخذ الخرفان (صرعى) مطروحون على الارض و (الحتوف) جمع حتف وهو الهلاك (اقتنوه) اكتسبوه (رغم) اذلال (انثنيت) أى رجعت (المجانى) ما يجنى من الثمار (والقطوف) ما يقتطف منها وهى جمع قطف وهو العنقود (خلفت) تركت خلفى (مكلوم) مجروح (الحشى) اسقاط الجوف (وترت) أخذت منهم ثأرى وحقى (أرباب الارائك) أصحاب الاسرة (والدرائك) البسط (السجوف) جمع سجف وهو الستر والارائك جمع أريكة والدرائك واحدها درنوك (الهول) الامر المفزع (تراع) تفزع و (فيه) متعلقه وقوف يريد ان الاسد تفزع أن تقف فى الهول الذى وقف فيه (سفكت) قتلت (فتكت) عثيت (هتكت) قطعت (حمى) ما يحمى ويمنع (أنوف) كثير الانفة والحمية (ارتكاض) جرى واضطراب وتحرك (موبق) مهلك (خنوف) اسراع (الرؤف) الكثير الرفق والرحمة قال ابن رشيق فى معنى هذا الخروج بعد تعديد ذنوبه

اذا أتى الله يوم الحشر فى ظلل * وجىء بالامم الماضين والرسل
وحاسب الخلق من احصى بقدرته * أنفاسهم وتوفاهم الى أجل
ولم أجد فى كتابى غير سيئة * تسوءنى وعسى الاسلام يسلم لى
رجوت رحمة ربى وهى واسعة * ورحمة الله أرجى لى من العمل

(ولابن لنكك)

اذا خفق اللواء على يوما * وقد أخذ امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه * لعل الله يرحم من أساء

(وقال ابن الرقاق)

ياعالم السر منى * اصفح بفضلك عنى
منيت نفسى بعفو * مولاى منك ومنى
وكان ظنى جميلا * فكن اذا عند ظنى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء * توفى رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قال فلا تبكيا فوالله ما يسرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيأ من خير الا أنه قال عند الموت كذا قال من ههنا أتى حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده وعن أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن ثمن الجنة

ومعنفى فى فضيع من * جاورت تعنيف العسوف
لا تلحنى فيما اتيت * فاننى بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف
مافيهم الا مخيف * ان تمكن او مخوف
لا بالصفى ولا الوفى * ولا الحفى ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذ * ئب الضرى على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم * سقوا كأس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنو * ه يدى وهم رغم الانوف
ثم انثنيت بمغنم * حلو المجانى والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم * الحشى خلفى يطوف
ووترت أرباب الارا * ئك والدرائك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتى * ماليس يبلغ بالسيوف
ووقفت فى هول تراع * الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت * وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكاض موبق * لى فى الذنوب وكم خنوف
لكننى اعددت حسن * الظن بالمولى الرؤوف

أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الظن من حسن العبادة
وكان محمد بن نافع الواعظ صديقا لابي نواس قال فلما بلغني موته أشفقت عليه فرأيته
في النوم فقلت أبا نواس فقال لات حين كناية قلت الحسن قال نعم قلت مافعل الله بك قال
غفر الله لي قلت بأي شئ قال بتوبة تبتها قبل موتي بأبيات قلتها قلت أين هي قال عند أهلي فسرت
الى أمه فلما رأتني أجهشت بالبكاء فقلت اني رأيت كذا فكأنها سكنت وأخرجت الي كتبا
مقطعة فوجدت بخطه كأنه قريب

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظني ثم اني مسلم

وانما قال لات حين كناية لان العرب لا تكني الميت انما تدعوه باسمه قال الراجز

وقام نسوة بجنب حفرتي . بنات أختي وبنات اخوتي
. يدعون باسمي وتناسوا كنيتي .

وقال آخر فقد جعلت تدعى كلاب بن جعفر . بأسمائها الا بالكنى لا تجيبها

(قوله لج في الاستعبار) أي أكثر في البكاء (ألظ) ألح وألظ به دار عليه (استمال) استعطف
وأماله اليه (المنحرف) المائل عنه (المقترف) المكتسب الاثم ويقال قرف فلان فلانا اذا ألصق
به عيبا وكسبه ذنبا واقترف فلان ذنبا أي اكتسبه وألصقه بنفسه (المعرف) المقر بذنبه
. أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملائكة يترجون
على المقرين على أنفسهم بالذنوب وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن
ربه ابن آدم انك ان يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي (غيض) جفف وغيب
من غيض الماء اذا انتقص وجف (المنهل) السائل (تأبط) اى جعله تحت ابطه (انسل) خرج
مخفيا نفسه متحرزا أن يراه أحد (انسياب) مشي لا يحس به (الحية) يعني الشيخ سماه حية
لاذايته أهل الخان بالنبيذ فجعله كسم الحية فمن ألقته ويقال أيضا في تصغير الحية حوية وأصلها
الواو لانها من تحوت أي تلوت وقيل هي من الحياة لطول عمرها (انتهاء الداء الى الكية) مثل
يضرب لانتهاء الداء الى أقصاه تقول العرب آخر الطب الكي تريد ان المريض يعالج بكل دواء
فلا يوافقه فاذا عولج بالكي لم يبق بعده دواء والا فهو الموت فيريد أنه ان أقام بعدهما انتهى الى
هوان وعذاب (تربثي) تبطئ وتربث بالمكان أطال الجلوس فيه (مجلبة) اى سبب جلبه
وسوقه (رحلي) يريد متاعه وصغره لفقره وقلة ماعنده ورحل الانسان ماله ومتاعه في السفر
(أسري) أمشي بالليل (الطيب) قرية بالعراق بقبر تواسط بينها وبين البطيحة المتقدمة وسميت
الطيب لطيب هوائها وخصبها احتسب) أدعو وأقول حسبيه الله ومجازيه على قبيح أفعاله
والاحتساب طلب الاجر فمعنى أحتسب (الله على الخطيب) أطلب الى الله تعالى الثواب
بانكاري على الخطيب والله تعالى ربي عليه توكلت واليه أنيب

(قال) فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له مايرجى للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي (قال المخبر بهذه الحكاية) فلما رأيت انسياب الحية وانتهاء الداء الى الكية علمت أن تربثي بالخان مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي أسري الى الطيب وأحتسب الله على الخطيب

(المقامة الثلاثون الصورية)

* (شرح المقامة الثلاثين وهي الصورية) *

(ترجمة المنصور)

(قوله مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن احدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاجا وقت وفاة السفاح فعقد له البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالانبار وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوما وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الى عمه العباس فقال هذا عمي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا ومن ولده السفاح والمنصور والمهدي وقال المنصور رأيت في المنام كأني في المسجد الحرام فنودي أين عبد الله فقمت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق حتى وصلنا الى الدرجة العليا فجلس هو وأخذ بيدي فأصعدت وأدخلت الكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأقعدني وأوصاني بأمته وعممني فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة، وقال المنصور الخليفة لا تصلحه الا التقوى والسلطان لا تصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه، وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ومات بمكة ببئر ميمون لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (صور) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخا، وقال شيخنا ابن جبير مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة لا يلقى لطالبها يد طاعة ولا استكانة قد أعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة الى بابين أحدهما في البر والثاني في البحر والبحر يحيط بها الا من جهة واحدة فالبري يفضي اليها بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب والبحري يدخل اليه بين برجين مشيدين الى مرسى له ليس في البلاد أعجب منه وضعا يحيط بسور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق به من جانب آخر جدار معقود بالجص والسفن تدخل تحت السور وترسي فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للمراكب الا عند ازالتها وعلى الباب حراس لا يدخل الداخل ولا يخرج الا على أعينهم فشأن هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البري عين معينة تنحدر اليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها ولا بساتين بها انما تجلب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها وأنها أعمال متصلة والجبال التي بالقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجيء الثمرات اليها وللمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلمني أحد أشياخنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (قوله ذا رفعة) أي عزة وسكانة (خفض) طيب عيش ومعنى (مالك رفع وخفض) أي صاحب احمال ترفع على الابل في السفر وتحط عنها للنزول ويريد أنه ذو قدرة وتمكن يخفض ويرفع من أراد (قوله تقت) أي اشتقت (مصر) قال الهمذاني سميت بمصر بن هرس بن هروس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصر الحد فسميت مصر لانها حد بين المشرق والمغرب وابن دريد كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة طولها من الشجرتين اللتين بين أجم والعريش الى أسوان وعرضها من برقة الى ايلة فهي مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها

قوله ابن يحيى في نسخة ابن علي اه

(حكى الحرث بن همام) قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر

(ذكر مدينة صور)

(ذكر مصر)

في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى ولما افتتحت
مصر أتى أهلها الى عمرو فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم ماذاك
فقالوا له اذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر العجم عمدنا الى جارية بكر بين أبويها
فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو
ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهى أسماء
ثلاثة أشهر للقبط لا يجرى النيل فيها الا قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك
عمرو بن العاص كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر ببطاقة وكتب الى عمرو
انى بعثت اليك ببطاقة فألقها في النيل فأخذ عمرو البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين
الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى
يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم
وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فلما ألقى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى
ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر قال ابن جبير
ومدينة مصر كبيرة عامرة مختلفة الاسواق من المدن التى سارت بأوصافها الرفاق وهى
على شط النيل وعلى النيل في مقابلتها قرية كبيرة الشان كثيرة البنيان تعرف بالجيرة وتعترض
بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالى مشرفة وهى مجتمع لهو أهل مصر ومنتزههم
وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ولا مخرج له وبالجزيرة جامع يخطب فيه ويتصل
بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة وابتداؤه من شهر بؤنة
ومعظم انتهائه اغشت وآخرها أول شهر اكتوبر *والمقياس عمود رخام سمر في موضع

(ذكر المقياس)

ينحصر فيه الماء عند انتهائه اليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا وكل ذراع مفصلة
على أربعة وعشرين قسما أقساما متساوية تعرف بالاصابع فاذا استوى الماء تسع عشرة
ذراعا في الفيض فهى الغاية عندهم في طيب العام وربما كان الماء فيها كثير العموم الفيض
والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان
خراجه ست عشرة ذراعا فصاعدا وعليها تعطى البشارة للذى يرقب الزيادة في كل يوم ويعلم
بها مياومة وان قصر عن ست عشرة فلا مجبى اذ ذاك السلطان في ذلك العام ولا خراج الا ما يعول
عليه وبقرية الجيرة يوم الاحد سوق عظيمة يتحدث بها * وعلى نحو سبعة أميال في الصحراء التى

(ذكر الاهرام)

يفضى منها الى الاسكندرية الاهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر المربعة الشكل كأنها
القباب المضروبة قد قامت في جو السماء لاسيما الاثنان منها في سعة الواحد منهما من ركنه الى
ركنه ثلثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الاطراف في رأى العين وربما أمكن الصعود
اليها على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور
العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الالصاق يكاد يعجز أهل الارض نقض بنيانها * وبمصر
أيضا المسجد المنسوب الى عمرو بن العاص وبها الجبانة المعروفة بالقرافة وهى من عجائب الدنيا
لما تحتوى عليه من مشاهد الانبياء وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل
الزهد * وبها قبر آسية امرأة فرعون وبها مساجد معمورة بالليل والنهار يبيت بها الصالحون

٭ وبها قبر الشافعي محمد بن ادريس الامام رضي الله عنه وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا ٭ والمشهد العظيم الشأن الذي بالقاهرة حيث رأس سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما هو في تابوت من فضة مدفون قد بني عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا بيضاء أكثرها موضوع في أتوار الفضة وحف أعلاه كله بامثال التفافيح ذهبا في مصنع شبه الروضة يبهر الابصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون والمدخل اليها على مسجد على مثالها في التأنق حيطانه كلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التي عليه مرأى هائل وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة (الاساة) الاطباء (المواساة) أن يجعلك أسوة نفسه في ماله فيقاسمك فيه (رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فتحبسه (نفضت) أزلت واطرحت ونفضت ثوبي من الغبار أزلته عنه (عوائق) موانع وهي ما يصرف الانسان عن وجهه الذي يرغب فيه ويريده (اعروريت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة ٭ وابن النعامة عند ذلك مركبي ٭ وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرق في الرجل اقبل الفرس الفاره (أجفلت) أسرعت (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الاين) الفتور من التعب (مداناة الحين) مقاربة الهلاك (كلفت بها) أي أحببتها وولعت بها (النشوان) السكران يريد أنه فرح فرح السكران اذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم يتسلى اذا طلع ضوء النهار انجلى همه فجعل بياض الفجر (تنفس) اى انتشر (٣) في الظلام (قطوف) متقارب الخطو كأنه يقطف خطوه اى يقطعه (جرد) ملس والاجرد القصير الشعر (عصبة) جماعة (مصابيح) سرج ويريد بها النجوم (قوله الوجهة كالجهة) وهو كل موضع تستقبله وقصدته وتوجهت اليه (املاك) نكاح وأملك الرجل املاكا تزوج وأملكه غيره زوجه وشهدنا املاكه اى عرسه ٭ ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شهد املاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما في سبيل الله واليوم بسبعمائة (مشهود) اى محضور (حدتني) ساقتني (ميعة) حدة ونشاط والميعة أول الشباب وأول جري الفرس وميعة كل شيء معظمه (والفراط) السباق المتقدمون الواحد فارط (اللقاط) ما يلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين نحو الكعك والخبيص وما ينثر فيه يسمى نثرا وكان نثار العرب في عرسهم التمر (أحوز) أحصل (السماط) السوق التي جوانبها صفان متقابلان والسماط أيضا ان يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط في الطعام أن تلصق مائدة بأخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر المسمط وهو الذي أبياته مفصلة على أجزاء متقابلة وقد نبهنا عليه في الحادية عشرة (مكابدة) مقاساة وهي من الكبد كأن الكبد يتعب بها و(العناء) التعب (رفيعة البناء) قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البناء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى بناء في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا في غير ظلم ولا اعتداء فان أجره جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء

وتوقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وأجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا يوما بها أطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لاتباع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما المقصد فاملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط على أن سرت مع الفراط لافوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلواء السماط فأفضينا بعد مكابدة العناء الى دار رفيعة البناء

---

(٣) قوله فجعل بياض الفجر تنفس أي انتشر الخ كذا في النسخ التي بايدينا ولعل فيها سقطا او تحريفا من النساخ ونعوذ بالله من سقم النسخ الناشئ من عدم الاعتناء بها ومقابلتها على أصلها الصحيح ولعل الاصل والله أعلم فجعل بياض الفجر تنفس الصباح اى انتشار ضوئه في الظلام أو نحو ذلك تأمل والله ولي الهداية اه

دهليزها مجللا بأطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرآى هذه الطريقة ودعاني التطير بتلك المناحس الى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف الاقدار لمعرفني من رب هذه الدار فقال ليس لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة المقفين والمدروزين ووليجة المشقشقين والجاوزين فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى وامحال المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكني استهجنت العود من فوري والقهقرة دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته حين جلس

اذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها وعلى قوله أما القوم فشهود جاءهم حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الشهود فان الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (قوله وسيعة) أي واسعة و(الفناء) الساحة وهي ما حول الدار (الثراء) كثرة المال (السناء) الشرف الرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذي تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السواري واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ في نوادره وذكر الدهليز فقال

أويت في الدهليز مذ أربع * ولم أكن آوي الدهاليزا
خبزي من السوق وشعري لكم * تلك لعمري قسمة ضيزى

(مجللا) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكللا) محلقا (مخارف) قنف أو تعاليق للعرب يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهي قنيفة تشبه الزنبيل يخترف فيها الرطب اى يجتنى فيها (قطيفة) نوع من البسط (دكة) هي الدكان (رابني) شككني وخوفني (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب أراد تطيرت بتلك المخارف وأراد انها دار خيبة وحرمان وكان ابن همام في هذه القصة طفيليا على ما وصف به نفسه من الرفاهية وربما تولع أهل الظرف والادب بمثل هذا فقد حكينا عن ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين على منادمتهما الخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) ٣ الشئ المبدع الذي لم يفعل قبله و(الطريقة) العريقة المستطرفة (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذي لا يفارقه النحس وأراد به المخارف والاطمار التي قدم (مصرف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) مالكها أو الناظر في اصلاحها ماذكره مما لا يفهم له معنى ٤ (المقفين) المكدين وقيل المقفون جمع مقف وهو الذي يقفو آثار الناس اى يتبعهم يطلب لهم شيأ أو يدعو لهم و(المدروزين) المكدين ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدية و(المشقشق) الذي يحاكي أصوات الطيور فتجتمع اليه فيصطادها و(الجاوز) والجاواز الشرطي الذي يتصرف حول السلطان (قوله وليجة) اي مدخل والوليجة الموضع الذي يلج الانسان فيه اي يدخله أو كهف يستتر فيه (القهقرة) الرجوع الى خلف (ضلة) ضلالة (المسعى) المشي بعجلة أراد ان مشيه كان لغير فائدة (امحال) يبوسة وجفوف (فوري) حيني من قبل ان أسكن (الغصص) جمع غصة وهي ما يختنق بها وتجرعها صعب (ارائك) سرر مزينة (طنافس) بسط (ونمارق) مخاد (سجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة ملتصقة وجعل البيت بهذه الامتعة الكثيرة لانه بيت عرس فهي تستعد له وان كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدل على فقر فان الغرباء في البلاد يعلقون مرقعاتهم في دهليز الفندق وبيته في غاية الرفاهية والدار المذكورة انما كانت فندقا للفقراء الغرباء والمكدين والجالس في دهليزها خادم الفندق وحين سأله عنها أخبره انها ليس لها رب معين انما هي دار المكدين والمخارفين وقيل لاحد المكدين أتبيع مرقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (المملك) العروس (يميس) يتبختر و(يتبهنس) مثله في المعنى (حفدته) خدمه واتباعه ويقال حفد العبد يحفد حفدا اذا خدم وفي الدعاء واليك نسعى ونحفد أي نخدمك ونعمل لك وقال الشاعر

(٣) قوله البدعة ليست في نسخة المتن كما ترى وكان في نسخته البدعة الطريفة اهـ

٤ قوله ماذكره مما لا يفهم له معنى هكذا في النسخ التي بايدينا وهي مع ما قبلها لا تلتئم ولا يفهم لها معنى ولعل هناك كلاما سقط من النساخ يلتئم معه هذه الجملة ونعوذ بالله من سقم النسخ اهـ مصححه

حفد

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

أبو عبيدة يقال حفد يحفد وأحفد يحفد وفسر طاوس قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسره ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لاخدم لهم وقال الفراء رحمه الله الحفدة جمع حافد ككامل وكملة (ابن السماء) الجوهرى ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى أبو عمرو من يقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم وسمى ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم أى كفاهم مؤنتهم حتى يأتيهم الخصب فكانه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشأم والعرب تسمى أيضا بنى ماء السماء لانهم يعيشون بماء السماء قال الازهرى رحمه الله السماوة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النمر بن قاسط سميت بذلك لجمالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال له مردك فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحرم وان لا يمنع أحد أخاه ما يريده فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأنف وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فأجابه وكان الحرث زنديقا الملك فشدد له ملكه وكانت أم أنوشروان بين يدى قباذ وما فدخل عليه مردك فلما رآها قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها قال له قباذ دونكها فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويهب له أمه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان وجلس فى مجلسه أقبل المنذر اليه وأذن للناس قد خل عليه مردك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمنيتين أرجوان يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مردك وما هما أيها الملك قال تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مردك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال انك لههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفى مذ قبلت رجليك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع ما معه وأخذ المنذر فى طلبهم فأخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم وألح فى طلب امرئ القيس فلحق السموأل وتمام القصة فى الثالثة والعشرين (قوله الاحماء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال الفنجديهى ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال أبو الفتح اسمعيل بن الفضل ابن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه حدثنا أبو بكر البطارنى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قلت بلى قال هى الكدية وقوله (أستاذ الاستاذين) حدث أحمد بن الحسن قال كنت عند أبى الحسن بن أبى الفضل فدخل رجل فذكر انه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور وشعرة فأما الشاعر فالمفلق والشعرور المستملح والشعرة المستثقل لرداءة شعره والاستادون ثلاثة أستاذ فى الدين كالعلماء والفضلاء وأستاذ فى الدنيا كالوزراء والعمال والولاة وأستاذ لادين عنده يتعلم منه ولادنيا ينتفع بها كالحجام يسمى أستاذا والبناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوة) مقدم (الشحاذين) المكدين والشحاذ

(اخبار المنذر الملقب بماء السماء)

كانه ابن ماء السماء
نادى منادمن قبل الاحماء
وحرمة ساسان استاذ
الاستاذين وقدوة الشحاذين
لاعقدهذا العقد

المجل فى هذا اليوم الاغر المحجل الا الذى جال وجاب وشب فى الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما اشاروا اليه وأذنوا فى احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونوّر القتيان ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته ومكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذى شرع الزكاة فى الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين فى كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم احمده على ما رزق من طعمة هنية واعوذ به من استماع دعوة بلا نية

الملح فى المسئلة وتحذت السيف بالغت فى صقالته (المجل) المعظم يقال بجلته تبجيلا أى عظمته تعظيما ماخوذ من البجيل والبجال وهو الرجل الضخم وفى الحديث أصبتم خيرا بجيلا أى كثيرا ضخما (الاغر) المشهور لحسنه (المحجل) الابيض (شب) ترعرع ونشأ (الملوان والقتيان) الليل والنهار و (ثغامته) شعرته (نوّرها) بيضها والثغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمى منابته الجبال اذا يبس ابيض بياضا شديدا * أبو حنيفة تنبت الثغامة خيوطا طوالا دقاقا من أصل واحد فاذا جفت ابيضت كلها واذا أمحل الثغام كان أشد بياضا ويشبه به الشيب قال المرار الفقعسى

أعلاقة أم الوليد بعيدما * أفنان رأسك كالثغام المخلس

(وقال حسان رضى الله عنه)

أوما ترى رأسى تغير لونه * شمطا فأصبح كالثغام المحل

والثغام مرعى وتعلفه الخيل قال بشر وذكر الخيل

فباتت ليلة وأديم يوم * على البهمى بجزلها الثغاما

(قوله زربيته) طنفسته والجمع الزرابى وقيل هى الوسائد وقيل الثياب الموشاة و (الضوضاء) الاصوات (ازدلف) قرب (مسنده) موضع اسناده (سبلته) لحيته وقيل شاربه وهذه الخطبة التى ذكر ليس فيها لفظ الا وهو يتضمن اشارة الكدية (قوله المبتدع) أى الفاعل له قبل أن يفعل (النوال) العطاء (المؤمل) المرجو (شرع) فرض و (نهر السؤال) من قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر وقال ابن عمران

انّ ابن آدم حين يلحف سائل * يتقذّمن حنق عليه فينهره

والله ان يقصده عبد ملحف * بسؤاله يدنيه منه ويشكره

فسل الاله ولذ به لا تنسه * فالله يذكر عبده اذ يذكره

وقال أيضا

سؤالنا دعاؤنا للجنة * لهم علينا بالقبول منه

من سال منهم ويك أعطينه * ولو بتمرة فواسينه

أو اجمل الرد لا تنهرنه[٣] * وان يكن يلحف فاعذرنه * وادع له الله وصبرنه

(قوله ندب) أى دعا وحرض (المضطر) الشديد الحاجة (القانع) المتذلل عند السؤال (والمعتر) المتعرض للمعروف (والمحروم) الذى لا يسأل أحدا شيأ وهو محتاج (طعمة هنية) الكدية لان فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولا مشقة (دعوة بلا نية) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك ونحوه وأنشدوا فيهم

ورجال ونساء * وبنات وبنونا

واذا يدعى لهم بو * ما تراهم يغضبونا

وقال آخر أألم ترنى أبغضت ليلى ود كرها * كما أبغض المسكين دعوة سائله

لان السائل لا يطلب من المسؤل الدعاء انما يطلب ما يشبع الامعاء * ومما يستظرف من هذا ما حكى الاصمعى قال مر بى أعرابى سائلا فقلت له كيف حالك قال أسأل الناس الحافا فيعطونى كرها

[٣] قوله لا تنهرنه اى لا تزجرنه ويقرأ بحذف الف لا للضرورة الوزن اه مصححه

فلا

فلا يؤجرون على ما يعطوني ولا يبارك لي فيما آخذ والعمر بين ذلك فان والاجل قريب والامل بعيد * سأل اعرابي رجلا يكنى أبا عمرو عند داره فقال يرزقك الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ما قال أمس وتحنح فقلت منه ضرطة فقال الاعرابي

ان أبا عمرو لمكبوس الوسط * اذا سألناه تمطى وضرط * اعطاؤه يرزقك الله فقط

(قوله أشهد أن لا اله الا الله) أي أعلم وأبين ومنه شهد الله أي أعلم ويبين أنه لا اله الا هو ومنه شهد الشاهد عند الحاكم أي بين له ما عنده وأعلمه الخبر (يمحق) يزيل وستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (ويربي) يزيد ويكثر أي يضعفها له (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف الذليل (وخفض جناحه) ألان جانبه فهو مثل للاشفاق والحنو وأصله أن الطائر انما يخفض جناحه على فراخه ويلحفها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و (استكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو الى الكاف فانقلبت الفا لتحركها في الحكم وانفتاح ما قبلها فهي في الاصل كاستقام وبابه أو يكون افتعل من السكون لان الخاضع يقلل الكلام وأصله استكن فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله

ألمت وقد جرت على الكاكال * أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وأنشد أبو على فما استكان لما لاقي ولا خضعا * (قوله المثرين) الاغنياء (الزلفة) القربة يتقرب بها الى الله تعالى (أصفيائه) أحبابه (الصفة) تشبه القبلة والصفة كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شئ يسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم ومن يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم الحريري بالذكر لان لهم حالة يتشبهون بها المكدين في لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون بأهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران

السائلون عيال الله والمال * لله فابذله فيهم خاب من لوما
جد على ثقة بالله من خلف * ياويح من كان للرحمن متهما
واحذر من الرد ان الله يتقمه * من غير عذر وشؤم الشح قد علما

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدراج) كأنه ملك لكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكدية (خراج) كثير الخروج في طلب رزقه والولاج الخراج الذي يحسن الدخول في أموره والخروج منها ويقال فلان ولاج خراج اذا كان متصرفا في أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه (والافك) سوء الكذب (الصراح) الظاهر البين يريد أنه اذا وصف حالته في كديته لا يتكلم الا بالكذب (الهرير) كثرة الصياح والشر وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد (والابرام) الاثقال والاضجار يريد أنه يوالي الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه (والالحاح) المداومة والاكثار من السؤال * وقدم الحطيئة المدينة في سنة مجدبة فمشى أشرافها بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتي الشريف منا فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فأتوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربي الصدقات واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا أبو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح والابرام والالحاح

يخطب سليطة أهلها وشريطة بعلها قبس بنت أبي العنبس لما بلغه من التحافها بالحافها واسرافها في اسفافها وانكماشها على معاشها واتعاشها عند هراشها ١٠٠ وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا فأنكحوه انكاح مثله

فأخذها وظنوا أنهم قد كفوه المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملني على بغلين كفاه الله كية النار (السليطة) الحديدة اللسان وقد سلطت فهي سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أي زوجها أي جاءت على شرط زوجها فهي مثله في خصالها كلها (قبس) اسمها وهو من القبس وهي الشعلة كأنها لحدتها شعلة نار يحرق ما مرت به (عنبس) من العبوس ونونه ونون قبس زائدتان (التحافها) ارتدائها والتوائها فيه (الحافها) الحاحها في السوال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والاسفاف التتبع لمداق الامور والاسفاف الدخول في الامر الدنيء وقد أسف تعرض للامر الدنيء (انكماشها) انحنازها واجتهادها (اتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها لقرابتها والمهارشة أصلها للكلاب وهي أن يترافع الكلبان ويتباعجا ويعض كل واحد صاحبه فجعل مدافعتها عند الشر لاقرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكمل عندهم نجابتها حتى تفوق أقرانها في الشر والسب بالقبائح وضرب الكف على ذلك والا فهي ناقصة (بذل) أعطى (شلاقا) ثوب مرقع وليس بعربي وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا تقرع بها الابواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) اناء تعلقه في ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكراز اناء لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا تقرع بها الابواب وأناء اما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكدية والكرز هو الخرج والكراز كبش يحمل عليه الراعي أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاطب) المهالك وخطأ أبو محمد في الدرة من يذهب من الخواص بالعيلة الى العيال وقال انما العيلة الفقر بدليل قوله تعالى وان خفتم عيلة وتصريف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفي التنزيل العزيز ووجدك عائلا فأغنى وفي الحديث لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون فهم عيال واحدهم عيل كجيد وجياد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو معيل كثر عياله وعالهم يعولهم وفي الحديث ابدأ بمن تعول ومن كلام العرب والله لقد علت حتى علت أي صنت عيالي حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا فمعناه أن لا تجوروا وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافقه والله لقد علت علي في الحكم أي جرت ومن فسر في الآية تعولوا بأن معناه تكثر عيالكم فقد وهم * واذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية وقد قدمنا ان ابن همام في هذه المقامة طفيلي فنذكر هنا العهد الذي كتب الصابي بأمر معز الدولة لمحمد بن فريعة الطفيلي ببغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد يوافق خطبة المقامة في كثير من اغراضها وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن الى الفضل بن النعمان حين استخلفه على سنته واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرياضها وأكنافها وما يجري معها من سوادها رياضها وأطرافها لما توسمه فيه

وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم

(ذكر عهد الطفيليين)

قوله ومن فسر في الآية الخ في الكشاف والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعالوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوأ وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا من في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات اه قاله مصححه

من قلة الحياء وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يتوسم اسم التطفيل ومعناه
ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده غير القائل فيه بتسليمه
وتقليده فان كثيرا من الناس قد نسب صاحبه للشره والنهم وحمله على الجشع والقرم
فمنهم من غلط في استدلاله فأساء في مقاله ومنهم من شح بماله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين
مذموم وجميعهما مليم ملوم لا يتعلقان بعذر واضح ولا يتعريان من لباس فاضح وقد عرفت
يا أخي بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوي التحصيل لان التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء
وأوان العشاء فلما كثر استعمل في صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل القمران للشمس
والقمر وكما قيل العمران لابي بكر وعمر وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بعراياه
ويبسط الامر بسراياه فانه يظفر من ارادته بالغنيمة الباردة ويصل بها الى الغريبة الشاردة
فيجد بها من طرائف الالوان الملذذة للسان وبدائع الطعوم السائغة في الحلقوم ما لا يجده
عند غيرهم ولا يناله الا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم وخصب ناديهم وكثرة ذات
أيديهم والله يوفر من ذلك حظنا ويسدد نحوه لحظنا ويوضح عليه دليلنا ويسهل اليه سبيلنا
وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده ويستدعي باللطف نائله ورفده وكثيرا ما يتفق
ذلك للمداخلين ويتيسر للمتوصلين وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها ويرافق
وكلاء المطابخ ومدبريها فانهم يملكون من أصحابهم أزمة مطاعمهم ومشاربهم وأمره أن يتعهد
أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها أو أطعمة قد احتشد منها
اتبعها الى القصد بها وشيعها الى المنزل الحاوي لها واستعلم ميقات الدعوة ومن يحضرها
من أهل اليسار والثروة وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين
وأن لا ينقل اليها قدما ولا يغفر لما كلها فا فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس والاحوال
وقلة الاحلام والاموال وفي التطفيل عليها اجحاف بها يؤلم وازراء بمروأة التطفيل يثلم
وأمره أن يحوز الخوان اذا حصل والطعام اذا انتقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد
الالوان في الكثرة والقلة وافتنانها في الطيب واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها
وينتهي عند انتهائها فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها ولا يخطئه الحظ من دقيقها وجليلها
ومتى أحس بقلة الطعام وعجزه أمعن في أوله امعان الكيس في سعيه والرشيد في أمره فانه اذا
فعل ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكفون ظرفا ويقلون تأدبا ويظنون أن المائدة تبلغهم
الى آخر حاجتهم وتنتهي بهم الى حد غايتهم فلا يلبثون أن يخجلوا خجلة الوامق الراغب وينقلوا
بحسرة الراهق الخائب وأمره أن يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا
ويطوي دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويغض عن اللقمة الخشناء وان أتته
الوكزة في حلقه صبر عليها لاجل الوصول الى حقه وان وقعت الصفعة في راسه عض عليها
بمواقع أضراسه وان لقيه لاق بالجفاء قابله باللطف والصفاء اذا كان ولج الابواب وخالط
الاصحاب وجلس مع الحضور واختلط بالجمهور فلابد أن يلقاه المنكر لامره ويعربه المستعرب
لوجهه فان كان حرا حسنا أمسك وتذمم وان كان فظا غليظا همهم وتكلم وان يستعمل مع
المخاطب له الملاينة وأن يجتنب عند ذلك المخاشنة ليرد تغيظه ويقل حدته ويكف غربه

ويأمن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدة للعدد والمقوية للمعد المشهية للطعام
المسهلة سبيل الانهضام وأن يكون في اتخاذها كالكاتب الذي يخط أقلامه والفارس الذي
يصقل حسامه وأمره اذا غشي أبواب الملوك أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب
ويخدم القواد والكتاب فاذا دخل السواد الاعظم توسط الجمع لا يتأخر ولا يتقدم بعد
أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء تدعى اليه الحفلاء احتفالا ويتكفل
بالوفود على العموم اكفالا فهذا العهد مطابق لاحوال هذه المقامة * ومما يتصل بخطبة المقامة
من الخطب الهزلية ما حدثر أن رجلا خطب الى قوم وجاء يخطب فاستفتح خطبة النكاح
بحمد الله فأطال ثم ذكر خلق السموات والارض واقتصر ثم ذكر القرون حتى ضجر من حضر
ثم التفت الى الخاطب فقال ما اسمك أعزك الله فقال والله قد نسيت اسمي من طول خطبتك
وهي طالق ثلاثا ان تزوجتها بهذه الخطبة فضحك القوم وعقدوا له في مجلس آخر * أنكح خالد
ابن صفوان عبده أمته فقال له العبد لو دعوت الناس فخطبت قال ادعهم أنت فدعاهم فلما
اجتمعوا تكلم خالد فقال ان الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين وأنا أشهدكم
أني قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية * خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر
فقال لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقالت له الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك * خطب ثقيل
في تزويج فأطال فقام واحد من القوم وقال اذا فرغ الثقيل بارك الله لكم فان علي شغلا أريد
المبادرة فيه وخطب رجل امرأة فجعل يخطب ويتغط فضرب رأس ذكره بيده وقال مه الى
سياق الحديث (قوله أبرم) أي أحكم وسدد و(الختن) ولي الزوجة مثل الاب والاخ وابن العم
فهم الاختان وكل شئ من قبل الزوج فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء
مهموز والاصهار تجمعهما و(الخطبة) مراسلة المرأة للزواج و(النثار) ما نثر عليه من الدراهم
وقد نثرت الشئ نثرا اذا رميت به متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينتثر كل واحد
منهم من الدراهم ما أمكنه فتجمع ويشترى منها أنواع الاطعمة ولذلك قال (أغرى الشحيح بالايثار)
أي حرضه على أن يتكرم و(استغرق) جاوز وحدث ابن قتيبة عن أبي عثمان قال مررت بمحضر قد
اجتمع فيه خلق كثيرون فسألت بعضهم ما جمعهم فقال هذا سيد الحي تزوج سناقفناة فتكلم الشيخ
فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله اما بعد فان الله جعل المناكحة التي رضيها فعلا وأنزلها وحيا
سبب المناسلة وان فلانا ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا وقد زوجته اياها وأوصيته بوصية
الله فيها ثم قال هاتوا نثاركم فقلبت على رؤسنا غرائر التمر (قوله ذلاذله) أي اطراف ثوبه والذلاذل
ما يلي الارض من أسفل القميص (أراذله) جمع أرذل وهو الدنئ والرذل والمرذل والرذيل الدون
و(العرجة) التعريج يقال ما عليه عرجة ولا تعريج أي اقامة * وبهجة الشئ حسنه ونضارته
و(عاج) مال و(السماط) كل مستو على نسق وصف الناس سماط وأراد به المائدة و(الطهاة)
الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدلت وأنصف كل جزء منها صاحبه والتناصف اعتدال
الحسن (ربع) جلس يقال ربعت بالمكان أقمت به وربعت الحجر رفعته باليد لانظر شدتي وربع
وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذي يقعد فيه والربضة القطعة العظيمة من الثريد (يرتع)
يأكل وفلان يرتع أي هو مخصب لا يعدم شيأ يريده (الروضة) موضع العشب وأراد بها ما بين

(ذكر خطب هزلية في النكاح)

فلما فرغ الشيخ من خطبته
وأبرم للختن عقد خطبته
تساقط من النثار ما استغرق
حد الاكثار وأغرى
الشحيح بالايثار ثم نهض
الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم
أراذله (قال الحرث بن همام)
فتبعته لانظر عرجة القوم
وأكمل بهجة اليوم فعاج
بهم الى سماط زينته طهاته
وتناصفت في الحسن جهاته
فحين ربع كل شخص في
ربضته وطفق يرتع في روضته
انسللت من الصف وفررت

أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب الى الشر وأراد انه لما جلس كل انسان أن يأكل
خشي هو ان جلس للأكل أن يغرم ويشتهر بأنه طفيلي فيحتاج أن يتدافع وان يتواثب مع
صاحب الحانوت في ثمن ما أكل ففر من ذلك والزحف مشي الاعمى (لفتة) نظرة بالتواء كأنه
يلوي عنقه فينظر ولفت اليه لفتا والتفت صرف وجهه اليه و (هجم) دخل عليه بغتة (برم)
بخيل وهو الذي لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم (والمعاشرة) ترك المخالفة في الصحبة
(طباقا) جمع طبق أي هي طبق فوق طبق يعني السماء (وطبقها) ملأها وعمها يقال طبق الغيم
تطبيقا اذا أصاب بمطره جميع الارض (اشراقا) نورا وضوأ (لماقا) الاصمعي رحمه الله هو
مايشرب فان أردت نفيه قلت ماذقت لماقا وأنشد

كبرق لاح يعجب من رآه * ولا يشفي الحوائم من لماق

الحوائم العطاش وحكى يعقوب أن اللماق يصلح في الاكل والشرب قال ابن كيسان هو الشيء
اليسير من الطعام والشراب (لسترقاقا) أكلت خبزا مرققا واللوس تتبع بقية الشيء الحلو
في فغك * ابن سيده لاس لوسا تتبع الحلاوة فأكلها وماذاق لوسا ولا لواسا أي ذواقا ولا يلوس كذا
أي لا يتناوله (أوتخبرني) حتى تخبرني (أين مدب صبالك) يريد أين ولدت فدبيت صغيرا (مهب
صبالك) مجيء ريحك وأراد أين بلدك (الصعداء) التنفس بتوجع وهي من فعل المهموم (استنزف
الدمع) استفرغه بالبكاء حتى انقطع ونزف وأنزفه افناه بالبكاء (استنصت) أمرهم بالسكوت
(مسقط الرأس) يريد الموضع الذي سقط فيه رأسه عندما ولد (أموج) أتصرف وأتحرك والمائج
المضطرب (يروج) يتعجل (وردها) ماؤها (السلسبيل) عين في الجنة والسلسبيل الخمر (المروج)
المواضع الخصبة (مغانيهم) منازلهم و (البروج) منازل القمر وأراد أنهم في الحسن والرفعة
كالنجوم وأن دورهم في العلو والاستواء كالبروج وسبقه الحلواني القيرواني الى هذا التشبيه
فقال يتشوق الى القيروان بعد خرابها

ليت شعري وليت حرف تمني * ربما علل الفؤاد السقيما
كيف يا قيروان حالك لما * تر البين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا * فمحا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا * بعد ان لم نطق بها أن نقيما
دمن كانت البروج وكنا * أقمرا في بنائها ونجوما

وقال السري يتشوق الى الموصل وكان بحلب

أمحل صبوتنا دعاه مشوق * يرتاح منك الى الهوى الموموق
فمتى أزور قباب مشرفة الذرا * فادور بين النسر والعيوق
فأرى الصوامع في غوارب أكمها * مثل الهوادج في غوارب نوق
محمرة الجدران ينفح طيبها * فكأنها مبنية بخلوق
حمر تلوح خلالها بيض كما * فصلت بالكافور بين عقيق
كلف تذكر قبل ناهية النهى * طللين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته في خده * اذ لا مجير له من التفريق

من الزحف فانت من
الشيخ لفتة الي ونظرة هجم
بها طرفه علي فقال الى أين
يابرم هلا عاشرت معاشرة
من فيه كرم فقلت والذي
خلقها طباقا وطبقها
اشراقا لاذقت لماقا ولا
لسترقاقا أوتخبرني أين
مدب صبالك ومن أين مهب
صبالك فتنفس الصعداء
مرارا وأرسل البكاء
مدرارا حتى اذا استنزف
الدمع استنصت الجمع وقال
لي أرعني السمع
مسقط الرأس سروج
وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها
كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل
وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم
نجوم وبروج

وقال الثعالبي مانظرت الى الصوامع مذبرزت من نيسابور الاذكرت بيته فأرى الصوامع واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته (قوله نفحة رياها) أي حركة رائحتها الطيبة (مرآها البهيج) منظرها الحسن (وأزاهير رباها) أنوار كذاها وهي جمع أزهار وأزهار جمع زهر وهو النور (تجاب) تزول * ثم قال سروج هي الموضع الذي أرست به جنة الدنيا أي ثبتت فيه فكأنه قال جنة الدنيا هي سروج وسروج هذه بلد بقرى وعمارات وهي من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين ديار ربيعة وديار مضر وسروج من كور ديار مضر وهي ثغرية اذا كان للسلمين قوة يملكونها واذا ضعفوا اغلبهم الروم عليها وهي كثيرة الثلج والبرد (قوله بنزاح) يبعد (النشيج) البكاء (والزفرة) تنفس المهموم (زحزحني) نحاني (تهمي) تسيل (شجو) حزن (قر) سكن (يهيج) يتحرك (خطبها) أمرها (مريج) مختلط (مساع) مواضع تصرفه ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعي (قاصرات) اى قصيرة وكذا استعمالها الان فعلها قصر واسم فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف (الخطو) جمع خطوة (عوج) معوجة (يوم حم) أي يوم موتي قدر أراد ليت انى مت ولا أرى خروجي منها . أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لابد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي . جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد وان يرزقه الله الانابة وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها قال الحضرمي الاعمى يتشوق الى القيروان

أيا سقى الله ارض القيروان حيا * كأنه عبرانى المستهلات
كأنها لذة الجنات تربتها * مسكية وحصاها جوهريات
أرض أريضة أقطار مباركة * لله فيها براهين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة أيام قراءتي عليه النوادر والكامل وكان رحمه الله ذاكرا للطريقة الادبية مع تميزه بالطريقة الفقهية فدارت بيني وبينه في أحدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون ادبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بي وأنا يومئذ غلام ما بقل عذارى فقال لقد علمت أن بيني وبينك أخوة قلت وكيف ذاك يا سيدي فقال انى ولدت ببلدك شريش فردت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لي ومع ذلك فثم قصة مستظرفة اعلم انى كنت اجتزت بشريش قافلا من العدوة مع الفقيه أبي بكر عبد الله بن العربي رحمه الله فلما صرنا في بطاحها وبين كرماتها وجناتها أخذ الفقيه أبو بكر يثني عليها بكل لسان على كثرة ما رأى من البلدان ويقول ان الاشياء التي جمعت فيها لاتكاد تجتمع في بلد من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت أني ولدت بها فقال لي أبو بكر أتقول أنت الان

*مسقط الرأس شريش * فقلت له مجيزا * وبها كنت أعيش *
فقال أبو بكر * بلدة يوجد فيها * فقلت * كل شئ ويريش *
فقال أبو بكر * وردها من سلسبيل * فقلت * وصحاريها عريش *

ثم سرنا في طريقنا على قوافي السروجية فرددناها شريشية وقطعنا بها الطريق ونحن لانشعر

حبذا نفحة رياها * ومرآها البهيج
وأزاهير رباها * حين تجاب الثلوج
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج
ولمن بنزاح عنها * زفرات ونشيج
مثل مالاقيت مذ زحـ * زحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو * كلما قر يهيج
وهموم كل يوم * خطبها خطب مريج
ومساع في الدجى * قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما * حم لي منها الخروج

قال فلما أبن بلده ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبوزيد وان كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفته وظلت مدة مقامى بمصر أعشو الى شواطه وأحشو صدفتى من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

فكانت أسرع عشية رأيت بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثنى عن ابن العربى وابن عبدون الكاتب ونظرائهم فى رياض كلها نزهة على نهر اشبيلية وهى امامنا على بهجتها وجمالها ما دخل على بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور فى دار البقاء (قوله وعيت) أى حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم فى اخبار واشعار حسان (مصافحته) معانقته ووضع كفى على كفه* ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ يصافح أخاه ليس فى صدر واحد منهما على أخيه احنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ما مضى من ذنوبهما الاحنة الحقد (اغتنمت) حسبتها غنيمة (مؤاكلته) الاكل معه* ابن عمر رضى الله عنهما طعام السخى دواء وطعام الشحيح داء (ظلت) أى دمت قال الله تعالى الذى ظلت عليه عاكفا أى دمت عليه مقيما قال سيبويه رحمه الله أصله ظللت الليث يقال ظل نهاره صائما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات الا للعمل بالليل (أعشو) أنظر ببصر ضعيف (شواطه) ناره والشواظ لهب النار الذى لا دخان فيه (صدفتى) اذنى (نعب) صاح (البين) لفراق والغراب اذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أى مسرعا بقدر ما تنفتح عينك

(المقامة الحادية والثلاثون الرملية)

(شرح المقامة الحادية والثلاثين وهى الرملية)*

(حكى الحرث بن همام) قال كنت فى عنفوان الشباب وريعان العيش الباب أقلى الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمى أن السفر ينفج السفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن

(عنفوان وريعان) معناهما أول و(اللباب) الخالص (أقلى) أبغض (الاكتنان) الاستتار والاقامة فى الكن و(الغاب) الشجر الملتف وهو بيت الاسد وأراد به بلدته وانه كان يكره الاقامة بها ويحب السفر (أهوى) احب (الاندلاق) الخروج بسرعة وسهولة و(القراب) وعاء يجعل فيه السيف وهو غمده (السفر) جمع سفرة وهى التى يجعل فيها الخبز ويضم عليها بحلق وتستعمل فى السفر (ينفج) يكثر أى تكثر المأكولات فى السفر فتنفج به (ينتج) يولد (الظفر) الفوز بالحاجة (معاقرة الوطن) ملازمة بلد الانسان (تعقر الفطن) تميت القلوب وتبلد الاذهان (قطن) سكن وأقام فيريد أن الاقامة فى بلد الانسان تحقر شأنه وتبلد خاطره قال الشاعر

أنفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقرا منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ فى أرضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره

وأنشد الفجيجى

نقل ركابك فى الفلا * ودع العوالى والقصور
فمحالفو أوطانهم * أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى * در البحور الى النحور

وقالوا من لم يصاحب البر والفاجر ولم يؤدبه الرخاء مرة والشدة أخرى ولم يخرج من الظل الى الشمس فلا ترجه وتقدم مثل هذا فى التاسعة وقال أبو العباس الاعمى

مللت حمص وملتنى فلو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لى نفسى أن أفارقها * والماء فى المزن أصفى منه فى الغدر

فأجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جاشاً أبت من الحارة وأصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركاباً تعد للسرى ورحالا تشد الى أم القرى

أما اشتقت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق بى ماعزمن وطرى
ولاقضت من سواد العين حاجتها * حتى تكثر على ما كان فى السفر

(وقال البحترى)

وليس اغترابى من سجستان انى عدمت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكننى مالى بها من مشاكل * وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

(ولابى الفتح البستى عفا الله عنه)

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهى المحل الآنس
لم يرع لى حق القرابة مجستر * فيها ولاحق المروأة فارس

وتعقب عليه المعرى فى هذا فقال فى أبى القاسم على بن الحسن التنوخى القاضى

ذم الوليد ولم أذم جواركم * فقال ما أنصف بغداد حيثنا
فان لقيت وليدا والنوى قذف * يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا
أحسنت ماشئت فى تأنيس مغترب * ولو بلغت المدى أحسنت ماشيتا

(وقال أبو الفتح البستى)*

وماغربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتى وبها أهلى

(ولابى بكر بن تقى)

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبىّ النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقاسى لى على قدم
ما العيش بالعلم الا حالة ضعف * وحرفة وكلت بالقعدد الهرم

(وللفقيه ابى محمد بن حزم)

ولى حول أكناف العراق صبابة * ولاغرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلى بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدرى أن للبعد قصة * وان كساد العلم آفته القرب

(قوله أجلت) أى صرفت (قداح) سهام (الاستشارة) مشاورة غيره فى رأيه واجالة القداح تأتى فى الثالثة والاربعين واستعارها لمن يستشيره فى أمر السفر قد احاقان وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم افعل وان خالفه فكأنه خرج عليه لاتفعل (اقتدحت) ضربت (زناد) ما يكون فيه النار (الاستخارة) طلب الخيرة من الله تعالى (استجشت) حركت (جأشا) نفسا وهى فى سكونها عن السفر كالحجر فلا تتحرك للسفر (اصعدت) طلعت (خيمت) أقمت (الرملة) بلد بالشام سمتها العرب بالرملة لما غلب عليها الرمل وهى من كورة فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا وكانت لد مدينة فلسطين القديمة فلما ولى الخلافة سليمان بن عبد الملك ابتنى مدينة الرملة وخرب لد ونقل أهل لد اليها فصارت الرملة مدينة فلسطين (ألقيت) تركت (الرحلة) الارتحال وكنى بالقاء العصا عن الاقامة بعد أن تهيأ (أم القرى) مكة وكانوا يسا

(ذكر مكة شرفها الله تعالى)

تركنا ذكر مكة لشهرتها ثم وجدنا شيخنا ابن جبير قد ذكر فيها أشياء قل من يضبطها فاثبتناها اعلاما لمن أحب استطلاعها وتبركا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى * قال شيخنا مكة بلدة قد وضعها الله تعالى بين جبال محدقة بها وهي في بطن واد مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب باب المعلا يخرج منه الى الجبانة بالموضع الذي يعرف بالحجون عن يسار المار اليها جبل في أعلاه ثنية عليها علم يشبه البرج يخرج منها الى العمرة وتعرف الثنية بكداء وهي التي جعلها حسان موعد خيل الاسلام في قوله * تثير النقع موعدها كداء * ومنها دخلت مكة يوم الفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان والحجون هو الذي قال فيه الحرث ابن مضاض

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وعن يسار المار اليها جبل وفي جبانة الحجون مدفن جماعة من الصحابة درثت اليوم قبورهم وفيها بقية علم الطاهر وهو موضع خشبة عبد الله بن الزبير كان في موضعه بناء مرتفع فهدمه أهل الطائف غيرة منهم على لعنة الحجاج صاحبهم وعن يمينك اذا استقبلت الجبانة مسجد في مسيل بين جبلين وهو الذي بايعت الجن فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى باب الحجون طريق الطائف والعراق والصعود الى عرفات والباب بين الشرق والشمال مائلا الى الشرق الباب الثاني باب السفلى الى جهة الجنوب عليه طريق اليمن ومنه دخل خالد بن الوليد يوم الفتح الباب الثالث باب العمرة يعرف بالباب الزاهر عليه طريق المدينة والشأم وجدة وهو غربي ومنه يخرج الى التنعيم وهو على فرسخ من مكة وهو أقرب ميقات للمعتمرين وطريقه حسن فيه الآبار العذبة المسماة بالشبيكة وعلى ميل من مكة في طريق التنعيم يلفى مسجد بازائه حجر كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قعد عليه مستريحا عند مجيئه من العمرة يمسح الناس خدودهم به تبركا وبعده بغلوة على يسار الطريق قبر أبي لهب وامرأته قد علاهما جبلان عظيمان من الصخر لرجم الناس على قديم الدهر وعلى قدر ميل يلفى الزاهر وهو مبني على جانبي الطريق يحتوي على دار وبساتين لاحد المكيين وفيه مكان مستطيل عليه كيزان الماء ومراكن مملوءة وهي القصاري للشرب والطهور وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين وعلى جانبي الطريق في الزاهر أربعة أجبال جبلان من هنا وجبلان من هنا يذكر أنها التي جعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجزاء الطير عليها ثم دعاها عند قوله رب أرني كيف تحيي الموتى وعند اجازتك بالزاهر تمر بالوادي المعروف بذي طوى كان ابن عمر رضي الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة وفيه نزل النبي عليه الصلاة والسلام عند دخوله وفيه مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه آبار تعرف بالشبيكة ثم تخرج من الوادي الى أعلام وهي أحجار موضوعة بين الحل والحرم كالابراج المصفوفة فداخلها الى جهة مكة حرم والابراج واخذة من أعلى جبل يعترض عن يمين الطريق الى العمرة وينشق الطريق الى جبل عن يساره وهما ميقات المعتمرين وخارجها بنحو غلوتين مسجد عائشة رضي الله عنها * ومن جبال مكة جبل أبي قبيس وهو على الحرم في الجهة الشرقية يقابل الحجر الاسود في أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة ويظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه وجمال الكعبة وهو مستودع الحجر الاسود زمن الطوفان حتى أداه الى ابراهيم

عليه الصلاة والسلام وفيه قبر آدم عليه السلام وهو أحد أخشبى مكة والاخشب الثانى المتصل بقعيقعان فى الجهة الغربية وفيه موقف النبى صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر * ومن جبالها حراء على مقدار فرسخ ومشرف على منى وهو مرتفع فى الهواء كان متعبد النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى اهتز تحته فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى وصديق وشهيدان لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وفيه نزلت أول آية من القرآن وهو آخذ من الغرب الى الشمال وعلى طرفه الشمالى جبانة الحجون المتقدمة * ومن جبالها جبل ثور وهو فى الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد وفيه الغار الذى أوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم وعلى مقربة من العارقبة جبريل وهى عمود منقطع من الجبال قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف القامة وانبسط من أعلاه شبه الكف كأنه قبة مبسوطة يستظل تحتها نحو العشرين رجلا ومن مكة الى منى نحو خمسة أميال * ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط وقد خربت اليوم الا منازل يسيرة محدثة للنزول كان الطريق اليها الميدان اتساعا وانفساحا وأول ما يلقى المتوجه اليها بقربها مسجد البيعة التى عقدها العباس للنبى صلى الله عليه وسلم على الانصار ثم يفضى بها الى جمرة العقبة وهى أول منى وعليها مسجد وبها علم منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة يجعله الرامى عن يمينه مستقبلا مكة ويرميها بسبع حصيات يوم النحر اثر طلوع الشمس ثم ينحر أو يذبح ويحلق أو يقصر ومنى كلها منحر ويحل له كل الاشياء الا النساء وبعدها الجمرة الوسطى وبها أيضا علم وبين الجمرتين قدر غلوة وبعدها بمقدار غلوة الجمرة الاولى التى ترمى وقت الزوال ثانى يوم النحر بسبع حصيات وفى الوسطى بسبع وفى جمرة العقبة بسبع فتلك احدى وعشرون حصاة ويفعل ذلك فى ثالث يوم النحر فتلك اثنتان وأربعون وسبع تقدمت يوم النحر فتكمل تسع وأربعون حصاة وفى اثر ذلك ينفض الحاج الى مكة وعند الجمرة الاولى يلقى مجرى الذبيح عليه السلام وفى موضع المجرى حجر ملصق بجدار فيه أثر قدم صغيرة يقال انها أثر قدمه عند تحركه لان له الحجر اشفاقا فيقبله الناس ويلمسونه تبركا به * ومسجد الخيف آخر منى وهو متسع الساحة كأكبر ما يكون من الجوامع وصومعته فى رحبة المسجد وله فى القبلة أربع بلاطات وهو مسجد مشهور بالبركة ومن منى الى المزدلفة نحو خمسة أميال والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعا فلها ثلاثة أسماء ووادى محسر حد بين المزدلفة ومنى والمزدلفة بسيط من الارض فسيح حولها صهاريج للماء وفى وسط البسيط حلق فى وسطها قبة فى أعلاها مسجد يصعد اليه على أدراج من جهتين يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو حشر الخلائق فيه لوسعهم تحدق به جبال كثيرة وفى آخر البسيط جبل الرحمة وهو موقف الناس والعلمان قبله فما امامهما الى عرفات جبل وما دونهما حرم وجبل الرحمة منقطع عن الجبال قائم فى البسيط فهو كله حجارة وكان صعب المرتقى فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجا وطيئة يصعد فيها بالدواب الموقرة وفى أعلاه قبة تنسب لام سلمة رضى الله عنها وفى وسطها مسجد يحدق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر يزدحم الناس عليه للصلاة فيه فيشرف منه على بسيط عرفات وفى أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان فيها غرف لها طيقان تنسب الى آدم عليه الصلاة والسلام وعن يسارها مسجد صغير وبمقربة

من

من العلمين مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقي منه الجدار القبلي يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة ثم يجمع بين الظهر والعصر ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرعين حتى يغيب قرص الشمس ثم يدفع الامام المالكي بالناس بالنفر دفعا ترتج منه الجبال فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة فيبيتون بها والدنيا كلها شموع مسرجة فاذا صلوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين ومزدلفة كلها موقف الا وادي محسر فان فيه تقع الهرولة الى منى فاذا بلغوا منى رموا بها جمرة العقبة ثم ينفر الناس الى البيت المكرم الى طواف الافاضة وهو كمال الحج
* وأما البيت المكرم فهو قريب من التربيع له أربعة أركان ركن ينظر الى الشرق وفيه الحجر الاسود ومنه ابتداء الطواف يبعد الطائف عنه قليلا والبيت عن يساره ثم يلقى بعد ذلك فى طوافه الركن العراقى وهو ناظر الى الشمال ثم الركن الشامى وهو ناظر الى المغرب ثم الركن اليمانى وهو ناظر الى الجنوب ثم يعود الى ركن الحجر الاسود وذلك شوط واحد وباب البيت فى الصفح الذى بين ركن الحجر والركن العراقى وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار وما بين الحجر والباب يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء ويرتفع الباب من الارض أحد عشر شبرا ونصفا والباب من فضة مذهب بديع الصنعة يستوقف الابصار حسنا وعضادتاه كذلك وعتبته العليا كذلك وعلى رأسها لوح ذهب خالص ابريز فى سعة نحو شبرين وله نقارتا فضة كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب والباب ناظر الى الشرق وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وغلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار وداخل البيت مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كلها رخام مجزع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول بين كل عمود وعمود أربع خطا ودائر البيت كله من نصفه الاعلى مطلى بالفضة المذهبة يخيل اليك أنها صفيحة ذهب لغلظها بالجوانب الاربع والبيت خمسة مضا وعليها زجاج عراقى بديع النقش أدرجت فى وسط السقف ومع كل ركن مضو أو يلقى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الاسود وباب الرحمة هو الذى يصعد عليه الى السطح والمقام حجر مغشى بالفضة ارتفاعه ثلاثة أشبار وسعته شبران اعلاه أوسع من اسفله وأثار القدمين والاصابع فيه صب لنا فيه ماء زمزم فشربناه منه ومن الباب الى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة أشبار وارتفاعه شبر هو علامة موضع المقام وهو مصب ماء البيت وموضع المقام الذى يصلى فيه ما بين الباب والركن العراقى وموضع المقام قبة حديد موضوعة الى جانب قبة زمزم ترفع فى أشهر الحج وتزال قبة الخشب لانها أجمل لازدحام الناس ومن ركن الحجر الى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ومن الحجر الاسود الى الارض ستة أشبار فالطويل يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول له وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام سود وحمر وبيض تتسع عن البيت مقدار تسع خطا وسائر الحرم مفروش برمل أبيض وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة والحجر ستة أذرع وهو الذى تركته قريش من البيت وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة وهى أربعة وسبعون شبرا من داخل الدويرة ويدور جداره كله مجزع بديع الالصاق من الرخام وهو مفروش بالرخام المجزع البديع التفاريع والتقاطيع فرآه عجيب والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام وذرع الحرم فى الطول أربعمائة ذراع وفى العرض ثلثمائة ذراع فتكسيره ثمانية وأربعون مرجعا وله تسع

سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع
وأسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم
الليل لهم في السير جرية
السيل والى الخير جري
الخيل فلم نزل بين ادلاج
وتأويب وايجاف وتقريب
الى أن حبتنا أيدي المطايا
بالتحفة في ايصالنا الى الجحفة
فحللناها متأهبين للاحرام
متباشرين بادراك المرام
فلم يك الا أن أنخنا بها
الركائب وحططنا
الحقائب حتى طلع علينا
من بين الهضاب شخص
ضاحي الاهاب وهو ينادي
يا أهل ذا النادي هلم الى
ما ينجي يوم التنادي فانخرط
اليه الحجيج وانثالوا واحتفوا
وأنصتوا فلما رأى تأثفهم
حوله واستطعامهم قوله تسنم
احدى الاكام ثم تنحنح
مستفتحا للكلام وقال
يا معشر الحجاج الناسلين من
الفجاج أتعقلون ما تواجهون
والى من توجهون أم
تدرون على من تقدمون
وعلام تقدمون أتخالون
أن الحج هو اختيار الرواحل
وقطع المراحل واتخاذ
المحامل وايقار الزوامل
أم تظنون أن النسك هو
نضو الأردان وانضاء
الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية استعمال
واخلاص النية في قصد تلك البنية وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال اليعملات

صوامع وتسعة عشر بابا أكثرها مفتح على الابواب منها باب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وهو أكبرها وعليه يخرج الى السعي بين الصفا والمروة وللصفا أربع عشرة درجة وللمروة خمسة وما بين الصفا والمروة ميل وهو اليوم سوق جميل يجمع الفواكه بمكة وحوانيت الباعة يمين وشمال فلا يكاد الساعون يخلصون للسعي لكثرة الزحام وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود ومنها اليه أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الابيض وتنور البئر في وسطها من رخام دوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر وعمقه احدى عشرة قامة وعمق الماء سبع وباب القبة ناظر الى الشرق ثم ذكر في البيت وما يتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام والنقوش وغير ذلك أشياء لا يسع كتابنا ذكرها فلنقتصر على هذا القدر (قوله عصفت) تحركت واشتدت (الغرام) الشوق (اهتاج) تحرك (زممت) شددت زمامها (نبذت) رميت (علقي) ما يتعلق به ويمسكه عن ارادته (علاقتي) ما يتعلق بقلبي (أقصر) كف (المقام) مقام ابراهيم عليه السلام (المقام) الاقامة و(جمع) اسم المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس فيها (الحطيم) حجر مكة (الحطام) كسب الدنيا (انتظمت) ارتفقت (كنجوم الليل) أي هم اشراف وأهل أحساب (جرية) انصباب (الادلاج) سير الليل (تأويب) سير النهار (ايجاف) اسراع (تقريب) جري متقارب (حبتنا) أوصلتنا واعطتنا (التحفة) الهدية (ايصالنا) توصلنا (الجحفة) ميقات أهل الشأم ومصر والمغرب وبينها وبين البحر ثمانية أميال (حللناها) نزلنا فيها (الاحرام) الدخول في الحرم (متباشرين) يبشر بعضنا بعضا (بادراك المرام) بلوغ الحاجة (أنخنا الركائب) بركنا الابل بالارض (حططنا الحقائب) أنزلنا الاحمال عن ظهورها (الهضاب) الكدى واحدتها هضبة (ضاحي الاهاب) بارز الجلد أي ثوبه خلق لا يستره (النادي) المنزل (هلم) أي أقبلوا (يوم التنادي) أي يوم البعث لاجتماع الناس فيه أو لانه ينادي للحساب (انخرط) اندفع بسرعة (الحجيج) اسم لجماعة الحجاج (انثالوا) خرجوا اليه مسرعين (احتفوا) استداروا (وانصتوا) سكتوا (تأثفهم) اجتماعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالاثافي للقدر (استطعامهم قوله) استدعاءهم كلامه (تسنم) ارتفع عليها واصل تسنم ركب البعير (الاكام) الكدى (الناسلين) المسرعين (الفجاج) الطرق و(تعقلون) تفهمون (تواجهون) تستقبلون بوجوهكم يريد البيت (الى من توجهون) تقصدون (الرواحل) الابل (المراحل) المواضع يرحل اليها وينزل فيها (المحامل) آلات من خشب يركب عليها واحدها محمل يقال ان الحجاج أول من أحدثها ولذلك قال الشاعر

أول عبد صنع المحاملا * أخزاه ربي عاجلا وآجلا

(قوله الزوامل) جمع زاملة وهي البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام * وايقارها رفع الاوقار عليها وهي الاحمال والوقر الحمل (النسك) التعبد (نضو الاردان) تجريد المخيط من الثياب (التنائي) التباعد (اجتناب) بعد واجتنبته بعدت عنه وتركته (الخطية) الذنب يريد ان أول ما يجب على الحجاج أن يقدموا التوبة و(البنية) هي الكعبة (امحاض) اخلاص (وجدان) اصابة (الاستطاعة) القدرة على الشيء وهي شرط وجوب الحج (المعاملات) الافعال التي يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها وأراد اصلاح فعل العبد بينه وبين ربه (اعمال اليعملات)

الذنوب ولا تعدل تعبية الاجرام بتعبية الاجرام ولا تغني لبسة الاحرام عن التلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك في التقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام الا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله أمرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا * ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحج لا تقضي بها حاجا

وتمتطي كاهل الانصاف متخذا * ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وأن تواسي ما أوتيت مقدرة * من مد كفا الى جدواك محتاجا

استعمال الابل للمشي والبعملة الناقة تعمل كثيرا في المشي (شرع) فرض (المناسك) مواضع الذبح والنحر و(الناسك) الذي يأتي بنسك وهو ما يذبح أو ينحر في الحرم (أرشد السالك) على الطريق للمشي فيها (الحالك) الشديد السواد (الذنوب) الدلو (الانغماس) الغطس يريد أن التطهر لا يزيل الذنوب وما أحسن قول الحلواني في غلام وسيم أراد النهوض للحج

يا طالب الحج وهو ذو صغر * عجلت فاسأنه الى الكبر

ان كنت تبغي مثوبة فعسى * تحمل لي قبلة الى الحجر

وان رميت الجمار فارم بها * كل فؤاد عليك لم يطر

فقال دعني وزمزما فعسى * أغسل عن وجنتي دم البشر

(قوله تعدل) أي تقاوم وتساوي (الاجرام) الاجسام واحدها جرم (تعبية الاجرام) بحمل أعباء الذنوب (لبسة) هيئة اللباس (التلبس) التعلق والاختلاط (الاضطباع) الاشتمال والالتحاف واضطبع الرجل بثوبه اذا أدخله تحت عضده الايمن وألقاه على منكبه الايسر و(الاضطلاع) القيام بها و(الاوزار) أثقال الذنوب (يجدي) ينفع (يرحض) يغسل (التقصير) الاخذ من الشعر (درن) وسخ (التمسك) التعلق (التقصير) التضييع وترك الاجتهاد (عرفة) يوم من أيام الحج سميت بذلك لان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة نزل بالهند وحواء بجدة فالتقيا بعرفة فسمي موضع التقائهما ويوم التقائهما عرفة وقيل هي من العرف وهو الصبر ورجل عارف أي صابر فسمي الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء وقيل هي من العرف وهو الريح الطيبة لانها طيبة بنسبتها الى منى لما بمنى من أقذار الفروث والدماء لان بمنى منحر الهدى (يزكو) يكون ناميا والزكاء النماء والصلاح و(الخيف) موضع بمكة سمي بالخيف وهو ما ارتفع من الارض عن موضع السيل وانحدر عن غلظ الجبل و(الحيف) الظلم (يحظى) يسعد ويظفر (زاغ) مال وخرج (المحجة) الطريق المستقيم (صفا) خلص قلبه (مسعاه) سعيه وجريه (الصفا) صخرة بمكة (ورد) دخل (شريعة الرضا) طريقة الخير والشريعة في النهر والغدير الطريق يهبط عليه الى الماء وبه سميت شريعة الدين لانه طريق موصل الى الله تعالى فورد الشريعة دخل فيها ووصل الى الماء وشرعت الدواب في الماء دخلت فيه (الاضا) الغدران (نزع) زال وكف (تلبيسه) تخليطه و(الافاضة) آخر الطواف (تعريفه) وقوفه بعرفة (عقيرته) كناية عن صوته (يزعزع) يحرك (الشم) المرتفعة (اعتيامك) اختيارك (أحداجا) جمع حدج وهو ما يجعل على ظهر البعير يركب عليه (حاجا) جمع حاجة (تمتطي) تركب (كاهل) مقدم الظهر (ردع) كف وورد (هاديا) دليلا (منهاجا) طريقا (تواسي) تعطي (جدواك) عطيتك (حوتها) جمعتها (اخداجا) نقصانا (المرائين) المظهرين الخير وهم على خلافه و(حسب) بمعنى يكفي (كدا) عجلة وشدة (الازعاج) ضد السكون والقرار وأزعجته لم تدعه يستقر (حرزا) تحصيل وأحرزه جعله تحت حرز (ألجوه) أمكنوه من لحمه (العرض) ما يسب من الرجل أو يمدح (هاجي) شاتم وساب * ومما قيل في الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال صلى الله عليه وسلم لا رياء ولا سمعة من يسمع يسمع الله به وقال صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا

فهذه ان حوتها حجة كملت * وان خلا الحج منها كان اخداجا

حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا * وماجنوا ولقوا كدا وازعاجا

وأنهم حرموا حرزا ومحمدة * وألجوا عرضهم من عاب أو هاجا

قوله حرزا كذا في نسخ الشرح ونسخ المتن أجرا اه مصححه

فشرّ وقال من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقال الشاعر

وإذا أظهرت شيأ حسنا * فليكن أحسن منه ما تسر

فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(وقال يحيى بن اكثم)

يقول لى القاضى معاذ مشاورا * وولى امرأ فيما يرى من ذوى الفضل

بعيشك ماذا تحسب المرء فاعلا * فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحل

يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك للزبال ما كان من فضل

وأنشد الفرزدق

رئيس السوق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

نسميه بيحيى وهو ميت * كما أن السليم هو اللديغ

يعاف الوردان ظمئت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

*(وللابيض فى الفقهاء المرائين)

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج فى الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم

وركبتم شهب البغال بأشهب * وباصبغ صبغت لكم فى العالم

وله فى نحوه أيضا

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع

لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى

فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قصا لشر سباع

أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشى متكسر الاضلاع

نشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وفى الاسرائيليات جاءت عصفورة فوقفت على فخ فقالت له مالى أراك منحنيا قال لكثرة صلاتى انحنيت قالت فمالى أراك بادية عظامك قال لكثرة صيامى بدت عظامى قالت فما هذا الصوف عليك قال لزهادتى لبست الصوف قالت فما هذه الحبة فى يدك قال قربان ان مر بى مسكين ناولته اياها قالت فانى مسكينة قال خذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ فى عنقها فصاحت فعى فعى تفسيره لاغرنى مراء بعدك أبدا قال الشاعر

نعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل أن يشيخوا

تقوسوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

*وكان صائد يصيد العصافير فى يوم بارد فكان يذبحها والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه لا بأس عليك من الرجل أما تراه يبكى فقال له الآخر لا تنظر دموعه وانظر ما تصنع يداه*ورائى بعضهم ثم هتك الله ستره فقال

بينا أنا فى توبتى مقبلا * قد شبهونى بابن دواد

وقد حلت العلم مستظهرا * وحدثوا عنى باسناد

اذ خطر الشيطان بى خطرة * نكست منها فى أبى جاد

ابن دواد عابد بمكة * صلى رجل مراء فقيل له ما أحسن صلاتك قال ومع ذلك فانى صائم * وقال طاهر بن الحسين لابى عبد الله المروزى كم لك منذ نزلت العراق قال منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسئلة فأجبتنا عن مسئلتين * وأمر عمر لرجل بكيس فقال آخذ الخيط فقال عمر ضع الكيس * وكتب رجل عند الحسين كتابا فقال أتجعلنى فى حل من تراب الحائط فقال يا أخى بل وورعك لا ينكسر وأخبارهم كثيرة (قوله ابغ) أى اطلب (القرب) أفعال البر التى تقرب من الله تعالى واحدها قربة (ولا جاوخراجا) أى كيف تصرف فيها (داجى) ساتر العدا وقو نافق (الحسنى) اسم للفعل الحسن وتكون الحسنى مؤنثة الاحسن فتلزمها اللام كالكبرى والاكبر وبابه وتكون الحسنى كالبشرى والرجعى (ينهنه) يزجر ويكف (فاجا) جاء بغتة ولبعضهم

وهل نحن الا مرامى السهام * ويحفزها نابل دائب

طرائد تطلبنا النائبات * ولا بد أن يدرك الطالب

حبائل للدهر مبثوثة * يرد الى جنبها الهارب

وقال آخر فى معناه

تحاربنا جنود لا تجارى * ولا تلقى بأساد الحروب

تفوق اسهما عن ظهر غيب * وما اغراضها غير القلوب

فأنى باحتراس من جنود * مؤيدة تمد من الغيوب

وقال ابن جبلة

وأرى الليالى ما طوت من شرتى * زادته فى عظتى وفى افهامى

وعلمت ان المرء من سنن الردى * حيث الرمية من سهام الرامى

(قوله اقن) أى اكتسب والتزم (خلقا) طبيعة * وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله وقالت الحكماء كل ذى نعمة محسود عليها الا المتواضع وقال عبد الملك أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة * وقال رجل لبكر بن عبد الله علمنى التواضع فقال له اذا رأيت من هو اكبر منك فقل سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى واذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب فهو خير منى وقال أبو العتاهية

يا من تشرف بالدنيا ولذتها * ليس التشرف رفع الطين بالطين

اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

(وقال أبو الفتح البستى)

من شاء عيشا رغيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا

فلينظرن الى من فوقه أدبا * ولينظرن الى من دونه مالا

(قوله لا تشم) أى لا تنتظر (خال) سحاب (لاح بارقه) ظهر برقه (ترائى) تظاهر (هتون) كثير الماء (السكب) الصب (ثجاجا) صبابا ثج الماء يثج ثجا وثججته أنا (يصاخ) يسمع (أصم) كسب الصمم و(النعى) الخبر بالموت (ناجى) حدث (اللبيب) العاقل (بلغة) قوت يوم (تدرج) تطوى

أخى فابغ بما تسديه من قرب
وجه المهيمن ولا جاوخراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية
ان أخلص العبد فى الطاعات
أو داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها
فاينهنه داعى الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله
عنك الليالى ولو البسنك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه
ولو ترائى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له
كم قد أصم نعى بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات
مقتنعا
ببلغة تدرج الايام ادراجا

(كثر) كثرة (قل) قلة (مغبته) عاقبته وآخره (ناز) مرتفع ونزا الفحل ينزو نزوا قفز على الانثى (لين) فتور (هاج) اضطرب ويروى وكل ناز الى لين وهو الصحيح أخذ من المثل فلان ينزو و يلين يقول لا تنخدع عما يكون له ظهور في ملبسه وهيئته فقد يخيب ظنك وتقل فائدته أو يكون مضرا لانفعا كما قد ينادى بك فتظن السداء المنفعة فاذا سمعته فاجأك بمصيبة وأخذ لفظ كم قد أصم بنعي من قول أبي تمام

أصم بك الناعي وان كان اسمعا * فاصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والسابق الى هذا المعنى جزو بن ضرار أخو الشماخ بقوله

أتانى فلم أسرر به حين جاءنى * حديث باعلى القبتين عجيب

تصاممته حتى أتانى بقينة * وأفرغ منه مخطئ ومصيب

وقال المتنبي طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر * فزعت منه بآمالى الى الكذب

حتى اذا لم يدع لى صدقه خبرا * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

أشار بعد ذلك بالبيتين الى القناعة وأن كثير الدنيا مصيره الى قليل وقد تقدمت أمثال هذا

* (وقال أبو تمام) *

يا قليل البقاء في هذه الدا * ر الى كم يغرك التسويف

عجبا لامرئ يذل لذى الما * ل ويكفيه كل يوم رغيف

ولابن عمران عجبا لناسبى العنى والفقرفى * نيل الغنى لو صحت الالباب

فيما يلعنى المحل كفاية * والفضل فيه تكاثر وحساب

فكل كثر الى قل مغبته
وكل ناز الى لين وان هاجا
(قال الراوى) فلما ألقم
عقم الافهام بسحر الكلام
استروحت ريح أبى زيد
ومادى الارتياح اليه أى
مدة فكثت حتى استوعب
نث حكمته وانحدر من
اكمته ثم دلفت اليه لأتصفح
صفحات محياه وأستشف
جوهر حلاه فاذا هو الضالة
التى أنشدها وناظم القلائد
اللاتى أنشدها فعانقته
عناق اللام للالف

(قوله فلما ألقم عقم الافهام) أى جعل العقيم منها حاملا بالعلم والفهم (استروحت) شممت فوجدت رائحته (ماد) مال (الارتياح) الطرب (مكثت) أقمت (استوعب) استوفى (نث) نشر (اكمته) كديته (دلفت) أسرعت (أتصفح) أنظر (صفحات محياه) جهات وجهه (أستشف) أبالغ النظر فيها (جوهر حلاه) خلقة صفاته (الضالة) التلفة (أنشدها) أطلبها (القلائد) جمع قلادة وهى ما يجعل فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ومنه تقليد البدن بمكة وتقلدت بالسيف جعلته فى عنقى وقلدتك الامر جعلته فى عنقك وناظم القلائد جاعلها فى خيطها و يعنى بالقلائد ما نثر من وعظه وأنشده من شعره وصدق لعمرى ان كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد وقوله (عناق اللام للالف) أما بخط المغرب فلا معانقة بينهما الا فى الطرفين ورعما وقعت فى بعض هذا الخط كالصليب وفى بعضه لا التقاء بينهما البتة وانما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفى وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الأعلى الى الاسفل وأخذ اللفظ من قول بكر بن خارجة

يا من اذا قرأ الانجيل ظل له * قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا

رأيت شخصك فى نومى يعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا

ونذكر هنا ما يستحسن فى العناق قال البحترى

تلك نعم لو أنعمت بوصال * لشكرنا فى الوصل انعام نعم

نسيت موقف الجمار وشخصا * نا كشخص أرى الجمار وترمى

وقال أيضا ولم أنس ليلتنا في العنا * ق لف الصبا بقضيب قضيبا
كما مرت الريح في سيرها * فطورا خفوقا وطورا هبوبا

وقال ابن المعتز كأنما عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا من جسد واحد

(وقال علي بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الماء فيما بيننا لم تسرب

وقال ابن عبدوس الفاسي سرت يوما الى ابن الجهم فأنشدني البيتين في العناق فاقتدح زندي لايراد مثله فقلت

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد اذ جسدا انا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى مع لطف مسلكه * نوما فما انفك لا اخذ ولا عضد
ماأنصفوني دعوني فاستجبت لهم * حتى اذا قربوني منهم بعدوا

أخذ هذا البيت من قول الآخر

أشكو الذين اذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

(وقال أبو نواس)

لبسنا رداء الليل والليل راضع * الى أن تردى رأسه بمشيب
وبتنا كغصني بانة عصفتهما * مع الصبح ريحا شمال وجنوب
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه * مبادي نصول في عذار خضيب
فيا ليل قد فارقت غير مذمم * ويا صبح قد أصبحت غير حبيب

(قال صالح بن موسى)

لي سيد ما مثله سيد * تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها * والافق بالليل قد احلولكا
فجاءت الحمى لعاداتها * فلم تجد ما بيننا مسلكا

ولابن الرومي طالما التفت الى الصبح لناساق بساق
في نقاب من وداد * ولثام من عناق

وقال أيضا أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
والثم فاها كي تموت حرارتي * فيشتد ما القى من الهيجان
كان فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحان تمتزجان

وقال ابن المعتز يارب فتيان صحبتهم * لا يرفعون لسلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم نفذت * اجسامهم فتعانقت حبا

(وقال ابن رشيق)

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الموت تحت قبابه
فلثمت خدا منه ضرم لوعتي * وجعلت أطفئ حرها برضابه

وضممته للصدر حتى استوهبت * مني ثيابي بعض طيب ثيابه
فكأن قلبي من وراء ضلوعه * طرباً يخبر قلبه عما به

(وقال ابن لبال)

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه * أن البدور تدور في الاغصان
غازلته حتى بدا لي ثغره * فحسبته درّاً على مرجان
كم ليلة عانقته فكأنما * عانقت من عطفيه غصن البان
يطغى ويلعب عند عقد سواعدي * كالمهر يلعب عند ثني عنان

وقال آخر

مشتاقة طرقت في الليل مشتاقا * أهلاً بمن لم تخن عهداً وميثاقا
يا زائراً زار من قرب على بعد * آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقا
يا ليل عرج على القمرين قد جعلا * عقد السواعد للاعناق أطواقا

(وقال ابن الزقاق)

ومرتجة الاعطاف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
سريت فبات الليل من قصر بها * يطير وما غير السرور جناح
وبت وقد زارت بأنعم ليلة * يعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل * وفي خصرها من ساعديّ وشاح

ونظير هذا قول ابن برهون الغرناطي

لله در ليال ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر * ريم موسدة في ساعدي أسد

(وقال ابن قاضي ميلة)

حيث التقى أسد العرين وظبية * تحت العجاج وصارم وسوار
قالت أرى بيني وبينك ثالثا * ولقد عهدتك للدخيل تغار
أأمنت نشر حديثنا فأجبتها * هذا الذي تطوى له الاسرار

أخذ هذا من قول امرئ القيس

تجافى عن المأثور بيني وبينها * وتدني على السابريّ المضلعا

يعني بالمأثور السيف (قوله الدنف) المريض (يزاملني) يرادفني والزميل الرديف (نبا) ارتفع وامتنع (أحتقب) أركب موضع الحقيبة وهي ما يعلق خلف الراكب فيريد أنه حلف أن لا يكون رديفاً ويريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزاد يريد أنه لا يحمل زاداً اتكالاً على ما عند الله تعالى (أعتقب) أركب عقبة يعني نوبة وهما يعتقبان ويتعاقبان اذا ركب أحدهما جاء الآخر فكان مكانه والاعتقاب ركوب واحد ونزول آخر ولحاتم في المعنى

وما أنا بالساعي بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها * لابعثها خفا وأترك صاحبي
اذا كنت رباً للقلوص فلا تدع * رفيقك يمشي خلفها غير راكب

وزلته منزلة البر عند الدنف
وسألته أن يزاملني فأبى أو يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب

ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل أقريه نظري وأود لو مشى على ناظري

حتى توقل أحد الاطواد
ووقف الحجيج بالمرصاد فلما
شاهد ايضاع الركبان
في الكثبان وقع بالبنان
على البنان واندفع ينشد
ليس من زار راكبا
مثل ساع على القدم
لاولا خادم اطا
ع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي
سعي بان ومن هدم
سقيم المفرطو
ن غدا مأتم الندم
ويقول الذي نفر
رب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي
صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحيا
ة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحما
م اذا خطبه صدم
وابدي فعلك القبيـ
ح وسحي له بدم
وادبغيه بتوبة
قبل ان يحلم الادم
فعسى الله ان يقيـ
ك السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقا
ل ولا ينفع السدم
ثم انه اغمد عضب لسانه
وانطلق لشأنه فما زلت في
كل مورد نرده ومعرس
نتوسده انتقده فافقده
واستنجد بمن ينشده فلا

يجده حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض اقتطعته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

أنخها فأردفه فإن حملتكما * فذاك وإن كان العقاب فعاقب

(أرتفق) أستعين (أرافق) أطلب رفيقا (يهرول) يسرع المشي (غادرني) تركني (أولول) أصيح بأويلي (أقريه) أتبعه (توقل) صعد (الاطواد) الجبال (بالمرصاد) بمضيق الطريق بحيث يرتصد فيه جميع الناس والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق (ايضاع) سرعة وقد أوضع في سيره أسرع كأنه يتزوير كض (الكثبان) أكداس الرمل (وقع) ضرب (بالبنان على البنان) أي صفق بيديه وقد تطلق البنان مرادا بها اليد قال الله تعالى واضربوا منهم كل بنان أي الايدي والارجل وأنشد الفنجديهي

أقاموا الديدبان على يفاع * وقالوا لا تنم للديدبان
اذا أبصرت ضيفا من بعيد * فوقع بالبنان على البنان
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

(قوله ليس من زار راكبا) البيت يريد أن ثواب الماشي في الحج أكثر من ثواب الراكب وقال ابن عباس لبنيه اخرجوا من مكة مشاة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قالوا يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة منها بمائة ألف وقوله سعي بان ومن هدم من قول بشار

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

(المفرطون) المقصرون (مأتم) مناحة (ويك) تعجب (أزدري) احتقري (زخرف) زينة (وجدان) مصدر وجدت الشيء (ابدي) ابكي (الحمام) الموت (مصرعه) طرحه الميت بالارض (خطبه) أمره الشديد (صدم) ضرب والصدم ضرب الشيء الصلب بمثله وأراد أنه أصاب من قولهم صدمهم أمر أي أصابهم (سحي) صبي (يحلم) يثقب (الادم) الجلد وهو مثل يضرب للشيء يفوت قال الشاعر * كدابغة وقد حلم الاديم * (السعير) النار المتقدة (احتدم) التهب واشتد اتقاده (السدم) هم مع ندم (عضب) حد وأراد باغماده سكوته (لشأنه) لامره (مورد) موضع الماء (نرده) نقصده (معرس) موضع النزول بالسحر للاستراحة (نتوسده) ننزل فيه (انتقده) أطلبه والتفقد طلب المفقود قال الله تعالى وتفقد الطير أي طلبه بعد ما فقده (أستنجد) استعين (ينشده) يطلبه (اختطفته) أخذته بسرعة (اقتطعته) اقتطعته (كابدت) قاسيت (الكربة) الهم (منيت) بليت (زفرة) تنفس المهموم

* (ولابي طالب الرقي في غلام محرم) *

ومشتمل عطفي عفاف وقسـة * يرى قتل من يهوى الى النسك مسلكا
جنى اللحظ من خديه وردا مكفورا * ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيا رأ محاسنه بأوفر فتنة * تجهز لعام بعد هذا لعلكا

وقال صالح بن موسى

عشقت صوفيا له شاهد * يقيم عذري عند عذالي
قد عبد الله بأحواله * فليته ينظر في حالي

(حكى الحرث بن همام) قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف العج والثج ان أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر النبي المصطفى واخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين اشفاق يثبطني واشواق تنشطني الى ان ألقي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القعدة واعددت العدة وسرت والرفقة لاتلوى على عرجة ولا تني في تأويب ولادلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا ان نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ اذ رأيناهم يركضون كأنهم الى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فاهراعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد اسمعت اذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى اذا أظللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنهود اليه

(شرح المقامة الثانية والثلاثين وتعرف بالطيبية)

(أجمعت) عزمت عليه كأنه جمع نفسه له و(مناسك الحج) متعبداته (وظائف) لوازم والوظيفة النصيب الذي يلزمك عزمه (العج) رفع الصوت بالتلبية وكانوا في الجاهلية اذا أتموا حجهم يتفاخرون بمآثر آبائهم فامروا بالثناء على الله تعالى (والثج) اراقة الدماء وعج يعج عجا وعجيجا رفع صوته وثججت الدمع أثجه أسلته وهو لازم ومتعد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العج والثج (طيبة) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (بنو شيبة) حجبة البيت وشيبة هو عبد المطلب وسمي بذلك لانه نشأ بالمدينة عند اخواله صغيرا فلما مات أبوه هاشم ذهب اليه المطلب فأتى به فرآه معه أهل مكة فقالوا ماهو الا عبد اشتراه فغلب عليه عبد المطلب (جفا) أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لايهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية من زار قبري وجبت له شفاعتي و(أرجف) الرجل خاض في الفتنة والاخبار المسيئة و(شغر الطريق) خلا من حماته والمدينة خلت من حماتها وبلد شاغر بعيد من القاضي والسلطان فلا يمتنع من غارة أحد والشغر التفرقة ومنه خرجوا اشغر بغر أي تفرقوا وشغر عن بلده شغرا وشغارا اذا طرحوه ونفوه واشتغرت الحرب بينهم اتسعت وعظمت وامرأة شاغرة اذا رفعت رجليها لكل من نكحها والمعنى أن المسالك شاغرة أي ان الطرق مضطربة خالية من حماتها (الحرمين) مكة والمدينة (متشاجرة) مختلفة (اشفاق) خوف (يثبطني) يحبسني (تنشطني) تحرضني (روعي) نفسي (الاستسلام) الانقياد لامر الله تعالى (اعتمت) اخترت (القعدة) الراحلة المتخذة للركوب (تلوى) تعطف (عرجة) شيء يشغل ليعرج عليه (تني) تفتر و(تأويب ودلجة) مشي النهار والسحر والدلجة بضم الدال الاسم من الادلاج وهو سير جميع الليل والتأويب سير النهار أجمع والدلجة بفتح الدال الوزن [٣] من الادلاج بوزن الافتعال وهو أن يسير من آخر الليل يعقوب خرجنا بدلجة ودلجة اذا خرجوا في آخر الليل (وافينا) وصلنا (آبوا) رجعوا (أزمعنا) عزمنا (نقضي) ثم أراد عزمنا على أن ننزل ونتم بقية يومنا عندهم و(ظل) الشيء انما يبقى بقاؤه (والحلة) النزول و(القوم) اسم للجمع والحلة هيئة الحلول والحلة مجلس القوم ومجتمعهم لانهم يحلونه والجمع حلال والحلة جماعة بيوت الناس (المناخ) موضع النزول (نرود) نطلب (الورد النقاخ) الماء البارد العذب وأنشد أبو علي

تركت النبيذ لاهل النبيذ * وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سمي نقاخا لانه ينقخ الفؤاد ببرده أي يكسره (يركضون) يجرون مسرعين (نصب) صنم كانوا في الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه لاوثانهم وجمعه أنصاب والنصب الشر قال الله تعالى بنصب وعذاب (يوفضون) يسرعون (اهراعهم) أسراعهم وأهرع أسرع فزعا مرتعدا ويهرعون يستحثون (ألوت) قصرت (الهادي) الدليل (نؤم) نقصد (النادي) مجتمع القوم (أظللنا) قربنا منه ودنونا وأشرفنا عليه (استشرفنا) نظرنا وتأملنا والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك من الشمس اذا أردت النظر الى شيء يبعد منك (المنهود) المقصود ونهدت اليه ونهضت بمعنى ونهد ينهد نهدا أي شخص ونهض وقيل أكثر ما يستعمل هذا في الحرب يقال نهد الى العدو اذا نهض

[٣] قوله الوزن من الادلاج كذا بالاصل ولعله اسم مصدر أو المرة من الادلاج اه مصححه

لبقائه

لبقاقله (ألقيته) وحدته (ذا الشقر والبقر) صاحب الدواهي يقال جاء بالشقر والبقر اذا جاء بالكذب المستفظع وجاء بالشقارى والبقارى أى بالكذب و (الفواقر) قواصم الظهر يراد بها الدواهي والفاقرة الكاسرة للفقار وهو عظم الصلب و (الفقر) فى النثر مثل القوافى فى الشعر (القفداء) بالقاف قبل الفاء أن يلف عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيأ ابن سيده القفداء والقفد اذ الوى عمامته على رأسه ولم يسدلها قال الازهرى رحمه الله تعالى العمة القفداء معروفة وهى الميلاء والسنة أن يتعمم و يسدل خلف ظهره ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا تعمم سدل عمامته بين كتفيه (والصماء) أن تجلل نفسك بالثوب غير المخيط ولا ترفع شيأ من جوانبه فتكون فيه فرجة تخرج منها اليد وانما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة فى تلك الحالة وهو لا يقدر على اخراج يده فيدفعها فيهلك وقال الفنجديهى رأيت بخط الحريرى اشتمل الصماء أى التحف بثوب جلل جسده وقيل لها صماء لانها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء التى لا صدع فيها ولا خرق وهى عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو اعورته فنهى عن ذلك وقال الازهرى هذا أصح الكلام والفقهاء أعلم بتأويل هذه و (القرفصاء) أن يقعد على أليتيه وينصب ساقيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه فيضعهما على ساقيه قاله أبو عبيد وقيل هى جلسة المحتبى ثم يرفع فخذيه وركبتيه الى صدره ويدير يديه على ساقيه ويشدهما فاذا فعلت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه فقد قرفصته الفنجديهى رأيت بخط الحريرى معناه أن يحتبى بيديه قال أبو أمامة كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس القرفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل وتقرفص الرجل اذا جمع يديه وانضم من جرب أو قروح به (أعيان) أشراف (محتفون) محلقون والمنزل محفوف بالناس اذا اجتمعوا بحفافيه أى بجانبيه و (الاخلاط) الدون من الناس و (المعضلات) الغامضات من الكلام الصعب (واستوضحوا) أى طلبوا منى ايضاحها أى بيانها (فطر) خلق وفطر الله الخلق ابتدأ خلقهم قال ابن عباس ما كنت أدرى ما فاطر السموات والارض حتى احتكم الى اعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقال الله تعالى الا الذى فطرنى أى خلقنى و يتفطرن يتشققن وانفطرت تشققت (وعلم آدم الاسماء) كلها أى علمه أسماء كل شئ من المخلوقات و (فقيه العرب) أى عالمهم وقال تعالى ليتفقهوا فى الدين أى ليكونوا علماء به وكل عالم بشئ فهو فقيه فيه ويقال فقهت عنك أى فهمت وفقهت فقها أى صرت فقيها وهو الحاذق بما يعلمه وفقهت الرجل غلبته فى الفقه (العرباء) الخالصة وهذا الادعاء الذى يدعى الآن يسمى انتحال العلم وقال بعض الحكماء لا ينبغى لاحد أن ينتحل العلم وقال مقاتل ابن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم سلونى عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقال له رجل ما نسألك عن شئ من ذلك انما نسألك عما معك فى الارض أخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فأفحمه ولما شهرت تا كيف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص المحفل واعتلى تبريزا على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان فقال ليسألنى من شاء عما شاء فقام اليه أحد الاغفال فقال له ما القبيل والقطمير فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما وهذا من عقاب العجب

القينه ابا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحى به محتفون وأخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول سلونى عن المعضلات واستوضحوا منى المشكلات فوالذى فطر السماء وعلم آدم الاسماء انى لفقيه العرب العرباء

* ورأيت في بعض الاخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال وكان أبيض مشرباً بحمرة فلما وجد الحرف غلب الحمرة على وجهه حتى طفي أسفا على فوت الحرف وقت الحاجة ولعله كان ما قدمنا في الحكاية وقال قتادة ما سمعت قط شيأ الا حفظته ولا حفظت قط شيأ فنسيته ثم قال يا غلام هات نعلي فقال هما في رجليك ففضحه الله وقال قتادة حفظت ما لم يحفظ أحد قط ونسيت ما لم ينس أحد قط حفظت القرآن في سبعة أشهر وقبضت على لحيتي وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها . وكان بشر يش رجل من أهل الدين والورع وحج في أيام أبي حامد وصحبه ففاتت صلاة الصبح يوما لاحد أصحابه فلامه على ذلك فاعتذر له صاحبه فلم يعذره ثم قال له على معنى الترغيب كملت لي اليوم عشرون سنة ما فاتتني صلاة الصبح في جماعة فلما كان في اليوم الثاني أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة فلما لقيه صاحبه بعد الصلاة قال له هذا كما رأيت وانما ذكرت عملك على معنى التبصرة والارشاد فاوذكرته على غير ذلك لفاتتك الثانية واذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال حين سئل أي الناس اليوم أعلم قال أنا وابتلي بالسفر حتى لقي الخضر وجلس اليه راغبا في أن يعلمه والخضر لا ينبسط له في التعليم ونقر عصفور في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك في علم الله تعالى الامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب ابن منبه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام أتدري لم كلمتك قال لا يا رب قال اني اطلعت على قلوب العباد فلم أر فيها قلبا أشد تواضعا من قلبك قال المنجم

لكل شيء في الورى آفة * وآفة المرء من الكبر

وقال آخر

الكبر ياس والتواضع رفعة * والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة نعمة * واليأس من روح الاله قنوط

فينبغي لكل عاقل أن يقول ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله رب زدني علما ولا يرى لنفسه حظا ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالادب أليق وبالشرع أوفق ومن سخيف الشعر في الانتحال

وما عزّ لي من غامض العلم غامض * مدى الدهر الابت منه على علم

(وقال عدي بن الرقاع)

وعلمت حتى ما أشاور عالما * عن علم واحدة لكي أزدادها

وسمعه كثير ينشد الوليد بن عبد الملك فقال له كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين في صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك اليوم حين تطلق هذا من نفسك وقال أبو موسى المنجم ما أحد تمنيت أن أراه فلما رأيته أمرت بصفعه الاعدنا فقيل له ولم ذلك قال لقوله هذا البيت كنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مرّ عليه بشيء لا يحسنه أمرت بصفعه (قوله وأعلم من تحت الجرباء) سميت السماء جرباء لان النجوم فيها كالجرب في البدن وقال ابن الرومي في غلام يهواه وخرج عليه جدري وأشار الى جرب السماء

وقالوا شانه الجدري فانظر * الى وجه به أثر الكلوم

فقلت ملاحة نثرت عليه * وما حسن السماء بلا نجوم

وأعلم من تحت الجرباء

فصمد له فتى فتيق اللسان جرىء الجنان وقال انى حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب مناقى مير فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله (النعل الزوجة) قال فان توضأ ثم أنكأه البرد قال يجدد الوضوء من بعد (البرد النوم) قال أيمسح المتوضئ أنثييه قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه (الانثيان الأذنان) قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان (الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادى) قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير (الضرير حرف الوادى والبصير الكلب) قال أيحل التطوف فى الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع (التطوف التغوط والربيع النهر الصغير) قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى (أمنى نزل منى ويقال منه منى وأمنى وامتنى) قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل ابرته (الفروة جلدة الرأس والابرة عظم المرفق) قال أيجب عليه غسل صحفته قال نعم كغسل شفته (الصحفة أسرة الوجه) قال فان أخل بغسل فاسه قال هو كما لو ألغى غسل رأسه (الفأس العظم المشرف على نقرة القفا) قال أيجوز الغسل فى الجراب قال هو كالغسل فى الجباب (الجراب جوف البئر) قال فما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضا (الروض ههنا جمع روضة

وقال أبو بكر بن السراج فى الفتح بن مسروق البلخى وقيل قالها فى ابن ياسر المغنى وكان من أحسن الناس وجها

لى قمر جدر لما استوى * فزاده حسنا وزاد الهموم

كأنما غنى لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم

وقال آخر

كأن آثار تجدير بوجنته * عشر معوّرة فى صحف وراق

(وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون)

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لا هو

ما الذى تنقمون من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه

وجهه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو أن حباب علاه

(قوله صمد) أى قصد (فتيق) طليق (جرىء الجنان) ماضى القلب قويه (انتخلت) اخترت (الفتيا) لغة فى الفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء تقول أفتانى افتاء وفتيا وفتوى (بنات غير) كناية عن الكذب * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى بنات العير الكذب * الفراء يقال للرجل أبو بنات عبر وهو الباطل بعين مهملة وباء منقوطة واحدة (مير) رزق وصلة وأصله جلب الطعام للأكل (الله أكبر) حكى أهل اللغة ان معناه كبير وقال الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة * قال معن بن أوس

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول

أى لوجل وقال النحويون الكسائى والفراء وهشام معناه أكبر من كل شئ فحذفت من لان افعل خبر كقولك أبوك أفضل وأعقل أى من غيره ولو كان اسما لم يحذف منه شئ ألا ترى أن من قال أخوك أفضل لم يقل ان أفضل أخوك فحذفت من فى الخبر لان الخبر يدل على أشياء غير موجودة فى اللفظ نحو أخوك قام فيدل على المصدر والزمان والمكان والاسم لا يحذف منه شئ يدل عليه و (المخبر) مصدر خبرت خبرة ومخبرا اذا جربته فأراد سيتبين لك بالتجربة ما ادعيته من العلوم وينكشف لك ما أضمرته منها (أصدع) تكلم وأظهر وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى اظهر دينك وانما اعتمد الشيخ ابو محمد الحريرى فى شرح الالفاظ التى ألغز بها على الوجه المعمى ولنشرح ماسوى ذلك مما اشتملت عليه ان شاء الله تعالى (قوله لمس) جس أصابعه عليها (أنكأه) جعله متكئا (يقذفه) يطرحه من بطنه و (الضرير) الاعمى و (البصير) السالم البصر * والطوف مصدر طاف حول الشئ اذا دار به و (الحدث) الغائط وجعله شنيعا لان الانسان اذا فعله فى الماء ظهر على وجه الماء فكانت به شنعة واستقذر الماء فلم يستعمل وان كان مباحا استعماله (قوله أخل) نقص (نقرة) حفرة (الروض)

وهى الصبابة تبقى فى الحوض) قال أيجوز أن يسجد الرجل فى العذرة قال نعم (يعنى العذرة) (العذرة فناء الدار) قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الاطراف (الخلاف الكم) قال فان سجد على شماله قال لا بأس بفعاله (الشمال جمع شملة) قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع (الكراع ما استطال من الحرة وهى أرض ذات حجارة سود) قال أيصلى على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب (رأس الكلب ثنية معروفة) قال أيجوز للدارس حمل المصاحف قال لا ولا حملها فى الملاحف (الدارس الحائض) قال ما تقول فمن صلى وعانته بارزة قال صلاته جائزة (العانة الجماعة من حمر الوحش) قال فان صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم (الصوم ذرق النعام) قال فان حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى (الجرو الصغار من القثاء والرمان) قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة (القرو ميلغة الكلب) قال فان قطر على ثوب المصلى نجو قال يمضى فى صلاته ولا غرو (النجو السحاب الذى قد هراق ماءه) قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويؤمهم مدرع (المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع) قال فان أمهم من فى يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف (الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء) قال فان أمهم من فخذه بادية قال صلاته ١٢٢ وصلاتهم ماضية (الفخذ العشيرة وبادية أى يسكنون البدو واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين العضو) قال فان أمهم الثور الاجم قال صل وخلاك ذم (الثور السيد والاجم الذى لا رمح معه) قال أيدخل القصر فى صلاة الشاهد قال لا والغائب الشاهد (صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد) قال أيجوز للمعذور أن يفطر فى شهر رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان (المعذور المختون وهو أيضا المعذر) قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه (المعرس المسافر الذى ينزل فى آخر ليله ليستريح ثم يرتحل) قال فان أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة (العراة الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة) قال فان أكل الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح (اصبح اى استصبح بالمصباح) قال فان عمد لان أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا (ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الحبارى وقال غيره هو ولد الكروان) قال فان أكل قبل ان تتوارى البيضاء قال يلزمه والله القضاء (البيضاء من أسماء الشمس) قال فان استثار الصائم الكيد قال أفطر ومن احل الصيد (الكيد القىء واستثاره اى استدعاه) قال أله أن يفطر بالحاح الطابخ قال نعم لا بطاهى المطابخ (الطابخ الحمى الصالب) قال فان ضحكت المرأة فى صومها قال بطل صوم يومها (ضحكت ههنا أى حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق) قال فان ظهر الجدرى على ضرتها قال تفطر ان آذن بمضرتها (الضرة أصل الابهام واصل الثدى أيضا) قال ما يجب فى مائة مصباح قال حقتان يا صاح (المصباح الناقة التى تصبح فى المبرك) قال فان ملك عشر خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر (الخناجر النوق الغزار الدر واحدتها خنجر وخنجور) قال فان سمح للساعى بحميمته قال يا بشرى له يوم قيامته (الساعى جابى الصدقة والحميمة خيار المال) قال أيستحق حملة الاوزار من الزكاة جزا قال نعم اذا كانوا غزا

(الاوزار) و

سواضع الغيث و (الصبابة) البقية و (الكراع) الرجل وكراع كل شئ طرفه و (الحرة) أرض فيها حجارة سود و (الهضب) جمع هضبة وهى الصخرة العظيمة والكدية الصغيرة وقيل الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض وقيل الجبل الطويل المتسع والجمع هضاب (ثنية) عقبة و (الميلغة) ما يشرب فيه الكلب الماء وهى من ولغ الكلب اذا تناول الماء بلسانه و (القروة) نقير من خشب تشرب منه الكلاب و (القثاء) هو القثوس و (النجو) هو الحدث (لا غرو) لا عجب و (المقنع) لابس القناع يريد المرأة و (الوقف) ما وقف وحبس من الاموال على المساكين والمساجد و (الذبل) جلد السلحفاة البرية ويقال انها تعظم فربما يضع التاجر ليلا عليها حمله يظنها صخرة فتريحل به ويستعمل من الطبق الذى عليها خلاخل للحشم والعبيد و (العاج) عظم الفيل و (الاجم) الذى ليس له قرنان (وخلاك ذم) باعد لك ذم و (المعذور) الذى تبين عذره و (الطاهى) طابخ اللحم و (الصالب) الحمى لا ترعدوا الحاحها ملازمتها و (الجدرى) قروح صغار تخرج على الصبيان (وضرتها) شريكتها فى زوجها و (الحقة) التى استحقت أن يركب عليها و (الخناجر) نوع من السكاكين الكبار و (يشاجر) يخالف و (الجابى) الجامع للصدقة ومنه الجبابة

(الاوزار السلاح وغزى جمع غاز) قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر (الاعتمار لبس العمارة وهى العمامة والاختمار لبس الخمار) قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع (الشجاع الحية) قال فان قتل زمارة فى الحرم قال عليه بدنة من النعم (الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار) قال فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله (ساق حر ذكر القمارى) قال فان قتل أم عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة من طعام (أم عوف الجرادة) قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب (القارب طالب الماء بالليل) قال ما تقول فى الحرام بعد السبت قال قد حل فى ذلك الوقت (الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من تحليل الحج) قال ما تقول فى بيع الكميت قال حرام كبيع الميت (الكميت الخمر) قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال ولا بلحم الحمل (الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه) قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية (الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويقال فيها هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر) قال ما تقول فى بيع العقيقة قال محظور على الحقيقة (العقيقة ما يذبح عن المولود فى اليوم السابع من ولادته) قال أيجوز بيع الداعى على الراعى قال لا ولا على الساعى (الداعى بقية اللبن فى الضرع والساعى جابى الصدقة) قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ١٢٣ ولله الخلق والامر (الصقر الدبس) قال أيشترى المسلم سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه اذا مات (السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام) قال فهل يجوز أن يبتاع الشافع قال ما لجوازه من دافع (الشافع الشاة التى يتبعها سخلها) قال أيباع الابريق على بنى الاصفر قال يكره كبيع المغفر (الابريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الاصفر الروم) قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه قال لا ولكن ليبيع صفيه (الصيفى الولد على الكبر والصفى الناقة الغزيرة الدر) قال فان اشترى عبدا فبان بامه جراح قال ما فى رده من جناح (الام مجتمع الدماغ) قال أتثبت الشفعة للشريك فى الصحراء قال لا ولا للشريك فى الصفراء (الصحراء الأتان التى يمازج بياضها غبرة والصفراء الناقة) قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا قال ان كان فى الفلا فلا يحمى يمنع والخلا الكلأ) قال ما تقول فى ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر (الكافر البحر وميتته السمك الطافى فوق مائه) قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجدر بالقبول (الحول جمع حائل) قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقرى منها الطارق (الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت) قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاة لحم بلا محالة (الغزالة الشمس) قال بعضهم يقال *طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها لانها تسود حين تغيب كما قال الشاعر

تبادر الجونة أن تغيبا* قال أيحل التكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق (الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة) قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الاباعد (القاعد التى قعدت عن الحيض أو عن الازواج) قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به فى البقيع (الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة) قال أيمنع الذمى من قتل العجوز قال معارضته فى العجوز لا تجوز (العجوز الخمر وقتلها مزجها)

و (الاوزار) أثقال الذنوب و (الغزى) هؤلاء الرماة بالنشاب و (يعتمر) يحج بعمرة و (يختمر) يستعمل الخبز المختمر و (الزمارة) المرأة تضرب بالمزمار و (البدنة) الناقة سميت بذلك لضخامتها وبدن الرجل ضخم (جدله) قتله وطرحه على الجدالة وهى الارض ومن أبيات اللغز فى الجرادة

وما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

و (القارب) السفينة الصغيرة و (الكميت) الفرس الاسود العرف والذنب والكمتة حمرة تضرب الى السواد و (الجمل) الخروف و (العقيقة) خرزة حمراء (محظور) ممنوع و (الصقر) من جوارح الطير (الدبس) عسل التمر (خوص) ورق (الثمام) شجر ضعيف ورقه كورق الدوم مزدوجة (الابريق) آنية الخمر (الصيفى) ما ولد فى زمن الصيف و (الصفى) الصاحب الخالص و (الدر) اللبن و (بان) ظهر و (جناح) اثم و (الاتان) الانثى من الحمير و (الطافى) المرتفع على وجه الماء و (الحول) جمع أحول وحولاء (أجدر) أحق (والطرق) السير بالليل (محظور) ممنوع و (الرقيع) الاحمق الذى يتخرق عليه رأيه حتى يحتاج الى أن يرقع ثم كثر حتى صار الرقيع الماجن القليل الحياء فاراد أيرقد عاقل تحت رقيع فقال ما أحسن ذلك اذا كان فى البقيع هذا معناه فى الظاهر وما قصد به قد فسره و (البقيع) فى الاصل كل موضع فيه

قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما جوز للحامل ولا نبيه (العمارة القبيلة) قال ما تقول في التهود قال هو
مفتاح التزهد (التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك) قال ما تقول في صبر البلية قال اعظم به من خطية (الصبر
الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها)
قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير (السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا
الجمل الذى يعرف اللاقح من الحائل) قال أيعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه (التعزير التعظيم والنصرة والتوقير)
قال ما تقول فيمن أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه (أفقره أعاره ناقة يركب فقارها) قال فان أعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده
(اعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما) قال فان أصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار (المملوك العجين الذى قد جيد عجنه حتى قوى)
قال أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها (البعل النخل الذى يشرب بعروقه من الارض) قال فهل تؤدب
المرأة على الخل قال أجل (الخل سوء احتمال الغنى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن
خلتن) قال ما تقول فيمن نحت أثلة أخيه قال أثم ولو أذن له فيه (نحت أثلته اذا اغتابه وقدح فى عرضه) قال أيحجر الحاكم
على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور (الثور الجنون) قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم الى أن يستقيم
(يقال ضرب على يده اذا حجر عليه) ١٢٤ قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا (الربض الزوجة) قال
فتى يبيع بدن السفيه
قال حين يرى له الحظ فيه
(البدن الدرع القصيرة)
قال فهل يجوز أن يبتاع
له حشا قال نعم اذا لم يكن
مغشى (الحش النخل
المجتمع) قال أيجوز أن
يكون الحاكم ظالما قال
نعم اذا كان عالما (الظالم
الذى يشرب اللبن قبل أن
يروب ويخرج زبده) قال
أيستقضى من ليست له بصيرة
قال نعم اذا حسنت منه السيرة (البصيرة الترس) قال فان تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل (العقل القوارى
ضرب من الوشى) قال فان كان له زهو جبار قال لا انكار عليه ولا اكبار (الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذى فات اليد
وضده القاعد) قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم اذا كان أريبا (المريب الذى يكثر عنده اللبن الرائب) قال فان
بان أنه لاط قال هو كالوخاط (لاط الحوض اذا طينه) قال فان عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل (غربل اى قتل
ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربله) قال فان وضح أنه مائن قال هو وصف له زائن (المائن ههنا الذى يعول
ويكفى المؤنة من مان يمون لا من مان يمين) قال ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالله الخلق (العابد ههنا الجاحد والحق الدين)
قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قولا واحدا (البلبل الرجل الخفيف) قال فان جرح قطاة امرأة ففاتت
قال النفس بالنفس اذا فاتت (القطاة ما بين الوركين) قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه
(الحشيش الجنين الملقى ميتا) قال ما يجب على المختفى فى الشرع قال القطع لاقامة الردع (المختفى نباش القبور) قال فما يصنع
بمن سرق أساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار (الاساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة) قال فان سرق
ثمينا من ذهب قال لا قطع كالو غصب (الثمين الثمن كما يقال فى النصف نصيف وفى السدس سديس) قال فان بان على المرأة السرق
قال لا حرج عليها ولا فرق (السرق الحرير الابيض) قال أينعقد نكاح لم يشهده القوارى قال لا والخالق البارى

أصول أشجار مختلفة (التهود) الدخول فى دين اليهودية (عمارة أبيه) ما كان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره (السفير) الرسول (المستشير) المسترشد الذى يستشيرك فى أموره والحمل عليه اهانته وظلمه (اللاقح) الحامل بالولد و(الحائل) ضدها و(يعزر) يؤدب والتعزير ضرب دون الحد و(البر) المكرم لابيه (توخاه) قصده وكذلك اعتمده (أصلاه) جعله فيها (تصرم) تقطع وتباعد وأصل الصرم القطع (بعلها) زوجها (حظر) منع (الخل) الاستحياء وأراد (سوء احتمال الغنى) أن تكون مبذرة لماله سفيهة فكأن الغنى لما أتاها لم تحتمله فأفسدته (نحت) نجر (اثلة) شجرة (غائلة) ضرر (الربض) بقاع من الارض تباع وتشترى (الحش) الكنيف (مغشى) يغشاه الناس ويدخلونه (البصيرة) اليقين والنظر السديد (السيرة) العادة (عنوان) دليل وعلامة و(الزهو) التكبر والاعجاب (الاريب) العاقل (لاط) عمل عمل قوم لوط (وضح) تبين (مائن) كاذب (القطاة) نوع من الحمام وفقأ العين أخرجها و(البلبل) طائر (الحشيش) نبات يابس (الردع) الكف والمنع (الاساود) الحيات (الثمين) الرفيع الثمن

(القوارى) طير خضر وقد بين هو أنه أراد بالقوارى الشهود و يقال المسلمون قوارى الله في الارض أى شهوده قال جرير * المسلمون لما أقول قوارى * وباتت العروس بليلة شيباء اذا غشيها زوجها ، الفنجديهى رأيت بخط الحريرى رحمه الله تعالى

طيبوها ولم أطب بطيب * رب منع ألذ من اعطاء

بت في درعها وباتت ضجيعى * في بصير وليلة شيباء

البصير هنا قطعة من دم وقد أتينا على ما في هذه المسائل من الغريب في الظاهر وأما ما قصد من المعمى فهو مفسر في الاصل ولقد أحسن أبو محمد في هذه الفتاوى وأجاد و بلغ من الاقتدار والاتساع فوق المراد وان كان لا يوصف فيها بالابتداع فلقد أحسن في الاتباع والسابق الى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى في كتاب سماه بالملاحن وهي من اللحن وهو أن تورى بلفظ عن لفظ ثم تمم تلك الاعراض وحسنها أحمد بن عبد الله في كتاب سماه بالمنقذ وفائدة حفظ هذه الاعراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أو مسلط غاشم فيتخلص منه بهذه المعاريض فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل اليها ومعتمدهم فيها حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يحسن المعاريض كيف يكذب ولمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لطلائع المشركين حين لقوه في نفر من أصحابه فقالوا ممن أنتم من ما فتركوهم وأراد فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وقوله صلى الله عليه وسلم في مزاحه لاحدى عماته ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها ان الله تعالى يخلقهم يوم القيامة شواب أبكارا وقال لامرأة ما فعل زوجك الذى في عينيه بياض فلما جزعت قال لها أوليس في كل عين بياض وقال له رجل احملنى قال ما عندى الا ولد الناقة فقال وما أصنع بولد الناقة فقال صلى الله عليه وسلم وهل الابل الا من النوق فاستجيزت المعاريض على هذا النحو من المزاح أو التخويف ومن ذلك أن بعض العرب أدخل على الواثق وكان يقول بخلق القرآن و يعاقب من خالفه فقال له ما تقول في القرآن فتصامم عليه فأعاد السؤال فقال من تعني يا أمير المؤمنين فقال اياك أعني فقال مخلوق يعني نفسه وتخلص منه وقال لآخر من الصالحين ما تقول في القرآن فأخرج يده وجعل يعد أصابعه و يقول التوراة والانجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة فعني أصابعه وتخلص منه وتعذر على رجل لقاء المأمون في ظلامة فصاح على بابه أنا أحمد النبي المبعوث فادخل اليه واعلم انه تنبأ فقال له ما تقول فذكر ظلامته فقال له ما تقول فيما حكى عنك فقال وما هو قال ذكروا أنك تقول انك نبي فقال معاذ الله انما قلت أنا أحمد النبي المبعوث أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده فاستظرفه وأمر بانصافه * وخرج شريح القاضي من عند زياد وتركه يجود بنفسه فسأله الناس عن حاله فقال تركته يأمر وينهى فجزعوا لسلامته فراعهم الاصياح النائحات عليه فسئل شريح عن قوله فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء * وسئل ابن شبرمة عن رجل ليستعمل فقال ان له شرفا وقدما و يدا فنظروا فاذا هو ساقط سفلة فقيل له في ذلك فقال شرفه أذناه و بيته الذي يأوى اليه وقدمه الذي يمشي عليه وقال صاحب المنقذ اذا حلفت بالايمان اللازمة لك فانو بالايمان

(القوارى الشهود لانهم يقرون الاشياء أى يتتبعونها) قال ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق (يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد في الحافرة يعني الرجوع في الطريق الاول وكني به عن طلاقها وردها الى أهلها

الأيدى قال تعالى وعن أيمانهم وعن شمائلهم فان قلت كل امرأة لك طالق فاعن الطالق من الابل وهي التي يطلقها الراعى والطالق التي يحمل عليها عقالها فان قيل احلف بظهار امرأتك كظهر أمك فاعن بالظهر ما يركب من الخيل والبغال والحمير ولا جناح عليه في ركوب دواب أمته فان قال احلف بما لك على المسلمين صدقة فاعن ما لك على المساكين من دين وليس لك عليهم شئ فان أحلفك بأن كل مملوك لك حر فالمملوك الدقيق الملتوت بالماء والزيت أو السمن فان قال كل غلام لك حر فالحر الحية الذكر والحر من الرمل الذى ما وطئ والحر ذكر الحمام قال جميد * دعت ساق حر ترحة وترنما * فان أحلفك بأن كل جارية لك حرة فالجارية السفينة والريح والشمس فان قال احلف والا كل أمة لك حرة فالحرة الاذن والحرة السحابة الغزيرة المطر فان أحلفك والا فمالك حبيس فحبس بلد معروف قال ابن حلزة

* لمن الديار عفون بالحبس * فان قال والا فهو كافر فالكافر الليل أو البحر أو الزراع للبذر قال الله تعالى أعجب الكفار نباته وأصله الساتر وتقول كل امرأة تزوجتها فقد طلقتها بتاتا فتزوجت اتخذت زوجا من النبات أى لونا قال الله تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وقال تعالى فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وطلقتها ألبستها الطلق وهو قبة من جلود والبتات الزاد وتقول ما تطيبت ولا تمسكت فتطيبت أتيت الطيب وهو بلد بين واسط والسوس أو طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكت لبست مسكا وهو الجلد أو تفعلت من الامتساك وتقول ماله قبلى درهم ولا دينار فدرهم قبيلة من ربيعة لهم خطة في البصرة ودينار اسم رجل معروف وماله قبلى ثوب ولا شقة ولا قميص الثوب الرجوع من ثاب يثوب والشقة البعد والقميص غشاء القلب وماله قبلى شئ بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب الشئ مصدر شويت اللحم والوجوه صور مختلفة من التصاوير والوجه المقصد والجمع وجوه والاسباب الحبال وما أوصيت اليه وما أوصى الى أوصى دخل في الواصى وهو بيت متصل بعضه ببعض ولا أعلم له دارا ولا عقارا فدارا بلد معروف بالجزيرة قال الشاعر

ولقد قلت لرجلى * بين حران ودارا اصبرى يا رجل حتى * يرزق الله حمارا

والعقار النخل ولا أعرف للمرأة بعلا ولا وليا فالبعل النخل أو الشجر يشرب بماء السحاب والولى المطر يلى الوسمى وتقول ما اشتريت لفلانة ضرتك قميصا ولا ازارا ولا رداء ولا قناعا ولا غلالة ولا حليتها خاتما ولا خلخالا ولا طوقا ولا سوارا ولا قرطتها ولا شنفتها ولا كسوتها ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بعود ولا بطبل ولا رباب ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذا فالقميص غشاء القلب والرداء السيف أو الدين أو الغطاء والازار قيل المرأة أو جسم الرجل قال الشاعر * فدى لك من أخى ثقة ازار * والازار العفاف والقناع جمع قنع وهو طبق يجعل عليه الفاكهة وفي الحديث ان الربيع ابنة معوذ أتت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وآخر من زغب فأكل منه والزغب القثاء والغلالة مسمار من مسامير الدروع قال * فهن وضاء صافيات الغلائل * والغلالة الجماعة من الناس والخاتم شعرات بيض في قوائم الفرس والسوار مصدر ساورت الرجل والخلخال الرمل الجريش والطوق المصدر من الطاقة وقرطتها من القرط وهو العلف الرطب تأكله الدواب فاذا يبس فهو القت وشنفتها

جعلتها

جعلتها مشنفة أى مبغضة من شنفت الرجل اذا أبغضته وكسوتها ضربت كساها وهو جانبها وجانب كل شئ كساه والجمع أكساء والقينة هزمة بين الورك وعجب الذنب من الفرس والعود الذى يتبخر به هو الزمارة الفاجرة ومنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة والزمارة الغل وفى خبر الحجاج أتى سعيد بن جبير وفى عنقه الزمارة أى ساجور والطبل السلة التى يجعل فيها الطعام والطبل الخراج والمغنية ناقة تضرب بنابها والرباب سحاب مترا كب قريب من الارض والنبيذ ما نبذته النعام أو الحمير بارجلها من الحصى * وتقول مالى مركوب ومابعت عبدا وقد افتقرت حتى مافى ملكى نفقة يوم مالى يعنى ملكى ومركوب ضربت ركبته وثنية بالحجاز وعبد جبل من جبال طئ وافتقر اشتد فقاره أو كسر فقار جدى أو حمل والملك الحجة *وتقول ما أضعت عملك ولاقصرت ولا أهملت ولا فرطت ولا سامحت أحدا ولا تركت واجبا ولا ارتفقت بحبة ولا أبقيت غاية فى مناصحتك أضعت كثرت ضياعى وفرطت بعثت فارطا وهو طالب الماء وقصرت بنيت قصرا وأهملت كثرت هواملى وهى الابل السارحة فى المرعى بلا راع وسامحت نظرت أينا أكرم والواجب الساقط وارتفقت نمت على مرفقى والغاية راية الخمار *وتقول ماشتمت له أبا ولا عما ولا عمة ولا خالا ولا خالة ولا صحبته ولا شاهدته ولا راسلته ولا شاربته ولا نادمته ولا رأيته منذ دهر أبا دا ياخذ المعزى قال

* أبا لا خال الضأن منه نواجيا * وعم قطعة من الناس وقرية بالشأم والعمة النخلة قال صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة وقيل لها عمة لانها خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام والخال السحاب والخال من البرود والخال من الخيلان والخالة جمع خال من الكبر وصحبته منعته قال تعالى ولا هم منا يصحبون أى يمنعون وشاهدته أكلت معه الشهد وراسلته شربت معه الرسل وهو اللبن وشاربته من الشوارب ونادمته من الندم ورأيته ضربت رئته ودهر قبيلة من اياد * وتقول ما كتبت له حرفا ولا خططت له بقلم ولا شتمته ولا هجوته ولا افتريت عليه ولا أعرف عليه سوأ الحرف الناقة المضمرة والقلم القدح قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم يعنى قداح الميسر والشتم قبح الوجه وهجوته أزلت نعمته وهو الهجى مقصور وافريت ابست الفرو والسوء البرص * وتقول رأيته فى السوق متوفى مقبورا وما أخذ دواء ولا معجونا فالسوق أصول الشجر وأعناقها متوفى دائما مقبورا مبخرا بالعود الهندى الذى فيه قبر أى رخاوة والدواء والدواية جلدة اللبن والمعجون المضروب على عجانه * وتقول هو مجنون مصاب قد غل مرارا فما اعتذرت له ولا تنصلت لانه ليس من الاجواد ولا الشجعان الذين يقدح فى انسابهم المجنون المستور مصاب محدر من صاب يصوب وغل من الغلة واعتذر وتنصل اتخذ عذارا ونصلا والاجواد العطاش والشجعان الحيات والانساب أسنان المشط * وتقول رأيت الجيش بالثغر والفارس فى الفوارس فما أفضل عليه حدا من العرب والعجم الجيش الغليان والثغر شجر له شوك والفارس الحسن الفراسة أو الفوارس كثبان رمل والعرب فساد المعدة وعربت معدته والعجم النوى وما أكلت دابتى شعيرا الشعير جمع شعيرة وهو مسمار من الفضة فى قائم السيف والباب متسع وفيه تانس لما ذكره أبو محمد * ومن المعاريض ان الحجاج لما اخرج ابن القبعثرى من سجنه

قال له سمنت بأغضبان قال القيد والرتعة والخفض والدعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال لأحملنك على الأدهم قال مثل الامير يحمل على الادهم والورد والكميت قال انه حديد قال يكون حديدا خير من أن يكون بليدا قال اضربوا به الارض قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم قال جروه قال بسم الله مجراها ومرساها قال احملوه على الايدى فلما حمل قال سبحان الذى سخر لنا هذا فضحك الحجاج وقال غلبنا هذا الخبيث خلوه الى صفحي عنه قال فاصفح عنهم وقل سلام * وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة من أين أقصى أثرك قال من صلب أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال أتعقل لاعقلت قال اى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال فاسنك قال عظم قال ماتزيدنى مسئلتك الاعيا قال ما أجبتك الاعن مسئلتك * الربيع بن عبد الرحمن قلت لاعرابى أتهمز اسرائيل قال انى اذا لرجل سوء أراد قوله هماز مشاء بنميم قلت اتجر فلسطين قال انى اذا القوى * خلف الاحمر قلت لاعرابى ألقى عليك بيتا قال على نفسك فألقه * قيل لاعرابى أتهمز الفأرة قال الهر يهمزها ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالى عامل ارمينية وقد بات على قريب من غدير فيه ضفادع فقال عبد الله ماتركتنا شيوخ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة اصواتها فقال المحاربى أصلح الله الامير انها أضلت برقعا فهى فى بغائه اراد الهلالى قول الاخطل

تنق بلاشئ شيوخ محارب * وماخلتها كانت تريش ولاتبرى

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

(وأراد المحاربى قول الآخر)

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقميص

وهذا النحو من التعريض كثير وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى

ياضرة الشمس التى أشرقت * قدأشرقت جبهة مشتاقك

لحظك اوخصرك قد ضمنا * ماضمنت عهدة ميثاقك

ثأر الهوى يطلبه ثائر * مصرعه ما بين احداقك

لاتدخرى أنفس صوت فقد * رغب فى أنفس أعلاقك

رفقا بمن ملكته فى الهوى * فانه آخر عشا قك

فأنفس أعلاق المرأة معلوم والظرف كله فى قوله فانه آخر عشاقك يعرض انها اسنت فلاعاشق لها من بعده والقينة التى داعبها ومازحها تفهم ماخوطبت به لانها تلميذة ولادة بنت المكتفى وولادة شاعرة بارعة التندير فمن تندرها قولها فى ذى الوزارتين بن زيدون عاشقها تعرض له بشئ كان يزن به

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولاذنب لى

يلحظنى شزرا اذاجئته * كأنما جئت لاخصى على

وعلى صبى كان يمزح معه (قوله بغضغضه) ينقصه (المائح) المستقى من أعلى البئر والمائح بالياء من قعرها (حبر) عالم (أطرق) امال رأسه ساكتا (وأرم) سكت (العى) الذى ان كلمته

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه المائح وحبر لا يبلغ مدحته المادح ثم أطرق اطراق الحى وأرم ارمام العى فقال له أبو زيد

يحسن ردجوابه (ايه) بمعنى زدنى من سؤالك *ابن السرى اذا قلت ايه يارجل فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت هات الحديث وان قلت ايه بالتنوين فكأنك قلت هات حديثاما (فالى متى) سكوتك (مرماة) سهم يرمى به السبق وقيل هو سهم مدور النصل (بعد اشراق صبحك) أى بعد ظهور فضلك واشراق ضوء (عماراة) شك (أبنت) بينت (ذلق) حديد (صهصلق) شديد (مثلة) مغير الخلق فهى فعلة من المثل ويقال المثلة والمثل بمعنى

*وتذكر على قوله انافى العالم مثلة فصلا فى ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم فمنهم الجاحظ وأراد المتوكل ان يعلم بنيه الثلاثة وولاة عهده فأدخل عليهم فارتاعوا من قبح وجهه فأخرج عنهم بعنف * وحكى المسعودى أن الجاحظ قال ذكرت للمتوكل لتعليم بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وقال الجدونى

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * لرأيته فى دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العدو لكل عين لاحظ

قال الاصمعى رحمه الله دخلت يوما على جعفر بن يحيى فقال لى هل لك يا أصمعى من زوجة قلت لا قال فجارية قلت للمهنة قال فهل لك ان أهب لك جارية نظيفة قلت انى لمحتاج الى ذلك فأمر بجارية فأخرجت وهى فى غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال لى خذ هذه فشكرته وبكت الجارية وقالت يا سيدى أتدفعنى لهذا الشيخ مع ما أرى من سماجته وقبح منظره وجزعت جزعا شديدا فقال لى يا أصمعى هل لك أن أعوضك منها ألف دينار فقلت ما أكره ذلك فأمر لى بها ودخلت الجارية فقال لى يا أصمعى أنكرت عليها شيأ فأردت عقوبتها بك ثم رحمتها منك فقلت أيها الامير أفلا أعلمتنى قبل ذلك فانى لم آتك حتى سرحت لحيتى وأصلحت وجهى وعمتى فلو عرفت الخبر لسرت على هيئتى وخلقتى فوالله لو رأتنى كذلك لما عاودت شيأ تنكره أبدا وما ضر من ذكرنا قبحهم مع العلم الذى زينهم الله به وكذا ينبغى لمن خلق قبيح الصورة أن يستعمل لها الاخلاق الحسان والافعال الحسان لئلا يجمع بين قبيحين * كان الاوقص المخزومى أقبح الناس خلقة ومارؤى مثله فى العفاف والزهد وكان قاضى مكة فقال يوما لجلسائه قالت لى أمى يا بنى انك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجالسة القيان فى بيوت القيان فعليك بالدين فان الله تعالى يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعنى الله بكلامها فوليت القضاء *وروى أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية حين أراد أن يتعلم الغناء فى حداثته فتركه وتعلم العلم فذهب به حيث بلغ * وكان عطاء بن أبى رباح اعور اسود أفطس أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة وقيل لاهل مكة بعد موته كيف كان عطاء بن أبى رباح فيكم قالوا كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد وكان فى خلقة أبان بن عثمان كل عيب وكان يضرب بعيوبه المثل فى المدينة * كان معن بن زائدة أمير اليمن يوما جالسا اذ أتته امرأة من بنى سهم ومعها ابن صغير يتبعها ويطأ أذيالها فقالت أصلح الله الامير ان عمى زوجنى من ليس بكفء فقال من هو فقالت ابن ذى مناجب فقال على به فدخل أقبح من خلق الله وأشوههم خلقا فقال من هذه منك قال امرأتى قال خل سبيلها ففعل فاطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال

لعمرى لقد أصبحت غير محبب * ولا حسن فى عينها ذا مناجب

(ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم)

ايها يافتى فالى متى والى متى فقال له انه لم يبق فى كانتى مرماة ولا بعد اشراق صبحك عماراة فبالله أى ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق أنا فى العالم مثله ولا اهل العلم قبله

فالمتهالما تبينت وجهه * وعيناله خوصامن تحت حاجب
وأنفا كأنف البكر يقطر نا تئا * على لحية عضباء منه وشارب
أتيت بها مثل المهاة تسوقها * فيا حسن محلوب ويا شر حالب

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن والصبي هو ابن جامع المغني المشهور * وحكى البحترى فى نوادره عن رجل سماه قال مررت بامرأة من أجمل الناس معها رجل من أقبحهم فقلت لها يا أمة الله من هذا منك قالت رجليه فقلت ومن قرنك به قالت اخيه فقلت

جرى الرحمن عنك أخاك شرا * فقد أخزاك فى الدنيا وزادا
فلم أر مغزلا قرنت بكلب * ولا خزا بطانته بجادا

وقال آخر
ألا رب بيضاء المحاجر طفلة * تساق الى وغد من القوم تنبال
يقولون جرتها اليك قرابة * فويح العذارى من بنى العم والخال

وقال آخر
لابن عبد النور وجه * صار للقبح ملاذا
قال قرد اذ رآه * لعنة الله على ذا

وقال فى بشار
تواثب اقمارا وأنت مشوه * وأقرب خلق الله من شبه القرد

وكان بشار ضخما قبيح الوجه جاحظ الحدقتين أقبح الناس عمى ومنظرا فقال فيه حماد عجرد

ألا من مبلغ عنى الــــذى والده برد
اذا ما نسب الناس * فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القردا * اذا ما عمى القرد

فقال بشار عندما سمع هذا البيت ما أخطأ ابن الزانية من صفتى نقرة وجعل يبكي ويقول ما حيلتى يرانى ويشبهنى ولا أراه فأشبهه وبعده

ولو تلقيه فى صلد * صفا لانصدع الصلد
هو الكلب اذا ما ما * ت لم يوجد له فقد

وأنشده رجل قول حماد

دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك لبرد نكت أمك من برد

فقال له ههنا أحد قال لا قال أحسن والله ابن الزانية ولقد تعين له فى بيت واحد على خمسة معان من الهجو وهى دعيت الى برد معنى وأنت لغيره معنى ثان وهبك لبرد معنى ثالث نكت أمك شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ثم ختمها بقوله من برد فأتى بالطامة الكبرى وأوجع ما مر عليه من قول حماد

لو طليت جلدته عنبرا * لافسدت جلدته العنبرا
أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحول المسك عليه خرا

* كان حفص بن أبى وردة أفطس أعمص مقبح الوجه وكان حماد صديقه فتناشدوا الشعر يوما فطعن حفص على مرقش فقال حماد

لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل * وأنف كثيل العود عما تتبع
تشنع لحنا فى كلام مرقش * ووجهك مبنى على اللحن أجمع

فأذنالك اقواء وأنفك مكفأ * وعينالك ايطاء فأنت المرقع

أخذ تشبيه الانف بالثيل من قول كعب فى الوليد بن عبد الملك

فقدت الوليد وأنفاله * كثيل البعير أبى أن يبولا

قال أبو زيد رأيت اعرابيا كان أنفه كوز من عظمه فرآنا نضحك فقال لنا ما يضحككم فوالله لقد كنت فى قوم يسموننى الافطس وقال الشاعر

اذا أنت أقبلت فى حاجة * اليه فكلمه من خلفه

فان أنت واجهته بالكلا * م لم يسمع الصوت من أنفه

وقال آخر

ان عيسى انف أنفه * أنفه ضعف لضعفه

لو تراه راكبا والا * نف قد مال بعطفه

لرأيت الانف فى السر * ج وعيسى ردف أنفه

(وقال الحسن فى جعفر بن يحيى)

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كانه ناظر فى السيف بالطول

(وقال أبو على الخليع)

سابور ويحك ما أخسك بل أخصك بالعيوب

وجه قبيح فى التبسم كيف يحسن فى القطوب

كان جحظة البرمكى ناتئ العينين جدا قبيح الوجه فقال فيه ابن الرومى

نبيت جحظة تستعير جحوظه * من فيل شطرنج ومن سرطان

يا رحمة لمنادميه تحملوا * ألم العيون للذة الآذان

وكان طيب الغناء وحضر مجلسه على بن بسام فتفرق القوم المخاد فقال جحظة مالى لا أعطى مخدة فقال له ابن بسام غن فالمخاد كلها اليك تصير وقال فيه

يا من هجوناه فغنانا * أنت وحق الله أهجانا

سيان ان غنى لنا جحظة * أو مر مجنون فرنانا

وله فيه أيضا

لجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر

لما رآنى رد برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر

كان الحطيئة قبيح المنظر كثير الشر فالتمس يوما انسانا يهجوه فلم يجد فجعل يقول

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بشر فما أدرى لمن أنا قائله

فاطلع فى ماء فرأى وجهه فقال

أرى لى وجها قبح الله شخصه فقبح من وجه وقبح حامله

نظر الى هذا اسمعيل بن معمر القراطيسى فقال

ويلى على ساكن شط الفراه * مزارحيه على الحياه

ما تنقضى من عجب فكرتى * من خصلة فرط فيها الولاه

ترك المحبين بلا حاكم * لم يقعدوا للعاشقين القضاه

وقد أتانى خبر ساءنى * مقالها فى السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغى وصلنا * أما يرى ذا وجهه فى المراه

وقال الاصبهانى ان القراطيسى سأل العباس بن الاحنف فقال له يا أبا الفضل هل قلت فى معنى قولى هذا شيأ فقال قلت

جارية أعجبها حسنها * ومثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها * فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(وقال الصقلى فى صفة عذول قبيح)

رأى وجه من أهوى عذولى فقال لى * أجلك عن وجه أراه كريها
فقلت له بل وجه حبى مراءة * فأنت ترى تمثال وجهك فيها

(ولابن القابلة السبتى)

ووجه حبيب رق حسنا أديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لى عند اللقاء به رشا * تكاد الحيا من محياه تقطر
ولم يتعرض كى أراه وانما * أرادير بى أن وجهك أصفر

(ولبعض المصريين فى غلام يهواه)

يجرى النسيم على غلالة خده * وأرق منه ما يمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه * فعكست فتنة ناظريه اليه

(وقال الرمادى)

واذا أراد تنزها فى روضة * أخذ المراة بكفه فتنزها

كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنوادر وكانت ساقيته وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها فقال لها يوما انى أحبك وتبغضينى فلم ذلك فقالت له وجهك والحرام لا يجتمعان فقال

مذكرة مؤنثة مهاة * اذا برزت تشبهها غلاما
تعاف الماء والعسل المصفى * وتشرب من فتوتها المداما
تقول لحظها يا سيف أبشر * ستروى من دم وتشق هاما
وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن مس * أأجمع وجه هذا والحراما

(ومن ملح ابن لنكك فى اهاجى أبى رياش)

على القبح الفظيع أبو رياش * يعاشرنا بأخلاق ملاح
يبيح أكفنا أبدا قفاه * فنصفعه على وجه المزاح

(وله فيه أيضا)

قل للوضيع أبى رياش لا تبل * تِه كل تيه بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الاخسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

غير أنى كل يوم
بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل
ل بطوبى لم تطب له
ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن
هدى ويهدى فاجعلهم

(قوله تعريس) أى نزول آخر الليل (يهدى) الاول يرشد ويدل على الطريق ويقال هداه يهديه

عمن يهتدى ويهدى فساق
السه القوم ذودامع قينة
وسألوه أن بز ورهم القينة
بعد القينة فنهض بنيهم
العود ويزجى الامة والذود
(قال الحرث بن همام)
فاعترضته وقلت له عهدى
بك سفيها فتى صرت فقيها
فظل هنيهة يجول ثم انشد
يقول
لبست لكل زمان لبوسا
ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما
يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام
وبين السقاة أدير الكؤسا
وطورا بوعظى أسيل الدموع
وطورا بلهوى أسر النفوسا
وأقرى المسامع امانطقت
بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت أرعف كفى اليراع
فساقط دررا يحلى الطروسا
وكم مشكلات حكين السها
خفاء فصرن بكشفى شموسا
وكم ملح لى خلبن العقول
وأسأرن فى كل قلب رسيسا

هدى فى الدين وهداه يهديه هداية فى الطريق (يهدى) يعطى هدية ويقال أهداه هدية يهديها اهداء اذا أعطاها (الذود) مابين الثلاث الى العشر من الابل ولا تكون الا اناثا (قينة) جارية مغنية ويقال القينة الامة كانت مغنية أو غير مغنية (القينة) الساعة والحين ويقال انى لآتيه القينة بعد القينة وفينة بعد فينة يستعمل بالالف واللام وبتركهما أى أديم الاختلاف اليه الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت (يزجى) يسوق (السفيه) البطال المشتغل باللهو (هنيهة) سويعة تصغير هنة ويقال فى تصغيرها هنية وهنيهة كما تصغر سنة سنية وسنيهة (يجول) يتصرف (لبوسا) ثوبا يشا كله أخذه من قول النابغة

البس لكل حالة لبوسها * امانعيمها واما بوسها

(لابست) خالطت (صرفيه) حاليه من الخير والشر (عاشرت) صاحبت (يلائمه) يوافقه (أروق) أعجب والصرف اسم لحادث الدهر لانه يصرف الاشياء عن وجوهها (طورا) مرة (أقرى المسامع) أعطى الآذان واجعل فيها البيان (امانطقت) أى ان نطقت (الحرون) الذى يأبى المشى والانقياد (الشموس) الذى اذا نخس وثب وقيل الذى يمنع الركاب (اليراع) الاقلام ارعفها أسالها بالمداد (يحلى) يزين (الطروس) الكتب سميت بذلك لانها تمحوه والمطروس الممحو قال رؤبة * كما رأيت الطلل المطروسا * وعلى ذكر اليراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى فى قلم

وأهيف طاوى الكشح اسمر ناطق * له جولان فى بطون المهارق
كأن اللآلى والزبرجد نطقه * ونور الخزامى فى عيون الحدائق
اذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلا صوت ارعاد ولا صوب بارق

(وقال ابن عبد ربه)

بكفه ساحر البيان اذا * أداره فى صحيفة سحرا
مهفهف تزدهى به صحف * كأنما حليت به دررا
يكاد عنوانها الروعته * ينبيك عن سرها الذى استترا

(وقال التهامى)

يلقى العدا من كتبه بكتائب * يجررن من زردا لحروف ذيولا
فترى الصحيفة حلبة وجيادها * أقلامها وصريرهن صهيلا
فى كفه قلم أتم من القنا * طولا وهن أتم منه طولا

وله أيضا

واذا راش بالانامل منه * قلما واستمد ساء وسرا
قلد بالاقاليم حتى * قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره فابن عشرين * ذراعا بالرأى يخدم شبرا

(السها) نجم خفى (خلبن) خدعن (أسارن) أبقين والسؤر البقية وفى الحديث اذا أكلتم فأسئروا وأخذت سائره معناه بقيته (الرسيس) أول برد الحمى يريد أن هذه الملح لعذوبتها اذا حلت فى القلب أحدثت فيه حركة وهزة واذا سمع ذو الذكاء كلاما مستطرفا من نثر أو نظم وجد له دبيبا وقشعريرة وأخذ وكم مشكلات من قول على رضى الله عنه

اذا المشكلات تصدين لى * كشفت حقائقها بالنظر

وان برقت فى مخيل الصوا * ب عمياء لايجتليها البصر
مقنعة بغيوب الامور * وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا ككشقشقة الارحبي أو كالحسام اليمانى الذكر
وقلبا اذا استنطقته الفنو * ن ثرعليها نداه درر

(ذكر مدح الشعراء الشعر)

(عذراء) قصيدة بكر لم يسبق اليها (فهت) نطقت (اثنى) رجع (طليقا) منتشرا فى الناس (حبيسا) موقوفا عليها لايتعداها لغيرها ومدح الشعراء للشعر باب شأو بعيد وسنذكر لحبيب وهو المبرز فيه ولغيره مايستحسن ويستجاد قال حبيب

وعذراء فهت بها فانثنى
عليها الثناء طليقا حبيسا

جاءتك من نظم اللسان قلادة * سمطان فيها اللؤلؤ المكنون
حذيت حذاء الحضرمية أرهفت * فأجابها التحصين والتبيين
انسية وحشية كثرت بها * حركات أهل الارض وهى سكون
أما المعانى فهى أبكار اذا * فضت ولكن القوافى عون

وقال أيضا

فوالله لاانفك أحدو قصائدا * اليك يحملن الثناء المجللا
يحالك بهابرد عليك مجدّد * وتحسبه درا عليك مفصلا
ألذمن السلوى وأطيب نفحة * من المسك مفتوقا وأيسر محملا
أخف على سمع وأثقل قيمة * وأقصر فى سمع الجليس وأطولا

(وقال البحترى)

تطوف القوافى فيكم فكأنما * يطير اليكم من علو قصيرها
وكم لى من محبوكة الوشى فيكم * اذا انشدت قام امرؤ يستعيرها

وقال أيضا

ألست الموالى فيك نظم قصائد * هى الانجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كأن الروض منه منوّض * ضحى وكأن الوشى فيه مسهما

وقال أيضا

اليك القوافى نازعات قواصد * يسير ضاحى وشيها وينمنم
ومشرقة فى النظم غرّ ايزيدها * بهاء وحسنا أنها لك تنظم
ضوامن للحاجات اماشوافعا * مشفعة أوحاكمات تحكم

(وقال على بن الجهم)

ولكن احسان الخليفة جعفر * دعانى الى ماقلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

(ولابن الرومى يهجو)

خذها اليك منيحة سيارة * فى الناس من بادو من متحضر
تغدو اليك بحاصب وبتارب * وعلى الرواة بلؤلؤ متخير

(وقال السرى الموصلى)

أتتك يجول ماء الطبع فيها * مجال الماء فى السيف الصقيل
قواف ان ثنت للسمر عطفا * ثنى الاعطاف فى برد جميل

وقال أيضا

شرقت بماء الطبع حتى خلتها * شرقت لرونقها بتبر ذائب

ويقول

ويقول سامعها اذا ما أنشدت * اعقود جد أم عقود كواكب

وقال أيضا

ألفاظها كالدر في الفاظه * لا بل تزيد عليه في لألائه
من كل رائعة الجمال كأنما * جاد الشباب لها برونق مائه
والشعر بحر حزت أنفس دره * وتنافس الشعراء في حصبائه

وقال أيضا

لفظ صقلت متونه فكأنه * في مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت في صفحاته * حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت في تحبيره فروائه * في نزهة منه وفي استغراب
وقطعت منه شبيبة لم تشتغل * عن حسنه بصبا ولا تصاب
واذا ترقرق في الصحيفة ماؤه * عبق النسيم فذاك ماء شباب
يصغي اللبيب له فيقسم لبه * بين التعجب منه والاعجاب
جد يطير شراره وفكاهة * تستعطف الاحباب للاحباب

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم ما في شعرك شيء غير انك لا تطيله فقال

أبى لى أن أطيل الشعر قصدى * الى المعنى وعلمى بالصواب
فأبعثهن أربعة وخمسا * مثقفة بألفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا * وما حسن الصبا بأخى الشباب
وهن اذا وسمت بهن قوما * كأطواق الحمائم في الرقاب
وهن اذا أقمن مسافرات * تهاداها الرواة مع الركاب

على انى من زمانى خصصت
بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لى كل يوم وغى
أطامن لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقنى بالخطوب التى
يذبن القوى ويشبن الرؤسا
ويدنى الى البعيد البغيض
ويبعد عنى القريب الانيسا
ولولا خساسة اخلاقه
لما كان حظى منه خسيسا

(قوله على انى) أى مع انى (وقوله ولا كيد فرعون موسى) أضاف فرعون الى موسى لان الفراعنة كانوا جماعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فرعونا وفرعون هذه الامة أبو جهل وفرعون موسى كان أكبر الفراعنة كيدا وأطولهم عمرا وأعتاهم على الله وأسراهم مملكة * ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان أكافئه وأما عذابه لبنى اسرائيل فقد قدمنا في الخامسة * ومما يحكى عنه انه كان يأمر بالقصب فيشق ويجعل أمثال الشفار ثم يضيف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه تتقى به حد القصب عن رجليها قال وهب بن منبه بلغنى انه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد ونسب الثعالبى المفسر فرعون فقال هو ابو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فازم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (قوله يسعر) أى يهيج (وغى) حرب (لظاها) حرها (وطيسا) شدة وحمى الوطيس اشتدت الحرب وأصله تنور من حديد يطبخ فيه فشبهت شدة الحرب وحرارتها به وقيل هو حفرة يختبز فيها والوطيس الوطء الشديد والبلاء الذى يطس الناس أى يدقهم ويقتلهم (يطرقنى) يقصدنى ليلا (الخطوب) الامور الشداد (خساسة) حقارة (حظى) نصيبى * ومما قيل في معنى قوله * ويدنى الى البعيد البغيض * البيت قول الزاهد بن عمران

الملم كل ثقيل قد أضر بنا * نروم نقصهم والشئ يزداد
ومن يخف علينا الا بلم '١ * والثقيل مع الساعات تزداد

(ويقرب منه قول الشاعر)

وكيف يود القلب من لا يوده * بلى قد تريد النفس من لا يريدها

(وقال عدى بن الرقاع)

نبلتك أخت بنى لؤى اذ رمت * وأصاب نبلك اذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة * وأعار غيرك ودها وهواها

(وهذا من قول الاعشى)

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

فقلت له خفض الاحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس

وقال مسلم بن الوليد وهو صريع الغوانى وكان خاملا فولاه بنو سهل جرجان فشرف فقال

أهل الصفاء نأيتم بعد قربكم * فما انتفعت بعيش بعدكم صافى
وقد قصدت ندى من لا يوافقنى * فكان سهمى عنه الطائش الطافى
أردت عمرا وشاء الله خارجة * أما كفى الدهر من خلفى واخلافى

ولهذا أشار ابن شرف بقوله

سل عن رضاى عن الزمان فانه * كرضا الفرزدق عن بنى يربوع
لله حال قد تنقل عهدها * كخلاف نقل الدهر حال صريع
دارت درارى الخطوب قواصدا * حتى نظرن الى من تربيع

(وله أيضا يتشكى)

مالى أجاذب ذى الدنيا مولية * فكل ثوب عليها قد من دبر
أنى الزمان على يأس به لبنى الدنيا كبشرى بمولود على كبر

وقال أيضا

انى وان عزنى نيل المنى لأرى * حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وقال جحظة ضاقت على وجوه الرأى فى نفر * يلقون بالجحد والكفران احسانى
أقلب الطرف تصعيدا ومنحدرا * فما أقابل انسانا بانسانى

وقال أيضا لقد مات اخوتى الصالحون * فمالى صديق ومالى عماد
اذا أقبل الصبح ولى السرور * وان أقبل الليل ولى الرقاد

ذكر الامام الشافعى رضى الله عنه

(قوله خفض) أى سكن و (ابن ادريس) هو الامام الشافعى محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يلتقى نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف وقال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين وحاصرت قريش بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب وكان الشافعى أعلم الناس وأورعهم وأعبدهم وأجودهم فان أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه فانظر رحلته ووصفه بعض أهل العلم فقال هو شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه وشريكه

فى

في حسبه زوج المطلب ابنه هاشما الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه فولدت له عبد يزيد جد الشافعي رضي الله عنه فكان يقال لعبد يزيد المحض لاقذى فيه فولد الشافعي رضي الله تعالى عنه هاشمان هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف فالشافعي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته لان الشفاء أخت عبد المطلب فهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم السائب جده يوم بدر وكان صاحب راية بني هاشم بن عبد مناف أسر وفدى نفسه فأسلم فقيل له لم تسلم قبل أن تفتدي فقال ما كنت أحرم المؤمنين طمعا لهم في قال أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤن مثله وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو الله للشافعي وقال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء فقال يابني كان كالشمس للدنيا أو كالعافية للناس وحدث صالح ابن أحمد بن حنبل قال مشى أبي مع بغلة الشافعي في ركابه فبعث اليه يحيى بن معين فقال له ياأبا عبد الله أما رضيت الا أن تمشي مع بغلته فقال ياأبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لكان أنفع لك وما مس أحد محبرة الا وللشافعي في عنقه منة * وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وقال ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وقال ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ وما كلمت أحدا الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كلمت أحدا الا وأنا لا أبالي أن يبين الله الحق على لسانه أو لساني وما أوردت الحجة على أحد فقبل مني الا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته وكان يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وقال الكرابيسي بت معه غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية فيها رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين * وقال عمر بن عبد الله البلوي جلسنا يوما نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا عمر بن نباتة وقال فيم تتحاورون فأعلمناه فقال عمر والله ما رأيت رجلا قط أورع ولا أخشع ولا أفصح ولا أسمح ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ولا أجل ولا أفضل من محمد بن ادريس الشافعي خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث صاحب صالح المري وكان من المتقين الخاشعين وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي رضي الله عنه قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا ثم خر مغشيا على وجهه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك قلوب المشتاقين اللهم هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمنا وتفرقنا * وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول أتى علي عيد وليس عندي نفقة فاستسلفت سبعين دينارا النفقة أهلي فبينا أنا كذلك اذ أتاني رجل من قريش يشتكي الي الحاجة فأخبرته خبري وقلت له خذ ما تحب فقال لي ما يقنعني الا أكثر من هذه الدنانير فقلت له خذها وبت وما معي دينار ولا درهم فبينا أنا في منزلي اذ أتاني رسول جعفر بن يحيى البرمكي يقول أجب الوزير فأجبته فقال ما شأنك في هذه الليلة يهتف بي هاتف كلما دخلت في النوم يقول

الشافعي فأخبرته بالخبر فأعطاني خمسمائة دينار ثم قال أزيدك فاعطاني خمسمائة أخرى فلم يزل يزيدني حتى أعطاني ألفي دينار ومن جوده أن سوطه وقع من يده فأعطى من ناوله اياه خمسين دينارا وورد مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه خارجها فأتاه الناس فما برح من موضعه حتى فرقها وكان شاعرا مجيدا قال أبو القاسم بن الازرق دخلت عليه فقلت له يا أبا عبد الله أما تصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما أفردتنا أو أشركتنا في الفقه وقد أتيت بأبيات ان أجزتها بمثلها تبت من الشعر وان عجزت تب منه فقال لي ايه يا هذا فأنشدته هذا الكلام

ماهمتي الامقارعة العدا * خلق الزمان وهمتي لم تخلق

والناس أعينهم الى سلب الغنى * لاينظرون الى الحجا والأولق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق

لو كان بالحيل الغني لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلق

فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ألاقلت كما أقول ارتجالا

ان الذي رزق اليسار فلم ينل * جدا ولاأجرا لغير موفق

فالجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق

فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فاثمر في يديه فحقق

واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق

وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى بعيش ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

فقلت له لاقلت شعرا بعدها * قال المبرد كان الشافعي رضي الله عنه أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالفقه والقراآت ولقد أخبرني بعض أصحابي أنه مات ولد لعبد الرحمن بن مهدي فكتب اليه الشافعي رضي الله عنه يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعالك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر فتناول حظك يا أخي اذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ألهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا وكتب اليه

اني أعزيك لااني على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزي وان عاشا الى حين

(وقال أيضا)

علمي معي حيثما يممت ينفعني * قلبي وعاء له لابطن صندوق

ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * أوكنت في السوق كان العلم في السوق

وقال أيضا ومنزلة السفيه من الفقيه * كمنزلة الفقيه من السفيه

فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه أزهد منه فيه

اذا غلب الشقاء على سفيه * تقطع في مخالفة الفقيه

وناظر الشافعي محمد بن الحسن الكوفي بالرقة فقطعه الشافعي فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال أما

علم محمد بن الحسن اذا ناظر رجلا من قريش أنه يقطعه سائلا أو مجيبا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول قدموا قريشا ولا تقدموا عليها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منها يسع طباق الارض وكان الشافعي يعظم محمد بن الحسن لعلمه واستعاره شيأ من كتبه فلم يسعفه بذلك فكتب اليه الشافعي رضي الله تعالى عنه

قل للذي لم ترعينا من رآه مثله ومن كأن من رآ ❊ ه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله ❊ ان يمنعوه أهله لعله يبذله ❊ لأهله لعله

فبعث اليه بما سأل وقال في الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتل فعاده

مرض الحبيب فعدته ❊ فمرضت من حذري عليه

شفي الحبيب فعادني ❊ فشفيت من نظري اليه

وقال أبو سعيد سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول بيتين وهما

اني أرى نفسي تتوق الى مصر ❊ ومن دونها عرض المهامه والقفر

فوالله ما أدري ألخفض والغنى ❊ أقاد اليها أم أقاد الى القبر

قال فوالله ما كان الا قليل حتى سيق اليهما جميعا ورأيته بعد وفاته فقلت له ما فعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب ❊ وقال المزني دخلت عليه غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ❊ جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ❊ بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وفيه مكتوب هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي أمين الله وقال الشافعي أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه ❊ وقال من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنع زال عنه الخضوع وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول

وأنزلني طول النوى دار غربة ❊ يجاورني من ليس مثلي يشاكله

أحامقه حتى يقال سجية ❊ ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

(قال وسمعته ينشد)

صن النفس واحملها على ما يزينها ❊ تعش سالما والقول فيك جميل

ولا تولين الناس الا تجملا ❊ نبا بك دهر أو جفاك خليل

وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد ❊ عسى نكبات الدهر عنك تزول

ولا خير في ود امرئ متلوم ❊ اذا الريح مالت مال حيث تميل

وما أكثر الاخوان حين تعدهم ❊ ولكنهم في النائبات قليل

قال وسمع رجلا يسفه على رجل من أهل العلم فقال لأصحابه نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما

تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل فان السفيه ينظر الى أخبث شئ فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى اوعيتكم، نظم بعضهم هذا المعنى فقال

فسمعك صن عن سماع الخنى * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع الخنى * شريك لقائله فانتبه

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا خطب الحجاج وذكر السلف يتكلم تشاغلا عن خطبته فقيل له فى ذلك فقال ان السامع والمتكلم شريكان ألم تسمع قول الشاعر

فجاء به ناطق منهم * بليغ ومستمع صامت
فكل له حظه انه * أعان مع الناطق الساكت

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذا أنا منصت * فيك لمسموع خنى القائل
فالسامع القول كمن قاله * والموكل المأكول كالآكل

فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب الى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت اذ طلبت أمما فهاك مايشفى النفس وينفى اللبس (قال) فلما أوضح لى المعمى وكشف عنى

وذكر العمادىُّ الشافعى فقال هو امام الائمة ونظام الاسلام أحد الائمة الاربعة الاطواد الشامخة فى الدين الاجواد رضيع لبان النبوة أفضل العلماء وأعلم الفضلاء وصدر البدور وبدر الصدور وهادى الهداة وداعى الدعاة اكسير العلوم واكليل الرسوم علم العلماء شظية من علمه وحلم الحلم اجذوة من حلمه وعقائد الاصول مقتدحة من زناد كلماته وقواعد الفروع مقترحة من عداد نعمائه فارس هيجاء المشكلات ومقوم عوجاء المعضلات منبع السنن ومتبع السنن فاز بعليات الاقران وحاز قصبات الرهان بطهارة الاعراق ودماثة الاخلاق وفخامة شرف الامومة وكرامة طرفى الابوة والعمومة درة الاصداف من صميم آل عبد مناف كشف الظلمة عن الامة وصرف عنهم المطلمة المدلهمة بعلم كالبحر اللجى ورأى كالبدر فى الليل الدجى مذهبه مؤيد بنصوص القرآن وفصول البرهان أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان فهو بين المذاهب والاديان كالناظر فى الاجفان والسمع فى الآذان والعقل فى الانسان والعدل للسلطان أحله الله محل القدس وأدنى اليه سحاب الانس فى كلام أكثر من هذا (قوله دع الهتار) أى اترك تمزيق العرض وفلان يهاتر فلانا أى يسابه بالباطل من القول والقبيح من اللفظ وأصل الهتر سقط الكلام والباطل والمهاترة القول الذى ينقض بعضه بعضا وأهتر الرجل فهو مهتر اذا أولع بالقول فى الشئ واستهتر فهو مستهتر ذهب عقله فيه وانصرفت اليه همته (تهتك) تخرق وتكشف يريد انه لما عرض له بنقائصه قال له دع الضير وكشف العيب فليس هذا موضعه (انهض) تقدم (لنضرب) لنمشى فى الارض (نرحض) نغسل (المزار) زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم (درن الاوزار) وسخ الذنوب (هيهات) معناه بعد ذلك عنك (أفقه) أفهم و(ذمما) جمع ذمة وهى العهد (أمما) شيأ قريبا والامم القصد (هاك) أى خذ (المعمى) المغطى المشكل المعنى وأراد به شرح المائة القيا الملغزة ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط طلب أمما قال قيس الرقيات

كوفية نازح محلتها * لا أمم دارها ولا صقب

الصقب القرب (الغمى) هى العمة التى تغطى على الذهن والمعمى الامر الملتبس (الاكوار) ماهو للابل كالبراذع للدواب (الشقة) السفر البعيد و(السول) المراد والمسؤل (أشأم وأعرقت) قصدا لشأم وقصدت العراق * ونذكر هنا فصلا فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره ووصف الروضة والمسجد ذكر يثرب وهى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجره سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب وكان صلى الله عليه وسلم يغير الاسماء التى تدل على الاستقباح الى ضدها وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * ابن عمر رضى الله عنهما يثرب أرض مدينة الرسول فى ناحية منها وقال شيخنا ابن جبير فى روضته صلى الله عليه وسلم شاهدنا الروضة المكرمة وقد وقع الاذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الاصبهانى الذى ورث النباهة والوجاهة فى العلم كابرا عن كابر المعروف برئيس العلماء توارثه عن أب فأب وقد غص الحرم بالمنتظرين وقد أعدّ له كرسى بازاء الروضة المقدسة فصعد وحضر قرّاؤه أمامه فاستدّوا بالقراءة بنغمات عجيبة وتلاحين مطربة بهجة وهو يلحظ الروضة المقدسة ويعلن بالبكاء ثم أخذ فى خطبة من انشائه سحرية البيان وسلك فى أساليب من الوعظ باللسان وأنشد بيتا بديعا من قوله كان يردد منها هذا البيت ويشير الى الروضة المعظمة المطهرة

هاتيك روضته تفوح نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

وتمادى فى وعظه الى أن أطار النفوس من خشية ورقة وهو يعتذر من التقصير لهول ذلك المقام ويقول عجبا لا لكن العجم كيف ينطق عند أفصح العرب وتهافتت الاعاجم عليه معلنين بالتوبة وقد طاشت ألبابهم ودهشت عقولهم فيلقون نواصيهم بين يديه فيستدعى الجلمين ويجزها ناصية ناصية وكلما جز ناصية كساها عمامة فتوضع عليه للحين عمامة أخرى ثم ختم مجلسه بأن قال معشر الحاضرين قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله وهذه الليلة بحرم رسوله ولا بد للواعظ من كدية وأنا أسألكم حاجة ان ضمنتموها لى أرقت لكم ماء وجهى فى ذكرها فاعلى الناس بالاسعاق وشهيقهم قد علا فقال حاجتى أن تكشفوا رؤسكم وتبسطوا أيديكم ضارعين لهذا النبى الكريم فى أن يرضى عنى ويسترضى الله عزوجل لى ثم أخذ فى تعداد ذنوبه والاعتراف بها فأطار الناس عمائمهم وبسطوا أيديهم للنبى صلى الله عليه وسلم داعين له باكين متضرعين فما رأيت ليلة أكثر دموعا ولا أعظم خشوعا من تلك الليلة ثم انفض المجلس قال ابن جبير رحمه الله ثم كان فى اليوم التالى لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة فيا له وداعا ذهلت له النفوس ارتياعا حتى طارت شعاعا وما ظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين انه لموقف تنفطر فيه الافئدة وتطيش له الالباب المتئدة فوا أسفاه وا أسفاه كل يبوح لديه بأشواقه ولا يجد بدا من فراقه فما تستطيع الى الصبر سبيلا ولا تسمع فى ذلك المقام الارنة وعويلا وكل بلسان الحال ينشد

محبتى تقتضى مقامى * وحالتى تقتضى الرحيلا

بوّأنا الله بزيارة هذا النبى الكريم منزل الكرامة وجعله شفيعنا يوم القيامة وأحلنا بفضله فى جواره الكريم دار المقامة ثم ذكر الروضة المقدسة مع المسجد العتيق الذى احتوى على الروضة فقال المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستطيل وتحفه من جهاته الاربع

الغمى شددنا الاكوار وسرت وسار ولم أزل من مسامرته مدة مسايرته فيما أنسانى طعم المشقة وودت معه بعد الشقة حتى اذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرقت وغرب وشرق

(نبذة فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام)

بلاطات مستطيلة ووسطه كله صحن مفروش بالحصى والرمل وفي الصحن خمس عشرة نخلة فالجهة القبلية لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق والجنوبية كذلك على الصفة المذكورة والشرقية لها ثلاث بلاطات والغربية لها أربع بلاطات وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه مائتان وتسعون وهي أعمدة متصلة بالسمك دون قسي تنعطف عليها فكأنها دعائم قوائم وهي من حجر منحوت قطعا قطعا ململمة مثقوبة توضع أنثى في ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب الى أن يتصل عمودا قائما وتكسى بغلالة جير ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض وتحف بالبلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس مقصورة تكتنفه من غرب الى شرق والمحراب فيها وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ظاهر البريق يقال انه كان مرآة كسرى وفي أعلى داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أي شيء هو ويزعمون انه كان كأس كسرى ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع ازارا على ازار مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع والنصف الاعلى من الجدار مزين كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفسا قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات مائلة الاغصان بثمرها والجداران الشرقي والغربي الناظران الى الصحن مجردان أبيضان مقرمصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الاصبغة الى مايطول وصفه من الاحتفال في هذا المسجد المبارك وفي الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود دليبيت بعض سدنته وسدنته فتيان أحابيش صقالب طراف الهيآت نطاف الملابس والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال وفي جوف الصحن قبة كبيرة تعرف بقبة الزيت هي مخزن لجميع آلات المسجد وله تسعة عشر بابا لم يبق منها مفتوحا سوى أربعة اثنان في الغرب ويعرفان بباب الرحمة وباب الخشية واثنان في الشرق باب جبريل ويقابله دار عثمان التي استشهد بها وباب الرجاء وفي الشرق خمسة مغلقة وفي الغرب كذلك وفي الجنوب أربعة وفي القبلة واحد صغير وله ثلاث صوامع احداها في الركن الشرقي على هيئة الصوامع واثنتان في ركني الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة برجين والروضة المقدسة مع آخر الجهتين الجهة القبلية مما يلي الشرق وقد انتظمت من بلاطاته مما يلي الصحن في السعة اثنين وينفت الى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله والصفحات الاربع محرفة عن القبلة تحريفا بديعا لا يتأتى لاحد معه استقبالها في صلاته لانه ينحرف عن القبلة والذي اخترع ذلك في تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطتين وانتظم داخلها من أعمدة الابلطة ستة وسعة الصفحة القبلية منها أربعة وأربعون شبرا وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرا ومن الركن الشرقي الى الركن الجنوبي صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرا ومن الركن الجنوبي الى الغربي صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرا ومن الركن الغربي الى القبلي صفحة سعتها أربعة وعشرون شبرا وفي هذه الصفحة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها طوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أربعة وهو قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبرا وهي مؤزرة بالرخام

البديع

البديع النحت الرائع النعت وينتهى الازارمنها الى نحو الثلث أو أقل يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر قدعلاه تضمخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسودا متربا كلما تشققا مع طول الازمنة والايام والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الاعلى لان أعلى الروضة متصل بسمك المسجد والى حيز ازار الرخام تنتهى الاستار وهى لازوردية اللون محتمة بخواتم بيض مثمنة ومربعة وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها فنظرها منظر بديع الشكل وفى أعلاها رسم مائل الى البياض وفى الصفحة القبلية امام وجه النبى صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو قبالة الوجه المكرم فيقف الناس امامه للسلام والى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبى بكر رضى الله عنه ومما يلى كتفى أبى بكر رأس عمر رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم فيسلم ثم ينصرف يمينا الى وجه أبى بكر ثم الى وجه عمر رضى الله تعالى عنهما وامام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلا معلقة من الفضة وفيها اثنان من ذهب وفى جوفى الروضة حوض صغير مرخم فى قبلته شكل محراب قيل انه بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ويقال هو قبرها وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم ومنه اليها اثنتان وأربعون خطوة وهو فى الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة وعرضه ست خطا وهو مرخم كله وارتفاعه شبر ونصف وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وأدراجه ثمانية وبابه على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أربعة أشبار ونصف شبر والمنبر مغشى بعود الآبنوس ومقعد النبى صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهر وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه يدخل الناس أيديهم اليه ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم وعلى رأس رجل المنبر اليمنى حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط لكنها أكبر لاعبة تستدير فى موضعها يزعمون أنها كانت لعبة الحسن والحسين فى حال خطبة جدهما صلوات الله عليهم أجمعين وفى الروضة الصغيرة التى بين القبر والمنبر جاء الاثر انها روضة من رياض الجنة وقدرها ثمان خطا ويتراحم الناس فى هذه الروضة للصلاة وبازائها لجهة القبلة عمود يقال انه مطبق على بقية الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم وقطعة منه فى وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها فى القبلة منها صندوق كبير للشمع والانوار التى توقد أمام الروضة كل ليلة ومصلى الامام فى الروضة الصغيرة المذكورة الى جانب الصندوق وبينها وبين الروضة الكبيرة محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل هو أحد المصاحف الاربعة التى وجه بها عثمان الى البلاد وبازاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ويليها فى البلاط الثانى دفة لجهة الشرق ودفة مطبقة على وجه الارض الى سرداب يهبط اليه على ادراج تحت الارض يفضى الى خارج المسجد الى دار أبى بكر وهو كان طريق عائشة رضى الله عنهما اليها وذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبى بكر رضى الله عنه التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بابقائها وبازاء دار أبى بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى أعلم

(المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية)

(شرح المقامة الثالثة والثلاثين وتعرف بالتفليسية)

(يفعت) شب ولم أبلغ الحلم وقاربت ذلك * ابن أبى الخير يفع الغلام وأيفع اذا كان ابن سبع سنين فاذا ناهز الحلم قيل مراهق وكوكب فاذا أدرك قيل فيه حزور * غيره غلام يفعة غض الشباب وجارية يفعة والجمع ايفاع وأيفع فهو يافع على غير قياس قال ابن سيده رحمه الله ولم يقل أحد منهم يفع الغلام ولا موفع ومثله أبقل الموضع وأورس والورس نبت أصفر (جوب) قطع (الخلوات) حيث يخلو للذاته (أراعى) أحفظ (مأثم) اثم (الفوات) فوت الوقت (رافقت فى رحلة) صاحبت فى ارتحال وسفر (حللت بحلة) نزلت ببلدة والحلة جماعة البيوت والحلة القوم الحلول والجمع حلال (مرحبت) قلت مرحبا (الداعى) هو المؤذن وجاء من الاثر فى تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلى الصلاة ومافاته وقتها ولمافاته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله وقال عليه الصلاة والسلام الوقت الاول من الصلاة رضوان الله والثانى عفو الله فقال أبو بكر رضى الله عنه رضوان الله أحب الى من عفوه وانما قال ذلك لان عفو الله لا يتصور الا عند اكتساب خطيئة * وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة من النار ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف وقال عليه الصلاة والسلام ان الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وكتب عمر رضى الله عنه الى عماله ان أهم أموركم عندى الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع وجاء فى القرآن فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وفى التفسير لم يتركوا الصلاة وانما أضاعوا وقتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تفريط فى النوم وانما التفريط فى الذى يؤخر الصلاة الى وقت الاخرى وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ومما يستطرف من هذا الباب أن المنصور قيل له ان أبا دلامة لا يحضر الصلاة لانه معتكف على الخمر وقد أفسد فتيان العسكر فلو أمرته بالصلاة معك لاصلحته وغيره فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن قال يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد ساورت باب قبرى فقال دعنى من استكانتك وتضرعك واياك وأن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى فان فاتتك لاحسنن أدبك ولاطيلن حبسك فوقع فى شر أمر فلزم المسجد أياما ثم كتب رقعة ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه وفيها

ألم تعلما انا الخليفة لزنى * لمسجده والقصر مالى وللقصر
أصلى به الاولى جميعا وعصرها * فويلى من الاولى وويلى من العصر
أصليهما بالكره فى غير مسجدى * فمالى فى الاولى وفى العصر من أجر
يكلفنى من بعد ما شبت توبة * يحط بها عنى الثقيل من الوزر
ووالله مالى نية فى صلاتها * ولا البر والاحسان والخير من أمرى
لقد كان فى قومى مساجد جمة * ولم ينشرح يوما لغشيانها صدرى
وماضره والله يغفر ذنبه * لو أن ذنوب العالمين على ظهرى

فقال صدق دعوه يضل من يشاء ومايضر نى ذلك والله لا يفلح هذا أبدا فدعوه يفعل مايشاء وكان

(ذكر النهى عن فوات وقت الصلاة)

(حكى الحرث بن همام) قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت أن لا أوخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعى أوقات الصلاة وأحاذر من مأثم الفوات واذا رافقت فى رحلة أو حللت بحلة مرحبت بصوت الداعى اليها واقتديت بمن يحافظ عليها

الجمار منقطعا الى أبى حزو الباهلى فتناسك أبو حزو فقال الجماز لا أحب أن تخالطنى الان تتنسك فأطهر النسك ثم كتب اليه

قد جفانى الامير كى أتقرى * فتقربت مكرها لجفائه
والذى أنطوى عليه المعاصى * علم الله نيتى من سمائه
ماقراة لمكره بقراة * قد رواه الامير عن فقهائه

*ومن مجون أبى نواس ان الامير لما نهاه عن الخمر وحبسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب اليه

أنت يا ابن الربيع علمتنى الخير * وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلى وراجعنى الحلم * فأحدثت رهبة وزهاده
لو ترانى ذكرت بى الحسن البصرى * فى حال نسكه أو قتاده
* التسابيح فى ذراعى والمصحف * فى لبتى مكان القلاده
فاذا شئت أن ترى طرفة تعجب * منها مليحة مستفاده
فادع بى لاعدمت تقويم مثلى * فتأمل بعينك السجاده
لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهادة
أثر لاح للصلاة بوجهى * توقن النفس أنه من عباده

وأذن بشار لاصحابه والمائدة بين يديه فأكل ولم يدعهم لطعامه ثم دعا بطشت وكشف عن سوأته فبال ثم حضر الظهر والعصر والعشاء الاولى والآخرة فلم يصل فقالوا له أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك قال وماهى قالوا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه قال انما أذنت لكم لتأكلوا ثم ماذا قالوا دعوت بالطشت ونحن حضور فبلت ونحن نراك فقال أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض البصر دونى ثم ماذا قالوا حضرت الصلاة فلم تصل فقال ان الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة هذا على أنه القائل

ألم تر أن الدهر يقدح فى الصفا * وان بقائى ان حييت قليل
خليلى ماقدمت من عمل التقى * وليس لايام المنون خليل
فعش خائفا للموت أو غير خائف * على كل نفس للحمام دليل

فاتفق حين دخلت تفليس

(وقال الحسن رحمه الله تعالى)

وندمان يرى عيبا عليه * بأن يمسى وليس له انتشاء
اذا نبهته من نوم سكر * كفاه مرة منك النداء
اذا ما أدركته الظهر حيا * فلا ظهر عليه ولا عشاء
يصلى هذه فى وقت هذى * فكل صلاته أبدا قضاء

(ذكر مدينة تفليس)

(تفليس) مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلا ثلاثون فرسخا ومن قالى قلا ابتداء الانهار العظام أولها الفرات وقد تقدم يأخذ من قالى قلا فرسخين ثم يشق مغربا الى دبيل الى ورثان ثم يصب الى بحر الخزر والثانى الكبير يخرج من مدينة قالى قلا ثم يشق الى مدينة تفليس مشرقا الى مدينة بردعة وأرضها ثم يقرب من بحر الخزر فيلتقى مع الرس ويصيران نهرا واحدا ويقال ان خلف الرس ثلثمائة مدينة خراب وهى التى ذكرها الله تعالى وأصحاب الرس بعث اليهم حنظلة بن

بعد وبيده البذل والرد فعقد له القوم الحبا ورسوا أمثال الربا فلما آنس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولى الابصار الرامقة والبصائر الرائقة أما يغنى عن الخبر العيان وينبى عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح وداء وانح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولى وآل ورفد وأنال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن الابعد ماشقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتنى لم أكن بقيت ثم تأوه تأوه الاسف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو الى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتى وقوضت مجدى وبنيانه
واهتصرت عودى وياويل من تهتصر الاحداث أغصانه
وأمحلت ربعى حتى جلت * من ربعى الممحل جرذانه
وغادرتنى حائرا بائرا * أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة * يسحب فى النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقه *

صفوان فقتلوه فأهلكوا وقيل فى أصحاب الرس غير ذلك وارمينية مقسومة على ثلاثة أقسام فالقسم الاول مدينة دبيل ومدينة قالى قلا ومدينة خلاط ومدينة شمشاط ومدينة السواد والجزء الثانى مدينة بردعة ومدينة البيلقان ومدينة قبلة ومدينة الداب والابواب والثالث مدينة خزران ومدينة تفليس والمدينة التى تعرف بمسجد ذى القرنين وافتتحت ارمينية فى خلافة عثمان افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلى فى سنة أربع وعشرين (عصبة) جماعة (مفاليس) فقراء وأفلس الرجل صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب دنانير (ازمعنا الانفلات) عزمنا على الخروج (اللقوة) داء يأخذ فى الوجه (الفواق) ما بين الحلبتين (در العصبية) لبن الحمية وهو مثل (نفثة) كلمة (البذل) العطاء (والرد) المنع (الحبا) عقد اليدين على الركبتين (رسوا) ثبتوا (الربا) الكدى (آنس) أبصر (انصاتهم) سكوتهم (رزانة حصاتهم) رجاحة عقولهم والحصاة يكنى بها عن العقل قال طرفة

وان لسان المرء مالم يكن له ٭ حصاة على عوراته لدليل

(الابصار الرامقة) العيون الناظرة (البصائر) جمع بصيرة وهى المعتقد (الرائقة) المعجبة (العيان) المعاينة يقول معاينتك الشئ تغنى عن خبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة (ينبى) يخبر (لائح) ظاهر (وهن) ضعف (فادح) مثقل بين (فاضح) أى صاحبه فى شهرة وفضيحة (ملك) كان ملكا أو ملك الاموال العظام فصار ذا ملك (مال) صار ذا مال (ولى) صار واليا (آل) ساس أى صار يسوس الناس أى يكون عليهم أميرا قال عمر رضى الله عنه ألنا وإيل علينا (رفد) وهب الرفد (أنال) أعطى النيل والنوال يقال منه نلته وأنلته (وصل) أعطى صلة والرفد والنوال العطاء والايالة السياسة آل الامير رعيته أحسن سياستهم وآل ماله يؤله أصلحه (صال) بطش وهدد وصال الفحل هدر فى قطيعه (الجوائح) المصائب (تسحت) تستاصل الاموال (تنحت) تنجر وتأخذ (النوائب) النوازل (الوكر) قعر المنزل (صفر) خالية من الدراهم (الشعار) اللباس (يتضاغون) يصيحون والضغاء صياح الذئب اذا جاع والضغاء البكاء بذل وخشوع (الطوى) الجوع (مصاصة) ما يمص منه (الشائن) العائب صاحبه (شقيت) أدركنى الشقاء (لقيت) أصابتنى لقوة (تأوه) توجع وقال آوه (الاسف) الحزين (عدوانه) ظلمه (قرعت مروتى) ضربت صخرتى وأراد بها نفسه (قوضت) نقضت وهدمت (اهتصرت) كسرت وحنت وهصر الغصن تعطفه وانحناؤه وضرب بالمروة والعود أمثالا وهو يريد جسده وماله (أمحلته) جعلته محلا (جلت) تفت (الممحل) الذى لا نبات فيه ولا رزق (جرذانه) فئرانه وقد تقدم فائدة هذا المعنى (بائرا) هالكا (أكابد) أقاسى (أشجانه) أحزانه (أخا ثروة) صاحب غنى (يسحب) يجر (اردانه) أذياله (يختبط) يطلب (العافون) الطالبون للرزق وخبطت الورق ضربتها بالعصا فتسقط فتعلفها الابل فيضرب بها المثل لعطية الكريم قال وأنشد زهير

وليس مانع ذى قربى وذى رحم ٭ يوما ولا معدما من خابط ورقا

(السارون) الماشون بالليل (عانه) أصابه بالعين (ازور) انقبض (عاف) كره (عافى العرف) طالب المعروف (عرفانه) معرفته (همه) أذابه (وشانه) عابه ومن كلام العرب فى هذا الباب ماحكى الاصمعى رحمه الله أن الاعراب أصابتهم سنوات كثيرة جدبة فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى يقول أيها الناس اخوانكم فى الدين وشركاؤكم فى الاسلام عابر وسبيل وفلال بؤس وصرعى جدب تتابعت علينا سنون ثلاث غيرت النعم وأكلت النعم فاكلنا ما بقى من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك نفوسنا ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا رارا وعاد اشرافنا ظلاما فأقبلنا اليكم يصرعنا الوعر وينكبنا السهل وهذه آثار مصائبنا لائحة فى قسماتنا فرحم الله متصدقا من كثير أو مواسيا من قليل فلقد عظمت الحاجة وكسف البال وبلغ المجهود والله يجزى المتصدقين * وقف أعرابى على حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله وأعوذ به ان أذكر بهو أنساه انا أناس قدقدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا لاندفن ميتا ولا نتحول عن منزل وان كرهناه فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فانه لاقليل من الاجر ولاغنى عن الله ولاعمل بعد الموت يقول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ان الله لايستقرض من عوز ولكن ليبلو أخبار عباده * قال الاصمعى رحمه الله وقف أعرابى علينا فقال تتابعت علينا سنون بتغير وانتقاص فما تركت لنا ضعا ولا ربعا ولا نافطة ولا عافطة ولا ثاغية ولا راغية فأماتت الضرع وأفنت الزرع وعندكم من فضل الله نعمة فأعينوا من عطية الله اياكم وارجوا أبا أيتام وأنضاء زمان فلقد خلفت أقواما لايمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ولا ينتقلون من المنزل وان كرهوه ولقد مشيت اليكم حتى انتعلت الدماء وجعت حتى أكلت النوى المحرقة * وقفت اعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالت انى أتيت من أرض شاسعة تهبطنى هابطة وترفعنى رافعة فى ملمات من البلايا برين لحمى وهضن عظمى وتركننى والهة وقد ضاق بى البلد بعد الاهل والولد وكثرة العدد لاقرابة تؤوينى ولا عشيرة تحمينى فسألت أحياء العرب من المرتجى سيبه المأمون عيبه الكثير نائله المكفى سائله فدلت عليك وأنا امرأة من هوازن فقدت الوالد والرافد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث اما أن تحسن صفدى واما أن تقيم أودى واما أن تردنى الى بلدى فقال بل أجمعهن لك ففعل بها ذلك * خرج المهدى يطوف بالبيت بعد هدأة من الليل فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول قوم متظلمون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم فهل من آمر بخير كلاه الله فى سفره وخلفه فى أهله فأمر لها بخمسمائة درهم * ومما جاء فى ذم السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيه أهون من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال أكثم ابن صيفى كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل وقال ابن عباس رضى الله عنهما المساكين لايعودون مريضا ولا يشهدون جنازة ولا يحضرون جمعة واذا اجتمع الناس فى أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم * سأل سائل بمسجد الكوفة

ويحمد السارون سيرانه ... فأصبح اليوم كأن لم يكن
أعانه الدهر الذى عانه ... وازور من كان له زائرا
وعاف عافى العرف عرفانه ... فهل فتى يحزنه ما يرى
من ضرشيخ دهره خانه ... فيفرج الهم الذى همه
ويصلح الشأن الذى شانه

(قال الراوي) فصبت
الجماعة الى أن تستثبته
لتستجس خبأته وتستنفض
حقيبته فقالت له قد عرفنا
قدر رتبتك ورأينا درّ مزنتك
فعرفنا دوحة شعبتك
واحسر اللثام عن نسبتك
فأعرض اعراض من منى
بالاعنات أو بشر بالبنات
وجعل يلعن الضرورات
ويتأفف من تغيض المروآت
ثم أنشد بلفظ صادع وجرس
حادع

لعمرك ما كل فرع يدل
جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلا حين تؤتى به
ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت الكروم
سلافة عصرك من خله
لتعلى وترخص عن خبرة
وتشرى كلا شراً مثله
فعار على الفطن اللوذعي
دخول الغميزة في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه
ودهائه واختلبهم بحسن
أدائه مع دائه حتى جمعوا له
خبايا الخبن وخفايا الثبن
وقالوا له اما هذا انك حجت
على ركية بكية وتعرضت
لخلية خلية فخذ هذه الصبابة
وهبها الاخطاء ولا اصابة فنزل
قلبهم منزلة الكثر ووصل
قبولها بالشكر

فلم يعط شيأ فقال اللهم انك بحاجتي عالم لا تعلم أنت الذي لا يعوزك نائل ولا يلحفك سائل
ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبراً جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى
فتبادروا اليه بالعطية فقال لا والله لا ارزؤكم الليلة شيأ ثم خرج وهو يقول

ما نال باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
واذا بليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وقال بعض الادباء المخذول من كان له الى اللئام حاجة وأنشد الجاحظ في نوادره لاعرابي

سير النواعج باليعمة في الضحى * يمشي الدليل بها على بلبال
خير من الطمع الدنيء ومجلس * بفناء لا طلق ولا مفضال
فابثث حوائجك المليك فانه * يغنيك قبل تخشع بسؤال

(قوله تستثبته) تحقق من هو (تستجبش) تستخرج والبحث استخراج الشيء المجهول المستور
وقيل تنفير الوحش وهو من الاول لان تنفير المطمئن كاظهار الكامن (خبأته) سره الذي
أخبرهم بظاهره حيث قال كيت وكيت (الحقيبة) وعاء يعلقه الرجل خلف رحله يجعل فيه ما يعز
عليه مما يحتاج أن يتناوله متى شاء وأراد بها ههنا موضع سره (تستنفض) تثير ما فيها (رتبتك)
قدرك ومنزلتك (درّ مزنتك) ما سحابك وأراد ما أبدى لهم من البلاغة (دوحة) شجرة
(شعبتك) فرعك وغصنك (احسر) أزلوا كشف (اللثام) ما يجعل على الانف والفم يريد عرفنا
أصلك ومن أين أنت (مني) بلي (الاعنات) المشقة وعنته وأعنته كلفه ما يشق عليه (وبشر
بالبنات) أخبر بولادتهن وقد أخبر الله تعالى أن من بشر بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم
يتوارى من القوم من سوء ما بشر به وقد تقدم وأد البنات وهو دسهن في التراب وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات العاليات وقال
عليه الصلاة والسلام أحبوا البنات فاني أبو البنات وان الرجل اذا ولدت له ابنة هبط اليها ملكان
فمسحا على ظهرها وقالا ضعيفة خرجت من ضعيف من أعان عليك لم يزل يصاب الى يوم القيامة
(قوله يتأفف) يقول أف أف وهو من فعل المهموم الملهوف (تغيض المروآت) ذهاب الافعال
الحسان (صادع) شديد يشق الاذن (جرس) صوت (جناه) ما يجتنى منه (الشهد) العسل أي
كل العسل ولا تسل عن النحل التي صنعته ولا من أين هو ضربه مثلا لترك سؤالهم عنه اذا أفادهم
(سلافة) خمر لم تعصر (عصرك) تعصيرك (خبرة) معرفة وتجربة (اللوذعي) الذكي (الغميزة)
ضعف التدبير والنظر لان الذي لا يحسن التدبير والنظر اذا اسقط غمزه الناس وعابوه (ازدهى)
دعاهم الى الزهو والاعجاب به (ذكائه) حدة ذهنه (اختلبهم) خدعهم (الخبن) أطراف الثوب
كالكم وغيره و(الثبن) أطراف الرداء وشبهه والخبنة في الثوب المخيط وقد خبنته عطفته
وكففته بالخياطة وقيل الخبن القبض والخبنة لما يلي البطن من حجزة السراويل والازار والجمع
خبن والثبنة ما يلي الظهر من السراويل والازار (حجت) حلقت (ركية) بئر (بكية) قليلة الماء
(خلية) جمع النحل حيث كان من حجر أو شجر وقيل الخلية الخشبة المنقورة لها خاصة والخلية
في غير هذا السفينة فشبهت خلية النحل بها (خلية) فارغة (الصبابة) الشيء القليل اذا أخذ

ثم تولى يجر شقه ويهب بالخبط طرقه (قال المخبر بهذه الحكاية) فصوّر لى انه محيل لحليته متصنع فى مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظنى شزرا ويوسعنى هجرا حتى اذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر الىّ نظر من هش وبش وماحض بعد ماغش وقال انى لاخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك فى رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتانى هذا الرفيق لواتانى التوفيق فقال لى قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليا وتمثل لى بشرا سويا فاذا هو شيخنا السروجى لاقلبة بجسمه ولا شبهة فى وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وأنشد قل أن ألحاه

ظهرت برث لكيما يقال ... فقير يزجى الزمان المزجى

وأظهرت للناس أن قد فلجت ... فكم نال قلبى به ما ترجى

ولولا الرثاثة لم يرث لى ... ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال انه لم يبق لى بهذه الارض مرتع ولا فى أهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين ورافقته عامين أجردين وكنت على ان أصحبه ما عشت فابى الدهر المشت

منه بكثرة (الخبط) أراد به أخذ الاموال بالسؤال يقال خبطت الشجرة خبطا نفضت ورقها أراد أنه كان يجر جانبه المعتل فيكل من مرّ به وسأله رجه (محيل) مغير (حليته) خلقته وصفاته (نهضت) تقدمت للمشى (أنهج منهاجه) أمشى فى طريقه (أقفو أدراجه) اتبع آثاره (يلحظنى) ينظرنى (شزرا) أى فى جهة بمؤخر عينه قال ابن الانبارى نظر الىّ شزرا أى نظر الىّ من جانب عينه من شدة العداوة والبغضاء يقال شزر يشزر اذا نظر من جانب عينه من العداوة أو من الفرق (ويوسعنى هجرا) أى يكثر تجنبى ومباعدتى (هش) خف واهتز (بش) حسن اللقاء ويقال بش فلان بفلان اذا سرّ به وفرح وانبسط اليه ويقال تبشبش به بمعنى بش به والبشاشة والهشاشة الطلاقة والتبسم (ماحض) أخلص ودّه (غش) ضد أخلص ويقال غشه أى عمل فيما يحبه شيأ قليلا وخلطه بما يسوءه أخذ من الغشش وهو الشراب الكدر (اخالك) أحسبك (رائد) طالب (يرفق بك) يلاطفك ويكون بك رفيقا (يرفق) يوليك مرافقة أى يعينك بماله حتى يجد معها الرفق (لواتانى) لوافقنى (اغتبط) أى كن بمغتبطا أى محبا فى بقائه والغبطة حسن الحال (استكرمت فارتبط) أى اتخذت كريما وجاء هذا اللفظ فى حكاية ذكرها أبو على وهى ان فتى من العرب جاء الى أمه وقد عميت فقال لها يا أمه انى اشتريت فرسا فقالت صفه لى قال اذا استقبل فظبى ناصب واذا استدبر فهقل هاضب واذا استعرض فسيد قارب موالى المسمعين طامح الناظرين مدعلق الطبيين قالت أجودت ان كنت أعربت قال انه مشرف التليل سبط الخصيل وهواه الصهيل قالت أكرمت فارتبط (قوله مليا) أى طويلا (قلبة) علة قال الكسائى رحمه الله ما به قلبة أى شئ يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لغمه وقال الفراء رحمه الله ما به من وجع يخاف عليه منه من قولهم قلب الرجل اذا أصابه وجع فى قلبه فلا يكاد ينقلب منه قال الاصمعى رحمه الله معناه ما به داء مأخوذ من القلاب وهو داء يصيب الابل فى رؤسها فيقلبها الى فوق (شبهة) التباس وتغير (وسمه) صفاته (اللقية) المرة الواحدة من اللقاء وقال فى الدرة العرب تقول لقيته لقية ولقاءة ولقاية اذا أرادوا المرة الواحدة فان أرادوا المصدر قالوا لقيته لقاء ولقى ولقيا هذا وأنشد

وان لقاها فى المنام وغيره ... وان لم تجد بالبذل عندى لرابح

وخطأ من يقول لقيته لقاءة واحدة وأغفل ان سيبويه قال فى كتابه أتيته اتيانة ولقيته لقاءة واحدة (واللقوة) استرخاء اللحى وعوجه (مقامته) مجلسه الذى كدى به (شحا فاه) فتحه قال جرير

وضع الخزير فقيل ابن مجاشع ... فشحا جحافله جراف هبلع

الخزير بسقط الخاء ثم زاى دقيق يلبك بشحم وجراف الشى مخوفه (ألحاه) ألزمه (يزجى) يسوق (المزجى) القليل الخير وهذا كما قال لبست الخميصة أبغى الخبيصة (فلجت) أصبت بفالج (الرثاثة) سوء الحال (التفالج) استعمال الفالج وهو خدر يصيب الجسد (فلجا) فوزا وظفرا (مرتع) موضع يرعى فيه (متجردين) مسرعين وانجرد الرجل فى سيره اذا جدّ فى الذهاب (أجردين) تامين كاملين وسرت يوما وشهرا وحولا أجرد وجريدا أى تاما قال سويد بن كراع

وجشمنى خوف ابن عفان ردها ... فثقفتها حولا جريدا ومربعا

(المشت) المفرق

(شرح المقامة الرابعة والثلاثين وتعرف بالزبيدية)

(جبت) قطعت (البيد) الصحارى (زبيد) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس
في اليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها ولا أكثر خيرا واسعة البساتين كثيرة المياه
والفواكه من الموز وغيره وهي برية لا ساحلية و(بلغ أشده) أي بلغ الحلم وقيل ثلاثين سنة
قال الازهري رحمه الله تعالى الاشد في كتاب الله تعالى على ثلاث معان أما قوله تعالى في قصة
يوسف عليه السلام ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما فبلوغه مبلغ الرجال وكذا في اليتيم حكمه
أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشده وبلوغه أشده ان يؤنس الرشد منه مع أن يكون بالغا وأما قوله
تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولما بلغ أشده واستوى فقرن بلوغ الاشد بالاستواء
وهو أن تجتمع قوته ويكتهل وذلك من ثمان وعشرين الى ثلاث وثلاثين سنة وذلك منتهى
الشباب وأما قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة فهي نهاية بلوغ الاشد وعندها
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعت حكمته وتمام عقله فبلوغ الاشد محصور البداية
محصور النهاية ما بين ذلك (ثقفه) قومته وحذقه (خبر) أي جرب وعرف (مجالب وفاقي) أي
عرف من أين يجلب ما يوافقني (يتخطى) يتجاوز (مرامي) مرادي ومقصدي (لاجرم) أي
لا محالة ولا بد ثم صارت بمعنى حقا (قربه) ما يتقرب به الى من المبرة (الناطت) لصقت (بصفري)
بنفسي وقلبي والصفر دود في البطن اذا جاع الانسان عضت شراسيفه وهي رقيق البطن قال
أعشى باهلة * ولا يعض على شرسوفه الصفر * فيريد أن هذا الغلام مهذب يأتي بمحاولاته
على الوفاق ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعما للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعما له
وقال عليه الصلاة والسلام اذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجران (أخلصته)
أفردته (ألوى) ذهب به وأهلكه (المبيد) المهلك وننشد هنا أبياتا لابن الحضرمي في غلام هلك
للمتوكل ببطليوس

غالته أيدي المنايا * وكن في مقلتيه
وكان يسقي الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوي وهلال * جاء الكسوف عليه

ويستحسن لابن همام أن ينشد في وصف هذا الغلام

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز * اهتزاز الغصن الندي الاملود
وسمت نحوه العيون وما كا * ن علمه لزائد من مزيد
وكأني أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

وأنشد بعضهم

نأى آخر الايام عنك حبيب * فللعين سح دائم وغروب
كأن لم يكن كالغصن في ميعة الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب

(المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية)

أخبر الحرث بن همام قال
لما جبت البيد الى زبيد
صحبني غلام قد كنت ربيته
الى أن بلغ أشده وثقفته
حتى أكمل رشده وكان قد
أنس بأخلاقي وخبر مجالب
وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي
ولا يخطئ في المرامي لاجرم
أن قربه الناطت بصفري
وأخلصته لحضري وسفري
فألوى به الدهر المبيد حين
ضمنا زبيد

وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهى وهى منه سليب

(شالت نعامته) أى ارتفع نعشه ويقال فى المصاوب شالت نعامته أى ارتفعت خشبته وشالت نعامة القوم أى ولوا منهزمين وهو مثل يضرب للانهزام والهلاك والتفرق وأنشد الشاعر

نلق خصاصة بيننا ارماحنا * شالت نعامة أينا لم يفعل

يخاطب أعداءه وقد وافقهم يقول هلم نلق فى الفرجة التى بيننا أرماحنا ونضرب بالسيوف هلك وانهزم من لم يفعل يدعو عليه ونسب ذلك النعامة لان النعام موصوف بالحمق والرق والشراد فاذا قالوا شالت نعامتهم وخفت نعامتهم ورق رأيهم فمعناه اذا تركوا مواضعهم بجلاء أو بموت ويقال أحمق من نعامة لانها تنشر للطعام فرعما رأت بيضة نعامة أخرى وحدها فتحضنها وتنسى بيضها ثم تجىء الاخرى فترى على بيضها غيرها فتمضى لوجهها واياها عنى ابن هرمة بقوله كتاركة بيضها بالعرا وملبسة بيض أخرى جناحا قاله الجاحظ وأما أبو عبيدة فقال عنى الحمامة وقال ابن الاعرابى بيضة البلد التى سار بها المثل هى بيضة النعامة التى تتركها فلا تهتدى اليها فتفسد فلا يقربها شئ قال الراعى

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسبا * وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(قوله نامته) أى حركته التى تنم بحياته وزعموا أن النامة بوزن العامة عرق اليافوخ (أسيغ طعاما) استسهل بلعه (أريغ غلاما) أطلبه (السداد) اسم ما يسد به الشئ مثل سداد القارورة وهو صمامها وسداد الفقر ما يذهبه ويكتفى به من المال وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخيل والرجال والسداد بالفتح الاصابة فى المنطق وقال يعقوب السداد والسداد بمعنى واحد وسنعيد ذكره فى أخبار العرجى (والعوز) فقد الشئ فانه أراد عبدا يسد به فقد غلامه الميت (اذا قلب) أى اذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسنا (خرجه) حذقه ورباه (الاكياس) أهل الفطنة والحذق (والافلاس) الفقر (وثب) قفز وعجل الى المشى (بذل) أعطى و(تحصيله) وجوده وحصوله (كثب) قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله فى أقرب مدة (دارت الاهلة دورها) أى كملت السنة وكملت الاهلة فيها بالطلوع (كورها وحورها) زيادتها ونقصانها وقد تقدم الكور والحور (نجز) حضر (سح) أمطر (النخاسين) الدلالين للعبيد والدواب * ثعلب أخذ من النحس وهو الدفع يعنى النخاسين الذين يشترون العبيد ليدفعوهم الى غيرهم (ليس كل من خلق يفرى) مثل وخلق قدر يقال خلق الصانع الجلد اذا قدر ما يقطع منه وقيل الخلق القطع والفرى القطع أيضا ولكن تقديرا فمعنى المثل ليس كل من قطع شيأ قدر ما يقطع به ويفرى أيضا يحسن القطع على جهة الاصلاح قال زهير

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويقال أيضا خلق الشئ صنعه وفراه أفسده وأراد ليس كل الناس يحسن شراء العبيد (قوله يحك جلدى مثل ظفرى) هو مثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس قال الامام الشافعى رضى الله عنه

ماحك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك

فلما شالت نعامته وسكنت نامته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أريغ غلاما حتى ألجأنى شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى أن أعتاض عن الدر الخرز وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت أريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب ولكن ممن خرجه الاكياس وأخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم لمطلبى ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سح لها رعد فلما رأيت النخاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق يفرى وأن لن يحك جلدى مثل ظفرى

فرفضت مذهب التفويض
وبرزت الى السوق بالصفر
والبيض فانى لاستعرض
الغلمان وأستعرف الاغمان
اذ عارضنى رجل قد اختطم
بلثام وقبض على زند غلام
وقال

من يشترى منى غلاما صنعا
فى خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نيطت به مضطلعا
يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصلك عثرة يقل لعا
وان تسمه السعى فى الارسعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى
وان تقنعه بطلف قنعا
وهو على الكيس الذى قد جمعا
مافاه قط كاذبا ولا ادّعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا
ولا استجاز نث سرّ أودعا
وطالما أبدع فيما اصنعا
وفاق فى النثر وفى النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا
وصبية أضحوا عراة جوّعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم
وحسنه الصميم خلته من
ولدان جنة النعيم وقلت
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم

واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

(رفضت) تركت (التفويض) أن يتكل الرجل على غيره ويسلم أمره اليه (الصفر والبيض) الدنانير والدراهم (أستعرض) أطلب أن يعرض علىّ و(عارضنى) قابلنى (استعرف) أطلب معرفته (اختطم) جعل اللثام على طرف الانف وهو الخطم والخرطوم للسباع واللثام ما كان على الانف من النقاب (والزند) طرف عظم الساعد المتصل بالكف فهو قد قبض على أرق موضع فى الذراع (الصنع) الحاذق بالصناعة والمرأة صناع (برع) فضل وفاق غيره (نطت) علقت (مضطلعا) مكتفيا قويا عليه (وعى) حفظ (لعا) كلمة تقال للعاثر يعنى أقال الله عثرتك وسلمك الله (تسمه السعى) تكلفه المشى (رعى) حفظ الصحبة (الطلف) للشاة بمنزلة الحافر للدابة (الكيس) الحذق (فاه) تكلم ثم قال لم يدعه الطمع قط فأجابه (استجاز) استحل (نث) نشر وافشاء (أبدع) أغرب وأتى بما لم يسبق اليه (ضنك) ضيق (صدع) كسر وأنشدوا فى هذا المعنى

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك * علائق من رب بهن ضنين

(خلقه القويم) المعتدل القامة (الصميم) الخالص وهو فعيل من صم الشئ اذا لم يكن فيه فرجة ولا خلل (خلته) حسبته، ونشد فى هذه المقامة فى الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام أو بكون الغلام مملوكا حتى يوافق غرض المقامة كان شفيع غلام المتوكل أحسن الفتيان وأظرفهم وكان المتوكل يجن به جنونا فأحب يوما أن ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد أسن فاحضره وسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل أتخمش أخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما أحوجك الى الادب وكان قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بوردة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعى الحليم الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتى يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير * وكان لمعز الدولة غلام تركى وكان وضئ الوجه منهمكا فى الشراب ولفرط ميل مولاه اليه جعله رئيس سرية جردها لحرب بنى حمدان وكان المهلبى يستظرفه ويستحسنه فقال

ظبى يروق الماء فى * وجناته ويروق عوده
ويكاد من شبه العذا * رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره * سيفا ومنطقة تؤده
جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده

فكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار اليه ولو غزاهم بالسلاح الذى أمر به البيعا غلاما غازيا وهو

يا غازيا أتت الاحزان غازية * الى فؤادى والاحشاء حين غزا

ان بارزتك رماة الروم فارمهم * بسهم عينيك تقتل كل من برزا

لكان الظافر الغالب * وكان بديع غلام عمرا المأموري أحسن خلق الله وجها وكان الوزير ابن الزيات مفتونا به فاجتاز عليه راكبا آلة الحرب فقال فيه

راح علينا راكبا طرفه * أغيد مثل الرشا الآنس

قد لبس القرطق واستمسكت * كفاه من ذي بدن مائس

وقلد السيف على غنجه * كأنه في وقعة الداحس

أقول لما أن بدا مقبلا * ياليتني فارس ذا الفارس

(وقال ابن الرقاق)

ومهند عضب براحة أغيد * في جفنه عضب يقد مفاصلي

يسطو بذاك وذا فيغدو قرنه * بهما صريع لواحظ ومناصل

ماض كلا السيفين لكن لحظه * أمضى والا فاسألن مقاتلي

وكان لابي عيسى بن الرشيد غلام اسمه بشير وكان آية في الجمال وكان صالح أخوه يتعشقه فبلغت لابي عيسى قصة جرت بينهما فحجبه ومنعه أن يخرج من داره الا بحافظ وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عشقا فقال فيه

ظن من لا كان ظنا * بحبيبي فحماه

أرصد الباب رقيبا * له فا كتنفاه

فاذا ما اشتاق قربي * ولقائي منعاه

جعل الله رقيبيه من السوء فداه

وقال فيه

ان من لا يرى وليس يراني * نصب عيني ممثل بالاماني

بأبي من ضميره وضميري * أبدا بالمغيب يتنجيان

نحن شخصان ان نظرت وروحا * ن اذا ما اختبرت ممتزجان

فاذا ما هممت بالامر أوهم * بشيء بدأته وبداني

كان وفقا ما كان منه ومني * فكأني حكيته وحكاني

خطرات النفوس ما سواء * وسواء تحرك الابدان

وجاء يوما فتحدث معه فاشار لتقبيله فقال له بشير اياك والتعرض لي وانج بنفسك وكانت فيه عربية فقال فيه حسين

أيها النفاث في العقد * أنا مطوي على الكمد

انما زخرفت لي خدعا * فدحت في الروح والجسد

ما لانس كان مبتذلا * منك لي بالامس لم يعد

يوم تعطيني وتأخذها * دون ندماني يدا بيد

ذاك يوم كان حاسدنا * فيه معذورا على الحسد

ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا

(قوله استنطقته) أي سألته أن ينطق (صباحته) حسنه (لهجته) لفظه واصلها طرف اللسان فكنى بها عن حلاوته (بهجته) حسنه ونضارته وأصلها حسن اللون (لم ينطق بحلوة ولا مرة) أي بكلمة جيدة ولا رديئة (فاه) نطق (ضربت عنه) أعرضت عنه (صفحا) أي أوليته صفحة

وقلت له قبحا لعيك وشقحا فغارق الضحك وأنجد ثم أنغض رأسه الى وأنشد يامن تلهب غيظه اذ لم أبح * باسمى له ماهكذا من ينصف ان كان لا يرضيك الا كشفه * فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما أخالك تعرف قال فسرى عتبى بشعره

واستبى لبى بسحره حتى شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لى هم الا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه وكنت أحسب انه سينظر شزرا الى ويغلى السيمة على فما حلق الى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال ان الغلام اذا نزر ثمنه وخفت مؤنته تبرك بمولاه والتحف عليه هواه وانى لاوثر تحبيب هذا الغلام اليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن مائتى درهم ان شئت واشكر لى ما حييت فنقدته المبلغ فى الحال كما ينقد فى الرخيص الحلال ولم يخطر لى ببال أن كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلى يباع * لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل فى شرعة الانصاف أنى * أكلف خطة لا تستطاع

أن ابلى بروع بعد روع * ومثلى حين يبلى لا يراع

اما جربتنى فخبرت منى * نصائح لم يمازجها خداع

وكم أرصدتنى شركا لصيد * فعدت وفى حبائلى السباع

ونطت بى المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع

وأى كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لى فيه باع

وما أبدت لى الايام جرما * فيكشف فى مصارمتى القناع

ولم تعثر بحمد الله منى * على عيب يكتم أو يذاع

وجهى وهى جانبه (شقحا) اتباع لقبح وقيل هى من شقح البسر اذا تغيرت خضرته بحمرة اوصفرة وهو اقبح ما يكون فى رأى العين وقيل هو من شقحت العود اذا كسرته وقيل هو من أشقاح الكلاب وهى أدبارها ويقال قبحا وشقحا بضم اولهما وفتحه (غار) أتى الغور وهو المنخفض من الارض (انجد) اتى نجدا ومعناه بالغ فى الضحك وذهب فى جهاته (أنغض رأسه) أى حركه كأنه يهدو يستخف به (تلهب) اشتعل (أبح) أتكلم (اصخ) استمع (أنا يوسف) أى أنا حر مثل يوسف صلوات الله عليه اذ باعه اخوته (سرى عتبى) أزال لومى (استبى لبى) أى تملك عقلى بسحره وحلاوة كلامه (شدهت) تحيرت وهو مقلوب دهشت (التحقيق) التميز وهذا كما قال الشاعر

والله ما فتنت نفسى محاسنه * الا وقد سحرت ألفاظه أذنى

ما تصدر العين عنه لحظة مللا * كأنه كل شئ مرتضى حسن

(استطلاع طلعه) استخبار خبره والسؤال عن قدره (لاوفيه) لاعطيه له كاملا وافيا (شزرا) نظر فيه اعراض (السيمة) السوم وهو السؤال عن الثمن (ما حلق الى حيث حلقت) أى ما دار الى حيث درت أى ما كان عنده شئ مما ظننت به من طلبه سوما غاليا ويروى الامكان الى (نزر) قل (مؤنه) لوازمه وما يحتاج اليه (تبرك) رآه مباركا والبركة الكثرة والسعة (التحف) انضم (هواه) حبه (أوثر) أفضل (تحققت الصفقة) تم البيع (هملت) سالت (الغمام) السحاب (لحاك الله) لعنه وأبعده ولحيت الرجل لمته وأصله من لحوت العود ألحوه ولحيته ألحاه اذا قشرته وأنشد ابن الاعرابى فى نوادره

لحيت شماسا كما تلحى العصا * سبالو ان السب يدمى ادمى

ويقال لاحاه ملاحاة ولحاء وأصلها المبالغة ثم كثرت حتى جعلت كل ممانعة ومدافعة ملاحاة (الكرش) العيال وكرش الرجل عياله وصغار ولده ويقال فى المعيل عليه كرش منثورة واذا أكثرت المرأة أولادها قيل نثرت كرشها وقد قلم أن صبيته جوع (الشرعة) الطريق و(الخطة) مثل القصة الامر يقع بين القوم (ابلى) امتحن (الروع) الفزع لانه يصيب الروع وهو القلب (يمازجها) يخالطها (أرصدتنى) جعلتنى رصدا والرصد من يرقبك وأنت لا تعلم فاذا جئته هجم عليك (والشرك) آلة الصيد (حبائلى) شباكى (نطت) علقت (المصاعب) الامور الشاقة (استقادت) انقادت (ابل) ابالغ وأجهد نفسى فيه (غنم) غنيمة (جرم) ذنب (مصارمتى) مقاطعتى وكشفت فى الامر القناع اذا جاهدت فيه وبالغت (تعثر) تطلع (يكتم) يستر (يذاع) يفشى وبحمد الله فى البيت وقعت اعتراضا بين العامل والمعمول كما وقعت فى التاسعة والاربعين اعتراضا بين المبتدا وخبره فى قوله وانت بحمد الله ولى عهدى وتعلقها بمحذوف تقديره ابتدئ بحمد الله أو فتح بحمد الله الذى خلصنى من عيب يعثر لى عليه أو الذى

جعلك

جعلك ولى عهدى ومنه سبحان الله وبحمده معناه أنزه الله وابتدئ بحمده أوافتتح بحمده ودخلت الواو هنا لغير معنى العطف ألا ترى أنك لوقلت سبحان الله وحمده لكان المعنى أسبحه تسبيحا وأحمده حمدا هكذا يقتضى ماجاء من المصادر منصوبا فى هذا الباب وفى قولنا وبحمده لايكون المعنى ماتقدم فى المنصوب ولكن الباء آذنت بمعنى ابتدأت أوابدأ بحمد الله كأنك قلت حمدت الله على الهامه اياى تسبيحه وتامل قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم (قوله ساغ) أى سهل (نبذ) ترك (البراية) مايتساقط من العود اذا نجر ومن القلم اذا برى وكذا يأتى فى مثل البرادة والنحاتة ونحوها (الصناع) الحاذقة بالصنعة والرجل صنع بغير ألف (قرونك) نفسه (سمحت) جادت (أشرى) أباع (عنه) أى عن البيع (صونى حديثك) أى صيانتى للحديث الذى أحدثت من بيعى وأناحر (يوم جد بنا الوداع) أى فى هذه الساعة التى تريد أن تودعنى فيها (سكاب) اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم سأله بعض الملوك أن يبيعها منه فأبى عليه وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * كريم لايعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * يجاع لها العيال ولا تجاع

(الطرف) الفرس الكريم يقول لست أنا دون ذلك الفرس لكن طباع مالكه أفضل من طباعك حيث كان يجيع عياله ويشبعه ولم يهنه البيع كما أهنتنى به وعجز البيت الاخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم وهو العرجى سمى بذلك لانه ولد بالعرج من مكة وقيل بل كان له بها مال وكان يكثر الاختلاف اليه فنسب اليه يكنى أبا عمرو وهو شاعر مطبوع بالغزل مجيد ويشبه فى غزله ومقصده بعمر بن أبى ربيعة وكان يهوى جيداء أم ابراهيم بن هشام المخزومى ولها يقول

أبصرت وجها لها فى جيده تلع * تحت العقود وفى القرطين تشهير
وجه تحير فيه الماء فى بشر * صاف له حين أبدته لنا نور

ولها يقول

الى جيداء قد بعثوا رسولا * ليخبرها فلا صحب الرسول
كأن العام ليس بعام حج * تغيرت المواسم والشكول

ولها يقول

عوجى علينا ربة الهودج * انك ان لاتفعلى تحرجى
فالحج ان حجت وماذا منى * وأهله ان هى لم تحجج
فما استطاعت غير أن أومأت * نحوى بعينى شادن أدعج

وقال أيضا

باتا بانعم ليلة حتى بدا * صبح يلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز بسبب طلبة عليه فضربه بالسياط وألقى الزيت على رأسه وأوقفه للناس فى الشمس حتى غشى عليه وسجنه بضع سنين حتى مات فى سجنه فقال فى السجن

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى ومعترك المنايا * وقد شرعت أسنتهم لنحرى

فأنى ساغ عندك نبذ عهدى
كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهانى
وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضى عنه صونى
حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم فى هذا
سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن
طباعك فوقها تلك الطباع
على أنى سأنشد عند بيعى
أضاعونى وأى فتى أضاعوا

كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو
أجرر في المجامع كل يوم * فيالله مظلمتي وقسري
عسى الملك المجيب لمن دعاه * ينجيني ويعلم كيف شكري
فأجزي بالكرامة أهل ودي * وأجزي بالعداوة أهل وتري

فلما أفضت الخلافة الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبض على محمد بن هشام وأخيه ابراهيم ودعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك قال فاسألك بصهر عبد الملك فقال لم تحفظه فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشي الا في حد فقال ففي حد أضربك وقود قال وماذاك قال أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فارعيت جده ولا نسبه بهشام من قبل أمه اضربهما ياغلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر وأمره بتعذيبهما فضربهما حتى ماتا * وغنى اسحق الموصلي الرشيد قوله * أضاعوني وأي فتى أضاعوا * فسأل عن سبب هذا الشعر فأخبره بحديث العرجي قال اسحق فرأيته يتغيظ فلما أخبرته بما فعل بابني هشام جعل وجهه يسفر وغيظه يسكن ثم قال يا اسحق لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أمثال بني مخزوم الاقتلته بالعرجي ومن جيد شعر العرجي

فهل أنت آت أهل ليلى فناظر * لذنب جفوني أم جفوني تجرما
فان يك من ذنب ففي ذاك حكمهم * وحسب امرئ في حقه أن يحكما
كمثل شهاب النار في كف قابس * اذا الريح هبت وهو كرار أضرما

ومن جيده

أخبرت انك قلت نقتله * لاتفعلين فدتكم نفسي
والله لا آتي لكم سخطا * حتى أغيب في ثرى رمسي
والله لا أنسى تطوفها * تهتز بين كواعب خمس
كالبدر صورتها اذا سفرت * واذا تنقب فهي كالشمس

ومنه

حور بعثن رسولا في ملاطفة * ثبتا اذا أسقط المنسأة الوهم
فجئت أمشي على هول أجشمه * تجشم المرء هولا في الهوى كرم
أمشي كما حركت ريح يمانية * غصنا من البان رطبا بله رهم
حتى جلست ازاء البيت مكتتما * وطالب الحاج تحت الليل يكتتم
فبت أسقى بأكواس أعل بها * من بارد طاب منه الطعم والنسم

وفي معنى قوله أمشي كما حركت البيت يقول ابن دعبل

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لاناه ولا آمر *

وقال الواثق

قالت اذا الليل دجا فأتنا * فجئتها حين دجا الليل
خفي وطء الرجل من حارس * ولو دنا حل به الويل *

ومن ظرف العرجي أنه وعد هوى له أن تزوره في منتزه فجاءته على اتان ومعها جارية لها وجاء العرجي على عير ومعه غلام فواقعها العرجي ثم خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على

الآن فلما نظر الحال قال هذا يوم غاب عذاله ويسمى أخذ الحريري شطر بيت العرجي التضمين وليس بسرقة والتضمين يكون في بيت وفي شطر بيت والشعراء تولع به كثيرا وهو من صنعة البديع فمن الثاني قول الأخطل

ولقد سما للخرمي فلم تقل * بعد الوني لكن تضايق مقدمي

(ومثله قول الآخر)

وجزت على باب الأمير كأنني * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن تضمين بيت بكماله قول الحسن بن هانئ

اني عجبت وفي الايام معتبر * والدهر يأتي بألوان الاعاجيب
من صاحب كان دنياي وآخرتي * عدا علي جهارا عدوة الذيب
قد كان لي مثل لو كنت أعقله * من رأي غالب أمر غير مغلوب
لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت وقال ابن حجاج

قد قلت لما ان رجعت موليا * ومعي مزابير من الكتاب
نحن الذين يقال عنا كلنا * قل العصا وطريدة الحجاب
قوم اذا قصدوا الملوك لمطلب * نتفت شواربهم على الابواب

وقال ابن رشيق سألني بعض أصحابنا ان أضمن له قول الشاعر

فان فخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ولا أزيد على بيت واحد فقلت

أصبحت من جملة الاشراف ان ذكروا * كواحد الآس لا يزكو له عدد

والتضمين كثير وعلى بيت العرجي *أضاعوني وأي فتى أضاعوا* حديث النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي أطمار أخلاق فقال يا نضر ما هذا التقشف تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان فقلت أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف فجرى بنا الحديث فقال حدثنا هشيم عن بشر عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين قلت يا أمير المؤمنين حدثنا عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز وكان متكئا فاستوى جالسا وقال كيف قلت يا نضر سدادا قلت سدادا لان السداد هنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال فما الفرق بين السداد والسداد قلت السداد القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة في الشيء وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي من ولد عثمان يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم أطرق مليا وقال قبح الله من لا أدب له ثم تجار ينا الحديث فقال كيف روايتك الشعر قلت قد رويت الكثير منه قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحلم فأنشدته

اذا كان دوني من بليت بجهله * أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وان كان مثلي في محل من العلا * هويت اذا حلما وصفحا عن المثل
وان كنت أدنى منه في الفضل والحجا * رأيت له حق التقدم والفضل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحزم فأنشدته

على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنه الحقوق فعن عذر

قال فما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في اصلاح العدو حتى يكون صديقا فأنشدته

وذي غلة ساءلته فقهرته * فأوقرته مني بعبء التحمل
ومن لا يدافع سيئات عدوه * باحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الاشياء أسرع مهلكا * لضغن قديم من وداد معجل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في السكوت فأنشدته

اني ليهجرني الصديق تجنبا * فأريه ان لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته * فيكون تركي للعتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال ما أحسن ما قال ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة بمرو الروذ أتصابيها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت ان رأى ذلك أمير المؤمنين فاني لذلك لمحتاج فأخذ القرطاس وكتب وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تأمر اذا أردت أن تترب الكتاب قلت يا غلام أترب الكتاب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن السحاة قلت يا غلام اسح الكتاب قال فهو ماذا قلت مسحي قال فمن الطين قلت يا غلام طن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان فقال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه واسحه وطنه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه امض معه الى الفضل ابن سهل بهذا الكتاب فلما قرأه قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم وما سبب ذلك فأخبرته الحديث على جهته فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين ألفاظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الاخبار فجعل لي ما في الكتاب وأمر لي من عنده بأربعين ألف درهم فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف استفاده مني وهذا الخبر جاء في أخبار النحويين وذكره الحريري في درة الغواص باخصر مما ذكرناه ثم قال باثر الخبر وقد أذكرني هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخي رحمهم الله لابن أبي الهيدام

لي صديق هو عندي عوز * من سداد لا سداد من عوز
وجهه يذكرني دار البلى * كلما أقبل نحوي وضمز
واذا جالسني جرعني * غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود اذا شاهدني * واذا غاب وشى بي وهمز

قوله أتصابيها أي أشرب صبابتها اه من درة الغواص اه

كحمار السوء يبدي مرحا * فاذا سيق الى الحمل غمز
ليتني أعطيت منه بدلا * بنصيبي شر أولاد المعز
قد رضينا بيضة فاسدة * عوضا منه اذا البيع نجز

وكان لابي حنيفة رحمه الله جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا أجنه الليل رجع الى منزله بالخمر ولحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوي السمك حتى اذا دب الشراب فيه رفع عقيرته ينشد

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه النوم وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلي الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته ليالي فسال عنه فقيل له أخذه العسس منذ ثلاث ليال وهو محبوس فصلى الفجر وركب بغلته ومشى فاستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل بذلك فوسع له الامير مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ من تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الاسكاف فلما أوصله داره قال له أبو حنيفة أترانا يا فتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله علي أن لا أشرب الخمر أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه * ومما يوافق هذا الموضع في المقامات من ظرف الحكايات التي تضمنت بيع المماليك عند الضرورات وما للاجواد من جزيل الهبات مما ذكروا ومن أحسن أخبار الغلمان ان جعفر بن يحيى عرض عليه في بعض متوجهاته مملوك من مماليك لرجل جفاه السلطان فقبض ماله وأمر ببيع مماليكه فعرض عليه من جملتهم غلام كاطر شاربه أجمل الناس يدير بين فكيه لسانا أبين من الصبح قال جعفر فقلت له ما اسمك قال ماهر فقلت له وما صنعتك قال الادب والغناء والشعر وماشئت من بعد فسألته عن ثمنه فقال خمسمائة دينار على الضرورة قال فأديت ثمنه وسألته أن يسمعني شيا من غنائه فأخذ العود وغنى

حملتم جبال الحب فوقي وانني * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم * بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

فأطربني غناؤه وشجاني فأجزته ووهبت له وخلعت عليه وأمرته بمعادلتي فلما اجترت منزل مولاه بعقد ارميل أنشأ يقول

وما كنت أخشى معبدا أن يبيعني * بشيء ولو أضحت أنامله صفرا
أخوهم ومولاهم وحامل سرهم * ومن قد ثوى فيهم وعاشرهم دهرا
أشوقا ولما تمض لي غير ساعة * فكيف اذا خب المطي بنا شهرا

فقلت يا غلام أتعرف منزل مولاك من ههنا فقال هيهات وهل تخفى معالم الصب فقلت اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ووهبت له ألف دينار فقال لي زميلي أمثل هذا يعتق فقلت أومثله يملك قولي وهو يقول

لا يوجد الخير الا في معادنه * والشر حيث طلبت الشر موجود

* وحدث ابن عائشة قال كان لرجل من قيس عيلان جارية وكان بها معجبا ولها مكرما فاصابته

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البغداء ثم قال لي اني أحل هذا الغلام محل ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلو مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي الى أن يشيع نعشي وقد رأيت ما نزل بي من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت وان لا تستثقلني اذا ثقلت ففي الآثار المنتقاة المروية عن الثقات من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته (قال الحرث بن همام) فوعدته وعدا أبرزه الحياء وفي القلب أشياء فاستدنى حينئذ الغلام اليه وقبل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فدتك النفس ما تلاقي * من برحاء الوجد والاشفاق

فما تطول مدة الفراق * ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له أستودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت فقلت أظن فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال انك لفي واد وأنا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشد

حاجة وجهد فقال السيد لو بعتني فان نلت طائلا عدت به عليك فعرضها للبيع فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر المذحجي فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما مضت لتدخل القصر ودعت مولاها وأنشدته

هنيأ لك المال الذي قد أصبته * ولم يبق في كفي الا تفكري

أقول لنفسي وهي في كرب غشية * أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري

اذا لم يكن للوصل عندك حيلة * ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري

* (فأجابها مولاها) *

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري

أؤوب بحزن من فراقك موجع * أناجي به قلبا طويل التفكر

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذ بيدها فهي لك وثمنها (قوله عقل مناغاته) أي فهم كلامه والمناغاة تكليم الطفل بما يهوى ويفرح به فاذا رد الصبي كلامك أو حاكاك فقد ناغاك (الصعداء) ارتفاع نفس المهموم (أفلاذ) قطع يريد أولاده والفلذة قطعة من الكبد ولفرط الاشفاق به والمحبة في الولد يخاطبه أبواه بقلبي وكبدي وقالوا أولادنا أكبادنا وقال الشاعر

وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشي على الارض

(مراحي) موضع ابلي ودوابي وكنى بخلو المراح عن الفقر وذهاب المال (درج) مشى (لوعة البين) حرقة الفراق (هين لين) هما مع الازدواج مخففتان فان أفردتا شددتا (قوله لما درج عن عشي) يقول لولا الفقر ما بعته ما دمت حيا (وتسرية كربه) ازالة همه (المنتقاة) المختارة المدونة المكتوبة المجموعة والحديث معروف من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته أي عفا عن زلته (أبرزه) أظهره ويريد بقوله (وفي القلب أشياء) انه أضمر أن لا يقيله أبدا (يرفض) يسقط متفرقا (خفض) سكن (برحاء) شدة (الوجد) الحزن (الاشفاق) الخوف (تني) تفتر (زفير) أنفاس مرتفعة (عويل) بكاء (ريث) قدر (مدى) غاية (والميل) قدر مد البصر من الارض ويقال انه ألف خطوة من خطا البعير والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ (استفاق) استراح وخف ما يجده (كفكف) رد وأذهب (المهراق) المصبوب (أعولت) بكيت بصوت عال وأعول اعوالا صاح ورفع صوته وعولت على كذا اتكلت عليه وعلى الله معولي اتكالي وقال الشاعر

* وليس على ريب الزمان معول * (كم بين مريد ومراد) يريد انهما متقاربان في اللفظ متباعدان في المعنى لان المريد في الشيء المحب فيه والمراد الشيء المطلوب وهو المحبوب فأنت قد تريد الشيء فتمنعه وغيرك قد يراد له فيأباه ولا يريده فاللفظان متضادان فيقول التبس عليك سر بكائي فظننت انه على فراق مولاي فتفطن الآن انه على سحق عقالك كما التبس اللفظان على غير ناقد فاذا تفطن لهما تباعدا عليه والمريد عند أهل الارادة المبتدي والمراد المنتهي فالمريد هو الذي نصب للتعب والمقاساة والمراد الذي لقي الامر من غير مشقة فهو مرفوق به مرفه وقيل المريد متحمل والمراد محمول * الجنيد المريد تتولاه سياسة المعلم والمراد تتولاه رعاية الحق لان المريد يسير

والمراد يطير في يلحق السائر الطائر * القشيري كل مريد في الحقيقة مراد لانه اذا أراده الحق
بالخصوصية وفقه للارادة ولكنهم فرقوا بينهما (قوله الف) أي صاحب (نزح) بعد (سفح) جرى
(غبي) جاهل (لحظه) نظره (طمح) ارتفع (ورطه) أنشبه والورطة أهوية تكون في رأس الجبل
يشق على من وقع فيها الخروج منها وتورطت الماشية وقعت في الورطة قال طفيل

تهاب طريق الحق تحسب أنه * وعور وراط وهو بيداء بلقع

وقيل الورطة الوحل تقع فيه الغنم فلا يمكنها التخلص ثم ضرب مثلا في كل شدة يقع فيها الانسان
وأورطت فلانا فتورط هو أي وقع فيما يعسر التخلص منه * أبو عمرو الورطة الهلكة قال الراجز

ان تأت يوما مثل هذي الخطه * تلاق من ضرب نمير ورطه

(قوله تعنى) اى تعب (افتضح) اشتهر و(الوضح) الشديدة البياض النقية أي ضيع الدراهم
المنقوشة البيض والوضح البيان والضوء والغرة والفضة والدرهم الصحيح وقيل انه وصف
الدراهم بالمصدر كما يقال امرأة زور وكرم (ويك) عجبا لك (وقوله هاتيك) يقال للمذكر ذا وهو
للقريب وذاك لما هو أبعد وذلك لابعد الثلاثة وللمؤنث ذه وذي وذيلايا وتا وتي وهي للقريبة
وتيك للتي هي أبعد منه وتلك وتالك لابعدهن وتدخل ها التنبيه على كل ما ليس فيه لام لان اللام
موضوعة للبعيد وها موضوعة للقريب فلا يجمع بينهما نحو هذا وهذاك وهاتا وشاهده

* وليست دارنا هاتا بدار * وهذ وهذى وهذ وهاتيك وشاهده قول ذي الرمة

قد احتملت مي فهاتيك دارها * بها السحم تروى والحمام المطوق

(قوله لم يبح) أي لم يجعل مباحا * أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته رجل عاهد ثم غدر ورجل باع حرا ورجل استأجر
أجيرا فلم يوفه أجره (وضح) تبين (تمثلت) تصورت (المداعب) الممازح (والمعرض) بفتح الميم
الموضع الذي تعرض فيه الاشياء والمعرض الثوب تعرض فيه الجارية (تصلب) تقوى وهو
تفعل من الصلابة وهي الشدة والارض الصلبة القوية ولا أعلم أحدا خالف في هذه الرواية الا
ابن ظفر فانه رواه تنصلت بالتاء بنقطتين وفسره بتجرد وجد وكل جاد مجاهد مسرع في أمره فهو
متنصلت فيه فذكروا أنه تصحف عليه اللفظ فشرحه على تصحيفه (المحق) صاحب الحق (الرق)
العبودية وذكر الطينة لانها أصل الخلق (وتبرأ) منها تباعد (جلنا) تصرفنا (ملاكمة) مدافعة
ومضاربة واللكم الضرب بجمع الكف (أفضت) اتصلت (أوضحنا) بينا (الصورة) القصة
(تلونا) قرأنا وذكرنا له (أنذر) أعلم (أعذر) أتى بعذر ويقال قد أعذر من أنذر أي قد بلغ أقصى
العذر من أدرك وعذر الرجل فهو معذر اذا اعتذر ولم يأت بعذر ومنه قوله تعالى وجاء
المعذرون من الاعراب (ارعويت) رجعت عن جهلك واستكففت (بلهك) غفلتك وجهلك
(حذار) أي احذر أن تتعلق به (استرقاقه) تملكه وتعبده ومنه قولهم سوق الرقيق ومنه سمي
العبد رقيقا لانهم يرقون لمالكهم ويخضعون له ويذلون و(الاديم) الجلد (للتقويم) لمعرفة قيمته
(أفول) غروب (أنشاه) أحدثه وولده (جبار) باطل (اخبار) اعلام (وأخبار) جمع خبر وأخبره
أعلمه (تحرقت) عضضت أسناني حتى صوتت من شدة الغيظ (حولقت) قلت لا حول ولا قوة
الا بالله (أفقت) انتبهت وأنشد الفنجديهي في معنى هذا

وانما لمع اجفاني سفح
على غبي لحظه حين طمح
وورطه حتى تعنى وافتضح
وضيع المنقوشة البيض الوضح
ويك أما تاجتك هاتيك الملح
بأنني حر وبيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح
قال فتمثلت مقاله في مرآة
المداعب ومعرض الملاعب
فتصلب تصلب المحق
وتبرأ أمس طينة الرق
فجلنا في مخاصمة اتصلت
بملاكمة وأفضت الى محاكمة
فلما أوضحنا للقاضي الصورة
وتلونا عليه السورة قال
ألا ان من أنذر فقد أعذر
ومن حذر كمن بشر ومن
بصر فاقصر وانّ فيما
شرحتماه لدليلا على أن
هذا الغلام قد نبهك فما
ارعويت ونصح لك فما
وعيت فاستر داء بلهك
واكتمه ولم نفسك ولا تلمه
وحاذر من اعتلاقه
والطمع في استرقاقه فانه
حر الاديم غير معرّض
للتقويم وقد كان أبوه
أحضره أمس قبيل أفول
الشمس واعترف بأنه
فرعه الذي أنشاه وان
لاوارث له سواه فقلت
للقاضي أوتعرف أباه أخزاه
الله فقال وهل يجهل أبو زيد
الذي جرحه جبار وعند
كل قاض له اخبار وأخبار
فتحرقت حينئذ وحولقت وأفقت ولكن حين فات الوقت

وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته * وبيت قصيدته فنكس طرفي ما التفت وآليت أن لا أعامل ملثما ما بقيت

ولم أزل أتأوه لخسر صفقتي واقتضاحي بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وتبين حر ارتماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم اليك من أيقظك فاتعظ بما نابك واكتم أصحابك ما أصابك وتذكر أبدا ما دهمك لتتقي الذكرى ذراهمك وتخلق بخلق من ابتلي فصبر وتجلت له العبر فاعتبر (قال الحرث بن همام) فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيلي الغبن والغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب ان أراه الى أن غشيني في طريق ضيق فحياني تحية شيق فأردت على أن عبست وما نبست فقال ما بالك شمخت بأنفك على الفك فقلت أنسيت انك احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فأضرط بي متهازيا ثم أنشد متلافيا

يامن بدا منه صدو * د موحش وتجهم
وغدا يريش ملاوما * من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يبا * ع كما يباع الادهم
أقصر فما أنا فيه بد * ع مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قب * لي يوسفا وهم هم

(قصة يوسف عليه السلام) *

يفتضح الجاهل لكنه * من بعد ماغر به الناصح
ويصلح ابن السوء لكنه * من بعد ما مات الاب الصالح

(قوله وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته) أي شبكة حيلته (وبيت القصيدة) أحسن بيت فيها فأراد أن حيلته كانت لثامه (نكس طرفي) أي كسر عيني وأمال نظري (أتأوه) أتوجع (رفقتي) أصحابي (امتعاضي) توجعي (ارتماضي) حرقة قلبي من شدة الهم ولا يكون الممتعض كاظما فلابد من ظهور الكرب عليه وأمر ممعض وماعض أي ممض كارب (قوله ما ذهب من مالك ماوعظك) هو مثل ومعناه اذا ذهب من مالك شئ حذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه (أجرم) أذنب (نابك) نزل بك (دهمك) غشيك (تجلت) ظهرت (العبر) العلامات المخوفة واعتبرت بالشئ اذا اتعظت به (الخجل) الحياء (ساحبا) جارا (الغبن) بسكون الباء في البيع وبفتحها في الرأي يريد انه غبن في رأيه وبيعه قال في الدرة الغبن باسكان الباء في المال وبفتحها في الرأي والعقل (نويت) أضمرت (مصارمته) مقاطعته وصرمت فلانا قطعت ما بيني وبينه من المودة والصرم القطع وقيل لليل صريم لانقطاعه عن النهار وهو في تاويل مصروم أي مقطوع وكذلك الصريم من الرمل وهو الذي انقطع من معظمه (يد الدهر) أي أبد الدهر * أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق الى الجنة (ذراه) جهته (غشيني) قصدني وأتاني على غفلة (شيق) شديد الحب (ما نبست) ما تكلمت (شمخت) رفعت أنفك كبرا وشمخ تكبر (ختلت) خدعت وخاتل في معنى ختل وأصل المخاتلة المشي للصيد قليلا قليلا خفية لئلا يسمع حسك ثم جعلت مثلا لكل شئ ورى به وستر على صاحبه (متلافيا) متداركا للالفة (تجهم) عبوس (ملاوما) جمع ملام أو ملاومة وهي اللوم والعتاب يريد أن لومه أنفذ من السهام (الادهم) قيل أراد به الفرس وقصد لونه للقافية وقيل أراد العبد الاسود (بدعا) أي أولا أي ما أنا أول من فعل ذلك (الاسباط) اخوة يوسف عليه السلام (وهم هم) اى وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ويقال هو هو اى هو كما عهدته لم يتغير * وقد جرى ذكر يعقوب والاسباط في المقامات في مواضع وبنى هذه المقامة على ذكر يوسف وجماله وبيع اخوته اياه ونريد أن نلم بطرف من أخبارهم على شرط الكتاب ذكر أهل الاخبار أن يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام تزوج بنت خاله ليا بنت ليان بن توبيل فولدت له روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وغيرهم ثم توفيت وخلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان يوسف وأمه قد قسم لهما من الحسن شطره فكفلت يوسف عمته وكانت أكبر ولد اسحق وكانت عندها منطقة لاسحق يتوارثونها على قدر أسنانهم فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها وقال لها والله لا أقدر على الصبر عنه فقالت له والله لا أقدر على صرفه اليك فلما رأت عزمه على أخذه حزمت المنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ثم ادعت فقدها فطلبت فوجدت عنده وكان من سنتهم ان من سرق شيأ أخذ فيه فتركه لها حتى ماتت فلما رجع الى أبيه شغل به عن سائر بنيه فحسدوه فسألوا أباهم ارساله معهم للنزهة بعد ان ضمنوا حفظه فأخرجوه الى البرية وأخذوا يضربونه وكلما ضربه واحد استغاث بالآخر فيضربه الآخر فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا وذكرهم بما ضمنوا لابيه من حفظه فانطلقوا فأدلوه في الجب وهو يقول يا أبتاه لو تعلم

مايصنع بابنك بنو الآباء وكان بعض اخوته لامه فجعل يتعلق بشفير الجب فربطوا يديه وألقوه فيه فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يخولك ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام خفية منهم ثم مرت سيارة فأدلى واردهم دلوه فتعلق به فلما رآه بشر به السيارة وقال السدى ان الذى أخرجه اغاد عاصا حباله اسمه بشرى فأتى اخوته الذين أخرجوه وقالوا انه عبدلنا فباعوه منهم بعشرين درهما على أن يخرجوه من أرض الشأم فشرطوا الاخوته أن يغربوه ويذهبوا به الى مصر فحينئذ رجعوا الى أبيهم عشاء يبكون فهذه قصة بيع الاسباط يوسف على اختصار ثم انه لما بلغ مصر بيع من العزيز وكان فرعون وهو الريان بن الوليد قد ولاه خزائنها فكان من قصته مع امرأة العزيز ومن حبها فيه ومن دعائها اياه لنفسها ومن تأبيه من ذلك واستنزالها اياه حتى هم بها ورؤيته برهان ربه وهو رؤيته صورة يعقوب بعض على اصبعه وقيل انه رأى فى الحائط مكتوبا ولا تقربوا الزنا ومبادرته الباب فارّا منها وقدها قميصه من دبر ووجوده العزيز على باب الدار جالسا مع ابن عم له وهو الشاهد من أهلها وقيل انه كان صبيا فى المهد واشتهار أمرهما بمصر حتى تحدثت به نسوة فى المدينة وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه واحضارها لهن واعدادها لهن ما يتكئن عليه وقيل المتكأ الاترج وأمرها له أن يخرج عليهن واعظامهن اياه حتى شغلن به عن أنفسهن وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا تنزيها له عن أن يأتى مثله ريبة فكان من هذا الخبر ما قص الله فى القرآن ونطقت به التفاسير والاخبار ثم ان امرأة العزيز قالت للعزيز ان عبدك فضحنى فى الناس فاما سجنته واما برزت للناس أعتذر عن نفسى فحبسه فدخل معه رجلان أحدهما خباز الملك والآخر نديمه وكان لما بلغ الحلم آتاه الله حكما وعلما من العبارة فكان فى السجن يفسر الرؤيا للمسجونين ويمرض مرضاهم ويوسع على من ضاق عليه مكانه فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد فسألاه من غير أن رأيا شيأ وقالا له انا نراك من المحسنين فى معاشرتك أهل السجن فقال لهما أما أحدكما فينادم الملك وأما الآخر فيصلب فقالا له ما رأينا شيأ فقال لهما قضى الامر فيكما ثم قال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك وأخبره أنى محبوس ظلما فأوحى الله تعالى اليه ان اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن سجنك فعوقب بالسجن حيث هم بامرأة العزيز وباطالته حيث اتكل فى أمره على غير ربه ثم كان من رؤيا الملك وجهل أهل دولته وتفسير يوسف لها وقول الملك ائتونى به وتأبيه من الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك ببراءته واعتراف امرأة العزيز بانها راودته وقوله فى العزيز ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ويقال ان جبريل قال له عند ذلك ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى الآية واستخلاص الملك اياه لنفسه وجعله على خزائن أرضه ما اشتهر قرآنا وتفسيرا ويقال ان العزيز مات فى تلك المدة وان يوسف تزوجها وقال لها أليس هذا خيرا فقالت لا تلمنى كنت امرأة حسناء فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى على ما رأيت فيزعمون انه وجدها عذراء وأنها ولدت له ابنين ثم أجدبت الارض فأتاه اخوته منتجعين فكان من أمره معهم واحسانه اليهم فى الكيل وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ورجوعهم موقرين ورغبتهم اياهم فى ارساله معهم وأخذه بسرقة الصواع وتأذيهم بذلك ورجوعهم الى

هذا وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصى سهم
ما قمت ذاك الموقف المخزى وعندى درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم
ثم قال أما معذرتى فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فان كان اقشعرارك منى وازورارك عنى لفرط شفقتك على غير نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وان كنت طويت كشحك وأطعت شحك لتستنقذ ما علق باشراكى فلتبك على عقلك البواكى (قال الحرث بن همام) فاضطرنى بلفظه الخالب وسحره الغالب الى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وان كانت شيأ فريا

أبيهم وتوالى الحزن على يعقوب بفقد ابنيه وأمره لبنيه أن يرجعوا طالبين ليوسف وأخيه ودخولهم على يوسف أذلا صاغرين وتعريفه اياهم بمكانه وبعثه بالقميص على أبيه وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق ما نص الله تعالى أنه عبرة لأولى الالباب ولولا أن الامر فى كتب التفسير أشهر من أن يجهل لفسرناه فصلا فصلا (قوله وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم) يعنى مكة والمتهم الآتى تهامة وتهامة اسم مكة قال الاصمعى سمعت العرب تقول اذا انحدرت من ذات عرق فقد أتهمت (شعث سهم) أى متغيرة ألوانهم وشعورهم (قوله اعذر أخاك) قال زيد بن على ثلاثة لا يجتمعن الا فى كريم حسن المحضر واحتمال زلات الاخوان وقلة الملالة للصديق (لاحت) ظهرت (طاحت) هلكت (اقشعرارك) انقباضك قال والقشعريرة رعدة وانقباض (ازورارك) انقباضك وميلك (لفرط شفقتك) لكثرة خوفك (غير نفقتك) أى تخاف على ما بقى من نفقتك وان آخذها (يوطئ) أى يجعل غيره يطأ الجمر أى لا أضر مرتين و(الكشح) الخصر وقيل الجنب وقيل هو اسم لما بين الاضلاع ورأس الورك وكلها متقاربة وطوى كشحه على أمر استمر عليه وطوى كشحه مثل يضرب للمجانبة والمكاتمة قال الشاعر

طوى كشحا خليلك والجناحا * لبين منك ثم غدا وراحا

و(الشح) البخل مع الحرص و(اضطرنى) ألجأنى (الخالب) الخادع (صفيا) صاحبا مخلصا (حفيا) معينا كريما مكرما (نبذت) رميت وطرحت (ظهريا) أى خلف ظهرى واتخذه ظهريا أى عدة يستظهر بها أى يجعلها خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها (فريا) عجبا ومنكرا والفرى الامر العظيم والفرى الكذاب ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام قال ابن الرقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

وسافر عن قمر * مبتسم عن درر
لولاح للحور وقد * سل حسام الحور
لقد منه شغفا * قميصه من دبر

(ومن الملح فى ذلك قول ابن حجاج فى بختيار)

فديت وجه الامير من قمر * يجلو القذى نوره عن البصر
ان زليخا لو أبصرتك لما * ملت الى الحشر لذة النظر
بل وحياتى لو كنت يوسفها * لم تك من تهمة العزيز برى
* فاننى عالم بأنك لو * شممت ريا نسيمها العطر
سبقتها واندلقت تتبعها * من بين تلك البيوت والحجر
ولم تزل بالكدين تنقرها * من قبل وقت العشا الى السحر
طبعك كالماء فى سهولته * لكن أبو الزبرقان من حجر
ان الملوك الشباب ما خلقوا * الا صلاب القياش والكمر

وقال آخر

قميص يوسف لما قد من دبر * كانت براءته فيه من الكذب

وفي قميصك لما قد من دبر * مما يدل على الفحشاء والريب

(وقال آخر في الحسن بن وهب)

اذا لقيت بني وهب بمنزلة * لم تدر أيهما الانثى من الذكر

مؤدبون على الفحشاء من صغر * مدربون على النكراء من كبر

قميص انثاهم ينشق من قبل * وقمص ذكرانهم تنقد من دبر

محنكون ولم تقطع سرائرهم * بين الحواضن والدايات بالكمر

(المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية)

(حكى الحرث بن همام) قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم استطع تعديه ولا تخطت قدمي في تخطيه فعجت اليه لأسبك سر جوهره وأنظر كيف ثمره من زهره فاذا أهله أفراد والعائج اليهم مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الاغاريد وأطيب

(شرح المقامة الخامسة والثلاثين وهي الشيرازية)

(التطواف) مصدر طوفت حول الشيء اذا أكثرت المشي حوله وقد طفت به واطفت واذا درت وأكثرت ذلك قلت طوفت و (شيراز) مدينة فارس العظمى وهي مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولهاسعة حتى انه ليس فيها منزل الا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون في البساتين وشرب أهلها من عيون تجري في أنهار تأتي من جبال يسقط عليها الثلج (قوله ناد) مجلس (يستوقف) يحبس ويجعله يقف (المجتاز) خاطر الطريق المار عليه (أوفاز) انحفاز وعجلة ومنه قولهم قعد مستوفزا معناه قعد على وفز من الارض والاوفاز جمع وفز وهو أن لا يطمئن في قعوده قال الجوهري رحمه الله تعالى تقول نحن على أوفاز ولا تقول على وفز ومعناه أن لا تلقاه معدا الازهري الوفزة الوثبة بعجلة وقعد مستوفزا اذا رفع أليتيه ووضع ركبتيه ولم يطمئن (تعديه) تخطيه وجوازه و (خطت) مشت (عجت) ملت (أسبك) أجرب (سر جوهره) أراد باطن أهله اذ كانوا في الظاهر ذوي مناظر فأراد أن يعرف هل هم أهل علوم وآداب حتى يكملوا في الظاهر والباطن أم أمرهم على خلاف ذلك وبين ذلك بقوله (كيف ثمره من زهره) فكنى بالزهر عن ظاهرهم وبالثمر عن سرهم الباطن وسر كل شيء باطنه وخالصه وقال المعري

فلا يغرنك سر من سواه بدا * ولو أنار فكم نور بلا ثمر

(قوله أفراد) أي كبراء لا نظير لهم فمن مال اليهم استفاد وأفراد نجوم الدراري (والعائج) المائل (فكاهة) حديث مطرب (الاغاريد) أصوات الطير ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التغريد والغناء الا الحمام فانهم يسمون أصواتها غناء وتغريدا وبكاء ونياحا ويأخذونه من حال السامع لها وقرئ على أبي الحسن بن السراج قول سويد بن الاعلم

لقد تركت فؤادك مستجنا * مطوقة على فنن تغنى

يميل بها وتركبه بلحن * اذا ما عن للمحزون أنا

فقال انما تكون أصوات الحمام على ما في نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماها غناء واذا سمعها من يحزن سماها بكاء وقال ابن قاضي ميلة مصدقا لما قاله ابن السراج

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحى

شجا قلب الخلي فقال غنى * وبرح بالشجي فقال ناحا

(وسبقه المعري بقوله)

بأرض اليمامة أن تغنى * بها ولمن تأسف أن تنوحا

وقد قدمنا في شرح الصدر فصلا للحمام وما أحسن قول البحترى

حبتك عنا شمال طاف طائفها * فى جنة نفحت روحا وريحانا

غنت سحيرا فناجى الغصن صاحبه * سرا بها وتداعى الطير اعلانا

ورق تغنى على غصن مهدلة * تسمو بها وتمس الارض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب * والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وهذه ديباجة أبي عبادة و(حلب العناقيد) الخمر (احتنف) انتظم (طمرين) أى ثوبين خلقين (يناهز) يقارب (العمرين) ثمانين سنة وذلك ان الانسان من الشبيبة الى الاربعين فى نماء وزيادة وقوة ومن الاربعين الى الثمانين فى نقص فالبالغ الثمانين قد استوفى عمرى الزيادة والنقص وسئل ذو الرمة عن سنه فقال بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة وقيل العمر ستون سنة لقوله عليه الصلاة والسلام أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين ومن حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله اليه فالعمران على هذا مائة وعشرون سنة والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغ عمر ابن آدم والاظهر من سياق المقامة انه أراد الاول لان من قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بخمر ولا بغيره وهو يزعم فى المقامة انه يحاول شربها والغناء وغير ذلك (قوله أبان) بين (منطيق) فصيح (احتبى حبوتهم) أى جلس مثل جلوسهم (المتندين) أهل المجلس (ازدراه) احتقره (أصغريه) قلبه ولسانه وقيل لهما الاصغران لصغر حجمهما من بين الاعضاء لفضلهما وشرفهما على الاعضاء قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ولكنى مدرب الاصغرين وبجلبهما القيام والكمال كأنه قال المرء يقوم أموره بلسانه وقلبه ويكمل المرء بهما قال الاصمعى رحمه الله تعالى كان ضمرة بن أبي ضمرة قصيرا وكان يقول المرء بأصغريه بقلبه ولسانه (يتداعون) يدعو بعضهم بعضا الى ذكر الفصاحة والاشبه أن يكون من الادعية وهى الاحجية والاغلوطة كأنهم يتحاجون و(فصل الخطاب) كناية عن الفصاحة (يعتدون) يحسبون و(الاحطاب) جمع حطب ولا يقال للعود حطب حتى يجف ماؤه ويبس فأراد أنهم حسبوا أباز يد من جنس الحطب لا نضارة فيه كأنه لا علم عنده وقال الشاعر

اذا العود لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

(يفيص) يتكلم ويندفع فى القول وفاص لسانه وأفاص أى أبان (يبين) يبين (سمة) علامة (سبر) قاس وجرب (قرائحهم) أذهانهم (خبر) جرب (شائلهم) ناقصهم (راجحهم) وافيهم والشائل من الدراهم الناقص الذى يشول به الميزان أى يرتفع والراجح ضده وقال فى الدرة الشائل المرتفع وأنشد

يا قوم من يعذر من عجرد * القاتل المرء على الدانق

لما رأى ميزانه شائلا * وجاء بس الاذن والعاتق

(استنثل كنائنهم) استخرج ما عندهم والكنانة جعبة السهام (الفدام) خرقة تجعل على فم الابريق ليصفو الخمر بها (أخلاق) ثياب بالية (خلاق) نصيب وافر من الخير (ينابيع) مخارج الماء من العيون (النكت) المعانى الغامضة والنكتة نقطة فى شئ تخالف لونه فاذا كانت فى الكلام فهى عيونه (النخب) المختارة (بدائع) غرائب (ذوب الذهب) ما ذاب منه ولو أنشدهم

شعرا

من حلب العناقيد اذ احتنف بناذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان طليق وأبان ابانة منطيق ثم احتبى حبوة المتندين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان المرء بأصغريه وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ويعتدون عوده من الاحطاب وهو لا يفيص بكلمة ولا يبين عن سمة الى أن سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق وقلتم ماله من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب به بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب

شعرا يوافق مجلسهم لم يكن الا أبيات الناشى

كأنهم فى صدور الناس أفئدة * تحس ما أخطروا فيها وما اعتمدوا
يبدون للناس ما تخفى ضمائرهم * كأنهم وجدوا منها الذى وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها * وعلم ما غاب عنهم بالذى شهدوا
مطالع الحق ما من شبهة غسقت * الا ومنهم لديها كوكب يقد

أو أبيات ابن شهيد حيث قال

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
منتقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل
راموا النصر امى عن المعالى * والقرب من دونها كليل
فاشتد فى اثرها مسح * كل كثير به قليل
فى مجلس شأنه التصافى * تطيش فى وصفه العقول

فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتأهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله وقالت له قد أريتنا وسم قدحك وأرويتنا من نضحك فخبرنا عن قيضك من محك فصمت صموت من ألجم ثم أعول حتى رحم (قال الراوى) فلما رأيت شوب أبى زيد وروبه وأساوبه المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فاذا هو اياه فكتمت سره كما يكتم

(قوله خلب) أى خدع و(الحلب) الحجاب الذى بين سوادا القلب وسواد البطن (تحلحل) تحرك وأصله للبعير اذا حركته للقيام تقول له حل حل (عاقت) منعت وحبست (مسرب) طريق مسيل الماء وسرب يسرب سروبا مضى على وجهه فى سفر بعيد وسرب الماء يسرب سربا ومسربا فهو سرب سال والمعنى منعته المشى (وسم قدحك) علامة سهمك والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله (وارويتنا من نضحك) أى أسقيتنا من بللك والنضح الرش الخفيف (قيضك ومحك) أى ظاهرك وباطنك لان القيض قشرة البيضة العليا وقلبها الاصفر هو المح بحاء غير منقوطة *الفنجديهى عن قيضك ومحك أى عن نسبك وبلدك (صمت) سكت (الجم) غلب وقطع عن الكلام (أعول) بكى (وشوب أبى زيد وروبه) أى تخلطه فى حيله والشوب الخلط تقول شبت الماء باللبن أى خلطتهما والروب اتخاذ الرائب والشوب اللبن الممزوج بالماء هنا والروب الخالص ويقال ما عنده شوب ولا روب أى لا مرق ولا لبن وقيل الشوب العسل والروب اللبن وفلان يشوب ويروب أى يخلط ويصفى وأصله يريب فقلبت يروب طلبا للازدواج يضرب مثلا لمن يخلط فى القول والعمل والشوب والروب جميعا الخلط وراب الرجل روبا اختلط عقله ورأيه (أساوبه) طريقه (المألوف) الملتزم (صوبه) قصده وجانبه وصوابه (سهومة محياه) تغير وجهه (سهوكة رياه) تنن رائحته من الحر وغيره (وقوله فاذا هو اياه) استعمل اياه وهو ضمير منصوب فى موضع الرفع وهو غير جائز عند سيبويه وجوزه الكسائى فى مسئلة مشهورة جرت بينهما قال الفنجديهى سألت شيخنا العلامة امام النحاة جمال العلماء أبا محمد عبد الوهاب بن برى بن عبد الجبار المقدسى عن شرحها فقال أيده الله سألت شرح الله صدرك وأعلى فى منازل الشرف قدرك عن المسئلة التى جرت بين سيبويه والكسائى وهى قوله كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها وسألت عن وجه النصب فى اياها عند من أجاز ذلك فاعلم ان مذهب النحويين البصريين فى مثل هذه المسئلة أن يكون ما بعد اذا مرفوعا بالابتداء والخبر فيقال فاذا هو هى على حد ما فى الكتاب العزيز فاذا هى بيضاء للناظرين وقوله فاذا هى ثعبان مبين فاذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانية وما فرق بينهما وتقديرها فى نحو خرجت فاذا زيد قائم خرجت فبالحضرة زيد قائم

الداء الدخيل وسترت مكره
وان لم يكن يخيل حتى اذا
نزع عن اعواله وقد عرف
عنوري على حاله رمقني
بعين مضحاك ثم طفق ينشد
بلسان متباك

أستغفر الله واعنو له
من فرطات أثقلت ظهريه
ياقوم كم من عاتق عانس
ممدوحة الاوصاف في الانديه
قتلتها لا أتقي وارثا
يطلب مني قود أو ديه
وكلما استذنبت في قتلها
أحلت بالذنب على الاقضيه

والعامل في اذا قائم وان شئت نصبت قائما على الحال وجعلت الخبر في اذا كما تقول خرجت فاذا زيد القائم والقائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ومذهب الكوفيين في الحال أن تكون نكرة ومعرفة ومن هنا منع سيبويه من اياها في المسئلة لان المضمر لا يقع حالا لتعريفه وعدم الاشتقاق فيه والحال تكون نكرة مشتقة والكوفيون يجيزون النصب على معنى خرجت فاذا زيد قائما والاقرب عندي ان يريدوا فاذا هو موجود اياها فحذف الخبر وهو موجود لدلالة الكلام عليه ومثل هذا عندهم لئن ضربته ليضربنه السيد الشريف فينصبون السيد باضمار فاذا حملته على هذا تخرج ، وحكى عن أبي زيد انه سمع هذه المسئلة من العرب بنصب اياها فان صح انه سمعها فهذا وجه ويجوز في قياس قولهم أن يكون على اسقاط الكاف وهم يروون في الخبر ذكاة الجنين ذكاة أمه بنصب ذكاة يقدرون كذكاة أمه فتقديرها فاذا هو كها أي فاذا الزنبور كالعقرب وهم يجيزون ادخال الكاف على الضمير وسيبويه يمنعه الا في الشعر كقول العجاج وأم أوعال كها أو أقربا وقال رؤبة

فلا أرى بعلا ولا حلائلا * كهو ولا كهن الا حاظلا

وأجاز بعض النحويين أن يكون اياها كناية عن الجملة التقدير فاذا هو لسعته كلسعتها فكنى عن الجملة بقوله اياها وينصب على الحال لانها كناية عن الجملة وهي نكرة فتصير في حكم النكرة كما صارت الهاء في ربه رجلا نكرة في المعنى لكونها كناية عن نكرة ولذا دخلت رب عليها وهي لا تدخل الا على نكرة فهذا ما يقتضيه وجه النصب في اياها على ما ذكره الكوفيون والفرق بين اذا الزمانية والمكانية من أوجه أحدها ان الزمانية تقتضي الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائية أو المبتدأ وحده والثاني ان الزمانية تقتضي جوابا والمكانية لا تقتضيه والثالث ان الزمانية مضافة الى الجملة التي بعدها والمكانية ليست مضافة الى ما بعدها بدليل خرجت فاذا زيد فزيد مبتدأ واذا خبره والرابع ان الزمانية تكون في صدر الكلام نحو اذا جاء زيد فاكرمه والمكانية لا يبتدأ بها الا ان تكون جوابا للشرط كالفاء في قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون والخامس ان الزمانية تقتضي الاستقبال والمكانية تقتضي معنى الحضور ولانها للمفاجأة والمفاجأة للحاضر دون المستقبل انقضى الكلام عليها على جهة الاختصار (وقوله الداء الدخيل) هو الذي لا يتكلم به استقباحا له أو لمحله (يخيل) يشتبه ويشكل وخال يخيل اشتبه (نزع) كف (اعواله) بكاءه (عنوري) اطلاعي (رمقني) نظر الي (بعين مضحاك) أي كثير الضحك (متباك) مستعمل للبكاء متكلف (أعنو) أذل (فرطات) سقطات وزلات (عاتق) شابة قد أدركت ولم يبن بها زوج وجها بل هي بكر ويريد بها الخمر التي لم يفض أحد خاتمها و(عانس) طالت اقامتها في بيت أبيها (الاندية) المجالس (القود) قتل النفس بالنفس (استذنبت) نسبت الى الذنب (الاقضية) جمع قضاء أي كلما قيل لي فعلت هذا الذنب قلت انما هو قضاء الله وقدره وأخذ هذا المعنى من قول الحسن بن الضحاك

واتركي العذل على من قاله * وانسبي جوري الى حكم القضا

ولهذا البيت حكاية أدبية قال الحسن كانت لي نوبة في دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة اذ جاءني خادم من خدام الحرم فقال لي ان أمير المؤمنين يدعوك فقلت له وما الخبر قال انه كان نائما الى جنب

حظيته فقام وهو يظنها نائمة فلم بجارية أخرى وعاد الى فراشه فغضبت حظيته وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنده فطلبها فلم يجدها فقال من اختلس كريمتي ويحكم أين هي فأخبرناه انها قامت غضبى ومضت الى حجرتها فدعا بك قال فمضيت مع الرسول ورويت أبياتا في طريقي فلما جئته خبرني القصة وقال لي قل في هذا شيأ ففكرت هنيهة كأني أقول شعرا ثم أنشدته الابيات

غضبت أن زرت أخرى غضبة * فلها العتبى علينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة * فاغفريها واصفحي عما مضى
واتركي العذل على من قاله * وانسبي جوري الى حكم القضا
فلقد نبهتني من رقدتي * وعلى قلبي كثيران الغضى

فقال أحسنت بحياتي أعدها علي يا حسن فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر لي بخمسمائة درهم فقام ومضى الى الجارية فأنشدها الابيات فتراضيا فكان بعد اذا رآني تبسم لموقع الابيات ونجحها عند الجارية والاحالة على القضاء بالذنب هو مذهب الجبرية فمن فعل منهم ذنبا قال لاذنب لي انما قدر علي ومذهب القدرية خلافه قال الشاعر في رده

اذا أذنبوا قالوا امقادير قدرت * وما العار الا ما تجر المقادر

(وقوله غيها) أي فسادها (مستشريه) لاحية مصممة واستشرى الشيء انتشر واستشرى في أمره لج فيه * والقتل الذي ذكره للبنات هو الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية قال الله سبحانه وتعالى واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت والموؤدة التي تدفن حية فتثقل بالتراب والوأد القتل وورد قيس بن عاصم المنقري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار عن وأده البنات فقال قيس ما ولدت لي بنت الا وأدتها وما رحمت منهن الا واحدة ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها الى أخوالها وقدمت فسألت عن الحمل فاخبرت انها ولدت ميتا ومضت سنون حتى ترعرعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها قد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيأ من الخلوق ونظمت عليها ودعا وألبستها قلادة وجعلت في عنقها مخنقة فقلت من هذه الصبية فقد أعجبني حسنها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت خبرتك اني ولدت ميتا وهذه التي ولدت فجعلتها عند خالها وبلغت هذا المبلغ فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها ثم أخرجتها يوما فحفرت حفرة فجعلتها فيها وهي تقول يا أبت أتغطيني بالتراب حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت واحدة منهن ممن وأدت غيرها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان من لا يرحم لا يرحم * وذكر ان قيسا وأد بيده بضع عشرة ابنة وكان السبب في وأد البنات أن المستمرج اليشكري اغار على قوم قيس فسبا نساء فيهن ابنته وابنة أخيه فدخل قيس اليهم فسألهم ان يهبوهما له فوجد المستمرج قد اصطفاهما لنفسه فسأله اياهما فقال قد جعلت أمرهما اليهما فان اختارتاك فخذهما فاختارتا المستمرج فانصرف فوأد كل ابنة له خوفا من الفضيحة فاقتدت به العرب في ذلك * قال الهيثم ان الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل الا في تميم وقيل كان الوأد في تميم وقيس وبكر وهو ازن وأسد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها

ولم تزل نفسي في غيها
وقتلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا
في مفرقي عن تلكم المعصيه

عليهم سنين كسنى يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ولهذا جاء تحريم الدم وهذا خبر بين أن الوأد كان للحاجة لا للانفة وبه نزل القرآن قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن ومن ذكر انه كان انفة وانه كان فى تميم ومن جاورهم فيحتج بحديث أبى عبيدة أن تميما منعت النعمان الاتاوة فوجه اليهم أخاه الريان وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفى ذلك يقول المستمريح اليشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن

ياليت أم تميم لم تكن عرفت * مروا وكانت كمن أودى به الزمن

وقال النعمان فى جوابه

لله در غداة الروع لو بهم * يرمى ذرا حصن زالت بهم حصن

اذ لا أرى أحدا فى الناس يشبههم * الا فوارس حامت عنهم اليمن

فوفدت اليه تميم فأناب اليهم وأحب البقيا وقال

ما كان ضر تميما لو تعهدها * من فضلها ما عليه قيس عيلان

فسألوه النساء فقال كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عنده فكلهن اخترن آباءهن الا ابنة قيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المستمريح فنذر قيس لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتل به من وأد البنات ويقول فعلناه أنفة وقد كذب بما أنزل الله تعالى فى القرآن المجيد وأين فعل قيس فى الوأد وقساوة قلبه من فعل صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق فانه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى كنت أعمل عملا فى الجاهلية لنفسى أينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عنهما فقال هما عندى وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك مضر فجلست عنده لتخرجا الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان ذكرا شاركناه فى أموالنا وان كان أنثى وأدناها فقالت وضعت أنثى فقلت أتبيعنيها فقال وهل تبيع العرب أولادها فقلت انما اشترى حياتها لا رقها فقال بكم فقلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت ذلك لك على أن يبلغنى واياها الجمل ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب أشترى كل موؤدة بناقتين وجمل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائة موؤدة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه وقال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير

ألم تر أنا بنى دارم * زرارة منا أبو معبد

ومنا الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد

أيطلب مجد بنى دارم * عطية كالجعل الاسود

قريب محل قفا مفرق * لئيم مآثره قعدد

ومجد بنى دارم دونه * مكان السماكين والفرقد

وعطية هو أبو جرير ويأتى فى الاربعين وجاء فى الحديث الترغيب فى اكرام البنات قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ابتلى بشئ من هذه البنات فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفى طريق آخر من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ولبعضهم تهنئة بمولودة اتصل بى خبر المولودة كرم الله غرتها وانبتها نباتا حسنا وقد علمت انهن أقرب الى القلوب وان الله عزوجل قد بدأ بهن فى الترتيب فقال سبحانه يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى وقال بعض الشعراء

أحب البنات وحب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه

فان شعيبا من أجل ابنتيه * أخدمه الله موسى كليمه

وفى الحديث دفن البنات من المكرمات عزى رجل يحيى بن خالد فى حرمة له فقال أيها الوزير دفن الحرم من النعم ثم قال

تعز اذا رزئت بخير درع * يسربل للمصائب درع صبر

فلم أر نعمة شملت كريما * كعورة مسلم سترت بقبر

(وقال عمر بن أبى علقمة المرى)

انى وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر * أحب أصهارى الى القبر

(وقال أبو اسحق بن خلف)

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب فى الليالى حندس الظلم

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

(وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر)

لكل أبى بنت يراعى شؤنها * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر

فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر

لا تياسن منها فقد زوجتها * كفؤا وضمنت الصداق مليكا

فلم أرق مذ شاب فودى دما
من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما أرى
منى ومن حرفتى المكديه
أربت بكرا طال تعنيسها
وحجبها حتى عن الاهويه
وهى على التعنيس مخطوبة
كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفينى لتجهيزها
على الرضا بالدون الامية
واليد لا توكا على درهم

(قوله فودى) أى ناحية رأسى (مصبية) لها اصبوة أو يصبوا اليها من رآها وجعل الخمر مصبية لانها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى عقولهم عقول الصبيان فهى تلعب بهم كما تلعب الام بصبيانها (حرفتى) صنعتى (المكديه) الصعبة وأكدى الحافر بلغ كدية فرفع عن الحفر آيسا من الماء ثم استعير لغير ذلك (أربت) أصلح (تعنيسها) اقامتها بغير زوج قال عمر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة من بلغت ابنته اثنتى عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت اثما فاثم ذلك عليه وقال عليه الصلاة والسلام من بلغ له ولد النكاح وعنده ما ينكحه به فلم ينكحه فأصاب اثما فالاثم بينهما وبعنى بها خمرا قديمة حجبها عن الاهوية لئلا يفسدها الهواء (قوله مخطوبة) مطلوبة (الغانية) البارعة الجمال التى غنيت بحسنها عن الزينة قال الرستمى أصلها فى ذات الزوج التى استغنت بزوجها ثم قيل فى غير ذات الزوج قال عمارة هى الشابة التى تعجب الرجال ويعجبونها (المغنية) التى نشأت فى الغنى وأغنى بمعنى استغنى والمغنية أيضا التى تغنى زوجها عن غيرها الكمال خصالها (توكا) تشد وتربط والوكاء الخيط يشد به فم الوعاء

* وراود عبد في الجاهلية ابنة سيده عن نفسها فامكنته حتى بلغ اربه منها ثم عمدت اليه فجبته
فقال لها أبوها في ذلك فقالت من و ردغير مائه صدر بمثل حاله ان العبد لمن نوكه قد ابتذل انا علم
بوكه فقال أبوها يابنية لاشلا ولاعمى و (ميه) محذوفة اللام ولايدرى اواو لامها أم ياء قاله
صاحب العين وقال ابن الاعرابى مايت القوم وأمأيتهم صار وا بى مائة فنى مأيت دليل قاطع
على ان اللام ياء وقال الفراء رحمه الله تعالى وكراع أصلها مئية وأنشد

فقلت والركب قد تخطيه منيته * أدنى عطيات آبائى مئيات *

(قوله قفر) غير عامرة (مصحبة) زال سحابها ضر بهمثلا للخالومن المال فلا فى أرضه خصب
فتعمر من أجله ولا فى سمائه سحاب فيرجى خيرها وقد تقدم لغيى مطر (القينة الملهيه) الجارية
المغنية وهى فى كلام العرب الامة مغنية كانت أوغير مغنية قال زهير

*ردّ القيان جمال القوم فاحتملوا * واشتقاقها من قنت الشيء اقينه قينا اذا لممته قال الشاعر

ولى كبد مجروحة قد بدا بها ٭ صدوع الهوى لوأن قينا يقينها

ولهذا سمى الصواغ والحداد قينا والماشطة قينة (قوله فيغسل الهم بصابونه) يعنى فينفى همى
بالخمر لانها تنفى الهم والحزن والغم كما يغسل الصابون وسخ الثوب (المضنية) الممرضة (يقتنى)
يكتسب (تضوع رياه) تنجر لذ رائحته يريد انه يكتسب منه السامع الدعاء فيثنى عليه ثناء حسنا
فى الدنيا ويدعوله بالآخرة ويقال ضاع المسك يضوع أى انتشرت رائحته وقال الشاعر

وماهو الا المسك عند ذوى الحجى * يضوع وعند الجاهلين يضيع

(نديت) كرمت (انباع) سال (عرفه) معروفه (نجعت) انقضت وتمت (بغيته) طلبته (طفق)
أخذ وجعل (سارح) ذاهب يريد انه شمر للسير وأضاف ساقا للسارح وهو يريد عن ساق رجل
سارح أى ذاهب (ربيبة خدره) أى التى رباها فى بيته وربيبة الرجل بنت امرأته من غيره قيل
لها ذلك لانه يربيها فهى فعيلة بمعنى مفعولة فاصلها مربوبة ويقال رب فلان فلانا ورباه وربيه
وتربيه بمعنى واحد (حدثان) أول (وشك) سرعة (مرامى) مرادى ومطلبى (ازدلف) قرب
ويقال قتلت الخمر اذا مزجتها وقد فسره بقوله مزج المدام قال الاخطل

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها * وأحبب بها مقتولة حين تقتل

وكان الاخطل خليعا فأثنى هنا على الممزوجة وقال فى التى لم تمزج

وكأس مثل عين الديك صرف * تنسى الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشية لاشك فيها * وأرخى من مآزره الفضولا

وأصبح عبد الملك يوما فى غداة باردة فأنشد هذه الابيات ثم قال كأن الاخطل الآن فى حانوت
خمار محلل الازار مستقبل الشمس ثم بعث من يطلبه بدمشق فوجده كما وصف وقال له يوما
ألا تسلم فنفرض لك فى الفيء ونعطيك عشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر فقال له عبد الملك
وما تصنع بها وان اولها مر وآخرها سكر قال الاخطل وفيما بين هاتين منزلة ما يسرنى ملكك بها
وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد أعطى كأس خمر ممزوجة

ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

والارض قفر والسما مصحيه
فهل معين لى على نقلها
مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه
والقلب من أفكاره المضنيه
ويقتنى منى الثناء الذى
تضوع رياه مع الادعيه
(قال الراوى) فلم يبق فى
الجماعة الامن نديت له كفه
وانباع اليه عرفه فلما نجعت
بغيته وكملت منته أخذ
يثنى عليهم بصالح وشمر
عن ساق سارح فتبعته
لاستعرف ربيبة خدره ومن
قتل فى حدثان أمره فكان
وشك قيامى مثل له مرامى
فازدلف منى وقال افقه عنى
قتل مثلى ياصاح مزج المدام

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة أرخاهما للمفصل

فدعا بالقتل على الذي أعطاها له ممزوجة وذكر الحريري في الدرة البيتين وقال في قوله أرخاهما القياس أشدهما ارخاء للمفصل لأن أصل هذا الفعل ارخى فبناؤه ليس مقيسا كما قالوا ما أحوجه الى كذا فبنوه من حوج وان كان قياسه ما أشد حاجته * ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعقبهما بروايتها ونضوع نشرهما بنشر ملحها وهي مارواه أبو بكر محمد بن القاسم الانباري عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثنا أحمد بن عبد الملك بن السماك السعدي قال حدثنا أحمد بن ظبيان الحائز قال اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان ان التي البيتين فقال بعضهم امرأتي طالق ان لم أسال الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر لم قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فاشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بني شقرة وعبيد الله بن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك في أمر قد دعتنا اليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوه الجواب فقال * ان التي ناولتني فرددتها * عني بها الممزوجة بالماء ثم قال من بعد كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب المكني عنها بالمعصرات في قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات قال الشيخ الامام الاجل الاوحد العالم أبو محمد أدام الله سعادته فهذا ما فسره به عبيد الله بن الحسن وقد بقي في الشعر ما يحتاج الى كشف سره وتبيان نكته أما قوله ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه أنه قد فطن لما قد فعله ثم ما اقتنع منه بذلك حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان في تجنيس اللفظ ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله أرخاهما للمفصل يعني اللسان وسمي مفصلا بكسر الميم لانه به يفصل بين الحق والباطل وليس فيما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الاسماح وخفض الجناح ما يقذف في نزاهته أو يغض من نبله وبراعته ويضارع هذه الحكاية في وطاة القضاة المتقشفين للمستفتين وتلايتهم في مواطن اللين ما يحكى أن حامد بن العباس سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن داء الخمار وعن دوائه فأعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة أبي عمرو فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال النبي عليه الصلاة والسلام استعينوا على الصناعات بأهلها والاعشى هو المشهور في الجاهلية بهذه الصناعة وقد قال

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤ * أتيت المروءة من بابها

ثم تلاه أبو نواس في الاسلام فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقوله سبحانه أولا ثم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام

ثانياو بين القينا وأدى المعنى وتقصى من العهدة فكان بخجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من بخجل حامد منه لما ابتدأ بالمسئلة وتبع حسان مسلم بن الوليد فقال وأحسن

اذا شئتما أن تسقيانى مدامة * فلا تقتلاها كل ميت محرّم
خلطنا دما من كرمة بدمائنا * فأظهر فى الالوان منا الدم الدم

(وقال أبو نواس فى الصرف)

وكميت أرقها وهج الشمـ * ـس وصيف يفنى بها وشتاء
لم يشنها الطاهى بطبخ ولا غيـ * ـرها عن طبيعة الكرم ماء

وقال فيه أيضا

توارت عن الابصار من عهد آدم * حذار الكون الماء يوما قرينها
فصنها عن الماء القراح وأسقنى * فانك ان لم تسقنى مت دونها

على أنه القائل

ألا دارها بالماء حتى تلينها * فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

وقال أبو نواس لاخوانه فى مرض موته اياكم والخمر صرفا فانها أحرقت كبدى وقال ابن رشيق

قدر المدامة فوق قدر الماء * فارغب بكاسك عن سوى الاكفاء
مالى ومزج الراح الا فى فمى * بالريق من فم عادة حسناء
ذاك المزاج وان تعدانى الذى * فى المزن من ذى رقة وصفاء
أشهى وأبلغ فى الفؤاد مسرة * من غيره وأدب فى الاعضاء
لى الصرف ان مزج النديم ولم أكن * مستأثرا فيها عن الندماء

وقال أيضا

قلت لمن نا ولنى مرة * مالى حب الغيد بل حبها
لا تسقنى للراح ممزوجة * واشرب فما يمكننى شربها
ماراحتى فى الراح ان غيرت * دعها كما جاء بها ربها

ونصل بهذا النمط ماقيل فى نبيذ الزبيب قال أبو الاسود الدؤلى

دع الخمر يشربها الغواة فاننى * رأيت أخاها مغنيا بمكانها
فان لا يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

يقول ان لا يكن الزبيب الخمر أو الخمر الزبيب فانهما اخوان غذيا بلبن واحد وهى الحبة التى هى أصل العنب والزبيب فاحدهما ينوب مناب الآخر وأنشد الحامضى

تركت الحميا لست اختار شربها * وماحاجتى فى أن أسر الأعاديا
ولكنّ أخرى من نبيذ معتق * عنيت ان أكثرت منه الامانيا
أخو الخمر من عنقودها غير أنهم * اذا قطعوه جففوه لياليا

قال المامون نقلت هذا المعنى بابيات ملوكية لاتحضر السوقة بمثلها

صلى الندمان يوم المهرجان * بكاس من معتقة الدنان
بكاس خسروانى عتيق * فان العبد عبد خسروانى
وجنبنى الزبيبين طرّا * فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى

فاشربها

فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذى امتنان

ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقى خسارتان

سال رجل شريحا القاضى هل النبيذ حلال أم حرام فقال حلال فقال قليله خير أم كثيره قال قليله قال الرجل ما رأيت حلالا وقليله خير من كثيره الا هذا. وقال قتيبة بن مسلم لقاضى مرو بلغنى انك شربت النبيذ قال نعم أصلحك الله أشرب منه ما يسلى العقل ويطيب النفس ويغنى عن الماء ويهضم الطعام قال فما أبقيت قال أبقيت أخبثه وأردأه الاتكاء على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف الى المبال * وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته وهو رسول السرور الى القلب فقال ولكنه بئس الرسول يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس (قوله لهذم) هو سنان الرمح (بنت الكرم) الخمر و (تجهيزها) حملها (والطاس) اناء الخمر كالابريق يصب منه الشراب فى الكاس وجمعه طاسات قال الناشى

وكانما الطاسات مما حولها * من نورها يسجن فى ضحضاح

لو بث فى غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بغرة الاصباح

وقدم فى المقامة انه لا يجهزها الا مصحوبة بالقينة أى لا يشربها الا بالغناء وقد ذموا الغناء ومدحوه فأما ذمه فقال الكندى الغناء برسام حاد لان المرء يسمع فيطرب فيسمح فيفتقر فيغتم فيمرض فيموت وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروأة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولابد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن السماع طربة وهو من نتيجة العقل فمن كره السماع دل بذلك على قلة عقله وقال بعض الفلاسفة جعلت اللذات خمسا فى خمس فجعل اللمس لليدين والشم للمنخرين والسمع للاذنين والذوق للسان واللون للعينين وعلى كل جارحة تعب من اللذات الا النغمة فانه لا تعب على الاذنين فيها ولذلك صار الناس كلهم عربيهم وعجميهم صغيرهم وكبيرهم مشتركين فى الاصاخة الى النغمة الحسنة والصوت المستمتع متباينين فى غير ذلك وقد يوجد أكثرها فى أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب فتشرب والابل يحدى لها فتنقاد قال الشاعر

فليس الشرب الا بالملاهى * وبالحركات فى بم وزير

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

وقال آخر

فانظر الى الابل التى * هى ويك أغلظ منك طبعا

تصغى الى صوت الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا

(قوله التغاضى) أى التغافل (عربيد) سيئ الاخلاق عند سكره وهو الذى يؤذى بيده ولسانه أصحابه (رعديد) جبان فزاع (بون) فضل ومزية (من ذى علق) أى من صاحب محبة هو مثل يضرب لمن ينظر بود ومحبة ابن ظريف العلق الحب وعلق فلان فلانة أى أحبها والله الموفق

(شرح المقامة السادسة والثلاثين وهى الملطية)

ليس قتلى بلهذم أو حسام
والتى عنست هى البكر بنت ال
كرم لا البكر من بنات الكرا
ولتجهيزها الى الكاس والطا
س قبالى التى ترى ومقامى
فتفهم ماقلته وتحكم
فى التغاضى ان شئت أو فى
الملام
ثم قال أنا عربيد وأنت
رعديد وبيننا بون بعيد ثم
ودعنى وانطلق وزودنى
نظرة من ذى علق

المقامة السادسة
والثلاثون الملطية

(أخبر الحرث بن همام) قال

(انحت المطية) صيرتها باركة بالارض (ملطية) بلد بالجزيرة ذات انظار وقرى بينها وبين الرقة خمسون فرسخا والرقة أم قرى الجزيرة وذكرها المسعودى فى شعره فقال

ولم يحلبوها من ورا ملطية * تصدع أجبال بها واكام

وقيل ملطية فى نغر الشأم قال اليعقوبى ملطية هى المدينة العظمى وكانت قديمة فأخربها الروم فبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سورا واحدا ونقل اليها عدة قبائل من العرب قال وهى فى مستو من الارض يحيط بها جبال الروم وماؤها من عيون وأودية من الفرات وخففها المتنبى ضرورة فقال

وكم قدرت فى ذرا ملطية * وملطية أم البنين ثكول

(قوله مطية البين) يريد ناقة السفر أى أقام بها وترك السفر (الحقيبة) وعاء الرجل و(العين) الذهب (هجيراى) عادتى (وألقى بها عصاه) أى أقام بها وترك السفر (أتورد) أطلب وأدخل وتوردت الابل الماء دخلته قطعة قطعة و(المرح) النشاط (شوارد) نوافر وأراد أنه أتبع نفسه جميع اللذات بملطية وشاهدها (مرتع) موضع خصيب كثير الطعام (مأرب) حاجة (الثواء) الاقامة (عمدت) قصدت (ابتياع الاهب) اشتراء العدد للسفر (الظعن) الارتحال (الرهط) الجماعة من ثلاثة الى عشرة (سبؤا قهوة) اشتروا خمرة (ارتبؤا ربوة) طلعوا كدية وقال الحسن

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم * الى بيت خمار نزلنا به ظهرا
أتيناه يوديا تحمل ظاهرا * ويضمر فى المكنون من سره الشرا
* فجاء بها غانية ذهبية * فلم نستطع دون السجود لها اصبرا
حرجنا على أن المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

(وقال فى شراء الخمر بثيابه)

نجوت من اللص المغير بسيفه * اذا مارماه بالتجار سبيل
واصلت خمار على بخمرة * فراح بأثوابى ورحت أميل

* (وقال الأمير تميم بن المعز) *

شربنا على نوح المطوقة الورق * وأردية الروض الملفقة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها * فجاءت كفوت اللحظ أورقة العشق
كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا * لنا وكان الراح فيها سنى البرق
فبتنا نحث الكأس حثا وانما * لنشربها بالحث صرفا ونستسقى
الى أن رأيت النجم رهو مغرب * واقبال رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل والفجر طالع * بقية لطخ الكحل فى الاعين الزرق

وأحسن فى هذا المعنى ماشاء الا أنه جعل شربه فى الروض على نوح الحمام ولو عوض من لفظ النوح لفظ الغناء أو التغريد لكان أتم للذته كما قال ابن الرومى

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا
وكانت أهازيج الذباب هناكم * على شدوات الطير صوتا موقعا

أنخت بملطية مطية البين
وحقيبتى ملأى من العين
فجعلت هجيراى مذ ألقيت
بها عصاى أن اتورد موارد
المرح وأتصيد شوارد الملح
فلم يفتنى بها منظر ولا مسمع
ولا خلا منى ملعب ولا مرتع
حتى اذا لم يبق لى فيها مأرب
ولا فى الثواء بها مرغب عمدت
لانفاق الذهب فى ابتياع
الاهب فلما أكملت الاعداد
وتهيأ الظعن عنها أوكاد
رأيت تسعة رهط قد سبؤا
قهوة وارتبؤا ربوة

(وقال آخر)

وكأس كريق الالف شعشعابه * وعيشى من هذا الشراب المشعشع

اذا ماشربنا كأسها صب فضلها * على روضنا للمسمع المتخلع

المسمع المغنى يعنى به الذباب الذى ذكر عنترة فى قوله

فترى الذباب بها يغنى وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

وانما ذكر الحريرى الربوة لان النبات فيها أحسن وأسلم من نبات الانخفاض لان نبات الانخفاض وخم قال الله تعالى كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين وقال المتنبى نحن نبت الربا وأنت الغمام *(قوله دماثتهم قيد الالحاظ) أى سهولة أخلاقهم تقيد عيون الناظرين اليهم حتى لا ينظروا الى غيرهم قال ابن المعتز

منظره قيد عيون الورى * فليس خلق يتلقاه

(نحوتهم) قصدتهم (شغفا) حبا (انتظمت) سرت معهم فى نظام واحد والنظام الجوهر (معاشرهم) مصاحبهم (ألفيتهم) وجدتهم (ابناء علات) أى غرباء من بلاد مختلفة وبنو العلات الذين أبوهم واحد وامهاتهم شتى (قذاتف فلوات) أى قدرمت بهم القفار والطرق المختلفة واحدتها قذيفة وهى التى يقذف أى يرمى بها (لحمة) أى قرابة (ألفت شملهم) أى جمعت متفرقهم وجعل للادب لحمة مجازا وجعل الأدب يجمعهم كما يجمع بنى العلات الأب والبلاد تفرقهم كما تفرق بنى العلات الامهات * وهذا نحو ما يحكى أن دعبلا ذكر عند على بن الجهم فكفره ولعنه وقال كان يطعن على أبى تمام وهو خير منه دينا وشعرا فقال له بعض من حضر لوأن أبا تمام أخوك مازدت على مدحك له فقال ان لم يكن أخى فى النسب فهو أخى فى المودة والأدب أما سمعت ما خاطبنى به وأنشد لابى تمام

ان كان يجمعنا الاخاء فاننا * نغدو ونسرى فى اخاء تالد

أو نفترق نسبا يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد

وكرر أبو تمام هذا المعنى فاحسن بقوله

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى وخلانى

عصابة جاورت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى

أرواحنا فى مكان واحد وغدت * أجسامنا فى عراق أو خراسان

(وأنشد اسحق الموصلى)

يقولون لى هل من أخ أو قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب

نسيبى فى رأيى وعزمى ومذهبى * وان باعدتنا فى الولاء المناسب

وليس أخى الا الصحيح وداده * ومن هو فى وصلى وقربى راغب

* وكان لسليمان بن وهب نديم يأنس به فعربد عليه ليلة فاطرحه وجفاه فوقف له بالطريق فلما مر به وثب اليه ثم قال أيها الوزير لا تكن فى أمرى الا كما قال على بن الجهم

القوم أخدان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب

تراضعوا درة الصهباء بينهم * فاوجبوا الرضيع الكأس ما يجب

ودماثتهم قيد الالحاظ وفكاهتهم حلوة الالفاظ فنحوتهم طلبا للمنادمتهم لا للمدامتهم وشغفا بممازجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم وأضحيت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقذائف فلوات الا ان لحمة الادب قد ألفت شملهم الفة النسب وساوت بينهم فى

لايحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

فقال قد رضيت عنك رضا صحيحا فعدلشأنك (قوله الرتب) أى المنازل الرفيعة (مثل كواكب الجوزاء) أى فى الاضاءة والرفعة و(الجملة المتناسبة الاجزاء) أى المتفقة يعنى مقاديرهم فى الفضل وغيره متساوية لاتفاضل بينهم كالجملة التى لامزية لبعضها على بعض وأقل جملة حسابية اجزاؤها متناسبة لا كسر فى بعضها ولها النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر هى ألفان وخمسمائة وعشرون نصفها ألف ومائتان وستون وثلثها ثمانمائة وأربعون وربعها ستمائة وثلاثون وخمسها خمسمائة وأربعة وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعها ثلثمائة وستون وثمنها ثلثمائة وخمسة عشر وتسعها مائتان وثمانون وعشرها مائتان واثنان وخمسون (قوله ابهجنى) أى أفرحنى (أحمدت) وجدته محمودا (الطالع) النجم الذى يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم (طفقت) أخذت (أفيض بقدحى) أضرب بسهمى وهذا من فعل الميسر وأراد انه يمشى كلامه مع كلامهم ويدخل مداخلهم (أدتنا) أوصلتنا (شجون المفاوضة) طرق المراجعة فى الكلام والشجون فى الكلام تداخله واختلاط بعضه ببعض والتفاوض الاندفاع فى الحديث وفى المثل الحديث ذو شجون أى ذو فنون وأصله من الشجر المشجون وهو الشجر الذى التف بعضه ببعض (التحاجى) التفاطن (المقايضة) المعاوضة والمقارضة (الكرى) النوم (فات) بمعنى مات وارادان هذا النوع من الالغاز هو ان يؤتى بلفظ عوضا من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد والمماثلة التى بينهما انما هى موافقة المعنى (نجلو) نكشف (السها) نجم خفى وقرن السها فى خفائه مع القمر فى ظهوره وانما يشير الى قولهم فى المثل أريها السها وترينى القمر وأراد انهم يأتون بلفظة ظاهرة المعنى وأخرى خفية فلا يتم لهم شئ (القشيب) الثوب الجديد (الرث) الخلق (ننشل) نخرج النشيل وهو لحم يطبخ بلا تابل ثم ينشل أى يخرج بالمنشل وهو حديدة معقفة (ذهب حبره وسبره) هيئته ولونه قال الفراء من قولهم جاءت الابل حسنة الاحبار والاسبار قال الاصمعى رحمه الله هى الجمال والبهاء وآثار النعمة يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى قد ذهب جماله وبهاؤه وسمى الحبر حبرا لانه يزين الكتاب ويحسن القرطاس وحبرت الشئ زينته وقيل انه سمى حبرا لانه يؤثر فى القرطاس فيكون علامة فيما يقع فيه ويقال للاثر حبرة وحبار والسبر الاصل واللون والهيئة والمنظر والسبر مايدل به على لون الدابة وكرمها ويروى حبره وسبره بكسر أولهما وفتحه فاذا كسرا كانا اسمين واذا فتحا كانا مصدرين وحبره علمه وسبره قياسه (مثل) تمثل قائما (الاكياس) أوعية الدراهم و(ننضت) ألقى مافيها وأراد فراغ كلامهم (وحصحص) تبين و(اليأس) ضد الرجاء (اجبال القرائح) انقطاعها عن الكلام (اكداء) صعوبة وأصل هذا فى البئر فأول مايرشح من مائها هو القريحة ثم نقل الى الطبيعة والذهن وأجبل الحافر اذا حال بينه وبين الماء جبل وأكدى حال بينه وبينه كدية والجبل والكدية حجارة وصلابة تعرض فى البئر لايمكن حفرها معها ثم يقال أكدى أى قل خيره وأجبل الشاعر أى انقطع شعره وأكدى فلان عطائى أى قطعه وقلل خيره ومنه قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى و(الماتح) المستقى على فم البئر و(المائح) النازل الى قعرها ليملأ الدلاء

الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وبدوا كالجملة المتناسبة الاجزاء فابهجنى الاهتداء اليهم وأحمدت الطالع الذى أطلعنى عليهم وطفقت أفيض بقدحى مع قداحهم واستشفى برياحهم لابراحهم حتى أدتنا شجون المفاوضة الى التحاجى بالمقايضة كقولك اذا عنيت به الكرامات مامثل النوم فات فأنشأنا نجلو السها والقمر ونجنى الشوك والثمر وبينا نحن ننشر القشيب والرث وننشل السمين والغث وغل علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقى خبره وسبره فمثل مثول من يسمع ويبصر ويلتقط ماينثر الى أن نفضت الاكياس وحصحص الياس فلما رأى اجبال القرائح واكداء الماتح والمائح

ويفرق

ويفرق بينهما بنقطتي الحرف الذي قبل آخرهما في كاتبا فوق الحرف فالمستقي فوق البئر لكثرة الماء ومتى كاتبا تحته فالمستقي في قعر البئر ليملأ الدلو بيده وذلك لقلة الماء واذا تكاثرت الدلاء عليه وكثر صياح الناس عليه من رأس البئر وكل يرغبه ليملأ دلوه فيأخذ دلو من لا مال له فيضرب به رجاء البئر اي جانبه ليرتدع الناس عنه ثم يضرب مثلا للمهان قال الشاعر

فلا يرمي بي الرجوان اني * اقل القوم من يغني مكاني

وقالت جارية من العرب تستعطفه

ياايها المائح دلوي دونكا * اني رايت الناس يحمدونكا

ومن امثالهم ابصر من المائح باست الماتح وانشد الفنجديهي

ياماتح العين عدمت الردى * من حوض هذي العين كم تستقي

من شيمة الماء انحدار فلم * ماء جفوني ابدا يرتقي *

(قوله جمع أذياله) شمر ثيابه للقيام (قذاله) قفاه (ما كل سوداء تمرة) مثل والسوداء تستعمل للتمرة والفحمة فيقول ما كل الكلام سهل فتتعاطونه وما كل ماجئتم به بشائق فيدخل في باب المقايضة وهو مثل يضرب في موضع التهمة (والصهباء) من أسماء الخمر والصهبة أن تعلو الحمرة شقرة وأصوله سود و(الحرباء) دويبة تستقبل الشمس بوجهها اذا استوت في كبد السماء وان لم تأت لها الفرصة بوجهها تململت وتقلبت ولم تزل في قلق حتى تميل الشمس فتستقبلها أعني قرصها بوجهها حتى تغرب وهي في طول يومها لا تأكل شيأ فاذا جاء الليل ذهبت تبغي ما تأكل والانثى منها حرباءة وقال أبو عبيدة الحرباء تستقبل الشمس برأسها ابدا يقال انما تفعل ذلك لتقي جسدها برأسها وقيل الحرباء تكرّم حين وفي صدره استرخاء وقرب من الارض فاذا حميت الارض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه الارض للزوقه بها فيصعد على عود شجرة فيلتزمه بيديه ويجعله بينه وبين الشمس ويضرب به المثل في التشبث بما تعلق به وذلك انه اذا تعلق بعود التزمه وقبض عليه فلا يفارقه حتى يستوثق من آخر فيضرب المثل به فيقال أحزم من الحرباء وقال قيس بن الحدادية

بانت سعاد فأمسى القلب مشتاقا * وأقلقتها نوى الازماع اقلاقا

واحتث حاديهم بزلا مخيسة * كوم الذرا مدد الاعضاد أفياقا

ألا أتيح لها حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق ساق الشجرة والتنضب شجر يتعلق بأعواده الحرباء فيقال حرباء تنضبة كما يقال ذئب غضى وقال الازهري رحمه الله تعالى الحرباء دويبة على خلقة سام أبرص ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة الظهر وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ومن جيد ذلك قول ذي الرمة

ودوية جرداء جداء خيمت * بها هفوات الصيف من كل جانب

كأن يدي حربائها متشمسا * يدا مذنب يستغفر الله تائب

وقال آخر وقد جعل الحرباء يصفر لونه * ويخضر من لفح الهجير غباغبه

ويسبح بالكفين حتى كأنه * أخو فجوة غالٍ به الجزع صالبه

وقال أيضا يظل بها الحرباء للشمس ماثلا * على الجذع الا أنه لا يكبر

اذا حول الظل العشي رأيته * حنيفا وفي قرن الضحى يتنصر

جمع اذياله وولانا قذاله
وقال ما كل سوداء تمرة
ولا كل صهباء خمرة
فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء
بالاعواد وضربنا دونه

غدا أكهب الاعلى وراح كأنه * من الضح واستقباله الشمس أخضر

أخبر أنه يدور مع الشمس فى وقت الزوال حتى تكون الشمس فى حذاء القبلة فكأنه باستقباله لها فى ذلك الوقت مسلم يصلى لها وفى الضحى تكون فى وجه المشرق فكأنه نصرانى فيستقبلها بصلاته وقال ابن الرومى

ما بالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء

ما ذاك الا أنها شمس الضحى * ابدا يكون رقيبها الحرباء

وجهته بالاسداد وقلنا له ان دواء الشق أن يحاص والا فالقصاص القصاص فلا تطمع فى أن تجرح وتطرح وتنهر الفتق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصعا وقال أما اذا استثرتمونى بالبحث فلا حكم حكم سليمان فى الحرث اعلموا انا ذوى الشمائل الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاجنبية

(قوله وجهته) أى جهته (والسد) الحاجز بين الشيئين (يحاص) يخاط ويقال حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجليه حوصا وحياصة خاطها وقيل الحوص الخياطة بعد رقعة ولا يكون الا فى جلد وأنشد يعقوب

ترى برجليه شقوقا فى كلع * من بارئ حيص ودام منسلع

الكلع الوسخ ومنسلع متشقق و(القصاص) أخذ الحق فى الجنايات (وتنهر) توسع فترده كالنهر (الفتق) الخرق (وتسرح) تذهب (لوى عنانه) أماله وعطفه (جثم) برك (راصعا) لاصقا بالارض والرصع تباعد ما بين الركبتين ورصع بالشئ يرصع رصوعا اذا لازمه (استثرتمونى) طلبتمونى واستخرجتم ما عندى و(البحث) المناقشة فى السؤال وأصله الصيد تقول استثرت الصيد اذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده (قوله حكم سليمان فى الحرث) كان سليمان عليه السلام فيما ذكر وأبيض وضيئا جسيما كثير الشعر يلبس من الثياب البياض فلما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى أموره وكان هذا الحكم فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث يا نبى الله انفلتت غنم هذا فى زرعى ليلا فرتعت فى حرثى فلم تستبق منه شيئا فقال له داود اذهب فان الغنم لك فلكه رقابها بما أكلت من حرثه فلما خرجا من عنده خطرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بقضاء أبيه فقال لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر داود عليه السلام فدعاه وقال له كيف كنت تقضى بينهما فقال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له رسلها ونسلها وصوفها ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الزرع كهيئته يوم أكل أخذ غنمه فقال داود القضاء ما قضيت به وحكم بقضاء سليمان عليهما السلام وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل أراد بالحرث الكرم وان الغنم أكلت قضبانه فأفسدته فحكم بها داود لصاحب الكرم ولم يكن بين الغنم والكرم تفاوت فروا بسليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال يعمل الراعى فى اصلاح الكرم حتى يعود كهيئته ثم يأخذ غنمه ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا امرأتان معهما ابناهما اذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فاختصما الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه فقال عليه السلام ائتيانى بسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة رضى الله عنه والله ان كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول الا المدية (قوله الشمائل) الخلائق والطبائع (والشمول الذهبية) الخمر الحمراء وذكر فى هذه المقامة

لامتحان الالمعية واستخراج الخبية الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألغاز معنوية ولطيفة أدبية فتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود ولا مزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبتلون ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال

يامن سما بذكاء * في الفضل وارى الزناد

ماذا يماثل قولي * جوع أمد بزاد

ثم ضحك الى الثاني وأنشد

ياذا الذي فاق فضلا * ولم يدنسه شين

ما مثل قول المحاجي * ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشد يقول

يامن نتائج فكره * مثل النقود الجائزه

ما مثل قولك للذي * حاجيت صادف جائزه

ثم اتلع الى الرابع وقال

أيا مستنبط الغامض * من لغز واضمار

الا اكشف لي ما مثل * تناول القدينار

ثم رمى الخامس ببصره وقال

يا أيهذا الالمعي * أخو الذكاء المنجلي

ما مثل أهمل حلية * بين هديت وعجل

ثم التفت لفت السادس وقال يامن تقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجيك اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

أنهم سبوا القهوة وذكرههنا أنها في لونها حمراء والعرب تمدح بشرب الخمر السيئة وتصفها بالحمرة كقول الاعشى وهو في أوصافها في الجاهليين كالحسن في الاسلاميين وحبه فيها صده عن الاسلام

وسبيئة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

وقوله أيضا

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند جدادها

فقلت له هذه هاتها * بادماء في حبل متتادها

فقام فصب لنا قهوة * تسكننا بعد ارعادها

كميت تكشف عن حمرة * اذا صرحت بعد ازبادها

فجال علينا بابريقه * مخضب كف بفرصادها

فرحنا تنعمنا نشوة * تخور بنا بعد قصادها

(وقال أبو ذؤيب)

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة * لها غاية تهدى الكريم عقابها

عقار كماء النيء ليست بخمطة * ولا خلة يكوى الشروب شهابها

وقال الحسن

وخمار أنخت عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار

فترجم والكرى في مقلتيه * كمخمور شكا ألم الخمار

ابن لي كيف سرت الى حريمي * وثوب الليل مصبوغ بقار

فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار

فكان جوابه أن قال كلا * وما صبح سوى صبح العقار

وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل مسدول الازار

(وقال عبد الصمد)

وخيمة ناطور تحف بروضة * يحييك منها وردها والبنفسج

وأشمط أعلى وسطها بعد هجعة * تراه بها من قسره يتشنج

دعوت فلبى وهو بالصوت عارف * وأقبل نحو الباب يزهو ويهرج

فقلت له المصباح ان كنت مسرجا * فقال قفوا فالخمر في الكاس تسرج

(قوله لامتحان الالمعية) أي لاختبار الفطنة (نافت) باعدت (النمط) النوع يقال الزم هذا النمط أي هذا المذهب والفن والطريق (ضاهت) شابهت (السقط) رديء المتاع وما لا يعبأ به و(السفط) وعاء لجميع الثياب الرفيعة وسفط العلوم الكتب أي لم تكتب ولم تدون في الكتب (مزتم) فرقتم (لبابك) خالص ما عندك (أفض) صب (عبابك) بحرك وعب البحر عبابا هاج واضطرب (يرتاب) يشك (ناظورة القوم) كبيرهم الذي ينظرون اليه (سما) ارتفع (ذكاء) جودة الذهن (وارى) مبدى النار أي زنده تي ضرب أورى نارا (فاق) فضل غيره (النتائج) ما يولده الفكر من الكلام (النقود) الدراهم (اتلع) مد عنقه ونصبه وتلع الرجل يتلع تلعا أخرج رأسه من شيء كان فيه (مستنبط) مستخرج (الغامض) الخفي وغمض غموضا دق وأحوج الى النظر و(الالمعي) هو الذكي أي صاحب الفطنة (التفت لفت) أي قصد قصده بالنظر ولفت عنقه الى أي لواها ناظرا الي (مداه) غايته (خلج) غمز وقال الراجز *قد خلجت بحاجب وعين*

يامن له فطنة تجلت * ورتبة فى الذكاء جلت بين فما زلت ذا بيان * ماثل قولى الشقيق أفلت ثم استنصت الثامن وأنشد
يامن حدائق فضله * مطاولة الازهار غضه ماثل قولك للمحا * جى ذى الحجا اختار فضه ثم حدج التاسع ببصره وقال
يامن يشار اليه فى الـ * قلب الذكى وفى البراعه اوضح لنا ما مثل قو * لك للمحاجى دس جاعه (قال الراوى) فلما انتهى الى هز منكبى وقال يامن له النكت التى * يشجى الخصوم بها وينكت انت المبين فقل لنا * ما مثل قولى خالى اسكت
ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعلكم عللتكم (قال) فألجأنا لهب الغلل الى استسقاء العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا يمن سمنه فى اديمه ثم كر على الاول وقال يامن اذا اشكل المعمى * جلته افكاره الدقيقه ان قال يوما لك المحاجى * خذ تلك ما مثله حقيقه ١٨٢ ثم ثنى جيده الى الثانى وقال يامن بدا بيانه * عن فضله مبينا ماذا امثال قولهم حمار وحش زينا
ثم اوحى الى الثالث بلحظه وقال
يامن غدا فى فضله وذكائه كالاصمعى ماثل قولك للذى حاجاك أنفق تقمع
ثم حملق الى الرابع وأنشد
يامن اذا ما عويص دجا أنار ظلامه ماذا يماثل قولى استنش ريح مدامه
ثم أومض الى الخامس وقال
يامن تنزه فهمه عن ان يروّى أو يشكا ماثل قولك للذى اضحى يحاجى غط هلكى
ثم اقبل قبل السادس وأنشد
ياأخا الفطنة التى بان فيها كماله سار بالليل مدة أى شىء مثاله
ثم نحى بصره الى السابع وقال يامن تحلى بفهم * اقام فى الناس سوقه لك البيان فبين * ما مثل احبب فروقه باجود
ثم قصد قصد الثامن وانشد يامن تبوأ ذروة * فى المجد فاقت كل ذروه ماثل قولك أعط ابـ * ـشر يقا يلوح بغير عروه
ثم ابتسم الى التاسع وقال يامن حوى حسن الدرا * يه والبيان بغير شك ماثل قولك للمعا * جى ذى الذكاء النور ملكى
ثم قبض بجمعه على ردنى وقال يامن سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه ماذا امثال صفير جحفلة * بينه تبيانا ايتم به
(قال الحرث بن همام) فلما أطربنا بما اسمعناه وطالبنا بمكاشفة معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فظل يشاور نفسه ويقلب قدحيه حتى هان بذل الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال يا أهل البلاغة والبراعة سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا اظننتم انكم تعلمون

(تجلت) ظهرت (جلت) عظمت و(استنصت) سكت (حدائق) بساتين (مطاولة) أصابها الطل (غضة) ناعمة (الحجا) العقل (حدج) رمى (البراعة) الفصاحة ووفور العقل (يشجى) يغص والغصص الاختناق (ينكت) يقلبهم على رؤسهم وطعنه فنكته ألقاه على رأسه وعند القضاعى يشجى وينكت أى يسكت على ذلك (أنهلتكم) أسقيتكم والنهل الشرب الاول والعلل الشرب الثانى (أعلكم) أسقيكم عللا (لهب الغلل) أى حر العطش (يستأثر) أى يخص نفسه بشئ دون أصحابه (سمنه فى أديمه) أى خيره موقوف عليه والاديم هنا زق السمن وأصل المثل سمنكم هريق فى أديمكم أى خيركم موقوف عليكم قاله أبو عبيدة وخطأ البكرى فى تفسير الاديم بالزق وقال انما الاديم هنا طعامكم المأدوم فعيل بمعنى مفعول أى خيرهم راجع اليهم وهو قول الازهرى رحمه الله ولم ينكر الاول وهو مثل يضرب للبخيل ولمن لا يتعداه خيره وينفق على نفسه دون غيره * وقمعه يقمعه ضربه بالمقمعة أى قهره وكفه وقمع الشراب وأقمع مره فى الحلق مرا بغير جرع (كر) عطف (جيده) عنقه (أوحى) أشار (حملق) أحد النظر (عويص) صعب (دجا) اسود (أنار) جعل فيه النور (تنزه) تباعد (يروى) يفكر وقدر وأت الحديث اذا دبرته وهيأته (بان) تبين (تحلى) تزين (تبوأ) نزل و(الذروة) أعلى الشئ (ثقوب) نفوذ (أبنت) بينت (مننت) أفضلت علينا (نفسيه) أراد انه يردد رأيه هل يفعل أولا يفعل فكأن له نفسين يردد المشورة عليهما حتى يظهر لهما الرأى الارجح فيهما فيبنى عليه وقال حويرث العبدى

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس فيعصيها الفتى أو يطيعها

وقد تقدم معنى يقلب قدحيه (الماعون) المعروف وقال يونس الماعون فى الجاهلية كل عطية ومنفعة وفى الاسلام الزكاة والطاعة وقال ابن عباس الماعون المعروف كله حتى ذكر القدر والقصعة والفأس وحكى الفخجديهى عن ابن عباس الماعون العارية وقال الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس والماء والملح ونحوها وقال الاعشى

باجود منه بماعونه * اذا ماسماؤهم لم تغم

والأظهر فيه انه من العون وأصله معوون بوزن مفعول فقدمت الواو التى بعد العين فصار موعون ثم قلبت ألفا كما قيل ياجل وحكى الفراء عن بعض العرب الماعون الماء فيكون على هذا مفعولا من العين ويعل كما عل من العون أو يكون فاعولا من معن الماء اذا سال وهو أيضا قول من اشتقه من قولهم ممعن هربا أومن قولهم عين معين قال قطرب ماعون فاعول من المعن وهو الشئ اليسير ومنهم من قال أصله معونة والالف بدل من الهاء (قوله أوكوا) أى شدوا (روضوا) زينوا واجعلوها مثل الرياض (الاردان) الاكمام (آضت) رجعت أذهانهم مضيئة بالفهم وزال عنها الالتباس (تغن بالامس) يريد أن أكمامهم كانت بالامس ممتلئة بالدراهم فتفرغت اليوم اذوهبوا له مافيها (المتر) المهرب (المقر) المنزل والبلد (الثكول) المرأة الثكلى الفاقد لاحبابها (شعب) أى طريق أى كل بلد لى بلد (ربعى رحب) أى منزلى متسع (المستهام) الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائما على وجهه لايدرى اين يتوجه وهام يهيم ذهب عقله فخرج فى غير الطريق وقيل الهائم العليل القلب الذى يجد فى قلبه هياما وهو وجع يأخذ البعير فلا يروى من شرب الماء قال عروة بن حزام

بى اليأس اوداء الهيام اصابنى * فاياك عنى لايكن بك مابيا

أو يكون من التهويم وهو هجوم النوم وهو فى الاوجه الثلاثة اسم مفعول وكان قياسه مستهيما الا انه لما كان كأنه مغلوب على ذلك جاء على هذا وحذف به لدلالة المعنى و (الصب) العاشق (البكر) التى ولدت بها (الجو) اسم لنواحى السماء و (مهب الريح) موضع هبوبها من الجو واراد بلدته التى يجىء منها ويخرج عنها البلاد (الغناء) الكثيرة الاشجار وتقدمت علتها (أصبو) أميل (ادنى) أقل (توشيته) تزيينه كلامه (مشيئته) ارادته (طمر) وثب وهو من الاضداد يقال طمرت الشئ سترته وطمر الجرح سفل وعلا أيضا ومنه قيل للبرغوث طامر لنزوه وارتفاعه (نام) نهض (قر) حازه بالقمار (سكع) مشى مشى المتعسف (صنع) ذهب وقيل لم يدر أين صقع أى أين ذهب والسكع الذهاب على غير هداية والصقع الناحية من الارض وما ادرى أين صقع أى أى ناحية قصد من الارض * (فصل فى تفسير الاحاجى) * اذا اردت ان تعرف المماثلة فى هذه الاحاجى فتنظر جوع امد بزاد فتقابله بطوامير فتقسم هذه اللفظه فتقابل القسم الاول وهو طوا بقولك جوع فتجده مثله فى المعنى وتقابل بالقسم الثانى وهو مير قولك أمد بزاد فتجده مثله فى المعنى والميرا الامداد بالزاد ومير الرجل اعطى نفقة وقوتا لعياله فهذه المماثلة الحقيقية التى قدم وكذلك تقابل ظهر أصابته عين بقولك مطاعين فتجد المطا الظهر رعين الرجل اصيب بالعين وكذلك صادف جائزة هى ألفى صلة وألفى هى صادف والجائزة هى الصلة تصل بها من قصدك وان تركت الالفاظ منظومة بغير تقسيم ينتج منها معنى آخر فيقال لك ما العلوامير فتقول الكتب الواحد طومار والمطاعين جمع مطعان وهو الكثير الطعن والفاصلة التى تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة فى العروض توالى أربعة أحرف أو ثلاثة متحركة بعدها ساكن وهكذا هى المقايضة فى هذه المقامة تصل اللفظة فيكون لها معنى وتفصلها فيكون لها معنى آخر وأنا أفسر معنى المتصلة اذ المنفصلة قد وقع تفسيرها فى المقامة

فاوكوا عليه الأوعية ورضوا به الأندية ثم أخذ فى تفسير صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى آضت الافهام أنور من الشمس والاكمام كأن لم تغن بالامس ولما هم بالمقر سئل عن المقر فتنفس كما تتنفس الثكول ثم انشأ يقول

كل شعب لى شعب
وبه ربعى رحب
غير أنى بسروج
مستهام القلب صب
هى أرضى البكر والجو الذى منه المهب
والى روضتها الغناء *
ما دون الروض أصبو
ما حلا لى بعدها حلو
ولا عذو ذب عذب

(قال الراوى) فقلت لاصحابى هذا أبو زيد السروجى الذى أدنى ملحه الاحاجى وأخذت أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت فاذا به قد طمر ونام بما قمر فعجبنا مما صنع اذ وقع ولم ندر أين سكع وصقع

* (تفسير الاحاجى المودعة هذه المقامة) *

أما جوع أمد بزاد فمثله طوامير وأما ظهر اصابته عين فمثله مطاعين وأما صادف جائزة فمثله الفاصلة وأما تناول ألف دينار

فثله هادية وأما أهمل حلية فثله الغاشية وأما اكفف اكفف فثله مهمه وأما الشفيق أفلت فثله أخطار وأما ما اختار فضة فثله أبارقة لان الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر وأما دس جماعة فثله طافية وأما خالى اسكت فثله خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في أصل الاحجية وصه بمعنى اسكت وأما خذ تلك فثله هاتيك وأما حمار وحش زينا فثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الحديث كل الصيد في جوف الفرا وأما قوله أنفق تقمع فثله منتقم لان الامر من مان يمون من ومضارع وقت تقم وأما استنش ريح مدامة فثله رحراح لان الامر من استدعاء الرائحة رح وأما غط هلكى فثله صنبور لان البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار بالليل مدة فثله سراحين وأما أحبب فروقة فثله مقلاع لان الامر من ومق يمق مق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا واما أعط ابريقا بلوح بغير عروة فثله أسكوب لان الاوس الاعطاء والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة واما الثور ملكى فثله اللالكى لان اللا على وزن القنا هو ثور الوحش وأما صغير جحفلة فثله مكاشفة لان المكاء الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية والاصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الاحجية كما حذف همزة الفراء في أحجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز

(المقامة السابعة والثلاثون الصعدية)

(حكى الحرث بن همام) قال أصعدت الى صعدة وأنا ذو شطاط يحكى الصعدة واشتداد يبدر بنات صعدة فلما رأيت نضرتها ورعيت خضرتها سألت نحارير الرواة عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات لاتخذه جذوة في الظلمات (نجدة)

(قوله هادية) أي مرشدة تقول هدتنى الطريق فهي هادية و(الغاشية) ما يغشى القلب أي يغطيه من الهم والسقم والغاشية أيضا القوم يغشونك أي يقصدونك ويزورونك والغاشية القيامة والغاشية المرأة تغشا الزوج ورلثو والغاشية غشاء القلب والغاشية غشاء السرج (والمهمه) القفر (والاخطار) جمع خطر وهو الغرر والاخطار المنازل الشريفة (والابارقة) جمع ابريق وهو اناء معروف والابارقة أيضا السيوف الصقيلة واحدها ابريق و(الطافية) الجيفة تطفو على وجه الماء أي تطلع عليه و(الفرازين) وزراء الفرس الواحد فرزان ومنه فرزان الشطرنج الذي تسميه العامه فرزا لانه وزير الشاه والشاه في كلام الفرس الملك (وقت) معناه كففت و(المنتقم) الفرح بمصيبة غيره و(الرحراح) من الاوانى الواسع القصير الحديد ورحراح موضع معروف و(الصنبور) النخلة الطويلة العنق القليلة الحمل والصنبور أيضا العفاص الذى يجعله السقاء في فم القربة ويشد عليه ويفرغ منه الماء والصنبور أيضا اللئيم والصنبور من الناس من ليس له نسل و(السراحين) الذئاب الواحد سرحان و(الاسكوب) المطر الكثير الصب والاسكوب والاسكاب قطعة خشب فيها قرص تجعل في خرق الزق و(المقلاع) آلة يقلع بها الشئ والله الموفق

(شرح المقامة السابعة والثلاثين وتعرف بالصعدية)

(أصعدت) طلعت وارتفعت قال يعقوب الاصعاد الى نجد واليمن والحجاز والانحدار الى العراق والشام وعمان وقال الاخفش أصعد في البلاد سار فيها ومضى وأصله الذهاب في الصعود وهو الارتفاع ثم توسعوا في ذلك قال الفراء رحمه الله الاصعاد في ابتداء الاسفار والمخارج تقول أصعدنا من مكة الى بغداد وأصعدنا من بغداد الى خراسان فأما في السلم فتقول صعدت فيه لا أصعدت قال يعقوب رحمه الله صعد في الجبل وأصعد في البلاد انحدر فيها وصعد ارتقى و(صعدة) مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا وتحكم فيها صنعة الجلود والجلد الصعدى في غاية الجودة ويضرب المثل بحسن نسائها (الشطاط) طول القامة و(الصعدة) الرمح (الاشتداد) جرى (يبدر) يسبق (بنات صعدة) حمر الوحش (نضرتها) خصبها ونعمتها والنضرة صفاء اللون وبريقه (نحارير) علماء والنحرير الماهر والحاذق الذى جرب الامور وعرفها وهو اسم يجمع وجوها من المدح فيفسر النحرير بالعالم والمفلق والحاذق والماهر والعادل (والسراة) السادة وهو جمع سرى وهو السيد الشريف وجمع فعيل على فعلة عزيز لا يعرف غير هذا (الجذوة) الجمرة الغليظة العظيمة وجيمها بثلاث حركات ويجمع ثلاثتها نحو جذا وجذا وجذا

(نجدة) قوة وعونا (الظلامات) جمع ظلامة وهو ما يشتكيه المظلوم (رحيب الباع) واسع العطاء فكنى بالباع عن ذلك والعرب اذا وصفت الرجل بالسخاء قالوا هو رحيب الباع وطويل الباع وكريم الباع والباع والبوع بسط اليد بالمعروف وقد باع يبوع منه ويقال للبخيل قصير الباع (خصيب الرباع) أى هو كثير المال فجمع له مع كرمه كثرة ماله فالناس يجدون فى كنفه الخصب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الاحكام فالمتعلق به يجد الخصب (غمى النسب) أى من بنى تميم وشرك الطباع مع النسب وهو يريد أنه كامل تام فى خلقه فنسب قبيلته لتميم وطباعه للتمام والكمال فعلب أحدهما وشرك بينهما القرب قال ابن شرف فيما يلم بهذا التشريك ويحسن ان يمدح قاضى المقامة بجوده

جاور عليا ولا تحفل بحادثة ... اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل

اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل

فالماجد السيد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلا وسواه شانها وكذا ... تبر الشمس فى الميزان والحمل

وربما عابه ما يفخرون به * يشان الحسن ما هو من الكحل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فانه أراد بقوله حاز العليين أى حاز عليا بالاسمية والعلو بالفعلية وهذا مثل ما تقدم للحريرى

جاد بالعين حين أعمى هواه ... عينه فانثنى بلا عينين

فقد أوقع التشبيه على شيئين يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى وقد أنشدنا فيما تقدم لبعض المتأخرين

فكيف اصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

فالمقصور هوى النفس والممدود الهواء الذى بين السماء والارض وقد قدمنا فى تفسير قول الحريرى وحيا المسجد بالتسليمتين ان السلام الواحد على من فى المسجد عند دخوله والثانى تحليل الصلاة وقوله هنا تميمى النسب والطباع من هذا القبيل وأكثره فى كلام المولدين وهو مستعمل فى كلام العرب ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم التقى الثريان فانهم يريدون بذلك كثرة المطر وأنه يبلغ فى الارض الى التراب الندى فالثرى الواحد المطر والثانى التراب الندى على انه يحتمل أن يريد بذلك أن التراب اليابس لما بله المطر حتى لحق بالتراب الندى صار اليابس منهما يسمى ثرى فقيل التقى الثريان وقال النابغة

وقد أبقت صروف الدهر منى * كما أبقت من السيف اليمانى

يصمم وهو مأثور جراز * اذا جمعت بقائمه اليدان

فسره أبو عبيدة البكرى وغيره بانه أراد بذلك الجارحة والايد الذى هو القوة فجمع على الاخف فهذا من قبيل ما قدمناه ولا يحضرنى الآن غير هذا من كلام العرب (قوله الالمام) أى تخفيف الزيارة (اتنفق) أتخرج والنفاق ضد الكساد (الاجمام) الزيارة (صدى صوته) أى متى دعاه وجده حاضرا مجيبا له والصدى صوت الجبل الذى يرد عليك اذا صحت وابن همام فى هذه المقامة شرطى القاضى (وسلمان) الذى ذكره هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه

ونجدة فى الظلامات فنعت لى قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع غمى النسب والطباع فلم أزل أتقرب اليه بالالمام وأتنفق عليه بالاجمام حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته

(ذكر مناقب سلمان الفارسى)

و يعرف بسلمان الخير قالت عائشة رضي الله عنها كان لسلمان رضي الله عنه مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا عليه وقال عليه الصلاة والسلام أمرني ربي بحب أربعة وأعلمني أنه يحبهم علي وأبو ذر والمقداد وسلمان رضي الله تعالى عنهم وأتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر رضي الله عنه أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال يا اخوتاه أغضبتكم فقالوا لا ويغفر الله لك وكان من أبناء أساورة فارس وأصله من رام هرمز وقيل كان من أصبهان وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده فدان بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات نالته وكلها مذكورة في اسلامه في كتب السير وقيل تداوله في ذلك بضع عشر ربا حتى أفضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتراه من قوم من اليهود وأول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره فقال أبو سفيان وأصحابه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها وسئل علي عنه فقال علم علم الاول بحر لا ينزف هو منا أهل البيت وفي رواية هو مثل لقمان الحكيم وكان فاضلا حبرا زاهدا عالما متقشفا وتعلم عمل الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت أمير وقد أجرى عليك رزق فقال اني أحببت أن آكل من عمل يدي وكان يتصدق بعطاء رزق من بيت المال وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الدين في الثريا لناله سلمان أبو هريرة رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وفينا سلمان وضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء وتوفي في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه وما ترك شيأ أورثه عنه وفضائله كثيرة وعلى قولهم لأبي بكر لا ويغفر الله لك قال أبو محمد في الدرة ورعا أجاب المستخبر بلا النافية ثم عقبها بالدعاء له فيستحيل الكلام الى الدعاء عليه كما يروى ان أبا بكر رضي الله عنه رأى رجلا بيده ثوب فقال أتبيع هذا فقال لا عافاك الله فقال أبو بكر رضي الله عنه لقد علمتم لو تعلمون فهلا قلت لا وعافاك الله قال أبو محمد والمستحسن ما قال يحيى بن أكثم للمأمون وقد سأله عن أمر فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين وحكي ان الصاحب بن عباد لما سمع هذه الحكاية قال والله لهذه الواو أحسن من واوات الاصداغ في خدود المرد الملاح (قوله اشتيار شهده) أي استخراج عسله وأراد اجتناء منفعته (التنشق) شم يقال تنشق الريح الطيبة نشقا وانتشق وتنشق شمها (الرند) شجر طيب الرائحة قال ابن دريد رحمه الله هو الآس وقال الجوهري رحمه الله ربما سمي العود رندا (مشاجر الخصوم) مواضع الخصام التي تتشاجر فيها الخصمان أي يختلط كلام هذا بكلام هذا من الشجر واحدها مشجر وقد يراد بها المصدر وجمع لاختلاف أنواعه (أسفر) أمشي بينهم بالصلح (المعصوم) المتحفظ من الوقوع فيما يحذر واصل العصمة في كلامهم المنع وعصمته من كذا اذا منعته والله يعصمك من الناس أي يمنعك (الموصوم) ذو الوصم وهو العيب فأراد أنه يصلح بين أهل الخير والشر (للاسجال) للحكم وأسجل القاضي على نفسه بالحكم وسجل اذا كتب على نفسه فأراد أنه مجلس للحكم في العقود والسجلات (ومحفل) القوم مجتمعهم (والاحتفال) كثرة الناس

وكنت مع اشتيار شهده وانتشاق رنده اشهد مشاجر الخصوم وأسفر بين المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي جالس للاسجال في يوم المحفل والاحتفال

واجتماعهم ومعنى احتفل الرجل جمع وأراد يكثر من الشيء الذي قصد وجمع المحفل محافل ومنه الشاة المحفلة وهي التي يحبس لبنها أياما في ضرعها لا تحلب (الرياش) الثياب (تبصر الحفل) نظر الجمع وتخصص فيهم (نقاد) مفتش كأنه ينقد ببصره الرجال ويريد أنه نظر من شرط القاضي أهل الحزم والجراءة فأخبرهم بقصة ابنه فانطلقوا فأتوا به ونقاد الدراهم الذي يمعن النظر فيها والتقليب لها ليميز جيدها من رديئها (وحي اشارة) يريد اشارة العين اذا غمزت من تريد أن يفهم اشارتك دون غيره والوحي الايماء الخفي (ضرغام) أسد في عظم خلقته وشدته (التغاضي) التغافل والسكوت عن الظلم (الصدي) الذي علاه الصدأ وهو وسخ السيف و (الاخلاف) جمع خلف وهو ما يحلب منه اللبن ويقبض عليه الحالب قال ابن دريد وقيل الخلف للناقة كالضرع للبقرة (أعجم) تأخر (أعربت) أوضحت (أعجم) أبهم ولبس (أذكيت) أوقدت (أخمد) أطفأ وخمدت النار طفئ لهبها (كفلته) ربيته (دب) مشى مشي صغير على يديه ورجليه (شب) صار شابا (ألطف) أشفق وارق (رب) أصلح يريد أنه أصلح أحواله وأحسن تربيته تحرزا من أن ينسبه القاضي الى التقصير (أكبر) رآه كبيرا (أطرف) أعجب وجعلهم يستطرفون خبره (الثكلين) الفقدين يريد أن الرجل اذا عقه ولده ولم يبره فكأنه قد فقده * ومما جاء في العقوق كان جرير الشاعر أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه كذلك فراجع جرير بلالا في الكلام فقال له بلال الكاذب بيني وبينك ناك أمه فأقبلت امه عليه وقالت يا عدو الله تقول هذا لابيك فقال جرير دعيه فكأنه سمعها مني وأنا أقولها لابي ومن شهر عنه العقوق بوالديه الحطيئة الشاعر قال يهجو أباه

لحاك الله ثم لحاك حقا * أبا ولحاك من عم وخال
فبئس الشيخ أنت لدى المخازي * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم لا حياك ربي * وأبواب السفاهة والضلال

وقد تقدم هجوه نفسه وأمه وممن هجا أباه وغيره علي بن بسام وما سلم من هجائه أمير ولا وزير ولا كبير ولا صغير ومما قال في أبيه

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى انني أموت وتبقى
فلئن عشت بعد موتك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

(وقال فيه أيضا)

بعثت لاستهديك عيرا ولم أكن * علمت بأن العير صار لنا صهرا
فوجهه كي نشترك في ركوبه * فتركبه بطنا وأركبه ظهرا

وقال فيه أيضا

شدت دارا خلتها مكرمة * سلط الله عليها الغرقا
وأرانيك صريعا وسطها * وأرانيها صعيدا زلقا

(وقال فيه أيضا)

بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها * وفي جوانبها بؤس وضراء

اذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتبصر الحفل تبصر نقاد ثم زعم ان له خصما غير منقاد فلم يكن الا كلمح اشارة أو وحي اشارة حتى أحضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ أيد الله القاضي وعصمه من التغاضي ان ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي يجهل أوصاف الانصاف ويرضع أخلاف الخلاف ان أقدمت أعجم واذا أعربت أعجم وان أذكيت أخمد ومتى شويت رمد مع اني كفلته مذ دب الى أن شب وكنت له ألطف من ربي ورب فأكبر القاضي ما شكاه وأطرف به من حواليه ثم قال أشهد ان العقوق احد الثكلين

(ذكر ذم العقوق)

ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء

وكذب كان أبو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن بسام فى نهاية السودد والمروأة والنظافة رجل مترف نبيل المركب مليح الملبس ظريف الغلمان له همة فى تشييد البنيان ومارثاه ابن الرومى به يدل على كذب انه قال ابن الرومى فيه

أودى محمد ابن نصر بعدما * ضربت به فى جوده الامثال

ملك تنافست العلا فى عمره * وتنافست فى موته الآجال

من لم يعاين سير نعش محمد * لم يدر كيف تسير الاجبال

ودخرته للدهر أعلم انه * كالحصن فيه لمن يؤل مآل

وتمتعت نفسى بروح رجائه * زمنا طويلا والتمتع مال

ورأيته كالشمس ان هى لم تنل * فالرفق منها والضياء ينال

لهفى لفقدك يا محمد انه * فقدت بك النجبات والابغال

بالله أقسم ان عمرك ما انقضى * حتى انقضى الاحسان والاجمال

ولابن القاسم يعزى أبا القاسم بن وهب فى ابن مات له

قل لابى القاسم بن وهب * أتى بك الدهر بالعجائب

مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعايب

حياة هذا كموت هذا * فليس تخلو من المصائب

وقد تقدم هجوه فى أخيه ومن حسن التعطف على الابن العاق قول ابراهيم الصابى وكان ابنه يعقه

أرضى عن ابنى اذا ما عقنى حذرا * عليه أن يغضب الرحمن من غضبى

ولست أدرى بم استحققت من ولدى * اسخان عينى وقد أقررت عين أبى

ولرب عقيم اقر العين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام والذى نصب القضاة العدل وملكهم اعنة الفضل والفصل انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا آمنت ولا لبى الا واحرمت ولا أورى الا وأضرمت بيد أنه كمن يبغى بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضى وبم أعنتك

(قوله ولرب عقيم) العقم أن لا تلد المرأة (أمعضه) أوجعه وأغضبه وأمعض من ذلك وامتعض غضب وشق عليه وأوجعه (ادعى) نسب لنفسه ما شاء وفلان مدع وفعله الدعوى (آمنت) صدقت ما ادعاه (لبى) من تلبية الحاج اذا صاح لبيك لبيك (أحرمت) سرت محرما (أورى) أظهر له النار من الزند (أضرمت) أوقدت (بيد) غير (الانوق) ذكر الرخم ولا بيض له فكأنه طلب امرا لا يكون أبدا ومثله طلب الابلق العقوق والابلق الذكر والعقوق من الخيل التى امتلا بطنها من حملها يقال للانثى قد أعقت وهى معق وعقوق فكأنه طلب امرا لا يكون أبدا لأنه لا يكون الابلق عقوقا ويقال ان رجلا سأل معاوية أن يزوجه امه هندا فقال أمرها اليها وقد أبت أن تتزوج قال فولنى مكان كذا وكذا فقال معاوية متمثلا

طلب الابلق العقوق فلما * لم ينله أراد بيض الانوق

والانوق طائر أبيض فى شواهق الجبال فبيضها فى حرز لا يطمع فيه فمعناه طلب ما لا يكون وأما طلب الطيران من النوق فمثل الاول وهو لا يمكن (قوله أعنتك) أى أتعبك وكلفك ما يشق عليك من عنت البعير يعنت عنتا اذا حدث فى رجله كسر بعد الجبر فلم يمكنه التصرف الا بمشقة قال أبو عبيد رحمه الله أعنته أضر به والعنت الضرر قال وأعنته ايضا أهلكه وقال أحمد بن عبيد

أعنته شدّد عليه والعنت التشديد ، ابن عزيز عنت هلاك وأصله المشقة والصعوبة ومنه قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسلك وقوله تعالى لأعنتكم أى لأهلككم ويجوز أن يكون المعنى لشدّد عليكم وتعبدكم بما يصعب أداؤه عليكم كما فعل بمن قبلكم (امتحن) ابتلى (صفر) خلا (منى) بلى (الامحال) الجدب والفقر (يسومنى) يكلفنى (أتلمظ بالسؤال) أى أكثر الكلام به والتلمظ تتبع ما بقى فى الفم من الطعام باللسان بعد الاكل (سحب) جمع سحابة (النوال) العطاء قال ابن الانبارى رحمه الله النول والنوال المنفعة والحظ ونلت الرجل اذا نفعته وانلته حظا ونالنى فلان نفعنى وقولهم ما كان نولك أن تفعل كذا أى ما كان لك منفعة فى هذا الفعل ونولك منصوب خبر كان وأن اسم كان أو بالعكس (يفيض) يسيل ويكثر (شربه) ماؤه وأراد به ماله (غاض) جف (انهاض) انكسر (أشرب) روى وسقى (الحرص) كثرة الطمع والطلب للدنيا و (الشره) الحرص الكثير (متخمة) مفسدة و (المسئلة) سؤال ما فى أيدى الناس (ملامة) لوم (فلق) شق من بين شفتيه (نحت) نجر أراد انشاء قصائده و (القوافى) من قفوت الشئ اذا تبعته وسميت بذلك لاتباع بعضها بعضا (القل) القلة (المتراقى) المرتفع (لبدتيه) شعره المبدعلى كفله ومن كتفيه (ناب) نزل (فاقة) فقر (أغمض) أى استر واغفل عنه و (الحيا) الوجه (خولك) ملكك (الناظر) سواد العين فيريد انه اذا وقع فى عينه قذى وهو السقط على شدة اذايته احتمله الحر الكريم وصبر عليه وأخفاه من ناظريه تجلدا أى أخفى أذى بعض العينين عن بعض وهذا غاية فى المبالغة (ديباجه) ثوبه والديباج ثوب رفيع (ديباجتيه) خديه وقيل ديباجة الخد حسن بشرته و (أخلق) الشئ وأخلقه غيره لازم ومتعد يقول اذا افتقرت وبلى ثوبك فلا تبذل وجهك لاحد ولا تهنه بالسؤال وهذا من قول حبيب

ذل السؤال شجا فى حلق معترض ، من دونه شرق من خلفه جرض

ما ماء كفك ان جادت وان بخلت ، من ماء وجهى اذا أفنيته عوض

(وقال فى ابن الزيات)

أعطى ونطفة وجهى فى قرارتها ، يصونها الوجنات الغضة القشب

يقول لم يخلق وجهى بسؤال فوجهى غض جديد والنطفة ماء الوجه الذى نهى الحريرى عن اراقته حين قال

ولا ترق ماء الحيا ولو ، خولك المسؤل ما فى يديه

قال الصولى كان حبيب رحمه الله لا يحجب حاجبا ترفعا عنه فانحدر الى البصرة والاهواز يمدح من بهما فكتب اليه عبد الصمد بن المعذل

أنت بين اثنتين تبرز للنا ، س بكلتيهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال ، من حبيب أو طالبا لنوال

اى ماء لحر وجهك يبقى ، بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما قرأ الشعر قال قد شغل هذا ما يليه ولا أرب لنا فيه (وحكى) الاصبهانى قال جمع مجلس أبا تمام وعبد الصمد وكان عبد الصمد سريع القول وفى أبى تمام بطء فأخذ عبد الصمد

وامتحن طاعتك قال انه منذ صفر من المال ومنى بالامحال يسومنى أن أتلمظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليفيض شربه الذى غاض وينجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين اخذنى بالدرس وعلمنى ادب النفس اشرب قلبى ان الحرص متعبة والطمع معتبة والشره متخمة والمسئلة ملامة ثم أنشدنى من فلق فيه وتحت قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه
شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذى لم يزل
يحط قدر المتراقى اليه
وحام عن عرضك واستبقه
كما يحامى الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة
صبر أولى العزم وأغمض عليه
ولا ترق ماء الحيا ولو
خولك المسؤل ما فى يديه
فالحر من ان قذيت عينه
أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا أخلق ديباجه
لم يرأن يخلق ديباجتيه

قرطاسا وكتب أنت بين اثنتين الابيات ورمى بها الى أبى تمام فأخذه وخلا به طويلا وجاء وقد كتب فيه

أفى تنظم قول الزور والفند * وأنت أنزر من لاشئ فى العدد
أسرجت قلبك من بغض على حرق * كأنها حركات الروح فى الجسد

فقال له عبد الصمد يا ماص بظر أمه أخبرنى عن لاشئ فى العدد كيف يكون وعن قولك أسرجت قلبك أعبية أو خرج فأسرجه عليك لعنة الله فانقطع أبو تمام انقطاعا مارئى مثله وحكاية الصولى أولى بالصحة من هذه وليس عبد الصمد من رجال أبى تمام ولا له من التصرف فى أنواع الشعر ما لابى تمام وصنع البديع وقف عليه ولو صحت الحكاية فلا يحكم بالندرة لكن يحكم بالجملة واستعمال ديوان حبيب فى مجالس العلماء شاهد على فضله على أن ما جمعنا لعبد الصمد فى هذا الكتاب غاية فى بابه فلنرجع الى ما قيل فى ذل السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وعنده ما يغديه أو يعشيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال الحسن بن على رضى الله عنهما حسبك من السؤال أنه يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل ويوقف الحر الكريم موقف العبد الذليل ويذهب بنضرة اللون ويمحو الحسب ويحبب الموت ويبغض الحياة * الاصمعى رحمه الله سمعت اعرابيا يقول المسئلة طريق المذلة تسلب الشريف عزه والحسيب حسبه وقال معاوية لعبد الله بن الزبير انشدنى ثلاثة ابيات غريبة فقال انشدكها بثلاثين الفا ادفعها الى فقال حتى تنشد فأسمع فانشده ابيات الافوه الازدى

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم ارغير ختال اوقتال
ولم ار فى الخطوب اشد ضرا * وآذى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ امر من السؤال

ثم قال له قد اسمعتك وانت الحكم فحكم له وامر له بثلاثين الفا وينظر الى ما نسبه ابن المعدل لحبيب من اضافة ذل الهوى لذل السؤال ما اضافه له على بن الجهم من ذل الاعتذار وقال يعتذر للمتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يرددها المر * ء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت اولى * من تجافى عن الذنوب الكبار
او تعاقب فأنت اعرف بالله وليس العقاب منك بعار

وقال ايضا

هى النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * واكمل اخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل
وما المال الا حسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

قال فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهر وقال له صه يا عقق

(قوله اكفهر) اشتد عبوسه ووجه مكفهر منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ولا فرح (اندرأ) اندفع (على ابنه) بالشتم (هر) كشر وجهه وعبسه (صه) اسكت (يا عقق) يا كثير العقوق ويقال عق اباه

أباه يعقه عقوقا فهو عاق ويعدل الى عقق للمبالغة كعامر وعمر وعق أباه لم يطعه وقطع رحمه ولما قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه مر به أبو سفيان فطعنه بالرمح في شدقه وقال ذق عقق أى ذق جزاء فعلك يا عقق والعق القطع والشق وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء (قوله الشجا) الاختناق بالطعام و (الشرق) بالماء والطعام والشراب بهما قوام العيش فاذا عرض فيهما ذلك فقد عرضت مشقة وأذية في موضع الالتذاذ وكذلك الولد العاق وهو أذية في موضع راحة وما أحسن قول القائل

قرابة السوء داء سوء * فاحل أذاهم تعش حميدا

فمن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

(البضاع) النكاح والجماع (ظئرك) مرضعتك (تحككت) لصقت بها وحلقت حواليها (استنت) جرت متتابعة في سنن وهو الطريق والمذهب ومنه فلان يستن أى يجرى على أى أمر شاء لا يرده عنه زاجر وقيل استنت أى سمنت من قولهم سن الراعى ابله اذا أحسن رعيها فاسمنها فكأنه حسنها وصقلها (القرعى) التي يصيبها القرع في رأسها والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض وهذه أمثال تضرب لمن يتشبه بغيره ولا يقوى قوته (فرط) سبق (حدته) ساقته (المقة) المحبة (تلافيه) تداركه بالعطف عليه (رنا) نظر (عاطف) راحم (ملاطف) أى رفيق به أى حسن كلامه مؤانسه و (خفض الجناح) يكنى به عن لين الجانب (ويلك) عجبا لك (زجر) نهى (الضراعة) التذلل وضرع ضراعة فهو ضارع وتضرع تذلل وتخشع (البضاعة) التجارة (المحظورات) الممنوعات وأراد الاستثناء ما أحل الله من المحرمات لاهل الضرائر ويروى سوغوا في المحظورات أى رخصوا لهم فيها (هبك) احسبك (التأويل) التفسير (ولم يبلغك ما قيل) يعنى في اباحة السؤال للمضطر وهو قول الناس الضرورات تبيح المحظورات ويصدقه قوله تعالى فمن اضطر في مخمصة الآية وقال عليه الصلاة والسلام انما المسئلة كدوح يكدح بها أحدكم وجهه الا ان يسأل ذا سلطان أو ذى أمر لا بد منه (عارضه) قابله بنقيض ما قاله (حاباه) اختصه بهذه الوصية أى جعل هذا الشعر وصية له دون غيره ويقال حابى فلان فلانا اذا مال اليه واتصل به أخذ من حبى السحاب وهو السحاب الذى يدنو بعضه من بعض وقيل حباه خصه بالميل أخذه من الحبوة وهى العطية يحبوها الرجل صاحبه ويخصه بها قال اليزيدى ثلاثة ان لم تطلهم ظلوك ابنك وزوجك وعدوك (مسغبة) جوع (حفها) حلق بها يريد أن الارض ذات الخصب تقصد لما فيها من الارزاق والارض المعطلة من النبات وهى الجدبة يفرعنها وكذلك الغنى يكرم لماله والفقير يجرو يهان ومما جا في فضل المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعى ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خلق فلك مروأة وان كان لك دين فلك كرم وقال حكيم لابنه يابنى أوصيك عليك بطلب المال فلو لم يكن الا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك وقال آخر لابنه يابنى أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وكان سعد بن عبادة يقول اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه

يا من هو الشجا والشرق ويلك أتعلم أملك البضاع وظئرك الارضاع لقد تحككت العقرب بالافعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه وحدته المقة على تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال له ويلك يابنى ان من أمر بالقناعة وزجر عن الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكسبة بالصناعة فاما ذوو الضرورات فقد استثنى بهم فى المحظورات وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ما قيل ألست الذى عارض أباه فيما قال وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة * لكى يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينك هل أرض معطلة * من النبات كارض حفها الشجر

(ذكر فضل المال)

قوله فلو لم يكن الا أنه الخ جواب لو محذوف أى لكفاك أو نحوه اه

قال سفيان الثوري المال سلاح المؤمن في هذا الزمان وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء ثلثمائة ناضح فدخل بستانا له فمر بتمرة فلقطها فليم على ذلك فقال تمرة الى تمرة تمرات وجمل الى جمل ذود ثم أنشد يقول

انى مقيم على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو المال

استغن أومت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا النداء اذا ناديت امالى

(وقال عروة بن الورد)

ذرينى للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير

وأدناهم وأهونهم عليهم * وان أمسى له حسب وخير

يباعده القريب وتزدريه * حليلته ويقهره الصغير

ويلقى ذو الغنى وله جلال * يكاد فؤاد لاقيه يطير

قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

ومن أمثال بغداد المال المال وماسواه محال (قوله الاغبياء) الجهال وأراد بهم الذين يامرون بالبخل (ظمئت) عطشت و(الركاب) الابل (والجناب) الجانب والناحية (يهمى) يسيل و(الرى) الشبع من الماء والصوب وقع الماء و(الظفر) الفوز بالحاجة يقول فارق أرضك واغترب فى طلب المال واسأل الكرماء يعطوك وقال الشاعر

سأعمل نص العيس يوما لكى ننى * غنى المال يوما أوغنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى بها * على المرء بالاقلال وسم هوان

اذا قال لم يسمع لحسن مقاله * وان لم يقل قالوا عديم بيان

كان الغنى فى أهله يجعل الفتى * بغير لسان ناطقا بلسان

وأشار بقوله (قدر موسى قبل والخضر) الى قوله تعالى حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وفى نسب الخضر اختلاف منهم من جعله من قابيل بن آدم ومنهم من يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ويجعله من ذرية سام وقال عليه الصلاة والسلام انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز خضرة والفروة الارض البيضاء وقصته مع موسى مشهورة وقيل ان موسى صاحبه غير موسى بن عمران وقال موسى للخضر حين فارقه عظنى فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فكم تذهب بأمل صادق فتخيب قد تذهب بامل كاذب فتصيب وتذهب للحقير وتدرك الجليل وقد ذهب موسى ليقتبس نارا فكلمه ربه وقد تقدم هذا قال ابن عبد ربه مما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشئ مما انبسط له من أمر الدنيا بل يكون أمله فيما هو أسنى درجة وأرفع مرتبة ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل بالمدينة لرعين الراجز ان لى نفسا تواقة فاذا بلغك انى صرت الى أشرف من منزلتى فأتنى فلما صار خليفة أتاه فقال أما أعلمتك أن لى نفسا تواقة وان نفسى تاقت الى أشرف الدنيا منزلة فلما بلغتها وجدتها تتوق الى أشرف الآخرة منزلة ومن الشاهد ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليما سأله النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التى

فعد عما اشير الاغبياء به
فأى فضل لعود ماله ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به
الى الجناب الذى يهمى به المطر

واستنزل الرى من در السحاب فان
بلت يداك به فليهنك الظفر

وان رددت فما فى الرد منقصة
عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما أن رأى القاضى
تنافى قول الفتى وفعله

نالها فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة الا رجا أشرف منها قال ومن قولنا في هذا المعنى

لا يكتفي أبدا من نيل منزلة .. حتى ينال التي من دونها العطب
سعى له أمل من دونه أجل * ان كفه رهب يدعو به رغب
كذاك ما سال موسى ربه أرني * أنظر اليك وفي تسآله عجب
يبغي التزيد فيما نال من كرم * وهو النجي لديه الوحي والكتب

وقال حبيب

ذريني وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه

(قوله تحليه) تزينه وقوله (أتميما مرة وقيسيا أخرى) مثل يضرب لمن يتناقض فيما يقول تقديره أتنسب مرة لتميم وتنسب مرة لقيس وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان وبينهما أبدا مكافحات ومقاتل وتميم هذا ابن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وقيس ابن الياس قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء اذا فاخرت ففاخر بقريش واذا كاثرت فكاثر بتميم واذا حاربت فحارب بقيس الا ان وجهها كنانة ولسانها أسد وفرسانها قيس ألا ان لله فرسانا في سمائه وهم الملائكة وفرسانا في الارض وهم قيس وان آخر من يقاتل على الاسلام حين لا يبقى الا ذكره ومن القرآن الا رسمه رجل من قيس قلت يا رسول الله من أي قيس قال من سليم وفي البديعية

ان حالي مع الزما * ن كحالي مع النسب * أنا أضحى مع النبيـ * ـط وأمسي مع العرب
نسبي في يد الزما * ن اذا ساقه انقلب

وقال زفر بن الحرث لعمرو بن حطان أزيديا مرة وأوزاعيا أخرى وقال عمرو بن حطان

فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * في النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني

وقال آخر

أفي الولائد أولادا لواحدة * وفي العيادة أولادا لعلات

(قوله يتلون) أي يتغير ويتنوع و (الغول) ساحرة الجن وهو يتصور في صور شتى وأخذه من قول كعب بن زهير

فما تدوم على حال تكون به * كما تلون في أثوابها الغول

وتزعم العرب انه اذا انفرد رجل في الصحراء ظهرت له في خلقة انسان ولا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فتدنو منه وتمثل في صور مختلفة فتهلكه روعا واذا أرادت أن تضل الناس أوقدت نارا فيبصرها الساري فيقصدها فتفعل ذلك وترو عه فان كان الذي يأتيها شجاعا مقداما تحامل وتبعها فاذا رأت ذلك لم تضره وجلس يصطلي بنارها وهي معه وقال تابط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
الى ضوء نار تنورتها * فبت لها مدبرا مقبلا
فأصبحت والغول لي جارة * فيا جارتا أنت ما أهولا
فمن يك عن جارتي سائلا * فان لها باللوى منزلا

وتحليه بما ليس من أهله تطر اليه بعين غضبي وقال أتميما مرة وقيسيا أخرى أفلمن ينقض ما يقول ويتلون كما تتلون الغول

(قال) أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شرا السليلة ذات ظلمة ورعد وبرق بواديقال له رحى بطان فلقيه الغول وهو سبع من سباع الجن فما زال يقاتلها حتى قتلها فقال

الا من مبلغ فتيان فهم * بما لاقيت عند رحى بطان
فاني قد رأيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فشدت شدة نحوى فاهوى * لها كفى بمصقول يمان
لها عينان فى رأس قبيح * كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وسوار كلب * وثوب من عباءة أو شنان

قالوا وخلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار فاذا صاح بها الرجل رجلى حمار نهقت نهيقا لا تخطئ السبب والطريق وفرت منه وانظر فى التاسعة والاربعين ذكر القطرب وفيه شئ مستطرف (قوله فتاحا) أى حاكما وافتح بيننا اى احكم بيننا والفتاح الناصر والفتح النصر والحاكم ينصر المظلوم (أسيت) حزنت (صدئ ذهنى) أى تغطى بالغفلة من الصدا وهو ما يعلوه من الدرن و (صديت) غير مهموز أصدى صدى واراد مذ افتقرت علانى الوسخ وصحبنى النسيان (الفتح) الكثير الفتح الواسع الذى لا يغلق فى وجه قاصده (السرح) الكثير الذى يسرح صاحبه فى أنواع الجود والسرح السهل السريع وناقة سرح مسرعة فى سيرها (يتبرع) يتفضل بجوده متطوعا وتبرع تطوع (اللهى) العطايا (ها) معناها خذ وتناول وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرة فقال ويقولون لمن تناول شيأ هاء بقصر الالف فيلحنون فيها لان الالف ممدودة كما جاء فى الحديث الذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع المد ولا تقصر الا اذا اتصلت بها كاف الخطاب فيقال هاك كما روى أن عليا رضى الله عنه آب الى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحروب وسيفه يقطر دما فقال * افاطم هاك السيف غير مذمم * وعند النحويين أن المد فيها بدل من كاف الخطاب لان أصل وضعها ان تقترن كاف الخطاب بها فساقها ابو محمد هنا مقصورة بغير كاف ووقع فيما زعم انه لحن فان قيل لعلها لما وقعت فى فقرة موقوف عليها يحتمل فيها ذلك فنقول انه قد أردفها على فقرة قبلها مقصورة باجماع وهى اللهى فسواها معها على ان أهل اللغة حكوا فى اللفظة اربع لغات ها مقصورة كما فى المقامة وهاء ساكن الهمزة وهاء بالمد مع فتح الهمزة وكسرها وسمع رجل ابا العتاهية ينشد

فانظر بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا

فقال قد بخلت الناس كلهم فقال كذبنى انت بواحد منهم سخى (قوله مه) اكفف (الخواطئ) السهام تخطئ العرض وهذا مثل يضرب لمن يكثر الخطا و يأتى احيانا بالصواب (خالب) خادع (شمت) البرق نظرت سحابه أين عطر (أعظم) جعله عظيما (والحريق) ما تحرقه النار من الحشيش والعيدان وناره ضعيفة لا تدوم و (السمك) كبش الماء فلا يستوى الاعلى نار قوية فربما شوى سمكته ما دام لهب النار موجودا فاذا سكن اللهب لم يتمكن من شيها العدم الجمر فى الحريق فيريد انه حرض القاضى بالشعر على الكرم حين اهتز للكرام وغضب من تخيلهم فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل ان يسكن فربما يبدو له ان لا يجود (أرسخ) اثبت (رضوى) جبل بالمدينة سهل مشتق من الرضوان كان الذى يصعده راض عنه لقلة المشقة فى صعوده (اخو جدوى) صاحب

فقال الغلام والذى جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد أسيت مذ أسيت وصدئ ذهنى مذ صديت على أنه أين الباب الفتح والعطاء السرح وهل بقى من يتبرع باللهى واذا استطعم يقول ها فقال له القاضى مه فمع الخواطئ سهم صائب وما كل برق خلب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضى قد غضب للكرام وأعظم تخيل جميع الانام علم أنه سينصر كلمه ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شبكته وشوى فى الحريق سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضى الذى علمه
وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادّعى هذا على جهله
ان ليس فى الدنيا أخو جدوى

عطية وكرم (المن والسلوى) طعام كان ينزل على بنى اسرائيل وقيل المن الترنجبين والسلوى السمانى وهو طائر (يثنيه) يردّه (مستخريا) صاغرا خاضعا ويروى مستخديا والخدية الاستحياء أو يكون بمعنى مهانا والخزى الهوان (افترى) كذب واستبعد (أثنى جذلان) ارجع فرحا (أوليت) أعطيت (جدوى) اعانه أى ارجع بالجدوى وباعانتك لى عليه حتى يتوب من عقوقه (هش) فرح (أجزل) أكثر (طوله) افضاله وهباته و(لفت) ردّ (نصل) جعل له نصالا وأنصلها نزع نصالها والنصل حديدة السهم (بطل زعمك) أى بطلان قولك (وهمك) ظنك (تنحت) تنجر (تعجم) اختبارا اى حتى تعلم هل هو قوى أو ضعيف يقول لا تعتب أحدا حتى تجربه (قوله واياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك) أى احذر ان تمتنع عن مطاوعة والدك فانك ومالك لابيك * جابر رضى الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالى فقال له اذهب فأتنى به فأوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شئ فى نفسه قاله فى شأن ابنه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال سله يارسول الله هل أنفقته الا على نفسى او على احدى عماته أو خالاته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنى من هذا أخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ماسمعته أذناك فقال يارسول الله مازال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ماسمعته أذناى ثم أنشد يقول

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أجنى عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانها * لتعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ماكنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذلم ترع حق أبوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال أنت ومالك لابيك (قوله حاق) أى نزل تقول حاق به المكروه والشؤم يحيق حيقا نزل به * ابن عرفة وجبا عليه وألزماه قال الازهرى رحمه الله الحيق مايحيط بالانسان من سوء عمله ومكروه فعله وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله أى لا ترجع عاقبة مكرهم الا عليهم (سقط فى يده) يقال ذلك للنادم المتحير ويقال سقط فى يده وأسقط فى يده اذا ندم على فعله وتحسر عليه واليد هنا الندم وقوله سقط الفتى فى يده قال جماعة من أهل اللغة صوابه سقط فى يده من غير تسمية الفاعل لان الفعل مسند الى المجرور وقال الازهرى رحمه الله انما حسن سقط فى يده بضم السين غير مسمى فاعله الصلة وهى فى يده ومثله قول امرئ القيس * دع عنك نهبا صيح فى حجراته * أى صاح المنتهب فى نواحيه وكذلك المراد سقط الندم فى يده وقال أبو القاسم الزجاجى سقط فى أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب فيوجد فى اشعارها وخفى على الاسلاميين قال أبو نواس

* ونشوة سقطت منها فى يدى * وأخطأ فى استعمالها الآن فعلت لا يبنى الا مما يتعدى لا يقال رغبت ولا غضبت انما يقال رغب فى وغضب على (لاذ) لجأ وتستر ولاذ فلان بفلان تستر به ودار

وما درى أنك من معشر
عطاؤهم كالمن والسلوى
جد بما يثنيه مستخزيا
عما افترى من كذب الدعوى
وأثنى جذلان أثنى بما
أوليت من جدوى ومن عدوى
قال فهش القاضى لقوله
وأجزل له من طوله ثم لفت
وجهه الى الغلام وقد
نصل له أسهم الملام وقال له
أرأيت بطل زعمك وخطأ
وهمك فلا تعجل بعدها بذم
ولا تنحت عودا قبل عجم
واياك وتأبيك عن مطاوعة
أبيك فانك ان عدت نعقه
حاق بك منى ماتستحقه
فسقط الفتى فى يده ولاذ

سماحه أزرى بمن قبله
وعدله أتعب من بعده
(قال الراوي) فخرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى أن احرورف لمسيره فناجيت النفس باتباعه ولوالي رباعه لعلي أظهر على أسراره وأعرف شجرة ناره فنبذت العلق وانطلقت حيث انطلق ولم يزل يخطو وأعتقب ويبعد وأقترب الى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فأبدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة ولا حول حالة فأسرعت اليه لاصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أخيك البر وتركني ومر فلم يعد الفتى ان افتر ثم فر كالفر فعدت وقد استبنت عينهما ولكن أين هما

حوله وبعضهم يقول الاذو الاولى هي الغالبة واللو انه مصدر لاوذ واذا أثبت الواو ولو كان مصدر لاذ لقلت لياذا كقمت قياما (يحقو) يخصر وجمعه أحقاء وحقاء * وحفد يحفد أسرع (ضامه) أذله (صاره) ضره (أزرى) قصر وتقدم معنى البيت في الرسالة السادسة والعشرين (احرورف) مال وانحرف (ناجيت) حدثت (رباعه) دياره (شجرة ناره) يريد أصل جبلته (أعتقب) أمشي خلفه وأتبع عقبه (تراءى) ظهر و(خلصان) الرجل صديقه الذي خلصت له مودته (الاهتشاش) الطرب والبشر (الارتعاش) الرعدة يريد ان داءه كذب لاحقيقة له (محالة) حيلة (حول) تغير (أصافحه) أعانقه وأسلم عليه (أستعرف سانحه وبارحه) أي أطلب منه أن يعرفني بخيره وشره والسانح من الطير والوحش ما مر على ناحية يمينك والبارح ما مر على ناحية يسارك وقيل السانح ما أولاك ميامنه والبارح ما أولاك مياسره وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح وبعضهم يتبرك بالبارح ويتشاءم بالسانح والسانح الذي يمر عليك عن ميامنك الى مياسرك فيمكن للطاعن طعنه وللرامي رميه فالذي يتيمن به يرى انه رزق حاصل والذي يتشاءم به يرى انه عاطب وهالك والبارح بالضد فالاول يرى انه فاتت ورامية خاسر فيتشاءم به والثاني يرى انه سالم غير عاطب فيتيمن به والذين يتيمنون بالبارح ويتشاءمون بالسانح أهل نجد والذين يضادونهم أهل العالية (قوله دونك) أي خذه واقصده (البر) والبار الكثير الاكرام بأبويه (افتر) ضحك (استبنت) عرفت (عينهما) شخصهما وجعله آخر المقامة بر الملوافقته له في الحيل وجرت العادة بان الاب اذا كان نجيبا فالابن بالضد ولهذا قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرا نجيبا * فكن في ابنه سيء الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تترك النار الا الرماد

(المقامة الثامنة والثلاثون المروية)

(شرح المقامة الثامنة والثلاثين وهي المروية)

(حكى الحرث بن همام) قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفث قلمي أن اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقب عن أخباره وخزنة اسراره فاذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم ألق كالسروجي في غزارة

(قوله نفث) أي كتب والنفث ما تلقيه من فيك من البصاق الغليظ فشبه ما يلفيه القلم من المداد بالنفث هذا ظاهر اللفظ وانما أراد في المعنى بالقلم ذكره وتفثه منيه فكنى عن البلوغ بذلك فهو يريد وقت الحلم وهو الوقت الذي يقوى فيه على المشي في الاسفار والتصرف كذا فسره لنا بعض حذاق أشياخنا وفسره الفنجديهي على ظاهره فقال معنى مذ سعت قدمي ونفث قلمي مذ قدرت على المشي والكتابة والنظم والنثر (شرعة) طريقة وشريعة وعادة ومعناه أصرف همتي الى علم اللغة والعربية * قال الشافعي رضي الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه (الاقتباس) الاكتساب وهو افتعال من القبس (نجعة) طلب المرعى أي جعلت طلب الادب لي غذاء ورزقا (أنقب) أبحث (أحباره) علماؤه (ألفيت) وجدت (بغية) حاجة (الملتمس) الطالب للشئ باللمس (جذوة) جمرة عظيمة (والمقتبس) الطالب للنار و(الغرز) للرحل كالركاب للسرج ومعنى شددت بغرزه أي تمسكت بركابه وبالغت في خدمته روى ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له (غزارة) كثرة

و (السحب) جمع سحابة كنى بها عن كثرة العلم (الهناء) القطران و (النقب) جمع نقبة وهو أوّل ما يبدو من الجرب وهو مثل لمن وضع الشئ فى موضعه أراد انه ماهر أى حاذق يعطى كل طالب ما يستحقه و يشفيه من سؤاله لانّ الجهل فى القلب بمنزلة الداء فهذا يوقع بيانه بموضع الجهل فيبرأ صاحب ذلك من دائه ووضع الهناء مواضع النقب عجز بيت لدريد بن الصمة وكان خرج فرأى الخنساء الشاعرة تهنأ ذودا لها ثم نضت ثيابها واغتسلت وهو يراها ولا تراه فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبى * وقفوا فان وقوفكم حسبى
ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالى اينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء (قوله أسير من المثل) أى انه لا يستقرّ ببلد و (النقل) يريد انتقاله فى المنازل فلا يقيم بمنزلة سوى ليلة و ينتقل فى الثانية الى أخرى فاراد أن أبا زيد لا يستقرّ ببلد الا ما يستقرّ القمر بمنزلة وهى ليلة واحدة بل هو أسرع من القمر فى ذلك وانما خص القمر به لانه أسرع الكواكب نقلة من برج الى برج اذ لا يمكث فى البرج الا يومين أو ثلاثا والبرج منزلتان وثلث والشمس تمكث فى البرج ثلاثين يوما وعطارد يمكث فيه سبعة عشر يوما والمشترى اثنى عشر شهرا وزحل ثلاثين شهرا والمرّيخ شهرا ونصفا والزهرة ستة وعشرين يوما والرأس والذنب ثمانية عشر شهرا ذلك تقدير العزيز العليم (قوله واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب) هو حديث صحيح رواه مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى أحدكم نهمته من وجهته فليعجل الرجوع الى أهله النهمة بلوغ الهمة والشهوة والحاجة ورجل منهوم بكذا مولع به (قوله تطوّحت) يقال تطوّح فى البلاد ذهب به ههنا وههنا فأراد بقوله تطوّحت أى رميت بنفسى اليها (مرو) بلدة بخراسان جليلة لها قرى ومحلات وتسمى أمّ خراسان وهى دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ينسب اليها الثوب مروى والرجل مروزى وهو من شاذ النسب ومن مرو الى مرو خمس مراحل وعلى مرو نهر فوهته بالساميان وهو جبل عظيم الارتفاع تسيل منه أنهار تخترق بلاد خراسان منها وادى خوارزم مسيرته أربعون يوما و وادى القندهار مسافته شهر ونهر سجستان مسافته شهر ونهر مرو مسافته شهر ونهر هرا مسافته عشرون يوما ونهر بلخ مسافته اثنا عشر يوما و بلخ هى متوسطة خراسان منها الى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا والى سجستان مما يلى القبلة كذلك والى كابول وقندهار كذلك والى خوارزم كذلك وأهل مرو أطبع الناس على البخل ثم أهل خراسان قال ثمامة ما رأيت الديك يأكل فى بلد قط الا وهو يدعو الدجاجة الى الحب و يلفظ الحب اليها الا بمرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت أن لؤمهم كثير جدا وهو فيهم طبع ورأيت بها أطفالا صغارا بيده بيضة فقلت له أعطنيها فقال لى ليست تسعها فى يدك فعلمت أنّ المنع طبع مركب فيهم (لاغرو) لاعجب (زجر الطير) التفاؤل بها وفسر الشافعى رضى الله عنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكناتها الانّ الرجل كان فى الجاهلية اذا أراد الحاجة أتى الطائر فى وكره فنفره فان أخذ ذات اليمين مضى لحاجته وان أخذ ذات الشمال رجع فنهى النبىّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاعدوى ولا طيرة و يعجبنى الفأل قيل وما الفأل قال

السحب ووضع الهناء مواضع النقب الا أنه كان أسير من المثل وأسرع من القمر فى النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته أرغب فى الاغتراب واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب فلما تطوّحت الى مرو ولا غرو بشرنى بلقاه زجر الطير والفأل الذى هو بريد الخير

كلمة طيبة وزجر الطير التيامن بها والتشاؤم وكان عند العرب قوة زائدة وادراك فينظر الزاجر منهم للطائر ولما يفعل فيستقرى من ذلك ما يتيامن به ويتشاءم منه مثل ما يحكى عن أمية بن أبى الصلت انه كان يشرب مع اخوان له فى قصر غيلان بالطائف اذ سقط غراب على شرف القصر فنعب نعبة فقال له أمية بفيك الكثكث وهو التراب فقال له اخوانه ما يقول قال يقول اذا شربت الكأس الذى فى يدك مت ثم نعب نعبة فقال أمية نحو ذلك فقالوا له وما يقول قال زعم أن علامة ذلك أن يقع على هذه المزبلة تحت القصر فيستثير عظما فيشجى به فيموت فبينما هم يتكلمون اذ وقع الغراب على هذه المزبلة تلتقط فاستثار عظما فاراد أن يبتلعه فشجى به فمات فانكسر أمية ووقع الكأس من يده وتغير لونه فجعلوا يعبرونه عليه ويقولون ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا فألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال فى شق فأغمى عليه ثم أفاق وقال لا برى فأعتذر ولا قوى فأنتصر ثم زهقت نفسه * وحكى المدائنى قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر ليزور عزة فلما قرب منها رأى غرابا على شجرة ينتف ريشه فتطير من ذلك فلقيه رجل من بنى لهب فقال يا أخا الحجاز مالك كاسف اللون فذكر له ما رأى فقال انك تطلب حاجة لا تدركها فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقلت ولو أنى أشاء زجرته * بنفسى للهبى فهل أنت زاجره
فقال غراب لاغتراب من النوى * وفى البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيف اللهبى لا در دره * وأزجره للطير لا طار طائره

وممن زجر لنفسه بشر ذو الرمة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة * لقضب النوى تلك العيافة والزجر

وممن زجر بخير أبو حية حين قال

وقال صحابى هدهد فوق بانة * هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم دامت مواثيق بيننا * فدام لنا حلو الصفاء صريح
وقالوا حمامات فحم لقاؤها * وطلح فزيرت والمطى طلوح

ومن مليح الزجر زجر أبى نواس وذلك انه استخفى عنه أصحابه وكان لا يفارقهم ووجهوا رسولا اليه فرمى له ظهر قرطاس من وراء الباب غير مكتوب وحزموه بزير وختموه بقار وأمروا الرسول أن يرمى اليه الكتاب من وراء الباب فاستعلم موضعهم وتعرف حالهم وكتب اليهم

زجرت كتابكم لما أتانى * بمرسواج الطير الجوارى
نظرت اليه مخزوما بزير * على ظهر ومختوما بقار
فعفت الظهر أهيف قرطقيا * يحار الطرف منه باحورار
وكان الزير ذا شد ومصيب * وقار الختم من قار العقار
فطرت اليكم يا أهل ودى * بقلب من هواكم مستطار
فكيف ترونى وترون زجرى * ألست من الفلاسفة الكبار

وماأحسن قول ابن قاضى ميلة وجمع الوصفين

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك يطوى والركائب تعسف
فقلت لتربيها أبلغاها بأننى * بها مستهام قالتا تتلطف
تفاءلت فى أن يطوطارق الهوى * بأن عن لى منها البنان المطرف
وأمادماء الهدى فهوتواصل * يدوم ورأى فى الهوى يتألف
وفى عرفات مايخبر اننى * بعارفة من نيل وصلك أسعف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لناوزمان بالمودة يعطف
وأبلغتها ماقلته فتنهدت * وقالت أحاديث العيافة زخرف
لئن كنت ترجوفى منى الفوز بالمنى * فبالخيف من أعراضنا تتخوف
وقد أنذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانا عن مرادك نصرف
فهدا وقذفى بالحصالك منذر * بان النوى لى عن ديارك يقذف
فبادر نفارى ليلة النفر انه * سريع وقل من بالعيافة أعرف

(قوله أنشده) أى أطلبه و (المحافل) الجموع و (القوافل) الرفاق الرواجع (عثيرا) غبارا (اليأس) قطع الرجاء (ازوى) انقبض (التأميل) الترجى وهو مصدر أمل الخير أى ترجاه (انقمع) انكف (السرو) السيادة (مملاق) فقير (ملاق) متلطف فى كلامه (عنقت) علقت وشددت به وعنق شاته يعذقها اذا ربط فى صوفها خرقة تخالف لونها (الدرجات) المنازل الشريفة * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وهما السخاء والسماحة وخلقان يبغضهما الله وهما البخل وسوء الخلق واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس * وقال خالد بن صفوان لاتسأل الحوائج ثلاثة لاتسألها كذوبا فيقرب بعيدا ويبعد قريبا ولا أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ولا رجلا له الى صاحبك حاجة فانه يصير حاجتك بطانة لحاجته (واتاه) وافقه وطاوعه (أدى) أعطى (زكاة النعم) الابل والشاء أى أعطى الصنائع والمعروف (الحرم) جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف * الفنجديهى الحرم أقوام محترمون والحرم الثانى الاهل والقرابة ومن يحرم على الانسان نكاحه أو تركه لضياعه (عميد) سيد (مصرك) بلدك والمصر الحد ويكتب أهل نجد اشترى فلان من فلان الدار بمصورها أى بحدودها * قطرب هو مأخوذ من مصرت الناقة أمصرها مصرا اذا حلبتها وجعلت ضرعها بين اصبعين تخرج من اللبن شئ قليل فيسمى مصرا لان الناس يجيئون اليه ثم يثبتون أول فأول وقيل المصر العلامة (العماد) مايقوم عليه الخباء شبهه فى قيامه بالامور بالعماد (تزجى) تساق (الركائب) الابل (حرمك) بلدك وموضعك الذى تحميه (الرغائب) العطايا (ساحتك) فناء دارك (راحتك) كفك * ونذكر من الاحاديث مايوافق هذا الفصل الذى قدمنا تفسيره قال النبى صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يقم تلك المؤنة عرض النعمة للزوال * عمرو بن العاص والله لرجل ذكرنى ينام على شقه مرة وعلى الاخرى أخرى يرانى موضعا لحاجته لهو أوجب على حقا اذا سألهامنى أن أقضيها له * وقف العتابى بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بموضعى قال لست بحاجب

فلم أزل أنشده فى المحافل وعند تلقى القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فانى لذات يوم بحضرة والى مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو اذ طلع أبو زيد فى خلق مملاق وخلق ملاق فحيا تحية المحتاج اذا لقى رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عذقت به الاعمال أعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات وأن السعيد من اذا قدر وواتاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدى زكاة النعم والتزم لاهل الحرم مايلتزم للاهل والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تزجى الركائب الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما

قال لقد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بي غير طريق قال ان الله تعالى ألحقك بجاه ونعمة فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتعيران كفرت وأنا اليوم لك خير منك لنفسك أدعولك الى مافيه زيادة نعمتك وأنت تابى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين وأما قوله تزجى الركائب الى حرمك فهو كثير فى الشعر وبذكر منه شيأ يبين حالة القصد لهذا الاسم قال الحسن يمدح الامين

أقول والعيس تعرورى الفلا بنا * صفر الازمة من مشى ووخدان

ياناق لاتسأمى أوتبلغى ملكا * تقبيل راحته والركن سيان

محمد خير من يمشى على قدم * ممن برا الله من انس ومن جان

محمد بن أملاك تفصله * ولادتان من المنصور ثنتان

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان

سيان لافرق فى المعقول بينهما * معناهما واحد والعدة اثنان

وقال حبيب

الى أحمد الممدوح أمت بنا السرى * نواعب فى عرض الفلا ورواسم

الى سالم الاخلاق من كل عائب * وليس له مال من الجود سالم

جدير بأن لايصبح المال عنده * جديرا بأن يبقى وفى الارض غارم

وقال آخر

ساجهد عزمى والمطايا فاننى * أرى العفو لايمتاح الامن الجهد

سرين بنا زهو انجد وانما * يظل ويمسى النجح فى كنف الوخد

قواصد بالسير الحثيث الى أبى الـ * ـمغيث فما تنفك ترقل أوتخدى

الى مشرق الاخلاق للجود ماحوى * ويحوى ومايخفى من الامر أو يبدى

فتى لم يزل تقضى بطاعة الندى * الى العيشة العراء والسودد الرغد

وقال فيها معتذرا

أتانى مع الركبان ظن ظننته * لففت له رأسا حياء من الوجد

ومن زمن البستنيه كأنه * اذا ذكرت أيامه زمن الورد

أسربل هجر القول من لوهجرته * اذا لهجانى منه معروفه عندى

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى ومتى مالمته لمته وحدى

وقال أبو الطيب

فلم تلق ابن ابراهيم عيسى * وفيها قوت يوم للقراد

فلما جئته أعلى محلى * وأجلسنى على السبع الشداد

تهلل قبل تسليمى عليه * وألقى ماله قبل الوساد

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صفت الاسنة من هموم * فلم يخطرن الا فى فؤادى

وقال أبو الهندى سألناه الجزيل فما تأنى * وأعطى فوق منيتنا وزادا

واحسن

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ما قصدت اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال أبو الطيب ولما قلت للابل امتطينا * الى ابن أبى سليمان الخطوبا
مطايا لاتزل بمن عليها * ولا يبغى لها أحد ركوبا
وترتع دون نبت الارض فينا * فما فارقتها الا جديبا
اذا نكبت كنانتها استبنا * بأنصلنا لانصلها ندوبا
نصيب لبعضها أفواق بعض * فلولا الكسر لاتصلت قضيبا
ألست ابن الاولى سعدوا وجادوا * ولم يلدوا امرأ الا نجيبا
ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا * وصاد الوحش نملهم دبيبا
وما ريح الرياض لها ولكن * كساها دفنهم فى الترب طيبا

ومن المدح قول السرى فى أبى الحصين القاضى
لقد أضحت خلال أبى حصين * حصونا فى الملمات الصعاب
كسانى ذيل نائله وآوى * غرائب منطقى بعد اغتراب
فكنت كروضة سقيت سحابا * فأثنت بالنسيم على السحاب

وقال بديع الزمان وشاعر الاوان
ياسيد الامرا فخرا فما الملك * الاتمناك مولى واشتهاك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لونطقت * والليث لو لم يصل والبحر لو عذبا

هذه الجملة كافية وكأنها تفسير ما أجمل من ذكر ممدوحه (قوله ترب) افتقر فلم يبق له ما يقعد عليه غير التراب و (الاتراب) الاستغناء وأترب صار له من المال بكثرة التراب و (الاعشاب) اصابة العشب وأراد به المال (محلة) منزل يحل فيه (نازحة) بعيدة (رازحة) كالة من الهزال ورزح رزوحا كل من العمل * ابن الانبارى رزح فلان ضعف وذهب ما فى يده وأصله من رزحت ابل فلان وكلابه اذا ضعفت ولزقت بالارض وقيل هو من المرزح وهو المطمئن من الارض فكأن الرازح قد لزمه وضعف عن الارتقاء الى العلو (آمل) أرجو (جاهك) عزك (والوسائل) جمع وسيلة وهو الشفيع فجعل تأميله أفضل وسيلة (نائل) عطاء و (النائل) المعطى ونلت له بالعطاء أنول وأنلت أنيل ورجل نال ورجلان نالان ورجال أنوال ونلته أنوله نولا أعطيته قال الاعشى
ينول العشيرة ما عنده * ويغفر ما قال جهالها
(تلوى عذارك) تعرض بوجهك (ازدارك) يعنى زارك واستعمل قصدك (راحك) جمع راحة وهى باطن الكف (امتاحك) استسقاك وأراد طلب معروفك قال الراجز
أفلح ساق بيديك امتاحا * وقرعينا ورجا الفلاحا
(قوله امتار) استجلب منك الرزق (سماحك) جودك (مجد) كرم وصار ماجدا أى شريفا ومجد يمجد مجدا فهو ماجد ومجد مجادة فهو مجيد وقيل المجد تكرم الآباء خاصة وقيل الاخذ من الشرف والسودد ما يكفى وقيل كرم الفعل (جد) بخل (حشد) جمع المال (اللبيب) العاقل

واحسانه اليك عما ثم انى شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة آمل من بحرك دفعه ومن جاهك رفعه والتأميل افضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لى ما يجب عليك وأحسن كما احسن الله اليك واياك ان تلوى عذارك عن ازدارك وأم دارك أو تقبض راحك عمن امتاحك وامتار سماحك فوالله ما مجد من جد ولا رشد من حشد بل اللبيب

(وجد) استغنى (جاد) تكرم (عاد) فعلها مرة بعد أخرى وقد تقدم منظوما (لم يهب) لم يخف (أن يهب) أن يعطى وهذا كما قصد فيه التجنيس جاء منه بكل بديع (قوله نطفته ثمد) أى ماؤه قليل * الازهرى النطفة تقال للماء القليل والكثير ورأيت اعرابيا شرب من ركية غزيرة الماء فقال والله انها النطفة باردة والثمد الماء القليل الذى لا مدد له (قريحته) ذهنه (أطرق) أى أمال رأسه للفكرة (فى استبراء زنده) فى استخراج ناره وأراد طلب ما عنده من العلم (والاستشفاف) الاستقصاء فى النظر والتأمل فيما يبصر واستشف الثوب جعله طاقا واحدا أو رفعه فى ظل حتى ينظر أكثيف هو أم رقيق واستشفه رأى ما وراءه والاستشفاف النظر الى كل شئ صقيل (الفرند) جوهر السيف وأراد أن الوالى أعجب بكلامه فأراد أن يعلم هل كان فى حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه (صمته) سكته (ارجاء) تاخير (توغر) توقد (مقتضبا) مرتجلا (قوله أبيت اللعن) تحية ملوك الجاهلية قال ابن الانبارى رحمه الله فى تفسيرها قولان أحدهما أبيت أن تاتى من الاشياء ما تستحق اللعن عليه فاللعن منصوب والآخر وهو أردأ القولين أن تكون الالف بمعنى يا وبيت من البيوت مضاف الى اللعن لان بعضهم يخفض اللعن وتقديره يا بيت اللعن سمة للملك نقل من الوجه الاول لكثرة الاستعمال ألا ترى أنها تعطى معنى النداء فى البيت وتقديره يا ملك أو يا أمير ويتضمن معناه الدعاء أى جعلك الله ممن يكره اللعن ولذا وقع اعتراضا بين اللفظين الاول طالب للثانى كما قال ابن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

(سبروتا) فقيرا محتاجا والسبروت الفقير الذى لا ثياب له (ذا السن) أى فصيحا (سكيتا) عييا كثير السكوت (انفح بعرفك) أى ارم بمعروفك (وافاك) أتاك (محتبطا) سائلا لمعروفك (انعش بعونك) اى ارفع بعطيتك والغوث الاغاثة وهى المبادرة بالنصرة لمن جاء يستغيثك والانعاش أن ترى رجلا قد أهوى للسقوط فترفعه أو افتقر فتجبره (منكوتا) ملقى على رأسه ونكت الرجل فهو منكوت اذا ضرب فأسقط على رأسه (قوله أشاد) أى رفع (صيتا) ذكرا حسنا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء * وقيل لبعض الحكماء ما أجد الاشياء قال أن يبقى للانسان أحدوثة حسنة * اكثم بن صيفى انما أنتم خبر فطيبوا أخباركم أخذه حبيب فقال

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم

أما سمعت بدهر باد أمته * جاءت بأخبارها من بعدها أمم

* الاحنف ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب وقيل لمعاوية أى الناس أحب اليك قال من كانت له عندى يد صالحة قيل فان لم تكن قال فمن كانت لى عنده يد صالحة * قال بزرجمهر اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبقى أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وقال آخر اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل ان تتفلت

من اذا وجد جاد وان بدأ بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد طيبة نفسه وأحب الوالى أن يعلم هل نطفته ثمد ام لقريحته مدد فأطرق يروى فى استبراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبى زيد سر صمته وارجاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب * لأن بدا خلق السربال سبروتا

ولا تضع لاخى التأميل حرمته * أكان ذا السن أم كان سكيتا

وانفح بعرفك من وافاك محتبطا * وانعش بعونك من ألفيت منكوتا

فخير مال الفتى مال أشاد له * ذكرا تناقله الركبان أو صيتا

وما على المشترى حمدا بموهبة * غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا

فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هي ولت

*وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فانما يترك ما يترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عنده شئ واما المفسد فلا يبقى له شئ أخذه الشاعر فقال

اسعد بمالك في الحياة فانما * يبقى خلافك مصلح أو مفسد

فاذا جمعت لمفسد لم تغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

(قوله لولا المروأة) المروأة هي الافعال الشريفة التي يجب أن يقال للرجل بها مرء مثل الرجولة للافعال التي يستحق الرجل أن يقال له بها رجل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لادين الا بمروأة وقال عمر رضي الله عنه المروأة مروأتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف *قدم وفد على معاوية رضي الله عنه فقال لهم ما تعدون المروأة قالوا العفاف واصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد *وقال النبي صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوى المروآت عثراتهم فوالله ان أحدهم ليعثر وان يده بيد الله *عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انا معشر قريش نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة *أنوشروان المروأة أن لا تعمل عملا في السر تستحيي منه في العلانية *غيره المروأة اسم جامع للمحاسن كلها وقالوا المروأة العفة والحرفة (قوله اشرأب) تشوف والتشوف أن تسمع بالشئ وتطلع ان تراه وتمتد أن تنظر اليه يقول لولا الافعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق عليه اذا سئل وقيل له قد جاوز مالك قوتك وفضل عن مؤنتك فلم تجهد في طلب المال وترغب في الزيادة منه قال فالمروأة توسع عليه عذره فيقول ذو المروأة انما اكتسبه لأنفقه في البر وبين هذا بقوله (ثنى نحو الغنى ليتا) والليت صفحة العنق فيقول انما ثنى عنقه وأماله حبا في السماح وقد سبقه الى هذا التناهي بقوله

ولولا العطايا أنها سنة له * لما قال للدنيا اذا عثرت لعا

فان باشر الدنيا فللجود نالها * وان هجر الدنيا فعنها ترفعا

فزاد بقوله وان هجر الدنيا معنى حسنا وقالوا نعم العون على المروأة المال وقال الاحنف بن قيس

فلو مد سروى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروأة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر

لولا شماتة أعداء ذوى حسد * أو أن أنال بنفع من يرجيني

لما خطبت الى الدنيا مطالبها * ولا بذلت لها عرضي ولا ديني

(قوله تنشق) أي شم (نشر) رائحة (أزرى) عاب (مفتوتا) مدقوقا يقول لشكر المعروف عند أهل الجود أعطر من ريح المسك اذا فت فانتشرت رائحته *وقال ابراهيم الشيباني كنت أرى رجلا من وجوه أهل الكوفة لا يجف لبده ولا يستريح قلبه في طلب حوائج الناس وادخال المرافق على الضعيف فقلت له أخبرني عن الحال التي هونت عليك هذا التعب في القيام بحوائج الناس ما هي قال قد والله سمعت تغريد الاطيار بالاسحار في فروع الاشجار وسمعت خفوق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن وما سمعت أحسن من شكر حر لرجل حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر فقلت له

لولا المروة ضاق العذر عن فطن * اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا

لكنه لا يتاح المجد جد ومن * حب السماح ثنى نحو الغنى ليتا

وما تنشق نشر الشكر ذو كرم * الا وازرى بنشر المسك مفتوتا

لله أبوك لقد حشيت كرما لذة السمع هنا بمنزلة الشم في البيت (خيل) حسب والضب والحوت قد تقدّما في الثامنة عشر (قوله الجامد الكف) هو البخيل وهو ضد السمح (ممقوتا) مبغوضا (علل) اعذار (يوسعنه ذما) أي يكثرن ذممو (التبكيت) الهوان والتوبيخ (جد) تكرم (نشب) مال (مجتدى جدوالك) طالب عطايالك (مبهوتا) متحيرا يريد أنه يعجب من كثرة ماتعطيه فيتحير ومايدري كيف يشكرك * ومن مدح الكرم وذم البخل قالوا ولم يكن في الكرم الا انه من صفات الله عز وجل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويذم سفسافها وقال لقوم من العرب من سيدكم فقالوا فلان على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام واي داء أدوأ من البخل وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عباد انت متلاف فقال منع الجود سوء ظن بالمعبود يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال كسرى عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله ولو أن اهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيما أخذه محمود الوراق فقال

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وخوف بخيل سخيا الاملاق والفقر فرد عليه السخي بقول الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما وأمي ان الله عوّدني أن يتفضل عليّ وعوّدته أن أتفضل على عبيده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني عادته (قوله وخذ نصيبك منه قبل رائعة) الرائعة الشيبة لانها تروع الانسان أي تفزعه وتعلمه انها تأتيه بالكبر والهرم و (العود المنحوت) أراد به الجسم اليابس لان الهرم يذهب نعمة الجسم وأصل المنحوت المنجور وأراد بقوله خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام يقول ابن آدم مالي مالي وماله من ماله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأمضى * وقال الشاعر في الرائعة

أهلا برائعة للشيب واحدة * تنفي الشباب وتنهانا عن الغزل

(وقال أبو الطيب المتنبي)

راعتك رائعة المشيب بعارضي * ولو انها الاولى لراع الاسحم

لو كان يمكنني سفرت عن الصبا * فالشيب من قبل الاوان يكتم

وفي رواية ابن جني رائعة البياض وقال هي أول شعرة تطلع من الشيب وأنشد ابن الاعرابي أهلا برائعة للشيب وأنشد غيره برائعة بيضاء أي بشعرة تطلع من المشيب بيضاء تروع الناظر وهذا أصوب من الوجه الآخر وقال كثير

كذب العواذل بل أردن خيانتي * وبدت روائع لمتي وقتوم

(وقال الالبيري) بصرت بشيبة وخطت بليلي * فقلت لها تأهبي للرحيل

ولا يهن القليل عليك منها * فما الشيب ويحك من قليل

فكم قد أبصرت عيناك مزنا * أصابك طلها قبل النزول

فلا تحقر بنور الشيب واعلم * بان القطر يعقب بالسيول

(مدح الكرم وذم البخل)

والحسد والبخل لم يقض اجتماعهما
حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه
والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل
يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب
حتى يرى مجتدى جدوالك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة
من الزمان تريك العود منحوتا

(وقال أبو بكر الباوى)

نكبت فى شعرى وشعرى وما * نفسى فى صبرى بمنكوبه
اذا دنت بيضاء مكروهة * منى نأت سوداء محبوبه

(وقال كشاجم فاحسن)

نظرت الى المرآة فروعتنى * طلائع شيبتين لدى المتاب
فاما شيبة ففزعت منها * الى المقراض من حب التصابى
وأما شيبة فصفحت عنها * لتشهد بالبراءة من خضابى
فيا لك من مشيب قد تبدى * أقمت به الدليل على شبابى

(وقال البحترى)

وأبت تركى الغديات والآ * صال حتى قضين بالمقراض
شعرات أقصهن ويرجعـ * ن رجوع السهام فى الاغراض

(وقال ابن المعتز)

ألست ترى شيبا برأسى شاملا * ونت حيلتى عنه وضاق به ذرعى
كان المقاريص التى يعتورنه * مناقير طير تنتقى سنبل الزرع

(وقال رجل من الازد)

ولقد أقول لشيبة أبصرتها * فى مفرقى فنحتها اعراضى
عنى اليك فلست منتهيا لقد * عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قد مضت * مع ستة فى اثرهن مواضى
* ولقلما أرتاع منك وانى * فيما هويت وان وزعت لماضى
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى * وعلى أن ألقاك بالمقراض

(وقال أبو نواس)

واذا عددت السن كم هى لم أجد * للشيب عذرا ان يلم براسى

(وقال أبو دلف)

فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت * كأنما نبتت فى ناظر البصر
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتك عن همى وعن فكرى

(وقال كشاجم)

أخى قم فعاونى على شيبة بغت * فانى منها فى عذاب وفى حرب
اذا ما مضى المنقاش يأتى بها أتت * وقد أخذت من دونها جارة الجنب
كجان على السلطان يجزى بذنبه * تعلق بالجيران من شدة الرعب

(ولابى الفضل الدارمى)

شيبة نغصت على شبابى * فتعمدت نتفها غير وان
قلت ماذا كذا العمر التصابى * لشبابى أجل عند الحسان
فأجابت جرى من الرسم للسلـ * طان أخذ البراء مثل الجانى

فان ازددت في الجفاء فلا تنسى * كرقدومي عليك مع اخواني

وهذا مثل قول الآخر

وزائرة للشيب لاحت بعارضي * فبادرتها بالقطف خوفا من الحتف

فقالت على ضعفي استطلت و وحدتي * رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي

فلم يك الاعن قريب فأقبلت * وعمت جميع الرأس رغما على أنفي

فوا أسفا لو كان يغني تأسفي * على زمن ولى وحسن على حرف

(وقال الرماني)

وثلاث شيبات طلعن بمفرقي * فظننت أن نزولهن رحيلي

طلعت ثلاث في طلوع ثلاثة * واش ووجه مراقب وعذول

فعزلنني عن صبوتي فلئن ذلك * لقد سمعت بذلة المعزول

وفي معنى قول أبي نواس واداعددت السن كم هي قال المعري

بحث هند عن تسرع شيبي * قلت هذا عقبى فطام السرور

عوضتني يد السفاسف من مسك * عذاري ريشا من الكافور

كان لي في اشطار شيبي حساب * غالطتني فيه صروف الدهور

وقال ابن الحاج الشبلي

طلع المشيب بلمتي فتعجبوا * من كده وتعجبوا من مهلته

ماشبت من كبر ولكن من بيت * دنفا ومشتاقا يشب من ليلته

وقال أبو عثمان الخالدي

فديتك ماشبت من كبرة * وهذي سني وهذا الحساب

ولكن هجرت حل المشيب * ولو قد وصلت لحل الشباب

وهذا القدر كاف (قوله فالدهر أنكد) البيت يقول ان كنت غنيا أو فقيرا فتلك حال لا تدوم كرهت حالك أو رضيتها وقوله (أي ولد الرجل أنت) هذا الكلام انما يقع في باب النفي قال يعقوب تقول العرب لا أدري أي ولد الرجل هو يعنون بالرجل آدم و ولده الناس فكأنه قال ما أدري أي الناس هو (عرض) جانب (مغض) مغمض عينيه يريد انه لم يعجبه سؤاله فلم يقبل عليه بنظره ولا بانشاده (ورز) بالراء قبل الزاي معناه اختبر واطلب قال ابن الانباري رزت ما عنده أي طلبته وأردته قال الزبيدي الروز قريب من التحقيق والروز أن تأخذ الصخرة بيدك فترفعها لتختبر ثقلها قال الشاعر

وان الله رازحلوم قيس * فلما ذاق خفتها قلاها

وقال الاعشى فمشى ولم يخش الانيس * فرازها وخلا بها

(اصرم) اقطع الصحبة (السلاف) الخمر الخالصة (الحصرم) الحامض لان عود العنب حامض و يتولد عنه شيء لذيذ وتقدم معنى البيتين وأما وجود الاشياء مع اضدادها مثل الحلاوة مع ما أصله مر قله نظائر قال حبيب * والنار قد تنتضى من ناضر السلم *

وقال المتنبي فان الماء يخرج من جماد * وان النار تخرج من زناد

فالدهر انكد من ان تستمر به
حال تكرهت تلك الحال ام شيئا
فقال له الوالي تالله لقد
احسنت فأي ولد الرجل انت
فنظر اليه عن عرض وأنشد
وهو مغض
لا تسأل المرء من ابوه ورز
خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا
مذاقها كونها ابنة الحصرم
قال فقربه الوالي لبيانه الفائق

حتى احله مقعد الخاتن ثم
فرض له من سيوب نيله
ما ادن بطول ذيله وقصر ليله

وقد يجرى أيضا خلاف العادة فى الاشياء فقد يتشابه الشيآن من جهة ويتباعدان من أخرى

(قال المعرى)

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

قال المتنبي وقد سبقه اليه

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول ابن صادرة

* يامن يعذبني لما تملكني * ماذا تريد بتعذيبي واضراري *
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال ابن عبدون استاذ بلنسية

* يامن محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور *
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

(قوله مقعد الخاتن) كناية عن القرب كما أن مزجر الكلب كناية عن البعد (سيوب) عطايا وأصلها الكنوز والمعادن (نيله) ماله الموهوب وفى العين أنلت المعروف ونلته ونولته واسم ماتهب النوال والنيل (آذن) أعلم (طول ذيله) كثرة ماله (قصر ليله) يريد قلة همه لان المهموم لا ينام فيطول ليله ووصف الليل بالطول والقصر وله باب مشهور فى كتب الادب تركنا ذكره لشهرته وكثرته وعلته راجعة لما ذكر من أن ليل السرور قصير وليل الهم طويل، وحدث اسحق الموصلى قال دخلت على الرشيد وهو مستلق على قفاه وهو يقول أحسن والله فتى قريش وظريفها وشاعرها قلت فيم ذلك يا أمير المؤمنين قال فى قوله

لا أسال الله تغيير الما فعلت * نامت وقد أسهرت عينى عيناها
فالليل أطول شئ حين أفقدها * والليل أقصر شئ حين ألقاها

ثم قال أتعرفه قلت بصوت ضعيف لا قال بحقى عليك قلت نعم هو الوليد بن يزيد فقال استر ما سمعته منى وانه ليستحق أكثر مما وصفته به ولبعضهم وأجاد

* ان الليالى للانام مطية * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأنشد الفتح بن المطرانى

أخو الهوى يستطيل الليل من سهر * والليل فى طوله جار على قدر
ليل الهوى سنة فى الهجر مدته * لكنه سنة فى الوصل من قصر

وأنشد السلامى رحمه الله

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال ابن أبى دياكل

يطول اليوم لا ألقاك فيه * وحول نلتقى فيه قصير

وتبعه بشار فقال وأحسن

لا أطلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلي قصير
تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور

وزاد ابن العريف الزاهد على هذا المعنى فقال وأحسن

لست أدري أطال ليلي أم لا * كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من الهم شغلا

(قوله ردن) أي كم (جذلان) مسرور (حاذيا حذوه) أي متبعا له جاعلا قدمي موضع قدمه فيتسع فيه فيقال حذوت حذوه أي فعلت مثل فعله وأصله في حذو النعل بالنعل وقد تقدم (قافيا) متبعا (فصل) زال وخرج (غابه) موضعه والغاب الشجر الملتف يتخذ الاسد فيه بيتا (مليت) أطيل لك ومتعت بمن الملاوة وهو الحين (أوليت) أعطيت (أسفر) أضاء ومثله (تلالا) الا أن معناه أبلغ واصل تلالا ابيض فأشبه بياض اللؤلؤ وصفاءه يريد أنه انبسط وجهه وحسنت خلقته لما دعا له (والى) كرر (خطر اختيالا) جر أثوابه اعجابا بنفسه (سما قدره) ارتفعت منزلته (طيب الاصول) شرف الجدود (الفضول) الحق والدخول فيما لا يعني (والقبول) من دون الملك واحدهم قيل وأراد بهم الاجداد الاشراف وطابق بين الحاقة والفضول وبين طيب الاصول والقبول وسلخه من قول المتنبي

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي ارتفعت لا بجدودي

أشار الى نسبه من ملوك كندة وقال آخر

أيها الفاخر جهلا بالحسب * انما الناس لام ولأب
انما الفخر بعقل راجح * وباخلاق حسان وأدب
ذاك من قد فاخر الناس به * فاق من فاخر منهم وغلب

وقال الحكيم بن قنبر

لا خير فيمن له أصل بلا أدب * حتى يكون على ما نابه حدبا
كم من حسيب أخي عي وطمطمة * فدم لدى القوم معروفا اذا انتسبا
في بيت مكرمة آباؤه نجب * كانوا الرؤس فأضحى بعدهم ذنبا

وقد تقدمت نظائره (قوله تعسا) أي هلاكا (جذب) عاب وفي الحديث جذب عمر السمر أي عابه وقال ذو الرمة

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه
فيا لك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل جادبه

(قوله دأب) أي دام عليه (أودعني) ضمني وجعله في قلبي (اللهب) جمر النار ومما يتعلق بما قدمناه من الشعر قول جحظة

أرى الاعياد تتركني وتمضي * وأوشك انها تبقى وأمضي
علامة ذاك شيب قد علاني * وضعفي عند ابرامي ونقضي

فنهض عنه بردن ملآن
وقلب جذلان وتبعته حاذيا
حذوه وقافيا خطوه حتى
اذا خرج من بابه وفصل عن
غابه قلت له هنيت بما أوتيت
ومليت بما أوليت فاسفر
وجهه وتلالا ووالى شكرا
لله تعالى ثم خطر اختيالا
وانشد ارتجالا
من يكن نال بالحماقة حظا
أو سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي
وبقولي ارتفعت لا بقبولي
ثم قال تعسا لمن جذب
الادب وطوبى لمن جد فيه
ودأب ثم ودعني وذهب
وأودعني اللهب

وما كذب الذى قد قال قبلى * اذا ما مر يوم مر بعضى
أرى الايام قد ختمت كتابى * وأحسبها ستتبعه بفض

وعلى قوله * اذا ما مر يوم مر بعضى * قال بعض بنى حمدان

المرء رقته تناه * مقدر طوله وعرضه
فكلما مر منه يوم * فانما مر منه بعضه

وجحظة مطبوع الشعر وهو القائل فى أبى بكر بن دريد

فقدت بابن دريد كل فائدة * لما غدا ثالث الاحجار والترب
وكنت أبكى لفقد الجود مجتهدا * فصرت أبكى لفقد الجود والادب

أين هذا من قول الفرزدق يرثى سائسا أنشده أبو محمد فى الدرة

ليبك أبا الخنساء بغل وبغلة * ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها
ومجرفة مطروحة ومحسة * ومقرعة صفراء بال سيورها

أخذه من قول زيد الخيل يرثى عبد الله

أما تعاورتك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

وقد قدمنا فصلا فى التشاؤم بالادب فى قوله فقد دهانى شؤمه وأثنى عليه هنا بقوله تعسا لمن جلب الادب وطوبى لمن جد فيه ودأب ونذكر هنا فصلا مقتعا فى مدحه حسبما شرطنا من الجرى معه على اغراضه قال العلاء بن أيوب كان يقال مثل الاديب ذى القريحة مثل دائرة تدار من خارجها فهى فى كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما ومثل الاديب غير ذى القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهى عن قليل تبلغ الى باطنها * أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغنى من غير عشيرة ويكثر الانصار من غير رزية فالبسوه حلة وتزينوا به حلية يؤنسكم فى الوحشة ويجمع القلوب المختلفة وقال شبيب بن شبة اطلبوا الادب فانه مادة للعقل دليل على المروأة صاحب فى الغربة مؤنس فى الوحشة حلية فى المجلس وقال الخليل من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا وأنشد الاصمعى رحمه الله

(فصل فى مدح الادب) *

ان يك العقل مولودا فلست أرى * ذا العقل مستوحشا من حادث الادب
انى رأيتهما كالماء مختلطا * بالترب تظهر عنه زهرة العشب

وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالادب فانكم اذا احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا * ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو لدنيا فلا يعجبنك فان تلك كرامة تزول بزوالهما ولكن ليعجبنك اذا أكرموك لدين أو أدب وقال ابن عباس رضى الله عنهما كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ومن علم الادب ان تروى الشاهد والمثل وقال بزرجمهر ما ورثت الآباء الابناء خيرا من الادب لانه به يكسبون المال وبالجهل يتلفونه وقال حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتقوى خير زاد وقالوا ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان فقيرا وقال عمر رضى الله

عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وقالوا الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع الشئ الاعن أصله ولا ينمو الاصل الا باتصال المادة وقال حبيب فأحسن

وما السيف الا زبرة ان تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر

ماوهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما كمال الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أحسن به

وقالوا اذا كان الرجل طاهر الادب طاهر المنبت تأدب بأدبه وصلح بصلاحه أهله وولده وقال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم عند الفساد اذا فسد

يعظم فى الدنيا لاجل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

(شرح المقامة التاسعة والثلاثين وهى العمانية)

(المقامة التاسعة والثلاثون العمانية)

(حدث الحرث بن همام) قال لهجت مذ اخضر ازارى وبقل عذارى

(لهجت) أى اشتد حبى وأصله فى الفصيل اذا رضع أمه يقال لهج بضرع أمه اذا لزمه ليرضعه (اخضر ازارى) كنى به عن الشباب وكانت العرب اذا بلغ منها الغلام الحلم وأشعر لبس الازار ليستر عورته (بقل عذارى) اخضر شاربى وبدا الشعر فى وجهى أخضر مثل البقل ونذكر هنا شيأ مما قيل فى العذار قال أبو نواس

من أين للرشا الاغن الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحير

قمر كأن بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال أيضا

قد كان بدر السماء حسنا * فالناس فى حبه سواء

فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء

لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق ما يشاء

(وقال ابن رشيق)

همت عذاراه بتقبيله * فاستل من عينيه سيفين

فذلك المحمر من خده * دم جرى بين الفريقين

وقال غيره

قمر كأن قوامه * من قد غصن مسترق

وكأنما قلم الزمرذ فى عوارضه مشق

(ولابى الفضل الدارمى)

ياذا الذى خط الجمال بوجهه * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما صح عندى أن لحظك صارم * حتى رأيت بعارضيك حمائلا

وقال أيضا

قاب للملق على الخدين من ورد خمارا

أسمل الصدغ على خديك من مسك عذارا

ام أعان الليل حتى * غلب الليل النهارا

قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا

ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

بان أجوب البرارى على ظهور المهارى انجد طورا وأسلك تارة غورا حتى فليت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار وقد سنح لى أرب بصحار ملت الى اجتياز التيار واختيار الفلك السيار فنقلت اليه أساودى واستصحبت زادى ومزاودى ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر عاذل لنفسه عاذر فلما شرعنا فى القلعة ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى فى البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا له أقبسنا نارك أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده فى زبيل وظله غير ثقيل وما يبغى سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح اليه وأن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك

(قوله اجوب) أى اقطع (البرارى) الصحارى (المهارى) ابل كرام (أنجد) اطلع والنجد المرتفع (والغور) ضده وقد أنجد وغار (أسلك) أدخل وامشى (فليت) قطعت (المعالم) المواضع المعلومة (والمجاهل) ضدها (بلوت) جربت (المناهل) مواضع المياه (السنابك) اطراف الحوافر (المناسم) جمع منسم وهو مقدم خف البعير (أنضيت) أهزلت (السوابق) الخيل (الرواسم) الابل السريعة ورسمت الناقة فهى راسمة اذا أثرت فى الارض من شدة وطئها قال أبو عبيد رحمه الله اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو النسيل ثم الرسيم (الاصحار) الدخول للصحراء يريد مللت من سفر البر (سنح) ظهر وعرض (أرب) حاجة (صحار) سوق عمان وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر مساحتها فرسخ فى فرسخ وبلاد عمان ثلاثون فرسخا ما ولى البحر سهول ورمال وما تباعد عنه حزون وجبال وهى مدن منها مدينة عمان وهى حصينة على الساحل ومن الجانب الآخر مياه تجرى الى المدينة وفيها دكاكين التجار مفروشة بالنحاس مكان الآجر وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز وقصب السكر وفى الامثال من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان وفى أحوازها مغاص اللؤلؤ وعمان من أحواز اليمن سميت بعمان بن سبإ الفنجديهى صحار اسم بلدة بكورة عمان وهى قصبتها مما يلى الجبل (التيار) البحر (الفلك) السفينة (السيار) الكثير المشى والفلك يكون واحدا وجماعة ويذكر ويؤنث (أساودى) أمتاعى لانها تسود الارض بظلها وهى جمع أسودة واسودة جمع سواد وسواد الامير ثقله قال أبو عبيد كل شخص سواد من متاع أو انسان أو غيره و(الحاذر) الخائف (ناذر) حالف وأراد به الذى ينذر بخير ان سلمه الله تعالى من هول البحر (عاذل وعاذر) يريد أنه يعذل نفسه عن التغرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ويعذرها لكثرة المتاجر (شرعنا فى القلعة) أخذنا فى قلع المراسى ورفع القلع وهى الشرع (قوله أغسى) أى أظلم (هاتفا) أى صائحا (القويم) المستقيم (المزجى) المسوق المسير قال الله تعالى ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر أى يسيرها وأزجاه اذا ساقه (أقبسنا) أعطنا (أرشدنا) دلنا قال الازهرى رحمه الله (ابن سبيل) هو المسافر الذى انقطع به وهو يريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به فله سهم فى الصدقات (زبيل) قفة من جلود وألغز به بعضهم فقال

وذى أذنين لا يقتات قوتا * وجوف للحوائج واحتمال
يكلف شغل أهل البيت طرا * ويحمل فيه أقوات العيال
تسر اليه فى الاسواق سرا * فلا يفشيه الا فى الرحال

(ظله غير ثقيل) أى هو خفيف الروح وقد تقدم معنى استثقال ظله فى الثانية والعشرين ويريد بظله شخصه كما سمى الشخص سوادا لانه يسود الارض بظله قال زياد بن عبد الله قيل للشافعى رضى الله عنه هل تمرض الروح قال نعم من ظل الثقلاء قال فمررت به يوما وهو بين ثقيلين فقلت كيف الروح قال فى النزع وقال الهيثم بن عدى النظر الى الثقيل حمى الروح (مقيل) موضع جلوس فى القائلة (الجنوح) الميل (الماعون) المعروف والماعون اسم للمطر وأنشد أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه

يمج صبيره الماعون مجا * اذا نسم من الهيف اعتراه

(ذكر مدينة عمان)

اثارو بيانى الاخبار المنقولة عن الاحبار أن الله تعالى ما اخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وان معى لعوذة عن الانبياء ماخوذة وعندى لكم نصيحة براهينها صحيحة وماوسعنى الكتمان ولا من خيمى الحرمان فتدبروا القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهى وقال أتدرون ماهى هى والله حرز السفر عند مسيرهم فى البحر والجنة من الغم اذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح من الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ماصدعت به آى القرآن ثم قرأ بعد أساطير تلاها وزخارف جلاها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس المغرمين أوعباد الله المكرمين وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وأنت خير الشاهدين (قال الحرث بن همام) فاعجبنا بيانه البادى الطلاوة وبحت له أصواتنا بالتلاوة وآنس قلبى من جرسه بمعرفة عين شمسه فقلت له بالذى سخر البحر اللجى الست السروجى فقال لى بلى وهل يخفى ابن جلا

والماعون الزكاة قال الراعى

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

(مسالك) طرق * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لامتى من الغرق اذا ركبوا فى السفن أن يقولوا بسم الله الملك وماقدروا الله حق قدره الآية بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم (وقوله ان الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا) قيل معنى أخذ أوجب وأراد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه قال الحسن بن عمر رأيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت اما أن تحدثنى واما أن أحدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء ان يعلموا قال فحدثنى بأربعين حديثا (قوله عوذة) أى ما يتعوذ به الانسان من الحرز وشبهه (براهينها) حججها (خيمى) طبعى (الحرمان) منع الفوائد (المباهى) المفاخر الكثير الاعجاب (السفر) المسافرون (الجنة) الستر (جاش) تحرك وهاج (اليم) البحر (استعصم) امتنع (الطوفان) الماء العام (صدعت) نطقت (آى) جمع آية وتقدمت (الاساطير) هى الاباطيل (زخارف) أشياء مزينة (المغرمين) المعذبين والمغرم المولع بالحب وغيره (الراشدين) الهادين للطريق (الطلاوة) الحسن والقبول (بحت) ارتفعت (آنس) أحس وأدرك (جرسه) صوته الخفى (عين شمسه) حقيقة نفسه ومعرفته (اللجى) العظيم اللجة وهى معظم الماء * ونذكرهنا بعض ماحدث من طوفان نوح عليه السلام ذكر أهل الاخبار ان نوحا عليه السلام أول نبى بعث وأن قومه كانوا أهل أوثان يعبدونها من دون الله فبعث لهم نوح فدعاهم الى الله فكانوا يبطشون به ويستخفون به وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما كثر استخفافهم به قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك فانهم مغرقون فأقبل على قطع الخشب وضرب الحديد وتهيئة العود بالقار وغيره فصنعه من خشب الساج وجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا وكان قومه فى خلال صنعة السفينة يأتونه أفواجا يستخفون عقله ويعدون فعله من جنونه ويقولون له عملت سفينة فى البر فيقول لهم سوف تعلمون فلما اطمأنوا فى الفلك فار التنور من الهند وقال الشعبى رحمه الله من الكوفة وفتحت أبواب السماء بماء منهمر وتفجرت الارض عيونا فكان بين ارسال الماء وارتفاعه أربعون يوما فلما بلغ الماء اليهم أووا الى الجبال فكانت الجبال تستقبلهم بالحجارة وتغرقهم فى الماء فماتوا غرقى وارتفع الفلك وجعل يجرى فى موج كالجبال ودار الارض كلها فى ستة أشهر وعشر ليال ويقال انهم ركبوها العشر ليال مضين من رجب ونزلوا يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام الناس يوم عاشوراء وأتت السفينة الحرم فدارت به أسبوعا ولم يبق شىء من الخلائق ولا من الشجر الا هلك الا نوح ومن معه والاعوج ابن عنق فيما يزعم أهل الكتاب وانتهت آخرا الى الجودى وهو جبل بالحصنين من أرض الموصل فنزل عليه (قوله ابن جلا) أى المشهور المعروف يقال للرجل اذا كان على الشرف واضح

الامر

فأجدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسي اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو وأنا أجد لقمانه وجد المثري بعقيانه وأفرح بمناجاته فرح الغريق بنجاته الى أن عصفت الجنوب وعسفت الخبوب ونسي السفر ما كان وجاءهم الموت من كل مكان فلما الهدا الحدث الثائر الى احدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما توافي الريح فتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي أبو زيد انه لن يحرز جنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت له اني لأتبع لك من ظلك وأطوع من نعلك فنهدنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض

الامر لا يخفى مكانه هو ابن جلا أي هو الذي جلا الامور بنفسه وأوضحها قال سحيم بن وائل

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

وكان صاحب غارات يطلع فيها من ثنية الجبل على قومه قال ثعلب العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم قال ابن الاعرابي يقال للسيد ابن جلا قال سيبويه رحمه الله جلا فعل ماض كانه يعني الذي جلا أي أوضح وكشف (قوله أجدت) أي وجدته محمودا (سفرت) كشفت وأزلت الهم (سفر) عرّفنا بنفسه ويقال سفرت عن نفسي كما سفر أي عرفته شخصي كما عرّفني هو شخصه ونفسه (رهو) ساكن ويقال فعل ذلك رهوا أي ساكنا من غير تشدد قال تعالى واترك البحر رهوا والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الريح رهوا أي ساكنة ويجوز أن يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام أي اتركه على هينتك أو يكون من نعت البحر أي دعه يا موسى ساكنا واقفا ماؤه واعبره (الجو) ناحية السماء (صحو) نقي من السحاب (المثري) الغني و(العقيان) الذهب ينبت نباتا (عصفت) الريح اشتدت (الجنوب) الريح القبلية (عسفت) جاءت من كل جانب والعسف ركوب الامر على جهالة و(الخبوب) بخاء معجمة جمع خب وهي الرواية الصحيحة عن ابن جهور وغيره وهو هيج البحر واضطراب الماء وهو الذي صححه الفنجديهي كان أبا عمرو القسطلي شاهد هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله

البس شحنا الفلك تهوي كأنها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
مواثل يرعى في ذراها مواثل * كما عبدت في الجاهلية أوثان
تقاتل موج البحر واليم والدجى * تموج بنا فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال آخر

وسماء في الثرى مخضله * لا ذو ردية مافيها صفا
غصت الارض فلم تبرك لنا * من فضاء الارض الا طرفا
فكأن الارض فيها عائم * غاب الا هامة أو كتفا
وكأن الموج فيها عسكر * لبسوا الأما وغالوا جحفا
خافق راجفة أحشاؤه * كحشا المهجور يهفو أسفا

(قوله نسي السفر ما كان) أي نسوا ما كان من طيب العيش بصفو الصحو (قوله الحدث الثائر) أي الامر الطارئ (لنريح) أي لنريح أنفسنا من تعب الهول الخوف وأراح الرجل استراح وأراح غيره وأراح الريح وأروحها واستروحها وجدها (ريث) قدر والريث اللبث والبطء (توافي) توافق (اعتياص) التواء وتصعب (نفد) فني (استثارة) استخراج يقول هل لك في ادراك الحظ بالخروج من السفينة الى البرية (نهدنا) تقدمنا (المريرة) قوة النفس (نركض) بفتح أولها وأصل الركض تحريك القوائم ومنه اركض برجلك ولهذا قيل للجنين اذا اضطرب في بطن أمه قد ارتكض ومن مشكل أبيات المعاني

قد سبق الحلبة وهو راكض * فكيف لا يسبق وهو رابض

في امتراء الميرة وكلاناالاءلاث قيلا ولا يهتدى فيها سبيلا فاقبلنا نجوس خلالها وتفيأ ظلالها حتى أفضينا الى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا كلا منهم في مسك كسير وكرب أسير فقلنا أيتها العلة ماهذى الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة

المراد أن أمه سبقت الجياد وهي حامل به فأضاف السبق اليه لاتصاله بها وأراد بر اكص تحريكه قوائمه في مقره والركض يستعمل في الخيل وغيرها فيقال ركض البعير برجله والطائر بجناحه (قوله امتراء) أى استخراج (الميرة) جلب الرزق ومار الرجل على أهله ميرا جلب لهم القوت (نجوس خلالها) نطوف في طرقها قال الليث وابن سيده الجوس والجوسان التردد في خلال الدور والبيوت وقال الاصمعى والازهرى وأبو عبيدة جاسوا الموضع وطؤه وفلان يجوس بنى فلان أى يطؤهم يطلب فيهم وقال الطبرى والنقاش والزجاج والثعالبى فجاسوا خلال الديار أى طافوا بين بيوتهم يقتلونهم ويطلبونهم ذاهبين وجائين والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال (نتفيأ) نستظل وتفيأ به استظل به وتفيأ تقلب (أفضينا) وصلنا (مشيد) مرتفع البناء والشيد الجص (زمرة) جماعة (ناسمناهم) قربنا منهم وناسمه ساره وشامه وناسمت الرجل قربت نسمتك من نسمته وتحدثت معه سرا (أرشية) حبالا (الارتقاء) الصعود (المسك) الجلد يريد أنه شديد التوجع وهذا كما تقول لقيت فلانا في ثوب نمر أو في جلد أسد أى لقيته بادى الشر قال الشاعر

فطر راترانا في مسوك جيادنا ... وطورا ترانا في مسوك الثعالب

قال البكرى الخيل توصف بالاقدام والثعالب بالروغان فيريد أنهم مقدمون على أعدائهم يوما وراثعون عنهم يوما وقال الاستاذ أى أسروا فكتفوا بجلود خيلهم المعقورة وفي جلود الثعالب كناية عن خبث الاسير (فاهوا) نطقوا (سوداء) كلمة رديئة (نار الحباحب) ما تطاير من الشرر في الهواء بتصادم حجرين أو بضرب حافر في حجر وتلك نار لا منفعة فيها وقيل الحباحب رجل بخيل كان يوقد نارا ضعيفة لئلا يقصد فان أحس بانسان أطفاها لئلا يقتبس أحد من ناره وقيل نار الحباحب نار سراجه ولجله كان اذا جاء أحد يوقد منه أطفأها وقال عبد الصمد بن المعذل في أخيه

لست لى منك يا أخى ... جارة من محارب

نارها كل شتوة ... مثل نار الحباحب

يريد جارة القطامى التى يقول فيها

الى حيزبون توقد النار بعدما ... تلفعت الظلماء من كل جانب

فلما تنازعنا الحديث سألتها ... عن الحى قالت معشر من محارب

ألا انما نيران قومى اذا شتوا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقيل الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج (قوله خبرهم) الخبر بضم الخاء مصدر خبرت أخبر اذا امتحنت و(السباسب) والسابس الارض المستوية واحدها سبسب وبسبس (شاهت الوجوه) قبحت الوجوه وفي الحديث أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحثاها في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه ويقال شاه وجه الرجل يشوه شوها وشوهة قبح ووجه مشوه أى مقبح ورجل أشوه وامرأة شوهاء و(اللكع) اللئيم وقد لكع لكاعة فهو ألكع ولكع ولكيع اذا لؤم وحمق وامرأة لكاع ولكيعة (قوله علته كبرة) أى أسن وكبر (وعرته عبرة) أى غشيته دمعة و(الخادم) الخصى موصوف بطول العمر وسرعة العبرة قال الهيثم بن عدى وفي الخصى عشر خصال لا تجتمع في غيره التهمة والسمنة والشره وسرعة الدمعة وطول العمر وكبر القدم والتبرى من الصلع والاجارة في الصغر والقيادة في الكبر والاسترخاء في المقعدة

وقال ياقوم لاتوسعونا سبا ولاتوجعونا عتبا فانا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبوزيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجدني عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال له اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا أنه لم يخل من كد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من المفارش النفائس الى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت رقلته بفسيلة فنذرت له النذور وأحصيت الايام والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الاغرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاسترجاع وطول فقال له أبوزيد اسكن ياهذا واستبشر وأبشر بالفرج وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا

وسعة الحجر (لاتوسعون سبا) أي لاتكثروا شتمنا (عتبا) لوما وموجدة وعتبت عليه أعتب عتبا وعتابا وأعتبه أرضاه والعتبى الرضا واستعتبته طلبت اليه أن يعتب وقال النابغة

* وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب * وقال حبيب

سرت تحمل العتبى الى العتب والرضا * الى السخط والعذر الجميل الى الحقد

(الخناق) الحبل يخنق به كالعقال للجمل يعقل به (نفس) روح وحل عن المخنوق و (البث) الحزن (انفث) تكلم وأصله ابصق (عرافا) كثير المعرفة والعراف العالم بالشيء وأصله الكاهن (قطب هذه البقعة) أي رئيس هذه الارض وقطب القوم سيدهم الذي يلجؤن اليه (وشاه هذه الرقعة) ملك هذه الجزيرة وأراد بالرقعة سفرة الشطرنج وشاهها ملك جيشها الذي يتصرف في بيوتها كيف شاء وقد أحسن من قال فيها

أرض مربعة حمراء من أدم * مابين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها لسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى فطن جاشت بمعرفة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

(قوله كد) أي حزن (المغارس والمفارش) النساء كان النطف تغرس فيهن فيكثر الولد منها (النفائس) الكرائم (عقيلة) خيرة والعقيلة درة البحر وبه سميت المرأة لكرمها وشرفها وكل كريمة من النساء والابل والخيل فهي عقيلة (الرقلة) النخلة الطويلة (الفسيلة) نخيلة تكون في أصل النخل أراد أن المرأة حملت بولد (نذرت النذور) أي وعدت بفعل خير ان سلم الحمل (أحصيت) عددت وعلم مابقي منها (حان النتاج) قرب وقت الولادة (صيغ) صنع (الطوق) الثوب يلبسه المولود بغير جيب ولما سبق الى جذيمة ابن أخته عمرو وكان له طوق يلبسه في الصغر فقال له البسه فلم يسعه فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا قال ابن القطرية في الحكم بن حزم وكافه ذلك ابن سراج رأى صاحبي عمرا فكاف وصفه * وحملني من ذلك ماليس في الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن شب هذا عن الطوق

(عسر) صعب (مخاض) تحرك الولد عند الولادة وقيل وجع الولادة (القرار) السكون (الغرار) النوم القليل وهو من غر الطائر فرخه يغره اذا أطعمه شيأ بعد شيء وأخذه من قول الشاعر

لا أذوق النوم الا غرارا * مثل حسو الطير ماء الثماد

(ولا يطعم النوم) أي لايذوقه ويقال طعمه وتطعمه ذاقه وفي المثل تطعم تطعم أي ذق تشته (أجهش) أي تهيأ للبكاء والاجهاش تغير الوجه عند ارادة البكاء (أعول) رفع صوته بالبكاء (الاسترجاع) قد تقدم (الطلق) وجع الولادة سمى طلقا على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد (سمعها) ذكرها الجميل (تبادرت) تسابقت وجمع غلام غلمة وغلمان (البلوى) البلاء (كلا ولا) اى كاللفظ بها وهي كناية عن قلة اللبث وسرعة الامر ويضرب بلا الملل فيقال أخف من لا على اللسان وأقل من لا في اللفظ وقال جرير

يكون نزول القوم فيها كلا ولا * غشاشا ولا يدنون رحلا الى رحل

غشاشا اى قليلا ويقال لقيه على غشاش اى على عجلة وقال الكميت

حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك منالك ان صدق مقالك
ولم يفل فالك فاستحضر
قلما مبريا وزبدا بحريا
وزعفرانا قد ديف في ماء
ورد نظيف فما ان رجع
لنفس حتى أحضر ما التمس
فسجد أبو زيد وعفر وسبح
واستغفر وأبعد الناشرين
ونفر ثم أخذ القلم واسحنفر
وكتب على الزبد بالمزعفر
أيهذا الجنين انى نصيح
لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكن كنين
وقرار من السكون مكين
ماترى فيه ماير وعك من إل
ف مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولـ
ـت الى منزل الأذى والهون
وتراءى لك الشقاء الذى تد
فى فتبكى له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر
أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيـ
ـك ليلقيك فى العذاب المهين
ولعمرى لقد نصحت ولكن
كم نصيح مشبه بظنين
ثم انه طمس المكتوب على
غفلة وتفل عليه مائة تفلة
وشد الزبد فى خرقة حرير
بعد ما ضمخها بعبير وأمر
بتعليقها على فخذ الماخض
وأن لا تعلق بها يد حائض
فلم يكن الا كفواق شارب
أو فواق حالب حتى اندلق
شخص الولد لخصيصى
الزبد بقدرة الواحد الصمد فاستلأ القصر

كلا وكذا تغميضهم ثم هجتم * لدى حين أن كانوا الى النوم أفقرا

يقول كان نومهم فى القلة والسرعة كقول القائل لا وذا وقال الحسن رحمه الله

يا عاقد القلب منى * هلا تذكرت حلا * تركت منى قليلا * من القليل أقلا

يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

وفى أبيات البديع وأروع أهدا لى الليل والقلا * وجس تمس الارض لكن كلا ولا
جعل قوائم فرسه وهى الجس تمس الارض فى المشى كلا ولا على اللسان (قوله برز) أى خرج (هلم) دعا وقال لنا هلم (مثلنا) وقفنا ومثل بين يديه انتصب قائما (منالك) عطاؤك (ولم يفل فالك) يخطئ رأيك وفال رأيه فيولة ضعف وأخطأ و(الزبد) حجر معروف وهو شديد البياض دقيق الثقب جدا يوجد عائما على وجه الماء يصرف فى الاكحال وقالت الحكماء من خصائص الزبد البحرى انه اذا علق على امرأة ماخض سهل عليها الولادة ويكون فى بحر اليمن (ديف) خلط (التمس) طلب (عفر) جعل وجهه على الارض والعفر التراب (اسحنفر) جد وشمر للكتابة ويقال اسحنفر فى الامر اذا تحفز فيه وقالت جارية من العرب

يا أمتا أبصرنى راكب * مسحنفر فى مسرب لاحب
مازلت أحثو الترب فى وجهه * عمدا وأحمى حوزة الغائب

فأجابتها أمها * الحصن أولى لو تأييته * من حثيك الترب على الراكب

مسرب طريق لاحب بين الغائب زوجها الحصن العفة تأييته تعمدته وقصدته (المزعفر) المداد من الزعفران (الجنين) الولد فى بطن أمه (النصح) ضد الغش قال الخطابى النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وقيل أصله من نصح الرجل ثوبه أى خاطه والنصاح الخيط شبهوا فعل الناصح بالخيط الذى يلائم الخلل والتسوق والتوبة النصوح كأنها ترقع ما خرقته المعصية (مستعصم) مستمسك ممتنع واستعصم فى ذكر يوسف امتنع وأبى (كن) موضع يكن (كنين) ساتر والكنين المستور و(القرار) المكان المطمئن الذى يستقر فيه الماء وأراد به الرحم (يروعك) يفزعك (الف) احب (مداج) يظاهر الحب ويضمر خلافه ودا جاه ساتره بالعداوة (برزت) خرجت (الاذى) الضرر (الهون) الهوان (تراءى) تظاهر (هتون) كثير السيلان وهتنت السماء صبت (الرغيد) الواسع (المحقوق) الذى لا يشك فيه (المظنون) المشكوك فيه فهو يشير على الصبى أن يقيم فى بطن أمه ولا يخرج للدنيا (ظنين) متهم (طمس) غطى وطمست الدار اذا غطى التراب آثارها ومحاها و(التفل) نفخ يخرج معه بصاق متفرق وأوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ (ضمخها) لطخها (عبير) اخلاط من الطيب (الماخض) الحامل (ولا تعلق بها يد حائض) تعويه بأن مكتوبه من القرآن والحائض لا تمسه (الفواق) مس الطعام أو الشراب بلسانك (الفواق) ما بين الحلبتين من الوقت لان الناقة تحلب ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لتدر ثم تحلب (اندلق) خرج بسرعة وكل شئ يدر خارجا بسرعة فقد اندلق واندلق السيف من غمده اذا سقط من غير أن يسل (خصيصى الزبد) اى خاصيته التى ينفرد بها عن الاحجار واختصصت بالشئ انفردت به وجاءنى خصيصى القوم مقصورا اى خاصتهم وخصصته بالشئ خصوصا وخصوصية وخصيصى * ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ولد فى

أهل بيت غلام الأصبح فيهم عزلم يكن وقال صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن فى أذنه اليمنى
وأقام فى اليسرى دفعت عنه أم الصبيان (حبورا) سرورا (واستطير) داخله السرور (عميده)
سيده (طمر به) ثوب به * وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مر عيسى
ابن مريم عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى
فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس
خلصها فالقت ما فى بطنها فاذا عسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ثم تعطاه المرأة * وذكر
الفنجديهى بسند متصل بأبى هريرة رضى الله عنه قال بينا عيسى ويحيى عليهما السلام فى
البرية اذ رأيا وحشية ماخضا فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حنة ولدت مريم مريم ولدت
عيسى الارض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد اخرج قال حماد بن زيد فما يكون فى الحى امرأة
ماخض فيقال هذا عندها الا ولدت حتى الشاة التى يتعسر وضعها فيقال هذا عندها فلا تبرح
حتى تضع * يونس بن عبيد الله اللهم أنت عدتى عند شدتى وأنت صاحبى عند كربتى
وأنت ولى نعمتى من قالها عند النفساء اذا عسر عليها ولدها أو على بهيمة أذن الله تعالى فى
خروجه * وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب
لها بسم الله لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قال سفيان يكتب هذا فى جام وتسقاه وذكر عن
أبى الزناد قال كنت مئناثا فقيل لى استغفر الله اذا جامعت ففعلت فوضع لى بضعة عشر ذكرا

حبورا واستطير عميده وعميده سرورا وأحاطت الجماعة بأبى زيد تثنى عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمر به حتى خيل الى أنه القرنى أويس

(ذكر أويس القرنى رضى الله تعالى عنه)

(قوله خيل) أى شبه و(أويس) القرنى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من التابعين
وفى صحيح مسلم ان أهل الكوفة وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس
فقال عمر رضى الله عنه هل ههنا أحد من قرن فجاء ذلك الرجل فقال عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لايدع باليمن غير أم له وقد كان
فيه بياض فدعا الله فأذهبه الله عنه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم
وفيه عن أسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أتاه امداد أهل اليمن سأل
أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من
قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرئت منه الا موضع الدرهم قال نعم قال ألك والدة قال نعم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى اليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن
من مراد ثم من قرن وكان به بياض فبرئ منه الا موضع الدرهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله
لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال عمر رضى الله عنه أين تريد
فقال الكوفة قال ألا أكتب لك الى عاملها قال أكون فى غبر الناس أحب الى قال فلما كان
فى العام القابل حج رجل من أشرافهم فوافى عمر رضى الله عنه فسأله عن أويس فقال تركته رث
البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر
مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها
بار لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لى فقال

أنت أحدث عهدا بسفر صالح قال نعم قال له لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسيد وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لاويس هذه البردة وفى كتاب الاحياء انه لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان من أهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا ثم قال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا قال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا الا رجلا واحدا فقال له عمر رضى الله عنه قرنى أنت قال نعم قال أتعرف أويسا قال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا أحمق ولا أجن ولا احوج منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت الا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر ولما كان عند أهله كالمجنون بنوا له بيتا على باب دارهم فكان تأتى عليهم السنة لا يرون وجهه كان يخرج أول الاذان ويأتى بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلقط النوى فكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره فان أصاب منه ما يقوته باع النوى وتصدق به والا اشترى منه ما يقوته وكان لباسه قطع الاكسية من المزابل يلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها واذا مر بالصبيان رجموه يظنون أنه مجنون ولهذا اعظم النبى صلى الله عليه وسلم حرمته فقال انى لاجد نفس الرحمة من قبل اليمن اشارة اليه وأما (دبيس) فهو الامير سيف الدولة بن مزيد الاسدى وقيل دبيس بن صدقة بن مزيد وذكر أبو الحسن على بن الحسين بن أبى طالب الباخرزى الامير أبا الاعز دبيس بن على فقال خدمته ببغداد وعبرت اليه أخت يده الجواد يعنى دجلة وهى زاخرة الامداد فاذا باحة للطارقين مباحة وراحة فى كفها للعفاة راحة وقباب النقب بها غاب القنا واشترك مع أسودها الناس فى فرائس الغنى قال الفنجديهى سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد لما سمع الامير دبيس ان الرئيس أبا محمد الحريرى ذكره فى مقاماته وأورد فيها بعض صفاته نفذ اليه من الخلع السنية والجوائز الهنية ومزية العطية ما عجز عنه الوصف وكل عنه الطرف واقتضاه علو همته وسمو قدرته ثم عصى دبيس على الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين ابى منصور الفضل بن المستظهر بالله وسعى فى اراقة دمه وجمع العساكر وحشد وقصد بغداد فى عسكر عظيم وعاث فى أطرافها وأفسد فى أكنافها فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزم دبيس وعسكره وانتهى الى الحلة المزيدية فانتهبها وذلك فى المحرم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وانهزم دبيس فى خواص من أصحابه وغلمانه خوفا من الخليفة ومر نحو الشام ثم قتل الامير دبيس بن صدقة بن مزيد فى سنة ثلاثين أو فى سنة تسع وعشرين قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه لامور أنكرها وأسباب امتعض لها نسبت اليه (قوله انثال) أى انصب (جوائز) عطايا (وصائل) متصلات غير منقطعة والوصائل ثياب حمر مخططة تصنع باليمن يلبسها النساء قال الشاعر

* لها حبك كأنها من وصائل * (قيض) قدر وساق (ينتابه) أى يقصده ويأتيه مرة بعد أخرى (الدخل) العطايا التى تدخل اليه من قبل الامير وغيره ورجل كثير الدخل اذا كثر دخول الرزق عليه و (السخل) الولد ومما يستحسن فى التهنئة بمولود قول الحاوى

نجم تولد من شمس ومن قمر * وأين من أبواه الشمس والقمر

(ذكر الامير دبيس)

* أو الاسدى دبيس ثم انثال عليه من جوائز الجازات ووصائل الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل ينتابه الدخل مذ نتج السخل الى أن أعطى البحر الامان

شمس العفاف ومجد البدر بينهما * تولد النور الا أنه بشر

أخذه من قول ابن الرومى

شمس وبدر ولدا كوكبا * أقسمت بالله لقد أنجبا

وجاء الرمادى يهنئ الفقيه ابن العطار بمولود فقال

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة رزقت بالسعد من كبدك

كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك

لاخلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

(قوله تسنى الاتمام) أى تيسر اتمام المشى والاقلاع (اكتفى) اقتنع (النحلة) العطية (أوعز) ووعز تقدم يعقوب لا يقال وعز بالتخفيف (حزانته) جماعته وعياله الذين يحزنون لنكبته ولفقده ويحزن هو لضيعتهم (أنحيت) ملت عليه وقصدته به (التعنيف) اللوم والاخذ باللسان (المألف) البلدة وموضع الالفة (الاليف) الصاحب (البلدعنى) تباعد عنى (تصبون) تميلن وصبوت اليه ملت بالمحبة (تضام) تذل (تمتهن) تحتقر وقال محمد بن بشر فى هذا المعنى

انما أزرى بقدرى أننى * لست من بابة أهل البلد

ليس منهم غير ذى مقلية * لذوى الالباب أو ذى حسد

يتحامون لقائى مثل ما * يتحامون لقاء الاسد

مطلعى أثقل فى أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد

لو رأونى وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدى

(وقال البحترى)

أشرق أم أغرب ياسعيد * وأنقص من زماعى أم أزيد

عدتنى عن نصيبين العوادى * فحظى أبله فيها بليد

وأخلفنى الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد

لهم حلل حسن فهن بيض * واخلاق سمجن فهن سود

وممن نبابه بلده القاضى أبو محمد عبد الوهاب خرج من بغداد يريد مصر فشيعه أكابرها ومن أصحاب محابرها جملة موفورة فقال لهم والله لو وجدت بين أظهركم رغيفين كل يوم ما عدلت ببلد كم بلوغ أمنية والخبز عندهم يومئذ ثلثمائة رطل بدينار وقال

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف

لعمرك ما فارقتها قاليا لها * وانى بشطى جانبيها لعارف

ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار ممن يساعف

فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأبى به أخلاقه فيخالف

وقال ايضا بغداد دار لاهل المال واسعة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

قد صرت أمشى مهانا فى أزقتها * كأننى مصحف فى كف زنديق

(قوله الوهاد والقنن) الانخفاض والارتفاع والقنة أعلى الجبل والوهدة القعدة من الارض تجرى اليها مياه جهاتها (حضنا) جانبا حصينا مانعا (اربأ) اى ارتفع (يغشاك) يغطيك (الدرن)

ونسنى الاتمام الى عمان فاكتفى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالى بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه الى حزانته وأن تطلق يده فى خزانته (قال الحرث بن همام) فلما رأيته قد مال الى حيث يكتسب المال أنحيت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف والاليف فقال البلد عنى واسمع منى

لا تصبون الى وطن * فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التى * تعلى الوهاد على القنن

واهرب الى كن يقى * ولو انه حضنا حضن

وار بأ بنفسك أن تقيم * بحيث يغشاك الدرن

وجب البلاد فأيها * أرضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعا * هدوالحنين الى السكن   واعلم بان الحرفى * أوطانه يلقى الغبن   كالدر فى الاصداف يسـ
*تزرى و يبخس فى الثمن

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا أنت لو اتبعت فاوضحت له معاذيرى وقلت له كن عـذيرى فعـذر واعتذر وزوّد حتى لم يذر ثم شيعنى تشييع الاقارب الى أن ركبت فى القارب فودعته وانا أشكو الفراق وأذمه وأود لو كان هلك الجنين وأمه

(المقامة الاربعون التبريزية)

(أخبر الحرث بن همام) قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالدليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا أنا فى اعداد الاهبة وارتياد الصحبة ألفيت بها أبا زيد السروجى ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه والى أين يسرب مع سربه فأومأ الى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسنى فى الغربة وترحض عنى قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلنى بحقى وتكلفنى فوق طوقى فأنا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلى دبر أذنى وصحبتهما وان كنت لا أغنى فلما حضرا القاضى وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السواك   وهذا

الوسخ (المعاهد) منازل سكاه (الحنين) الشوق (السكن) الاهل (الاصداف) محال الجوهر (يستزرى) يستحقر (يبخس) ينقص ومعنى هذه الابيات يقول ارحل عن بلد يعلو فيه قدر أصاغر الناس قدرا كارهم ولا تقم فيه على الهوان وارفع قدرك نفسك من أن تقيم بموضع توسمك فيه الاهانة فان المرء حيث يضع نفسه وطف بالبلاد واختر وطنا ما أرضاك فان الحر يضيع فى وطنه ولا يعرف قدره، الاصمعى سمعت بعض العرب يقول الفقر فى الوطن غربة والغنى فى الغربة وطن ونظر أبو الحرث الى برذون يستقى عليه فقال المرء حيث يضع نفسه لو هملج هذا لم يبل عاترون ، الزبير رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فحيثما وجدت خيرا فأقم واحمد الله وقال هلال بن العلاء الرقى

لا تجزعنّ وان نأت * أرض تنال بها المحبه
وطن الغريب يساره * والفقر فى الاوطان غربه

وقال آخر
أشد من فاقة الزمان * مقام حر على الهوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
فان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

وقال آخر
شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال آخر
من ضاق عنك فأرض الله واسعة * عن وجه كل مضيق وجه منفرج
خير المذاهب فى الحاجات أنجحها * وأضيق الامر أدناه من الفرج

(حسبك) يكفيك (أوضحت) بينت (معاذيرى) أعذارى و(العذير) العذر يقال عذيرك من كذا يعنى هلم معذرتك منه وقيل العذير بمعنى عاذر فعيل بمعنى فاعل أى هلم لمن يعذرك منه * ثعلب العذير مصدر بمعنى النكير ومعنى عذيرى منه أى من يعذرنى منه وعذر قبل العذر والله أعلم

(شرح المقامة الاربعين وهى التبريزية)

(أزمعت) عزمت والزماع العزم و(التبريز) الخروج الى البراز وهى الارض الفضاء بلا شجر (تبريز) قرية من كور أذربيجان من عمل خراسان بينها وبين المراغة عشرون فرسخا (نبت) قلعت وارتفعت (المجير) الذى يجيرك من الناس ويكفيك شرهم و(المجيز) الواهب الجائزة وهى الصلة (ارتياد) طلب (محتفا) محلقا (خطبه) أمره (يسرب) يذهب و(سربه) جماعة نسائه (أومأ) أشار (باهرة) ظاهرة و(السفور) كشف النقاب عن الوجه (ترحض) تغسل ورحض الثوب يرحضه غسله (قشف) تغير ورجل متقشف لا يتعهد الغسل والنظافة والقشف سوء العيش * ومطله حقه كناية عن جماعه لها والمطل فى الاصل المد يقال مطل القين الحديد يمطله مطلا اذا مده وطوله فمعنى (تمطلنى) تطول على و(الطوق) الطاقة (نضو وجى) هزيل من الحفاء وأراد به شرها وما يلاقى منها (حلف شجو) صاحب حزن و(الشجا) الاختناق بالعظم وهو شئ صعب (ليضرب على يده) ليكفه ويمنعه (لا أغنى) اى لا أنفع (الامساك) الشح (يضن) يبخل و(النفاثة) ما تطرحه من فيك من السواك بعد الاستياك به

وهذا وان كان غاية فى البخل منتزع من قول الشاعر

لقد بخلت حتى لو آنى سألها * قذى العين من ضاحى التراب لضنت

وقال آخر فى معناه

يبخل بالماء ولو أنه منغمس فى وسط النيل

شحا فلا تطمع فى خبزه * ولو توسلت بجبريل

وقال آخر ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور

يا حابس الروث فى أعقاب بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

وهذا الباب مستوفى فى الرابعة والاربعين ومما يستطرف من لفظ السوالـ قول بعض الظرفاء

قد هجرت السوالـ من أجل أنى * ان ذكرت السوالـ قلت سواكا

وأحب الاراكـ من أجل أنى * ان ذكرت الاراكـ قلت أراكا

(جثا) برك (أيد) قوى (مطيتى) زوجتى (أبية) صعبة ممتنعة على قائدها (الشراد) النفور (أحنى) أعطف وارحم (جنانها) قلبها (النشوز) عصيان الزوج ومخالفته والنشوز أصله الارتفاع و(ويح) معناها التوبيخ والتقبيح وتستعمل أيضا للترحم (وقوله ويوجب الضرب) من قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فنشوزهن عصيانهن * الازهرى النشوز كراهة كل واحد من الزوجين صاحبه ونشزت تنشز فهى ناشز * ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ولا تعلوهن الكتابة واستعينوا عليهن بالضرب * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ووصى بعض أهله فقال أنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم فى الله فعنى لا ترفع عصاك أى لا تترك تأديبهم فى الله تعالى (قوله ويأخذ الجار بالجار) العرب تسمى فرج المرأة بالجار ودبرها جار الجار وأخذه الحريرى من قول أعرابى جاء لامرأته وقد اغتلم واشتدت شهوته فانعظ فلما قرب منها وهجم عليها قالت له انى حائض قال لها فأين الهنة الاخرى ثم حمل عليها وهى تدافعه وتسبه وهو ماض فى شغله ينشدها

كلا ورب البيت ذى الاستار * لاهتكن حلق الختار * قد يؤخذ الجار بذنب الجار *

قال الخليل الختار ما استدار من طوق الجفن وكذلك ختار الظفر والدبر ومما يبين هذا المعنى قول الشاعر

جارك قد يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب قرينه * ونجا المقارف صاحب الذنب

جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضى وأحسن اليه ان مطيتى هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع انى أطوع لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضى ويحك أما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضى تبا لك أتبذر فى السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عنى لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبو زيد انها ورب مرسل الرياح لا كذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لا كذب من أبى ثمامة

(أتبذر) أتزرع والبذر الحبوب تزرع (السباخ) الارض ذات الملح والرشح وهى لا تنبت شيأ لملوحتها وقلة جفافها وأراد أتزرع نطفتك فى موضع لا يقبل الولد (تستفرخ) تلتمس عمل الفرخ (اعزب) غب (طوق الحمامة) جعل لها طوقا والحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والوراشين والقمارى ودخلت الهاء على أنه واحد الجنس لا للتأنيث * الليث تقول العرب حمامة ذكر وحمامة أنثى والجميع الحمام * الشافعى كل ما عب وهدر فهو حمام يدخل فيه القمارى

والوراشين سواء كانت مطوّقة أو غير مطوقة آلفة أو وحشية وهذا القول كأنه الاكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التي تستفرخ في البيوت وليست ذوات أطواق وكان يسميها حاما وكان في منزله حمام أحمر اسمه وردان وقد قدمنا فصلا في الحمام في الصدر (مخرق) الرجل أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافه * وأوردهنا في شرح تزويج مسيلمة لسجاح ما بين سخف نبوتهما وان كان الحريري قد أشار الى ذلك في هذه المقامة كان مسيلمة بن حبيب الحنفي ثم أحد بني الديل قد تسمى بالرحمن في الجاهلية وكان من المعمرين * ذكر وثيمة بن موسى ان مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قريش تقول انما يعلم محمدا رجل يقال له الرحمن فنزلت وهم يكفرون بالرحمن وكانت بنو تميم قد تخاذلت في أمر الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في ذلك اختلافا شديدا فبيناهم على ذلك اذ فاجأتهم سجاح بنت الحرث مقبلة من الجزيرة تقود بني ربيعة فأتاهم أمر كان أعظم مما هم فيه من الاختلاف وكانت سجاح تميمية وبنو أبيها في تغلب وادعت النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في الجزيرة فاجتمعت عليها بنو تميم ورساء تغلب فادعت انها أنزل عليها يا أيها المؤمنون المتقون لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون فاجتمعت تميم كلها تنصرها فكان فيهم الاحنف وحارثة بن بدر ووجوه بني تميم وكان مؤذنها شبيب بن ربعي الرياحي فقالت اعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغدوا على الرباب فليس من دونهم حجاب فصمدت اليهم فقتلت فيهم قتلا كثيرا ثم قالت لاجنادها اقصدوا اليمامة فقيل لها ان شوكة أهل اليمامة قوية شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة فقالت يا معاشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا نارا ملهامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة وان الله تعالى لم يجعل هذا الامر في ربيعة تعني نبوة مسيلمة وانما جعلها في مضر واقصدوا هذا الجمع فاذا اقصدتموه عكرتم على قريش فسارت في قومها وهم عدد لا يحصى وبلغ مسيلمة الخبر فضاق به ذرعا وتحصن في حجر حصن اليمامة وأحاطت به جيوشها فأرسل في وجوه قومه وقال ما ترون قالوا نسلم هذا الامر لها فان لم تفعل فهو البوار فقال لهم بدهائه سننظر ثم بعث اليها وقال ان الله قد أنزل عليك وحيا وعلي فهلمي نجتمع فنتدارس ما أنزل الله فمن عرف الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب اكلا بقومي وقومك فانعمت له فأمر بضرب قبة من أدم فضربت وأمر بالعود المندلي فبخرت به وقال اكثروا من الطيب فان المرأة اذا شمت رائحته ذكرت الباه وأتته الى القبة وقالت هات ما أنزل عليك ربك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وأمات وأحيا الى ربكم يكون المنتهى قالت وماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل لنا النساء أزواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ونخرجه منهن اذا شئنا اخراجا قالت فبأي شيء أمر ربك قال

ألا هبي الى المخدع * فقد هيئ لك المضجع
فان شئت ففي البيت * وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به اجمع

(تزويج مسيلمة لسجاح)

حين مخرق باليمامه

قالت بل به أجمع قال كذلك أوحى الى فواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلى لا ينكح هكذا فيكون وسمة على قومى ولكنى مسلمة لك النبوة فاخطبنى الى أوليائى يزوجوك ثم أقود معك تميما فخرج وخرجت معه واجتمع الحيان حنيفة وتميم فقالت سجاح انه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقا فتبعته ثم خطبها فزوجوه منها وقال الاغلب العجلى فى ذلك

قد لقيت سجاح من بعد العمى * ملوّحا فى العين مشدود القوى
كأن عرق أيره اذا بدا * حبل عجوز ضفرت سبعا قوى
ما زال عنها بالحديث والمنى * والخلق السفساف يردى فى الردى
قال ألا أدخله قالت بلى * فشام فيها مثل محراب العصا
تقول لما غاب فيها واستوى * لمثل هذا كنت أحسبك الحسى

واليمامة بلد الزرقاء وسيأتى ذكرها فى الحسين فعلى نحو ما ذكرنا من أمر سجاح ذكرها أكثر أهل الاخبار وقال الفنجديهى سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقبان من بنى يربوع كنيتها أم صادر ادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فى بنى تغلب فاستجابوا لها وتبعها قوم من تميم وظهر أمرها حتى هابتها العرب وصالحتها التجوز فى بلادهم حيث شاءت فسمعت بمسيلمة فى اليمامة فقالت لقومها عليكم باليمامة دفوا اليها دفيف الجماعة فانها غزوة صرامة لا تلحقكم بعدها الامة وبلغ مسيلمة خبرها فهابها وخاف ان هو شغل بها غلبه ثمامة بن أثال وشرحبيل على حجر اليمامة اذ هما من قبل أبى بكر رضى الله عنه فأرسل اليها يستأمنها على نفسه فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة فقال لها النصف الارض لى والنصف الذى كان لقريش صار لك فقالت لا يرد النصف الا من جنف فاحمل النصف فصالحها على أن يحمل اليها نصف غلاة اليمامة من تلك السنة وعلى أن يسلفها من غلاة السنة المقبلة فقبلت منه وقدم لها مغل تلك السنة ورجعت الى الجزيرة فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقلهم معاوية عام انفراده بالملك الى الكوفة فانتقلت معهم وحسن اسلامها * وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبى زيد معه على

(تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته)

تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته عند معاوية، حدث أهل الاخبار قالوا كان أبو الاسود كبيرا عند معاوية وكان معاوية يجالسه ويدنيه ويسأله فيجيبه فيما يعلم فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة اذ دخلت عليه امرأة برزة فقالت أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله جعلك خليفة فى البلاد ورقيبا على العباد يستسقى بك المطر ويستنبت بك الشجر ويؤمن بك الخائف ويردع بك الحائف أنت الخليفة المصطفى والامير المرتضى فنسأل الله لك النعمة فى غير تغيير والبركة من غير تقتير فقد ألجأنى اليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق بى عنه المخرج من أمر كرهت عاره لما أردت اظهاره فليكشف عنى أمير المؤمنين ولينصفنى من الخصم ولكن ذلك على يديه فانى أعوذ بك وبحقويك من العار الوبيل والامر الجليل الذى يشتد على الحرائر ذوات الدوت الاخاير فقال لها معاوية من هذا الذى أشعر لشاره قالت أمر طلاق حائر من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة ولا يجد بأحد رافة قال ومن بعلك قالت هو أبو الاسود فالتفت معاوية اليه فقال أحق ما تقول هذه المرأة فقال انها تقول من الحق بعضا وليس أحد يطيق عليها نقضا أما ما ذكرت من أمر طلاقها فحق وسأخبرك عن ذلك

بصدق أنا والله ما طلقتها لريبة ظهرت ولا لهفوة حضرت ولكن كرهت شمائلها فقطعت حبائلها قال فأى شمائلها كرهت قال انك تهيجها على بجواب عتيد ولسان شديد قال لابد من جوابها قال هى يا أمير المؤمنين كثيرة الصخب دائمة الضرب مهينة للاهل ومؤذية للبعل ان ذكر خيرا دفنته وان ذكر شرا أذاعته تخبر بالباطل وتطير مع الهازل لا تشكل عن عتب ولا يزال زوجها معها فى تعب فقالت أما والله لولا حضور أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك فقال معاوية عزمت عليك لما أجبتيه فقالت هو والله يا أمير المؤمنين سؤل جهول ملحاح بخيل ان قال فشر قائل وان سكت فذو غائل ليث حين يأمن ثعلب حين يخاف شحيح حين يستضاف ان التمس الجود عنده انقمع لما يعلم من لؤم آبائه وقصر رشائه ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحمى ذمارا ولا يضرم نارا ولا يرعى جوارا أهون الناس عليه من اكرمه واكرمهم عليه من أهانه فقال معاوية ما رأيت أعجب منها انصرفى رواحا فلما كان العشى جاءت فلما رآها أبو الاسود قال اللهم اكفنى شرها فقالت كفاك الله شرى وأرجو أن لا يعيذك من شر نفسك قال ناولينى هذا الصبى حتى أحمله قالت ما جعلك الله بأحق من يحمل ابنى فوثب فانتزعه منها فقال معاوية مهلا يا أبا الاسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه فى أدبه وانظر فى أوده امنحه علمى والهمه حلمى حتى يكمل عقله ويستحكم فتله قالت كلا أصلحك الله حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها حجرى فناؤه وبطنى وعاؤه وثديى سقاؤه اكلؤه اذا نام واحفظه اذا قام فقال معاوية ما رأيت أعجب من هذه المرأة فقال أبو الاسود يا أمير المؤمنين انها تقول من الشعر أبياتا فتجيدها قال فتكلف أنت لها أبياتا لعلك أن تبهرها بالشعر فقال أبو الاسود

مرحبا بالتى تجور علينا * ثم أهلا بحامل محمول
أغلقت بابها على وقالت * ان خير النساء ذوات البعول
شغلت قلبها على فراغا * هل سمعتم بفارغ مشغول

فقالت

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن حاد عن منار السبيل
كان حجرى فناءه حين يحبى ثم ثديى سقاؤه بالاصيل
لست أبغى بواحدى يا ابن حرب بدلا ما رأيته والجليل

(فقال معاوية رضى الله عنه)*

ليس من قد غذاه طفلا صغيرا * وسقاه من ثديه بالجدول
هى أولى به وأقرب رحما * من أبيه وفى قضاء الرسول

ثم دفعه معاوية اليها (قوله زفر) أى تنفس بغيظ والزفر والزفير رد النفس فى جوفه حتى تنتفخ عروقه قال ابن عرفة الزفير من الصدر والشهيق من الحلق (الشواظ) النار بغير دخان و(زفيره) صوت اتقاده (استشاط) اشتد غيظه وانتشر فى جسده (يا جار) ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قذف امرأته جلد يوم القيامة مائة جلدة بسياط من نار و(الغصة) ما يختنق به و(البعل) الزوج وأراد انها مؤذية يشقى بها زوجها وجارها كما شقى صاحب الغصة (تعمدين) تقصدين (الخلوة) الانفراد (الحفلة) الاجتماع (بنيت عليك) أى تزوجتك وكانت

فزفر أبو زيد زفير الشواظ
واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا جار
يا غصة البعل والجار
أتعمدين فى الخلوة لتعذيبى
وتبدين فى الحفلة تكذيبى
وقد علمت انى حين بنيت
عليك

العرب اذا تزوج الرجل بنى على أهله قبة فيسمى دخول الزوج بناء لذلك (رنوت) نظرت (الفينك) وجدتك (قدة) شركة تقد من جلد غير مدبوغ و (الليفة) واحدة ليف النخل وهى التى تكون بين الجرائد (هيضة) هى التخمة تؤل الى القيء والاسهال و (قشرة) الشيء ما علا عليه (ودجلة) نهر العراق وعليه بغداد والبصرة وواسط على جرفها ويجرى على وجه الارض أربعمائة فرسخ ولم يحمل الحريرى مبالغة السعة على هذه وانما أراد دجلة العوراء وهى التى انتشر ماؤها فى البطاح حتى صارت سعتها هنالك ثلاثين فرسخا فى مثلها وقال ابن سكرة يهجو امرأته السعة

لاتعذليني على ماكان من ملل * من ذا رآك ولا يصبو الى الملل
ان كنت أبصرت أشنى منك فى بصرى * فلا بلغت الذى أهواه من أملى
البحر أنت وأيرى ليس من سمك * وليس بينى وبين البحر من عمل

قال هشام بن عبد الملك للابرش الكلبى زوجنى امرأة من كلب فزوجه فقال له ذات يوم يهزل معه تزوجنا الى كلب فوجدنا فى نسائهم سعة فقال الابرش يا أمير المؤمنين ان نساء كلب خلقن لرجال كلب وسمع رجل من كندة رجلا يقول وجدنا فى نساء كندة سعة فقال ان نساء كندة مكاحل فقدت مراودها قيل لامرأة تطلق كثيرا ما بالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم (قوله فسترت عوارك) ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسلم اطلع على عورة مسلم فأذاعها عليه شمانة وعدوانا الا كان حقا على الله أن يفضحه عاجلا أو آجلا ومن سترها عليه كان حقا على الله ان يدخله فى ستره وحجابه يوم تبلى السرائر وتخرج المخبآت (حبتك) اى خصتك و (شيرين) هى بنت ابرويز بن هرمز وكانت آية فى الجمال وغاية فى الحسن والكمال فاقت نساء زمانها صيانة وظرفا وبهرتهن ملاحة ولطفا وخلفت فى العراق آثارا منها قصر شيرين ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية و (زبيدة) هى بنت جعفر بن عبد الله بن أبى جعفر المنصور زوجها هرون الرشيد وجدها المنصور وعمها المهدى وابنها الامين فكانت الخلافة قد اكتنفتها وليس فى بنى هاشم عباسية ولدت خليفة الاهى ولدت فى حياة المنصور فسميت أمة العزيز وكان المنصور يرقصها ويقول يا زبيدة أنت زبيدة فغلب ذلك على اسمها وكانت أموالها لا تحصى وأنفقت فى سبيل الله وفى الحج وفى بناء المساجد والقناطر ما لم ينفقه أحد قبلها فمن ذلك ما أنفقت فى حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لها فى كل رفع وخفض حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف ألف وسبعمائة ألف دينار دون ما كان فى وقت الشغل بها فى البذل وماءتم أهل الفاقة ولها فى طريق مكة من العراق آثار كثيرة فى مصانع حفرتها وبرك أحدثتها تنزل وفود الحج عليها فلا تجد ماء الا فيها فيشربون ويسقون ابلهم ويتزودون وهم فى الكثرة اعداد لا يحصيهم الا خالقهم والكل داعون لزبيدة الى زماننا هذا وأما آثارها الملوكية فانها أول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وبلغ ثوب وشى اتخذ لباسها خمسين ألف دينار وهى أول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس وكلاليبها من الذهب ملبسة بالوشى والديباج وأنواع الحرير الملون وهى أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجوهر وشماع العنبر ولما

ورنوت البك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبوران بفرشها

(ترجمة زبيدة)

أفضى الامر الى ابنها الامين رفع منازل الخدم ككوثر وغيره فلما رأت حبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت خصورهن وبعثت بهن اليه فاستحسنهن وأبرزهن للناس فسموهن الغلاميات وأخبارها كثيرة وعندما قتل الامين دخل عليها بعض خدمها فقال لها ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين فقالت ويلك وما أصنع قال تخرجين وتأخذين بدمه كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الدماء ثم أمرت بثيابها فسودت ودعت بدواة فكتبت الى المأمون

أخير امام قام من خير عنصر * وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم * الى الملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعينى تستهل دموعها * اليك ابن عمى من جفونى ومحجرى
أصبت بادنى الناس منك قرابة * ومن زال عن عينى فقل تصبرى
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فى فعله بمطهر
فأبرزنى مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالى وحرق أدورى
يعز على هرون ما قد لقيته * وما نالنى من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى قربة متذكر
فان كان ما أبدى لامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
وان كان ما قد كان منه تعديا * على أمير المؤمنين فغير

فلما قرأها المأمون بكى بكاء شديدا ثم قال انى لاقول كما قال على أمير المؤمنين حين بلغه قتل عثمان رضى الله عنهما والله ما أمرت ولا رضيت اللهم خلل قلب طاهر حزنا قال ابراهيم الجوفى رأيتها فى المنام فقلت لها ما فعل الله بك فقالت غفر لى فقلت بما أنفقت فى طريق مكة فقالت أما النفقات فرجعت أجورها الى أربابها وغفر لى بنيتى * وأما بوران فهى خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل تزوجها المأمون على يد اسحق الموصلى وفى هذا الزويج قصة الزنبيل وهى طويلة طريفة نذكرها على جهة الاختصار حدث اسحق الموصلى قال بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه فقال يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين وأدام سروره وفرحه فأخذ بيدى وأدخلنى فى مجالس غير التى كان فيها فأخذنا من لذتنا وشرابنا حتى غربت الشمس فقال قد عزمت على دخلة الى دار الحرم فلا ترم حتى آتيك فنهض وبقيت الى عامة الليل وكان المأمون أشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن فقلت فى نفسى هو فى لذة وأنا فى غير شئ وتذكرت صبية اشتريتها وكنت عزمت على افتضاضها فنهضت الى الباب فقال الحاجب أين تريد فقلت الانصراف قال فان طلبك قلت هو من لذة السرور فى شغل عن طلبى فقيل لى ان علمنا انك استبطؤك وانصرفوا فجئ بدابة فركبتها ومشيت فأحسست بالبول فعمدت الى زقاق لابول فبلت وقت لا تمسح بالحيطان اذا أنا بشئ معلق من تلك الدور فنهضت فاذا زنبيل كبير بأربع آذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت أتروى فى أمره ثم قلت والله لاجلس فيه كائنا ما كان فجلست فلما أحس بى الذين يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا أربع

(ترجمة بوران وقصة الزنبيل)

جوار يقلن لي انزل بالرحب والسعة فمشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار نظيفة الى مجالس مفروشة لم أر مثلها الا في دار ملك فجلست فما شعرت الا بعد ساعة حتى أزيلت ستور كانت في ناحية الدار واذا بوصائف يتماشين في أيديهن الشمع وبعضهن بمجامر يحرق فيها العود وبينهن جارية تتهادى كأنها البدر الطالع فنهضت قائما فقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم استطردت الى سؤالي أبدع استطراد فقلت انصرفت من عند بعض اخواني وغرني الوقت وحركني البول فعدلت الى هذا الزقاق فوجدت زبيلا معلقا فحملني النبيذ أن جلست فيه قال كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لا ضير أرجو أن تحمد عاقبة أمرك قالت فما صناعتك قلت بزاز من بغداد قالت فهل رويت من الاشعار شيأ قلت شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين قالت صدقت فأنشدتني لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم وأنا مستمع لا أدري مم أعجب أمن حسنها أم من أدبها أم من حسن روايتها وجودة ضبطها للغريب أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ثم قالت أذهب ما كان عندك من الحصر قلت اي والله قالت فان رأيت أن تنشدنا فأنشدتها لجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوقة هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر وقالت الممالحة أول الرضاع فدونك وجعلت تقطع وتضع بين يدي وفي المجلس من صنوف الرياحين وغرائب النوا كه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم سكبت لي قدحا فشربت ثم قالت هذا أوان المذاكرة بالاخبار وأيام الناس فاندفعت فقلت بلغني انه كان كذا وكان رجل يقال له كذا حتى أتيت على عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبي ان يكون أحد من التجار يحفظه شيء هذا وانما هذه أحاديث ملوك فقلت كان لي جار ينادم الملوك فاذا تعطل حضرت معه فربما حدث بما سمعت فأخذتها عنه فقالت لعمري لقد أحسنت الحفظ وما هذا الا لقريحة جيدة وأخذنا في المذاكرة اذا سكت ابتدأت هي واذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا عامة الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار فرحا فقالت انك من الرجال وضيء الوجه بارع الادب وما بقي عليك الا شيء واحد قلت وما هو فقالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار فقلت والله لقد عيا كلفت به ولم أرزقه فأعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت أحب ان أسمع في مجلسي هذا منه شيأ لتكمل ليلتي قالت كأنك عرضت بنا قلت والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل وأنت جديرة باستتمامه فأحضر عود بأمرها فغنت بصوت ما سمعت كحسنه مع حسن أدائه وجودة الضرب فقلت والله لقد أكمل الله فيك خلال الفضل وحباك بالكمال الراجح والعقل الوافر والاخلاق الرضية والافعال السنية قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه قلت لا والله قالت الشعر لفلان وكان سببه كذا والغناء لاسحق قلت واسحق هذا جعلت فداك في هذا الحال قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن قلت سبحان الله لقد أعطى هذا ما لم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه فلم نزل كذلك حتى اذا انشق الفجر أقبلت عجوز كأنها داية لها قالت أي بنية ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت مصاحبا لتستر ما كانفسه فان المجالس بالامانات فقلت جعلت فداك أفأحتاج الى وصية في ذلك وودعتها وجارية بين يدي الى باب الدار ففتح لي وخرجت الى داري فصليت الصبح ونمت فأتاني رسول

المأمون فسرت اليه فلما رآني قال يا اسحق تشاغلنا عنك فما كان حالك قلت اشتريت صبية
وكنت معلق القلب بها فمضيت لها وشربت معها ونمت فقال بتهيأ مثل هذا فهل لك فيما كنا فيه
أمس فقلت وما يمنع من ذلك فنهضت الى مجلس أمس فلما كان العشاء قال لا ترم فاني أجيئك
ونهض فتأملت ما كنت فيه البارحة فاذا هو شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت فقال الغلمان الله
الله فانه انكر علينا تخليتك فوعدتهم ان آتي قبل ان يجيء وان خروجي لعذر وفي الحين أرجع
فنهضت الى الزنبيل فجلست فيه فرفع بي الى موضع البارحة فاذا هي قد طلعت فقالت لقد
عاودت فقلت ولا أظن الا اني قد ثقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام قلت فهو ثقيل بالفضل
قالت قد فعلنا ولا تعد فاخذنا في مثل الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء
منها الى الفجر فانصرفت الى منزلي وصليت ونمت فأتى رسول المأمون فلما رآني قال أبيت
الا مكافأة لنا فقلت والله يا أمير المؤمنين ما ذهبت الى ذلك ولكن ظننت ان أمير المؤمنين قد
تشاغل عني بلذته وأغفل أمري وجاء الشيطان فذكرني أمر تلك الملعونة فبادرت قال فما كان
منك قلت قضيت الحاجة منها قال فقد انقضى ما كان بقلبك منها واحدة بواحدة والبادي أظلم
قلت بل أنا أظلم واليك المعذرة قال لا تثريب عليك فهل لنا في مثل حالنا أمس قلت اي والله
فقمنا الى موضعنا الى الوقت فقال يا اسحق ما عزمك قلت لا عذر لي قال فعزمت عليك لتجلس
حتى أجيء فاني عازم على الصبوح وقد نعست على منذ يومين قلت فالليلة ان شاء الله فما هو الا أن
غاب وجالت وساوسي فلما تذكرت ما كنت فيه البارحة هان على ما يلحقني من سخطه فوثبت
مبادرا فوثب الي جند الدار وحبست فقلت الله الله اني معلق البال ببعض ما في منزلي فقالوا اما الى
تركك من سبيل فلم أزل أرغب هذا وأقبل يد هذا ووهبت خاتمي لهذا وردائي لهذا وخرجت
أعدو حاسرا حتى وافيت الزنبيل فقعدت فيه فرفعت الى موضعي وأقبلت فقالت صديقنا قلت
اي والله قالت أجعلتها دار مقام فقلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاث فان رجعت فأنتم في
حل من دمي قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا في مثل تلك الحال فلما قرب الوقت علمت ان
المأمون لابد أن يسألني ولا يقنع مني الا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم
أحسن مني وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأنا حسنة من حسناته وهو أعرف خلق الله بغناء
اسحق الموصلي قالت طفيلي وتقترح قلت لها أنت المحكمة قالت ان كان ابن عمك على ما تصف
فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا على
وجاؤني جلاء عنيفا فوجدته على كرسي وهو مغتاظ فقال يا اسحق أخروجا عن الطاعة قلت لا والله
قال فما قصتك وما هذا الانحراف فأصدقني قلت في خلوة فأومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته
الحديث وقلت له قد وعدتها في أمرك قال قد أحسنت ولولا ذلك لنكلت بك فقلت قد سلم الله
فأخذنا في لذتنا في ذلك اليوم وهو لا يسمع مني غير حديثها فلم يتم النهار الا والمأمون معلق القلب
فلما جاء الوقت سرنا وأنا أوصيه وأقول تجنب ان تطهرني بحضرتها ودعني من نخوة الملك وكن لي
تبعا وهو يقول نعم وبلك وان قالت غن كيف اصنع قلت أنا أدفعها عنك ثم سرنا الى زنبيلين
فقعدنا فيهما فرفعنا الى الموضع فاقبلت فسلمت فما تمالك اذ رآها ان بهت في حسنها وقالت لي والله
ما أنصفت ابن عمك اذ لم ترفع منزلته وكان قد قعد دوني فقالت ارتفع فديتك أنت جديد وهذا قد

صار من أهل البيت فنهض الى صدر البيت وأقبلت تذاكره وتناشده وتمازحه وهو يظهر عليها فى كل فن ثم أحضر النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه ومسرورة به وهو أكثر وأخذت العود فغنت صوتا وقالت وابن عمك هذا من التجار قلت نعم قالت انكما لغريبان فلما شرب المامون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ثم رأيته ينظر الى نظر الاسد الى فريسته فصاح يا اسحق فنهضت وقلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى كلة مضروبة فدخلتها فلما فرغ من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فسألت عجوزا فقالت هو الحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له ألك ابنة قال نعم بوران قال فزوجنها قال لا والله قال فانى أخطبها اليك قال هى أمتك وأمرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا تحملها اليك صبيحة يومنا فاذا قبضت المال فاحملها الينا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحق لا يقف على ما وقفت عليه أحد فسترت الحديث الى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد ما اجتمع لى فى تلك الاربعة الايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة بوران بالليل ووالله ما رأيت أحدا من الرجال فى ملوكهم مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا وما أظن أحدا وقف من العالم على ما وقفت عليه * وفى المسعودى انحدر المأمون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة بنت الحسن بن سهل ونثر الحسن فى ذلك الاملاك مالم ينثره قط ملك فى جاهلية ولا اسلام نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار وأسماء دار ودواب وغير ذلك فاذا وقعت البندقة بيد الرجل فتحها فيجدها على قدر سعده ثم نثر بعد ذلك الدنانير والدراهم ونوافج المسك على عامة الناس وأنفق على المأمون وعلى جميع قواده فلما أراد المأمون الانصراف الى مدينة السلام قال له يا أبا محمد سل حوائجك قال نعم يا أمير المؤمنين أسألك أن تحفظ على مكانى من قلبك فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والاهواز لسنة * وذكر الحريرى فى الدرة ان المأمون لما بنى على بوران فرش له حصير منسوج بالذهب مامسه أحد وعليه در منثور فوجه الحسن الى المأمون ان هذا نثار يجب أن يلقط فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء شرفن أبا محمد فمدت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة وبقى باقى الدر يلوح على الحصير المذهب فقال قاتل الله أبا نواس لقد شبه بشئ مارآه قط فأحسن فى وصف الخمرة والحباب الذى فوقها فقال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة ويقال ان الحسن بن سهل نثر فى ذلك العرس على المأمون ألف حبة جوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل فأمر له المأمون بمائة ألف ألف درهم واقطعه مدينة فم الصلح وهى قريبة من واسط وكان العرس بها * وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرفوا فى هذا العرس نيفوا على السبعين ألفا وكانت جراية السلطان عليهم ولما بنى المأمون على بوران وأراد غشيانها حاضت فقالت أتى أمر الله فلا تستعجلوه فنام فى فراش آخر فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنؤنه ويدعون له فأنشدهم

بديها
فارس فى الحرب منغمس * عارف بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته * فاتقته من دم بدم

وأكثر الشعراء في ذلك الاملاك واستظرف منها قول ابن أبي حازم الباهلي

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن بنت من

فلما وصلت الى المأمون قال لا والله ماندري أخيرا أراد أم شرا ويشبه هذا ان رجلا أتى رجلا خياطا بثوب ليقطع له منه قميصا فقال والله لأفصلنه لك تفصيلا لايدري أقميص هو أم قباء ففعل ذلك فقال له صاحب الثوب وأنا والله لأدعون لك دعاء لايدري ألك هو أم عليك وكان الخياط يسمى بشرا وكان أعور فقال

خاط لي بشر قباء * ليت عينيه سواء

وأتت المأمون بجهاز لم يسمع بمثله قط كان فيه الفرش منسوجة بالذهب وقال ابراهيم بن العباس الصولي يهني الحسن بصهارة المأمون

هنتك أكرومة جالت نعمتها * أعلت وليك واجتثت أعاديكا

ما كان يحبابها الا الامام ولا * كانت اذا قرنت بالخلق تعدوكا

وماتت بوران في سنة احدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة * وثم بوران أخرى وهي بنت كسرى وأمها مريم بنت قيصر ملكت سنة ونصفا وليست المعنية في المقامة (وأما بلقيس) فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا وكان سبب مراسلة سليمان اليها انه فقد الهدهد وبه يعرف قرب الماء من بعده فنزل سليمان عليه السلام بمفازة فدعا بالهدهد فلم يوجد فقال وهو غاضب مالي لاأرى الهدهد الآيات وكان الهدهد قد مر بعرش بلقيس وبساتينها فلما رجع تلقته الطير فقالوا توعدك رسول الله بنتف ريشك أو بذبحك فينقطع نسلك فقال وما استثنى قالوا بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين أي بعذر مبين فأتى سليمان فقال ماغيبك عني قال أحطت بما لم تحط به حتى بلغ فانظر ماذا يرجعون قال سننظر أصدقت الآيات فوجهه بالكتاب فوافقها في قصرها فسد عليها الكتاب ضوء طاق فالتفتت فألقى اليها الكتاب فأخذته وغطته بثوب ونادت في قومها فقالت يا أيها الملأ الآيات فقالوا لها نحن أولو قوة الآيات ثم قالت ان قبل الهدية فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وان لم يقبلها فهو نبي من عند الله فلما رجع بالهدية قال سليمان أتمدونن بمال الى وهم صاغرون فلما رجع اليها رسلها بالخبر خرجت فزعة في قومها قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعها ألف قيل وأهل اليمن يسمون القائد القيل مع كل قيل عشرة آلاف وكان سليمان مهيبا لايبدؤه أحد بشئ حتى يسأل عنه فخرج فرأى رهجا قريبا منه فقال ماهذا قالوا بلقيس قال وقد نزلت منا بهذا المكان ثم قال أيكم يأتيني بعرشها فأتاه به الذي عنده علم من الكتاب قبل ماقطع كلامه وصرف بصره فرآه مستقرا عنده فقال هذا من فضل ربي ثم جاءت بلقيس وقعدت الى سليمان فقيل لها أهكذا عرشك فنظرت اليه وقالت كأنه هو ثم قالت تركته في قصري والجنود محيطة به فكيف جيء به وكانت شعراء الساقين فقالت الجن ان نكحها سليمان فولدت له غلاما ما انفك من العبودية أبدا فهلم نبني له بنيانا فيرى شعرها فيسه فلا يتزوجها فبنوا له صرحا أخضر من قوارير كأنه الماء وجعلوا في باطن طرائقه كل شئ من الدواب والسمك وغيره وألقى لسليمان كرسي في أقصاه فلما رآى مه مارأى قعد عليه ودعا بها فلما رأت صور

وبلقيس بعرشها

(ذكر بلقيس وعرشها)

السمك فيه حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فأبصر شعرها سليمان فصرف بصره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب انى ظلمت نفسى الآية فقال سليمان للجن ما يذهب الشعر فقالوا له النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام وذكر ابن اسحق أنها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك أزوجكه فقالت ومثلى ينكح وقد كان لى من الملك والسلطان ما كان فقال لها ما ينبغى أن تحرّمى ما أحل الله لك فزوّجها ذا تبع ملك همدان وملكه اليمن وردها معه فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان وكانت بلقيس من بيت المملكة قيل انها ولدها أربعون ملكا واختلف فى أمها فقيل انسية وقيل جنية (وأما عرشها) وهو سريرها فقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه كذلك وكان عرشها صفائح من ذهب وفضة قد ركبت فيه فصوص الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والدر واللؤلؤ وكان له قائمتان من ياقوت وقائمتان من زبرجد والملك لله وحده الذى سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجع الطرف *وذكر الحريرى فى الدرة أن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لان كل أعجمى يعرب فقياسه أن يلحق بامثلة كلام العرب قال وعلى ذلك بلقيس وقرأت فى أخبار سيف الدولة أن الخالديين مدحاه فبعث اليهما وصيفا ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشأم فكتبا اليه

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقا * الا ومالك فى النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدرا أشرقت * بهما الدينا الظلمة الحندس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف * وغزالة هى بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه * حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهى تحمل بدرة * وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا مما أجادت حوكه * مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس

والزباء بملكها ورابعة بنسكها

فلما قرأها سيف الدولة قال احسنا الا فى لفظ المنكوح اذ ليست مما يخاطب بها الملوك وهذا من بديع نقده المليح وشواهد ذكائه الصريح (وأما الزباء) فقد تقدم ملكها فى الرابعة والعشرين (وأما رابعة) فهى بنت اسمعيل العدوية وكانت قد بلغت من النسك والفضل والزهد منزلة شريفة وكانت منورة البصيرة مطهرة السريرة حظيت بالمكاشفات الربانية وكان سفيان الثورى يذهب اليها ويسألها عن مسائل دينية ويعتمد عليها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت له بعد أن حجبته أياما ثم أذنت له يا شهوان أى شئ رأيته فىّ من آية الشهوة الا خطبت شهوانية مثلك وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة العدوية فقامت الى محراب لها وقمت الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فقلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن نصوم له غدا *وزارها أصحابها فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موضعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره واحتاجت رابعة الى شئ فقيل لها لو بعثت الى فلان قريب لها فقالت والله لا أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها

(مناقب رابعة العدوية)

وحدث جعفر بن سليمان قال أخذ بيدى سفيان الثورى فقال لى سر بى الى المؤدبة التى لا أجدنى أستريح اذا فارقتها يعنى رابعة قال فلما دخلت عليها رفع سفيان يديه وقال اللهم انى

أسألك السلامة فبكت رابعة فقال لها ما يبكيك فقالت أنت عرضتني للبكاء فقال لها وكيف ذلك فقالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها وقال سفيان الثورى لرابعة رحمة الله عليهما ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوف النار ولا رجاء الجنة فأكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت فى معنى ذلك

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاك

فاما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عن سواك

وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى الحجب حتى أراك

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وقيل لها كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت شغلنى حب الخالق عن حب المخلوقين ودخل سفيان عليها وهى قائمة تصلى فلم تعرج عليه ودخل جعفر وكان يخدمها فقال لسفيان أى شئ دار بينك وبينها قال ما كلمتنى فقال لها ياسبحان الله الشيخ جاء اليك فما كلمتيه فقالت ان العبد اذا كان مقبلا على الله عز وجل كان الله مقبلا عليه وقد كنت مقبلة على الله عز وجل ولست أشك فى اقباله على فأيما أحب اليك أن اكون مقبلة على الله ويكون مقبلا على أو أقبل على هذا ثم قالت الله أكبر وقال لها رجل انى أحبك فى الله فقالت فلا تعص الذى أحبنى له وأنشدت

أتضمن يافتى ترك المعاصى * وأرهنه الكفالة بالخلاص

أطاع الله قوم فاستراحوا * ولم يتجرعوا غصص المعاصى

(وأما خندف) فهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى امرأة الياس بن مضر ولدت منه عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة فندت لهم ابل فخرجوا فى طلبها فأدركها عمرو فسمى مدركة واقتنص عامر أرنبا فطبخها فسمى طابخة وانقمع عمير فى بيته فسمى قمعة فلما أبطؤا عليها خرجت فى اثرهم فقالت ما زلت أخندف فى اثركم فلقبت خندف والخندفة الهرولة وهى ام عرب الحجاز وجميع ولد الياس من خندف وللخندف ينسبون وجميع ولد مضر من الياس وخندف فمن مدركة كنانة واسد ابنا خزيمة ومن طابخة ضبة بن طابخة ومزينة والرباب وهم عدى وتيم بن مر بن أد بن طابخة وثور وعكل بن مدركة وقريش وهو فى كنانة * ومنها اسيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما فى كنانة من الشجعان المشاهير فى الجاهلية ومن طابخة تميم وهى أكبر قبيلة فى العرب واشجعها وهى عدد لا يحصى وعز لا يدرك وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودعا ببردين فقال ليلبس هذين البردين أكرم العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة فأحجم الناس فقام الاحجر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلبس احدهما وارتدى الآخر فقال له المنذر ما حجتك فيما ادعيت قال الشرف من نزار فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى بهدلة قال هذا انت فى اصلك فكيف انت فى عشيرتك قال انا ابو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال هذا انت فى عشيرتك فكيف انت فى نفسك فقال شاهد العين شاهدى ثم قام فوضع قدمه فى الارض وقال من ازالها فله مائة من الابل فلم يقم اليه احد وفى ذلك يقول الفرزدق

وخندف بفخرها

(* ذكر خندف) *

فـانم في سـعدوله آل مالك * غلام اذا ماقيل لم يتهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق * بمجد معد والعديد المحصل

فلخندف هذا الفخر في الجاهلية ثم النبوة ثم الملك الى يوم القيامة وفيها يقول الراجز
* وخندف هامة هذا العالم *(واما الخنساء) فهي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل
سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
قومها بني سليم ولسليم في الاسلام سابقة حسنة حضر منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح
مكة وحرب حنين ألف رجل وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء
ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخنساء ونظرتها عائشة رضي الله عنها وعليها
صدار من شعر فقالت ياخنساء أتلبسين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لم اعلم بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للصدار سبب كان زوجي رجلا متلافا
فأملق وأراد ان يسافر فقلت له أقم حتى آتي اخي صخرا فأتيته فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت
اليه فعاد بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدت اليه في الثالثة والرابعة فقالت له زوجته ان هذا المال
متلف فامنحها شرارها فقال

والله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت خرقت خمارها * واتخذت من شعر هاصدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وقيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه الفاعلة يعني الخنساء
قيل له فبم فضلتك قال بقولها

ان الزمان وما تفنى عجائبه * أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وأرماس
ان الجديدين في طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فأجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها وكان النابغة الذبياني يجلس
لشعراء العرب بعكاظ على كرسي ينشدونه فيفضل من يرى تفضيله فانشدته في بعض المواسم
فأعجب بشعرها وقال لها والله لولا ان هذا الاعمى انشدني قبلك يعني الاعشى لفضلتك على شعراء
هذا الموسم وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء
فقال تلك كان لها اربع خصى ومن جيد ما رثت به صخرا قولها

ألا يا صخر ان أبكيت عيني * لقد أضحكتني دهرا طويلا
بكيتك في نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حي * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه

يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلس
ولم أر مثله رزأ لجن * ولم أر مثله رزأ لانس
يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأبكيه لكل غروب شمس

(ذكر الخنساء)

والخنساء بشعرها في صخرها

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتاسى

ومنه أيضا
أبعد ابن عمرو من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها
لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها
فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها
فخر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

ومنه أيضا
أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرئ الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

ومنه أيضا
تعرقنى الدهر نهشا وحزا * وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وافنى رجالى فبادوا معا * فأصبحت من بينهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذا الناس اذ ذاك من عز بزا
وكانوا سراة بنى مالك * وفخر العشيرة مجدا وعزا
جز نا نواصى فرسانها * وكانو يظنون ان لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحرو * ب أن لا يصاب فقد ظن عجزا

ومنه أيضا
يا صخر وارد ماء قد تبادره * أهل المياه وما فى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان انياب وأظفار
وما عجول على بو تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار
يوما بأوجع منى حين فارقنى * صخر فللدهر احلاء وامرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وحدث المفضل قال كنت جالسا يوما على باب منزلى أحتاج الى درهم واحد وعلى دين عشرة آلاف درهم اذ جاءنى رسول المهدى فقال أجب أمير المؤمنين فقلت فى نفسى وما بعثه الى لعل ساعيا سعى بى عنده ثم دخلت منزلى ولبست ثيابى وسرت اليه فلما مثلت بين يديه أوما الى بالجلوس فلما سكن جاشى قال لى يا مفضل ما أفخر بيت قالته العرب فارتج على ساعة ثم قلت يا أمير المؤمنين قول الخنساء فاستوى جالسا وكان متكئا فقال أى فقلت قولها

* وان صخرا لتأتم الهداة به * البيت فقال قد قلت له فأبى على وأوما الى اسحق بن بزيغ قلت الصواب مع أمير المؤمنين ثم قال يا مفضل حدثنى فحدثته حتى انتصف النهار قال أنشدنى فأنشدته قول الحسن بن مطير الاسدى

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها * فقيرا ويثرى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة * وأخرى صفا بعد كدر غديرها
فلا تقرب الامر الحرام فانه * حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان المهدى رقيقا فبكى وقال يا مفضل كيف حالك فقلت كيف يكون حال من عليه عشرة آلاف درهم وليس معه منها درهم واحد قال يا اسحق أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شانه ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكى وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت انى رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان فى الناس من هو أعظم من رزأة منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت عن ذلك وقالت

هريقى من دموعك واستفيقى * وصبرا ان أطقت ولن تطيقى
وقولى ان خير بنى سليم * وأكرمهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالى * وأيام لنا بلوى الشقيق
واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق
فنبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأى محمود الصديق
فلا والله لا تسلاك نفسى * لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكنى رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

وأما أبو العباس المبرد فقال وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو وكان أخاها لابيها وكان أحبهما اليها واستحق ذلك لامور منها انه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا فى العشيرة ثم أنشد الابيات المتقدمة وكان صخر أجمل رجل فى العرب وكان سبب قتله انه جمع جمعا وأغار على بنى أسد بن خزيمة فنذروا به والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه فطعنه ربيعة بن ثور الاسدى فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاستعل منها وسار الى أهله فاندمل عليه الجرح وتأمنه مثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يقول لامرأته كيف صخر اليوم فقالت لا حى فيرجى ولا ميت فينعى ولقد لقينا منه الامرين وامرأته بديلة الاسدية وكان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه فلما سمع قولها علم أنها برمت منه ورأى تحزن أمه عليه فقال

أرى أم صخر لا تجف دموعها * وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
فأى امرئ ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فقال

أجارتنا ان الخطوب قريب * على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فلما مات دفن فى أرض بنى سليم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسية مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله الا هو

انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا القتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة * وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض رضى الله تعالى عنه (قوله قعيدة رحلى) أى امرأة بيتى وناقة (طروقة) بلغت أن يطرقها الفحل و(انفت) استنكفت وكرهت (تذمرت) غضبت وتذمر الرجل اذا رأى ما يكرهه فغضب وتهدد والذمر اللوم والحض وذمر قائد الجيش أصحابه يذمرهم اذا لامهم وأسمعهم ما يكرهون ليجدوا فى القتال (تمرت) تغيرت وتشبهت بالنمر ولا يوجد النمر الا مستنكرا غضبانا ونمر الرجل وتنمر تنكر وتغير (حسرت عن ساعدها) شمرت عن ذراعها (أطيش) أخف والطيش خفة العقل (والطامر) البرغوث يقال له طامر بن طامر * قال الاصمعى كنت بالبادية فرأيت أعرابيا قد بسط كساءه ليفليه فى الشمس فوقفت أنظر اليه فجعل يأخذ البراغيث ويدع القمل فقلت له لم تأخذ بعضا وتدع بعضا فقال أبدأ بالفرسان ثم أعكر على الرجالة * سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه نبه نبيا من الانبياء لصلاة الفجر * أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا الى قوله المتوكلون فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فانك تبيت الليلة آمنا من شرها (شنارك) عيبك وعارك (تفرى) تقطع وفرى يستعمل فى القطع على جهة الاصلاح وقد جاء هنا فى الافساد ومنه قول الشاعر

فرى نائبات الدهر بينى وبينها * وصرف الليالى مثل ما فرى الجلد

ابن سيده فرى الشئ يفريه فريا وفراه تفرية كلاهما شقه وأفسده وأفراه أصلحه والمتقنون من أهل اللغة يقولون فرى شق للافساد وأفرى للاصلاح وقيل افراه أفسده وفراه قطعه للاصلاح قال الاصمعى رحمه الله أفرى الجلد مزقه وأفسده يفريه افراء وفرى المزادة يفريها فريا خرزها و(القلامة) ما يقص من الظفر وبها يتعلق وسخه فهى مع حقارتها مستقذرة *وأما (أبو دلامة) فاسمه زند بالنون ابن الجون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد أدرك آخر أيام بنى أمية ونبغ فى أيام بنى العباس ومدح السفاح والمنصور والمهدى وكان صاحب نوادر وملح وكان خليعا فاسد الدين ردىء المذهب وقد تقدم له شئ من ذلك فى الصلاة والحج ونذكر له ههنا شيأ فى الصيام ونضيف له فنونا من سائر ملحه * وأما بغلته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها وكانت أشوه الدواب خلقة فى منظر العين وأسوأها خلقا فى مخبرها فكان اذا ركبها تبعه

الصبيان

لأنفت أن تكونى قعيدة رحلى وطروقة نخلى قال فتذمرت المرأة وتمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من طامر أترمينى بشنارك وتفرى عرضى بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة أبى دلامة

(ذكر أبى دلامة)

الصبيان يتضاحكون به وكان يقصد ركوبها في مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشماسها حتى نظم فيها قصيدته المشهورة وهي

أبعد الخيل أركبها كراما * وبعد الفره من حضر البغال
رزقت بغيلة فيها وكال * وليته لم يكن غير الوكال
رأيت عيوبها كثرت وليست * وان أكثرت ثم من المقال
ليحصي منطق وكلام غيري * عشير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها أني اذا ما * نزلت وقلت إمشي لا تبالي
تقوم فما تبت هالك شبرا * وترمحني وتأخذ في قتالي
واني ان ركبت اذيت نفسي * بضرب باليمين وبالشمال
وبالرجلين أركضها جميعا * فبالك في الشقاء وفي الكلال
أتاني خاتب يستام مني * عريق في الخسارة والضلال
وقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعي غير غال
فاقبل ضاحكا نحوي سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الي يخاوني خداعا * ومايدري الشقي بمن يخالي
فقلت بأربعين فقال أحسن * الي فان مثلك ذو سجال
فاترك خمسة منها لعلمي * بما فيه يصير من الخبال
فلما ان باعها مني وبتت * له في البيع غير المستقال
أخذت بثوبه أبرأت مما * أعد عليه من سوء الخلال
برأت اليك من مشي يديها * ومن جرد ومن بلل المحالي
ومن فتق بها في البطن ضخم * ومن عقالها ومن انتقال
ومن قطع اللسان ومن بياض * بعينيها ومن قرض الحبال
ومن عض الغلام ومن ضراط * اذا ماهم صحبك بارتحال
وأقطعى من فريخ الذرمشيا * بها عرن وداء من سلال
وتكسر سرجها أبدا شماسا * وتقمص للاكاف على اغتيال
ويدبر ظهرها من مس كف * وتهزم في الجمام وفي الجلال
تطل لركبة منها وقيذا * يخاف عليك من ورم الطحال
ومشغار تقسم كل سرج * تصير دفتيه على القذال
وتحفى لو تسير على الحشايا * ولو تمشي على دمث الرمال
اذا استعجلتها عثرت وبالت * وقامت ساعة عند المبال
وتضرط أربعين اذا وقفنا * على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقي وتحول بيني * وبين حديثهم فيما توالي
وتدعر للدجاجة ادتراها * وتنفر للصغير وللخيال
فأما الاعتلاف فادن منها * من الاتبان أمثال الجبال

وأما القت فأت بالف وقر * باعظم حمل احمال الجمال
فلست بعالف منها ثلاثا * وعندك منه عود للخلال
وان عطشت فأوردها دجيلا * اذا أوردت أونهرى بلال
فذالك ريها سقيت جما * وان مد الفرات فللنهال
وكانت قارحا أيام كسرى * وتذكر تبعا عند الفصال
وقد درت ونعمان صبى * وقبل فصاله تلك الليالى
وتذكر اذنشا بهرام جور * وعامله على خرج الجوالى
وقد مرت بقرن بعد قرن * وآخر عهدها لهلاك مالى
فابدلنى بها يارب طرفا * يزين جمال مشيته جمالى

وأنشدها المهدى فقال لقد أقلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين فى الاصطبل فقال ان كان الاختيار الى فقد وقعت فى شر من البغلة ولكن مره يختر لى فيفعل وفى القصيدة ألفاظ من الغريب أبينها فنها يقال واكلت الدابة وكالا أساءت السير ومحت ترمح ضربت برجليها والمشش داء فى قوائمها والجرد استرخاء العصب والعقال أن تنقبض القوائم ولا تنبعث والخراط الجماح والعرن حكة وشقاق فى القوائم وقد عرن عرنا وقمص يقمص ويقمص قمصا وقماصا رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن بيديه وقطا يقطو قارب الخطو وكان لابى دلامة برذون أعجف محطم هرم فدخل على المهدى يوما وبين يديه سلة الوصيف فقال يا أمير المؤمنين انى جلبت لبابك مهرا ليس لاحد مثله واحببت أن اهديه لك فان احببت ان تشرفنى بقبوله فأمر بادخاله فخرج وادخل برذونه فقال له المهدى اى شئ هذا ويلك ألم تزعم انه مهر فقال له ابو دلامة اوليس هذا سلة الوصيف قائما بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة فان كان سلة وصيفا فهذا مهر فجعل المهدى يضحك وسلة يشتمه فقال له المهدى ويلك ان لهذه اخوات والله ليفضحكن بك فى المحافل فقال والله يا امير المؤمنين لافضحنه فليس فى مواليك احد الا وقد وصلنى غيره فما شربت الماء قط فحكم عليه المهدى ان يشترى نفسه بثلاثة آلاف درهم فقال له سلة على أن لا تعاود فقال ابو دلامة افعل فحملها اليه ومما ينتظم بهذا النمط ان محمد بن عبيد الله بن خاقان حمل ابا العيناء على فرس فكتب الى ابيه اعلم الامير اعزه الله ان ابا محمد اراد ان يبرنى فعقنى وان يركبنى فأرجلنى امر لى بدابة تقف للنبرة وتعثر بالبعرة كالقضيب اليابس عجفاء وكالمهجور البائس دنفاء قد اذكر الرواة عروة العذرى والمجنون العامرى مباعد اعلاه لاسفله حباقه مقرون بسعاله فلو أمسك لترجيت ولو افرد لتعزيت ولكنه يجمعها فى الطريق المعمور والمجلس المشهور كأنه خطيب مرشد اوشاعر منشد يضحك من فعله النسوان و يتناعى من اجله الصبيان فن صائح بصير داوه بالطباشير ومن قائل يقول نق له الشعير قد حفظ الاخبار وروى الاشعار ولحق العلماء فى الامصار فلو اعين بنطق لروى بحق وصدق عن جابر الجعفى وعامر الشعبى ولم أوت من امر الامير أعزه الله وانما أتيت من كاتبه الاعور الذى اذا اختار لنفسه اصاب وأكثر واذا اختار لغيره اخبث وانزر فان رأى الامير ان يبدلنى ويريحنى بمركوب يضحكنى كما اضحك منى يمحو

بحسنه وفراهته ماسطره العيب بقبحه ودناءته ولست اذكر سرجه ولجامه لان الامير اكرم من ان يسلب مايهديه وينقص مايعطيه فوجه اليه ببرذون بسرجه ولجامه ثم اجتمع بابنه محمد عنده فقال له عبد الله شكوت دابة محمد وقد أخبرني انه يشتريه الا ن منك بمائة دينار وهذا ثمنه لايؤخر عنك فقال أعز الله الوزير لولم اكذب مستزيدا لم أذهب مستفيدا واني واياه لكما قالت امرأة العزيز انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (وقال ابن رشيق في بغل)

أوصيك بالبغل شرا * فانه ابن الحمار
لايصلح البغل الا * للكد والاسفار
كالعبد ان لم تهنه * جنى على الاحرار
ما اعتاض بغلا بطرف * الا أخو ادبار *

وله أيضا فيه

فاوصيكمو بالبغل شرا فانه * من العير في سوء الطباع قريب
وكيف يجيء البغل يوما بحاجة * تسر وفيه للحمار نصيب

وله من قصيدة

أو بغلة سفواء تعرض للفتى * فتخال تحت السرج أم غزال
سألت الى الام النجابة من أب * وزهت على الاعمام والاخوال
وكأنها قد أفرغت في قالب * لا أنها خلقت على تمثال *

وله من قصيدة ايضا

كأني بعض نجوم السماء * تصعد في الجو ثم انحدر
على رسلة من هبات الملو * ك سفواء ملمومة كالحجر
تعاون في جدل أعضائها * بنو أحذر وبنات الاغر

ولمحمد بن بشر الخارجي في بغلة

نزعت عن الخيل العتاق نجارها * منها وعتق سوالف ولبان
ولها من الاعيار عند مسيرها * نحة وطول صبارة ومران

رجعنا الى أخبار أبي دلامة * يحكى أن المهدي أو المنصور انشده ما أعجبه فكساه طيلسانا وأمر له بمال وعاهده أن لايشرب الخمر فخلف له وخرج الى بني داود بن علي فضحكوا به وقص عليهم خبره فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه فأعلم المهدي الخبر فأرسل فيه وأمر الرسول بسجنه وتخريق ساجه وأن لايمكن من قرطاس ولامداد ففعل به الرسول ذلك فاتبه في جوف الليل فنادى جاريته فقال له السجان طعنة في كبدك فقال له ويلك من أنت وأين أنا فقال له سل نفسك أين كنت عشاء أمس فاستحلفه من أنت فقال أنا السجان بعث بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمرني أن أحبسك مع الدجاج فقال أحب أن تسرج لي سراجا وتأتيني بدواة وقرطاس ولك عندي صلة فقال له أما السراج فنعم وأما القرطاس والدواة فقد أمرت أن لا أمكنك منهما فلما أتاه بالسراج وجد ساجه مخرقا ملطخا بزبال الدجاج ورأى نفسه جالسا بينها فقال له ادع لي ابي دلامة فدعاه فأمره أن يجيد حلاقة رأسه وأن يأتيه بفحمة ففعل فكتب على

رأس ابنه

أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيرا * ولكنى حبست مع الدجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى * فقيم حبستنى وخرقت ساجى
على أنى وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجى

ثم قال يا أمير المؤمنين هذه أمانة فاذا قرأتها فخرق الرقعة ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما فى رأسه فاتى الباب وصاح دعوة المظلوم فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر باد خاله فكشف رأسه وقال ان ظلامتى مكتوبة فى رأسى فأدنى منه حتى قرأها فاشتد ضحكه وعجب من حيلته وأمر باخراجه وقال ما كان أحوج هذه الرقعة ان تمزق ثم وصله بصلة ونهاه أن يوجد سكران * وخرج المهدى يتصيد ومعه على بن سليمان فسنح له قطيع من الظباء فارسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان سهما فصرع كلبا فقال أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا * شق بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيأ لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط ومن ملحه أنه دخل على المهدى وعنده وجوه بنى هاشم فقال أنا أعطى الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم فكلما نظر الى واحد غمزه بان عليه رضاه قال فعلمت أنى وقعت وانها عزمة من عزماته لابد منها فلم ار أدعى الى السلامة من هجاء نفسى فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزيرا يكون بلا عمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحكوا ولم يبق أحد الا أجازه وخرجت له صبية فأخذها على كتفه فبالت عليه فرمى بها وقال

بلت على لا حييت ثوبى * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم *

ولما خرجت الخيزران الى الحج تلقاها فصاح الله الله فى أمرى فسألته عن أمره فقال انى شيخ كبير وأجرك فى تعظيم تهبين لى جارية تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى وقد عزف جلدها جلدى وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فوعدته بها فلما جاءت من الحج دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة قد فعتها الى الخيزران

وفيها

أبلغي سيدتي ان * شئت يا أم عبيده
أنها ارشدها الله وان كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخـ * ـرج للحج وليده
انني شيخ كبير * ليس في بيتي قعيده
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو * ت طري في عصيده
ماحياتي مع أنثى * مثل عرسي بحميده

فضحكت واستعادت حوتا في عصيدة وهي تضحك ثم قالت لجارية خذي ماعندك في قسري وامشي اليه فلما بلغها الرسول منزله لم يجده فدفعها الى امرأته ودخل دلامة وأمه تبكي فسألها فأخبرته وقالت ان أردت بري يوما من الدهر فاليوم قال لها قولي ماشئت أفعله قالت تدخل اليها وتعلمها أنك مالكها فتطؤها فتحرم عليه والا شغلته بها عني وجفاني وجفا ابنه ففعل وجاء أبو دلامة فسألها عنها فقالت هي في ذلك البيت فدخل يريد اليها وذهب ليبلها فرأت شيخا محطما قبيح الوجه فقال تنح والا لطمتك لطمة دققت بها انفك فقال وبهذا أوصتك سيدتك فقالت انها بعثتني الى فتى من صفته كذا وكذا وقد نال حاجته مني آنفا فعلم أنه دهاه من دلامة وأمه فخرج ولطمه ولببه وحلف أن لا يفارقه الا الى المهدي فمضى على تلك الحالة حتى دخل الى المهدي فقال له ما بالك ويحك فقال له عمل بي هذا ابن الخبيثة مالم يعمله أحد بابيه ولا يرضيني الا أن تقتله وأخبره الخبر فضحك المهدي حتى استلقى وأبو دلامة يقول يعجبك فعله فتضحك منه فقال علي بالسيف والنطع فقال دلامة اسمع حجتي يا أمير المؤمنين كما سمعت حجته فقال هات فقال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمي منذ أربعين سنة فما غضبت ونكت جاريته مرة واحدة فغضب فضحك المهدي أشد من ضحكه الاول فقال دعها له وأنا أعطيك خيرا منها فقال على أن تخبأها بين السماء والارض والا ناكها كما ناك هذه وحلف لدلامة ان عاد ليقتلنه وجاء دلامة لابيه في محفل وجلس بين يديه وقال للجماعة ان شيخي كما ترون قد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه وبنا الى حياته حاجة وأنا لا أزال أشير عليه بشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني وأرغب اليكم أن تسألوه قضاء حاجة فيها اصلاح جسمه فقالوا حبا وكرامة فأخذوا أبا دلامة بالسنتهم فقال قولوا له الخبيث فليقل مايريد فستعلمون أنه لم يأت الا بلية فقال انما يقتله كثرة النيك ولا يدفعه عنه الا الخصاء فتعاونوني عليه حتى أخصيه فضحكوا منه كثيرا وقالوا لابيه قد سمعت فما عندك فقال قد عرفتكم انه لم يأت بخير وقد جعلت أمه حكما بيني وبينه فقوموا اليها فدخلوا عليها وقصوا القصة عليها فأقبلت على الجماعة وقالت ان ابني أبقاه الله قد نصح أباه وبره وأنا الى بقاء أبيه أحوج منه اليه الا ان هذا الامر لم تقع فيه تجربة عندنا ولا جرت به عادة وهو قد ادعى معرفة ذلك فليبدأ بنفسه فليخصها فاذا عوفي ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثرا محمودا استعمله أبوه على علم فجعل القوم يضحكون ويعجبون من اتفاقهم في الخبث وأمره المهدي أن يلزم المسجد في رمضان وقال له ان تأخرت فلشرب الخمر ولئن علمت ذلك لاقتلنك فشق عليه ذلك وتشفع اليه بكل انسان فلم يشفعه فأدخل الى ريطة رقعة وكان المهدي لايخالفها وفيها

أبلغا ريطة أنى * كنت عبدا لابيها
* فقضى يرحمه الله وأوصى بى اليها
جاء شهر الصوم يمشى * مشية لا أشتهيها
قائدا لى ليلة القد * ر كأنى أبتغيها
تنطح القبلة شهرا * جبهتى لا تأتليها
فاطلبى لى فرجا منـ * ـها وأجرى لك فيها

فضحكت وقالت يصبر حتى تمضى ليلة القدر فقال اذا مضت ليلة القدر فى الشهر وكتب اليها

خافى الهك فى نفس قد احتضرت * قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همى فأطلبها * انى أخاف المنايا قبل عشرينا
لا بارك الله فى خير أؤمله * فى ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا
يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا * يا ليلة القدر حقا ما تمنينا

فلما قرأتها ضحكت ودخلت الى المهدى فشفعها فيه وأخباره كثيرة وعلى قوله جاء شهر الصوم قال أبو القاسم الثعالبى أنشدنيه الفقيه أبو الحسين بن زرقون

أشهر الصوم ما مثلك عند الله من شهر
على انك حرمت * علينا لذة السكر
وقرع الكأس بالكأس * ورشف الثغر بالثغر
وانى والذى شر * ف أوقاتك بالذكر
وما أمسى يصلى فيك من شفع ومن وتر
لمسرور بأن تفنى * على أنك من عمرى

وأفضح من حبقة فى حلقة

وقال ابن المعتز

تجلى عشاء هلال الصيام * بنحس على الكأس والبربط
وكم من فتى راح بين القيا * ن نشوان ذا فرح مفرط
وكان نشيطا فلما رآ * ه همّ بهم ولم ينشط
فأعرض عنه كما أعرضت * فتاة عن الجانب الاشمط

وقال ابن رشيق

لاح لى حاجب الهلال عشاء * فتمنيت أننى من سحاب
قلت اهلا وليس اهلا لما قلـ * ـت ولكن أسمعتها أصحابى
مظهرا حبه وعندى بغض * لعدو الكؤس والاكواب

(الحبقة) الضرطة و(الحلقة) جماعة الناس وربما تؤدى فضيحتها امام القوم أن يموت صاحبها غما وقد وجد ذلك وحبق أعرابى فى جماعة فاستحيا فأشار نحو استه وقال انها خلف نطقت خلفا وذكر الحريرى أن مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحمادا الراوية كانوا يشربون ذات يوم ومعهم نديم لهم فبرزت منه فلتة فخجل وغاب عنهم أياما فكتب اليه مطيع

أمن قلوص غدت لم يودها أحد * الا تذكرها بالرمل أوطانا

خان العقال لها فاثبت اذ نفرت * وانما الذنب فيه للذى خانا
أظهرت منك لنا هجرا ومعتبة * وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
هوّن عليك فما فى الناس ذوابل * الاوأيتقه يشردن أحيانا

دخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ففرح به وأجلسه معه على سريره فحبق البديع حبقة منكرة ثم أراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال له بل صفير التحت فخرج البديع خجلا وانقطع عن الوصول اليه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيرى لا تذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تدفعها * اذ لست أنت سليمان بن داود

واحبوص بقة فى حقة وهبك الحسن فى وعظه ولفظه

تزوّج اعرابى امرأة فلما دخل عليها عابثها فضرطت فخرجت غضبى الى أهلها وقالت والله لا أرجع اليه أو يفعل ما فعلت فقال لها عودى لا أفعل فعادت فعابثها فضرطت أخرى فقال

طالبتنى دينا قد يما فلم * أقضك حتى زدت فى قرضك
فلا تلوميني على مطله * ان كان ذا دأبك لم أقضك

قيل لاعرابى ما تقول فى الضرطة فقال لا بأس بها وربما سببت الضرطة وأنا راكع فى الصلاة

قدم أبو علقمة الازدى على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى بالبصرة فقال الفضل لجلسائه اذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة معنا فليضرط أحدكم ثم الآخر ثم الآخر ولكن بين كل ضرطتين فرجة فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك فأخذ أبو علقمة المائدة وقام بها فقيل له الى أين يا أبا علقمة قال الى الكنيف فمن أراد منكم أن يخرأ كان قريبا وجلس ثقيل الى بشار فضرط بشار ضرطة منكرة فظن الرجل أنها فلتة فمشى فى حديثه فضرط بشار ثانية وثالثة فقال له ماهذا يا أبا معاذ قال رأيت أو سمعت قال بل سمعت قال كل ما سمعت ريح لا تصدق حتى ترى

(قوله حقة) أى وعاء الطيب ويقال له حق والجمع حقاق وتبدل عامتنا من قافه كافا والروائح العطرة مضرة بهذه الهوام المنتنة وقد قال المتنبى

بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل

(ترجمة الحسن البصرى)

(قوله هبك) اى احسبك (وأما الحسن) فهو أبو سعيد بن أبى الحسن البصرى وهو من التابعين ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأمه اسمها خيرة وكانت مولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فكانت تعطيه ثديها اذا اشتغلت أمه فدر ثديها له باللبن فاظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه وأبوه مولى لامرأة من الانصار وقيل ان أبويه كانا مملوكين لرجل من بنى النجار فتزوج امرأة فى بنى سلمة من الانصار فساقهما اليها من مهرها فاعتقتهما وكان احسن الناس لفظا وابلغهم وعظا وكان زاهدا عالما مقدما فى العلم والدين على نظرائه من التابعين وكان الحجاج له معظما ومتعجبا من فصاحته ولم ينفك من مجلس وعظ وتدريس علم الى أن مات رحمه الله تعالى وقال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصرى وقال أبو أيوب السجستانى ما سمع أحد كلام الحسن البصرى الا ثقل عليه كلام الرجال قال حميد قال لى الشعبى ونحن بمكة أحب أن اختلى بالحسن فقلت ذلك للحسن فقال اذا شاء فجاء الشعبى فقلت له ادخل عليه فانه فى البيت وحده فقال أحب أن تدخل معى

فدخلنا فاذا الحسن قبالة القبلة يقول يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فاعطيت وسئلت فمنعت فبئس ما صنعت ثم يذهب فيرجع بعد ذلك حتى أعادها مرارا فقال لى الشعبى يا هذا انصرف فان الشيخ فى غير ما نحن فيه ولما دخل على الحجاج فقال له ما تقول فى على وعثمان قال أقول فيهما كما قال من هو خير منى بين يدى من هو شر منك قال ومن ذلك قال موسى وفرعون حيث قال له فرعون فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب * الشعبى قال قدمنا على الحجاج فى البصرة فى جماعة من قراء الشام والعراق فى يوم صائف شديد الحر وهو فى آخر ثلاثة أبيات فدخلنا الاول فاذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه وفى الثانى أكثر وفى الثالث أكثر والحجاج قاعد على سريره وعنبسة بن سعيد الى جانبه فجلسنا على الكراسى ودخل الحسن آخر من دخل فقال له الحجاج مرحبا بأبى سعيد اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر القميص فأبطأ به فطأطأ له الحجاج رأسه فأطفأ به حتى حله وجاءت جارية بدهن فوضعته على رأس الحسن وحده فقال له الحجاج يا أبا سعيد مالى أراك منهوك الجسم لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ألا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك وخادم لطيف فقال انى من الله تعالى لفى سعة ونعمة وانى منه لفى عافية ولكن الكبر والحر فأقبل الحجاج على عنبسة وقال لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه فلم يسمعها الحسن وسمعتها أنا لقربى من عنبسة وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مرضاة له وفرقا من شره والحسن عاض على ابهامه فقال له مالى أراك ساكتا فقال وما عسى ان أقول فقال أخبرنا برأيك فى أبى تراب قال انى سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلى ممن هدى الله ومن أهل الايمان وابن عم نبى الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته أحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله عز وجل لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فتغير وجه الحجاج وقام مغضبا عن سريره ودخل بيتا خلفه وخرجنا وأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره فقال اليك عنى يا عامر ألست شيطانا من الشياطين اذ توافقه فى رأيه ألا صدقت اذ سئلت أو سكت فسلمت فقلت قلتها والله وانا أعلم بما فيها قال الحسن فذلك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة ثم خرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان أهلا لما أتى اليه وكنا أهلا لما أتى الينا فما رأيت مثل الحسن بين العلماء الا مثل الفرس العربى فيما بين المقارف وما شهدنا بعد مشهدا الا برز علينا بفضله وقال لله وقلنا موافقة للولاة وكان يقول حادثوا هذه الانفس فانها سريعة الدثور واقرعوها فانها طامحة وانكم ان لم تقرعوها تنزع بكم الى شر غاية وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير عظ أصحابك فقال له انى اخاف ان أقول ما لا افعل فقال له يرحمك الله وأينا يقول ما يفعل يود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ونظر الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون و يلعبون فى يوم عيد فقال ان الله تعالى جعل الصوم مضمارا لعبيده ليستبقوا الى طاعته ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسئ باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر ومات فى سنة عشرة ومائة وله تسعون سنة

وتقدم

وتقدم موت ابن سيرين بمائة يوم ومات في رجب ليلة الجمعة وقال عبد الواحد بن زيد رأيت ليلة مات الحسن في النوم أبواب السماء كأنها مفتحة وكأن الملائكة صفوف فقلت ان هذا لامر عظيم فقال لي قائل ألا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض وسمع بعض أصحابه في منامه ليلة مات كأن منادياً ينادي في السماء ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه (والشعبي) اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي من شعب همدان وكنيته أبو عمرو ومنسوب الى شعبان بن عمرو وهو من حمير فمن كان منهم باليمن فهو حميري ويقال له شعباني ومن كان بالعراق فهو همداني ويقال له الشعبي وولد لست سنين من خلافة عمر رضي الله عنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وجمعا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو كوفي وبه يضرب المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشأم وقال ابن شبرمة سمعت الشعبي يقول ما كتبت سوداء في بيضاء الى يومي هذا ولا حدثني رجل قط بحديث الا حفظته ولا أحببت أن يعيده علي وقال الشعبي لاصحابه ما أروي شيأ أقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرا لا أعيد وكان الشعبي فقيها عالما حافظا أديبا وقال لولا ماز وحمت في الرحم ماقامت لأحد معي قائمة وكتب عبد الملك الى الحجاج أن ابعث الي رجلا يصلح للدين والدنيا أتخذه سميرا وجليسا فبعث اليه بالشعبي فلما دخل عليه وجده مغتما فقال مابال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير

والشعبي في علمه وحفظه

كأني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنني أرمى بنبل رميتها * ولكنني أرمى بغير سهام

على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

فقال له الشعبي ليس كذلك ولكن كما قال لبيد بن ربيعة

كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال

باتت تشكى الى الموت مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزاحت ثلاثا تبلغي أملا * وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذي الناس كيف لبيد

وغنيت ستا قبل مجرى داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما بلغ عشرين ومائة قال

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت * أنوء كأني كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة فقال

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى أنا أهله * ولا تخمشا خدا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها وقال الحريرى فى الدرة حدثنى أحد شيوخى أن ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حرف المضارعة فتقول أنت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان و بحضرته الشعبي فقال أتاذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون فقالت و يحك أما نكتنى بكسر النون فقال لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك * الاصمعى وجه عبد الملك الشعبي الى ملك الروم فى بعض الامور فاستكبر الشعبي فقال له من أهل بيت الملك أنت قال لا فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال له اذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا فادفع اليه هذه الرقعة فلما رجع الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ونهض فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المومنين انه حملنى اليك رقعة أنسيتها فدفعها اليه ونهض فقرأها عبد الملك وأمر برده فقال أعلمت ما فى الرقعة قال لا قال فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا افتدرى لم كتب الى بهذا قال لا قال حسدنى عليك فاراد أن يغرينى بقتلك فقال الشعبي لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرنى فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال لله أبوه والله ما أردت الا ذلك وكان الشعبي خرج مع عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج فلما هزم عبد الرحمن أتى به موثقا مع الاسرى وكان حكم الحجاج فيهم من أقر أنه كافر أبقاه ومن أقر أنه مسلم قتله قال فلما جئت باب القصر لقينى يزيد بن مسلم كاتبه فقال انا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة فقلت له وما المخرج فقال بؤ للامير بالشرك والنفاق و بالحرى أن تنجو فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت يا شعبي ممن خرج علينا قلت أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف وضاق المسلك وخطبتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ولا فجرة اقوياء قال لله أبوك لقد صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيله وكلم ابن هبيرة فى قوم حبسهم فقال ان كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم ودخل عليه رجل من النوكى وهو جالس مع امرأة فقال أيكما الشعبي فقال له هذا فقال ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر فقال له الشعبي أما ان كان قال لك يا أحمق فارجو له الاجر وسأله آخر فقال ما تقول رجل أدخل اصبعه فى أنفه فى الصلاة فخرج عليها دم أترى له أن يحتجم فقال الحمد لله الذى نقلنا من الفقه الى الحجامة وساله آخر كيف كانت تسمى امرأة ابليس قال ذلك نكاح لم نشهده ودخل الحمام فرأى داود الاودى بلا مئزر فغمض عينيه فقال له داود متى عميت يا أبا عمرو فقال مذ هتك الله سترك ومات فى سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة (والخليل) رحمه الله هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى ينسب الى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر الازدى و يقال اليحمدى واليحمد بطن

الخليل فى عروضه ونحوه

(ترجمة الخليل)

من الازد وكان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج أخرى حتى جاءه الموت * محمد بن حميد قال تزوجت الى جيران الخليل فنزلت عليهم فكنت اسمع قرآن الخليل طول الليل فقالوا الى ما عرفنا من هذا الرجل الا ما ترى وانه ليغيب عنا فى غزو وحج فنتوحش اليه وقالوا لا يجوز الصراط بعد الانبياء والصحابة أدق ذهنا من الخليل وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم ابيه لانه اول من تسمى باحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عاصم دخلت عليه قبل وفاته بايام فقال والله ما فعلت قط فعلا اخاف على نفسي منه وكان لى فضل فكر صرفته الى جهة وددت أنى كنت صرفته الى غيرها وما علمت أنى كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر الله لى التاول واجتمع أدباء من كل أفق فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد الا قال الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها * النضر ما رأى الراؤن مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه وكان شعث الرأس شاحب اللون قشف الهيئة متخرق الثياب متقلع القدمين مغمورا فى الناس لا يعرف * محمد بن الفضل كان بالبصرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر للخليل فقال أله نسخة فقالوا لم نجدها قال فهل كان له آنية يعمله فيها قالوا نعم اناء يجمع فيه أخلاطا قال فجيؤنى به فجعل يتشممه ويخرج نوعا نوعا حتى أخرج خمسة عشر نوعا ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة فى كتب الرجل فاذا فيها ستة عشر خلطا فلم يغفل الا عن خلط واحد وكتب اليه ملك اليونان كتابا باليونانية فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له فى ذلك قال قلت لا بد أن يفتتح الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه فبنيت أول الحروف على ذلك حتى انقاس لى * النضر بن شميل جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شئ فأطرق يفكر فقالوا الله ما هذا انما يحتاج الى فكر يفكر فيه فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا كذا قال فانه يزيدكم فى الجواب كذا قالوا نقول كذا قال يقول كذا فانقطعوا فقال ما أجبت بجواب قط الا وأنا أعرف ما على فيه وكان يخرج من منزله فلم يشعر الا وهو فى الصحراء ولم يردها لشغله بالفكر وقال النضر سمعت الخليل يقول الايام ثلاثة فعهود وهو أمس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد وقال الخليل اذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به تحول بالفارسية ورأى مع رجل دفترا وفيه خط دقيق فقال لصاحبه أيست يا هذا من طول عمرك وقال ان لم تعلم الناس ثوابا فعلمهم لتدرس بتعليمهم علمك ولا تجزع من تفرع السؤال فانه ينبهك على علم ما لم تعلم وقال أكثر من العلم لتفهم واختر قليلا منه لتحفظ وكان يقول اذا خرجت من منزلى لقيت أحد ثلاثة اما رجلا أعلم بشئ منى فذلك يوم فائدتى أو مثلى فذلك يوم مذاكرة أو دونى فذلك يوم ثواب وقال من الناس من يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاسمعوه ومنهم من لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فاحذروه ومنهم من يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك ضال فأرشدوه وكان يقول اذا أردت أن تعلم خطأ معلمك من صوابه فجالس غيره وقال أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لانه جعل ظرفا للادب والنظافة وقال أدركت بعض ما أنا فيه باطراح الحشمة بينى وبين المعلمين

ومن رق وجهه فى طلب العلم رق علمه وقال اذا أخطأ بحضرتك من تعلم أنه يأنف بارشادك فلا ترد عليه خطأه فانك اذا نبهته على خطئه أسرعت افادته واكتسبت عداوته وقال اجعل ماتكتب بيت مال ومافى صدرك للنفقة وقال العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها وقال الناس فى سجن مالم يتمازحوا وقال الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال وقيل له ان استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو فقال نعم كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه وقيل له ما الجود فقال بذل المجهود قيل له فما الزهد قال أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود وقال الدنيا أمد والآخرة أبد وقال حسب امرئ من الشر ان يرى فى نفسه فساد الا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يحول المرء من ذنب الى غيره به ولا اقلاع عنه وقال الدنيا اصداد متحاورة وأشباه متباينة وأقارب متباعدة وأباعد متقاربة وقال ثلاثة أشياء أناحها لنفسى ولمن أحب رشده أحب أن أكون بينى و بين ربى من افضل عباده واكون بينى و بين الخليقة من أوسطهم واكون بينى و بين نفسى من شرهم وقال عبد الله بن داود لو كتب شئ بالذهب لكتب هذا ونظر فى فقه لابى حنيفه فقيل له كيف ترى فقال أرى جدا وطريق جد ونحن فى هزل وطريق هزل وقال عبد الله بن داود لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب وانه لمن اخصاص البصرة يزهد فيما يرغب فيه وقال ثلاث ينسين المصائب مر الليالى والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال النضر سمعت الخليل يقول التوانى اضاعة والحزم بضاعة والانصاف راحة واللجاج وقاحة وكان له غلام كثير الخلاف عليه فقال له يوما قم فقال لا أقوم فقال اقعد فقال لا أقعد قال فاى شئ تصنع قال لا أصنع شيأ ويشبه هذا قول الشاعر فى امرأته

سكت فقالت لم سكت عن الحق * وقلت فقالت مادعاك الى النطق

فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق

فلم ارلى اذ حلت العرب راحة * من الشر الا فى الهروب الى الشرق

فلما اتيت الشرق ألفيتها به * وقد قعدت لى منه فى ضيق الطرق

وانما اكثرنا من اخباره لانها آداب وحكم من اقتدى بها اهتدى وماتركناه من اخباره اكثر وذكر النحو والعروض مؤخر الى الحسين ان شاء الله تعالى ولتقدمه فى العلم ضرب الشعراء المثل فمن ذلك قول ابى تمام يهجو عياش بن لهيعة

ولو نشر الخليل له لعفت * بلادته على فطن الخليل

فما ادرى عمانى عن رشادى * دهانى ام عمالك عن الجهل

وقال آخر

يامن يزيد تعقتا * وتباغضا فى كل لحظه

والله لو كنت الخليل * لما رويناعنك لفظه

(وانشد المبرد)

لم تدر ما علم الخليل فتقتدى * ببيان ذلك ولا حدود المنطق

(وقال المعرى)

اذا قيل نسك فالخليل بن آزر * وان قيل فهم فالخليل اخو الفهم

ابن مزاحم الشاعر كان الخليل صديقا لى فدخلت عليه يوما فقال اجز

*رأيت

* رايت غنى الانسان نفسا زكية * فقلت * مطهرة من كل رجس وباطل *
فقال * ففى عاجل الدنيا مديح ورفعة * فقلت * وخير عظيم عاجل بعد آجل *
فقال والله جئت بما فى نفسى ثم قال

كانك كنت قد خامرت قلبى * فجئت بما شفيت به الغليلا
رايت براعة الايجاز اشفى * فصار كثير غيرك لى قليلا

وله

العلم يذكى عقولا حين يصحبها * وقد يزيدهما طول التجاريب
وذو التأدب فى الجهال مغترب * يرى ويسمع الوان التعاجيب

وكان صديق سليمان بن حبيب وانشده الشعراء فتشاغل عنهم سليمان فذكروا ذلك للخليل فكتب اليه

لاتقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى * وكلومهم تبقى على الايام

* (ذكر جريرا الشاعر) *

وجريرا فى غزله وهجوه وقسا فى فصاحته وخطابته

وأما (جرير) فهو ابن عطية بن الخطفى شاعر من فحول العرب واتفقت العلماء على أن أشعر الاسلاميين جرير والفرزدق والاخطل وأكثرهم على تفضيله عليهما وساذكر لك شيأ من غزله وهجوه تستدل به على منزلة شرفه فى الشعر ورأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فازعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا أسر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأته فغلبهم وقال جرير ما عشقت ولو عشقت جاء ثمانون شاعرا فغلبهم وقال جرير ما عشقت ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها قالوا وأرق ما جاء فى التسيب قوله

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له * وهن أضعف خلق الله أركانا
أتبعتهم مقلة انسانها غرق * هل ما ترى تاركا للعين انسانا

ومثل هذا أوجب على الحريرى أن يذكر جريرا بالعزل والا فقد أخذ عليه فى ذكر جرير بالغزل وانما الذى اشتهر فى زمانه بالغزل مثل عمر بن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل وقيس بن ذريح وأمثال هؤلاء وانما اشتهر جرير بالمدح والهجو ولانطباعه قد جاء فى شعره من الغزل الرقيق كثير وان كان تكلفا اذ لم يعشق قال الجاحظ كان الفرزدق مشتهرا بالنساء ومع ذلك فليس له بيت واحد فى النسيب وجرير عفيفا لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهو أغزل الناس شعرا وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق ثم قال قاتله الله فما أحسن ناحيه وأشرد قافيته والله لو تركوه لابكى الشابة على أحبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا ولقد قال بيتا لان أكون قلته أحب الى مما طلعت عليه الشمس وهو

اذا غضبت على بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

وقال مسعود بن بشر قلت لابن مناذر من أشعر الناس قال من اذا شئت جد واذا شئت لعب واذا شئت أطمعك لعبه واذا رمته بعد عليك واذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قلت مثل من

قال مثل جرير اذ يقول حين لعب

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد ان الذى حرم المكارم تغلبا * جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * ياخزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

فلما بلغ عبد الملك هذا قال مازاد ابن المراغة أن جعلنى شرطيا له أما انه لو قال لو شاء ساقكم لسقتهم اليه كما قال ونزل الفرزدق حين قدم على الاخوص فقال ماتشتهى قال شواء وطلاء وغناء قال ذلك لك ومضى به الى قينة فغنته

ألا حى الديار بسعد انى * أحب لحب فاطمة الديارا

اذا ماحل أهلك ياسليمى * بدارة صلصل شحطوا مزارا

أراد الظاعنون ليحزمونى * فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فقال ماأرق اشعاركم ياأهل الحجاز قال أوتدرى لمن هذا قال لا والله قال هو لجرير يهجوك قال ويل ابن المراغة ماكان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى وأحوجنى مع فسوقى الى رقة شعره وفى الفرزدق منها

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقال جرير لقد طال كتمانى امامة حبها * فهذا أوان الحب تبدو شواكله

وانى وان لام العواذل مولع * بحب الغضا من حب من لا نزايله

ولما استقر الحب ألقت بى العصا * ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقلن تزوج لا يكن لك حاجة * وقلبك لا تشغل وهن شواغله

وقال أيضا ياأخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العذل

لوكنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الفراق فعلت مالم يفعل

وقال أيضا بنفسى من تجنبه عزيز * على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام

أتذكر اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

وقال أيضا لاتكثرن اذا جعلت تلومنى * لايذهبن بفعلك الاكثار

كانوا الخليط هم الخليط فزايلوا * ولقد تبدل بالديار ديار

لايلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

(ومن هجوه فى الراعى)

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعندما قال هذا البيت وثب قائما حتى أصاب السقف رأسه وقال أخزيته والله وغصصته وقدمت أخويه عليه والله لايفلح بعدها وكان كما قال ماأفلح بعدها هو ولا نمير وقال فى جندل ابن الراعى أجندل ماتقول بنو نمير * اذا ما الاير فى است أبيك غابا

وانشد

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف فلما بلغ الى قوله ترى برصا بأجمع اسكتيه* وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال * كعنفقة الفرزدق حين شابا * فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم اخزه ولقد علمت حين بدأ البيت أن لا يقول غيرها ولكن طمعت أن لا تأتيه وقال في ابن لجا تعرضت تيم لى عمدا لاشتمها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم في سوءة عمر

(وقال يذكر أمه)

تقول والعبد مسكين يدحرها * رفقا أفد اللك أنت الناكح الذكر

وبينا جرير ينشد في زوجته

لولا الحياء لعادني استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت اذا هجر الضجيع فراشها * كتم الحديث وعفت الاسرار

لا يلبث القرناء أن يتصدعوا * ليل يكر عليهم ونهار

اذ طلع الاخوص فقطع انشاده ورفع صوته يقول

عوى الشعراء بعضهم لبعض * على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم * رأوا أخرى تحرق فاستداموا

فمصطلم المسامع أو خصى * وآخر عظم هامته حطام

ثم عاد فقيل لم فعلت هذا قال انى نهيت الاخوص أن يعين الفرزدق وانى والله يا بنى عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ولولا حقكم ما تعوذت منه* الاصمعى حدثنى أبى قال رأى رجل جريرا في المنام فقال ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال بتكبيرة كبرت الله في الجمر وهو ماء بالبادية قال فما فعل أخوك الفرزدق قال هيهات أهلكه قذف المحصنات قال الاصمعى لم يدعه في الحياة ولا في الممات وتوفى سنة أربع عشرة ومائة وأما (قس بن ساعدة الايادى) فيضرب به المثل في الفصاحة والخطابة فيقال أبلغ من قس وهو أسقف نجران وهو من حكماء العرب وكان مؤمنا بالله ومبشرا برسوله وهو أول من خطب متوكئا على عصا وأول من كتب من فلان الى فلان وفيه يقول الاعشى

(خبر قس بن ساعدة)

وأفصح من قس وأجرى من الذى * بذى الغين من خفان أصبح خادرا

ولما قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن رجل كان فيهم نازلا يقال له قس ابن ساعدة الايادى قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمل له أورق وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر يفور أما بعد فان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالاقامة فأقاموا أم تركوا كما هم فناموا أقسم بالله قس قسما حقا فما حنث ولا أثم ان لله دينا هو أرضى من ديننا هذا الذى نحن عليه ثم قال أبياتا ما أحفظها فقال رجل من الانصار أنا شاهد يا رسول الله بأبى أنت وامى قال فأنشدنا قال سمعته يقول

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا * يبقى من الباقين غابر
أيقنت اني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الاغاني فيه هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ارعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن عبد مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد وكان يفد على قيصر زائرا فيكرمه و يعظمه فقال له قيصر ما أفضل العلم قال معرفة الرجل بنفسه قال فما أفضل العقل قال وقوف المرء عند علمه قال فما أفضل الادب قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما افضل المروءة قال قلة رغبة المرء في اخلاف وعده قال فما افضل المال قال ما قضي به الحق * ابن عباس رضي الله عنهما وفد الجارود بن عبد الله في وفد عبد القيس وكان سيدا في قومه معظما في عشيرته فآمن وآمن قومه فسر النبي صلى الله عليه وسلم بهم ثم قال يا جارود هل في جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت من بينهم أقفو أثره وأطلع خبره كان قس سبطا من اسباط العرب صحيح النسب فصيحا ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة يتقفر القفار ولا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى في تقفره بعض الطعام ويأنس بالوحوش والهوام يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح لا يغير الرهبانية مقر بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وتتبعه الابدال أدرك رأس الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب وأعبد من تعبد في الحقب وأيقن بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والمآب ووعظ بذكر الموت وأمر بالعمل قبل الفوت الحسن الالفاظ الخاطب بسوق عكاظ العارف بشرق وغرب ويابس ورطب وأجاج وعذب كأني أنظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
ونجوم يحثها قمر الليـ * ـل وشمس في كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وارعا * د شديد في الخافقين مثار
وغلام وأشمط ورضيع * كلهم في التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخيـ * ـر واخرى خوت فهن قفار
وكثير مما تقصر عنه * حدسة الناظر الذي لا يحار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام مونق ما أظن أحفظه فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر قائما وقال يا رسول الله أنا أحفظه وكنت حاضرا بعكاظ حين خطب فأطنب ورهب ورغب وحذر وأنذر وقال في خطبته أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء واموات وجمع وشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج

وسماء ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا هنالك فناموا اقسم قس بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه وادرككم ابانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى الم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول فى الذاهبين الاولين* الابيات المتقدمة قال ثم جلس أبو بكر رضى الله عنه وقام رجل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة فقال ياسيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رأيت من قس عجبا أشرف بى جبلى على وادو شجر من شجر عاد مورقة مونقة وقد تهدل اغصانها قال فدنوت منه فاذا بقس فى ظل شجرة بيده قضيب من اراك ينكت به الارض وهو يترنم ويقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا خزهم خرق

دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرق

حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبلها خلقوا

منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام واذا بعين خرارة فى ارض خوارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به ويتمسحان باثوابه فأراد احدهما يسبق الى الماء وتبعه الآخر يطلب الماء فضربه قس بالقضيب وقال ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذى ورد قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ماهذان القبران قال هذان قبرا اخوين لى كانا يعبدان الله معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ فأدركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر الى السماء فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول

خليلى هبا طالما قد رقدتما * اجدكما لا تقضيان كراكما

الم تعلما انى بسمعان مفرد * ومالى فيها من خليل سواكما

مقيم على قبريكما لست بارحا * طول الليالى او يجيب صداكما

أبكيكما طول الحياة وما الذى * يرد على ذى عولة ان بكاكما

كأنكما والموت أقرب غاية * بروحى فى قبريكما قد اتاكما

امن طول نوم لا تجيبان داعيا * كأن الذى يسقى العقار سقاكما

فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسى ان تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو أن يبعثه الله أمة وحده وأما (عبد الحميد) فهو ابن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وكتب أيضا للمنصور وقيل انه قتل مع مروان وكان رأسا فى الكتابة ومقدما فى الفصاحة والخطابة بليغا مترسلا

وعبد الحميد فى بلاغته وكتابته وأبا عمرو فى قراءته واعرابه

(ترجمة عبد الحميد)

وقال فيه ابن عبد ربه كتب عبد الحميد بن يحيى لعبد الملك بن مروان وكتب لسليمان بن عبد الملك وليزيد بن عبد الملك ثم لم يزل كاتبا للخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم وعبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك يدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد ان الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله لي ولك أو أقتل معك ثم قال

أسر وفاء ثم أظهر غدرة ✻ فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

وعبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستعملت بعده وهو القائل البلاغة تقرير المعنى في الافهام من أقرب وجوه الكلام ولم يزل الشعراء ومهرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الامثال في كتبهم وأشعارهم في القديم والحديث كفصل الصاحب وقرنائه مع طبع سمح ولفظ عذب وصلة نثر بنظم فان شاء قال أنا الوليد وان شاء قال أنا عبيد وان شاء قال أنا عبد الحميد وان شاء قال أنا سعيد وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وأما (أبو عمرو) فهو ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم واسمه وكنيته واحد في الاشهر ✻ النحويهي اختلف في اسمه على تسعة عشر قولا فقيل اسمه محمد أو حميد أو حماد أو عثمان أو سفيان أو غير ذلك وأصحها زبان واختلف في مولده فقيل ولد سنة خمس وستين بمكة في أيام عبد الملك بن مروان وقيل ولد سنة سبعين ✻ أبو عبيدة كان أبو عمرو واسمر طويلا ضرب اليدين حاد النظر ما رأيت مثله قبله ولا بعده في فهمه ولا علمه وكان صاحب غريب ونحو وعلم وهو أحد الائمة في القراءة وعنه أخذ يونس والاصمعي وأبو عبيدة وفيه يقول الفرزدق

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها ✻ حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقال ابن مجاهد كان أبو عمرو مقدما في عصره عالما بالقراءة ووجوهها قدوة في العلم باللغة امام الناس في العربية وكان مع ذلك متمسكا بالآثار ولا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الائمة قبله متواضعا في علمه وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب وأنسابها وشعرها وكانت دفاتره ملء بيت فلما تنسك أحرقها وجعل على نفسه أن يختم القرآن في كل ثلاث ليال فلما أسن اختلط بالناس واحتاجوا اليه فعول على حفظه فأملى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الاجماع روى الاصمعي عن أبي عمرو قال كنت اسمر مع مسلم بن قتيبة الباهلي وكان يعجبه الروي على السين فانشدته ليلة ستين قصيدة على السين لستين شاعرا اسمهم عمرو ✻ الاصمعي كان لابي عمرو كل يوم من غلة داره فلسان فلس يشتري به كوزا وفلس يشتري به ريحانا يشرب في الكوز يومه ويشم الريحان يومه فاذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه في الاشنان ✻ الاصمعي قال أبو عمرو كنت في ضيعتي فاشتد علي الحر فكنت أدور في سدرفيها نصف النهار فسمعت قائلا يقول

✻(ترجمة أبي عمرو بن العلاء)✻

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت انسي أم جني فما أجابني فنقشته في خاتمي فكان نقش خاتمه * الاصمعي كنت واقفا بالمربد واذا أنا بابي عمرو فلما بصر بي مال الي فقال ما وقوفك هنا يا أصمعي قلت اني أحب المربد وأكثر الجلوس فيه فقال الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر ثم أردت الانصراف فقال الى أين يا أصمعي فقلت الى صديق لي فقال اما لفائدة أو لعائدة أو لمائدة والا فلا ثم قال لي مالي أراك بلا عمامة قلت لا عمامة لي فنزع عمامته عن رأسه فدفعها الي فكبر ذلك علي فقال لي ان لي بدلها احدى عشرة عمامة ثم قال لي الزم العمامة فانها تشد اللامة وتحفظ الهامة وتزيد في القامة ثم استخرج من كمه كيسا فدفعه الي ثم قال يا أصمعي لا زلتم بخير ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فاذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواما غلاظا فظاظا خيرتكم على قدر معرفتكم وأما قراءته واعرابه المذكوران في المقامة فان شجاع بن نصر قال قلت لابي عمرو كيف طلبت قراءة القرآن قال لم أزل أطلب ان أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقلت له وكيف ذلك قال هرب أبي من الحجاج وأنا شاب فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء وغيرهم فقرأت عليهم القرآن وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللحن فهذه التي أخذت بها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشدد يدك بها وقال خرج أبي هاربا من الحجاج الى اليمن فانا نسير في الصحراء باليمن اذ لحقنا لاحق ينشد

ربما تجزع النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

فقال له أبي ما الخبر فقال مات الحجاج فانا بقوله فرجة بفتح الفاء أشد سرورا مني بموت الحجاج فقال أبي اصرف ركابنا الى البصرة * الفنجديهي رأيت في بعض الفوائد ان الحجاج قال لابي عمرو ما وجه قراءتك الا من اغترف غرفة بفتح الغين فقال أبلعني ريقي فقال قد أبلعتك الفرات وقال قاتل الله ابن أم الحجاج لئن لم تأتني بالجواب الى خمسة عشر يوما لاقتلنك شر قتلة ووكل به موكلين فخرج أبو عمرو يطوف في أحياء العرب فلم يجد له حجة الى يوم وعده فجره الموكلون به ليرجعوه الى الحجاج فسمع راعيا ينشد ربما تجزع النفوس البيت فقال له أبو عمرو كيف تنشد هذا البيت له فرجة أو فرجة فقال فرجة وفرجة وكذلك كل ما جاء على فعلة فلما فيه ثلاث لغات فقال له أبو عمرو فما سبب انشادك هذا البيت في هذا الوقت فقال انا كنا خائفين من الحجاج وقد بلغنا نعيه قال والله لا أدري بايهما كنت أشد فرحا بوجداني الجواب والحجة لقولي واختياري أم بموت الحجاج * سفيان بن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا رسول الله قد اختلفت علي القراآت فبقراءة من تأمرني أن أقرأ قال بقراءة أبي عمرو بن العلاء وقال أبو العباس بن سريج من أراد أن يتظرف فعليه بمذهب الشافعي وقراءة أبي عمرو بن العلاء وشعر ابن المعتز فقيل له قد عرفنا مذهب الشافعي وقراءة أبي عمرو بن العلاء فأنشدنا من شعر ابن المعتز ما يوجب الطرف فانشد

كنت صباحي قرير عين * فصرت أمسي صريع بين
بعين نفسي أصبت نفسي * فالله بيني وبين عيني

وكان يقول انما نحن فيمن مضى كبقل فى أصول نخل طوال وقال أبو عمرو ناظرت عمرو بن عبيد فى الوعيد فقال ان الله تعالى لا يوعد بانشئ فيخلفه فقلت له يا أبا عثمان ليس لك علم باللغة ان خلف الوعيد عند العرب ليس بخلف وأنشد

واني وان أوعدته أو وعدته * ليكذب ايعادى ويصدق موعدى

وقال أبو عمرو كنت رأساو الحسن حى وتوفى بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة وعلى قبره مكتوب هذا أبو عمرو بن العلاء مولى بنى حنيفة وانما قيل هذا لان أمه كانت من بنى حنيفة * أبو عبيد دخل أبو عمرو على سليمان بن عبد الملك فسأله عن شئ فصدقه فيه فلم يعجبه ما قال فخرج أبو عمرو وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك * وان أكرمونى وان قربوا

اذا ما صدقت لهم خفتهم * ويرضون منى بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد رأيت أبا عمرو فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لى دعنى مما فعل الله بى من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة وأما (ابن قريب) فهو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن اصمع والى أصمع هذا ينسب وأصمع فخذ من بنى قتيبة بن معن بن أعصر بن سعيد بن قيس بن عيلان وبنو معن هم بنو باهلة وباهلة امرأة من همدان تزوجت معنا فنسب ولده اليها والاصمع فى اللغة الضامر الذى ليس بمنتفخ ومنه الصومعة لضمرها وتدقيق رأسها ومثله قولهم جاء بثريدة مصمعة اذا رققها وأخذ رأسها وسهم متصمع متلطخ بالدم فضمرت قذذه وكان الاصمعى حافظا عالما فطنا عارفا باشعار العرب واخبارها كثير التطوف بالبوادى لاقتباس علومها وتلقى أخبارها فهو صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار وقدوة الفضلاء وقبلة الادباء قد استولى على الغايات فى حفظ اللغات وضبط العلوم الادبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان خاصا بالرشيد آخذا لصلاته كثيرا وقد تقدم فى هذا الكتاب من الحكايات المسندة الى الاصمعى ما يدل على تبحره وحفظه ومن حكاياته عن اعرابه على ما أشار له الحريرى هنا حدث الاصمعى رحمه الله قال اعرابى حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف الاصمعى سمعت اعرابيا يقول من كساه الحياء ثوبه أخفى على الناس عيبه الاصمعى قال اعرابى من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنائبات الدهر قال وقال اعرابى عداوة الحكيم أقل عليك ضررا من مودة الجاهل منهم قال وقال اعرابى أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال تزوج اعرابى الى بعض الحاضرة فلما كان ليلة دخوله بها اذا هى أدماء مجدورة فخرج من البيت وهو ينشد ويقول

زوجتنى أدماء مجدورة * كأنها من خشب البيت

قبيحة الوجه لها منظر * يفر منه ملك الموت

قال وجرى بين اعرابى وبين امرأته كلام بالمربد فشتمته فقال لها اسكتى فوالله ما شعرك بوارد وما فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولا الخير فيك بزائد ولا الشر فيك بواحد وما أنا لك بحامد ولا بعد موتك بواجد ونذكر بعد ذلك حكايته المشهورة مع الرشيد

وابن قريب فى روايته عن اعرابه

(ذكر مناقب الاصمعى رحمه الله تعالى)

ووزرائه

وزراته ويحتمل طولها لما احتوت عليه من غرائب الآداب وكان مجلس مذاكرة بين افراد فاظهر كل رجل منهم أفضل مايذكر * حدث الاصمعي قال استدعاني الرشيد في بعض الليالي وقد تصرمت قطعة من الليل فراعني رسله ولم أقف أن مثلت بين يديه واذا في المجلس يحيى بن خالد وجعفر والفضل فلما لحظني الرشيد استدناني فدنوت منه فتبين مالبسني من الوجل فقال لي ليفرخ روعك فما أردناك الا لما يراد له مثلك فكنت هنيهة الى أن ثابت الي نفسي بعد أن كادت تطير شعاعا فقال اني نازعت هؤلاء القوم في أشعر بيت قالته العرب في التشبيه ولم يقع اجماعنا على بيت فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمرة الخطار فيها فقلت يا أمير المؤمنين ان التعيين على بيت واحد في نوع واحد قد وسعت العرب فيه وجعلته معلما الافكارها ومسترا حالخواطرها لبعيد أن يقع النص عليه ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس في قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

وفي قوله كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وفي قوله ولو عن نثا غيره جاءني * وجرح اللسان كجرح اليد

وفي قوله سموت اليها بعد مانام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فالتفت الى يحيى وقال هذه واحدة قد نص على امرئ القيس انه أبدعهم تشبيها قال يحيى هي لك يا أمير المؤمنين ثم قال لي الرشيد فما أبدع تشبيها عندك قلت قوله يصف فرسا

كأن تشوفه بالضحى * تشوف أزرق ذي مخلب

اذا اقرعته حلال له * تقول سلبت ولم تسلب

فقال هذا احسن وأحسن منه قوله

فرحنا بكاس الماء يجنب وسطنا * تصوب فيه العين طورا وترتقي

فقال جعفر يا أمير المؤمنين ماهذا التحكم قال الرشيد وكيف قال يذكر أمير المؤمنين ماوقع اختياره عليه ونذكر ما اخترناه ويكون الحكم واقعا بعد فقال الرشيد أمرضت فاستحسنها يقال امرض الرجل اذا قارب الصواب ثم قال الرشيد بل تبدأ يا يحيى فقال يحيى أحسن الناس تشبيها النابغة في قوله

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العود

وفي قوله فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى منك أوسع

(وفي قوله)

من وحش وجرة موشي أكارعه * طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فقال الاصمعي أما تشبيهه مرض الطرف فحسن الا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم حتى يأتي بمعنى ينفرد به ولو قال قائل ان قول النمري في هذا أحسن لوجد مساغا الى

ذلك حيث يقول

فلو كنت بالعنقاء أو بسنامها * لخلتك الا أن تصد ترانى

وأما قوله * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد * فالطرماح أحق بهذا المعنى لانه أخذه فجوّده وزاد عليه وان كان النابغة اخترعه وقول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه * سيف على شرف يسل ويغمد

فقد جمع فى هذا البيت استعارة لطيفة بقوله وتضمره البلاد وتشبيه اثنين بقوله يبدو وتضمر ويسل ويغمد وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة قال الاصمعى فاستبشر الرشيد وبرقت أسارير وجهه حتى خلت برقا ومض منها وقال ليحيى فضلتك ورب الكعبة فاتقع يحيى فكأن الرماد ذر على وجهه قال الفضل لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى أمر ما قلته بسمعه فقال قل قال أحسن الناس تشبيها طرفة فى قوله

ووجه كان الشمس ألقت رداءها * عليه نقى اللون لم يتجدد

وفى قوله يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المقابل باليد

قال فقلت هذا احسن وغيره أحسن منه قد شركه فى هذا المعنى جماعة من الشعراء وبعد فطرفة صاحب واحدة لا يقطع بقوله مع التجوّز وانما يعد من أصحاب الواحدة قال ومن أصحاب الواحدة قلت الحرث بن حلزة فى قوله

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

والاسعر الجعفى فى قوله

هل دان قلبك من سلمى فاشتفى * ولقد عنيت بحبها فيما مضى

(والافوه الاودى فى قوله)

ان ترى رأسى فيه نزع * وشواتى خلة فيها دوار

وعلقمة فى قوله

طحابك قلب فى الحسان طروب

(وسويد بن أبى كاهل فى قوله)

بسطت رابعة الحبل لنا * فوصلنا الحبل منها فاتسع

(وعمرو بن كلثوم فى قوله)

ألا هبى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا

(وعمرو بن معديكرب فى قوله)

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

فاستخف الرشيد الاريحية وقال ادنه فانك بحيش وحدك وزد فى عينى نبلا فقال جعفر لبثا قليلا يدرك الهيجا حمل يعرض بأنه قد يجوز أن يدرك ما يحاوله فقال له الرشيد فانك والله السوابق وجئت سكيتا اذ زوائد أربع قال ورأيت الحية فى وجهه فقال جعفر على شريطة حلك قال أتراه يسع غيرك ويضيق عنك فقال جعفر لست أنص على شاعر واحد انه أحسن الناس فى بيت تشبيها ولكن قول امرئ القيس

كأن غلامي اذ علا حال متنه * على ظهر باز في السماء محلق

(وقول عدي بن الرقاع)

يتعاوران من الغبار ملاءة * غبراء محكمة هما نسجاها

تطوى اذا وردا مكانا خاشنا * واذا السنابك اسهلت نشراها

(وقول النابغة)

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

قال الاصمعي قلت هذا احسن كله بارع وغيره أحسن منه وانما يجب أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله فلم يتعرض له او تعرض له شاعر فوقع دونه فاما قول امرئ القيس *على ظهر باز في السماء محلق* فمن قول أبي دواد

اذا شاء راكبه ضمه * كما ضم بازي السماء الجناحا

وأما قول عدي *يتعاوران من الغبار ملاءة* فمن قول الخنساء

جاري أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

وأول من نطق به جاهلي من بني عقيل قال

ألا يا ديار الحي بالبردان * عفت حجج بعدي لهن ثماني

فلم يبق منها غير نؤي مهدم * وغير اثاف كالركي دفان

وآثار هاب أورق اللون سافرت * به الريح والامطار كل مكان

قفار مريرات يحار بها القطا * ويضحي بها الجأبان يعتركان

يثيران من نسج الغبار عليهما * قميصين أسمالا ويرتديان

وشارك عديا أبو النجم وأورده في أحسن لفظ قال يصف عيرا وأتانا وما أثاراه من الغبار بعدوهما

ألقى بجنب القاع من حبالها سربالة وانشام في سربالها

وأما قول النابغة * بأنك شمس والملوك كواكب * فقد تقدمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند وهو أحق به من النابغة اذ كان أبا عذرته فقال

كادت تميد الارض بالناس اذ رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

قال فكأني والله القمت جعفرا حجرا فاهتز الرشيد فوق سريره وكاد يطير عجبا وطربا وقال والله لله درك يا أصمعي اسمع الآن ما كان وقع عليه اختياري فقال ليقل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه فقال عنيت على ثلاثة أشعار أقسم بالله اني أملك السبق بأحدها فقال يحيى خفض على هينتك فابى الله الا أن يكون لك الفضل ثم قال الرشيد أتعرف يا أصمعي تشبيها أنخر وأعظم في أحقر مشبه وأصغره في أحسن معرض من قول عنترة الذي لم يسبقه اليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع في مجاراته طامع حين شبه ذباب الروض العازب في قوله

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجذم

ثم قال يا أصمعي هذا من التشبيهات العقم التي لا تنتج شبهت بالريح العقيم التي لا تنتج ثمرة ولا تلقح شجرة فقلت كذلك هو يا أمير المؤمنين وبجدك آليت ما سمعت قط أحدا يصف شعرا بأحسن من هذه الصفة ولا استطاع بلوغ هذه الغاية فقال مهلا لا تعجل أتعرف أحسن من قول الحطيئة يصف لعام ناقته أو تعلم أحدا قبله أو بعده شبه تشبيهه حيث يقول

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت * لعاما كنسج العنكبوت الممدد

فقلت والله ما علمت أحدا تقدمه الى هذا التشبيه أو أشار اليه بعده ولا قبله قال أتعرف بيتا أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقي أثره في قوله

كأنما منثني أقماع ما مرطت * من العفاء بليتيها الثآليل

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فالتفت الى يحيى فقال أوجب فقال وجب فقال أأزيدك فقال وأي خير لم يزدني منه أمير المؤمنين قال وقول النابغة الجعدي

رمى ضرع ناب فاستهل بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم

ثم التفت الى الفضل فقال أوجب قال وجب قال أزيدك قال ذلك لأمير المؤمنين قال قول الاعرابي

به ضرب انداد العطايا كأنه * ملاعب ولدان تخط وتمسح

ثم التفت الى جعفر فقال أوجب قال وجب قال أزيدك قال لأمير المؤمنين علو الرأي قال قول عدي بن الرقاع

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت يا أمير المؤمنين هذا بيت حسد عديا عليه جرير قال وكيف ذلك قلت زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريرا قال لما أنشد عدي ينشد * عرف الديار توهما فاعتادها

فقلت في نفسي ركب والله مركبا صعبا سيدخ فيه فما زال يتخلص من حسن الى حسن الى أن قال تزجي أغن كأن ابرة روقه * فرحمته وظننت أن مادته تقصر به فلما قال

* قلم أصاب من الدواة مدادها * حالت الرحمة حسدا فقال لله أبوك يا أصمعي ثم أطرق ورفع رأسه وقال أتراك تعينني في اشتطاطك في هواي فقلت كلا يا أمير المؤمنين انك لتجل عن ذلك قال انظر خمسا قلت قد نظرت قال فالسبق لمن قلت لأمير المؤمنين قال فقد أسهمت لك في العشر والعشر كثير ثم رمى بطرفه الى يحيى وقال المال الساعة وأولى لك فما كان ساعة حتى حضرت البدر بيني وبينه ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع فأشار الى خادم على رأسه كم هي فقال ثلاثة آلاف ألف درهم فقال دونك احمل ثلاثين ألفا الى منزلك ونهض عن مجلسه وأمر الخدم بمعاونتي على حمله فكانت أسعد ليلة ابتسم فيها الصباح عن أحد بالغنى فهذه الحكاية تدلك على تبحره في علوم العربية وسعة حفظه تبع ابن الرمادي عنترة في قوله وخلا الذباب بقوله

وكأس كريق الالف شعشعها به * وعيشي من هذا الشراب المشعشع
اذا ما شربنا كأسنا صب فضلها * على روضنا للمسمع المتطلع

وقال ابن الرومي

وأذكى نسيم الروض ريحان طله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا
وكانت أهازيج الذباب هناكم * على شدوات الطير صوتا موقعا

وكان أبو مقريب بخلافه كان نذلا خسيسا وكان عطاء الملك أتى بجماعة من البصرة الى قريب فوجدوه ملتفا بكساء نائما في الشمس فوكزه برجله وصاح به قم يا قريب ويلك قال ألقيت أحدا من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو الفقهاء أو من المحدثين قال لا والله قال لمن حضر اشهدوا على ما سمعتم لا يقول لكم غدا الاصمعي أو بعد غد أنشدني والدى أو حدثني ففضحه * ومن حكاياته عن أبيه قال الاصمعي حدثني أبي قال أتى عبد الملك بن مروان برجل مع بعض من خرج عليه فقال اضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما هذا جزائي منك قال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان الا بالتطير لك وذلك أني رجل مشؤم ما كنت مع رجل قط الا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادعيت به وكنت عليك خيرا لك من مائة ألف معك فضحك منه وخلى سبيله وكان للاصمعي ابن طريف فقيل له يوما أين أبوك فقال في بيته يكذب على الاعراب ومرض الاصمعي فعاده أبو ربيعة وكان يحب أهل الادب فقال له أقرضني خمسة آلاف درهم ففعل وقال أتشتهي غير هذا فقال نعم فصا حساوسيفا قاطعا وبرذونا حسنا وسرجا محلى فبعث بذلك اليه وكان اسحق الموصلي يعظمه ويقرأ عليه فدخل الاصمعي يوما على الفضل بن يحيى واسحق ينشده في صفة فرس

كأنه في الجل وهو سام * مشتمل جاء من الحمام
يسور بين السرج واللجام * سور القطامي الى الحمام

فقال الاصمعي هات بقيتها فقال له اسحق ألم تقل لي ما بقي منها شئ فقال ما بقي الا عيونها ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتا فغضب اسحق وعرف الفضل قلة شكره لعارفيه وبخله بما عنده وأخذ يصف فضل أبي عبيدة ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على علوم العرب فأنفذ اليه الفضل مالا جليلا وأقدمه من البصرة وسعى بالاصمعي عند الرشيد حتى حط منزلته وقال اسحق يهجوه

ألبس من العجائب أن قردا * أصيمع باهليا يستطيل
ويزعم انه قد كان يفتى * أبا عمرو ويسأله الخليل
اذا ما قال قال أبي عجبنا * لما يأتي به ولما يقول *
وجلله عطاء الملك عارا * تزول الراسيات ولا يزول
فقل لابي ربيعة اذ عصاني * وحاد به عن القصد السبيل
لقد ضاعت بر ودك فاحتسبها * وضاع النص والسيف الصقيل
فأما الخمسة الآلاف فاعلم * بانك نبها لا تستقيل

والاصمعي لا يقدح هذا القدر في جانبه لان بعض محاسنه يعطى على كل مساويه وكان منشؤه بالبصرة وبها توفي سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا وثمانين سنة (قوله محرابي) وما بعده في معناه يعني فرجها و(الامام) وما بعده يعني بهذكره وسمى محراب المسجد محرابا لانه يباعد من ليس من أهله أن يقربه اذهو أرفع ما في المسجد وفلان حرب لفلان أي مباعد له و(القراب) وعاء من جلد يجعل فيه السيف مع غمده والقراب وعاء الزاد و(اللدد) شدة الخصومة (الجدد)

أتطلبني ارضا لك اما ما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاترك ايها الرجل اللدد واسلك في سيرك الجدد واما انت فكفي عن سبابه

الارض الصلبة والمعنى فى قوله اسالك فى سيرك الجدد جامعها فى الفرج لا غمو فى المثل من سلك الجدد أمن العثار (قرى) اسكنى (البيت) كناية عن فرجها (من بابه) يريد أن لا يأخذ الجار بالجار وقولها (الاذا كسانى) قال النبى صلى الله عليه وسلم اعر وا النساء يلزمن الحال و (الشراع) قلع السفينة وأراد برفعه كشف ساقها ورفع رجليها حين يطؤها وقال أبو نواس فى معناه

ترفق قليلا قد أوجعتنى * وألحقت قرطى بخلخاليه

والقرط فى الاذن والخلخال فى الرجل فانظر متى يجتمعان وقال ابن الرومى فى ذلك

يا أحمد بن سعيد لو بصرت بها * اذا الاكف لساقيها خلاخيل

وقال البحترى

لم تحط باب الدهليز خارجة * الا وخلخالها مع الشنف

وقال ابن الرومى

لو ان رجلى عرسها ايداها * ما أخطأتها رجة تغشاها

قد خلقت مرفوعة رجلاها * كأنما يستغفران الله

وله أيضا

شيخ لنا يكنى أبا حنبل * أقرن مثل الأيل الأقول

تبيت فى منزله نسوة * يلبسن ثوب الليل كالمنزل

يعملن فيه عملا صالحا * يرفعه الله الى أسفل

يستغفر الناس بأيديهم * وهن يستغفرن بالارجل

قال الاصمعى قلت لامة طريفة يا جارية هل فى يديك عمل قالت لا ولكن فى رجلى و (المحرجات الثلاث) هى الطلاق والعتق والمشى الى مكة وقيل هى الطلاق الثلاث ومحرجات فيها حرج اى اثم وضيق * وحدث ابو حاتم عن الاصمعى عن عيسى بن عمر قال اشتكى رجل امرأته فقال له شيخ من بنى نصر كان أسن منه الا تكشفها بالمحرجات يعنى الطلاق قال فقالت الله فأغرلك وعلى الطلاق ثلاثا حدثنا أبو بكر محمد بن أسد الديلى قال سمعت أبا قنان الدراع يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى لقد سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى لقد سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى ان كانت العرب قالت احكم من هذه الابيات

كن للمكاره بالعزاء مقنعا * فلعل يوما لا ترى ما تكره

فلربما استتر الفتى فتنافست * فيه العيون وانه لمموه

ولربما خزن الكريم لسانه * حذر الجواب وانه لمفوه

ولربما ابتسم الكريم من الاذى * وفؤاده من حره يتأوه

وقرى اذا اتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما أسحن عنه لسانى الاذا كسانى ولا اروعه شراعى دون اشباعى خلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لا يملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضى فى قصصهما نظر الالمعى وافكر فكرة اللوذعى ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما التسافه فى مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى تراقيتما من خش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين اعز الله بيقائه الدين نصبنى لاقضى بين الخصماء لا لا قضى دين الغرماء ووحق نعمته التى احلتنى هذا المحل وملكتنى العقد والحل لئن لم توضحا لى جلية خطبكما وخبيئة خبكما لاندن بكما

(قوله اطماره الرثاث) أى ثيابه الخلقة (الالمعى) المتوقد الخاطر الذهن * ابن الا راى الالمعى الذى اذا لمع له أول الامر عرف آخره فيكتفى بظنه دون تعيينه و (اللوذعى) الفطن الذكى الظريف الحديد الفؤاد (قطبه) عبسه (مجن) ترس و (قلبه) كناية عن ابداء الشر بعد الخير وقد تقدم (التسافه) الافحاش والشتم (الجرم) الذنب (المقاذعة) المشاتمة بما فحش (الثغرة) الحفيرة فى أصل العنق (خبكما) خداعكما وغشكما (أندن) أسمع الناس بما نالكما عندى من

المكروه ونندبه شتمه وأسمعه القبيح (الامصار) البلاد (عبرة) موعظة (أولى الابصار) أهل العقول (أطرق) أمال رأسه ساكتا (الشجاع) الحية (سماع سماع) أى اسمع منى (كف البدر) أى نظيره والكف النظير والمثل (ديرها) فرجها (قسى) ذكرى وأصل الدير للنصارى والقس والقسيس عالمهم وعابدهم (عسفت) جارت وخرجت عن طريقها (والسقيا) الشرب وهى هنا مصدر بمعنى السقى و (التحسى) شرب الحسوة وأراد بالمضغ والتحسى أكل الخبز واللحم وحسو مرقه وقيل المضغ فى الرخاء والحسو فى الشدة كاستعمالهم فيها حسو السخينة وغيرها و (عز) قل (التأسى) الاقتداء بالغير وقد تأسى تأسيا اذا اقتدى بفعل غيره وتصبر وهذا باب غلبت عليه الخنساء بقولها

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

فزاد عليه ابن العباس الرومى فى المعنى و بينه حتى استحقه حيث قال

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يؤسى أو يعوض أو ينسى
أبت نفسى الهلاع لرزء شئ * كفى رزأ لنفسى رزء نفسى
أتجزع وحشة لفراق الف * وقد يوأتها الحلول رمسى

فذهب فى هذه الابيات كل مذهب ثم أراد أن يظهر ما عنده من فضل المنة وحسن التصرف فقال

ياشبابى وأين منى شبابى * آذنتنى أيامه بانقضاب
ومعز عن الشباب مؤس * بمشيب اللذات والاصحاب
قلت لما انتحى يعد تأساه * بمصاب شبابه بمصاب
ليس تأسو كلوم غيرى كلومى * مابه مابه وما بى مابى

وكرر هذا المعنى فأحسن ماشاء وذهب فيه مذاهب أخرى فقال

خليلى قد علمتما نى بالمنى * وأنعمتما لو اننى أتعلل
أللناس ايثارى والانفا الاسى * وعيشكما الاضلال مضلل
وماراحة المرزوء فى رزء غيره * أيحمل عنه بعض ما يتحمل
كلا حاملى أوفى الرزية مثقل * وليس معينا مثقل الدهر مثقل
وضرب من الظلم الخفى مكانه * تعريك بالمرزى حين تامل

ولابن رشيق

رأيت التعزى مما يهيج * على المرء ساكن أوصابه
وما نال ذو اسوة سلوة * ولكن أتى الحزن من بابه
تفكر فى مثل أرزائه * فذكره مابه مابه

وقال ابن رشيق أخذته من قول عمر بن أبى ربيعة

وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا

وأخذه عمر من قول متمم بن نويرة

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فى الامصار ولاجعلنكما
عبرة لاولى الابصار فأطرق
ابو زيد اطراق الشجاع ثم
قال له سماع سماع
انا السروجى وهذى عرسى
وليس كف البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسى
ولا تناءى ديرها عن قسى
ولا عسفت سقياى ارض غرسى
لكننا منذ ليال خمس
نصبح فى ثوب الطوى ونمسى
لانعرف المضغ ولا التحسى

حتى كأنا لخفوت النفس * اشباح موتى نشروا من رمس فحين عز الصبر والتأسي * وشفنا الضر الاليم المس
قمنا السعد الجد والنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس والفقر يلجي الحر حين يرسي * الى التجلي في لباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي * فانظر الى يومي وسل عن امسي وامر بجبري ان تشا او حبسي * فني يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب انسك ولتطب نفسك فقد حق لك ان تغفر خطيئتك ويوفر عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل تبريز لكم حاكم
اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه
يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى
عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من
جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني اخيب من شائم
برقا خفي في شهر تموزا
كأنه لم يدر اني التي
لقنت ذا الشيخ الاراجيزا
وأنني ان شئت غادرته
أضحوكة في أهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما وانصلات لسانهما علم انه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى منع احد الزوجين وصرف الآخر صفر الدين كان كمن قضى الدين بالدين اوصلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا لشيء عجيب أأرشق في موقف بسهمين االزم في قضية بغرمين اطيق ان ارضي الخصمين ومن اين ومن اين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لما ربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم الاعتمام هذا يوم الاعرام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران

فقلت لهم ان الاسى يبعث البكا ، دعوني فهذا كله قبر مالك

(خفوت) ضعف النفس من شدة الجوع وخفت خفوتا ضعف وسكن ومات و (الاشباح) الاشخاص وأصل الشبح الشخص تبصره على بعد فلا تعرف ما هو ويقع الشبح على كل شخص مرئي (نشروا) أحيوا (رمس) قبر و (المس) اصوق جارحة بأخرى (الجد) الحظ والنصيب (يرسي) يثبت ويقيم (التجلي) البروز والظهور (اللبس) التخليط (درسي) ثوبي الخلق (الجبر) أن تغني الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر وجبره الله سد مفاقره (والنكس) بضم النون عود المرض بعد القوة ونكس نكسا (ليثب) أي ليرجع (توفر) تكثر (ثارت) طمرت وأفشت سرها و (استطالت) جرحت بلسانها وأعلت كلامها (أوفى) أشرف عليهم و (زاد تبريزا) ظهورا وسبقا (ضيزى) غير مستوية فيها بخس ونقصان وقد ضازه الحاكم إذا بخسه ضازه يضيزه ضيزا اذا نقصه ومنعه حقه ويحكى أن مزيدا المدني ويكنى أبا اسحق صلى يوما فلما فرغ من صلاته قالت امرأته اللهم اشركني في دعائه فقال مزيد اللهم اصلبني فقالت امرأته اسألك على هذا ايضا فقال يا ضراطة تلك اذا قسمة ضيزى (قوله والشيخ) منصوب على المفعول معه (نبغي) نطلب (الندى) الكرم و (جنى العود) ما يجنى من ثمره وأرادت كرم القاضي ما زال مهزوزا أي ما زال القاصدون يهزون عوده فيتساقط عليهم جنا فمعنى (ما زال مهزوزا) انه ما زال يعطي (جدواه) عطاياه (تخصيصا) ترفيعا (تمييزا) تعيينا وقد تخصص الرجل تشبه بالناس وأدس رتبتهم تشبه بالاعيان (شائم) ناظر للبرق (خفي) لمع (تموز) يوليه بالسريانية وهو أشد ذلك حرا (لقنت) فهمت وحفظت (غادرته) تركته (أضحوكة) يضحك به من رآه (اجتراء) اقدام وتشجيع (جنانهما) قلبهما يريد انهما لم يهاباه (انصلات لسانهما) خروجه بالكلام وطلاقته وانصلت السيف تسلل من غمده وخرج (مني) بلي (الداء العياء) الذي يعيي الطبيب (والداهية) كل أمر فظيع لا يطاق (الدهياء) مبالغة وتأكيد لمعنى الداهية أي الداهية الشديدة (صفر) فارغ ومن قضى الدين بالدين فكأنه ما قضاه وأنشدوا

اذا كنت تقضي الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

(تململ) توجع وتقلب (كآبة) حزن وهم (شوائب) ما يكره ويختلط به (نوائبه) نوازله (يفند) يخطئ (الحريب) المحزون المسلوب ماله وقد حربه اذا سلبه فعيل بمعنى مفعول (انتحب) بكى (يفضحه) يشهره (أرشق) أرمى والرشق جملة السهام ترمى مجتمعة وقال لبيد

فرميت القوم رشقا صائبا . ليس بالطيش ولا بالمقتعل

واذا وقعت السهام مجتمعة عند الغرض سميت رشقا (القضية) القضاء والحكومة (المعرم) والغرامة واحد (مآربه) حوائجه (البحران) كاليوم السابع من المرض والبحران عند

هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فارحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشعر انه يوم مذموم وان القاضي فيه مهموم لئلا يحضرني خصوم (قال) فأمن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم قصد ابا زيد وعرسه المتقالين وقال أشهد انكما لاحيل الناس لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الاراجيز فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين (تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية) قوله (لقيت منها عرق القربة) هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق (وقوله جعلته دبر أذني) يعني طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم (وقوله أكذب من سجاح) يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فأسجح (وقولها أكذب من أبي ثمامة) ٢٦٥ هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتله (وقوله لا نعم عوفك) العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له نعم عوفك (وقوله يا دفار يا فجار) هذان الاسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقوله يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله (احمق من رجلة) فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها واما قولها (الأم من مادر) فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (واما قولها اشأم من قاشر) فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره ما على وجه الارض من النبات (وأما قولها اجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي يتذر بالصفير ريب نعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وكقوله تعالى انه كان وعده مأتيا (واما قولها الطيش من طامر) فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه (واما قول القاضي اراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة)

الاطباء داء وعلة عظيمة تقع بين الطبيعة والعلة وبحر الرجل بحرا اذا اجتهد في العدو طالبا أو مطلوبا فانقطع وضعف ورجل بحر مسلول ذاهب اللحم (عصيب) شديد (المهذارين) الكثيرين الكلام بلا فائدة (اقطع لسانهما) أي صلهما حتى ينقطع بالدينارين كلامهما وهذا اللفظ الذي هو قطع اللسان بالصلة قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم من نفل حنين مائة مائة وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما أنا دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فاعطي حتى رضي وقد جاء في النوادر في حكاية ليلى الاخيلية حين قال الحجاج يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها فأمر باحضار الحجام فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لساني بالصلة وهي لفظة مستعملة عند من له أمر ونهي (قوله أمن) قال آمين ومعناه الرغبة في الاجابة (تباكى) استعمل البكاء (الثقلين) الانس والجن والواحد ثقل وثقل كمثل ومثل وأصله ما يحمل من الشيء الثقيل فقيل لهما ثقلان لانهما كالثقل على الارض (والفحش) في القول كالفاحشة في الفعل (نهضا) تقدما (شكرك قد وجب) يقال وجب البيع والحق معناه وقع ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها أي وقعت على الارض وسقطت ووجب الحائط سقط ووجب قلبه فزع وخفق (حظيا) سعدا (أصليا) أوقدا وأصقابه

فانه اراد به ان كلا منكما كفء لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه شن وطبقة فان العلماء مختلفون في معنى
قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي
من اياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه
ان لا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له
شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له شن
أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا
فقال له ما رأيت أجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى
طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه ٢٦٦ فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهم الا عما يستفهم عن مثله
ذوو الالباب أما قوله أتحملني
ام أحملك فانه أراد أتحدثني
ام احدثك حتى نقطع
الطريق بالحديث وأما
قوله اترى هذا الزرع أكل
أم لا فانه أراد هل استسلف
أربابه ثمنه أم لا وأما
استفهامه عن حياة صاحب
الجنازة فانه اراد به اخلف
عقبا يحيا ذكره به أم لا فلما
خرج الى الرجل حدثه
بتأويل ابنته كلامه فخطبها
اليه فزوجه اياها فلما سار
بها الى قومه وخبروا ما فيها
من الدهاء والفطنة قالوا
وافق شن طبقة فسار مثلا
وحكى ان الاصمعي سئل عن
تفسير هذا المثل فقال أظن
الشن وعاء من أدم كان قد
استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل وأما (حدأة وبندقة) فانه يقال في المثل المضروب
لمن يفزع بعدوه أو يبلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بندقة وكان الاصل حدأة باثبات الهاء فرخم في النداء وقد اختلف في المراد بهما ابكى
فقيل الحدأة هو الطائر المعروف وبندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على
بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأنحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على
مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة وأما قوله (أخطأت استك الحفرة) كأنه مثل يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء
في غير موضعه وأما قوله (طلسم وطرسم) فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله (اخرنطم وبرطم) اى غضب وقطب
وجهه وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس وأما قوله (همهم وغمغم) أي لم يبين الكلام

(شرح المقامة الحادية والاربعين وهي التنيسية)

(أطعت دواعي التصابي) يقال أطعت كذا وطعت له أي انقدت والمطيع المنقاد والتصابي التظاهر بالصبا والتشاغل به ودواعيه ما يدعوه اليه و(غلواء الشباب) أوله وسرعته أراد ملت الى اللهو واللعب في أول شبابي فلما أتى الشيب أحببت الرجوع الى الخير (زيرا) كثير الزيارة و(الغيد) جمع غيداء وهي اللينة العنق والمفاصل من النعمة (أذنا للاغاريد) اى كثير الاستماع للغناء وفلان أذن اذا كان يستمع من كل قائل ويقبل منه (وافى) أتى و(النذير) الشيب لانه منذر الانسان بتمام العمر اى يعلمه (ولى) رجع وزال (النضير) الناعم يريد زمن الشباب ونؤخر ذكر الشيب فانه يؤدي الى تغيير شرح المقامة ونتكلم هنا على ذهاب الشباب قال أبو عمرو بن العلاء ما بكت العرب شيأ ما بكت الشباب وما بلغت به ما يستحقه ؛ الاصمعي من أحسن ألفاظ الشعر المراثي والبكاء على الشباب قال ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا العافية والشباب الصحة ومن ألفاظ أهل العصر الشباب باكورة الحياة وروائح الجنة في الشباب أطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكرها قال الصولي قد أكثر في ذكر الشباب القدماء وأهل الاسلام وأجمع الحذاق بالشعر وتمييز الكلام وألفاظه انه لم يقل فيه أحسن من قول منصور النمري ووقع الاجماع عليه فاضر تأخره وهو

ما تنقضي عبرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني مسرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ان كنت لم تطعمي ثكل الشباب ولم * تشجي بغصته فالعذر لا يقع

(المقامة الحادية والاربعون التنيسية) (حدث الحرث بن همام) قال أطعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم أزل
زيرا للغيد وأذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير

أبكي شبابا سلبناه وكان ولا * توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنه ومرتدع

وقال أبو نواس
كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال اذا ارتديت به * وخرجت أخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به * وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع في مآربه * عند الحسان ومدرك النبل
والباعثي والناس قد رقدوا * حتى أكون خليفة البعل

وقال جحظة
واها لايام الشبا * ب وما لبسن من الزخارف
وزوالهن بما عرفـ * ـت من المناكر والمعارف
أيام ذكرك في دوا * وين الصبا صدر الصحائف

وقال ابن أبي حارثة
ولى الشباب فلي العين تنهمل * فقد الشباب بفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

وقال آخر
شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم أبلغ المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

أعرابي
يا طيب أيام الشباب وعصره * لو يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره * وكذاك أيام السرور قصار

(وقال ابن عبد ربه)

قالوا شبابك قد مضت أيامه * بالعيش قلت وقد مضت أيامي
لله أية نعمة كان الصبا * لو أنها وصلت بطول دوام
حسر الشباب قناعه عن رأسه * وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيش ظل غمامة * وكأن ذاك اللهو طول منام

وقال أيضا
صباي كيف صرت الى نفاد * وبدلت البياض من السواد
فما أبقى الحوادث منك الا * كما أبقت من القمر الدآدي
فراقك عرف الاحزان قلبي * وفرق بين عيني والرقاد
زمان كان فيه الرشد غيا * وكان الغي فيه من الرشاد
يقتلني بدل من قتول * ويسعدني بوصل من سعاد
وأجنبه فيعطيني قيادا * ويجنبني فأعطيه قيادي

قال الفرزدق
ان الملامة مثل ما بكرت بها * من تحت ليلتها عليك نوار
قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار
ان الشباب لرابح من باعه * والشيب ليس لبائعيه تجار

قال اسحق الموصلي قال لي المعتصم لقد ضحك الشيب في عارضيك فقلت نعم يا سيدي وبكيت

ثم قلت

تولى شبابك الا قليلا ، وحل المشيب فصبرا جميلا

كفى حزنا بفراق الصبا * وأن أصبح الشيب منه بديلا

فلما رأى الغانيات المشيب اغضين دونى طرفا كحيلا

سأندب عهدا تقضاه الصبا . وأبكى الشباب بكاء طويلا

وغنيتها فبكى المعتصم وقال لو قدرت على رد شبابك لفعلت ولو بشطر ملكى فلم يكن لكلامه عندى جواب الا ان قبلت البساط بين يديه وأبكى بيت ورد فى فقد الشباب قول أبى العص الاسدى

أتأمل رجعة الدنيا سفاها ، وقد صار الشباب الى ذهاب

فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وقال سلامة بن جندل وهو جاهلى

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب * أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه ، لو كان يدركه ركض اليعاقيب

أودى الشباب الذى مجد عواقبه ، فيه نلذ ولا لذات للشيب

وقال سلامة أيضا

يا خد أمسى سواد الرأس خالطه ، شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر

يا خد أمست لبانات الصبا ذهبت فلست منها على عين ولا أثر

كان الشباب لحاجات وكن له ، فقد فرغت الى حاجاتى الأخر

وأنشد أبو العيناء

مافى يدى من الصبا * الا الصبابة والاسف

جاء الشباب فما أقا م ولا ألم ولا وقف

كان الشباب كزائر * مل الزيارة وانصرف

والباب لا يحصى كثرة (قوله قرمت) لكذا أى اشتدت شهوتى اليه وأصله شدة الشهوة الى اللحم و(الرشد) والرشد واحد (فرطت) ضيعت وفرط فى الشئ وقدم فيه التقصير والعجز ومنه قولهم فرط الفارط فى طلب الماء أى تقدم القوم اليه وقرئ ياحسرتا على مافرطت [illegible] الراء ومثله ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله ومعنى الفراء [illegible] التقصير فى جنب الله أى فى حقه وقيل فى أمر الله وقيل فى طاعته ابن الاعرابى فى قرب الله [illegible] الجنب القرب والجنب معظم الشئ وأكثره ومنه هذا قليل فى جنب مودتك الزجاج أى على مافرطت فى الطريق [illegible] هو طريق الله الذى دعانى اليه و(كسع الهنات) اى طرد القبائح والقاذورات والمناكير عن الفواحش والافعال القبيحة ماخوذ من الهن وهو الفرج وكسعها دفعها أوازالها والكسع أن تضرب بيدك على دبر الشئ وكسعتهم بالسيف اذا تبعت أدبارهم فكأنه قال التبعة عن نفسه ثم اتبعها بالدفع والضرب حتى نفاها بحسناته والكسع أيضا أن تتبع شيئا بمدرقة [illegible] وقد كسعته الاصمعى الكسع سرعة المر وكسعته بكذا جعلته تابعا له (تلافى) تدارك (الهفوات) السقطات والزلات وقد هفا الرجل اذا فعل المنكر زما كره [illegible] (مغاداة) مباكرة وقد غاداه أتاه بالعدو و(العادات) الدواعى [illegible] (التقاة) الحائفون الواحد تقى وقوله تعالى الا أن تتقوا منهم تقاة يجوز أن يكون [illegible] يجوز أن

فقرمت الى رشد الانتباه وندمت على مافرطت فى جنب الله ثم أخذت فى كسع الهنات بالحسنات وتلافى الهفوات قبل الفوات فلت عن مغاداة الغادات الى ملاقاة التقات

يكون مصدرا وهو أجود القولين تقيته واتقيته تقى وتقية وتقاء وتقاة أى حذرته والاسم التقوى (مقاناة) مخالطة وملازمة وهى مفاعلة من القينة وهى الجارية المغنية والجمع قينات (مداناة) مقاربة (ديانات) هى من الدين أراد بها الطاعة (آليت) حلفت (نزع) زال وكف (الغى) الضلال (فاء) رجع (منشره) انتشاره فى الصبا واللهو (ألفيت) وجدت (خليع الرسن) مسيب فى المعاصى لا يكفه عن اتيانها عقل ولا دين وخلعت رسن الدابة تركتها ترعى حيث شاءت سائبة ومثله خالع العذار وخلع عذاره أصله فى الدابة اذا خلع عذارها فسيبت فان انفلت رسنها الذى تمسكها به فنرت قيل جرت رسنها وفلان يجر رسنه وبابه فى الاستعارة أنه مسيب فى الشهوات مجاهر بها (مديد الوسن) طويل النوم اى فارغ البال من ذكر أو صلاة بالليل أو قراءة (أنأيت) أبعدت (عزه) جربه وداؤه يريد أنه حلف أن لا يصاحب الا من كف عن الصبا واللهو والنساء ومتى وجد أهل اللهو والعزل فرعنهم وتركهم وقال الالبيرى فأحسن

من حاد عن نهج الهدى * فأضل قصد سبيله
فتوق خلته فقد يشن المرء دين خليله

وله أيضا

الا حبر بمنترح النواحى * أطير اليه مقصوص الجناح
وأسأله وألطفه عساه * سيأسو ما بدينى من جراح
ويجلو ما دجى من ليل جهلى * بنور هدى كمنبلج الصباح
فأبسق فى محيا أم دفر * وأهجرها وأدفعها براحى
وأصحو من جياها وأسلو * عفافا عن بها آذرها الملاح
وأصرف همتى بالكل عنها * الى دار السعادة والنجاح

(تنيس) بلدة كبيرة وهى فى جزيرة قد أحدقت بها بحيرة تتصل بها النيل فتعذب عند زيادته ستة أشهر وتملح ستة أشهر ويتصل بها خليج دمياط وخليجها ينقسم على شرقيها وغربيها ويلتقيان فى البحيرة فيسيرون بسفنهم من دمياط الى تنيس دخولهم لها وخروجهم بريح واحدة محكمة وأهل تنيس ذوو يسار وأكثرهم حاكة وثياب الشروب التى تصنع بها وبدمياط لا يصنع مثلها فى الدنيا وليس فى الدنيا طراز كان يبلغ الثوب منها دون أن يعين بذهب مائة دينار غير طراز تنيس ودمياط ويكتنون بها بقصارة يوم واحد فى البحيرة فيبيض قال اليعقوبى مدينة تنيس يحيط بها البحر الأعظم الملح ولها بحيرة يأتى ماؤها من النيل وهى مدينة قديمة بها تعمل الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق والعصب والبرود والوشى وبها مراسى المراكب الواردة من الشام والمغرب (قوله ملتحمة) أى منضمة ملتصقة (ذا حلقة) يريد واعظا قد حلقه الناس و(النظارة) الناظرون اليه (جاش) تنفس (مكين) شديد (مبين) مفصح (أى مسكين) ترحم عليه لكثرة مسكنته وتعجب منه (ركن) سكن ولجأ (ركين) شديد قوى يركن اليه ورجل ركين أى وقور بين الركانة والركين الثابت (مكين) عزيز له مكانة أى منزلة رفيعة (ذبح من حبها بغير سكين) اشارة لعذابه فيها ومحنته لان السكين تذبح المذبوح من ساعته ومن يذبح بحجر أو عود أو غير ذلك فهو فى تعذيب . أبو موسى قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال سفيان بن عيينة ويلكم يا علماء السوء

وعن مقاناة القينات الى مداناة أهل الديانات وآليت أن لا أصحب الا من نزع عن الغى وفاء منشره الى الطى وان ألفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن أنأيت دارى عن داره وفررت عن عره وعاره فلما ألقتنى الغربة بتنيس وأحلتنى مسجدها الأنيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأى مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين

(ذكر بلدة تنيس وما فيها من الوشى النفيس)

لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب فيمر ويمسك النخالة فكذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ويحكم ان الذى يخوض النهر لابد أن يصيب ثوبه الماء وان جهد أن لايصيبه كذلك من يحب الدنيا لاينجو من الخطايا (يكلف) أى يولع بها ويشتد حبه فيها (غباوته) جهله (يكلب) يشتد حرصه وكلب على الشئ ألح فى طلبه وأصله من الكلب وهو السعر فى الكلاب (يعتد) يستعد (مرج) خلط وقيل أرسلهما وخلاهما كما تسرح الدابة فى مرعاها و (القمرين) الشمس والقمر غلب لفظ القمر لخفته بالتذكير وان كانت الشمس أنور وهى أصل لنور القمر ولهذا قال المتنبى

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

أراد أن الشمس أنور وأضوأ فما يضرها تأنيث اسمها وما ينفع الهلال تذكير اسمه وهو ناقص عنها فلخفة لفظ القمر غلب كما قالوا العمران لابى بكر وعمر وأبو بكر أفضل من عمر باتفاق من أهل السنة فغلب لفظ عمر لخفته بافراده وقلة حروفه * ومما يحسن موقعه مع قوله ونور القمرين أن اعرابيا أضل الطريق فملت جزعا وأيقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق فرفع اليه رأسه ليشكره فقال له والله ما أدرى ما أقول لك ولاما أقول فيك أقول رفعك الله فالله قد رفعك أم أقول نورك الله فالله قد نورك أم أقول حسنك الله فالله قد حسنك ولكن ما بقى الا الدعاء ان ينسئ الله فى أجلك وأن يجعلنى من السوء فداءك * وضلت ناقة لاعرابى فى ليلة مظلمة فأكثر فى طلبها فلم يجدها فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها الى جانبه ببعض الاودية وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا اقول وقولى فيك ذو خطر ، وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أوقلت زانك ربى فهو قد فعلا

ومما قيل فى ذمه عربد بعض المجان على القمر فقال والله انك لتنتت الكتان وتغير الالوان وتصفر الاسنان وتحتر الابدان وتسدد الآذان وتفضح السكران وتظهر الكتمان وتقلق الصبيان وتبيض الارجوان وتلحس الزعفران وتهزل الحيوان وتمحق الادمغة بالنقصان وقال ابن المعتز يذمه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامشكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه فيك بطائل * متسلخ لونا كلون الابرص

(قوله الحجرين) أى الذهب والفضة وقيل الحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام (نادم) صاحب والنديم الصاحب على الخمر (المكافات) المجازاة (المآل) المرجع (ذات اللهب) صاحبة النار يعنى جهنم (يقتحم) يترامى فيها وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لآخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها كما تقتحم الفراش والجنادب (التلزن) الجمع (البدع) الحدث لم يكن ثم كان وقد ابتدعت الشئ أحدثته وسبقت الناس الى فعله (وخط) اختلاط وقد وخط الشيب الشعر اذا خالطه وفشا فيه (وتؤذن) تعلم (شمسك بالمغيب) نفسك بالذهاب (تنيب) ترجع وتتوب (تهذب) تخلصه من العيب و (المعيب) الكثير العيب (يرشد)

يكلف بها الغباوته ويكلب عليها الشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافات لاستدرك مافات ولو نظر فى المآل لحسن قبح الاعمال ياعجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب فى اكتناز الذهب وخزن النشب لذوى النسب ثم من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد

يهدي ويدل الطريق * ونذكرهنا شيأ مما قيل في الدنيا موافقة للحريري ثم نعود الى ذكر الشيب
ومن خطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأعدّ
عديدا وأوضح آثارا واكثر جنودا وأعدّ عتادا وأطول عمادا تعبدوا للدنيا أي تعبد
وآثروها أي ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم أن الدنيا أسمحت لهم نفسا وأغنت
عنهم بحيلة بل أرهقتهم بالحوادث وضعضعتهم بالنوائب ودهمتهم بالمصائب أرأيتم مكرها
بمن دان لها وآثرها وأخلد اليها يقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الى قوله وباطل
ما كانوا يعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه الا أريك الدنيا
جمعاء بما فيها قال قلت بلى فأخذ بيدي وأتى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس
وعذرات وخرق فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل أملكم ثم هي اليوم
عظام ثم غدا رماد وهذه العذرات ألوان أطعمتهم ما اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها في
بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها والريح تصفقها وهذه عظام دوابهم التي كانوا بها
ينتجعون اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا * مرّ أبو عثمان
النباغ برجل على كنيف فقال له الى هذا انتهت دنيا القوم وقال الشاعر

ولقد سألت الدارعن أخبارهم فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي * اموالهم ونوالهم عندي

ويروى ان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مرّ بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي
باذن الله فقالت ياروح الله أنا ملك زمن كذا فبينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي حشمي
وجنودي على سريري اذبدا الى ملك الموت وظهر فزال عني كل عضو من موضعه ثم خرجت اليه
نفسي ولبعض الزهاد

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها
مدّت الى يمينها * فقطعتها وشمالها
منع الاله حرامها * وأنا اجتنبت حلالها
ورأيتها محتاجة * فوهبت جلتها لها

ولبعضهم
هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى انتقال
ومادنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

أبو العتاهية
يامن ترفع بالدنيا وزينتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين
أرى أناسا بأدنى الدين قدقنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال التهامي)

حكم المنية في البرية جاري * ماهذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدروأنت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وقال أبو حاتم انما بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى أن يكون اليوم أخذه أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين

يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

ولحاتم هل الدهر الا اليوم أو أمس أو غد * كذا الدهر فيما بيننا يتردد

تردّ علينا ليلة بعد يومها * فلا عمرنا يبقى ولا الدهر ينفد

وللفقيه الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه

فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وله أيضا تبلغ من الدنيا بأيسر زاد * فانك عنها راحل لمعاد

وغض عن الدنيا وزخرف أهلها جفونك واكحلها بطيب سهاد

وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا * فان جهاد النفس خير جهاد

وماهي الا دار لهو وفتنة * وان قصارى أهلها لفساد

وقال آخر وما أهل الحياة لنا بأهل * ولا دار الفناء لنا بدار

وما أموالنا الا عوار * سيأخذها المعير من المعار

ولأبي العتاهية

قطعت منك حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطى رحالى

ووجدت برد اليأس بين جوانحي * فارحت من حطي ومن ترحالى

فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبي * يا دار كل تنقل وزوال

والآن صار لي الزمان مؤدبا * فغدا وراح علي بالامثال

يا أيها البطل الذي هو من غد * فى قبره متفرق الاوصال

حيل ابن آدم فى الامور كثيرة * والموت يقطع حيلة المحتال

وللقاضي أبي حفص بن عمران

أيها المغتر بالرسن * فى هواه خالع الرسن

حبك الدنيا وزينتها * فتنة عمتك بالفتن

ظلت والحالات شاهدة * عاكفا منها على وثن

فاهجرنها ان زينتها * زينة شانت ولم تزن

خدعتك انها قبحت * باطنا فى ظاهر حسن

واسل عن حرص وعن طمع * أملا يردى وعن وعن

ولتقدم ما تسر به * قبل طول البث والحزن

فكأن أخراك ما برحت * وكأن دنياك لم تكن

يا ويح من أنذره شيبه فهو على غى الصبا منكمش

(قوله يا ويح من أنذره شيبه) ويح كلمة ترحم (أنذره) أبلغه وحذره (غى) ضلال (منكمش

مسرع اليه ملازم له وقد كش الرجل وانكمش فى أمره استمر ومضى فيه مسرعا * ومن قولهم فى الشيب فى هذا المعنى * ماقال اكثم بن صيفى الشيب عنوان الموت وقال العتابى الشيب نذير الموت وقال النمر هو عنوان الكبر قيس بن عاصم هو خطام المنية محمود الوراق الشيب أحد المنيتين المعتز بن سليمان الشيب موت الشعر وموت الشعر علة لموت البشر اعرابى كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فياخير مبدول ويا شر بدل أخذه حبيب فقال

شاب رأسى وما رأيت مشيب الر أس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك الرؤس من كل بؤس ، ونعيم طلائع الاجساد
طال انكارى البياض وان عمرت شيأ أنكرت لون السواد
زارنى شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسى من العواد

قيل للنبى صلى الله عليه وسلم عجل عليك الشيب يارسول الله فقال شيبتنى هود وأخواتها وقيل لعبد الملك عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن وقيل لشاعر عجل عليك الشيب فقال كيف لا وأنا أعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه وقال محمود الوراق رحمه الله

بكيت لقرب الاجل ، وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن ، وشيب كأن لم يزل

(وقال حبيب)

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يحفى والمعاشر يحتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على السخط والرضا ، وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

(وقال ابن عبد ربه)

شباب المرء تنفده الليالى * وان كانت تصير الى نفاد
فاسوده يعود الى بياض وأبيضه يعود الى سواد

أخذ هذا من قول المستوغر بن ربيعة حين دخل على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يامستوغر قال أجدنى قد لان منى ما كنت أحب أن يشتد وابيض منى ما كنت أحب أن يسود (وقال ابن عبد ربه)

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها * لم يبق من رسمها الا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدها * على فنائك والدنيا تركيها
للموت سفتجة فيها معنونة * لم يبق للموت الا أن يسحيها

(قوله يعشو) أى ينظر ببصر ضعيف (يمتطى) يركب (يعتده) يحسبه (المفترش) المضطجع على الفراش يريد أنه يركب اللهو فيلتذه ويجده وطيأ (يهب) يخف (اللب) العقل (دهش) تحير

(ماقيل فى الشيب)*

يعشو الى نار الهوى بعدما
أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطى اللهو ويعتده
أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذى مارأى
نجومه ذو اللب الا دهش

(النهى) جمع نهية وهى العقل ينهى عن القبيح وينتهى به الى حسن الرأى فى الامور ويقال نهاه عن ذلك نهاه أى عقله وأنشد أبو طاهر السلفى قال أنشدنى القاضى أبو محمد بن الحسن بن نصر بن مرهف النهاوندى قال أنشدنى الاديب المدنى لنفسه فى نفسه

لى على الناس فضل نظم ونثر ، من أباه هجونه وأباه
واذا ما أتى صفعت قفاه * وقفا من أعانه وقفاه
رحم الله من أراد محالا * فنهاه عن المحال نهاه

(قوله خدش) اى ذم وسب وأصل الخدش الاثر فى الجلد ثم اتسع فيه فجعل للعرض (ح٢٠ قا) بعد او (النشر) الريح طيبة كانت أو خبيثة (نبش) أخرج وكل مدفون أخرجته فقد نبشته وأخذ هذا البيت من قول ابن المعتز

تحث عن آثاره فكأنما * نبشت عليه بعد ثالثة الدفن

وله

أثنى عليك بمثل ريحك ميتا * فى عقب يوم نزف الاعواد

وأخذ هذا وهذا من قول عمر بن عبد العزيز لو رأيتنى بعد ثالثة وتقدم فى الحادية عشرة (بروق) تعجب (برد) ثوب (رقش) رقم وزين تقول رقشت يد المرأة بالحناء والحائط بالاصباغ والقرطاس بالمداد وشبه هذا (شاكه ذنبه) يقال شاكه يشوكه اذا ادخل فيه شوكه قال الشاعر

لا تنقشن برجل غيرك شوكه * تبقى برجلك رجل من قد شاكها

فشاكها ادخل فيها الشوك وشاكته الشوكة دخلت فيه وشكته انا اذا ادخلت الشوكة فى جسمه فان اصابك الشوك قلت شاكنى الشوك يشوكنى شوكا وانتقشت حتى من فلان اذا استخرجته ولم تترك منه شيأ وقال صلى الله عليه وسلم وان شيك فلا انتقش فشيك اصابه الشوك ومعناه اذا وقع فى شر فلا تخلص منه (تنقش) تخرج الشوكة وتبحث عليها وأو بمعنى الا والمناقشة البحث والاستقصاء ومنه مناقشة الحساب وبذلك سمى المنقاش وقال ابن الرومى

اذا رست بالمنقاش نتف اشاهبى * اتيح لها من بينهن الاباهم
يراوغ منقاشى نجوم مسايحى * وهن بعينى طالعات نواجم

(تطمس) تمحو (نقش) كتب والنقش يستعمل فى مثل الخشب والحائط والعضر والنقش النقح والتأثير فى نفس المنقوش وقال الالبيرى فى معنى هذا البيت

من ليس يسعى فى الخلاص لنفسه * كانت سعايته عليه لا لها
ان الذنوب بتوبة تمحى كما * يمحو سجود السهو غفلة من سها

(قوله عاشر) اى صاحب (دار) عامله بما يحب وامش على غرضه (طاش) خف عقله ورجل طياش غير مقتصد فى قوله وهو من طاش السهم اذا لم يصب ووقع على غير قصد ومثله قول اعرابى لبنيه عاشروا الناس معاشرة اذا غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وهذا من قول الشاعر

وأكرم كريما ان اتاك لحاجة * لعاقبة ان العصاة تروح

وقال الاضبط بن قريع

ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش
فذا الذى ان مات فسحقا له وان يعش عد كان لم يعش
لا خير فى محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب بروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت ان تسكين أو تنتقش
فأخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضا ودار من طاش ومن لم يطش

والنعش اذا ناداك ذو كبوة
عسالك في الحشر به تنتعش
وهالك كاس النصح فاشرب
وجد
بفضلك الكاس على من عطش
قال فلما فرغ من مبكاته
وقضى انشاد أبياته نهض
صبي قد شدن وأعرى
البدن وقال ياذوي الحصاة
والانصات الى الوصاة قد
وعيتم الانشاد وفقهتم
الارشاد فمن نوى منكم
أن يقبل ويصلح المستقبل
فليبن برى عن نيته ولا
يعدل عن بطيته فوالذي
يعلم الاسرار ويغفر الاصرار
ان سري لكما ترون وان
وجهي ليسنو جب الصون
فأعينوني رزقتم العون قال
فأخذ الشيخ فيما يعطف
عليه القلوب ويسني له
المطلوب حتى أنبط حفره
واعشوشب قفره فلما أن
ترع الكيس انصلت يميس
ويحمد تنيس ولم يحل
للشيخ المقام بعد ما انصاع
الغلام فاسترفع الايدي
بالدعاء ثم نحا نحو الانكفاء
(قال الراوي) فارتحت الى
أن أعجمه وأحل مترجمه
فتبعته وهو يشتد في سمته
ولا يفتق رتق صمته فلما أمر
المفاجي وأمكن التناجي
لفت جيده الى وسلم تسليم
البشاشة على ثم قال أراقك ذكاء ذا الشويدن فقلت أي والمؤمن المهيمن

لاتهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

(رش الجناح) اكسه الريش والمعنى أصلح حال الحر اذا افتقر (حصه) نتفه (أنجد) قو وأعن و(الموتور) المظلوم الذي قتل له أخ أو ولد أو نسيب (استحبش) اجمع جيشا والمعنى اذا لم تقدر على اعانة مظلوم فتوسط لمن يعينه (انعش) ارفع (كبوة) سقطة وعثرة (تنتعش) ترتفع وتقوم من عثرتك (هالك) خذ والمعنى خذ كاس النصيحة فاشربها فاذا رويت فاسق غيرك ولا يقال كاس الا اذا كان فيها شراب (قوله قضى) أي أتم (نهض) قام وتقدم (شدن) اشتد وقوى وأصله في الظبي والصبي تقول شدن الظبي اذا اشتد وترعرع وكذلك الصبي قال عمر بن أبي ربيعة

اذ تستبيك بمصقول عوارضه - ومقلتي جوذر لم يعد ان شدنا

أراد انه ترعرع للمشي والرعي (أعرى البدن) تركه عريانا (ذوي الحصاة) أهل العقول و(الانصات) السكوت وحسن الاستماع و(الوصاة) بمعنى الوصية كالتقاة بمعنى التقية وأصلها وقية قلبت الواو ياء والياء ألفا والواو اذا انضمت في أول الكلمة كنت بالخيار ان شئت تركتها وان شئت قلبتها ولهذا تركت في الوصاة وقيل الوصاة بفتح الواو في الوصية وبضمها جمع واص كراع ورعاة (وعيتم) حفظتم (فقهتم) فهمتم (الارشاد) الهداية أي قد فهمتم مادللتم عليه من الخير فافعلوا (نوى) قصد وأضمر وهو من النية وأراد بالمستقبل ما يستقبله من أفعاله (فليبن) فليفصح وبين (ببرى) باكرامي (عن نيته) عن قصده وصدق باطنه (يعدل) يمل (الاصرار) الاقامة على الذنب (سرى لكما ترون) أي هو ظاهر لكم غير مستتر (الصون) الحوطة (فيما يعطف عليه القلوب) يريد أنه أخذ في كلام تحن به للصبي قلوب الناس (يسني) يسهل وييسر (انبط) أخرج الماء (القفر) ما لانبات فيه (اعشوشب) تعطى بالعشب يريد أنه استغنى بعد الفقر وضرب بانبط واعشوشب المثل (ترع) امتلأ و(الكيس) وعاء الدراهم (انصلت) تسلل وخرج بسهولة (يميس) يتمايل ويتبختر (انصاع) ذهب مسرعا وانسل راجعا (استرفع) طلب رفعها (نحا نحو الانكفاء) أي قصد قصد الانصراف (قوله ارتحت) أي اشتهيت وطربت (أعجمه) أخبره (مترجمه) ملتبسه (يشتد) يجري (سمته) طريقه (يفتق رتق) يشق غلق (صمته) مبهم أمره والفتق الخرق والرتق الاغلاق وهو ضده وذلك أن يضم المتخرق بعضه الى بعض (التناجي) التحادث (لفت جيده) عطف عنقه (البشاشة) الخفة وابداء السرور (أراقك) أعجبك (ذكاء) حذق والذكاء توقد الذهن (الشويدن) تصغير شادن وأراد ابنه (والمؤمن المهيمن) هو الله تعالى والايمان التصديق وقال أبو بكر بن العربي الباري تعالى مؤمن بتصديقه لنفسه بقوله وذلك حقيقته قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو أو بتصديقه لرسله باظهار المعجزة أو لاوليائه باظهار الكرامة وهما مجازان والمهيمن الرقيب الحافظ الكسائي المهيمن الشهيد أبو عبيدة الرقيب وقد هيمن هيمنة ابن الانباري القائم على خلقه قال الشاعر

ألا ان خير الناس بعد نبيهم مهيمنه التاليه في العرف والنكر

أي القائم على الناس بعده وأصله مؤيمن فأبدلوا من الهمزة هاء كما قالوا أرقت وهرقت وفي مثل مدح هذا الغلام بالذكاء قال الفضل بن جعفر

فان خلقته السن فالعقل بالغ * به رتبة الكهل المرشح للمجد
فقد كان يحيى أوتي الحكم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس في المهد

(وقال البحتري)

لا تنظرن الى العباس من صغر * في السن وانظر الى المجد الذي شادا
ان النجوم نجوم الجو أحقرها * في العين أكثرها في الجو اصعادا

ولما ذكر لهذا الصبي من فصاحة اللسان وبراعة البيان ما ذكر وجب علينا أن نذكر من نوادر الولدان فصلا كافيا يؤنس بما ذكر لئلا نخل بما سطرناه فقد تروى للولدان نوادر بما عجزت عنها الكهول ذوو البصائر * حكى الخطابي انه قدم على عمر بن عبد العزيز وفد فيهم شاب فتحوش للكلام فقال عمر كبروا كبروا أي ليتكلم الكبراء منكم فقال الغلام يا أمير المؤمنين لو كان بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك قال عمر صدقت تكلم * فتحوش فنهى الكلام وفي رواية قدم وفد الحجاز على عمر فقصدموا غلاما منهم للكلام فقال عمر مهلا ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الحلية قال تكلم قال نحن وفود الشكر لا وفود المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا أمنا في زمانك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا * ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن لي في الكلام قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أقصانا وأدنانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا هذا مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك ثم سأل حوائجه فقضاها * وقحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رؤس القبائل فجلس لهم وفيهم صبي ابن أربع عشرة سنة يسمى درواس بن حبيب في رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام وقال لحاجبه ما يشاء أحد أن يصل الينا الا وصل حتى الصبيان فقال درواس يا أمير المؤمنين ان دخولي لم يخل بك ولا انتقصك ولكنه شرفني وان هؤلاء قدموا الامر فهابوك دونه وان الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف الا بنشره فأعجبه كلامه وقال انشر لا أم لك فقال انا أصابتنا سنون ثلاثة فسنة أكلت اللحم وسنة أذابت الشحم وسنة أنقت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لله عز وجل ففرقوها على عباده وان كانت لهم فلا تحبسوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين وان الوالي من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به فقال هشام ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذرا وأمر بمائة ألف دينار ففرقت في أهل البادية وأمر له بمائة ألف درهم فقال اردده في جائزة العرب فما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين * أحمد بن يحيى حدثني السدري أن غمرا أغزت حنيفة فغنمت وتبعتهم حنيفة فهزموهم وردوا غنائمهم فلقيت غلاما منهم فقلت كيف صنع قومك فقال تبعوهم والله وقد احتبوا كل جمالية خيفانة فما زالوا يخصفون اخفاف المطي بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا

*(ذكر نوادر الولدان)

بها اروا حهم وهذا كلام فصيح كثير الاستعارة احقبوا اردفوا ابعواضع الحقيبة والجمالية المرأة الجميلة وخصف خرز وتشبيه المران وهى الارماح بالارشية وهى الحبال حسن ، وجلس خالد القسري يوما للشعراء على الفرات فأنشدوه وأخذوا الجوائز وانصرفوا ولم يبق الاغلام فقال خالد يا غلام أشاعر أنت قال لا ولكنى متعلم وقد قلت شيأ قال هات فأنشأ يقول

ألا هل ترى موج الفرات كأنه * جبال سرور قد أتينك عوما

وماذاك من عاداته غير أنه * رأى شيمة من جاره فتعلما

وكان بقى على البساط فضلة مال فقال له خالد اطو البساط بما عليه فأخذه الغلام بما عليه ورأى بعض الملوك غلاما يسوق حمارا وهو يعنف عليه فقال ارفق يا غلام فقال أيها الملك فى الرفق مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف عليه احسان اليه يخف حمله ويطول أكله فأعجب به وقال قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا صغرك لاستوزرتك قال لم يعدم الفضل من رزق العقل قال أفتصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا رأى صائب * دخل الفرزدق وهو غلام يافع على سعيد بن العاص وقد أنشد أشعارا والحطيئة حاضر فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان آلا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به الهلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر لا ما تعلل به نفسك هذا اليوم يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك وان طال عمرك لتبرزن ثم قال له هل انجدت أمك يا غلام قال لا بل انجد أبى فوجده لقناحاضر الجواب فأعجبه وكان للفرزدق نديم يسمى زيادا الاقطع فأتى بابه فخرجت له بنية له صغيرة اسمها مكية فقال لها ابنة من أنت قالت ابنة الفرزدق قال فما بالك حبشية قالت فما بال يدك مقطوعة قال قطعت فى حرب الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية فقال عليك وعلى أبيك لعنة الله ثم أخبر الفرزدق بالخبر فقال أشهد انها ابنتى حقا ثم قال

سام اذا ما كنت ذا حجيه * بدارمى أمه صقبيه * صمصم مثل أبى مكيه

وقرع باب عدى بن الرقاع جماعة من الشعراء فخرجت اليهم بنية له صغيرة فقالت ما تريدون من أبى فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت

تجمعتم من كل أوب ووجهة * على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صغير الى من أوصى بك ابوك فقال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى أخذه بعضهم فقال

وكنت الحسب لدى ناجلى * فأوصى الى ولم يوص بى

(قال) يحيى بن يزيد استنشدت غلاما فأنشدنى أرجوزة فقلت لمن هذه فقال لى فزجرته فأنشأ يقول

انى وان كنت صغير السن * وكان فى العين نبو عنى

فان شيطانى أمير الجن * يذهب بى فى القول كل فن

الاصمعي رحمه الله قال وقف علي غلام يحمي ضربة ماظننته يجمع بين كلمتين فقلت له ما اسمك
قال حريقيص فقلت له ما كفى أهلك أن سموك حرقوصا حتى صغروا اسمك فسألت ان السقط
ليحرق الحريجة فعجبت من جوابه فقلت أتنشد شيأ من أشعار قومك قال نعم
أنشد لمرارنا سكنوا شبيثا والاحص فاصبحت * نزلت منازلهم سوذ بيان
واذا يقال أبيتم لم يبرحوا * حتى تقيم الخيل سوق طعان
واذا فلان مات عن أكرومة * رفعوا معاوز فقده لفلان
قال فكادت الارض تسوخ لحسن انشاده وجودة الشعر فحدثت الرشيد الحديث فقال وددت
يا أصمعي لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب فهذا الغلام سمى نفسه بحقير وهو في
معناه جليل معظم * وينظر الى هذا من باب الضد ما حدث أبو العباس عن الرياشي عن الاصمعي
قال مر بنا اعرابي وهو ينشد ابنا له فقلت له صفه فقال دنيري فقلنا لم نره فلم نلبث ان جاء به يحمله
على عنقه فقلنا له لو سألت عن هذا الارشد نالك مازال هذا اليوم بين ايدينا قال الاصمعي قال لي
المحش أما كان لك ابن فقال المحش قيل وما كان المحش قال اشدق خرطمانيا اذا سكت فاه
كأنما ينطر من فلسين وكأن ترقوته بوان أو حالفه وكأن مشاشه كبيبة كركرة جمل فما ملأ
عيني هاتين ان كنت رأيت أحسن منه قبله أو بعده وأنشد
نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد الولد
وقال أبو المحش كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنه جمارة
فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصتني بها فزوجتها وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز
كفا كأنها الكرنافة في ذراع كأنها ساطة فلا تقع عيني على أكلة نفيسة الا سبقت يده اليها قبلي
المحش الذي يحش في القوم يدخل معهم وهم يأكلون وأراد بفلسين عورعينيه وقيل
حفرتهما خرطمانيا طويل الانف وسيلان اللعاب يدل على قوة النفس البوان عمود في مقدم
البيت والكرنافة طرف الكرب العريض المتصل بالنخلة كأنها كتف * اليزيدي أول ما ظهر
من نجابة المأمون وسداده أني كنت أؤدبه فوجهت اليه يوما الحرج فأبطأ فقلت لسعيد
الجوهري وهو في حجره ان هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة فقال سعيد قومه بالادب فلما خرج
ضربته ثلاث درر فانه ليبكي اذا بجعفر بن يحيي قد استأذن عليه فوثب الى فراشه مسرعا وهو
يمسح عينيه فجلس ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخشيت ان يشكوني الى جعفر
فألقى منه ما أكره فأقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحكه فلما هم بالحركة قال يا غلام دابته
ورجعت فقال ماجلك ان قت عنا فقلت خفت ان تشكوني اليه فيوبخني فقال انا لله يا أبا
محمد ما كنت أطلع الرشيد على هذا فكيف أطلع جعفرا على أني احتاج الى أدب يغفر الله لك
فكنت اهابه بعد ذلك وشكى الى معلم عبد الرحمن بن حسان بصيانا فضربه سهم حتى اسعى الى
عبد الرحمن فهدده فقال
الله يعلم أني كنت معتزلا * في دار حسان أصطاد اليعاسيبا
فتركه وبلغ حسان فضمه اليه وقال أنت والله ابني حقا فداك أبي وأمي ودخل عليه يوما يبكي من

لسعة زنبور فقال له ما يبكيك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال قلت والله ابني الشعر * وجاءت سكينة بنت الحسين أمها الرباب وهي تبكي فقالت مالك فقالت مرت بي طوير فلسعتني بابيرة ويروى مرت بي دبيرة تصغير دبرة وهي النحلة (قوله اللبي) البحر (شواظ) لهب النار و (الكهانة) بالكسر حرفة الكاهن و بالفتح فعل الكاهن وهو المصدر والكاهن الخبير بالغيب و (افتر) تبسم (متضاحك) مستعمل الضحك (مماحك) لجوج أي مشي غير ناضب (احفظها عني) أي حصلها وعها و (على) أي اكتمها واسترها وقامت الواو مقام تكرير الفعل (اصرف) أزل وبح (صرف الراح) خالص الخمر (الاسى) الحزن (تكتئب) تهتم وتحزن (قدك) حسبك (اتئب) ارتجع وكف وقيل معناه استحي يقال منه وأب واتأب أي خزي واستحيا والابة والموئبة الخزي والحياء والانقباض وأوأبه واستأبه ردته بخزي وعار والتاء فيها مبدلة من واو فاصل اتأب اوتأب فأبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء بعدها وهي من وأب الحافر يئب وأبا اذا انضم وحافر وأب أي خفيف والتوبة مأخوذة من اتاب وقال حبيب

قدك اتئب أربيت في الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجوي

فهذا بين الموقع هنا في المقامة وعلى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت برجال ليلة أسري بي تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا قال أبو العتاهية في منصور بن عمار وكأنه يخاطب واعظ المقامة

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا كنت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته / للناس بادية ما ان يواريها
وأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه * في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

(ومن لزوميات المعري) *

رويدك قد خدعت وأنت كهل * بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا * ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ماعنه ينهى * فمن جهتين لا جهة أساء

ونذكر هنا من الابيات الخمريات ما يأتي على معنى البيتين اللذين أنشد قال الحسن

ما مثل هذا اليوم في حسنه * عطل من لهو ولا ضيعا
هل لك ان تغدو على قهوة * تسرع في المرء اذا اسرعا
ما وجد الناس ولا جربوا * للهم شيأ مثلها مدفعا

وله ايضا

جليت لاصحابي بهادرة الصبا * بصفراء من ماء الكروم شمول
اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى * دعا همه من صدره برحيل

قال انه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شررته فصدق كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في ابتدار البيت لتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار متضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الي وقال احفظها عني وعلى

اصرف بصرف الراح عنك الاسى
وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به
تدفع عنك الهم قدك اتئب

ثم قال اما انا فسانطلق الى

وله

دع ذا فديتك واشربها معتقة * صفراء تعبق بين الماء والزبد
من كف مختصر الزنار معتدل * كغصن بان تثنى غير ذي أود
لو كان لومك نصحا كنت اقبله * لكن لومك محمول على الحسد

(وقال الصابي)

كوكب الاصباح لاحا * طالعا والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ * سو من الهم جراحا
ذات نشر كنسيم الر وض غب القطر فاحا
باغلامي ما ارى فيـ * ـك ولا فيها جناحا

(وله من أبيات يصف فيها مجلس شراب)

كان الكؤس بايدي السقاه * سيوف لهاباالدماء احرار
كأن تسكبها بالزجاج * حريق لها من حباب شرار
فلما برزن الى الهم فيه * ولى بالسرور عليه اقتدار
جرى الضرب مختلفا بيننا * فمات وعشت وقد نيل ثار

(وقال ابو بكر البلوى)

ومدام كست الكا * س من النور وشاحا
ظهرت في جنح ليل * فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح * فسبباه صباحا

(وقال ابو بكر الخالدي)

ماعذرنا في تركنا الاغتبابا * سقط الندى وصفا الهواء وطابا
فأدم لذاذة عيشنا بمدامة * زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت وغاب حبابها من لحظها * فعلا محاسنها فصار نقابا

(ولابن المعتز)

ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى ما رق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء في جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

نحيث اصطبح واغتبق واذا كنت لاتعجب ولا تلائم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي وتنكب ولا تنقر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب (قال الحرث بن همام) فالتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

(حكى الحرث بن همام) قال

(قوله أصطبح) أي اشرب صبوحا وهو شرب الغدو (وأغتبق) أشرب غبوقا وهو شرب العشي (تلائم) توافق (تنكب) تنح عن طريقي واجعله لجهة منكبك (تنقر وتنقب) تبحث وتفتش وقد نقرت عن الامر اذا طلبت علم باطنه ونقبت عنه اذا بحثت عليه بطنك حتى تستخرج سره وفلان نقاب أي فطن ذكي يحدث بالغائب والتنقيب في البلاد تطلع أحوال أهلها وتجريب أموره (ولى) أدبر وترك طريقه الذي كان يستقبله (يعقب) ينظر (والوجد) الحزن (والتهبت) اشتعلت (وددت) تمنيت ومما قيل في ترك الوداع

صدني عن حلاوة التشييع * اجتنابي مرارة التوديع
لا يفي أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

(شرح المقامة الثانية والاربعين وهي النجرانية)

(ترامت بي) رمتني هذه الى هذه وهذه الى هذه و (المرامي) المواضع التي ترميه (والمسارى) مواضع السرى وهو سير الليل وهو جمع مرمى ومسرى ويكون المرمى والمسرى مصدرين و (النوى) الغربة والبعد عن الاهل أراد أن البلاد والجهات ترميه بلدة الى بلدة وجهة الى جهة فهو أبدا في الجولان و (ابن كل تربة) أي ينسب لكل بلدة لكثرة ما يظهر فيها (باديا) مجلسا (الاقتباس) الاكتساب (المسلى) المذهب الهم وتسليت عن الهم نسيته و (الاشجان) الاحزان وقد تقدم شرح هذه المعاني وتكرر (الشنشنه) الطبيعة (أعلق) الصق و (بنو عذرة) قبيلة معروفة من قبائل العرب وهم أولاد عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة * الفنجديهي عذرة قبيلة من العرب يستلذون مرارة العشق مثل الضرب جبلت المحبة في طينتهم وجبيت المودة من لبنتهم وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك ورهائن قلوبهم من حرارات الشوق لا تنفك استأسرهم العشق أسرا واستأصلهم الحب قهرا وقسرا فمنهم من يموت من أوام غرامه ومنهم من يموت بهيام سقامه ومن مشاهيرهم جميل بن عبد الله بن معمر العذري صاحب بثينة بنت عبد الله العذرية وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريين وقال سعيد بن عتبة الهمداني قلت لاعرابي ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قلت عذرى قال عذرى ورب الكعبة قلت وم ذاك قال في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة وسئل اعرابي منهم فقيل له ما حد الحب عندكم فقال أعين تلاحظ وألسن تلافظ وعدات تقضى واشارات تدل على السخط والرضا قيل له فالمباضعة قال ذاك طلب الولد الحب اذا نكح فسد * سفيان بن زياد قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوى غالبا حتى خفت عليها الموت ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب قالت فينا جمال وتعفف فالجمال يحملنا على العفاف به والعفاف يورثنا رقة القلب والعشق يفني آجالنا وانا نرى محاجر لا ترونها * أبو عمرو بن العلاء حدثني رجل من تميم قال خرجت في طلب ضالة لي فبينا أنا ادور في أرض بني عذرة أنشدها اذا بيت معتزل عن البيوت وفي كسره شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز بها بقية جمال ساهمة تنظر اليه فسلمت عليها فردت السلام فسألتها عن ضالتي فلم تعلم بها فقلت من هذا الفتى فقالت ابني فهل لك في أجر لا مؤنة فيه فقلت والله اني احب الاجر وان رزئت فقالت ان ابني هذا يهوى ابنة عم له علقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره فأخذه شبه الجنون فخطبها الى ابيها فمنعه وزوجها غيره فنحل جسمه واصفر لونه وذهب عقله فلما كان منذ خمس زفت الى زوجها فهو كما ترى مغمى عليه لا يأكل ولا يشرب فلو نزلت اليه فوعظته قال فنزلت اليه فلم ادع موعظة الا وعظته بها حتى قلت له انهن الغواني صاحبات يوسف الناقضات العهد وقد قال فيهن كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف

قال فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول لست ككثير ان كثيرا رجل مائق وأنا وامق ولكني كأخي تميم حيث يقول

ألا لا يضر الحب من كان صابرا * ولكن ما اجتاب الفؤاد يضير

ألا قاتل الله الهوى كيف قادني * كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له فانه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي

(ذكر بني عذرة)

ترامت بي مرامي النوى ومسارى الهوى الى ان صرت ابن كل تربة وانا كل غريبة الا انى لم أكن أقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلى عن الاشجان المغلى قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة

فأنشأ يقول ألا ما للمليحة لم تعدنى * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادنى أهلى جميعا * فمالك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملى شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولى من ذوى رحمى عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى * اليك وما يهددنى الوعيد

ثم شهق شهقة وخفت خفتة فداخلنى أمر ما داخلنى مثله قط والعجوز تبكى فلما رأت ما حل بى قالت يا فتى لا ترع مات والله ولدى بأجله واستراح من تباريحه وغصصه فهل لك فى استكمال الصنيعة قلت قولى ما أحببت قالت تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاونونى على رمسه فقمت وحيدة فركبت فرسى وأتيت البيوت وافعاصونى بنعيه فلم ألبث أن خرجت لى جارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس تقول بفيك الحجر المصمت من تنعى قلت أنعى فلانا قالت أو قد مات قلت اى والله قد مات قالت فهل سمعت له قولا قلت اللهم شعرا قالت وما هو فأنشدتها أبياته فاستعبرت وأنشأت تقول

عدانى ان أزورك يا مرادى * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ ثويت اليوم لحدا * وكل الناس دورهم لحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا * ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا عليها وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت فوالله ما برحت حتى دفنتهما جميعا * هشام بن عروة أذن معاوية للناس يوما فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عذرة فقام بين السماطين وأنشأ يقول

أتيتك لما ضاق فى الارض مسلكى * وأنكرت مما قد أصبت به عقلى
ففرج كلاك الله عنى فاننى * لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى هداك الله حقى من الذى * رمانى بسهم كان أهونه قتلى
وكنت أرجى عدله اذ أتيته * فأكثر تردادى مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصابنى * فهل ذا أمير المؤمنين من العدل

فقال له معاوية ادن بارك الله عليك ما خطبك قال أطال الله بقاء أمير المؤمنين انى رجل من بنى عذرة تزوجت ابنة عم لى وكانت لى صرمة من الابل وشويهات فأنفقت ذلك عليها فلما أصابتنى نائبات الزمان وحادثات الدهر رغب عنى أبوها وكانت جارية فيها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها فأتيت عاملك عبد الرحمن ابن أم الحكم فذكرت ذلك له وبلغه جمالها فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذنى فحبسنى وضيق على فلما أصابنى مس الحديد وألم العذاب طلقتها وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ومعيد المسلوب فهل من فرج ثم بكى وهو يقول

فى القلب منى نار * والنار فيها شرار
وفى فؤادى جمر * والجمر فيه احرار
والجسم منى نحيل * واللون فيه اصفرار

والعين تبكي بشجو * فدمعها مدرار
والحب داء عسير * فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما * فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليلا * ولا نهاري نهار

فرق معاوية له وكتب الى ابن أم الحكم كتابا غليظا وفي آخره

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه * استغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتصبا * يشكو الي بحق غير بهتان
أعطي الاله عهود لا أخيس بها * أولا فبرئت من ديني وايماني
ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * واشهد على ذا المنصر وابن ظبيان
فما سمعت كما حدثت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال وددت لو أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرض علي السيف وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلم يقدر ولما أزعجه الوفد طلقها ثم قال يا سعاد اخرجي فخرجت شكلة غنجة ذات هيئة وجمال فلما رآها الوفد قالوا ما تصلح هذه الا لامير المومنين لا للاعرابي وكتب الجواب

لا تحنثن أمير المومنين وفي * بعهدك اليوم في رفق واحسان
فما ركبت حراما حين أعجبني * فكيف سميت باسم الخائن الزاني
فسوف تأتيك شمس لا خفاء بها * أبهى البرية من انس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف اذ وصفت * أقول ذلك في سر واعلان

فلما وردت على معاوية قال ان كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها فاذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا اعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم اذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري من شئت أنا أو ابن أم الحكم أو الاعرابي فأنشأت تقول

هذا وان أصبح في أطمار * أو كان في بعض من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
* أخشى اذا غدرت حر النار *

فقال له معاوية خذها لا بارك الله لك فيها فأخذها وأنشأ يقول

خلوا عن الطريق للاعرابي * ألم ترقوا ويحكم لما بي

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وأدخلت لبعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم دفعها للاعرابي * وقال بعضهم كنت سائرا في بلاد عذرة فولجت بعض أوديتهم واذا شاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجف به جارية وسن وراء الساقة خمس قلائص وقد رفع عقيرته ينشد ويقول

نه كيف شئت وسر على مهل * كل الجمال عليك يا جمل

علي أنك لا ترى كللا * مادام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فرد وسألته وسالني وتناشدنا واتصل الانس بيننا وسرنا غير قليل فرأى قانصا في أحبولته ظبي فلما رآه يضطرب في الاحبولة أجهش بالبكاء وأنشأ يقول

وذكرني من لا أبوح بحبه * محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت وجفن العين يجري بعبرة * ولحظي الى عينيه لحظة شاخص

الا أيهذا القانص الظبي خله * وخذ عوضا منه جياد القلائص

خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حياتي قد أرعدت منه فرائصي

فقال القانص الله ان فعلت قال الله فارسل الظبي واستاق القلائص * وحدث رجل من بني عذرة قال كان فينا فتى ظريف غزل كثيرا ما يتحدث الى النساء فهوى جارية من الحي فراسلها فاظهرت له جفوة فوقع مضني مدنفا وظهر أمره وتبين دنفه ولم يزل النساء من أهلها وأهله يكلمنها فيه حتى أجابت فسارت اليه عائدة ومسلمة فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تروح بها أيد طوال وتسرع

أما تتبعين النعش حتى تسلمي * على رمس ميت بالحفيرة يودع

فبكت بحرقة وقالت والله ما ظننت ان الامر بلغ بك هذا فوالله لاساعدنك ولا داومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

دنت وظلال الموت بيني وبينها * ومنت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فخرجت نفسه قال فوقعت عليه تلثمه ثم رجعت عنه مغشيا عليها فما مكثت بعده الا أياما حتى ماتت * قال حماد الراوية انصرفت من جنازة لبعض النساك فاذا بصبي من عذرة ظريف حسن الوجه صغير السن موصوف بقول الشعر فوقفنا فسلمنا فقام اعظاما لنا فقلت أنشدنا شيأ فكأنه استحيا فقلت له لا بد فأنشدنا

هل من الحب مجير * من ملاح يعتدونا

قد شكونا بخضوع * عذل قوم يعذلونا

في جوى نلقاه ممن * لا يبالي ما لقينا

وبكينا بدموع * اغرقت منا الجفونا

قال حماد فكدت ارقص طربا وقلت فداؤك عمك وجلسنا اليه تعجبا من رقته وجماله وفصاحته فأنشدنا

ولقد ارسلت دمعي شاهدا * ثم صيرت اليها المشتكى

فنزلت ثم قالت شغلي * كل من شاء تبكي فبكى

قال حماد قلت له فديتك تعجب هذه الجارية قال يا عم والحب عيب ان كان عيبا تركته ثم قال يا عم اذا قرأت أو بلغني أحاديث قومي مثل عروة وجميل أفلا أشتهي أن أكون واحدا منهم فانصرفنا عنه متعجبين (قوله والشجاعة بآل أبي صفرة) أبو صفرة هو ظالم بن سراقة بن كندي ابن عمرو بن عدي ويتصل بعمرو مزيقيا ثم بازديا وازديا ما بين عمان والبحرين وكانوا أسلموا ثم ارتدوا في خلافة أبي بكر فبعث اليهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل فقاتلهم وسبى ذراريهم وبعثهم الى أبي بكر وأبو صفرة غلام فحبسهم أبو بكر فلما توفي أطلقهم عمر فنزل أبو صفرة البصرة فشرف بها وروى بعضهم أن أبا صفرة طلب من عمر أن يوليه عملا فسأله عن اسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يوله عملا تطيرا باسمه والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين وله طول ومنظر وفصاحة فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى من جماله وخلقه فقال له من أنت قال أنا قاطع ابن سارق بن ظالم بن عمرو بن شهاب بن مرة بن الهلقام بن الجلندى بن المستكبر بن الجلندى الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت أبو صفرة ودع عنك ظالما وسارقا فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسوله حقا ان لي لثمانية عشر ذكرا ورزقت بآخرهم بنتا سميتها صفرة * وأما أولاد أبي صفرة فكانوا كلهم شجعانا أبطالا أجلاء منهم أبو سعيد المهلب وذكروا ان أبا صفرة وفد على عمر رضي الله عنه ومعه عشرة من ولده والمهلب أصغرهم فتوسمهم عمر ثم قال هذا سيد ولدك المهلب والمهلب هو صاحب حروب الازارقة وولاه عبد الملك خراسان بعد الازارقة سنة تسع وسبعين ومات سنة ثلاث وثمانين واستخلف يزيد ابنه عليها فأقره عبد الملك عليها ستين أو ثلاثا وغزا يزيد جرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين في ثلاثين ألف مقاتل فقاتلهم أشهرا ثم صالحهم على ان يعطوا خمسمائة ألف درهم كل عام يؤدونها اليه ثم غزا سنة ثمان وتسعين طبرستان فصالحهم على سبعمائة ألف درهم واربعمائة وقر زعفران واربعمائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وخاتم فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك وانصرف عنهم ثم غدر أهل جرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من طبرستان سار اليهم فقاتلهم شهرا ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وصلبهم فرسخين وقاد منهم اثني عشر ألفا الى وادي جرجان فقتلهم واجرى الماء في الوادي على الدم وعليه ارحاء بدماءهم تطحن واختبز وأكل وكان قد حلف على ذلك * الاصمعي قبض الحجاج على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فكان دأبه أنه اذا أداها تركه والا عذبه الى الليل فجمع يوما مائة ألف درهم يشتري بها عذابه فدخل عليه الاخطل فأنشده

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد

فلا سقي المروان بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما لسرير بعد ملكك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود

فاعطاه المائة الالف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مرو زي أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة

(ذكر آل ابي صفرة)

والشجاعة بآل ابي صفرة

قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده وابن عبد الحكم أخبرنا الشافعي قال طعن يزيد بن المهلب رجلا من الخوارج فصرعه فوثب الخارجي بالسيف وهو يقول

وانا القوم لا نعوّد خيلنا * اذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وتنكر يوم الروع الوان خيلنا * من الدم حتى تحسب الورد أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردّها * صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

قال يزيد فكرهت أن أقتل مثله فانصرفت عنه وقتل يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل للمهلب م نلت ما نلت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى وقيل لابي اسحق الهمداني لم رويت عن المهلب قال لاني لم أر أميرا أبين منه تقية ولا اشجع منه ولا أبعد مما يكره ولا اقرب مما يحب ومر المهلب بقوم فعظموه وسوّدوه فقال رجل الهذا الاعور تسوّدون والله لو خرج الى السوق ما زادت قيمته على ألفي درهم فسمعه المهلب فقال لبعض من معه اتعرف الرجل قال نعم فلما انتهى الى مجلسه ارسل اليه بألفي درهم فقال له لو زدتنا في القيمة لزدناك في العطية فخجل الرجل وعرف منزلته وللمهلب وبنيه واخوته في حروب الازارقة مشاهد ما شوهدت قط في جاهلية ولا اسلام وقتل المهلب واولاده واخوته ومن معه من الازارقة في ليلة واحدة اربعة آلاف وثمانمائة وانهزم بقيتهم مع قطري فنفاهم الى اقاصي البلاد حتى قتل قطري ومن معه وسئل المهلب عن ابنيه ايهما اشجع ايزيد ام حبيب فقال ان الولد عاسبق راي ابيه فيه وقطري قد مارسهما فسلوه عنهما فلما كان من الغد واصطفوا للقتال صاح رجل يا ابا نعامة فقال افرجوا له ثم قال قد سمعت فقل فقال انا سألنا الامير عن ابنيه يزيد وحبيب أيهما اشجع فقال سلوا أبا نعامة فقال على الخبير سقطت اما صاحب الكر والفر والاقدام والاحجام وصحة التدبير ومبارزة الكمي المدجج فالحرون يزيد واما اذا التفت غياطيل الليل وخفتت الاصوات الا الغماغم وقرع الحديد بالحديد فالحبار حبيب الغيطلة التباس الظلام وخفتت سكنت والغمغمة اصوات الابطال في القتال *وسأل الحجاج كعب بن معدان الاشعري حين وفد عليه بالفتح فقال له أخبرني عن بني المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة وما يستحي الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت ذعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة فقال كيف كانوا في البأس قال حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها وحين وفد المهلب على الحجاج أجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخا في الامر ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله الامير والله لكأني اسمع الساعة قطريا يقول المهلب كما قال لقيط

الايادي

الايادى وأنشد الابيات فامتلأ الحجاج سرورا وقال له الحجاج اذكرلى الذين ابلوا وصفهلى بلاءهم فقدم بنيه وقال والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم فقال له الحجاج ثم انهم لسيوف من سيوف الله تعالى فى الارض * وقال يوما عبد الملك للشعراء تشبهونى مرة بالاسد الابخر والجبل الاوعر والبحر الاجاج وبالصقر والباز ألا قلتم كما قال كعب الاشعرى فى المهلب وبنيه

براك الله حين براك بحرا * وفجر منك أنهارا غزارا
بنوك السابقون الى المعالى * اذا ما أعظم الناس الفخارا
كأنهم نجوم حول بدر * دجوجى تكمل واستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر * اذا ما الهام يوم الروع طارا
رزان فى الامور ترى عليهم * من الشيخ الشمايل والنجارا
نجوم يهتدى بهم اذا ما * أخو الغمرات فى الظلماء حارا

وفى ديوان الحماسة

آل المهلب قوم خولوا شرفا * ما ناله عربى لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس أجسادا

ولبعضهم

اذا كان المهلب من ورائى * هدا الليل وقرله فؤادى
ولم أخش الدنية من أناس * ولو صالوا بقوة قوم عاد

وتوفى المهلب بفضديه بمجرا براغول سنة ثلاث وثمانين فبعد أربعمائة وثلاثين من وفاته رأى بعض علماء فضديه فى المنام كأن المهلب يقول الله الله الحقنى قبل ان يأخذنى رود مرو وهو نهر عظيم يعبر عليه بالسفن وانقلنى الى بعض مقابر المسلمين وأنا مدفون على شاطئ هذا النهر الكبير فى الموضع الفلانى وقد حضر الماء تحت قبرى وقرب أن يأخذنى فلما أصبح الرجل أخذ جماعة من أصحابه معهم المساحى والفوس فمضوا الى ذلك الموضع وحفروا حتى وصلوا الى قالبه فكشفوا التراب عنه فكانت عظامه ما بليت بعد فدفنوه بمقبرة مدونة قال الفضديهى وهى محلتنا وسمعت معنى هذه الحكاية من والدى رحمه الله (قوله بنجران) بلد من كور نجد مما يلى بلاد اليمن سميت بنجران بن زيد بن سبا (اصطفت) اخترت (الخلان) الاصحاب (تخذت) بمعنى اتخذت (أنديتها) مجالسها ومجتمع أهلها (معتمرى) موضع زيارتى واعتمرت الموضع قصدته وزرته (موسم) عيد (فكاهتى) ممازحتى (سمرى) حديثى بالليل (أتعهدها) اتفقدها و(صباح مساء) اسمان مركبان جعلا كخمسة عشر وأراد بزور هاقى الصباح والمساء (ناد محشود) مجلس مجموع الاهل ومثله (المحفل المشهود) (جثم) برك (هم) شيخ هرم قد أذهب الكبر قوته ولحمه وتقول هممت الشحم أذبته ومنه قولهم هذا الامر لا يهمنى بفتح الياء وكسر الهاء أى لا يذيبنى ومن قال بضم الياء فمعناه لا يقلقنى (هدم) ثوب خلق كأنه هدمه البلى (ملق) متلطف فى كلامه (ذلق) حديد (النواقل) العطايا (بين الصبح لذى عينين) مثل ويريد أن الليل يتساوى فى ظلمته الاعمى والصحيح فاذا ظهر ضوء الصبح أبصر الاشياء من له بصر وقيل معنى بين الصبح أى تبين

فلما ألقيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران تخذت أنديتها معتمرى وموسم فكاهتى وسمرى فكنت أتعهدها صباح مساء وأظهر فيها على ما سر وساء فبينما أنا فى ناد محشود ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هم عليه هدم خفا تحته ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النواقل قد بين الصبح لذى عينين وناب

العيان مناب عدلين فماذا
ترون فيما ترون أتحسنون
العون أم تنأون إذ تدعون
فقالوا تالله لقد غظت ورمت
أن تنبط فغضت فناشدهم الله
عما أصدهم حتى استوجب
ردهم فقالوا كنا نتناضل
بالالغاز كما يتناضل يوم البراز
فما غالك ان شعث من المنضول
وألحق هذا الفضل بمط
الفضول فلسنته لسن القوم
ووخزوه باسنة اللوم وأخذ
هو يتنصل من هفوته
ويتندم على فوهته وهم
مضبون على مؤاخذته
وملبون داعي منابذته الى
ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال
من كرم الطبع فعدوا عن
اللذع والقذع ثم هلم الى أن
نلغز ونحكم المبرز فسكن
عند ذلك توقدهم وانحلت
عقدهم ورضوا بما شرط
عليهم ولهم واقترحوا أن
يكون أولهم فأمسك
ريثما يعقد شسع أو تشد
نسع ثم قال اسمعوا وقيتم
الطيش ومليتم العيش
وأنشد ملغزا في مروحة
الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة
ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها
على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف
بالندى
ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

و(العيان) المشاهدة وعاينته شاهدته أي أنتم ممن لا يخفى عليكم حالي يريد أن المعاينة تغني عن الشهود العدول (فماذا ترون) فما رأيكم وهي من رؤية القلب (فيما ترون) أي فيما تتناولون وتبصرون وهو من رؤية البصر وقال الفنجديهي في شرحه فما ترون أي فما تظنون فيما ترون أي فيما تبصرون (تنأون) تبعدون (غظت) من الغيظ أي لقد سركت غيظا (رمت أن تنبط) أردت ان تخرج ماء (غضت) غيبته وجففته والغيض نقيض الفيض وغاض الماء ذهب في الارض (ناشدهم) حلفهم (صدهم) صرفهم وأزالهم (تناضل) تترامى (البراز) القتال و(الالغاز) جمع لغز وهو الكلام المعمى والغز اذا عمى كلامه فلم يفهم ما يقصده وأصله من اللغز وهو الجحر الملوي (ما غالك) ما أبطأ ولا ملك نفسه (شعث) غبر ويروى شعب (من المنضول) أي نقصه وفرقه والمنضول المرمى أي قبح فعلهم ومراماتهم * الفنجديهي شعث الدهر ماله أي أخذه والمنضول المغلوب في النضال والمعنى فما صبر عن تشعيث هم المغلوب ونصره وتخليصه عما أرتج عليه من اللغز ويقال شعث منه أي عابه وتنقصه وكأنه عاب المنضول كيف ارتج عليه شئ سهل وهذا تفسير حسن الا أن مساق كلام الحريري أدل على التفسير الاول (مط) نوع (لسنه) أخذه بلسانه (لسن القوم) فحاؤهم (وخزوه) طعنوه (يتنصل) يتبرأ ويعتذر (هفوته) سقطته (فوهته) كلمته التي فاه بها أي نطق (مضبون) مقيمون ملتزمون وأضب على الشئ لازمه (مؤاخذته) انشاب الشر معه ويتواخذ الرجلان أخذ كل واحد منهما صاحبه بضرب أو شتم (ملبون) مجيبون (منابذته) متاركته ومهاجرته وقد نبذت الشئ اذا رميته من يدك (الاحتمال) الصبر على الجفاء (عدوا) انصرفوا وتنحوا (اللذع) احراق القلب باللوم والعتب (والقذع) السب (نلغز) نعمي الكلام ونلبسه على السامع (المبرز) الغالب السابق (ريث) أي بطء (شسع) شراك النعل * أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن ينقطع شسع أحدكم الا من ذنب عليه فليستغفر الله وليرجع فانها مصيبة عرضت عليه (والنسع) شراك مضفور على هيئة النعال يشد بها الرحل وغيره (وقيتم) كفيتم (الطيش) خفة العقل (مليتم) طول لكم (الخيش) ثياب خشنة من الكتان وهذه المروحة تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويدار بهامشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية و(مشمعلة) سريعة الذهاب (قفولها) رجوعها و(السائق) الشريط الذي يسوقها اذا جذبت به (يستحثها) يستعجلها و(من جنسها) أي هو من كان مثلها أو من قنب و(الاحتثاث) التعجيل (رسيلها) أي مرسلها ويرسل معها الزاوية البيت ويرجع معها والرسيل الفرس يرسل مع آخر في السباق (أوان القيظ) وقت الصيف (تنطف) تقطر ونذف الماء سال وقطر و(الندى) الرش الضعيف و(نحولها) يبسها (ولى) أدبر واذا ولى الحر لم يحتج اليها فلا ترش ولا تستعمل قنيس والسرى الموصلي فيها

ومبثوثة في كل غرب ومشرق * لها أمهات بالعراق بواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها * كأن نسيم الروض فيهن كامن

وله

وله أيضا وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقيدة عن جانبيها الجوانب

ومما يكتب على مروحة الكف

أنا في الكف لطيفه * مسكني قصر الخليفه
أنا لا أصلح الا * لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن القد شبيه بالوصيفه

وفيها أيضا انني أجلب الريا * ح وبي يدفع الخجل
وحباب اذا الحبيـ * ـب ثنى الرأس للقبل

(قوله ها كم) أى خذوا (مراكز العقل) مواضعه ومحاله كأن العقل ركز فيهم و (الحابول) حبل يصعد به على النخل يعمل من ليفها وهو حبل يعقد حلقة ويدخل فيها الرجل ويدرّجه على النخلة شيأ شيأ عند طلوعه حتى يصير بأعلاها وحبل النخل ليس فيه شئ من الملاسة ولا في النخلة ذلك فلهما استمساك ولذلك جعله معانقها لانه استدار بها وقيل له حابول لانه لا يستعمل الا للصعود على النخيل فرقا بينه وبين الحبل المستعمل لكل شئ ولما كان يصنع من ليف النخل جعل النخلة أمه (برهة) زمانا و (الجانى) الذى يجنى الثمر وألغز به وأوهم أنه الذى يجنى جناية (يلحى) يلام ويسب (قوله العلم) أى الرقم فى الثوب فأراد أنها خفية فى اللغز فعلمها الذى تعرف به خفى و (المعتكرة) الشديدة السواد و (مأموم) برأسه آمة أى شجة يريد الشق برأسه و (الامام) أمير المؤمنين وجعله معروفا بالقلم لان القلم يبدى أسرار الملك وأخباره فى كتبه وقيل الامام الكتاب من قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أى بكتابهم وقيل بنبيهم ولا يمتنع أن يريد بالمأموم المتبع وامامه الذهن الذى يملى عليه أو يد الكاتب به وقيل سماه مأموما لانه يؤم القرطاس أى يقصده ويتبعه والامام كتاب الله سبحانه وتعالى لانه يتبع ويؤتم به ويقتدى بما فيه (باهت) افتخرت و (الكرام) الكتبة لقوله تعالى بأيدى سفرة كرام بررة ولا مرتبة أشرف من مرتبتهم بعد الامرة ولذلك قال الصابى

وقد علم السلطان أنى لسانه * وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما عرا وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق
فيمناى يمناه ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق

(طيشان صاد) اى جولان عاطش وطاش خف (يعروه) يقصده و (الاوام) العطش يريد أن القلم اذا ارتوى بالمداد أسرع فى الكتابة واذا جف توقف وامسك (يرقن) يجين ونظر المأمون الى جارية تكتب فقال

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفى اصبعيها أسمر اللون أهيف
اصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف

وقال العلوى

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

ثم قال وها كم يا أولى الفضل ومراكز العقل وأنشد
ملغز فى حابول النخل
ومنتسب الى أم
تنشا أصله منها
يعانقها وقد كانت
نفته برهة عنها
به يتوصل الجانى
ولا يلحى ولا ينهى
ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم وأنشد
ملغزا فى القلم
ومأموم به عرف الامام
كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد
ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسعى دموعا
يرقن كما يروق الابتسام

(قوله الواضحة) أى البينة (الفاضحة) أى المبديه لعيب ما قيل قبلها من اللغز و (الميل) المرود و (الاختين) العينين (ليس عليه سبيل) مع أن الجمع بين الاختين لا يجوز (يغش) يدخل لهما (مال) عدل وزال عنها و (البعل) الزوج (تعهدا) تفقدا (برّا) اكراما يريدان الابصار عند الكبر يضعف نظرها فتحتاج الى الكحل وقيل عبر بالمشيب عن حمرة العين وهو فسادها من ترك الكحل (أولى الالباب) أى أهل العقول (معيار) مقياس يعبر به وتقول عايرت المكاييل اذا قست بعضها ببعض وساويت بينها و (الدولاب) الناعورة و (الجافى) الثقيل يريدان الدولاب جاف فى نفسه وخلقته وليس بجاف لسرعة حركته ودورانه و (موصول) ليس من عود واحد (وصول) يعنى للرياض بمائه ولهذه المنفعة صنع (قوله ليس بالجافى) يعنى اذا فارق الماء عاد به لا يجفوه والجفاء يكون فى الخلقة والخلق يقال رجل جافى الخلقة أى غليظ وجافى الخلق اذا كان كز اغليظ العشرة وجفا الشئ يجفو جفاء لم يلزم مكانه وجفا جنبه عن الفراش لم يلزمه ويجفوه ضد يصله جفوة مرة واحدة وجفاء مصدر عام ورجل وصول كثير الوصل وقال الرصافى فى هذا المعنى فأحسن

وذى حنين يكاد شوقا * يختلس الانس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال له المحل لامساسا
يبتسم الروض حين يبكى * باعين ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صارله غمده رياسا

(ولابى الفضل بن الاعلم فى قواديس الساقية)

ونسك كعبتهم حفرة * من فارق الحفرة يبكيها
حتى اذا ما أنفدوا دمعهم * خروا على رؤسهم فيها

(وقال اعرابى فى ساقية)

باتت تحن وما بها وجدى * وأحن من شوق الى نجد
فدموعها تحيا الرياض بها * ودموع عينى أحرقت خدى

(قوله غريق بارز) يريد ان بعضه يغرق فى الماء وبعضه يبرز منه وهو معنى (راسب طافى) لانك تقول رسب الشئ فى الماء اذا هبط فى قعره وسفل فيه وطفا اذا ارتفع على وجه الماء (يسح) يصب (مهضوم ويهضم) ينقص (متلاف) مبذر للمال يريد كثرة أخذه للماء واراقته له (حدته) سرعة جريه لانه ان نشب بأحد فى جريه أهلكه و (قلبه صافى) لانه ليس من الحيوان فيعتقد شرا ان أحرج ولابن سعد الخير البلنسى فى دولاب

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
وكأنه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى دمعه عن جفنه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

(ولبعض أصحابنا)

وقدّة الحسن فى محاسنها * للعين قيد وللجمال شرك

ثم قال وعليكم بالواضحة
الدليل الفاضحة ما قيل
وانشد ملغزا فى الميل
وما ناكح اختين جهرا وخفية
وليس عليه فى النكاح سبيل
متى يغش هذى يغش فى الحال هذه
وان مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا
وبرا وهذا فى البعول قليل
ثم قال وهذه يا أولى الالباب
معيار الآداب وانشد
ملغزا فى الدولاب
وجاف وهو موصول
وصول ليس بالجافى
غريق بارز فاعجب
له من راسب طافى
يسح دموع مهضوم
ويهضم هضم متلاف
وتخشى منه حدته
ولكن قلبه صافى

تشكي فتبدي حنين ذي نسك * بعد التصابي ومابها نسك

اذا بكت في الرياض من طرب * بدا بوجه الازاهر الضحك

كان ما انهل من مدامعها * رجوم شهب يقلها فلك

(قوله رشق) أي رمى ماخوذ من رشق السهام يقال رشقت رشقا أي رميت والرشق بالكسر اسم للسهام وهو اسم للهدف الذي يرمونه (نسق) تابع واحدا بعد واحد وكل شئ تبع بعضه بعضا على السواء فهو نسق (ضم الذيل) التشمير* الفنجديهي ضم الذيل كناية عن الاكتفاء بهذه الاحاجي الخمس والسكوت عن طلب الزيادة* ويريد بالازدياد من الكيل أن يزيدهم من حسن الاحاجي (واستفزتهم) استدعتهم واستخفتهم* الزجاج في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك أي استدعه لتستخف به الى اجابتك واستفزه ختله حتى ألقاه في مهلكة (اشربوا) سقوا ودوخلوا وخولطوا وكل لون خالط لونا آخر فقد أشربه و(البلادة) التحير في الامر والبليد المتحير الذي لايدري أين يتوجه * الاصمعي البليد الذي يضرب باحدى بلدتيه على الاخرى من الغم عند المصيبة والبلدة هي الراحة يقال تبلد الرجل اذا تحير وضرب باحدى يديه على الاخرى يريد أن البلادة مشت فيهم وأشربتهم (قوله المزملة) أي الملففة وقد زملت اذا التفت وهي آنية يبرد فيها الماء شبه الخابية تستعمل بارض العراق ويوضع عليها اللفائف ثياب خشنة وتغشى بجلد أو ثوب مزين حسن لنظر العين ومن تحته تلك الاغشية الخشنة التي لها السر والحكم في تبريد الماء (ومسرورة) أي محمولة على سرير وهم يجعلون تحتها مرفعا من عود أو حديد ترتفع به عن الارض فهو سريرها وكذلك رأيت خوابي الماء بسجلماسة كلها على أسرة عود وقيل مسرورة مغمومة مغطاة وسرير الكمأة ما غطاها من التراب و(الغم) ضد السرور (جنينها) ولدها أراد به الماء و(حال) تغير (عهدها) التقاؤها وقربها (غنم) غنيمة (أنيق) معجب (يزدري) يحتقر وأراد (بالحكم) معنى تبريد الماء وأراد أن ما بدا منها للناظر فهو غشاء حسن يعجب من رآه وهو قد بطن بلفائف غلاظ مستحقرة ولها معنى تبريد الماء وقال السري الموصلي في المزملة

وحافظة ماء الحياة لفتية * حمتهم أن تستلذ المشارب

تسربلها أخفى اللباس وانما * تلبق بها أفواهه والسباسب

على جسد مثل الزبرجد لم يزل * يشاكله في لونه ويناسب

اذا استودعت حر الجبين سبائكا * تصوب في أحشائها وهو ذائب

فهذه القطعة وقطعة المقامة تدل على تفسيرنا وبه كان يفسر شيخنا ابن جهور رحمه الله حدثنا بذلك شيخنا أبو بكر بن أزهر عنه وأما الفنجديهي ففسر المزملة بتفسير غير مرضي وذلك أنه قال المزملة موضع يغطى ويحشى تبنا ويوضع في وسط التبن وعاء في القيظ يبقى الماء باردا ويترك ثقبة في وسط الموضع لدخول الجرة فيها ولهذا قال مسرورة أي مقطوعة السرة وهو من سر الصبي اذا قطعت القابلة سرته (كشر) كشف (أنيابه) أضراسه (الصفر) يريد أنه لايتعهدها بالسواك فلذلك اصفرت وتلك الصفرة تسمى القلح وقد قال في السادسة والعشرين بحسن ملحه وقبح قلحه (مرهوب) مخوف (الشبا) الحد (نام) زائد والظفر اذا ترك بغير تقليم طال (ومايرعى) يريد أن نمو الخلق وزيادته انما هو بما يتغذى به من الاكل والشرب وهذا يكبر ويزيد من غير

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال ياقوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رأيكم وضم الذيل أو الازدياد من هذا الكيل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا والله ان وقوفنا دون حدك ليغصنا عن استمراء زندك واستشفاف فرندك فان أتممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه واخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزا في المزملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها * وماهي تدري ما السرور ولا الغم

تقرب أحيانا لاجل جنينها * وكم ولد لولاه طلقت الام

وتبعد أحيانا وماحال عهدها * وابعاد من لم يستحل عهده ظلم

اذا قصر الليل استلذ وصالها * وان طال فالاعراض عن وصلها غنم

لها ملبس باد أنيق مبطن * بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشر عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزا في الظفر

ومرهوب الشبا نام * ومايرعى ولايشرب

غداةو (العشر) فى الطاهر عشر ذى الحجة و (النحر) يوم النحر أى يوم العيد فاراد ان هذا المرهوب الشيبا انما يظهر فى العشر خاصة فاذا جاء يوم العيد وطول السنة بعده لم يظهر وانما يعنى بالعشر الاصابع والنحر العنق أى ان الاظفار خلقت فى الاصابع لافى العنق أو يريد أن الظفر يرى فى الاصابع العشر لافى عشر النحر من ذى الحجة (قوله تخازر) أى نظر بمؤخر عينه مستقلا لذلك وهو نظر المحتقر لمن يتظر المنكر عليه و (العفريت) الشيطان المؤذى وهو الرئيس من الجن و (الكبريت) معروف فارسى معرب وطاقاته قضبانه التى تجعل شيأ على شئ وهو الوقود الذى يشعل به المصباح (تقصى) تبعد (جدا) أى كثيرا و يريد بالرأسين طرفى قضيب الوقيد اللذين يغمسان فى الكبريت وجعلهما اضدين لان هذا فى طرف وهذا فى طرف فقد تباعدا وضد الشئ يبعد عنه وجعلهما مشتبهين لان شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد و (خضبا) غمسا فى الكبريت (وتلغى) تهجر وتترك وقال ابن رشيق

ان كنت تنكر ما منك ابتليت به * فان برء سقامى عزه طلبه
أشربعود من الكبريت تخوفنى * وانظر الى زفراتى كيف تلهبه

(قوله تخمط) أى تكبر وتهيأ للقول وأصل التخمط للقرم وهو فحل الابل و تخمط تهيأ للهدير وأخذ فى الصياح والهجوم على الابل و (حلب الكرم) أراد الخمر لانها تحلب من العنب والحلب اللبن المحلوب يقول الخمر اذا افسدت صارت خلا فحل استعمالها فقد صار غيه وهو فساد ها رشدا أى صلاحا وقال أبو بكر بن القنطرية فى خمر له فسدت فصارت خلا

أباحسن انى فجعت بصاحب * أنيس يسلى الهم عند احتلاله
غدت بنت بسطام بن قيس بنها * وأمست كجسم الشنفرى بعد خاله

قوله غدت بنت بسطام بن قيس أى صهباء لان بسطام بن قيس يكنى أبا الصهباء وقوله وامست كجسم الشنفرى أى خلا لانه يريد قول الشنفرى * ان جسمى من بعد خالى لخل أى محتل وقال آخر فى ذلك

حسبتها بنت بسطام لها أرج * ثم اقتضضت ختاما من أبى سلمه

عرض بأبى سلمة الخلال ومن التعريض المركب على هذا المعنى قول الشاعر

وبت مدامانسر الظريفا * فأصبحت تجرع خلا ثقيفا
وصرت مجازا جديب المحل * وقد كنت للطالب الخصب ريفا

وقال آخر

ياعقارا صار خلا * وملاذا للبعوض
سر غالى فيك حظ * كان ذا قبل الحموض
ما أبالى بعد أكل الز بدمن طرح المخيض

(قوله راق أوصافا) أى حسنت أوصافه وحسنها أن توصف بالرقة والصفاء والحمرة والقدم وقوة الفعل يقول فاذا كانت أوصافه معجبة أوقد الشرحينما حضر فاذا فسدت أوصافه صلح (زكى العرق) كريم الاصل والزكاء النماء والزيادة أى كثير الفضل والخير وأراد انها شجرة مباركة يكون منها العنب والزبيب والرب ولكنها تلد ولد السوء وهو الخمر وأخذ هذا المعنى من قول الشاعر

فان فخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

يرى فى العشر دون النحر
فاسمع وصفه واعجب
ثم تخازر تخازر العفريت
وأنشد ملغزا فى طاقة الكبريت
ومامحقورة تدنى وتقصى
ومامنها اذا فكرت بد
لها رأسان مشتبهان جدا
وكل منهما الاخيه ضد
تعذب ان هما خضبا وتلغى
اذا عدما الخضاب ولا تعد
ثم تخمط تخمط القرم وأنشد
ملغزا فى حلب الكرم
وماشئ اذا فسدا
تحول غيه رشدا
وان هو راق أوصافا
أثار الشرحيث بدا
زكى العرق والده
ولكن بئس ماولدا

أو بر بدالة العنب (قوله اعتضد) جعلها تحت عضده (التسيار) السير و(الطيار) ميزان معروف عندهم يرجحه أيسر شئ فلخفته سمى الطيار وقيل الطيار ميزان الدراهم المعروف عندهم بالقارسطون * النضيد * هى الطيار لسان الميزان (طيشة) خفة (شقه) نصفه وجانبه فيريد بالظاهر وذى حق وخفة أصابه خدر وفالج فيبس جنبه فمال على الجانب الصحيح ومع ذلك لا يرى أبدا الا فى مكان مرتفع عاليا كما يفعل الملك * والحجارة والذهب عنده سواء (والنضار) الذهب ثم قال واذا نظرت اليه نظر كيس حاذق رأيت فى وصفه عجبا حين كان الناس يتراضون بحكمه مع معرفتهم بأنه ناقص الخلقة لا يعدل فى حكمه انما هو ميال مع أحد الخصمين و (العلية) اليد التى يمسك عليها الميزان وقال أبو نواس يلغز

واسم عليه جنن الصبا * وضمه للوصف دوار
فضحت عنه سر كتمانه * وكان من شأنى اظهار
يحذف أول مبتدا الاسمه * ثم يكون الوصف اضمار
فذا الذى على فى لعل وفى * قولك فى حارث يا حار
فهو بحذف ذا وترخيم ذا * أح لمن تلذعه النار

الاسم راحة بحذف أول حرف وآخر حرف و يبقى أح وهو قول من لذعته النار وقال آخر

و يلى من الحب وويلاه * ملك قلبى وتناساه
من ثالث العنبر بعض اسمه * ورابع العنبر أولاه
وقوله عند سؤالى له * ما فى اسمه والحافظ الله

الاسم رعبلان وأنشد ابن اسحق النحوى

حلف الحبيب على لا سميته * فكنيته وأطعت خوف تغاضبه
ظبى اذا ما زارنى حل اسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبه
ويكون ان رخمته وجزمته * وقلبته ما تشتهى من صاحبه
ويكون بعد الجزم ان فكرت فى التصحيف مقلوبا أشد معايبه

الاسم فرحة وأشد معايبه فرج وهو ما يشتهى من صاحبه اذا حذفت الهاء وقال ابن شرف

ما آكل يعطى على أكله * اعطاء اقلال واكثار
لقمته قيمتها وحدها * من غير خلف ألف دينار

هو فرج المرأة وله فى المرآة

ما يقول الشيخ فى شى * تراه ويراكا
ثم لا تلقاه الا * حين لا يلقى سواكا

وله أيضا فى الابرة

ضئيلة الجسم لها * فعل متين السبب
حافرها فى رأسها * وعينها فى الذنب

(ولغيره فى الميزان)

وقاض قد قضى فى الارض عدل * له كف وليس له بنان

ثم اعتضد عصا التسيار
وأنشد ملغزا فى الطيار
وذى طيشة شقه مائل
وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق علية
كما يعتلى الملك العادل
تساوى لديه الحصا والنضار
وما يستوى الحق والباطل
وأعجب أوصافه ان نظرت
كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما
وقد عرفوا انه مائل

رأيت الناس قد قبلوا اقتضاه * ولا نطق لديه ولا بيان

(وقال العاوى الاصبهانى يلغز فى النسر الواقع)

وركب ثلاث كالاثافى تعاوزوا * دجا الليل حتى أومضت سنة الفجر
اذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد * وان فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

(وأنشد الحاتمى فى الخفاش وهو طائر الليل)

أرى علماء الناس لا يعرفوننى * وقد ذهبوا العلم فى كل مذهب
بجلدة انسان وصورة طائر * وأظفار يربوع وانياب ثعلب

(وأنشد فى الطائر وظله)

عجبت لطائر فى الحوم طارا * وكانا واحدا فاثنين صارا
فهذا طائر فى الجو يهوى * وذا مستأنس لزم القرارا

(وأنشدوا فى مصراع الباب)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الشمس يفترقان

وأنشدوا * قامت أحبابها الله ميتا * ليخبر قوما أنذروا ببيان
وعجفاء قد قامت لتنذر قومها * وأهل قراها رهبة الحدثان

قال فظلت الافكار تهيم فى أودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى أن طال الامد وحصحص الكمد فلما رآهم يزندون ولا يسناو يقضون النهار بالمنى

الميت الاول بقرة بنى اسرائيل والميت الثانى الذى ضرب ببعضها والعجفاء نملة سليمان عليه السلام والالغاز أكثر من أن يأتى عليها الحصر (قوله تهيم) أى تتحير والهائم الذى يركب رأسه ويمشى على غير هداية (الاوهام) جمع وهم وهو ما تتوهمه وتتصوره فى نظر مسئلة مشكلة اما خطأ واما صواب وأراد أن أفكارهم كانت تتحير فى نظر ألغازه ولا تهتدى (تجول) تتصرف (المستهام) العاشق الذى ذهب به الحب كل مذهب (حصحص) تبين (الكمد) الحزن والهم (يزندون ولا يسنا) يقدحون الزند ولا يظهر لهم ضوء أى تضرب أذهانهم الالغاز فترجع بلا فهم (ويقضون) يقطعون يومهم بامانى لا محصول لها قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اياك والمنى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والاولى وأشرف الغنى ترك المنى * على بن عبيدة الريحانى الامانى مخايل الجهل وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * وفى ضده أفلاطون التمنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم * غيره الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد ألهاك قيل لاعرابى ما امتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك وأنشد الثعالبى

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(وقال مسلم بن الوليد)

وأكثر أفعال الغوانى اساءة * وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا

(وأنشد أبو تمام فى ضده)

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أمانى من ليلى حسانا كأنما * سقتنى بها ليلى على ظما بردا

قال ياقوم الام تنظرون وحتام تتطرون ألم يان لكم استخراج الخبيء أو استسلام الغبي فقالوا له تالله لقد أعوصت ونصبت الشرك فقنصت فتحكم كيف شئت وحز الغنم والصيت ففرض عن كل سمي فرضا واستخلصه منهم نضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الاجفال فاعتلق به مدره القوم وقال له لا لبسة بعد اليوم فاستنسب قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب ثم أنشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي
وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي
بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا
أمر يومي وأمسي
مالي مقر بارض
ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما
بالشأم أضحي وأمسي
أزجي الزمان بقوت
منغص مستخس
ولا أبيت وعندي
فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي
باع الحياة ببخس

ثم انه اختبن خلاصة النض وندر ضاربا في الارض فناشدناه أن يعود واسنينا له الوعود فلا وأبيك مارجع ولا الترغيب له نجع

(ابن المعتز يصف ساقيا)

فظل يناجيني يقلب طرفه * باطيب من نجوى الاماني وألطفا

(غيره)

عللني بوعد * وامطلي ماحييت به
ودعيني أفوز منك * بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

(قوله تنطرون) أي تؤخرون (يأن) يحن ويقرب (الخبيء) أي المخبوء المستور يريد ما خبأ لهم في الشعر من اللغز (استسلام) انقياد (الغبي) أي الجاهل بالشيء (أعوصت) أتيت بعويص وهو الصعب (الشرك) آلة يصاد بها (قنصت) صدت (الغنم) الغنيمة والجائزة (الصيت) الذكر الحسن ينشر في الناس ويشيع (فرض) قسط وأوجب وألزم (والفرض) العطية (واستخلصه) جعله خالصا (نضا) حاضرا (فتح الاقفال) أي حل الفاظ الالغاز والباسها وكانها لتعميتها كان عليها أقفالا حلها بتفسيره و (الاغفال) جمع غفل وهو الشيء المهمل ليس له علامة يعرف بها (وسمها) جعل لها علامة (حاول الاجفال) أراد الفرار وأجفل القوم انهزموا و (مدره القوم) لسانهم وفصيحهم المتكلم عنهم وأصل المدره المدفاع وقد درهته اذا دفعته (لبسة) شبهة وقد التبس الامر اذا أشكل و (متعة الطلاق) أن يهب الرجل لامرأته شيأ من ماله اذا طلقها يسليها بذلك عن فراقه لها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أكثر المتعة خادم وأقلها ثلاثون درهما وقيل أكثرها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن (وهبها) احسبها يقول احسب انتسابك لنا متعة وتسلية لفراقك عنا (أطرق) أمال رأسه وسكت (مريب) صاحب ريبة (والدمع مجيب) يريد ان انشاده دعا دمعه فأجابه وقد قال أبو الطيب

* أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * يريد انه لما وقف على الطلل وهو أثر دار احبابه هيجه لهم فبكى فالطلل لما دعاه التذكر أجابه بدموعه (قوله مطلع شمسي) يريد ان سروج هي بلده التي نشأ فيها (ربع) منزل (اعتضت) استبدلت (أمر) جعله مرا (مقر) اقامة (قرار) سكون واقامة (عنسي) ناقتي الوثيقة (نجد) ما ارتفع من الارض وأنجد أتى نجدا و (الشأم) أخذ من اليد الشؤمى (أزجي) أسوق (منغص) مكدر ويقال نغص علينا فلان أي قطع علينا ما كنا نحب الاستكثار منه وكل من قطع شيأ يحب الازدياد منه فهو منغص (مستخس) مستهجن (بخس) نقصان (اختبن) جعله في خبنته وهو طرف ثوبه والخبنة كالحجزة للازار و (الخلاصة) ما خلص له منه وصفا (وندر) سبق * وذهب يضرب في الارض اذا سار فيها وأصل ندر خرج وطار مثل النواة اذا طارت من تحت المرضخ وشبهها (فناشدناه) حلفناه (يعود) يرجع (أسنينا) عظمنا وجعلناها سنية أي رفيعة و (الوعود) جمع وعد وهو ما وعدوه به من المال (الترغيب) التطميع وقد رغبته في الشيء اذا زينته له وطمعته فيه و (نجع) نفع وقد نجع عليه الطعام اذا أصلح عليه جسمه

(شرح المقامة الثالثة والاربعين وهي البكرية)

(هفا) أي طار وخف (المطوح) المبعد المشفي على الهلاك وقد طوحت الشيء اذا رميت به

(المقامة الثالثة والاربعون البكرية)

(حكى الحرث بن همام) قال هفا بي البين المطوح

وألقينه القاء منكرا (المبرح) الشاق المتعب وقد برح الامر اذا عظم واشتد (يضل) يتحير ويتلف (الخريت) الدليل وقيل هو من خرت الابرة كانه من حسن دلالته يهتدى على مثال خرت الابرة وهو ثقبها (تفرق) تفزع (المصاليت) الشجعان الماضون فى الحروب واحدهم مصلات قال الفراء المتصلت المسرع من كل شئ وجمعه مصالت ومصاليت (أحيد) أخاف وأميل عنه (المزؤد) المفزع وزئد الرجل فزع (نسأت) ضربت بالمنسأة وهى العصا (نضوى) بعيرى (المجهود) المتعب (قدحين) سهمين وكان الرجل فى الجاهلية يمسك ثلاثة اقداح على احدها مكتوب أمرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لا شئ عليه وهو المنيح فاذا أراد سفرا أو أمرا ضرب بها فان خرج له أمرنى ربى مضى آمنا وان خرج له نهانى ربى ترك ذلك الامر وان خرج له غفل أعاد الضرب وقيل كان يمسك قدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له افعل ثلاث مرات ولا يترك المضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما فان مضى فى ذلك الامر مضى وهو يرجو ويخاف وهذا هو الذى أراد الحريرى لانه كان بين الرجاء والخوف ولما قتل حجر أبو امرئ القيس أخذ امرؤ القيس أزلامه وهى القداح وأتى ذا الخلصة وهو صنم لدوس وخثعم وبجيلة فاستقسم عندها بالازلام فخرج له القدح الذى يكره فأخذ الازلام وكسرها وضرب بها وجه صنمها وقال

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا * مثلى وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

وحكى الفنجديهى قال الضارب بقدحين يعنى به قول الناس اما الغنم واما الغرم واما الملك واما الهلك قال الشاعر

ضربت بها البيت ضرب القدا * ح اما الهذا واما الذا

والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله وحكى ابن ظفر أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيسال الصنم أن يوضح له ما سأل عنه ثم يضرب بالقداح فان أتى سائل عن تزويج أو سفر أو شبه ذلك مما يستشار فى مثله ضرب له بالقدحين اللذين عليهما نعم ولا فان خرج نعم مضى على فعله وان خرج لا ترك ذلك فان انتسب رجل الى قبيلة ضرب لهم بالاقداح الثلاثة التى فيها منكم من غيركم ملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق لم يكن له حلف ولا نسب فان أتى سائل عن قتيل أو جناية ضرب بالقدحين اللذين عليهما العقل فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا فضل شئ فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الذى عليه فضل العقل فان خرج عليه أداه ومعنى الاستقسام بها الرضا بالقسمة بينهم من الامر والنهى والبراءة والوجوب وسهام الميسر عشرة ثلاثة يتكثر بها لا أنصباء لها وسبعة لها أنصباء فأولها الفذ وفيه فرضة واحدة وله نصيب واحد والثانى التوأم وفيه فرضتان وله نصيبان ثم الرقيب وفيه ثلاث فرض وله ثلاثة أنصباء ثم الحلس بأربع والنافس بخمس والمسبل بست والمعلى وهو أعلاها بسبع فرض وعلى عدد الفرض هى الانصباء وقال ابن ليال فجمعها فى بيت

والسير المبرح الى أرض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه أحيد الا أنى شجعت قلبى المزؤد ونسأت نضوى المجهود وسرت سير الضارب بقدحين

فذو توأم والرقيب ونافس * والحلس ثمت مسبل ثم المعل

واسم الثلاثة التي يتكثر بها الفسيح والمنيح والوغد فاذا أرادوا الضرب بها طلبوا أول رجل يلقونه فشدوا عينيه و يسمونه الحرضة وأقاموا له الرقيب وضرب فكلما خرج له قدح دفعه الى الرقيب والرقيب هو الامين على الضرب بالقداح قال الشاعر

لها خلف أذنابها أزمل * مكان الرقيب من الياسر

وكان أهل اليسار والجود من الجاهلية عند شدة الزمان ينحرون الجزور و يقتسمونها و يضربون عليها بالقداح فمن قمر جعل نصيبه لاهل الميسر والقمار يكنى عنه بالميسر وأصل الميسر موضع تنحر به الجزور والياسر الجازر وتقسم الجزور عشرة أجزاء العضدان فى الكتفين جزآن وهما ابنا ملاط والعجز والزور جزآن والكاهل واللحاء عليهما الجنب بنصفين جزآن والوركان عليهما الذراعان جزآن والفخذان وعليهما العنق مقسوما جزآن وبقى جنب وهم يستثنونه وقد لا يستثنونه فيرد منه على جزء الكاهل ضلعان وعلى سائرها ضلع ضلع فان فضلت قطعة او عظم سمى الزيم قال الشاعر

وكنت كعظم الزيم لم يدر جازر ، على أى أدنى مقسم اللحم يجعل

وقال الاصمعى فى الميسر انه شئ كانت الجاهلية تفعله فليس عندنا منه حقيقة (قوله المستسلم للحين) أى المنقاد للهلاك (الوخد) نوع من السير وهو أن ترجم الارض بقوائمها لسرعة سيرها و (النميل) سيرلين (تجب) تسقط للمغيب (ارتعت) فزعت (لاظلال) لقرب ودنو (اقتحام) دخول الشئ على غرر و (حام) هو ابن نوح وقد تقدم فى الحادية والعشرين وأراد بجيش حام ظلام الليل لان حاما أبو السودان (أأكفت) أقبضه وأشمره (أرتبط) أربط بعيرى (أعتمد) أقصد (أختبط) أمشى على غير هداية وأراد أنه لا يدرى ما يفعل أينزل و يبيت أم يسير فى الليل على غرر و (العزم والحزم) اجتماع رأى الرجل على ما يريد أن يفعله فلا يتردد فيه (أمتخض) أحرك وأحلب وأراد أنه أخذ يحدث نفسه ويدبر رأيه هل يسرى أو يقعد (تراءى) أى ظهر (مستذر) مستعل والذروة أعلى الشئ أراد أنه ظهر له شبح جمل أى شخصه فى أعلى جبل (قعدة) بعير يقعد عليه عند الركوب (مريح) مستريح قد نزل يريح نفسه وبعيره (مشيح) مجد (والقعدة) المركوب و (العيرانة) الناقة الصلبة تشبه بالعير وهو حمار الوحش و (ازدمل) التف (بجاده) بكسائه (هب) انتبه (ازدهر) انفتح وأضاء (سراجاه) عيناه (فاجاه) أتاه على غفلة (المريب) الذى أتى بريبة (أخوك أم الذيب) مثل كأنه خاطب نفسه فقال أأخوك هو الذى رأيت أتى ليؤانسك أم ذئب لاذايتك وتضمن الكلام ان الاستفهام وقع بالذى رآه فكأنه قال له يا هذا أأخ انت أم صاحب فاركن اليك أم عدو فاحذرك فأجابه بأن قال له (بل خابط ليل) أى ماش فيه على جهالة (ضل المسالك) أخطأ الطريق (أضئ لى) اكشف لى عن حالك (أقدح لك) أكشف لك عن حالى وهذا أيضا مثل وفى هذا التباس لانه اذا أضاء له أى اعطاه ضوءه أو أظهره له فأى حاجة له فى القدح وهو الضرب بالزند ليخرج ناره وانما معناه أن رجلا كان طلب لآخر ضوأ مثل قبس يوقده فتخيل من صاحبه أنه لا يعطيه فقال له أضئ لى أى أعطنى ضوأ فليس عليك فيه تكلف فانك ان أتيتنى فى مثلها فلم تجد لى ضوأ قدحت لك زندى وتكلفت لك ذلك ثم استعمل فيمن

المستسلم للحين ولم أزل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام واقتحام جيش حام ولم أدر أأكفت الذيل وأرتبط أم أعتمد الليل واختبط وبينا انا أقلب العزم وأمتخض الحزم تراءى لى شبح جمل مستذر بجبل فترجيته قعدة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والقعدة عيرانة والمريح قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر سراجاه وأحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسالك فأضئ لى أقدح لك فقال

يطلعك على أمره فتطلعه من أمرك على ما هو أفيد مما أطلعك عليه فمعناه أطلعنى على ظاهر أمرك أطلعك على باطن أمرى ويروى أكدح لك قال أبو زيد اذا طلب الرجل الى الرجل حاجة فلم يعرف وجهها قال أضئ لى أكدح لك أى بين لى فأكدح لك أى أسعى لك وكدح لمعيشته سعى واكتسب وأضئ أسرج والفنجديهى أضئ لى أكدح لك مثل يضرب فى المساواة بالافعال والمعنى كن لى أكن لك واسع لى أسع لك والمراد به كن لى أكثر مما أكون لك لان الاضاءة أكثر نفعا من القدح ويقال معناه تول الامر الهين أتول الامر الصعب (ليسر) ليزل وليذهب سرى عرق الشجرة يسرى دب تحت الارض وسرى يسرى سار (رب أخ لك لم تلده أمك) معناه قد وجدت منى صديقا يقوم لك مقام شقيقك وأصل المثل ان لقمان بن عاد رأى امرأته قد خلا بها رجل وهى تلاعبه ويلاعبها ومعهما صبى صغير يبكى وهما قد أقبلا على شأنهما لا يكترثان به فسألها عن الرجل فقالت هو أخى فقال رب أخ لك لم تلده أمك يكذبها فى قصدها أى هو أخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة وقال فى الدرة حكى ابن نصر الكاتب ان أبا العباس ابن ياسر دخل عليه رجل نصرانى ومعه فتى من أهل ملته حسن الوجه فقال له من هذا الفتى فقال له بعض اخوانى فانشد أبو العباس

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتنى أخاها بعد ما كان بيننا * من الامر ما لا يصنع الاخوان

وقالوا فى هذا المعنى رب بعيد أقرب من قريب وقالوا القريب من قرب نفعه وقال أبو تمام

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * وبلوت ما وصفوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذ المودة أقرب الانساب

(وقال ابن ميادة)

* وانى لزوار لمن لا يزورنى * اذا لم يكن فى وده بمريب

تقرب لى دار الحبيب وان نأت * وما دار من أبغضته بقريب

فلا تطلبن القرب والبعد بعدها * الى غير نيات وغير قلوب

وقال آخر

أخو ثقة يسر ببعض شأنى * وان لم تدنه منى قرابه

أحب الى من ألفى قريب * تبيت قلوبهم لى مسترابه

(وقال ابن هرمة)*

هش اذا وقف الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

فاذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

ليسر عنك همك فرب أخ لك لم تلده أمك فانسرى عند ذلك اشفاقى وسرى الوسن الى آماقى فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما أرى

(انسرى) زال وذهب وسروت الثوب عنى اذا جردته (اشفاقى) خوفى (سرى الوسن) اقبل النوم (آماقى) آخر عينى والموق طرف العين من جهة الانف (قوله عند الصباح يحمد القوم السرى) مثل ومعناه اذا سرى القوم بالليل قطعوا أرضا كثيرة والارض تطوى بالليل لمن يمشيها فاذا أصبح حمدوا سيرهم وهذا المثل بيت من رجز وقع فى شعر الشماخ وذلك انه سافر فى قوم من بنى ثعلبة فمشوا حتى اذا كانوا قريبا من تيماء قال الشماخ لابن أخيه انزل فاحد بنا فنزل فحدا بهم

ثم نزل القوم الحداء واحدا بعد واحد فوقعت أراجيزهم في ديوان الشماخ فنسبت اليه وأول الرجز

طاف خيال من سليمى فاعترى * بنجد أو تيماء أو وادي القرى

فمنع النوم ومنّى بالمنى

وفي آخره

عند الصباح يحمد القوم السرى * وتنجلي عنهم غيابات الكرى

قال المفضل الضبي أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه أبو بكر رضي الله عنه وهو باليمامة أن ينزل الى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجاهلية وهي خمس للابل الواردة وما أظنك تقدر عليها الا أن تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشي ان يذهب ما في بطون الابل نحرها واستخرج ما في بطونها فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظاما فان رأيتموها والا فهو الهلاك فنظر الناس فرأوها فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله در رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى

خمسا اذا سار بها الخبس بكى * ما سارها من قبله انس يرى

عند الصباح يحمد القوم السرى

ويقال فوز اذا ركب المفازة وقراقر اسم قرية من اليمن والخبس الجبان الضعيف وقيل الثقيل قال أبو عبيدة والخمس ان تشرب الابل يوم وردها وتصدر يومها فتظل بعد ذلك اليوم من الماء ثلاثة ايام سوى يوم الصدر وترد اليوم الرابع فذلك الخمس (قوله حذائك) اى نعالك (صدع) كشف واظهر (وبخبخ) قال بخ بخ وهي كلمة تقال عند الاعجاب (مجدّين) مجتهدين (مدلجين) ماشين بالليل (نعاني) نقاسي (الكرى) النوم (رايته) اراد ضوأه (أسفر) اضاء (الفاضح) من اسماء الصبح سمي بذلك لانه يفضح الاشياء أي لا يظهرها (واضح) بين يريد أن الصبح كشف ما ستره الليل فاستبان كل شئ (توسمت) نظرت الفنجديهي واضح نجم والنجم الذي يرى بعد الصبح مضيأ في كثير من الاوقات وهو الزهرة وابن سيده الواضح الكواكب الخمس اذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل والخنس الراجعة والمتأخرة والمنقبضة (رحلتي) ارتحالي (والسمير) محادثك بالليل (مطلب الناشد) اى حاجة الطالب التي تلفت له فجعل يطلبها (معلم الراشد) دليل الهادي والمعلم الجبل يعلم به الطريق (فتهادينا تحية المحبين) اى أهديته سلام محب وأهدى لي مثل ذلك (تباثثنا) تكاشفنا اى كشفت له سري وكشف لي سره (تناثثنا) تفاشينا أي أفشيت له خبري وأفشى لي خبره والبث أصله التفريق والنث بالنون أصله نشر الحديث وافشاؤه الفنجديهي تناثثنا تذاكرنا والنث الذكر ونثوت الذكر ونثوت الحديث أنثوه اذا أذعته وأفشيته ابن الاعرابي النثا في الحسن والقبيح من الكلام وقيل النث نشر الحديث الذي كتمه أولى من نشره وفي معنى هذا اللقاء قال المعري

ولو لم ألق غيرك في اغترابي * لكان لقاؤك الحظ الجزيلا

فقلت اني لك لأطوع من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بحجتي وبخبخ بعجبتي ثم احتملنا مجدّين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما أسفر الفاضح ولم يبق الا الواضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار

وبعيري ينحط من الكلال وراحلته ترف زفيف الرال فاعجبني اشتداد أسرها وامتداد صبرها فاخذت أستشف جوهرها وأسأله من أين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة مليح السياقة فان احببت استماعه فأنخ وان لم تشا فلا تصخ فأنخت لقوله نضوي واهدفت السمع لما يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت ومازلت أجوب عليها البلدان وأطس باخفافها الظرّان الى ان وجدتها عبر أسفار وعدة فرار لا يلحقها العناء ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء فارصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر السر فاتفق ان ندت مذمّة ومالي سواها قعده فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم الاحثاثا ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا لا أستنشى منها ريحا ولا استغشي يأسا مريحا وكلما ادّكرت مضاءها في السير وانبراءها لمباراة الطير لاعني الادّكار واستهوتني الافكار فبينما أنا في حواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرّد من ضلت له مطية حضرمية وطية

ستحمل ناجيات العيس مني * صديقا عن ودادك لن يحولا
يؤمل فيك اسعاف الليالي * وينتظر العواقب أن يديلا

(ينحط) يزفر ويتنفس من شدة التعب والنحط خروج النفس بصوت وهو صوت يعتري المهموم والمتعوب من صدره بتوجع وقد نحط ينحط نحطا ونحيطا والنحيط يعتري الدابة اذا كلت اوزيد في حملها فتسمع لها زفيرا بصوت فذلك هو النحيط وقد نحط القصار اذا ضرب بالثوب على الحجر وتنفس ليكون أروح له (ترف) تسرع والزفيف مشي في سكون متتابع (والرأل) فرخ النعامة والجمع الرئال (أسرها) قوتها وشدة خلقها (امتداد) طول (استشف) انظر (جوهرها) خلقها وجوهر كل شئ ما وضعت عليه جبلته (أنخ) حط بعيرك وانزل (تصخ) تسمع (نضوي) بعيري المهزول (أهدفت) جعلته غرضا يقع فيه كلامه (والسمع) الاذن والهدف الغرض ترمي عليه (استعرضتها) طلبت أن تعرض علي للبيع (حضرموت) كورة من كور اليمن فيها مداتن وتعمل بها النعال الحضرمية وهي غاية في الجودة (كابدت) قاسيت (أجوب) أقطع (أطس) أكسر والوطس الوطء الشديد المؤثر (الظرّان) واحدها ظرر بظاء منقوطة وراءين وهي الحجارة العريضة وقيل المحددة (عبر اسفار) أى قوية على السفر كانها تعبر بها المراحل اى تقطع وأصله عبرت في النهر اذا جزته من جهة الى جهة أخرى (فرار) أى قد استعدت للفرار والهرب (العناء) التعب (تراهقها) تدانيها وتقاربها وقد أرهقت الرجل اذا دانيته وذلك أن يذهب امامك فتتبعه فاذا قربت منه قلت رهقته فاذا أدركته قلت أرهقته ورواية ابن جهور تواهقها بالواو ومعناها تواظب على المشي معها والمواهقة المعارضة في السير (وجناء) ناقة قويه غليظة والوجين ما صلب من الارض وقيل الوجناء العظيمة الوجنات (والهناء) القطران أى ليس بها داء فتحتاج اليه فهي لا تعرفه (أرصدتها) أعددتها (البر) الذى يبرك ويكرمك و(السر) ما يسرك (ندت) فرت وشردت (استشعرت) لبست (الاسف) الحزن (استشرفت التلف) عاينت الهلاك ونظرته واستشرفت فلانا اذا رفعت رأسك لتنظر اليه ويدك على حاجبك (والرزء) فقد الشئ (سلف) مضى (مكثت) أقمت (انبعاثا) نهوضا ونهوجا الى السفر (حثاثا) قليلا والحثاث أن يصيبك النوم ثم يزول عنك في الحال ويوصف به فيقال يوم حثاث أى قليل والطعم الذوق (استقراء) تتبع و(المسالك) الطرق (المسارح) المراعي وحيث تسرح الابل (والمبارك) مراقد الابل حول الماء * استنشاء الريح شمها مهموز وغير مهموز (استغشى) ثوبه تغطى به (اليأس) قطع الرجاء (مريحا) يدخل على صاحبه الراحة (ادّكرت) تذكرت (مضاءها) نفادها واسراعها (انبراءها) نهوضها وقد انبرى لك فلان اذا عرض لك (مباراة) معارضة (لاعني) أحرقني واللوعة حرقة القلب من شدة الوجد (استهوتني) هوت بي في كل طريق (الافكار) تذكر الهموم (قوله حواء) بيوت مجمعة مائتان أو نحوها (الاحياء) القبائل (متجرد) ماض ظاهر وقيل ضعيف لبعده (ضلت) تلفت وضاعت (مطية) يعني بها نعلا في المعنى وناقة في اللفظ وقد تقدمت أشعار اللغز بهما (وطية) لا تحرك الراكب وهي الذلول وفراش وطيء وثير لا يؤذى جنب النائم عليه * وعلى من ضلت له مطية (٣) في حديث عتبة ابن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ضل أحدكم شيا وأراد غوثا وهو بأرض ليس بها أحد

(٣) قوله وعلى من ضلت له مطية في حديث الخ كذا بالاصل الذى بايدينا ولعل فيه سقطا والاصل وعلى من ضلت له مطية ان يقول ما في حديث الخ أو نحو ذلك اه مصححه فليقل

جلدها قد وسم وعرّها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها ٣٠١ كان قد كسر ثم جبر تزين الماشية
وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتطل أبدا الندمدانية لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصى فيمن عصى قال أبو زيد فجذبنى الصوت الى الصائت وبشرنى بدرك الفائت فلما أفضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك قلت له ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة وكنت أعطيتها عشرين اذ حلت بيرين فاستردت الذى أعطى ودريت انه أخطا قال فأعرض عنى حين سمع صفتى وقال لست بصاحب لقطتى فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتى بطلبك فاكفف عنى من غربك وعدّ عن سبك والا فقاضنى الى حكم هذا الحى البرىء من الغى فان أوجبها لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتى ولا مساغ غصتى الا ان آتى الحكم ولو لكم فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة أنيق العصبة يؤنس منه سكون
الطائر وأن ليس بالجائر فاندرأت أتظلم وأتألم وصاحبى مرم لا يترمرم حتى اذا نثلت كنانتى

فليقل يا عباد الله المسلمين أعينونى يا عباد الله المسلمين أعينونى فان لله عبادا لا تراهم وقد جرب ذلك (وسم) خرز أى جعل الخرز فيها كالعلامة (عرّها) جربها (حسم) استأصل بالقطع يريد أن آثار الجرب التى كانت فى الجلد الذى صنعت منه هذه النعل قد قطعت وأزيلت (وزمامها) شركها (كسر ثم جبر) يريد ان ظهرها يبس فتكسر فوصل بجلد آخر فصح و (الماشية) الرجل التى تمشى فيها وكذلك (الناشية) ويقال نشأ الرجل اذا نهض لحاجته وتنشأ أيضا وسهل الناشئة لاجل الماشية وأصلها الهمز الفنجديهى تعين الناشية أى تعين على السير فى ناشئة الليل قال ابن عرفة كل ساعة قامها قائم من الليل ناشئة الازهرى ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة بمعنى النشء كالعافية والخاتمة بمعنى العفو والختم وقيل الناشئة والنشيئة أن تنام من أول الليل ثم تقوم وقيل الناشئة أول النهار وأول الليل وأكثر المفسرين على ان ناشئة الليل أوله عاصم يهمزه والباقون لا يهمزون (جذبنى) ساقنى بعنف (الصائت) صاحب الصوت الذى سمع وقد أصات اذا رفع صوته (درك الفائت) لحوق التالف (أفضيت) وصلت (تسلم) خذ (جثتها) جسدها والجثة شخص القائم والقاعد والراكب (والهضبة) الصخرة العظيمة وقيل الجبل المنبسط الاملس (ذروتها) أعلى ظهرها والعلبة اناء من جلود (يبرين) أرض فيها رمل (أضرب) نحى وجهه (واللقطة) ما تجده قد سقط من غيرك فتلتقطه وعامة أهل اللغة على فتح قافها مثل أبى عبيدة ويعقوب والمفضل وثعلب وابن قتيبة وغيرهم وحكى ابن خالويه ان تسكينها لغة تميم وفتحها لغة أهل الحجاز فهما لغتان قال النبى صلى الله عليه وسلم من التقط لقطة فليشهد ذا عدل ثم لا يكتم ولا يغيب فان جاء صاحبها فهو أحق بها والا فهو مال الله يؤتيه من يشاء (تلابيبه) أطواق ثوبه والتلبيب الجيب وأخذت بتلبيب فلان اذا جمعت ثوبه الذى حوالى صدره وقبضت على نحره والجلباب الملحفة والرداء (أصررت) أقمت (تمزيق جلابيبه) تخريق ثيابه (بطلبك) بما تطلب والطلب اسم ما تطلب ابن دريد فلان نه طلب فلان اذا كان يطلبها ويهواها (عدّ) كف واصرف (سبك) شتمك (قاضنى) حاكمنى (الحى) القبيلة (الغى) الضلال والفساد (زواها) نحاها (قوله مساغ غصتى) أى بلع ما أختنق به وساغ الطعام والشراب فى الحلق سهل نزوله فيه (لكم) يا لكمه ضربه بمجمع كفه (انخرطنا) سرنا مسرعين (ركين النصبة) وقور الهيئة وفلان ركين بين الركانة أى ثقيل المجلس ثابت قوى الازهرى يقال للرجل اذا كان وقورا ساكنا انه لركين وقد ركن ركانة الجوهرى يقال جبل ركين أى له أركان عالية فيحتمل على هذا المعنى أن يكون ركين النصبة عالى الانتصاب حسن القامة والنصبة الفعلة من الانتصاب وأراد بها هيئة انتصابه فى جلوسه وحالته (أنيق) معجب (العصبة) هيئة العمامة على رأسه تقول عصبت رأسى بالعمامة اذا شددته بها والعصبة هيئة التعمم يقول ان هذا الشيخ الحاكم رزين فى جلوسه حسن التعمم والهيئة (يؤنس) يبصر (سكون الطائر) كناية عن الوقار والحلم واغا ذكر الطائر لانه لا ينزل الاعلى ساكن واذا نزل عليه سكن هو فاذا كان عند الرجل هوج وطيش قيل طارت عصافيره فاذا كان القوم أهل وقار قيل كان على رؤسهم الطير (اندرأت) اندفعت (أتظلم) أتشكى الظلم (أتألم) أتوجع (مرم) ساكت (لا يترمرم) لا يجيب ولا يتحرك وتكلم فما ترمرم أى ما أجاب وأصل ترمرم تحرك (نثلت كنانتى) أخرجت ما فيها من السهام وأراد أتممت كلامى

(وقضيت) أتممت و(القصص) ذكر الخبر (لباتى) حاجتى (أبرز) اظهر (رزينة) ثقيلة (محذوّة) جعل عليها الحذاء وهو الجلد الذى تنعل به (مسالك) طرق و(الحزن) ماغلظ من الارض (عرّفت) صحت بها ليعرفها صاحبها (ماافتراه) ماجاء به من الادعاء والكذب (قذاله) عنقه والقذال ما بين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل يقول فان كانت هـذه النعل تساوى عشرين وها هو يبصر أن هذا باطل فقد صارت دعواه باطلة اللهمّ الا أن يمدّ عنقه ويأتى ببيان انها تساوى عشرين الى هذا التفسير رأيت أكثر من لقيت يذهب وهو ضعيف ولا يكون لمدّ قذاله معنى ولا لما بعده والتفسير الحسن الذى فيه جلاء للمعنى ما كان يفسره به شيخى أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وذلك انه كان يفسر أعطى بمعنى صفع وضرب وكذلك كتب عليه فى طرة كتابه ان أعطى بمعنى ضرب لغة أهل الشرق وقد حدثت أنا عنهم ان الرجل اذا كلم الآخر بما لا يرضيه ثم انصرف عنه صاح الآخر فى أثره أعطه بمعنى اصفعه فهى لفظة متعارفة بينهم لهذا المعنى وبيان موقعها هنا انه لما ادعى السروجى انه أعطى بناقته عشرين فوصفها بما يصح معناه فى حقها من أنها تساوى عشرين ثم قال ان المعرف أبرز نعلا رزينة الوزن أى ثقيلة فى الميزان محذوة لمسلك الحزن أى قد جعل عليها حذاء أى رقع من الجلد طرقت بها ليسلك بها الحزن أى ليمشى بها فى أرض ذات حجارة فلا تؤثر فيها تلك الاطراف وبتلك الاطراف صارت ثقيلة فى الوزن فلما أبرز هذه النعل التى هذه صفتها رفعها بيده الى الحاكم قائلا له هذه النعل التى عرفت وإياها وصفت فان كانت هذه النعل التى أعطى بها عشرين أى صفع بها عشرين فقلب الاعطاء النعل بمعنى يوافقها اذ عد عشرين دينارا فى ثمنها بعيد ثم بينه بقوله وها هو من المبصرين والضرب الجافى فى العنق تدمع له العينان واذا أفرط فيه عمى له المصفوع فيقول المعرف هذه النعل لو صفع بها انسان صفعة واحدة لعمى وهـذا يقول انه صفع بها عشرين وهو سالم البصر فقد كذب فى ادعائه أنه صفع بها عشرين وكبرت فريته اللهمّ الا أن يمدّ قفاه فيرى فيها أثر الصفع وأثره احمراره وتجعيره فيتبين بذلك الاثر صدق قوله فهكذا تفسير هذا الموضع ومعناه وابن جهور الذى شافه الحريرى بمشكلات كتابه كان أضبط لها ممن يتحكم فيها بنظره فيكون تخليص المعنى ان المعرف يقول هذه النعل يدّعى هذا انه أعطى بها عشرين وأنتم ترونه سالم البصر ومحال أن يصفع بها انسان لخشنها وثقلها عشرين صفعة الا ويعمى فقد صارت دعواه كاذبة الا أن يمدّ لنا عنقه فنرى فيها أثر الصفع والرزء فنصدقه فى دعواه وفى رواية غير ابن جهور بعد المبصرين فقال كذب دعواه وهو داخل فى قول المعرف الاول فلا يحتاج الى ادعائه ولو جاء هنا بثم مكان الفاء لكان أبين فكان بمعنى قوله قال ثم يمشى فى كلامه ثم ينسق عليه قال لكلام ثان وانما وضع الفاء موضع ثم لان بجواب الشرط الذى هو فان كان مضمن فى قوله وها هو من المبصرين فانه يتضمن قوله وها هو من المبصرين معنى فقد كذب وليس فيه لفظ الجواب جاءت الفاء كأنها جواب لفظى ووقعت قال موطئة لقال الاولى ألا ترى أن فى رواية ابن جهور مكان فقال فقد والكلام بها متصل حسن قال أبو الرقعمق يصف العمى من الصفع

ولقد بتنا على زمن * ورؤس القوم نستلب
وكؤس الصفع دائرة * وبها اللذات والطرب

وقضيت من القصص لباتى
أبرز نعلا رزينة الوزن
محذوة لمسالك الحزن وقال
هـذه التى عرّفت وإياها
وصفت فان كانت هى التى
أعطى بها عشرين وها هو
من المبصرين فقد كذب
فى دعواه وكبر ما افتراه
اللهمّ الا ان يمدّ قذاله ويبين
مصداق ما قاله فقال الحكم

وكأن الصفع بينهم * شعل النيران تلتهب
والعي منهم وان شغلوا * عنه باللذات مقترب

وله

ان الذين تصافعوا * بالقرع فى زمن القشور
اسفوا على لانهم * حضروا ولم آلف الحضور
لوكنت ثم لقيل هل * من آخذ بيد الضرير
بالسرجال تصافعوا * والصفع مفتاح السرور
* لاتغفلوه فانه * يستل احقاد الصدور

وقال يصف أثر الصفع فى قفاه

ففى ماشئت من حمق ومن هوس * قليله لكثير الحمق اكسير
كم رام ادراكه قوم فأعجزهم * وكيف يدرك مافيه قناطير
لاعيب فى سوى انى اذا طربوا * وقد حضرت يرى فى الرأس تحجير
والاخدعان فالاورى لهما * لكثرة المزح توريم وتحمير

(حكاية ابن المغازلى)

ففى هذه الاشعار تتبين لك تلك الاغراض التى قدمناذكرها وتنتظم فى سلكها حكاية ابن المغازلى وكان رجلا يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر منوعة وكان نهاية فى الحذق لايستطيع من سمعه أن لايضحك قال وقفت يوما على باب الخاصة أضحك الناس وأتنادر فحضر خلفى بعض خدام المعتضد فأخذت فى نوادر الخدم فأعجب بذلك فانصرف ثم عاد فأخذ بيدى وقال دخلت فوقفت بين يدى سيدى فتذكرت حكايتك فضحكت فأنكر على وقال مالك ويلك فقلت على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فأمر باحضارك ولى نصف جائزتك فطمعت فى الجائزة وقلت ياسيدى أناضعيف وعلى عيلة فلو أخذت سدسها أوربعها فأبى وأدخلنى فسلمت فرد السلام وهو ينظر فى كتاب فنظر فى أكثره وأنا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه الى وقال أنت ابن المغازلى قلت نعم يامولاى قال بلغنى انك تحكى وتضحك بنوادر عجيبة فقلت ياأمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع للناس حكايات أتقرب بها الى قلوبهم فالتمس برهم فقال هات ماعندك فان أضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم وان أنالم أضحك فمالى عليك فقلت اليمين مامعى الاقفاى فاسأل ماأحببت قال أنصفت ان لم تضحكنى أصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لايصفع الابشئ لين خفيف والتفت فاذا بجراب من أدم معلق فى زاوية البيت فقلت ماأخطأظنى عسى فيه ريح ان أضحكته ربحت وأخذت الجائزة والا فعشر صفعات بجراب منفوخ شئ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنعاشة والعبارة فلم أدع حكاية اعرابى ولانحوى ولامخنث ولاقاض ولانبطى ولاسندى ولازنجى ولاخادم ولاتركى ولاشاطر ولاعيار ولانادرة ولاحكاية الاوأحضرتها حتى نفدكل ماعندى وتصدع رأسى وفترت وبردت ولم يبق ورائى خادم ولاغلام الاوقدماتوا من الضحك وهو مقطب لايتبسم فقلت قدنفد ماعندى و والله مارأيت مثلك قط فقال لى هيه ماعندك فقلت مابقى لى سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتنى أن تجعل جائزتى عشر صفعات وأسالك أن تضعفها لى وتضيف اليها عشر صفعات أخرى فأراد أن يضحك ثم تماسك وقال نفعل ياغلام خذبيده ثم مددت قفاى

اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال أما هذه النعل فنعلى وأما [illegible] فى رحلى فانهض لتسلم ناقتك

وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت أقسم بالبيت العتيق ذى الحرم والطائفين العاكفين فى الحرم

انك نعم من اليه يحتكم
وخير قاض فى الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم
فأجاب من غير روية ولا عقد نية وقال
جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم
اذ لست أستوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضى ظلم
ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذان والكلب سواء فى القيم
ثم انه نفذ بين يدى من سلم الناقة الى ولم يعتن على فرحت نجيح الارب أجر ذيل الطرب وأقول يا للعجب (قال الحرث بن همام) فقلت له تالله لقد أطرفت وهرفت بما عرفت فناشدتك الله هل ألفيت أسحر منك بلاغة وأحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاستمع وانعم كنت عزمت حين أتهمت على أن أتخذ ظعينة لتكون لى معينة فحين تعين الخطب الملب وكاد الامر يستتب أفكرت فكر المتحرز من الوهم المتأمل كيف مسقط السهم وبت ليلتى أناجى القلب المعذب وأقلب العزم المذبذب الى أن أجمعت على أن أسحر وأشاور أول من أبصر فلما قوضت الظلمة أطنابها وولت الشهب أذنابها غدوت غدو المتعرف واستكرت استكار المتعيف فانبرى لى يافع فى وجهه شافع

فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقطت على قفاى قطعة من جبل واذا هو مملوء حصا مدورا فصفعت عشرا فكادت أن تنفصل رقبتى وطنت أذناى وانقدح الشعاع من عينى فصحت ياسيدى نصيحة فرفع الصفع بعد أن عزم على العشرين فقال قل نصيحتك فقلت ياسيدى انه ليس فى الديانة أحسن من الامانة وأقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى نصف الجائزة على قلها وكثرها وأمير المؤمنين بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيت نصفى وبقى نصفه فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان سمع فتحامل له فما زال يضرب بيديه الارض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن قال على به فأتى به وأمر بصفعه وكان طويلا فقال وايش جنايتى فقلت له هذه جائزتى وأنت شريكى فيها وقد استوفيت نصيبى منها وبقى نصيبك فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الوقع أقبلت ألومه وأقول له قلت لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول لك خذ ربعها أو سدسها وأنت تقول لا آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جائزته الصفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من عتابى للخادم فلما استوفى نصيبه أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت شريكا لك فقلت وأين الامانة فقسمها بيننا وانصرفت (قوله اللهم غفرا) أى اغفر غفرا والغفر الستر والتغطية (انهض) تقدم (لتسلم) لقبض (العتيق) القديم (الحرم) جمع حرمة و(العاكفين) المقيمين فيه للعبادة والعكوف الاقامة و(الحرم) حرم مكة (اسلم) دعاء معناه سلمك الله و(النعام) طير معروف (الاعاريب) الاعراب وهم سكان البادية (والنعم) جمع نعمة والدوم والدوام واحد (روية) أى فكرة (عقد نية) أى تدبير (استرعى) جعل راعيا أى حكما على الناس (يرعى) يحفظ (فذان) أى فهذان (القيم) جمع قيمة (يمتن) يعتدها منة وامتن فلان عليك اذا فعل معك معروفا فمتى أنكر عليك شيأ ذكرك معروفه وجبهك به وقالت الحكماء أحى المعروف باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له (أطرفت) أتيت بطرفة يريد بأمر عجيب غريب (هرفت بما عرفت) أى تكلمت بشئ غريب والهرف الاطناب فى المدح ومن كلام العرب لا تهرف بما لا تعرف (ناشدتك) حلفتك (صياغة) صنعة وسبك (أتهمت) أتيت تهامة وهى ما انخفض من أرض العرب (ظعينة) زوجة (الخطب) النكاح و(تعين) تحقق (يستتب) يتم (الوهم) الغلط (المتأمل) الناظر (المذبذب) المضطرب الذى لا يعتمد على رأى (أزمعت) عزمت (أسحر) أخرج فى السحر (قوضت) هدمت و(الاطناب) حبال الخباء وتقويضها ازالتها (الشهب) النجوم وجعل لها أذنابا مجازا وأراد أن الفجر اذا طلع وانتشر غابت النجوم فكأنها قد ولت أذنابها وقال التهامى فى ذلك

قظلت أعثر فى ثوب الدجى ولها * والجو روض وزهر الشهب كالزهر
وللمجرة فوق الارض معترك * كأنها حبب يعلو على نهر
وللثريا ركود فوق أرحلنا * كأنها قطعة من فروة النمر
كأن أنجمها والصبح يغمضها * قسرا عيون غفت من شدة السهر

(المتعرف) المكتسب لانه يعرف ما جهل (المتعيف) الزاجر من عاف الشئ اذا كرهه (يافع) فتى شاب وقد أيفع اذا شب (فى وجهه شافع) أى هو حسن الوجه يشفع له حسن وجهه اذا أذنب

أو أخطا وفى وجهه شافع صدر بيت الحكم بن قنبر وقال يحيى بن على المنجم كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فأقبل بدر مولاه فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذى يقول فى وجهه شافع فقلت يقوله ابن قنبر المازنى البصرى فقال لله دره فانشد هذا الشعر فانشدته

و يلى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس فى أعطافه لمعت * حسناً أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

* أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم حسن الوجه مال وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال الشاعر

أنت شرط النبى اذ قال يوما * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع غير شائن فهو من صفوة الله من خلقه * ابن عمر رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة تجلو البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء الجارى والنظر الى الوجه الحسن نظمها الشاعر فقال

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

(قوله تيمنت) تبركت (البهيج) الحسن (استقدحت) طلبت وأصلها فى قدح النار (تبغيها) تطلبها (عوانا) ثيبا (تعانى) تعالج وتراضى (العرا) جمع عروة (الدرة) الجوهرة (المخزونة) التى جعلت فى الخزانة لرفعتها يريد ان البكر تحجب وتصان (البيضة المكنونة) أراد بيضة النعام ويشبه بها النساء لبياضها والصفرة التى تضرب فيها وقد تقدمت هذه الصفة فى العاشرة وقال امرؤ القيس

كبكر مقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

وقال ذو الرمة * كأنها فضة قد مسها ذهب * والمكنونة المصونة والنعامة تكن بيضتها بريشها ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير وقال الله تعالى كأنهن بيض مكنون (الباكورة) أول ما يبكر من الثمر (والسلافة) الخمر (المدخورة) المحجوبة فى آنيتها (الانف) التى لم تدخل ولا رعيت (والطوق) ثوب رفيع (ثمن) كثر ثمنه (اللامس) الذى يلمس الشئ بيده ويدنسه وأراد به الذى يلاعبها ويعضها ابن عباس اللمس والملامسة والمماس كناية عن الجماع وفلانة لا ترد يد اللامس أى لا تمنع مجامعتها من أرادها (استغشاها) جامعها وغشيان النساء مجامعتهن و(اللابس) الذى لابسها واختلط بها يريد نكحها (مارسها) عالجها وعاناها (عابث) مفسد وأراد من يعبث بها عند الجماع (وكسها) نقصها ووضع منها والوكس الخسارة فى البيع (طامس) ناكح والطامس المفتض للبكر (العيى) الذى لا يعرف تصرفات الكلام و (الدمية) صورة الرخام (واللعبة) ما يلعب به وتقول لمن اللعبة أى لمن الغالب فى لعب الشطرنج وشبهه على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المرأة لعبة زوجها فان استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل و (المداعبة) الممازحة و (المغازلة) تقول غازلتنى المرأة اذا تماجنت عليك فى كلامها وأشارت لك بعينها وغمزتك بحاجبها حتى اذا طمعت فيها صدت عنك (والملحة) الصورة المستملحة

فتيمنت بمنظره البهيج واستقدحت رأيه فى التزويج فقال أو تبغيها عوانا ام بكرا تعانى فقلت اختر لى ماترى فقد ألقيت اليك العرا فقال الى التبيين وعليك التعيين فاسمع أنا أفديك بعد دفن أعاديك أما البكر فالدرة المخزونه والبيضة المكنونه والباكورة الجنيه والسلافة المدخورة الهنيه والروضة الانف والطوق الذى ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيى والطرف الخفى واللسان العيي والقلب النقى ثم هى الدمية الملاعبه واللعبة المداعبه والغزالة المغازلة والملحة الكامله

والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذى يشب ولا يشيب واما الثيب فالمطية [illegible] واللهنة المعجلة والبقية المسهلة

والطبة المعلله والقرينة المتحببه والحليلة المتقربه والصناع المدبره والقطنة المختبره ثم انها عجالة الراكب

وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينه وعقلتها هينه ودخلتها متبينة وخدمتها مزينه وأقسم لقد صدقت فى النعتين وجلوت المهاتين فبايتهما هام قلبك وعلى أيتهما قام زبك (قال أبو زيد) فرأيته جندلة يتقيها المراجم وتدمى منها المحاجم الا انى قلت له كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا فقال لعمرى قد قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك أما هى المهرة الابية العنان والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤنتها كثيره ومعونتها يسيره وعشرتها صلفه ودالتها مكلفه ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفى رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحنقت الهازل وأضرعت الفنيق البازل ثم انها التى تقول أنا ألبس وأجلس فأطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى فى الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب فى فضالة

المآكل وغسالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح حياء

كالدمى وكالصورة التى تلعب بها البنات والشطار وهى اللعبة وجاء بملحة أى بكلمة طيبة مليحة (والوشاح) الحزام و (القشيب) الجديد جعلها كالوشاح عند عناقها وجماعها (والضجيع) المراقد (يشب) يردك شابا (يشيب) يكسبك الشيب (اللهنة) ما يعجل للضيف قبل القرى (والطبة) الحاذقة بمصالحها (المعللة) التى تعطيك ما تريد منها مرة بعد مرة وهى بكسر اللام والمعللة التى تعلل مرتشفها بالريق قال امرؤ القيس * ولا تمنعينا من جناك المعلل * ابن الاعرابى المعلل المعين بالبر بعد البر ومن نصب اللام فمعناه المطيب مرة بعد مرة والتعليل سقى بعد سقى و (القرينة) الصاحبة (والحليلة) الزوجة (والصناع) الحاذقة بالصنعة و (عجالة الراكب) ما يعجل له من الطعام والشراب مثل التمر والسويق وما لا يتعب بمعالجته وكانت العرب لكرمها يمر عليها الرجل وهو راكب فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع لأعذار له فيمسك حتى يخرج له من البيوت أيسر ما وجد فيأكله وهو راكب فجعل الثيب لسهولتها كالعجالة التى لا يتكلف لها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه البكر كالبرة تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها والثيب عجالة الراكب تمر وسويق و (الانشوطة) عقدة تحل بسهولة (نهزة) فرصة وغنيمة سهلة (عريكتها) طبيعتها ورجل لين العريكة اذا كان سهلا سلس القياد وأصل العريكة سنام البعير وكانوا يعمدون للبعير اذا كان فيه شماس وامتناع فيقطعون فى حدبته وهى مرتفعة يصعب الركوب عليها فاذا قطع فيها سكن البعير ولان ونوطا موضع الركوب منه فيقال قد لانت عريكته وقال الشاعر

من اللواتى اذا أودت عريكتها * يبقى لها بعدها أل ومجهود

قوله أودت أى زالت وذهبت فهذا يدل على ما ذكرنا (عقلتها) حبستها يريد أن ما يعقلها به صاحبها شئ هين والعقلة مثل العقدة ولفلان عقلة يعقل بها الناس فيغلبهم ويصرعهم (دخلتها) باطن أمرها وفلان عفيف الدخلة وخبيثها أى الباطنة والسريرة (متبينة) مكتشفة ظاهرة أى سرها ظاهر (المهاتين) البكر والثيب والبقرة الوحشية هى المهاة (هام) تحير من شدة الحب (قوله المراجم) أى الذى ترجمه ويرجمك (خبا) مكرا وخديعة ورجل خب غاش فاجر (الابية العنان) الممتنعة القياد (الاذعان) الخضوع والذلة (الزندة) ما تزند منه النار (المتعسرة الاقتداح) التى يعسر اخراج النار منها (القلعة) الحصن والمكان المرتفع (عشرتها) صحبتها (صلفة) مجاوزة حد الطوق واصل الصلف الاعراض عن الشئ كأنه اذا استقبلك أبديت له صليفك وهو صفحة عنقك (ودالتها) انبساطها يريد انبساطها اذا أرادت أن تدل عليك تكلف ذلك (خرقاء) لا تحسن العمل (صماء) شديدة كأنها لا تسمع النهى والعذل (وفتنتها) شرها (خشناء) خشنة صعبة (ليلاء) شديدة السواد طويلة (خبرتها) لبستها الخمار (غشاء) غطاء وستر (فضالة) بقية وكذلك (غسالة المنهل) موضع الماء والنهل الشرب الاول (والذواقة المتطرفة) أى التى تذوق طرف الشئ وتتركه أو تذوق بطرف لسانها ثم تبصقه وتطرفت الناقة رعت باطراف المرعى فيريد انها لا تبقى على زوج واحد انما هى تذوق كل زوج وتجرب لذة مباشرتهم وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى قد طلقت زوجتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات (الخراجة) الكثيرة الخروج (المتصرفة) الجوالة (الوقاح) الصلبة الوجه التى ليس عندها

حياء (المتسلطة) المستطيلة اللسان (والمحتكرة) التى تسرق رزق زوجها ثم تحتكره أى تدخره وترفعه فاذا احتاج زوجها الشرا ئه أخذت منه ثمن ماعندها محتكرا (كنت وصرت) تخاطب به زوجها أى كنت فى نعمة مع الزوج الاول وأنا معك على شقاء (بغى على) أى اجتمع على بالظلم والبغى الظلم (وشتان) بعد (اليوم وأمس) الزوج الحاضر معها والزوج المفقود وهو الذى أراد بالقمر والشمس ويقال شتان زيد وعمرو ترفعهما بشتان وتفتح نونها لالتقاء الساكنين تشبيها بالادوات ويقال شتان ما زيد وعمرو فتجعل ما صلة أو تنصبها على التمييز على حد نعم رجلا زيد والتقدير شتان شبها زيد وعمرو وبرفعها بشتان بمعنى بعد شبها زيد وعمرو ويجوز كسر نون شتان على انها تثنية شت وهو التفرق وجمعه أشتان ويقال شتان ما بين زيد وعمرو فترفع ما بشتان على انها بمعنى الذى وبين صلتها ولا يجوز كسر نون شتان لانها اسم واحد ومعنى هيهات بعد (الحنانة) صاحبة الولد الذى من غير الزوج الذى هى معه فمتى رأت ولدها حنت لوالده و (البروك) التى تتزوج ولها ولد كبير ويسمى ولدها الجوبند (والطماحة الهلوك) هى التى فارقها زوجها فتطمح له أبدا وتتهالك فى محبته وقيل الطماحة التى تطمح الى كل شهوة والهلوك الفاجرة و (الغل) الشرك التى يغل بها الاسير أى يربطها فى عنقه ويديه و (القمل) الذى كثرت فيه القمل ويضرب بالغل القمل المثل للمرأة السيئة الخلق (لا يندمل) لا يبرأ * أبو موسى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه المقدمى قال بعض الحكماء أربعة أشياء يمنعن النوم والقرار المرأة السوء والولد الجاهل والعشير المخالف والعبد اللئيم قال الاصمعى قال لى زائدة البندار قيل لى بالشأم هل لك أن ترى العجب فذهبت فاذا سبعة فى شق جد وستة من ولده وولد ولده واذا الجد السابع أشب من الابن السابع فسألت عنه فقيل كان للجد امرأة موافقة وللابن السابع امرأة سليطة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة لا يشبعن من أربعة عين من نظر وأرض من مطر وأنثى من ذكر وعالم من علم قال الاصمعى تزوج رجل من عذرة امرأة من بلى حمقاء فغاب عنها غيبة ثم قدم عليها فلما جمعهما المضجع أنشأت تقول

مامسنى بعدك من انسى * غير غلام واحد جعدى
ورجل أحمق من بلى * ورجلين من بنى عدى
وتسعة كانوا مع المطى * وسبعة كانوا على الطوى
وخمسة وافوا مع العشى * من بين جدى الى مكى
ومن تهامى الى نجدى

فقام اليها بالسوط فضربها فاجتمع لذلك من حوله يلومونه فقال والله لولا ماقت لضربها العدت على أهل عرفات ومنى وقيل ليحيى المدنى ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم (قوله أترهب) أى أترك التزويج والترهب ترك النساء (انتهرنى) زجرنى وأخذنى بلسانه (زلة) سقطة (استبان) ظهر (الاف) وسخ الاذنين و (الوهن) الضعف والخسران (ولا ولتك) اشارة للرهبان (السكن) الزوجة يسكن اليها (ترب) تصلح (تلبى) تجيب (تغض طرفك)

المتسلطة والمحتكرة المتسخطة ثم كلتها كنت وصرت وطالما بغى على فنصرت وشتان بين اليوم وأمس وأين القمر من الشمس وان كانت الحنانة البروك والطماحة الهلوك فهى الغل القمل والجرح الذى لا يندمل فقلت له فهل ترى أن أترهب وأسلك هذا المذهب فانتهرنى انتهار المؤدب عند زلة المتأدب ثم قال ويلك أتقتدى بالرهبان والحق قد استبان أف لك ولوهن رأيك وتبالك ولاولئك أتراك ما سمعت بان لا رهبانية فى الاسلام أو ما حدثت عنا كح نبيك عليه أزكى السلام ثم أما تعلم أن السكن الصالحة ترب بيتك وتلبى صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك

أي تحصنك وتمنعك من نظر النساء (عرفت) ريحك الطيب (وقرة العين) ما يتمنى وتقر به العين (ريحانة) شجرة طيبة الريح وريحانة من صفة المرأة وقال علي رضي الله عنه في وصيته لابنه محمد بن الحنفية لا تملكن المرأة من الامر ما يتجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة وان ذلك أدوم لحالها وأرضى لبالها وما أحسن ما قال ابن اللبانة يرثي أخت المرتضى صاحب ميورقة وماتت بعد أخيها

ابنت العلا جددت منعي على منعي * مضى المرتضى أصلا واتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح في منبتكما * فاذوى الشريحانا وكسره نبعا

(تعلة) أي تعلل وتنفع بما عندها من القيام بمؤنتك (ومتعة) ما يتمتع به ويتلذذ (المتأهلين) المتزوجين الذين لهم أهل (شرعة) طريقة (المحصنين) المتزوجين (نزا) وثب وارتفع (العنظب) ذكر الجراد* ونذكر هنا فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعطاف بن وداعة الملالي يا عطاف ألك امرأة قال لا قال فأنت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فستنتنا النكاح أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من العزب وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود من النساء فاني مكاثر بكم الامم وقال صلى الله عليه وسلم النساء ثلاث صنف كالرحى تحمل وتضع وصنف كالعر وهو الجرب وصنف ودود ولود تعين زوجها على ايمانه فهي خير له من الكنز ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتي مائة وثلاثون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب في رؤس الجبال وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وقال خالد بن صفوان لرجل أتزوجت قال لا قال فتزوج ثم قال بعد ساعة لا تتزوج فقال لم قال انك ان تزوجت واحدة فتطهر ان طهرت وتحيض ان حاضت وتغضب ان غضبت فان تزوجت باثنتين تقع بين ضرتين فان تزوجت ثلاثا تقع بين أثاف وان تزوجت بأربع يفلسنك ويهرمنك قال أفتحرم ما أحل الله لك قال لا ولكن كوزان وجاران وعباءة وقرصان وقال رجل أردت النكاح فقلت لأستشيرن أول من يطلع علي فاعمل برأيه فأول من طلع علي هبنقة القيسي الاحمق وتحته قصبة فقلت له اني لاستشيرك في النكاح فقال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادي لا ينفحك وقال رجل لولده يا بني لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا فالحنانة التي لها ولد من غيره فهي تحن اليه والانانة التي مات زوجها فهي اذا رأت الثاني أنت للاول وقالت يرحم الله فلانا والمنانة التي لها مال فهي تمن به على زوجها متى احتاج اليه وعشبة الدار خضراء الدمن وقد تقدمت وكية القفا التي اذا انصرف ابنها أو زوجها من بين القوم قال رجل قد كان بيني وبين أم هذا أو زوجته شيء وسئل أعرابي عن النساء وكان ذا تجربة لهن فقال أفضلهن أطولهن اذا قامت اكظمهن اذا قعدت واصدقهن اذا قالت التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التي تلزم بيتها ولا تعصي زوجها العزيزة في قومها الذليلة في نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود نظر خالد بن صفوان الى جماعة في مسجد البصرة فقال ما هذه الجماعة قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها أبغي امرأة قالت فصفها

وبها ترى قرة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض اعراض المغضب ونزا نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطلق متجترا وتدعني متحيرا فقال أظنك تدعي الحيرة

قال أريدها بكرا كثيب أو ثيبا كبكر حلوة من قريب فخمة من بعيد كانت في نعمة وأصابتها حاجة فنيها أدب النعمة وذلة الحاجة اذا اجتمعنا كنا أهل دنيا واذا افترقنا كنا أهل آخرة قالت قد أصبتها لك قال فأين هي قالت في الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها وقال خالد لابي العباس السفاح وكانت عنده أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومي وكان تزوجها قبل الخلافة وحلف ان لا يتزوج عليها ولا يتسرى يا أمير المؤمنين انى تفكرت في أمرك مع سعة ملكك وقد ملكتك امرأة واحدة ان مرضت مرضت لمرضها وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ بالجوارى ومعرفة حالاتهن فان منهن الطويلة الغيداء والغضة البيضاء والعقيقة الادماء والرقيقة السمراء والبربرية العجزاء يفتن بمحادثتهن وتاتك عن بنات الاحرار والنظر اليهن ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء العيناء والبيضاء العجزاء والمولدة من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زينتهن وزيهن وشكلهن لرأيت شكلا حسنا فقال له ويحك يا خالد ما سلك مسامعى والله كلام أحسن مما سمعت منك فانصرف وبقى أبو العباس متفكرا فدخلت عليه أم سلمة فرأته مغموما فقالت له انى لا انكرك يا أمير المؤمنين هل أتاك خبر فارتعت له قال لا قالت فما قصتك فزوى وجهه عنها فلم تزل به حتى أخبرها قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت مغضبة وأرسلت اليه جماعة من العبيد وبأيديهم مقامع من حديد وأمرتهم أن لا يتركوا من خالد عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت مسرورا لما رأيت من اعجابه بما ألقيت عليه ولم أشك ان صلتى ستأتينى فانى لقاعد على باب دارى واذا بالعبيد قد أقبلوا نحوى فلم أشك في الجائزة فسألوا عنى فقلت أنا خالد فاهوى أحدهم الى بهراوة فوثبت الى منزلى وعلمت أنى أتيت من أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا وأنا مستخف فهجم على فى الثالث فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فدخلت عليه وليس فى وجهى دم فسلمت وجلست واذا خلف ظهرى ستر خلفه حركة فقال لى يا خالد أين كنت منذ ثلاثة أيام قلت عليلا قال انك وصفت لى من أخبار النساء والجوارى مالم يخرق مسامعى قط شئ أحسن منه فأعده على قلت نعم أعلمك يا أمير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرتين من الضر وان أحدهم لم يكن عنده أكثر من واحدة الا كان فى جهد قال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله وأعلمك ان الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قلت وأخبرتك ان الاربع شؤم مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويقصمنه قال والله ما سمعت هذا منك قط قلت بلى والله يا أمير المؤمنين قال ويحك وتكذبنى قلت وتريد أن تقتلنى قال مر فى حديثك قلت وأخبرتك أن ابكار النساء رجال ولكن لا خصى لهن قال وسمعت الضحك من وراء الستر قلت واخبرتك ان بنى مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح الى غيرها من الاماء فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت وبهذا حدثته ولكنه غير وبدل فقال لى أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل وفعل فتركته وخرجت فما شعرت الا برسل أم سلمة ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فقبضتها وفى هذا الحديث المليح تعلق بما ذكر الحريرى من مدح النساء وذمهن

وخالد بن صفوان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه وقد تقدم في الثالثة هذا الفن
وقال أبو العباس السفاح لخالد وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك باخوالي يا خالد قال
يا أمير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم
انهم لاصونهم أما وأحسنهم أمما وأكرمهم شيما وأطيبهم طعما وأوفاهم ذمما وأبعدهم
همما الجمر في الحرب والوفد عند الجدب وهم الرأس في كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب
فقال لقد وصفت يا ابن صفوان فأحسنت فزاد اخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه
فقال افخر يا خالد فقال أعلى اخوال أمير المؤمنين قال فأين أنت من اعمامه قال كيف أفاخر
قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة
*ودخل خالد على أبي الجهم العدوي وهو يريد ركوب حمار فقال خالد أما علمت أن العير عار
وان الحمار شنار منكر الصوت قبيح الفوت متزلج في المحل مرتطم في الوحل ليس بركوبه فحل
ولا مطية رحل راكبه مقرف ومسايره مشرف فاستوحش العدوي من ركوبه فركب فرسا
وركب خالد الحمار فقال ويحك يا خالد أتنهى عن شيء وتأتي مثله قال أصلحك الله عير من بنات
الكداد أصحم السربال مدمج الاوصال محملج القوائم يحمل الرحلة ويبلغ العقبة
ويمنعني من ان أكون جبارا عنيدا أو ملكا شديدا فقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ذلك
وهذا الى فتبسم العدوي * ثم نرجع الى جملة مقاطيع من أوصاف النساء تبين بها أوصافهن
قال العديل بن الفرخ

لعب النسيم بهن في أطلاله * حتى لبسن زمان عيش غافل
يأخذن زينتهن أحسن ما يرى * واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا أرين خدودهن أرينها * حدق المهى وأخذن سهم القاتل
ورمينني لا يستترن بجنة * الا الصبا وعرفن أين مقاتلي

(وقال العباس بن طرخان)

تقسمن قلبا كان مجتمع الشمل * وفرقنه بين المسالك والسبل
زرعن الهوى في القلب ثم سقينه * صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رمين فلما ان أصبن مقاتلي * تولين وانضمت جراحي على النبل

(وقال البحتري)

لما مشين بذي الاراك تشابهت * اعطاف قضبان به وقدود
في حلتي حبر وروض فالتقى * وشيان وشي ربا ووشي برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها * وردان ورد جنى وورد خدود
ومتى يساعدنا الوصال ودهرنا * يومان يوم منى ويوم صدود

(وقال التهامي)

ماتت لفقد الظاعنين ديارهم * فكأنهم كانوا لها أرواحا
لاعيب فيهم غير شح نسائهم * ومن السماحة أن يكن شحاحا
طرقته في أترابها فجلت له * وسنا من الغر الصباح صباحا

قوله خدودهن كذا بالاصل ولعل المناسب عيونهن اه مصححه

أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا

(وأنشد الاصمعى)

خواعية الاطراف مريبة الحشى * نزارية العينين طيبة الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

(وقال الاسعد بن نبيط)

غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غاليه مخطا
فقلت أحاجيها بما فى جفونها * وما بال الشفاه اللعس من حسنها المعطى
محبرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك من حمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قدح قبلته فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء منحطا

فتصور فى البيتين قبل هذا أحسن مقابلة وتصور فى البيتين من آخر هذه القطعة ثلاث تشبيهات شبهت بشئ واحد يتضمنها جميعا وقال ابن شرف

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخلو فتولى الحصا من حليها نبذا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
ما للعين نوم بعد ما ذكرت * ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغر

(وقال الرمادى)

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا
شكت محاسنها عينى وقد عذرت * لانها بضمير القلب تخمش
شعر ووجه تبارى فى افتخارهما * لحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها ألى فرشى * اذا تاملت الا الطيف والقرش

(ولبعض أصحابنا)

سائل سقاة الحى عن نجدية * وردا لحجيج بها سقاية زمزم
صفراء كالدينار على تربها * بالزعفران وخدها بالعندم
لبست برود السابرى فافضلت * من ذيلها ولبست جلد الارقم
ياليت شعرى وهى أنسك ناسك * لم تستحل دم المحب المسلم
نبئت أن الطاعنين بها سعوا * للاجر فانقلبوا بأكبر المأثم
سفكوا دماء الرائحين الى منى * بجفونها ونجوا بسافكة الدم

وهذا القدر فى هذا الموضع كاف وقد تضمن هذا الديوان مقطعات بديعة فى أوصاف النساء (قوله تجلد عميرة) يقال لهذا الفعل الخضخضة والتدليك والاستمناء والاعتمار واعتمر الرجل جمع يديه وضمهما لذلك والالطاف للنساء مثل الخضخضة للرجال يقال منه ألطفت المرأة وقال القتيبى بينا ما معناه على وجه الدهر

تجلد عميرة وتستغنى عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك

(ماجاء فى الاستمناء)

اذا مررت بواد لا أنيس به * فاضرب عميرة لا عار ولا حرج

آخر
يدي ورجلي لاعدمت كليهما * أصبحت أغنى من يروح ويغتدي
أمشي على هذي وأنكح هذه * فطبتي رجلي وجاريتي يدي

آخر تسألني عن عتدي وعندي * فاني يا ابنة آل مرثد * راحلتي رجلاي وامرأتي يدي *

(وقال اعرابي)

ان تبخلي بالمركب الحلوق * فان عندي راحتي وريقي
ودلكات لسن للتمزيق * اشهى من التصبيح والتغبيق

(وقال الخزامي)

خطبت الى ساعدي راحتي * وما كنت من شر خطابها
وما ان تكلفت من مهرها * سوى ريقة أتجسرى بها
فان شئت أوتي بها ثيبا * وبكرا اذا شئت أوتى بها
ونزهت نفسي عن الغانيات * وعن ذكر سلمى وأترابها

(وقال الحسن)*

اذا أنت أنكحت الكريمة كفوها * فأنكح حسيبا راحة لابن ساعدي
وقل بالرفا ما نلت من وصل حرة * لها ساحة حفت بخمس ولائد

(وقال ابن الرقعمق)

ومن بلاني أبو عمير * معرض بي الى المنون
منتصبا ما ينام وقتا * وليس يهدا من الرنين
من يك ذا زوجة فاني * لشقوتي زوجتي يميني
عميرة قد جلدت حتى * خشيت والله تجلدوني
فراقبوا الله في يميني * وخلصوها وزوجوني

(وقال آخر يشكي غلظ يده)*

لو أنها الدنة قضيت من وطري * لكنه خشن أربى على السفن
أشكو الى الله نعظا قد منيت به * وما ألاقي من الأملاق والحزن

(آخر)
ومغتاب اذا نحا * يطن سواه قد جرحا
ومن لم يدر لم يألم * فعاد عليه ما اجترحا
كما كح كفه ينوى * فتاة كان قد لمحا
وما نكح الفتى أحدا * ولكن نفسه نكحا

فنكاح الكف هو جلد العميرة * قال ابن أبي الازهر مررت على بردعة الموسوس وقد أدخل يده في جيبه وهو يخضخض فضربته برجلي فانكشف فاذا هو منعظ فقلت ما هذا فقال أما ترى تلك وأشار بيده الى جارية جميلة في علية متطلعة فقال اني دعوتها الى نفسي فلم تجبني أجبتها فقلت قبحك الله وليت عنه فلم يلبث أن لحق بي وقال قضيت الحاجة على رغم أنفك ثم أنشدني

أأنكرت ما عاينت من كف دالك * وهل ينكر التدليك في قول مالك

ولا أشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وتبت من مشاورة الصبيان (قال الحرث بن همام) فقلت له أقسم عن أثبت

لقد أمن الدلال من أن تنالهم * حدود الزنا في واضحات المسالك
وإني قد سكنت عزمة علتي * بحسن عيون والثدي العواتك

كذب على مالك مالك والشافعي وعامة العلماء يحرمون الاستمناء وحجتهم قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * الفنجديهي وقد جاء في تحريم الخضخضة حديث مشهور وسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار مع الداخلين الا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر والضارب أبويه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره وانما رويت الرخصة في ذلك عن عمرو بن دينار وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الخضخضة فقال نكاح الامة خير منها وهي خير من الزنا * لازهري أبو عمير ذكر الرجل * الفنجديهي سمعت الحافظ أبا العلاء يقول الخضخضة على مذهب الامام أحمد بن حنبل جائزة لمن استولت عليه الشهوة حتى خاف على نفسه اتيان الفواحش * أبو الفرج محمد بن أبي جعفر الطائي بهمذان قال أنشدنا الامام أبو المظفر المعاوي لنفسه وكان من أورع الفضلاء وأزهدهم

خليلي لا لبغداد تدنو فتنقضي * همومي ولا الري البغيضة تبعد
فليس من الانصاف والعدل أنكم * تبكون ربات الحجال وتجلد
وترضون بالحرمان للفيشة التي * على غضب بانت تقوم وتقعد
فلا تحسبوا جلدي عميرة وصمة * على فقد أفتى بها الشيخ أحمد
ولو وسعتها راحتي لاحتملتها * فما حيلتي اذ ضاق ذرعا بها اليد

وذكر بيتين آخرين قال وأنشدني امام أهل اللغة أبو المعالي اسمعيل بن الحسن البديع لبعضهم

انما همي كسيره * نشفت ماء قديره
وحبيره في ذكيره * بلغني منها سكيرة
وغلام أو فتاة * قد كفني جلد عميره
من رأى عيشي هذا * عاش لا يؤثر غيره

(قال وأنشدني البديع أيضا لبعضهم)

يا سيدي نحن في زمان * أبدلنا الله منه غيره
فكل ذي خسة وذل * متع بالطيبات أيره
وكل ذي فطنة وكيس * يجلد في بيته عميره

(قوله أشب قرنك) يدعى بذلك للصبي أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبي في ضد ذلك لا كبرك الله ويقال شب الصبي يشب بكسر الشين شبابا بفتح الشين وكسرها اذا طال ونما جسمه والصبي شاب وأشبه الله وأشب الله قرنه أي جعله شابا أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهي الذؤابة وقيل القرن جانب الرأس (المراح) كالرواح و(الخزيان) المهان والمستحي وخزي يخزى خزيا أهين وخزاية استحيا فهو خزيان أي مستحي وقوم خزايا (وتبت من مشاورة الصبيان) قال عمر رضي الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان واستكتام السر النساء

والصبيان (الايك) شعر (الجدل منك والدك) أى انما كان هذا الخصام بينك وبين نفسك ولم يكن ثم صبي تحاوره أى ان حديثك مصنوع لا أصل له * ومن مستعمل الاخبار المصنوعة ما يحكى ان حبيب بن أوس قال لقينا اعرابى وقد خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فقلت له ممن قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه أشجى العاصية وقصم العادية وعدل فى الرعية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لا ترام وجبل لا يضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا قيل قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فمحمد بن عبد الملك قال وسع الدانى شره ووصل البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا ذرب مخلب قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال ذلك رجل أنشر بعد ما أقبر فعليه حياة الاحياء وخفة الموتى قلت فابن الخصيب قال أكل أكلة نهم وذرق ذرقة بشم قلت فأخوه ابراهيم قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فأحمد بن ابراهيم قال لله دره أى رجل هو اتخذ الصبر دثارا والحق شعارا وان هون عليه بهم قلت فسليمان بن وهب قال ذلك رجل السلطان وبهاء الديوان قلت فأخوه الحسن قال عود نضير غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز لهم حصدوه قلت فابراهيم بن نجاح قال ذلك رجل أوثقه كرمه وأسلمه حسبه وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وخليفة لا يظلمه قلت فنجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك أثر يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة فى الانام جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك قال اللهم غفرا اذا اشتمل الظلام التحف الليل حيثما أدركنى الرقاد رقدت ولا أخلق وجهى بمسئلتهم أما سمعت هذا الطائى يقول

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

فقلت له أنا قائل هذا الشعر قال أسك لانت الطائى قلت نعم قال لله أبوك أنت الذى تقول

ما جود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك ونمى خبره الى ابن أبى دواد وأوصله الى الواثق فأعطاه ألف دينار وأخذ له من أهل الدولة ما أغنى به عقبه بعده وهذا الخبر خرج عن أبى تمام فان كان صادقا وما أراه فقد أحسن الاعرابى الوصف وان كان صنعه فقد قصر اذ منزلته أكبر من هذا (قوله أغرب) أى أكثر الضحك حتى دمعت عيناه (المنهمك) المبالغ الطرب (العق العسل ولا تسل) معناه ان طاب لك الكلام فاحفظه ولا تسل عن صدقه ولا باطله كما اذا وجدت العسل حلوا فلا يلزمك السؤال عن نحله وقد قال فيما مضى * ولا تسأل الشهد عن نحله * فهذا هو ذلك (أسهب) أبالغ وأكثر (ذى النشب) صاحب المال (يغضى) يتغافل (المستجهل) الذى يحسبنى جاهلا (الممهل) المؤخر وقد أمهله أى أخره (صه) معناه اسكت (القرص) الخبز وتسمى الخبزة قرصة لان الخابز يقرصها من العجين أى يقطعها (والكامخ) شئ يصنع من اللبن الحامض وهو أنواع * وقد قدم لاعرابى كامخ فقال ما هذا قالوا كامخ فقال قد علمت فما يكمخ به يقال كمخ البعير اذا أخرج ثلطه رقيقا وقدم لاعرابيين كامخ فذاقه أحدهما فلم يستطبه فقال هذا خرء وذاقه الآخر فاستطابه فقال يوشك أن يكون خرء الامير وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه قال ما هذا

الايك ان الجدل منك والدك فأغرب فى الضحك وطرب طربة المنهمك ثم قال العق العسل ولا تسل فأخذت أسهب فى مدح الادب وأفضل ربه على ذى النشب وهو ينظر الى نظر المستجهل ويغضى عنى اغضاء الممهل فلما أفرطت فى العصبية للعصبة الادبية قال لى صه

قالوا

واسمع مني وافقه
يقولون ان جمال الفتى
وزينته أدب راسخ
وما ان يزين سوى المكثرين
ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له
من الادب القرص والكامخ
وأى جمال له أن يقال
أديب يعلم أو ناسخ
ثم قال سيضح لك صدق
لهجتي واستنارة حجتي
وسرنا لانألو جهدا ولا
نستفيق جهدا حتى أدانا
السير الى قرية عزب عنها
الخير فدخلناها للارتياد
وكلانا منفض من الزاد فما
ان بلغنا المحط والمناخ المختط
أولقينا غلام لم يبلغ الحنث
وعلى عاتقه ضغث فحياه
أبو زيد تحية المسلم وساله
وقفة المنهم فقال وعم
تسأل وفقك الله قال أيباع
ههنا الرطب بالخطب قال
لا والله قال ولا البلح بالملح
قال كلا والله قال ولا التمر
بالسمر قال هيهات والله
قال ولا العصائد بالقصائد
قال اسكت عافاك الله قال
ولا الثرائد بالفرائد قال
اين يذهب بك

قالوا كامخ قال ومن أى شئ صنع هذا قالوا من الحنطة واللبن قال أبوان كريمان وما أنجبا وقدم لاعرابي كامخ فلم يستطبعه وأكل منه شيأ وخرج ودخل المسجد والامام فى الصلاة يقرأ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فقال الاعرابي والكامخ لا تنساه أصلحك الله وقيل هو طعام يؤتدم به وقيل هو البقل فى الطعام مثل الكبر والزيتون والمرى والعاب اذا غلب طعام الشحم على المعدة أخذ الرجل منه شيأ فانجلى عن معدته وتنشط للاكل وقال اعرابي يصف ابطيه بالنتن

كأن ابطيّ وقد طال المدى * نفحة حرّ من كوامخ القرى

الاصمعي قدم علينا أبو طيبة الاعرابي بعدما خرج الى البادية وتفقه فقلنا له ماقولك فى البيض قال حرام فقلنا ولم قال لقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر والدجاج عندى من ذوى الاظفار قلنا فما قولك فى الكامخ قال حرام قلنا ولم قال لقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار والكامخ يتخذ من الفخار وأطن بينه وبين الجلد نسبا (قوله وافقه) معناه افهم (راسخ) ثابت (المكثرين) الاغنياء (طود سودده) ارتفاع سيادته والطود الجبل (شامخ) أى ثابت مرتفع وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان من لم يكن معه فيه أصفر وأبيض لم يتهن العيش يعنى الذهب والفضة وقال مهيار الديلمى

تشرف بحظ فان الحظوظ * حلى كل ذى نسب يفضل
وما الحظ فى أدب مفصح * ومن دونه نسب مجهل
يؤم الفتى رتبة وهو حيث * يجعله ماله يجعل

(وقال ابن قاضى ميله)

اسعد بجدك لا تكون أديبا * أو ان يرى فيك الورى تهذيبا
ان كنت مستويا فعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(قوله لهجتى) أى منطقى وقيل هى جرس الكلام وقيل هى طرف اللسان وفلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (استنارة) ظهور نورها (نألو) نقصر (جهدا) طاقة واجتهادا (نستفيق جهدا) نستريح من المشقة (أدانا) أوصلنا و(القرية) فى كلامهم الموضع الذى يجتمع الناس فيه وقريت الماء فى الحوض جمعته فيه و(عزب) بعد (للارتياد) لطلب مايؤكل (منفض) فارغ وأنفض فنى زاده فنفض مزوده من الفتات (المحط) المنزل الذى تحط فيه الاحمال (والمناخ) مثله فى المعنى و(المختط) المعلم عليه بخط وكل موضع أردت حمايته ومنعه خططت عليه بخط فمن رآه علم أنه محمى فاجتنبه (الحنث) الاثم أى لم يبلغ حد التكليف وهو الحلم فيكتب عليه اثم (على عاتقه ضغث) أى على عنقه حزمة حشيش والعاتق ما بين المنكب والعنق والضغث قبضة من اخلاط النبات أو من قضبان مختلفة (المفهم) المخبر المبين (أيباع ههنا الرطب بالخطب) الرطب والبلح نوعان من التمر (والسمر) السهر بالليل على الحديث (هيهات) أى بعد * ابن عباس رضى الله عنهما ماباع الدقيق بر ولا فاجر الا اصفر لونه وقسا قلبه ونزعت الرحمة من قلبه (الفرائد) جواهر الكلام (أين يذهب بك) أين تتلف وتضل ولذلك دعا له

فقال (أرشدك الله) أى هداك الطريق (عدّ) كف واصرف (لجم) تطر (الشوط) الطلق والجرى الى الغاية * الاخفش الشوط أن تاتى الى موضع تريده ثم ترجع وان رجعت اليه مرة أخرى فذلك شوط آخر ومن الحجر الى الحجر شوط وجرى الفرس شوطا اذا بلغ مجراه ثم عاد (بطين) متسع ومعناه علم ان كلام الشيخ كثير ورجل بطين عظيم البطن وكيس بطين أى ملآن وأخذه من قول كعب بن زهير

وزحزحن بين أدانى الغضى * وبين عنيزة شوطا بطينا

(شويطين) أى دويهية لا تقاوم وتصغيره بمعنى التعظيم (حسبك) يكفيك (فنك) نوعك وطريقك (استبنت أنك) أى تحققت أنك داهية (صبرة) أى جملة بغير كيل وكدس القمح وما يكال يسمى صبرة (اكتف) اقنع (خبرة) اختبار (النثر) ضد النظم مثل الترسل والخطب (والنثارة) ماتناثر من الشئ أى تفتت تقول نثرت الشئ أى رميت به مفترقا واسم ما يتساقط منه النثارة و (القصص) أخبار المتقدمين (والقصاصة) ما تساقط من الشعر اذا قص (والغسالة) الماء الذى قد غسل به بقية الطعام أو غير ذلك ويروى بفضالة مكان غسالة والفضالة من الزرع اذا غربل تبقى فى الغربال فتدرس بعد ذلك ويخرج ما فيهما من الزرع وأنشد الفنجديهى فى هذه المعانى

عرضت على الخباز نحو المبرد * وكنت حسابا للخليل بن أحمد
رؤيا ابن سيرين وخط مهلهل * وتجويد عمرو بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول * وغنيته لحن الغريض ومعبد
فما نفعتنى دون أن قلت ها كها * مدورة صفرا الطن على السد

وقال أخبرنى أبو الحسن بن أبى العلاء بن محمد الاديب قال أنشدنيه لنفسه أبو يوسف بن محمد يعقوب الاديب (قوله ولا حكم لقمان بلقمة) فى لقمان سبعة أقوال قال قتادة خيره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفها عليه جبريل وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال لو أرسل الله الى النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرنى فخفت ان أضعف عن النبوة وقيل كان من النوبة قصيرا أفطس الانف وقيل كان حبشيا * سعيد ابن المسيب كان أسود من سودان مصر ذا مشفر حكمته حكمة الانبياء وقيل كان خياطا وقيل راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألست عبد بنى فلان كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال وما يعجبك من أمرى قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخى ان صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال وما أصنع قال غض بصرى وكف لسانى وعفة طعمى وحفظ فرجى وقيامى بعهدى ووفائى بوعدى وتكرمة ضيفى وحفظ جارى وترك ما لا يعنينى فذلك الذى صيرنى كما ترى ويروى أنه قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنينى * أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وقال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبى المفسر اتفق العلماء على ان لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه تفرد بانه نبى * ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله

أرشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عدّ عن هذا أصلحك الله واستحلى أبو زيد تراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام أن الشوط بطين والشيخ شويطين فقال له حسبك يا شيخ قد عرفت فنك واستبنت أنك [illegible] الجواب صبرة وا كتف به خبرة أما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة

(خبر لقمان عليه السلام)

وأحبه ومن الله عليه بالحكمة * وهب بن منبه كان لقمان ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وكان في زمنه وكان داود يقول له طوبى لك أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأوتي داود الخلافة وبلي بالبلية وكان داود يغشاه ويقول انظروا الى رجل أوتي الحكمة ووقي الفتنة * عبد الوارث أوتي لقمان الحكمة في قائلة قالها فقيل وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق فقال ان تجبرني فسمعا وطاعة وان تخيرني اختار العافية فقيل وما عليك أن تكون خليفة فتعمل بالحق قال فان اعمل بالحق فبالحري ان انجو وان اخطئ الحق أخطئ طريق الجنة وانه من يبيع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعا وأن أعيش حقيرا ذليلا أحب الى من أن أعيش قويا عزيزا فشكر الله تعالى مقالته فغطه في الحكمة غطة فأصبح وهو أحكم الناس وقيل كان عبدا نجارا فقال له سيده اذبح شاة وأتني بأطيب مضغتين فأتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فاخرج القلب واللسان فقال له ما هذا فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا * وأما حكمته فقد ذكر الله تعالى منها في كتابه ما علم وذكر مالك في موطئه منها كلاما كثيرا وذكر منها فصلا في كتاب الجامع من الموطا ومن حكمته يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة وان دارا تسير اليها أقرب من دار تخرج منها يا بني ليس غنى كصحة ولا نعيم كطيب نفس يا بني لا تجالس الفجار ولا تماشهم اتق ان ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم وجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالعلم كما يحيي الارض بوابل المطر * أبو اسحق الثعالبي باسناده عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له الى بستانه يأتونه بشيء من ثمره فجاؤه وما معهم شيء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقال لقمان لمولاه ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا لتعدو ففعل فجعلوا يتقيؤن تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء فعرف مولاه صدقه وكذبهم قال وأول ما عرف من حكمته انه كان مع مولاه فدخل مولاه المبرز فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس مع الحاجة ليجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر قوما أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقال له لمثل هذا كنت اختبأ لك فقال لمولاه أخرج أباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على أي شيء خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة قال فان لها موادا فاحبسوا عنها موادها قالوا وكيف نستطيع ذلك قال لقمان وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها مواد وأراد مولاه بيعه فقال يا مولاي ان لي عليك حقا فلا تبعني الا ممن أحب قال لك ذلك فكان الرجل اذا جاء يستامه قال لاي شيء تريدني فقال أحدهم تحفظ على بابي قال اشترني فلما جنه الليل أغلق الباب وقام يصلي في الدهليز وكان لبنات الرجل أخلاء فجاؤا فضربوا الباب فقلن يا لقمان افتح الباب فقال بابي انتن وأمي ليس لهذا اشتراني أبوكن فضربنه ضربا كدن ان يبن منه على نفسه فلما اصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثانية عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثالثة عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فأقبل بعضهن على بعض فقلن ما جعل الله

قوله صه صامة كذا بالاصل والذى فى تفسير الخطيب عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير الصمت احب الله الخ اه مصححه

هذا العبد الاسود أولى بهذا الخير منا قال فنسكن نسكا لم يكن فى بنى اسرائيل افضل منهن عبد الله
ابن دينار قال قدم لقمان من سفر فاستقبله غلام له فى الطريق فقال له لقمان مافعل ابى قال مات
قال الحمد لله ملكت أمرى قال مافعلت أمى قال ماتت قال الحمد لله ذهب همى قال مافعلت
امرأتى قال ماتت قال الحمد لله جدّد فراشى قال مافعلت ابنتى قال ماتت قال الحمد لله سترت
عورتى قال مافعل ابنى قال مات قال انا لله وانا اليه راجعون انقطع ظهرى وقيل له ما أقبح
وجهك قال أتعيب على هذا النقش أم على النقاش وقال النبى صلى الله عليه وسلم سادة السودان
أربعة لقمان والنجاشى و بلال ومهجع وثم لقمان آخر وهو لقمان بن عاد وهو تذكره العرب فى
أخبارها وكان أيضا حكيما وكانت له أخت محمقة فقالت لامرأته هذه ليلة طهورى فهبى لى ليلتك
طمعا فى أن تعلق من أخيها بنجيب ففعلت فولدت لقيم بن لقمان وفيه يقول النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما

وقال المسيب يذكره

أنت الرئيس اذا هم نزلوا * وتواجهوا كالاسد والنمر
ولأنت ابين حين تنطق من * لقمان لما حىّ بالفكر

وقالت بنت عثمان بن وثيمة ترثى اباها

الواهب المائة التلا * دلنا ويكفينا العظيمه
والدافع الخصم الالد * اذا تفوضع فى الخصومه
بلسان لقمان بن عا * دو فصل خطبته الحكيمه
الجتهم بعد التجا * ذب والتدافع فى الحكومه

(قوله الملاحم) مواضع الحروب التى تلتحم فيها الجموع وتختلط عند القتال وتسمى اخبار
الوقائع والحروب ملاحم و (جيلك) اهل عصرك (الاوان) الحين والعصر (يميح) يعطى معروفا
ويحتمل أن يريد يسقيك ماءوالمائح النازل فى قعر البئر يخرج ماءها وقد ماح الماء اذا استقاه
(صيغ) صنع (يجيز) يعطى الجائزة (يغيث) يتكرم ويجود وهو من الغيث (يمير) يعطى الميرة
والميرة الطعام المجلوب و (الربع) المنزل (الجديب) الذى لم يمطر (ديمة) مطر دائم (داتة) قاربته
(يعضده) يقويه (نشب) مال (نصب) تعب (حزبه) أهله و (الحصب) هو الحطب الملقى فى النار
وكل ماتطعمه النار فهو حصب وهو من حصبته بالحصباء أى رميته بها (انسدر) جرى وانصب
فى جريه وانسدر البازى اذا انحط (يعدو) يسرع (يحدو) يتابع الجرى وكل شئ اتبعته فقد
حدوته (بار) هلك ومنه بار الطعام اذا كسد وفى الحديث نعوذ بالله من بور الايم أى من كسادها
وقال الله تعالى يرجون تجارة لن تبور أى لن تكسد وقال تعالى وكنتم قوما بورا أى هالكين
قال الفراء البور يكون للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع بلفظ واحد أبو عبيدة رحمه الله هو
جمع بائر كعائذ وعوذ ويدل على صحة قول الفراء قول ابن الزبعرى

يارسول المليك ان لسانى * راتق مافتقت اذ أنا بور

(بوئت) رجعت (البصيرة) اليقين والاعتماد الصحيح (المصاع) مراجعة الكلام والمصاع
فى الاصل القتال والدفاع وكل ماعانيته بشدة وجد فقد ماصعته (القصاع) فى الاصل صحاف

ولا اخبار الملاحم بلحمة وأماجيل هذا الاوان فما منهم من يميح اذا صيغ له المديح ولامن يجيز اذا أنشد له الاراجيز ولا من يغيث اذا أطربه الحديث ولامن يمير ولو أنه أمير وعندهم أن مثل الاديب كالربع الجديب ان لم تجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولاداته بهيمة وكذا الادب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب وحزبه حصب ثم انسدر يعدو وولى يحدو فقال لى أبو زيد أعلمت أن الادب قد بار وولت أنصاره الادبار فبوئت له بحسن البصيرة وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخض فى حديث القصاع

الطعام (الاسجاع) الكلام المقفى (الرمق) بقية النفس و (الحرق) جمع حرقة واراد بطفء الحرق تسكين الم الجوع (مالبث) ما أقام ولا استقر (رفض) ترك (الصدق) قول الحق و (الصداقة) الصحبة (مكثت مليا) أقمت زمانا (أترقبه) انتظر مجيئه (اتعقبه) أمشي في أثره وأطلبه و (ضيع اللبن في الصيف) مثل يضرب لكل من ضيع أمره ثم تعرض لاستدراكه بعد فوته قاله عمرو بن عدس التميمي وكان تزوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكان شيخا مسنا ذا مال كثير فأبغضته بسبب كبره وسألته طلاقها فطلقها وتزوجها عمير بن معبد بن زرارة وكان شابا معدما فبينما هو معها جالس اذ مرت بهما ابل عمرو بن عمرو بن عدس كالليل لكثرتها فقال لها عمير ابعثي الى عمرو يعطيك لبنا أو حلوبة فأرسلت اليه رسولا بذلك فقال لرسولها قل لها الصيف ضيعت اللبن فلما بلغها ذلك ضربت على كتف ابن عمها وقالت هذا ومذقه خير فيريد أنه طلقها في الصيف فضاع لبنها في ذلك الوقت وقال في الدرة خص الصيف بالذكر لانها كانت سألته الطلاق فيه فكأنها يومئذ ضيعت اللبن والله تعالى أعلم

(شرح المقامة الرابعة والاربعين وتعرف بالشتوية)

(داجية وفاحمة) شديدة السواد و (اللمم) جمع لمة وهي جمة الشعر التي ألمت بالمنكب أي قاربته وجعل لليلة لمة مجازا وهو يريد شدة سوادها (تضرم) توقد (علم) جبل (جوها) ناحية سمائها (مقرور) بارد وأراد أن ما يجيء من جوها من الريح والهواء بارد جدا (مزرور) مشدود بالازرار وهي اطواق الثياب وهذا يكون في طوق الصغير يشق في صدر الثوب عوضا عن الجيب ويترك من الطوق طرفان على ذلك الشق فاذا لبس الثوب شد الطرفين فيقال عند ذلك قد زررت الثوب يريد أن السحاب قد تكاثف في تلك الليلة فلا تبصر العين فيها لشدة ظلامها لان الثوب اذا اشتدت ازراره لم يجد رأس الانسان من أين يخرج فلما جعل لليلته ثوبا من الظلام والسحاب جعله مربوطا مشدودا مغموما مستورا (غيمها) سحابها (مركوم) أي متراكب بعضه على بعض (أنص عنسي) أي أجهد ناقتي وأتعبها والنص رفع السير وقالت أم سلمة لعائشة رضي الله عنهما ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى آخر ومنه نص الحديث الى فلان أي رفعه الى شخص و (ارقالي) سرعتي (يعدو) يسرع (الجمزى) عدو شديد (قوله سارى) أي آت بالليل و (الخابط) الماشي على غير علم بالطريق (هداه) من الهداية و (أهداه) من الهدية (رحيب الباع) كثير البر واسع العطاء واسع البر والرحب المتسع (مرحب) يقول مرحبا بك و (الطارق) الآتي بالليل (الممتار) طالب الميرة وهي الطعام يجلب من بلد الى بلد (جعد الكف) هو البخيل أي يرحب بالضيف كما يرحب البخيل بالدينار اذا وقع في كفه نظر أعرابي الى درهم في يد رجل وأدام النظر اليه فقال له الرجل لو كان لك ما كنت صانعا قال كنت أنظر اليه نظرة ثم تكون آخر عهده باليد وكان بعض البخلاء اذا وقع الدرهم في يده يخاطبه ويقول له أنت عقلي وديني وصلاتي وصيامي وجامع شملي وقرة عيني وأنسي وقوتي وعدتي وعمادي ثم يقول له

أهلا وسهلا بك من زائر * كنت الى وجهك مشتاقا

واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفئ الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال ارى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه واقم لانقلب اليك بما تلتقم فأحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا اترقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم القه ولا السيف

(المقامة الرابعة والاربعون الشتوية)

(حكى الحرث بن همام) قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل انص عنسي واقول طوبى لك ولنفسي الى ان تبصر الموقد آلى وتبين ارقالي فانحدر يعدو الجمزى وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل سارى هداه بل اهداه ضوء النار الى رحيب الباع رحب الدار مرحب بالطارق الممتار ترحاب جعد الكف بالدينار

ثم يقول يا نور عيني وحبيب قلبي قد صرت الى من يصونك ويعرف قدرك ويعظم حقك ويرعى قيمتك ويشفق عليك وكيف لا تكون كذلك وأنت تعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض بك الابكار وتسمو على الاشراف وترفع الذكر وتعلي القدر وتؤنس من الوحشة ثم يطرحه في الكيس ويقول

بنفسي محجوب عن العين شخصه * ومن ليس يخلو من لساني ولا قلبي
ومن ذكره حظي من الناس كلهم * وأول حظي منه في البعد والقرب

(مزور) منقبض (معتام) مؤخر مبطئ و(القرى) طعام الضيف معناه أنه لا يؤخر طعامه ويقال اعتم باللّه اذا أخر حلبها ومنه العتمة لتأخر وقتها (متغار) كثير التأخر (اقشعرت) انقبضت من شدة البرد (ترب) جمع تربة وهي وجه الارض و(الاقطار) البلاد والنواحي (ضنت الانواء) بخلت النجوم وكانوا يستمطرون بها (بؤس) شدة (الضاري) المعتاد أي الذي عادته أن لا يكون فيه غير بؤس (جم) كثير واذا كثر الرماد كان عن كثرة النار وكثرة ما يطبخ عليها (مرهف) قاطع (اقتداح) ضرب بالزند (وار) بعير سمين وورى المخ اكتنز فهو وار وورى الزند فهو وار أي مبد للنار (محيا) وجه (صافحني) واجهني وقابلني (براحة) بكف (أريحي) كريم يهتز للكرم (اقتادني) ساقني (ولائده) خدمه (تمور) تسير وتختلف (بالطعام موائده) جمع مائدة وأبو عبيد سميت مائدة لانها ميد بها صاحبها أي أعطيها وتفضل عليه بها والعرب تقول مادني فلان يميدني اذا أحسن الي فكان المائدة تميد من حوالبها مما أحضر عليها قال رؤبة

الى أمير المؤمنين الممتاد * أي المستعطى غيره سميت مائدة لانها تميد بما عليها أي تتحرك ومادالعصن يميد مال قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد الجرمي يقال مائدة وميدة وأنشد

وميدة كثيرة الالوان * تصنع للاخوان والجيران

وذكر القولين أبو محمد في درة الغواص وزاد أنه لا يقال لها مائدة الا أن يحضر عليها طعام والا فهي خوان واستدل بان الحواريين لما اقترحوا على عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة قالوا نريد أن نأكل منها قال وحكى الاصمعي قال غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لي فلقيني أبو عمرو ابن العلاء فقال لي الى أين يا أصمعي فقلت الى صديق لي فقال ان كان لفائدة او لعائدة أو لمائدة والا فلا وهذا باب يتسع كثيرا وسأسوق جملة تأتي على أكثره وهذه الحالة التي وصف من ايقاد النار هي التي كان يفعل حاتم وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فأوقد نارا في يفاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيهتدي اليها وقال في ذلك

أوقد فان الليل ليل قر * والريح يا موقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

ولابن هرمة في هذا اشعار مستحسنة منها

اغشى الطريق بقبتي ورواقها * وأحل في قلل الربا وأقيم
ان امرأ جعل الطريق لبيته * طنبا وأنكر حقه للئيم

(وقال مهيار)

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدها يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى متغار
اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار
فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار
لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح واري
ثم تلقاني بمحيا صافحني
براحة أريحي واقتادني الى
بيت عشاره تخور وأعشاره
تفور ولائده تمور وموائده
تدور وبأكساره أضياف
قد جلبهم جالب

(ولابن هرمة أيضا)

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه * ليسقط عنه وهو بالرمل معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتساقه * لينبح كلب أو ليفزع نوّم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى * له عند اتيان الملبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

(وقال بعض المحدثين)

ويدل ضيفى فى الظلام على القرى * اشراق نارى أو نباح كلابى
حتى اذا واجهنه ولقينه * حيينه ببصائص الاذناب
وتكاد من عرفان ما عوّدنه * من ذاك أن يفصحن بالترحاب

(ولابن هرمة فى ذلك أيضا)

كيف احتيالى لبسط الضيف من حصر * عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف تردادقولى كل فأقطعه * والسكت ينزله منى على البخل

(وقال حاتم)

سلى الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما اعترانى بين قدرى ومجزرى
أيسفر وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال أيضا)

أماو الذى لا يعرف السر غيره * ويحيى العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أختار القرى طاوى الحشى * محافظة من ان يقال لئيم
وانى لأستحيى يمينى وبينها * وبين فمى داجى الظلام بهيم

(وقال أيضا)

أكف يدى من أن تنال التماسها * أكف صحابى حين حاجاتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشى * من الجوع اخشى الذم أن أتضلعا
وانى لاستحيى رفيقى أن يرى * مكان يدى من جانب الزاد أقرعا
وانك ان أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

(وقال ابو زياد الاعرابى)

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا
فلم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

آخر

لعل عارا اذا ضيف تأوبنى * ما كان عندى اذا أعطيت مجهودى
جهد المقل اذا أعطاك نائله * ومكثر فى الغنى سيان فى الجود

آخر

تركت ضأنى تودّ الذئب راعيها * وانها لا ترانى آخر الابد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

آخر

وسع عدك ماء اللحم تقسمه * وأكثر الشوب ان لم يكثر اللبن
وسع به وتلفت نحو حاضره * ان الكريم الذى لم يخله الفطن

(وقال العتوى)

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتكلأ عينى عينه حين يهجع

وقال آخر

وانا لمشاؤن بين رحالنا * الى الضيف منا لاحف ومنيم
فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه * وذو الجهل منا عن أذاه حليم

آخر

ساقدح من قدرى نصيبا لجارتى * وان كان ما فيها كفافا على أهلى
اذا أنت لم تشرك رفيقك فى الذى * تكون قليلا لم تشاركه فى الفضل

(ولبعض أصحابنا)

وسار تحلى أنجم الليل زينة * ويلبس من ظلمائها ثوب ماكل
رفعت له نارى فآنس ضوأها * كما آنس الظمآن برد المناهل
أتانا خفيا فكان جوابه * صليل شفار السيف فى ساق بازل
وما انا من سؤاله عمن الفتى * وتلك سجايا كل أطلس باخل
فذاك الذى أودى بما اكتسبت يدى * وان عاد وفرى عدت غير مواكل

وهذا باب يطول ذكره وقال آخر فى ضد ما قلناه

(ما قيل فى البخل)

أرانى من بنى حكم غريبا * على قترا زور ولا أزار
أناس يأكلون اللحم دونى * ويأتينى المعاذر والقتار

القتر والقطر الجانب وقال آخر

مات فى عرس سليما * ن من الجوع جماعه
مات أقوام وقوم * جاوا فيه القناعه
لم يكن يوجد فيه الخبز الا بشفاعه

آخر

ولم تنسنى الايام لا أنس جوعنا * بدار بنى بدر وطول التلدد
ظللنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا عن مصابه * ويأمر بعض بعضنا بالتجلد

وفى هذا طرف من قول الآخر

اذا ما عراكم حادث فتحدثوا * فان حديث القوم ينسى المصائبا

وأهل الحزن يستعملون الحديث اشتغالا عن المصيبة وقال بشار

أبناء عمرو لنى خفض وفى دعة * وفى عطاء لعمرى غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

آخر

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على قوم بميسان
قوم اذا حل ضيف بين أظهرهم * لم ينزلوه ودلوه على الخان

آخر

والناس فى فطر سوى شهرهم * ودهر أضيافك شهر الصيام

آخر

كسبت له صيفا فظن بأننى * كتبت له ضيفا فقام الى السيف

فقلت له خبر افطن بأنى * ذكرت له خبز افنات من الحوف

وان ابن هرمة ألأم الناس مع ادعائه فى شعره الكرم قال رجل أتيناه فى جماعة من قريش أحببنا أن يتنزه عندنا وشيئنا بزاد كثير فخرج علينا وقال ماجاء بكم قلنا شعرك حيث قلت ان امرأ جعل الطريق البيتين وقولك أيضا

وإذا تنوروا كاستنبح * نبحت فدلته على كلابى

وعوين يستعجلنه فلقينه * يضربنه بشراسف الاذناب

وسمعناك تقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أو جمل

لا امتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الاقرية الاجل

فنظر الينا وقال ماعلى وجه الارض عصبة أسخف عقولا منكم أماسمعتم قول الله عز وجل وأنهم يقولون مالا يفعلون فى الشعراء والله انى لا أقول مالا أفعل وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول والله لا أغضب ربى فى رضا كم فضحكنا منه وأخرجناه معنا يتنزه حتى فنى الزاد * أتى الحطيئة رجل وهو فى غنمه وقال ياصاحب الغنم سلام عليك فرفع الحطيئة العصا وقال انها عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال للضيفان اعددتها فأعاد السلام فقال ان شئت قذفتها اليك * ومر به ابن حمامة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم فقال قد قلت مالا ينكر وقال خرجت من أهلى بغير زاد قال ماضمنت لاهلك قراك قال أفتأذن لى ان آتى ظل بيتك قال دونك الجبل يفئ عليك قال أنا ابن حمامة قال انصرف وكن ابن أى طائر شئت يروى هذا عن أبى الاسود الدؤلى * ونزل الغضبان بن القبعثرى خارج كرمان وهى قرية كثيرة الرمضاء فضرب قبته فورد عليه اعرابى من بكر فقال السلام عليك قال السلام عليك كثير وهى كلمة مقولة قال الاعرابى مااسمك قال آخذ قال أو تعطى قال ما أحب أن يكون لى اسمان قال ومن أين جئت قال من الذلول قال وأين تريد قال أرضا أمشى فى مناكبها قال ومن عرض اليوم قال آل فرعون على النار قال فمن بشر قال الصابرون قال فمن غلب قال حزب الله قال أفتقرض قال انما تقرض الفأرة قال أفتسمع قال انما تسمع القينة قال أتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتقول قال انما يقول الامير قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال كتاب الله ينطق قال انك لمنكر قال انى لمعروف قال ذلك أريد قال وما ارادتك قال الدخول عليك قال وراءك أوسع قال قد أضرتنى الشمس قال الساعة يأتيك الفئ قال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليهما تبردا قال قد أوجعنى الحر قال ليس لى عليه سلطان قال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال أتعرض بهما والله لا تذوقهما عندى قال سبحان الله قال قبل كونك قال ماأرى عندك قال هراوة ارزن أدق بها رأسك فتركه وانصرف * الاصمعى عزلت اعرابية أباها فى اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه للسؤال وقد أتلفت التلاد وبقيت ترقب ما بأيدى العباد ومن لم يحفظ ماينفعه يوشك أن يقع فيما يضره أخذه ابن المعتز فقال

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل

فاشدد عرا مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

(وقال بعض البخلاء)

أعددت للاضياف كلبا ضاريا * عندى وفضل هراوة من أرزن
ومعاذرا كذبا ووجها باسرا * وتشكيا عض الزمان الالزن

الالزن المضيق * محمد بن الجهم وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى حتى ينتشر ذلك عنهم فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وكان يقول من وهب فى عمله فهو مخدوع ومن وهب بعد العزل فهو أحمق ومن وهب فى جوائز سلطانه أو عمل لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهب من كسبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه المختوم على سمعه وبصره وقال منع الجميع أرضى للجميع وهذا كقول الاصمعى لو قسمت فى الناس ألف ألف لكان أكثر للائمى من لو أخذتها منهم قالوا ولم يرد البخل ولكن اذا تعذر عليه أن يعم فلا يخص وقال آخر قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم * دعبل كنا يوما عند سهل بن هرون واطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم لا تحز فيه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فقلع بها جميع المرق وفقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية فان كان بلغ من جهلك أنى لا آكله فان عندنا من يأكله انظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به قال لكنى والله أدرى رميت به فى بطنك ولسهل هذا رسالة مدح فيها البخل وفضله على السخاء ليرى فى ذلك بلاغته وأهداها الى الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون فوقع عليها لقد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا ثوابك عليها قبول ما فضلت فيها وتأدب فيها بادبك ولم يعطه شيأ وقيل ان الذى أهدى اليه كتاب ألفه مدح فيه البخل وذم الجود فوقع عليه بما تقدم قال دعبل

صدق أليته ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

أبو نواس فى البوبوء الزنديق

لقيت فى آل زياد فتى * يلقب البوبوء حلو ظريف
ينزل للضيف بنياته * صيانة منه لعرض الرغيف
وانفق النيك لمستمتعا * عند اعتياض الخبز المستضيف

آخر

أما الرغيف لدى الخوا * نفن حمامات الحرم
* ما ان يحس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابسا * بالى النقوش من الهرم

آخر
أبو نوح دخلت عليه يوما * فغدانى برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا * أكلناه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدى سقانى * كؤسا خمرها ريح المدام
فكان كمن سقى الظمآن آلا * وكنت كمن تغدى فى المنام

(وقال فى أبى نوح أيضا)

لابى نوح رغيف * أبدا فى جردايه * فهى تحميه مدى الدهر بكم ووقايه
وله كاتب صدق * خط فيه بعنايه * فسيكفيكهم الله الى آخر الآيه

آخر
استبق ودّ أبى المقا * تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
فارفق بكسر رغيفه * ان كنت ترغب فى كلامه
وتراه من خوف النزو * ل به يروع فى منامه

آخر
خان عهدى عمرو وما خنت عهده * وجفانى وما تغيرت بعده
ليس لى مذ جنيت ذنب اليه * غير أنى يوما تغديت عنده

آخر
أبو جعفر رجل عالم * بما يصلح المعدة الفاسده
تخوف تخمة أضيافه * فعودهم أكلة واحده

أبو نواس
فتى لرغيفه قرط وشنف * ولؤلؤتان من خرز وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر
وان كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

آخر
رغيف أبى على حل خوفا * من الاضياف منزلة السماك
اذا كسروا رغيف أبى على * بكى بيكى بكاء فهو باك

آخر
ان هذا الفتى يصون رغيفا * ما اليه لناظر من سبيل
هو فى قفتين من ادم الطا * ئف فى سلتين فى منديل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

ابن بسام
* أتانا بخبز له يابس * كمثل الدراهم فى خلقته
اذا ما تنفست عند الخوان * تطاير فى البيت من خفته

(وقال عباس الخياط)

رغيفه النجم لمن رامه * يرى ولا يطمع فى لمسه
كأنه فى جوف مرآته * يبدو ولا يطمع فى جسه
وفلسه الأمس الذى قد مضى * بل أمسه أوجد من فلسه

آخر
رغيف فى الجبال عليه قفل * وخزان وأبواب منيعه
* رأى فى بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

اعتل أبو هفان فى منزل ابن أبى طاهر فابطؤا عليه بالغداء فقال

أنا فى منزل خل * مشفق بى ورفيق

رجل أعسر من منشزله ظهر الطريق
ليس لى أكل سوى لحمى وشرب غير ريقى

ولجحظة يهجو رجلا

لا تعذلونى ان هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

وله أيضا يذم بخيلا

تبرم اذجئته للسلام * وأبدى لى الكرم لما دخلت
فقلت له لا يرعك الدخول * فوالله ما جئت الا أكلت

اين هذا من قول أبى العباس الصولى

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * وتفترعنها أرضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب فى الحقوق بأوها

وقوله لا تلومى فان همك ان أثرى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله تلج الضيوف بيوتهم وترى لها * عن جاريتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

وجلس هرون بن محمد بن الزيات فى مجلس عبد الله بن سليمان فجعل هرون ينشد من شعر أبيه محاسنه فقال له ابن برد الخيار أكان لابيك مثل قول ابراهيم

أسد ضار اذا ماهجته * وأب بر اذا ماقدرا *
يعرف الابعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

أو مثل قوله تلج الضيوف البيتين فاذكروه وافخروا به والا فأقلل من الفخار والتطاول بما لا طائل فيه فخجل هرون وابراهيم هذا أشعر الكتاب بلا خلاف وذكر الحريرى القدور وممن وصفها فأحسن الفرزدق حين قال

وقد علم الجيران أن قدورنا * ضوامن للارزاق والريح زفزف
تفرغ فى شيزى كأن جفانها * حياض الملا منها ملاء ونصف
ترى حولهن المعتفين كأنهم * على صنم فى الجاهلية عكف

(وقال أمية بن أبى الصلت)

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواخر
وكأنهن بمانصن * وما جبين به ضرائر
زبدو قرقرة كقر * قرة الفحول اذا تخاطر

وقال النابغة فى مثله

له بفناء البيت سوداء فخمة * تلقم أعضاء الجزور العراعر

بقيــة قدر من قدور تو ارثت * لآل جلاح كابرا بعــد كابر
يظل الاماء يبتدرن قديحها * كما ابتــدرت سعد مياه قراقر
قديحها مرقها لانه يقدح أي يؤخذ بالمقدحة وهي المعرفة
وقال آخر وسوداء لا تكسى الرقاع نيلة * لها عند قرات العشيات أزمل
اذا ما قرينــاها قراها تضمنت * قرى من عراننا او تزيد فتفضل
وقال مسكين الدارمي
كأن قــدور قومي كل يوم * قباب الترك ملبسة الجلال
بأيديهم مغارف من حديد * أشــبهها مقــيرة الدوالي
الدالية الخطارة وفي ضد ذلك لابي نواس
رأيت قدور الناس تبلى على الصلا * وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيهــا على طرف الظفر
اذا ما تنادوا للرحيــل سعى بهــا * أمامهم الحولي من ولد الذر *
وقال الفرزدق
لو أن قدرا بكت من طول ما جهشت * على الحفوف بكت قدر ابن عمار
* ما مسها دسم مذ فض معدنها * ولا رأت بعــد نار القين من نار
وتسمى النار فاكهة الشتاء لما يجتنى من تسخينها وقد أحسن ابن صارة في وصفها حيث قال
هات التي للآيك أصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
يتقشع اليــاقوت من لباتهــا * بوساوس تشفي من الوسواس
أنس الوحيد وصبح عين المجتلي * ولباس من أمسى بغــير لباس
حمراء ترفل في السواد كأنها * ضربت بعرق من بني العباس
وقال آخر
لابنة الزند في الكوانين جمر * كالدراري في الليــلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها ســبائك تبر * رصعتها بالفضــة البيضــاء
كلما ولول النســيم عليهــا * رقصت في غــلالة حمــراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا في العشاء
لو ترى ناس حولها قلت شرب * يتعــاطون أكؤس الصهباء
وقال الفقيه الاديب ابن لبال رحمه الله
فحم ذكت في حشاه نار * فقلت مسك وجلنــار
أو خد من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار
وقال البحتري يصف كانونا
وذي أربع لا يطيق النهوض * ولا يألف السير فيمن سرى
تحمــله ســحبا أســودا * فيقلبـــه ذهبــا أحمــرا

(قوله قلبوا في قالبي) أي هم أمثالي لان قالب الشيء كل ما يجعل فيه ليجيء مثله وقلبوا اجعلوا في القالب (يمرحون) ينشطون ويطربون (ذوي الفتاء) أهل الفتوة والفتاء الحداثة والشباب يقال منه فتؤ يفتأ فتاء ويقال أيضا بكر فتي بين الفتاء وفتى من الناس بين الفتوة والفتى والفتية الشاب والشابة (الاصطلاء) التسخن بالنار (الثمل) السكران و (الطلاء) الخمر وأصل الطلاء الرب الثخين الاسود فسميت الخمر الصافية طلاء بضد صفتها كما سمي اللديغ سليما والاسود أبا البيضاء والذئب أبا جعدة وجعدة اسم الشاة (سرى الحصر) أي زال السكوت والحصر انقطاع الكلام وهو العي وحصر يحصر عي والحصر أيضا ضيق الصدر (انسرى الخصر) ذهب البرد والخصر البارد وخصر الرجل اذا آذاه البرد وآلمه في أطرافه (والروضات نورا) أي هي فاعمة بكثرة الطعام وأنواع الالوان (شحن) ملئن (الولائم) الاعراس (جن) منعن (العائب) الذي يعيب الطعام (واللائم) الذي يقف على رؤس أضيافه فيقول ما أكلتم استعملوا وازدبا فلان فيخجل أضيافه لذلك فلا يتمكنون من الطعام (رفضنا) تركنا (البطنة) الامتلاء من الطعام والذي قيل في البطنة البطنة تذهب الفطنة فقال تركنا هذا المعنى وخالفناه ورأينا أن البطنة وهي امتلاء البطن من الطعام والامعان فيه أي المبالغة في الاكل يقوي الفطنة ويولدها الا أنه يذهبها و (الفطنة) الذكاء وحدة الذهن * معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحل الله حلالا أبغض اليه من بطن ملئ طعاما فقصروا من الطعام تملؤا من الحكمة * المقدام بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أيها الناس اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد مورثة للسقم وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اياكم والبطنة فانها مفسدة للقلب * الاصمعي قال أعرابي اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا وقال الحرث بن كلدة أربعة أشياء يهرمن البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز وقال الاصمعي كنت عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال يا أصمعي حدثني بحديث مزرد أخي الشماخ قلت ان مزردا كان رجلا جسيما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد وكان يحفظه ذلك منها فذهبت يوما في بعض حقوق أهلها وخلفته في بيتها فدخل خيمتها فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض وأكله ثم أنشأ يقول

ولما مضت أمي تزور عيالها * أغرت على العكم الذي كان يمنع

خلطت بصاعي حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقها يتربع

ودليت أمثال الاثافي كأنها * رؤس نقاد قطعت لا تجمع

وقلت لبطني أبشر اليوم انه * حمى آمن مما يغير ويفزع

فان كان مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا اليوم تشبع

فاستضحك منه حتى أمسك بطنه واستلقى على ظهره ثم قدم يده بمال وقال خذ فهذا يوم تشبع يا أصمعي (قوله الحطم) أي الذي يحطم ويكسر ورجل محطم وحطمة اذا كان قليل الرحمة للماشية وفي المثل شر الرعاء الحطمة وقال الراجز * قد لفها الليل بسواق حطم * فعنى اكتلنا

وقلبوا في قالبي وهم يجتنون
فاكهة الشتاء ويمرحون
مرح ذوي الفتاء فأخذت
ما أخذهم في الاصطلاء
ووجدت بهم وجد الثمل
بالطلاء ولما ان سرى
الحصر وانسرى الخصر
أبنا بجوانئد كالهالات دورا
والروضات نورا وقد شحن
بالطعمة الولائم وجن من
العائب واللائم فرفضنا
ما قيل في البطنة ورأينا
الامعان فيها من الفطنة
حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم

واشفينا على خطر التخم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوّأنا مقاعد السمر وأخذ كل واحد منا يشول بلسانه وينشر ما فى صوانه ماعدا شيخنا شيخنا الذى شحبا فوداه محلولقا برداه فانه ربض جرة وأوسعنا هجرة فغاظنا تجنبه الملتبس موجبه المعذور فيه مؤنبه الا أنا ألنا له القول وخشينا فى المسئلة العول وكلما رمنا أن يفيض كما فضنا أو يفيض فيما أفضنا أعرض اعراض العلية عن الارذلين وتلا ان هذا الا أساطير الاولين ثم كأن الحمية هاجته والنفس الأبية ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل ان يتلافى ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال

عندى أعاجيب أرويها بلا كذب
عن العيان فكنونى أبا العجب
رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم
بول العجوز وما أعنى ابنة العنب
*(بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضا من أسماء الخمر)
ومستنين من الاعراب قوتهم
أن يشتووا خرقة تغنى من السغب
(الخرقة القطعة من الجراد)
وقادرين متى ما ساء صنعهم
أو قصروا فيه قالوا الذنب للحطب
(القادر الطابخ فى القدر والقدير المطبوخ فيها)
وكاتبين وما خطت أناملهم
حرفا ولا قرؤا ما خط فى الكتب
(الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما وكتب البغلة أو الناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما قال الشاعر
لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها باسيار
وتابعين عقابا فى مسيرهم
على تكميهم فى البيض واليلب
(العقاب الراية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب)
ومنتدين ذوى نبل بدت لهم
نبيلة فانثنوا منها الى الهرب
(النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات وأروح يعنى نتن)
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد
حجت جثيا بلا شك على الركب
*(معنى حجت جثيا أى غلبت بالحجة * جاثين على الركب وجثى جمع جاث)*
ونسوة بعدما أدلجن من حلب
صبحن كاظمة من غير ما تعب
(كاظمة فى هذا الموضع من كظم الغيظ)
ومدلجين سروا من أرض كاظمة
فأصبحوا حين لاح الصبح فى حلب
(فى حلب أى أصبحوا يحلبون اللبن)
ويافعا لم يلامس قط غانية
شاهدته وله نسل من العقب
(النسل ههنا العدو قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم)

بصاع الحطم أى اكلنا أكل أكول لا يشفق على نفسه من السقم (وأشفينا) أشرفنا (خطر) غرر (التخم) جمع تخمة بفتح الخاء وهو أن يثقل الطعام على المعدة ويتغير والعامة تسكن الخاء وقد يجىء ذلك فى الشعر قال اعرابى

واذا المعدة جاشت * فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق
تهضم التخمة هضما * حين تجرى فى العروق

و(تعاورنا) الشىء تداولناه وأخذه بعضنا من بعض وأزلناه من موضع الى موضع وعور العين زوالها و(الغمر) ريح اللحم وزهمه (تبوأنا) أخذنا ونزلنا (السمر) الحديث يسمر عليه (يشول بلسانه) أى يضرب به فى كل كلام وشال رفع و(الصوان) وعاء يصان فيه الشىء (فوداه) ناحيتا رأسه والفود ما بين طرف الجبهة والاذن (محلولقا) كثير البلا (برداه) ثوباه (ربض) جلس وفى المثل فلان يربض حجرة ويرتع وسطا يضرب مثلا لمن يساعدك ما دمت فى خير فربض حجرة أى جلس فى ناحية وبرك (أوسعنا) كثرانا (الهجرة) المباعدة والمقاطعة يريد أنه اعتزلهم وجلس ناحية ولم يكلمهم بكلمة (تجنبه) تباعده يقال تجنبتك وتجانبتك أى تباعدت عنك والجار الجنب البعيد وما زاره الا عن جنابة أى عن بعد (الملتبس موجبه) أى الذى التبس علينا ما أوجبه (مؤنبه) لائمه (العول) الزيادة (رمنا) طلبنا (يفيض كما فضنا) يتكلم كما تكلمنا والفيض زيادة الماء (ويفيض فيما أفضنا) اى يأخذ معنا فى النوع الذى أخذنا فيه (أعرض) لوى وجهه (العلية) الاشراف (الارذلين) الادنياء (أساطير) تآليف وكتب (الحمية) عزة النفس (هاجته) حركته (الأبية) العزيزة (ناجته) حدثته (دلف) مشى الينا (وازدلف) تقرب (خلع) أزال (الصلف) مجاوزة قدر الظرف حتى يفضى به ذلك الى أن تأخذه بأيامها فخا الفك ولا يعبأ بك (يتلافى) يتدارك (سلف) مضى (استرعى) دعاهم للاستماع يقال ارعنى سمعك أى اسمع منى (الهامر) الكثير الانصباب (العيان) أى المشاهدة بالعين (مستنين) أصابتهم السنة أى اشتد عليهم (يشتووا) يتخذوا شواء (السغب) الجوع (تكميهم) تسترهم (البيض) ما يجعل فى الرؤس فى الحرب (منتدين) مجتمعين (انثنوا) رجعوا و(النبيلة) الحاذقة فى فعلها (عصبة) جماعة (أدلجن) سرن بالليل ومثله سروا (لاح) ظهر (يافعا) شابا (يلامس) يلاعب ويمسها بيده (غانية) امرأة جميلة غنيت بحسنها عن الزينة (صبحن كاظمة) أى سقين الصبوح كاظمة غيظها

وشائباغير محقق المشيب بدا * فى البدو وهو فتى السن لم يشب (الشائب ههنا مازج اللبن المشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشيب ومشوب) * ومرضعا بلبان لم يفه فمه * رأيته فى شجار بين السبب * (الشجار المحفة مالم تكن مظللة فان ظللت فهو الهودج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء * وزار عاذرة حتى اذا حصدت * صارت غبيرا بهواها أخو الطرب * (الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة وتسمى أيضا السكركة وفى الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم) * وراكبا وهو ذو علول على فرس * قد غل أيضا وما ينفك عن خبب * (المغلول ههنا العطشان وغل أى عطش) * وذا يد طلق يتنادر احله * مستعجلا وهو مأسور أخو كرب * (المأسور الذى يجد الاسر وهو احتباس البول) * وجالسا ماشيا تهوى مطيته * به وما فى الذى أوردت من ريب * (الجالس الآتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كأنه دعاء لهم بكثرة الماشية والنماء والبركة) وحائكا اجذم الكفين ذا خرس * فان عجبتم فكم فى الخلق من عجب * (الحائك ههنا الذى اذا مشى حرك ٣٣٠ منكبيه وفحج بين ركبتيه) * وذا شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بمنى يشكو من الحدب (الحدب ما ارتفع من الارض) وساعيا فى مسرات الانام يرى افراحهم أغماكا لظلم والكذب

* (افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا يترك فى الاسلام مفرح اى مثقل من الدين أو يقضى عنه دينه) *

ومغرما بمناجاة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب

* (الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين) *

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب

* (الذمام الثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو) .

وذا قوى ما استبانت قط لينته * بين ولينه مستبين غير محتجب * (اللين نخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة) وساجدا فوق فحل غير مكترث * بما أتى بل يراه أفضل القرب * (الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل) * وعاذرا مؤلما من ظل يعذره * مع التلطف والمعذور فى صخب * (العاذر الخاتن والمعذور المختون) وبلدة ما بها ماء لمغترف * والماء يجرى عليها جرى منسرب * (البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضا البلجة) . وقرية دون أفحوص القطا شحنت * بديلم عيشهم من خلسة السلب * (القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير وخلسة السلب لحاء الشجر) * وكوكبا يتوارى عند رؤيته الا * انسان حتى يرى فى أمنع الحجب * (الكوكب النكتة البيضاء التى تحدث فى العين والانسان ههنا انسان العين) * وروثة قومت مالا له خطر * ونفس صاحبها بالمال لم تطب * (الروثة مقدم الانف) * وصحفة من نضار خالص شربت * بعد المكاس بقيراط من الذهب (النضار ههنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين لا باس أن يشرب فى قدح النضار عنى به هذا) *

وصحبه سقاه صبوحا وكظم غيظه تجرعه وهو قادر على الايقاع بعدوه ولم يمضه وكظم خصمه أجابه بالمسكت فافحمه وأصل الكظم للبعير وهو ان يردد جرته فى حلقه ولا يجترها (كاظمة) موضع على سيف البحر أى على ساحله على مرحلتين من البصرة وفيه ركايا كثيرة وماؤها شروب (اللبان) لبن الآدميات (يفه) ينطق (بهواها) يحبها (أخو الطرب) صاحبه المولع به (ينفك) يزول (خبب) نوع من السير (طلق) سارح (كرب) هم (تهوى) تسقط وتسرع (ريب) شكوك (أجذم) مقطوع (خرس) بكم (شطط) طول (مغرما) شديد الحب (مناجاة) محادثة (أرب) حاجة (مكترث) منكسر من الهم (القرب) جمع قربة وهى ما يتقرب به الى الله تعالى من أعمال البر (عاذر) قابل العذر (مؤلما) موجعا (التلطف) الرفق واللين (الصخب) الصياح وتفسير ظاهر البيت أن تقول رأيت عاذرا يوجع الذى يعتذر له مع تلطف العاذر للمعتذر وتليينه القول له والمعتذر فى صياح من شدة ضرر العاذر له فتتقابل هذه الاضداد فاذا فسرت بتفسير الحريرى صح المعنى و(منسرب) داخل فى السرب وهو الحفير فى الارض (قرية) مدينة و(أفحوص القطا) مرقدها وهى تفحصه برجليها توسعه (شحنت) ملئت و(الديلم) أمة من العجم (خلسة) سرقة و(السلب) المال المسلوب (يتوارى) يتغطى وقال الحسن بن هانئ فى صفة الكوكب الذى هو النكتة على انسان العين

أعور المقلة من غير عوج * لو عداه عور العين انسمج

تحسب النكتة فى ناظره * درة بيضاء فى فص سبج

(قوله خطر) أى حظ كثير والخطير الرفيع القدر (نضار) ذهب أحمر (المكاس) المماكسة

ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما * أظله من أعاديه فلم يخب *(الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة)*
وطالما مر بى كلب وفى فمه * ثور ولكنه ثور بلا ذنب *(الثور القطعة من الاقط وهو نوع من الجبن)* وكم رأى ناظرى فيلا على جمل *
وقد نورك فوق الرحل والقتب *(الفيل الرجل الفائل الرأى)* وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا * وما اشتكى قط فى جد ولا لعب
(المشتكى المتخذ شكوة وهى القربة الصغيرة) وكنت أبصرت كراز الراعية * بالدو ينظر من عينين كالشهب *(الكراز
كبش يحمل عليه الراعى أداته) وكم رأت مقلتى عينين ماؤهما * ٣٣١ يجرى من الغرب والعينان فى حلب (الغرب
مجرى الدمع والعينان
المقلتان)*
وصادعا بالقنا من غير أن علقت
كفاه يوما بر مح لا ولم يثب
*(القنا ارتفاع الانف
وتحدب وسطه وصدع به
أى كشفه)*
وكم نزلت بأرض لا نخيل بها
و بعد يوم رأيت البسر فى
القلب
*(البسر جمع بسرة وهو
الماء الحديث العهد بالمطر
والقلب جمع قليب)*
وكم رأيت باقطار الفلا طبقا
يطير فى الجو منصبا الى صبب
(الطبق القطعة من الجراد)
وكم مشايخ فى الدنيا رأيتهم
مخلدين ومن يحوس من العطب
(المخلد الذى أبطأ شيبه)
وكم بدا الى وحش يشتكى سغبا
بمنطق ذلق أمضى من القضب
(الوحش الرجل الجائع)
وكم دعانى مستنج فادنى
وما أخل ولا أخللت بالادب
(المستنجى الجالس على
نجوة وهو المكان المرتفع)
وكم أنخت قلوصى تحت
جنبذة
*تطل ما شئت من عجم ومن عرب (الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها من قوله تعالى عربا أترابا)
وكم نظرت الى من سر ساعته * ودمعه مستهل القطر كالسحب (سر أى قطع سره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة)
وكم رأيت قميصا ضر صاحبه * حتى انثنى واهى الاعضاء والعصب (القميص الدابة الكثيرة القماص وهو الوثوب والقفز)
وكم ازار لوان الدهر أتلفه * بجف لبد حثيث السير مطرب (الازار المرأة ومنه قول الشاعر فدى لك من أخى ثقة ازارى)

بين المتبايعين وهو أن يطلب صاحب السلعة من المشترى سوما فلا يزال المشترى يراجعه
و ينقص له مما طلب شيأ شيأ حتى يتفقا على ما يتراضيان عليه و(المستجيش) الجامع للجيش
و(الخشخاش) نبت معروف وقال ابن وكيع يصفه

وخشخاش كأنا منه نقرى * قميص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صيغت * وأغشية من الديباج خضر

(أظله) قرب منه وكأنه أغشاه ظله و(القتب) خشب الرحل والرحل برذعة البعير (بعرض
البيد) بجانب القفار (كراز) أناء و(الدو) الصحراء و(الغرب) الدلو العظيمة (فى حلب) فى
سيلان وجرى (البسر) التمر الذى لم يطب (القليب) البئر والجمع القلب (اقطار الفلا) نواحى
القفار (والصبب) الانحدار (العطب) الهلاك (السغب) الجوع (ذلق) حاد (أمضى) أقطع
(القضب) السيوف (أخل) نقص (المستنجى) الجالس لقضاء حاجة الانسان (أنخت) أبركت
(قلوصى) ناقتى الفتية (تطل) تستر (سر) أدخل عليه السرور وقد بين هو أنه المقطوع السرة
وقال فى الدرة فيما يكنى فى المعاريض المقاول الذى ضربت قلته أى أعلاه * والمركوب
الذى ضربت ركبته * والمذكور الذى قطع ذكره * والمسرور الذى قطعت سرته قال
ومن الاحاجى بأبيات المعانى

نسرهم وان هموا أقبلوا * وان أدبروا فهموا من نسب

أى نطعنهم اذا أقبلوا فى السرة واذا أدبروا فى السبة وهو الاست وأنشد أيضا

ذكرت أبا عمرو وفات مكانه * فواعجبا هل يهلك المرء من ذكر
وزرت عليا بعده فرأيته * ففارق دنياه ومات على صبر

ذكرته قطعت ذكره ورأيته قطعت رئته (مستهل) سائل (القطر) مصدر قطر اذا سقط ولا يقال
استهل حتى يكون مع انصبابه صوت (واهى) ضعيف (العصب) حبال الجسد (الازار) هو المئزر
الذى يجعل عوضا من السراويل (حثيث) مسرع أراد به ذكر الانسان فى حال نكاحه المرأة
انه مضطرب سريع السير والدفع فيقول ان المرأة التى كانت تبل الذكر عند الجماع لو هلكت لبقى
جافا وأراد باللبد موضع اللبد وهو الظهر * الفنجديهى يقول كم من امرأة لو ماتت لترك زوجها
كثرة الحركة فى طلب المعاش مرضاة لها وجفوف العرق قد يكون من السكون والتفسير
الاول أبين وهذا الثانى يحتمل اما وصفه بالسرعة والاضطراب وهو صفة فرس جعل له لبدا
فالغز بذلك وقال اعرابى ماتت امرأته

وكنت فريستي وغلاف بضعي * فأمسى البضع ليس له غلاف

ومن اللغز فيه قول الآخر

وصاحب معجب في طول صحبته * لا ينفع الدهر الا وهو محسوم

تأتيك في نافض الحمى منافعه * وان أفاق يرى في وجهه اللوم

وقال الاقيشر وكان عنينا فغالط في شعره بالضد

ولقد عدوت بمشرف يافوخه * عسر المكرة ماؤه يتدفق

أرن يسيل من النشاط لعابه * ويكاد جلد إهابه يتمزق

حتى علوت به مشق ثنية * طورا يغور بها وطورا يغرق

(قوله أفانين) أي ضروب وأنواع والافانين الاساليب وهي أجناس الكلام وطرقه * الازهري أفانين جمع أفنان وأفنان جمع فنن وهو الغصن والخصلة من الشعر وقيل الافنون الفن وهو ضرب من الشجر والحبال والجمع أفانين (ملح) ما يتكلم به من حلو الكلام وألغازه (تلهى) تشغل (نخب) مختارة (لحن القول) معناه ومذهبه واللحن التورية وهي أن تظهر خلاف ما تضمر (الطلع) أول ما يخرج من الثمر (والرطب) الطيب منه (شدهتم) تحيرتم (طفقنا) أخذنا (نخبط) نتكلم بالزائد والناقص (تأويل) تفسير (معاريضه) ما عرض به ولم يتمه (الخلي) الذي لاهم له و(الشجي) الحزين وياء الخلي مشددة وياء الشجي مخففة وقد شددت ياء الشجي في الشعر اتباعا لياء الخلي وقالوا اني لآتيه بالعدايا والعشايا فحملوا الغدايا على العشايا وحكى ثعلب في غير الفصيح عن الاصمعي تثقيل الياء فيهما ومن جعل شجي فعل كحذر خفف ومن جعله فعيل مثل غني شدد وفعل بغير ياء أقيس والتشديد في المثل أحسن للازدواج (تعسر) صعب (النتاج) ما ينتج لهم من المعاني (استحكم) توثق (الارتتاج) الانغلاق وأرتج على القاري وارتتج اذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه و(يرتشي) يأخذ الرشوة وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرائش فقيل وما الرائش قال الذي يمشي بينهما (ألقينا اليه المقادة) أي انقدنا له * ورزأت الرجل أرزؤه اذا أصبت منه خيرا ورزأته ماله نقصته (والزبال) بالكسر ما تحمله النملة بفيها و(الاريحية) الاهتزاز للجود (سام) حزن و(الرغم) الذلة والهوان (شنشنة) طبيعة (حاتمية) منسوبة الى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج أحد بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي يكنى أبا سفانة وأبا عدي فارس شاعر جاهلي أحد الاجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهرهم منهم وهم كعب بن مامة وهرم بن سنان وحاتم وكان اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا قامر سبق واذا أسر أطلق واذا أثرى أنفق ويقال انه لا يعرف ميت قرى أضيافه الا هو وذلك أن ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفد زادهم وفيهم رجل يكنى أبا خيبري فجعل يقول أبا سفانة أما تقرى أضيافك أبا سفانة ان أضيافك جياع بعدها فلما نام ثار من نومه وهو يقول وا راحلتاه عقرت والله ناقتي فقال له أصحابه وكيف قال رأيت أبا سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائما ينشدني

أبا خيبري لأنت امرؤ * ظلوم العشيرة لوامها

وماذا تريد الى رمة * بدوية صخب هامها

هذا وكم من أفانين معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدق ودلكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

(قال الحرث بن همام) فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي الى أن تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فالقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الايناس قبل الابساس فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا أنا مشونا أن نعرض للغرم أو نخيب بالرغم فأحضر صاحب المنزل ناقة عيدية وحلة سعدية وقال له خذهما حلالا ولا ترزأ أضيافي زبالا فقال أشهد أنها شنشنة أخزمية وأريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه

(ذكر حاتم الطائي)

أسقي أذاها واسعارها * ودونك طى وأنعامها

ثم عمد الى سيفي فانتضاه من غمده وعقر ناقتي وقال دونكم فما أيقظني الارغاؤها واذا بالناقة ترغو ما تنبعث فقالوا اقد والله قرالئ حاتم فنحروها وأكلوا وتزودوا واقتسموا متاع أبي خيبرى واستمر والوجههم فلما صاروا في الظهيرة وضح لهم راكب يجنب بعيرا يؤم سمتهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبرى قالوا نعم فقال فان عدى بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول ان أبا خيبرى وأصحابه استقرونى فقريتهم ناقته فعوّضه منها وزده بكرا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبو خيبرى الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بأتم قرى وأدرك عدى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه وكان يحدث أصحابه بهذا الحديث بعد اسلامه وقال الشاعر في عدى

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شب حتى مات في الخير راغبا

قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الغويين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما ان أعطى وتمسكى واما أن أمسك وتعطى أنت فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت والله لا أمسك أبدا قال وأنا لا أمسك أبدا قالت فلا نتجاور فقاسمها ماله وتباينا وحكى ان أمه كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تحبس شيأ تملكه وهى عتبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس فلما رأى اخوتها اتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها حتى اذا ظنوا انها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من ابلها فجاءتها امرأة من هوازن تسألها فقالت دونك الصرمة فخذيها فوالله لقد عضنى من الجوع ما لا أمنع بعده سائلا أبدا ثم أنشأت تقول

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة * فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفنى * فان أنت لم تفعل فعض الاصابعا

فماذا عسيتم أن تقولوا الاختكم * سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

وهل ما ترون اليوم الا طبيعة * وكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

فقد اكتنفه الجود من أمه وأبيه وقالت امرأته النوار أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر أفق السماء وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة فأيقنا بالهلاك فوالله انى لفى ليلة صبيرة بعيدة الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدى وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تغورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال من هذا فقالت جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون من الجوع عواء الذئاب فما وجدت معولا الا عليك أبا عدى فقال أعجليهم فقد أشبعك الله واياهم فأقبلت تحمل اثنين ويمشى الى جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ لبته بمدية فخرت ثم كشط الجلد ودفع المدية الى المرأة وقال شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر الينا والله ان ذاق منها مزعة وانه لاحوج اليها منا فأصبحنا

قوله صبيرة أى شديدة البرد اه مصححه

وماعلى الارض منها الاعظم وحافر فأنشأ يقول

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا * ولا تقولي لشئ فات مافعلا

ولا تقولي لشئ كنت مهلكه * مهلا وان كنت معطي العنس والجلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

ولم يكن يمسك شيأ ماعدا فرسه وسلاحه فانه كان لايجود به وذكر الحريري أن عقيلا تمثل بقول حاتم . شنشنة أعرفها من اخزم * وكان عقيل بن علفة المري غيورا الغور اوكانت الخلفاء تصاهره فخطب اليه عبد الملك ابنته لبعض ولده فقال أما ان كان ولابد فجنبني هجناءه ولده وخرج يمتار ومعه ابنه وابنته الجرباء فنزلوا بالشأم بدير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على غرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز ياعملس فقال

فأصبحن بالمرماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته الجرباء أجيزي فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت في المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك مانعت الخمر ثم سل السيف فاستغاثت باخيها فاختبل فخذيه بسهم فبرك ومضوا وتركوه حتى بلغوا المياه الدانية اليهم فقالوا الاهل المياه انا أسقطنا جزورا فأدركوها فوجدوا عقيلا باركا وهو يقول * ان بني ضرجوني بالدم * الابيات (قوله بشره) أي طلاقته (يشف) يتلألأ ويبرق حتى يكاد يصف ماوراءه من السرور (نضرته) نعمته ورونقه (ترف) تندى (استحوذ) غلب واستولى (افزعوا) الجؤا (لتنشروا نشاطا) أي تمشي النشاط في أجسادكم حتى تروى وروايه (تبعثوا) تنتبهوا (نشاطا) جمع نشيط ككريم وكرام ونشط ينشط فهو نشيط اذا كان طيب النفس للعمل (تعوا) تحفظوا (المتعسر) الصعب (كراه) نومه (وسنت) خالطها الوسن وهو النوم (أغفت) نامت (قوله تخدي) أي أسرعي (تتهمي وتنجدي) تقصدي تهامة ونجدا (ايه) معناه زيدي في سيرك (اجهدي) اتعبي (افري) اقطعي (أديم) جلد (فدفد) أرض صلبة وقيل مستوية وقيل فلاة وأراد بالاديم وجه الارض * ونشح ينشح نشحا شرب قليلا قليلا (تحطي) تنزلي (العمد) والعمود مايقوم عليه الخباء (وقوله يخاطب ناقته

انك ان أحللتني في بلدي * حللت مني بمحل الولد)

قد جاء في كلامهم نظيره وضده وكلاهما في بابه حسن * قال الشماخ في ضده من مجازاة الناقة على احسانها بالسوء

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

(وناقضه الآخر فقال)

أقول لناقتي اذ بلغتني * لقد أصبحت مني باليمين

فلم أجعلك للغربان طعما * ولا قلت اشرقي بدم الوتين

(وتبعه ذو الرمة فقال)

أقول لها اذ شمر الليل واستوت * بها البيد واستنت عليها الحزاور

بشره يشف ونضرته ترف وقال ياقوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتنشروا نشاطا وتبعثوا نشاطا فتعوا ماأفسر ويتسهل لكم المتعسر فاستصوب كل ماراه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان وأغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها

سروح ياناق فسيري وخدي
وأدلجي وأوبي وأسئدي
حتى تطأ اخفافك مرعاها الندى
فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتامني أن تتهمي وتنجدي
ايه فدتك النوق جدي
واجهدي
وافري اديم فدفد ففدفد
واقتنعي بالنشح عند المورد
ولا تحطي دون ذا المقصد
فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد
انك ان أحللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع

انباع واذا املأ الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوّام من النوم أعلمهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم ماقدم وماحدث ونسوا ماطاب منه بما خبث ثم انشعبنا فى كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب (قال الشيخ الرئيس) أبو محمد القاسم بن على رضى الله عنه قد فسرت سرّ كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فأحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوة (قوله عشوت الى نار) يعنى تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن أى يعرض (وقوله وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور أبدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومى الرقيب بالحرباء فى قوله * ما بالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء ما ذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لاتدفأ فى الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الاول (وقوله من نحرواد) يعنى الجمل المكتنز شحما الكثير مخا (وقوله عشاره تخور وأعشاره تفور) العشار النوق الحوامل والاعشار البرمة العظيمة كأنها اشعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد (وقوله فاكهة الشتاء) كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد * أكل الفواكه شاتيا فليصطل

ان الفواكه فى الشتاء شهية * والنار للمقرور أفضل مأكل

(وقوله موائد كالهالات) يعنى دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة (وقوله مشوش الغمر) يعنى المنديل يقال مش يده بالمنديل أى مسحها ومنه قول امرئ القيس

(نمش بأعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب) (وقوله مشتهبا فوداه) أى صارا من الشيب فى لون الاشهب ومنه قول امرئ القيس أيضا ،، قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب (وقوله ربض حجرة) يعنى ناحية ويقال فى المثل لمن يشارك فى الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة (وقوله فاسترعى سمع السامر) يعنى السمار لان السامر اسم الجمع كالحاضر اسم للحى النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا أكلمه القمر والسمر (وقوله ليس بعشك فادرجى) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى مالا ينبغى له والعش مايكون فى شجرة فاذا كان فى حائط أو كهف جبل فهو وكر (وقوله الا يناس قبل الابساس) هذا مثل أيضا ومعناه

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين رجليك جازر

وتوجيه الحسن فى هذا المذهب على شنعة ظاهره أنه لايبالى بفقدها لان الممدوح يحمله ويعطيه فهو فى غنى عنها ومن يعيب هذا يقول مجازاة الحسن بالسوء قبيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التى قالت وقد نجت على ناقته نذرت ان نجانى الله عليها ان أنحرها بئس ماجازيتها ولا نذر لك فى مال غيرك والمذهب الاحمد فى ذلك قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين خرج فى جيش موتة يخاطب ناقته

اذا بلغتنى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلى ورائى

ولهذا أتبعه الحريرى فى شعره وقال الحسن

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وقال داود بن أسلم يمدح قثم بن العباس رضى الله عنهما

نجوت من حل ومن رحلة * يا ناق ان بلغتنى من قثم

انك ان بلغتنيه غدا * عاش لنا اليسر ومات العدم

(قوله انباع) أى جرى وتمدّ باعه ومعناه هرب منه فى سيره * يقال صعت الشئ فانصاع أى فرقته فتفرق ومعناه اذا املأ كيسه من عطاء قوم راح عنهم (انبلج) أضاء (هب) انتبه (أغشاهم) غطاهم (السبات) النوم الخفى كالغشية * ثعلب السبات ابتداء النوم فى الرأس حتى يبلغ القلب وسبت الرجل فهو مسبوت نعس و (البتات) القطع البائن (فات) أى فرّ فلا يلحق

أنه ينبغي أن يؤنس الانسان ثم يكلف وأصله ان طالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها للطلب والابساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التي تدر على الابساس البسوس (وقوله يرغب في الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشكد (وقوله ساء أبا مثوانا) يعني المضيف الذي اووا اليه وثووا عنده (وقوله ناقة عيدية) قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذ ان نجائب الابل فنسبت اليهما (وقوله حلة سعيدية) هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه (وقوله لا ترزأ أضيافي زبالا) اى لا ترزأهم شيأ وان قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها (وقوله شنشنة أخزمية) اشار به الى المثل الذي ضرب به جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن غلفة به حين قال * ان بني ضرجوني بالدم * من يلق آساد الرجال يكلم * شنشنة اعرفها من أخزم * ومن ادعى ان المثل له فقد سها فيه (وقوله اجلوذ) اى اسرع في الذهاب ومثله اخروط (وقوله وثب الى الناقة فرحلها) ٣٣٦ يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية اى مرضية وكقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية (وقوله ارتحلها) اى ركبها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله (وقوله ورحلها) اى أزعجها وأشخصها وأجتنبها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس

*وذكر الحريري في درة الغواص ان قولهم حدث أمر بضم الدال قياسا على أخذه ما قدم وما حدث خطأ وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم للمحافظة على الموازنة فاذا أفردت لفظة حدث زال موجب الضم ووجب الرد الى الاصل قال وأنشدني بعض أدباء خراسان لابي الفتح البستي

جرعت من أمر فظيع قد حدث * أبو تميم وهو شيخ لا حدث
* قد حبس الاصلع في بيت الحدث *

لم نتعرض في شرح هذه المقامة لما ثبت في كتاب المقامات من شرح منشيها بل نعقب ما أهمله وكان الاولى اثبات ماشرح نصه اذ هو وفق لغرضه

- (شرح المقامة الخامسة والاربعين وهي الرملية)*

(أولي التجاريب) أى أصحابها وأهلها (أجوب) أقطع (تنوفة) قفرة (اقتحم) أدخل (اجتليت) رأيت (أطروفة) عجيبة (لمحته) نظرته (استملحته) وجدته مليحا (الصولة) الاستطالة وقد صال اذا استطال وهدد (ترافع) أى تداعى المحكومة ورفع كل واحد صاحبه (بال) شيخ كبير (في بال) في ثوب خلق و(أسمال) ثياب خلقة واحدها سمل وسمل الثوب وأسمل ويقال أيضا ثوب اسمال فيوصف بالجمع كما يقال رمح أقصاد وبرمة أعشار (تبيان المرام) تبيين مراده واظهار حجته (الافصاح) التبيين (خسأته) أبعدته وطردته (النباح) الكلام هنا وخسأ ونبح أصلهما

(وقوله فأدلجي وأوبي وأسئدي) الادلاج ان تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج في بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والاسآد أن تسير ليلا ونهارا والنشح ان تشرب دون الري (وقوله فأخذهم ماقدم وماحدث) يقال ذلك لمن تستولي الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدث في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افردت حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الالف من أمرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب ان تقول أمرأني الشئ (وقوله ذهبنا تحت كل كوكب) هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم * (المقامة الخامسة والاربعون الرملية) (حكى الحرث بن همام) قال كنت أخذت عن أولي التجاريب ان السفر مرآة الاعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل أطروفة في احسن مالمحته واغرب مااستملحته ان حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال في اسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وخسأته عن النباح

فى الكلب ويقال خسأت الكلب خسأ طردته وأبعدته وخسأ الكلب بنفسه اى انخسأ يتعدى ولا يتعدى قال تعالى اخسؤا فيها اى تباعدوا تباعد سخط (نضت) جردت (الوشاح) الحزام وهو المنطقة * الفنجديهى الوشاح شبه قلادة تنسج من ادم عريضة وترصع بالجواهر وغيرها (السليطة) المستطيلة بلسانها (الوقاح) التى ليس فى وجهها حياء فهى تقول ماشاءت (الرملة) قرية بالشأم وقسم الشأم خمسة أقسام فخمس منه فلسطين ومدينته العظمى الرملة والرملة أربعة آلاف ضيعة ومن مدن فلسطين ايلياء مدينة بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا وقال ابن ظفر عشرون فرسخا (التمرة والجمرة) الخير والشر والنفع والضر ويضرب بهما المثل فى هذا المعنى ومن قضى له القاضى بشئ فكأنه قد أعطاه و(البيت) عنت به فرجها (يحجج) يقصد اليه بالجماع وقولها (سوى مرة) تريد أول مرة وطئها وافترعها ولم يعد لها بعد تلك المرة * وتعنى بالنسك افتراعها وماهاله من الدم * وعنت برمى الجمرة اتيانه لها وجمع الجمر جمار وهى الحجارة الصغار عند العرب وجمر الرجل تجميرا رمى جمار مكة قال عمر بن أبى ربيعة

فلم أر كالتجمير منظر ناظر * ولا كليالى الحج أفتن ذا هوى

ومنه الحديث واذا استجمرت فأوتر معناه تمسحت بالحجارة (أبو يوسف) هو يعقوب بن ابراهيم ابن حسين بن سعد بن حبيب الانصارى وأبو يوسف كوفى صاحب أبا حنيفة فغلب عليه حتى قالوا أبو يوسف أبو حنيفة أى يسد مسده ويغنى عنه وروى عن أبى حنيفة والمطرف والمغيرة وهشام ابن عروة والشيبانى وكان صدوقا من أهل الدين والعلم وكان قاضى القضاة ببغداد لثلاثة خلفاء المهدى والهادى والرشيد وكانت أم جعفر قد استفتته فى مسئلة فأفتاها بما أوجبه العلم عنده فوافق بذلك مرادها فأهدت له حقا من فضة فيه طيب وجام فضة فيه دنانير فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه فان ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا الوقت والهدايا ذهب وورق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال أبو جعفر الطحاوى ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة * جاذ رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان فى مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا الا أفسده عليه زفر ولا يقول زفر قولا الا أفسده عليه أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال لا تطمع فى رياسة فى بلد فيها أبو يوسف فقضى لابى يوسف * على بن حرملة التيمى قال أبو يوسف كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه فقال يابنى لا تمدن رجلك مع أبى حنيفة فان خبز أبى حنيفة مستو وأنت محتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة والدى فتفقدنى أبو حنيفة وسأل عنى فجعلت أتعهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى ما يشغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال استمتع بهذه واذا فنيها مائة درهم وقال لى الزم الجماعة فاذا نفدت فاعلمنى فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعهدنى كذلك وما أعلمته بنفادها قط وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت * على ابن الجعد حدثنى أبو يوسف قال توفى أبى ابراهيم وخلفنى صغيرا فى حجر أمى

ثم نضت عنها فضلة الوشاح
وانشدت بلسان السليطة الوقاح
ياقاضى الرملة ياذا الذى
فى يده التمرة والجمره
اليك اشكو جور بعلى الذى
لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه

(ذكر أبى يوسف صاحب أبى حنيفة)

فأسلمتني الى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس واستمع فتجيء أمي فتأخذ بيدي وتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة يعنى بي لما كان يرى من حرصي على التعلم فلما طال ذلك على أمي وكثر عليها هربي قالت لابي حنيفة مالهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لاشيء له وانما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكتسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مرّي يارعناء هاهو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وهي تقول أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك قال ثم لزمته ونفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء فكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم اليه فالوذجة فقال لي كل يا يعقوب فليس في كل يوم تعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن فستق فضحكت فقال لي مم تضحك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين فقال لتخبرني وألح علي فحدثته بالقصة من أولها الى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع ويرفع دينا ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال انه كان ينظر بعين عقله مالا ينظره غيره بعين رأسه وأبو يوسف أول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام * اسحق الموصلي حدثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء فقال كنت عند أبي يوسف القاضي وكنت في حديث ظريف فقلت حدثني به فقال قال لي أبو يوسف كنت البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب بشدة فأخذت علي ازاري وخرجت فاذا هو ابن أعين يقول أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حارثة لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن ان يكون أمير المؤمنين دعاني لمكروه فان أمكنك أن تدع الامر الى غد فلعله أن يحدث له رأي فقال مالي الى ذلك من سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فأمرني ان آتي بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط فان كان أمر كنت قد أحكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضر فدخلت ففعلت ذلك وتطيبت ثم خرجنا الى دار الرشيد ومسرور واقف فقلت يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وهذا وقت ضيق أفتدري لم طلبني قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر وحده ثم قال مر فاذا صرت في الصحن فحرك رجليك فانه في الرواق ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب قال ادخل فدخلت فسلمت فرد علي السلام وقال أظننا روعناك قلت اي والله ومن خلفي قال اجلس فلما سكن روعي قال يا يعقوب هل تدري لم دعوتك قلت لا قال لا شهدك على هذا ان عنده جارية فسألته أن يهبها أو يبيعها لي فأبى والله لئن لم يفعل لاقتلنه فالتفت الى عيسى وقلت وما بلغ قدر الجارية أتمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة فقال لي عجلت القول قبل أن تعرف ماعندي ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيعها لاحد ولا أهبها فالتفت الي الرشيد فقال لي هل لك في ذلك مخرج فقلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعت منه نصفها بمائة ألف دينار وأتي بالجارية فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها قال يا يعقوب بقيت واحدة قلت يا أمير المؤمنين وما هي قال هي مملوكة ولابد أن تستبرأ ووالله ان نفسي لتخرج ان لم أبت معها فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فاني قد أعتقتها فدعا بمسرور وحسين وخطبت وحمدت الله ثم زوجت على عشرين ألف دينار ودفع المال اليها ثم قال يا يعقوب

انصرف ثم قال يا مسرور احمل الى أبي يوسف مائتي ألف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل معي ذلك قال بشر فالتفت الى يعقوب فقال هل رأيت بأسا فيما فعلت قلت لا قال فخذ منها العشر فشكرته وذهبت لاقوم واذا بعجوز دخلت فقالت يا أبا يوسف بنتك تقرئك السلام وتقول والله ما وصلني من أمير المؤمنين في ليلتي هذه الا المهر الذي قد عرفت وقد حملت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما أحتاج اليه فقال رديه فوالله لاقبلته أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضيني بهذا فلم نزل نتلطف اليه أنا وعمومتي أن يقبلها فقبلها وأمر لي بألف دينار * وأما صلة الحج بالعمرة التي ذكر الحريري فان أبا يوسف في ذلك مخالف لمالك رضي الله عنهما في ان القران في الحج أفضل من الافراد وهو مذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقوله خف ظهرا) أي حط عن ظهره بعض الذنوب والذي أرادت انه لم يأتها ولا جامعها غير مرة واحدة خفف بها ظهره وبعض شهوته وليته فعل ذلك مرتين فورت بظاهر كلامها عن هذا المعنى * وجاءت امرأة الى المغيرة بن شعبة بزوجها تستعديه عليه وتذكر انه عنين فقال الرجل

الله يعلم يا مغيرة أنني * قد دستها دوس الحصان المرسل

وأخذتها أخذ المعنف شانه * عجلان يذبحها لقوم نزل

فقال له المغيرة اني لارى ذلك في شمائلك وخاصمت الدهناء بنت مسحل أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة العجاج وكان من بني عمها الى والي اليمامة فكان أبوها يعينها على ذلك فقال له اهل اليمامة ألا تستحي تطلب العسب لابنتك فقال اني احب ان يكون لها ولد فان افرطتهم اجرت وان بقوا دعوا الله لها فدخلت على الوالي فقالت اني منه بجمع فقال لعلك تعار بن الشيخ فقالت اني لارخي له بادي وأقيم صلبي فقال العجاج اني لآخذها العقيلي والشغربية فقال قد أجلتك سنة وانما أراد ستره فقال العجاج

اظنت الدهنا وظن مسحل * ان الامير بالقضاء يعجل

عن كسلاتي والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

فقالت هي

والله لولا خشية الامير * وخشية الشرطي والمثير

لجلت من شيخي الفقير * بجولان صعبة عسير

فأخذها وضمها اليه يقبلها فقالت

تالله لا تخدعني بالضم * اليك والتقبيل بعد الشم

الا بهزهاز يسلي همي * ينزع عني فتخي في كمي

فذهب بها الى اهلها فطلقها في تلك الليلة سرا ولو استقبلها العجاج بما وصف ابن الرومي حيث يقول

الا يا هند هل لك في ممد * غليظ تفرحين به متين

يشبه حشا لغلام نيك * من الفتيان منقطع القرين

فمن يره يبول يقول أني * بدا من فرجها ثلثا جنين

لرضيته ولم تحاكمه (قوله الفة) صحبة (اخلع) ازيل و(ابو مرة) كنية ابليس لعنه الله وكنى بذلك لما تقدم ان ابغض الاسماء الى الله تعالى مرة وحرب تقول اما صاحبي صحبة رضيني فيها بكثرة الجماع والا ازلت عني الحياء وخربت ازني وافسق في طاعة ابليس ولو عالجها بما كان يعالج به

وخف ظهرا اذ قضى الجمره
كان على رأي ابي يوسف
في صلة الحجة بالعمره
هذا على اني مذ ضمني
اليه لم اعص له امره
فهو اما الفة حلوة
ترضي واما فرقة مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا
في طاعة الشيخ ابي مره

رجل زوجته وكان اذا وقع بينهما شر المحنى عليها بالجماع فكانت تقول لعنك الله كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا اقدر على رده فلو جاءها بهذا الشفيع لما رفعته الى الوالى * محمد بن يحيى بن حبان عاتبت جدتى جدى فى قلة الباءه فقال لها انا وانت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالت وما قضاء عمر قال قال ان الرجل اذا اتى امرأته فى كل طهر مرة فقد ادى حقها قالت فكل الناس تركوا قضاء عمر واقتدا انا وانت عليه وقال اعرابى كبر وعجز

عجبت من ايرى كيف يصنع ادفعه باصبعى فيرجع * يقوم بعد الشد ثم يركع

دخل عيسى بن موسى على جارية له فعجز فقال

النفس تطمع والاسباب عاجزة * والنفس تهلك بين العجز والطمع

* خلا ثمامة بن اشرس بجارية له فعجز فقال ويحك ما اوسع حرك فقالت

انت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

* وكان عروة بن أشيم اوفر الناس ايرا واشدهم نكاحا وكان اذا انعظ يستلقى على قفاه فيأتى الفصيل الجرب فيحتك بايره يظنه الجذل وهو عود فى العطن ينصب لتحتك به الابل الجربى ويزعمون انه اصاب ايره جب عروس زفت اليه فقالت له أتهددنى بالركبة وهو القائل

الا ربما انعظت حتى اخاله * سينقد للانعاظ أو يتمزق

فأعمله حتى اذا قلت قد ونى * ابى وتمطى جامحا يتمطق

فقال له القاضى قد سمعت ما عزتك اليه وتوعدتك عليه فجانب ما عزلك

واقبل رجل على على رضى الله عنه فقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى قتلتنى فقال اقتلها وعلى اثمها، وقع اعشى همدان اسيرا عند الديلم ثم ان ابنة العلج الذى اسره عشقته فمكنته ليلة من نفسها فاصبح وقد واقعها ثمان مرات فقالت له يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم قال هكذا نفعل كلنا فقالت بهذا العمل نصرتم أرأيت ان خلصتك تصطفينى فعاهدها فحلت قيوده بالليل وأخذت به فى طرق تعرفها حتى تخلص فقال اسير شاعر فيه

فمن كان يفديه من الاسر ماله * فهمدان تفديها الغداة ايورها

كان عبد الله بن عمر من انزه الناس نفسا وابعدهم عن المزاح وذكر الفاحشة فجاءه ابن ابى عتيق يوما وكان صاحب مزاح وفكاهة وفى يده رقعة فيها

ذهب الاله بما تعيش به * وقرت مالك ايما قمر

انفقت مالك غير مكترث * فى كل زانية وفى الخمر

وكانت هجته بهما امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومى فقال يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال ماترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال ارى ان تعفو وتصفح فقال يا أبا عبد الرحمن لئن لقيت صاحبه لأنيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر من قوله وأرعد وأزبد وقال مالك غضب الله عليك فقال ماهو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد ايام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح يا أبا عبد الرحمن انى لقيت صاحب البيتين فنكته والله نيكا شافيا وأقسم على ذلك فصعق ابن عمر فلما رأى ابن ابى عتيق ما حل به دنا منه وقال له فى اذنه انها والله امرأتى فقام ابن عمر وقد سرى عنه وهو يضحك فقبله بين عينيه وقال أحسنت زده من هذا الادب فلن يهجولك بعدها ابدا (قوله عزتك) اى نسبتك (توعدتك) هددتك (عزلك) شانك وعابك

ولطخك

وحاذران تفرك وتعرك جثا الشيخ على ثفناته وفجر ينبوع نفثاته وقال اسمع عداك الذم قول امرئ * يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى * ولا هوى قلبي قضى نذره وانما الدهر عدا صرفه ٣٤١ فابتزنا الدرة والدره فغزلى قفر كما جيدها
عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل ارى في الهوى
ودينه رأى بنى عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى
هجران عف اخذ حذره
وملت عن حرثى لا رغبة
عنه ولكن اتقى بذره
فلا تلم من هذه حاله
واعطف عليه واحتمل هذره
قال فالتطت المرأة من مقاله
وانتضت الحجج لجداله وقالت
له ويلك يا مرقعان يا من هو
لا طعام ولا طعان اتضيق
بالولد ذرعا ولكل اكولة
مرعى لقد ضل فهمك
واخطأ سهمك وسفهت
نفسك وشقيت بك عرسك
فقال لها القاضي أما أنت
فلو جادلت الخنساء لاثنت
عنك خرساء واما هو فان
كان صدق في زعمه ودعوى
عدمه فله في همّ قبقبه
ما يشغله عن ذبذبه فأطرقت
تنظر ازورارا ولا ترجع
حوارا حتى قلنا قد راجعها
الخفر أو حاق بها الظفر
فقال لها الشيخ تعسا لك ان
زخرفت أو كتمت ما عرفت
فقالت ويحك وهل بعد
المنافرة كتم أو بقى لنا
على سر ختم وما فينا الا
من صدق وهتك صونه اذ
نطق فليتنا لاقينا البكم
ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب
ثم احضر من الورق ألفين وقال أرضيا بهما الاجوفين وعاصيا النازغ

ولطعنك بشر وساءك وعرّ فلان قومه بشر لطخهم به (حاذر) خف (تفرك) تبغض وفركت المرأة زوجها أبغضته (وتعرك) تدلك دلكا شديدا مثل دلك الاديم وعركت القوم في الحرب قاتلتهم (جثا) يجثو جثوا وجثيا جلس على ركبتيه (الثفنات) ماولى الارض من اعضاء البعير وغلظ اذا برك على الركبتين والكركرة (ينبوع) ماؤها النابع (نفثاته) كلماته (عداك) تجاوزك (يوضح) يبين (رابها) شككها وأدخل عليها الريبة (أعرضت) صددت (قلى) بغض (هوى) حب (النذر) ان ينذر الانسان على نفسه شيأ يفعله وقضى نحبه استوفى غرضه (عدا) ظلم (صرفه) تصرفه بالانكاد (ابتزنا) سلبنا (الدرّة) اللؤلؤة (والدرة) اللبن ومال العرب الابل وعيشهم من لبنها فلهذا جنس بالدرة مع الدرة (جيدها) عنقها (عطل) خال (الجزعة) خرز يمانى وهى التى فيها بياض وسواد (والشذر) قطع من ذهب يفصل بها بين الجواهر وقيل الجزع خرز ملون والشذر خرز أخضر وقيل الشذرة القطعة من الذهب تلتقط من المعدن من غير اذابة الحجارة (بنى عذرة) قبيلة يغلب على قلوبهم حب النساء فكل من أفرط في حبهن قيل له عذرى فنسب اليهم وسئل اعرابى فقيل له ممن اين أنت فقال من قبيلة اذا أحبوا ماتوا فسمعته جارية فقالت عذرى ورب الكعبة (قوله نبا) أى ارتفع وزال خيره (الدمى) النساء المشبهات في بياضهن وصفائهن بصور الرخام وكان العاشق من العرب اذا غلب عليه العشق والهجر ذهب الى الامصار فاشترى صورة من رخام على صورة محبوبته فاذا ركب بعيره أجلس الصورة بين يديه يحدثها ويستريح اليها فسموا النساء دمى تشبيها بصور الرخام (عف) عفيف (البذر) ما يزرع في الارض من الحبوب وحرثه نكاحه وأراد بالبذر ما يزرعه فيها من النطفة (هذره) هذيانه وكلامه الفارغ (التطت) حقدت والتهبت غيظا و(انتضت) جردت (جداله) خصامه (مرقعان) كثير الرقاعة والرقاعة كالحماقة كأن عقله تخرق فرقع . وضقت بالشئ ذرعا اذا لم تقدر عليه (ضل) تحير (عرسك) زوجك (جادلت) خاصمت (اثنت) رجعت (خرساء) بكماء (زعمه) ما ادعاه (قوله قبقبه) القبقب البطن والقبقبة الصوت الذى يدور فيه فسمى به (والذبذب) الذكر وأصل الذبذبة الاهتزاز والاضطراب فسمى الذبذب لحركته ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى شاب فقال يا شاب ان وقيت شر ثلاث وقيت شر الشباب لقلقك وذبذبك وقبقبك . الاصمعى اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الذكر (قوله أطرقت) اى سكتت مميلة الى الارض رأسها حياء (ازورارا) ميلانا (والحوار) مراجعة الكلام (الخفر) الحياء (حاق) لحق و(الظفر) هنا غلبة حجتها وظفرها به (تعسا) هلاكا (زخرفت) هنا زينت الباطل (المنافرة) المحاكمة (ختم) ربط اى قد أظهرنا جميع أسرارنا (هتك) خرق (صونه) صيانته (لاقينا البكم) اى أصابنا البكم وخلقنا خرسا فلم نبد ما أبديناه من القبائح والبكم الخرس مع عمى وقال ثعلب البكم أن يولد الانسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم بكما وبكامة و(الحكم) الحاكم (التفعت) التفت والوشاح الثوب وقد توشحت بثوبها جعلته موضع وشاحها (لافتضاحها) لاشتهارها بالقبائح (خطبهما) أمرهما (يعجب) يجعل غيره يعجب منه (يؤنب) يوبخ ويلوم (الورق) الدراهم (الاجوفين) البطن والفرج (النازغ) المانى بالشر المفسد

ونزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا أغوى وأفسد و (الالفين) الصاحبين (السراح) الانصراف
و (الراح) الخمر وهى سريعة الامتزاج مع الماء فيضرب بهما المثل فى امتزاج نفوس المتحابين
وقد جاء من ذلك فى الشعر ما يستحسن قال ابن أبى فنن أحسن ما قيل فيه قول العباس بن الاحنف

لا أنس ما أنس يمناها معطفة * على فؤادى ويسراها على راسى
وقولها ليته ثوب على جسدى * وليتنى كنت سربالا لعباس
وليته كان لى خمرا وكنت له * من ماء مزن فكنا الدهر فى كاس

قال الحاتمى وأحسن دعبل كل الاحسان فى قوله

الله يعلم والايام دائرة * والمرء ما بين ايحاش وايناس
انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذلك الشاهق الراسى
حبا تلبس بالاحشاء وامتزجا * تمازج الماء بالصهباء فى الكاس

وقال البحترى فأحسن

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه * مرور غيث من الوسمى سحاح
انى وجدتك من قلبى بمنزلة * هى المصافاة بين الماء والراح

(قوله طفق) أى جعل (مسرحهما) انصرافهما (تنائى شخصهما) بعد شخصهما و (عين الاعوان) مقدمهم و (الخلصان) الاحباب و (خالصة) خيار فكأنه خيار خيارهم (قعيدة رحله) زوجته وصاحبة بيته (مكيدة) مكر (أحبولة) شبكة (ختله) خداعه (أحفظ) أغضب (تلهف) تندم فصاح باللهف (ردهما) اطلبهما (مذرويه) أطراف أليتيه (والاصدران) عرقان فى الصدغين وقيل هما المنكبان وقيل العطفان ويقال أتى فلان ينفض مذرويه اذا جاء غاضبا يتهدد ويضرب أصدريه اذا جاء فارغا بلا حاجة فاذا قضى حاجته قيل جاء ثانيا من عنانه وقال الحسن البصرى ورأى الناس يوم عيد يضحكون فقال تلقى أحدهم أبيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عرفناك مقتك الله ومقتك الصالحون يملخ يلج وقيل يتثنى ويتكسر (استخبثت) أصبته خبيثا (أستقرى) أتتبع (العلق) جمع غلقة وهى المغالق التى تستبهم الطرق وغيرها وباب غلق أى مغلق (مصحرين) ذاهبين فى الصحراء (زما) شدا و (البين) الفراق و (العلل) هنا العطاء (كفلت) ضمنت (نيل الامل) درك الحاجة (أشرب) دوخل وألقى فى نفسه و (الفرار بقراب أكيس) مثل وقراب الشئ ما يقاربه وأراد الهروب باليسير والقريب أكيس من الرجوع الى الطمع ويروى الفرار بقراب بكسر القاف وهو مصدر بمعنى المقاربة والمثل لجابر بن عمرو المازنى وكان سائرا فى طريق ومعه أوفى ابن مطر وشهاب بن قيس فتراءى آثار رجلين معهما فرسان وبعيران وكان قائفا فقال أرى آثار رجلين شديد كلبهما عزيز سلبهما والفرار بقراب أكيس ثم مضى هاربا والمعنى فرارنا ونحن بقرب السلامة خير لنا من أن نتورط فى المكروه و (العود أحمد) أى أوفق وأحق ان يوجد محمود والعود أحمد مثل أى الرجوع أحسن وقال المرقش

وأحسن فيما كان بينى وبينه * فان عاد بالاحسان فالعود أحمد

(وأنشد أبو العباس لعمارة)

بين الالفين فشكراه على حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضى بعد مسرحهما وتنائى شخصهما يثنى على أدبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين اعوانه وخالصة خلصانه أما الشيخ فالسروجى المشهود بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما تحاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة من حبائل ختله فأحفظ القاضى ما سمع وتلهف كيف خدع ثم قال للواشى بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصدهما فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضى أطهرنا على ما ثبت ولا تخف عنا ما استخبثت فقال ما زلت أستقرى الطرق واستفتح الغلق الى أن أدركتهما مصحرين وقد زما مطى البين فرغبتهما فى العلل وكفلت لهما بنيل الامل فأشرب قلب الشيخ أن ييأس وقال الفرار بقراب أكيس وقالت هى بل العود أحمد

بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى * حبالى لكم منى ثناء مخلد
بدأتم فأحسنتم وأثنيت جاهدا * وان عدتم أحسنت والعود أحمد

(قوله الفروقة) أى الفراع الكثير الفرق وهو الخوف (يكمد) يحزن حزنا لا يستطيع امضاءه (تبين) علم (غرر) خطر (سفه) خفة والسفيه الخفيف العقل (اجترائها) جسارتها وجرأتها (ذلاذلها) أطراف ثوبها وذلاذل القميص ما يلى الارض من أسافله الواحد ذلذل مثل قمقم وقماقم (دونك) معناه قاربك ما تطلب فتناوله (اقتفى) اتبعى (سبله) طرقه (نقرت) أكلت ثمرتها بمنقارك وهو مثل ونقرت أيضا بحثت والتنقير البحث عن الشئ يقول متى ما أخذت من ثمر نخلة بنصيب ففارقها ولا ترجع اليها وفى حديث أبى سعيد قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت النخلة والرمانة والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام و(البتة البتلة) التى لا رجعة فيها والبت القطع (سبلها) طرقها وأصله لابن السبيل (الناطور) حارس النخل خاصة بطاء غير معجمة وقيل هو حافظ الكروم والجمع النواطير (الابله) الكثير الغفلة (اللص) السارق و(عمله) سرقة وفعلة قبيحة (عنيت) تعبت (وليت) كلفت (رويدك) رفقك أى أولنا منك الرفق والمهل (لا تعقب) لا تتبع (الاذى) الضرر و(شمل) جمع (منصدع) متفرق (صوغ اللسان) كذبه وحيله وفى الحديث هذه كذبة صاغها الصواغ أى اختلقها الكذاب (مبتدع) أول فاعل (ساءتك) أحزنتك (شيخ الاشعريين) هو أبو موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن قيس من ولد الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن كهلان بن سبا قدم مكة وأسلم بها ثم هاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع جعفر بن أبى طالب الى المدينة والذى خدعه هو عمرو بن العاص فى قصة التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهى قصة مشهورة فى كتاب العقد وفى كتاب المسعودى وغيرهما من كتب الادب وفيها أشياء مما كبر فى حق الصحابة رضى الله عنهم فلذلك أضربنا عن ذكرها (رائده) طالبه (أصحبه) جعله فى صحبته (بردين) ثوبين (صرة) خرقة تشد فيها الدراهم (العين) الذهب والفضة (سر من لا يرى الالتفات) أى سيرا سريعا لا يلتفت معه الى مهم (قوله بل أيديهما) يقال بللت به أبل اذا ظفرت به وبلك الله بابن أى رزقكه وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى صلوها وبللت رحمى أبلها بللا وبلالا اذا نديتها ووصلتها (الحباء) العطاء (جال) تصرف وقطع البلاد بالمشى

(شرح المقامة السادسة والاربعين وهى الحلبية)

(نزع بى) أى شوقنى وجلنى و(حلب) مدينة عظيمة بالشام وقنسرين خمس من أخماس الشام ومدينته العظمى حلب وساحلها انطاكية وذكر شيخنا ابن جبير فقال حلب بلدة قدرها خطير وذكرها فى كل زمان يطير خطابها من الملوك كثير كانت فى القديم ربوة فيما يقال كان يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغنمه فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فسميت حلب وبها مشهد كريم منسوب اليه يتبرك الناس بالصلاة فيه ولها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبه والنظير فى القلاع تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الارض مستديرة منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من

والفروقة يكمد فلما تبين الشيخ سفه رأيها وغرر اجترائها أمسك ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها
دونك نصحى فاقتفى سبله
واغنى عن التفصيل بالجمله
طيرى متى نقرت عن نخله
وطلقيها بتة بتله
وحاذرى العود اليها ولو
سبلها ناطورها الابله
فخيرما اللص أن لا يرى
يبقعة فيها له عمله
ثم قال لى لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك ان شئت
رويدك لا تعقب جميلك بالاذى *فتضحى وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضبن من تزيد سائل
فما هو فى صوغ اللسان بمبتدع
وان تك قد ساءتك منى خديعة *فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع
فقال له القاضى قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم انه أصحب رائده بردين وصرة من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات الى أن ترى الشيخ والفتاة فبل يديهما بهذا الحباء وبين لهما انخداعى للادباء (قال الراوى) فلم أر فى الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

(المقامة السادسة والاربعون الحلبية) (روى الحرث بن همام) قال نزع بى الى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب

أحكم تدبيرها وتقديرها وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها ومن كمال جمالها الزائد على المشترط لحصانة القلع أن الماء بها نابع وقد صنع عليها جفان والطعام يصير فيها الدهر كله وليس من شروط الحصانة أهم من هاتين الخلتين ويطيف بجبلها سوران حصينان يعترض دونهما خندق بالماء فلا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه وسورها الاعلى مجلل كله ابراج منتظمة فيها القلالي المنيعة قد تفتحت كلها طبقات وكل برج منها مسكون والبلد فخم جدا جميل الترتيب اسواقه متصلة الانتظام تخرج من سماط صفة الى سماط أخرى وقيساريتها وجامعها ومدارسها ما سمع بمثل وصفها فى بلد من بلاد الله تعالى كل سوق من أسواقها مسقف بالخشب يفيد البصر حسنا ويستوقف المستوفز تعجبا وقيساريتها حديقة بستان نظافة وجمالا مطيفة بجامعها وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط كله خزانة واحدة وتخللتها شرف حسنة بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاءت فى أجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع ثم أخذ ابن جبير فى وصف الجامع والمدارس والبيمارستان بأنواع من الاوصاف الحسان (قوله ياله) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبه من طالب (خفيف الحاذ) أى قليل العيال وتقدم الحاذ فى السادسة (حثيث النفاذ) سريع المضى فى أموره ورجل نافذ ونفوذ ونفاذ ماض فى جميع أموره (أهبة) عدة (خففت) ارتحلت بسرعة (حللت ربوعها) نزلت فى بيوتها (ارتبعت ربيعها) التمست خيرها (أقاني) أقاطع وفنى الشئ تم وانقطع و(الغرام) عذاب الحب و(الاوام) العطش و(اقصر) كف وأقصرت عن الشئ تركته وأنت عليه قادر (ولوعه) مصدر ولع به اذا أحبه ولزمه (استطار) بمعنى انتشر (وقوعه) نزوله وهم يتشاءمون بالغراب لانه يؤذن عندهم بالفراق وذلك أنهم لا يرون الغراب عند منازلهم الا اذا حطوا بيوتهم للرحيل ينزل يلتمس ما يتركون مما يلقط ولذلك سموه غراب البين واشتقوا من اسمه الغريب والغربة (أغراني) حرضني وسلطني (الخلو) الفارغ (المرح) النشاط وخفة النفس من الطرب (حمص) مدينة عظيمة بينها وبين دمشق مائة ميل وأرض حمص خمس من اخماس الشام وهى مدينة يقال ان لها سورا وفى وسطها حصنها ولا تدخلها حية ولا عقرب وأول من ابتدع الحساب أهلها الا انهم كانوا تجارا باشبيلية وأحوازها نزل أهل حمص عند افتتاح الاندلس فلذلك سميت حمص أخذت من قولهم حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا اذا ذهب ورمه قال اليعقوبى مدينة حمص من أوسع مبانى الشام ولها نهر عظيم منه يشرب أهلها افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وفى حديث عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال انها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لا حساب عليهم ودخلها شيخنا ابن جبير سنة ثمانين وخمسمائة وقال هى فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة فى بسيط من الارض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه ويكاد البصر يقف دون منتهاه وماؤها يجلب لها من نهرها العاصى وهو منها بنحو ميل ومنبعه فى مغارة بسفح جبل لبنان منها بموصل يقابل بعلبك واهل حمص موصوفون بالنجدة لمجاورتهم العدو وأسوارها فى غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة السود وأما داخلها فاشتت من بادية شعثاء خلقة

وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أقاني الايام فيما يشفي الغرام ويروى الاوام الى أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو والمرح الحلو بأن أقصد حمص

الارجاء لاشراق لآفاقها ولارونق لاسواقها وماظنك ببلد حسن الاكراد منه على اميال يسيرة وتجد فيها عند اطلاعك عليها بعض شبه من مدينة اشبيلية يقع الحين فى نفسك حبها ولذلك سميت باسمها فى القديم ولهذا نزل اشبيلية بعض اعراب حمص وقال الفنجديهى باهل حمص يضرب المثل فى الحماقة وكثرة الرقاعة وتنسب اليهم حكايات مضحكة حكى عن بعضهم انه قال دخلت اوفى فى درهم لاشترى به بعض ما اشتهيه فاذا برجل بباب الجامع جالس على كرسى وعلى راسه عمامة محنك بها على قلنسوة وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل وقد تقلد بسيف وفى حجره مصحف يقرأ فيه وعنده كلب رابض بسكة بعقوده فسلمت عليه فرد السلام وقلت له أترى القوم صلوا فقال لى أوأنت أعمى أما ترانى قاعدا قلت من انت قال انا أبو خالد امام الجامع فقلت ماهذه الحلية قال وردرجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويشتم أبابكر الصديق وعمر الفواريرى وعثمان بن أبى سفيان ومعاوية بن ابى غسان الذى هو من حملة العرش وزوجه النبى ابنته عائشة فى زمن الحجاج ابن يوسف فاستولدها الحسن والحسين فقلت ما أعرفك بالمقالة والانساب قال وماخفى عنك أكثر قلت أتحفظ القرآن قال نعم قلت فاقرأ شيأ منه فقال بسم الله الرحمن الرحيم واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فصفعته صفعة سقطت عمامته وبقى التحنك فى عنقه فصاح بالناس قلنسوتى وقال اجاوه الى المحتسب فأوصلونى الى رجل حاسر حاف قد لبس دراعة بلاسراويل فقال ماصنع هذا قالوا صفع امام الجامع قال ياسكين اهلكت نفسك قلت هذا حكم الله فصبرا عليه قال ايما أحب اليك سمل عينيك أو قطع يديك أو تدفع نصف درهم قال فرفعت يدى وصفعت المحتسب صفعة ثم أخرجت الدرهم من فى وقلت ياسيدى خذ نصف درهم لك ونصف درهم لامامك وقال فيهم بعض الشعراء

لانهم أهل حمص لاعقول لهم * بهائم غير معدودين فى الناس

وينزلها فى القديم أهل اليمن ولم يكن فيها من مصر الا ثلاثة أبيات وكان لهم امام من مصر فغضبوا عليه وعزلوه فقال فيهم ديك الجن يهجوهم

سمعوا الصلاة على النبى تلا لوا * فتفرقوا اشيعا وقالوا الالا
ثم استمر على الصلاة امامهم * فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
ياأهل حمص توقعوا من عارها * خزيا يحل بكلكم ووبالا
شاهت وجوهكم وجوها طالما * رغمت معاطسها وساءت حالا

(قوله أصطاف) أى أسكن فى الصيف (وأسبر) أختبر و (الرقاعة) تجاوز الحد فى الوقاحة وصلابة الوجه (والبقعة) القطعة من الارض وكذلك (الرقعة) و (انقض) النجم (للرجم) اذا استطار لرجم الشياطين وأراد انه أسرع اليها بسرعة الخيل كسرعة النجم المنقض قال خلف الاحمر

كالكوكب الدرى منهلا * سيرا يفوت الطرف أسرعه
وكأنما جهدت أليته * أن لاتمس الارض أربعه

وقال ابن الرومى

خذها بوعالمن أولى مسومة * كانها كوكب فى اثر عفريت

لاصطاف ببقعتها وأسبر
رقاعة أهل رقعتها فأسرعت
اليها اسراع النجم اذا
انقض للرجم

وما أحسن قول ابن المعتز في هذا المعنى

كأنما النجم والغفريت مسترقا * للسمع ينقض يلقي خلفه لهبه

كفارس حل من عجب عمامته * فردها كلها من خلفه عذبه

(قوله خيمت) أي اقت وأصله ضربت خيمة (رسومها) آثارها (روح نسيمها) لذة ريحها (لمح طرفي) أبصرت عيني (هريره) صياحه وقد هر الكلب هريرا اذا نبح وحمل على من أنكره و(غريره) شبابه والغرة صغر السن ومعناه أقبل شره وسوء خلقه وأدبر صباه وحسن خلقه ولما كانت خليقته في هذه المقامة منبسطة مع صبيانه صار هذا التفسير فيه بعد وقال بعضهم أقبل هريره أقبل هرمه ويبسه من هر الشوك اذا اشتد يبسه حتى صار كأنياب الهر وهذا يوافق الغرض فمعناه أقبل هرمه وكبره وأدبر صباه وصغره ومثله كالبت الابل شجر الشوك اذا رعته كأنها رعت فيه أنياب الكلاب لصعوبته والغرير أيضا الضامن ويكنى به هنا عن الشباب كأنه ضمن لصاحبه طول الحياة المفقود معناها في الهرم و(الصنو) الاخ الشقيق وأصل الصنو في النخيل والشجر وهي التي تجتمع أصولها وتفترق أجسادها (الحرص) الرغبة والطمع (أخبر) أجرب (بش) استبشر والبشاشة اظهار السرور وبسط الوجه (وافيته) أتيته (جنى نطقه) ما يجنى من كلامه ويحصل منه (أكنه) أتعرف وأتحقق (كنه) قدر وحقيقة * ابن الانباري الحمق عند العرب الخرق ثم أخذ منه الاحمق وهو المتغير العقل * فما يحكى من حماقتهم كان حمزة المعلم متقلنسا فأنشد فيه أبو جعفر الحاكم

أرى على حمزة المقرى قلنسوة * عساكر القمل تجري في حواشيها

ان المعلم لا تخفى حماقته * ولو تقلنس بالدنيا وما فيها

تقلنس لبس القلنسوة * الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك وعقل مائة حائك عقل خصي وعقل مائة خصي عقل صبي قال الشاعر

معلم صبيان وصاحب درة * وليس له عقل بمقدار ذرة

الفنجديهي قال أبو طاهر عقل امرأتين كاملتين عقل رجل وعقل أربعة خصيان عقل امرأة وعقل أربعين حائكا عقل خصي وعقل أربعين معلما عقل حائك * الزبير بن عبد الملك الهاشمي قال مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى فرأيته يصلي بالصبيان صلاة العصر فلم أزل واقفا أفكر فيه فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه لينظر ما يصنع الصبيان خلفه فرأى صبيا يلعب فقال له وهو راكع يا ابن البقال هوذا أدري ما تصنع * الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب على لوح صبي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فقلت ويحك أدخلت سورة في سورة فقال نعم عافاك الله ان أبا العاص نظرأمه يدخل أجرة شهر في شهر وأنا أينما أدخل آية في آية فلا أنا آخذ شيأ ولا الصبي يتعلم شيأ * أبو بكر القبطي عبرت على معلم وهو يملي على غلام بين يديه فريق في الجنة وفريق في السعير فقلت يا هذا ما قال الله مثل هذا شيأ انما هو في السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني فقلت معرفتك بالقراء أعجب الي وانصرفت * وروى بعض الفضلاء قال مررت في بعض قرى السواد اذا معلم صبيان

فبين خيمت برسومها
ووجدت روح نسيمها لمح
طرفي شيخا قد أقبل هريره
وأدبر غريره وعنده عشرة
صبيان صنوان وغير
صنوان فطلوعت في قصده
الحرص لاخبره أدباء حص
فبش بي حين وافيته وحيا
بأحسن تحيته فجلست
اليه لابلو جنى نطقه
وأكنه كنه حمقه

(ذكر المعلمين)

يقول ويحكم ياصبيان تفسون فصاح به واحد منهم وقال انما فسا أخي فقال المعلم انى لأعلم فسوته الخبيثة ولكن أعلل نفسي بالاباطيل ثم قال انى لأعرف فساءكم كما أعرف أصواتكم وحلف على ذلك ثم أنشد

معلم صبيان يروح ويغتدى * على أنفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم أصواتهم فى سمائهم

* الجاحظ كان فى المدينة رجل معلم صبيان يفرط فى ضربهم فلاموه على ذلك فساءنى حاله معهم فاستفتح صبي وقال يامعلم وان عليك اللعنة الى يوم الدين مابعده فقال المعلم بل عليك وعلى والديك لعائن الله تترا وجاء آخر فقال يامعلم اخرج منها فانك رجيم مابعده قال ذاك أبوك الكشخان وجاء آخر فقال يامعلم مالنا فى بناتك من حق مابعده فقال لا ولا رأيتهن فقال على هذا أضربهم أتعذروني قلت نعم * العتبي كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد المشايخ فدخلنا عليه فقلنا ياشيخ مايحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان فقال أنا مبتلى بهم ما أشتم الا من يستحق الشتم فاحضروا حتى تسمعوا بعض ما أنا فيه فحضرنا معه فقرأ عليه صبي عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون مايؤمرون فقال ياماص بظر أمه فليس هؤلاء ملائكة ولا اعراب ولا اكراد شهرزور قال فضحكنا والله حتى بال أحدنا فى سراويله فقرأ عليه آخر لا تنفقوا الا من عند رسول الله وتردد فقال من عند أبيك القرنان أولى فانه أكثر مالا يا ابن الفاعلة أتلزم النبي صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه أأعجبك كثرة ماله فقال فكنت بعد ذلك اترك اشغالى واجلس عنده اتعجب * الجاحظ سرق صبي عثمانى مصحفا فقال له المعلم ماذا لقيت المصاحف منكم يا آل عثمان أبوك احرقها وانت تسرقها * قال أفلح التركى خرجنا مرة الى حرب لنا ومعنا معلم كان يقول أنا اتمنى أن ارى الحرب كيف هى فأخرجناه معنا فأول سهم جاء وقع فى رأسه فلما انصرفنا دعونا له معالجا فنظر اليه وقال ان خرج الزج وفيه شئ من دماغه مات وان لم يخرج عليه شئ من دماغه لم يكن عليه بأس فسبق اليه المعلم فقبل رأسه وقال بشرك الله بخير انزعه فما فى رأسي دماغ فقال الطبيب وكيف ذلك قال لانى معلم كتاب الله تعالى ومافى رؤس المعلمين ذرة من دماغ ولو كان فيه ذرة من دماغ ما كنت ههنا وقال موسى بن حسان الكاتب رأيت بالبصرة معلما قد اجلس اولاد الاغنياء للظل وأولاد المساكين للشمس وهو يقول لأولاد الاغنياء يا اهل الجنة ابزقوا على اهل النار يعنى أولاد المساكين فقلت ياهذا امابال هؤلاء يبخسون فقال هؤلاء يبخسون الأخطار * احمد بن دليل مررت بمعلم يضرب صبيا ويقول والله لاضربنك حتى تقول لى من حفر البحر فقلت أعزك الله والله لا أدرى أنا من حفر البحر فقل لى حتى أتعلم أنا فقال حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام * أبو العنبس كان فى دربنا معلم طويل اللحية فكنت أجلس اليه كثيرا وأتلهى به فجئته يوما وبين يديه صبي يقول له ويلك الدجلة من حفرها قال عيسى بن مريم قال فالجبل من خلقه قال موسى بن عمران قال فالبعر من دوره فى است الجمل قال شيطان يقال له الحى قال احسنت فآدم من ابوه قال نوح قال بخ بخ نجوت والله فقلت ياسبحان الله أليس آدم ابا البشر قال نعم قلت فكيف يكون نوح اباه قال ويلك اتعرفنى بآدم وانا ابو عبد الله المعلم ياصبيان كرفسوه فكرفسوني حتى صيروني مقيدا فحلفت ان لا اقف على معلم ابدا *

(ذكر التأديب)

*» الجاحظ اتت امرأة الى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبى عاق لا يطيعنى فأحب ان تفزعه فأخذ المعلم لحيته والقاها فى فمه وحرك راسه وصاح صيحة ففزعت المراة من الفزع وقالت انما قلت لك فزع الصبى ليس اياى فقال لها مرى ياحمقاء ان العذاب اذا نزل هلك الصالح والطالح * الاصمعى مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا ثم اقام الصبيان صفا وجعل يدور عليهم و يقول اقرؤا فلما بلغ الصبى المضروب قال لآخر الى جنبه قل له يقرأ فانى لا اكلمه *(ونذكر)* هنا فى التأديب والادباء ما يكون من شكل هذا الموضع ثم نتبع عند ذكر الغلمان الحسان من الاشعار ما يجرى كالبيان والتفسير لاحوالهم بعون الله تعالى «* قالت الحكماء من أدب ولده صغيرا اسر به كبيرا ومن أدب ولده أرغم حاسده * وقال ابن عباس من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب * وقالوا أطبع الطين ما كان رطبا وأغرز العود ما دام لدنا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم فى صغره كالنقش على الحجر والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء * وسمع الاحنف التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر فقال الكبير اكبر عقلا ولكنه اشغل قلبا * وقال على رضى الله تعالى عنه قلب الحدث كالارض الخالية اذا ألقى فيها شئ قبلته * وقالوا انشاط الالباب فى عصر الشباب والسود دمع السواد وشواظ النار قبل الرماد وقال الشاعر

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

(وقال آخر)

ان الكبير اذا تناهى سنه * اعيت رياضته على لرواض

فاذا دفعت الى الصغير فانما * تكفيك منه اشارة الايماض

وقال آخر * ومن العناء رياضة الهرم * وأنشدوا * أبعد شيبك هذا تبتغى الادبا * وقال الشاعر فى تدريج الصبى برفق

سددمرامى الطفل فى شانه * بلفظة تشدد بها أزره

واغتنم اللمحة من فهمه * ان المبادى أبدا نزره

كما ترى النار من شعلة * والدوحة الغناء من بذره

وهذا ضد ما قال المعرى

لا يستوى ابنا لك فى خلق ولا خلق * ان الحديدة ام السيف والجلم

فاضرب وليدك وادلله على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم

فرب شق برأس جر منفعة * وقس على نفع شق الرأس بالقلم

اشار الى قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال صالح بن عبد القدوس

وان من ادبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء من غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى ابصرت من يبسه

والشيخ لا يترك اخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

اذا ارعوى عاوده جهله * كذى الضنى عاد الى نكسه

ما يبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عتبة بن أبى سفيان لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ماصنعت والقبيح عندهم ماتركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولاتتركهم فيه فيهجروه وروّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى آخر حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى السمع مشغلة فى الفهم وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الادباء وهددهم فى أدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء واستزدنى بزيادتك اياهم أزدك فى برى واياك أن تتكل على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك لى *وأوصى الرشيد مؤدب ولده الامين فقال ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروّه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وامنعه الضحك الافى أوقاته ولا تمر بك ساعة الاوأنت مغتنم فيها فائدة تفيدها اياه من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقوّمه مااستطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما وقال للاصمعى ياعبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لاتعلمنا فى ملا ولاتسرع بتذكيرنا فى خلا واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد الا أن نستدعى ذلك منك

(ذكر المتهمين من المعلمين)

* الماوردى اذا كان لبعض الملوك رغبة فى العلم فلا تجعل ذلك ذريعة للانبساط عليه والادلال وكتب شريح الى معلم ولده

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها * يبغى الهراش مع الغواة الرجس
فاذا همت بضربه فبدرّة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واذا أتاك فعضه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الاكيس
واعلم بأنك ماأتيت فنفسه * مع مايجرّعنى أعز الانفس

*(فن آخر هزلى فى المتهمين من المعلمين) * اتصل حماد عجرد بالربيع يعلم ولده فكتب اليه بشار

ياأبا الفضل لاتنم * وقع الذئب فى الغنم
ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الادم
ان خلا البيت ساعة * تجمع الميم بالقلم

فطرده الربيع * واتخذ المهدى قطربا للتأديب بعض ولده وكان حماد يطمع فى ذلك فلم يتم له لتهتكه وشهرته فى الناس بما قال بشار فلما تمكن قطرب من موضعه صار حماد كالملقى فجعل يقوم ويقعد فلقائم دس الى المهدى رقعة فيها

قل للامام جزاك الله صالحة * لايجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غرّ وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم مافى السخل من طيب

فقال المهدى انظروا لايكون هذا المؤدب لوطيا ثم أخرجوه من الدار فبعث الفجر حمادا حيث حرمه بشار هذه المراتب الى أن قال فيه

لقد صار بشار بصيرا بدبره * وناظره بين الانام ضرير

له مقلة عمياء وأست بصيرة * الى الاير من تحت الثياب تشير
على وده ان الحمير تنيكه * وان جميع العالمين حمير

وقال فيه
ألا من مبلغ عنى الـ * ـشذى والده برد
اذا ماذكر الناس * فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القرد * اذا ماعمى القرد

وقال فيه
دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك ابن برد نكت أمك من برد

وكان عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد لوطيا زنديقا وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت جيل الوجه شاعرا فدخل على عبد الصمد فراوده فى نفسه فسبه وخرج مغضبا فدخل على هشام بن عبد الملك وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

(فقال هشام ولم قال)

انه قد رام منى خطة * لم يرمها قبله منى أحد

(قال وما هى قال)

رام جهلا بى وجهلا بأبى * يدخل الافعى الى غيل الاسد

فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم أنكر عليك وكان سعيد ومشذ صغيرا فى المكتب ومؤدبه عبد الصمد هذا فلما راوده عن نفسه شكاه الى هشام وأبدع فى الكناية ورقق هذا المنكر الاكبر بلفظ يقابل به خليفة وغاية ذوى الحنكة من الخطباء محاكاة براعته واستعارته وليس ببدع فهو من بيت ثلاثة شعراء فى نسق وكان هذا الشعر سبب ابعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء (قوله مالبث) أى ماأقام ولا تأخر (كبر أصيبيته) أى أكبرهم وكبر ولد الرجل أكبرهم من الذكور وكبر قومه أقعدهم فى النسب أى أقربهم الى الجد الاكبر ومنه قيل الولاء للكبر أصيبيته تصغير أصبية قال الجوهرى الصبى الغلام وجمعه صبية وصبيان وهو من الواو ولم يقولوا أصبية ولا أغلمة استغنوا عنهما بصبية وغلمة وجاء فى الشعر أصيبية وقال سيبويه تصغير صبية أصيبية وتصغير أصبية صبية وكلاهما على غير قياس * ابن سيده عندى أن صبية تصغير صبية وأصيبية تصغير أصبية ليكون كل شئ منهما على بناء مكبره (العواطل) التى لانقط فيها (عماطل) تؤخر انشادها (جنا) برك (ليث) أسد (ريث) بطء وتأخير (أورد الآمل) أى أعط الراجى (ورد السماح) ماء الكرم (صارم) قاطع (المها) جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وأراد النساء (الكوم) جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام (اسع) اجر مسرعا (محل سما) منزل ارتفع (والعماد) قائمة الخباء واذا علت علا البيت (ادراع) لبس الدروع و(المراح) الطرب والنشاط كأنه يقول لاتشتغل باللهو واشتغل بكسب الشرف (حسو الطلا) شرب الخمر (السودد) الفعل الذى يرجع به فاعله سيدا (مراد) بفتح الميم مذهب وطريق وأصله موضع اختلاف الابل مقبلة ومدبرة وهو المرعى (رود) جارية ناعمة شابة و(الرداح) العظيمة العجز وهو كما قال أبو نواس

لئن خلق الانام لحب كأس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لباس أولمجد أولجود

فما لبث ان أشار بعصيته الى كبر أصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر أن تماطل جثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح * وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها * وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما * عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا * ولا مراد الحمد رود رداح

(واها) عجبا (ما) بمعنى الذى (مطاح) هالك بالعطاء (صراح) ظاهر (راحا) كفا (راح) الثانى خمر (سوده) شرفه وجعله سيدا (سره) باطنه (ردعه) كفه (أهواءه) شهواته (والطماح) ارتفاع النظر (العور) جمع عوراء وهى الفاقدة احدى عينيها (مهور) جمع مهر وهو الصداق وأعمل عله فيما بعده من الكلام وضرب العور والصحاح مثلا للافعال الجميلة والذميمة فأراد أن تميزه بين الاشياء المتضادة وعلمه ان مهر القبيحة العوراء لا يبلغ مهر المليحة الحسناء جعله محمودا حاسدا ومثل هذا الشعر الذى لم ينقط ما أنشد أبو القاسم الزجاجى لاحمد بن الورد

علم العدو ملامة اللوام * ودوام صدك وهو صد حام
لولاك ما حدر السهاد دموعه * ولما أطار كراه حر أوام
هل ما أسر وما أؤمل رادع * هول الهموم وروعة الاحلام
رد السلام وما أراك مسلما * ورآك أهل هواك سر كلام
كم حاسد لك أو مسر وداده * ومعلل أهواه طول ملامى

وهى قصيدة نحو الثمانين بيتا وما زال المحدثون يظهرون اقتدارهم فى هذا الفن الا أنه قلما يقع فى ذلك بيت مستحسن فلذلك تركنا أن نحشى مع أشعار هذه المقامة فيما يماثلها وقد أكثر الناس القول فى ذلك وفائدته أن يقال قدر على لزوم ما لا يلزم لا أن يقال قد أحسن فيما قال وقد أنشد أبو القاسم أيضا أبياتا لا تنطبق عليها الشفاه منها

أنيلك يا جزل العطية انا * رأيناك أهلا للعطايا الجزائل
عقيل الندى يا جار عدنا عقيلة * نعدك انجاء الحسان العقائل

(قوله أحسنت يا بدير) تصغير بدر صغره لصغر سنه على أنه قد زعم أنه كبير صبيانه وفى مثل هذا البدر الذى قد نثر هذه الدرر قال الشاعر

دران من فمه شفا محدثه * للنثر والنظم مسموع وملتثم
قد قلت لو قبل الوعظ المبين له * خف المهيمن فينا ايها النسم
فقال من ضرجت خدى نظرته * فان سيف جفونى منه ينتقم

(يا رأس الدير) يا عظيم القوم والدير موضع القسيسين أراد به حلقة أصحابه (تلوه) التابع له أو الجالس الى جانبه (صنوه) أخوه الذى على قدر سنه (ادن) أقرب (نويرة) تصغير نار شبه فى حدته وذكائه بها أو فى حسنه وبهائه و(الدويرة) تصغير دارة وهى حلقتهم التى اجتمعوا فيها فكأنه قال يا قمر فى أصحابه *ومما قيل فى غلام كاتب سأل الثعالبى أبا الفضل الدارمى أن يصف له غلاما كاتبا حسن الخطين خطى اليد والوجه فقال

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسه
سلط خديه على مهجتى * فاستأصلاها وهى من غرسه
فلست أدرى بعدما حل بى * بمسكه أتلف أم نفسه

وقال فى ذلك

وشادن أسرف فى صده * وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسجا يربو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدر فى عقده

واها لحر واسع صدره
وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله
وماله ما سأل ومطاح
ما أسمع الآمل ردا ولا
ماطله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا
ولا كسا راحاته كاس راح
سوده اصلاحه سره
وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه
ما مهر العور مهور الصحاح
فقال له أحسنت يا بدير
يا رأس الدير ثم قال لتالوه
المشتبه بصنوه ادن يا نويرة
يا قمر الدويرة فدنا

(ما قيل فى الغلمان الكتاب)

نخلت ماقد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

ولابن رشيق كتبت ولو أنني أستطيع * لاجلال قدرك دون البشر
قددت اليراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

وله أيضا عزيز يبارى الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نصيب
يزف اليه ضاحكا أقحوانه * ويهتز فى برديه منه قضيب

(ولابن المعتز فى العذار المشبه بالحروف)

بايت بشادن كالبدر حسنا * يعذبنى بأنواع الدلال
غلالة خده ورد جنى * ونون الصدغ معجمة بخال

وله أيضا كأن خط عذار فوق وجنته * ميدان آس على ورد ونسرين
وخط فوق حباب الدر شاربه * بنصف صاد ودار الصدغ بالنون

وله أيضا له من عيون الوحش عين مريضة * ومن خضرة البستان خضرة شارب
كأن غلاما حاذقا خط له * فجاء كنصف الصاد من خط كاتب

وقال آخر تعلم العطف من صدغيه فانعطفا * وكان عادته أن لا يفى فوق
دب العذار على ميدان صفحته * حتى اذا هم أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد به * أراد يكتب لاما فابتدى ألفا

(وقال أبو القاسم بن المغربى)

ولما احتوى بدر الدجى صحن خده * تحير حتى مادرى أين يذهب
كأن انعطاف الصدغ لام أمالها * أديب يجيد الخط ابان يكتب

فهذه الاشعار المستعذبة التى بها تعلق بالغلمان الذين يذكر أنهم كتاب من جهة حسنهم واعتدال قدودهم وتوريد خدودهم وتطريزها بالعذار أحسن من ذكر شعرك وهى ليس فيه شئ من الانس للنفس (قوله تباطا) أى تأخر وأصله الهمز (المعاطى) الذى تعطيه كأس الخمر و يعطيها لك وقد عاطيته وعاطانى وقد تعاطى فلان كذا أى تناوله وأخذه من قولهم عطوت اعطو عطوا أى تناولت (العرائس) جمع عروس وسماها عرائس لما فيها من التزيين بالنقط وكانت زينة العروس عند العرب ان تنقط فى خديها نقط صغار بالزعفران فلذلك سمى هذه عرائس لنقطها وسمى التى قبلها عواطل لعدم نقطها (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع القدر يريد أنه لما لزمها مالم يلزم ضعفت وقد ذكرنا أن الغرض بمثل هذه الاشعار اظهار الاقتدار وعلى ما ذكر أنها غير نفائس فهى أحسن مما عمل فى بابها وما أحسن ماقال ديك الجن فى جاريته

انظر الى شمس القصور وبدرها * والى خزاماها ونفحة زهرها
لم تبل عينك أبيضا فى أسود * جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها * من نعتها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من خدها * وردية ومدامة من نغرها

(ولابن الرقاق)

ولم يتباطأ حتى حل منه مقعد المعاطى فقال له اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس فبرى القلم

تضوّعن اشراقا وأشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم

لئن كنّ زهـرا فالجوانح أبرج * وان كنّ زهرا فالقلوب كمائم

(قوله قط) قطع وقيل القط القطع عرضا والقد القطع طولا (احتجر) جعله فى حجره (خط) كتب (فتنتنى) أى عذبت قلبى (جننتنى) أى صيرتنى مجنونا (تجنى) اسم امرأة والتجنى الدلال والتيه وللبحترى

اذا خطرت تأرج جانباها * كما خطرت على الارض القبول

ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

(شغفتنى) بلغ حبها شغاف قلبى والشغاف حجاب القلب (ظبى) غزال (غضيض) منكسر الطرف فاتر العينين و(الغنج) تكسير الكلام وتخنيثه وهو المجانة (يقتضى) يتضمن (تفيض جفنى) سيلان عينى ومما قيل فى مرض العينين وحسن فيه التشبيه قول البحترى

غداة تثنت للوداع وسلمت * بعينين موصول بجفنيهما السحر

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

(وقال ذو الرمة)

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وقد تقدم جملة من هذا (غشيتنى) أتتنى على غفلة (شفتنى) أنحلت جسمى و(الزى) الهيئة الحسنة من اللباس (يشف) يفضل (تثن) اهتزاز وانعطاف (تطنيت) حسبت (تجتبينى) تختارنى (بنفث) بلفظ وكلام و(الجيب) القلب (يبغى) يطلب (تشفى ضغنى) ازالة عداوتى (نزت) وثبت (تجنى) بعدى (تثنى) ردتنى (نشيج) صوت البكاء (يشجى) يحزن (بفن فنن) بنوع فنوع (حبره) زينه (زبره) كتبه (طلا) غزال (لاولا) يعنى الزيتون ومن كلام العامة بورك فيك كما بورك فى الزيت وأراد بلا ولا قوله تعالى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية فأخذ من الآية لا ولا واكتفى بهما * الفنجديهى يحكى ان بعض الناس ظهرت به علة مزمنة شديدة أعيا الاطباء علاجها فلما أيس رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فشكا اليه علته المزمنة فقال له عليك بلا ولا فقص رؤياه على ابن سيرين فقال له ان صدقت رؤياك فانه صلى الله عليه وسلم أمرك بتناول الزيتون فتناولها الرجل فبرئ من علته فقال لابن سيرين من أين قلتها قال من قوله تعالى زيتونة لا شرقية ولا غربية المعنى من زيت شجرة مباركة زيتونة لا شرقية اى ليست تطلع عليها الشمس فى أول النهار فقط ولا غربية أى عند الغروب فقط أى لا يستترها من الشمس فى وقت من النهار شئ فهو أنضر لها وأجود لزيتها وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادّهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة (قوله هتف) صاح (قطرب) خفيف النوم والقطرب دويبة تمشى بالليل وجنية تبرك على الانسان فيجد لها ثقلا والعامة تبدل طاءها تاء والعرب تسميها النئدلان والكابوس والجاثوم وتسميها أهل بغداد البيت (دجية) ظلمة (دمية) صورة رخام وجمعهما دجى ودمى وكان صورة هذا الغلام الذى ذكر الشاعر

بدا فبدا من وجهه البدر طالعا * لدى الروض يستعلى قضيبا منعما

وقد أرسلت أيدى العذارى بخده * عذارا من الكافور والمسك أسحما

وقط ثم احتجر اللوح وخط
فتنتنى فجننتنى تجنى
بتجن يفتن غب تجنى
شغفتنى بجفن ظبى غضيض
غنج يقتضى تفيض جفنى
غشيتنى بزى بتين فشفتنى
بزى يشف بين تثنى
فتطنيت تجتبينى فتجزيت
ى بنفث يشفى تخيب ظنى
ثم تثنت فى غش حيب بتزييـ
ن خبيث يبغى تشفى ضغنى
فنزت فى تجنى فثنتنى
بنشيج يشجى بفن ففن
فلما نظر الشيخ الى ما حبره
وتصفح ما زبره قال له بورك
فيك من طلا كما بورك فى لا
ولا ثم هتف اقرب يا قطرب
فاقترب منه فتى يحكى نجم
دجية أو تمثال دمية فقال
له ارقم الابيات

وأحسب هاروتا أطاف بطرفه * يعلمه من سحره فتعلما
ألم بنا في دامس الليل فانجلى * فلما انثنى عنا وودع أظلما

والابيات للامير أبي الحسن أحمد بن عضد الدولة وقال أبو اسحق الحصري مؤلف كتاب الزهر

عليل طرف سقيت خمرا * من مقلتيه فت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماء * مازج فيه العتيق درا
يحرك الدل منه غصنا * ويطلع الحسن منه بدرا
قد نم مسك بعارضيه * خلف للعاشقين عذرا

(قوله الاخياف) أي المختلفة وقوله (فأخذ القلم ورقم) كان أبا اسحق الحصري اياه عنى بهذه الابيات اذا بدا القلم الاعلى براحته * طرزا لرداء الفخر بالخط لم
رأيت أسود في الابصار أبيض في * بصائر لحظها للفهم غير عمي
كروضة خطرت في وشي زهرتها * وافتر نوارها عن ثغر مبتسم

وكان الحسن استعار منه الدواة والقلم حيث قال

يا ريم هات الدواة والقلما * أكتب شوقي الى الذي ظلما
غضبان قد غرني رضاه ولو * يسأل فيما غضبت ما علما
لو نظرت عينه الى حجر * ولد فيه فتورها سقما
فليس ينفك فيه عاشقه * في جمع عذر لغير ما اجترما
علقت من لو أوى الى أنس الـ * ـماضين والغابرين ما ندما

(قوله اسمح) جد (بث) نشر (آملا) راجيا (تضيف) طلب منك أن تضيفه (فن) أي بفنون من السؤال (ضنين) بخيل (تقشف) ترك النظافة (يغضي) يتغافل (نشف) واسع والنفنف متسع الارض (ثبت) صادق الود ويروى نث أي نشر (تبغ) تطلب (تزيف) تنقص وصار زائفا وهو الدرهم الردي ء (قوله كلت) أي حفيت (مداك) سكاكينك جمع مدية (الغشمشم) الذي لا يرده شيء عن مراده (عطر منشم) قيل كانت منشم جارية عطارة بالجاهلية حين خرجوا للقتال فتقاتلوا عن آخرهم فضرب بها المثل في الشؤم وقيل بل الاشارة الى عطارة أغار عليها قوم فأخذوا عطرها فتطيبوا به فاستغاثت بقومها فخرجوا في طلبهم فمن شموا عليه رائحة الطيب قتلوه ومن أوله على هذا قال عطر من شم فجعلوه من كلمتين وقيل الكناية عن قرون السنبل الذي يقال انه سم ساعة وذكر ابن الكلبي انها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر فتطيب بعطرها قوم وتحالفوا على الموت فماتوا وقال غيره بل هي صاحبة يسار الكواعب وكان عبدا أسود مشوه الخلقة راعي ابل فتى رأته النساء فضحكن منه فتوهم أنهن يضحكن من اعجابهن بحسنه فقال له رفيقه انا يسار الكواعب ما رأتني جارية كاعب الا وعشقتني فقال له رفيقه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فأبى وراود مولاته عن نفسها فقالت له مكانك حتى آتيك بطيب أشمك اياه فأتته بموسى فلما أدنى أنفه ليشم الطيب جدعته ويقال انه لما راودها قالت له أمهلني حتى تأتيني بذفرك وسحك ادن حتى اعطرك فأدخلت يدها تحته وفيها موسى لطيفة قد أعدتها له فقبضت على ذكره وخصيتيه فاقتطعت الجميع فخرج فمن رآه على تلك الحالة قال له ما هذا فيقول

الاخياف وتجنب الخلاف
فأخذ القلم ورقم
اسمح فبث السماح زين
ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال
فنن أم في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقى
مال ضنين ولو تقشف
واحلم فخفض الكرام يغضي
وصدرهم في العطاء نفنف
ولا تخن عهد ذي وداد
ثبت ولا تبغ ما تزيف
فقال له لا شلت يداك ولا
كلت مداك ثم نادى
يا غشمشم يا عطر منشم

عطر من شم وقيل كانت تبيع الحنوط وهو عطر الموتى وقيل المنشم الشر نفسه وقيل المنشم ثمرة سوداء منتنة وقيل فيها غير ما ذكر وذكر الحريري في الدرة أكثر هذه الوجوه وذكر أن كسر شين منشم أكثر وأشهر ويروى بفتحها (قوله المتائيم) جمع متئم وهي التي من عادتها أن تلد توأمين ولما كانت أبياته لا يوجد فيها الا الالفاظ المزدوجة سميت متائيم وقيل المتائيم جمع توأم على غير قياس (المشائيم) جمع مشآم وهو الكثير الشؤم وشبهه بدرة غواص في بياضه ورقة ديباجه و(جوذر قناص) هو الظبي الفاتر العينين والقناص الصياد فكأنه بصط ادبعينيه من نظر وان أضفت جوذر الى القناص فمعناه مستقيم فيصفه بالخوف وكثرة التلفت خشية ان يصاد وما أحسن ما قال صاحبنا الوزير الحسيب أبو المطرف الزهري في هذا المعنى وكان جالسا في باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فين نظرتهما على غفلة نفرت بخلة فزعة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب سكنها * خوفا الختلي أو عمد التعدي
لتأمني فابن عبد الحي ألحقنا * عدلا يؤلف بين الظبي والذيب

وكان ابن رشيق وصف هذا الغلام الكاتب حيث قال

وفاتر الاجفان ذي وجنة * كأنها في الحسن ورد الرياض
قلت له يا ظبي خذ مهجتي * داوي بها تلك الجفون المراض
فجاوبت من خده خجلة * كيف ترى الحمرة فوق البياض

وقال أيضا

بين اجفانك سحر * ولاغصانك بدر
جردت عيناك سيفا * من اذا أمرك امر
فعلى خديك من نز * ف دما العشاق أثر
ومن الكثبان شطر * لك والاغصان شطر
وسواء قلت در * ما أرى أو قلت ثغر
وبماذا أصف الخصـ * ـر وما انالك خصر
بك شغلي واشتغالي * ومضى زيد وعمرو

(وقال خالد الكاتب)

قد قلت لما أن بدا متبخترا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وله مما يتعلق بالكتابة)

كتبت اليك بماء الجفون * وقلبي بماء الهوى مشرب
فكيف تخط وقلبي يمل * وعيني تمحو الذي أكتب
فليس يتم كتابي اليك * بشوقي فمن ههنا أعجب

(قوله زينت زينب بقد يقد) انما أراد بقد يقد أي ينقطع لرقة خصره فعوض منه يقد لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج وقال البحتري في القدود

من السمر اللدان اذا اسكرت * وصرف الموت في السمر اللدان

فلباه غلام كدرة غواص أو جوذر قناص فقال له اكتب الابيات المتائيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف زينت زينب بقد يقد

شبيهات الرماح قنى جفون * وكلم في القلوب بلا سنان
فهل من ضربه أو من سنان * كطعن أركنه أو سنان

وقال السرى

قامت وخوط البانة الـ * ـمياس في أثوابها
تسقى بصهباء ين من * ألحاظها وشرابها
ويهزها سكران سكـ * ـر شرابها وشبابها
وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

وقال القاضي أبو حفص بن عمر

هذا فؤادي أقصدته الاسهم * من ذا يرى ملك الماء ورن ويسلم
ياغرة حكم الجمال لها على * شمس الضحى وأصاب ديباجكم
يحكي الجماذر جيدها ولحاظها * شبهات دون العالمين * م
وكأن قامتها ونغمة لفظها * غصن على سه بابـل يترنم
يضحى الحلى اذا رآها عاشقا * والعقل يرتد الحاظ النوم

وتلاه ويلاه منهد نهد

وما أحسن ما قال أبو الحسن بن القبطرية

ذكرت سليمى وحر الوغى * كقلبي ساعة ودعتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد مال نحوى فعانقتها

(قوله تلاه) أي تبعه (ويلاه) دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهدا لا يصبر عمه * ومما من التشبيهات الحسان في أوصاف النهود قول عمرو بن كلثوم

وثديا مثل حق العاج رخصا * مصانا من أكف اللامسينا

بشار

والنهد تحسبه وسنان أو كسلا * وقد تمايل ميلا غير منكسر

ابن الرومي

صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
يقول القائلون اذا رأوه * أهذا الدر من هذى الحقاق

(وأخذه من قول عبد الله بن السبط)

كأن الثدى اذا ماندت * وزان العقود بهن النحورا
حقاق من العاج مكنونة * يسعن من الدر شيأ يسيرا

(ولادريس اليماني)

أيا ربة النهد الذي بستانه * يحط فتى الهيجاء عن فرس نهد
أحقان من عاج بصدرك أم هما * رقيبان قد قاما على جنة الخلد

(ومن البدائع الروائع قول الآخر)

وذات دلال سبت مهجتى * بمستشرفين على مرمر
كأنهما خرط كافورة * بأعلاهما نقط العنبر

(وللقاضي عبد الوهاب ويروى لغيره)

ياصاحبي قبالى خمصانه * مالت فمال الغصن من أعطافها

في الصدر منها الطعان أسنة ، ما أشرعت الا جنى قطافها
ان تنكرا قتلي بهافبينا ، تجد ادمي قد جف في أطرافها

علي بن الجهم

كنت مشتاقا وما يحجزني * عنك الامانع يمنعني
شاخص في الصدر غضبان على ، قتب البطن وطي العكن
يملأ الكف ولا يفضلها ، فاذا ثنيته لا ينثني

(قوله جيدها) أي عنقها كان حبيبا وصف هذه الجارية وجيدها بقوله

كالخوط في القد والغزالة في الشبهجة وابن الغزال في غيده
وما حكاه ولا نعيم له ، في حسنه بل حكاه في جيده

وان كان هذا الجيد عاطلا حليناه بقول ابن العباس الاعمى

ونشت ذاك الجيد أصبح عاطلا * خذي أدمعي ان كنت غضبي على الدر
خذي فانظميها أو كليني لنظمها حليا على تلك الترائب والنحر
خذي اللؤلؤ الرطب الذي لجوابه محارته جفني ولجته صدري
ولا تخبري حور الجنان فربما * غصبنكه بين الخديعة والمكر

(طرف) عين (ظرف) حلاوة ورشاقة وجعل الطرف والعنق جندا لها لانها لما حسنت معنى هذه الصفات انقاد لها عشاقها اذلاء فكأنها أغارت على قلوبهم فاستلبتها وقد قال فيما تقدم *وأحوى حوى رقي برقة لفظه *فجعله قد ملكه بحلاوته وقال حبيب

وحشية ترمي القلوب اذا اغتدت * وسنى فما تصطاد غير الصيد

فجعلها تصطاد السادات بفتور عينيها وهذا المعنى لا يحصى كثرة* وأراد بالناعس الفاتر النظر* وينعش من كان له منه نصيب وتمكن (يحد) يمنع من رآه من التسلي والتصبر (زها) تكبر (والتيه) ضرب من الزهو وهو الكبر (باهت) فاخرت وعظمت (واعتدت) ظلمت (يخد) يقطع أي ان خدها يقطع في القلوب لا سيما ان كان كما قال من أحسن

وبيضاء تحسبها درة تضيء الدجى ان بدت أو تكاد
تنم بالمسك كافورتي * محيا حوى الحسن طرا وزاد
فقلت أوصلك هذا البياض * وبعض صدودك هذا السواد
فقالت أي كاتب المالك * دنوت اليه بحسن الوداد
فخاف اطلاعي على سره * فلم يعد أن رشني بالمداد

فوصفها بان في خديها خيلانا (قوله أرقتني) أي منعتني النوم (شطت) بعدت (سطت) بطشت (نم) أفشى السر أي أفشى ما بي من الحب (وجد) حزن من الحب وهم (جد) اجتهاد (فدنت) قربت (حنت) أشفقت (مغضيا) متغافلا عما ينال منه (يود) يتمنى (يود) يحب يقول لما نم لها وجدي بما أجنه من حبها وأبصرت ما فعل هجرها بي دنت عند ذلك مني شفقة وحنت بسلامها وأنا في حال غضبان لما حل بي من الهجر متمنيا أن تحييني فلما سلمت علي أزالت غضبي وأغضيت عما سلف من الفعل القبيح ونذكر ههنا من الاشعار الحسان مما وافق وصف هذه الجارية جملة مستطرفة قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

جندها جيدها وظرف وطرف
ناعس ناعش يحد يجد
قدرها اقدرها وتاهت وباهت
واعتدت واعتلت يخد يجد
فارقتني فأرقتني وشطت
وسطت ثم نم وجد وجد
فدنت فديت وحنت وحيت
مغضبا مغضيا يود تود

(ماقيل في وصف الجيد)

يزيدني البعد شوقا اليك * وطول صدودك حرصا عليك
ولو كنت أملك ما تملكين * من الدهر ما طال شوقي اليك

وقال آخر
ومأ أنسى لأنسى ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال أبو مطرف الزهرى)

مرت بنا وبدت كالبدر وانفلتت * كالغصن والتفتت كالشادن الخرق
تسربلت برود الحسن والتحفت * بالغنج واشتملت مرطا من الغسق

وقال السرى
لبست مصندلة الثياب فمن رأى * صنما تسربل قبلها أثوابا
وحكت من الظبي الغرير ثلاثة * جيدا وطرفا فاترا واهابا

وله أيضا
مذهبة الخدود بجلنار * مفضضة الثغور باقحوان
سقانا الله من رياك ريا * وحيانا بأوجهك الحسان

(وللقاضى أبى حفص)

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب عقل شاربها المدام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
وأذكر قدها فانوح شوقا * على الاغصان تندب الحمام
وأعقب همها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضا
أعيذك يا سليمى من سليم * قتلت فتاهم وهو الكريم
فمالك طالب بترات نفسى * اذا قتل الغرام فلا غريم
فؤادى سار نحوك عن ضلوع * بها يا ريم حبك لا يريم
ودادك صح في قلب سليم * كطرفك صح ناظره السقيم
اذا أعرضت تسود الامانى * وان أقبلت تبيض الهموم

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لاشل عشرك ولا استخبث نشرك ثم أهاب بفتى فتان يسفر عن أزهار بستان فقال له

(قوله طفق) أى أخذ (يتأمل) ينظر (سطره) كتبه (استصح) وجده صحيحا (والضبط) الشكل والنقط (لاشل عشرك) دعاء أى لا يبست أصابعك و يروى لا ثل عرشك أى لا هدم عزك والرواية الاولى هي الصحيحة (استخبث) فسد وصار خبيثا (نشرك) رائحتك العطرة (أهاب) دعا وصاح (يسفر) يكشف عن وجهه لثامه (عن أزهار بستان) عن بياض الوجه وحمرة الخدين والشفتين وسواد العينين والاشفار وخضرة الشارب والعذار ومحاسن لا تفى بها ناضرات الانوار وقد يكون يسفر بمعنى يتبسم عن بياض شقيق والاقحوان واحمرار عقيق ومرجان وكان هذا الغلام هو الذى ذكر أبو الرقعمق بقوله

اذا جرت يده فى الطرس كاتبة * تبلج الطرس عن در ومرجان
وان تكلم حاته براعته * بكل ما شاء من فهم وتبيان

(وقال بعضهم يصف غلاما كاتبا)

انظر الى أثر المداد بطرسه * كبنفسج الروض المشوب بورده

ماأخطأت نوناته من صدغه * شيئا ولا ألفاته من قدّه
وكأنما ألفاته من شعره * وكأنما قرطاسه من خدّه

(ولعمر بن فتح)

فنوناته من حاجبيه استعارها * ولاماته من صدغه المتعاطف
ومن صدّه المؤذى اسوداد مداده * ومن وصله المحيى ابيضاض الصحائف

(ولابى اسحق الحصرى فى وصف هذا الغلام)

أيا من تمسك الاوصاف عنه * أعنة وصفنا نظما ونثرا
ومن يدعو القلوب الى مناها * بعينيه فلا تأتيه قسرا
ومن يجرى اللآلئ فى أقاح * يمازج ظلمه بردا وخمرا
ويعرض فى رياض الدل غصنا * ويطلع فى سماء الحسن بدرا
كأن بخدّه ذهبا صقيلا * اذاب عليه ياقوتا ودرا

(ومنها فى وصف الكتاب)

قرأت كتابك الاعلى محلا * لدىّ وموقعا شرفا وقدرا
فأحيانى وقد غودرت ميتا * وأنشرنى وقد ضمنت قبرا
نقشت بحالك الانقاش نورا * جلا لعيوننا نورا وزهرا
فدبج من بسيط الفكر روضا * أنيقا مشرق الجنبات نضرا
لو استسقى الغليل به لاروى * أو استشفى العليل به لابرى
هفا عطر الجنوب له نسيم * أقول اذا أناسم منه نشرا
نثرت لنا على الكافور مسكا * ولم تنثر على القرطاس حبرا

(وله فى العذار)

سلبت محاسنه سواد عيوننا * وقلوبنا وكست أديم عذاره
فبدا طرازا فى أسيل مشرق * ماء الحياة يجول فى أسراره
علم الذى استلبت له يد حسنه * منا فنازح أمنه بحذاره
فله توقف مستريب تائب * ولنا تلهب عاجز عن ثاره

(وقال أبو الفضل الدارمى)

ظبى اذا حركت أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غنى بشعرى منشدا ليتنى اللفظ الذى ضمنته شعرى
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولا يدرى

ولمهيار

مشتبه أعرفه وانما * مغالطا قلت لصحبى دارمن
وحاملى على السرور حامل * فى كفه وطرفه سيف الفتن
قد كتب الحسن على عارضه * ما أقبح الهجران بالوجه الحسن

(ولابى اسحق الطليطلى)

ومعذر رقت له خمر الصبا * حيث العذار حبابها المترقرق

ديباج حسن تاه عقلا ناقصا * فأتمها علم الشباب الموثق
وشكا الجمال مقبله في ورده * فاظله آس العذار المشفق
عامت بماء الصقل شامة خده * وجما العذار زوبرقا لا تغرق
ان كان يمحو نقشه من خده * فطلا الغزال بمسكها يتفتق

(قوله المطرفين) أي الغريبين وقد أطرفته جئته بطرفة أي بشئ معجب (نافث) متكلم (تعزز) يقوى ويشتد واذا صلب الشئ قيل تعزز وأصله من العزاز وهي الأرض الصلبة وقال في الدرة ويقولون شفعت الرسولين بثالث فيهمون فيه والعرب تقول شفعت الرسول بآخر أي جعلتهما اثنين ليطابق معنى الشفع في كلامهم وهو اثنان فأما اذا بلغت ثلاثا فوجهه أن يقال عززت بثالث قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والمعنى في عززنه قويته وأعززته جعلته عزيزا فان وانرت الرسل فالاحسن أن تقول قفيت بالرسل قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وما أحسن ما قال ابن شرف في العذار وذكر التعزيز بثالث

قد كنت في وعد العذار فانجزا * وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا
وافى لنصر الحسن الا أنه * ولى الى فئة الهوى متحيزا
عطف تعلم منه قلبي عطفه * وجد الفؤاد به السبيل الى العزا
لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه * حتى اكتسى ثوب الجمال مطرزا
سبحان من أعطاك حسنا بائنا * وبثالث من حسن فعلك عززا

(الوقر) الثقل في الاذن (تلبث) طول اقامة (تريث) اذا احتبس ومكث ويقال تريث بنقطتين وتربث تربثا واحدة والمعنى فيهما واحد (سم) علم (سمة) علامة (سمسمة) حبة جلجلان (المكر) الخداع (تقتني) تكتسب (السودد) الشرف (والمكرمة) الكرامة وممن اشترط أن يتبسه لا يعززن بثالث قبل الحريري أبو دلف حين قال

أنا أبو دلف المهدي بقافية * جوابها يهلك الزاهي من العيط
من زاد فيها الهوحلي وراحلتي * وخاتمي والمدى فيها الى القيط

وذكر الحصري الاعمى المكرمة في تجنيس قوافيه فسمع قوما يقدحون فيه وفي أبي نامصة فقصدهم وقال

يا أدبا ملكتني * في يديه المكرمات
ليت قوما دأبهم في * وفيك المكرمات

وله

رب ظبي هويته * يتقي للهوازنه
قلت ما أثقل الهوى * قال ما للهوازنه

وله أيضا

ان كتمت الهوى فقد * صار سري علانيه
بسقام اذابني * وشحوب علانيه

(أجدت) أتيت بجيد (الزغلول) الخفيف وزغلول الرجل ولده و (الغلول) الخيانة في المغنم وأصله الستر والتغطية تقول غل الشئ غلا وغلولا اذا استره فجعل لحسنه الذي قدم وصفه كأنه يغل العقول أي يمسكها ويخون أصحابها فيها وقالت علية يا غل ألباب الرجال (أوضح) بين

أنشد البيتين المطرفين المشتهي الطرفين اللذين أسكتا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد من غير تلبث ولا تريث
سم سمة تحسن آثارها
واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته
لتقتني السودد والمكرمه
فقال له أجدت يا زغلول فقال له أجدت يا زغلول ثم نادى أوضح يا أبا العلول
يا ياسين ما يشكل من ذوات السين فنهض

ولم يتأن وأنشد بصوت أغن نقس الدواة ورسغ الكف منبته * سيناهما ان هما خطا وان درسا

وهكذا السين فى قسب وباسقة
والسفح والبخس واقسر
واقبس قبسا
وفى تقسست بالليل الكلام
وفى
مسيطر وشموس والتخذ جرسا
وفى قريس وبرد فارس فخذ الصـ
ـواب منى وكن للعلم
مقتبسا
فقال له أحسنت يا نغيش
يا صناجة الجيش ثم قال ثب
يا عنبسه وبين الصادات
الملتبسه فوثب وثبة شبل
مثار وأنشد من غير عثار
بالصاد يكتب قد قبصت
دراهما
يا ناملى وأصخ لتستمع الخبر
وبصقت أبصق والصماخ
وصخة
والقص وهو الصدر واقتص
الاثر
وبخصت مقلته وهذى
فرصة
قد أرعدت منه الفريصة
للخور
وقصرت هندا أى حبست
وقددنا
فصح النصارى وهو عيد
منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا
حذت اللسان وكل هذا
مستطر
فقال له رعاك يا بنى فلقد
أقررت عينى ثم استنهض
ذا جنة كالبيذق ونغشة
كالشوذق وأمره بان يقف
بالمرصاد ويسرد ما يجرى على السين والصاد فنهض يسحب برديه ثم أنشد مشيرا بيديه

(يتأنى) ينباطأ أو يفتر والتانى التثبت وفى الحديث انه نظر صلى الله عليه وسلم الى رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فقال آنيت وآذيت أى أخرت المجىء ويكون يتأنى من قولهم فلان ذو أناة من ونى بنى وتكون الهمزة مبدلة عن واو وهو الاظهر (أغن) فيه غنة وهو البحح الخفيف والاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه (نقس) مداد (رسغ الكف) موصلها من الذراع (والقسب) نوى التمر (باسقة) نخلة طويلة (السفح) أسفل الجبل (البخس) النقص (اقسر) اقهر واغلب (اقتبس قبسا) اطلب شعلة من نار (وتقسست) تتبعت و(الشموس) الدابة التى تمنع ان تسرج وان تركب (جرسا) الذى يضرب به فيصوت (قريس) حوت (فارس) شديد (مقتبسا) طالبا حريصا على كسبه (قوله نغيش) أى كثير الحركة وقيل نغيش تصغير النغاش من الرجال الحقير الخلقة العاية فى القصر فصفة هذا الغلام أنه حقير الخلقة كثير الحركة وقلما تكون تلك الخلقة الا ومعها الحركة والحدة ورواه الفنجديهى نفيش بالفاء أى قصير * ثعلب النغاشون هم القصار الضعاف الحركة ومنه الخبر انه رأى نغاشا فسجد شكرا قال والنغش تحرك الشىء فى مكانه يقال دار تنتغش صبيانا والسنغش دخول الشىء بعضه فى بعض و (صناجة الجيش) التى يضرب بها المثل فى الحروب وقيل الصناجة الضرابة بالدفوف والطنابير وعود الغناء ونحوه من آلات اللهو قال الهذلى وهو ساعدة بن جؤية

فعاودنى دينى فبت كأنما * خلال ضلوع الصدر شرع ممدد
بأوب يدى صناجة عند مدمن * غوى اذا ما ينتشى يتغرد

يصف ما فى صدره من الحرق ودينه حالته التى تعتاده من الهم والشرع الوتر يقول كأنما فى صدرى عود لا وتاره رنة مما أحدث به نفسى من الهموم وأوب يديها رجعهما بضرب الصنج أى بتحريك يديها حين تمر أوتارها وينتشى يسكر ويتغرد يتغنى وفلان صناجة قومه أى المقدم عليهم فى الفضل وقيل صناجة الجيش هو البطل المعروف ويقال ليلة غراء صناجة وصياحة اذا كانت مضيئة وصنج فلان بفلان اذا صرعه وكان أعشى قيس يدعى صناجة العرب لفصاحته وقيل لرقة شعره وقيل الصناجة الغناء ويريد بالجيش الصبية الذين جيشوا حوله فنغيش صناجتهم أى أنبلهم وأحذقهم أو كالصنجة فى خلقته وقصره (ثب) اقفز (عنبسة) اسم أسد و (الشبل) ولده (مثار) مفزع وقد أثير استخرج من مكانه بالبحث عليه (قبصت) أخذت بأطراف أصابعى والقبصة اقل من القبضة (أصخ) استمع (الصماخ) ثقب الاذن (صخة) هى التى يورنبها (والمقلة) شحمة العين و (بخصتها) فقأتها واسلتها (فرصة) نهزة وغنيمة و (الفريصة) بضعة عند الكتف ترعد عند الفزع (الخور) الضعف (قرصته) عضضته بظفرى (حذت) اللسان قرصته بحدتها (مستطر) مكتوب (رعيا) حفظا أى رعاك الله رعيا (استنهض) أمره بالنهوض (جنة) جسد و (بيذق الشطرنج) معروف يشبه به الخفيف الروح الحاذق (نغشة) حركة و (الشوذق) هو الشوذانق من الطير التى يصطاد بها (بالمرصاد) أى قريب منه حيث ينظره (يسرد) يقرؤها بسرعة (يسحب برديه) يجرنو به وقال الحسن يصف مثل هذا الغلام

يا أيها المبطلون معذرتى * أراكم الله وجه تحقيق
ثم بما كنت لا أبوح به * على لسان بالدمع منطيق

ان شئت بالسين فاكتب ماأبينه
وان تشا فهو بالصادات يكتتب
مغس وقس ومسطار ومملس
وسالغ وسراط الحق والسقب
والسامغان وسقر والسويق ومسلاق
وعن كل هذا تفصح الكتب
فقال له أحسنت ياحبقة ياعين بقة ثم نادى يادغفل يا أبا زنفل فلباه فتى أحسن من بيضة فى روضة فقال له ماعقد هجاء الافعال التى آخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لاصم صداك ولا سمعت عداك ثم أنشد ومااسترشد
اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه
فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه
بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثى والذى
تعداه والمهموز فى ذاك يختلف
فطرب الشيخ لما أداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم ياقعقاع ياباقعة البقاع فأقبل فتى أحسن من نار القرى فى عين ابن السرى

شوقا الى حسن صورة ظفرت * من سلسبيل الجنان بالريق
وصيف كأس محدث ملكا * تيه مغن وظرف زنديق
يشوب عزا بذله فله * ذل محب وزهو معشوق
أمشى الى جنبه أزاحمه * عمدا ومابالطريق من ضيق

ومن مدحها
وان عباسا مثل والده * ليس الى غاية بمسبوق
تأنق الحسن حين زانكما * فنقتما الناس أى تأنيق
قصور الفضل من جاوندى * وأنت من حكمة وتوفيق

وله أيضا
ترى المحسن والحركات فيه * سوا ما الانذاد عن القلوب
فبان صيغ من حسن وطيب * وجل عن المشاكل والضريب
أصبنى منك يا أملى بذنب * تتيه على الذنوب به ذنوبى

(قوله سراط) أى طريق و(السقر) من الجوارح التى يصطاد بها (السويق) الشعير اذا قلى وطحن (حبقة) ضرطة (عين بقة) يقال ذلك للصغير (دغفل) اسم رجل كان نسابة والدغفل ولد الفيل والدغفل الزمن الخصيب فسمى الصبى بأحدها (والزنفل) من أسماء الداهية (والبيضة) بيضة النعام وجعلها (فى روضة) يريد انها مصونة منعمة وتشبيههم للنساء بهذه البيضة مشهور فى شعر امرئ القيس وغيره وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد رضى الله تعالى عنه لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحارب أو كالبيض فى الروض زهره مستنير

(قوله لاصم صداك) أى لا هلكت فلا يكون لك صوت وقال امرؤ القيس فى الدار الخالية

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

والصدى الصوت الذى يجيبك من الجبل أو من الموضع الخالى والصدا طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله على زعمهم ولا صم صداك دعاء بطول العمر لان الصدى تابع للصوت فاذا مات الانسان انقطع صوته فلا يسمع له صدى فكأن صداه بعد موته أصم لا يسمع ولا يجيب (ما استرشد) أى ماطلب من يرشده ويدله (أداه) أبلغه تقول اديت الامانة اذا بلغتها صاحبها (عوذه) قرأ عليه المعوذتين وفداه قال نفسى فداؤك (قعقاع) شديد الصوت والقعقعة صوت متتابع و(الباقعة) الداهية و(البقاع) جمع بقعة قطعة من الارض (القرى) طعام الضيف (ابن السرى) هو الطارق بالليل وقد تقدم ذكر هذه النار عند قوله فلم أزل أنص عنسى وأقول طوبى لك ولنفسى وهم يضربون المثل بها وحدها فى الحسن فيقولون هو أحسن من النار فكيف اذا كان انسان مع ظلام الليل فى ريح وبرد وجوع لا يدرى أين يتوجه فرأى نارا اقدأ وقدت لقرى الاضياف فلا يقدر قدر حسنها الا من زجر بها وقالت اعرابية كنت فى شبيبتى أحسن من النار وأنشد التوزى ملغزا فى النار

وشعثاء غبراء الفروع كأنما * بها توصف الحسناء بل هى أجمل
دعوت بها صحبى بليل كأنهم * وقد أبصروها يعطشون فأنهلوا

فهذا

فهذا مثل الذي ذكر الحريري وقال الآخر يصف نارا

ومشبوبة لا يقبس الجار ريها * ولا طارق الظلماء منها يؤنس

متى ما يزرها زائر يلف دونها * عقيلة داري من المسك تغرس

(وأنشد أبو زيد فيها ملغزا)

وزهراء ان كفنتها فهو عيشها * وان لم تكفنها فموت معجل

وكان الحسن بن وهب أشد الناس عشقا لبنات جارية محمد بن حماد وكانت تغني في مجلسه وبين يديها كانون فحم فتأذت بالنار وأمرت بابعادها فقال الحسن مرتجلا

بأبي كرهت النار لما أوقدت * فعرفت ما معنالك في ابعادها

هي ضرة لك بالتماع ضيائها * وبحسن صورتها الذي ايقادها

وأرى صنيعك في القلوب صنيعها * بارا كها وسيالها وقتادها

شركتك في تلك الجهات بحسنها * وضيائها وصلاحها وفسادها

وكان مع أصحابه يوما فقال لو ساعدنا الزمان لجاءتنا بنات فما تكلموا بشيء حتى دخلت فقال اني واياك لكما قال علي بن أمية

وفاجأتني والقلب نحوك شاخص * وذكراك ما بين اللسان الى القلب

فيا فرحة جاءت على اثر ترحة * ويا غفلتي عنها وقد نزلت قربي

ودخلت عليه يوما وهو محموم فسلمت وقبلت يده فأراد تقبيل يدها فأرعش وقال

أقول وقد حاولت تقبيل كفها * ولي رعدة أهتز منها وأسكن

فديتك اني أشجع الناس كلهم * لدى الحرب الا أنني عنك أجبن

(قوله اصدع) أي بين وأظهر (تصدع) تشق (الاضداد) الاعداء (أجش) أبح (تضله) تضيعه وتتلفه (استيقاظ) انتباه (ظمياء) عطشى * الازهري شفة ظمياء ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظمؤها ولثة ظمياء ورجل أظمى وامرأة ظمياء وقيل شفة ظمياء اذا كانت فيها سمرة وساق ظمياء قليلة اللحم و (الظلم) بالفتح ماء الاسنان وقيل بريقها وصفاؤها والجمع ظلوم و (اللحاظ) طرف العين الذي يلي الصدغ (العظاء) جمع عظاية وهي دويبة حمراء الى الغبرة ذات قوائم أربع (الظليم) ذكر النعام (الشيظم) الطويل (اللظى) النار (والشواظ) لهبها بغير دخان (التظني) مصدر تظننت أي حسبت والاصل تظننت بالنون فأبدلت ياء (والتقريظ) مدح الرجل حيا و (القيظ) فصل الحر و (الظمأ) العطش و (اللماظ) الشيء اليسير من الطعام وقد تلمظت اذا تتبعت بلسانك بقية الطعام بعد الاكل واسم تلك البقية اللماظة وقيل التلمظ هو لعق الشفتين باللسان من عطش أو غيظ (الحظا) انتفاخ اللحم (النظير) المثل (الظئر) المرضع بالاجرة (الجاحظ) الذي برزت عيناه (الايقاظ) ضد النيام الواحد يقظ بضم القاف وكسرها (قوله التشظي) أن تصير العود فلقا والشظية الفلقة منه (والشظى) عظم لاصق بالركبة وقيل هو تشقق عصب الذراع و (الظلف) للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدواب وكل حافر مشقوق ظلف (الظنبوب) مقدم عظم الساق (والشظاظ) عود الشداد الذي يشد به المتاع وقيل هو عود يدخل في عرا الغرارتين فيحملان به على ظهر البعير (المظفر) المؤيد (المحظور) الممنوع

فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع بها أكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الضاد والظا * ء لكي لا تضله الالفاظ

ان حفظ الظاآت يغنيك فاسمعها * استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبا واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظا والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظى والشظاظ

والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ

والخظبرات والمظنة والظنـ
ـة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكـ
ـظة والانتظار والالظاظ
ووظيف وظالع وعظيم
وظهير والفظ والاغلاظ
وتظيف والظرف والظلف
الظا
هر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ والحنـ
ـظل والقارظان والاوشاظ
وظراب الظران والشظف
البا
هظ والجعظرى والجواظ
والظرابين والحناظب والعنـ
ـظب ثم الظيان والارعاظ
والشناظى والدلظ والظأب
والظب
ظاب والعنظوان والجنعاظ
والشناظير والتعاظل والعظـ
ـلم والبظر بعد والانعاظ
هى هذى سوى النوادر
فاحفظـ
ـها لتقفوا آثارك الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كاتقـ
ـضه فى أصله كقيظ وقاظوا
فقال له الشيخ أحسنت
لافض فوك ولا برمن يجفوك
فوالله انك مع الصبا الغض
لاحفظ من الارض وأجمع
من يوم العرض ولقد
أورثك ورفقتك

(الاحفاظ) الاغضاب (المظبرات) جمع حظيرة وهى الزرب يعمل منه شبه الدار تسكنها الغنم والابل وقد يكون من حائط وأصل الحظر المنع وكل مانع بين شيئين حظير (والمظنة) الموضع ترمى فيه بظنك وفلان مظنة خير أى يظن فيه الخير (والظنة) التهمة (الكاظمون) المتجرعون غيظهم وقد كظم غيظه تجرعه ورده (الوظيفات) جمع وظيفة وهى مايلزمك من المغرم (المواظب) الملازم وقد واظبت على الشئ داومت عليه (الكظة) الامتلاء من الطعام (والالظاظ) اللزوم (الوظيف) لكل ذى أربع مافوق الرسغ الى الساق (والظالع) الاعرج (والظهير) القوى الظهر وهو أيضا المعين (والفظ) الغليظ والفظاظة الجفاء والغلظة (والاغلاظ) الجفاء والنظيف النقى الحسن (والظلف) المنع والرد وقد ظلفت اثرى فلم أظلف اذا مشيت فى حزونة الارض وصلابتها فمنعت اثرك أن يؤثر فيها او (القظيع) الكريه المطعم وقد قظع الشئ اشتدت كراهيته ومرارته (عكاظ) موسم للعرب (الظعن) السفر (الحنظل) شجر مر و(الباهظ) الغالب (والبظر) زيادة فى فرج المرأة ورجل أبظر فى شفته العليا نتوء وامرأة بظراء والاول راجع الى هذا المعنى (الانعاظ) قيام الذكر (النوادر) الغرائب والشواذ (تقفو) تتبع (قيظ) شدة الحر و(قاظوا) دخلوا فى زمن القيظ (فض) كسر (يجفوك) يغلظ لك فى الكلام (الغض) الطرى (يوم العرض) يوم القيامة ولما أشار من أول على أكبرهم المحط فى اسنانهم الى أصغرهم ختم به كما بدأ بأكبرهم فلذلك قال مع الصبا الغض ومما قيل فى الصغار من الشعر المستحسن قال أبو الفضل الدارمى وقد سأله الثعالبى أن يصف له غلاما صغيرا بديع الحسن ليثبت ذلك فى كتابه المترجم بالف غلام فأنشد

انى عشقت صغيرا * قددب فيه الجمال
وكاد يفشى حديث الـ * ـفضول فيه الدلال
لو مر فى طرق الوصـ * ـل مااعتراه الضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال الحسن

حين أوفى على ثلاث وعشر * لم يطل عهده اذنه بالشنوف
غنة فيه للصبا تعتليه * بهجة الاحتلام للتشريف
حين رام النساء منه بعين * وطوى اختها على التخويف

وقال آخر

لئن يزيد على عشر بواحدة * و زاد أخرى وشاب الحب بالجزع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه * وجوز الوعد بين اليأس والطمع
قد كان غرا بقتلى ليس يحسنه * فاليوم يبدع فى قتلى على البدع

وقال آخر

قالوا أتبكى على صغير * خصصته بالوداد طفلا
فقلت ان البنان خمس * أصغرما بينها يحلى

(ولابن ادريس اليمانى)

عشقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
أعارنى سقم ناظريه * فاستشرفت نفسه حذارا
يسفر عن وجه مستنير * يرد جنح الدجى نهارا

قوله والبظر زيادة ترك قبله ألفاظا من المتن لم يفسرها على مافى النسخ التى بأيدينا اه مصححه

لم أر من قبل ذاك نورا * أضرم فيه الحياء نارا

ولابن شهيد

راقني من شيمه برق بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا

هب من نعسته منكسرا * مسبل الكمين مرخ للردا

يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا

قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من حبك تبريح الصدا

فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطاني اليدا

قال لي يلعب صدلي طائرا * فتراني الدهر أجري بالكدا

واذا استنجزت يوما وعده * قال لي بطل ذكرني غدا

شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا

ورأى الحسن غلاما في المكتب فأشار الى تقبيل يده فقبله فقال

ظفرت بقبلة منه * على عيني معلمه

أشرت بها الى يده * فأوصلها الى فمه

وقال الحلواني

تعرضت من شفني هجره * ببدء سلام عليه شفاها

وقلت عساه يرد السلام * فتبلغ نفسي منه مناها

فجاد علي بتقبيله * وقد كان أعرض عني وتاها

وكنت كموسى أتى للضياء * لقبس نار فناجى الالها

وكتب الحسن لغلام كاتب يستعطفه فوقع الغلام في كتابه تزاد هجرا الى يوم الحساب فقال الحسن

كتبت الى الحبيب بيت شعر * اعاتبه فاغضبه كتابي

أجبني يا ملول على كتابي * فان النفس تسكن بالجواب

فوقع في الكتاب تزاد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب

(وقال ابن رشيق في محبوبه الصائغ)

وظبي من بني الكتاب يسبي * قلوب العاشقين بمقلتيه

رفعت اليه استقصي رضاه * وأسأله خلاصا من يديه

فوقع قد رددت فؤاد هذا * مسامحة فلا يعدى عليه

(وناوله يوما تفاحة فقال)

وتفاحة من كف ظبي أخذتها * جناها من الغصن الذي مثل قده

لها لمس ردفيه وطيب نسيمه * وطعم ثناياه وحمرة خده

ولابن فرج

ومن ينظر الى خديك يحكم * على ورد الحدائق للخدود

وما اهتزت غصون الروض الا * تمنت حسن قدك في القدود

(وقال مسلم بن الوليد)

تفاحة شامية * من كف ظبي غزل

ما خلقت مذ خلقت * تلك لغير القبل

كأنما حمرتها * حمرة خد خجل

زلالى وثقفتكم تثقيف العوالى فاذكرونى ٣١٦ أذكركم واشكروالى ولاتكفرون (قال الحرث بن همام) فعجبت

لماأبدى من براعة معجونة
برقاعة وأظهر من حذاقة
ممزوجة بحماقة ولم يزل
بصرى يصعد فيه ويصوب
ويتقرعنه وينقب وكنت
كمن ينظر فى ظلماء أويسرى
فى بهماء فلمااستراث
تنبهى واستبان تدلهى
حملق الى وتبسم وقال لم
يبق من يتوسم فبهت لفحوى
كلامه ووجدته أبازيد
عندابتسامه فأخذت ألومه
على تدير بقعة النوكى وتخير
حرفة الحمقى فكأن وجهه
أسف رمادا أوأشرب سوادا
الاأنه أنشد وما تمادى
تخيرت حمص وهذى الصناعه
لارزق حظوة أهل الرقاعه
فمايصطفى الدهر غير الرقيع
ولايوطن المال الابقاعه
ولالاخى اللب من دهره
سوى مالعير ربيط بقاعه
ثم قال أماان التعليم أشرف
صناعة وأربح بضاعة
وأنجح شفاعة وأفضل براعة
وربه ذوامرة مطاعة وهيبة
مشاعة ورعية مطواعة
يتسيطر تسيطر أمير ويرتب
ترتب وزير ويتحكم
تحكم قدير ويتشبه بذى
ملك كبير الاأنه يخرف فى
أمد يسير ويتسم بحمق
شهير ويتقلب بعقل صغير
ولاينبئك مثل خبير فقلت
له تالله انك

(وقال آخر فى ضدماتقدم)

فديتك لاتحف منى سلوا * اذاماغيرالشعر الصغارا
أدين بدن خل كان خمرا * واهوى لحية كانت عذارا

(وقال ابن المعتز فى مثله)

من معينى على السهر * وعلى الحب والفكر
ويل مالى من شادن * كبرالحب اذ كبر

(قوله زلالى) أى خالص علمى والزلال الماء العذب الصافى (ثقفتكم) قومتكم (العوالى) صدور الرماح (براعة) فصاحة (الحذاقة) المهارة فى كل عمل وهى الحذق وأصله القطع كان الحذق يقطع الامور المشكلة بعقله وحذق الصبى القرآن قطعه حفظا (الرقاعة) الحماقة رقع رقاعة فهو رقيع (يصعد) يرفع نظره (يصوب) ينظر فى اعتدال واستواء (ينقر وينقب) يفتش (بهماء) أرض مجهولة (استراث) استبطأ (تدلهى) تحيرى ودلهه الحب حيره وأدهشه (حملق) نظر بحملاقه وهو باطن جفنه وهو نظر المغضب (يتوسم) يحسن النظر والميز (بهت) فطنت رفى الحديث رب ذى طمرين لايؤبه له أى لايفطن له اذلته ونابه فلان تكبر وانه لذوأبهة أى ذوكبر ونحوه الفنجديهى رأيت بخط الحريرى يقال أبهت له وأبهت وبهت له بمعنى قال يعقوب تقول مابهت له ومابهت به وماوبهت له وماأوبهت له ومابهأت له مافطنت له (فحوى) معنى (عند ابتسامه) قدتقدم وصفه بالفلج يريدلماابتسم ورأى فلجه عرفه (تدير بقعة النوكى) أى اتخاذه حمص دارا وجعلهم نوكى لرقاعتهم والنوك الحمق (حرفة) صنعة (أسف رمادا) أى تغيرفكأنه ذرعليه الرماد وأسف الجرح الدواء أى حشاه به (ماتمادى) أى مادام ولابقى على غضبه وتمادى فى الشئ لج فيه (حظوة) أى منزلة (يصطفى) يختار (يوطن) يسكن (بقاعه) منازله وهى جمع بقعة (أخى اللب) صاحب العقل (عير) حمار (قاعة) انخفاض أى ليس للانسان من دهره الاماأكله (قوله انجح) أى أنفع وأسرع لقضاء الحاجة (امرة مطاعة) العرب تقول لك على أمرة مطاعة بفتح الالف أى أمرة أطيعك فيها وحكى الفراء كسرها على ضعف والفتح أفصح والامرة بالفتح المرة الواحدة من الامر وبالكسر الامارة والولاية (مشاعة) فاشية (يتسيطر) يتسلط (يخرف) يهرم (يتسم) يجعل لنفسه سمة أى علامة الحمق * ومماقيل فى المعلم وتفضيله على الوالد أنشد الماوردى

يافاخرا للسفاه بالسلف * وتاركا للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هموسبب * لان جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خيرأب * ذاك أبوالروح لاأبوالنطف

أخذه من قول الاسكندر وقيل له مابال تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لوالدك فقال ان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية ولبعضهم

ان المعلم والطبيب كلاهما * لاينصحان اذاهمالم يكرما
فاصبرلدائك ان جفوت طبيبه * واصبرلجهلك ان جفوت معلما

جاء فى الحديث يجاء بالمعلم يوم القيامة ووجهه عظم لالحم عليه قال عطاء هم الذين يأخذون على

القرآن

القران أجرا (ابن الايام) الخبير بها والبصير بحوادثها (علم الاعلام) أشهر المشاهير (الافهام) جمع فهم أراد اللاعب بالاذهان والعقول (سبل) طرق (معتكفا بناديه) ملازما لمجلسه (مغترفا من سيل واديه) آخذا من بحر علمه (الغر) البيض الحسان (نابت الاحداث الغبر) رجعت النوازل الشداد التى تغبر الارض من شدة قحطها (لعيني العبر) أى سخنة الدمع لحزنه واستعبر بكى والله تعالى أعلم

(شرح المقامة السابعة والاربعين وهى الحجرية)

(قوله احتجت للحجامة وانا بحجر اليمامة)* أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير ما تداويتم به الحجامة والشونيز والقسط * القسط عود يجاء به من الهند يجعل فى الدواء والبخور وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم يحتجم فيه سبعة عشر وتسعة عشر وأحد وعشرون وما مررت بملا من الملائكة ليلة أسرى بى الا قالوا عليك بالحجامة يا محمد وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لقد تبيغ بى الدم يا نافع ادع لى حجاما ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق أمثل فيها شفاء وبركة تزيد فى العقل والحفظ وتزيد الحافظ حفظا فمن احتجم فيوم الخميس والاحد والاثنين والثلاثاء فانه يوم رفع الله فيه البلاء عن أيوب عليه السلام وأصابه يوم الاربعاء ولا يبدأ بأحد داء من جذام أو برص الا فى يوم الاربعاء أو ليلته (حجر) قصبة (اليمامة) يأتى ذكرها فى الخمسين ان شاء الله تعالى وهى بلدة كبيرة كثيرة النخل وسكنتها حنيفة وهى بلدة مسيلمة الكذاب الحنفى وبها تنبأ وآمن به أهلها وهى فعالة من اليم وهو طائر أو من يمن الشئ تيممته تقول تيممته اذا تعمدته من الامام بمعنى قدام وأبدلت الهمزة ياء لما دخلتها الهاء وأقرب المدن منها البصرة (يسفر) يكشف (تطافة) صقالة وحسن (أرصدت) أعددت (أبق) هرب (طبقا عن طبق) حالا عن حال وأمرا عن أمر (المخفق) الخائب (مسعاه) سعيه (الكل على مولاه) الذى لا ينفعه بشئ ولا يكفيه أمر نفسه والكل الثقيل الروح (قوله صلاودزند) هو أن لا يسمع الزند بالنار (حنين) موضع وقعة مشهورة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين هوازن هزمت فيها هوازن وسبيت أموالهم وعيالهم وقتل فيها دريد بن الصمة كافرا (عنت) كرهت (الاقدام) الجرأة والترامى و (الاحجام) الرجوع الى خلف أراد أنه ردد رأيه هل يأتيه أم لا و (التعنيف) العتب و (الكنيف) المرحاض *ونذكر هنا حكاية ظريفة تجمع أسماءه رحل رجل من الكوفة الى ابن عم له من بنى هاشم بالمدينة فأقام حولا عنده لا يدخل مستراحا فلما أراد الرجوع الى الكوفة قال ابن عمه لقينتين له أمارأيتما طرف ابن عمى أقام حولا عندنا لم يدخل الخلاء قالتا فعلينا أن نصنع له شيأ لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما فعمدتا الى خشب العشر وطرحتاه فى شرابه وهو مسهل فلما حضر وقت شرابهما قربتاه له وسقتا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم مولاهما ومغص الفتى من بعده فقال لاحداهما يا سيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألنى ان تغنيه

عفا من آل فاطمة الجواء * فنزل أهلها منها خلاء

لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى أن غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته ولعيني العبر

(المقامة السابعة والاربعون الحجرية)

(حكى الحرث بن همام) قال احتجت الى الحجامة وأنا بحجر اليمامة فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامى لاحضاره وأرصدت نفسى لانتظاره فأبطأ أبعد ما انطلق حتى خلته قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك أبطأ فند وصلاودزند فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين وفى حرب كحرب حنين فعففت المشى الى حجام وحرت بين اقدام واحجام ثم رأيت أن لا تعنيف على من يأتى الكنيف فلما شهد

(ذكر حكاية ظريفة جامعة لاسماء المرحاض)

فغنته فقال أظنهما كوفيتين فقال للاخرى ياسيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه * لقد أوحش الريان فالدير منهما * فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين وما فهمتا عنى فقال للاخرى ياسيدتى أين المتوضا فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسأل أن تغنيه

توضا للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبى

فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عنى فقال لاحداهما ياسيدتى أين الكنيف فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت انه يسألك أن تغنيه

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى

فغنته فقال أظنهما تهاميتين فقال للاخرى ياسيدتى أين المستراح فقالت لصاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا * وقلا الصبابة فاستراحا

فغنته والولى يسمع فلما كربه الامر انشأ يقول

تكنفنى الملاح وأضجرونى * على مابى بتكرير الاغانى

فلما ضاق عن ذاك اصطبارى * ذرقت به على وجه الزوانى

ثم حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه مولاهما فلما رأى ما نزل بهما قال له ياأخى ما حملك على هذا قال له يا ابن الزانية لك جواريين المخرج صراطا مستقيما فلا يدللنى عليه فلم يكن لهن جزاء عندى غير هذا ثم رحل عنه فيقول أبو محمد لا بأس للانسان ان يأتى المواضع الخسيسة عند الضرورة وأصل الكنيف الساتر (موسمه) مجتمعه وسوقه (ميسمه) علامته (النظارة) الناس الناظرون (أطواق) أى حلقة خلف حلقة قد استدار واحوله و(الطباق) الذى طويق فجعل بعضه على بعض شبه به ركوب بعض الناس بعضا و(الصمصامة) سيف عمرو بن معديكرب وكانت تقطع الحديد كما يقطع الحديد الخشب وبعث ملك الهند الى الرشيد بسيوف قلعية وكلاب سورية وثياب هندية فأمر الاتراك فصفوا بين يديه صفين قد لبسوا الحديد ودخل الرشيد فقال لهم ما جئتم به قالوا هذه أشرف كسوة بلادنا فأمر فقطعت جلالا وبراقع لخيله فكبوا على وجوههم وتذمموا ثم قال ما عندكم قالوا هذه سيوف قلعية لا تطير لها فدعا بالصمصامة فقطعت بها السيوف سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثنى لها شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فاذا هو لا فل فيه ثم قال ما عندكم قالوا كلاب سورية لا يبقى لها كلب ولا سبع الا عقرته فامر بالاسد فأخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم وقالوا ليس عندنا مثل سبعكم ثم أرسلوا عليه الاكلب وكانت ثلاثة فزقته فقال تمنوا فى هذه الاكلب ما شئتم قالوا السيف الذى قطع سيوفنا قال لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح فانقلبوا خائبين وكانت الصمصامة عند الهادى فدعا بها ابو ماو بمكتل مملوء دنانير وأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدأهم ابن اياس فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو * من جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون

قوله فقال أظنهما تهاميتين الخ هكذا فى نسخ الشرح التى بايدينا والذى فى هامش المقامات المطبوعة قبل هذا فقال أظنهما مكيتين فقال ياسيدتى أين المرحاض فقالت لها صاحبتها ما يقول لك فقالت يسألك ان تغنيه

من مجرى من العيون المراض * فهى أنكى للصب من مرحاض

فغنته فقال اظنهما تهاميتين الخ فلعله سقط من قلم الناسخ اه مصححه

موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا هيئته تطبقة وحركته خفيفة وعليه من النظارة أطواق ومن الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة

مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أراك قد أبرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك (٣٦٩) وليتني قذالك ولم تقل لي ذالك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين فان أنت رضخت بالعين جحمت في الاخدعين وان كنت ترى الشح أولى وخزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ عبس وتولى واغرب عني والافقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين اني لا افلس من ابن يومين فتق بسيل تلعتي وأنظرني الى سعتي فقال له الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس العود هو بين أن يدركه العطب أو يدرك منه الرطب فما يدريني أيحصل من عودك جني أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة بأنك حين تبعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل الى حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تستحد بلت وما أقبح الغربة والاقلال وأحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

لكنه ما تشين الحر موجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت به الزعاف التيون

واذا ما شهرته بهر البيت * ضياء فلم تكد تستبين

يستطير الابصار كالقبس المشتعل * ما تستقر فيه العيون

وكأن الفرند والجوهر الجا * ري صفحتيه ماء معين

ما يبالي اذا الضريبة حانت * أشمال سطت به أم يمين

وكان المنون نيطت اليه * فهو من كل جانبيه منون

فقال له لك السيف والمكتل ففرق المكتل على الشعراء وقال حرمتهم بسببي وأخذ من المهدي في السيف خمسين ألف دينار وممن أفرط في وصف قطع السيف النمر بن تولب حين قال

أبقى الحوادث والايام من نمر * أسباد سيف كريم اثره بادي

تظل تحفر عنه الارض مندفنا * بعد الذراعين والساقين والهادي

ويروى * تظل تحفر عنه ان ضربت به * والاسباد البقايا واحدها سبد وقال أبو الهول

حسام غداة الروع ماض كأنه * من الله في قبض النفوس دليل

كأن جنود الذر كسرن فوقه * قرون جراد بينهن دخول

كأن على افرنده موج لجة * تقاصر في ضحضاحه وتطول

(وقال ابن الرومي)

يقول القائلون اذا رأوه * لأمر ما تغولت الدروع

والشعر في وصف السيف كثير مشهور فلذلك اقتصرنا على هذه النبذة (قوله مستهدف) أي منتصف والهدف الغرض وأراد (بالقرطاس) قطعة من كاغد توضع فيها الدراهم الفنجديهي القرطاس درهم من نحاس وفيه شيء من الفضة يتعاملون به في الشأم (قذالك) مؤخر عنقك وهو ما بين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل (ذا) اشارة الى الدرهم (نقدا) حاضرا (أثرا بعد عين) قد تقدم والعين نفس الشيء وقيل العين المعاينة فمعناه لا أترك شيأ وأنا أعاينه وأطلب أثره اذا غاب وقال الفنجديهي سمعت بعض الفضلاء بفنجديهة يقول حكي أن رجلا سرق منه شيء فخرج يطلب السارق فلما ظفر به أخذ يضربه و يشد وثاقه فقال له أحد أهل البلدة خل سبيله حتى يخرج فان هنا أثر قدميه فضحك الرجل منه وقال لا أطلب أثرا بعد عين فصار مثلا لمن ترك شيأ حاصلا ثم تبع أثره بعد فوت عينه (رضخت) أعطيت و(العين) الدراهم والدنانير (الاخدعان) عرقان يقع عليهما المحجمتان وقيل هما في صفحتي العنق قد خفيا و بطنا فلخفائهما يخدعان الحاجم (خزن) امساك وحبس (اغرب) غب (والا) معناه والا صفعت عنقك (المين) الكذب (الحرمين) مكة والمدينة حرم الله تعالى بمكة وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (التلعة) مجرى الماء من أعلى الوادي (أنظرني) أخرني (سعتي) غناي (جني) ما يجنى منه (ضنى) مرض (التحجيل) بياض في قوائم الفرس (حلية) صفة وزينة (الجيل) أهل العصر (استوى) اعتدل قائما (استولى) غلب عليه الخجل (يخيس) يغدر وخاس الشيء تغير (الوغد) الرذل الساقط الخسيس الدنيء (الخنا) الفحش (الطويل الذيل) الكثير المال (تشين) تعيب (أصلى) ادخل النار (الياقوت) حجارة يتزين بها والنار لا تغيره ومما جاء في معنى هذا الشعر

ان الغريب ذليل حيثما سلكا * لو أنه مالك كل الورى ملكا

اذا تغنى حمام الايك فى غصن * حن الغريب الى أوطانه فبكى

آخر

واذا حللت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

فالشمس تشرق فى محلة كبشها * وتكون منحطا مع الميزان

وقال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم

لا يشمتن حاسد ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك

فالحر كالتبر يلقى تحت منقعة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقال البحترى فى سعيد وقد حبس

وما هذه الايام الا مراحل * فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

(وقال أبو بكر بن دريد)

لا تحقرن عالما وان خلقت * أثوابه فى عيون رامقه

وانظر اليه بعين ذى خطر * مهذب الرأى فى طرائقه

فالمسك اذ ما تراه ممتهنا * بفهر عطاره وساحقه

سوف تراه بعارضى ملك * وموضع التاج من مفارقه

(وقال ابن شماخ)

نوائب غالتنى فأبدت فضائلى * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

وعلى لسان عود الطيب

ان مست النار جسمى * أبديت طيب نسيمى

كالدهر ان عض يوما * أبان فضل كريم

* وسخط المتوكل على على بن الجهم فنفاه الى خراسان وكتب أن يصلب اذا وردها يوما الى الليل فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله ثم أخرجه فصلبه الى الليل مجردا فقال

لم يصلبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله مل عيونهم * شرفا وملء صدورهم تبجيلا

ما ازداد الا رفعة وسعادة * وازدادت الاعداء عنه نكولا

هل كان الا الليث فارق غيله * فرأيته فى محمل محمولا

ما عابه أن بزعنه لباسه * كالسيف أفضل ما يرى مسلولا

وقال فى الحبس

قالت حبست فقلت ليس بضائر * حبسى وأى مهند لا يغمد

أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تصيد

فالشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد

والنار فى أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد

بيت يجدّد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد

أخذ الاحوص أحد الامراء بأمر الوليد بن عبد الملك لانه كان يراود غلمانه فضربه مائة سوط وصب عليه الزيت وأوقفه في الشمس وهو مع ذلك يقول

ما تعتريني من خطوب ملمة * الا تشرّف في وترفع شاني
اني على ما قد علمت محسد * أنمى على البغضاء والشنآن
فاذا تزول تزول عن متخمط * تخشى بوادره على الاقران
اني اذا خفي اللئيم وجدتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان

فقال له الشيخ يا ويله أبيك وعولة أهليك أأنت في موقف نفر يظهر وحسب بشهر أم موقف جلد يكشط وقفا بشرط وهب أن لك البيت كما ادعيت أيحصل بذلك جحم قذالك لا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف أو خالك دان عبد المدان

(قوله يا ويله أبيك) الويلة الفضيحة والويل الحزن و(العولة) البكاء الشديد وأعول يعول اعوالا اذا رفع صوته وصاح (أهليك) جمع أهل (يكشط) يحلق شعره (هب) أي احسب وذكر في الدرة أن خواص العراق يقولون هب أني فعلت وهبه فعل كقول أبي ذهل

هبوني امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير

قال وهبني أي عدني واحسبني فكان فيه معنى الامر من وهب انتهى ما قاله في الدرة وقال هنا وهب أن لك البيت * وبيت القبيلة أشرف فخذ فيها (أناف) أشرف (عبد مناف) بن قصي هو بيت قريش وشريفها وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة وكان يقال لعبد مناف القمر لجماله وبهائه ورفعة منزلته وسمي عبد مناف لانه شرف وعلا وأناف على أشراف العرب وكانت الركاب تضرب اليه من أطراف الارض يتحفونه تحف الملوك فيكرمهم وكان عنده لواء نزار وقوس اسمعيل وسقاية الحاج والمفاتيح ولما قسم والده المجدين أولاده جعل السقاية والرياسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وجانبي الوادي لعبد بن قصي قال الشاعر

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

ولما مات قصي رأس ابنه عبد مناف وجل قدره فأتته خزاعة وبنو الحرث بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد معهم وأما شرف عقبه فلان منه بني هاشم الذين فيهم النبوة والخلافة ومنه بنو أمية القادة في الجاهلية وأهل الخلافة في صدر الاسلام وقد قدّمنا في أخبار الشافعي أن في عبد مناف يجتمع بنو هاشم وبنو أمية فلهؤلاء انتهى شرف مضر وأما بنو (عبد المدان) فاشراف اليمن وبهم يضرب المثل في الشرف والعزة وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحرث ابن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج وقال لقيط ابن زرارة

(ذكر بني عبد المدان)

شربت الخمر حتى خلت اني * أبو قابوس أو عبد المدان
أمشي في بني عدس بن زيد * رخي البال منطلق اللسان

وقال حسان رضي الله عنه

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذي جسم يعدّ وذي بيان
كأنك أيها المعطى بيانا * وجسما من بني عبد المدان

وقالوا لحسان كانا أبا الوليد ونحن نطول باجسامنا على العرب نرى لانفسنا بذلك فضلا حتى قلت

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا * ان الرجال أولو قد وتذكير

لا باس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال واحلام العصافير

فتركنا لانرى لاجسامنا فضلا * وحكى الاصمعي أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بسوق عكاظ وقدم أمية بن الاسكر الكناني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان فعرفها أمية فقالت أعرف بني الديان ولا أعرف عامرا قال هل سمعت بملاعب الاسنة قالت نعم فقال هذا ابن أخته فقال يزيد يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما وراحته فتخرج ذهبا فقال أمية بخ بخ فقال عامر جدي الاجذم وعمي الاصم وخالي ملاعب الاسنة وأبي فارس قرزل فقال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فارسلها مثلا فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحة الى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم الى قومي قال اللهم نعم فنهض يزيد وهو يقول

أمي يا ابن الاسكر بن مدلج * لا تجعلن هوازنا كمذحج

لا النبع في معرسه كالعوسج * ولا الصريح المحض كالممزج

(قوله لا تضرب في حديد بارد) هو مثل لمن يحاول الانتفاع بمن ليس عنده نفع وقال أبو الشمقمق يهجو سعيد بن مسلم

هيهات تضرب في حديد بارد * ان كنت تطمع في نوال سعيد

تالله لو ملك البحار باسرها * وأتاه مسلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره * لابى وقال تيمما بصعيد

وكذب عليه كان سعيد بن مسلم من أجود الناس (قوله باه) أي فاخر (موجودك ومحصولك) ما تجده من المال وتحصل لك (رفاتك) عظام أجدادك البالية (الاعلاق) جمع علق وهو النفيس الرفيع من الذخائر (اعراقك) أصولك (قوله ولا تطع الطمع فيذلك) ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من طمع حيث لا طمع وأعوذ بك من طمع يهدي الى الطبع وقال النبي صلى الله عليه وسلم خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع وقال الحسن البصري لبعض ولد علي رضي الله عنهما ما ملاك الدين قال الورع قال ما آفته قال الطمع (قوله ولا تتبع الهوى فيضلك)* ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وعجب كل ذي رأي برأيه وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الامل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسي الآخرة وقال بعضهم أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من رفض دنياه (تنمي) تزيد (التوى) اعوج (التوى) الهلاك (القويم) المعتدل (الهبت) اشتعلت (الطوى) الجوع (طوى) أي طوى عليه ضلوعه وستره وقال أبو فراس

لا أرتضي ودا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف

تعس الحريص وقلما يأتي به * عوضا من الالحاح والالحاف

قوله اولو قد الخ كذا بالاصل والذي في الصحاح ذوو عصب الخ فلعلها رواية اه

فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد وباه اذا باهيت بموجودك لا بجد ودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو آنه عاري المناكب حافى
ما كل مافوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى
وتعاف لى طمع الحريص فتوتى * ومروأتى وقناعتى وعفافى
شيم عرفت بهن مذ أنا يافع * ولقد عرفت بمثلها اسلافى

(قوله المردى) أى المهلك (المحلق) الطائر يستدير فى طيرانه (هوى) سقط (اسعف) اقض حوائجهم (اللباب) الخالص (انضوى) انقطع الى جودك وتعلق به (نبا) ارتفع ولم يوافق (برعى) يحفظ (النوى) البعد (نوى) أراده وقصده وقد قالوا خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان (الشوى) القوائم ويقال لجلدة الرأس شوى وقوله (شوى) أى صنع شواء وأولاها النار يقول من اعتذر اليك من الاخوان فاعذره ولا تكن ممن اذا وقع على ذنب لصاحبه أخذه به ونزع جلدة رأسه فشواها وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض وقالوا المعترف بالذنب كمن لا ذنب له واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدى فقال قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار واغنانا بحسن النية عن سوء الظن وقال الحسن بن وهب

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما عن غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فماله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن تفسد الاول بالآخر

وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقال آخر

اقبل معاذير من وافاك معتذرا * أبرفيما أتى من ذاك أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

آخر

وهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذى * أتيت به أهلا فأنت له أهل

* الاحنف رب ملوم لاذنب له آخر * لعل له عذرا وانت تلوم * آخر

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال محمد بن سليم لابن السماك بلغنى عنك شئ كرهته فقال اذا لا أبالى قال لم قال لانه ان كان حقا غفرته وان كان باطلا لم تقبله وقالوا فى ترك الاعتذار

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(قوله الشكوى) أى المشتكى الى الناس بالضر (نهى) عقل (ارعوى) رجع وارعوى عن القبيح كف عنه وحسن رجوعه ونزوعه عنه من الرعوى وهى حسن المراجعة والنزوع عن الجهل * الفراء وابن سيده عوى الفصيل والكلب اذا صاح فمد صوته قال الشاعر

بها الذئب محزونا كان عواءه * عواء فصيل آخر الليل محثل

المحثل السيء الغذاء واذا دعا الرجل الناس الى الفتنة فقد عوى واستعوى وسمعت عوة القوم أى أصواتهم وجلبتهم قاله الاصمعى وأبو زيد يقول بل أخو الجهل الذى عوى بالشكاية وقت ارعوائه أى رجوعه عنك والمعنى كلما غاب عنك تشكى وما مع الفعل مصدرية وظرف الزمان

(ماجاء فى قبول الاعذار) *

وعاص الهوى المردى فكم من محلق
الى النجم لما ان أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى
على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا
زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير فى امرئ
اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى
شكا بل أخو الجهل الذى ما ارعوى عوى
فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة

والطرفة الغريبة أنف فى السماء واست فى الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان

سليط وغيظ مستشيط وقال أف لك من صوّاغ باللسان روّاغ عن الاحسان تأمر بالبر وتعق عقوق الهر فان يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك فرماها الله بالكساد وافساد الحساد حتى ترى أفرغ من حجام ساباط وأضيق رزقا من سم الخياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط كايل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى أنه يشكو الى غير مصمت ويراود استفتاح باب مصمت أضرب عن رجع الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألام بما أسمع الغلام فجنح الى سلمه وبذل ان يذعن لحكمه ولا يبغى أجرا على حجمه وأبى الغلام الا المشى بدائه والهرب من لقائه وما زالا فى حجاج وسباب ولزاز وجذاب الى ان ضج الفتى من الشقاق وتلاردنه سورة الانشقاق فاعول حينئذ لوفارة خسره وانعطاط عرضه وطمره وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويفيض من عبراته وهو لا يصغى الى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره الى ان قال له فداك عمك وعداك مايغمك أما تسأم الاعوال أما تعرف الاحتمال أما سمعت بمن أقال وأخذ بقول من قال

فالما أخمد بحلمك مايذكيه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنى جانى
فالحلم أفضل ماازدان اللبيب به * والاخذ بالعفو أحلى ماجنى جا

محذوف أى وقت ارعوائه كقوله تعالى مادامت السموات والارض أى مدة دوامهما يريد أن العاقل يحتمل ضر الزمان ولا يشتكى والجاهل الذى متى رجع عن التشكى لم يرجع رجوعا حسنا بل يعوى بالتشكى عواء الذئب (قوله الطرفة الغريبة) أى التى لم ير مثلها (الصهباء) الخمر (الحصباء) الحجارة (سليط) أى متسلط (مستشيط) منتشر فى الشر ملتهب فى الغضب (صوّاغ) كذاب وصاغ الكذب صنعه * راغ مال اليه من حيث لا يعلم وراغ الى أهل رجع فى اخفاء (روّاغ) ميال وفرار فى خفية (تعق) تقطع و(عقوق الهرة) أنها تأكل أولادها * وحكى الاصمعى فى كتاب أفعل من كذا يقال أعق من ضب قال أراد واضبة فكثر الكلام بها فقالوا ضب وعقوقها انها تأكل أولادها وذلك أن الضبة اذا باضت حرست بيضها من كل ماقدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك فاذا خرجت أولادها من بيضها ظنتها شيأ يريد بيضها فوثبت عليه تقتله فلا ينجو منها الا الشديد قال وهذا موضوع قد وضعته العرب فى موضعه وأتت بعلته ثم جاءت الى ماهو فى العقوق مثل الضبة فضربت به المثل على الضد فقالوا أبر من هرة وهى أيضا تأكل أولادها فحين سئلوا عن الفرق وجهوا أكل الهرة أولادها الى شدة الحب فلم يأتوا بحجة مقنعة وقال الشاعر

أما ترى الدهر وهذا الورى * كهرة تأكل أولادها

واختصم الى شريح فى ولد هرة فقال شريح ألقه مع هذه فان هى قرت ودرت واسبطرت فهو لها وان هى هرت وفرت واقشعرت فليس لها اسبطرت اضطجعت وهرت كهرت من هرير الكلب واقشعر الجلد قامت شعوره (قوله تعنتك) طلب مشقتك والتعنت طلب الزلة وتعنته أدخل عليه الاذى اذا سأله عن شئ أراد به اللبس والمشقة عليه (سم الخياط) ثقب الابرة (بثر) خراج صغار ويقال بثر الجرح اذا خرجت به أورام صغار فيريد به سيلان الدم عن الاكل وغيره (تبيغ) هيجان وتبيغ دمه هاج عليه (تلجأ) تحوج (الاشتطاط) مجاوزة القدر (كايل) حاف (يراول) يعالج (مصمت) مغلق (احتفز) تهيأ وتشمر (ألام) أتى بما يلام عليه قال الشاعر

ومن يخذل أخاه فقد ألاما (جنح) مال (سلمه) صلحه (بذل أن يذعن) أى أعطى الانقياد من نفسه (يبغى أجرا) يطلب أجرة (فى حجاج وسباب) أى فى لحة وشتم (لزاز) ملازمة للخصومة وخصم لزاز ملز أى لا يفارق الخصومة (جذاب) مضاربة وجذب كل واحد منهما ثوب صاحبه (ضج) صاح و(تلاردنه) أى قرأ كمه وجعل صوت التخريق كأنه قراءة (أعول) بكى (وفارة خسره) أى كمال خسرانه (انعطاط عرضه وطمره) أى تمزيق عرضه بالشتم وثوبه بالتخريق والطمر الثوب الخلق (فرطاته) بوادره وماسبق من اذايته (يغيض) يذهب وينقص (عبراته) دموعه (يصغى) يستمع (يقصر) يكف (استعباره) بكائه (عداك) تجاوزك (يغمك) يغطى قلبك بالهم (تسأم) تمل (الاعوال) البكاء (الاحتمال) التسامح والصبر على الاذية (أقال) غفر الذنب (أخمد) أطفئ وسكن (يذكيه) يوقده (سفه) جهل (اصفح) أظهر كرمك (جنى) أوقع بك جناية و(الجانى) فاعلها (الحلم) العقل والصبر على المضرات (ازدان) افتعل من الزين أى تزين به (اللبيب) العاقل (العفو) غفر الذنب (جنى) قطف الثمر وهذان البيتان من بدائع مزدوجاته التى نبهنا على أنها من فائق شعره وسبقه سابق البربرى الى معناهما بقوله

لا تظهرن لذى جهل معاتبة * فربما هيجت بالشئ أشياء

فالماء يخمد حرّ النار يطفئها * وليس للجهل غير الحلم اطفاء

ترى السفيه له عن كل محلة * زيغ وفيه الى التسفه اصغاء

وقال ابن فراس

ما كنت مذ كنت الاطوع اخوانى * ليست مؤاخذة الاخوان من شانى

يجنى الصديق فاستحلى جنايته * حتى أدل على عفوى واحسانى

ويتبع الذنب ذنبا حين يعرفنى * عمدا فأتبع غفرانا بغفران

يجنى على فاعفو صافحا أبدا * لاشئ أحسن من حان على جانى

وذكر الحريرى هذين البيتين والمقطوعة قبلهما وجنس فيهما بين لفظ القافية واللفظ قبله ومما جاء من ذلك وهو أضبط مما ذكر قول الشاعر

قدم لنفسك زادا * وأنت مالك مالك

من قبل أن تفانى * ولون حالك حالك

ولست تعلم يوما * أى المسالك سالك

اما لجنة عدن * أو فى المهالك هالك

وقال آخر

مالك من مالك الا الذى * قدمت فابذل طائعا مالكا

تقول أعمالى ولو فتشوا * وجدت أعمالك أعمى لكا

(وقالت للمعتمد جارية له لقد هنا هنا فقال)

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا

قلت لها الى هنا * صيرنا الهنا

(قوله المنكدر) أى المتغير والكدرة ضد الصفاء (المنهمر) السائل (أقلع) ارتفع وزال (فاء) رجع (الارعواء) الاستحياء والرجوع الحسن (أوهيت) أفسدت (شم) انظر (يستقرى) يتتبع (يستجدى) يطلب الجدا وهو العطية (فى ضمن) فى اثناء وفى خلال (تهوى) تسرع المشى وتتساقط اليه (الزمر) الجماعات (المحرمة) الداخلة فى الحرم (تسمو) ترتفع (المجد) الشرف (السمة) العلامة (غلظة) جفاء (شاكته) ضربته (حمة) شوكة العقرب التى تلسع بها والحمة السم فسمى ما يخرج عنه السم باسمه (صروف) نوائب (غادرتنى) تركتنى (خابط) ماش على جهالة (اضطرنى) ألجانى (خوض اللظى) دخول النار (المضرمة) الموقدة (رقة) شفقة (تعطفه) تلينه (مرحمة) رحمة (أوى) أشفق (نفحته) رميته ونبذته (ذامين) صاحب كذب (ابتهج) فرح (باكورة) أول ما يطيب من الشجر فجعل الدرهمين باكورة لانهما أول ما أخذ (تفاءل) جعلهما فألا أى لما كان أول ما حصل بايديهما درهمين استكثرهما فرجا أن تمشى عطايا الحاضرين على هذا المثال وقد كررت ذكر الفأل ونذكر هنا منه فصلا على ما أجرينا العادة فى غيره كان صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ولما قدم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلمانه يا سالم يا يسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر وقيل لرجل من العرب مالكم تسمون أبناءكم بأسماء السباع والكلاب وتسمون مواليكم بأسماء حسان مثل عطاء ونجاح فقال لانا أعددنا أبناءنا الاعداء تنا ومواليناالا نفسنا وسأل عمر رضى الله عنه رجلا عن

فقال له الغلام أما انك لو ظهرت على عيشى المنكدر لعذرت فى دمعى المنهمر ولكن هان على الاملس مالاقى الدبر ثم كأنه نزع الى الاستحياء فأقلع عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت فارقع ما أوهيت فقال هيهات شغلت شعابى جدواى فشم بارق سواى ثم انه نهض يستقرى الصفوف ويستجدى الوقوف وينشد فى ضمن ما هو يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذى تهوى اليه الزمر المحرمه

لو أن عندى قوت يوم لما مست يدى المشراط والمحجمه

ولا ارتضت نفسى التى لم تزل تسمو الى المجد بذى السمه

ولا اشتكى هذا الفتى غلظة منى ولا شاكته منى حمه

لكن صروف الدهر غادرننى كخابط فى الليلة المظلمه

واضطرنى الفقر الى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه

فهل فتى تدركه رقة على أو تعطفه مرحمه

(قال الحرث بن همام) فكنت أول من أوى لبلواه ورق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بهما للغناه

(ذكر ما قيل فى الفأل)

ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيش خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الشرح عند ذلك وهنأ نفسه بما هنالك وقال للغلام هذا ربع أنت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الابلمة ونهضا متفق الكلمه ولما انتظم بينهما عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد تسوغ دمي ونقلت اليك قدمي فهل لك أن تجمني وتكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعد ثم ازدلف الي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي وما جرى بيني وبين سخلي حتى انثنيت فائزا بالخصل أرعى رياض الخصب بعد المحل بالله يا مهجة قلبي قل لي هل أبصرت عيناك قط مثلي يفتح بالرقية كل قفل ويستبي بالسحر كل عقل ويمزج الجد بعاء الهزل ان يكن الاسكندري قبلي فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والالتحاق بالارذال

اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سراق قال تظلم أنت ويسرق أبوك وجاءه رجل فقال له ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأي تسكن قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى قال أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا فكان كما قال * الفحيمي بسنده حدثني أحمد بن علي حدثني أبو مسعود قال قال لي أبو داود السنجي ما اسمك قلت سعد قال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود قال لي مسئلتك مثل اعرابي لقي آخر فقال ما اسمك قال فيض فقال ابن من قال ابن الفرات قال أبو من قال أبو بحر قال ليس لنا أن نكلمك الا في زورق وقال علي بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن داره وبيده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر

بالشط لي سكن أفديه من سكن * أهدى من الآس لي غصنين في غصن

فقلت اذ نظما الفين واتسقا * سقيا ورعيا لفال منك ما حسن

فالآس لا شك آس من تشوقنا * شاف وآس تبقى لي على الزمن

بشرتماني باسباب ستجمعنا * ان شاء ربي ومهما يقضه يكن

ثم قال لي وكدت أنشق حسدا لمن هذا الشعر يا علي فقلت للحسين بن الضحاك يا سيدي فقال هو والله عندي أشعرهم وأحسنهم مذهبا وأظرفهم نمطا فقلت وقد زاد غيظي في هذا النمط يا سيدي قال وفي غيره وان رغم أنفك ومت حسدا وأردت انشاده قصيدة فقلت اني لا أتفع بها مع ما جرى فأخرتها الى وقت آخر (قوله تنهال) أي تنصب متفرقة (آل) رجع (خضراء) ناعمة لكثرة الرزق (حقيبة بجراء) أي وعاء ممتلئ والابجر الذي خرجت سرته (ازدهاه) هزه وأعجبه (الربع) الزيادة والفضل (والبذر) ما يزرع من الحبوب (حلب) لبن (شطره) نصفه (تحتشم) تستحي أو تغضب (الابلمة) الدومة تشق ورقتها فتخرج أبدا معتدلة (تكفكف) تدفع وتكف (دهمني) اصابني (ازدلف) قرب (ختلي) مكري (سخلي) ولدي (الخصل) الغلب في القمار وفي مسابقة الخيل وفي مراماة السهام (يستبي) يأخذ ويسبي وقد تقدم في شرح الصدر التنبيه على هذا الموضع (الطل) اضعف المطر و(الوبل) أشده (قرعته) أقلقته بكثرة اللوم وبأخذي له بلسان (الابتذال) امتهان نفسه في الصنعة الهجينة (الارذال) الادنياء فأرادعنفته ولمته أشد اللوم على حرفة الحجامة فانها صنعة أرذال الناس وسفلتهم. ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بعضها لبعض أكفاء قبيلة لقبيلة وحي لحي ورجل لرجل والموالي اكفاء الا حائكا أو حجاما وقال علي بن الحسين أربعة أعمال كانت في سفل بني اسرائيل وصارت في سفل العبيد وستكون في سفل الاحرار الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة * رفاعة بن موسى سمعت الصادق يقول ست لا ينجبون الملاح والمكاري والحامي والحجام والبيطار والحائك وممن شهر من الادباء بصنعة هجينة نصر بن محمد الخبز رزي كانت صنعته خبز خبز الارز في دكانه بمربد البصرة فكان ينشد أشعاره على الغزل والناس يزدحمون عليه واحداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وكان ابن لنكك على ارتفاع قدره ينتاب دكانه لحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدكان من الدخان وسوء أثره على ثيابه فانصرف وكتب اليه

لنصر في فؤادي فرط حب * ينيف به على كل الصحاب

* أتيناه فجزنا بخورا * من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادرا وحسبت نصرا * يريد بذاك طردى أو ذهابى
وقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابى

فلما قرئت عليه أملى على من قرأها وكتب على ظاهرها

منحت أبا الحسين صميم ودى * فخاطبنى بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كبياض شيب * فعدن له كغربان الشباب
وبغضى للمشيب أعد عندى * سوادا لونها لون الخضاب
فان يكن المطهر فيه فخرا * فلم يكن الوصى أبا تراب

ومن شعره

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * بأحسن من مولى تمشى الى العبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
فما زال نجم الكاس بينى وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد

وله

وردا الخدود ورمان النهود وأغـ * ـصان القدود تصيد السادة الصيدا
من لى اذا ما رأيت الخصر مختصرا * والردف مرتدفا والقد مقدودا

وكان يحيى السرقسطى أديبا فرجع الى الجزارين فأمر الحاجب بن هود أبا الفضل بن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى الجزارة والقصابه

فأجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض فن * لما استبدلت عنها بالحجابه
* وانك لو طلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يعتز منهم بامتناع * فان الى صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا لألف * فيغلبهم وتلك من الغرابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أمضى شهابه
وحتى زرت مشتاقا حميمى * فأبدى لى التجهم والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فأقصانى وأغلظ لى حجابه

(قوله ولم يبل) أصله يبالى حذفت ياؤه للجزم فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة ما لم يحذف منه شئ فقدروا تكرير الجازم عليه مرة أخرى فحذفت حركة اللام للجزم فسكنت اللام وقبلها ألف ساكنة فحذفت الالف لالتقاء الساكنين ولابى على فى هذه المسئلة عبارة استوحش منها أكثر العلماء فمن مخطئ ومن مصوب وتحقيقها غائب الاعن أهل التحقيق وقد أوضحناها فى

فاعرض عما سمع ولم يبل بما قرع وقال
كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

ثم قاصاني مقاصاة المهان وانطلق هو وابنه كفرسي رهان (قال الشيخ) الامام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما خاله يلتبس على من يقتبس (أما قوله بطء فند) فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة (وأما ذات النحيين) فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه اليها فأخذته باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه اليها فأمسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هنأك فضرب بها المثل في من شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت وأكثر الافعال التي على افعل تأتي من فعل الفاعل

شرحنا لكتاب الايضاح والاكثار من مسائل الاعراب في كتب الآداب مما يستبرد ويعاب (اعرنش) أي نحي وجهه لجنبه (قاصاني) فارقني وقال الفراء كل شئ بان منه من شئ فقد قصيته منه وتقصى الرجل من الرجل بان عنه وكل رجل باين شيأ فقد تقصى عنه، الليث رحمه الله كل شئ لازم خلصته فقد تقصى وتقصيت من الديون خرجت منها (فرسي رهان) هما اللذان يجريان ويجعل معهما جعل فمن سبق أخذه ومما استحسن من أبيات اللغز في هذا الباب قولهم في المشارط

وخضراء الا من بنات الهذيل * يلفف بالسير منقارها
كأن مشق عيون القطا * اذا هي هزت من آثارها

آخر

وكان جدي هراش في كتابته * من أكتب الناس يا هرون بالالف

يعني آثار التشريط تبقى كصور الالفات وقال آخر

يا ابن من يكتب في الار * ض بلا حبر دواة
لم يكن يكتب فيها * غير خط الالفات

(وقال ابن كناسة يخاطب ابراهيم بن سيابه)

يا ابن الذي عاش غير مضطهد * يرحمه الله أيما رجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف منهم ومنتعل
أبرك أو شي النجاد كاهله * كم من كمي أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
في كفه صارم بقلبه * يقد أعناق سادة نبل

وأخذ صاحب الشرطة رجلا في ريبة فقال أصلحك الله احفظ في الابوة وقال

أنا ابن الذي لا تنزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فأمر بتركه ثم أخبر أن أباه باقلاني فقال لولم تتركه الادبه وحسن تخلصه من الكذب لكان فعلنا سدادا وكان بالمدينة فتى أبوه مغن وأمه نائحة فاغضبه انسان فقال أتغضبني وأنا ابن الطرب والحرب، وقال ابن عباس المصري يذكر غلاما جميلا والحجام يأخذ من شعره في الحمام

مزين إنسى لظبي * كأنه البدر في سجوفه
كأن موساه وهو لما * نضي بها الشعر في وقوفه
كيوان في كفه حسام * يخلص البدر من كسوفه

ولبعضهم يمدح حجاما

ان المزين انسان صناعته * تعلو الصنائع اذ ما مثلها صنعت
ألا ترى انه لا يستراب به * وآلة الموت في صندوقه جمعت
يحلو مع الملك المرهوب جانبه * فيما اليه ضرورات الامور دعت
تعلو أنامله في حين خلوته * مواضع الوعلة اغيرها قطعت

وقال السري في مزين محسن

هل الحذق الا لعبد الكريم * حوى فضله حادثا عن قديم
اذا لمع السبرق فى كفه * أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه * يروح ويغدو بكف عليم
له راحة سيرها راحة * تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخدمته مدة * فنحن بها فى نعيم مقيم

وله فى طبيب

أوضح نهج الطب فى معشر * مازال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف افكاره * يجول بين الدم واللحم
ان غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

وفى ضده لابى نصر كشاجم

عيسى الطبيب ترفق * فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك الا * فراق جسمى وروحى
شتان مابين عيسى * وبين عيسى المسيح
فذاك يحيى بممات * وذا يميت الصحيح

وللخوارزمى

أبو سعيد واحل الكرام * ومنسف ينسف عمر الانام
لم أره الاخشيت الردى * وقلت ياروحى عليك السلام
يبقى ويفنى الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف نجاة اللئام
ثم تراه آمنا سالما * يا ملك الموت الى كم تنام

وللسرى

هل للعليل سوى ابن قرة شاف * بعد الاله وهل له من كاف
فكأنه عيسى بن مريم ناطقا * يهب الحياة بأيسر الاوصاف
مثلت له قارورتى فرأى بها * ما اكتن بين جوانحى وشغافى
يبدو له الداء الخفى كما بدا * للعين رضراض الغدير الصافى

وكثرة الكلام وقف على أهل الحجامة ولذلك صرف الحريرى بين الشيخ وابنه ماتقدم فى هذه المقامة وكان الفقيه الاعمش أكثر الناس تبرما ان أعاد أحد عليه سؤالا انتهره وأخطأ يوما على قوم فقالت لهم امرأته من وراء الستر احملوا عنه فوالله ماينعه من الحج منذ ثلاثين سنة الا مخافة أن يظلم كريه أو يشتم رفيقه وكثر عليه الشعر فقال له تلامذته لو أخذت من شعرك فقال لا نجد حجاما يسكت قالوا والله نأتيك به ونأخذ عليه أن يسكت حتى يفرغ قال افعلوا فأتى بحجام ووصى أن لا يكلمه فبدأ بحلقه فلما أمعن سأله فى مسئلة فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته فأخرج الحجام وأتى بغيره فقال والله لا أخرج اليه حتى توصوه وتحلفوه هاف أن لا يسأله فى شئ وحينئذ نخرج اليه ومقامة الحجام فى البديعية منها قال عيسى بن هشام فطلبت حجاما فجاؤا برجل نظيف ظريف لطيف فارتحت اليه وسلمت عليه فقال لى السلام عليك من أى بلد أنت فقلت من مصر فقال لى حياك الله من أرض النعمة والرفاهة

(وأما قوله أنف فى السماء واست فى الماء) فضرب هذا المثل لمن يتكبر قالا ويصغر فعالا (وأما قوله أفرغ من حجام ساباط) فذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندى بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادى عطلته فيحجمها لكى لا يقرع بالبطالة فمازال يحجمها حتى نزف دمها وماتت (وأما قوله يشكو الى غير مصمت) فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لانه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت ونحو هذا المثل (هان على الاملس مالاقى الدبر) وأما قوله (شغلت شعابى جدواى) فالمراد به انه ليس يفضل عنى ما أصرفه الى غيرى والشعاب هى النواحى وأحدها شعب وقوله (كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع) معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها فاما البعير الموقع فهو الذى يكثر آثار الدبر بظهره

و بلد السنة والجماعة ولقد حضرت فى رمضان جامعها وقد اشتعلت المصابيح وأقيمت التراويح فما شعرنا الا بعد النيل قد أتى على تلك القناديل لكن صنع الله لى بجف كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه وعاد الصبى الى أمه بعد ان صليت العتمة واعتدل الظل ولكن كيف كان حتى قضيت مناسكه كما وجب وصاح الصبيان العجب العجب فنظرت الى المنارة وما أهون الحرب عند النظارة ووجدت الهريسة على حالها فعلمت أن الامر بقضاء الله وفدوا الى منى اليوم وغدا السبت والاحد ولم أكثروا أطيل وما أكثر القال والقيل وان أردت أن تعلم المبرد حديد الموسى فى النحو فلا تشتغل بقول العامة فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لحلقت رأسك فهل ترى ياسيدى أن ابتدى قال عيسى فبقيت والله متعجبا من هذيانه وسألت عنه فاذا هو أبو الفتح قد غلب السواد عليه فتركته وانصرفت فهذه غرارة حجام على الحقيقة

(المقامة الثامنة)
(والاربعون الحرامية)

*(روى الحرث بن همام) عن أبى زيد السروجى قال مازلت مذ رحلت عنسى وارتحلت عن عرسى وغرسى أحن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها وأسأل الله ان يوطئنى ثراها لأفوز بمرآها وان يمطينى قراها لأقترى قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح لى فيها اللحظ رأيت بها ماثملأ العين قرة ويسلى عن الاوطان كل غريب فغلست فى بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر بالنوام

(شرح المقامة الثامنة والاربعين وتعرف بالحرامية)

(رحلت) أى شددت عليها الرحل والرحل سرج الناقة و(العنس) الناقة القوية شبهت بالعنس وهى الصخرة لصلابتها قال الليث اذا تم سن الناقة واشتدت قوتها وصلبت عظامها وأعضاؤها فهى عنس (عرسى) زوجتى (غرسى) أولادى (أحن) اشتاق (عيان) معاينة ومشاهدة (خصائص) ما يختص به من الفضائل (معالمها) مواضعها المشهورة و(المآثر) الفضائل والمكارم والمأثرة الفضيلة يختص بها (مشاهدها) مواضع اجتماع أهلها (يوطئنى ثراها) يجعلنى أطؤها وأمشى عليها وأوطأه الشئ أمكنه من أن يطأه (الثرى) التراب الندى و(مرآها) منظرها (يمطينى قراها) يركبنى ظهرها (اقترى) اتتبع (أحلنيها) أنزلنيها (الحظ) السعد (اللحظ) العين (قرة) سرور (يسلى) يشغل (غلست) خرجت فى الغلس وهى ظلمة آخر الليل (نصل) زال (هتف) صاح (أبو المنذر) كنية الديك ويكنى أبا سليمان * أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الديكة تصيح فانها رأت ملكا فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نهيق الحمير فانها رأت شيطانا فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم وقال صلى الله عليه وسلم الديك الابيض صديقى وانه يحرس دار صاحبه وسبع دور وكان مستعمه فى البيت

(ذكر ما قيل فى الديك)

وقال ابن المعتز يصف ديكا

* بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعدما انتصفا
مذكر بالصباح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحه لسنا الفجر واما على الدجا أسفا

وله

وصاح فوق الجدار مشترفا * كمثل طرف علاه أسوار
ثم غدا يسأل الغرات عن الارزاق منه ثغر ومنقار
رافع رأس طورا وخافضه * كانما العرف منه منشار

(وقال الاسعد بن بليط)

وقام بها ينعى الدجى ذو شقيقة * يدير النابين اجفانه سقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
ومهما اطمأنت نفسه قام صارخا . على خيزران نيط من صفره خرطا

لاخطو فى خططها وأقضى الوطر من توسطها فأذانى الاختراق فى مسالكها

والانصلات فى سككها الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بنى حرام ذات مساجد مشهودة وحياض موروده ومبان وثيقة ومغان أنيقه وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة بها ماشئت من دين ودنيا

وجيران تنافوا فى المعانى
فمشغوف بآيات المثانى
ومفتون برنات المثانى
ومضطلع بتلخيص المعانى
ومطلع الى تخليص عانى
وكم من قارئ فيها وقار
أضرا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها
ونادللندى حلو المجانى
ومغنى لاتزال تغن فيه
أغاريد الغوانى والاغانى
فصل ان شئت فيها من يصلى
واما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها
أو الكاسات منطلق العنان

(قال) فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها اذ لحت عند دلوك براح واظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه مزدهرا بطوائفه وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا فى حلبة الجدل فعجت نحوهم لاستمطر نوأهم لا لأقتبس نحوهم فلم يك الا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم ردف التأذين بروز الامام فأغمدت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن

كان انوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
مشى حوله الطاوس حسن لباسه * ولم يكنه حتى مشى مشية البطا

(قوله أخطو) أى أمشى (خططها) طرقها (الوطر) الحاجة (توسطها) المشى فى وسطها (أذانى) أوصلنى (الاختراق) المشى واخترقت البلدة اذا قطعت ارضها بالمشى والاختراق المرور والسلوك و(المسالك) الطرق والانصلات الخروج بسرعة من زقاق الى آخر وانصلت السيف خرج بسرعة (سككها) أزقتها الواحدة سكة وسميت سكة لاصطفاف الدور فيها ويقال للطريق المستوية المصطفة من النخل سكة (محلة) منزلة (موسومة) معلمة (الاحترام) الامتناع (حياض) جمع حوض (موروده) مقصودة للشرب (مبان) منازل (أنيقة) معجبة حسنة (أثيرة) منتشرة لكثرتها (مزايا) جمع مزية وهى الفضيلة يختص بها الشئ (تنافوا) تباعدوا (مشغوف) مولع شديد الحب (المثانى) ام القرآن وقيل السبع الطوال من اول القرآن و(رنات) اصوات (المثانى) اوتار عود الغناء (مضطلع) قوى (التلخيص) تهذيب الشئ وتخليص فوائده وكانه مقلوب التخليص و(تخليص عان) افتكاك اسير (قارئ) عابد مكثر لقراءة القرآن (قار) مطعم للضيف (الجفون) العيون (الجفان) صحاف الطعام يريد أن هذا اضر بجفونه بكثرة النظر فى الورق قارئا مافيها وهذا بجفانه لاطعام مافيها (مغنى) منزل (تغن) تصوت (اغاريد) اصوات (الغوانى) جمع غانية وهى المرأة الجميلة (الاغانى) جمع اغنية وهى مايتغنى به (الدنان) خوابى الخمر (دونك) اى الزم (الاكياس) اهل الفطنة والتدبير (منطلق العنان) مسيب مسرح (انفض طرقها) اى أمشى بها وحدى يقال جاء فلان ينفض الطريق اذا جاء وحده وقالت الجهنية

يرد المياه حضيرة ونفيضة . ورد القطاة اذا اسمأل التبع

الحضيرة الذى يحضر معه غيره وجمعه الحضائر والتبع الظل واسمأل نقص ويقال ايضا تنفض المكان واستنفضه اذا نظر جميع مافيه حتى يعرفه (استشف) استقصى النظر (رونقها) حسنها (لحت) ظهرت (دلوك براح) زوال الشمس وبراح من اسمائها مبنى على الكسر * عبد الله بن مسعود دلوكها غروبها ابو عبيدة دلوك الشمس زوالها وميلها وهو قول ابن عباس الازهرى هذا القول اصح عندى وقيل دلوكها من زوالها الى غروبها ويدلك هذا الوصف على ان البصرة من نهاية العظم والكبر على جانب عظيم لانه زعم انه خرج فى الغلس وبقى يمشى فى ازقتها الى الظهر ويقال انها فى آخر الدولة الاموية كسرت فوجد فى طولها فرسخان وفى عرضها فرسخ وخمسة اسداس فرسخ (قوله اظلال) أى دنو وقرب (طرائفه) عجائبه وغرائبه (مزدهرا) مضيأ بحلق الفضلاء والعلماء (طوائفه) جماعاته و(حروف الابدال) يجمعها اطال يوم أنجدته و(الحلبة) جماعة الخيل فى الطلق تجرى ليختبر عتيقها من هجينها (الجدل) الخصام (عجت) ملت (أستمطر نوأهم) أطلب معروفهم والنوء طلوع نجم من المنازل وسقوط آخر يقابله (اقتبس) آخذ و(قبسة العجلان) أخذه القبس وهو شعلة من نار يقتبسها من معظم النار (ردف) تبع وجاء بعده قال تعالى ردف لكم أى جاء بعدكم وأردف الرجل جئت بعده ابن الاعرابى ردف الرجل وأردفته ولحقته وألحقته بمعنى واحد (القنوت) الطاعة وهو أيضا طول القيام فى الصلاة

*ابن الانبارى القنوت أربعة أقسام الصلاة وطول القيام وإقامة الطاعة والسكوت (استمداد) طلب أن يمدوه بالقوت وهو الاستنزال (ينفض) يتفرق (انبرى) ظهر وقام بسرعة (كهل) تام الخلق (السمت) الوقار (ذلاقة) حدة (اللسن) حدة اللسان وتقدم الحسن فى الاربعين (اصطنيتهم) اخترتهم (أغصان شجرتى) بنى عمى وقرابتى وأولادى (خطتهم) بلدتهم والمهاجر عند العرب المستقل من البادية الى الحاضرة و (دار هجرتى) موضع سكناى الذى هاجرت اليه (كرشى) أهلى (عيبى) خاصتى الذين أنفردبهم وعيبة الرجل موضع سره وكرشه عياله والعيبة وعاء يجعل فيه المتاع والكرش مثلها والكرش الجماعة من الناس والكرش أيضا لكل مجتر من البهائم بمنزلة المعدة من الانسان فساق الكرش والعيبة على جهة المثل وانهم موضع سره وقال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى قيل موضع سرى وقيل مدادى لان ذات الكرش تستمد من كرشها (النضوح) والفضيحة الشهرة (المحاض) اخلاص (الارشاد) الهداية (عنوان العقيدة) دليل البواطن والمعتقدات و (المستشار) الذى تستشيره فى رأيك (مؤتمن) قد أمن على الاسرار والنفوس لايخون فيها وقال صلى الله عليه وسلم ماسم من استشار ولا شقى من استخار وقال بشار

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولاتكن * نؤما فان الدهر ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الاظلامة * شبا الحرب خير من قبول المظالم

وهى قصيدة طويلة قالها فى ابراهيم بن عبد الله فلما قتل صرفها الى المنصور فى أبى مسلم وكان بشار يقول المشاور على احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته وخطأ يشارك فى مكروهه وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر لما فى ذلك من الائتلاف وهو أغنى الناس عن المشورة وقال ابن المعتز

تجاوز عن اساءة كل دهر * وصاحب يوم حادثة بصبر
وان نابتك نائبة فشاور * فكم حمد المشاور غب أمر
وقسم همّ نفسك فى نفوس * ولاتنفردن بطول فكر
اذا كثر الفرات بما امدّ * أغص به حلاقم كل نهر

قال عيسى بن على مازال المنصور يشاور فى أمره حتى قال فيه ابن هرمة

اذا ماأراد الامر ناجى ضميره * فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يترك الادنين فى كل أمره * اذا اختلفت بالاضعفين قوى الحبل

*(وأنشد الجاحظ)

ليت هندا أنجزتنا ماتعد * وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لايستبد

ثم قال ولا أعلم الموصوف بالاستبداد الا مجهلا مذموما والمثل السائر على الافواه

استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضى الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حاو البراعة لمع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال ياجيرتى الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتى وجعلت خطتهم دار هجرتى واتخذتهم كرشى وعيبتى وأعددتهم لحضرى وغيبتى أماتعلمون ان لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وان الدين امحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة وان المستشار مؤتمن

وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما العزم الا أن تهم وتفعلا

(وقال سعد بن ناشب)

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وقال ابن رشيق فى أدب قوله تعالى وشاورهم فى الامر

أشاور أقواما الا خذ رأيهم * فيلوون عنى أعينا وخدودا

وليس برأيى حاجة غير أننى * أؤنسه كى لا يكون وحيدا

ولا أنا ممن يبعث السهم راميا * الى غرض حتى يكون سديدا

فلا يتهم عقلى الرجال فاننى * أعرفهم انى خلقت ودودا

وأنشد الحريرى بيتى بشار فى درة الغواص على ان قول الخواص مشورة بوزن مفعلة خطا وانما هى مشورة بوزن معونة ومثوبة مثل مكرمة من الصحيح فنقلت حركة الواو الى ماقبلها فسكنت واختلف فى اشتقاقها فقيل هو من شرت العسل أشوره اذا جنيته فكأن المستشير يجنى الرأى من المشير وقيل من شرت الدابة اذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها والاشتقاقان متقاربان (المسترشد) السائل أن يرشد (قن) حقيق (عذلك) لامك (صدقك) قال الصدق كأنه أراد أن الصديق انما سمى صديقا لصدقه لصاحبه يريد أن أخاك هو الذى يلومك ويقبح لك سوء فعلك ومن حسن وعذرك فى ذلك فليس بصديق ولا أخ مثل ماحكى الاصمعى قال سمعت أعرابيا يقول لأخ له اعلم ان الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ماوراء العواقب برويته ونظره ومثل لك الاحوال المخوفة وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفء رجائك وشكرك ازاء النعمة عليك وأن الغاش لهوالك والحاطب عليك من مدلك فى الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم انقيادا الى رضاك منقادا لهوالك وقال الشاعر فيمن لا يقبل النصح

اذا ماهديت امرأ مخطئا ، أضل السبيل الى قصده

فلم تلقه سامعا قابلا ، فخل له المشى فى ضده

(الخل) الخليل (الودود) الصاحب الكثير الود (الخدن المودود) الصديق المحبوب (الملغز) المبهم الخفى (الموجز) المختصر (تبغيه) تطلبه (ليجز) ليفعل فى الحين (حباك) اختصنا (صفوة) خيار (ناألوك نصحا) نقصر فى نصيحتك (ندخر) نرفع ونخبأ (نغدا) عطية ندفعها لك مأخوذ من النغض وهو الشرب القليل دون الرى والنضح أيضا الرش بالماء (وقيتم ضيرا) كفيتم الضر (يصدر) يرجع (تلبيس) التباس وتخليط (لا يخيب فيهم مظنون) اى ماظن فيهم من النصح والمعاونة موجودة فيهم غير مفقودة (مكنون) مستور (يطوى) يحجب ويستر (ابثكم) أنشر لكم وأظهر (حاك فى صدرى) أثر فيه واحتك به (عيل) غلب وعالنى الشئ عولا غلبنى وثقل على (قوله صلود الزند) هو أن لا يسمح بالنار (صدود الجد) اعراض السعد يريد الايام التى كنت فيها فقيرا (العقد) كانت العرب اذا عاهد الرجل صاحبه عقد أصابعه ثم صارت المعاهدة باللسان تسمى عقدا وكان أحدهم يربط رسن بعيره بخباء من يستجير به أو يرسل حبله فى البئر مع حبله فيشبكه به وكان هذا كله عندهم عقدا لا يسلم المستجار به المستجير

والمسترشد بالنصح قن وان أخاك هو الذى عذلك لا الذى عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود ماسر كلامك الملغز وماشرح خطابك الموجز وما الذى تبغيه منا لينجز فوالذى حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ماناألوك نصحا ولا ندخر عنك نضحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم ممن لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ماحاك فى صدرى وأستفتيكم فيما عيل فيه صبرى اعلموا انى كنت عند صلود الزند وصدود الجد أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته

الا لما يسلم ولده وقال حبيب

بلى لقد سلفت فى جاهليتهم * للحق ليس كحق حرمة عجب
أن يعلق الدلو بالدلو العربية أو ، يلامس الطنب المستحصد الطنب

(الصفقة) ضربة يد المشترى على يد البائع (أسبأ) اشترى (مداما) خمرا (اكتسى نشوة) أظهر سكرة (سوّلت) زينت وحسنت (المضلة) المحيرة (الابطال) فرسان الخلاعة للسن (الارطال) وهى أربعة وقال فى ذلك

سألت أخى أبا عيسى * وجبريل له فضل
فقلت الخمر تعجبنى * فقال كثيرها قتل
فقلت له فقدر لى * فقال وقوله فصل
وجدت طبائع الانسا * ن أربعة هى الاصل
فأربعة لاربعة * لكل طبيعة رطل

يذكر هذا الرجل انه تاب من شرب المسكر وعاهد الله أن لا يشرب خمرا ثم ارتد ورجع للخلاعة ومثل حالته هذه حالة أبى محمد البصرى كان تاب ورح فلما قفل راجعا بدأ فى شرب الخمر فقال

ألا يا هند قد قضيت حجى * فهات شرابك العطر العجيبا
فقد ذهبت ذنوبى بالليالى * فقومى الآن نقترف الذنوبا
خلطنا ما زمزم فى حشانا * بماء المزن فامتزجا قريبا

وكان أبو القاسم المغربى قد تنسك زمانا ولبس الصوف وترهب وحج فعشق غلاما تركيا وهام به وتقلد الوزارة ببغداد وغيرها وانتهى فى الجاه الى الغاية وتملك الاحرار واشترى الغلام التركى وقال

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع الممسك والشفوف
وعن له غلام ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

وقال أيضا يا أهل مصر قد عاد ناسككم * بالكرخ بعد التقى الى الفتك
خمش قلبى مقرطق غنج * قد بدّ قلبى به من النسك
رمى فؤادى بسهم مقلته * وكيف يخطى مولد الترك

(وقال كشاجم)

يقولون تب والكأس فى كف شادن * وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة * وأبصرت هذا كله لبدالى

(وقال الحسن)

كيف النزوع عن الصبا والكاس ، قس ذا الناس يا صاحبى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى * عن أن تسير الى فمى بالكاس
والراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس
وكأن شاربها لفرط شعاعها * بالليل يكرع فى سنى مقباس

صفقة العهد على ان لا أسبأ مداما ولا أعاقر ندامى ولا أحتسى قهوة ولا اكتسى نشوة فسولت لى النفس المضله والشهوة المذلة المزله ان نادمت الابطال وعاطيت الارطال

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

(قوله أصعت الوقار) يريد أنه ضيع وقاره في مجلس اللهو وقد تقدم قوله

وأصفي السرور اذا ما الوقور * أماط ستور الحيا واطرح

(العقار) الخمر لانها عاقرت الدن أي لازمته أو لانها تعقر شاربها بثقل السكر (امتطيت) ركبت (مطا الكميت) ظهر الخمر وورى بفرس أراد انه اعتكف على شربها وسميت كميتا لانها حمراء الى الكمتة و(أبو مرة) كنية ابليس وقد تقدم وقال الحسن

نمت وابليس الى الصبح في * كل الذي يؤثمني خصم

رأيته في الجو مستعليا * ثم هوى يتبعه نجم

فقال لي لما هوى مرحبا * بتائب يتبعه وهم

هل لك في غيداء ممكورة(٢) * يرتج منها كفل فخم

فقلت لا قال فني أغيد * ذي غنة يجرحه اللثم

لست أبا مرة ان لم تعد * فان ذا من فعلك الغشم

وقال فيه وذكر أنه قاد له غلاما

دب له ابليس فاقتاده * والشيخ نفاع على لعنته

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أضمر من نيته

تاه على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

وقال سليمان بن الاعمى في الوليد أخو صريع الغواني

يأبى السجود له من فرط نخوته * وقد تحول في مسلاخ قواد

(وقال ابن رشيق يشكر ابليس)

رأيت ابليس من مروأته * لكل ما لا يطاق محتملا

اذا هويت امرأ أو أعجزني * جاء به في الظلام معتقلا

تبذلا منه في حوائجنا * ولا يزال الكريم مبتذلا

(وقال ايضا يلعنه)

أرى الشيخ ابليس ذا علة * فلا برئ الشيخ من علته

يقود على الحب مستيقظا * ويأتيك في الليل في صورته

فيؤتيك ما شاء من نفسه * ويبلغ ما شاء من لذته

ومن كان ذا حيلة هكذا * تمثل للمرء في يقظته

فلا تدخروا دونه لعنة * لأن رضا الله في لعنته

(قوله عكفت) أي أقمت ولازمت (الخندريس) الخمر القديمة وانما ذكر (يوم الخميس) لانه يوم تعرض فيه الاعمال على الله تعالى واقدام العبد على الذنوب وقت العرض على الله تعالى أكبر خطرا (الصهباء) التي عصرت من عنب أبيض * الاصمعي هي التي تضرب الى البياض من أبيض عصرت أو من غيره (صريعها) الذي صرعته بالسكر يريد أنه بات سكران مطروحا وقال أبو العلاء بن زهر في سكارى

(٢) قوله ممكورة هي المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين كما في القاموس اهـ

وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسي الميت ثم لم أقنع بما تيكم المرتفي طاعة أبي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبت صريع الصهباء

وموسدين على الاكف خدودهم * قدغالهم شرب الصبوح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم مانالني
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها * انى أملت اناءها فأمالني

(الغرّاء) ليلة الجمعة (رفض الانابة) طرح التوبة والرجوع (نامى الندامة) كثير الندم (بادى الكآبة) طاهر الانكسار والحزن وسوء الحال (المدام والمدامة) الخمر سميت بذلك لانها أديمت فى ظرفها (الاشفاق) الخوف (نقض الميثاق) حل العهد (الاسراف) الاكثار (عب) حسو والعب أن يتابع الرجل الجرعة بعد الجرعة بغير تنفس (السلاف) الخمر العتيقة والسلاف والسلافة ماسال منهامن غيران تعصر وهى أفضل الخمر قال الاعشى

يبابل لم تعصر فجاءت سلافة * تخالط قنديدا ومسكا مختما

القنديد الخمر تطبخ ويجعل فيها أفاويه طيب * ونذكر هنا جملة من المقاطيع الخمريات لنجعلها خاتمة ماقيل فى الخمر عزم الواثق على الصبوح فقال للحسين بن الضحاك اكتب الى الفتح بن خاقان تدعوه الى الصبوح وكان قد برئ من مرض فكتب اليه

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى * قد لاح لى باكر فى ثوب لذته
ناديت فتحا وبشرت المدام به * لما تخلص من مكروه علته
ذب الفتى عن حريم الراح مكرمة * اذا رآها امرؤ ضد الخلقته
فاعجل الينا وعجل بالسرور لنا * وخالس الدهر فى أوقات غفلته

فسار واصطبح معه وقال الحسين بن الضحاك دخلت على الحسن بن سهل فى فصل الخريف وقدجاء الوسمى من المطر برش حسن واليوم فى أحسن منظر وأطيبه وهو جالس على سرير أبنوس وعليه قبة فوقها طارفة ديباج أصفر تشرف على بستان وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى كالمستنطق فقلت

ألست ترى ديمة تهطل * وهذا صباحك مستقبل
وهذا المدام وقد راعنا * بطلعته الشادن الاكحل
فعادنا وبه سكرة * تهون مكروه ماتسأل
فانى رأيت له طرة * تخبرنى انه يفعل
وقد أشكل العيش فى يومنا * فياحبذا عيشنا المشكل

فقال العيش مشكل فماترى قلت مبادرة القصف وتقريب الالف قال على شرط أن تبيت قلت لك الوفاء على أن يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى فضحك وقال ذلك لك على مافيه ثم دعا بالطعام والشراب ففقدت الغلام ساعة ثم جاء من الحمام فقلت

جرّده الحمام عن درة * تلوح فيها عكن بضه
كانما الرشح على خده * طل على تفاحة غضه
ياليته زودنى قبلة * أولاعن جنته عضه

فقال الحسن قدعمل فيك النبيذ فقلت

سقيانى وصرفا * بنت حولين قرقفا

(ذكر مقاطيع خمريات)

فى الليلة الغراء وها أنا بادى الكآبة لرفض الانابة نامى الندامة لوصل المدامة شديد الاشفاق من نقض الميثاق معترف بالاسراف فى عب السلاف

واسقيا الاهيف الغريـ * ـر سقى الله أهيفا
بأبي ما جنى السريـ * ـرة يبدي تعطفا
فاذا رمت ذاك منـ * ـه تأبى وعنفا
فاذا هـب للمنا * م فقوما وخففا

فتغاضب الغلام فذهب ثم عاد وقال أقبل على شرابك ثم ناولني قدحا والحسن قد خرج فشربت وأعطاني نقلا فقلت اجعل بدله قبلة فأبى فقال له فرج غلام الحسن بحياتي يا بني اسعفه بما طلب فضحك ثم دنا مني كأنه يعطيني نقلا وتغافل فاختلست منه قبلة فقال هي حرام فقلت

هوّن الامر عليه لي فرج * بأبيه فسقيا لفرج
وبنفسي نفس من قال وقد * كان ما كان حرام وحرج

ثم اشتهر الصبح فخرجت ثم عدت للحسن من غد فقال كيف كان مبيتك يا حسين فقلت

تألفني طيف ظبي الحرم * فواصلني بعد ما قد صرم
فعض الجفون على غفلة * وأعرض اعراضة المحتشم
فما زلت أبسطه مازحا * وأفرط في اللهو حتى ابتسم
وحكمني الريم في نفسه * بشيء ولكنه مكتتم

فقال يا فاسق أظن ما ادعيته في النوم كان في اليقظة وأصلح الاشياء بنا أن نرحض العار عن أنفسنا بهبته لك فخذه لا بارك الله لك فيه فأخذته وانصرفت وقد تقدم في هذا الكتاب من كلام الحسين ما يفوق به كل شاعر وهو القائل

أيجرني فاني قد ظمئت الى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عني بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد

وهذا منتهى ما أوردته للحسين من العجائب * دخل على بن الجهم على عبد الله بن طاهر في غدوة الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا فغاضبته جارية له فانتقض عزمه فخبر ابن الجهم بذلك فأراد تنشيطه فدخل عليه فأنشده

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله * صحو وغيم وابراق وارعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له * وصل وهجر وتقريب وابعاد
فباكر الراح واشرب بها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض اذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا * بذل وبخل وايعاد وميعاد
وليس يذهب عني كل فعلكم * غي ورشد واصلاح وافساد

فاستحسنها وأمر له بثلثمائة دينار وحمله وخلع عليه وقال علي أيضا

الورد يضحك والاوتار تصطخب * والناي يندب أحيانا وينتحب
والراح تعرض في يوم الربيع كما * تجلى العروس عليها الدر والذهب
وكلما انسكبت في الكاس آونة * حسبت ان شعاع الشمس ينسكب

وقدمر من كلام ابن الجهم كل بديع في نظمه رفيع وآخر شعر قاله وهو أحسن ماقيل في معناه

يارحمة للغريب في البلد النـازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وغربتـه * عدل من الله كل ماصنعا

وكان هجاء لعلي بن أبي طالب وسمعه يوما أبو العيناء يطعن على علي فقال له أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين قال أتعني قصة بيعة أهلي قال لا أنت أوضع من ذلك ولكن لانه قتل الفاعل قوم لوط وأنت أسفلهما وقال البحتري فيه

اذا ماحصلت عليا قريش * فلا في العير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ماتمنى * لزاد الخلق في عظم الايور
علام هجوت مجتهدا عليا * بما لفقت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل * يكف أذاك عن أهل القبور

وقال ابن القناص كاتب سيف الدولة

قم فاسقني بين خفق الناي والعود * ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأسا اذا أبصرت في القوم محتشما * قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق الناي خاطبنا * نزوج ابن سحاب بنت عنقود

(وقال المصحفي)

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل اللادغ
خفيت على شرابها فكأنهم * يجدون ريا في اناء فارغ

(ادريس بن اليماني)

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت * ان الجسوم تخف بالارواح

(ابن المعتز)

وندمان سقين الراح صرفا * وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها فاضحت * كمعنى دق في ذهن لطيف

وله وهو مما يتصل بأبيات الديك المتقدمة

فاشرب عقارا كأنها قبس * قد سبك الدهر تبرها فصفا
ترى الندامى الابريق من دمها * كأنه راعف ومارعفا

ولبعضهم
مازال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسدا بيمينه * سكرا وأسلم روحه للراح

وقال النظام
مازلت آخذ روح الزق في لطف * وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي * والزق مطرح جسم بلا روح

أخذه أحسن أخذ من بشار حيث قال

شربنا من فؤاد الزق حتى * تركنا الزق ليس له فؤاد

(وقال ديك الجن)

وقم أنت فاحثث كأس غير صاغر * ولا تسق مطبوخا وأسق عقارها
فقام تكاد الكاس تخضب كفه * وتحسبه من وجنتيه استعارها
مورّدة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها
فظلنا بأيدينا نعتتع روحها * فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقال حبيب وكاس كمعسول اللماء شربتها * ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها * لهيبا كوقع النار بالحطب الجزل
اذا اليد نالتها بوتر توقدت * على طعنها ثم استقادت من الرجل

وقال الحسن وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحمرّ حتى ما تقل جفونها
كأن يواقيتا رواكد حولها * وزرق سنا نيرتدير عيونها

والخوارزمي وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون ورعدة مريد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم
يطوف بها ظبي يريد عبوسنا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

(وقال مسلم بن الوليد)

ابريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المدير بمقلتيه غزالا
يسقيك من عينيه كأس صبابة * ويعيدها من كفه جريالا

وقال أبو دلامة سقاني أبو بشر من الراح شربة * لها لذة ماذقتها بشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم * مشى في نواحي كرمها بشهاب

ولما أنشدها علي بن الخليل صاح أحرقها العبد أحرقه الله * كان ابن لنكك أسرع الناس سكرا فقال في ذلك

فديتك لو علمت ببعض ما بي * لما جرّعتني الا بمسعط
فحسبك ان كرمافي جواري * أمر ببابه فأكاد أسقط

(قوله فيا قوم هل كفارة تعرفونها) انما غير بيت أعرابي أنشد أبو العباس أبياته وهي

فيا قوم هل كفارة تعرفونها * تباعد من ذنبي وتدني الى ربي
شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشدّ ما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني وأبعد طالبا * رضاها فتعتدّ التباعد من ذنبي
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

(وقال أبو العبر الهاشمي المتحامق)

أبكي اذا غضبت حتى اذا رضيت * بكيت عند الرضا خوفا من الغضب

فيا قوم هل كفارة تعرفونها
تباعد من ذنبي وتدني الى ربي

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأيد فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت أيها الاروع الذى * فاق مجدا وسوددا

والذى يبتغى الرشا * دليجوبه غدا
ان عندى علاج ما * بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة * غادرتنى ملددا
أنا من ساكنى سرو * ج ذوى الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها * ومطاعا مسودا
مربعى مألف الضيو * ف ومالى لهم سدى
أشترى الحمد باللهى * وأقى العرض بالجدا
لا أبالى بمنفس * طاح فى البذل والندى
أوقد النار باليفا * ع اذا النكس أخمدا
ويرانى المؤملو * ن ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقى صد * فانثنى يشتكى الصدى
لا ولا رام قابس * قدح زندى فاصلدا
لما ساعد الزما * ن فأصبحت مسعدا
بقضى الله أن يغـ * ـير ما كان عودا
بوأ الروم أرضنا * بعد ضغن تولدا
فاستباحوا حريم من * صادفوه موحدا
وحووا كل ما استسر بها لى ومابدا * فتطوحت فى البلا د طريدا مشردا
أجتدى الناس بعدما * كنت من قبل مجتدى

فالموت ان غضبت والموت ان رضيت * ان لم يرحنى سلو عشت فى تعب

وأبو العبر على تحامقه جيد الشعر ومن ذلك قوله

وفى ساعدى ممن تعلقت عضة * تذكرنى ذاك الشنيب المفلجا
وآثار خدش فى يدى مليحة * أقام عليها القلب حتى وعرجا
أما والذى أمسيت أرجو ثوابه * لقد حل ما أخشا وانقطع الرجا

(وله)

داء دفين وهوى بادى * اظلم مجازيك بمرصاد
يا واحد الامة فى حسنه * أشمت فى صدك حسادى
عبدك تحيى موته قبله * يجعلها خاتمة الزاد

(ولأعرابى فى نحو ما أنشده أبو العباس)

سكت فقالت لم سكت عن الحق * وفهت فقالت ما دعاك الى النطق
فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق
فلم أر لى اذ حلت الغرب مخلصا * من الشر الا فى المسير الى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيته به * وقد قعدت لى منه فى أضيق الطرق

وعلى ما تقدم فى وصف الخمر من النظم المستحسن المرغب فى شربها فانه جاء من التحذير فيها ما يوجب تركها على أهل التخصيص والفضل من حديث أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال *ابن الاعرابى طينة الخبال عصارة أهل النار فى النار وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مدمن الخمر كعابد وثن (قوله أنشوطة) عقدة سهلة تسميها العامة اللج (نفثه) لفظه (الوطر) الحاجة (بثه) حزنه (ناجتنى) حدثتنى (النهزة) الفرصة وما أخذ بلا تعب (أيد) قوة (انتهضت) تقدمت (مجثمى) موضع قعودى (الشهم) الشديد النفس (انخرطت) اندفعت بسرعة والانخراط التصميم وركوب الرأس (الاروع) السيد (فاق) زاد على غيره فى الفضل (علاج) معاناة وطب (مسهدا) ممنع النوم (ملددا) ملتفتا يمينا وشمالا من شدة الخوف (ثروة) غنى (مسودا) مقدما للسيادة (مربعى) منزلى (مألف) موضع الاجتماع (سدى) مهمل (اللها) العطايا (اليفاع) ما ارتفع من الارض (النكس) الدنئ (أخمد) أطفأ (المأملون) الراجون (ملاذ) ملجأ (المقصد) الموضع تقصده (يشم بارقى) ينظر برقى (صد) عطش (انثنى) رجع (رام) طلب (قابس) طالب النار (قدح زندى) استخراج ناره (أصلد) وجده صلدا أى شحيحا (ساعد) وافق (بوأ) أى أنزل (ضغن) حقد وعداوة (استباحوا) صيروه مباحا (حريم) عيال (موحد) مسلم (حووا) ضموا (استسر) خفى (بدا) ظهر (تطوحت) ترامت على جهالة وألقيت بنفسى للهلاك (طريدا) منفيا (مشردا) مفزعا عند الهرب فارا (اجتدى) أسأل

(خصاصة)

وترى بى خصاصة * آعنى لها الردى والبلاء الذى به * شمل آنسى تبددا
استباء ابنتى التى * أسروها التفتدى فاستبن محنتى ومد * دا الى نصرتى يدا
وأجرنى من الزما * ن فقد جار واعتدى
وأعنى على فكا * ك ابنتى من يد العدى
فبذا تنمحى الما * ثم عمن تمردا
وبه تقبل الانا * بة ممن تزهدا
وهو كفارة لمن * زاغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا * فلقد فهت مرشدا
فاقبل النصح والهدا * ية واشكر لمن هدى
واسمع الآن بالذى * يتسنى لتحمدا

(قال أبو زيد) فلما أتممت هذرمتى وأوهم المسؤل صدق كلمتى أغراه القرم الى الكرم بمواساتى ورغبه الكلف بحمل الكلف فى مقاساتى فرضخ لى على الحافرة ونضخ لى بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكرى فرحا بنجح مكرى وقد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك القصيدة الى لوك العصيدة (قال الحرث ابن همام) فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خدعك واخبث بدعك فاستغرب فى الضحك ثم أنشد

عش بالخداع فانت فى * دهر بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى * تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذ * ر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفت * ك فرض نفسك بالحشيشة
وأرح فؤادك ان نبا * دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يو * ذن باستحالة كل عيشه

(المقامة التاسعة والاربعون الساسانية)

(حكى الحرث بن همام) قال بلغنى أن أبا زيد حين ناهز القبضة

(خصاصة) فقر (الردى) الهلاك (شمل) مجتمع (تبدد) تفرق (استباء ابنتى) أخذها أسيرة (استبن) تحقق وتبين (محنتى) بليتى (جار واعتدى) مال وظلم * وفك الرقبة وفكاكها تخليصها من أسر الرق وكذلك الرهن وفى الحديث اعتق النسمة وفك الرقبة قيل أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد فى عتقها وفك الرقبة أن تعين فى عتقها * ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من فدى أسيرا من أيدى العدو فانا ذلك الاسير (تنمحى) أى تذهب (تمرد) أكثر الفساد (الانابة) الرجوع الى الله تعالى (تزهد) ترك الرغبة فى الدنيا (زاغ) مال (فهت) نطقت (مرشدا) دالا على الخير (اسمح) جد (يتسنى) يتيسر الفضيحى كان ابن قطرى قاضى ناحية المزار بلد عند البصرة قد تاب من الشرب ثم نقض التوبة وعاد يشرب ثم بعد المعاودة حضر مسجد بنى حرام يوما بالبصرة وتاب ورجع الى الله تعالى بصدق النية وسأل عن كفارة ذنبه وكان فى المسجد رجل يزعم أنه من أهل سروج وله بنت مأسورة فى أيدى الكفار فقال لابن قطرى كفارة ذنبك ان تتصدق على بشئ أفكها به فأعطاه عشرة دنانير فلما أخذها منه دخل الحانة فلم يزل يشرب بها الخمر حتى فنيت وبلغ ذلك الخبر ابن قطرى فندم على ما أعطاه وساءه وأحزنه ثم ان الحريرى أنشأ هذه المقامة الحرامية فى ذلك فقيل له هى أحسن من مقامات البديع فانشأ أربعين مقامة ثم استزادوه فكملها خمسين (قوله هذرمتى) أى كثرة كلامى (أوهم) أى خيل له (كلمتى) أى قصيدتى (أغراه) أى حرضه (القرم) الشهوة (مواساتى) اعطائى (الكلف) الحب و(الكلف) جمع كلفة وهى ما يتكلف من العمل (رضخ) أعطى (على الحافرة) أى عندما أكملت كلامى والحافرة أول الامر وقيل ان أصلها فى بيع الفرس ولرفعة الخيل عندهم كان لا يفارق البائع حافر فرسه حتى يأخذ ثمنه (نضخ) رفع ونضخ الماء فوراته من منبعه (الوافرة) الكثيرة (وكرى) بيتى وأصله للطائر (صوغ المكيدة) صنعة الكيد (سوغ) بلع بسهولة (لوك) مضغ (أبدعك) أى أوجدك وخلقك (استغرب) أكثر الضحك (مرتبك) مختلط فى كلامه (بيشة) موضع كثير الاسد (المكر) الخديعة (نبا) ارتفع (المطيشة) المدهشة للعقل (تغاير) اختلاف (الاحداث) النوازل (يوذن) يعلم (استحالة) تغير

(شرح المقامة التاسعة والاربعين وهى الساسانية)

(ناهز) قارب (القبضة) أراد بها ثلاثا وتسعين سنة لانك اذا قيل لك اعقد فى يديك ثلاثا وتسعين قبضت اصابعك كلها وشددت عليها الابهام والمعنى أنه قارب المائة التى ليس فى العيش بعدها منفعة والشعراء يضمنونها أشعارهم اذا وصفوا البخيل بقبض الكف قال الخليل بن أحمد

وكف عن الخير مقبوضة * كما قبضت مائة سبعه

وقال اخر

فتسعون تحفرها ثلاث * يضم حسابها رجل شديد
بكف خرقة جعت لوجه * بأنكد من عطائك يا يزيد

(وابتزه) سلبه (الهرم) كبر السن (النهضة) القيام الى ما يريد * ودخل هشام بن عبد مناف وقد أسن على قتبة من قومه فقاموا اليه اجلالا وأجلسوه فى أرفع موضع فقال بارك الله فيكم ان بنى مرة كانوا اذا شاخ عندهم الرجل قيدوه وقالوا له ثب فان وثب أحبوه وقالوا فيك بقية وان لم يثب قالوا ليس فى هذا منفعة فقتلوه وقال ابن الرومى

لو أن عمرى مائة هدّنى * تذكرى أنى تنصفتها

لهفى على خمسين عاما مضت * كانت أمامى ثم خلفتها

(استجاش) استجمع وحشد (الفناء) ما حول الدار و (الفناء) بالفتح الموت (الكتيبة) الجيش (وكبشها) رئيسها وحاميها والذى كانت العصا تقرع له عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية ولما أسن كان يزل فى حكمه وكانت له بنت حكيمة فأمرها أن تقعد وراء ستر لتنظر حكمه فاذا أنكرت منه شيأ قرعت له العصا فتى سمع صوت قرعها علم أنه زل فرجع وقيل قرعت لأكثم بن صيفى وقيل لسعد بن مالك الكنانى وقيل لعمرو بن حممة الدوسى * خطب صعصعة ابن معاوية الى عامر بن الظرب بنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك تشترى منى كبدى فارحم ولدى قبلتك أورددتك والحسيب الرجل الصالح أبا بعد أب وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة أقسم لولا قسمة الحظوظ على الجدود ماترك الاول للآخر ما يعيش به وفيه يقول المتلمس

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وماعلم الانسان الا ليعلما

وهو أول من جلس على المنبر وتكلم وفيه يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت لو أن علمى نافع * ان السبيل سبيل ذى الاعواد

قال الاصمعى نزلت عدوان ماء فاحصى عليه سبعون ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرتهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الاصبع العدوانى

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض

بغى بعض على بعض * فلم يبقوا على البعض

ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض

ومنهم حكم يقضى * ولا ينكر مايقضى

الحكم عامر بن الظرب والذى كان يجيز الناس فى الحج منهم رجل كان يسمى أباسيارة أجاز الناس على حمار له أسود من المزدلفة الى منى أربعين عاما فقيل فى المثل أصح من عير أبى سيارة وكانت اجازته أن يقول اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم وأكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يدفع فيقول

خلوا الطريق عن أبى سياره * وعن مواليه بنى فزاره * حتى يجيز سالما حماره

ثم يقف فيقول أشرق ثبير كيما نغير وكانت الاجازة قبلهم فى خزاعة فغلبتهم عليها عدوان ولا تقرع له العصا مثل يضرب لمن وافق صاحبه وساواه * ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها قال عمها مثل محمد لا تقرع له العصا وأصل ذلك أن الناقة الكريمة اذا

وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال له يا بنى انه قد دنا ارتحالى من الفناء واكتحالى بمرود الفناء وأنت بحمد الله ولى عهدى وكبش الكتيبة الساسانية من بعدى ومثلك لا تقرع له العصا

ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب الى الاذكار وجعل صقلا للافكار واني أوصيك بما اوصى به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط • فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقفه أمثالي فانك ان استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي أمرع خانك وارتفع دخانك وان تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رماد أثافيك وزهد أهلك ورهطك فيك يا بني اني جربت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أن المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست هذه الاربع لانظر أيها أوفق وانفع فما احمدت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث الاحلام والفيء المتنسخ بالظلام وناهيك

أتاها فحل غير كريم منعوه عنها وقرعوه بالعصا على أنفه وفي المثل ان العصا قرعت لذي الحلم

(قوله ولا ينبه بطرق الحصا) كانت العرب اذا أرادت اختبار الرجل هل يصلح للسفر والغارة ترك الرجل صاحبه حتى ينام فيأخذ حصاة فيرمي بها الى جانبه فان انتبه توثق به * وخرج أبو كبير الهذلي ومعه تأبط شرا للغارة فلما جن الليل أووا الى موضع لينامو افيه فتركه أبو كبير حتى نام فرمى الى جانبه بحصاة فساعة مست الارض وثب ثم عاد الى نومه ففعلها ثلاثا فكان ينتبه لوقوعها ويثب ويجول يطلب لها راميا فلا يجد الا أبا كبير نائما فقال له عند الثالثة والله لئن عدت لاقتلنك فانه ليس هنا من يفعل هذا غيرك ففعل أبو كبير وقال أردت اختبارك ثم ذكر القصة في قصيدته التي يقول فيها

وإذا رميت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها طمور الاخيل

يريد أن ابنه كان فوق هذا في ذكاء القلب فهو كأنه منتبه أبدا وطرق الحصا أيضا من فعل الكهان يأخذ الكاهن حصيات فيضرب بها الارض ويتطرف فيها فيخبر بالمغيبات (قوله ندب) أي دعى وحرض (الاذكار) التذكير بما يفعل (الافكار) الاذهان (شيث) هو ولد آدم عليه السلام وكان أجل بنيه وأحبهم اليه وهو وصي أبيه واليه ترجع الانساب وقال صلى الله عليه وسلم أربعة من الانبياء سريانيون آدم وشيث وادريس وهو اخنوخ ونوح وأنزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وقال بقية بن ارطاة بلغني ان حواء حملت بشيث الرضا حتى نبتت أسنانه وكانت تنظر الى وجهه من صفائه في بطنها وهو الثالث من ولد آدم وانه لما حضرها الطلق أخذها عليه شدة فانتبذت به فلما وضعته أخذته الملائكة فمكث معهم أربعين يوما فعلموه المهن ثم ردوه اليها معلما والمهن جمع مهنة وهي الخدمة (الانباط) قيل سموا انباطا لاستنباطهم البناء واستخراجهم المياه والنسابون يزعمون أنهم ولد يافث بن نوح ولا يصح على هذا أن يوصيهم شيث لان بين زمن شيث وزمن يافث آلافا من السنين الجوهري النبيط والنبط قوم كانوا ينزلون بين البصرة والكوفة والجمع انباط والرجل نبطي * ابن دريد النبط جيل من الناس معروف وهم النبط والانباط و(الاسباط) بنو يعقوب عليه السلام ومنهم تشعبت قبائل بني اسرائيل والاسباط في ولد يعقوب كالقبائل في ولد اسمعيل (احذ مثالي) أي امش على طريقي وافعل بفعلي (استرشدت) استدللت (استصبحت) استضأت (أمرع) أخصب (الخان) الفندق وهذا مثل لرفاهة العيش (نبذت) طرحت (الاثافي) أحجار القدر (زهد) لم يرغب (بلوت) اختبرت (نشبه) ماله (الفحص) البحث والاربع التي ذكر نسبها الثعالبي للمأمون قال قال لي المأمون الناس أربع طبقات بين امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا علينا (مارست) خالطت (أحمدت) صادفتها محمودة (استرغدت) استكثرت (فرص) نهز والنهزة والفرصة ما يحضر لك من الفوائد من غير أن تعنى في طلبها فان فوتها ولم تغتنم أخذها فاتتك فربما تعنى غاية التعنى في طلبها فلا تظفر بها الجوهري الفرصة النوبة والشرب يقال وجد فلان فرصة أي نهزة وجاءت فرصتك من الشيء أي نوبتك (خلس) جمع خلسة وهي كالخطف وشبهه يريد أن الامير كأنه اختلس ايامه أي اختطفها لقصر مدتها ويقال الخلسة فرصة و(اضغاث الاحلام) أباطيلها التي لا يصح تأويلها لاختلاطها والضغث كل ما كان مختلطا لا حقيقة له والحلم الرؤيا والجمع احلام * ويقال هذا رجل ناهيك

من رجل ونهيك من رجل أى انه نجدة وعناية ينهاك عن تطلب غيره فناهيك كافيك (الغصة) مايختنق به (الفطام) قطع الرضاعة عن الصبى وفى الكلام معنى التعجب كأنه قال ما أنكد غصة العزل على أهل الولايات والعزل للولاة كالحيض للنساء و(البضائع) الاموال يتجر فيها (عرضة للمخاطرات) أى معرضة للضرر والسلب وفلان عرضة لكذا أى نصب وهو له عرضة أى يتعرض له دونه وهذا عرضة لك أى عدة وقال النقاش فى قوله تعالى عرضة لايمانكم أى علة انها وسببا ومتخذا لذلك وأصل العرضة الدابة تتخذ للسفر لقوتها ثم جعل كل ماصلح لشئ عرضة له حتى قيل المرأة عرضة للزوج * والطعمة المأكلة وهذه الضيعة طعمة لفلان والطعمة أيضا وجه المكتسب فـ(طعمة للغارات) يريد أن قطاع الطرق يسلبون أموال التجار أبدا فأرزاقهم معرضة للتلف (التصدى) التعرض (منهكة) مذلة وسبب نهك وهو الجهد والضعف ونهكته الحمى وانهكته اذا جهدته وأضنته ونقصت لحمه ونهكه السلطان عقوبة بالغ فى عقوبته (روح بال) راحة قلب (عائقة) حابسة (الارتكاض) الجرى والتصرف وهذه شاهدة من أحوال أهل الحرث وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى السكة ما دخلت قط دار قوم الا ذلوا وقال صلى الله عليه وسلم فى الامارة ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة و(الحرفة) الصنعة (فاضلة) زائدة (معصوب) مربوط والعصب الفتل الشديد يريد أن الصنعة ينتفع بها مادام صاحبها شابا قويا فاذا شاخ لم يقدر على الانتفاع بها (قوله بارد المغنم) أى السهل منه وهو الذى يؤخذ بغير قتال (ساسان) شيخ المكدين والغرباء وهم بنو غبراء و(الغبراء) الارض وسموا بنى غبراء لقطعهم جهات الارض وجولانهم فى البلدان فكأنهم ليس لهم أصل ينسبون اليه الا الارض وقيل سموا بذلك للزومهم لغبراء الارض وهو وجهها وترابها والرقاد فيها فيغبرون بذلك ويتغيرون * وكان الاحنف العكبرى وهو أبو الحسن عقيل بن العكبرى فصيحا شاعرا وذكر الصاحب فيه فصلا وهو ولو أنشدتك ما أنشدنيه الاحنف العكبرى وهو فرد بنى ساسان اليوم فى مدينة السلام فى الفصاحة وحسن الطريقة فى الشعر لامتلأت تعجبا من ظرفه واعجابا بنظمه ومن افتخاره قوله

على انى بحمد الله فى بيت من المجد
واخوانى بنو ساسا * ن أهل الجد والجد
لهم أرض خراسان * فغسان مع اللد
اذا ما أعوز الطوف * على الطراق والجند
حذارا من أعاديهم * من الاعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج * بلا سيف ولا غمد
ومن خف أعاديه * بنافى الروع يستعدى

ففى هذا البيت معنى بديع يريد ان ذوى الثروة وأهل الفضل اذا وقع أحدهم فى أيدى العداة وأراد التخلص قال أنا مكد فبنى الحريرى هذا الموضع من مقامته على شعر الاحنف وأكثر هذه المقامة مأخوذ من ملحه ومن هذا الشعر

وقالوا قد سلا عنك * وقد مال عن العهد

غصة بمرارة الفطام وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع والتصدى للازدراع فمنهكة للاعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربها عن اذلال أو رزق روح بال وأما حرف أولى الصناعات فغير فاضلة عن الاقوات ولا نافقة فى جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافى المكسب صافى المشرب الا الحرفة التى وضع ساسان أساسها ونوع اجناسها

ولا والله ماحلت * ولكن قلّ ماعندى

ومن شعره
عشت فى ذلة وقلة مال * واغتراب فى معشر أنذال
بالامالى أقول لا بالمعانى * فغذائى حلاوة الآمال
لى رزق يقول بالوقف فى الحا * ل ورجل تقول بالاعتزال

(وله)
العنكبوت بنت بيتا على وهن * تأوى اليه ومالى مثله وهن
والخنفساء لها من جنسها سكن * وليس لى مثلها الف ولا سكن

(وله)
نرى العقيان كالذهب المصفى * يركب فوق أثغار الدواب
وكيسى منه خاو مثل كفى * أما هذا من العجب العجاب

(وله)
رأيت فى نومى الدنيا مزخرفة * مثل العروس ترامت فى المقاصير
فقلت جودى فقالت لى على عجل * اذا تخلصت من أيدى الخنازير

(قوله أضرم) أى أوقد (الخافقين) المشرق والمغرب (أوضح) بين (منارها) سراجها (معلما) مشهورا (سيماها) علامتها يريد أنه اختار علاما منهم لنفسه (يبور) يكسد ويهلك أهله (المنهل) موضع الماء (يغور) يغوص فى الارض (يعشو) ينظر (الجهور) معظم الشئ (العور) جمع أعور (الجيل) أهل العصر (يرهقهم) يدركهم ويغشاهم (حيف) جور وظلم (حمة) سم (لاسع) ضارب واللسع الضرب بمؤخره مثل العقرب واللدغ لما كان بالفم ولسعه بلسانه عابه وآذاه ورجل لسعة ولساعة ولساع أى عياب مؤذ (يدينون) يطيعون (دان وشاسع) قريب وبعيد (يرهبون) يخافون (برق ورعد) هدد وخوف (يحفلون) يبالون (من قام وقعد) من غيظه وشره (اخرطوا) ركبوا رؤسهم واندفعوا بشدة وخرطت الغصن اذا وضعت يدك عليه ثم تجره عليك فيسقط مافيه من ورق وثمر (أنديتهم) مجالسهم (مرفهة) الرفاهية العيش اللين (غر) بيض (محجلة) مشهورة (سقطوا) وقعوا (لقطوا) جمعوا الرزق وأصله للطير (يتمازون) يفترقون (خماصا) جياعا (بطانا) شباعا وهى للطير وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (قوله رتقت) أى الحمت وسديت وهو ضد فتقت تقول رتقت الشئ اذا ضممت بعضه الى بعض وفتقته نقضته (اقتطف) أجنى الثمر وهذا مثل قوله (من أين تؤكل الكتف) قالوا تؤكل من أسفلها لان المرقة تدخل بين عظامها ولحمها فن أكلها من أعلاها جرت المرقة عليه ولفظ المثل على ماذكره أبو عبيد فلان أعلم من حيث تؤكل الكتف يضرب مثلا لمن جرب الامور ودرى تصرفها قال البكرى ان لحم الكتف اذا أكل من أعلاه تناثر واذا أكل من قبل الغضروف لم يتأت لآكله والغضروف اللحم الرخص المتصل بأسفل الكتف المتسع وقيل أكل الكتف اذا أمسك فيها بطرف الغضروف ربما سقطت فتربت واذا أمسكها بالطرف الآخر أمن من ذلك * الفنجديهى لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقطع بكليته واذا جذب من الجانب الاعلى تقطع اللحم ولم ينقطع ولان المرقة تجرى بين لحم الكتف والعظم فاذا أخذته من أعلاه تصيبت المرقة عليك بسرعة واذا أخذت اللحم من أسفله تقشر من عظمها فلم تنصب المرقة بالسرعة وهو مثل يضرب للبصير بالامور وقال أوس بن حجر

وأضرم فى الخافقين نارها وأوضح لبنى غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما واخترت سيماها الى ميسما اذ كانت المتجر الذى لا يبور والمنهل الذى لا يغور والمصباح الذى يعشو اليه الجهور ويستصبح به العمى والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غر محجلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما اخرطوا خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يتمازون عما تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له ابنه ياأبت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لى كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بنى ان الارتكاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها

فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر وأسلط من ذئب متمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب رعيك بسعيك وجب كل فج ولج كل لج وانتجع كل روض وألق دلوك الى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال وإياك والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس ذوى البوس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة ويملك الثروة كما أن الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومبطأة للعمل ومخيبة للامل ولهذا قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر وجراءة

أمدلكم بعض من يرتاد مشتقى * بأي آكله لحم تؤكل الكتف

يقول أنا أعلم كيف آنالكم وقال آخر

انى على ما ترون من كبري * اعلم من أين تؤكل الكتف

(قطرب) دويبة تجول الليل كله ولا تنام ويقال فيه أيضا أسهر من قطرب وهذا قول أبي عمرو وغيره يروبه أسعى من قطرب لا أسهر ويقول هو دويبة لا تستقر بالنهار ويحتج بقول ابن مسعود لا أعرفن أحدكم جيفة ليل قطرب نهار وقطرب اسم رجل مشهور وهو ابن المستنير صاحب المثلث وكان من أهل العربية فجلس لسيبويه يناظره فلما رآه سيبويه قد احتشد بالسؤال قال انك لقطرب ليل فسمي بذلك والقطرب أيضا ذكر الغيلان ابن ظفر ذكر من يعول عليه أنه حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صدعن نفسه اذا كان شجاعا والا لم ينته حتى ينكحه فاذا نكحه تدود دبره وهلك قال وهم اذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا أمنكوح أم مروع فان قال منكوح يئسوا منه وان قال مروع سكنوه ربما لجره قال فقد رأيت أهل مصر وما بين يديها وما خلفها وتحققت أهل صعيدها والعربان وهم مستوون في الجهل بهذا الحيوان ومختلفون الاختلاف الشديد في فعله وصورته الا أن أهل مصر أكثر لهجا به وا القطارب أيضا صغار الكلاب (قوله أسرى) أي أمشى بالليل (الجندب) ذكر الجراد وقيل هي دويبة تشبه الجراد ذات جناحين فلا تزال ترمح ولفظ المثل أسرى من جراد (مقمر) لاعب في القمر (وأنشط) أخف والظبي يأخذه النشاط في الليلة المقمرة فيلعب (متمر) متشبه بالنمر وهو سبع (جدك) حظك (اقرع) اضرب (رعيك) أكلك وأراد باب رعيك الذي يجيئك منه الرزق (ألق دلوك الى كل حوض) لفظ المثل ألق دلوك في الدلا يضرب في بذل الجهد في اكتساب المال والحث عليه وهو كما قال الشاعر

وليس الرزق عن طلب حثيث * ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها طورا وطورا * تجئك بحمأة وقليل ماء

(قوله فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان) الفنجديهي قرأت في بعض الفوائد أنه كان مكتوبا على عصا ساسان المكدي الكسل شؤم والتمييز مذموم والحركة بركة والتواني هلكة وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف (جال) تصرف ومشى في البلاد (نال) أدرك حاجته (عنوان) دليل (النحوس) جمع نحس وهو ضد السعد (ذوى البوس) أهل الفقر (لقاح المتعبة) أي أصلها وسببها (شيمة) طبيعة وكذلك (الشنشنة) (والوكلة التكلة) هو العاجز الذي يكل أمره لغيره ويتكل عليه فيه (اشتار) حرك واستخرج (الراحة) الاولى الكف والثانية ضد التعب (الاقدام) الجراءة (الضرغام) الاسد (والجراءة) الشجاعة و(الجنان) القلب و(الحظوة) المنزلة الرفيعة و(الثروة) الغنى (صنو) أخ (الفشل) الضعف والحيرة يريد أن فزع النفس وضعفها يخيب الامل والرجاء وقال معاوية الهيبة مقرون بها الخيبة (أبو زاجر) هو الغراب سمي بذلك لان العرب تزجر به وتتشاءم وتقدم ذلك * ومن وصيته لولده على ألسنتهم قالوا قال الغراب لابنه يا بني اذا رميت فتلوص أي تلو قال يا أبت أنا أتلوص قبل ان أرمى وقال لابنه وقد رأى رجلا فوق سهما يا بني اتئد حتى تعلم ما يريد الرجل فقال يا أبت الحذر قبل ارسال

السهم

السهم (وأبو الحرث) الاسد كنى بذلك لاحترائه أى لاكتسابه بقوته (وأبو قرة) الحرباء كنى بذلك
لان البرد لا يفارقه فالحرباء تدور لذلك مع الشمس حيثما دارت وتقدم حزامتها وهى أنها لا تفارق
ساق الشجرة حتى تمسك ساق الاخرى (وأبو جعدة) كنية الذئب وهى كنية بالضد لان جعدة
عندهم الشاة ولما كان الذئب يقتلها حيث وجدها جعلوه أباها بضد ما يفعل الاب الذى لا يقال
له أب الا لوجود الرحمة عنده على بنيه ونحوها قولهم للاسود أبو البيضاء (والختل) المكر (وأبو
عقبة الخنزير) ومن حرصه أنه يمشى بالليل وبالاسحار لطلب ما يأكل ويستتر بالنهار حرصا على
السلامة (وأبو وثاب) الظبى وكنى بذلك لسرعة وثبه (وأبو الحصين) الثعلب وهو أكثر الحيوان
مكرا ومن بعض مكره انه اذا رأى الغلبة تماوت فلا تشك فى انه ميت فاذا وقع له غير عارف تركه فما
يمر يسيرا حتى يقوم فارا او تحصينه بيصل العنصل من الذئب لان الذئب لا يطؤه فى زعم قوم وقالوا
ان الضبع صادت ثعلبا فقالت أخيرك يا ثعلب بين خصلتين فقال ماهما فقالت اما أن آكلك
وأما أن أكلك فقال لها الثعلب أما تذكرين يوم نكحتك فقالت متى فانفتح فوها وانفلت
الثعلب فذكروا ذلك مثلا وقالوا ضرب عليه خصلتى الثعلب وقالوا ان الثعلب اطلع فى بئر وهو
عاطش وعليها رشاء فى طرفيه دلوان فقعد فى الدلو العليا فانحدرت فشرب فجاء الضبع فاطلعت فى
فى البئر فأبصرت القمر فى الماء منتصفا والثعلب قاعد فى قعر البئر فقالت له ما تصنع هنا فقال لها
انى أكلت نصف هذه الجبنة وبقى نصفها لك فانزلى فكليها فقالت وكيف أنزل قال تقعدين فى
الدلو فقعدت فيها فانحدرت وارتفع الثعلب فى الدلو الاخرى فلما التقيا فى وسط البئر قالت له ماهذا
قال كذا البحار تختلف فضربت بهما العرب المثل فى المختلفين وأوصاف مكره كثيرة
و (أبو أيوب) الجمل سمى بذلك لانه أصبر الدواب على العطش والجوع وقطع الاشهر بالسير المتصل
ونقل الاوقار ومهما كان بهشئ من قوة تجلد فاذا وقف علم انه ليس فيه بقية ينتفع بها
و (أبو غزوان) الهر لغزوه الفئران وخشاش الارض وتلطفه يظهر فى محاولانه لتصيد الفأر فاذا
قدمت المائدة قرب منها وأخذ يتلطف فى صياحه ويتضرع ويحتك بالمائدة وبالا كل
حتى يعطى و (أبو براقش) طائر أغبر أوسطه أحمر واذا انتفض تلون ألوانا . أخذ الحريرى هذا
الفصل من كلام العلماء قالوا ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله تعالى العالم كله فيه فكان
فيه بسالة الاسد وصبر الجمل وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب وضرع السنور
وحكاية القرد وجبن الصقر قيل لرجل من كبار العلماء وكان بليدا سريع النسيان فى ابتداء
تعلمه بم أدركت العلم مع بلادتك وكلل خاطرك قال بكور كبكور الغراب وصبر كصبر الجمل وحرص
كحرص الخنزير (قوله اخلب بصوغ اللسان) أى بعذوبة الكلام قال ابن كناسة الشاعر كنت
أتكلم بكلام فلو لم يجد سامعه الا القطن الذى فى وجه أمه فى القبر لتعلق اليه حتى يخرجه
ويهديه الى وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث بعينه فما أفرغ منه حتى أهيئ له اعتذارى (وارتد)
أى اطلب و (الجلب) ما يجلب الى السوق للبيع (امتر) امسح ويفعل ذلك بالضرع لانه يدر لبنه
(المنتجع) موضع العشب أراد به موضع طلب الرزق (دمث) لين (اشحذ) اجل واصقل
وقال فى الدرة ويقولون شحات بالتاء وصوابه بالذال لان اشتقاقه من شحذت السيف اذا بالغت
فى احداده فكان الشحاذ هو الملح فى المسئلة المبالغ فى طلب الصدقة (بصيرتك) ذهنك (العيافة)

أبى الحرث وحزامة أبى قرة
وختل أبى جعدة وحرص
أبى عقبة ونشاط أبى وثاب
ومكر أبى الحصين وصبر
أبى أيوب وتلطف أبى غزوان
وتلون أبى براقش وحيلة
قصير ودهاء عمرو ولطف
الشعبى واحتمال الاحنف
وفطنة اياس ومجانة أبى
نواس وطمع أشعب
وعارضة أبى العيناء واخلب
بصوغ اللسان واخدع
بسحر البيان وارتد السوق
قبل الجلب وامتر الضرع
قبل الحلب وسائل الركبان
قبل المنتجع ودمث لجنبك
قبل المضطجع واشحذ
بصيرتك العيافة

وأنعم نظرك للقيافة فان من صدق توسمه ٣٩٨ طال تبسمه ومن أخطأت فراسته أبطأت فريسته وكن يا بني خفيف الكل

قليل الدل راغبا عن العل قانعا من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين النجاز عقبات وأى عقبات وعليك بصبر أولى العزم ورفق ذوى الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد أو نابك فيه كمد فبت منه أملك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة ولا تكرهن النقلة فان أعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا أجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة سفتجه وزروا على من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيلة ورضى بالحشف وسوء الكيلة واذا أزمعت على الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فخير الرفيق المسعد من قبل أن تصعد

زجر الطير (أنعم) بالغ (القيافة) الاستدلال على الولد وذلك أن ينظر خلقته وصفته فيشبهه بأبيه (توسمه) تظره (الفراسة) الحكم بحالات الشئ على ما يكون منه في المستقبل (الكل) الثقيل (والدل) والدلال بمعنى واحد (العل) الشرب بعد الشرب و (راغبا عنه) تاركا له (النقير) حفرة في ظهر نوى التمر ومنها تنبت النخلة (تقنط) تيأس (روح الله) رزقه ولبعضهم في هذا المعنى

سيفتح باب اذا سد باب * نعم وتلين الامور الصعاب
ويتسع الحال من بعدما * تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هوّن عليك * فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
اذا احتجب الناس من سائل * فما دون سائل ربى حجاب

(آخر)

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله أن العسر يتبعه يسر

(آخر)

فلا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل
وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

(قوله ذرة) كناية عن الشئ القليل (درة) جوهرة (آفات) جوائح (وللعزائم بدوات) يريد أن الانسان يعزم على فعل الشئ فى وقت ثم يبدو له أن لا يفعله (النجز) تعجيل قضاء الحاجة وقد قدم مثل هذا المعنى عند قوله * و بع آجلا منك بالعاجل (المشتط) المتجاوز القدر فى محاولته و (الخرق) ضد الرفق (السبط) السهل (شب) أخلط (البذل) العطاء و (الضبط) الحبس قال أبو حاتم الدارى دخلت مع أبى مدينة السلام فرأيت رجلا واقفا على الطريق يلعب بحية ويقول من يهب لى درهما حتى أبلع هذه الحية فالتفت الى أبى وقال يا بنى احفظ دراهمك فمن أجلها تبلع الحيات (مغلولة) محبوسة أى لا تكن شحيحا ممسكا ولا كريما متلفا (نابك) نزل بك (كمد) حزن (بت) اقطع (أملك) أى رجاءك (أسرح عنه) أى أزله وسرحه بالمشى الى غيره (الرحلة) الارتحال (النقلة) الانتقال (أعلام شريعتنا) مشايخ طريقتنا (الطراوة) أن يطرأ على بلد لم يره (السفتجة) ما أتاك بغير تكلف ولا مشقة وهى عند أهل المشرق أن يأخذ الرجل الدراهم والدنانير فيعطيها صاحبه ويقول احملها الى معك لأمن طريقك أو لمنعتك الى بلد كذا فادفعها الى ثم فان طريقى غير آمن من اللصوص قال مالك رضى الله تعالى عنه ان قصد بها المنفعة لم يجز لانه سلف جر منفعة فيقول الطراوة على الناس كالسفتجة ترغب الك فى أخذ الدراهم وقد يكون منك تمنع عن أخذها (زروا) عابوا (كربة) هم وقال من ذم السفر الغربة كربة والنقلة مثلة والغريب كالغرس الذى زايل أصله وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر اذا كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (تعلة) عذر (الرذيلة) الدون من كل شئ (الحشف) الردئ من التمر (الكيلة) الهيئة ومعناه أنه اجتمع عليه عيبان تمر فاسد وكيل ناقص (أزمعت) عزمت (الاغتراب) الجولان والغربة (الجراب) الوعاء للزاد (المسعد) الموافق القليل الخلاف (تصعد)

فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق خذها اليك وصية * لم يوصها قبلي أحد غراء حاوية خلا * صات المعاني والزبد نقحتها تنقيح من * محض النصيحة واجتهد فاعمل بعا مثلته * عمل اللبيب أخي الرشد حتى يقول الناس هـذا الشبل من ذاك الاسد ثم قال يا بني قد أوصيت واستقصيت فان اقتديت فواهاً لك وان اعتديت فآهاً منك والله خليفتي عليك وأرجو ان لا تخلف ظني فيك فقال له ابنه يا أبت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدداً وعلمت رشداً ونحلت مالم ينحل والد ولدا ولئن أمهلت بعد لا ذقت فقدك فلا تأدين بآدابك الصالحة ولا قتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه اباه فما ظلم (قال الحرث بن همام) فأخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذي الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

(المقامة الحسون البصرية)

(حكى الحرث بن همام) قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لا طفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتني من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم

ترتفع وتخرج (الجار قبل الدار) يقول لا تشتر داراً حتى تعلم من جيرانك وكفى الجار أن قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى خفت ان يورثه وقال الزاهد بن عمران

لتعن بالجار قبل الدار تسكنها * لا خير في الدار مالم يحمد الجار
الجار ان غبت عن أهل وعن وطن * نعم الخليفة هم أهل وانصار

والجار المساعد أحسن من القرابة ويروى أن رجلا كان جار الابي دلف ببغداد فادركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه فيها فسمى لهم ألف دينار فقالوا له ان دارك تساوي خمسمائة دينار فقال أبيع داري بخمسمائة وجوار أبي دلف بخمسمائة فبلغ أبا دلف الخبر فامر بقضاء دينه ووصله وقال لا تنتقل من جوارنا فانظر كيف صار الجوار يباع كما يباع العقار وقال الشاعر

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرانها تغلو الديار وترخص

(غراء) ظاهرة حسنة (حاوية) جامعة (خلاصات) جمع خلاصة وهو الذي يتخلص من الشئ ويصفو منه و(الزبد) جمع زبدة اللبن (نقحتها) هذبتها (محض) أخلص (اللبيب) العاقل (أخي الرشد) صاحب الرشد (الشبل) ولد الاسد (اقتديت) اتبعت وصيتي (واها) عجبا (اعتديت) ظلمت (آها) كلمة معناها التوجع (عرشك) سريرك والمعنى أنه يدعو له بالبقاء (سددا) صوابا (نحلت) أعطيت (الواضحة) البينة (الغادية) السحابة تأتي بالغدو و(الرائحة) بالعشي قال الفراء النحوي (من أشبه أباه فما ظلم) مثل أخذه الناس من قول كعب بن زهير

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته * قديما ومن يشبه أباه فما ظلم

(لقنوه) علموه (أولى) أحق (نحلة) عطية (العقيان) الذهب

(شرح المقامة الحسين وهي البصرية)

(أشعرت) ألبست (برح) شق واشتد (استعاره) توقده في القلب (لاح) ظهر يريد أنه لبس الهم كالشعار و(الشعار) ثوب يلي الجسد والشعار علامة القوم في الحرب فمعناه عبس وجهه من شدة الهم (يسرو) يزيل (غواشي الفكر) ما يغشاه ويدخل عليه من الهم (ماهول) كثير الاهل (المساند) جمع مسند وهو ما يستند اليه ظهره أراد مواضع العلماء المتصدرين للاقراء و(الموارد) مواضع المياه (مشفوه) كثيرة الشفاه عليه للشرب وأراد ازدحام الطلبة على الاشياخ لاخذ العلم (أزاهير) أنوار (ارجائه) نواحيه (صرير) أصوات (وان) مقصر (لاو على شان) معرج على أمر (استشرفت أقصاه) اطلعت بنظري عليه كله (تراءى) ظهر (اطمار) ثياب خلقة (عصبت) أحدقت وحلقت (عصب) جماعات (لا ينادى وليدهم) هذا مثل يستعمل في الامر المعجب المبالغ في وصفه المعجب منه وقد يؤول على تأويلات وهو يستعمل في الخير والشر

فاستدرت قصده وتوردت ورده ورجوت أن أجد لشقاقي عنده ولم أزل أتنقل في المرا
كز للأكز والواكز الى أن جلست
تجاهه بحيث أمنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجي
لاريب فيه ولا لبس يخفيه
فانسري بمرآه همي وارفضت
كتيبة غمي وحين رآني
وبصر بمكاني قال يا أهل
البصرة رعاكم الله ووقاكم
وقوى تقاكم فما أضوع
رياكم وأفضل مزاياكم
بلدكم أوفى البلاد طهرة
وأزكاها فطرة وأفسحها
رقعة وأمرعها نجعة
وأقومها قبلة وأوسعها
دجلة وأكثرها أنهارا ونخلة
وأحسنها تفصيلا وجملة
دهليز البلد الحرام وقبالة
الباب والمقام وأحد جناحي
الدنيا والمصر المؤسس على
التقوى لم يتدنس ببيوت
النيران ولا طيف فيه
بالاوثان ولا سجد على أديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد
المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة
والمقابر المزورة والآثار
المحمودة والخطط المحدودة
به تلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب
والحادي والملاح والقانص
والفلاح والناشب والرامح
والسارح والسابح وله
آية المد الفائض والجزر
الغائض وأما أنتم فمن
لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها

والرخاوة والشدة (استدرت قصده) اى عجلت المشي الى جهته (توردت ورده) اى طلب
و (المراكز) مواضع الجلوس ومركز الرجل موضعه وركزت الشيء غرسته (أعني ا
المكروه (اللاكز) الضارب في الصدر (الواكز) الضارب في ناحية الفم والوكز
اليد (تجاهه) قبالة وجهه (اشتباهه) التباسه بغيره (يخفيه) يستره (انسري)
(ارفضت) تفرقت (كتيبة غمي) أي عسكره (وقوله وحين رآني) يريد أن السروجي
همام يعرف مكره بالناس في كل بلد فخشي أن لا يسمح له بخداع أهل بلده فأخذ
وأهلها يرضيه بذلك (رعاكم الله) حفظكم (وقاكم) كفاكم ما يحذر (تقاكم)
(أضوع رياكم) أفوح رائحتكم (مزاياكم) فضائلكم التي خصصتم بها (أوفى) أكمل
أوسعها (الرقعة) القطعة من الارض (أمرعها) أخصبها (النجعة) موضع العشب
الناس (دجلة) نهر البصرة (تفصيلا وجملة) يقول ان جزئت مواضعها وتناظر كل جزء
بجزء من غيرها كان لها الفضل فان قيل أي البلاد أحسن على الجملة قيل البصرة
اسطوان الدار ومدخله و (المقام) موضع قيام ابراهيم عليه السلام عند الكعبة لله
جناحي الدنيا) من قول أبي هريرة الدنيا على مثال الطائر فالبصرة ومصر الجناحان فا
الامر (المؤسس على التقوى) الذي بني أساسه في الاسلام (يتدنس) يتوسخ (الاوثان
(أديمه) جلده أراد به أرضه (الخطط) الدور والأزقة (المختطة) الموسومة لبيني فيه
السفن (الركاب) الابل يريد أنها بحرية برية (الضباب) جمع ضب (الحادي) سائق
كان الحادي حسن الصوت بعث الابل جهدها في المشي (الملاح) خادم السفينة
صائد الحوت (الفلاح) الحراث (الناشب) الرامي بالنشاب (الرامح) الطاعن بالرمح أو
لانهم رماة والعرب لانهم أصحاب رماح و (السارح) راعي الابل و (السابح) العائم في
علامة (المد والجزر) اى زيادة البحر ونقصانه وهما الملء والحسر ونهر البصرة يز
البحر (خصائصهم) ما يختصون به من الفضائل أراد أن البصرة اجتمعت فيها الاشـ
والمتضادة التي لا تجتمع ببلد فهي أجمع بلاد الله فائدة قال ابن أبي عيينة في نحوه

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقارب به * من منزل حاضر ان شئت أو بادي
ترى قراقره والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادي

والبصرة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر عمر
رضي الله عنه وعتبة بدري مهاجري بناها سنة أربع عشرة من الهجرة فنزل بموضع
الكذان وهي الحجارة الرخوة فقال هذه البصرة انزلوها بسم الله فسميت لذلك البصرة
الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة في المحرم وكسرت البصرة في أيام خالد القسري
طولها فرسخين في مثلهما والكوفة ثلثاها وأما في أيام المنصور فقسم على من يستوجب
من أهل البصرة ألف ألف درهم فأصاب كل رأس درهمين ولاهل البصرة ثلاثة أشياء
من أهل البلدان أن يدعيها عليهم النخل والشاء والحمام أما النخل فهم أعلم خلق الله با
باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس في بلد من البلدان وأما الشاء المعبدية فوفد

الله صلى الله عليه وسلم رجل من عبد القيس فقال يا رسول الله انى رجل أحب الشاء فدفع له خلا من المعز فقبض بيده على أصل أذنه حتى استدارت أصابعه فصار فى أذنه كالسمة فسار الى بلده فأطرقه شاء فحملت الى البحرين فتناسلت هنالك فليس فى البحرين شاة كريمة الا وفى أذنها سمة كالحلقة فيغالى بها لتلك العلامة حتى تبلغ الشاة منها خمسين دينارا وتعقد بالبصرة عقودها وفيها شاة لبنى فلان أمها فلانة وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا وجاء بهم بلغت فى الهداية أن جاءت من أقاصى بلاد الروم ومن مصر الى البصرة وينتهى ثمن الطائر منها الى تسعمائة دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا وكل ما وصف فى المقامة موجود فى البصرة ولما صعد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه منبرها خطب وقال فى آخر خطبته يا أهل البصرة يا بقايا ثمود يا جند المرأة ويا أتباع البهيمة دعا فاتبعتم وعقر فانهزمتم أما انى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أكثر الناس صدقة وتاجرها أعظم الناس تجارة منها الى قرية يقال لها الابلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون الفا الشهيد منهم كالشهيد فى يوم بدر فبنى الحريرى فى مدح البصرة على هذا الحديث وانما ختم كتابه بذكر البصرة وأهلها التقوى مفاخرهم ومفاخر بلدهم فى البلدان فيلهجون بالمقامات ويقدمونها على غيرها (قوله شنآن) اى عداوة (دهماؤكم) جماعتكم والدهماء معظم الناس وأكثرهم والدهم العدد الكثير (عابدكم) زاهدكم كالحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما (الخليقة) اى أخوف الناس من الله تعالى (علامة) كثير العلم * ومستنبط علم النحو هو أبو الاسود الدؤلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان أحد بنى الديل من كنانة وهو يعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والبخلاء والنحويين ويعد فى العرج والمفاليج والجذ شهد مع على رضى الله عنه صفين وولى البصرة لابن عباس رضى الله عنهما وكان من شيعة على وكانت امرأته عثمانية وكان اصهاره لا يزالون يردون عليه قوله فى على فقال فيهم

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لا تنسى عليا

فقلت لهم وكيف يكون تركى * من الاعمال ما يقضى عليا

أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا

بنو عم النبى وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

ولم يشك أبو الاسود أنه رشد وعلى هذا تأويل قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومن بخله أنه كان يقول لا تجاودوا الله فان الله أجود وأمجد ولو شاء الله أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لولده اذا بسط الله لك فى الرزق فابسط وان قبضه فانقبض ومر برجل وهو يقول من يعشى هذا الجائع فأدخله وعشاه حتى شبع ثم ذهب السائل ليخرج فقال له أين تذهب فقال لاهلى فقال لا أدعك تؤذى المسلمين بسؤالك اطرحوه فى الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح وكتب الى رجل يستسلفه فكتب اليه الرجل المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب فراجعه أبو الاسود ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك

ذو شنآن دهماؤكم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لاحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الخليقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة البالغة فى كل أوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذى ابتدع

ولكن فرط مافرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فأما الآن وقد استشن الاديم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذى قد اتسع وكنت رويت من الاخبار المسنده والآثار المعتمده ان لكم من الله تعالى فى كل يوم نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الادعية والتوحيد فقصدتكم أنضى الرواحل وأطوى

العذب الصافى أراد أخذت ماله (فرط مافرط) اى سبق ماسبق (رطيب) ناعم وغصنه قامته و (الفود) ناحية الرأس (غربيب) أسود (برد) ثوب (قشيب) جديد (استشن الاديم) يبس الجلد والشن القربة البالية اليابسة (تأود القويم) اعوج المعتدل (استنار) أضاء وشاب (الليل البهيم) الشعر الاسود وقال الشاعر فى معنى استشن الاديم

يامن لشيخ قد تخدد لحمه - أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتى بعد هذا كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وقال ابن الرومى فى استنارة الليل

جار على ليل الشباب فضامه * نهار مشيب سرمد ليس ينفد
وعزاك عن ليل الشباب معاشر * وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لرشده * ولكن ظل الليل أندى وأبرد

وأنشد الزاهد بن عمران قول الشاعر

لم أقل للشباب فى كنف الله ولا حفظه غداة استقلا

فزاد بعد استقلا

لاولا للمشيب لما بدالى * مرحبا بالمشيب أهلا وسهلا
مؤذنا بالحمام هذا وذاكم * سود الصحف بالذنوب وولى

وأحسن ماقيل فى ذم خضابه قول ابن الرومى

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على فقد الشبيبة يلبس
والافايغرى الفتى بخضابه * أيطمع ان يخفى شباب مدلس
وكيف بان يخفى المشيب لناظر * وكل ثلاث صبحه يتنفس
وهبه يوارى شيبه أين ماؤه * وأين أديم للشبيبة أملس

وقال محمود الوراق

ياخاضب الشيبة بعد فقدها * فانما اند رجها فى كفن
أماتراها منذ عاينتها * تزيد فى الرأس بنقص البدن

(قوله ليس الا الندم) ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنبا أو أخطأ خطيئة فندم كان كفارة لما صنع وقال صلى الله عليه وسلم الدعا سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وان لكم من الله نظرة * كتب عبد الملك الى الحجاج يتوعد على بن الحسين و يكتب اليه بما يقول ففعل فقال ان لله لوحا محفوظا يلحظه فى كل يوم مائة لحظة ليس منها لحظة الا يحيي فيها و يميت و يعز و يذل و يفعل مايشاء وانى لارجو أن يكفيك الله منها بلحظة واحدة فكتب بها الحجاج الى عبد الملك وكتب ملك الروم الى عبد الملك أكلت الجمل الذى ركب عليه أبوك من المدينة لاغزينك جنودا مائة ألف ومائة ألف فكتب اليه عبد الملك بكلام على فقال ملك الروم ماخرج هذا الامن كلام النبوة (أنضى الرواحل) أهزل الابل (أطوى

المراحل)

المراحل) أقطع الارض مجتهدا وأردّ المرحلتين والثلاث مرحلة واحدة (منّ) احسان (أبغى) أطلب (الاعطية والادعية) اسم لما يعطى ولما يدعى (استنزل) أطلب بتلطف (سؤالكم) طلبكم التوبة لى من الله تعالى (والمآب) الرجوع (يعفو) يمحو وعفا الله عنك درس ذنوبك ومحاها من عفا المنزل درس وانمحت آثاره وقال ابن المعتز

كنت فى سفرة البطالة والغى زمانا فحان منى قدوم

تبت عن كل مأثم فعسى يمحى بهذا الحديث ذاك القديم

وله

الله يعلم ما أثم همت به * الا ونغصه خوفى من النار

وان نفسى ماهمت بمعصية * الا وقلبى عليها عاتب زارى

آخر

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فأعصى ويسطو توقها فأطيعها

ووالله مايخفى علىّ ضلالها * ولكنها تأبى فلا أستطيعها

(قوله أفرطت) أى ضيعت (اعتديت) ظلمت نفسى قال داود الطائى ما أخرج الله عبدا من ذل المعصية الى عز الطاعة الا وأغناه بغير مال وآنسه بغير أهل وأعزه بلا عشيرة (خضت) جزت (الغى) الضلال (اغترار) انخداع (اختلت) تكبرت ومشيت تخيلا و(اغتالت) أهلكت والغيلة القتل بالخداع وغالهم قتلهم غيلة (افتريت) كذبت (خلعت العذار) أزلت لجام الدين الذى يمسكنى وتسببت فى المعاصى (ركضا) جريا ووثبا (ونيت) فترت وقصرت فى الجرى اليها (تناهيت) أى بلغت النهاية وهى آخر الشئ (التخطى) الجواز والقطع وتخطيت الشئ جزته والخطايا الذنوب وهى من الخطا لان فاعلها مخطئ بفعلها و(النسى) الشئ المنسى لحقارته لا يخطر بالبال فتنسا [illegible] المشى الكديد والمساعى أد [illegible]

[illegible] التى يسعى فيها أى يمشى بعد [illegible]

[illegible] الهى ثم أرجو نواله * ولكن خوفى غالب لرجائيا

ولولا رجائى واتكالى على الذى * تكفل لى بالصنع كهلا وناشيا

لما ساغ لى عذب من الماء بارد * ولا لذلى نوم ولازلت باكيا

على انه قد كان منى جهالة * ليالى فيها كنت لله عاصيا

أخذه من قول الحسن البصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب [illegible] الرجاء اذا غلب الخوف فسد القلب (قوله فطفقت) أى [illegible] مل دعاء هابدعائه وتقوا [illegible] قال [illegible] حرارة ورجف الشئ تحرك [illegible] حرارة الارض [illegible] ب) انكشفت وزالت (غشاوة الاستراية) غطاء الشك (رضخ) أعطى (ميسوره) ما تيسر له و(عفو برهم) فضل احسانهم (يهرف) يكثر الكلام ويطنب فى الشكر (انحدر) انصب (يوم) يقصد (شاطئ) ساحل (اعتقبته) تبعته (تخالبنا) صرنا فى خلوة من الناس (التجسس) طلب الشئ باليد وقيل التجسس طلب الشئ بالكلام و(التحسس) طلبه باليد ثم قد يقع كل واحد منهما موقع صاحبه * ابن الانبارى تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا اجماع أهل اللغة وفرق بينهما يحيى بن أبى كثير فقال التحسس

أعطيتكم بل أستجدى
أد عيتكم ولا أسألكم
أموالكم بل استنزل
سؤالكم فادعوا الله تعالى
بتوفيقى للمتاب والاعداد
للمآب فانه رفيع الدرجات
مجيب الدعوات وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيآت ثم
أنشد

أستغفر الله من ذنوب
أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا
ورحت فى الغىّ واغتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا
واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا
الى المعاصى وما ونيت
وكم تناهيت فى التخطى

فليتنى كنت قبل هذا
نسيا ولم أجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير
من المساعى التى سعيت
يارب عفوا فأنت أهل
للعفو عنى وان عصيت

(قال الراوى) فطفقت الجماعة تمد بالدعاء وهو يقلب وجهه فى السماء الى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة

فجزيتم يا أهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق من القوم الامن سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم وأقبل يهرف فى شكرهم ثم انحدر من البصرة يؤم شاطئ البصرة واعتقبته الى حيث تخالبنا وأمنا التجسس والتحسس ابنا

البحث عن عورات الناس والتحسس الاستماع لحديث القوم * ابن الانبارى الجاسوس الباحث على أمور الناس (التوبة) الدولة (ايضاحا) بيانا (المريب) صاحب الريبة (المنيب الراجع الى الله بتوبته (الخاشع) هو الخاضع (صغت) مالت (أعانى) أقاسى (أتشوف) أتطلع (خبرة) اختبار (استنشيت) استطلعت وأصل معناه شممت (جوّابه) قطاعة وجوالة أى الذين عادتهم الجولان فى البلاد (حاور) كالم (عجماء) بهمة والمحاورة المراجعة فى الكلام (تراخى طول المدة (الكمد) مصاحبة الهم والحزن (ركبا) أصحاب الابل (قافلين) راجعين من سفر (مغربة) أى هل عند كم من حديث غريب و (العنقاء) قال ابن عباس رضى الله عنه هو طائر فضل به بنو اسرائيل فانتقل بعد يوشع الى بلاد قيس عيلان بنجد والحجاز فآذى الولدان فشكوا ذلك الى خالد بن سنان وكان نبيا بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فدعا الله أن يقطع نسلها فبقيت صورتها تصور فى البسط وكان أجل طائر وأعظمه ووجهه على هيئة وجوه الناس وقال أهل الرواية عنقاء مغرب انما هو الامر العجيب والعنق السرعة وذكرت عجائب البلدان بمجلس الراضى فقال قائل أعجب ما فى الدنيا طائر بأرض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق يسمى الكلم وهو يصيح فى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فترقه فاذا كان آخر النهار أخذوا واحدا مما قرب من الطير فأكله وذلك فعله الى أن ينقضى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتطرده وتضربه فيفر منها فلا يسمع له صوت الى الفصل الربيعى وهو طائر حسن موشى العينين وذكر الجاحظ أنه من عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف من تحته والثانى دودة تضىء بالليل كالشمع وتصير بالنهار لها أجنحة خضر وبالليل لا جناحين لها غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن يفنى التراب فتموت جوعا والثالث أعجب من الطائر والدودة من يكرى نفسه للقتال يعنى المسترزقة من الجند فاستحسن الخبر من حضر فقال الراضى ...ان أعجب ما فى الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها و... الثانى الكركى لا يطأ الارض بقدميه معا بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها اعتمادا قويا خوفا من أن تخسف الارض بثقله الثالث الطائر الذى يقعد فى مشارف الماء من الانهار الذى يعرف بمالك الحزين يشبه الكركى لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشا فافترق أهل المجلس والكل متعجبون من الراضى كيف تأتى منه مثل هذه المذاكرة مع من حضر من أهل السن والمعرفة مع صغر سنه والحكاية بكمالها فى كتاب المسعودى * وأما الزرقاء فكانت تبصر على مسيرة ثلاث ليال وكانت من جديس بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وكان مع جديس طسم بن لاوذ بن ارم وكانت مملكتهم فى طسم وكانوا يسكنون اليمامة وهم من ... العاربة فاقاموا برهة وبلادهم أفضل البلاد حدائق ملتفة وقصور مصطفة فكفروا بأنعم الله فأهلكهم وذلك لانهم ملكهم عملوق بن طسم وكان غشوما لا ينهاه شئ عن هواه فاختصمت اليه امرأة من جديس اسمها هزيلة مع زوجها فى ابن لها فأمر بالولد فجعل فى غلمانه وأمر بالزوج أن يباع وتعطى المرأة عشر ثمنه وبالمرأة أن تباع ويعطى الزوج خمس ثمنها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأبدع حكما فى هزيلة ظالما

فقلت له لقد أغربت فى هذه النوبة فما رأيك فى التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات ان شأنى لعجاب وان دعاء قومك لمجاب فقلت زدنى ايضاحا زادك الله صلاحا فقال وأبيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت منهم بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعنى وانطلق وأودعنى القلق فلم أزل أعانى لاجله الفكر وأتشوف الى خبرة ما ذكر وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوّابة ... كنت كمن حاور عجماء أو نادى صخرة صماء الى ان لقيت بعد تراخى الامد وتراقى الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا خبرا أغرب من العنقاء وأعجب من نظر الزرقاء فسألتهم ايضاح ما قالوا وأن

(الزرقاء)

وهي أبيات فبلغه قولها فامر أن لاتتزوج امرأة من جديس حتى تحمل اليه قبل زوجها فيعتذرها فلقوا منه ذلا طويلا الى ان تزوجت الشموس بنت غفار أخت الاسود بن غفار وكان سيد جديس فلما كانت ليلة اهدائها حملت اليه والقيان معها يقلن

ابدأ بعملوق اليه فاركب * وبادر الصبح بأمر معجب

* فما لبكر بعد كم من مذهب *

فلما افتضها خرجت على قومها في دمائها شاقة جيبها من دبر ومن قبل وهي تقول

أيصلح مايؤتى على فتياتكم * وأنتم رجال فيكمو عدد الرمل

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لاتفرمن الفعل

فلو أننا كنا رجالا وكنتمو * نساء لكنا لانقيم على الذل

فانفت جديس عند ذلك واجتمعت الى أخيها الاسود وأجمعوا على أن يصنعوا لها طعاما فيدعو عملوقا مع قومه فاذا جاؤا في الخيل والبغال عموهم بالقتل فقالت الشموس لاخيها الغدر عار وعاقبته بوار نحن القوم في ديارهم تظفر وأوتموتوا كراما فقالوا لها المكر أمكن من نواصيهم ثم صنع لهم الطعام ودفنوا اسيوفهم في الرمل فلما استكملوا في المدعاة أتوا عليهم أجمعين وهرب من طسم رياح بن مرة فأتى حسان بن تبع ليستنصره فاستبعدوا أرضهم وكان قد تبع لرياح كلبة فضربها في رجلها حتى عرجت فقال أبعيدة أرض قطعتها كلبة عرجاء فتجهز معه بجيش فلما صار وامن جديس على ثلاثة أيام صعدت الزرقاء على منار كان لها لتنظر الجيش وكان رياح قد قال لهم ان الزرقاء تبصر على ثلاث ليال ولكن ليقطع كل رجل منكم غصنا من شجر فيحمله لتشبه عليها فلما رأتهم قالت ياقوم أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت

اقسم بالله لقد دب الشجر * أو حمير قد أقبلت شيأ تجر

فكذبوها وقالوا كل بصرك وضعف فقالت أقسم بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف نعلا فتهاونوا بحديثها حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فاخذت الزرقاء فشق عيناها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وكانت أول من اكتحل به وهرب الاسود فنزل بطي فنسله فيهم وتسمى زرقاء اليمامة واسم البلد جو فلما صلبت على بابها سميت اليمامة وقيل اليمامة اسم البلد واسم الزرقاء عنز وقيل ان حسانا لم يصلبها ولكن حملها في السبي وقالت عندما قرب لها البعير لتركبه ولم تكن اعتادت ركوبه

شر يوميها وأغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

وقيل ان عنزا هي أخت الزرقاء وقال الشاعر

ما نظرت ذات أجفان كنظرتها * حقا كما صدع الدين الذي صدعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف * أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

فكذبوها فوافتها على عجل * اقيال حمير تزجي الموت والسرعا

فاستنزلوا أهل جو من معاقلهم * وهدموا شامخ البنيان فاتضعا

(قوله يكيلوا الى ما كالوا) أي يعطوني ما أعطوا من العلم (ألموا) نزلوا (العلوج) الروم (أم) صار اماما (حفزني) عجلني (النزاع) الشوق (فرصة) غنيمة (المعد) الكامل العدة في السفر (قرارة)

يكيلوا الى ما كالوا فحكوا أنهم ألموا بسروج بعد أن فارقها العلوج فرأوا أبا زيد ها المعروف قد لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا انه الآن ذو الكرامات فحفزني اليه النزاع ورأيتها فرصة لاتضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت نحوه سير المجد حتى حللت بمسجده وقرارة

متعبده فاذاهوقدنبذصحبة اصحابه وانتصب فى محرابه وهوذوعباءة مخاولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج على الاسدو وألفيته ممن سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولما فرغ من سبحته حيانى بمسبحته من غير أن نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم أقبل على اوراده وتركنى اعجب من اجتهاده وأغبط من يهدى الله من عباده ولم يزل فى قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس فحينئذ انكفا بى الى بيته

وأسهمنى فى قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق للمتهجد الأجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح خل ادكار الاربع والمعهد المرتبع والظاعن المودّع وعدّ عنه ودع واندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها لشهوة اطعتها فى مرقد ومضجع وكم خطا حثثتها فى خزية احدثتها وتوبة نكثتها للعب ومرتع وكم تجرأت على رب السموات العلا ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعى وكم غمصت برّه وكم أمنت مكره وكم نبذت امره نبذ الحذا المرقع وكم ركضت فى اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب من عهده المتبع فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع * الام تسهو وتنى ومعظم العمر فنى فيما يضر المقتنى ولست بالمرتدع * اما ترى الشيب وخط وخط فى الراس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعى

الشيب

الموضع الذى يقرفيه (متعبده) موضع عبادته (نبذ) ترك (انتصب) قام ووقف (المحراب) عند العرب سيد المجالس ومقدمها وأشرفها وقيل للقبلة محراب لانه أشرف موضع فى المسجد وقيل للقصر محراب لانه سيد المنازل الاصمعى المحراب عندهم الغرفة أحمد بن عبيد المحراب مجلس الملك سمى بذلك لانفراد الملك به لا يقرب به أحد وسمى محراب المسجد لانفراد الامام به ويقال فلان حرب لفلان اذا كانت بينهما مباعدة (عباءة) كساء (مخاولة) بالية مشدودة بالخلال و (الشملة) الكساء يشتمل به (موصولة) يريد أنها خلقة قد تقطعت فوصلت (ولج) دخل (ألفيته) وجدته (سيماهم) علامتهم (حيانى بمسبحته) أى بسبابته وقد تقدم ذكرها (نغم) تكلم بكلام خفى و (الاوراد) جمع ورد وهو النصيب من القرآن يقوم به الانسان كل ليلة (أغبط) أحسد وأتمنى أن أكون مثله (وسجود وركوع) سجد الرجل اذا انحنى ومال الى الارض من قول العرب سجدت الدابة وأسجدت اذا خفضت رأسها للتركب و يقال قنت الرجل اذا أخذ فى التعظيم والدعاء لله تعالى والقنوت على أربعة اقسام الطاعة كقوله تعالى كل له قانتون والصلاة كقوله تعالى اقنتى لربك واسجدى وطول القيام كقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الصلاة أفضل فقال طول القنوت والسكوت كقول زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلاة يكلم احدنا الذى يليه حتى نزل وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام قال ابو عبيدة نرى ان القنوت فى الصبح سمى قنوتا لان الانسان قائم فى الدعاء من غير أن يقرأ القرآن فكانه فى سكوت (اخبات) أى تذلل (انكفا) انقلب (أسهمنى) أى أعطانى سهما اى نصيبا (تهجده) قيامه للصلاة (ادكار) تذكر (الاربع) المنازل (عد) كف (دع) اترك (اندب) ابك (سلف) ذهب وتقدم (الصحف) الكتب (المعتكف) المقيم (الشنع) الذى يتحدث بقبحه (اودعتها) اى ضمنتها وجعلتها فيه (المآثم) الذنوب (ابدعتها) اخترعتها (خطا) جمع خطوة وهى الباع (حثثتها) عجلتها (خزى) هوان و (نكثتها) نقضتها (مرتع) اكل رغد (تجرأت) تشجعت واقدمت (تراقبه) تحارسه وتخشى منه (غمصت) نقصت (بره) احسانه (نبذت) تركت (الحذاء) النعل (ركضت) جريت (فهت) نطقت (تراع) تحفظ و (العهد) الميثاق (شعار) ثوب يلصق بالجسد (اسكب) صب (شآبيب) دفع المطر واحدها شؤبوب فاستعارها للدم كما استعار الدم للدمع (المصرع) موضع السقطة وصرعت اسقطت (لذ) الجأ (ملاذ) ملجأ (المقترف) المذنب (انحرف) دل (المقلع) الذى يقلع عن المعاصى و يفارقها (تسهو) تخطئ (تنى) تفتر (فنى) تم سكن الياء نشر ورة (المقتنى) المكتسب (المرتدع) المنتهى الكاف عن شهواته (وخط) فشا وانتشر والوخط مخالطة بياض شيب الراس بسواده والوخط فى غير هذا الطعن غير النافذ (خط) كتب (خطط) طرائق و (الشمط) اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر (بفوده) بجانب راسه (نعى) تحدث بموته وقال الالبيرى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
بل زاد غيا نفسه فتهافتت * تبغى اللها وكأنها بين اللها
فالى متى ألهو وأفرح بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ماحسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بألحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الظبا * كابى الجرى اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان أن آواه وأجهش بالبكا لذنوبه ضحك العدو وقهقها
ليست تنهنهه العظات ومثله * فى سنه قد آن أن يتنهنها
فقد اللدات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها
ياويحه ما باله لا ينتهى * عن غيه والعمر منه قد انتهى

ويحك يا نفس احرصى
على ارتياد المخلص
وطاوعى وأخلصى
واستمعى النصح وعى
واتعظى بمن مضى
من القرون وانقضى
واخشى مفاجاة القضا
وحاذرى أن تخدعى
وانتهجى سبل الهدى
وادكرى وشك الردى
وأن مثواك غدا
فى قعر لحد بلقع
آهاله بيت البلى
والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الالى
واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه
قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعه
قيد ثلاث أذرع
لافرق أن يحله
داهية أو أبله
أو معسر أو من له
ملك كملك تبع

(قوله ارتياد) أى طلب (المخلص) المنجا (عى) احفظى وهو أمر للمؤنث من وعى يعى (اتعظى) اعتبرى (القرون) الامم السابقة (انقضى) فرغ وتم (والقضاء) هنا الموت (ومفاجأته) اتيانه على غفلة (حاذرى) خافى (انتهجى) اسلكى وامشى فى نهج وهو الطريق البين (سبل الهدى) طرق الرشاد (ادكرى) تذكرى (وشك الردى) سرعة الموت (مثواك) موضع اقامتك لان المثوى والثواء الاقامة والمثوى الموضع الذى تقيم فيه (لحد) شق فى جانب القبر (بلقع) خال (آها) كلمة توجع (مورد) موضع الماء (السفر) المسافرون (الالى) الاولون المتقدمون والالى مقلوب الاول تقول أولى وأول ككبرى وكبر وأخرى وأخر ثم قلبوا الاول فقالوا الالى وتأتى الالى فى كلامهم بمعنى الذين موصولة وهى كثيرة يريد ان القبر مورد للاولين والآخرين وسماهم سفرا لان الانسان فى الدنيا مسافر لا يقيم انما يقطع أيامه وقال التهامى

العيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالى انما * أعماركم سفر من الاسفار

(قيد) قدر فان قيل كيف جعل القبر ثلاثة أذرع والذراع شبران والقبر قدره ما بين تسعة أشبار الى ثمانية فاخبرنى الحاج ابن السقاط ان عندهم بالمشرق ذراعا يسمونه المالكى يذرعون به ثيابهم وغيرها فيه من ذراع اليد ذراع ونصف وقال أبو القاسم الزجاجى الذراع الهاشمى ذراع وثلث فى ثلاثة أذرع بالهاشمى ثمانية أشبار وبالمالكى تسعة أشبار فاحدى الذارعين أراد وانما نقل لفظ ثلاثة أذرع من قول عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان التراب بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر قال عمر ويكون معى مثل عقلى هذا قال نعم قال فاذا أكفيكهما (داهية) مجرب للامور حاذق بها (ابله) عى كثير الغفلة (معسر) فقير (تبع) أراد

وبعده العرض الذى
يحوى الحيي والبذى
والمبتدى والمحتذى
ومن رعى ومن رعى
فيامفاز المتقى
وربح عبد قد وقى
سوء الحساب الموبق
وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى
ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى
لمطعم أو مطمع
يامن عليه المتكل
قد زاد مابى من وجل
لما اجترحت من زلل
فى عمرى المضيع
فاغفر لعبد مجترم
وارحم بكاه المنسجم
فأنت أولى من رحم
وخير مدعو دعى

(قال الحرث بن همام) فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكى عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر أخذ يهينم بدرسه ويسبك يومه فى قالب أمسه وفى ضمن ذلك يرن ارنان الرقوب ويبكى ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه التحق بالافراد وأشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبى عزمة الارتحال وتخليته والتخلى بتلك الحال فكأنه

به تبعا الاكبر وهو الذى ذكر الله فى كتابه قال صاحب التيجان اسمه شمو رغش بن ناشر النعم وسمى أبوه ناشر النعم لانه أحيا ملك حمير بعد أربعين عاما وهى أيام ملك سليمان وسمى شمو رغش تبعا الاكبر وان كانت العرب لم تسم قبله تبعا الان العرب لم يقم لنا أحفظ منه وكان يتجاوز عن مسيئهم ويحسن الى محسنهم وكان جميع أهل الارض شاكرين لا يامه وكان أعقل من رأوا من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غورا وأشدهم مكرا لمن حارب وغزا جميع ملوك الا فاق وقطع بجيوشه الارض كلها شرقا وغربا ثم رجع الى قصر غمدان يدبر ملك الارض وذلت له ملوكها وعمر زمانا طويلا وهو أول من أمر بصنعة الدروع السوابغ جعل على أهل فارس ألف درع وعلى الروم ألف درع وعلى اليمن كذلك وعلى ممالكه كلها مثل ذلك فكانوا يغدون عليه كل سنة بذلك العدد ولذلك قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

وقال ابن الكلبى لم يملك الارض كلها الا ثلاثة أبرار وهم سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وتبع وهو أسعد أبو كرب وثلاثة كفار وهم النمروذ وبختنصر والضحاك وأبو كرب الذى ذكر هو تبع وكان ملكا عظيما فتح البلاد وملك العباد وأقبل من اليمن يريد العراق فنزل الحيرة وحضر لهم نهرا وهو نهر الحيرة الى سوقها وبعث اليه حسان فى جنده ليطوف الارض فمضى به حسان فى عسكر عظيم جرار لا يمر بمدينة الا فتحها ولا ملك الا قهره وقيل فى تسمية ملوك اليمن تبابعة انه لكثرة ما يتبع الملك منهم من الجنود وقيل سمى تبعا لانه تبع من قبله ولابن سكرة فى معنى بيت المقامة

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلام تكثر حسرتى ووساوسى
والموت أنصف حين عدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

(قوله وبعده العرض) يريد عرض الناس للحساب (يحوى) يضم (الحيي) المستحيى (البذى) المتكلم بالفواحش (المحتذى) المتبع الحاذى حذوه (رعى) ملك يريد أن العرض يعم الناس فيحتوى على العفيف والبذى وعلى الاغنياء والفقراء والملوك ورعيتهم ولا يتميز فيه أحد ولا يشرف الا بعمل صالح (قوله فيا مفاز المتقى) المفاز الخلاص (وقى) كفى (الموبق) المهلك (هول) خوف (بغى) ظلم و(تعدى) جاوز الحد فى جوره (طغى) جاوز الحد فى تكبره (شب) أوقد (الوغى) الحرب (وجل) خوف (اجترحت) اكتسبت (زلل) خطأ (زفير) نفخ (والشهيق) رد النفس مع البكاء بصوت (ردفه) خلفه (انفض) تفرق (شغر بغر) أى فى كل طريق وعلى كل جهة (يهينم) يرد كلامه خفيا لا يفهم (يسبك يومه فى قالب أمسه) استعارة أى يفعل فى اليوم ما فعل فى الامس (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه (يرن) يصوت (الرقوب) المرأة التى لا يعيش لها ولد (ولا بكاء يعقوب) يجوز رفع بكاء ونصبه والرفع أكثر . وبكى يعقوب على يوسف عليهما السلام حتى عمى وهو قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (استبنت) تحققت (الافراد) العباد يقال فلان فرد فى فضله أى ليس له نظير والافراد سبعة من العباد لا تخلو الدنيا منهم حتى اذا مات واحد خلف الله تعالى فى موضعه آخر (أشرب) خولط وغلب عليه (هوى الانفراد) حب الوحدة وقال ابن الرومى

الى الزهاد فى الدنيا * جنان الخلد تشتاق
عبيدا من خطاياهم * الى الرحمن اباق
حدتهم نحوه الرغبه * مع الرهبات فاستاقوا
عليهم حين تلقاهم * سكينات واطراق
يفجون الى الله * ودمع العين مهراق
مليك الملك هل عما * تطوقناه اطلاق
ففى أعناقنا طرا * من الآثام أطواق

(وللفقيه أبى العباس بن خليل)

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
تلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
لاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقالوا فى هوى الانفراد الوحدة خير من القرين السوء وأنشدوا

أنست بالوحدة علما بها * فانها خير من الجمع
ألا ترى الواحد اصلا لما * يحسب من أصل ومن فرع
أترك من لا أرتجى نفعه * رجاء رب الضر والنفع
أنست بوحدتى حتى لو أنى * أتانى الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الا ملت عنه

(وقال آخر)

اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها * تلق الرشاد اذا ما كنت منفردا
ان السباع لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

تفرس ما نويت أو كوشف
بما أخفيت فزفر زفير الاواه
ثم قسر أنى اذا عزمت فتوكل
على الله فأسجلت عند ذلك
بصدق المحدثين وأيقنت
أن فى الامة محدثين ثم دنوت

(قوله تفرس) أى علم بفراسته وجودة نظره (نويت) أضمرت فى نيتى (كوشف) أطلع عليه (زفر) نفخ (الاواه) الحزين الذى يصيح آه آه (أسجلت) صدقت (المحدثين) الذين حدثوه بتوبة السروجى (محدثين) هم المكاشفون من الزهاد الذين يحدثون بالغيوب كأن المكاشف قد حدث بما يقول وقيل المحدثون الصادقون ظنا وفراسة وقال صلى الله عليه وسلم قد كان فيمن قبلكم محدثون فان يكن من أمتى هذه فهو عمر بن الخطاب وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألمعيا هو الصادق الظن ودليل ما ذكره صلى الله عليه وسلم فى عمر حديث سارية بن زنيم وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد أرسله فى جيش للمسلمين فألقى الله فى روع عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب الناس بالمدينة ان العدو قد نهز المسلمين واشتد الخطب عليهم وكانوا بحضرة جبل فقطع عمر الخطبة وقال يا سارية الجبل فأسمع الله تعالى سارية من مسافة شهر نداء عمر فانحاز بالمسلمين

الى الجبل فخلصوا (قوله المصافح) أى المعانق عند الوداع (نصب عينك) أى غرضم اوقدامها وأول من قال اجعل الموت نصب عينك أمية بن أبى الصلت فى قوله

كل عيش وان تطاول يوما * صائر أمره الى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى رؤس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الموت ان للموت غولا

(عبراتى) دموعى (يتصعدن) يترفعن (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خاتمة التلاقى) آخر لقائه * ونذكر هنا جملة من الشعر فى ذكر الوداع الذى كان بينهما وتجعله ... لماسلف لهما فى هذا الكتاب من رياض الآداب فانها كانت أنس الوحيد و... مريد فمن ذلك قول بعضهم

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الدم
عليك سلام فكم من ندى * فقدناه منك وكم من كرم

(وقال آخر)

أقول له يوم ودعته * وكل بعبرته مبلس
لئن رجعت عنك اجسامنا * لقد سافرت معك الانفس

وقال أبو سعيد الهمذانى أنشدنى هلال بن العلاء حين ودعنى

لأودعنك ثم تدمع مقلتى * ان الدموع هى الوداع الثانى
وأصوم بعدك عن سوالك اغتدى * متقلدا صومين فى رمضان
فى فرقة الاحباب شغل شاغل * والموت حقا فرقة الاخوان

(وأنشدنى أبو محمد بن حزم)

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

(وكرر هذا المعنى فقال)*

يقول أخى شجاك رحيل جسم * وروحك مالها عنه رحيل
فقلت له المعاين مطمئن * لذا طلب المعاينة الخليل

(وقال آخر)

بانوا فاضحى الجسم من بعدهم * ماتبصر العين له فيا
وأسفى منه ومن قولهم * ماضرك الفقد لماشيا
بأى وجه أتلقاهم * ان وجدونى بعدهم حيا

(وقال آخر)

لا كان يوم الفراق يوما * لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا * فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بفقد خل * يسومنى فى العذاب سوما
مالانى الناس فيه الا * بكيت كيما أزاد لوما

اليه كما يدنو المصافح وقلت أوصى أيها العبد الناصح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بينى وبينك فودعته وعبراتى يتحدرن من المآقى وزفراتى يتصعدن من التراقى وكانت هذه خاتمة التلاقى (قال الشيخ) الرئيس أبو محمد القاسم بن على برد الله مضجعه هذا آخر المقامات التى

(ذكر الوداع)

*(وقال

*(وقال صاعد اللغوى) ،

قلت له والرقيب يعجله * مستعجلا للفراق أين أنا
فذ كفا الى ترائبه * وقال سرا منا فأنت هنا

(قوله أنشأتها) أى صنعتها (الاغترار) الجهل والانخداع (أمليتها) ألقيتها لمن يكتبها * واضطر اضطرارا اذا لم يجد بدا من فعله (أرصدتها) أعددتها (الاستعراض) أن تعرض على الناس حتى يروها (سقط المتاع) هجينه (يبتاع) يشترى (غشينى) غطانى (أودعتها) ضمنتها (اللغو) سقط الكلام (أضاليل) جمع أضلولة وهى مايضل به من ركبه (أسترشده) أستهديه (يعصم) يمنع (السهو) الخطا (يحظى) يسعد (العفو) المغفرة (قوله هو أهل التقوى) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ربكم عزوجل أنا أهل التقوى فلا يشرك بى غيرى وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بى أن أغفر له . انتهى الشرح بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه وكان من قدر الله تعالى أن أول حرف شرحت من اللغة فى هذا الكتاب حمد الله وآخر حرف ختمت به ما وقع بين حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه وبين عفوه عن عبيده مرجو من جميل صنعه الامتنان بالصفح عن جميع هذه وملتمس من جلاله تعالى وكرمه جزيل الاجر على ما ضمنته من حكم الآداب وغيره وأذكر فصلا أدبيا فى العفو عن المذنبين أختم به الديوان فمن وقف عليه ووجد فى نفسه ادنه واستشعر الرجاء وطمع فى العفو فرغبتنا اليه أن يسأل لنا العفو مع نفسه * فمن ذلك انه كان للمأمون خادم لوضوئه فبيناهو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء فغضب المأمون فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ قال كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر * وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حيوة ان الله تعالى قد فعل ما تحب من الظفر فافعل ما يحب من العفو فعفا عنه العتبى وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقى أحد واضع رأسه الا رفعه فقال يامعشر قريش هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضل من الحق قالوا وهل شئ أفضل من الحق قال نعم العفو فتبادر القوم فاصطلحوا قال المبارك بن فضالة كنت جالسا فى السماط عند أبى جعفر اذ أمر برجل أن يقتل فقلت يا أمير المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ينادى مناد بين يدى الله عز وجل من كانت له يد عند الله فليقم فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب فأمر باطلاقه * وكان لرجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له أربعة دراهم أن يشترى بها من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيأ ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذى تريد أن أدعو لك قال ان يعتقنى الله من رق العبودية فدعا منصور وأمن الناس قال والثانية قال أن يخلف الله على الدراهم فدعا له وأمن الناس قال والثالثة يا غلام قال أن يتوب الله على مولاى فدعا له وأمن الناس قال والرابعة يا غلام قال أن يغفر الله لى ولمولاى ولك يا منصور وللحاضرين فدعا منصور وأمن الناس فرجع الغلام فقال له مولاه لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا قال سألت لنفسى العتق قال اذهب فأنت حر قال والثانية قال ان يخلف الله على الدراهم

أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان الاضطرار وقد ألجئت الى أن أرصدتها للاستعراض وناديت عليها فى سوق الاعتراض هذا مع معرفتى بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع ولو غشينى نور التوفيق وتطرت لنفسى نظر الشفيق لسترت عوارى الذى لم يزل مستورا ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو وأسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظى بالعفو انه هو أهل التقوى وأهل المغفرة وولى الخيرات فى الدنيا والآخرة

(ذكر العفو عن المذنبين)

قال لك أربعة آلاف درهم قال والثالثة قال أن يتوب الله عليك قال والرابعة قال أن يغفر لي ولك وللواعظ وللحاضرين قال هذه الواحد رأى في المنام كأن قائلا يقول أنت فعلت ما كان اليك أترى لا أفعل ما والعلاء وللمنصور وللحاضرين * قال يحيى بن معاذ يكاد رجائي لك مع الذنوب الاخلاص لاني أعتمد في الاخلاص على الاعمال وفي الذنوب أعتمد على عفو

تبسطنا على الآمال انا * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم ستعاينون من عفو الله تعالى ثم ما برحنا حتى أغمضناه عينيه * وفي الحديث لو لم تذنبوا لجاء الله با وقال أبو نواس

يا نواسي توقر * وتعزى وتصبر
ساءك الدهر بشيء * ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الاشياء في أصغر عفو الله أصغر
ليس للانسان الا * ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير بل الخالق دبر

(وقال أبو العتاهية)

الهي لا تعذبني فاني * مقر بالذي قد كان
فمالي حيلة الا رجائي * لعفوك ان عفوت وحسن
يظن الناس بي خيرا واني * لشر الناس ان لم تعف عني
وكم من زلة لي في الخطايا * وأنت علي ذو فضل
اذا فكرت في ندمي عليها * عضضت أناملي وقرعت

وهذا آخر شعر قاله أبو العتاهية وآخر شعر ختمت به هذا الشرح راجياه والحمد لله أولا وآخرا كما يحب لجلاله غفرانك اللهم تباركت وتعاليت وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ورضي الله تعالى أجمعين وعن التابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

يقول حسيب الاعتاب الحسينية الفقير الى الله تعالى محمد
خادم تصحيح الكتب بدار الطباعة الكبرى الميرية

يا من حرمت سحر بابل وأبحت سحر اللواحظ الفواتر الذوابل وأسل سبحانك علمت الانسان حسن التخلص واختلاس العقول بلطيف الا حلية النفوس يتريض به جواد الطبع الشموس فصل وسلم وبارك من بين بني هذا النوع بسر هذه الخصيصة وأعلاها وحليته من

وارفعها وأغلاها سيدنا محمد الذى أعجز كل بليغ بقول معارض وأفحم كل مصقع منطيق مفاوض وعلى آله الذين دونوا أحكامك وبينوا لنا آدابك البديعة وأصحابه ذوى المقامات الرفيعة (أما بعد) فقد تم طبع هذا السفر الذى أسفرت بمطالعه بدور المقامات الحريرية وبرزت مخدراتها تتهادى فى حلل البهاء العبقرية الراوى لناس ملح الادب ما تهتز له الالباب طربا وتقضى به عشاق الآداب عجبا للعلامة الاديب النابغة الاريب أوحد زمانه وتاج الفضلاء فى آنه الصبح الذى يأبى ان يشاركه فى حسن صناعته والجهبذ الذى تعنو وجوه البلغاء لبليغ عبارته مربى فحول العلماء مؤدب أرقاء الظرفاء ذى المقام الانسى والصوب القدسى الامام أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشى القيسى سقى الله ثراه صيب الرحمة ومتعه بلذيذ القرب فى دار الاحسان والنعمة على ذمة العصابة الالمعية والرفقة النبلاء الجهبذية حضرة علىّ الهمة ورفيع الجناب السيد عمر حسين الخشاب والهمام الفاضل الماجد الجناب الاكرم السيد الطوبى عبد الواحد وحضرة ذى العفة والامانة والهمة والفطانة سمىّ القدر والجناب الشيخ طلبه عبد الوهاب فى ظل الحضرة الخديوية والطلعة البهية الداورية من أحيا رفات المكارم وأمات بعدله رعاة المظالم ذو الدولة الكسروية والسيرة العمرية الذى عم رعيته بوافر بره وصارت العتاة بحسن سياسته طوع نهيه وامره سلالة السادة الملوك الاماجد وخلاصة القادة الاكابر الصناديد مالك امرنا وولى نعمتنا على التحقيق أفندينا محمد باشا توفيق أدام الله دولته وخلد صولته وأيد سطوته قرير العين بأنجاله مهنأ البال بأشباله لا سيما عباس الليث الهمام السيف الصمصام وكان هذا الطبع الجليل والشكل الجميل فى المطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة مشمولا بنظر حضرة ناظرها ذى الهمة العليا والسعى المشكور والنظر الصائب والعزم المشهور من حسن مساعيه تشهد له بالفضل وعليه تثنى حضرة حسين بك حسنى ونظر حضرة وكيلها الجناب الأفخم الجارى له فى حسن سعيه المتحلى بحلية مجده الاعظم الذى أنابته المعالى بلبيك حضرة محمد حسنى بيك وكان تمام بدره وانبلاج غرة فجره فى غرة رجب الاصم من عام ثلثمائة بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه واحزابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

آمين

واضربنب	
فن بنب	وحد

٤_٢٦٣